

سورة 1

- فالنعيم كلها، أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء. 1
- عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات. فيؤمنون مثلاً، بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم. كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبياؤه ورسله. فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها. واعلم أن من القواعد المتفق بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية وهي صفات الكمال. الرحمن الرحيم اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت بسم الله أي: أبتدى بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ اسم مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنی. الله هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده داخله تحت ربوبيته الخاصة. فدل قوله رب العالمين على انفراده بالخلق والتدبير، والنعيم، وكمال غناه، وتمازق فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار. 2
- بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى. وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة. فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم بجميع الوجوه. رب العالمين الرب، هو المربي جميع العالمين وهم من سوى الله بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعيم العظيمة، التي الحمد لله هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل،
- التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به، فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتبهم، ثم قال تعالى وأنزل التوراة أي: على موسى والإنجيل على عيسى. 3
- فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، وهي شاهدة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه مصداقاً لما بين يديه من الكتب السابقة، فهو المزي لها، بعباده ورحمته بهم أن نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب، الذي هو أجل الكتب وأعظمها المشتمل على الحق في إخباره وأوامره ونواهي، ومن قيامه تعالى
- لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا، فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام. 4
- للخلق تمام الظهور، كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتى إنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار. كلهم مذعنون بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين. وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر مالك يوم الدين المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف
- دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي. 5
- عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصوداً بها وجه الله. فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر الاستعانة بعد العبادة مع تحصيل ذلك. والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة. والاستعانة هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في ولا نستعين بغيرك. وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه تعالى على حق عبده. و العبادة اسم جامع لكل وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، وقوله إياك نعبد وإياك نستعين أي: نخصك
- الدينية علماً وعملاً. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك. 6
- إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل اهدنا الصراط المستقيم أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا ثم قال تعالى:
- مبتدع وضال فهو مخالف لذلك. وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: إياك نعبد وإياك نستعين فالحمد لله رب العالمين. 7
- حقيقة، خلافاً للقدرة والجبرية. بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: اهدنا الصراط المستقيم لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: مالك يوم الدين وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل. وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ الحمد كما تقدم. وتضمنت إثبات النبوة في قوله: اهدنا الصراط المستقيم لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة. من لفظ: الله ومن قوله: إياك نعبد وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتنا لنفسه، وأثبتنا له رسوله من غير تعطيل عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: رب العالمين وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ كاليهود ونحوهم. وغير صراط الضالين الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم. فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو

المستقيم هو: صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. غير صراط المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وتركوه وهذا الصراط

سورة 2

في أوائل السور، الأسلم فيها، السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثاً بل لحكمة لا نعلمها. 1 الحروف المقطعة

فزادتهم رجساً إلى رجسهم فعقوبة المعصية، المعصية بعدها، كما أن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها، قال تعالى: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى 10 قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقال تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى: وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما والمعافي من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية. وفي قوله عن المنافقين: في قلوبهم كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها، من مرض الشهوات، كما قال تعالى: فيطمع الذي في قلبه مرض وهي شهوة الزنا، والنفاق، لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، وقوله: في قلوبهم مرض والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات

فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود، ولو صدق إيمانهم، لكانوا مثل من قال الله فيهم: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه 100 معاهداتهم، وعدم صبرهم على الوفاء بها. ف كلما تفيد التكرار، فكلما وجد العهد ترتب عليه النقض، ما السبب في ذلك؟ السبب أن أكثرهم لا يؤمنون، وهذا فيه التعجيب من كثرة

تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون. 101 الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه وراء ظهورهم وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به. العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله أي: ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب

فلم يكن فعلهم إياه جهلاً، ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة. ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون علماً يثمر العمل ما فعلوه. 102 ولقد علموا أي: اليهود لمن اشتراه أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة. ما له في الآخرة من خلاق أي: نصيب، بل هو موجب للعقوبة، مضرة محضة، فليس له داع أصلاً، فالمنهيات كلها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها. كما أن المأمورات إما مصلحة محضة أو خيرها أكثر من شرها. يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر: قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فهذا السحر عن قدرة الله، فخالقوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين. ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دنيوية ولا دنيوية كما والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشينة، فأخرجوها كما في قوله تعالى في الآية السابقة: فإنه نزل على قلبك بإذن الله وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: وجعل بينكم مودة ورحمة وفي الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه. ثم ذكر مفاصد السحر فقال: وتروجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة. فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه نحن فتنة فلا تكفر أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحاناً وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر. وما يعلمان من أحد حتى ينصحا، و يقولان إنما الشياطين كفروا بذلك. يعلمون الناس السحر من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين وبه حصل له الملك العظيم. وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزهه الصادق في قوله: وما كفر سليمان أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، ولكن كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل. كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون. ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به. تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم

تفسير السعدي

فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه وراء ظهورهم وهذا أبلغ في أي: ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم،

فلم يكن فعلهم إياه جهلا، ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة. ولبنس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون علما يثمر العمل ما فعلوه. 103 ولقد علموا أي: اليهود لمن اشتراه أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة. ما له في الآخرة من خلاق أي: نصيب، بل هو موجب للعقوبة، مضرة محضة، فليس له داع أصلا، فالمنهيات كلها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها. كما أن المأمورات إما مصلحة محضة أو خيرها أكثر من شرها. يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر: قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فهذا السحر عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين. ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دنيوية ولا دنيوية كما والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشينة، فأخرجوها كما في قوله تعالى في الآية السابقة: فإنه نزل على قلبك بإذن الله وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: وجعل بينكم مودة ورحمة وفي الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملك، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه. ثم ذكر مفسد السحر فقال: وتروجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين امتحانا مع نصحهما لئلا يكون لهما حجة. فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه نحن فتنة فلا تكفر أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحانا وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر. وما يعلمان من أحد حتى ينصحا، و يقولان إنما الشياطين كفروا بذلك. يعلمون الناس السحر من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين وبه حصل له الملك العظيم. وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزهه الصادق في قلبه: وما كفر سليمان أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، ولكن كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل. كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به

لم يذكر المسموع، ليعم ما أمر باستماعه، فدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة، لفظا ومعنى واستجابة، ففيه الأدب والطاعة. 104 تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتل إلا الحسن فقال: وقولوا انظروا فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور، واسمعوا النهي عن الجائر، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع بها معنى فاسدا، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب، ففيه كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: راعنا أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحا، وكان اليهود يريدون

الفضل العظيم ومن فضله عليكم، إنزال الكتاب على رسولكم، ليذكركم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فله الحمد والمنة. 105 والمشاركين للمؤمنين، أنهم ما يودون أن ينزل عليكم من خير أي: لا قلبا ولا كثيرا من ربكم حسدا منهم، وبغضا لكم أن يختصكم بفضله فإنه ذو ثم توعده الكافرين بالعذاب المؤلم الموجه، وأخبر عن عداوة اليهود

فدل على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول؛ لأن فضله تعالى يزداد خصوصا على هذه الأمة، التي سهل عليها دينها غاية التسهيل. 106 فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ، وأنه ما ينسخ من آية أو ناسها أي: ننسها العباد، فنزيلها من قلوبهم، نأت بخير منها وأنفع لكم أو مثلها مشروع، إلى حكم آخر، أو إلى إسقاطه، وكان اليهود ينكرون النسخ، ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى محض. النسخ: هو النقل، فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم

بهم. ومن تأمل ما وقع في القرآن والسنة من النسخ، عرف بذلك حكمة الله ورحمته عباده، وإيصالهم إلى مصالحهم، من حيث لا يشعرون بلطفه. 107 ولي عباده، ونصيرهم، فيتولاهم في تحصيل منافعهم، وينصرهم في دفع مضارهم، فمن ولايته لهم، أن يشرع لهم من الأحكام، ما تقتضيه حكمته ورحمته من أنواع التقادير، كذلك لا يعترض عليه فيما يشرعه لعباده من الأحكام. فالعبد مدبر مسخر تحت أوامر ربه الدينية والقدرية، فما له والاعتراض؟ وهو أيضا، والأرض فإذا كان مالكا لكم، متصرفا فيكم، تصرف المالك البر الرحيم في أقداره وأوامره ونواهي، فكما أنه لا حجر عليه في تقدير ما يقدره على عباده وأخبر أن من قدح في النسخ فقد قدح في ملكه وقدرته فقال: ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السماوات

ونحو ذلك. ولما كانت المسائل المنهي عنها مذمومة، قد تصل بصاحبها إلى الكفر، قال: ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل 108 أمر الله به كما قال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ويقررهم عليه، كما في قوله يسألونك عن الخمر والميسر و يسألونك عن اليتامى

تفسير السعدي

وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم فهذه ونحوها، هي المنهي عنها. وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد بذلك، أسئلة التعنت والاعتراض، كما قال تعالى: يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ينهى الله المؤمنين، أو اليهود، بأن يسألوا رسولهم كما سئل موسى من قبل والمراد

109 الله بأمره إياهم بالجهد، فشقى الله أنفس المؤمنين منهم، فقتلوا من قتلوا، واسترقوا من استرقوا، وأجلوا من أجلوا إن الله على كل شيء قدير وهذا من حسدهم الصادر من عند أنفسهم. فأمرهم الله بمقابلة من أساء إليهم غاية الإساءة بالعفو عنهم والصفح حتى يأتي الله بأمره. ثم بعد ذلك، أتى المكاييد، وكيدهم راجع عليهم كما قال تعالى: وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ثم أخبر عن حسد كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم الحال، أنهم ودوا لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا وسعوا في ذلك، وأعملوا للحقائق، وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة، وأرجى لرجوعه. 11 المؤمنين لعدوهم ومولاتهم للكافرين قالوا إنما نحن مصلحون فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلبا أي: إذا نهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض، وهو العمل بالكفر والمعاصي، ومنه إظهار سرائر وفعل كل القربات، ووعدهم أنهم مهما فعلوا من خير، فإنه لا يضيع عند الله، بل يجدونه عنده وافرا موفرا قد حفظه إن الله بما تعملون بصير 110 ثم أمرهم الله بالاستغفار في الوقت الحاضر، بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة

مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعاوى. 111 مقبولة، إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا، فلو قلبت عليه دعواه، وادعى أي: قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أمانى غير لهم المرغوب، ونجوا من المرهوب. ويفهم منها، أن من ليس كذلك، فهو من أهل النار الهالكين، فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول. 112 بأن عبده بشره، فأولئك هم أهل الجنة وحدهم. فله أجره عند ربه وهو الجنة بما اشتملت عليه من النعيم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فحصل بلى أي: ليس بأمانيتكم ودعاويكم، ولكن من أسلم وجهه لله أي: أخلص لله أعماله، متوجها إليه بقلبه، وهو مع إخلاصه محسن في عبادة ربه، بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعاوى. ثم ذكر تعالى البرهان الجلي العام لكل أحد، فقال: صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا، فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أمانى غير مقبولة، إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم أي: قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان

العدل، الذي أخبر به عباده، فإنه لا فوز ولا نجاة إلا لمن صدق جميع الأنبياء والمرسلين، وامتلأ أوامر ربه، واجتنب نواهيه، ومن عداهم، فهو هالك. 113 ضلل بعضا، وكفر بعضهم بعضا، كما فعل الأميون من مشركي العرب وغيرهم. فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى، ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه وذلك أنه بلغ بأهل الكتاب الهوى والحسد، إلى أن بعضهم

وتكريمها، فقال تعالى: في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وللمساجد أحكام كثيرة، يرجع حاصلها إلى مضمون هذه الآيات الكريمة. 114 في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر بل قد أمر الله تعالى برفع بيوتته وتعظيمها الدنيا خزي أي: فضيحة كما تقدم ولهم في الآخرة عذاب عظيم وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيمانا ممن سعى الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر. واستدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد. لهم في الفيل، قد ذكر الله ما جرى عليهم، والنصارى، سلط الله عليهم المؤمنين، فأجلوهم عنه. وهكذا كل من اتصف بوصفهم، فلا بد أن يناله قسطه، وهذا من له في فتح مكة، ومنع المشركين من قربان بيته، فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وأصحاب إلا خائفين ذليلين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله، فالمشركون الذين صدوا رسوله، لم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيرا، حتى أذن الله والنصارى حين أخبروا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادة لله، ومشاقة، فجازاهم الله، بأن منعهم دخولها شرعا وقدرًا، منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام، لكل من اتصف بهذه الصفة، فدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش، حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية، وغيرها من الطاعات. وسعى أي: اجتهد وبذل وسعه في خرابها الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها، وتقديرها، والخراب المعنوي: أي: لا أحد أظلم وأشد جرما، ممن منع مساجد الله، عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة

وهو تعالى واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم. فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر. 115 من الجهات، خارجة عن ملك ربه. فتم وجه الله إن الله واسع عليم فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجهًا لا تشبهه الوجوه، إليها، ثم يتبين له الخطأ، أو يكون معذورا بصلب أو مرض ونحو ذلك، فهذه الأمور، إما أن يكون العبد فيها معذورا أو مأمورا. وبكل حال، فما استقبل جهة أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المقدس، أو تؤمرون بالصلاة في السفر على الراحلة ونحوها، فإن القبلة حيثما توجه العبد أو تشتهه القبلة، فيتحرى الصلاة

تفسير السعدي

ومغاربيها، فإذا كان مالكا لها، كان مالكا لكل الجهات. فأينما تولوا وجوهكم من الجهات، إذا كان توليكم إياها بأمره، إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أي: ولله المشرق والمغرب خصهما بالذكر، لأنهما محل الآيات العظيمة، فهما مطالع الأنوار

كلهم، تحت تدبير الخالق، وخاص: وهو قنوت العبادة. فالنوع الأول كما في هذه الآية، والنوع الثاني: كما في قوله تعالى: وقوموا لله قانتين 116 المملوكون المقهورون، وهو الغني وأنتم الفقراء، فكيف مع هذا، يكون له ولد؟ هذا من أبطل الباطل وأسمجه. والقنوت نوعان: قنوت عام: وهو قنوت الخلق مفتقرين إليه، وهو غني عنهم، فكيف يكون منهم أحد، يكون له ولدا، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، لأنه جزء منه. والله تعالى المالك القاهر، وأنتم ما في السماوات والأرض أي: جميعهم ملكه وعبيده، يتصرف فيهم تصرف المالك بالممالك، وهم قانتون له مسخرون تحت تدبيره، فإذا كانوا كلهم عبيده، من له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه. ومع رده لقولهم، أقام الحجة والبرهان على تنزيهه عن ذلك فقال: بل له منهم، قد حلم عليهم، وعافاهم، ورزقهم مع تنقصهم إياه. سبحانه أي: تنزهه وتقده عن كل ما وصفه به المشركون والظالمون مما لا يليق بجلاله، فسبحان والمشركون، وكل من قال ذلك: اتخذ الله ولدا فنسبوه إلى ما لا يليق بجلاله، وأسأوا كل الإساءة، وظلموا أنفسهم. وهو تعالى صابر على ذلك وقالوا أي: اليهود والنصارى

أي: خالفهما على وجه قد اتقنهما وأحسنهما على غير مثال سبق. وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون فلا يستعصى عليه، ولا يمتنع منه. 117 ثم قال: بديع السماوات والأرض

قد بينا الآيات لقوم يوقنون فكل موقن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب. 118 مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبين الحق، فإن الرسل، قد جاءوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى: أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة الآيات وقوله: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات. فهذا دأبهم كقولهم: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك الآية، وقالوا: لولا كما كلم الرسل، أو تأتينا آية يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله أي: قال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم: هلا يكلمنا،

لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الديني والأخروي. ولا تسأل عن أصحاب الجحيم أي: لست مسئولا عنهم، إنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب. 119 والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة، فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة. قوله: بشيرا أي لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية، نذيرا وكذبهم. وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشرع العظيم، والقرآن الكريم، المشتغل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، للناظرين، فمن عرفها، وسبر أحواله، عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأن الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم صلى الله عليه وسلم معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشؤه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك، قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة العظيم، يأمرهم بعبادة الرحمن وحده لا شريك له، فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله، وأما الثاني: فمن عرف النبي البعثة. وقد علم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدى، ولم يتركهم هملا، لأنه حكيم عليم، قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده، أن أرسل إليهم هذا الرسول عليه من عبادة الأوثان والنيران، والصلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر، قد عمتهم وشملتهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، قد انقضوا قبيل أرسلناك والثالث دخل في قوله: بالحق وبيان الأمر الأول وهو نفس إرساله أنه قد علم حالة أهل الأرض قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وما كانوا ثلاثة أمور: الأول: في نفس إرساله، والثاني: في سيرته وهديه ودله، والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة. فالأول والثاني، قد دخلا في قوله: إنا الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به فقال: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثم ذكر تعالى بعض آية موجزة مختصرة جامعة للآيات

في الأرض، وأدر لهم الأرزاق، ليستعينوا بها على طاعته وعبادته، فإذا عمل فيها بضده، كان سعيها فيها بالفساد فيها، وإخراجا لها عما خلقت له. 12 والأشجار، والنبات، بما يحصل فيها من الآفات بسبب المعاصي، ولأن الإصلاح في الأرض أن تعمر بطاعة الله والإيمان به، لهذا خلق الله الخلق، وأسكنهم كانوا قد علموا بذلك علما تقوم به عليهم حجة الله، وإنما كان العمل بالمعاصي في الأرض إفسادا، لأنه يتضمن فساد ما على وجه الأرض من الحبوب والثمار سبيل الله، وخادع الله وأوليائه، ووالى المحاربين لله ورسوله، وزعم مع ذلك أن هذا إصلاح، فهل بعد هذا الفساد فساد؟ ولكن لا يعلمون علما ينفعهم، وإن ضمنه أن المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح قلب الله عليهم دعواهم بقوله: ألا إنهم هم المفسدون فإنه لا أعظم فسادا ممن كفر بآيات الله، وصد عن ولما كان في قولهم: إنما نحن مصلحون حصر للإصلاح في جانبهم وفي

الله صلى الله عليه وسلم فإن أمته داخلة في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. 120 ما لك من الله من ولي ولا نصير فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول أنه الهدى، فقل لهم: إن هدى الله الذي أرسلت به هو الهدى وأما ما أنتم عليه، فهو الهوى ببديل قوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم يخبر تعالى رسوله، أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصارى، إلا باتباعه دينهم، لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون

تفسير السعدي

هم المؤمنون حقاً، لا من قال منهم: نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه ولهذا توعدهم بقوله ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون 121 بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم. فهؤلاء، آتاهم الكتاب، ومن عليهم به منة مطلقة، أنهم يتلونه حق تلاوته أي: يتبعونه حق اتباعه، والتلاوة: الاتباع، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون يخبر تعالى أن الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت ثم قال: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون 122 قد تقدم تفسير الآية 122

منهم: نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه ولهذا توعدهم بقوله ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون وقد تقدم تفسير الآية التي بعدها. 123 وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم. فهؤلاء، هم المؤمنون حقاً، لا من قال به منة مطلقة، أنهم يتلونه حق تلاوته أي: يتبعونه حق اتباعه، والتلاوة: الاتباع، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، يخبر تعالى أن الذين آتاهم الكتاب، ومن عليهم

السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟ ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها. 124 الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آتاه الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل الرحيم اللطيف، وأخبر بالمانع من نيل هذا المقام فقال: لا ينال عهدي الظالمين أي: لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضاً من إمامته، ونصحه لعباد الله، ومحبتة أن يكثر فيهم المرشدون، فله عظمة هذه الهمم العالية، والمقامات السامية. فأجابه أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله. فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته، لتلوه الدائم، والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد. وهذه لعمر الله أفضل درجة، تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام، شمر إليه العاملون، وأكمل حالة حصلها فشكر الله له ذلك، ولم يزل الله شكورا فقال: إني جاعلك للناس إماماً أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبدية، ويحصل لك الثناء الصادق، الذي ترتفع درجته، ويزيد قدره، ويزكو عمله، ويخلص ذهبه، وكان من أجلهم في هذا المقام، الخليل عليه السلام. فأتى ما ابتلاه الله به، وأكملاه ووفاه، المشركون: أن الله ابتلاه وامتنحنه بكلمات، أي: بأوامر ونواهي، كما هي عادة الله في ابتلائه لعباده، ليتبين الكاذب الذي لا يثبت عند الابتلاء، والامتحان من يخبر تعالى، عن عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، المتفق على إمامته وجلالته، الذي كل من طوائف أهل الكتاب تدعيه، بل وكذلك

ذلك. ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام، ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه. ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه. 125 وأضاف الباري البيت إليه لفوائد، منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في السجود أي: المصلين، قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد الحرام، ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقاً، ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى. أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصي، ومن الرجز والنجاسات والأقذار، ليكون للطائفتين فيه والعاكفتين والركع مصلين أي: معبدان، أي: اقتدوا به في شعائر الحج، ولعل هذا المعنى أولى، لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له. وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها: من الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ومزدلفة ورمي الجمار والنحر، وغير ذلك من أفعال الحج. فيكون معنى قوله: وأن المراد بهذا، ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام مفرداً مضافاً، فيعم جميع مقامات حرمة وتعظيماً، وتشريفاً وتكريماً. واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى يحتمل أن يكون المراد بذلك، المقام المعروف الذي قد جعل الآن، مقابل باب الكعبة، الجمادات كالأشجار. ولهذا كانوا في الجاهلية على شركهم يحترمونهم أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام، زاده مرجعاً يثوبون إليه، لحصول منافعتهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه، ولا يقضون منه وطراً، و جعله آمناً يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى ركننا من أركان الإسلام، حاطاً للذنوب والآثام. وفيه من آثار الخليل وذريته، ما عرف به إمامته، وتذكرت به حالته فقال: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس أي: ثم ذكر تعالى، نموذجاً باقياً دالاً على إمامة إبراهيم، وهو هذا البيت الحرام الذي جعل قصده،

عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر، فيتمتع فيها قليلاً ثم أضطره أي: ألجئه وأخرجه مكرهاً إلى عذاب النار وبئس المصير 126 وكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، قال تعالى: ومن كفر أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين، تأدباً مع الله، إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيداً بغير الظالم. فلما دعا لهم بالرزق، وقيد بالموثق، أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلداً آمناً، ويرزق أهله من أنواع الثمرات، ثم قيد

هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتى إنهما مع هذا العمل دعوا الله أن يتقبل منهما عملهما، حتى يحصل فيه النفع العميم. 127 أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل، في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على

للعلم النافع، والعمل الصالح، ولما كان العبد مهما كان لا بد أن يعتريه التقصير، ويحتاج إلى التوبة قالاً: وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم 128 كله، والعبادات كلها، كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك: التعبد، ولكن غلب على متعبدات الحج، تغليباً عرفياً، فيكون حاصل دعائهما، يرجع إلى التوفيق

تفسير السعدي

ليكون أبلغ. يحتمل أن يكون المراد بالمناسك: أعمال الحج كلها، كما يدل عليه السياق والمقام، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك وهو الدين وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته، خضوع القلب، وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح. وأرنا مناسكتنا أي: علمناها على وجه الإراءة والمشاهدة، ودعوا لأنفسهما،

الخلق عامة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: أنا دعوة أبي إبراهيم ولما عظم الله إبراهيم هذا التعظيم، وأخبر عن صفاته الكاملة قال تعالى: 129 يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك وحكمتك، إبعث فيهم هذا الرسول. فاستجاب الله لهما، فبعث الله هذا الرسول الكريم، الذي رحم الله به ذريتهما خاصة، وسائر الصالحة والتبري من الأعمال الردية، التي لا تزكي النفوس معها. إنك أنت العزيز أي: القاهر لكل شيء، الذي لا يمتنع على قوته شيء. الحكيم الذي له، وليعرفوه حقيقة المعرفة. يتلو عليهم آياتك لفظا، وحفظا، وتحفيظا ويعلمهم الكتاب والحكمة معنى. ويزكيهم بالتربية على الأعمال ربنا وابعث فيهم أي: في ذريتنا رسولا منهم ليكون أرفع لدرجتهم، ولينقادوا

دفع ما يضره، وهذه الصفة منطبقة على الصحابة والمؤمنين وصادقة عليهم، فالعبرة بالأوصاف والبرهان، لا بالدعاوى المجردة، والأقوال الفارغة. 130 نفسه، وسعيه فيما يضرها، وهذه الصفة منطبقة عليهم وصادقة عليهم، كما أن العقل والحجاء معرفة الإنسان بمصالح نفسه، والسعي فيما ينفعه، وفي السفه وفي ضمنه أنهم هم العقلاء أرباب الحجى والنهى. فرد الله ذلك عليهم، وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة، لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح قببحهم الله الصحابة رضي الله عنهم، بزعمهم أن سفههم أوجب لهم الإيمان، وترك الأوطان، ومعاداة الكفار، والعقل عندهم يقتضي ضد ذلك، فنسبواهم إلى قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي: كإيمان الصحابة رضي الله عنهم، وهو الإيمان بالقلب واللسان، قالوا بزعمهم الباطل: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ يعنون أي: إذا

في الدنيا أي: اخترناه ووفقناه للأعمال، التي صار بها من المصطفين الأخيار. وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم أعلى الدرجات. 130 ورضي لها بالدون، وباعها بصفقة المغبون، كما أنه لا أرشد وأكمل، ممن رغب في ملة إبراهيم، ثم أخبر عن حالته في الدنيا والآخرة فقال: ولقد اصطفيناها أي: ما يرغب عن ملة إبراهيم بعد ما عرف من فضله إلا من سفه نفسه أي: جهلها وامتنعها،

إذ قال له ربه أسلم قال امتثالا لربه أسلمت لرب العالمين إخلاصا وتوحيدا، ومحبة، وإنابة فكان التوحيد لله نعتة. 131

وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على ذلك فلا يأتاكم الموت إلا وأنتم عليه، لأن من عاش على شيء، مات عليه، ومن مات على شيء، بعث عليه. 132 الانقياد، واتباع خاتم الأنبياء قال: يا بني إن الله اصطفى لكم الدين أي: اختاره وتخيره لكم، رحمة بكم، وإحسانا إليكم، فقوموا به، واتصفوا بشرائعه، وجعلها كلمة باقية في عقبه، وتوارث فيهم، حتى وصلت ليعقوب فوصى بها بنيه. فأنتم يا بني يعقوب قد وصاكم أبوكم بالخصوص، فيجب عليكم كمال ثم ورثه في ذريته، ووصاهم به،

والعمل. ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب، لأنهم لم يوجدوا بعد، فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه وصى بنيه بالحنيفية، لا باليهودية. 133 فقالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إله واحد فلا نشرك به شيئا، ولا نعدل به أحدا. ونحن له مسلمون فجمعوا بين التوحيد أي: مقدماته وأسبابه، فقال لبنيه على وجه الاختبار، ولتقر عينه في حياته بامثالهم ما وصاهم به: ما تعبدون من بعدي ؟ فأجابوه بما قرت به عينه ولما كان اليهود يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، ومن بعده يعقوب، قال تعالى منكرًا عليهم: أم كنتم شهداء أي: حضروا إذ حضر يعقوب الموت

أنكم على ملتهم، والرضا بمجرد القول، أمر فارغ لا حقيقة له، بل الواجب عليكم، أن تنظروا حالتكم التي أنتم عليها، هل تصلح للنجاة أم لا؟ 134 لها ما كسبت ولكم ما كسبتم أي: كل له عمله، وكل سيجازى بما فعله، لا يؤخذ أحد بذنب أحد ولا ينفع أحد إلا إيمانه وتقواه فاشتغالكم بهم وادعائكم، ثم قال تعالى: تلك أمة قد خلت أي: مضت

أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، قائما بالتوحيد، تاركا للشرك والتنديد. فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية. 135 من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم، زاعمين أنهم هم المهتدون وغيرهم ضال. قل له مجيبا جوابا شافيا: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا أي: دعا كل

ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون. 136 بالقلب واللسان والجوارح والإخلاص لله في ذلك، وعلى الفرق بين الرسل الصادقين، ومن ادعى النبوة من الكاذبين، وعلى تعليم الباري عباده، كيف يقولون، الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واشتملت على الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم، وعلى التصديق وهو له على العامل وهو مسلمون فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على إيجازها واختصارها على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد وكان القول لا يغني عن العمل قال: ونحن له مسلمون أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته، بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول، يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم، كما يعلم ذلك من سبر أحوال الجميع، وعرف ما يدعون إليه. فلما بين تعالى جميع ما يؤمن به، عموما وخصوصا، له بالحق، من غير تخالف ولا تناقض لكونه من عند ربهم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا بخلاف من ادعى النبوة، فلا بد أن النبوة، وأنه يحصل الفرق بينهم بمجرد معرفة ما يدعون إليه، فالرسل لا يدعون إلا إلى الخير، ولا ينهاون إلا عن كل شر، وكل واحد منهم، يصدق الآخر، ويشهد

تفسير السعدي

الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته تركهم سدى ولا هملا. وإذا كان ما أوتي النبيون، إنما هو من ربهم، ففيه الفرق بين الأنبياء وبين من يدعي عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء. وفي قوله: من ربهم إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده، أن ينزل عليهم الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع. وفيه أن الأنبياء مبلغون رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرا برسولهم. وفي قوله: وما أوتي النبيون من ربهم دلالة على أن عطية الدين، هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا، أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا كذبوا محمدا، فقد كذبوا وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به من الرسل والكتب فإنهم يكفرون بغيره، فيفرون بين الرسل والكتب، بعضها يؤمنون به وبعضها يكفرون به، وينقض نفرق بين أحد منهم أي: بل نؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين، التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه على دين. فاليهود والنصارى والصابئون وغيرهم الكبار. فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب، أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلا. وقوله: لا إلى آخر الآية، فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموما وخصوصا، ما نص عليه في الآية، لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع رسله، واليوم الآخر، والغيوب الماضية والمستقبلية، والإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمرية، وأحكام الجزاء وغير ذلك. وما أنزل إلى إبراهيم يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة. فيدخل فيه الإيمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله، من صفات الباري، وصفات أحد، متصف بكل صفة كمال، منزّه عن كل نقص وعيب، مستحق لإفراده بالعبادة كلها، وعدم الإشراك به في شيء منها، بوجه من الوجوه. وما أنزل إلينا ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرونا بالاستثناء بالمشيئة، لما فيه من تزكية النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان. فقوله: آمنا بالله أي: بأنه موجود، واحد وفي قوله: قولوا آمنا بالله إلخ دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان، على وجه التقييد، بل على وجوب ذلك، بخلاف قوله: أنا مؤمن بحبل الله جميعا، والحث على الائتلاف حتى يكون داعيهم واحدا، وعملهم متحدا، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه: أن المؤمنين كالجسد الواحد. والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه. وفي قوله: آمنا ونحوه مما فيه صدور الفعل، منسوباً إلى جميع الأمة، إشارة إلى أنه يجب على الأمة، الاعتصام عليه، إذا كان خيرا ومعه أصل الإيمان، لكن فرق بين القول المجرد، والمقترن به عمل القلب. وفي قوله: قولوا إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها، الثواب والجزاء، فكما أن النطق باللسان، بدون اعتقاد القلب، نفاق وكفر، فالقول الخالي من العمل عمل القلب، عديم التأثير، قليل الفائدة، وإن كان العبد يؤجر الظاهرة وكذلك إذا جمع بين الإيمان والأعمال الصالحة، فقوله تعالى: قولوا أي: بألسنتكم، متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام، المترتب عليه دخل فيه ما ذكر، وكذلك الإسلام، إذا أطلق دخل فيه الإيمان، فإذا قرن بينهما، كان الإيمان اسما لما في القلب من الإقرار والتصديق، والإسلام، اسما للأعمال لأعمال القلوب والجوارح، وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام، وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها، فهي من الإيمان، وأثر من آثاره، فحيث أطلق الإيمان، هذه الآية الكريمة، قد اشتملت على جميع ما يجب الإيمان به. واعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام، بهذه الأصول، وإقراره المتضمن بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشردهم كل مشرد. ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر. 137 بما بين أيديهم وما خلفهم، بالغيب والشهادة، بالظواهر والبواطن، فإذا كان كذلك، فكاف الله شرفهم. وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بذل ما يقدر عليهم من أذية الرسول، فلماذا وعد الله رسوله، أن يكفيه إياهم، لأنه السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، العليم الذي كانوا عليه، لما تولوا وأعرضوا، فالمشاق: هو الذي يكون في شق والله ورسوله في شق، ويلزم من المشاققة المحادة، والعداوة البليغة، التي من لوازمها، فزعموا أن الهداية خاصة بما كانوا عليه، و الهدى هو العلم بالحق، والعمل به، وضده الضلال عن العلم والضلال عن العمل بعد العلم، وهو الشقاق فقد اهتدوا للصراف المستقيم، الموصل لجنت النعيم، أي: فلا سبيل لهم إلى الهداية، إلا بهذا الإيمان، لا كما زعموا بقولهم: كونوا هودا أو نصارى تهتدوا الكتب، الذين أول من دخل فيهم، وأولى خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وأسلموا لله وحده، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله أي: فإن آمن أهل الكتاب بمثل ما آمنتم به يا معشر المؤمنين من جميع الرسل، وجميع بالحصر. وقال: ونحن له عابدون فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار، ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازما. 138 الظاهرة والباطنة، ولا تكون كذلك، حتى يشرعها الله على لسان رسوله، والإخلاص: أن يقصد العبد وجه الله وحده، في تلك الأعمال، فتقديم المعمول، يؤذن عابدون بيان لهذه الصبغة، وهي القيام بهذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة، لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما، ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله، وفي ضمنه أنه لا أفصح صبغة ممن انصبغ بغير دينه. وفي قوله: ونحن له من الكفر، والشرك، والكذب، والخيانة، والمكر، والخذاع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق، في أقواله، وأفعاله، فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان إلى عبيده. وخوفه، ورجاؤه، فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده، فقسه بعبد كفر بربه، وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من كل وصف قبيح، ورنذيلة وعيب، فوصفه: الصدق في قوله وفعله، والصبر والحلم، والعفة، والشجاعة، والإحسان القولي والفعل، ومحبة الله وخشيته، في عبد آمن بربه إيمانا صحيحا، أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح، فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتحلى الله صبغة أي: لا أحسن صبغة من صبغته وإذا أردت أن تعرف نموذجا يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى والأخروية، لحت الدين على مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ومعالي الأمور، فلماذا قال على سبيل التعجب المتقرر للعقول الزكية: ومن أحسن من أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعا واختيارا ومحبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية

تفسير السعدي

به قياما تاما، بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم، : الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا

ولا ينازع فيها إلا كل مكابر جهول، ففي هذه الآية، إرشاد لطيف لطريق المحاجة، وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين. 139 بالله من غيرهم؛ لأن الإخلاص، هو الطريق إلى الخلاص، فهذا هو الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بالأوصاف الحقيقية التي يسلمها أهل العقول، وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة. وإنما يحصل التفضيل، بإخلاص الأعمال الصالحة لله وحده، وهذه الحالة، وصف المؤمنين وحدهم، فتعين أنهم أولى فاستوينا نحن وإياكم بذلك. فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء، من غير فرق مؤثر، دعوى باطلة، يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى، تفتقر إلى برهان ودليل. فإذا كان رب الجميع واحدا، ليس ربا لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، على المعاند، ويوضح الحق، ويبين الباطل، فإن خرجت عن هذه الأمور، كانت ممارسة، ومخاصمة لا خير فيها، وأحدثت من الشر ما أحدثت، فكان أهل الكتاب، قول خصمه، فكل واحد منهما، يجتهد في إقامة الحجة على ذلك، والمطلوب منها، أن تكون بالتي هي أحسن، بأقرب طريق يرد الضال إلى الحق، ويقيم الحجة المحاجة هي: المجادلة بين اثنين فأكثر، تتعلق بالمسائل الخلافية، حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله، وإبطال

إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزئون بالمؤمنين بإظهارنا لهم، أنا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. 14 في قلوبهم، وذلك أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر قالوا: هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس

والترهيب، ويفيد أيضا ذكر الأسماء الحسنى بعد الأحكام، أن الأمر الديني والجزائي، أثر من آثارها، وموجب من موجباتها، وهي مقتضية له. 140 النار، مثوى للظالمين، وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازى عليها. فيفيد ذلك الوعد والوعيد، والترغيب وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلماذا قال: وما الله بغافل عما تعملون بل قد أحصى أعمالهم، وعددها وادخر لهم جزاءها، فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئس فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها، وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق، وعدم النطق به، وإظهار الباطل، والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظلم؟ بلى والله، وهذه الشهادة، فلماذا كان ظلمهم أعظم الظلم. ولهذا قال تعالى: ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، ذلك. وهذا يعرفه كل من له أدنى عقل حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء، لم يكونوا هودا ولا نصارى، فكتموا هذا العلم أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق، ونحو ذلك، لانجلاته لكل أحد، كما إذا قيل: الليل أنور، أم النهار؟ والنار أحر أم الماء؟ والشرك أحسن أم التوحيد؟ ونحو الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعين لا محالة، وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه من وضوحه لم يحتج يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وهم يقولون: بل كان يهوديا أو نصرانيا. فإما أن يكونوا، هم الصادقين العالمين، أو يكون ومحاجة في رسل الله، زعموا أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين. فرد الله عليهم بقوله: أنتم أعلم أم الله فالله يقول: ما كان إبراهيم وهذه دعوى أخرى منهم،

لقطع التعلق بالمخلوقين، وأن المعول عليه ما اتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال. 141 تقدم تفسيرها، وكررها،

أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية، التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى: يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام 142 وبغيا. ولما كان قوله: يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والمطلق يحمل على المقيّد، فإن الهداية والضلال، لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله، وقد يوجب التسليم لأمره، بمجرد ذلك، فكيف وهو من فضل الله عليكم، وهدايته وإحسانه، أن هداكم لذلك فالمعتزض عليكم، معترض على فضل الله، حسدا لكم إلى هذه القبلية التي هي من ملة أبيكم إبراهيم، فالأي شيء يعترض المعتزض بتولييتكم قبله داخلة تحت ملك الله، لم تستقبلوا جهة ليست ملكا له؟ فهذا صراط مستقيم أي: فإذا كان المشرق والمغرب ملكا لله، ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه، ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومنه هدايتكم يترك هذه الشبهة، حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى: قل لهم مجيبا: لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وقد كان في قوله السفهاء ما يغني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به. ولكنه تعالى مع هذا لم إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية، إنما كان قول المؤمنين إذا على أحكام الله، إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم كما قال تعالى: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة قليل العقل، والحلم، والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام، فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه، ولا يلقي له ذهنه. ودلت الآية على أنه لا يعترض المقدس، أي: أي شيء صرفهم عنه؟ وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه، وفضله وإحسانه، فسلاهم، وأخبر بوقوعه، وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه، وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي استقبال بيت مأمورين باستقبال بيت المقدس، مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها، مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخص ثمن، وهم اليهود والنصارى، ومن أشبههم من المعتضضين على أحكام الله وشرائعه، وذلك أن المسلمين كانوا

تفسير السعدي

واعترض وجوابه، من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه. فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس، وهم الذين لا يعرفون قد اشتملت الآية على معجزة، وتسليية، وتطمين قلوب المؤمنين،

ميز عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه، وأن امتحنهم امتحانا، زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجاتهم، وأن وجههم إلى أشرف البيوت، وأجلها. 143 أعمال الجوارح. وقوله: إن الله بالناس لرءوف رحيم أي: شديد الرحمة بهم عظيمها، فمن رأفته ورحمته بهم، أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها، وأن أمر الله وطاعة رسوله في وقتها، وطاعة الله، امتثال أمره في كل وقت، بحسب ذلك، وفي هذه الآية، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الإيمان تدخل فيه كان الله ليضيع إيمانكم بتقديره لهذه المحنة أو غيرها. ودخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة، فإن الله لا يضيع إيمانهم، لكونهم امتثلوا وما جعلنا القبلية التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قد يكون سببا لترك بعض المؤمنين إيمانهم، فدفع هذا الوهم بقوله: وما بل إذا وجدت المحن المقصود منها، تبين المؤمن الصادق من الكاذب، فإنها تمحص المؤمنين، وتظهر صدقهم، وكأن في هذا احترازا عما قد يقال إن قوله: لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم، بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وأجره، وثوابه، وحفظه من كل مكدر، نوعان: حفظ عن الضياع والبطلان، بعصمته لهم عن كل مفسد ومزيل له ومنقص من المحن المقلقة، والأهواء الصادة، وحفظ له بتنميته لهم، وتوفيقهم ممتنع عليه، ومستحيل، أن يضيع إيمانكم، وفي هذا بشارة عظيمة لمن من الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه، وحفظه عليهم ذلك، وشق على من سواهم. ثم قال تعالى: وما كان الله ليضيع إيمانكم أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى، بل هي من الممتنعات عليه، فأخبر أنه له بالإحسان، حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر بقاع الأرض، وجعل قصده، ركنا من أركان الإسلام، وهادما للذنوب والآثام، فلماذا خف على شبهة لا حقيقة لها. وإن كانت أي: صرفك عنها لكبيرة أي: شاقة إلا على الذين هدى الله فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا، وأقروا إيمانا، وطاعة للرسول. وأما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق، واتبع هواه، فإنه يزداد كفرا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته، ويبدلي بالحجة الباطلة، المبنية ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة، أنه يستقبل الكعبة، فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك ولا عقابا، لتتمام عدله، وإقامة الحجة على عباده، بل إذا وجدت أعمالهم، ترتب عليها الثواب والعقاب، أي: شرعنا تلك القبلية لنعلم ونمتحن من يتبع الرسول استقبال بيت المقدس أولا إلا لنعلم أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها. ولكن هذا العلم، لا يعلق عليه ثوابا أو أوجه، فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم، والشهادة، والفتيا، ونحو ذلك. يقول تعالى: وما جعلنا القبلية التي كنت عليها وهي اتفاقهم على الخطأ، لم يكونوا وسطا، إلا في بعض الأمور، ولقوله: ولتكونوا شهداء على الناس يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيها. وفي الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة، حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطأ، لإطلاق قوله: وسطا فلو قدر ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة، وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأمة، فقبل قولها. فإن شك شك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبههم صلى الله عليه وسلم، فلماذا قال تعالى: ويكون الرسول عليكم شهيدا فاما إذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة، كما في هذه الأمة، فإنما المقصود، الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك، العلم والعدل، وهما موجودان في هذه قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين، لوجود التهمة يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود. فإن والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا أمة وسطا كاملين ليكونوا شهداء على الناس بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، والمشارب والملابس والمناكب، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهم الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج. بل طهارتهم أكمل طهارتها وأنمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يظهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وأصارهم، ولا تهاون النصارى. أمة وسطا أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط، فأطراف داخلية تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء، بين من غلا ذكر في هذه الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع الهداية، ومنة الله عليها فقال: وكذلك جعلناكم

والأخروية، فلماذا قال تعالى: وما الله بغافل عما يعملون بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها، وفيها وعيد للمعترضين، وتسليية للمؤمنين. 144 فاما إذا تيقن أن الصواب والحق مع المعترض عليه، وأن المعترض معاند، عارف ببطلان قوله، فإنه لا محل للمبالاة، بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية وبغيا، فإذا كانوا يعلمون بخطئهم فلا تبالوا بذلك، فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه، إذا كان الأمر مشتبها، وكان ممكنا أن يكون معه صواب. من أهل الكتاب وغيرهم، وذكر جوابهم، ذكر هنا، أن أهل الكتاب والعلم منهم، يعلمون أنك في ذلك على حق وأمر، لما يجدونه في كتبهم، فيعترضون عناداً عينا، وإلا فيكفي شطرها وجهتها، وأن الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده، ولما ذكر تعالى فيما تقدم، المعترضين على ذلك وشرق وغرب، جنوب وشمال. فولوا وجوهكم شطره أي: جهته. ففيها اشتراط استقبال الكعبة، للصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال يسارع في رضاه، ثم صرح له باستقبالها فقال: فول وجهك شطر المسجد الحرام والوجه: ما أقبل من بدن الإنسان، وحيثما كنتم أي: من بر وبحر، فلنولينك أي: نوجهك لولايتنا إياك، قبله ترضاها أي: تحبها، وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه صلى الله عليه وسلم، حيث إن الله تعالى

تفسير السعدي

- جهاته، شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة، وقال: وجهك ولم يقل: بصرك لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر. يقول الله لنبيه: قد نرى تقلب وجهك في السماء أي: كثرة تردده في جميع
- في ذلك، وأيضا، فإذا كان هو صلى الله عليه وسلم لو فعل ذلك وحاشاه صار ظالما مع علو مرتبته، وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى. 145
- في جملتهم، وأي ظلم أعظم، من ظلم، من علم الحق والباطل، فأثر الباطل على الحق، وهذا، وإن كان الخطاب له صلى الله عليه وسلم، فإن أمته داخلة وهم على الباطل، إنك إذا أي: إن اتبعتم، فهذا احتراز، لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها، ولو في الأفهام، لمن الظالمين أي: داخل فيهم، ومندرج يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه من بعد ما جاءك من العلم بأنك على الحق، الشبه من باب التبرع. ولئن اتبعت أهواءهم إنما قال: أهواءهم ولم يقل دينهم لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم الحق بأدلته اليقينية، لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنها لا حد لها، ولأنه يعلم بطلانها، للعلم بأن كل ما نافي الحق الواضح، فهو باطل، فيكون حل يتضمن أنه صلى الله عليه وسلم اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه، ولم يقل: ولو أتوا بكل آية لأنهم لا دليل لهم على قولهم. وكذلك إذا تبين بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلك يا محمد، وهم الأعداء حقيقة الحسدة، وقوله: وما أنت بتابع قبلكم أبلغ من قوله: ولا تتبع لأن ذلك عليه، فتوضح له الآيات البيّنات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق، فلا حيلة فيه. وأيضا فإن اختلافهم فيما بينهم، حاصل، وبعضهم، غير تابع قبلة بعض، فليس على اتباعه، ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك، لأنهم معاندون، عرفوا الحق وتركوه، فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق، وهو مشتبه أنك لو أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية أي: بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ما تدعو إليه، ما تبعوا قبلك أي: ما تبعوك، لأن اتباع القبلة، دليل وترك الهدى، عمدا وعدوانا، فمنهم: اليهود والنصارى، أهل الكتاب الأول، الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم عن يقين، لا عن جهل، فهذا أخبره الله تعالى يبذل لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة، ويتلطف بهدايتهم، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله، فكان من الكفار، من تمرد عن أمر الله، واستكبر على رسل الله، كان النبي صلى الله عليه وسلم من كمال حرصه على هداية الخلق
- وغير ذلك، وإبطال الباطل وتمييزه عن الحق، وتشيينه، وتقييحه للنفوس، بكل طريق مؤد لذلك، فهؤلاء الكاتمون، عكسوا الأمر، فانعكست أحوالهم. 146
- الحق وهم يعلمون، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر به جهلا، فالعالم عليه إظهار الحق، وتبيينه وتزيينه، بكل ما يقدر عليه من عبارة وبرهان ومثال، وهم يعلمون ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وفي ضمن ذلك، تسلية للرسول والمؤمنين، وتحذير له من شرهم وشبههم، وفريق منهم لم يكتفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون، ولكن فريقا منهم وهم أكثرهم الذين كفروا به، كتموا هذه الشهادة مع تيقنها، قد تقرر عندهم، وعرفوا أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به، حق وصدق، وتيقنوا ذلك، كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفةهم يخبر تعالى: أن أهل الكتاب
- أي: فلا يحصل لك أدنى شك وريبة فيه، بل تفكر فيه وتأمل، حتى تصل بذلك إلى اليقين، لأن التفكير فيه لا محالة، دافع للشك، موصل لليقين. 147
- مفاسدها، لصدوره من ربك، الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنفوس، وجميع المصالح. فلا تكون من الممترين الحق الذي هو أحق أن يسمى حقا من كل شيء، لما اشتمل عليه من المطالب العالية، والأوامر الحسنة، وتزكية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها، ودفع الحق من ربك أي: هذا
- أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فله ما أجمعها وأنفعها من آية. 148
- بعمله ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في ما رتب الله عليها من الثواب قال: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، وعمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر. ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها، أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع خلق الله له الخلق، وأمرهم به. والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع، وهو الذي من جهة إلى جهة، ولكن الشأن كل الشأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، وهو الذي إذا كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل، أي:
- فتأدبوا معه، وراقبوه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن أعمالكم غير مغفول عنها، بل مجازون عليها أتم الجزاء، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 149
- واللام، لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال. وما الله بغافل عما تعملون بل هو مطلع عليكم في جميع أحوالكم، وجهك شطر المسجد الحرام أي: جهته، ثم خاطب الأمة عموما فقال: وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقال: وإنه للحق من ربك أكده بـ إن أي: ومن حيث خرجت في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم، فول

تفسير السعدي

الآية. قوله: ويمدهم أي: يزيدهم في طغيانهم أي: فجورهم وكفرهم، يعمهون أي: حاثرون مترددون، وهذا من استهزائه تعالى بهم. 15 نور المنافقين، وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة، أنه يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا، فإذا مشي المؤمنون بنورهم، طغى بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون وهذا جزاء لهم، على استهزائهم بعباده، فمن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا قال تعالى: الله يستهزئ

فضل النهار، ولولا القبيح، ما عرف فضل الحسن، ولولا الظلمة ما عرف منفعة النور، ولولا الباطل ما اتضح الحق اتضاحا ظاهرا، فله الحمد على ذلك. 150 وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل، وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق، لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء، فلولا الليل، ما عرف التيسير، ونبههم على سلوك طرقها، وبينها لهم أتم تبين، حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق، المعاندين له فيجادلون فيه، فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته له عدا، فضلا عن القيام بشكره، ولعلكم تهتدون أي: تعلمون الحق، وتعملون به، فإله تبارك وتعالى من رحمته بالعباد، قد يسر لهم أسباب الهداية غاية ما أتم به نعمته عليه وعليهم، وأنزل الله عليه: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فله الحمد على فضله، الذي لا يبلغ ذلك، النعم المتممات لهذا الأصل، لا تعد كثرة، ولا تحصر، منذ بعث الله رسوله إلى أن قرب رحيله من الدنيا، وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم، وأعطى أمته، لم يزل يتزايد، وكلما شرع لهم شريعة، فهي نعمة عظيمة قال: ولأتم نعمتي عليكم فأصل النعمة، الهداية لدينه، بإرسال رسوله، وإنزال كتابه، ثم بعد متقرر عندهم، صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم. ولما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة، نعمة عظيمة، وكان لطفه بهذه الأمة ورحمته، للحق من ربك فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال: وإنه للحق من ربك ومنها: أنه أخبر وهو العالم بالخفيات أن أهل الكتاب الباطلة، التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة، كما تقدم توضيحها، ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبله أهل الكتاب، ومنها قوله: وإنه وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله: فول وجهك والأمة عموما في قوله: فولوا ووجهكم ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات هذه الآيات. منها: الأمر بها، ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة، ومنها: أن المعهود، أن الأمر، إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعاً، أو للأمة عموماً، أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون، وأكثرها فيها من الكلام والشبه، فهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها التي هي أصل كل خير، فمن لم يخش الله، لم ينكف عن معصيته، ولم يمتثل أمره. وكان صرف المسلمين إلى الكعبة، مما حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها حجتهم باطلة، والباطل كاسمه مخذول، مخذول صاحبه، وهذا بخلاف صاحب الحق، فإن للحق صولة وعزا، يوجب خشية من هو معه، وأمر تعالى بخشيته، والاحتجاج عليه، وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج محلاً يؤبه لها، ولا يلقي لها بال، فهذا قال تعالى: فلا تخشوهم لأن وانقطعت حججهم عليه. إلا الذين ظلموا منهم أي: من احتج منهم بحجة، هو ظالم فيها، وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم، فهذا لا سبيل إلى إقناعه حججهم، وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم، وهو من ذريته، وقد ترك استقبال قبلته؟ فباستقبال الكعبة قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين، البيت الحرام، والمشركون يرون أن من مفاخرهم، هذا البيت العظيم، وأنه من ملة إبراهيم، وأنه إذا لم يستقبله محمد صلى الله عليه وسلم، توجهت نحوه من أهل الكتاب والمشركين، فإنه لو بقي مستقبلاً بيت المقدس، لتوجهت عليه الحجة، فإن أهل الكتاب، يجدون في كتابهم أن قبلته المستقرة، هي الكعبة وقال هنا: لنلا يكون للناس عليكم حجة أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة، لينقطع عنكم احتجاج الناس

أن يكون المعنى عاماً، فيكون الكفر أنواعاً كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي، على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه. 151 بالشكر. ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال: ولا تكفرون المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها، ويحتمل النعم الحقيقية؟ التي تدوم، إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا قال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي بالنعم، واعترافاً، وباللسان، ذكراً وثناءً، وبالجوارح، طاعة لله وانقياداً لأمره، واجتناباً لنهيهِ، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، خصوصاً، ثم من بعده أمر بالشكر عموماً فقال: واشكروا لي أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب، إقراراً خير منهم وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر، فهذا أمر به ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ النعم على الإطلاق، ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده، فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها؛ فهذا قال تعالى: فاذكروني أذكركم فأمر تعالى بذكره، لأنهم كانوا قبل بعثته، في ضلال مبين، لا علم ولا عمل، فكل علم أو عمل، نالته هذه الأمة فعلى يده صلى الله عليه وسلم، وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول وتنزيل الأمور منازلها. فيكون على هذا تعليم السنة داخلاً في تعليم الكتاب، لأن السنة، تبين القرآن وتفسره، وتبصر عنه، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ذلك من أنواع التزكية. ويعلمكم الكتاب أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه، والحكمة قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التبغاض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهاها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني. ويزكيكم أي: يظهر أخلاقكم ونفوسكم،

تفسير السعدي

الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولاً، على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله، عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقته وأمانته وكماله ونصحه. يتلو عليكم آياتنا وهذا يعم يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا

أن يكون المعنى عاماً، فيكون الكفر أنواعاً كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي، على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه. 152 بالشكر. ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال: ولا تكفرون المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها، ويحتمل النعم الحقيقية؟ التي تدوم، إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا قال تعالى: لنن شكرتم لأزيدنكم وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي بالنعم، واعترافاً وباللسان، ذكراً وثناءً وبالجوارح، طاعة لله وانقياداً لأمره، واجتناباً لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، خصوصاً، ثم من بعده أمر بالشكر عموماً فقال: واشكروا لي أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب، إقراراً خير منهم وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر، فلماذا أمر به ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكركه في ملأ النعم على الإطلاق، ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده، فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها؛ فلماذا قال تعالى: فاذكروني أذكركم فأمر تعالى بذكره، لأنهم كانوا قبل بعثته، في ضلال مبين، لا علم ولا عمل، فكل علم أو عمل، نالته هذه الأمة فعلى يده صلى الله عليه وسلم، وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول وتنزيل الأمور منازلها. فيكون على هذا تعليم السنة داخلاً في تعليم الكتاب، لأن السنة، تبين القرآن وتفسره، وتعتبر عنه، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ذلك من أنواع التزكية. ويعلمكم الكتاب أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه، والحكمة قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهاها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني. ويزكيكم أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولاً، على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله، عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقته وأمانته وكماله ونصحه. يتلو عليكم آياتنا وهذا يعم يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا

يوجب للعبد في قلبه، وصفاً، وداعياً يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء. 153 بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، الذي هو لها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقاً الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها، وما يسر، وحصل فيها حضور القلب، المعية العامة، فهي معية العلم والقدرة، كما في قوله تعالى: وهو معكم أين ما كنتم وهذه عامة للخلق. وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفاً، وأما وصفة، وملكة بمعونته وتوقيفه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله، فلماذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه مع الصابرين أي: مع من كان الصبر لهم خلقاً، تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله، والتوكل عليه، واللجأ إليه، والافتقار على الدوام. إلا بصبر عظيم، وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق، خصوصاً إن استمر، فهذا والملازمة عليها، لم يدرك شيئاً، وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار، إلى تحمل الصبر، وتجرجع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه، خصوصاً الطاعات الشاقة الدينية والدنيوية بالصبر والصلاة فالصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى أمر الله تعالى المؤمنين، بالاستعانة على أمورهم

الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة. وفي الآية، دليل على نعيم البرزخ وعذابه، كما تكاثرت بذلك النصوص. 154 فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفساً فنفساً في سبيل الله، لم يكن عظيماً في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الأجر العظيمة والغنائم، لا يكون كذلك والله تعالى قد: اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكُل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر

تفسير السعدي

وهو الفرح، والاستبشار وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في لا يضيع أجر المؤمنين فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفتت الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون. فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه للقتل، وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به، فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها. ومن المعلوم جميع الأمور ذكر نموذجاً مما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقتها في نفسه، ولكونه مؤدياً لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على

ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: وبشر الصابرين أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب. 155 واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقاً لحصول والرضا والشكران، وحصل له السخط الدال على شدة النقصان. وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحسب نفسه عن التسخط، قولاً وفعلًا، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر بد أن تقع، لأن العليم الخبير، أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجاذع، حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب، أو بدن من يحبه، والثمرات أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراد ونحوه. فهذه الأمور، لا للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك. والأنفس أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك. ونقص من الأموال وهذا يشمل جميع النقص المعترى للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياح، وأخذ الظلمة إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده بشيء من الخوف من الأعداء والجوع أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاههم بالخوف كله، أو هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين

وجدنا أجرنا موفوراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر. 156 والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا ملوكون لله، فإننا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله، قالوا إنا لله أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: الذين إذا أصابهم مصيبة وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره. فالصابرين، هم

ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر. وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وبيان أنواع المصائب. 157 النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، من الله، والعقوبة، والزال والفساد، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطيئ في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله. ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم أي: ثناء وتنويه بحالهم ورحمة عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، وأولئك هم المهتدون الذين عرفوا الحق، وهو أولئك الموصوفون بالصبر المذكور عليهم صلوات من ربهم

نيتته وإيمانه وتقواه، ممن ليس كذلك، عليم بأعمال العباد، فلا يضيعها، بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم. 158 منه ذراعاً، تقرب منه باعاً، ومن أتاها يمشي، أتاها هرولة، ومن عامله، ربح عليه أضعافاً مضاعفة. ومع أنه شاكر، فهو عليم بمن يستحق الثواب الكامل، بحسب عند ربه كاملاً موفراً، لم تنقصه هذه الأمور. ومن شكره لعبده، أن من ترك شيئاً لله، أعاضه الله خيراً منه، ومن تقرب منه شبراً، تقرب منه ذراعاً، ومن تقرب في قلبه نوراً وإيماناً، وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطاً، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق. ثم بعد ذلك، يقدم على الثواب الآجل يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتثل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه إلا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شراً له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية العمل. فإن الله شاكر عليم الشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى، الذي طاعة الله، ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه. ودل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه لا يحصل له أي: فعل طاعة مخلصاً بها لله تعالى خيراً من حج وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك فهو خير له فدل هذا، على أنه كلما ازداد العبد من نوع يتعبد لله بعبادة، لم يشرعها أصلاً، ونوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصفة، وهذا منه. وقوله: ومن تطوع

تفسير السعدي

والحج، وهو عبادة مفردة. فأما السعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار فإنها تتبع النسك، فلو فعلت غير تابعة للنسك، كانت بدعة، لأن البدعة نوعان: تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة، أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو عمرة، بخلاف الطواف بالبيت، فإنه يشرع مع العمرة لوهم من توهم وتخرج من المسلمين عن الطواف بينهما، لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام، فنفي تعالى الجناح لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازم. ودل الأحاديث النبوية وفعله النبي صلى الله عليه وسلم وقال: خذوا عني مناسككم فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما هذا دفع وأن تعظيم شعائره، من تقوى القلوب. والتقوى واجبة على كل مكلف، وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة، كما عليه الجمهور، ودلت عليه عبادته، وإذا كانا من شعائر الله، فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال: ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب فدل مجموع النصين أنهما من شعائر الله، يخبر تعالى أن الصفا والمروة وهما معروفان من شعائر الله أي أعلام دينه الظاهرة، التي تعبد الله بها

من جنس عمله، فالكاتب لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد. 159 كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك يلعنهم الله أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته. ويلعنهم اللاعنون ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا الناس ما من الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق المظاهرات له، والهدى وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته، فإن حكمها

القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين وقوله: وما كانوا مهتدين لتحقيق لضلالتهم، وأنهم لم يحصل لهم من الهداية شيء، فهذه أو صافهم القبيحة. 16 على السعادة، ورغب في سافل الأمور عن عاليها؟ فما ربحت تجارتها، بل خسر فيها أعظم خسارة. قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم وإذا كان من بذل دينارا في مقابلة درهم خاسرا، فكيف من بذل جوهرة وأخذ عنها درهما؟ فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة، واختار الشقاء كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبنس التجارة، وبنس الصفقة صفقتهم أي: رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، وأولئك، أي: المنافقون الموصوفون بتلك الصفات الذين اشتروا الضلالة بالهدى

التي وسعت كل شيء ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأتابوا، ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم، لطفا وكرما، هذا حكم التائب من الذنب. 160 لأنه التواب أي: الرجاء على عبادته بالعفو والصفح، بعد الذنب إذا تابوا، وبالإحسان والنعم بعد المنع، إذا رجعوا، الرحيم الذي اتصف بالرحمة العظيمة، ذلك في الكاتم أيضا، حتى يبين ما كتمه، ويبيد ضد ما أخفى، فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محجوب عنها، فمن أتى بسبب التوبة، تاب الله عليه، عما هم عليه من الذنوب، ندما وإقلاعا، وعزما على عدم المعاودة وأصلحو ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن. ولا يكفي إلا الذين تابوا أي رجعوا

عنهم العذاب بل عذابهم دائم شديد مستمر ولا هم ينظرون أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون. 161 ثابتا، صارت اللعنة عليهم وصفا ثابتا لا تزول، لأن الحكم يدور مع علته، وجودا وعدما. و خالدين فيها أي: في اللعنة، أو في العذاب والمعنيان لا يخفف على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه، ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لأنه لما صار كفرهم وصفا وأما من كفر واستمر

عنهم العذاب بل عذابهم دائم شديد مستمر ولا هم ينظرون أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون. 162 ثابتا، صارت اللعنة عليهم وصفا ثابتا لا تزول، لأن الحكم يدور مع علته، وجودا وعدما. و خالدين فيها أي: في اللعنة، أو في العذاب والمعنيان لا يخفف على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه، ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لأنه لما صار كفرهم وصفا وأما من كفر واستمر

وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع جميع النقم، فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى. 163 مع الخالق المدبر القادر القوي، الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء. ففي هذه الآية، إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين أظلم الظلم، وأقبح القبيح، أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد، وأن يشرك المخلوق من تراب، برب الأرباب، أو يعبد المخلوق المدبر العاجز من جميع الوجوه، لا ينفع أحدا، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات. وأن من وبين لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة، فمن الله، وأن أحدا من المخلوقين، وعمت كل حي، فبرحمته وجدت المخلوقات، وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحمته اندفع عنها كل نقمة، وبرحمته عرف عباده نفسه بصفاته وآلانه، ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه، لأنه الرحمن الرحيم المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء

تفسير السعدي

وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله يخبر تعالى وهو أصدق القائلين أنه إله واحد أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه،

فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه. 164
دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبر به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها. فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب ذلك دليلا على حلمه وصبره، وعفوه وصفحه، وعميم لطفه؟ فله الحمد أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا. والحاصل، أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه أليس من القبيح بالعباد، أن يتمتعوا برزقه، ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه؟ أليس ويروي التلول والوهاد، وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه، فإذا كان يضرهم كثرته، أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفا، ويصرفه عناية وعظما، فما أعظم ومحبة وإنابة وعبادة؟ وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء، فيحيي به البلاد والعباد، وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات، وتصلح الأبدان والأشجار والحبوب والنوابت، إلا العزيز الحكيم الرحيم، اللطيف بعباده المستحق لكل ذل وخضوع، تدره، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة ترسل بالعذاب. فمن الذي صرفها هذا التصريف، وأودع فيها من منافع العباد، ما لا يستفنون عنه؟ ومستودعها. وفي تصريف الرياح باردة وحارة، وجنوبا وشمالا، وشرقا ودبورا وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقحه، وتارة ومنها: ما يعتبر به، ومع أنه بث فيها من كل دابة، فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم، المتكفل بأقواتهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها للناس، ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع. فمنها: ما يأكلون من لحمه، ويشربون من دره، ومنها: ما يركبون، ومنها: ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم، أي: في الأرض من كل دابة أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة، ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وسخرها افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟ أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم؟ أليس ذلك دليلا على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟ وبث فيها هو من ضرورات الخلائق، التي لا يعيشون بدونها. أليس ذلك دليلا على قدرة من أنزله، وأخرج به ما أخرج ورحمته، ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة وما أنزل الله من السماء من ماء وهو المطر النازل من السحاب. فأحيا به الأرض بعد موتها فأظهرت من أنواع الأقوات، وأصناف النبات، ما وجدت هذه الأمور العظام، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه، وذلك يوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم. يتمتع عليه شيء؟ بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته. وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءا من أجزاء الأسباب، التي بها العاجز، الذي خرج من بطن أمه، لا علم له ولا قدرة، ثم خلق له ربه القدرة، وعلمه ما يشاء تعليمه، أم المسخر لذلك رب واحد، حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا للمراكب البرية والبحرية، النار والمعادن المعينة على حملها، وحمل ما فيها من الأموال؟ فهل هذه الأمور، حصلت اتفاقا، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟ أم من الذي سخر لها البحر، تجري فيه بإذنه وتسخير، والرياح؟ أم من الذي خلق لها هذا البحر العظيم والرياح، التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم به مصالحهم وتنظم معاشهم. فمن التي تجري في البحر وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها. ثم سخر وعظمه ملكه وسلطانه، مما يوجب أن يؤله ويعبد، ويفرد بالمحبة والتعظيم، والخوف والرجاء، وبذل الجهد في محابه ومراضيه. وفي الفلك عن إدراكه من الرجال الفحول، ما يدل ذلك على قدرة مصرفها، وعلمه وحكمته، ورحمته الواسعة، ولطفه الشامل، وتصريفه وتدبيره، الذي تفرّد به، وعظمته، التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم، وجميع ما على وجه الأرض، من أشجار ونوابت، كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير، تنبهر له العقول، وتعجز على الدوام، إذا ذهب أحدهما، خلفه الآخر، وفي اختلافهما في الحر، والبرد، والتوسط، وفي الطول، والقصر، والتوسط، وما ينشأ عن ذلك من الفصول، ذلك أبلغ الدليل على كماله، واستحقاقه أن يفرد بالعبادة، لانفراده بالخلق والتدبير، والقيام بشئون عباده و في اختلاف الليل والنهار وهو تعاقبهما التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها، وأحسنها ونظمها، وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم. وفي خلق الأرض مهادا للخلق، يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، والاعتبار. ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وبيان قدرته العظيمة وتدبره، ففي خلق السماوات في ارتفاعها واتساعها، وإحكامها، وإتقانها، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر، والنجوم، وتنظيمها لمصالح العباد. وفي صفاته، ولكنها لقوم يعقلون أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له، فعلى حسب ما من الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة، آيات أي: أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر

الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم 165
قول يقولونه، وأماني يتمنونها، حقا وغيظا على المتبوعين لما تبرأوا منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر، إبليس، ومع هذا يقول لأتباعه لما قضي الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيئات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنما هو الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم وحينئذ يمتنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيه، بأن يتركوا الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الحق في موضعه، فكانت أعماله حقا، لتعلقها بالحق، ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه عند ربه، غير منقطع كما قال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل

تفسير السعدي

وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضررتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل لوجهه، ورجا نفعه، فهذا قد وضع بعد هذا الخسران خسران؟ ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير مرجو، وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها، ولما بطلت لهم أنهم كانوا كاذبين، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبداً، فهل بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم، وتبين ولم تدفع عنهم أندادهم شيئاً، ولم تغن عنهم مثقال ذرة من النفع، بل يحصل لهم الضرر منها، من حيث ظنوا نفعها. وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت وعجزها، لا كما اشتبه عليهم في الدنيا، وظنوا أن لها من الأمر شيئاً، وأنها تقربهم إليه وتوصلهم إليه، فخاب ظنهم، وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب، لله جميعاً وأن الله شديد العذاب أي: لعلموا علماً جازماً، أن القوة والقدرة لله كلها، وأن أندادهم ليس فيها من القوة شيء، فتبين لهم في ذلك اليوم ضعفها الأنداد والانقياد لغير رب العباد وظلموا الخلق بصددهم عن سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم. إذ يرون العذاب أي: يوم القيامة عياناً بأبصارهم، أن القوة والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبتهم عين شقاء العبد وفساده، وتشئت أمره. فلماذا توعدهم الله بقوله: ولو يرى الذين ظلموا باتخاذ أندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، صنماً، أو غير ذلك، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة، والذل التام، فلماذا مدح الله المؤمنين بقوله: والذين آمنوا أشد حبا لله أي: من أهل الأنداد النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضرر والأمر شيء، فعلم علماً يقيناً، بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأنداداً، سواء كان ملكاً أو نبياً، أو صالحاً، وغيره مخلوق، والرب الرازق ومن عده مرزوق، والله هو الغني وأنتم الفقراء، وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه، والله هو أم بظاهر من القول إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن فالمخلوق ليس ند لله لأن الله هو الخالق، جعلوا بعض المخلوقات أنداداً له، تسمية مجردة، ولفظاً فارغاً من المعنى، كما قال تعالى: وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم، ليقربوهم إليه، وفي قوله: اتخذوا دليل على أنه ليس له ند وإنما المشركون أو معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب. وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله، لا يسوونهم نظراء ومثلاء، يساووهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة. ومن كان بهذه الحالة بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد علم أنه معاند لله، مشاق له، القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذكر هنا أن من الناس مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أنداداً لله أي: ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى، لما بين وحدانيته وأدلتها

من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم 166 عند ربه، غير منقطع كما قال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل لوجهه، ورجا نفعه، فهذا قد وضع الحق في موضعه، فكانت أعماله حقاً، لتعلقها بالحق، ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه مرجو، وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها، ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضررتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبداً، فهل بعد هذا الخسران خسران؟ ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم، وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة

الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم 167 قول يقولونه، وأماني يتمنونها، حقاً وغيظاً على المتبوعين لما تبرأوا منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر، إبليس، ومع هذا يقول لأتباعه لما قضي الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيئات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنما هو وحينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيه، بأن يتركوا

ويدخل فيه أيضاً تناول المأكولات المحرمة، إنه لكم عدو مبين أي: ظاهر العداوة، فلا يريد بأمركم إلا غشكم، وأن تكونوا من أصحاب السعير، 168 عن اتباع خطوات الشيطان أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم، ويدخل في ذلك تحريم السواائب، والحام، ونحو ذلك، وهو ضد الحلال. وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يأثم تاركه لظاهر الأمر، ولما أمرهم باتباع ما أمرهم به إذ هو عين صلاحهم نهاهم أكلاً وانتفاعاً، وأن المحرم نوعان: إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، محرم، أو معينا على محرم. طيباً أي: ليس بخبيث، كالميتة والدم، ولحم الخنزير، والخبائث كلها، ففي هذه الآية، دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، في الأرض، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات، حالة كونها حلالاً أي: محللاً لكم تناوله، ليس بغصب ولا سرقة، ولا محصلاً بمعاملة محرمة أو على وجه هذا خطاب للناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما

الشر، ويسعى بجهد على إهلاكك في الدنيا والآخرة؟ الذي كل الشر في طاعته، وكل الخسران في ولايته، الذي لا يأمر إلا بشر، ولا ينهى إلا عن خير. 169 الأرباح في معاملة المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، أم تتبع داعي الشيطان، الذي هو عدو الإنسان، الذي يريد لك أي الداعيين هو، ومن أي الحزبين؟ أتتبع داعي الله الذي يريد لك الخير والسعادة الدنيوية والأخروية، الذي كل الفلاح بطاعته، وكل الفوز في خدمته، وجميع

تفسير السعدي

على إغواء الخلق بما يقدرون عليه. وأما الله تعالى، فإنه يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، فليُنظر العبد نفسه، مع الله بلا علم، من أكبر المحرمات، وأشملها، وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها، فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده، ويبدلون مكرهم وخداعهم، القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه، أو كلام رسوله، على معان اصطلاح عليها طائفة من طوائف الضلال، ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على بغير بصيرة، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: الله خلق هذا الصنف من المخلوقات، للعلة الفلانية بلا برهان له بذلك، فقد قال على الله بلا علم، ومن أعظم بلا علم، ومن زعم أن لله ندا، وأوثانا، تقرب من عبدها من الله، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: إن الله أحل كذا، أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهى عن كذا، علم، في شرعه، وقدره، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو نفى عنه ما أثبتته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله وشرب الخمر، والقتل، والكذب، والبخل ونحو ذلك، مما يستفحشه من له عقل، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون فيدخل في ذلك، القول على الله بلا صاحبه، فيدخل في ذلك، جميع المعاصي، فيكون قوله: والفحشاء من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الفحشاء من المعاصي، ما تنهى قبحه، كالزنا، الداعية للحذر منه، ثم لم يكتف بذلك، حتى أخبرنا بتفصيل ما يأمر به، وأنه أقبح الأشياء، وأعظمها مفسدة فقال: إنما يأمركم بالسوء أي: الشر الذي يسوء فلم يكتف ربنا بنهيها عن اتباع خطواته، حتى أخبرنا وهو أصدق القائلين بعداوتة

كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبنس القرار. 171 بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقت العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد ناراً، أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة

فلو هدوا لرشدوا، وحسن قصدهم، وكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعا، واتبعه إن كان منصفاً. 170 بالأنبياء، ومع هذا فأبأ بهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالاً وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله مما تقدم وصفه رغبوا عن ذلك وقالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فاكثفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان ثم أخبر تعالى عن حال المشركين

واقترح النار على بصيرة، واتباع الباطل، ونبت الحق أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء. 171 العاقل، أن من دعي إلى الرشاد، وزيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، وفوزه، ونعيمه فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، نظر اعتبار، بكما، فلا ينطقون بما فيه خير لهم. والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء. فهل يستريب يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم، فهذا كانوا صما، لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عمياً، لا ينظرون لن يزولوا عن عنادهم، أخبر تعالى، أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينطق بها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها، فهم لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك بالتقليد، علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق، ولا مستجيبين له، بل كان معلوما لكل أحد أنهم ثم قال تعالى: ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

والأمر بالشكر، عقيب النعم؛ لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة كما أن الكفر، ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة. 172 فدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبه وحده، كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به، ويدل أيضاً على أن أكل الطيب، سبب للعمل الصالح وقبوله، لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة، ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له. وقوله إن كنتم إياه تعبدون أي: فاشكروه، إليه، فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً فاشكروا في هذه الآية، هو العمل الصالح، وهنا لم يقل حالاً على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل هذا أمر للمؤمنين خاصة، بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون

الضرورات تبيح المحظورات فكل محظور، اضطر إليه الإنسان، فقد أباحه له، الملك الرحمن. فله الحمد والشكر، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. 173 تعالى أنه غفور، فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال، خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه المشقة. وفي هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة: فقال: إن الله غفور رحيم ولما كان الحل مشروطاً بهذين الشرطين، وكان الإنسان في هذه الحالة، ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها أخبر إن ترك الأكل حتى مات، فيكون قاتلاً لنفسه. وهذه الإباحة والتوسعة، من رحمته تعالى بعباده، فلماذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة الجناح الإثم رجع الأمر إلى ما كان عليه، والإنسان بهذه الحالة، مأمور بالأكل، بل منهى أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه. فيجب، إذا عليه الأكل، ويأثم الحد في تناول ما أباح له، اضطراراً، فمن اضطر وهو غير قادر على الحلال، وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها، فلا إثم أي: جناح عليه، وإذا ارتفع

تفسير السعدي

اضطر أي: ألجى إلى المحرم، بجوع وعدم، أو إكراه، غير باغ أي: غير طالب للمحرم، مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه، ولا عاد أي: متجاوز المحرمات، تستفاد من الآية السابقة، من قوله: حالاً طيباً كما تقدم. وإنما حرم علينا هذه الخبائث ونحوها، لطفاً بنا، وتنزيهاً عن المضر، ومع هذا فمن الأوثان من الأحجار، والقبور ونحوها، وهذا المذكور غير حاصر للمحرمات، جيء به لبيان أجناس الخبائث المدلول عليها بمفهوم قوله: طيبات فعموم الجراد، وسماك البحر، فإنه حلال طيب. والدم أي: المسفوح كما قيد في الآية الأخرى. وما أهل به لغير الله أي: ذبح لغير الله، كالذي يذبح للأصنام بغير تذكية شرعية، لأن الميتة خبيثة مضرّة، لرداءتها في نفسها، ولأن الأغلب، أن تكون عن مرض، فيكون زيادة ضرر واستثنى الشارع من هذا العموم، ميتة ولما ذكر تعالى إباحة الطيبات ذكر تحريم الخبائث فقال إنما حرم عليكم الميتة وهي: ما مات

وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟ 174 والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يذكروا لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار، ولا يذكروهم أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح إلا النار لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، فأولئك: ما يأكلون في بطونهم هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسوله،

وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟ 175 والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يذكروا لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار، ولا يذكروهم أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح إلا النار لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، فأولئك: ما يأكلون في بطونهم هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسوله،

الكتاب مشتمل على الحق الموجب للاتفاق عليه، وعدم الافتراق، وأن كل من خالفه، فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة والمخاصمة، والله أعلم. 176 الضلالة على الهدى، فترتب على ذلك اختيار العذاب على المغفرة، ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار، لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها موصلة إليها، وأن الآيات، الوعيد للكاتمين لما أنزل الله، المؤثرين عليه، عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق، ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيتارهم وترتب على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به، وحكموه في كل شيء، فإنهم اتفقوا بالحب والاحتتماع عليه. وقد تضمنت هذه لفي شقاق أي: محادة، بعيد عن الحق لأنهم قد خالفوا الكتاب الذي جاء بالحق الموجب للاتفاق وعدم التناقض، فمرج أمرهم، وكثر شقاقهم، الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، والذين حرفوه وصرفوه على أهوائهم ومراداتهم ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه، وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن صرفه عن مقصوده، فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة. وإن ممن أباه واختار سواها. بأن الله نزل الكتاب بالحق ومن الحق، مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. وأيضاً في قوله: نزل الكتاب بالحق ذلك المذكور، وهو مجازاته بالعدل، ومنعه أسباب الهداية،

الأبرار الصادقون المتقون. وقد علم ما رتب الله على هذه الأمور الثلاثة، من الثواب الدنيوي والأخروي، مما لا يمكن تفصيله في مثل هذا الموضع. 177 ولزوماً، لأن الوفاء بالعهد، يدخل فيه الدين كله، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت بإيمانهم، وأولئك هم المتقون لأنهم تركوا المحظور، وفعلوا المأمور؛ لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمناً بما ذكر من العقائد الحسنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية، فأولئك هم الذين صدقوا الجراح أو الأسر، فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتساباً، ورجاء لثواب الله تعالى الذي منه النصر والمعونة، التي وعد بها الصابرين. أولئك أي: المتصفون لثواب الله تعالى. وحين البأس أي: وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم، لأن الجلال، يشق غاية المشقة على النفس، ويجزع الإنسان من القتل، أو فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك؛ لأن النفس تضعف، والبدن يألم، وذلك في غاية المشقة على النفوس، خصوصاً مع تناول ذلك، فإنه يؤمر بالصبر، احتساباً ورجاء الثواب من الله عليها. والضراء أي: المرض على اختلاف أنواعه، من حمى، وقرح، ورياح، ووجع عضو، حتى الضرر والإصبع ونحو ذلك، يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم، وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم. فكل هذه ونحوها، مصائب، يؤمر بالصبر عليها، والاحتساب، لغيره. فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم، وإن جاع أو جاعت عياله تألم، وإن عرى أو كاد تألم، وإن نظر إلى ما بين ذلك. والصابرين في البأساء أي: الفقر، لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة، لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل بها عباده والتزموها، ودخلوا تحت عهدها، ووجب عليهم أداؤها، وحقوق العباد، التي أوجبها الله عليهم، والحقوق التي التزمها العبد كالأيمان والتذور، ونحو ما مع صاحبه من الإيقان. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والعهد: هو الالتزام بالزام الله أو إلزام العبد لنفسه. فدخل في ذلك حقوق الله كلها، لكون الله ألزم قد تقدم مراراً، أن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة، لكونهما أفضل العبادات، وأكمل القربات، عبادات قلبية، وبدنية، ومالية، وبهما يوزن الإيمان، ويعرف

تفسير السعدي

غنيا وفي الرقاب فيدخل فيه العتق والإعانة عليه، وبذل مال للمكاتب ليوفي سيده، وفداء الأسرى عند الكفار أو عند الظلمة. وأقام الصلاة وآتى الزكاة ابتلي بأرش جناية، أو ضريبة عليه من ولاية الأمور، أو يسأل الناس لتعمير المصالح العامة، كالمساجد والمدارس والقناطر، ونحو ذلك، فهذا له حق وإن كان ولو بتزويده أو إعطائه آلة لسفره، أو دفع ما ينوبه من المظالم وغيرها. والسائلين أي: الذين تعرض لهم حاجة من الحوائج، توجب السؤال، كمن مظنة الحاجة، وكثرة المصارف، فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته، وخوله من نعمته، أن يرحم أخاه الغريب، الذي بهذه الصفة، على حسب استطاعته، بما يقدرون عليه، وبما يتيسر، وابن السبيل وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فحث الله عباده على إعطائه من المال، ما يعينه على سفره، لكونه العمل فمن رحم يتيم غيره، رحم يتيمه. والمساكين وهم الذين أسكنتهم الحاجة، وأذلهم الفقر فلهم حق على الأغنياء، بما يدفع مسكنتهم أو يخففها، أرحم بهم من الوالد بولده، فالله قد أوصى العباد، وفرض عليهم في أموالهم، الإحسان إلى من فقد أبائهم ليصيروا كمن لم يفقد والده، ولأن الجزء من جنس والقبولي، على حسب قربهم وحاجتهم. ومن يتامى الذين لا كاسب لهم، وليس لهم قوة يستغنون بها، وهذا من رحمته تعالى بالعباد، الدالة على أنه تعالى ببرك وإحسانك. من الأقارب الذين تتوجع لمصابهم، وتفرح بسرورهم، الذين يتناصرون ويتعاقلون، فمن أحسن البر وأوفقه، تعاهد الأقارب بالإحسان المالي المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فكل هؤلاء ممن آتى المال على حبه. ثم ذكر المنفق عليهم، وهم أولى الناس ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة، كانت أفضل، لأنه في هذه الحال، يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر. وكذلك إخراج النفيس من يكاد يخرج العبد. فمن أخرجه مع حبه له تقربا إلى الله تعالى، كان هذا برهانا لإيمانه، ومن إيتاء المال على حبه، أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى، وآتى المال وهو كل ما يتموله الإنسان من مال، قليلا كان أو كثيرا، أي: أعطى المال على حبه أي: حب المال، بين به أن المال محبوب للنفوس، فلا أنزلها الله على رسوله، وأعظمها القرآن، فيؤمن بما تضمنه من الأخبار والأحكام، والنبیین عموما، خصوصا خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم. به الرسول، مما يكون بعد الموت. والملائكة الذين وصفهم الله لنا في كتابه، ووصفهم رسوله صلى الله عليه وسلم والكتاب أي: جنس الكتب التي ذلك. ولكن البر من آمن بالله أي: بأنه إله واحد، موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص. واليوم الآخر وهو كل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف، وهذا نظير قوله صلى الله عليه وسلم: ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ونحو يقول تعالى: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب أي: ليس هذا هو البر المقصود من العباد، فيكون كثرة البحث فيه والجدال من العناء الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين. 178 إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلا وشرفا لقوم يعقلون. وقوله: لعلمك تتقون وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة، وأن من كان بهذه المثابة، فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى، يحب من عباده، أن يعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه من الحكم، والانزجار، ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكر الحياة لإفادة التعظيم والتكثير. ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته، إلا أهل العقول الكاملة مقتولا اندعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر، الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية فقال: ولكم في القصص حياة أي: تتحقق بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رني القاتل قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول، لأن جانيته لا تزيد على جنائية غيره. ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصص أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه، فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئا له، فيجب قتله بذلك. وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوما منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: فمن اعتدى بعد ذلك أي: بعد العفو فله عذاب أليم المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه. وإذا وفي قوله: فمن عفي له من أخيه ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجانا. وفي قوله: أخيه دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن إلا الإحسان بحسن القضاء، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يحرجه. وعلى القاتل أداء إليه بإحسان من غير مطل ولا نقص، ولا إساءة فعلية أو قولية، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو، واختيار الدية إلى الولي. فإذا عفا عنه وجب على الولي، أي: ولي المقتول أن يتبع القاتل بالمعروف من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق، بل فمن عفي له من أخيه شيء أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصص، وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود بعض أهل العلم فلم يجز قتل الرجل بالمرأة، وتقدم وجه ذلك. وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلها قال: والعبد بالعبد، ذكرا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت، ودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له، والأنثى بالأنثى، أخذ بمفهومها أدنية شديدة جدا من الولد له. وخرج من العموم أيضا، الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة. وأيضا فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى، وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: القصص الحر بالحر يدخل بمنطوقها، الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالأنثى، فيكون منطوقها مقدما على مفهوم قوله: الأنثى بالأنثى لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد، ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية، ومن أشبههم من إيواء المحدثين. ثم بين تفصيل ذلك فقال:

تفسير السعدي

لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل، وأنه عليهم القصاص في القتلى أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد. وتوجيه الخطاب يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض

الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين. 179 إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلا وشرفا لقوم يعقلون. وقوله: لعلمكم تتقون وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة، وأن من كان بهذه المثابة، فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى، يحب من عباده، أن يعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه من الحكم، والانزجار، ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكر الحياة لإفادة التعظيم والتكثير. ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته، إلا أهل العقول الكاملة مقتولا اندعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر، الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية فقال: ولكم في القصاص حياة أي: تنحقن بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا ربي القاتل قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول، لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره. ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه، فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئا له، فيجب قتله بذلك. وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوما منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: فمن اعتدى بعد ذلك أي: بعد العفو فله عذاب أليم المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه. وإذا وفي قوله: فمن عفي له من أخيه ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجانا. وفي قوله: أخيه دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن إلا الإحسان بحسن القضاء، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذم الناس للإنسان، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يخرجه. وعلى القاتل أداء إليه بإحسان من غير مطل ولا نقص، ولا إساءة فعلية أو قولية، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو، واختيار الدية إلى الولي. فإذا عفا عنه وجب على الولي، أي: ولي المقتول أن يتبع القاتل بالمعروف من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق، بل فمن عفي له من أخيه شيء أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص، وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود بعض أهل العلم فلم يجز قتل الرجل بالمرأة، وتقدم وجه ذلك. وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلهاذا قال: والعبد بالعبد، ذكرا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت، ودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له، والأنثى بالأنثى، أخذ بمفهومها أذية شديدة جدا من الولد له. وخرج من العموم أيضا، الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة. وأيضا فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى، وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: القصاص الحر بالحر يدخل بمنطوقها، الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدا على مفهوم قوله: الأنثى بالأنثى لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد، ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية، ومن أشبههم من إيواء المحدثين. ثم بين تفصيل ذلك فقال: لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل، وأنه عليهم القصاص في القتلى أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد. وتوجيه الخطاب يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض

فهم لا يرجعون لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعا منهم. 18 فلهاذا قال تعالى عنهم: صم أي: عن سماع الخير، بكم أي: عن النطق به، عمي عن رؤية الحق،

واختلف المورد. فهذا الجمع، يحصل الاتفاق، والجمع بين الآيات، لأنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ، الذي لم يدل عليه دليل صحيح. 180 بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره، وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلا من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظا، آيات المواريث، بعد أن كان مجعلا، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور الوصية للوالدين والأقربين مجعلة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري. ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل، والأحسن في هذا أن يقال: إن هذه وقوله: حقا على المتقين دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو: الثابت، وقد جعله الله من موجبات التقوى. واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية الناس إليه بالمعروف، على قدر حاله من غير سرف، ولا اقتصار على الأبعد، دون الأقرب، بل يرتبهم على القرب والحاجة، ولهذا أتى فيه بأفعل التفضيل. أي: أسبابه، كالمرض المشرف على الهلاك، وحضور أسباب المهالك، وكان قد ترك خيرا أي: مالا وهو المال الكثير عرفا، فعليه أن يوصي لوالديه وأقرب أي: فرض الله عليكم، يا معشر المؤمنين إذا حضر أحدكم الموت

نيته ذلك، أثابه ولو أخطأ، وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل، فإن الله عليم به، مطلع على ما فعله، فليحذر من الله، هذا حكم الوصية العادلة. 181

تفسير السعدي

ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجوز في وصيته، عليم بنيته، وعلیم بعمل الموصى إليه، فإذا اجتهد الموصي، وعلم الله من على الذين يبدلونه وإلا فالموصي وقع أجره على الله، وإنما الإثم على المبدل المغير. إن الله سمیع يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي قد يبدل ما وصى به قال تعالى: فمن بدله أي: الإيصاء للمذكورين أو غيرهم بعدما سمعه أي: بعدما عقله، وعرف طريقه وتنفيذه، فإنما إثمهم ولما كان الموصي قد يمتنع من الوصية، لما يتوهمه أن من بعده،

فدلت هذه الآيات على الحث على الوصية، وعلى بيان من هي له، وعلى وعيد المبدل للوصية العادلة، والترغيب في الإصلاح في الوصية الجائزة. 182
الله، غفور لميتهم الجائر في وصيته، إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضاً لأجل براءة ذمته، رحيم بعباده، حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون، إن الله غفور أي: يغفر جميع الزلات، ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه، ومنه مغفرته لمن غض من نفسه، وترك بعض حقه لأخيه، لأن من سامح، سامحه بينهم على وجه التراضي والمصالحة، ووعظهم بتبرئة ذمة ميتهم فهذا قد فعل معروفًا عظيمًا، وليس عليهم إثم، كما على مبدل الوصية الجائزة، ولهذا قال: الجور والجنف، وهو: الميل بها عن خطأ، من غير تعمد، والإثم: وهو التعمد لذلك. فإن لم يفعل ذلك، فينبغي له أن يصلح بين الموصي إليهم، ويتوصل إلى العدل وأما الوصية التي فيها حيف وحنف، وإثم، فينبغي لمن حضر الموصي وقت الوصية بها، أن ينصحه بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهه عن

تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى. 183
عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، إلى الله، راجيا بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى. ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله أمر الله واجتناب نهيه. فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربا بذلك من الأمور الثقيلة، التي اختصت بها. ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: لعلمكم تتقون فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال التي هي مصلحة للخلق في كل زمان. وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمصارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس يخبر تعالى بما من به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر

وقيل: وعلى الذين يطبقونه أي: يتكلفونه، ويشق عليهم مشقة غير محتملة، كالشيخ الكبير، فدية عن كل يوم مسكين وهذا هو الصحيح 184
أن يصوم، وهو أفضل، أو يطعم، ولهذا قال: وأن تصوموا خير لكم ثم بعد ذلك، جعل الصيام حتما على المطيق وغير المطيق، يفطر ويقضيه في أيام آخر في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتما، فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم، بأسهل طريق، وخير المطيق للصوم بين قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس. وقوله: وعلى الذين يطبقونه أي: يطبقون الصيام فدية عن كل يوم يفطرونه طعام مسكين وهذا السفر، وحصلت الراحة. وفي قوله: فعدة من أيام فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملا كان، أو ناقصا، وعلى أنه يجوز أن يقضي أياما للمشفقة، في الغالب، رخص الله لهما، في الفطر. ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام آخر إذا زال المرض، وانقضى الصيام، أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة. ثم سهل تسهila آخر. فقال: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر وذلك ولما ذكر أنه فرض عليهم

عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبينه لعباده، وبالتكبير عند انقضائه، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد. 185
العدة وهذا والله أعلم لئلا يتوهم متوهم، أن صيام رمضان، يحصل المقصود منه ببعضه، دفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته، ويشكر الله تعالى إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات. وهذه جملة لا يمكن تفصيلها، لأن تفاصيلها، جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات. ولتكملا تيسير، ويسهلها أشد تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله. وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهله تسهila آخر، يتوهم أن الرخصة أيضا منسوخة فقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم الشهر فليصمه هذا فيه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر. ولما كان النسخ للتخيير، بين الصيام والفداء خاصة، أعاد الرخصة للمريض والمسافر، لئلا وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام. فلما قرره، وبين فضيلته، وحكمة الله تعالى في تخصيصه قال: فمن شهد منكم الدينية والدينية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة. فحقيق بشهر، هذا فضله، الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتغل على الهداية لمصالحكم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي:

والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا 186
قال: فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده من داعيه، بالإجابة، ولهذا قال: أجب دعوة الداع إذا دعان والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من

تفسير السعدي

فنزل: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب لأنه تعالى، الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضا هذا جواب سؤال، سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقریب ربنا فننادیه؟ أم یبعد فننادیه؟

قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم، ولو علم تحريمه لم يفعله، فإذا بين الله للناس آياته، لم يبق لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سببا للتقوى. 187

أتم تبیین، وأوضحها لهم أكمل إیضاح. یبین الله آياته للناس لعلهم يتقون فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه، فإن الإنسان كل سبب يدعو إليها، وأما الأوامر فيقول الله فيها: تلك حدود الله فلا تعتدوها فينهى عن مجاوزتها. كذلك أي: بين الله لعباده الأحكام السابقة تفعلوها لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه. والعبد مأمور بترك المحرمات، والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك المعذور، وتحريم الوطء على المعتكف، ونحو ذلك من المحرمات حدود الله التي حددها لعباده، ونهاهم عنها، فقال: فلا تقربوها أبلغ من قوله: فلا وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف. تلك المذكورات وهو تحريم الأكل والشرب والجماع ونحوه من المفطرات في الصيام، وتحريم الفطر على غير وانقطاعا إليه، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد. ويستفاد من تعريف المساجد، أنها المساجد المعروفة عندهم، وهي التي تقام فيها الصلوات الخمس.

بقوله: ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد أي: وأنتم متصفون بذلك، ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، عن المفطرات إلى الليل وهو غروب الشمس ولما كان إباحة الوطء في ليالي الصيام ليست بإباحته عامة لكل أحد، فإن المعتكف لا يحل له ذلك، استثناء ويصح صيامه، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق. ثم إذا طلع الفجر أتموا الصيام أي: الإمساك وأنه يستحب تأخيرها أخذًا من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد. وفيه أيضا دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جنب من الجماع قبل أن يغتسل، الأسود من الفجر هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكًا في طلوع الفجر فلا بأس عليه. وفيه: دليل على استحباب السحور للأمر، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرک. وكلوا واشربوا حتى يبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته، وحصول مقاصد النكاح. ومما كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان، والسعة من الله باشروهن وطأ وقبلة ولمسا وغير ذلك. وابتغوا ما كتب الله لكم أي: انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى والمقصود ما أمروا به. فتاب الله عليكم بأن وسع لكم أمرا كان لولا توسعته موجبا للإثم وعفا عنكم ما سلف من التخون. فالآن بعد هذه الرخصة المشقة لبعضهم، فخفف الله تعالى عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع، سواء نام أو لم ينام، لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض كان في أول فرض الصيام، يحرم على المسلمين في الليل بعد النوم الأكل والشرب والجماع، فحصلت

في نكاله. وعلى هذا فالوكيل إذا علم أن موكله مبطل في دعواه، لم يحل له أن يخاصم عن الخائن كما قال تعالى: ولا تكن للخائنين خصيما 188

فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة، وحكم له بذلك، فإنه لا يحل له، ويكون أكلا لمال غيره، بالباطل والإثم، وهو عالم بذلك. فيكون أبلغ في عقوبته، وأشد لا يبيح محرما، ولا يحل حراما، إنما يحكم على نحو مما يسمع، وإلا فحقائق الأمور باقية، فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة، ولا شبهة، ولا استراحة.

ولو حصل فيه النزاع وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع، وأدلى من يريد أكلها بالباطل بحجة، غلبت حجة المحق، وحكم له الحاكم بذلك، فإن حكم الحاكم، الزكوات والصدقات، والأوقاف، والوصايا، لمن ليس له حق منها، أو فوق حقه. فكل هذا ونحوه، من أكل المال بالباطل، فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه، حتى أجره على عمل لم يقوموا بواجبه، ويدخل في ذلك أخذ الأجرة على العبادات والقربات التي لا تصح حتى يقصد بها وجه الله تعالى، ويدخل في ذلك الأخذ من مقابلة عوض مباح، ويدخل في ذلك أخذها بسبب غش في البيع والشراء والإجارة، ونحوها، ويدخل في ذلك استعمال الأجزاء وأكل أجرتهم، وكذلك أخذهم أو عارية، أو نحو ذلك، ويدخل فيه أيضا، أخذها على وجه المعاوضة، بمعاوضة محرمة، كعقود الربا، والقمار كلها، فإنها من أكل المال بالباطل، لأنه ليس في نوعين: نوعا بحق، ونوعا بباطل، وكان المحرم إنما هو أكلها بالباطل، قيده تعالى بذلك، ويدخل في ذلك أكلها على وجه الغصب والسرقة والخيانة في ودیعة لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأن أكله لمال غيره يجرى غيره على أكل ماله عند القدرة. ولما كان أكلها أي: ولا تأخذوا أموالكم أي: أموال غيركم، أضافها إليهم،

سبب للفلاح، الذي هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المروء، فمن لم يتق الله تعالى، لم يكن له سبيل إلى الفلاح، ومن اتقاه، فاز بالفلاح والنجاح. 189

بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود. واتقوا الله هذا هو البر الذي أمر الله به، وهو لزوم تقواه على الدوام، بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه أو بعضه، والمتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور وأتاه من أبوابه وتأثر عليه، فلا الذي قد جعل له موصلا، فالآمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع. ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الله أنه ليس ببر لأن الله تعالى، لم يشرعه لهم، وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فهو متعبد ببدعة، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا، لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبدوا بذلك، وظنوا أنه بر. فأخبر من حاجات الخلق، فجعله تعالى، حسابا، يعرفه كل أحد، من صغير، وكبير، وعالم، وجاهل، فلو كان الحساب بالسنة الشمسية، لم يعرفه إلا النادر من الناس.

أشهر معلومات، ويستغرق أوقاتا كثيرة قال: والحج وكذلك تعرف بذلك، أوقات الديون المؤجلات، ومدة الإجازات، ومدة العدد والحمل، وغير ذلك مما هو ثم يشرع في النقص إلى كماله، وهكذا، ليعرف الناس بذلك، موافقت عباداتهم من الصيام، وأوقات الزكاة، والكفارات، وأوقات الحج. ولما كان الحج يقع في

تفسير السعدي

أو عن ذاتها، قل هي مواقيت للناس أي: جعلها الله تعالى بلطفه ورحمته على هذا التدبير يبدو الهلال ضعيفا في أول الشهر، ثم يتزايد إلى نصفه، يقول تعالى: يسألونك عن الأهلة جمع هلال ما فائدتها وحكمتها؟

ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمات المطر، ورعد وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، وبرق وهو الضوء اللامع المشاهد مع السحاب. 19 ثم قال تعالى: أو كصيب من السماء يعني: أو مثلهم كصيب، أي: كصاحب صيب من السماء، وهو المطر الذي يصب، أي: ينزل بكثرة، فيه ظلمات وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار ونحوها، لغير مصلحة تعود للمسلمين. ومن الاعتداء، مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوا، فإن ذلك لا يجوز. 190 رأي لهم ولا قتال. والنهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل، من النساء، والمجانين والأطفال، والرهبان ونحوهم والتمثيل بالقتلى، على الإخلاص، ونهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين. الذين يقاتلونكم أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال، أمرهم الله به، بعد ما كانوا مأمورين بكف أيديهم، وفي تخصيص القتال في سبيل الله حث هذه الآيات، تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله،

فليس عليكم أيها المسلمون حرج في قتالهم. ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، وهي: أنه يرتكب أخف المفسدتين، لدفع أعلاهما. 191 كان القتال عند المسجد الحرام، يتوهم أنه مفسدة في هذا البلد الحرام، أخبر تعالى أن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك، والصد عن دينه، أشد من مفسدة القتل، فإن الله يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله، والشرك في المسجد الحرام، وصد الرسول والمؤمنين عنه وهذا من رحمته وكرمه بعباده. ولما عند المسجد الحرام وأنه لا يجوز إلا أن يبدأوا بالقتال، فإنهم يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم، وهذا مستمر في كل وقت، حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا، واقتلوهم حيث تقتضوهم هذا أمر بقتالهم، أينما وجدوا في كل وقت، وفي كل زمان قتال مدافعة، وقتال مهاجمة ثم استثنى من هذا العموم قتالهم عن قتالكم عند المسجد الحرام فلا عدوان إلا على الظالمين أي: فليس عليهم منكم اعتداء، إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة، بقدر ظلمه. 192 دين الله تعالى، على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه، من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال، فإن انتهوا ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به، سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن يكون الدين لله تعالى، فيظهر عن قتالكم عند المسجد الحرام فلا عدوان إلا على الظالمين أي: فليس عليهم منكم اعتداء، إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة، بقدر ظلمه. 193 دين الله تعالى، على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه، من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال، فإن انتهوا ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به، سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن يكون الدين لله تعالى، فيظهر ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد. 194 التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها، وأخبر تعالى أنه مع المتقين أي: بالنصر، والتأييد، والتوفيق. هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي. ولما كانت النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له، جمعا بين الأدلة، ولهذا قال تعالى، تأكيداً وتقوية لما تقدم: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم تجب عليه النفقة من الإنفاق عليه فإنه يجوز أخذه من ماله. وإن كان السبب خفياً، كمن جحد دين غيره، أو خانه في ودعة، أو سرق منه ونحو ذلك، فإنه يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟ خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك، أنه إن كان سبب الحق ظاهراً كالضعيف، إذا لم يقره غيره، والزوجة، والقريب إذا امتنع من يكن له حرمة، ومن قتل مكافئاً له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضواً، منه، اقتص منه، ومن أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله، ولكن هل لصاحب الحق أن هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل، ومن هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم ذلك حرج، وعلى هذا فيكون قوله: والحرمت قصاص من باب عطف العام على الخاص، أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما لقلوب الصحابة، بتمام نسكهم، وكمالهم. ويحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتموهم في الشهر الحرام فقد قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في عام الحديبية، عن الدخول لمكة، وقاضوهم على دخولها من قابل، وكان الصد والقضاء في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فيكون هذا بهذا، فيكون فيه، تطيب يقول تعالى: الشهر الحرام بالشهر الحرام يحتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد. 195 التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها، وأخبر تعالى أنه مع المتقين أي: بالنصر، والتأييد، والتوفيق. هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي. ولما كانت النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له، جمعا بين الأدلة، ولهذا قال تعالى، تأكيداً وتقوية لما تقدم: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم تجب عليه النفقة من الإنفاق عليه فإنه يجوز أخذه من ماله. وإن كان السبب خفياً، كمن جحد دين غيره، أو خانه في ودعة، أو سرق منه ونحو ذلك، فإنه يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟ خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك، أنه إن كان سبب الحق ظاهراً كالضعيف، إذا لم يقره غيره، والزوجة، والقريب إذا امتنع من يكن له حرمة، ومن قتل مكافئاً له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضواً، منه، اقتص منه، ومن أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله، ولكن هل لصاحب الحق أن هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل، ومن هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم

تفسير السعدي

ذلك حرج، وعلى هذا فيكون قوله: والحرمان قصاص من باب عطف العام على الخاص، أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما لقلوب الصحابة، بتمام نسكهم، وكماله. ويحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتهم في الشهر الحرام فقد قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في عام الحديبية، عن الدخول لمكة، وقاضوهم على دخولها من قابل، وكان الصد والقضاء في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فيكون هذا بهذا، فيكون فيه، تطيب يقول تعالى: الشهر الحرام بالشهر الحرام يحتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

العقاب، كما أن من رجا ثواب الله عمل لما يوصله إلى الثواب، وأما من لم يخف العقاب، ولم يرج الثواب، اقتحم المحارم، وتجراً على ترك الواجبات 196 المحظورات المذكورة في هذه الآية. واعلموا أن الله شديد العقاب أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى، فإن من خاف عقاب الله، انكف عما يوجب عليه هدي لعدم الموجب لذلك. واتقوا الله أي: في جميع أموركم، بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، ومن ذلك، امتثالكم، لهذه الأمور، واجتناب هذه قصر فأكثر، أو بعيداً عنه عرفات، فهذا الذي يجب عليه الهدي، لحصول النسكين له في سفر واحد، وأما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام، فليس

مكة، وفي الطريق، وعند وصوله إلى أهله. ذلك المذكور من وجوب الهدي على المتمتع لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام بأن كان عند مسافة الجمار، والمبيت بمنى ولكن الأفضل منها، أن يصوم السابع، والثامن، والتاسع، وسبعة إذا رجعت أي: فرغتم من أعمال الحج، فيجوز فعلها في أشهر الحج. فمن لم يجد أي الهدي أو ثمنه فصيام ثلاثة أيام في الحج أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر، أيام رمي ومثلها القران لحصول النسكين له. ويدل مفهوم الآية، على أن المفرد للحج، ليس عليه هدي، ودلت الآية، على جواز، بل فضيلة المتعة، وعلى جواز فعلها في في أضحى، وهذا دم نسك، مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة، ولإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة، وقبل الشروع في الحج، فمن تمتع بالعمرة إلى الحج بأن توصل بها إليه، وانتفع بتمتعته بعد الفراغ منها. فما استيسر من الهدي أي: فعليه ما تيسر من الهدي، وهو ما يجرى

مع وجوب الفدية المذكورة لأن القصد من الجميع، إزالة ما به يترفه. ثم قال تعالى: فإذا أمنت أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره، أفضل، فالصدقة، فالصيام. ومثل هذا، كل ما كان في معنى ذلك، من تقليم الأظفار، أو تغطية الرأس، أو لبس المخيط، أو الطيب، فإنه يجوز عند الضرورة، ذلك فإنه يحل له أن يحلق رأسه، ولكن يكون عليه فدية من صيام ثلاثة أيام، أو صدقة على ستة مساكين أو نسك ما يجرى في أضحى، فهو مخير، والنسك والتواضع الذي هو عين مصلحة العبد، وليس عليه في ذلك من ضرر، فإذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض، ينتفع بحلق رأسه له، أو قروح، أو قمل ونحو فإذا طاف وسعى للعمرة، أحرم بالحج، ولم يكن له إحلال بسبب سوق الهدي، وإنما منع تبارك وتعالى من ذلك، لما فيه من الذل والخضوع لله والانكسار له، يوم النحر، والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية. ويستدل بهذه الآية على أن المتمتع إذا ساق الهدي، لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر، بإزالته، وهو موجود في بقية الشعر. وقاس كثير من العلماء على إزالة الشعر، تقليم الأظفار بجامع الترفه، ويستمر المنع مما ذكر، حتى يبلغ الهدي محله، وهو وهذا من محظورات الإحرام، إزالة الشعر، بحلق أو غيره، لأن المعنى واحد من الرأس، أو من البدن، لأن المقصود من ذلك، حصول الشعث والمنع من الترفه

المشركون عام الحديبية، فإن لم يجد الهدي، فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع ثم يحل. ثم قال تعالى: ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله الهدي، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر، ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لما صدهم الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض، أو ضلالة، أو عدو، ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع. فما استيسر من الهدي أي: فاذبحوا ما استيسر من

لله تعالى. السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما، إلا بما استثناه الله، وهو الحصر، فلماذا قال: فإن أحصرتم أي: منعتهم من العمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما، ولو كانا نفلاً. الخامس: الأمر بإتقانها وإحسانها، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما. السادس: وفيه الأمر بإخلاصهما التي قد دل عليها فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: خذوا عني مناسككم الثالث: أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة. الرابع: أن الحج يستدل بقوله تعالى: وأنتموا الحج والعمرة على أمور: أحدها: وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما. الثاني: وجوب إتمامهما بأركانهما، وواجباتهما،

فقال: واتقوا يا أولي الأبواب أي: يا أهل العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل، وفساد الرأي 197 نعيم دائم أبداً، ومن ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين. فهذا مدح للتقوى. ثم أمر بها أولي الأبواب البنية بلغة ومتاع. وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه، في دنياه، وأخراه، فهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل عن المخلوقين، والكف عن أموالهم، سؤالاً واستشفاقاً، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين، وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة تدارك ما أمكن تداركه فيها، من صلاة، وصيام، وصدقة، وطواف، وإحسان قلبي وفعلي. ثم أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك، فإن التزود فيه الاستغناء وعبادة، داخل في ذلك، أي: فإن الله به عليم، وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، وخصوصاً في تلك البقاع الشريفة والحرمان المنيفة، فإنه ينبغي إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر، ولهذا قال تعالى: وما تفعلوا من خير يعلمه الله أتى به من لتنصيب على العموم، فكل خير وقربة

يكون مبروراً والمبرور، ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها تغلظ المنع عنها في الحج. واعلم أنه لا يتم التقرب لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة. والمقصود من الحج، الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك الفعلية والقولية، خصوصاً عند النساء بحضرتهم. والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام. والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، جدال في الحج أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصاً الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه، من الرفث وهو الجماع ومقدماته قريباً، فإن قوله: فمن فرض فيهن الحج دليل على أن الفرض قد يقع في الأشهر المذكورة وقد لا يقع فيها، وإلا لم يقيد. وقوله: فلا رقت ولا فسوق ولا

تفسير السعدي

الآية الشافعي ومن تابعه، على أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره، قلت لو قيل: إن فيها دلالة لقول الجمهور، بصحة الإحرام بالحج قبل أشهره لكان من ذي الحجة، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالباً. فمن فرض فيه الحج أي: أحرم به، لأن الشروع فيه يصير فرضاً، ولو كان نفلاً. واستدل بهذه وأما الحج فقد كان من ملة إبراهيم، التي لم تزل مستمرة في ذريته معروفة بينهم. والمراد بالأشهر المعلومات عند جمهور العلماء: شوال، وذو القعدة، وعشر أشهر معلومات عند المخاطبين، مشهورات، بحيث لا تحتاج إلى تخصيص، كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره، وكما بين تعالى أوقات الصلوات الخمس. يخبر تعالى أن الحج واقع في

كما من عليكم بالهداية بعد الضلال، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون، فهذه من أكبر النعم، التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم بالقلب واللسان. 198 بالحرام. السابع: أن عرفة في الحل، كما هو مفهوم التقييد بمزدلفة واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين أي: اذكروا الله تعالى تدل عليه الفاء والترتيب. الرابع، والخامس: أن عرفات ومزدلفة، كلاهما من مشاعر الحج المقصود فعلها، وإظهارها. السادس: أن مزدلفة في الحرم، كما قيده يقف في المزدلفة داعياً، حتى يسفر جداً، ويدخل في ذكر الله عنده، إيقاع الفرائض والنوافل فيه. الثالث: أن الوقوف بمزدلفة، متأخر عن الوقوف بعرفة، كما من عرفات، لا تكون إلا بعد الوقوف. الثاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وهو المزدلفة، وذلك أيضاً معروف، يكون ليلة النحر بائناً بها، وبعد صلاة الفجر، قوله: فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام دلالة على أمور: أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفاً أنه ركن من أركان الحج، فالإفاضة المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالاً منسوباً إلى فضل الله، لا منسوباً إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب، ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه. وفي لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب إذا كان

قد أكمل العبادة، ومن بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت، ورد الفعل، كما أن الأول، حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر. 199 بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة. وهكذا ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة، أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد، في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه والطواف، والسعي، والمبيت بمنى ليالي التشريق وتكميل باقي المناسك. ولما كانت هذه الإفاضة، يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك، من مزدلفة من حيث أفاض الناس، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفاً عندهم، وهو رمي الجمار، وذبح الهديا، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أي: ثم أفيضوا

التوفيق. فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة. 2 يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً فالتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الكونية. ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية الهداية، وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتنال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع. قال تعالى: الخلق. فالأشقياء لم يرفعوا به رأساً. ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقايتهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر، لحصول الطرق النافعة لهم، في دنياهم وأخراهم. وقال في موضع آخر: هدى للناس فعمم. وفي هذا الموضع وغيره هدى للمتقين لأنه في نفسه هدى لجميع هدى لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة. وقال هدى وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم، وأنه عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه. فلما اشتمل على اليقين وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين قال: هدى للمتقين والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب. وهذه قاعدة مفيدة، أن النفي المقصود به المدح، لا بد أن يكون متضمناً لصدقة، وهو الكمال، لأن النفي والمتأخرين من العلم العظيم، والحق المبين. ف لا ريب فيه ولا شك بوجه من الوجوه، ونفي الريب عنه، يستلزم ضده، إذ ضد الريب والشك اليقين، فهذا وقوله ذلك الكتاب أي هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين

رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله: إن الله على كل شيء قدير 20 شرهم ونفاقهم، إن الله على كل شيء قدير فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئاً فعله من غير ممانع ولا معارض. وفي هذه الآية وما أشبهها، طرق الإيمان، قال تعالى: ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أي: الحسية، ففيه تحذير لهم وتخويف بالعقوبة الدنيوية، ليحذروا، فيرتدعوا عن بعض وعلماً فلا يفوتونه ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتم الجزاء. ولما كانوا مبتلين بالصمم، والبكم، والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم الصيب الذي يسمع الرعد، ويجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا تمكن له السلامة. وأما المنافقون فأنى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم، قدرة في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيهِ ووعده ووعيدهِ، فيروعه ووعيدهِ، وتزعجه ووعده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب في تلك الظلمات مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا أي: وقفوا. فهكذا حال المنافقين، إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيهِ ووعده ووعيدهِ، جعلوا أصابعهم كلما أضاء لهم البرق

والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكملهُ، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به، والحث عليه. 200 ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم،

تفسير السعدي

المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة سالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً، أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين. والحسنة وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهما تهم ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمده عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء، لهم نصيب من كسبهم وعملهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: من يقول ربنا آتنا في الدنيا أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب، لرغبته عنها، ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم،

والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به، والحث عليه. 201 ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة سالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً، أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين. والحسنة وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهما تهم ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمده عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء، لهم نصيب من كسبهم وعملهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: من يقول ربنا آتنا في الدنيا أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب، لرغبته عنها، ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم،

والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به، والحث عليه. 202 ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة سالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً، أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين. والحسنة وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهما تهم ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمده عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء، لهم نصيب من كسبهم وعملهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: من يقول ربنا آتنا في الدنيا أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب، لرغبته عنها، ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم،

فمن اتقاه، وجد جزاء التقوى عنده، ومن لم يتقه، عاقبه أشد العقوبة، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله، فلماذا حث تعالى على العلم بذلك. 203 في شيء دون شيء، كان الجزاء من جنس العمل. واتقوا الله بامثال أوامره واجتناب معاصيه، واعلموا أنكم إليه تحشرون فمجازيكم بأعمالكم، فقط قيده بقوله: لمن اتقى أي: اتقى الله في جميع أموره، وأحوال الحج، فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء، ومن اتقاه فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة. ولما كان نفي الحرج قد يفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور وفي غيره، والحاصل أن الحرج منفي عن المتقدم، والمتأخر بها ليلة الثالث ورمي من الغد فلا إثم عليه وهذا تخفيف من الله تعالى على عباده، في إباحة كلا الأمرين، ولكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين، كالعشر، وليس ببعيد. فمن تعجل في يومين أي: خرج من منى ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثاني فلا إثم عليه ومن تأخر بأن بات ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق،

وما يترتب على ذلك، ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين، الذين جعلوا السهولة مركبهم، والانقياد للحق وظيقتهم، والسماحة سجيبتهم. 204 فلو كان صادقا، لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فلماذا قال: وهو ألد الخصام أي: إذا خصمته، وجدت فيه من اللدد والصعوبة والتعصب، ويؤكد ما يقول بأنه ويشهد الله على ما في قلبه بأن يخبر أن الله يعلم، أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك، لأنه يخالف قوله فعله. إما أن يرفع الإنسان أو يخفضه فقال: ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا أي: إذا تكلم راق كلامه للسامع، وإذا نطق، ظننته يتكلم بكلام نافع، لما أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وخصوصاً في الأوقات الفاضلة الذي هو خير ومصلحة وبر، أخبر تعالى بحال من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله، فالكلام لها وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والمبطل من الناس، بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويههم وتزييتهم أنفسهم. 205 حسناً. ففي هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلاً على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي بركتها، بسبب العمل في المعاصي، والله لا يحب الفساد وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض، غاية البغض، وإن قال بلسانه قولاً أي: يجتهد على أعمال المعاصي، التي هي إفساد في الأرض ويهلك بسبب ذلك الحرث والنسل فالزروع والثمار والمواشي، تتلف وتنقص، وتقل وإذا تولى هذا الذي يعجبك قوله إذا حضر عندك سعى في الأرض ليفسد فيها

عذاب دائم، وهم لا ينقطع، ويأس مستمر، لا يخفف عنهم العذاب، ولا يرجون الثواب، جزاء لجناياتهم ومقابلة لأعمالهم، فعياداً بالله من أحوالهم. 206

تفسير السعدي

بالإثم فيجمع بين العمل بالمعاصي والكبر على الناصحين. فحسبه جهنم التي هي دار العاصين والمتكبرين، ولبئس المهاد أي: المستقر والسكن، ثم ذكر أن هذا المفسد في الأرض بمعاصي الله، إذا أمر بتقوى الله تكبر وأنف، و أخذته العزة

وبذلوا، وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا، فلا تسأل بعد هذا عن ما يحصل لهم من الكريم، وما ينالهم من الفوز والتكريم 207 لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة إلى آخر الآية. وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوا طلبا لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن للمليء الوفي الرءوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم هؤلاء هم الموفقون

ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي: في العمل بمعاصي الله إنه لكم عدو مبين والعدو المبين، لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم. 208 يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته. ولما كان الدخول في السلم كافة، لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان قال: منها شيئا، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى، تبعا للدين، وأن يفعل كل ما هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا في السلم كافة أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا

ما يوجب ترك الزلل، فإن العزيز القاهر الحكيم، إذا عصاه العاصي، قهره بقوته، وعذبه بمقتضى حكمته فإن من حكمته، تعذيب العصاة والجناة. 209 خلل وزلل، قال تعالى: فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات أي: على علم ويقين فاعلموا أن الله عزيز حكيم وفيه من الوعيد الشديد، والتخويف، ولما كان العبد لا بد أن يقع منه

العبادة الجامعة، لامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون 21 هذا أمر عام لكل الناس، بأمر عام، وهو

أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته، فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول. 210 قلت: لا أعقل من الذي نفىته إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه، فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفىته. والحاصل ففرق بين ما أثبتته، وما نفىته، ولن تجد إلى الفرق سبيلا، فإن قلت: ما أثبتته لا يقتضي تشبيها، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفىته لا يقتضي تشبيها، فإن إما أن تثبت الجميع كما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته رسوله، وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكرا لرب العالمين، وأما إثباتك بعض ذلك، ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، لذاته، وصفات خلقه، تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه. ويقال أيضا، لمن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضا، أو أثبت الأسماء دون الصفات: يدل على التشبيه بخلقها، قيل لهم: الكلام على الصفات، يتبع الكلام على الذات، فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقها هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها مذهبهم الباطل، أن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. وأما العقل فليس في العقل ما يدل على عقلي، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها بل صريحها، دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلائلها على سلطان، بل حقيقتها القدر في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من التي أخبر بها تعالى، عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافا ما هو عليه. وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات وتبييض وجوه أهل السعادة وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكل يجازى بعمله، فهناك يعرض الظالم على يديه إذا علم حقيقة الملائكة الكرام، فتحيط بالخالق، وينزل الباري تبارك تعالى: في ظلل من الغمام ليفصل بين عباده بالقضاء العدل. فتوضع الموازين، وتنشر الدواوين، ما يقلقل قلوب الظالمين، ويحق به الجزاء السيئ على المفسدين. وذلك أن الله تعالى يطوي السماوات والأرض، وتنتثر الكواكب، وتكور الشمس والقمر، وتنتزل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان، النابذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال، الذي قد حشي من الأهوال والشدائد والفظائع، وهذا فيه من الوعيد الشديد والتهديد ما تنخلع له القلوب، يقول تعالى: هل

اضمحلت عنه وذهبت، وتبدلت بالكفر والمعاصي، فصار الكفر بدل النعمة، وأما من شكر الله تعالى، وقام بحقها، فإنها تثبت وتستمر، ويزيده الله منها. 211 ينزل الله عليهم عقابه ويحرمهم من ثوابه، وسمى الله تعالى كفر النعمة تبديلا لها، لأن من أنعم الله عليه نعمة دينية أو دنيوية، فلم يشكرها، ولم يقر بواجبها، على الحق، وعلى صدق الرسل، فتبتقونها وعرفوها، فلم يقوموا بشكر هذه النعمة، التي تقتضي القيام بها. بل كفروا بها وبدلوا نعمة الله كفرا، فلماذا استحقوا أن يقول تعالى: سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة تدل

فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب. 212 ونعي على الكافرين. ولما كانت الأرزاق الدنيوية والأخروية، لا تحصل إلا بتقدير الله، ولن تنال إلا بمشيئة الله، قال تعالى: والله يرزق من يشاء بغير حساب والبهجة والحبور. والكفار تحتهم في أسفل الدركات، معذبين بأنواع العذاب والإهانة، والشقاء السرمدي، الذي لا ينتهي له، ففي هذه الآية تسلية للمؤمنين،

تفسير السعدي

الحقيقي، في الدار الباقية، فهذا قال تعالى: والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة فيكون المتقون في أعلى الدرجات، متمتعين بأنواع النعيم والسرور، والكفران، بل المؤمن في الدنيا، وإن ناله مكروه، فإنه يصبر ويحتسب، فيخفف الله عنه بإيمانه وصبره ما لا يكون لغيره. وإنما الشأن كل الشأن، والتفضل بهم وقالوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ وهذا من ضعف عقولهم ونظرهم القاصر، فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان أهواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها، فأقبلوا عليها، وأكبوا على تحصيلها، وعظموها، وعظموا من شاركهم في صنيعهم، واحتقروا المؤمنين، واستهزأوا يخبر تعالى أن الذين كفروا بالله وبآياته ورسله، ولم ينقادوا لشرعه، أنهم زينت لهم الحياة الدنيا، فزينت في أعينهم وقلوبهم، فرضوا بها، واطمأنوا بها وصارت لئلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير وهدى بفضلهم ورحمتهم، وإعانتهم ولطفهم من شاء من عباده، فهذا فضله وإحسانه، وذاك عدله وحكمته. 213 لهم ورحمته. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فعم الخلق تعالى بالدعوة إلى الصراط المستقيم، عدلا منه تعالى، وإقامة حجة على الخلق، الأمة لما اختلفوا فيه من الحق فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب، وأخطأوا فيه الحق والصواب، هدى الله للحق فيه هذه الأمة بإذنه تعالى وتيسيره أولى الناس بالاجتماع عليه، وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البيّنات، والأدلة القاطعات، فضلوا بذلك ضللا بعيدا. فهدى الله الذين آمنوا من هذه اتفاقهم عليها واجتماعهم، فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض، وحصل النزاع والخصام وكثرة الاختلاف. فاختلّفوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه، وسنة رسوله، فصل النزاع، لما أمر بالرد إليهما. ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب، وكان هذا يقتضي العادلة، فكل ما اشتملت عليه الكتب، فهو حق، يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع، وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع، أن يرد الاختلاف إلى من حرمان الرزق، والضعف، والإهانة، والحياة الضيقة، وأشد ذلك، سخط الله والنار. وأنزل معهم الكتاب بالحق وهو الإخبارات الصادقة، والأوامر بثمرات الطاعات، من الرزق، والقوة في البدن والقلب، والحياة الطيبة، وأعلى ذلك، الفوز برضوان الله والجنة. ومنذرين من عصى الله، بثمرات المعصية، عليهم، وقيل بل كانوا مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء، ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم مبشرين من أطاع الله نوح عليه السلام، فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين، وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة أي: كان الناس أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد

أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان. 214 من الداء، وهذه الآية نظير قوله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين. وقوله تعالى: ألم أحسب الناس اشتدت عليه وصعبت، إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحت، وأعقبه ذلك، الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه معه متى نصر الله. فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى: ألا إن نصر الله قريب فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن. فكلما الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به. ولكن لشدة الأمر وضيقه قال الرسول والذين آمنوا الله عنهم مستهم البأساء أي: الفقر والضراء أي: الأمراض في أبدانهم وزلزلوا بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتبني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه. فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة أثنائها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، بمن قبلهم، فهي سنته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقعة في سبيله، يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل

فإن الله به عليهم فيجازيكم عليه، ويحفظه لكم، كل على حسب نيته وإخلاصه، وكثرة نفقته وقلتها، وشدة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها. 215 لشدة الحاجة، عمم تعالى فقال: وما تفعلوا من خير من صدقة على هؤلاء وغيرهم، بل ومن جميع أنواع الطاعات والقربات، لأنها تدخل في اسم الخير، وإغنائهم. وابن السبيل أي: الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعان على سفره بالنفقة، التي توصله إلى مقصده. ولما خصص الله تعالى هؤلاء الأصناف، فوصى الله بهم العباد، رحمة منه بهم ولطفًا، والمساكين وهم أهل الحاجات، وأرباب الضرورات الذين أسكنتهم الحاجة، فينفق عليهم، لدفع حاجاتهم والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة، واليتامى وهم الصغار الذين لا كاسب لهم، فهم في مظنة الحاجة لعدم قيامهم بمصالح أنفسهم، وفقد الكاسب، ترك الإنفاق عليهم، ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة، على الولد الموسر، ومن بعد الوالدين الأقربون، على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب، على حسب القرب فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقا عليك، وهم الوالدان الواجب برهما، والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما، النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق، أي: يسألونك عن النفقة، وهذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنهما فقال: قل ما أنفقتم من خير أي: مال قليل أو كثير،

يعلم وأنتم لا تعلمون فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم. ولما كان الأمر بالقتال، لو لم يقيد، لشمّل الأشهر الحرم وغيرها. 216 الله، ويجعل الخير في الواقع، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبء من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه كما قال تعالى: والله مطردا، ولكن الغالب على العبد المؤمن، أنه إذا أحب أمرا من الأمور، فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك، أن يشكر لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تنوهم فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك. وأما أحوال الدنيا، فليس الأمر الأعداء على الإسلام وأهله، وحصول الذل والهوان، وفوات الأجر العظيم وحصول العقاب. وهذه الآيات عامة مطردة، في أن أفعال الخير التي تكرها النفوس مما هو مرب، على ما فيه من الكراهة وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة، فإنه شر، لأنه يعقب الخذلان، وتسلب

تفسير السعدي

المخاوف والتعرض للمتألف، ومع هذا، فهو خير محض، لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء والظفر بالغنائم، وغير ذلك، النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكثر المسلمون، وقووا أمرهم الله تعالى بالقتال، وأخبر أنه مكروه للنفوس، لما فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع هذه الآلة، فيها فرض القتال في سبيل الله، بعد ما كان المؤمنون مأمورين بتركه، لضعفهم، وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر

الآية بمفهومها، أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام، أنه يرجع إليه عمله الذي قبل رده، وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة. 217 على ذلك حتى مات كافرا، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لعدم وجود شرطها وهو الإسلام، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ودلت الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ثم أخبر تعالى أن من ارتد عن الإسلام، بأن اختار عليه الكفر واستمر دينه، وبعلي كلمته. وتكون هذه الآية صادقة على هؤلاء الموجودين من الكفار، كما صدقت على من قبلهم: إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه، أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام، وأن يخلد كل من أراد أن يطفى نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخلهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه، التي تشككهم في دينهم. ولكن المرجو من الله تعالى، الذي من على المؤمنين بالإسلام، يقاتلون غيرهم، حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس، من أصحاب السعير، فهم يذلون قدرتهم في ذلك، ساعون بما أمكنهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون أخبر تعالى أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم، وإنما غرضهم أن يرجعوه عن دينهم، ويكونوا كافرا بعد إيمانهم حتى يكونوا فيه والباد، فهذه الأمور كل واحد منها أكبر من القتل في الشهر الحرام، فكيف وقد اجتمعت فيهم؟ فعلم أنهم فسقة ظلمة، في تعبيرهم المؤمنين. ثم وسلم وأصحابه، لأنهم أحق به من المشركين، وهم عماره على الحقيقة، فأخرجوهم منه ولم يمكنوهم من الوصول إليه، مع أن هذا البيت سواء العاكف الحرام، الذي هو بمجرده، كاف في الشر، فكيف وقد كان في شهر حرام وبلد حرام؟ وإخراج أهله أي: أهل المسجد الحرام، وهم النبي صلى الله عليه وسلم سبيل الله أي: صد المشركين من يريد الإيمان بالله وبرسوله، وفتنتهم من آمن به، وسعيهم في ردهم عن دينهم، وكفرهم الحاصل في الشهر الحرام، والبلد بالقتال بالأشهر الحرم، وكانوا في تعبيرهم ظالمين، إذ فيهم من القبائح ما بعضه أعظم مما عبروا به المسلمين، قال تعالى في بيان ما فيهم: وصعد نازلة بسبب ما حصل، لسرية عبد الله بن جحش، وقتلهم عمرو بن الحضرمي، وأخذهم أموالهم، وكان ذلك على ما قيل في شهر رجب، غيرهم المشركون أكبر مزاياها، تحريم القتال فيها، وهذا إنما هو في قتال الابتداء، وأما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم، كما يجوز في البلد الحرام. ولما كانت هذه الآية وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ، لأن المطلق محمول على المقيد، وهذه الآية مقيدة لعموم الأمر بالقتال مطلقا؛ ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم، بل الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم، منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا،

إياهم، لم يريدوها، ولولا إقذارهم عليها، لم يقدروا عليها، ولولا إحسانه لم يتمها ويقبلها منهم، فله الفضل أولا وآخرا، وهو الذي من بالسبب والمسبب. 218 الذنوب، التي قد غفرت وازمحل آثارها، وإذا حصلت له الرحمة، حصل على كل خير في الدنيا والآخرة؛ بل أعمالهم المذكورة من رحمة الله بهم، فلولا توفيقه المذكورة، حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات وحصلت له رحمة الله. وإذا حصلت له المغفرة، اندفعت عنه عقوبات الدنيا والآخرة، التي هي آثار قال: والله غفور أي: لمن تاب توبة نصوحا رحيم وسعت رحمته كل شيء، وعم جوده وإحسانه كل حي. وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه. ولهذا همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر، وسقي، ونحو ذلك. وفي قوله: أولئك يرجون رحمة الله إشارة إلى دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور، وهو دال على ضعف الثلاثة على لأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قياما به وتكميلا. فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة، وفي هذا جزاؤه، أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر، لتوسيع دائرة الإسلام وخذلان عباد الأصنام، وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم. فمن قام بهذه الأعمال إلى الله ونصرة دينه. وأما الجهاد: فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعي التام في نصرة دين الله، وقمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال الصالحة، يقبل له صرف ولا عدل، ولا فرض، ولا نفل. وأما الهجرة: فهي مفارقة المحبوب المألوف، لرضا الله تعالى، فيترك المهاجر وطنه وأمواله، وأهله، وخالنه، تقربا تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأهل الجنة من أهل النار؟ وهو الذي إذا كان مع العبد، قبلت أعمال الخير منه، وإذا عدم منه لم هذه الأعمال الثلاثة، هي عنوان السعادة وقطب رحي العبودية، وبها يعرف ما مع الإنسان، من الربح والخسران، فأما الإيمان، فلا تسأل عن فضيلته، وكيف أن أوامره، فيها مصالح الدنيا والآخرة، وأيضا لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة انقضائها، فترفضوها وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها. 219 أي: الدالات على الحق، المحصلات للعلم النافع والفرقان، لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي: لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه، وتعرفوا وما به النفع لنا ولإخواننا فيستحق على ذلك أتم الحمد. ولما بين تعالى هذا البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعه قال: كذلك يبين الله لكم الآيات ولا يكلفهم ما يشق عليهم. ذلك بأن الله تعالى لم يأمرنا بما أمرنا به حاجة منه لنا، أو تكليفا لنا بما يشق بل أمرنا بما فيه سعادتنا، وما يسهل علينا، وفقير ومتوسط، كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله، ولو شق تمره. ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وصدقاتهم، فيسر الله لهم الأمر، وأمرهم أن ينفقوا العفو، وهو المتيسر من أموالهم، الذي لا تتعلق به حاجتهم وضرورتهم، وهذا يرجع إلى كل أحد بحسبه، من غني فيها الشارع. ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وهذا سؤال عن مقدار ما ينفقونه من أموالهم،

تفسير السعدي

الطرفين، من النرد، والشطرنج، وكل مغالبة قولية أو فعلية، بعوض سوى مسابقة الخيل، والإبل، والسهام، فإنها مباحة، لكونها معينة على الجهاد، فهذا رخص عمر رضي الله عنه: انتهينا انتهينا. فأما الخمر: فهو كل مسكر خامر العقل وغطاه، من أي نوع كان، وأما الميسر: فهو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان إلى قوله: منتهون وهذا من لطفه ورحمته وحكمته، ولهذا لما نزلت، قال ويجتنب ما ترجحت مضرت، ولكن لما كانوا قد ألفوها، وصعب التحريم بتركها أول وهلة، قدم هذه الآية، مقدمة للتحريم، الذي ذكره في قوله: يا كسب المال بالتجارة بالخمر، وتحصيله بالقمار والطرب للنفوس، عند تعاطيها، وكان هذا البيان زاجرا للنفوس عنهما، لأن العاقل يرجح ما ترجحت مصلحته، فأخبر أن إثمها ومضارها، وما يصدر منها من ذهاب العقل والمال، والصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، والعداوة، والبغضاء أكبر مما يظنون من نفعها، من فكانه وقع فيهما إشكال، فهذا سألوهم عن حكمهما، فأمر الله تعالى نبيه، أن يبين لهم منافعهما ومضارهما، ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما، وتحريم تركهما. أي: يسألك يا أيها الرسول المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر، وقد كانا مستعملين في الجاهلية وأول الإسلام،

وكلا المعنيين صحيح، وهما متلازمان، فمن أتى بالعبادة كاملة، كان من المتقين، ومن كان من المتقين، حصلت له النجاة من عذاب الله وسخطه. 22 وحده، اتقيتم بذلك سخطه وعذابه، لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك، ويحتمل أن يكون المعنى: أنكم إذا عبدتم الله، صرتم من المتقين الموصوفين بالتقوى، لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك. وقوله تعالى: لعلمكم تتقون يحتمل أن المعنى: أنكم إذا عبدتم الله وهو ذكر توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقرا بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن الله وأسفه السفه. وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبين الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير، ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون، وأنتم تعلمون رزقا لكم به ترتزقون، وتقوتون وتعيشون وتفكحون. فلا تجعلوا لله أندادا أي: نظراء وأشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم قال المفسرون: المراد بالسماء هاهنا: السحاب، فأنزل منه تعالى ماء، فأخرج به من الثمرات كالحبوب، والثمار، من نخيل، وفواكه، وزروع وغيرها فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس، والقمر، والنجوم. وأنزل من السماء ماء والسماء: هو كل ما علا فوقك فهو سماء، ولهذا تستقرون عليها، وتنتفعون بالأنبية، والزراعة، والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها، وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع عبادته وحده، بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، فجعل لكم الأرض فراشا ثم استدل على وجوب

لعباده شيئا مجردا عن الحكمة، فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة، أو راحة، ولا ينهاي إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راحة، لتمازج حكمته ورحمته. 220 وافق الحكمة أو خالفها، بل يقال: إن أفعاله وكذلك أحكامه، تابعة لحكمته، فلا يخلق شيئا عبثا، بل لا بد له من حكمة، عرفناها، أم لم نعرفها وكذلك لم يشرع الكاملة، والقهر لكل شيء، ولكنه مع ذلك حكيم لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته الكاملة وعنايته التامة، فعزته لا تنافي حكمته، فلا يقال: إنه ما شاء فعل، وتوسعة على المؤمنين، وإلا فلو شاء الله لأعنتكم أي: شق عليكم بعدم الرخصة بذلك، فحرجتم. وشق عليكم وأثمت، إن الله عزيز أي: له القوة المقاصد وفي هذه الآية، دليل على جواز أنواع المخالطات، في المأكل والمشرب، والعقود وغيرها، وهذه الرخصة، لطف من الله تعالى وإحسان، شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس، ومن علم الله من نيته، أن قصده بالمخالطة، التوصل إلى أكلها وتناولها، فذلك الذي حرج وأثم، و الوسائل لها أحكام إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه، والمرجع في ذلك إلى النية والعمل، فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله، فلو دخل عليه تعالى أن المقصود، إصلاح أموال اليتامى، بحفظها وصيانتها، والاتجار فيها وأن خلطتهم بإيهاهم في طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامى، لأنهم عن طعام اليتامى، خوفا على أنفسهم من تناولها، ولو في هذه الحالة التي جرت العادة بالمشاركة فيها، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأخبرهم لما نزل قوله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا شق ذلك على المسلمين، وعزلوا طعامهم

الصالح. وبيّن آياته أي: أحكامه وحكمها للناس لعلمهم يتذكرون فيوجب لهم ذلك التذكر لما نسوه، وعلم ما جهلوه، والامتثال لما ضيعوه. 221 أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة، التي من آثارها، دفع العقوبات وذلك بالدعوة إلى أسبابها من الأعمال الصالحة، والتوبة النصوح، والعلم النافع، والعمل ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها. وفي قوله: ولا تنكحوا المشركين دليل على اعتبار الولي في النكاح. والله يدعو إلى الجنة والمغفرة عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى، وخصوصا، الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك أي: في أقوالهم أو أفعالهم وأحوالهم، فمخالطتهم على خطر منهم، والخطر ليس من الأخطار الدنيوية، إنما هو الشقاء الأبدي. ويستفاد من تعليل الآية، النهي حتى يؤمنوا وهذا عام لا تخصيص فيه. ثم ذكر تعالى، الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة، لمن خالفهما في الدين فقال: أولئك يدعون إلى النار جميع النساء المشركات، وخصصتها آية المائدة، في إباحة نساء أهل الكتاب كما قال تعالى: والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ولا تنكحوا المشركين المشركات ما دمن على شركهن حتى يؤمن لأن المؤمنة ولو بلغت من الدمامة ما بلغت خير من المشركة، ولو بلغت من الحسن ما بلغت، وهذه عامة في أي: ولا تنكحوا النساء

مطلقا، شرطا لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة. 222

تفسير السعدي

أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ففيه مشروعية الطهارة مطلقا، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة لصحته. ولما كان هذا المنع لطفًا منه تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى: إن الله يحب التوابين أي: من ذنوبهم على الدوام ويحب المتطهرين أي: اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله أي: في القلب لا في الدبر، لأنه محل الحرث. وفيه دليل على وجوب الغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم، شرط المنع الموجود وقت جريانه، الذي كان لحله شرطان، انقطاع الدم، والغتسال منه. فلما انقطع الدم، زال الشرط الأول وبقي الثاني، فلماذا قال: فإذا تطهرن أراد أن يباشر امرأته وهي حائض، أمرها أن تنزّر، فيباشرها. وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحيض حتى يطهرن أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم، زال ولا تقربوهن حتى يطهرن يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة، ينبغي تركه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا الفرج خاصة، فهذا هو المحرم إجماعا، وتخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على أن مباشرة الحائض وملاستها، في غير الوطء في الفرج جائز. لكن قوله: أذى، وإذا كان أذى، فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، ولهذا قال: فاعتزلوا النساء في المحيض أي: مكان الحيض، وهو الوطء في يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض، كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقا كما يفعله اليهود؟ فأخبر تعالى أن الحيض داخل في هذه البشارة. وفيها محبة الله للمؤمنين، ومحبة ما يسرهم، واستحباب تنشيطهم وتشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي. 223 وبشر المؤمنين لم يذكر المبشر به ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضرر، رتب على الإيمان فهو واتقوا الله أي: في جميع أحوالكم، كونوا ملازمين لتقوى الله، مستعينين بذلك لعلمكم، أنكم ملاقوه ومجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها. ثم قال: التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته، ويجامعها على وجه القربة والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم. إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم ذلك، ولعن فاعله. وقدموا لأنفسكم أي: من مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القلب، لكونه موضع الحرث، وهو الموضع الذي يكون منه الولد. وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبيح نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم

سماعه لأقوال الحالفين، وعلمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر، وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته، وأن أعمالكم ونياتكم، قد استقر علمها عنده 224 مصلحة أكبر من ذلك، فقدمت لذلك. ثم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: والله سمیع أي: لجميع الأصوات عليم بالمقاصد والنيات، ومنه ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، أنه إذا تزامنت المصالح، قدم أهمها فهنا تتميم اليمين مصلحة، وامتنال أوامر الله في هذه الأشياء، مستحب، استحباب له الحنث، ومن حلف على فعل محرم، وجب الحنث، أو على فعل مكروه استحباب الحنث، وأما المباح فينبغي فيه حفظ اليمين عن الحنث. عن أن يبروا: أن يفعلوا خيرا، أو يتقوا شرا، أو يصلحوا بين الناس، فمن حلف على ترك واجب وجب حنثه، وحرّم إقامته على يمينه، ومن حلف على ترك في كل شيء، ولكن الله تعالى استثنى من ذلك إذا كان البر باليمين، يتضمن ترك ما هو أحب إليه، فهى عبادة أن يجعلوا أيمانهم عرضة، أي: مانعة وحائلة المقصود من اليمين، والقسم تعظيم المقسم به، وتأكيّد المقسم عليه، وكان الله تعالى قد أمر بحفظ الأيمان، وكان مقتضى ذلك حفظها الأفعال. والله غفور لمن تاب إليه، حلیم بمن عصاه، حيث لم يعاجله بالعقوبة، بل حلم عنه وستر، وصفح مع قدرته عليه، وكونه بين يديه. 225 والله وكلفه على أمر ماض، يظن صدق نفسه، وإنما المؤاخدة على ما قصده القلب. وفي هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في منه ولا كسب قلب، ولكنها جرت على لسانه كقول الرجل في عرض كلامه: لا والله و بلى

حيث جعل لأيمانهم كفارة وتحلة، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك، ورحيم بهم أيضا، حيث فاءوا إلى زوجاتهم، وحنوا عليهن ورحموهن. 226 ولهذا قال: فإن فاءوا أي: رجعوا إلى ما حلفوا على تركه، وهو الوطء. فإن الله غفور يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف، بسبب رجوعهم. رحيم فإن وطئ، فلا شيء عليه إلا كفارة اليمين، وإن امتنع، أجبر على الطلاق، فإن امتنع، طلق عليه الحاكم. ولكن الفينة والرجوع إلى زوجته، أحب إلى الله تعالى، أشهر. وإن كان أبدا، أو مدة تزيد على أربعة أشهر، ضربت له مدة أربعة أشهر من يمينه، إذا طلبت زوجته ذلك، لأنه حق لها، فإذا تمت أمر بالفينة وهو الوطء، من زوجته خاصة، فإن كان لدون أربعة أشهر، فهذا مثل سائر الأيمان، إن حنث كفر، وإن أتم يمينه، فلا شيء عليه، وليس لزوجه عليه سبيل، لأنه ملكه أربعة وهذا من الأيمان الخاصة بالزوجة، في أمر خاص وهو حلف الزوج على ترك وطء زوجته مطلقا، أو مقيدا، بأقل من أربعة أشهر أو أكثر. فمن آلى من نسايتهم وعلى وجوب الوطء في كل أربعة أشهر مرة، لأنه بعد الأربعة، يجبر إما على الوطء، أو على الطلاق، ولا يكون ذلك إلا لتركه واجبا. 227 فإن الله سمیع عليم فيه وعيد وتهديد، لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المضارة والمشاقة. ويستدل بهذه الآية على أن الإيلاء، خاص بالزوجة، لقوله: على رغبتهم عنهن، وعدم إرادتهم لأزواجهم، وهذا لا يكون إلا عزمًا على الطلاق، فإن حصل هذا الحق الواجب منه مباشرة، وإلا أجبره الحاكم عليه أو قام به. وإن عزموا الطلاق أي: امتنعوا من الفينة، فكان ذلك دليلا

واللاتي لم يدخل بهن، فليس لهن عدة، والإماء، فعدتهن حيثتان، كما هو قول الصحابة رضي الله عنهم، وسياق الآيات يدل على أن المراد بها الحرة. 228 له العزة القاهرة والسلطان العظيم، الذي دانت له جميع الأشياء، ولكنه مع عزته حكيم في تصرفه. ويخرج من عموم هذه الآية، الحوامل، فعدتهن وضع الحمل، النبوة والقضاء، والإمامة الصغرى والكبرى، وسائر الولايات مختص بالرجال، وله ضعفا ما لها في كثير من الأمور، كالميراث ونحوه. والله عزيز حكيم أي: درجة أي: رفعة ورياسة، وزيادة حق عليها، كما قال تعالى: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ومنصب

تفسير السعدي

وكذلك الوطء الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق. وأما مع الشرط، فعلى شرطهما، إلا شرطاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً. وللرجال عليهن الزمان من مثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، والأشخاص والعوائد. وفي هذا دليل على أن النفقة والكسوة والمعاشرة، والمسكن، والولائم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة. ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف، وهو: العادة الجارية في ذلك البلد وذلك بل إن تراضيا على التراجع، فلا بد من عقد جديد مجتمع الشروط. ثم قال تعالى: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أبغض الحلال إلى الله الطلاق وهذا خاص في الطلاق الرجعي، وأما الطلاق البائن، فليس البعل بأحق برجعته، وهي: أنه ربما أن زوجها ندم على فراقه لها، فجعلت له هذه المدة، ليتروى بها ويقطع نظره. وهذا يدل على محبته تعالى، للألفة بين الزوجين، وكرهته للفراق، الجمهور على أنه يملك ذلك، مع التحريم، والصحيح أنه إذا لم يرد الإصلاح، لا يملك ذلك، كما هو ظاهر الآية الكريمة، وهذه حكمة أخرى في هذا التريض، إن لم يريدوا الإصلاح، فليسوا بأحق بردهن، فلا يحل لهم أن يراجعوهن، لقصد المضارة لها، وتطويل العدة عليها، وهل يملك ذلك، مع هذا القصد؟ فيه قولان. بردهن في ذلك أي: لأزواجهن ما دامت متربصة في تلك العدة، أن يردوهن إلى نكاحهن إن أرادوا إصلاحاً أي: رغبة وألفة ومودة. ومفهوم الآية أنهم وفي ذلك دليل على قبول خبر المرأة، عما تخبر به عن نفسها، من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه ثم قال تعالى: وبعولتهن أحق الكتمان منهن دليل على عدم إيمانهن بالله واليوم الآخر، وإلا فلو آمن بالله واليوم الآخر، وعرفن أنهن مجزيات عن أعمالهن، لم يصدر منهن شيء من ذلك. العدة، فيكون ذلك سفاحاً، لكونها أجنبية عنه، فلماذا قال تعالى: ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر فصدور نفقة غير واجبة عليه، بل هي سحت عليها محرمة من جهتين: من كونها لا تستحقه، ومن كونها نسبتته إلى حكم الشرع وهي كاذبة، وربما راجعها بعد انقضاء ففيه من انقطاع حق الزوج عنها، وإباحتها لغيره وما يتفرع عن ذلك من الشر، كما ذكرنا، وإن كذبت وأخبرت بعدم وجود الحيض، لتطول العدة، فتأخذ منه مع من نكاحها باطل في حقه، وفيه الإصرار على الكبيرة العظيمة، وهي الزنا لكفى بذلك شراً. وأما كتمان الحيض، بأن استعجلت وأخبرت به وهي كاذبة، توابع ذلك، من الإرث منه وله، ومن جعل أقارب الملحق به، أقارب له، وفي ذلك من الشر والفساد، ما لا يعلمه إلا رب العباد، ولو لم يكن في ذلك، إلا إقامتها ألحقته بغير أبيه، حصل من قطع الرحم والإرث، واحتجاب محارمه وأقاربه عنه، وربما تزوج ذوات محارمه، وحصل في مقابلة ذلك، إلحاقه بغير أبيه، وثبوت ذلك، من حمل أو حيض، لأن كتمان ذلك، يفضي إلى مفاصد كثيرة، فكتمان الحمل، موجب أن تلحقه بغير من هو له، رغبة فيه واستعجالاً لانقضاء العدة، فإذا علم أنه ليس في رحمها حمل، فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب، ولهذا أوجب تعالى عليهن الإخبار عن ما خلق الله في أرحامهن وحرم عليهن، كتمان أطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك، مع أن الصحيح أن القرء، الحيض، ولهذه العدة عدة حكم، منها: العلم ببراءة الرحم، إذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء، أي: النساء اللاتي طلقهن أزواجهن يتربصن بأنفسهن أي: ينتظرن ويعتددن مدة ثلاثة قروء أي: حيض، أو الخلق، فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة، وحقوق العباد، لا يترك الله منها شيئاً، والظلم الذي بين العبد وربّه فيما دون الشرك، تحت المشيئة والحكمة 229 منه إلى الحرام، فلم يسعه ما أحل الله؟ والظلم ثلاثة أقسام: ظلم العبد فيما بينه وبين الله، وظلم العبد الأكبر الذي هو الشرك، وظلم العبد فيما بينه وبين حدود الله أي: أحكامه التي شرعها لكم، وأمر بالوقوف معها، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأي ظلم أعظم ممن اقتحم الحلال، وتعدى فيما افتدت به لأنه عوض لتحصيل مقصودها من الفرقة، وفي هذا مشروعية الخلع، إذا وجدت هذه الحكمة. تلك أي ما تقدم من الأحكام الشرعية المخالعة بالمعروف، بأن كرهت الزوجة زوجها، لخلقه أو خلقه أو نقص دينه، وخافت أن لا تطيع الله فيه، فإن خفت ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما شيئا من مالها، لأنه ظلم، وأخذ للمال في غير مقابلة بشيء، فلماذا قال: ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله وهي أي: عشرة حسنة، ويجري مجرى أمثاله مع زوجاتهم، وهذا هو الأرجح، وإلا يسرحها ويفارقها بإحسان ومن الإحسان، أن لا يأخذ على فراقه لها لذلك، لأن من زاد على الثنتين، فإما متجري على المحرم، أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده المضارة، فلماذا أمر تعالى الزوج، أن يمسك زوجته بمعروف أن الطلاق أي: الذي تحصل به الرجعة مرتان ليتمكن الزوج إن لم يرد المضارة من ارتجاعها، ويراجع رأيه في هذه المدة، وأما ما فوقها، فليس محلاً فكان إذا أراد مضارتها، طلقها، فإذا شارفت انقضاء عدتها، راجعها، ثم طلقها صنع بها مثل ذلك أبداً، فيحصل عليها من الضر ما الله به عليم، فأخبر تعالى كان الطلاق في الجاهلية، واستمر أول الإسلام، يطلق الرجل زوجته بلا نهاية،

فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها 23 خلافاً للمعتزلة، وفيها أيضاً، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: أعدت للكافرين فلو كان عصاة الموحدين يخلدون تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وفي قوله: أعدت للكافرين ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسراء، فقال: سبحان الذي أسرى بعبده وفي مقام الإنزال، فقال: مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق. وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه صلى الله عليه وسلم، قيامه ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه. وكذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق، بل هو معرض غير هو الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقاً في طلب الحق. وأما المعاند الذي يعرف الحق هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلاء، ظهر له الفرق العظيم. وفي قوله: وإن كنتم في ريب مما نزلنا من البينات، دليل على أن الذي يرجو له الهداية من الضلالة: الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من كل الوجوه؟ هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن

تفسير السعدي

لبعض ظهيرا وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل، التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم بالخطب، وهذه النار الموصوفة معدة ومهيأة للكافرين بالله ورسله. فاحذروا الكفر برسوله، بعد ما تبين لكم أنه رسول الله. وهذه الآية ونحوها يسمونها آيات ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدة، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى، ودليل واضح جلي على صدقه وصدق أمر يسير عليكم، خصوصا وأنتم أهل الفصاحة والخطابة، والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهادكم، فإن هذا أمر نصف، فيه الفصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم ما جاء به، فقال: وإن كنتم معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فها هنا وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحة

تعالى جعل تبيينه لحدوده، خاصا بهم، وأنهم المقصودون بذلك، وفيه أن الله تعالى يحب من عباده، معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه بها. 230 شرائعه التي حددها وبينها ووضحها. يبينها لقوم يعلمون لأنهم هم المنتفعون بها، النافعون لغيرهم. وفي هذا من فضيلة أهل العلم، ما لا يخفى، لأن الله والكبار، نظر في نفسه، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، ووثق بها، أقدم، وإلا أحجم. ولما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة قال: وتلك حدود الله أي: فيها أمر الله، ويسلك بها طاعته، لم يحل الإقدام عليها. وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان، إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور، خصوصا الولايات، الصغار، إن لم يظن أن يقيما حدود الله، بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية، والعشرة السيئة غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحا، لأن جميع الأمور، إن لم يقيم صاحبه، وذلك إذا ندما على عشرينهما السابقة الموجبة للفراق، وعزما أن يبدلها بعشرة حسنة، فهنا لا جناح عليهما في التراجع. ومفهوم الآية الكريمة، أنهما عقدا جديدا بينهما، لإضافته التراجع إليهما، فدل على اعتبار التراضي. ولكن يشترط في التراجع أن يظن أن يقيما حدود الله بأن يقوم كل منهما، بحق لأنه ليس بزواج، فإذا تزوجها الثاني راغبا ووطنها، ثم فارقها وانقضت عدتها فلا جناح عليهما أي: على الزوج الأول والزوجة أن يتراجعا أي: يجدا فيه العقد والوطء، وهذا بالاتفاق. ويشترط أن يكون نكاح الثاني، نكاح رغبة، فإن قصد به تحليلها للأول، فليس بنكاح، ولا يفيد التحليل، ولا يفيد وطء السيد، فإن طلقها أي: الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره أي: نكاحا صحيحا ويطؤها، لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحا، ويدخل يقول تعالى:

أن الله بكل شيء عليم فهذا بين لكم هذه الأحكام بغاية الإحكام والإتقان التي هي جارية مع المصالح في كل زمان ومكان، فله الحمد والمنة. 231 أو الترهيب، فالحكم به، يزول الجهل، والحكمة مع الترغيب، يوجب الرغبة، والحكمة مع الترهيب يوجب الرهبة. واتقوا الله في جميع أموركم واعلموا صحيح، ولهذا قال يعظكم به أي: بما أنزل عليكم، وهذا مما يقوي أن المراد بالحكمة، أسرار الشريعة، لأن الموعظة ببيان الحكم والحكمة، والترغيب، وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون. وقيل: المراد بالحكمة أسرار الشريعة، فالكتاب فيه، الحكم، والحكمة فيها، بيان حكمة الله في أوامره ونواهيه، وكلا المعنيين عليكم من الكتاب والحكمة أي: السنة اللذين بين لكم بهما طرق الخير ورغبكم فيها، وطرق الشر وحذركم إياها، وعرفكم أنفسه ووقائعه في أوليائه وأعدائه، رفقا به وسعيا في مصلحته. واذكروا نعمة الله عليكم عموما باللسان ثناء وحما، وبالقلب اعترافا وإقرارا، وبالأركان بصرفها في طاعة الله، وما أنزل عليها، وعدم الامتنال لواجبها، مثل استعمال المضارة في الإمساك، أو الفراق، أو كثرة الطلاق، أو جمع الثلاث، والله من رحمته جعل له واحدة بعد واحدة، العلم بها والعمل، والوقوف معها، وعدم مجاوزتها، لأنه تعالى لم ينزلها عبثا، بل أنزلها بالحق والصدق والجد، نهى عن اتخاذها هزوا، أي: لعبا بها، وهو التجرؤ ظلم نفسه ولو كان الحق يعود للمخلوق فالضرر عائد إلى من أراد الضرر. ولا تتخذوا آيات الله هزوا لما بين تعالى حدوده غاية التبيين، وكان المقصود، ولا تمسكوهن ضرارا أي: مضارة بهن لتعتدوا في فعلكم هذا الحلال، إلى الحرام، فالحلال: الإمساك بمعروف والحرام: المضارة، ومن يفعل ذلك فقد انقضت عدتهن. فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أي: إما أن تراجعوهن، ونيتكم القيام بحقوقهن، أو تتركوهن بلا رجعة ولا إضرار، ولهذا قال: ثم قال تعالى: وإذا طلقتم النساء أي: طلاقا رجعيا بواحدة أو ثنتين. فبلغن أجلهن أي: قاربن

وغيره. وفي هذه الآية، دليل على أنه لا بد من الولي في النكاح، لأنه نهى الأولياء عن العضل، ولا ينهاهم إلا عن أمر، هو تحت تدبيرهم ولهم فيه حق. 232 أن المصلحة في عدم تزويجه، فإله يعلم وأنتم لا تعلمون فامتثلوا أمر من هو عالم بمصالحكم، مرید لها، قادر عليها، ميسر لها من الوجه الذي تعرفون لكم وأظهر وأطيب مما يظن الولي أن عدم تزويجه هو الرأي: واللائق وأنه يقابل بطلاقه الأول بعدم التزويج له كما هو عادة المترفعين المتكبرين. فإن كان يظن من التزوج به حنقا عليه وغضا واشمئزا لما فعل من الطلاق الأول. وذكر أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإيمانه يمنعه من العضل، فإن ذلك أركى لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث إذا خرجت من العدة، وأراد زوجها أن ينكحها، ورضيت بذلك، فلا يجوز لوليها، من أب وغيره أن يعضلها أي: يمنعها هذا خطاب

غير وجه المضارة فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتن بالمعروف أي: للمرضعات، والله بما تعملون بصير فمجازيكم على ذلك بالخير والشر. 233 أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل، أنه لا يجوز فطامه. وقوله: وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم أي: تطلبوا لهم المراضع غير أمهاتهم على

تفسير السعدي

فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبي أم لا؟ فإن كان مصلحة ورضيا فلا جناح عليهما في فطامه قبل الحولين، فدلّت الآية بمفهومها، على أنه إن رضي على القريب الوارث الموسر، فإن أراد أي: الأبوان فصلا أي: فطام الصبي قبل الحولين، عن تراض منهما بأن يكونا راضيين وتشاورا ذلك أي: على وارث الطفل إذا عدم الأب، وكان الطفل ليس له مال، مثل ما على الأب من النفقة للرضع والكسوة، فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين، قوله: مولود له أن الولد لأبيه، لأنه موهوب له، ولأنه من كسبه، فلذلك جاز له الأخذ من ماله، رضي أو لم يرض، بخلاف الأم. وقوله: وعلى الوارث مثل النفقة، والكسوة أو الأجرة، ولا مولود له بولده بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له، أو تطلب زيادة عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع الضرر. ودل بالنفقة حتى يجد، لا تضار والدته بولدها ولا مولود له بولده أي: لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها، إما أن تمتنع من إرضاعه، أو لا تعطى ما يجب لها من لا يجب لها أجرة، غير النفقة والكسوة، وكل بحسب حاله، فهذا قال: لا تكلف نفس إلا وسعها فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئا وهذا شامل لما إذا كانت في حباله أو مطلقة، فإن على الأب رزقها، أي: نفقتها وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع. ودل هذا، على أنها إذا كانت في حباله، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأنه يمكن وجود الولد بها. وعلى المولود له أي: الأب رزقهن وكسوتهن بالمعروف حولان، فقد تم رضاعه وصار اللبن بعد ذلك، بمنزلة سائر الأغذية، فهذا كان الرضاع بعد الحولين، غير معتبر، لا يحرم. ويؤخذ من هذا النص، ومن قوله تعالى: إلى أمر بأن يرضعن أولادهن حولين ولما كان الحول، يطلق على الكامل، وعلى معظم الحول قال: كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فإذا تم للرضيع هذا خبر بمعنى الأمر، تنزيلا له منزلة المتقرر، الذي لا يحتاج

فيما فعلن في أنفسهن دليل على أن الولي ينظر على المرأة، ويمنعها مما لا يجوز فعله ويجبرها على ما يجب، وأنه مخاطب بذلك، واجب عليه. 234 بين العلماء. والله بما تعملون خبير أي: عالم بأعمالكم، ظاهرها وباطنها، جليلها وخفيها، فمجازيكم عليها. وفي خطابه للأولياء بقوله: فلا جناح عليكم أي: على وجه غير محرم ولا مكروه. وفي هذا وجوب الإحدا مدة العدة، على المتوفى عنها زوجها، دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه وخمسة أيام. وقوله: فإذا بلغن أجلهن أي: انقضت عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن أي: من مراجعتها للزينة والطيب، بالمعروف ويتحرك في ابتدائه في الشهر الخامس، وهذا العام مخصوص بالحوامل، فإن عدتهن بوضع الحمل، وكذلك الأمة، عدتها على النصف من عدة الحرة، شهران أي: إذا توفي الزوج، مكثت زوجته، متربصة أربعة أشهر وعشرة أيام وجوبا، والحكمة في ذلك، ليتبين الحمل في مدة الأربعة،

واعلموا أن الله غفور لمن صدرت منه الذنوب، فتأب منها، ورجع إلى ربه حليم حيث لم يعاجل العاصين على معاصيهم، مع قدرته عليهم. 235 يحل حتى يبلغ الكتاب أجله أي: تنقضي العدة. واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم أي: فانووا الخير، ولا تنووا الشر، خوفا من عقابه ورجاء لثوابه. من هي في عدتها، إذا انقضت، ولهذا قال: أو أكنتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن هذا التفصيل كله في مقدمات العقد. وأما عقد النكاح فلا أحب أن تشاوريني عند انقضاء عدتك، ونحو ذلك، فهذا جائز لأنه ليس بمنزلة الصريح، وفي النفوس داع قوي إليه. وكذلك إضمار الإنسان في نفسه أن يتزوج لحق زوجها الأول، بعدم مواعدها لغيره مدة عدتها. وأما التعريض، وهو الذي يحتمل النكاح وغيره، فهو جائز للبان كأن يقول لها: إنني أريد التزوج، وإنني أن التصريح، لا يحتمل غير النكاح، فلها حرم، خوفا من استعجالها، وكذبها في انقضاء عدتها، رغبة في النكاح، ففيه دلالة على منع وسائل المحرم، وقضاء فيحرم على غير مبينها أن يصرح لها في الخطبة، وهو المراد بقوله: ولكن لا تواعدهن سرا وأما التعريض، فقد أسقط تعالى فيه الجناح. والفرق بينهما: هذا حكم المعتدة من وفاة، أو المبانة في الحياة،

الحكم الإلهي، وأدله على حكمة شارع ورحمته ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ فهذا حكم المطلقات قبل المسيس وقيل فرض المهر. 236 ليس لهم أن يبخسوهن. فكما تسببوا لتشوفهن واشتياقهن، وتعلق قلوبهن، ثم لم يعطوهن ما رغبن فيه، فعليهن في مقابلة ذلك المتعة. فله ما أحسن هذا المقتر أي: المعسر قدره وهذا يرجع إلى العرف، وأنه يختلف باختلاف الأحوال ولهذا قال: متاعا بالمعروف فهذا حق واجب على المحسنين وفرض المهر، وإن كان في ذلك كسر لها، فإنه يجبر بالمتعة، فعليكم أن تمتعوهن بأن تعطوهن شيئا من المال، جبرا لخواطرن. على الموسع قدره وعلى أي: ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح وإثم، بتطليق النساء قبل المسيس،

في بعض الأوقات، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم، ولهذا قال: إن الله بما تعملون بصير. 237 وإعطاء الواجب. وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، لكونه غير مالك ولا وكيل. ثم رغب في العفو، وأن من عفا، كان أقرب لتقواه، لكونه إحسانا موجبا لشرح الصدر، ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من إذا كان يصح عفوها، أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج على الصحيح لأنه الذي بيده حل عقدته؛ ولأن الولي لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة، قبل المسيس، وبعد فرض المهر، فللمطلقات من المهر المفروض نصفه، ولكم نصفه. هذا هو الواجب ما لم يدخله عفو ومسامحة، بأن تعفو عن نصفها لزوجها، أي: إذا طلقتم النساء

كما أمر بقوله وقوموا لله قانتين أي: ذليلين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوت والنهي عن الكلام، والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة. 238 وجميع ما لها من واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتقيد النهي عن الفحشاء والمنكر خصوصا إذا أكملها

تفسير السعدي

يأمر بالمحافظة على الصلوات عموماً وعلى الصلاة الوسطى، وهي العصر خصوصاً، والمحافظة عليها أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها

وتماها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون فإنها نعمة عظيمة ومنة جسيمة، تقتضي مقابلتها بالذكر والشكر ليبقي نعمته عليكم ويزيدكم عليها. 239
بل أوجب من صلاتها مطمئناً خارج الوقت فإذا أمنتكم أي: زال الخوف عنكم فاذكروا الله وهذا يشمل جميع أنواع الذكر ومنه الصلاة على كمالها
أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط، وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها ولو في هذه الحالة الشديدة، فصلاها على تلك الصورة أحسن وأفضل
أو ركبانا على الخيل والإبل وغيرها، ويلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلية وغير مستقبليها، وفي هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها حيث
منه ليشمل الخوف من كافر وظالم وسبع، وغير ذلك من أنواع المخاوف، أي: إن خفتكم بصلاتكم على تلك الصفة فصلوها رجالاً أي: ماشين على أقدامكم،
فإن خفتكم لم يذكر ما يخاف

فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها 24
خلافاً للمعتزلة، وفيها أيضاً، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: أعدت للكافرين فلو كان عصاة الموحدين يخلدون
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وفي قوله: أعدت للكافرين ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان
بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسرائاء، فقال: سبحانه الذي أسرى بعبده وفي مقام الإنزال، فقال:
مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق. وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه صلى الله عليه وسلم، قيامه
ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه. وكذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق، بل هو معرض غير
هو الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقا في طلب الحق. وأما المعاند الذي يعرف الحق
هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلاء، ظهر له الفرق العظيم. وفي قوله: وإن كنتم في ريب إلى آخره، دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة:
الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من كل الوجوه؟ هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن
لبعض ظهيرا وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل،
التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بهذا القرآن، قال تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدة ومهيأة للكافرين بالله ورسله. فاحذروا الكفر برسوله، بعد ما تبين لكم أنه رسول الله. وهذه الآية ونحوها يسمونها آيات
ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدة، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تنقد
وعجزت غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى، ودليل واضح جلي على صدقه وصدق
أمر يسير عليكم، خصوصا وأنتم أهل الفصاحة والخطابة، والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله
أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهادكم، فإن هذا
أمر نصف، فيه الفصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم
ما جاء به، فقال: وإن كنتم معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فها هنا
وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحة

للزوجة، والدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفى الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل تكميل الحول، فلو كان لزوم المسكن واجبا لم ينف الحرج عنهم. 240
وعشرا وقيل لم تنسخها بل الآية الأولى دلت على أن أربعة أشهر وعشر واجبة، وما زاد على ذلك فهي مستحبة ينبغي فعلها تكميلا لحق الزوج، ومراعاة
الزينة والطيب ونحو ذلك وأكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة بما قبلها وهي قوله: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر
سنة لا يخرجن منها فإن خرجن من أنفسهن فلا جناح عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم أي: من مراجعة
أي: الأزواج الذين يموتون ويتركون خلفهم أزواجا فعليهم أن يوصوا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج أي: يوصون أن يلزم من بيوتهم مدة
كل مطلقة احتججا بعموم هذه الآية، ولكن القاعدة أن المطلق محمول على المقيد، وتقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والمسييس خاصة. 241
لبعض حقوقها، وهذه المتعة واجبة على من طلقت قبل المسييس، والفرض سنة في حق غيرها كما تقدم، هذا أحسن ما قيل فيها، وقيل إن المتعة واجبة على
أي: لكل مطلقة متاع بالمعروف حقا على كل متق، جبرا لخطرها وأداء

حدوده، وحلاله وحرامه والأحكام النافعة لكم، لعلكم تعقلونها فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها، ثم قال تعالى: 242
ولما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على الحكمة والرحمة امتن بها على عباده فقال: كذلك يبين الله لكم آياته أي:

فلا تزيدهم النعمة شكرا، بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه، وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقر بها ويصرفها في طاعة المنعم. 243
أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفاً وحلماً، وبيانا لآياته لخلقهم بإحياء الموتى، ولهذا قال: إن الله لذو فضل أي: عظيم على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون
غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغني حذر عن قدر، فقال الله لهم موتوا فماتوا ثم إن الله تعالى أحياهم إما بدعوة نبي
يقص تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم، بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو

تفسير السعدي

السابقة توطئة لهذا الأمر، فكما لم ينفذ الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم، بل أتاها ما حذروا من غير أن يحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك. 244 نياتكم واقتصدوا بذلك وجه الله، واعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئا، ولو ظننتم أن في القعود حياتكم وبقاءكم، فليس الأمر كذلك، ولهذا ذكر القصة أمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، فقال: وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم أي: فأحسنوا ثم

الأمر بالقتال والنفقة في سبيل الله، وذكر الأسباب الداعية لذلك الحادثة عليه، من تسميته قرضا، ومضاعفته، وأن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون. 245 دليل على أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر، وخصوصا الأسباب التي تترك بها أوامر الله. وفيها: الآية العظيمة بإحياء الموتى أعيانا في هذه الدار. وفيها: ذلك للإنفاق غير ضائع على أهله، بل لهم يوم يجدون ما قدموه كاملا موفرا مضاعفا، فهذا قال: وإليه ترجعون فيجازيكم بأعمالكم. ففي هذه الآيات ويبسط أي: يوسع الرزق على من يشاء ويقبضه ممن يشاء، فالتصرف كله بيديه ومدار الأمور راجع إليه، فالإمساك لا يبسط الرزق، والإنفاق لا يقبضه، ومع أضعاف كثيرة، بحسب حالة المنفق، ونيتة ونفع نفقته والحاجة إليها، ولما كان الإنسان ربما توهم أنه إذا أنفق افتقر دفع تعالى هذا الوهم بقوله: والله يقبض الخيرات، خصوصا في الجهاد، والحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى، فيضاعفه له أضعافا كثيرة الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلى الأموال في ذلك، أمر تعالى بالإنفاق في سبيله ورغب فيه، وسماه قرضا فقال: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فينفق ما تيسر من أمواله في طرق ولما كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة وبذل

ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا شرف الدنيا والآخرة، وأما أكثرهم فظلموا أنفسهم وتركوا أمر الله، فلماذا قال: والله عليم بالظالمين - 246 وضعفوا عن المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه، واستولى على أكثرهم الخور والجبن إلا قليلا منهم فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله مع أنه فرض علينا وقد حصل ما حصل، ولهذا لما لم تكن نياتهم حسنة ولم يقو تولكلهم على ربهم فلما كتب عليهم القتال تولوا فجنبوا عن قتال الأعداء من ديارنا وأبنائنا أي: أي شيء يمنعنا من القتال وقد أجبنا إليه، بأن أخرجنا من أوطاننا وسببت ذرارينا، فهذا موجب لكوننا نقاتل ولو لم يكتب علينا، فكيف شيئا وهو إذا كتب عليكم لا تقومون به، فعرض عليهم العافية فلم يقبلوها، واعتمدوا على عزمهم ونيتهم، فقالوا: وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا تسوسهم، كلما مات نبي خلفه نبي آخر، فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة قال لهم نبيهم هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا أي: لعلمكم تطلبون كل بيت لا يرضى أن يكون من البيت الآخر رئيس، فالتمسوا من نبيهم تعيين ملك يرضي الطرفين ويكون تعيينه خاصا لعوائدهم، وكانت أنبياء بني إسرائيل لنا ملوكا نقاتل في سبيل الله ليجتمع متفرقنا ويقاوم بنا عدونا، ولعلمهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم، كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت، الذين يبحثون عن مصالحهم ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه، وذلك أنهم أتوا إلى نبي لهم بعد موسى عليه السلام فقالوا له ابعت لنا ملكا أي: عين يقص تعالى على نبيه قصة الملأ من بني إسرائيل وهم الأشراف والرؤساء، وخص الملأ بالذكر، لأنهم في العادة هم

ما في قلوبهم من كل ريب وشك وشبهة لتبينه أن أسباب الملك متوفرة فيه، وأن فضل الله يؤتية من يشاء من عباده، ليس له راد، ولا لإحسانه صاد. 247 كثير الكرم، لا يخص برحمته وبره العام أحدا عن أحد، ولا شريفا عن وضع، ولكنه مع ذلك عليم بمن يستحق الفضل فيضعه فيه، فأزال بهذا الكلام خرق ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالما بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفذه الرأي الذي لا ينفذه شيئا والله واسع الفضل على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاتته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك الانقياد لذلك وزاده بسطة في العلم والجسم أي: فضله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي لشرف النسب وكثرة المال، ولم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقديم مقدمة عليها، فلماذا قال لهم نبيهم: إن الله اصطفاه عليكم فلزمكم ونحن أحق بالملك منه. ومع هذا فهو فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال، وهذا بناء منهم على ظن فاسد، وهو أن الملك ونحوه من الولايات مستلزم أبوا إلا أن يعترضوا، فقالوا: أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال أي: كيف يكون ملكا وهو دوننا في الشرف والنسب وقال لهم نبيهم مجيبا لطلبهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا فكان هذا تعيينا من الله الواجب عليهم فيه القبول والانقياد وترك الاعتراض، ولكن والله عليم بالظالمين

ذلك التابوت سكنة تسكن بها قلوبهم، وتطمئن لها خواطرهم، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فأثت به الملائكة حاملة له وهم يرونه عيانا. 248 ثم ذكر لهم نبيهم أيضا آية حسية يشاهدونها وهي إتيان التابوت الذي قد فقدوه زمانا طويلا وفي

القلة مع نصره، والله مع الصابرين بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله، فوقع موعظته في قلوبهم وأثرت معهم. 249 فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله أي: بإرادته ومشينته فالأمر لله تعالى، والعزيز من أعزه الله، والدليل من أذله الله، فلا تغني الكثرة مع خذلانه، ولا تضر يظنون أنهم ملاقوا الله أي: يستيقنون ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم ومطمئنين لخواطرهم، وأمريين لهم بالصبر كم من النهر الشرب المنهي عنه فأروا... قتلهم وكثرة أعدائهم، قالوا أي: قال كثير منهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وعددهم وعددهم قال الذين صبر لقتلهم وكثرة عدوهم، فلماذا قال تعالى: فلما جاوزه أي: النهر هو أي: طالوت والذين آمنوا معه وهم الذين أطاعوا أمر الله ولم يشربوا من وتحصل فيه المشقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلوا على الله، وتضرعا واستكانة وتبرؤا من حولهم وقوتهم، وزيادة

تفسير السعدي

عنه، ورجعوا على أعقابهم ونكصوا عن قتال عدوهم وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتطاول ولعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه، وفي هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان، فعصى أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهي فهو عاص ولا يتبعنا لعدم صبره وثباته ولمعصيته ومن لم يطعمه أي: لم يشرب منه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فلا جناح عليه في ذلك، بني إسرائيل وكانوا عددا كثيرا وجما غفيرا، امتحنهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن ممن ليس كذلك فقال: إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني أي: لما تملك طالوت ببني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم، فلما فصل طالوت بجنود

للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشري عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا منهم 25 الأسباب. وفيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائنها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه والسبب الموصل لذلك، هو الإيمان والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة، إلا بهما، وهذا أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قام مقامه من أمته، والمبشر: هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمبشر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، طرفهن على أزواجهن، وقاصرات أسنتهن عن كل كلام قبيح. ففي هذه الآية الكريمة، ذكر المبشر والمبشر، والمبشر به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشر: والرائحة الكريهة، ومطهرات الخلق أيضا، بكمال الجمال، فليس فيهن عيب، ولا دمامة خلق، بل هن خيرات حسان، مطهرات اللسان والطرف، قاصرات إلى أزواجهن بالخلق الحسن، وحسن التبعل، والأدب القولي والفعل، ومطهر خلقهن من الحيض والنفاس والمني، والبول والغائط، والمخاط والبصاق، من العيب الفلاني ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق، مطهرات اللسان، مطهرات الأبصار، فأخلاقهن، أنهن عرب متحبات وأقواتهم من الطعام والشراب وفواكههم، ذكر أزواجهم، فوصفهن بأكمل وصف وأوجزه، وأوضحه فقال: ولهم فيها أزواج مطهرة فلم يقل مطهرة مختلف الطعوم وقيل: متشابهة في اللون، مختلفا في الاسم، وقيل: يشبه بعضه بعضا، في الحسن، واللذة، والفكاكة، ولعل هذا الصحيح ثم لما ذكر مسكنهم، في الحسن واللذة، ليس فيها ثمرة خاصة، وليس لهم وقت خال من اللذة، فهم دائما متلذذون بأكملها. وقوله: وأتوا به متشابهة قيل: متشابهة في الاسم، وتشرب منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار. كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أي: هذا من جنسه، وعلى وصفه، كلها متشابهة جنة يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها. تجري من تحتها الأنهار أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، الرحمن في جنته. فبشرهم أن لهم جنات أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيقة، والظل المديد، والأغصان والأفنان وبذلك صارت بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودنياه، وحياته الدنيوية والأخروية، ويزول بها عنه فساد الأحوال، فيكون بذلك من الصالحين، الذين يصلحون لمجاورة ومن قام مقامه الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة. ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن الأعمال الصالحات، على طريقته تعالى في القرآن يجمع بين الترغيب والترهيب، ليكون العبد راغبا راهبا، خائفا راجيا فقال: وبشر أي: يا أيها الرسول لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين، أهل

وجنوده قالوا جميعهم ربنا أفرغ علينا صبرا أي: قو قلوبنا، وأوزعنا الصبر، وثبت أقدامنا عن التزلزل والفرار، وانصرنا على القوم الكافرين. 250 ولهذا لما برزوا لجالوت

الله ذو فضل على العالمين حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ومكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها، وأسباب لا يعلمونها. 251 بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالب الكفار لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وإقامتهم شعائر الكفر ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه ولكن وهذا كله من آثار الجهاد في سبيله، فلو لم يكن لم يحصل ذلك فلماذا قال تعالى: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض أي: لولا أنه يدفع كان من قبله من الأنبياء يكون الملك لغيرهم، فلما نصرهم الله تعالى اطمأنوا في ديارهم وعبدوا الله آمين مطمئنين لخدلان أعدائهم وتمكينهم من الأرض، المشتتة على الشرع العظيم والصراط المستقيم، ولهذا قال وعلمه مما يشاء من العلوم الشرعية والعلوم السياسية، فجمع الله له الملك والنبوة، وقد ملك الكفار بيده لشجاعته وقوته وصبره وآتاه الله أي: أتى الله داود الملك والحكمة أي: من عليه بتملكه على بني إسرائيل مع الحكمة، وهي النبوة الدعاء لإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك، ونصرهم عليهم فهزمهم بإذن الله وقتل داود عليه السلام، وكان مع جنود طالوت، جالوت أي: باشر قتل من هاهنا نعلم أن جالوت وجنوده كانوا كفارا، فاستجاب الله لهم ذلك

وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين المقاتلين، وأنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها، ثم قال تعالى: 252 وتمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والصابر من الجبان، وأنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط وعدم التمييز. ومنها: أن من رحمته قوله: ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم بإذن الله ومنها: أن من حكمة الله تعالى فالأول كما في قولهم لنبيهم وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فكأنه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا، والثاني في الولايات، وبفقدما أو فقد أحدهما نقصانها وضررها. ومنها: أن الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان، والاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر، لهؤلاء، لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع وزوال الشبه والريب. ومنها: أن العلم والرأي: مع القوة المنفذة بهما كمال به كلمتهم ويلم متفرقهم، وتحصل له الطاعة منهم، ومنها: أن الحق كلما عورض وأوردت عليه الشبه ازداد وضوحا وتميز وحصل به اليقين التام كما جرى الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه، ثم العمل به، أكبر سبب لارتقائهم وحصول مقصودهم، كما وقع لهؤلاء المأ حين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع

تفسير السعدي

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وفي هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الأبواب، فمنها: أن اجتماع أهل الكلمة والحل والعقد وبحثهم في لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه من عنده شيء من هذه الأمور، فدل أنه رسول الله حقا ونبيه صدقا الذي بعثه بالحق ودين الحق وإنك لمن المرسلين فهذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من أخبار الأمم السالفين والأنبياء وأتباعهم وأعدائهم التي ثم قال تعالى: تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق أي: بالصدق الذي لا ريب فيها المتضمن للاعتبار والاستبصار وبيان حقائق الأمور

ومن لم يؤمن بهم فهو كافر، ومن قدح في واحد منهم أو سبه فهو كافر يتحتم قتله، ودلائل هذه الجمل كثيرة، من تدبر القرآن تبين له الحق 253 كذب وخيانة وكتمان وغيوب مزرية، وأنهم لا يقررون على خطأ فيما يتعلق بالرسالة والتكليف، وأن الله تعالى خصهم بوحيه، فلماذا وجب الإيمان بهم وطاعتهم لا من أهل البوادي، وأنهم مصطفون مختارون، جمع الله لهم من الصفات الحميدة ما به الاصطفاء والاختيار، وأنهم سالمون من كل ما يقدر في رسالتهم من معرفته برسله، ما يجب لهم ويمتنع عليهم ويجوز في حقهم، ويؤخذ جميع ذلك مما وصفهم الله به في آيات متعددة، منها: أنهم رجال لا نساء، من أهل القرى صلى الله عليه وسلم من الاستواء والنزول والأقوال، والأفعال التي يعبرون عنها بالأفعال الاختيارية. فائدة: كما يجب على المكلف معرفته بربه، فيجب عليه نافذة، وفي هذا ونحوه دلالة على أن الله تعالى لم يزل يفعل ما اقتضته مشيئته وحكمته، ومن جملة ما يفعله ما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله وإنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة، فإذا وجدت اضمحل كل سبب، وزال كل موجب، فلماذا قال ولكن الله يفعل ما يريد فأرادته غالبية ومشيئته فكان موجب هذا الاختلاف التفرق والمعاداة والمقاتلة، ومع هذا فلو شاء الله بعد هذا الاختلاف ما اقتتلوا، فدل ذلك على أن مشيئة الله نافذة غالبية للأسباب، أحواله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات الموجبة للاجتماع على الإيمان ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ألقاها إلى مريم وروح منه وأيدناه بروح القدس أي: بالإيمان واليقين الذي أيد به الله وقواه على ما أمر به، وقيل أيد به بجبريل عليه السلام يلازمه في ما تفرق في غيره، وجمع الله له من المناقب ما فاق به الأولين والآخرين وأتينا عيسى ابن مريم البينات الدالات على نبوته وأنه عبد الله ورسوله وكلمته العام، فمنهم من كلمه الله كموسى بن عمران خصه بالكلام، ومنهم من رفعه على سائرهم درجات كنبينا صلى الله عليه وسلم الذي اجتمع فيه من الفضائل سائر الناس بإيحائه وإرسالهم إلى الناس، ودعائهم الخلق إلى الله، ثم فضل بعضهم على بعض بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة والأفعال السديدة والنفع يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض بما خصهم من بين

مثله، فلماذا قال تعالى: والكافرون هم الظالمون وهذا من باب الحصر، أي: الذين ثبت لهم الظلم التام، كما قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم 254 من حق الله وحق عباده وتعدوا الحلال إلى الحرام، وأعظم أنواع الظلم الكفر بالله الذي هو وضع العبادة التي يتعين أن تكون لله فيصرفها الكافر إلى مخلوق صديق لا بوجهة ولا بشفاعه، وهو اليوم الذي يخسر المبتلون ويحصل الخزي على الظالمين، وهم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه، فتركوا الواجب العاملون إلى مثقال ذرة من الخير، فلا بيع فيه ولو افتدى الإنسان نفسه بملء الأرض ذهبا ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه، ولم ينفعه خليل ولا وهذا من لطف الله بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله، من صدقة واجبة ومستحبة، ليكون لهم ذخرا وأجرا موفرا في يوم يحتاج فيه

وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا، ثم قال تعالى: 255 هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء، فقد اشتملت يؤوده أي: يثقله حفظهما وهو العلي بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته العظيم الذي تتضائل عند عظمتها بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب، فلماذا قال: ولا هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف عظمت وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى، ولهذا قال: ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض وهذا يدل على كمال وما خلفهم أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن، ثم قال يعلم ما بين أيديهم أي: ما مضى من جميع الأمور ولا في الأرض فلماذا قال: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم وما في الأرض أي: هو المالك وما سواه مملوك وهو الخالق الرازق المدبر وغيره مخلوق مرزوق مدبر لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميته أن لا تأخذه سنة ولا نوم والسنة النعاس له ما في السماوات من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري، ولهذا قال بعض المحققين: إنهما والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي أتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع تعالى باطل، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقا ناقصا مدبرا فقيرا من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئا من أنواع العبادة، وقوله: الحي القيوم العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقا أن يكون عبدا لربه، ممتثلا لأوامره مجتنباً نواهيه، وكل ما سوى الله

تفسير السعدي

نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن لا إله إلا هو أي: لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلماذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحا ومساء وعند هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك

والله سميع عليم فيجازي كلا منهما بحسب ما علمه منهم من الخير والشر، وهذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقى ولمن لم يستمسك بها. 256 انفصام لها وأما من عكس القضية فكفر بالله وآمن بالطاغوت، فقد أطلق هذه العروة الوثقى التي بها العصمة والنجاة، واستمسك بكل باطل ماله إلى الجحيم بالعروة الوثقى أي: بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه، وكان المتمسك به على ثقة من أمره، لكونه استمسك بالعروة الوثقى التي لا هو قول كثير من العلماء، فمن يكفر بالطاغوت فيترك عبادة ما سوى الله وطاعة الشيطان، ويؤمن بالله إيمانا تاما أوجب له عبادة ربه وطاعته فقد استمسك الحق، وأما القتال وعدمه فلم تتعرض له، وإنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر، ولكن يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما ليس إيمانه صحيحا، ولا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين، وإنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجب لقبوله لكل منصف قصد اتباع خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس له حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طريقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه أثره واختاره، وأما من كان سبي القصد فاسد الإرادة، إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة آثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة

وفاتهم النعيم والبهجة والمسرات، وكانوا من حزب الشيطان وأوليائه في دار الحسرة، فلماذا قال تعالى: أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 257 أزا، ويزعجونهم إلى الشر إزعاجا، فيخرجونهم من نور الإيمان والعلم والطاعة إلى ظلمة الكفر والجهل والمعاصي، فكان جزاؤهم على ذلك أن حرّموا الخيرات، الطاغوت فتولوا الشيطان وحزبه، واتخذوه من دون الله وليا ووالوه وتركوا ولاية ربهم وسيدهم، فسلطهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يؤزّونهم إلى المعاصي والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور والذين كفروا أولياؤهم قد اتخذوه حبيبا ووليا، ووالوا أوليائه وعادوا أعداءه، فتولاهم بلطفه ومن عليهم بإحسانه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك فقال: الله ولي الذين آمنوا وهذا يشمل ولايتهم لرهبهم، بأن تولوه فلا يبيعون عنه بدلا ولا يشركون به أحدا،

بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتتقأ لأمره ومشيتته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله. من مفتاح دار السعادة 258 يتخذ الصنم على صورته، ويعبد من دونه، وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه الشمس وهي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها بنفسها بوجه ما، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له ربا قادرا قاهرا متصرفا فيه إحياء وإماتة، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها حتى الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها، فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملة بأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت، بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال، قال ابن القيم رحمه الله: وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جدا، وهي أن شرك العالم إنما هو مستند إلى عبادة كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: والله لا يهدي القوم الظالمين بل يبيقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو يقدح في سبيله بهت الذي كفر أي: تحير فلم يرجع إليه جوابا وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبتل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق أحد حتى ذلك الكافر فأت بها من المغرب وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا في دعواه، فلما قال له أمرا لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحا ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة، اطرد معه في الدليل فقال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق أي: عيانا يقر به كل وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصا فيكون قد أماته، ويستبقي شخصا فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: أنا أحيي وأميت ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، يفعل الله، فقال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء وما حمله على ذلك إلا أن آتاه الله الملك فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يقول تعالى: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أي: إلى جرأته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك،

وإبقاء طعامه وشرابه بحاله، والثالث في قوله: فلما تبين له أي: تبين له أمر كان يجهله ويخفى عليه، فعلم بذلك صحة ما ذكرناه، والله أعلم. 259 كثير فائدة، ما الفائدة الدالة على إحياء الله للموتى في قرية خربت ثم رجع إليها أهلها أو غيرهم فعمروها؟! وإنما الدليل الحقيقي في إحيائه وإحياء حمارة وحمارة ونفسه ليراه بعينه فيقر بما أنكره، ولم يذكر في الآية أن القرية المذكورة عمرت وعادت إلى حالتها، ولا في السياق ما يدل على ذلك، ولا في ذلك ودليلا للناس لثلاثة أوجه أحدها قوله أني يحيي هذه الله بعد موتها ولو كان نبيا أو عبدا صالحا لم يقل ذلك، والثاني: أن الله أراه آية في طعامه وشرابه له ذلك وعلم قدرة الله تعالى قال أعلم أن الله على كل شيء قدير والظاهر من سياق الآية أن هذا رجل منكر للبعث أراد الله به خيرا، وأن يجعله آية وانظر إلى العظام كيف ننشزها أي: ندخل بعضها في بعض، ونركب بعضها ببعض ثم نكسوها لحما فنظر إليها عيانا كما وصفها الله تعالى، فلما تبين ولنجعلك آية للناس على قدرة الله وبعثه الأموات من قبورهم، لتكون أنموذجا محسوسا مشاهدا بالأبصار، فيعلموا بذلك صحة ما أخبرت به الرسل

تفسير السعدي

التغير والفساد، مع أن الطعام والشراب من أسرع الأشياء فسادا وانظر إلى حمارك وكان قد مات وتمزق لحمه وجلده وانتثرت عظامه، وتفرقت أوصاله طعامك وشرابك لم يتسنه أي: لم يتغير بل بقي على حاله على تطاول السنين واختلاف الأوقات عليه، ففيه أكبر دليل على قدرته حيث أبقاؤه وحفظه عن يوما أو بعض يوم استقصارا لتلك المدة التي مات فيها لكونه قد زالت معرفته وحواسه وكان عهد حاله قبل موته، فقليل له بل لبثت مائة عام فانظر إلى وجهه لا بقدرته الله تعالى، فلما أراد الله به خيرا أراه آية في نفسه وفي حماره، وكان معه طعام وشراب، فأما الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت على عروشه، فلم يبق بها أنيس بل بقيت موحشة من أهلها مقفرة، فوقف عليها ذلك الرجل متعجبا و قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها استبعادا لذلك على توحيد الله بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء، فقال: أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها أي: قد باد أهلها وفني سكانها وسقطت حيطانها وهذا أيضا دليل آخر

كالمذكور في هذه الآية ونحوها، ونوع غير مخرج من الإيمان كما في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الآية. 26 اقتضت حكمته وفضله هداية من اتصف بالإيمان وتحلى بالأعمال الصالحة. والفسق نوعان: نوع مخرج من الدين، وهو الفسق المقتضي للخروج من الإيمان الخارجين عن طاعة الله المعاندين لرسول الله الذين صار الفسق وصفهم فلا يبيغون به بدلا، فاقتضت حكمته تعالى إضلالهم لعدم صلاحيتهم للهدى، كما من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال. ثم ذكر حكمته في إضلال من يضلهم وأن ذلك عدل منه تعالى فقال: وما يضل به إلا الفاسقين أي: العباد من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحيرة وضلالة وزيادة شر إلى شرهم، ولقوم منحة ورحمة وزيادة خير إلى خيرهم، فسبحان هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون فلا أعظم نعمة على يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية. قال تعالى: وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا فيعترضون ويتحيرون، فيزدادون كفرا إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيمانا على إيمانهم، ولهذا قال: علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها حق، وما اشتملت عليه حق، وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضرها عبثا، بل لحكمة بالغة، ونعمة سابغة. والشكر. ولهذا قال: فأما الذين آمنوا فاعلموا أنه الحق من ربهم فيتفهمونها، ويتفكرون فيها. فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك الأمثال في الأشياء الحقيرة، واعتراض على الله في ذلك. فليس في ذلك محل اعتراض. بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم. فيجب أن تتلقى بالقبول ما أي: أي مثل كان بعوضة فما فوقها لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحق، وكان في هذا جوابا لمن أنكر ضرب يقول تعالى إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا

سخر بها المخلوقات، فلم يستعص عليه شيء منها، بل هي منقادة لعزته خاضعة لجلاله، ومع ذلك فأفعاله تعالى تابعة لحكمته، لا يفعل شيئا عبثا: 260 أراه الله إياه في قوله وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ثم قال: واعلم أن الله عزيز حكيم أي: ذو قوة عظيمة تحصل لهن حياة كاملة، ويأتينك في هذه القوة وسرعة الطيران، ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك وحصل له ما أراد وهذا من ملكوت السماوات والأرض الذي أي: مزقهن، اخلط أجزاءهن بعضها ببعض، واجعل على كل جبل، أي: من الجبال التي في القرب منه، جزء من تلك الأجزاء ثم ادعهن يأتينك سعيا أي: العرفان، فقال له ربه فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك أي: ضمنهن ليكون ذلك بمرأى منك ومشاهدة وعلى يدك. ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فلماذا قال الله له: أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيته أولو عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه بصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانا ليحصل له مرتبة عين اليقين، وهذا فيه أيضا أعظم دلالة حسية على قدرة الله وإحيائه الموتى للبعث والجزاء، فأخبر تعالى

لعلمهم يرجعون إليه وينيبون إليه، فإذا علم تعالى أنه لا خير فيهم ولا تغني عنهم الآيات ولا تفيد بهم المثالات أنزل بهم عقابه وحرّمهم جزيلا ثوابه. 261 هذا فهو حليم على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه، ولكن رحمته وإحسانه وحلمه يمنعه من معاجلته للعاصين، بل يمهلهم ويصرف لهم الآيات مخلوقات، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم، والله غني عنها، ومع فالعبد لا يمن بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضا فإن المان مستعبد لمن يمن عليه، والذل والاستعباد لا ينبغي إلا لله، والله غني بذاته عن جميع الآية أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف والمغفرة، وإنما كان المن بالصدقة مفسدا لها محرما، لأن المنّة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، إحسان قولي، والمغفرة إحسان أيضا بترك المؤاخذه، وكلاهما إحسان ما فيه مفسد، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذى بمن أو غيره، ومفهوم مؤاخذته والعفو عنه، ويدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغي، فالقول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى، لأن القول المعروف تنكره، ويدخل في ذلك كل قول كريم فيه إدخال السرور على قلب المسلم، ويدخل فيه رد السائل بالقول الجميل والدعاء له ومغفرة لمن أساء إليك بترك ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم الخير واندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملا خالصا لله سالما من المفسدات. قول معروف أي: تعرفه القلوب ولا ويفسدها من المن بها على المنفق عليه بالقلب أو باللسان، بأن يعدد عليه إحسانه ويطلب منه مقابلته، ولا أذية له قولية أو فعلية، فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وسبيله، ولا يتبعونها بما ينقصها

فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم الخير واندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملا خالصا لله سالما من المفسدات. 262 ولا يتبعونها بما ينقصها ويفسدها من المن بها على المنفق عليه بالقلب أو باللسان، بأن يعدد عليه إحسانه ويطلب منه مقابلته، ولا أذية له قولية أو فعلية،

أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وسبيله،

لعلهم يرجعون إليه وينيبون إليه، فإذا علم تعالى أنه لا خير فيهم ولا تغني عنهم الآيات ولا تفيد بهم المثالات أنزل بهم عقابه وحرّمهم جزيلا ثوابه. 263 هذا فهو حليم على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه، ولكن رحمته وإحسانه وحلمه يمنعه من معاجلته للعاصين، بل يمهّلهم ويصرف لهم الآيات مخلوقات، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم، والله غني عنها، ومع فالعبد لا يمن بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضا فإن المان مستعبد لمن يمن عليه، والذل والاستعباد لا ينبغي إلا لله، والله غني بذاته عن جميع الآيات أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف والمغفرة، وإنما كان المن بالصدقة مفسدا لها محرما، لأن المنة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، إحسان قولي، والمغفرة إحسان أيضا بترك المؤاخذه، وكلاهما إحسان ما فيه مفسد، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذى بمن أو غيره، ومفهوم مؤاخذته والعفو عنه، ويدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغي، فالقول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى، لأن القول المعروف تنكره، ويدخل في ذلك كل قول كريم فيه إدخال السرور على قلب المسلم، ويدخل فيه رد السائل بالقول الجميل والدعاء له ومغفرة لمن أساء إليك بترك قول معروف أي: تعرفه القلوب ولا

لا يملك لهم ضررا ولا نفعا وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية، فلماذا قال: والله لا يهدي القوم الكافرين 264 تمنع من انتفاعه بشيء من عمله، فلماذا لا يقدر على شيء من أعمالهم التي اكتسبها، لأنهم وضعوها في غير موضعها وجعلوها لمخلوق مثلهم، فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب وتبين أن عمله بمنزلة السراب، وأن قلبه غير صالح لنبات الزرع وزكائه عليه، بل الرياء الذي فيه والإرادات الخبيثة المرائي، قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان، وصدقته ونحوها من أعماله بمنزلة التراب الذي على الصفوان، إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات، كمثل صفوان وهو الحجر الأملس الشديد عليه تراب فأصابه وابل أي: مطر غزير فتركه صلبا أي: ليس عليه شيء من التراب، فكذا حال هذا شك أن عمله من أصله مردود، لأن شرط العمل أن يكون لله وحده وهذا في الحقيقة عمل للناس لا لله، فأعماله باطلة وسعيه غير مشكور، فمثله المطابق لحاله بذلك وجه الله في ابتداء الأمر، فإن المنة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراعاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لن لا يضيع العمل سدى، وقوله: كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر أي: أنتم وإن قصدتم وأنتم لا تشعرون فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات، وفي هذه الآية مع قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم حث على يبطل الصدقة، ويستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، كما قال تعالى: ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ينهى عباده تعالى لطفًا بهم ورحمة عن إبطال صدقاتهم بالمن والأذى ففيه أن المن والأذى

له بكثرة النفقات رجاء المثوبات، ولهذا قال تعالى: والله بما تعملون بصير فيعلم عمل كل عامل ومصدر ذلك العمل، فيجازه عليه أتم الجزاء 265 ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه أنواع المسرات والفرحات، ومع هذا تجد النفوس عنه راغبة، والعزائم عن طلبه خادمة، أترى ذلك زهدا في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعده الله ورجاء عنده، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة آفاتنا وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان، دائم مستمر فيه بنفسك، الذي يريد مصلحتك حيث لا تريدها، فيالله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتتال لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حسب حاله، وكل ينمي له ما أنفق أتم تنمية وأكملها والمنمي لها هو الذي أرحم بك من أي: تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة لذلك، وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها فإن لم يصبها وابل فطل أي: مطر قليل يكفيها أكثر الثمار وأحسنها، ليست بمحل نازل عن الرياح والشمس، ف أصابها أي: تلك الجنة التي بربوة وابل وهو المطر الغزير فأتت أكلها ضعفين غزيرة الظلال، من الاجتنان وهو الستر، لستر أشجارها ما فيها، وهذه الجنة بربوة أي: محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار ووسطه وآخره، فثماره فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتا من أنفسهم، فمثل نفقة هؤلاء كمثل جنة أي: كثيرة الأشجار النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمدا الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، الله أي: قصدهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه وتثبيتا من أنفسهم أي: صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به، لا على وجه التردد وضعف هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة

صدرت من مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيما وخطره جسيما، فلماذا أمر تعالى بالتفكر وحث عليه، فقال: كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون 266 الحال وكان له أدنى مسكة من عقل لم يقدم على ما فيه ضرته ونهاية حسرته ولكن ضعف الإيمان والعقل وقلة البصيرة يصير صاحبه إلى هذه الحالة التي لو كان بحالة لا يقدر معها على العمل، فيجد عمله الذي يؤمل نفعه هباء منثورا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه. والله سريع الحساب فلو علم الإنسان وتصور هذه يحصل له من عمله جنة موصوفة بغاية الحسن والبهاء، وتلك المفسدات التي تفسد الأعمال بمنزلة الإعصار الذي فيه نار، والعبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات من الهم والغم والحزن، فلو قدر أن الحزن يقتل صاحبه لقتله الحزن، كذلك من عمل عملا لوجه الله فإن أعماله بمنزلة البذر للزروع والثمار، ولا يزال كذلك حتى أصاب تلك الجنة إعصار وهو الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجو، وفي ذلك الإعصار نار فاحترقت تلك الجنة، فلا تسأل عما لقي ذلك الذي أصابه الكبر ثم إنه أصابه الكبر فضعف عن العمل وزاد حرصه، وكان له ذرية ضعفاء ما فيهم معاونة له، بل هم كل عليه، ونفقته ونفقتهم من تلك الجنة، فبينما هو كذلك إذ

تفسير السعدي

لفضلها وكثرة منافعها، لكونهما غذاء وقوتا وفاكهة وحلوى، وتلك الجنة فيها الأنهار الجارية التي تسقيها من غير مؤنة، وكان صاحبها قد اغتبط بها وسرته، لمن عمل عملا لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها ثم عمل أعمالا تفسده، فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات، وخص منها النخل والعنب وهذا المثل مضروب

هذا فهو حميد على ما يأمركم به من الأوامر الحميدة والخصال السديدة، فعليكم أن تمتثلوا أوامره لأنها قوت القلوب وحياة النفوس ونعيم الأرواح 267 الذي لا ترغبونه ولا تأخذونه إلا على وجه الإغماض والمسامحة واعلموا أن الله غني حميد فهو غني عنكم ونفع صدقاتكم وأعمالكم عائد إليكم، ومع تحصيله فأنفقوا منه شكرا لله وأداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم، وتظهروا لأموالكم، واقتصدوا في تلك النفقة الطيب الذي تحبونه لأنفسكم، ولا تيمموا الرديء يأمر تعالى عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسر لهم من المكاسب، ومما أخرج لهم من الأرض فكما من عليكم بتسهيل

من نائها، وأما الأموال التي غير معدة لذلك ولا مقدورا عليها فليس فيها هذا المعنى، ومنها: أن الرديء ينهى عن إخراجه ولا يجزئ في الزكاة 268 عند من لا يقدر ربه على استخراجها منه، ليس فيها زكاة، لأن الله أوجب النفقة من الأموال التي يحصل فيها النماء الخارج من الأرض، وأموال التجارة مواساة له وجبت عليه ومنها: أن الأموال المعدة للاقتناء من العقارات والأواني ونحوها ليس فيها زكاة، وكذلك الديون والغصوب ونحوها إذا كانت مجهولة، أو في الخارج من الأرض من الحبوب والثمار والمعادن، ومنها: أن الزكاة على من له الزرع والتمر لا على صاحب الأرض، لقوله أخرجنا لكم فمن أخرجت بيان الأسباب الموجبة لذلك، ومنها: وجوب الزكاة من النقيدين وعروض التجارة كلها، لأنها داخلة في قوله: من طيبات ما كسبتم ومنها: وجوب الزكاة فيجازيكم عليها من سعته وفضله وإحسانه، فلينظر العبد نفسه إلى أي الداعيين يميل، فقد تضمنت هاتان الآيتان أمورا عظيمة منها: الحث على الإنفاق، ومنها: ثوابها وتوفيتها يوم القيامة، وليس هذا عظيما عليه لأنه واسع الفضل عظيم الإحسان عليم بما يصدر منكم من النفقات قليلها وكثيرها، سرها وعلنها، مغفرة لذنوبكم وتظهيرا لعيوبكم وفضلا وإحسانا إليكم في الدنيا والآخرة، من الخلف العاجل، وانشرح الصدر ونعيم القلب والروح والقبر، وحصول غاية الغش إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم ولا يضركم، ومع هذا فهو يعدكم وإياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتهم، وليس هذا نصحا لكم، بل هذا

بل أجابوا ما عرض لفطرهم من الفساد، وتركوا طاعة رب العباد، فهؤلاء ليسوا من أولي الأبواب، فهذا قال تعالى: وما يذكر إلا أولو الأبواب . 269 قسمين قسم أجابوا دعوتهم فتذكروا ما ينفعهم ففعلوه، وما يضرهم فتركوه، وهؤلاء هم أولو الأبواب الكاملة، والعقول التامة، وقسم لم يستجيبوا لدعوتهم، قد فطر عباده على عبادته ومحبة الخير والقصد للحق، فبعث الله الرسل مذكرين لهم بما ركز في فطرهم وعقولهم، ومفصلين لهم ما لم يعرفوه، انقسم الناس بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك، ولما كان الله تعالى فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوته العلمية والعملية فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرا كثيرا وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين والنجاة من شقاوتها! وفيه التخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، على الأسرار والحكم وكان ذلك لا يحصل لكل أحد، بل لمن من عليه وآتاه الله الحكمة، وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، وإن من لما أمر تعالى بهذه الأوامر العظيمة المشتمة

اتصف بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وحقيقة فوات الخير الذي كان العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه. 27 قد يكون كفرا وقد يكون معصية وقد يكون تفريطا في ترك مستحب، المذكور في قوله تعالى: إن الإنسان لفي خسر فهذا عام لكل مخلوق إلا من عام في كل أحوالهم ليس لهم نوع من الربح؛ لأن كل عمل صالح شرطه الإيمان فمن لا إيمان له لا عمل له وهذا الخسار هو خسار الكفر، وأما الخسار الذي والعمل بالمعاصي وهو: الإفساد في الأرض. ف فأولئك أي: من هذه صفته هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، فحصر الخسارة فيهم لأن خسارتهم فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل من هذه الحقوق، وقاموا بها أتم القيام، وأما الفاسقون، ففقطعوها، ونبدوها وراء ظهورهم معتاضين عنها بالفسق والقطيعة به ومحبتة وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين والدين والأقارب والأصحاب وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن نصلها. فأما المؤمنون ما أمر الله به أن يوصل وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته، وما بيننا وبين رسوله بالإيمان الثقيلة والإلزامات، فلا يبالون بتلك الموائيق بل ينقضونها ويتركون أوامره ويرتكبون نواهيه وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق. ويقطعون ثم وصف الفاسقين فقال: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وهذا يعم العهد الذي بينهم وبينه والذي بينهم وبين عباده الذي أكد عليهم بالموائيق فإنه ظالم قد وضع الشيء في غير موضعه، واستحق العقوبة البليغة، ولم ينفعه أحد من الخلق ولم ينصره، فهذا قال: وما للظالمين من أنصار 270 بالفضل العظيم والثواب الجسيم، وإن لم ينق العبد ما وجب عليه من النفقات ولم يوف ما أوجبه على نفسه من المنذورات، أو قصد بذلك رضى المخلوقات، وإن الله تعالى يعلمها فلا يخفى عليه منها شيء، ويعلم ما صدرت عنه، هل هو الإخلاص أو غيره، فإن صدرت عن إخلاص وطلب لمرضاة الله جازى عليها وهذا فيه المجازاة على النفقات، واجبها ومستحبها، قليلها وكثيرها، التي أمر الله بها، والنذور التي ألزمها المكلف نفسه،

الثواب قال: ويكفر عنكم من سيئاتكم ففيه دفع العقاب والله بما تعملون خبير من خير وشر، قليل وكثير والمقصود من ذلك المجازاة. 271 على أنه ينبغي للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطي محتاجا وغيره أحوج منه، ولما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق ويتضمن ذلك حصول

تفسير السعدي

فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار، ودل قوله: وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ففي هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيرا من العلانية، وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله فنعمها هي أي: فنعم الشيء هي لحصول المقصود بها وإن تخفوها أي: تسروها وتؤتوها الفقراء أي: إن تبدوا الصدقات فتظهروها

من خير يوف إليكم يوم القيامة تستوفون أجوركم وأنتم لا تظلمون أي: تنقصون من أعمالكم شيئا ولا مثقال ذرة، كما لا يزداد في سيناتكم. 272 هذا إخبار عن نفقات المؤمنين الصادرة عن إيمانهم أنها لا تكون إلا لوجه الله تعالى، لأن إيمانهم يمنعهم عن المقاصد الردية ويوجب لهم الإخلاص وما تنفقوا قال: وما تنفقوا من خير أي: قليل أو كثير على أي شخص كان من مسلم وكافر فلأنفسكم أي: نفعه راجع إليكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ليس عليك هدي الخلق، وإنما عليك البلاغ المبين، والهداية بيد الله تعالى، ففيها دلالة على أن النفقة كما تكون على المسلم تكون على الكافر ولو لم يهتد، فهذا يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

النفقة من حيث هي على أي شخص كان، فهي خير وإحسان وبر يثاب عليها صاحبها ويؤجر، فهذا قال: وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم 273 أي: إلحاح، بل إن صدر منهم سؤال إذا احتاجوا لذلك لم يلحوا على من سألو، فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات، وأما يتفرس بها ما هم عليه، وأما الفطن المتفرس فمجرد ما يراهم يعرفهم بعلامتهم، السادس قوله: لا يسألون الناس إلحافا أي: لا يسألونهم سؤال إلحاف، أنه قال: تعرفهم بسيماهم أي: بالعلامة التي ذكرها الله في وصفهم، وهذا لا ينافي قوله: يحسبهم الجاهل أغنياء فإن الجاهل بحالهم ليس له فطنة لا يستطيعون ضربا في الأرض أي: سفرا للتكسب، الرابع قوله: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهذا بيان لصدق صبرهم وحسن تعففهم. الخامس: أحصروا في سبيل الله أي: قصروها على طاعة الله من جهاد وغيره، فهم مستعدون لذلك محبوسون له، الثالث عجزهم عن الأسفار لطلب الرزق فقال: ثم ذكر مصرف النفقات الذين هم أولى الناس بها فوصفهم بست صفات أحدها الفقر، والثاني قوله:

المطلوب، ونجوا من الشرور والمرهوب، ولما كمل تعالى حالة المحسنين إلى عبادته بأنواع النفقات ذكر حالة الظالمين المسيئين إليهم غاية الإساءة 274 ربهم أي: أجر عظيم من خير عند الرب الرحيم ولا خوف عليهم إذا خاف المقصرون ولا هم يحزنون إذا حزن المفرطون، ففازوا بحصول المقصود ينفقون أموالهم في سبيل الله أي: طاعته وطريق مرضاته، لا في المحرمات والمكروهات وشهوات أنفسهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ثم ذكر حالة المتصدقين في جميع الأوقات على جميع الأحوال فقال: الذين

سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلولا ما مع الإنسان من التوحيد لصار عمله صالحا للخلود فيها بقطع النظر عن كفره. 275 التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع خادون اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال هذه الأمور وأمره إلى الله في مجازاته وفيما يستقبل من أموره ومن عاد إلى تعاطي الربا ولم تنفعه الموعظة، بل أصر على ذلك فأولئك أصحاب النار هم فيها فله ما سلف أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله للنصيحة، دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر وعظ وتذكير وترهيب عن تعاطي الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة من الله بالموعوظ، وإقامة للحجة عليه فانتهى عن فعله وانزجر عن تعاطيه والإجماع على ربا النسينة، وشذ من أباح ربا الفضل وخالف النصوص المستفيضة، بل الربا من كبائر الذنوب وموبقاتها فمن جاءه موعظة من ربه أي: بما يشاركه في العلة نسينة، ومنه جعل ما في الذمة رأس مال، سلم، وربا فضل، وهو بيع ما يجري فيه الربا بجنسه متفاضلا، وكلاهما محرم بالكتاب والسنة، أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع وحرمة الربا لما فيه من الظلم وسوء العاقبة، والربا نوعان: ربا نسينة كبيع الربا عنهم، قال الله تعالى رادا عليهم ومبيناً حكمتهم العظيمة وأحل الله البيع أي: لما فيه من عموم المصلحة وشدة الحاجة وحصول الضرر بتحريمه، وهذا عقولهم في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم وضعفت آراؤهم، وصاروا في هينتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاخ العقل الأدبي الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين، ويحتمل أن يكون قوله: لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أنه لما انسلبت لعظيم النكال وعسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و قالوا إنما البيع مثل الربا وهذا لا يكون إلا من جاهل عظيم جهله، أو متجاهل عظيم عناده، جازاهم ليوم نشورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين يخبر تعالى عن أكلة الربا وسوء مآلهم وشدة منقلبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم

يحب كل كفار لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره عباد الله أئيم أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته. 276 الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده والله لا إلى النار ويربي الصدقات أي: ينميها وينزل البركة في المال الذي أخرجت منه وينمي أجر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم تعالى: يحق الله الربا أي: يذهب ويذهب بركته ذاتا ووصفا، فيكون سببا لوقوع الآفات فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زادا له ثم قال

تفسير السعدي

- عن الربا فلكم رءوس أموالكم أي: أنزلوا عليها لا تظلمون من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ولا تظلمون بنقص رءوس أموالكم. 277
- لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر وإن تبتم ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم،
- عن الربا فلكم رءوس أموالكم أي: أنزلوا عليها لا تظلمون من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ولا تظلمون بنقص رءوس أموالكم. 278
- لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر وإن تبتم ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم،
- عن الربا فلكم رءوس أموالكم أي: أنزلوا عليها لا تظلمون من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ولا تظلمون بنقص رءوس أموالكم. 279
- لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر وإن تبتم ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم،
- أفيليق بكم أن تكفروا به وهل هذا إلا جهل عظيم وسفه وحماقة ؟ بل الذي يليق بكم أن تؤمنوا به وتتقوه وتشكروه وتخافوا عذابه وترجوا ثوابه. 28
- والنشور ثم إليه ترجعون فيجازيكم الجزاء الأوفى، فإذا كنتم في تصرفه وتدبيره وبره وتحت أوامره الدينية ومن بعد ذلك تحت دينه الجزائي منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم وأنعم عليكم بأصناف النعم ثم يميّتكم عند استكمال آجالكم ويجازيكم في القبور ثم يحييكم بعد البعث هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي: كيف يحصل
- وفاء فنظرة إلى ميسرة وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون إما بإسقاطها أو بعضها. 280
- وإن كان المدين ذو عسرة لا يجد
- على الصغير والكبير والجلي والخفي، وأن الله لا يظلمه مثقال ذرة، أوجب له الرغبة والرغبة، وبدون حلول العلم في ذلك في القلب لا سبيل إلى ذلك. 281
- ما نزل من القرآن، وجعلت خاتمة لهذه الأحكام والأوامر والنواهي، لأن فيها الوعد على الخير، والوعيد على فعل الشر، وأن من علم أنه راجع إلى الله فمجازيه خير لكم إن كنتم تعلمون إما بإسقاطها أو بعضها. واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذه الآية من آخر رءوس أموالكم. وإن كان المدين ذو عسرة لا يجد وفاء فنظرة إلى ميسرة وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به وأن تصدقوا
- عزيز مقتدر وإن تبتم عن الربا فلكم رءوس أموالكم أي: أنزلوا عليها لا تظلمون من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ولا تظلمون بنقص ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ ومن جملة تقواه أن يذروا ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله حالة المؤمنين وأجرهم، وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، عباد الله أئيم أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته. لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده والله لا يحب كل كفار لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره أجر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زاداً له إلى النار ويربي الصدقات أي: ينميها وينزل البركة في المال الذي أخرجت منه وينمي لصار عمله صالحاً للخلود فيها بقطع النظر عن كفره. ثم قال تعالى: يذهب ويذهب بركته ذاتاً ووصفاً، فيكون سبباً لوقوع الآفات ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلو لا ما مع الإنسان من التوحيد الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال هذه الأمور التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد تنفعه الموعظة، بل أصر على ذلك فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من للنصيحة، دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر وأمره إلى الله في مجازاته وفيما يستقبل من أموره ومن عاد إلى تعاظم الربا ولم وإقامة للحجة عليه فانتهى عن فعله وانزجر عن تعاظمه فله ما سلف أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله كبائر الذنوب وموبقاتها فمن جاءه موعظة من ربه أي: وعظ وتذكير وترهيب عن تعاظم الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة من الله بالموعوظ،

تفسير السعدي

يجري فيه الربا بجنسه متفاضلا، وكلاهما محرم بالكتاب والسنة، والإجماع على ربا النسيئة، وشذ من أباح ربا الفضل وخالف النصوص المستفيضة، بل الربا من لما فيه من الظلم وسوء العاقبة، والربا نوعان: ربا نسيئة كبيع الربا بما يشاركه في العلة نسيئة، ومنه جعل ما في الذمة رأس مال، سلم، وربا فضل، وهو بيع ما من عموم المصلحة وشدة الحاجة وحصول الضرر بتحريمه، وهذا أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع وحرم الربا وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاخ العقل الأدبي عنهم، قال الله تعالى رادا عليهم ومبيناً حكمته العظيمة وأحل الله البيع أي: لما فيه إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أنه لما انسلبت عقولهم في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم وضعفت آراؤهم، وصاروا في هيئتهم إلا من جاهل عظيم جهله، أو متجاهل عظيم عناده، جازاهم الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين، ويحتمل أن يكون قوله: لا يقومون فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين لعظيم النكال وعسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و قالوا إنما البيع مثل الربا وهذا لا يكون الربا وسوء مآلهم وشدة منقلبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم ليوم نشورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي: يصرعه الشيطان بالجنون، يخبر تعالى عن أكلة

الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر، ولله في كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده. 282 فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضيا معتبرا عند الناس قبلت شهادته، الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى، فهذه وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: ممن ترضون من الشهداء التاسع والأربعون: أن العدالة يشترط تتجزأ في الإنسان، فتكون فيه مادة فسق وغيرها، وكذلك مادة إيمان وكفر لقوله: فإنه فسوق بكم ولم يقل فأنتم فاسقون أو فساق. الثامن والأربعون: هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله: وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم السابع والأربعون أن الأوصاف كالفسق والإيمان والنفاق والعداوة والولاية ونحو ذلك والكاتب أن يضار صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجره شاقا ونحو ذلك، وهذان هما الرابع والأربعون والخامس والأربعون والسادس والأربعون أن ارتكاب في مرض أو شغل يشق عليه، أو غير ذلك هذا على جعل قوله: ولا يضار كاتب ولا شهيد مبني للمجهول، وأما على جعلها مبني للفاعل ففيه نهي الشاهد النهي عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال وحصول مشقة عليه، الثالث والأربعون: النهي عن مضارة الشهيد أيضا بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها إلى الكتابة، الحادي والأربعون: أنه وإن رخص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يشرع الإشهاد لقوله: وأشهدوا إذا تبايعتم الثاني والأربعون: إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها فيه الرخصة في ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضرا بحاضر، لعدم شدة الحاجة الشك والريب والتنازع والتشاجر، التاسع والثلاثون: يؤخذ من ذلك أن من اشتبه وشك في شهادته لم يجز له الإقدام عليها بل لا بد من اليقين، الأربعون: قوله: أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد والبلاد، والشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم وأكمل وأبعد من صغير وكبير وصفة الأجل وجميع ما احتوى عليه العقد من الشروط والقيود، الثامن والثلاثون: بيان الحكمة في مشروعية الكتابة والإشهاد في العقود، وأنه الشهداء المقبولة شهادتهم، لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها ولأنه ليس من الشهداء، السابع والثلاثون: النهي عن السأمة والضجر من كتابة الديون كلها أنه يجب على الشاهد إذا دعي للشهادة وهو غير معذور، لا يجوز له أن يأبى لقوله: ولا يأبى الشهداء إذا ما دعوا السادس والثلاثون: أن من لم يتصف بصفة يؤخذ من المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والخامس والثلاثون: المرأتين لقوة حفظه ونقص حفظها، الثالث والثلاثون: أن من نسي شهادته ثم ذكرها فذكر فشهادته مقبولة لقوله: فتذكر إحداها الأخرى الرابع والثلاثون: أو نساء غير مقبولة، لأنهم ليسوا منا، ولأن مبنى الشهادة على العدالة وهو غير عدل، الثاني والثلاثون: فيه فضيلة الرجل على المرأة، وأن الواحد في مقابلة العبد البالغ مقبولة كشهادة الحر لعموم قوله: واستشهدوا شهيدين من رجالكم والعبد البالغ من رجالنا، الحادي والثلاثون: أن شهادة الكفار ذكورا كانوا يقبلهن إلا مع الرجل، وقد يقال إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها وهي موجودة سواء كن مع رجل أو منفردات والله أعلم. الثلاثون: أن شهادة الثامن والعشرون: أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل، التاسع والعشرون: أن شهادة النساء منفردات في الأموال ونحوها لا تقبل، لأن الله لم به يحفظ الحق واجبا، السابع والعشرون: أن نصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان أو رجل وامرأتان، ودلت السنة أيضا أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعي، الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لمصلحة المكلفين، نعم إن كان المتصرف ولي يقيم أو وقف ونحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي الله أمر بكتابة الديون وغيرها، ولا يحصل ذلك إلا بالتعلم، السادس والعشرون: أنه مأمور بالإشهاد على العقود، وذلك على وجه الندب، لأن المقصود من ذلك من صاحبه، لأن المقصود من ذلك التوثيق والعدل، وما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع، الخامس والعشرون: أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية، لأن الثالث والعشرون: صحة تصرف الولي في مال من ذكر، الرابع والعشرون: فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوكل بها المتدينون كل واحد والسفيه والمجنون والمعتوه ونحوهم وتصرفهم غير صحيح، لأن الله جعل الإملاء لوليهم، ولم يجعل لهم منه شيئا لطفاً بهم ورحمة، خوفا من تلاف أموالهم، ثبوت الولاية في الأموال، الحادي والعشرون: أن الحق يكون على الصغير والسفيه والمجنون والضعيف، لا على وليهم، الثاني والعشرون: أن إقرار الصغير يلزم من عليه الحق من العدل، وعدم البخس لقوله بالعدل التاسع عشر: أنه يشترط عدالة الولي، لأن الإملاء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق، العشرون: أن من لا يقدر على إملاء الحق لصغره أو سفهه أو خرسه، أو نحو ذلك، فإنه ينوب وليه منابه في الإملاء والإقرار، الثامن عشر: أنه يلزم الولي من العدل ما عشر: أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخس وينقص شيئا من مقداره، أو طيبه وحسنه، أو أجله أو غير ذلك من توابعه ولواحقه، السابع عشر: أن قوله هو المقبول دون قول من له الحق، لأنه تعالى لم ينه عن بخس الحق الذي عليه، إلا أن قوله مقبول على ما يقوله من مقدار الحق وصفته، السادس

تفسير السعدي

به على نفسه، ولو ادعى بعد ذلك غلطا أو سهوا، الخامس عشر: أن من عليه حقا من الحقوق التي البيئة على مقدارها وصفتها من كثرة وقلة وتعجيل وتأجيل، شيئا، الرابع عشر: أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول، لأن الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجه ومضمونه، وهو ما أقر لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق، الثاني عشر: أن الذي يمل من المتعاقدين من عليه الدين، الثالث عشر: أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخل منه أن يكتب بين المتدائنين، فكما أحسن الله إليه بتعليمه، فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته، ولا يمتنع من الكتابة لهم، الحادي عشر: أمر الكاتب أن المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها، ولو كان هو والشهود قد ماتوا، العاشر: قوله: ولا يأب كاتب أن يكتب أي: لا يمتنع من من الله عليه بتعليمه الكتابة واحد منهما، وما يحصل به التوثيق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك، وهذا مأخوذ من قوله: وليكتب بينكم كاتب بالعدل التاسع: أنه إذا وجدت وثيقة بخط ولا كتابته، السابع أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقربة أو صداقة أو غير ذلك، الثامن: أن يكون الكاتب عارفا بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل والنسيان والمنازعة والمشاجرة شر عظيم، الخامس: أمر الكاتب أن يكتب، السادس: أن يكون عدلا في نفسه لأجل اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله حالا ولا إلى أجل مجهول، الرابع: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوبا وإما استحبابا لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكرا أحكامها، وذلك يدل على الجواز، الثاني والثالث أنه لا بد للسلم من أجل وأنه لا بد أن يكون معيننا معلوما فلا يصح أطول آيات القرآن، وقد اشتملت على أحكام عظيمة جلية المنفعة والمقدار، أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم وغيره، لأن الله أخبر عن المداينة هذه آية الدين، وهي

وحفظ الحقوق وقطع المشاجرات والمنازعات، وانتظام أمر المعاش، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصى ثناء عليه. 283
الله عباده إليها على حكم عظيمة ومصالح عيمة دلت على أن الخلق لو اهتموا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم، لاشتمالها على العدل والمصلحة، ويترتب على ذلك فوات حق من له الحق، ولهذا قال تعالى: ومن يكتنمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم وقد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد ولا تكتنموا الشهادة لأن الحق مبني عليها لا يثبت بدونها، فكتنمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق ويخبر بصدقه وهو الكذب، من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملا غير ظالم له ولا باخس حقه وليتق الله ربه في أداء الحق ويجازي من أحسن به الظن بالإحسان السفر، لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه، هذا كله إذا كان صاحب الحق يحب أن يتوثق لحقه، فما كان صاحب الحق آمنا من غريمه وأحب أن يعامله الحق، فلولا أن قول المرتهن مقبول في قدر الذي رهنه به لم يحصل المعنى المقصود، ولما كان المقصود بالرهن التوثيق جاز حضرا وسفرا، وإنما نص الله على ودل أيضا على أن الراهن والمرتهن لو اختلفا في قدر ما رهنه به، كان القول قول المرتهن، ووجه ذلك أن الله جعل الرهن عوضا عن الكتابة في توثيق صاحب به التوثيق فرهان مقبوضة أي: يقبضها صاحب الحق وتكون وثيقة عنده حتى يأتيه حقه، ودل هذا على أن الرهن غير المقبوضة لا يحصل منها التوثيق، أي: إن كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبًا يكتب بينكم ويحصل

ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، بل كل الخلق طوع قهره ومشينته وتقديره وجزائه 284
الذي يتصرف فيهم بحكمته وعدله وإحسانه، وقد أمرهم ونهاهم وسيحاسبهم على ما أسروه وأعلنوه، فيغفر لمن يشاء وهو لمن أتى بأسباب المغفرة، خلقهم ورزقهم ودبرهم لمصالحهم الدينية والدنيوية، فكانوا ملكا له وعبيدا، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وهو ربهم ومالكهم هذا إخبار من الله أنه له ما في السماوات وما في الأرض، الجميع

ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، بل كل الخلق طوع قهره ومشينته وتقديره وجزائه 285
الذي يتصرف فيهم بحكمته وعدله وإحسانه، وقد أمرهم ونهاهم وسيحاسبهم على ما أسروه وأعلنوه، فيغفر لمن يشاء وهو لمن أتى بأسباب المغفرة، خلقهم ورزقهم ودبرهم لمصالحهم الدينية والدنيوية، فكانوا ملكا له وعبيدا، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وهو ربهم ومالكهم هذا إخبار من الله أنه له ما في السماوات وما في الأرض، الجميع

وترزقنا الإيمان والأعمال التي يحصل بها النصر، والحمد لله رب العالمين. تم تفسير سورة البقرة بعون الله وتوفيقه صلى الله على محمد وسلم 286
القوم الكافرين، الذين كفروا بك وبرسك، وقاوموا أهل دينك ونبذوا أمرك، فانصرونا عليهم بالحجة والبيان والسيوف والسنان، بأن تمكن لنا في الأرض وتخذلهم الأوقات، ثم أنعمت علينا بالنعمة العظيمة والمنحة الجسيمة، وهي نعمة الإسلام التي جميع النعم تبع لها، فنسألك يا ربنا ومولانا تمام نعمتك بأن تنصرونا على والشروع، والرحمة يحصل بها صلاح الأمور أنت مولانا أي: ربنا ومليكننا وإلهنا الذي لم تزل ولايتك إيانا منذ أوجدتنا وأنشأتنا فنعمك دارة علينا متصلة عدد ما لم يخففه على غيرها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وقد فعل وله الحمد واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فالعفو والمغفرة يحصل بهما دفع المكاره علينا إصرًا أي: تكاليف مشقة كما حملته على الذين من قبلنا وقد فعل تعالى فإن الله خفف عن هذه الأمة في الأوامر من الطهارات وأحوال العبادات نفسا أو مالا فليس عليه إثم، وإنما الضمان مرتب على مجرد الإلتلاف، وكذلك المواضع التي تجب فيها التسمية إذا تركها الإنسان ناسيا لم يضر. ربنا ولا تحمل أو فعل محظورا من محظورات الإحرام التي ليس فيها إلتلاف ناسيا، فإنه معفو عنه، وكذلك لا يحث من فعل المحلوف عليه ناسيا، وكذلك لو أخطأ فأنلف ما يقع بهما رحمة بهم وإحسانا، فعلى هذا من صلى في ثوب مغصوب، أو نجس، أو قد نسي نجاسة على بدنه، أو تكلم في الصلاة ناسيا، أو فعل مفطرا ناسيا، ذهول القلب عن ما أمر به فيتركه نسيانا، والخطأ: أن يقصد شيئا يجوز له قصده ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله: فهذان قد عفا الله عن هذه الأمة بذلك، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قال: قد فعلت. إجابة لهذا الدعاء، فقال ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا والفرق بينهما: أن النسيان:

تفسير السعدي

معه وأن كل عامل سيجازى بعمله، وكان الإنسان عرضة للتقصير والخطأ والنسيان، وأخبر أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق وتسعه قوتنا، أخبر عن دعاء المؤمنين بـ اكتسب في عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمل ويحصل سعيه، ولما أخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين ولا تذهب حسنات العبد لغيره، وفي الإتيان بـ كسب في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه بل بمجرد نية القلب وأتى بعضه كما في التخفيف عن المريض والمسافر وغيرهم، ثم أخبر تعالى أن لكل نفس ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من الشر، فلا تزر وازرة وزر أخرى أمر العباد بما أمرهم به رحمة وإحساناً، ومع هذا إذا حصل بعض الأعداء التي هي مظنة المشقة حصل التخفيف والتسهيل، إما بإسقاطه عن المكلف، أو إسقاط في الدين من حرج فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس، بل هي غذاء للأرواح ودواء للأبدان، وحمية عن الضرر، فالله تعالى المستقرة وغيرها مؤاخذون به، فأخبرهم بهذه الآية أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي: أمراً تسعه طاقتها، ولا يكلفها ويشق عليها، كما قال تعالى ما جعل عليكم نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله شق ذلك على المسلمين لما توهّموا أن ما يقع في القلب من الأمور اللازمة والعارضة لما

علمه كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير لأن خلقه للمخلوقات، أدل دليل على علمه، وحكمته، وقدرته. 29 في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها و يعلم ما تسرون وما تعلنون يعلم السر وأخفى. وكثيراً ما يقرن بين خلقه للخلق وإثبات الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات فسواهن سبع سماوات فخلقها وأحكمها، وأتقنها، وهو بكل شيء عليم ف يعلم ما يلج كما في قوله تعالى: ثم استوى على العرش لتستووا على ظهوره وتارة تكون بمعنى قصد كما إذا عدت بـ إلى كما في هذه معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: ولما بلغ أشده واستوى وتارة تكون بمعنى علا و ارتفع وذلك إذا عدت بـ على لنا. وقوله: ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم استوى ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون أيضاً يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته، منعنا من الخبائث، تنزيها والاعتبار. وفي هذه الآية العظيمة دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، لأنها سيق في معرض الامتنان، يخرج بذلك الخبائث، فإن تحريرها هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً أي: خلق لكم، برا بكم ورحمة، جميع ما على الأرض، للارتفاع والاستمتاع على عبده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان. 3 وواسوا إخوانكم المعدمين. وكثيراً ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان بقوتكم وملكم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم. وفي قوله: رزقناهم إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة على الزوجات والأقارب، والماليك ونحو ذلك. والنفقات المستحبة بجميع طرق الخير. ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة فيه النفقات الواجبة كالزكاة، والنفقة على الزوجات والأقارب، والماليك ونحو ذلك. والنفقات المستحبة بجميع طرق الخير. ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة وهي التي يترتب عليها الثواب. فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها. ثم قال: ومما رزقناهم ينفقون يدخل باطناً بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة. فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهراً، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها. وإقامتها وكيفية، وما أخبرت به الرسل من ذلك فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيةها. ثم قال: ويقيمون الصلاة لم يقل: يفعلون المهتدين بهدى الله. ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بـ بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلية، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم. وزكت عقول المؤمنين المصدقين فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه. بخلاف الزنادقة والمكذبين في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله. فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسوله. التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر. إنما الشأن ثم وصف المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة، لتضمن التقوى لذلك فقال: الذين يؤمنون بالغيب حقيقة الإيمان: هو التصديق

عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك. 30 ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليتبين أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته للخلق، إني أعلم من هذا الخليفة ما لا تعلمون ؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة، أضعاف ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة. قال الله تعالى للملائكة: ونحن نسبح بحمدك أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونقدس لك يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا الباري عن ذلك، وعظموه، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة فقالوا:

تفسير السعدي

- عليهم السلام: أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ويسفك الدماء وهذا تخصيص بعد تعميم، لبيان شدة مفسدة القتل، وهذا بحسب هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض. فقالت الملائكة على الملائكة امتحاناً لهم، هل يعرفونها أم لا؟. فقال أنبئونني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة. 31 وما هو مسمى بها، فعلمه الاسم والمسمى، أي: الألفاظ والمعاني، حتى المكبر من الأسماء كالقصعة، والمصغر كالقصيعة. ثم عرضهم أي: عرض المسميات الله في الأرض، أراد الله تعالى، أن يبين لهم من فضل آدم، ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه ف علم آدم الأسماء كلها أي: أسماء الأشياء، ثم لما كان قول الملائكة عليهم السلام، فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله موضعه اللائق به، فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترفوا بفضل الله عليهم وتعليمه إياهم ما لا يعلمون. 32 الحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئاً إلا لحكمة: ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمة: وضع الشيء في وجوده، إنك أنت العليم الحكيم العليم الذي أحاط علماً بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. قالوا سبحانه أي: ننزهك من الاعتراض منا عليك، ومخالفة أمرك. لا علم لنا بوجه من الوجوه إلا ما علمتنا إياه، فضلاً منك والأرض وهو ما غاب عنا فلم نشاهده، فإذا كان عالماً بالغيب فالشهادة من باب أولى، وأعلم ما تبدو أي: تظهرون وما كنتم تكتمون 33 عنها، فلما أنبأهم بأسمائهم تبين للملائكة فضل آدم عليهم وحكمة الباري وعلمه في استخلاف هذا الخليفة، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات حينئذ قال الله: يا آدم أنبئهم بأسمائهم أي: أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة فعجزوا فهو أكمل مما عرفه ابتداءً، ومنها: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن وبيان فضل آدم وأفضال الله عليه وعداوة إبليس له إلى غير ذلك من العبر. 34 العبد، ومنها: أن الله أمرهم بالسجود لآدم إكراماً له لما بان فضل علمه، ومنها: أن الامتحان للغير إذا عجزوا عما امتحنوا به ثم عرفه صاحب الفضيلة ما لم يعلموه. وفيه فضيلة العلم من وجوه: منها: أن الله تعرف لملائكته بعلمه وحكمته، ومنها: أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم وأنه أفضل صفة تكون في والمأمورات فالوجب عليه التسليم واتهام عقله والإقرار لله بالحكمة، وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة وإحسانه بهم بتعليمهم ما جهلوا وتنبههم على إثبات الكلام لله تعالى وأنه لم يزل متكلماً يقول ما شاء ويتكلم بما شاء وأنه عليم حكيم، وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات وهذا الإباء منه والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطوق عليه فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم وكفره واستكباره. وفي هذه الآيات من العبر والآيات لله تعالى، فامثلوا أمر الله وبادروا كلهم بالسجود، إلا إبليس أبى امتنع عن السجود واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: أسجد لمن خلقت طينا ثم أمرهم تعالى بالسجود لآدم إكراماً له وتعظيماً وعبودية
- الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحاناً وابتلاءً أو لحكمة غير معلومة لنا فتكونا من الظالمين دل على أن النهي للتحريم لأنه رتب عليه الظلم. 35 الثمار والفواكه وقال الله له: إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى ولا تقربا هذه الشجرة نوع من أنواع شجر الجنة نعمته عليه بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها ويستأنس بها وأمرهما بسكنى الجنة والأكل منها رغداً أي: واسعاً هنيئاً، حيث شئتما أي: من أصناف لما خلق الله آدم وفضله أتم
- التي خلقتكم لها، وخلقت لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة، مؤقتة عارضة، ليست مسكناً حقيقياً، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار. 36 بدلاً ثم ذكر منتهى الإبطاء إلى الأرض، فقال: ولكم في الأرض مستقر أي: مسكن وقرار، ومتاع إلى حين انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين أن العدو يجد ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشر إليه بكل طريق وحرمانه الخير بكل طريق، ففي ضمن هذا، تحذير بني آدم من الشيطان كما قال تعالى مما كانا فيه من النعيم والرغد وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة. بعضكم لبعض عدو أي: آدم وذريته أعداء لإبليس وذريته، ومن المعلوم ويزين لهما تناول ما نهيا عنه حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه. وقاسمهما بالله إني لكما لمن الناصحين فاغترا به وأطاعاه فأخرجهما فلم يزل عدوهما يوسوس لهما
- وتوبته نوعان: توفيقه أولاً، ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانياً. الرحيم بعباده، ومن رحمته بهم، أن وفقهم للتوبة، وعفا عنهم وصفح. 37 كلمات وهي قوله: ربنا ظلمنا أنفسنا الآية، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته فتاب الله عليه ورحمه إنه هو التواب لمن تاب إليه وأناب. فتلقى آدم أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله من ربه
- أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم، في الأمر والنهي. 38 لغريمه، هم فيها خالدون لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون. وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى واندفع عنه المروءة، وهذا عكس من لم يتبع هداة، فكفر به، وكذب بآياته. ف أولئك أصحاب النار أي: الملازمون لها، ملازمة صاحب لصاحبه، والغريم فمن اتبع هداة، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل مكروه، من الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء، فحصل له المرغوب، فنفاهما عن اتباع هداة وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفى الضلال والشقاء عن اتباع هداة وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة،

تفسير السعدي

يشقى فرتب على اتباع هذه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن والفرق بينهما، أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظرا، أحدث الخوف، جميع أخبار الرسل والكتب، والامتنثال للأمر والاجتناب للنهي، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفي الآية الأخرى: فمن اتبع هداي فلا يضل ولا رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم مني ويدنيكم من رضائي، فمن تبع هداي منكم، بأن آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم، وذلك بتصديق الآيتين 38 و 39 :- كرر الإيهام، ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله: فإما يأتينكم مني هدى أي: وقت وزمان جاءكم مني يا معشر الثقلين هدى، أي:

تفسير

أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم، في الأمر والنهي. 39 لغريمه، هم فيها خالدون لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون. وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى واندفع عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع هداي، فكفر به، وكذب بآياته. ف أولئك أصحاب النار أي: الملازمون لها، ملازمة صاحب لصاحبه، والغريم فمن اتبع هداي، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل مكروه، من الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء، فحصل له المرغوب، فنفاهما عن اتبع هداي وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفي الضلال والشقاء عن اتبع هداي وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة، يشقى فرتب على اتباع هذه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن والفرق بينهما، أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظرا، أحدث الخوف، جميع أخبار الرسل والكتب، والامتنثال للأمر والاجتناب للنهي، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفي الآية الأخرى: فمن اتبع هداي فلا يضل ولا رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم مني ويدنيكم من رضائي، فمن تبع هداي منكم، بأن آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم، وذلك بتصديق الآيتين 38 و 39 :- كرر الإيهام، ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله: فإما يأتينكم مني هدى أي: وقت وزمان جاءكم مني يا معشر الثقلين هدى، أي:

تفسير

الآخر، أحد أركان الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرغبة والعمل، و اليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل. 4 فلا يفرقون بين أحد منهم. ثم قال: وبالأخرة هم يوقنون و الآخرة اسم لما يكون بعد الموت، وخصه بالذكر بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل وبما اشتملت عليه، خصوصا التوراة والإنجيل والزبور، وهذه خاصية المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل بما حاصله عدم التصديق بمعناها، وإن صدقوا بلفظها، فلم يؤمنوا بها إيمانا حقيقيا. وقوله: وما أنزل من قبلك يشمل الإيمان بالكتب السابقة، ويتضمن ولا يؤمنون ببعضه، إما بجحده أو تأويله، على غير مراد الله ورسوله، كما يفعل ذلك من يفعله من المبتدعة، الذين يؤولون النصوص الدالة على خلاف قولهم، والسنة، قال تعالى: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة فالتقون يؤمنون بجميع ما جاء به الرسول، ولا يفرقون بين بعض ما أنزل إليه، فيؤمنون ببعضه، ثم قال: والذين يؤمنون بما أنزل إليك وهو القرآن

ثم أمرهم بالسبب الحامل لهم على الوفاء بعهد، وهو الرهبة منه تعالى، وخشيته وحده، فإن من خشيته أوجبت له خشيته امتثال أمره واجتناب نهيه. 40 بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لن أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمنت برسلي إلى قوله: فقد ضل سواء السبيل ما عهده إليهم من الإيمان به، وبرسوله وإقامة شرعه. أوف بعهدكم وهو المجازاة على ذلك. والمراد بذلك: ما ذكره الله في قوله: ولقد أخذ الله ميثاق النعم التي سيذكر في هذه السورة بعضها، والمراد بذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضيه. وأوفوا بعهدي وهو فرق بني إسرائيل، الذين بالمدينة وما حولها، ويدخل فيهم من أتى من بعدهم، فأمرهم بأمر عام، فقال: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وهو يشمل سائر يا بني إسرائيل المراد بإسرائيل: يعقوب عليه السلام، والخطاب مع

اتقيتم الله وحده، أوجبت لكم تقواه، تقديم الإيمان بآياته على الثمن القليل، كما أنكم إذا اخترتم الثمن القليل، فهو دليل على ترحل التقوى من قلوبكم. 41 المناصب والمآكل، التي يتوهمون انقطاعها، إن آمنوا بالله ورسوله، فاشتروها بآيات الله واستحبوها، وأثروها. وإياي أي: لا غيري فاتقون فإنكم إذا بهم من بعدهم. ثم ذكر المانع لهم من الإيمان، وهو اختيار العرض الأدنى على السعادة الأبدية، فقال: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وهو ما يحصل لهم من به أبلغ من قوله: ولا تكفروا به لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى الرسل جميعهم. فلما أمرهم بالإيمان به، نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر به فقال: ولا تكونوا أول كافر به أي: بالرسول والقرآن. وفي قوله: أول كافر جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به، كذبتكم ببعض ما أنزل إليكم، ومن كذب ببعض ما أنزل إليه، فقد كذب بجميعه، كما أن من كفر برسول، فقد كذب لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، فتكذبتكم له تكذيب لما معكم. وأيضا، فإن في الكتب التي بأيديكم، صفة هذا النبي الذي آمن به وصدق به، لكونكم أهل الكتب والعلم. وأيضا فإن في قوله: مصدقا لما معكم إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم، بتكذيب ما معكم، له لا مخالفا ولا مناقضا، فإذا كان موافقا لما معكم من الكتب، غير مخالف لها فلا مانع لكم من الإيمان به، لأنه جاء بما جاءت به المرسلون، فأنتم أولى من صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بالإيمان به، واتباعه، ويستلزم ذلك، الإيمان بمن أنزل عليه، وذكر الداعي لإيمانهم به، فقال: مصدقا لما معكم أي: موافقا ثم أمرهم بالأمر الخاص، الذي لا يتم إيمانهم، ولا يصح إلا به فقال: وآمنوا بما أنزلت وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد

بذلك، وكنتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين. 42

تفسير السعدي

سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم. ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين أي: تخلصوا الحق بالباطل وتكتموا الحق فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق، ثم قال: ولا تلبسوا

بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها. 43 وبين الإخلاص للعبود، والإحسان إلى عبيده، وبين العبادات القلبية البدنية والمالية. وقوله: واركعوا مع الراكعين أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر مستحقيها، واركعوا مع الراكعين أي: صلوا مع المصلين، فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسول الله وآيات الله، فقد جمعت بين الأعمال الظاهرة والباطنة، ثم قال: وأقيموا الصلاة أي: ظاهرا وباطنا وآتوا الزكاة

الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتنائهم بالأقوال المجردة. 44 أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيه، فترك تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر دل على عدم عقله وجهله، خصوصا إذا كان عالما بذلك، قد قامت عليه الحجة. وهذه الآية، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله عما يضره، وذلك أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، وتنسون أنفسكم أي: تتركونها عن أمرها بذلك، والحال: وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأسمى العقل عقلا لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به أتأمرون الناس بالبر أي: بالإيمان والخير

منشراح صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه. 45 الأمور وإنها أي: الصلاة لكبيرة أي: شاقة إلا على الخاشعين فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنتهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على

عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه. 46 ملاقو ربهم فيجازيهم بأعمالهم وأنهم إليه راجعون فهذا الذي خفف عليهم العبادات وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفس عنهم الكربات، وزجرهم هو: خضوع القلب وطمانينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلا وافتقارا، وإيمانا به وبلقائه. ولهذا قال: الذين يظنون أي: يستيقنون أنهم والخشوع

لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار، فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته. 47 ولا يؤخذ منها عدل هذا نفي للنفع الذي يطلب ممن يملكه بعوض، كالعدل، أو بغيره، كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لا تجزي نفس عن نفس شيئا هذا في تحصيل المنافع، ولا هم ينصرون هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع. ولا يقبل منها شفاعته معه لافتدوا به من سوء العذاب ولا يقبل منهم ذلك ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم المكروه، فنفي الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله: له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة، ولا يؤخذ منها عدل أي: فداء ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله الأقربين شيئا لا كبيرا ولا صغيرا وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه. ولا يقبل منها أي: النفس، شفاعته لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع وخوفهم بيوم القيامة الذي لا تجزي فيه، أي: لا تغني نفس ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين عن نفس ولو كانت من العشيرة تفسير الآيتين 47 و 48: ثم كرر على بني إسرائيل التذكير بنعمته، وعظا لهم، وتحذيرا وحثا.

لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار، فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته. 48 ولا يؤخذ منها عدل هذا نفي للنفع الذي يطلب ممن يملكه بعوض، كالعدل، أو بغيره، كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لا تجزي نفس عن نفس شيئا هذا في تحصيل المنافع، ولا هم ينصرون هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع. ولا يقبل منها شفاعته معه لافتدوا به من سوء العذاب ولا يقبل منهم ذلك ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم المكروه، فنفي الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله: له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة، ولا يؤخذ منها عدل أي: فداء ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله الأقربين شيئا لا كبيرا ولا صغيرا وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه. ولا يقبل منها أي: النفس، شفاعته لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع وخوفهم بيوم القيامة الذي لا تجزي فيه، أي: لا تغني نفس ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين عن نفس ولو كانت من العشيرة

تفسير السعدي

تفسير الآيتين 47 و 48 :- ثم كرر على بني إسرائيل التذكير بنعمته، وعظا لهم، وتحذيرا وحثا.

عدوهم وهم ينظرون لتقر أعينهم. وفي ذلكم أي: الإنجاء بلاء أي: إحسان من ربكم عظيم فهذا مما يوجب عليكم الشكر والقيام بأوامره. 49 فلا يقتلونهم، فأنتم بين قتيل ومذل بالأعمال الشاقة، مستحيي على وجه المنة عليه والاستعلاء عليه فهذا غاية الإهانة، فمن الله عليهم بالنجاة التامة وإغراق قبل ذلك يسومونكم أي: يولونهم ويستعملونهم، سوء العذاب أي: أشده بأن كانوا يذبحون أبناءكم خشية نموكم، ويستحيون نساءكم أي:

هذا شروع في تعداد نعمه على بني إسرائيل على وجه التفصيل فقال: وإذ نجيناكم من آل فرعون أي: من فرعون وملئه وجنوده وكانوا

حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل، فهي سبل الشقاء والهلاك والخسار التي تفضي بسالكها إلى الهلاك. 5 مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر. ثم قال: وأولئك هم المفلحون والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ في كما في قوله: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين لأن صاحب الهدى

المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة، وهل الهداية الحقيقية إلا هدايتهم، وما سواها مما خالفها، فهو ضلالة. وأتى بـ على

أولئك أي: الموصوفون بتلك الصفات الحميدة على هدى من ربهم أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأي هداية أعظم من تلك الصفات

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 50

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 51

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 52

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 53

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 54

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 55

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

الصاعقة إما الموت أو الغشية العظيمة، وأنتم تنظرون وقوع ذلك، كل ينظر إلى صاحبه، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون 56

وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وهذا غاية الظلم والجراة على الله وعلى رسوله، فأخذتكم

بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا لأن الله لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فيعود ضرره عليهم. 57

ما رزقناكم أي: رزقا لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفهي، فلم يشكروا هذه النعمة، واستمروا على قساوة القلوب وكثرة الذنوب. وما ظلمونا يعني

والكفاءة والخبز وغير ذلك. والسلاوى طائر صغير يقال له السماني، طيب اللحم، فكان ينزل عليهم من المن والسلاوى ما يكفيهم وبقيتهم كلوا من طيبات

والبرية الخالية من الضلال وسعة الأرزاق، فقال: وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن وهو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل

ثم ذكر نعمته عليكم في التيه

أي أن يحط عنهم خطاياهم بسؤالهم إياه مغفرته. تغفر لكم خطاياكم بسؤالكم المغفرة، وسنزيد المحسنين بأعمالهم، أي: جزاء عاجل وآجلا. 58

فيها الرزق الرغد، وأن يكون دخولهم على وجه خاضعين لله فيه بالفعل، وهو دخول الباب سجدا أي: خاضعين ذليلين، وبالقول وهو أن يقولوا: حطة

وهذا أيضا من نعمته عليهم بعد معصيتهم إياه، فأمرهم بدخول قرية تكون لهم عزا ووطنا ومسكنا، ويحصل لهم

كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم، قال: فأنزلنا على الذين ظلموا منهم رجزا أي: عذابا من السماء بسبب فسقهم وبغيهم. 59

تفسير السعدي

حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله، واستهزاء وإذا بدلوا القول مع خفته فتبديلهم للفعل من باب أولى وأحرى، ولهذا دخلوا يزحفون على أديبارهم، ولما فبدل الذين ظلموا منهم، ولم يقل فبدلوا لأنهم لم يكونوا كلهم بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فقالوا بدل

الدعوة إلا إقامة الحجة، وكان في هذا قطعاً لطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في إيمانهم، وأنت لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات. 60 مستمرون على كفرهم، فسواء عليهم أنذرتهم، أم لم تنذرهم لا يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم لكفرهم، المعاندين للرسول يخبر تعالى أن الذين كفروا، أي: اتصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصاروصفا لهم لازماً، لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ، إنهم فلها لما ذكر صفات المؤمنين حقاً، ذكر صفات الكفار المظهرين

لا متكدرين، ولهذا قال: كلوا واشربوا من رزق الله أي: الذي آتاكم من غير سعي ولا تعب، ولا تعثوا في الأرض أي: تخربوا على وجه الإفساد. 60 اثنتا عشرة قبيلة، قد علم كل أناس منهم مشربهم أي: محلهم الذي يشربون عليه من هذه الأعين، فلا يزاحم بعضهم بعضاً، بل يشربونه متهنين ماء يشربون منه. فقلنا اضرب بعصاك الحجر إما حجر مخصوص معلوم عنده، وإما اسم جنس، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وقبائل بني إسرائيل استسقى، أي: طلب لهم

من الشر يعود بضرر الجميع. ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله. 61 حتى كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكان الحادث من بعضهم حادثاً من الجميع. لأن ما يعملهم بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعملهم فخطوبوا بها، لأنها نعم تشملهم وتعمهم. ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها، حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين؟. ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم، نعمة واصله إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء، نعمة على الأبناء، عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع ونسبت لهم لفوائد عديدة، منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت كل بلاء. واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خطوبوا بها وهي فعل أسلافهم، فإن المعاصي يجز بعضها بعضاً، فالغفلة ينشأ عنها الذنب الصغير، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير، ثم ينشأ عنها أنواع البدع والكفر وغير ذلك، فنسأل الله العافية من فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم. ذلك بما عصوا بأن ارتكبوا معاصي الله وكانوا يعتدون على عباد الله، الدالات على الحق الموضحة لهم، فلما كفروا بها عاقبهم بغضبه عليهم، وبما كانوا يقتلون النبيين بغير الحق وقوله: بغير الحق زيادة شناعة، وإلا بها وفازوا، إلا أن رجعوا بسخطه عليهم، فبئست الغنيمة غنيمتهم، وبئست الحالة حالتهم. ذلك الذي استحقوا به غضبه بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، ولا لهم همم عالية، بل أنفسهم أنفس مهينة، وهمهم أردأ الهمم، وباءوا بغضب من الله أي: لم تكن غنيمتهم التي رجعوا دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم من جنس عملهم فقال: وضربت عليهم الذلة التي تشاهد على ظاهر أبدانهم والمسكنة أي مصر هبطتموه وجدتموها، وأما طعامكم الذي من الله به عليكم، فهو خير الأطعمة وأشرفها، فكيف تطلبون به بدلاً؟ ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر لهم موسي أتستبدلون الذي هو أدنى وهو الأطعمة المذكورة، بالذي هو خير وهو المن والسلوى، فهذا غير لائق بكم، فإن هذه الأطعمة التي طلبتم، لنا مما تنبت الأرض من بقلها أي: نباتها الذي ليس بشجر يقوم على ساقه، وقتائها وهو الخيار وفومها أي: ثومها، والعدس والبصل معروف، قال على وجه التملل لنعم الله والاحتقار لها، لن نصبر على طعام واحد أي: جنس من الطعام، وإن كان كما تقدم أنواعاً، لكنها لا تتغير، فادع لنا ربك يخرج أي: واذكروا، إذ قلت لموسى،

بهم. ذكر تعالى حكماً عاماً يشمل الطوائف كلها، ليتضح الحق، ويزول التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين. 62 في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه، ولما كان أيضاً ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص تنزيل من يعلم الأشياء قبل وجودها، ومن رحمته وسعت كل شيء. وذلك والله أعلم أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع عليه وسلم وأن هذا مضمون أحوالهم، وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه فعليه الخوف والحزن. والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف، من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد صلى الله الآخر، وصدقوا رسالهم، فإن لهم الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر، فهو بضد هذه الحال، الكتاب خاصة، لأن الصابئين، الصحيح أنهم من جملة فرق النصارى، فأخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة، واليهود والنصارى، والصابئين من آمن بالله واليوم والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا الحكم على أهل ثم قال تعالى حاكماً بين الفرق الكتابية: إن الذين آمنوا

وصبر على أوامر الله، واذكروا ما فيه أي: ما في كتابكم بأن تتلوهم وتتعلموه، لعلكم تتقون عذاب الله وسخطه، أو لتكونوا من أهل التقوى. 63 إذ أخذنا ميثاقكم وهو العهد الثقيل المؤكد بالتخويف لهم، برفع الطور فوقهم وقيل لهم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بقوة أي: بجد واجتهاد،

أي: واذكروا

هذا التأكيد البليغ توليتم وأعرضتم، وكان ذلك موجبا لأن يحل بكم أعظم العقوبات، ولكن لولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين 64

فبعد

كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت الآيات. فأوجب لهم هذا الذنب العظيم، أن غضب الله عليهم وجعلهم قردة خاسئين حقيرين ذليلين. 65
أي: ولقد تقرر عندكم حالة الذين اعتدوا منكم في السبت وهم الذين ذكر الله قصتهم مبسطة في سورة الأعراف في قوله: وأسألهم عن القرية التي
أي: من بعدهم، فتقوم على العباد حجة الله، وليرتدعوا عن معاصيه، ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين، وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات. 66
وجعل الله هذه العقوبة نكالا لما بين يديها أي: لمن حضرها من الأمم، وبلغه خبرها، ممن هو في وقتهم. وما خلفها

أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل، استهزأه بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده. 67
فقال نبي الله: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل فيرى
لكم موسى في تبیین القاتل: اذبحوا بقرة، وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا: ألتخذنا هزا
مع موسى، حين قتلتم قتيلا، وادارأتم فيه، أي: تدافعتم واختلقتم في قاتله، حتى تفاقم الأمر بينكم وكاد لولا تبیین الله لكم يحدث بينكم شر كبير، فقال
أي: واذكروا ما جرى لكم

أي: ما سنها؟ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض أي: كبيرة ولا بكر أي: صغيرة عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون واتركوا التشديد والتعنت. 68
فلما قال لهم موسى ذلك، علموا أن ذلك صدق فقالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها أي: شديد تسر الناظرين من حسنها. 69

كما لم يؤمنوا به أول مرة وهذا عقاب عاجل. ثم ذكر العقاب الآجل، فقال: ولهم عذاب عظيم وهو عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم. 7
عندهم، وإنما منعوا ذلك، وسدت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعد ما تبين لهم الحق، كما قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم
وعلى أبصارهم غشاوة أي: غشاء وغطاء وأكنت تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، وهذه طرق العلم والخير، قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم، ولا خير يرجى
من الإيمان فقال: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم.
ثم ذكر الموانع المانعة لهم

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا فلم نهتد إلى ما تريد وإنما إن شاء الله لمهتدون 70

إن شاء الله لم يهتدوا أيضا إليها، فذبحوها أي: البقرة التي وصفت بتلك الصفات، وما كادوا يفعلون بسبب التعنت الذي جرى منهم. 71
وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم اعترضوا أي: بقرة لحصل المقصود، ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة فشدد الله عليهم، ولو لم يقولوا
بساقية، مسلمة من العيوب أو من العمل لا شية فيها أي: لا لون فيها غير لونها الموصوف المتقدم. قالوا الآن جئت بالحق أي: بالبيان الواضح،
قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول أي: مذلة بالعمل، تثير الأرض بالحرثة ولا تسقي الحرث أي: ليست

وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله، وكان في إحيائه وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى، لعلكم تعقلون فتتزعجرون عن ما يضركم. 72
فلما ذبحوها، قلنا لهم اضربوا القتل ببعضها، أي: بعضو منها، إما معين، أو أي عضو منها، فليس في تعيينه فائدة، فضره ببعضها فأحياه الله،

يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق. 73
من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي
الله عليه وسلم، وذلك أن مرتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان
جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعاً إذا لم تصح عن رسول الله صلى
ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج والذي أرى أنه وإن
لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه. واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل،
وإن منها لما يهبط من خشية الله فهذه الأمور فضلت قلوبكم. ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال: وما الله بغافل عما تعملون بل هو عالم بها حافظ

أو بمعنى بل ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء
أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار. وقوله: أو أشد قسوة أي: إنها لا تقصر عن قسوة الأحجار، وليست
بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها كالحجارة التي هي
لعلكم تعقلون فتتزعجرون عن ما يضركم. ثم قست قلوبكم أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، من بعد ذلك أي: من بعد ما أنعم عليكم
فليس في تعيينه فائدة، فضره ببعضها فأحياه الله، وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله، وكان في إحيائه وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى،
بتلك الصفات، وما كادوا يفعلون بسبب التعنت الذي جرى منهم. فلما ذبحوها، قلنا لهم اضربوا القتل ببعضها، أي: بعضو منها، إما معين، أو أي عضو منها،
لحصل المقصود، ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة فشدد الله عليهم، ولو لم يقولوا إن شاء الله لم يهتدوا أيضا إليها، فذبحوها أي: البقرة التي وصفت

تفسير السعدي

غير لونها الموصوف المتقدم. قالوا الآن جئت بالحق أي: بالبيان الواضح، وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم اعترضوا أي: بقرة أي: مذلة بالعمل، تثير الأرض بالحرارة ولا تسقي الحرت أي: ليست بساقية، مسلمة من العيوب أو من العمل لا شية فيها أي: لا لون فيها من حسننها. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا فلم نهتد إلى ما تريد وإنما إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول فافعلوا ما تؤمرون واتركوا التشديد والتعنت. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي بقرة لا لون لها قال إنه يقول إنها بقرة لا فارق لونها أي: شديد تسر الناظرين أن ذلك صدق فقالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أي: ما سنها؟ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارق أي: كبيرة ولا بكر أي: صغيرة عوان بين ذلك بالدين والعقل، استهزاء بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده. فلما قال لهم موسى ذلك، علموا بالله أن أكون من الجاهلين فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل فيرى أن من أكبر العيوب المزرية اذبحوا بقرة، وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا: آتخذنا هزوا فقال نبي الله: أعود وادارأتم فيه، أي: تدافعتم واختلقتم في قتاله، حتى تفاقم الأمر بينكم وكاد لولا تبيين الله لكم يحدث بينكم شر كبير، فقال لكم موسى في تبيين القاتل: أي: واذكروا ما جرى لكم مع موسى، حين قتلتم قتيلا،

يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق. 74 من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي الله عليه وسلم، وذلك أن مرتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعاً إذا لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج والذي أرى أنه وإن لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه. وأعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، وإن منها لما يهبط من خشية الله فهذه الأمور فضلت قلوبكم، ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال: وما الله بغافل عما تعملون بل هو عالم بها حافظ أو بمعنى بل ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار. وقوله: أو أشد قسوة أي: إنها لا تقصر عن قسوة الأحجار، وليست بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها كالحجارة التي هي ثم قست قلوبكم أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، من بعد ذلك أي: من بعد ما أنعم عليكم

فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء. 75 الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي

وما هم عليه باطل، فيحتجون عليكم بذلك عند ربكم أفلا تعقلون أي: أفلا يكون لكم عقل، فتتركوا ما هو حجة عليكم؟ هذا يقوله بعضهم لبعض. 76 أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أي: أنظروا لهم الإيمان وتخبروهم أنكم مثلهم، فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟ يقولون: إنهم قد أقرروا بأن ما نحن عليه حق، أما فأظهروا لهم الإيمان قولا بألسنتهم، ما ليس في قلوبهم، وإذا خلا بعضهم إلى بعض فلم يكن عندهم أحد من غير أهل دينهم، قال بعضهم لبعض: ثم ذكر حال منافقي أهل الكتاب فقال: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا

وزعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين، فإن هذا غلط منهم وجهل كبير، فإن الله يعلم سرهم وعلمهم، فيظهر لعباده ما أنتم عليه. 77 أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فهم وإن أسروا ما يعتقدونه فيما بينهم،

ومنافقيهم، ومن لم ينافق منهم، فالعلماء منهم متمسكون بما هم عليه من الضلال، والعوام مقلدون لهم، لا بصيرة عندهم فلا مطعم لكم في الطائفتين. 78 عندهم خبر بما عند الأولين الذين يعلمون حق المعرفة حالهم، وهؤلاء إنما معهم ظنون وتقاليدهم لأهل العلم منهم. فذكر في هذه الآيات علماءهم، وعوامهم، أي: من أهل الكتاب أميون أي: عوام، ليسوا من أهل العلم، لا يعلمون الكتاب إلا أمانى أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط، وليس ومنهم

لنلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله. وهذه الأمور كثيرة جدا في أهل الأهواء جملة، كالرافضة، وتفصيلا مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء. 79 الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأئمة، وهذا هو أصول الدين، الذي يجب اعتقاده على الأعيان والكفاية، ومتناول لمن كنتم ما عنده من الكتاب والسنة، إلا مجرد تلاوة حروفه، ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله، لينال به دنيا وقال: إنه من عند الله، مثل أن يقول: هذا هو الشرع والدين، وهذا معنى وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة. وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم وفي ضمنها الوعيد الشديد. قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه الآيات من قوله: أفطمعوا إلى يكسبون فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، بهذين الأمرين فقال: فويل لهم مما كتبت أيديهم أي: من التحريف والباطل وويل لهم مما يكسبون من الأموال، والويل: شدة العذاب والحسرة،

تفسير السعدي

من وجهين: من جهة تلبيس دينهم عليهم، ومن جهة أخذ أموالهم بغير حق، بل بأبطل الباطل، وذلك أعظم ممن يأخذها غصبا وسرقة ونحوهما، ولهذا توعدهم فعلا ذلك مع علمهم ليشترتوا به ثمنا قليلا والدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل، فجعلوا باطلهم شركا يصطادون به ما في أيدي الناس، فظلموهم توعد تعالى المحرفين للكتاب، الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون: هذا من عند الله وهذا فيه إظهار الباطل وكتم الحق، وإنما

هم بمؤمنين فإنهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقوله: وما هم بمؤمنين لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب واللسان 8 تعالى: يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فوصفهم الله بأصل النفاق فقال: ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما ليسوا منهم. فمن لطف الله بالمؤمنين، أن جلا أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضا عن كثير من فجورهم قال ممن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفا ومخادعة، ولتحقق دماؤهم، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم، وفي الحقيقة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة بدر وأظهر الله المؤمنين وأعزهم، ذل من في المدينة وإذا خاصم فجر وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجودا قبل والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان وفي رواية: واعلم أن النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي،

الله ونقضهم الموائيق، فتعين بذلك أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه ما لا يعلمون، والقول عليه بلا علم، من أعظم المحرمات، وأشنع القبيحات. 80 وعذابهم، وقد علم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهدا، لتكذيبهم كثيرا من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى أن قتلوا طائفة منهم، ولنكولهم عن طاعة الأمرين اللذين لا ثالث لهما: إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهدا، فتكون دعواهم صحيحة. وإما أن يكونوا متقولين عليه فتكون كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم فهذا الوعد الموجب لنجاة صاحبه الذي لا يتغير ولا يتبدل. أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ فأخبر تعالى أن صدق دعواهم متوقفة على أحد هذين الإساءة والأمن. ولما كان هذا مجرد دعوى، رد الله تعالى عليهم فقال: قل لهم يا أيها الرسول اتخذتم عند الله عهدا أي بالإيمان به وبرسله وبطاعته، مع هذا أنهم يزكون أنفسهم، ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله، والفوز بثوابه، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، أي: قليلة تعد بالأصابع، فجمعوا بين ذكر أفعالهم القبيحة، ثم ذكر

عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه. 81 إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته. فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة في سياق الشرط، فيعم الشرك فما دونه، والمراد به هنا الشرك، بدليل قوله: وأحاطت به خطيئته أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذا، وهذا لا يكون غيره، لا أمانهم ودعواهم بصفة الهالكين والناجين، فقال: بلى أي: ليس الأمر كما ذكرتم، فإنه قول لا حقيقة له، ولكن من كسب سيئة وهو نكرة ثم ذكر تعالى حكما عاما لكل أحد، يدخل به بنو إسرائيل وغيرهم، وهو الحكم الذي لا حكم

متبعا بها سنة رسوله. فحاصل هاتين الآيتين، أن أهل النجاة والفوز، هم أهل الإيمان والعمل الصالح، والهالكون أهل النار المشركون بالله، الكافرون به. 82 والذين آمنوا بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وعملوا الصالحات ولا تكون الأعمال صالحة إلا بشرطين: أن تكون خالصة لوجه الله،

في هذه الأوامر، فعنود بالله من الخذلان. وقوله: إلا قليلا منكم هذا استثناء، لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلا منهم، عصمهم الله وثبتهم. 83 بها عليهم وأخذ الموائيق عليكم توليتم على وجه الإعراض، لأن المتولي قد يتولى، وله نية رجوع إلى ما تولى عنه، وهؤلاء ليس لهم رغبة ولا رجوع إلى العيب. ثم بعد هذا الأمر لكم بهذه الأوامر الحسنة التي إذا نظر إليها البصير العاقل، عرف أن من إحسان الله على عباده أن أمرهم بها، وتفضل من أذى الخلق، امتثالا لأمر الله، ورجاء لثوابه. ثم أمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لما تقدم أن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة متضمنة للإحسان يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملا لكل أحد، صبوراً على ما يناله النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك بالإحسان إلى الناس عموما فقال: وقولوا للناس حسنا ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة محرم، لكن لا يجب أن يلحق بالأول، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى، والمساكين، وتفصيل الإحسان لا تنحصر بالحد، بل تكون بالحد، كما تقدم. ثم أمر أو عدم الإحسان والإساءة، لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده. وللإحسان ضدان: الإساءة، وهي أعظم جرما، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا ثم قال: وبالوالدين إحسانا أي: أحسنوا بالوالدين إحسانا، وهذا يعم كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم، وفيه النهي عن الإساءة إلى الوالدين، إلا الله هذا أمر بعبادة الله وحده، ونهي عن الشرك به، وهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها، فهذا حق الله تعالى على عباده، الآية. فقلوه: وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل هذا من قسوتهم أن كل أمر أمروا به، استعصوا: فلا يقبلونه إلا بالأيمن الغليظة، والعهود الموثقة لا تعبدون لاشتمالها على المصالح العامة، في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين، ولهذا أمرنا بها في قوله: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا إلى آخر وهذه الشرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة،

تفسير السعدي

فلهذا قال: فلا يخفف عنهم العذاب بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم مكروهه. 84 الكتاب، والإيمان ببعضه فقال: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، وأجلى من أجلى. ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب أي: أعظمه وما الله بغافل عما تعملون ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض تعالى: فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، فداء الأسير وتكفرون ببعض وهو القتل والإخراج. وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتتلوا أعان زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، تفسير الآيات من 84 الـ 86 وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في

فلهذا قال: فلا يخفف عنهم العذاب بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم مكروهه 85 الكتاب، والإيمان ببعضه فقال: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، وأجلى من أجلى. ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب أي: أعظمه وما الله بغافل عما تعملون ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض تعالى: فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، فداء الأسير وتكفرون ببعض وهو القتل والإخراج. وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتتلوا أعان زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في

فلهذا قال: فلا يخفف عنهم العذاب بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم مكروهه 86 الكتاب، والإيمان ببعضه فقال: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، وأجلى من أجلى. ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب أي: أعظمه وما الله بغافل عما تعملون ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض تعالى: فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، فداء الأسير وتكفرون ببعض وهو القتل والإخراج. وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتتلوا أعان زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في

الإيمان بهم، ففريقا منهم كذبتم وفريقا تقتلون فقدتمم الهوى على الهدى، وآثرتهم الدنيا على الآخرة، وفيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى. 87 إنه جبريل عليه السلام، وقيل: إنه الإيمان الذي يؤيد الله به عباده. ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها، لما أتوكم بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم عن بعيسى ابن مريم عليه السلام، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، وأيدناه بروح القدس أي: قواه الله بروح القدس. قال أكثر المفسرين: يمتن تعالى على بني إسرائيل أن أرسل لهم كلمه موسى، وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسول الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم

فلهذا قال تعالى: بل لعنهم الله بكفرهم أي: أنهم مطرودون ملعونون، بسبب كفرهم، فقليل المؤمن منهم، أو قليلا إيمانهم، وكفرهم هو الكثير. 88 لما دعوتهم إليه، يا أيها الرسول، بأن قلوبهم غلف، أي: عليها غلاف وأغطية، فلا تفقه ما تقول، يعني فيكون لهم بزعمهم عذر لعدم العلم، وهذا كذب منهم، أي: اعتذروا عن الإيمان

تفسير السعدي

فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به، وبكتبه، وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم. 89 وغضب عليهم غضبا بعد غضب، لكثرة كفرهم وتوالى شكهم وشركهم. وللكاافرين عذاب مهين أي: مؤلم موجه، وهو صلي الجحيم، وفوت النعيم المقيم، وأنهم يقاتلون المشركين معه، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا، كفروا به، بغيا وحسدا، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله، ما معهم من التوراة، وقد علموا به، وتيقنوه حتى إنهم كانوا إذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب، استنصروا بهذا النبي، وتوعدهم بخروجه، أي: ولما جاءهم كتاب من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء، المشتمل على تصديق

القوة والنصرة. ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجه المفجع، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم وحمافتهم لا يشعرون بذلك. 90 بذلك أموالهم وحقت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من وإضرارها وكيدها؛ لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم شيئا وعباده المؤمنون، لا يضرهم كيدهم شيئا، فلا يضر المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان، فسلمت لأن المخادع، إما أن ينتج خداعه ويحصل له ما يريد أو يسلم، لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع، فهؤلاء المنافقون، سلخوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن هذا من العجائب؛ وإنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين. والمخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئا،

فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به، وبكتبه، وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم. 90 وغضب عليهم غضبا بعد غضب، لكثرة كفرهم وتوالى شكهم وشركهم. وللكاافرين عذاب مهين أي: مؤلم موجه، وهو صلي الجحيم، وفوت النعيم المقيم، وأنهم يقاتلون المشركين معه، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا، كفروا به، بغيا وحسدا، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله، ما معهم من التوراة، وقد علموا به، وتيقنوه حتى إنهم كانوا إذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب، استنصروا بهذا النبي، وتوعدهم بخروجه، أي: ولما جاءهم كتاب من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء، المشتمل على تصديق

في أيديهم ونقضا له. ثم نقض عليهم تعالى دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم بقوله: قل لهم: فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين - 91 له غيرها، ولا تتم دعواه إلا بسلامة بينته، ثم يأتي هو لبينته وحجته، فيقدح فيها ويكذب بها أليس هذا من حماقة والجنون؟ فكان كفرهم بالقرآن، كفرا بما أنه حجة لهم على صدق ما في أيديهم من الكتب، فلا سبيل لهم إلى إثباتها إلا به، فإذا كفروا به وجحدوه، صاروا بمنزلة من ادعى دعوى بحجة وبينه ليس ومهيما عليه. فلم تؤمنون بما أنزل عليكم، وتكفرون بنظيره؟ هل هذا إلا تعصب واتباع للهوى لا للهدى؟ وأيضا، فإن كون القرآن مصدقا لما معهم، يقتضي والنواهي، وهو من عند ربهم، فالكفر به بعد ذلك كفر بالله، وكفر بالحق الذي أنزله. ثم قال: مصدقا لما معهم أي: موافقا له في كل ما دل عليه من الحق وألزمهم إلزاما لا محيد لهم عنه، فرد عليهم بكفرهم بالقرآن بأمرين فقال: وهو الحق فإذا كان هو الحق في جميع ما اشتمل عليه من الأخبارات، والأوامر بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا ولهذا رد عليهم تبارك وتعالى هنا ردا شافيا، الرسل والكتب، وزعم الإيمان ببعضها دون بعض، فهذا ليس بإيمان، بل هو الكفر بعينه، ولهذا قال تعالى: إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا أن الواجب أن يؤمن بما أنزل الله مطلقا، سواء أنزل عليهم، أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمان بما أنزل الله على جميع رسل الله. وأما التفريق بين وإذا أمر اليهود بالإيمان بما أنزل الله على رسوله، وهو القرآن استكبروا وعتوا، وقالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه أي: بما سواه من الكتب، مع أي:

موسى بالبينات أي: بالأدلة الواضحات المبينة للحق، ثم اتخذتم العجل من بعده أي: بعد مجيئه وأنتم ظالمون في ذلك ليس لكم عذر. 92

ولقد جاءكم

والكفر برسول الله، وكثرة العصيان، وقد عهد أن الإيمان الصحيح، يأمر صاحبه بكل خير، وينهاه عن كل شر، فوضح بهذا كذبهم، وتبين تناقضهم. 93 فالتزمت بالقول، ونقضتم بالفعل، فما هذا الإيمان الذي ادعيتهم، وما هذا الدين؟. فإن كان هذا إيمانا على زعمكم، فبئس الإيمان الداعي صاحبه إلى الطغيان، الحق، وأنتم قتلتم أنبياء الله، واتخذتم العجل إلها من دون الله، لما غاب عنكم موسى، نبي الله، ولم تقبلوا أوامره ونواهيته إلا بعد التهديد ورفع الطور فوقكم، هذه حالتهم وأشربوا في قلوبهم العجل بسبب كفرهم. قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين أي: أنتم تدعون الإيمان وتتمدحون بالدين وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي: سماع قبول وطاعة واستجابة، قالوا سمعنا وعصينا أي: صارت

والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا. والله بصير بما يعملون تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم. 94 بأحد من الرسل والكتب. ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون أحد أنهم في غاية المعاندة والمحاددة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون بالله ورسله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير عليهم، وهو تمني الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك. فعلم كل الموت وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين: إما أن يؤمنوا

تفسير السعدي

من دون الناس كما زعمتم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى فتمنوا أي: قل لهم على وجه تصحيح دعواهم: إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة

والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا. والله بصير بما يعملون تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم. 95 بأحد من الرسل والكتب. ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون أحد أنهم في غاية المعاندة والمحاداة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون بالله ورسوله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير عليهم، وهو تمنى الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك. فعلم كل الموت وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين: إما أن يؤمنوا من دون الناس كما زعمتم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى فتمنوا أي: قل لهم على وجه تصحيح دعواهم: إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة

والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا. والله بصير بما يعملون تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم. 96 بأحد من الرسل والكتب. ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون أحد أنهم في غاية المعاندة والمحاداة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون بالله ورسوله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير عليهم، وهو تمنى الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك. فعلم كل الموت وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين: إما أن يؤمنوا من دون الناس كما زعمتم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى فتمنوا أي: قل لهم على وجه تصحيح دعواهم: إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة

بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله. فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أرسل إليه، فهذا وجه ذلك. 97 بالخير الديني والأخروي، لمن آمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملأته، فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته رسول محض. مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة وتكبر على الله، فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك، والله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك، أن وليك جبريل عليه السلام، ولو كان غيره من ملائكة الله، لآمنوا بك وصدقوا، إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، تفسير الآيتين 97 و98: أي: قل لهؤلاء اليهود، الذين

بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله. فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أرسل إليه، فهذا وجه ذلك. 98 بالخير الديني والأخروي، لمن آمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملأته، فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته رسول محض. مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة وتكبر على الله، فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك، والله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك، أن وليك جبريل عليه السلام، ولو كان غيره من ملائكة الله، لآمنوا بك وصدقوا، إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، تفسير الآيتين 97 و98: أي: قل لهؤلاء اليهود، الذين

والدلالة على الحق، قد بلغت مبلغا عظيما ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلا من فسق عن أمر الله، وخرج عن طاعة الله، واستكبر غاية التكبر. 99 يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولقد أنزلنا إليك آيات بينات تحصل بها الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على من عاند، وهي في الوضوح

سورة 3

وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح. 1 ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود سواه فهو باطل، النار، أي: حطها، الملازمون لها دائما أبدا، وهذه الحال التي ذكر الله تعالى أنها لا تغني الأموال والأولاد عن الكفار شيئا، سنته الجارية في الأمم السابقة. 10

تفسير السعدي

ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون وأخبر هنا أن الكفار هم وقود ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون وليس للأولاد والأموال قدر عند الله، إنما ينفع العبد إيمانه بالله وأعماله الصالحة، كما قال تعالى وما أموالكم النكبات التي ترد عليهم، ويقولون نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين فيوم القيامة يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات الجاحدين بدينه وكتابه، قد استحقوا العقاب وشدة العذاب بكفرهم وذنوبهم وأنه لا يغني عنهم مالهم ولا أولادهم شيئا، وإن كانوا في الدنيا يستدفعون بذلك يخبر تعالى أن الكفار به وبرسله،

كل خير فقد هدي إلى صراط مستقيم موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. 100 يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصولات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم البيّنات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم من أبعد الأشياء، فقال: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربه كل وقت، وهي الآيات من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيقانهم، وأن ذلك وذلك لحسدكم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين الله بغافل عما تعملون بل محيط بأعمالكم ونياتكم ومكركم السيء، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدكم ووبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدكم هنا بقوله: وما المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب تفسير الآيات من 98 الى 101 :- يوبخ تعالى

كل خير فقد هدي إلى صراط مستقيم موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. 101 يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصولات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم البيّنات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم من أبعد الأشياء، فقال: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربه كل وقت، وهي الآيات من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيقانهم، وأن ذلك وذلك لحسدكم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين الله بغافل عما تعملون بل محيط بأعمالكم ونياتكم ومكركم السيء، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدكم ووبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدكم هنا بقوله: وما المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب تفسير الآيات من 98 الى 101 :- يوبخ تعالى

فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها. 102 تهتدون بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من عليكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك يبين الله لكم آياته أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال لعلكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار أي: قد استحققت النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها فأنقذكم منها بما من وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالة بعضهم لبعض، ولهذا قال: فألف بين قلوبكم بعضهم بعضا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاختتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعثه الله ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف

تفسير السعدي

فاتقوا الله ما استطعتم وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جدا، يجمعها فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه، ثم أمرهم تعالى بما وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهذه الآية بيان لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: صحته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة، وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود: الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال هذا أمر من

فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها. 103 تهتدون بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من عليكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك يبين الله لكم آياته أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال لعلكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار أي: قد استحققت النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها فأنقذكم منها بما من وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تألف قلوبهم وموالات بعضهم لبعض، ولهذا قال: فألف بين قلوبكم بعضهم بعضا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والافتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعثه الله ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف فاتقوا الله ما استطعتم وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جدا، يجمعها فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه، ثم أمرهم تعالى بما وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهذه الآية بيان لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: صحته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة، وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود: الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال هذا أمر من

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: وأولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب 104 النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ولتكن منكم أمة إلخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنهم من الغش والمعاملات يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يقرب إلى الله ويبعد من سخطه ويأمرون بالمعروف وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ويبنهون عن المنكر وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين من الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله أمة أي: جماعة يدعون إلى الخير وهو اسم جامع لكل ما من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البالغ، ولهذا قال تعالى: وأولئك لهم عذاب عظيم 105 فقال: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومن العجائب أن اختلفهم من بعد ما جاءهم البينات الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلفهم،

تركتهم سبيل الرشاد وسلكتهم طريق الغي؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فليس يليق بكم إلا النار، ولا تستحقون إلا الخزي والفضيحة والعار. 106 فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم على وجه التوبيخ والتقريع: أكفرتم بعد إيمانكم أي: كيف آثرتكم الكفر والضلal على الإيمان والهدى؟ وكيف وقال تعالى: والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون من البهجة والسرور والنعيم والحبور الذي ظهرت آثاره على وجوههم كما قال تعالى: ولقاهم نضرة وسرورا في وجوههم وسرورا في قلوبهم، الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف، هؤلاء اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة، وأولئك أبيضت وجوههم، لما في قلوبهم للخوف والرجاء فقال: يوم تبيض وجوه وهي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله وتسود وجوه وهي وجوه أهل يخبر تعالى عن حال يوم القيامة وما فيه من آثار الجزاء بالعدل والفضل، ويتضمن ذلك الترغيب والترهيب الموجب

تفسير السعدي

بما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، في جوار أرحم الراحمين، لما بين الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية 107 بدخول الجنات ورضى ربهم ورحمته ففي رحمة الله هم فيها خالدون وإذا كانوا خالدين في الرحمة، فالجنة أثر من آثار رحمته تعالى، فهم خالدون فيها وأما الذين ابيضت وجوههم فيهننون أكمل تهنئة ويبشرون أعظم بشارة، وذلك أنهم يبشرون

للعالمين نفى إرادته ظلمهم فضلا عن كونه يفعل ذلك فلا ينقص أحدا شيئا من حسناته، ولا يزيد في ظلم الظالمين، بل يجازيهم بأعمالهم فقط 108 وأوامره ونواهيه مشتملة على الحكمة والرحمة وثوابها وعقابها، كذلك مشتمل على الحكمة والرحمة والعدل الخالي من الظلم، ولهذا قال: وما الله يريد ظلما تلك آيات الله نتلوها أي: نقصها عليك بالحق لأن

في الأرض، الذي خلقهم ورزقهم ويتصرف فيهم بقدره وقضائه، وفي شرعه وأمره، وإليه يرجعون يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم حسننها وسيئها. 109 أي: هو المالك لما في السماوات وما

وعاندوا، أخذهم الله بذنوبهم عدلا منه لا ظلما والله شديد العقاب على من أتى بأسباب العقاب وهو الكفر والذنوب على اختلاف أنواعها وتعدد مراتبها 11 كما جرى لفرعون ومن قبله ومن بعدهم من الفراعة العتاة الطغاة أرباب الأموال والجنود لما كذبوا بآيات الله وجحدوا ما جاءت به الرسل

لا سبيل إلى السلامة منها من كل معادي، فلو قاتلوا المؤمنين لولوا الأدبار فرارا ثم تستمر هزيمتهم ويدوم ذلهم ولا هم ينصرون في وقت من الأوقات 110 الله بعباده المؤمنين أنه رد كيدهم في نحورهم، فليس على المؤمنين منهم ضرر في أديانهم ولا أبدانهم، وإنما غاية ما يصلون إليه من الأذى أذية الكلام التي الخطاب ما يدعوهم إلى الإيمان، ولكن لم يؤمن منهم إلا قليل، وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله المعادون لأوليائه الله بأنواع العداوة، ولكن من لطف قد قامت بما أمرها الله بالقيام به، وامثلت أمر ربها واستحقت الفضل على سائر الأمم ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم وفي هذا من دعوته بلطف إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أمرا منه تعالى لهذه الأمة، والأمر قد يمثلته المأمور ويقوم به، وقد لا يقوم به، أخبر في هذه الآية أن الأمة وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغييهم وعصيانهم، فهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، لما كانت الآية السابقة وهي قوله: ولتكن منكم أمة يدعون لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم

لا سبيل إلى السلامة منها من كل معادي، فلو قاتلوا المؤمنين لولوا الأدبار فرارا ثم تستمر هزيمتهم ويدوم ذلهم ولا هم ينصرون في وقت من الأوقات 111 الله بعباده المؤمنين أنه رد كيدهم في نحورهم، فليس على المؤمنين منهم ضرر في أديانهم ولا أبدانهم، وإنما غاية ما يصلون إليه من الأذى أذية الكلام التي الخطاب ما يدعوهم إلى الإيمان، ولكن لم يؤمن منهم إلا قليل، وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله المعادون لأوليائه الله بأنواع العداوة، ولكن من لطف قد قامت بما أمرها الله بالقيام به، وامثلت أمر ربها واستحقت الفضل على سائر الأمم ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم وفي هذا من دعوته بلطف إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أمرا منه تعالى لهذه الأمة، والأمر قد يمثلته المأمور ويقوم به، وقد لا يقوم به، أخبر في هذه الآية أن الأمة وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغييهم وعصيانهم، فهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، لما كانت الآية السابقة وهي قوله: ولتكن منكم أمة يدعون لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم

بعد هذه الجراءة والجنائية شيء أعظم منها، وذلك كله بسبب عصيانهم واعتدائهم، فهو الذي جرأهم على الكفر بالله وقتل أنبياء الله، ثم قال تعالى: 112 لليقين والإيمان، فكفروا بها بغيا وعنادا ويقتلون الأنبياء بغير حق أي: يقابلون أنبياء الله الذين يحسنون إليهم أعظم إحسان بأشر مقابلة، وهو القتل، فهل والسبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال ذكره الله بقوله: ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله التي أنزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الموجبة إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم، تؤخذ منهم الجزية ويستدلون، أو تحت أحكام النصارى وقد باءوا مع ذلك بغضب من الله وهذا أعظم العقوبات، أنه عاقبهم بالدلة في بواطنهم والمسكنة على ظواهرهم، فلا يستقرون ولا يطمئنون إلا بحبل أي: عهد من الله وحبل من الناس فلا يكون اليهود أخبر تعالى

الله أناء الليل وهم يسجدون وهذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب ربهم وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له. 113 هؤلاء المؤمنون، فقال تعالى منهم أمة قائمة أي: مستقيمة على دين الله، قائمة بما ألزمها الله به من المأمورات، ومن ذلك قيامها بالصلاة يتلون آيات الأمة المستقيمة، وبين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوون عنده، بل بينهم من الفرق ما لا يمكن وصفه، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقد مضى وصفهم، وأما لما بين تعالي الفرق الفاسقة من أهل الكتاب وبين أفعالهم وعقوباتهم، بين هاهنا

الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، فهذا قال والله عليم بالمتقين كما قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين 114 فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا من خير قليلا كان أو كثيرا فلن يكفروه أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة من الصالحين الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من في الخيرات أي: يباردون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن

تفسير السعدي

بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم وصفهم بالهمم العالية و أنهم يسارعون وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقر به إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، يؤمنون بالله واليوم الآخر أي: كإيمان المؤمنين إيماناً يوجب لهم الإيمان بكل نبي

الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، فلماذا قال والله عليم بالمتقين كما قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين 115 فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا من خير قليلاً كان أو كثيراً فلن يكفروه أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة من الصالحين الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من في الخيرات أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم وصفهم بالهمم العالية و أنهم يسارعون وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقر به إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، يؤمنون بالله واليوم الآخر أي: كإيمان المؤمنين إيماناً يوجب لهم الإيمان بكل نبي

في زيادة نعم الله عليهم، تقتضي منهم شكرها، ويعاقبون على عدم القيام بها وعلى كفرها، ولهذا قال: أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 116 الله، كما قال تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً بل تكون أموالهم وأولادهم زاداً لهم إلى النار، وحجة عليهم يخبر تعالى أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، أي: لا تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله، ولا تجدي عليهم شيئاً من ثواب كانوا أنفسهم يظلمون حيث كفروا بآيات الله وكذبوا رسوله وحرصوا على إطفاء نور الله، هذه الأمور هي التي أحبطت أعمالهم وذهبت بأموالهم 117 فيهم: إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وما ظلمهم الله بإبطال أعمالهم ولكن هو كذلك إذ أصابته ريح فيها صر، أي: برد شديد محرق، فأهلك زرع، ولم يحصل له إلا التعب والعناء وزيادة الأسف، فكذا هؤلاء الكفار الذين قال الله من أموالهم التي يصدون بها عن سبيل الله ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تبطل وتضمحل، كمن زرع زرعاً يرجو نتيجته ويؤمل إدراك ريعه، فبينما ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار

بطانة، وإنما العاقل من إذا ابتلي بمخالطة العدو أن تكون مخالطة العدو ولا يطلعه من باطنه على شيء ولو تملق له وأقسم أنه من أوليائه. 118 للمؤمنين قد بينا لكم الآيات أي: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية لعلكم تعقلون فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو، فليس كل أحد يجعل يسمع منهم فهذا لا يألونكم خبالاً أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم قال الله أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر مما ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهرونهم على سرائرهم

ضرركم لا يضرهم إلا أنفسهم، وإن غيظهم لا يقدرهم على تنفيذه، بل لا يزالون معذبين به حتى يموتوا فينتقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة. 119 الأنامل وهي أطراف الأصابع من شدة غيظهم عليكم قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور وهذا فيه بشارة للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا كله أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابتكم، بل إذا لقوكم أظهروا لكم الإيمان وإذا لقوكم قالوا آمناً وإذا خلوا عضوا عليكم قال الله مهيجاً للمؤمنين على الحذر من هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب، ومبينا شدة عداوتهم ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب مغلوبون في الدار أنهم محشورون ومجموعون يوم القيامة لدار البوار، وهذا هو الذي مهدوه لأنفسهم فبئس المهاد مهادهم، وبئس الجزاء جزاؤهم. 120 وسيفعل هذا تعالى بعباده وجنده المؤمنين إلى يوم القيامة، ففي هذا عبرة وآية من آيات القرآن المشاهدة بالحس والعيان، وأخبر تعالى أن الكفار مع أنهم وفي هذا إشارة للمؤمنين بالنصر والغلبة وتحذير للكفار، وقد وقع كما أخبر تعالى، فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين واليهود والنصارى، ثم قال تعالى قل يا محمد للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد

والتقوى لم يضرهم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم لأنه محيط بهم علمه وقدرته فلا منفذ لهم عن ذلك ولا يخفى عليهم منهم شيء. 120 تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضرهم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط فإذا أتيتم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر وهي الصبر إن تمسككم حسنة كالنصر على الأعداء وحصول الفتح والغنائم تسؤمهم أي: تغمهم وتحزنهم وإن

أتم الجزاء، وأيضاً فالله سميع عليم بكم، يكلؤكم، ويتولى تدبير أموركم، ويؤيدكم بنصره كما قال تعالى لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى 121 عليه والله سميع لجميع المسموعات، ومنه أنه يسمع ما يقول المؤمنون والمنافقون كل يتكلم بحسب ما في قلبه عليم بنيات العبيد، فيجازيهم عليها وإقامتهم في مقاعد القتال، وما ذاك إلا لكمال علمه ورأيه، وسداد نظره وعلو همته، حيث يباشر هذه الأمور بنفسه وشجاعته الكاملة صلوات الله وسلامه تبوء المؤمنين مقاعد للقتال أي: تنزلهم وترتبهم كل في مقعده اللائق به، وفيها أعظم مدح للنبي صلى الله عليه وسلم حيث هو الذي يباشر تدبيرهم

تفسير السعدي

من أهلك والغدو هاهنا مطلق الخروج، ليس المراد به الخروج في أول النهار، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يخرجوا إلا بعدما صلوا الجمعة جبل أحد وكف الله عنهم أيدي المشركين وانكفأوا إلى بلادهم، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة قال الله تعالى وإذ غدوت ساقطهم، فجال المسلمون جولة ابتلاهم الله بها وكفر بها عنهم، وأذاقهم فيها عقوبة المخالفة، فحصل ما حصل من قتل من قتل منهم، ثم إنهم انحازوا إلى رأس إليه، فلما أدخلوا موضعهم فلم يبق فيه إلا نفر يسير، منهم أميرهم عبد الله بن جبير، جاءت خيل المشركين من ذلك الموضع واستدبرت المسلمين وقاتلت عليه وسلم في الجبل، قال بعضهم لبعض: الغنيمة الغنيمة، ما يقعدنا هاهنا والمشركون قد انهزموا، ووعظهم أميرهم عبد الله بن جبير عن المعصية فلم يلتفتوا انهزم المشركون هزيمة قبيحة وخلفوا معسكرهم خلف ظهورهم، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فلما رأهم الرماة الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم رجالاً من أصحابه في خلة في جبل أحد وأمرهم أن يلزموا مكانهم ولا يبرحوا منه ليأمنوا أن يأتيهم أحد من ظهورهم، فلما التقى المسلمون والمشركون حارثة فثبتهم الله، فلما وصلوا إلى أحد رتبهم النبي صلى الله عليه وسلم في مواضعهم وأسندوا ظهورهم إلى أحد، ورتب النبي صلى الله عليه وسلم خمسين في ألف، فلما ساروا قليلاً رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلاث الجيش ممن هو على مثل طريقته، وهمت طائفتان من المؤمنين أن يرجعوا وهم بنو سلمة وبنو آلان مقاتل، حتى نزلوا قرب المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم هو وأصحابه بعد المراجعة والمشاورة حتى استقر رأيهم على الخروج، وخرجوا يقدرون عليه من العدد بالأموال والرجال والعدد، حتى اجتمع عندهم من ذلك ما جزموا بحصول غرضهم وشفاء غيظهم، ثم وجهوا من مكة للمدينة في ثلاثة قد أصبتم مثليها وحاصل قضية أحد وإجمالها أن المشركين لما رجع فلهم من بدر إلى مكة، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة، استعدوا بكل ما من المكروه الذي هو في الحقيقة خير لهم، كان المكروه بالنسبة إلى المحبوب نزرًا يسيرًا، وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة في قوله أولما أصابتكم مصيبة القستين أن الله يحب من عباده إذا أصابهم ما يكرهون أن يتذكروا ما يحبون، فيخف عنهم البلاء ويشكروا الله على نعمه العظيمة التي إذا قوبلت بما ينالهم القستين، وأن الله نصر المؤمنين في بدر لما صبروا واتقوا، وأدال عليهم العدو لما صدر من بعضهم من الإخلال بالتقوى ما صدر، ومن حكمة الجمع بين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكماً عاماً ووعداً صادقاً لا يتخلف مع الإتيان بشرطه، فذكر نموذجاً من هذا في هاتين وقصتها مشهورة في السير والتواريخ، ولعل الحكمة في ذكرها في هذا الموضع، وأدخل في أثنائها وقعة بدر لما أن الله تعالى قد وعد المؤمنين هذه الآيات نزلت في وقعة أحد

بربهم والاستنصار له، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فبذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن، ثم قال تعالى: 122 بحسب إيمان العبد يكون توكله، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم، وخصوصاً في مواطن الشدة والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة إلى النور ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون ففيها الأمر بالتوكل الذي هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله، وأنه لما هما بهذه المعصية العظيمة وهي الفشل والفرار عن رسول الله عصفهما، لما معهما من الإيمان كما قال تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات فلهاذا قال والله وليهما أي: بولايته الخاصة، التي هي لطفه بأوليائه، وتوفيقهم لما فيه صلاحهم وعصمتهم عما فيه مضرتهم، فمن توليه لهما أنهما بهم وإحسانه إليهم أنه، لما همت طائفتان من المؤمنين بالفشل وهم بنو سلمة وبنو حارثة كما تقدم ثبتهما الله تعالى نعمة عليهما وعلى سائر المؤمنين، ومن لطفه

قال فاتقوا الله لعلكم تشكرون لأن من اتقى ربه فقد شكره، ومن ترك التقوى فلم يشكره، إذ تقول يا محمد للمؤمنين يوم بدر مبشراً لهم بالنصر. 123 معسكرهم ستأتي إن شاء الله القصة في سورة الأنفال، فإن ذلك موضعها، ولكن الله تعالى هنا أتى بها ليتذكر بها المؤمنون ليتقوا ربهم ويشكروه، فلهاذا مكة والمدينة فاقتتلوا، ونصر الله المسلمين نصراً عظيماً، فقتلوا من المشركين سبعين قتيلاً من صناديد المشركين وشجعانهم، وأسروا سبعين، واحتوا على من مكة لفكاه غيرهم، وخرجوا في زهاء ألف مقاتل مع العدة الكاملة والسلاح العام والخيل الكثيرة، فالتقوا هم والمسلمون في ماء يقال له بدر بين من المدينة بثلاث مئة وبضعة عشر من أصحابه، ولم يكن معهم إلا سبعون بعيراً وفرسان لطلب عير لقريش قدمت من الشام، فسمع به المشركون فتجهزوا به يوم بدر وهم أذلة في قلة عددهم وعددهم مع كثرة عدد عدوهم وعددهم، وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة، خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهذا امتنان منه على عباده المؤمنين، وتذكير لهم بما نصرهم

وإمدادهم بهم، وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الشرطين الأولين كما تقدم في قوله: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً 124 أي: معلمين بعلامة الشجعان، فشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط: الصبر، والتقوى، وإتيان المشركين من فورهم هذا، فهذا الوعد بإزالة الملائكة المذكورين من الملائكة منزليين بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا أي: من مقصدهم هذا، وهو وقعة بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أن يكفيكم أن يمددكم ربكم بثلاثة آلاف

وإمدادهم بهم، وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الشرطين الأولين كما تقدم في قوله: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً 125 أي: معلمين بعلامة الشجعان، فشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط: الصبر، والتقوى، وإتيان المشركين من فورهم هذا، فهذا الوعد بإزالة الملائكة المذكورين من الملائكة منزليين بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا أي: من مقصدهم هذا، وهو وقعة بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أن يكفيكم أن يمددكم ربكم بثلاثة آلاف

تفسير السعدي

في إدالة الكفار في بعض الأوقات على المسلمين إدالة غير مستقرة، قال تعالى: ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم بعض 126 ولهذا قال عند الله العزيز فلا يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبرون تحت تدبيره وقهره الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين لبيين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه، عند الله فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء وما جعله الله أي: إمداده لكم بالملائكة إلا بشري تستبشرون بها وتفرحون ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من

بخسارة وغم وحسرة، وإذا تأملت الواقع رأيت نصر الله لعباده المؤمنين دائرا بين هذين الأمرين، غير خارج عنهما إما نصر عليهم أو خذل لهم. 127 أنفسهم ذلك، ويحرصوا عليه غاية الحرص، ويبدلوا قواهم وأموالهم في ذلك، فينصر الله المؤمنين عليهم ويردهم خائبين لم ينالوا مقصودهم، بل يرجعون فبهذه الأمور تحصل منهم المقاومة والمقاتلة فقطع شيء من ذلك ذهاب لبعض قوتهم، الأمر الثاني أن يريد الكفار بقوتهم وكثرتهم، طمعا في المسلمين، ويمنوا على بلد، أو غنيمة مال، فيقوى بذلك المؤمنون ويذل الكافرون، وذلك لأن مقاومتهم ومحاربتهم للإسلام تتألف من أشخاصهم وسلاحهم وأموالهم وأرضهم يخبر تعالى أن نصره عباده المؤمنين لأحد أمرين: إما أن يقطع طرفا من الذين كفروا، أي: جانبنا منهم وركنا من أركانهم، إما بقتل، أو أسر، أو استيلاء

فقال أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليدل ذلك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه 128 على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق سبب من العبد ولا وسيلة، ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالقاء المفيدة للسببية، من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا لهو الضلال البعيد، وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم سببا موجبا لذلك، ليدل ذلك باب أولى ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، نقص في العقل، يتركون من الأمر كله له ويدعون العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئا وتكون الخيرة والمصلحة في غيره، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء فغيره من فعل، وقد تاب الله على هؤلاء المعينين وغيرهم، فهداهم للإسلام رضي الله عنهم، وفي هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن أن يتوب عليهم ويمن عليهم بالإسلام فعل، وإن اقتضت حكمته إبقاءهم على كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك، مصالحهم، وإنما الأمر لله تعالى هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، إن اقتضت حكمته ورحمته أنزل الله تعالى على رسوله نهيا له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرده عن رحمة الله ليس لك من الأمر شيء إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على كيف يفلح قوم شجوا نبينهم وجعل يدعو على رؤساء من المشركين مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، لما جرى يوم أحد ما جرى، وجرى على النبي صلى الله عليه وسلم مصائب، رفع الله بها درجته، فشج رأسه وكسرت رباعيته، قال

فله تعالى رحمة وإحسان سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشر، ولا يدرك لها وصف، ففسأله تعالى أن يتغمدنا ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين. 129 وأن منهم من يغفر الله له ومنهم من يعذبه، فلم يختمها باسمين أحدهما دال على الرحمة، والثاني دال على النعمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة، إحسانه وعميم إحسانه، فقال والله غفور رحيم ففيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته، فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق يكله إلى نفسه الجاهلة الظالمة المقتضية لعمل الشر فيعمل الشر ويعذبه على ذلك، ثم ختم الآية باسمين كريمين دالين على سعة رحمته وعموم مغفرته وسعة كذلك فهم دائرون بين مغفرته وتعذيبه فيغفر لمن يشاء بأن يهديه للإسلام فيغفر شركه ويمن عليه بترك العصيان فيغفر له ذنبه، ويعذب من يشاء بأن والجمادات كلها، وجميع ما في السماوات والأرض، الكل ملك لله مخلوقون مدبرون متصرف فيهم تصرف الممالك، فليس لهم مثقال ذرة من الملك، وإذا كانوا نفى عن رسوله أنه ليس له من الأمر شيء قرر من الأمر له فقال ولله ما في السماوات وما في الأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوانات والأفلاك ولما

سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته، وهو نصره وإعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين. 13 إلى مجرد الأسباب الظاهرة والعدد والعدد لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات، ولكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار كفر به، ففي هذا عبرة لأولي الأبصار، أي: أصحاب البصائر النافذة والعقول الكاملة، على أن الطائفة المنصورة معها الحق، والأخرى مبطله، وإلا فلو نظر الناظر هذا بقوله رأي العين فنصر الله المؤمنين وأيدهم بنصره فهزمهم، وقتلوا صناديدهم، وأسروا كثيرا منهم، وما ذاك إلا لأن الله ناصر من نصره، وخال من المشركون أضعاف المؤمنين، فهذا قال يرونهم مثليهم رأي العين أي: يرى المؤمنون الكافرين يزيدون عليها زيادة كثيرة، تبلغ المضاعفة وتزيد عليها، وأكد وأخرى كافرة أي: كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطرا وفخرا ورناء الناس، ويصدون عن سبيل الله، فجمع الله بين الطائفتين في بدر، وكان قد كان لكم آية أي: عبرة عظيمة في فئتين التقتا وهذا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه

فالإزامة بما فوق ذلك ظلم متضاعف، فيتعين على المؤمن المتقي تركه وعدم قربانه، لأن تركه من موجبات التقوى. والفلاح متوقف على التقوى 130 بكثرته، وتنبيهه لحكمة تحريمه، وأن تحريم الربا حكمته أن الله منع منه لما فيه من الظلم. وذلك أن الله أوجب إنظار المعسر، وبقاء ما في ذمته من غير زيادة، ذلك، اغتناما لراحته الحاضرة، فيزداد بذلك ما في ذمته أضعافا مضاعفة، من غير نفع وانتفاع. ففي قوله: أضعافا مضاعفة تنبيه على شدة شناعته المعسر ولم يحصل منه شيء، قالوا له: إما أن تقضي ما عليك من الدين، وإما أن نزيد في المدة، ويزيد ما في ذمتك، فيضطر الفقير ويستدفع غريمه ويلتزم

تفسير السعدي

المستلزم لأعمال الجوارح، فنهاهم عن أكل الربا أضاعافا مضاعفة، وذلك هو ما اعتاده أهل الجاهلية، ومن لا يبالي بالأوامر الشرعية من أنه إذا حل الدين، على أو اتركوا كذا، يدل على أن الإيمان هو السبب الداعي والموجب لامتناع ذلك الأمر، واجتناب ذلك النهي؛ لأن الإيمان هو التصديق الكامل بما يجب التصديق به، مقيدتين، فقال: واتقوا الله واتقوا النار فقلوه تعالى: يا أيها الذين آمنوا كل ما في القرآن من قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا افعلوا كذا، بغيرها من باب أولى وأحرى، ويدل على ما قلنا أن الله ذكر لفظ التقوى في هذه الآيات ثلاث مرات: مرة مطلقة وهي قوله: أعدت للمتقين ومرتين النفوس اشتاقت إلى معرفة خصال التقوى، التي يحصل بها النصر والفلاح والسعادة، فذكر الله في هذه الآيات أهم خصال التقوى التي إذا قام العبد بها فقيامه كما في قوله تعالى: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ثم قال: بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بالآيات. فكان في إدخال هذه الآيات أثناء قصة أحد أنه قد تقدم أن الله تعالى وعد عباده المؤمنين، أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم على أعدائهم، وخذل الأعداء عنهم، اشتملت عن أوامر وخصال من خصال الخير، أمر الله بها وحث على فعلها، وأخبر عن جزاء أهلها، وعلى نواهي حث على تركها. ولعل الحكمة والله أعلم حده، وما يدخل فيه وما لا يدخل، ثم اجتهد واستعان بربه في تركه، وأن هذا ينبغي مراعاته في جميع الأوامر الإلهية والنواهي، وهذه الآيات الكريما قد أمر به ليتمكن بذلك من امتثاله، فإذا عرف ذلك اجتهد، واستعان بالله على امتثاله في نفسه وفي غيره، بحسب قدرته وإمكانه، وكذلك إذا نهي عن أمر عرف هذا التفسير أن العبد ينبغي له مراعاة الأوامر والنواهي في نفسه وفي غيره، وأن الله تعالى إذا أمره بأمر وجب عليه أولا أن يعرف حده، وما هو الذي تقدم في مقدمة

الله النار لأهله، فترك المعاصي ينجي من النار، وبقي من سخط الجبار، وأفعل الخير والطاعة توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وحصول الرحمة 131 يوجب دخولها، من الكفر والمعاصي، على اختلاف درجاتها، فإن المعاصي كلها وخصوصا المعاصي الكبار تجر إلى الكفر، بل هي من خصال الكفر الذي أعد واتقوا النار التي أعدت للكافرين بترك ما

فطاعة الله وطاعة رسوله، من أسباب حصول الرحمة كما قال تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الآيات. 132 وأطيعوا الله والرسول بفعل الأوامر امتثالا، واجتناب النواهي لعلكم ترحمون

إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها 133 ثم أمرهم تعالى بالمسارعة

في ذلك بذل الندي وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبده. 134 لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصداقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة الخالق. فسرنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إيصال النفع وأجل، وهي الإحسان، فقال تعالى: والله يحب المحسنين والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق. والإحسان إلى المخلوق، فالإحسان في عبادة الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: فمن عفا وأصلح فأجره على الله ثم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسن وأعلى تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وكرهية لحصول الشر عليهم، وليعفو في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذه مع السماح عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن والفعل، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم. والعافين عن الناس يدخل من المعروف شيئا ولو قل. والكاظمين الغيظ أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول ثم وصف المتقين وأعمالهم، فقال: الذين ينفقون في السراء والضراء أي: في حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلماذا قال: ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون 135 إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم أي: صدر منهم أعمال سيئة كبيرة، أو ما دون ذلك، بادرُوا إلى التوبة والاستغفار، وذكرُوا ربهم، وما توعدهم به العاصين ثم ذكر اعتذارهم لربهم من جنائياتهم وذنوبهم، فقال: والذين

قال: أعدت للمتقين ثم وصف المتقين بهذه الأعمال المالية والبدنية، فدل على أن هؤلاء المتقين الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون. 136 تعالى: سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به وبرسوله، وهنا أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافا للمرجئة، ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية، التي في سورة الحديد، نظير هذه الآيات، وهي قوله العاملين عملوا لله قليلا فأجروا كثيرا ف عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملا موفرا. وهذه الآيات الكريما من أدلة المثمرة البهية، والأنهار الجارية في تلك المساكن الطيبات، خالدين فيها لا يحولون عنها، ولا يبيعون بها بدلا، ولا يغير ما هم فيه من النعيم، ونعم أجر محذور وجنات تجري من تحتها الأنهار فيها من النعيم المقيم، والبهجة والسرور والبهاء، والخير والسرور، والقصور والمنازل الأنيقة العاليات، والأشجار أولئك الموصوفون بتلك الصفات جزاؤهم مغفرة من ربهم تزيل عنهم كل

تفسير السعدي

أفليس في هذا أعظم دليل، وأكبر شاهد على صدق ما جاءت به الرسل؟ وحكمة الله التي يمتحن بها عباده، ليلوهم ويتبين صادقهم من كاذبهم 137 المكذبين فإنكم لا تجدونهم إلا معذبين بأنواع العقوبات الدنيوية، قد خوت ديارهم، وتبين لكل أحد خسارهم، وذهب عزهم وملكهم، وزال بذخهم وفخرهم، المؤمنين، وآخر الأمر حصلت الدولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصر رسله وأتباعهم. فسيروا في الأرض بأبدانكم وقلوبكم فانظروا كيف كان عاقبة مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتحنوا، وابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة ومجاوله، حتى جعل الله العاقبة للمتقين، والنصر لعباده وهذه الآيات الكريكات، وما بعدها في قصة أحد يعزي تعالى عباده المؤمنين ويسليهم، ويخبرهم أنه

الإشارة في قوله: هذا بيان للناس للقرآن العظيم، والذكر الحكيم، وأنه بيان للناس عموما، وهدي وموعظة للمتقين خصوصا، وكلا المعنيين حق. 138 إلى سبيل الرشاد، وتعظمهم وتزجرهم عن طريق الغي، وأما باقي الناس فهي بيان لهم، تقوم به عليهم الحجة من الله، ليهلك من هلك عن بينة. ويحتمل أن الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، وهو الإشارة إلى ما أوقع الله بالمكذبين. وهدي وموعظة للمتقين لأنهم هم المتفجعون بالآيات فتهددهم هذا بيان للناس أي: دلالة ظاهرة، تبين للناس

الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى: وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين 139 قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر في قلوبكم، عندما أصابكم المصيبة، وابتليتكم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا يقول تعالى مشجعا لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومنهضاً لهممهم: ولا تهنوا ولا تحزنوا أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا

التي ذكر الله وصفها ونعتها بأكمل نعت وصف أيضا المستحقين لها وهم الذين اتقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وكان من دعائهم أن قالوا: 14 والله بصير بالعباد أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء. فالجنة تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجلية بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قدر وندس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به أخير بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلك المذكور، ألا وهي الجنات العالية ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغتربين بها وتزهيد لأهل العقول النيرة بها، وتام ذلك أن الله تعالى قال الله فيها ذلك متاع الحياة الدنيا فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة ومتجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم. وفي هذه الآية لهم وطريقا يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوا بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحاناً لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يباليون على أي: وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهما عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحة إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلق بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى

مبغضون لله، ولهذا تبطهم عن القتال في سبيله. ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين 140 من المنازل العالية والنعيم المقيم، والله لا يحب الظالمين الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بدم المنافقين، وأنهم أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك. ويتخذ منكم شهداء وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا. وليعلم الله الذين آمنوا هذا أيضا من الحكم أنه يتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ومن الحكم في ذلك أن هذه بما حصل لهم من الهزيمة، وبين الحكم العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ثم سلاهم

سببا لمحقهم واستنصلهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا، بغوا، وازدادوا طغيانا إلى طغيانهم، يستحقون به المعالجة بالعقوبة، رحمة بعباده المؤمنين. 141 الله أيضا المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق، ومن الحكم أيضا أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون أيضا من الحكم أن الله يحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص وليمحص الله الذين آمنوا وهذا

تفسير السعدي

توطين النفس لها، وتمرينها عليها ومعرفة ما تنول إليه، تنقلب عند أرباب البصائر منحاً يسرون بها، ولا يبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. 142 وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين هذا استفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة ثم قال

على أنه لا يكره تمنى الشهادة، ووجه الدلالة أن الله تعالى أقرهم على أمنيته، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها، والله أعلم. 143 الصبر؟ هذه حالة لا تليق ولا تحسن، خصوصاً لمن تمنى ذلك، وحصل له ما تمنى، فإن الواجب عليه بذل الجهد، واستفراغ الوسع في ذلك. وفي هذه الآية دليل يتمنون أن يحضرهم الله مشهداً يبذلون فيه جهدهم، قال الله تعالى لهم: فقد رأيتموه أي: رأيتم ما تمنيتم بأعينكم وأنتم تنظرون فما بالكم وترك صبرهم بأمر كانوا يتمنون ويودون حصوله، فقال: ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه وذلك أن كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم ممن فاته بدر ثم وبخهم تعالى على عدم

أيضاً أعظم دليل على فضيلة الصديق الأكبر أبي بكر، وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم هم سادات الشاكرين. 144 إقامة دين الله، والجهد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم. وفي هذه الآية ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم بعبودية الله تعالى في كل حال. وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقد رئيس عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من انقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامتلأ أمر ربه، فقال: وسيجزى الله الشاكرين والشكر لا يكون إلا بالقيام إيمان أو جهاد، أو غير ذلك. قال الله تعالى: ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وإنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربه في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم بترك ما جاءكم من قبله الرسل أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربه وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطاً يقول تعالى: وما محمد إلا رسول قد خلت من

وأكبر تفضيلاً وسنجزي الشاكرين ولم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلة وكثرة وحسناً. 145 نؤته منها قال الله تعالى: كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات ولا يستقدمون ثم أخبر تعالى أنه يعطي الناس من ثواب الدنيا والآخرة ما تعلق به إراداتهم، فقال: ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة بقاءه، فلو أتى من الأسباب كل سبب، لم يضره ذلك قبل بلوغ أجله، وذلك أن الله قضاه وقدره وكتبه إلى أجل مسمى: إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ثم أخبر تعالى أن النفوس جميعها متعلقة بآجالها بإذن الله وقدره وقضائه، فمن حتم عليه بالقدر أن يموت، مات ولو بغير سبب، ومن أراد أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال: والله يحب الصابرين 146 أتباعهم، الذين قد ربّتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك. فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا وأن هذا أمر قد كان متقدماً، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: وكأين من نبي أي: وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير أي: جماعات كثيرون من هذا تسلياً للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعالهم،

ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة 147 فسألوا ربهم مغفرتهم. ثم إنهم لم يتكلموا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقات الأعداء الكافرين، وأن ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي عنها من أسباب النصر، ثم ذكر قولهم واستنصارهم لربهم، فقال: وما كان قولهم أي: في تلك المواطن الصعبة إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا

الجزء، فهذا قال: والله يحب المحسنين في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء، كفعل هؤلاء الموصوفين 148 وحسن ثواب الآخرة وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المنكبات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصر والظفر والغنيمة،

الكافرين من المنافقين والمشركين، فإنهم إن أطاعوهم لم يريدوا لهم إلا الشر، وهم قصدتهم ردهم إلى الكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران. 149 وهذا نهي من الله للمؤمنين أن يطيعوا

التي ذكر الله وصفها ونعتها بأكمل نعت وصف أيضاً المستحقين لها وهم الذين اتقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وكان من دعائهم أن قالوا: 15 والله بصير بالعباد أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء. فالجنة تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجلية بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما

تفسير السعدي

المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قدر وندس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلك المذكور، ألا وهي الجنات العالية ذات المنازل الأنيفة والغرف العالية، والأشجار تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغتربين بها وتزهيد لأهل العقول النيرة بها، وتام ذلك أن الله تعالى قال الله فيها ذلك متاع الحياة الدنيا فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة ومتجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم. وفي هذه الآية لهم وطريقا يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوا بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحانا لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوا صحبة إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى ثم أخبر أنه مولاهم وناصرهم، ففيه إخبار لهم بذلك، وبشارة بأنه سيتولى أمورهم بلطفه، ويعصمهم من أنواع الشرور. 150

ومأواهم النار أي: مستقرهم الذي يأوون إليه وليس لهم عنها خروج، وبنس متوى الظالمين بسبب ظلمهم وعدوانهم صارت النار مثوالمهم. 151 كان المشرك مرعوبا من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدة وضيق، هذا حاله في الدنيا، وأما في الآخرة فأشد وأعظم، ولهذا قال: من دونه من الأنداد والأصنام، التي اتخذوها على حسب أهوائهم وإرادتهم الفاسدة، من غير حجة ولا برهان، وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن، فمن ثم خائبين، وهذا من الثاني. ثم ذكر السبب الموجب لإلقاء الرعب في قلوب الكافرين، فقال: بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي: ذلك بسبب ما اتخذوا ولا شك أن هذا من أعظم النصر، لأنه قد تقدم أن نصر الله لعباده المؤمنين لا يخرج عن أحد أمرين: إما أن يقطع طرفا من الذين كفروا، أو يكتبهم فينقلبوا تشاوروا بينهم، وقالوا: كيف ننصرف، بعد أن قتلنا منهم من قتلنا، وهزمناهم ولما نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فانصرفوا خائبين، من الكافرين الرعب، وهو الخوف العظيم الذي يمنعه من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى. وذلك أن المشركين بعدما انصرفوا من وقعة أحد وفي ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذه وحده وليا وناصرًا من دون كل أحد، فمن ولايته ونصره لهم أنه وعدهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم عليهم خيرا ولا مصيبة، إلا كان خيرا لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين. 152 أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث من عليهم بالإسلام، وهدهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيبتاتهم. ومن فضله على المؤمنين أنه لا يقدر لبتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصي، وليكفر الله عنكم بهذه المصيبة ما صدر منكم، فهذا قال: ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين وثبتوا حيث أمروا. ثم صرفكم عنهم أي: بعدما وجدت هذه الأمور منكم، صرف الله وجوهكم عنهم، فصار الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم وامتحانا، ورسوله. منكم من يريد الدنيا وهم الذين أوجب لهم ذلك ما أوجب، ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين لزموا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انخدال أعدائكم؛ لأن الواجب على من أنعم الله عليه بما أحب، أعظم من غيره. فالواجب في هذه الحال خصوصا، وفي غيرها عموما، امتثال أمر الله فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قائل: ما مقامنا فيه وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور، فعصيت الرسول، وتركتم أمره من بعد ما أراكم الله ما تحبون منكم الفشل وهو الضعف والخور وتنازعتم في الأمر الذي فيه ترك أمر الله بالائتلاف وعدم الاختلاف، فاختلقت، فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا ولقد صدقكم الله وعده بالنصر، فنصركم عليهم، حتى ولوكم أكتافهم، وطفقت فيهم قتلا، حتى صرتم سببا لأنفسكم، وعونا لأعدائكم عليكم، فلما حصل أي:

البلايا والمحن من الأسرار والحكم، وكل هذا صادر عن علمه وكمال خبرته بأعمالكم، وظواهركم وبواطنكم، ولهذا قال: والله خير بما تعملون 153 إذا تحققت أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل هانت عليكم تلك المصيبات، واغتبطتم بوجوده المسلي عن كل مصيبة ومحنة، فله ما في ضمن جعل اجتماع هذه الأمور لعباده المؤمنين خيرا لهم، فقال: لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والظفر، ولا ما أصابكم من الهزيمة والقتل والجراح، النصر وفوات الغنيمة، وغم بانهازكم، وغم أنساكم كل غم، وهو سماعكم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل. ولكن الله بلطفه وحسن نظره لعباده اللوم، ودعوة الرسول الموجبة لتقديمه على النفس، أعظم لوما بتخلفكم عنها، فأثابكم أي: جازاكم على فعلكم غما بغم أي: غما يتبع غما، غم بفوات ويباشر الهيجاء، بل الرسول يدعوكم في أخراكم أي: مما يلي القوم يقول: إلي عباد الله فلم تلتفتوا إليه، ولا عرجتم عليه، فالفرار نفسه موجب يلوي أحد منكم على أحد، ولا ينظر إليه، بل ليس لكم هم إلا الفرار والنجاء عن القتال. والحال أنه ليس عليكم خطر كبير، إذ لستم آخر الناس مما يلي الأعداء، يذكرهم تعالى حالهم في وقت انهزامهم عن القتال، ويعاتبهم على ذلك، فقال: إذ تصعدون أي: تجدون في الهرب ولا تلوون على أحد أي: لا

والله عليم بذات الصدور أي: بما فيها وما أكتته، فاقتضى علمه وحكمته أن قدر من الأسباب، ما به تظهر مخبات الصدور وسرائر الأمور. 154 في صدوركم أي: يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف وإيمان، وليمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان، وما تأثر عنها من الصفات غير الحميدة. تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء، فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئا، بل لا بد أن يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة، وليبتلي الله ما

تفسير السعدي

عليهم بقوله: قل لو كنتم في بيوتكم التي هي أبعد شيء عن مظان القتل لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم فالأسباب وإن عظمت إنما ما قتلنا هاهنا وهذا إنكار منهم وتكذيب بقدر الله، وتسفيه منهم لرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأي أصحابه، وتزكية منهم لأنفسهم، فرد الله المنافقين في أنفسهم ما لا يبدون لك ثم بين الأمر الذي يخفونه، فقال: يقولون لو كان لنا من الأمر شيء أي: لو كان لنا في هذه الواقعة رأي ومشورة الأمر القدري، والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبة النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى. يخفون يعني ونبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي الفصلة والقاضية على دين الله، قال الله في جوابهم: قل إن الأمر كله لله الأمر يشمل ما أصاب غيرهم، يقولون هل لنا من الأمر من شيء وهذا استفهام إنكاري، أي: ما لنا من الأمر أي: النصر والظهور شيء، فأساءوا الظن بربهم ودينه إخوانهم المسلمين. وأما الطائفة الأخرى الذين قد أهمتهم أنفسهم فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم، فهذا لم يصيبهم من النعاس عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس. وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا الله ورسوله، ومصلحة طائفة منكم ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف لكي تتوطن نفوسكم، وتمرنوا على الصبر على المصيبات، ويخف عليكم تحمل المشقات: ثم أنزل عليكم من بعد الغم الذي أصابكم أمانة نعاسا يغشى ويحتمل أن معنى قوله: لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم يعني: أنه قدر ذلك الغم والمصيبة عليكم،

به، ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه. ثم إن تاب وأتاب قبل منه، وصيره كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه عيب، فله الحمد على إحسانه. 155 واخذهم لاستأصلهم. إن الله غفور للذنوبين الخطائين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، والمصابب المكفرة، حلیم لا يعاجل من عصاه، بل يستأنى بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان. قال تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذه، وإلا فلو وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أحد وما الذي أوجب لهم الفرار،

قال الله ردا عليهم: والله يحيي ويميت أي: هو المنفرد بذلك، فلا يغني حذر عن قدر. والله بما تعملون بصير فيجازيكم بأعمالكم وتكذيبكم. 156 قلوبهم، فتزداد مصيبتهم، وأما المؤمنون بالله فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله، فيؤمنون ويسلمون، فيهدي الله قلوبهم ويثبتها، ويخفف بذلك عنهم المصيبة. قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ولكن هذا التكذيب لم يفدهم، إلا أن الله يجعل هذا القول، وهذه العقيدة حسرة في أو كانوا غزى أي: غزاة، ثم جرى عليهم قتل أو موت، يعارضون القدر ويقولون: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وهذا كذب منهم، فقد قال تعالى: ينهاهم عن مشابھتهم في كل شيء، وفي هذا الأمر الخاص وهو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين أو في النسب: إذا ضربوا في الأرض أي: سافروا للتجارة ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يشابهوا الكافرين، الذين لا يؤمنون بربهم، ولا بقضائه وقدره، من المنافقين وغيرهم.

أو قتلوا بأي حالة كانت، فإنما مرجعهم إلى الله، ومآلهم إليه، فيجازي كلا بعمله، فأين الفرار إلا إلى الله، وما للخلق عاصم إلا الاعتصام بحبل الله؟ 157 مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفز وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم، وأن الخلق أيضا إذا ماتوا ثم أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو

أو قتلوا بأي حالة كانت، فإنما مرجعهم إلى الله، ومآلهم إليه، فيجازي كلا بعمله، فأين الفرار إلا إلى الله، وما للخلق عاصم إلا الاعتصام بحبل الله؟ 158 مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفز وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم، وأن الخلق أيضا إذا ماتوا ثم أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو

إلى استشارة فتوكل على الله أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك، إن الله يحب المتوكلين عليه، اللاجئين إليه. 159 علما، وأفضلهم رأيا: وشاورهم في الأمر فكيف بغيره؟ ثم قال تعالى: فإذا عزم أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الناس عقلا، وأغزرهم ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول. ومنها: ما تنتج الاستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة. في حادثة من الحوادث اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبدلوا جهدهم ومقدورهم بها إلى الله. ومنها: أن فيها تسميحا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره: منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب صدر منهم من التقصير في حقه صلى الله عليه وسلم، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان. وشاورهم في الأمر أي: الأمور الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله. ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟ أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم

تفسير السعدي

قاسيه، لانفضوا من حولك لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ. فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتلأوا أمرك. ولو كنت فظا أي: سيئ الخلق غليظ القلب أي: أي: برحمة الله لك ولأصحابك، من الله عليك أن ألنت لهم جانبك،

لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم ويقيهم شر آثارها وهو عذاب النار، ثم فصل أوصاف التقوى. 16

ربنا إننا آمنة فاغفر

للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار. وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله. 160

الله فليتوكل المؤمنون بتقديم المعمول يؤذن بالحصص، أي: على الله توكلوا لا على غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل من بعده فلا بد أن تنخلدوا ولو أعانكم جميع الخلق. وفي ضمن ذلك الأمر بالاستئناس بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: وعلى الله لا مغالب له، وقد قهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه. وإن يخذلكم ويكلكم إلى أنفسكم فمن ذا الذي ينصركم أي: إن يمددكم الله بنصره ومعونته فلا غالب لكم فلو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعدد، لأن

أراد أن يذكر توفيقه وجزاءه، وكان الاقتصار على الغال يوهم بالمفهوم أن غيره من أنواع العالمين قد لا يوفون أتى بلفظ عام جامع له ولغيره. 161

لا يزداد في سيئاتهم، ولا يهضمون شيئاً من حسناتهم، وتأمل حسن هذا الاحتراز في هذه الآية الكريمة. لما ذكر عقوبة الغال، وأنه يأتي يوم القيامة بما غله، ولما أو متاعاً، أو غير ذلك، ليعذب به يوم القيامة، ثم توفي كل نفس ما كسبت الغال وغيره، كل يوفى أجره ووزره على مقدار كسبه، وهم لا يظلمون أي: ويستحيل على من اختارهم الله لنبوته. ثم ذكر الوعيد على من غل، فقال: ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة أي: يأت به حامله على ظهره، حيواناً كان فيهم من أعدائهم، لأن معرفته بنبوته، مستلزم لدفع ذلك، ولذلك أتى بصيغة يمتنع معها وجود الفعل منهم، فقال: وما كان لنبي أن يغفل أي: يمتنع ذلك ومعدن حكمته الله أعلم حيث يجعل رسالته. فيمجرد علم العبد بالواحد منهم، يجزم بسلامتهم من كل أمر يقدر فيهم، ولا يحتاج إلى دليل على ما قيل تعالى أنبياءه عن كل ما يدنسهم ويقدر فيهم، وجعلهم أفضل العالمين أخلاقاً، وأطهرهم نفوساً، وأزكاهم وأطيبهم، ونزههم عن كل عيب، وجعلهم محل رسالته، الكريمة وغيرها من النصوص، فأخبر الله تعالى أنه ما ينبغي ولا يليق بنبي أن يغفل، لأن الغلول كما علمت من أعظم الذنوب وأشر العيوب. وقد صان الله الغلول هو: الكتمان من الغنيمة، والخيانة في كل مال يتولاه الإنسان وهو محرم إجماعاً، بل هو من الكبائر، كما تدل عليه هذه الآية

بصير بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، بل قد علمها، وأثبتها في اللوح المحفوظ، ووكّل ملائكته الأمانة الكرام، أن يكتبوها ويحفظوها، ويضبطونها. 162

فيعطيه الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم، والمتبعون لمساخط الله يسعون في النزول في الدرجات إلى أسفل سافلين، كل على حسب عمله، والله تعالى أي: كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم. فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل والغرفات، لربه، هذان لا يستويان في حكم الله، وحكمة الله، وفي فطر عباد الله. أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ولهذا قال هنا: هم درجات عند الله يخبر تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، ممن هو مكب على المعاصي، مسخط

بصير بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، بل قد علمها، وأثبتها في اللوح المحفوظ، ووكّل ملائكته الأمانة الكرام، أن يكتبوها ويحفظوها، ويضبطونها. 163

فيعطيه الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم، والمتبعون لمساخط الله يسعون في النزول في الدرجات إلى أسفل سافلين، كل على حسب عمله، والله تعالى أي: كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم. فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل والغرفات، لربه، هذان لا يستويان في حكم الله، وحكمة الله، وفي فطر عباد الله. أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ولهذا قال هنا: هم درجات عند الله يخبر تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، ممن هو مكب على المعاصي، مسخط

لفي ضلال مبين لا يعرفون الطريق الموصول إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض ذلك عقول العالمين. 164

الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين، وإن كانوا من قبل بعثة هذا الرسول العلوم وتحفظ، والحكمة هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة. فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ فيكون قوله: يتلو عليهم آياته المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب هنا الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك الله، يعلمهم ألفاظها ومعانيها. ويزكيهم من الشرك، والمعاصي، والردائل، وسائر مساوئ الأخلاق. و يعلمهم الكتاب إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون نسبته، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحا لهم، مشفقاً عليهم، يتلو عليهم آيات التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال:

هذه المنة

وسوء الظن بالله، فإنه قادر على نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم. ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض 165

حين تنازعتم وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية. إن الله على كل شيء قدير فإياكم مع أنكم لا تستوون أنتم وهم، فإن قتلكم في الجنة وقتلهم في النار. قلت أنى هذا أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمتنا؟ قل هو من عند أنفسكم

تفسير السعدي

نحو سبعين، فقال الله: إنكم قد أصبتم من المشركين مثلها يوم بدر فقتلتم سبعين من كبارهم وأسرتهم سبعين، فليهن الأمر ولتخف المصيبة عليكم، هذا تسليية من الله تعالى لعباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم أحد وقتل منهم

له ولا بد من وقوعه. والأمر القدري إذا نفذ، لم يبق إلا التسليم له، وأنه قدره لحكم عظيمة وفوائد جسيمة، وأنه ليتبين بذلك المؤمن من المنافق 166 ثم أخبر أن ما أصابهم يوم التقى الجمعان، جمع المسلمين وجمع المشركين في أحد من القتل والهزيمة، أنه بإذنه وقضائه وقدره، لا مرد

المنافقين أمروا أن يقاتلوا للدين، فإن لم يفعلوا فللمدافعة عن العيال والأوطان والله أعلم بما يكتُمون فيبيده لعباده المؤمنين، ويعاقبهم عليه. 167 فإنهم قد علموا وقوع القتال. ويستدل بهذه الآية على قاعدة ارتكاب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما، وفعل أدنى المصلحتين، للعجز عن أعلاهما؛ لأن ما ليس في قلوبهم وهذه خاصة المنافقين، يظهرون بكلامهم وفعالهم ما يبيطنون ضده في قلوبهم وسرائرهم. ومنه قولهم: لو تعلم قتالا لاتبعناكم العذر، يروج على المؤمنين، قال تعالى: هم للكفر يومئذ أي: في تلك الحال التي تركوا فيها الخروج مع المؤمنين أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم كيف يتصور أنهم لا يصير بينهم وبين المؤمنين قتال؟ خصوصا وقد خرج المسلمون من المدينة وبرزوا لهم، هذا من المستحيل، ولكن المنافقين ظنوا أن هذا أموالهم، وجمعوا ما يقدرون عليه من الرجال والعدد، وأقبلوا في جيش عظيم قاصدين المؤمنين في بلدهم، متحرقين على قتالهم، فمن كانت هذه حالهم، لاتبعناكم، وهم كذبة في هذا. قد علموا وتيقنوا وعلم كل أحد أن هؤلاء المشركين، قد ملئوا من الحنق والغيط على المؤمنين بما أصابوا منهم، وأنهم قد بذلوا ادفعوا عن محارمكم وبلدكم، إن لم يكن لكم نية صالحة، فأبوا ذلك واعتدروا بأن قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم أي: لو نعلم أنكم يصير بينكم وبينهم قتال ليتبين بذلك المؤمن من المنافق، الذين لما أمروا بالقتال، وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي: ذبا عن دين الله، وحماية له وطلباً لمرضاة الله، أو وأنه

على ذلك ولا تستطيعونه. وفي هذه الآيات دليل على أن العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأخرى. 168 والتكذيب بقضاء الله وقدره، قال الله ردا عليهم: قل فادعوا أي: ادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين إنهم لو أطاعوك ما قتلوا، لا تقدرون : الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا أي: جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض

في دار كرامته. ولفظ: عند ربهم يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم 169 بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة. بل قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم أحياء عند ربهم أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله أمواتا أي: لا يخطر ببالك وحسابك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع وإحسانه، وفي ضمنها تسليية الأحياء عن قتلهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما من الله عليهم به من فضله

أنه يجب إثارها والعمل لها، ووصف أهل الجنة وهم المتقون، ثم فصل خصال التقوى، فهذه الخصال يزن العبد نفسه، هل هو من أهل الجنة أم لا؟ 17 بهم. فتضمنت هذه الآيات حالة الناس في الدنيا وأنها متاع ينقضي، ثم وصف الجنة وما فيها من النعيم وفاضل بينهما، وفضل الآخرة على الدنيا تنبيهاً على مقامها، بل يرون أنفسهم مذنبين مقصرين فيستغفرون ربهم، ويتوقعون أوقات الإجابة وهي السحر، قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون النفقات على المحاويع من الأقارب وغيرهم والمستغفرين بالأسحار لما بين صفاتهم الحميدة ذكر احتقارهم لأنفسهم وأنهم لا يرون لأنفسهم، حالا ولا على ما يحبه الله من طاعته، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، والصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم والمنفقين مما رزقهم الله بأنواع الصابرين أنفسهم

يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور 170 بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي: يبشر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الذين لم به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح فرحين بما آتاهم الله من فضله أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت

وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضاً، وتبشير بعضهم بعضاً. 171 بعضاً، بأعظم مهناً به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين بل ينميهم ويشكرهم، ويزيدهم من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم. يستبشرون بنعمة من الله وفضل أي: يهنئ بعضهم

يزدهم ذلك إلا إيماناً بالله واتكالا عليه. وقالوا حسبنا الله أي: كافينا كل ما أهمنا ونعم الوكيل المفوض إليه تدبير عبادته، والقائم بمصالحهم. 172 لله ولرسوله، فوصلوا إلى حمراء الأسد وجاءهم من جاءهم وقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم وهموا باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيباً، فلم أبا سفیان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا على ما بهم من الجراح استجابة لله ولرسوله، وطاعة لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد إلى المدينة، وسمع أن

يزدهم ذلك إلا إيماناً بالله واتكالا عليه. وقالوا حسبنا الله أي: كافينا كل ما أهمنا ونعم الوكيل المفوض إليه تدبير عبادته، والقائم بمصالحهم. 173

تفسير السعدي

لله ولرسوله، فوصلوا إلى حمراء الأسد وجاءهم من جاءهم وقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم وهما باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيبا، فلم أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا على ما بهم من الجراح استجابة لله ولرسوله، وطاعة لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد إلى المدينة، وسمع أن

والإتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزاة تامة، فبسبب إحسانهم بطاعة ربهم، وتقواهم عن معصيته، لهم أجر عظيم، وهذا فضل الله عليهم. 174
تخلف منهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، حيث من عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة فانقلبوا أي: رجعوا بنعمة من الله وفضل لم يمسه سوء وجاء الخبر المشركين أن الرسول وأصحابه قد خرجوا إليكم، وندم من

وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله. 175
المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أوليائه الخائفين منه المستجيبين لدعوته. وفي هذه الآية وقال: إنهم جمعوا لكم، داع من دعاة الشيطان، يخوف أوليائه الذين عدم إيمانهم، أو ضعف. فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين أي: فلا تخافوا إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه أي: إن ترهيب من رهب من المشركين،

الألباب من الرجال الفحول، قال الله تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا الآيات. 176
كل الرغبة بالكفر بالرحمن؟! فالله غني عنهم، وقد قيض لدينه من عباده الأبرار الأتقياء سواهم، وأعد له ممن ارتضاه لنصرته أهل البصائر والعقول، وذوي يضروا الله شيئا بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهذا قال: ولهم عذاب أليم وكيف يضرون الله شيئا، وهم قد زهدوا أشد الزهد في الإيمان، ورغبوا لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم. ثم أخبر أن الذين اختاروا الكفر على الإيمان، ورغبوا فيه رغبة من بذل ما يحب من المال، في شراء ما يحب من السلع لن نصيبا في الآخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له أوليائه ومن أراد به خيرا، عدلا منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الآخرة، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه إنهم لن يضروا الله شيئا فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على الخلق، مجتهدا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من كان

الألباب من الرجال الفحول، قال الله تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا الآيات. 177
كل الرغبة بالكفر بالرحمن؟! فالله غني عنهم، وقد قيض لدينه من عباده الأبرار الأتقياء سواهم، وأعد له ممن ارتضاه لنصرته أهل البصائر والعقول، وذوي يضروا الله شيئا بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهذا قال: ولهم عذاب أليم وكيف يضرون الله شيئا، وهم قد زهدوا أشد الزهد في الإيمان، ورغبوا لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم. ثم أخبر أن الذين اختاروا الكفر على الإيمان، ورغبوا فيه رغبة من بذل ما يحب من المال، في شراء ما يحب من السلع لن نصيبا في الآخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له أوليائه ومن أراد به خيرا، عدلا منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الآخرة، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه إنهم لن يضروا الله شيئا فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على الخلق، مجتهدا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من كان

للظالم، حتى يزداد طغيانه، ويترادف كفرانه، حتى إذا أخذه أخذه أعزى مقتدر، فليحذر الظالمون من الإهمال، ولا يظنوا أن يفوتوا الكبير المتعال. 178
كما زعموا، وإنما ذلك لشريده الله بهم، وزيادة عذاب وعقوبة إلى عذابهم، ولهذا قال: إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين فالله تعالى يملي الذين كفروا بربهم وناذبوا دينه، وحاربوا رسوله أن تركنا إياهم في هذه الدنيا، وعدم استئصالنا لهم، وإملاءنا لهم خيرا لأنفسهم، ومحبة منا لهم. كلا، ليس الأمر أي: ولا يظن

للسل قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلقه. 179
والامتحان، فأرسل الله رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم. فانقسم الناس بحسب اتباعهم أيضا أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتتهم بما به يتميز الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التميز حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب. ولم يكن في حكمته أي: ما كان في حكمته الله

على هذا الأصل العظيم، وقد أكثر الله منها في كتابه وصرفها ونوعها ليحيى من حي عن بيته، ويهلك من هلك عن بيته فله الحمد والشكر والثناء. 18
إن في ذلك لآية أي: لعلهم يعتبر بها المعتبرون فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك، فهذه من الأدلة الكبار العقلية النقلية الدالة الدينية والدينيوية، ولهذا إذا ذكر تعالى قصص الرسل مع أمم المطيعين والعاصين، وأخبر عن عقوبات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم، قال عقب كل قصة:

تفسير السعدي

والإهانة والعقوبة لأهل الشرك، وما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلا إلى كل خير دافعا لكل شر ديني ودنيوي، وجعل الشرك به والكفر سببا للعقوبات المدبريات الناقصات الصم البكم الذين لا يعقلون، ومن الأدلة العقلية على ذلك ما شاهده العباد بأبصارهم من قديم الزمان وحديثه، من الإكرام لأهل التوحيد، ذلك حق المعرفة عرف أن العبادة لا تليق ولا تحسن إلا بالرب العظيم الذي له الكمال كله، والمجد كله، والحمد كله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها، لا بالمخلوقات وما أخبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة، والقدرة والقهر، وغير ذلك من الصفات التي تعرف بالأدلة السمعية والعقلية، فمن عرف ضرا، ولا تنصر غيرها ولا تنصر نفسها، وسلبها الأسماع والأبصار، وأنها على فرض سماعها لا تغني شيئا، وغير ذلك من الصفات الدالة على نقصها غاية النقص، الله في كتابه من التنبيه على هذا الدليل جدا، ومن الأدلة العقلية أيضا على ذلك: ما أخبر به تعالى عن المعبودات التي عبدت من دونه، بأنها لا تملك نفعا ولا عن غيره جلب نعمة ولا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوى الله من أبطل الباطل وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار، فلهذا أكثر النعم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها من الله، وأنه ما من نقمة ولا شدة ولا كربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها وإن أحدا من الخلق لا يملك لنفسه فضلا الأشياء وأعظمها أكثر الله تعالى من الاستدلال به في كتابه. ومن الأدلة العقلية على أن الله هو الذي يؤله دون غيره انفراده بالنعم ودفع النقم، فإن من عرف أن الاعتراف بربوبية الله، فإن من عرف أنه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولما كان هذا من أوضح حتى كاد القرآن أن يكون كله أدلة عليه، وأما الأدلة العقلية التي تدرك بمجرد فكر العقل وتصوره للأمور فقد أرشد القرآن إليها ونبه على كثير منها، فمن أعظمها: فكل ما في كتاب الله وسنة رسوله، من الأمر به وتقريره، ومحبة أهله وبغض من لم يقم به وعقوباتهم، وذم الشرك وأهله، فهو من الأدلة النقية على ذلك، أن هذا الأصل الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة العقلية والأدلة البصائر أجلى من الشمس، فأما الأدلة النقية وتدبيره بين عبادته، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به ونهى عنه، وفيما خلقه وقدره، ثم أعاد تقرير توحيده فقال لا إله إلا هو العزيز الحكيم واعلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم آمناء على ما استرعاهم عليه، ولما قرر توحيده قرر عدله، فقال: قائما بالقسط أي: لم يزل متصفا بالقسط في أفعاله بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلا، ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم. وفي هذه الآية دليل على شرف العلم المشهود عليه والعمل به، وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله، وأما شهادة أهل العلم فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها ولا يدفع النقم إلا هو، والخلق كلهم عاجزون عن المنافع والمضار لأنفسهم ولغيرهم، ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وأما شهادة العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، فنوع الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا الأصل هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة

الخيرات، والعقوبات على الشر لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يجزى به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب. 180
عنك منتقل إلى غيرك. ثم ذكر ثالثا: السبب الجزائي، فقال: والله بما تعملون خبير فإذا كان خبيرا بأعمالكم جميعها ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات. ثم ذكر ثانيا: أن هذا الذي بيد العباد كلها ترجع إلى الله، ويرثها تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للخل بشيء هو زائل إلى عبيده كما قال تعالى: وأحسن كما أحسن الله إليك فمن تحقق أن ما بيده، فضل من الله، لم يمنح الفضل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، من الله ونعمة، ليس ملكا للعبد، بل لولا فضل الله عليه وإحسانه، لم يصل إليه منه شيء، فمنعه لذلك منع لفضل الله وإحسانه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان يرجعون وتأمل كيف ذكر السبب الابتدائي والسبب الغائي، الموجب كل واحد منهما أن لا ييخل العبد بما أعطاه الله. أخبر أولا: أن الذي عنده وفي يده فضل وترد جميع الأملاك إلى مالكة، وينقلب العباد من الدنيا ما معهم درهم ولا دينار، ولا غير ذلك من المال. قال تعالى: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا أن بخلهم نافعهم، ومجد عليهم، فانقلب عليهم الأمر، وصار من أعظم مضارهم، وسبب عقابهم. ولله ميراث السماوات والأرض أي: هو تعالى مالك الملك، يوم القيامة شجاعا أقرع، له زبيبتان، يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك، أنا كنزك وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداق ذلك، هذه الآية. فهؤلاء حسبوا سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي: يجعل ما بخلوا به طوقا في أعناقهم، يعذبون به كما ورد في الحديث الصحيح، إن البخيل يمثل له ماله ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شر لهم، في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وأجلهم أي: ولا يظن الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ما هو نظير ذلك، وهو: قتلهم الأنبياء بغير حق. هذا القيد يراد به، أنهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعتهم، لا جهلا وضلالا، بل تمردا وعنادا. 181
الله قرضا حسنا قال: على وجه التكبر والتجرهم هذه المقالة قبحة الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه ليس ببدع من شنائعهم، بل قد سبق لهم من الشنائع منهم فخاص بن عازروا من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وأقرضوا

تفسير السعدي

من المخازي والقبايح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأن عذابهم ليس ظلما من الله لهم، فإنه ليس بظلام للعبيد فإنه منزّه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم الشنيعة، وهو: قتلهم الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأنه يقال لهم بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء ذوقوا عذاب الحريق يخبر تعالى، عن قول هؤلاء المتمردين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم

ما هو نظير ذلك، وهو: قتلهم الأنبياء بغير حق هذا القيد يراد به، أنهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعتهم، لا جهلا وضلالا، بل تمردا وعنادا. 182 الله قرضا حسنا قال: على وجه التكبر والتجرهم هذه المقالة قبحه الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه ليس ببدع من شأنهم، بل قد سبق لهم من الشنائع منهم فنحاص بن عازوراء من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وأقرضوا من المخازي والقبايح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأن عذابهم ليس ظلما من الله لهم، فإنه ليس بظلام للعبيد فإنه منزّه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم الشنيعة، وهو: قتلهم الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأنه يقال لهم بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء ذوقوا عذاب الحريق يخبر تعالى، عن قول هؤلاء المتمردين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم

تأكله النار فلم تقتلتموهم إن كنتم صادقين أي: في دعواهم الإيمان برسول يأتي بقرآن تأكله النار، فقد تبين بهذا كذبهم، وعنادهم وتناقضهم. 183 وباطلا لم يعملوا به، ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لهم: قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات الدالات على صدقهم وبالله الذي قتلتم بأن أناكم بقرآن عهد، وقد علم أن كل رسول يرسله الله، يؤيده من الآيات والبراهين، ما على مثله آمن البشر، ولم يقصرها على ما قالوه، ومع هذا فقد قالوا إفكا لم يلتزموه، على الله، وحصر آية الرسل بما قالوه، من هذا الإفك المبين، وأنهم إن لم يؤمنوا برسول لم يأتهم بقرآن تأكله النار، فهم في ذلك مطيعون لربهم، ملتزمون تعالى عن حال هؤلاء المفتريين القائلين: إن الله عهد إلينا أي: تقدم إلينا وأوصى، ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقرآن تأكله النار فجمعوا بين الكذب يخبر

العقلية، ومنير أيضا للأخبار الصادقة، فإذا كان هذا عادتهم في عدم الإيمان بالرسول، الذين هذا وصفهم، فلا يحزنك أمرهم، ولا يهمنك شأنهم. 184 أي: الكتب المزبورة المنزلة من السماء، التي لا يمكن أن يأتي بها غير الرسل. والكتاب المنير للأحكام الشرعية، وبيان ما اشتملت عليه من المحاسن رسل الله وليس تكذيبهم لرسول الله، عن قصور ما أتوا به، أو عدم تبين حجة، بل قد جاءوا بالبينات أي: الحجج العقلية، والبراهين النقلية، والزبر ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك أي: هذه عادة الظالمين، ودأبهم الكفر بالله، وتكذيب يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله تعالى: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر 185 فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: وإنما توفون أجوركم يوم القيامة أي: توفية الأعمال التامة، إنما يكون ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدى، وابتلي بالعذاب السرمدي. وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ومفهوم الآية، أن من لم يزحزح عن النار التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر. فمن زحزح أي: أخرج، عن النار وأدخل الجنة فقد فاز أي: حصل له الفوز العظيم فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنقلة عنها إلى دار القرار، هذه الآية الكريمة

يعزم عليها، وينافس فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال تعالى: وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم 186 الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله. فإن ذلك من عزم الأمور أي: من الأمور التي نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الظالمين، وتتقوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به وجه الله والتقرب إليه، ولم تتعدوا في صبركم لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهن عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجأون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: وإن تصبروا وتتقوا أي: إن تصبروا على ما هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ هذه الأمور، لما يريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، ويزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر قالوا ورسولكم. وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد: منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، لتمييز المؤمن الصادق من غيره. ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يحب. ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكالييف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهاد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل

أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا العالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له. 187 شهواتهم على الحق، فبئس ما يشترتون لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدنيوية

تفسير السعدي

وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا، وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيمة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين ومن شائبهم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤا على محارم الله، وتهاونا بحقوق الله، بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفا من إثم الكتمان. وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى به، خصوصا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل. فأما الموفقون، فقاموا وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتتمهم ذلك، ويبخل عليهم الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد،

إنا كذلك نجزي المحسنين وقد قال عباد الرحمن: واجعلنا للمتقين إماما وهي من نعم الباري على عبده، ومنه التي تحتاج إلى الشكر. 188 وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عليه السلام: واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقال: سلام على نوح في العالمين، واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، بها، ودعا إليها، وزعم أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل البدع. ودلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمده ويثنى عليه بما فعله من الخير الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بمفازة من العذاب أي: بمحل نجوة منه وسلامة، بل قد استحقوه، وسيصيرون إليه، ولهذا قال: ولهم عذاب أليم ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك ومحبة أن يحمدا على فعل الخير الذي ما فعلوه. فلا تحسبنهم ثم قال تعالى: لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا أي: من القبائح والباطل القولي والفعلية. ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا أي: المالك للسموات والأرض وما فيهما، من سائر أصناف الخلق، المتصرف فيهم بكمال القدرة، وبديع الصنعة، فلا يمتنع عليه منهم أحد، ولا يعجزه أحد. 189 أي: هو

عليك البلاغ فقد وجب أجرك على ربك، وقامت عليهم الحجة، ولم يبق بعد هذا إلا مجازاتهم بالعقاب على جرمهم، فلها قال والله بصير بالعباد 19 بمثل ما أمتهم به فقد اهتدوا كما اهتديتم وصاروا إخوانكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم وإن تولوا عن الإسلام ورضوا بالأديان التي تخالفه فإنما أن ما سواه من الأديان باطلة، فلها قال وقل للذين أوتوا الكتاب من النصارى واليهود والأميين مشركي العرب وغيرهم أسلمتم فإن أسلموا أي: يساويهم أو يقاربهم، فإذا ثبت وتقرر توحيد الله ودينه بأدلته الظاهرة، وقام به أكمل الخلق وأعلمهم، حصل بذلك اليقين وانتفى كل شك وريب وقادح، وعرف محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من بعده أتباعه على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم، فله من العلم الصحيح والعقل الرجيح ما ليس لأحد من الخلق ما من اشتبه عليه الأمر، لأنه قد تقدم أن الله استشهد على توحيده بأهل العلم من عباده ليكونوا حجة على غيرهم، وسيد أهل العلم وأفضلهم وأعلمهم هو نبينا وشهدنا وأسلمنا وجوهنا لربنا، وتركنا ما سوى دين الإسلام، وجزمنا بطلانه، ففي هذا تأييس لمن طمع فيكم، وتجديد لدينكم عند ورود الشبهات، وحجة على عليه وسلم عند محاجة النصارى وغيرهم ممن يفضل غير دين الإسلام عليه أن يقول لهم: قد أسلمت وجهي لله ومن اتبعني أي: أنا ومن اتبعني قد أقرنا سريع الحساب فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصا من ترك الحق بعد معرفته، فهذا مستحق للعقوبات الأليم، ثم أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ويتركوا الاختلاف، وهذا من كفرهم، فلها قال تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله الكتاب بعد ما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله، بغيا بينهم، وظلما وعدوانا من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم، وإنما اختلف أهل وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو متضمن للإخلاص ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له،

مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وخص الله بالآيات أولي الأبواب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم. 190 وشمول بره، ووجوب شكره. وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، ويجذب أفئدة الصادقين، وبينه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وأبهم قوله: آيات ولم يقل: على المطلب الفلاني إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهز الناظرين، ويقنع المتفكرين، إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكير فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، يخبر تعالى:

ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: وما للظالمين من أنصار ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم. 191 لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخصيت أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه،

تفسير السعدي

من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن عبثا، فيقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. فقنا عذاب النار بأن تعصمنا الأرض أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم يتفكرون في خلق السماوات ثم وصف أولي الأبواب بأنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذا يشمل

ووقوف الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: وما للظالمين من أنصار ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم. 192 لما قام الخوف بقلوبهم، دعا الله بأهم الأمور عندهم، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتني أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملأته، وأوليائه، من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن عبثا، فيقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. فقنا عذاب النار بأن تعصمنا الأرض أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم يتفكرون في خلق السماوات ثم وصف أولي الأبواب بأنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذا يشمل

ووقوف الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: وما للظالمين من أنصار ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم. 193 لما قام الخوف بقلوبهم، دعا الله بأهم الأمور عندهم، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتني أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملأته، وأوليائه، من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن عبثا، فيقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. فقنا عذاب النار بأن تعصمنا الأرض أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم يتفكرون في خلق السماوات ثم وصف أولي الأبواب بأنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذا يشمل

من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم، فلماذا 194 والثبات إلى الممات. ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوهم الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على السنة رسله بالإيمان، سيمن عليهم بالأمان التام. وتوفنا مع الأبرار يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم سمعنا مناديا ينادي للإيمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله وفروعه. فأما أي: أجنبناه مبادرة، وسارعنا ربنا إننا

حسن الثواب مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد ذلك، فليطلبه من الله بطاعته والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد. 195 الله. لا كفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله الذي يعطي عبده الثواب الجزيل على العمل القليل. والله عنده ديارهم وأودوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا فجمعوا بين الإيمان والهجرة، ومفارقة المحبوبات من الأوطان والأموال، طلبا لمرضاة ربهم، وجاهدوا في سبيل ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملا موفرا، بعضكم من بعض أي: كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب، فالذين هاجروا وأخرجوا من أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعاء الطلب، وقال: إني لا أضيع عمل عامل منكم من

عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات 196 وهذه الآية المقصود منها التسلية

فإن هذا كله متاع قليل ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا، ويعذبون عليه طويلا، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه. 197 وما عند الله خير للأبرار وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجرا عظيما، وعطاء جسيما، وفوزا دائما. 198 وشدة، وعناء ومشقة، لكن هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نورا يسيرا، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى: المؤمنون به فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وأما المتقون لربهم،

الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب. 199 النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فأثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم ما أنزل الله ويشترون به ثمنا قليلا، وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ

تفسير السعدي

الله من عباده العلماء ومن تمام خشيتهم لله، أنهم لا يشتركون بآيات الله ثمنا قليلا فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده. وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: إنما يخشى أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وهذا الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض. ولهذا لما كان إيمانهم عاما حقيقيا صار نافعا، فأحدث لهم أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما

وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح. 2 ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود سواه فهو باطل،

عليك البلاغ فقد وجب أجرك على ربك، وقامت عليهم الحجة، ولم يبق بعد هذا إلا مجازاتهم بالعقاب على جرمهم، فهذا قال والله بصير بالعباد 20 بمثل ما أمتنتم به فقد اهتمتدوا كما اهتمتدتم وصاروا إخوانكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم وإن تولوا عن الإسلام ورضوا بالأديان التي تخالفه فإنما أن ما سواه من الأديان باطلة، فهذا قال وقل للذين أوتوا الكتاب من النصارى واليهود والأميين مشركي العرب وغيرهم أسلمتم فإن أسلموا أي: يساويهم أو يقاربهم، فإذا ثبت وتقرر توحيد الله ودينه بأدلته الظاهرة، وقام به أكمل الخلق وأعلمهم، حصل بذلك اليقين وانتفى كل شك وريب وقادح، وعرف محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من بعده أنبأه على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم، فله من العلم الصحيح والعقل الرجيح ما ليس لأحد من الخلق ما من اشتبه عليه الأمر، لأنه قد تقدم أن الله استشهد على توحيد به أهل العلم من عباده ليكونوا حجة على غيرهم، وسيد أهل العلم وأفضلهم وأعلمهم هو نبينا وشهدنا وأسلمنا وجوهنا لرينا، وتركنا ما سوى دين الإسلام، وجزمنا ببطلانه، ففي هذا تأسيس لمن طمع فيكم، وتجديد لدينكم عند ورود الشبهات، وحجة على عليه وسلم عند محاجة النصارى وغيرهم ممن يفضل غير دين الإسلام عليه أن يقول لهم: قد أسلمت وجهي لله ومن اتبعني أي: أنا ومن اتبعني قد أقرنا سريع الحساب فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصا من ترك الحق بعد معرفته، فهذا مستحق للعقوبة الشديدة والعقاب الأليم، ثم أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بتركوا الاختلاف، وهذا من كفرهم، فهذا قال تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله الكتاب بعد ما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله، بغيا بينهم، وظلما وعدوانا من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم، وإنما اختلف أهل وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو متضمن للإخلاص ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له،

الفلاح إلا بالإخلاص بها أو ببعضها. والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا به. تم تفسير سورة آل عمران والحمد لله على نعمته، ونسأله تمام النعمة. 200 وينجون من المكروه كذلك. فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدا الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلمهم بفلحون: يفوزون بالمحسوب الديني والديني والأخروي، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك. والمصابرة أي الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال. والمرابطة: وهي لزوم المحل الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن

بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح. 21 يأمرهم الناس بالقسط الذي هو العدل، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقوا الحقوق على العباد بعد حق الله، الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، وتعزيرهم، وتوقيفهم، ونصرهم وهؤلاء قابلوهم بضر ذلك، ويقتلون أيضا الذين جرما وأي: جرم أعظم من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي من كفر بها فهو في غاية الكفر والعناد ويقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، أشد الناس

قد أبسوا من كل خير، وحصل لهم كل شر وضير، وهذه الحالة صفة اليهود ونحوهم، قبحهم الله ما أجرأهم على الله وعلى أنبيائه وعباده الصالحين. 22 وبطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم، وما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله ولا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة، بل

دعي إلى كتاب الله أن يسمع ويطيع وينقاد، كما قال تعالى إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا 23 تولوا بأبدانهم، وأعرضوا بقلوبهم، وهذا غاية الذم، وفي ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعالهم، فيصيبنا من الذم والعقاب ما أصابهم، بل الواجب على كل أحد إذا عليهم بكتابه، فكان يجب أن يكونوا أقوم الناس به وأسرعهم انقيادا لأحكامه، فأخبر الله عنهم أنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب تولي فريق منهم وهم يعرضون، يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب الذين أنعم الله

المحارم، لأن أنفسهم منتهم وغرتهم أن مآلهم إلى الجنة، وكذبوا في ذلك، فإن هذا مجرد كذب وافتراء، وإنما مآلهم شر مآل، وعاقبتهم عاقبة وخيمة 24

تفسير السعدي

الله هو قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون افتروا هذا القول فظنوه حقيقة فعملوا على ذلك ولم ينزجروا عن والسبب الذي غر أهل الكتاب بتجرئهم على معاصي

يوم توفية النفوس ما كسبت ومجازاتها بالعدل لا بالظلم، وقد علم أن ذلك على قدر الأعمال، وقد تقدم من أعمالهم ما يبين أنهم من أشد الناس عذابا. 25 أي: كيف يكون حالهم ووخيم ما يقدمون عليه، حالة لا يمكن وصفها ولا يتصور قبحها لأن ذلك اليوم

من تشاء بطاعتك وتذل من تشاء بمعصيتك إنك على كل شيء قدير لا يمتنع عليك أمر من الأمور بل الأشياء كلها طوع مشيئتك وقدرتك 26 إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم الأعداء وجعل بأسهم بينهم، ثم قال تعالى: وتعز ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء، وأنت بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم الآية وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية فأخبر أن الإيمان والعمل الصالح سبب للاستخلاف المذكور، وقال تعالى: هو الذي أيدك منها اجتماع المسلمين واتفاقهم، وإعدادهم الآلات التي يقدرها عليها والصبر وعدم التنازع، قال الله تعالى: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات بمشيئة الله لا يوجد سبب مستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر، ومن الأسباب التي جعلها الله سببا لحصول الملك الإيمان والعمل الصالح، التي ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية التي هي سبب بقاء الملك وحصوله وسبب زواله، فإنها كلها الملك ممن تشاء وفيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة والقيصرة ومن تبعهم ويؤتيه أمة محمد، وقد فعل ولله الحمد، فحصول الملك لك، والمملكة كلها علويها وسفليها لك والتصريف والتدبير كله لك، ثم فصل بعض التصارييف التي انفرد الباري تعالى بها، فقال: تؤتي الملك من تشاء وتنزع يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اللهم مالك الملك أي: أنت الملك المالك لجميع الممالك، فصفة الملك المطلق

تعالى الأضداد، والصد من ضده بيان أنها مقهورة وترزق من تشاء بغير حساب أي: ترزق من تشاء رزقا واسعا من حيث لا يحتسب ولا يكتسب 27 من الشجر، وكالحب من الزرع، وكالكافر من المؤمن، وهذا أعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئا، فخلقه الحي من الميت كالفرخ من البيضة، وكالشجر من النوى، وكالزرع من بذره، وكالمؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي كالبيضة من الطائر وكانوى هذا، فينشأ عن ذلك من الفصول والضياء والنور والشمس والظل والسكون والانتشار، ما هو من أكبر الأدلة على قدرة الله وعظمته وحكمته ورحمته وتخرج تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل أي: تدخل هذا على هذا، وهذا على

من المجازاة على الأعمال، ومحل ذلك يوم القيامة، فهو الذي توفي به النفوس بأعمالها فلماذا قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا 28 رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله، وفي ضمن أخبار الله عن علمه وقدرته الإخبار بما هو لازم ذلك علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث الأجر والمثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصا، ولما في السماء والأرض عموما، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصى أعمالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل باللسان وإظهار ما به تحصل التقية. ثم قال تعالى: ويحذركم الله نفسه أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك وإلى الله المصير التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاة أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصدقتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أولياءه خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين، قال تعالى: ومن يتولهم منكم فإنه منهم وفي هذه الآية دليل على على إقامة دين الله وجهاد أعدائه، قال تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فمن والى الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء أي: وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين

من المجازاة على الأعمال، ومحل ذلك يوم القيامة، فهو الذي توفي به النفوس بأعمالها فلماذا قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا 29 رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله، وفي ضمن أخبار الله عن علمه وقدرته الإخبار بما هو لازم ذلك علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث الأجر والمثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصا، ولما في السماء والأرض عموما، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصى أعمالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل باللسان وإظهار ما به تحصل التقية. ثم قال تعالى: ويحذركم الله نفسه أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك وإلى الله المصير التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاة أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية

تفسير السعدي

الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصادقتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أوليائه خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين، قال تعالى: ومن يتولهم منكم فإنه منهم وفي هذه الآية دليل على إقامة دين الله وجهاد أعدائه، قال تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فمن والى الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء أي: وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين

الشرائع الكبار، وأنها رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى مهتد وغيره، وعقوبة من لم يهتد بها، وتقرير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته. 3 الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت إثبات حياته الكاملة وقيوميته التامة، المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم، وإثبات وقبيح، وذكر وأنثى لا إله إلا هو العزيز الحكيم تضمنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعيينها، وإبطال إلهية ما سواه، وفي ضمن ذلك رد على النصارى ويقدرها بكل تقدير، فلماذا قال هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء من كامل الخلق ناقصه، وحسن كلها، جليها وخفيها، ظاهرها وباطنها، ومن جملة ذلك الأجنة في البطون التي لا يدركها بصر المخلوقين، ولا ينالها علمهم، وهو تعالى يدبرها بألطف تدبير، عزيز أي: قوي لا يعجزه شيء ذو انتقام ممن عصاه. إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا فيه تقرير إحاطة علمه بالمعلومات يؤمن به وبآياته، فلماذا قال إن الذين كفروا بآيات الله أي: بعد ما بينها ووضحها وأزاح العلل لهم عذاب شديد لا يقدر قدره ولا يدرك وصفه والله القاطعات الدالة على جميع المقاصد والمطالب، وكذلك فصل وفسر ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت الأحكام جلية ظاهرة، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة لمن لم والإنجيل هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله وأنزل الفرقان أي: الحجج والبيانات والبراهين أي: على موسى والإنجيل على عيسى. من قبل إنزال القرآن هدى للناس الظاهر أن هذا راجع لكل ما تقدم، أي: أنزل الله القرآن والتوراة وهي شاهدة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به، فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتبهم، ثم قال تعالى وأنزل التوراة بين يديه من الكتب السابقة، فهو المزكي لها، فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، على الحق في إخباره وأوامره ونواهيها، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه مصدقا لما وللقلوب والأرواح. ومن قيامه تعالى بعبادته ورحمته بهم أن نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب، الذي هو أجل الكتب وأعظمها المشتمل عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام الصفات التي لا تتم ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى سواه فهو باطل، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود

وترك الذنوب، فقال ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ففسأله أن يمن علينا بالحذر منه على الدوام، حتى لا نفعل ما يسخطه ويغضبه. 30 تعالى تحذيرنا نفسه رافة بنا ورحمة لئلا يطول علينا الأمد فتفسد قلوبنا، وليجمع لنا بين الترغيب الموجب للرجاء والعمل الصالح، والترهيب الموجب للخوف وجهه لا ينظر إلا الأمر الحاضر، فليس له عقل كامل يلحظ به عواقب الأمور فيقدم على ما ينفعه عاجلا وأجلا، ويحجم عن ما يضره عاجلا وأجلا، ثم أعاد فبنس القرين فوالله لترك كل شهوة ولذة وان عسر تركها على النفس في هذه الدار أيسر من معاناة تلك الشدائد واحتمال تلك الفضائح، ولكن العبد من ظلمه يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشركين وليتركها وقت الإمكان قبل أن يقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ويوم من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا أي: مسافة بعيدة، لعظم أسفها وشددة حزنها، فليحذر العبد من أعمال سوء التي لا بد أن يحزن عليها أشد الحزن، لكل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة صغيرها وكبيرها، كما أن السوء اسم جامع لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها وكبيرها وما عملت يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا أي: كاملا موفرا لم ينقص مثقال ذرة، كما قال تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والخير: اسم جامع

غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص. 31 لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال قل إن كنتم تحبون الله أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي وهذه الآية فيها

أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانا وتفسيرا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي، ثم قال تعالى: 32 مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير فلماذا قال: فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم

تفسير السعدي

فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون فإن تولوا أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه، لأن اجتنابه امتثالاً لأمر الله هو من طاعته، وهذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما

مريم بنت عمران، أو والد موسى بن عمران عليه السلام، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم. 33 من الكمال ما تفرق في غيره، وفاق صلى الله عليه وسلم الأولين والآخرين، فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد إبراهيم. واصطفى الله آل عمران وهو والد لأنهم من ذريته، وقد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوة على العالمين، ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى جمع فيه ربه ليلا ونهارا وسرا وجهارا، وجعله الله أسوة يقتدي به من بعده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، ويدخل في آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بعثوا من بعده جميع الأحيان والأزمان. واصطفى آل إبراهيم وهو إبراهيم خليل الرحمن الذي اختصه الله بخلته، وبذل نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيقات، ودعا إلى الأوقات ما أوجب اصطفاؤه واجتباؤه، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته، ونجاه ومن معه في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، وترك عليه ثناء يذكر في ممن خلقنا تفضيلا واصطفى نوحا فجعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان، ووقفه من الصبر والاحتمال والشكر والدعوة إلى الله في جميع الفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضل بنيه، فقال تعالى: ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير فأخبر أنه اصطفى آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم والحلم يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه وأصفياه وأحبابه،

والتنويه بشرفهم، فله ما أعظم جوده وكرمه وأكثر فوائده معاملته، لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكاهم مخلدة ومناقبهم مؤبدة لكفى بذلك فضلا 34 وأن لا نزال نزري أنفسنا بتأخرنا عنهم وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة، وهذا أيضا من لطفه بهم، وإظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين، من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه وكرما، ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نحبههم ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم، صراط مستقيم والله سميع عليم يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه ومن لا يستحق ذلك فيخله ويرديه، ودل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم والأخلاق الجميلة، كما قال تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء الداخلين في ضمن هذه البيوت الكبار ومن آبائهم وإخوانهم وذرياتهم واجتبيئناهم وهديناهم إلى ذرية بعضها من بعض أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق

وخدمة بيتك فتقبل مني هذا العمل المبارك إنك أنت السميع العليم تسمع دعائي وتعلم نيتي وقصدي، هذا وهي في البطن قبل وضعها 35 فقال: إذ قالت امرأة عمران أي: والددة مريم لما حملت رب إني نذرت لك ما في بطني محررا أي: جعلت ما في بطني خالسا لوجهك، محررا لخدمتك ولما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لمريم والددة عيسى وكيف لطف الله بها في تربيتها ونشأتها،

وعلى أن للام تسمية الولد إذا لم يكره الأب وإني أعيزها بك وذريتها من الشيطان الرجيم دعت لها ولذريتها أن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم. 36 بل علمه متعلق بها قبل أن تعلم أمها ما هي وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم فيه دلالة على تفضيل الذكر على الأنثى، وعلى التسمية وقت الولادة، أن يكون ذكرا ليكون أقدر على الخدمة وأعظم موقعا، ففي كلامها نوع عذر من ربها، فقال الله: والله أعلم بما وضعت أي: لا يحتاج إلى إعلامها، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى كأنها تشوفت

نفى ذلك، فلما رأى زكريا عليه السلام ما من الله به على مريم، وما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعي منها ولا كسب، طمعت نفسه بالولد 37 الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وفي هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك، خلافا لمن أنى لك هذا قالت هو من عند الله فضلا وإحسانا إن الله يرزق من يشاء بغير حساب أي: من غير حساب من العبد ولا كسب، قال تعالى: ومن يتق مصلها فكان كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا أي: من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فيقول لها زكريا عليه السلام وكفلها إياه، وهذا من رفقها بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: أي: جعلها نذيرة مقبولة، وأجارها وذريتها من الشيطان وأنبتها نباتا حسنا أي: نبتت نباتا حسنا في بدنها وخلقها وأخلاقها، لأن الله تعالى قيض لها زكريا فتقبلها ربها بقبول حسن

أي: دعا زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ذرية طيبة، أي: طاهرة الأخلاق، طيبة الآداب، لتكمل النعمة الدينية والدنيوية بهم. فاستجاب له دعاءه. 38 بخدمة ربه وطاعته ونبيا من الصالحين فأني: بشارة أعظم من هذا الولد الذي حصلت البشارة بوجوده، وبكمال صفاته، وبكونه نبيا من الصالحين 39 أي: يحصل له من الصفات الجميلة ما يكون به سيدا يرجع إليه في الأمور وحسورا أي: ممنوعا من إتيان النساء، فليس في قلبه لهن شهوة، اشتغالا هو قائم في محرابه يتعبد لربه ويتضرع نادته الملائكة أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله أي: بعيسى عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله وسيدا وبينما

ما بينها ووضحها وأزاح العلل لهم عذاب شديد لا يقدر قدره ولا يدرك وصفه والله عزيز أي: قوي لا يعجزه شيء ذو انتقام ممن عصاه. 4 ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت الأحكام جليلة ظاهرة، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة لمن لم يؤمن به وبآياته، فهذا قال إن الذين كفروا بآيات الله أي: بعد

تفسير السعدي

ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله وأنزل الفرقان أي: الحجج والبيانات والبراهين القاطعات الدالة على جميع المقاصد والمطالب، وكذلك فصل وفسر القرآن هدى للناس الظاهر أن هذا راجع لكل ما تقدم، أي: أنزل الله القرآن والتوراة والإنجيل هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، من قبل إنزال

فإذا أراد أن يوجههم من غير ما سبب فعل، لأنه لا يستعصي عليه شيء، فقال زكريا عليه السلام استعجالا لهذا الأمر، وليحصل له كمال الطمأنينة. 40 فكيف وقد اجتمعوا، فأخبره الله تعالى أن هذا خارق للعادة، فقال: كذلك الله يفعل ما يشاء فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها التناسل، فقال زكريا من شدة فرحه رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وكل واحد من الأمرين مانع من وجود الولد،

الله أن يشكره ويكثر من ذكره بالعشي والإبكار، حتى إذا خرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا أي: أول النهار وآخره. 41 أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام، وأمره أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي رب اجعل لي آية أي: علامة على وجود الولد قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا

الله إياها وتطهيرها، كان في هذا من النعمة العظيمة والمنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها، فهذا قالت لها الملائكة: يا مريم اقنتي لربك 42 إما على عالمي زمانها، أو مطلقا، وإن شاركتها أفراد من النساء في ذلك كخديجة وعائشة وفاطمة، لم يناف الاضطفاء المذكور، فلما أخبرتها الملائكة باضطفاء واصطفافك على نساء العالمين الاضطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاضطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، ينوه تعالى بفضيلة مريم وعلو قدرها، وأن الملائكة خاطبتها بذلك فقالت يا مريم إن الله اصطفاك أي: اختارك وطهرتك من الآفات المنقصة

واسجدي واركعي مع الراكعين خص السجود والركوع لفضلهما ودلالتهما على غاية الخضوع لله، ففعلت مريم، ما أمرت به شكرا لله تعالى وطاعة 43 اقنتي لربك القنوت دوام الطاعة في خضوع وخشوع،

صادق وأنت رسول الله حقا، فوجب عليهم الانقياد لك وامتنثال أوامرك، كما قال تعالى: وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر الآيات. 44 النهر، فأبهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها، فوقع ذلك لزكريا نبههم وأفضلهم، فلما أخبرتهم يا محمد بهذه الأخبار التي لا علم لك ولا لقومك بها دل على أنك أقلامهم أبهم يكفل مريم لما ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر على بيت المقدس، فتشاحوا وتخاصموا أيهم يكفل مريم، واقتنعوا عليها بأن ألقوا أقلامهم في التي قبضها الله لها، وكان هذا من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحي. قال ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم أي: عندهم إذ يلقون ، ولما أخبر الله نبيه بما أخبر به عن مريم، وكيف تنقلت بها الأحوال

من النبيين والمرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين، فهذا كان من المقربين إلى الله، أقرب الخلق إلى ربهم، بل هو عليه السلام من سادات المقربين. 45 العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأئباع، ونشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب، وفي الآخرة وجيها عند الله يشفع أسوة إخوانه الروح الزكية، فكان روحانيا نشأ من مادة روحانية، فلماذا سمى روح الله وجيها في الدنيا والآخرة أي: له الواجهة العظيمة في الدنيا، جعله الله أحد أولي وعجائب مخلوقاته، فأرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فولجت فيها تلك النفخة الذكية من ذلك الملك الزكي، فأنشأ الله منها تلك بأعظم بشارة، وهو كلمة الله عبده ورسوله عيسى ابن مريم، سمي كلمة الله لأنه كان بالكلمة من الله، لأن حالته خارجة عن الأسباب، وجعله الله من آياته يخبر تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام

أي: يمن عليه بالصلاح، من من عليهم، ويدخله في جملتهم، وفي هذا عدة بشارات لمريم مع ما تضمن من التنويه بذكر المسيح عليه السلام. 46 آيات الله ينتفع بها المؤمنون، وتكون حجة على المعاندين، أنه رسول رب العالمين، وأنه عبد الله، وليكون نعمة وبراءة لوالدته مما رميت به ومن الصالحين بل المراد يكلم الناس بما فيه صلاحهم وفلاحهم، وهو تكليم المرسلين، ففي هذا إرساله ودعوته الخلق إلى ربهم، وفي تكليمهم في المهد آية عظيمة من ويكلم الناس في المهد وكهلا وهذا غير التكليم المعتاد،

عاقر، ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب، وهو وجود عيسى عليه السلام من أم بلا أب ليدل عباده أنه الفعال لما يريد وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. 47 والتعجب، ومن حكمة الباري تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغريب إلى ما هو أغرب منه، فذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين أحدهما كبير والآخر يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون فأخبرها أن هذا أمر خارق للعادة، خلقه من يقول لكل أمر أراد: كن فيكون، فمن تيقن ذلك زال عنه الاستغراب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر والولد في العادة لا يكون إلا من مس البشر، وهذا استغراب منها، لا شك في قدرة الله تعالى: قال كذلك الله يخلق ما قالت رب

أسرار الشرع، ووضع الأشياء مواضعها، فيكون ذلك امتنانا على عيسى عليه السلام بتعليمه الكتابة والعلم والحكمة، وهذا هو الكمال للإنسان في نفسه. 48 عباده بتعليمهم بالقلم في أول سورة أنزلها فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم والمراد بالحكمة معرفة فيه تعليم ألفاظه ومعانيه، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ويعلمه الكتاب أي: الكتابة، لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده ولهذا امتن تعالى على فيكون ذكر التوراة والإنجيل تخصيصا لهما، لشرفهما وفضلهما واحتوائهما على الأحكام والشرائع التي يحكم بها أنبياء بني إسرائيل والتعليم، لذلك يدخل

تفسير السعدي

ثم أخبر تعالى عن منته العظيمة على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، فقال ويعلمه الكتاب يحتمل أن يكون المراد جنس الكتاب،

بالأمور الغيبية، فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها؟ فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان. 49 في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين وأي: آية أعظم من جعل الجماد حيوانا، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار روح تطير بإذن الله وأبرى الأكمه وهو الذي يولد أعمى والأبرص بإذن الله وأحيى الموتى بإذن الله وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن ولهذا قال أي قد جئتمكم بآية من ربكم أي أخلق لكم من الطين طيرا، أي: أصوره على شكل الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله أي: طيرا له فأرسله الله إلى هذا الشعب الفاضل الذين هم أفضل العالمين في زمانهم يدعوهم إلى الله، وأقام له من الآيات ما دلهم أنه رسول الله حقا ونبيه صدقا ثم ذكر له كمالاته وفضلا زائدا على ما أعطاه الله من الفضائل، فقال ورسولا إلى بني إسرائيل

لا يدركها بصر المخلوقين، ولا ينالها علمهم، وهو تعالى يديرها بألطف تدبير، ويقدرها بكل تقدير، فهذا قال هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء 5 عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا فيه تقرير إحاطة علمه بالمعلومات كلها، جليها وخفيها، ظاهرها وباطنها، ومن جملة ذلك الأجنة في البطون التي إن الله لا يخفى

اتباعي، وهي ما تقدم من الآيات، والمقصود من ذلك كله قوله فاتقوا الله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وأطيعوني فإن طاعة الرسول طاعة لله. 50 الذي حرم عليكم فدل ذلك على أن أكثر أحكام التوراة لم ينسخها الإنجيل بل كان متمما لها ومقورا وجئتكم بآية من ربكم تدل على صدقي ووجوب أن يكون بينهما من الفروق ما يتبين لكل من له عقل، ثم أخبر عيسى عليه السلام أن شريعة الإنجيل شريعة فيها سهولة ويسرة فقال ولأحل لكم بعض الخلق أو ضلالهم وسعادتهم وشقاؤهم، ومعلوم أن الصادق فيها من أكمل الخلق، والكاذب فيها من أخس الخلق وأكذبهم وأظلمهم، فحكمة الله ورحمته بعباده إذ لا يشتبه الصادق بالكاذب في دعوى النبوة أبدا، بخلاف بعض الأمور الجزئية، فإنه قد يشتبه فيها الصادق بالكاذب، وأما النبوة فإنه يترتب عليها هداية لكل أحد كذب صاحبها وتناقضه ومخالفته لأخبار الصادقين وموافقته لأخبار الكاذبين، هذا موجب السنن الماضية والحكمة الإلهية والرحمة الربانية بعباده، يخبر بالصدق، ويأمر بالعدل من غير تخالف ولا تناقض، بخلاف من ادعى دعوى كاذبة، خصوصا أعظم الدعاوى وهي دعوى النبوة، فالكاذب فيها لابد أن يظهر لما بين يدي من التوراة أي: أثبت بجنس ما جاءت به التوراة وما جاء به موسى عليه السلام، وعلامة الصادق أن يكون خبره من جنس خبر الصادقين، ومصدقا

وقوله هذا أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله صراط مستقيم موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم. 51 من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته إلى قوله ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن عبدوا الله ربي وربكم عبد مدبر مخلوق، كما قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى: وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين بالحب والخوف والرجاء والدعاء والاستعانة وجميع أنواع العبادة، وفي هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره عليه السلام بأنه الذي يقر به كل أحد على توحيد الإلهية الذي ينكره المشركون، فكما أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعمًا ظاهرة وباطنة، فليكن هو معبودنا الذي نأله إن الله ربي وربكم فاعبدوه استدل بتوحيد الربوبية

بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نوره ومكر الله بهم جزاء لهم على مكرهم والله خير الماكرين رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين. 52 من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتل الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فهذا قال تعالى هنا ومكروا أي: الكفار مع الشاهدين أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه أمنت طائفة من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله قال الحواريون وهم الأنصار نحن أنصار الله أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك. وقالوا: آمنا بالله فاكتبنا فلما أحس عيسى منهم الكفر أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك قال من أنصاري إلى الله

بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نوره ومكر الله بهم جزاء لهم على مكرهم والله خير الماكرين رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين. 53 من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتل الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فهذا قال تعالى هنا ومكروا أي: الكفار مع الشاهدين أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه أمنت طائفة من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله قال الحواريون وهم الأنصار نحن أنصار الله أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك. وقالوا: آمنا بالله فاكتبنا فلما أحس عيسى منهم الكفر أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك قال من أنصاري إلى الله

بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نوره ومكر الله بهم جزاء لهم على مكرهم والله خير الماكرين رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين. 54 من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتل الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فهذا قال تعالى هنا ومكروا أي: الكفار مع الشاهدين أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه أمنت طائفة من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله قال الحواريون وهم الأنصار نحن أنصار الله أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك. وقالوا: آمنا بالله فاكتبنا فلما أحس عيسى منهم الكفر أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك قال من أنصاري إلى الله

تفسير السعدي

الخلائق كلها فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون كل يدعي أن الحق معه وأنه المصيب وغيره مخطئ، وهذا مجرد دعاوى تحتاج إلى برهان. 55

إدالة الكفار من النصارى وغيرهم على المسلمين، حكمة من الله وعقوبة على تركهم لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم إلي مرجعكم أي: مصير صلى الله عليه وسلم فكان المسلمون هم المتبعين لعيسى حقيقة، فأيدهم الله ونصرهم على اليهود والنصارى وسائر الكفار، وإنما يحصل في بعض الأزمان الكافرين، ثم إن النصارى المنتسبين لعيسى عليه السلام لم يزالوا قاهرين لليهود لكون النصارى أقرب إلى اتباع عيسى من اليهود، حتى بعث الله نبينا محمدا به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ثم قال تعالى: وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة وتقدم أن الله أيد المؤمنين منهم على يضع الأشياء مواضعها، وله أعظم حكمة في إلقاء الشبه على بني إسرائيل، فوقعوا في الشبه كما قال تعالى وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم المانع لهم عن قتل عيسى عليه السلام، كما قال تعالى وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين حكيم والأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول والإيمان والتسليم، وكان الله عزيزا قويا قاهرا، ومن عزته أن كف بني إسرائيل بعد عزمهم الجازم وعدم قال الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وفي هذه الآية دليل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه حقيقة، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية كفروا فرفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقي شبهه على غيره، فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله، إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين

ينصرونهم من عذاب الله، لا من زعموا أنهم شفعاء لهم عند الله، ولا ما اتخذوهم أولياء من دونه، ولا أصدقائهم وأقربائهم، ولا أنفسهم ينصرون. 56

من عذاب الآخرة، وأما عذاب الآخرة فهو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، ألا وهو عذاب النار وغضب الجبار وحرمانهم ثواب الأبرار وما لهم من ناصرين فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة أما عذاب الدنيا، فهو ما أصابهم الله به من القوارع والعقوبات المشاهدة والقتل والذل، وغير ذلك مما هو نموذج ثم أخبر عن حكمه بينهم بالقسط والعدل، فقال فأما الذين كفروا أي: بالله وآياته ورسله

محضرا موفرا، فيعطي منهم كل عامل أجر عمله ويزيدهم من فضله وكرمه والله لا يحب الظالمين بل يبغضهم ويحل عليهم سخطه وعذابه. 57

ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجور يوم القيامة، يجدون ما قدموه من الخيرات أمر الله بالإيمان به وعملوا الصالحات القلبية والقولية والبدينية التي جاءت بشرعها المرسلون، وقصدوا بها رضا رب العالمين فيوفيه أجورهم دل وأما الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وغير ذلك مما

الباهرات، فهذا القرآن يقص علينا كل ما ينفعنا من الأخبار والأحكام، فيحصل فيها العلم والعبرة وتنبت الفؤاد ما هو من أعظم رحمة رب العباد 58

هذا الذكر الحكيم، المحكم المتقن، المفصل للأحكام والحلال والحرام وإخبار الأنبياء الأقدمين، وما أجرى الله على أيديهم من الآيات البينات والمعجزات ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم وهذا منة عظيمة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته، حيث أنزل عليهم

تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه. 59

على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدر فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال وبهذه القاعدة الشرعية على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد عليهم السلام. فلا تكن من الممترين أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء باب أولى وأحرى، فلماذا قال تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح إدعاء البتة والإلهية في المسيح، فادعائها في آدم من أدل، وعلى أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فأدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب فضلا أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقض قولهم عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى

الشرائع الكبار، وأنها رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى مهتد وغيره، وعقوبة من لم يهتد بها، وتقدير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته. 60

الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت إثبات حياته الكاملة وقيوميته التامة، المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم، وإثبات وقبيح، وذكر وأثنى لا إله إلا هو العزيز الحكيم تضمنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعينها، وإبطال إلهية ما سواه، وفي ضمن ذلك رد على النصارى هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء من كامل الخلق وناقصه، وحسن

تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه. 60

على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدر فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال وبهذه القاعدة الشرعية على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد

تفسير السعدي

عليهم السلام. فلا تكن من الممتريين أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قصص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء باب أولى وأحرى، فلماذا قال تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن لادم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح إدعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعائها في آدم من أدل، وعلى أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب فضلا أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى

شيء الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل 61 إلا الله فهو المألوه المعبود حقا الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة وإن الله له العزيز الذي قهر كل شيء وخضع له كل أشد العقوبة. وأخبر تعالى إن هذا الذي قصه الله على عباده هو القصص الحق وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل وما من إله وعوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم بطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلماذا قال تعالى فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين فيعاقبهم على ذلك والنساء، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهلهم وأولادهم فلم يجدوا أهلا ولا مالا نبه أن ينتقل إلى مهابلته وملاعتته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجدا له فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله لمن جادل ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها جادلك وحاجك في عيسى عليه السلام وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته من بعد ما جاءك من العلم بأنه عبد الله ورسوله وبينت أي: فمن

شيء الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل 62 إلا الله فهو المألوه المعبود حقا الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة وإن الله له العزيز الذي قهر كل شيء وخضع له كل أشد العقوبة. وأخبر تعالى إن هذا الذي قصه الله على عباده هو القصص الحق وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل وما من إله وعوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم بطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلماذا قال تعالى فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين فيعاقبهم على ذلك والنساء، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهلهم وأولادهم فلم يجدوا أهلا ولا مالا نبه أن ينتقل إلى مهابلته وملاعتته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجدا له فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله لمن جادل ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها جادلك وحاجك في عيسى عليه السلام وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته من بعد ما جاءك من العلم بأنه عبد الله ورسوله وبينت أي: فمن

شيء الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل 63 إلا الله فهو المألوه المعبود حقا الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة وإن الله له العزيز الذي قهر كل شيء وخضع له كل أشد العقوبة. وأخبر تعالى إن هذا الذي قصه الله على عباده هو القصص الحق وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل وما من إله وعوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم بطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلماذا قال تعالى فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين فيعاقبهم على ذلك والنساء، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهلهم وأولادهم فلم يجدوا أهلا ولا مالا نبه أن ينتقل إلى مهابلته وملاعتته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجدا له فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله لمن جادل ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها جادلك وحاجك في عيسى عليه السلام وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته من بعد ما جاءك من العلم بأنه عبد الله ورسوله وبينت أي: فمن

سجدا الآية وأيضا فإن في ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية مما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه ويعلن بإسلامه، إخبارا بيقينه وشكرا لنعمة ربه. 64 الله بعدم إسلام غيركم لعدم زكائهم ولخبث طويتهن، كما قال تعالى قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان العلم على الحقيقة، كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم كما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين، وأيضا فإنكم إذا أسلمتم أنتم وآمنتم فلا يعبا

تفسير السعدي

لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن تولوا فهم معاندون متبعون أهواءهم فاشهدوهم أنكم مسلمون، ولعل الفائدة في ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك وأنتم أهل فلا تطيع المخلوقين في معصية الخالق، لأن ذلك جعل للمخلوقين في منزلة الربوبية، فإذا دعي أهل الكتاب أو غيرهم إلى ذلك، فإن أجابوا كانوا مثلكم، ولا نشرك به نبيا ولا ملكا ولا وليا ولا صنما ولا وثنا ولا حيوانا ولا جمادا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله بل تكون الطاعة كلها لله ولرسله، وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدل، ثم فسرنا بقوله ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فنفرده الله بالعبادة ونخصه بالحب والخوف والرجاء نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، أي: قل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أي: هلموا

أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ 65 منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى الله على وسلم ومن آمن معه، فهم الذين وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فهذا قال أفلا تعقلون أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ويجادلوا في أمرهم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا تفسير الآيات من 65 إلى 68 :- لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على

أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ 66 منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى الله على وسلم ومن آمن معه، فهم الذين وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فهذا قال أفلا تعقلون أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ويجادلوا في أمرهم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا تفسير الآيات من 65 إلى 68 :- لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على

أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ 67 منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى الله على وسلم ومن آمن معه، فهم الذين وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فهذا قال أفلا تعقلون أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ويجادلوا في أمرهم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا تفسير الآيات من 65 إلى 68 :- لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على

أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ 68 منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى الله على وسلم ومن آمن معه، فهم الذين وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فهذا قال أفلا تعقلون أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ويجادلوا في أمرهم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا

تفسير السعدي

تفسير الآيات من 65 إلى 68 :- لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على

وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وما يشعرون بذلك أنهم يسعون في ضرر أنفسهم وأنهم لا يضرؤنكم شيئا. 69 السيى إلا بأهله فلها قال تعالى وما يضلون إلا أنفسهم فسعيهم في إضلال المؤمنين زيادة في ضلال أنفسهم وزيادة عذاب لهم، قال تعالى الذين كفروا على تحصيل مراده، فهذه الطائفة تسعى وتبذل جهدها في رد المؤمنين وإدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدرؤن عليه، ولكن من لطف الله أنه لا يحيق المكر أهل الكتاب، وأنهم يودون أن يضلوكم، كما قال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ومن المعلوم أن من ود شيئا سعى بجهد

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن مكر هذه الطائفة الخبيثة من

فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهم القشور الذي لا حاصل له ولا نتيجة تحته، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة. 7 بمواظ الله ويقلل نصحه وتعليمه إلا أولوا الأبواب أي: أهل العقول الرزينة لب العالم وخلاصة بني آدم يصل التذكير إلى عقولهم، فيتذكرون ما ينفعهم يقينا أنه مردود إلى المحكم، وإن لم يفهموا وجه ذلك. ولما رغب تعالى في التسليم والإيمان بأحكامه وزجر عن اتباع المتشابه قال وما يذكر أي: يتعظ متقف يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض وفيه تنبيه على الأصل الكبير، وهو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يعلمون أيضا، فيؤمنون بها ويردونهم للمحكم ويقولون كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض بل هو الراسخون على الله فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه وردة إلى المحكم وإزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى والراسخون في العلم إلا الله، وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بها ويكلون المعنى إلى الله فيسلمون ويسلمون، وإن أريد بالتأويل التفسير والكشف والإيضاح، كان الصواب عطف بكيفيتها، فيجب علينا الوقوف على ما حد لنا، فأهل الزيغ يتبعون هذه الأمور المشتبهات تعرضا لما لا يعني، وتكلفا لما لا سبيل لهم إلى علمه، لأنه لا يعلمها سأل عن كيفيتها أن يقال كما قال الإمام مالك، تلك الصفة معلومة، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة، وقد أخبرنا الله بها ولم يخبرنا فقال السائل: كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم، وكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فهكذا يقال في سائر الصفات لمن لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرض للوقوف عليها، لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته، كما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله الرحمن على العرش استوى إلا الله لأن المتشابه الذي استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفيتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه يقفون عندها، وبعضهم يعطف عليها والراسخون في العلم وذلك كله محتمل، فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء وكنهه كان الصواب الوقوف على قصده اتباعه، وقوله وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله للمفسرين في الوقوف على الله من قوله وما يعلم تأويله إلا الله قولان، جمهورهم ابتغاء الفتنة لمن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلا للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن عن طريق الهدى والرشاد فيتبعون ما تشابه منه أي: يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين فأما الذين في قلوبهم زيغ أي: ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فهذه الطريق يصدق بعضه بعضا ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بيّنة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل هن أم الكتاب أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، و منه آيات أخر متشابهات أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان: لفظا ومعنى، وأما الأحكام والتشابه المذكور في هذه الآية فإن القرآن كما ذكره الله منه آيات محكمات أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة ولا إشكال على غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وكله متشابه في الحسن والبلاغة وتصديق بعضه لبعضه ومطابقته القرآن العظيم كله محكم كما قال تعالى كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير فهو مشتمل

به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي لا تشكون فيه، بل تشهدون به ويسر به بعضكم إلى بعض في بعض الأوقات، فهذا نهيه عن ضلالهم. 70

يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون أي: ما الذي دعاكم إلى الكفر بآيات الله مع علمكم بأن ما أنتم عليه باطل، وأن ما جاءكم

ويرجع الضالون وتقوم الحجة على المعاندين قال تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم 71 للناس الحق ويعلموا به، ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة، ليهتدي المهتدون إظهاره، ترتب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفة حتى يؤثره، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا الحق، لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم، فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهما وكتموا الحق الذي يجب عليهم ثم وبخهم على إضلالهم الخلق، فقال يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون فوبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان

أرادوه عجا بأنفسهم وظنا أن الناس سيحسنون ظنهم بهم ويتابعونهم على ما يقولونه ويفعلونه، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. 72

المكر والكيد أول النهار، فإذا كان آخر النهار فاخرجوا منه لعلمهم يرجعون عن دينهم، فيقولون لو كان صحيحا لما خرج منه أهل العلم والكتاب، هذا الذي وإرادة المكر بالمؤمنين، فقال وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره أي: ادخلوا في دينهم على وجه ثم أخبر تعالى عن ما همت به هذه الطائفة الخبيثة،

تفسير السعدي

- يؤتيه من يشاء ممن أتى بأسبابه والله واسع الفضل كثير الإحسان عليم بمن يصلح للإحسان فيعطيه، ومن لا يستحقه فيحرمه إياه. 73
- يهدون بأمر الله، وهذا من فضل الله عليها وإحسانه العظيم، فلماذا قال تعالى قل إن الفضل بيد الله أي: الله هو الذي يحسن على عباده بأنواع الإحسان وأما هذه الأمة فقد حصل لهم ولله الحمد من هداية الله من العلوم والمعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به وبرزوا على كل أحد، فكانوا هم الهداة الذين ما جاءت به رسل الله، ولا موفق إلا من وفقه الله، وأهل الكتاب لم يؤتوا من العلم إلا قليلا، وأما التوفيق فقد انقطع حظهم منه لخبث نياتهم وسوء مقاصدهم، وموجبا للحجة عليهم، فرد الله عليهم بأن الهدى هدى الله فمادة الهدى من الله تعالى لكل من اهتدى، فإن الهدى إما علم الحق، أو إثارة، ولا علم إلا الحجة وتبين لكم الهدى فلم تتبعوه، فالحاصل أنهم جعلوا عدم إخبار المؤمنين بما معهم من العلم قاطعا عنهم العلم، لأن العلم بزعمهم لا يكون إلا عندهم فإنكم إذا أخبرتم غيركم وغير من هو على دينكم حصل لهم من العلم ما حصل لكم فصاروا مثلكم، أو حاجوكم عند ربكم وشهدوا عليكم أنها قامت عليكم و قال بعضهم لبعض لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أي: لا تثقوا ولا تطمئنوا ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، واكتموا أمركم،
- نو الفضل العظيم الذي لا يصفه الواصفون ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما. 74
- يختص برحمته من يشاء أي: برحمته المطلقة التي تكون في الدنيا متصلة بالآخرة وهي نعمة الدين ومتمماته والله
- نفسه، وذلك هو الكذب، فلماذا قال ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وهذا أعظم إثما من القول على الله بلا علم، ثم رد عليهم زعمهم الفاسد. 75
- بين أكل الحرام واعتقاد حله وكان هذا كذبا على الله، لأن العالم الذي يحلل الأشياء المحرمة قد كان عند الناس معلوم أنه يخبر عن حكم الله ليس يخبر عن الفاسد ورأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار، ورأوا أنفسهم في غاية العظمة، وهم الأذلاء الأحقر، فلم يجعلوا للأميين حرمة، وأجازوا ذلك، فجمعوا أوجب لهم الخيانة وعدم الوفاء إليكم بأنهم زعموا أنه ليس عليهم في الأميين سبيل أي: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم، لأنهم بزعمهم الكثير يؤده وهو على أداء ما دونه من باب أولى، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك وهو على عدم أداء ما فوقه من باب أولى وأحرى، والذي الوفاء والخيانة في الأموال، لما ذكر خيانتهم في الدين ومكرهم وكنتمهم الحق، فأخبر أن منهم الخائن والأميين، وأن منهم من إن تأمنه بقنطار وهو المال يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب في
- من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم ولهم عذاب أليم أي: موجه للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله العافية. 76
- أي: لا نصيب لهم من الخير ولا يكلمهم الله يوم القيامة غضبا عليهم وسخطا، لتقديهمهم هو أنفسهم على رضا ربهم ولا يزكيهم أي: يطهرهم في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده، وكذلك من حلف على يمين يقطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية، فهؤلاء لا خلاق لهم في الآخرة يقولون ليس علينا في الأميين سبيل، فإنهم داخلون في قوله: إن الذين يشتركون بهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ويدخل في ذلك كل من أخذ شيئا من الدنيا وبتقوى الله وعدم التجري على الأموال المحترمة، كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم، بخلاف الذين فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهد ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله، وإذا كان الأميين قد عرفوا بوفاء اليهود إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع فقال بلى أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج، بل عليكم في ذلك أعظم الحرج وأشد الإثم. من أوفى بعهد واتقى والعهد من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم ولهم عذاب أليم أي: موجه للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله العافية. 77
- أي: لا نصيب لهم من الخير ولا يكلمهم الله يوم القيامة غضبا عليهم وسخطا، لتقديهمهم هو أنفسهم على رضا ربهم ولا يزكيهم أي: يطهرهم في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده، وكذلك من حلف على يمين يقطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية، فهؤلاء لا خلاق لهم في الآخرة يقولون ليس علينا في الأميين سبيل، فإنهم داخلون في قوله: إن الذين يشتركون بهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ويدخل في ذلك كل من أخذ شيئا من الدنيا وبتقوى الله وعدم التجري على الأموال المحترمة، كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم، بخلاف الذين فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهد ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله، وإذا كان الأميين قد عرفوا بوفاء اليهود إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع فقال بلى أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج، بل عليكم في ذلك أعظم الحرج وأشد الإثم. من أوفى بعهد واتقى والعهد من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم ولهم عذاب أليم أي: موجه للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله العافية. 78
- في قولهم: ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وهذا أعظم جرما ممن يقول على الله بلا علم، هؤلاء تعريضا وإما تصريحاً، فالتعريض في قوله لتحسبوه من الكتاب أي: يلوون أسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله، وليس هو المراد، والتصريح ومعانيه، وذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه، وهؤلاء عكسوا القضية وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقا يلوون أسنتهم بالكتاب، أي: يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، وهذا يشمل اللي والتحريف لألفاظه

تفسير السعدي

إلخ، بآء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين. 79 كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله بما كنتم تعلمون ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل أكمل الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرهم إلا بمعالي الأمور وهم أعظم الناس نهيا عن الأمور القبيحة، فهذا قال ولكن كونوا كونوا عبادا لي من دون الله فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لأن هذا أفصح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أن نعبدهك مع الله، فقلوه ما كان لبشر أي: يمتنع ويستحيل على بشر من الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق أن يقول للناس وهذه الآية نزلت ردا لمن قال من أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد

أي: عزيمة توفقنا بها للخيرات وتعصمنا بها من المنكرات إنك أنت الوهاب أي: واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان الذي عم جودك جميع البريات. 8 أي: لا تملها عن الحق جهلا وعنادا منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا مما ابتليت به الزائغين وهب لنا من لدنك رحمة ثم أخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

هذا ما لا يكون ولا يتصور أن يصدر من أحد من الله عليه بالنبوة، فمن قدح في أحد منهم بشيء من ذلك فقد ارتكب إثما عظيما وكفرا وخيما. 80 أربابا وهذا تميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه ولا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة والأنبياء وغيرهم أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والأنبياء

فاشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم بذلك، قال وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله 81 وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم صلى الله عليه وسلم لما قرره تعالى قالوا أقررنا أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين قال الله لهم: والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما

كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. 82 فأولئك هم الفاسقون فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء مستسلمون لقضائه وقدره لا خروج لهم عنه، ولا امتناع لهم منه، وإليه مرجع الخلق كلها، فيحكم بينهم ويجازيهم بحكمه الدائر بين الفضل والعدل. 83 أي: الخلق كلهم منقادون بتسخيره مستسلمون له طوعا واختيارا، وهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم، وكرها وهم سائر الخلق، حتى الكافرون أيطلب الطالبون ويرغب الراغبون في غير دين الله؟ لا يحسن هذا ولا يليق، لأنه لا أحسن دينا من دين الله وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها أي:

تقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة 84

للاستسلام لله، إخلاصا وانقيادا لرسله فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكل دين سواه فباطل، ثم قال تعالى: 85 أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول، لأن دين الإسلام هو المتضمن لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب الغواية. 86 لا يهدي القوم الظالمين هؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما وبغيا واتباعا لأهوائهم، هؤلاء لا يوفقون للهداية، من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات والبراهين القاطعات والله هذا من باب الاستبعاد، أي:

أي: يمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. 87 أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعثون أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ولا هم ينظرون ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أي: يمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. 88 أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ولا هم ينظرون ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس

تفسير السعدي

- أي: يمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. 89
- أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ولا هم ينظرون ويصونه من أسباب الغواية. ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، هؤلاء لا يوفقون للهداية، لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية البيئات والبراهين القاطعات والله لا يهدي القوم الظالمين هؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما وبغيا واتباعا هذا من باب الاستبعاد، أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه باسمه الوهاب، السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل 9
- الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا السادسة: أنهم مع هذا سألوهم رحمته المتضمنة حصول كل خير بجميع كتابه ورد لمتشابهه إلى محكمه، بقوله يقولون آمنا به كل من عند ربنا الرابعة: أنهم سألو الله العفو والعافية مما ابتلي به الزائغون المنحرفون، يقتضي أن يكون عالما محققا، وعارفا مدققا، قد علمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علما وحالا وعملا، الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان أحداها: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه، الثانية: الرسوخ في العلم وهذا قدر زائد على مجرد العلم، فإن الراسخ في العلم ليوم لا ريب فيه إنك لا تخلف الميعاد فمجازيهم بأعمالهم حسننها وسيئها، وقد أثنى الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: ربنا إنك جامع الناس
- سد على نفسه باب التوبة، ولهذا حصر الضلال في هذا الصنف، فقال وأولئك هم الضالون وأي: ضلال أعظم من ضلال من ترك الطريق عن بصيرة، 90
- الكفر العظيم وترك الصراط المستقيم، وقد قامت عليه الحجة ووضح الله له الآيات والبراهين، فهذا هو الذي سعى في قطع أسباب رحمة ربه عنه، وهو الذي قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فلما زغوا أزاغ الله قلوبهم فالسينات ينتج بعضها بعضا، وخصوصا لمن أقدم على كفرا إلى كفره بتماديه في الغي والضلال، واستمراره على ترك الرشد والهدى، أنه لا تقبل توبتهم، أي: لا يوفقون لتوبة تقبل بل يمدهم الله في طغيانهم يعمهون، يخبر تعالى أن من كفر بعد إيمانه، ثم ازداد
- لهم ولا ناصر ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله فأيسوا من كل خير، وجزموا على الخلود الدائم في العقاب والسخط، فعيذا بالله من حالهم. 91
- هلاكمهم وشقاؤهم الأبدى، ولم ينفعهم شيء، فلو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهباً ليفتدي به من عذاب الله ما نفعه ذلك، بل لا يزالون في العذاب الأليم، لا شافع وهؤلاء الكفرة إذا استمروا على كفرهم إلى الممات تعين
- غير نافع، احتراز تعالى عن هذا الوهم بقوله وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم فلا يضيق عليكم، بل يثيبكم عليه على حسب نياتكم ونفعه. 92
- كان مثابا عليه العبد، سواء كان قليلا أو كثيرا، محبوبا للنفس أم لا، وكان قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون مما يوهى أن إنفاق غير هذا المقيد والإنفاق في حال الصحة، ودلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك، ولما كان الإنفاق على أي: وجه في مرضاته، دل ذلك على إيمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم، فيدخل في ذلك إنفاق نفائس الأموال، والإنفاق في حال حاجة المنفق إلى ما أنفقه، لصاحبه إلى الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنكم إذا قدمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها
- حث من الله لعباده على الإنفاق في طرق الخيرات، فقال لن تنالوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل هذا
- من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وأمر الله رسوله إن أنكروا ذلك أن يأمرهم بإحضار التوراة، فاستمروا بعد هذا على الظلم والعناد 93
- بنوه على ذلك وكان ذلك قبل نزول التوراة، ثم نزل في التوراة أشياء من المحرمات غير ما حرم إسرائيل مما كان حلالا لهم طيبا، كما قال تعالى فبظلم من الله تعالى، بل حرمه على نفسه لما أصابه عرق النسا نذر لئن شفاه الله تعالى ليحرم من أحب الأطعمة عليه، فحرم فيما يذكرون لحوم الإبل وألبانها وتبعه بما في كتابهم التوراة من أن جميع أنواع الأطعمة محللة لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه أي: من غير تحریم جائز، فكفروا بعبادة الله عليه وسلم، لأنهما قد أتيا بما يخالف بعض أحكام التوراة بالتحليل والتحریم فمن تمام الإنصاف في المجادلة إلزامهم وهذا رد على اليهود بزعمهم الباطل أن النسخ غير
- صلى الله عليه وسلم وقيام الآيات البيئات المتنوعات على صدقه وصدق من نبأه وأخبره بما أخبره به من الأمور التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها 94
- هم الظالمون وأي: ظلم أعظم من ظلم من يدعى إلى تحكيم كتابه فيمتنع من ذلك عنادا وتكبيرا وتجبرا، وهذا من أعظم الأدلة على صحة نبوة نبينا محمد فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك
- على ملة إبراهيم مشركون غير موحدین، ولما أمرهم باتباع ملة إبراهيم في التوحيد وترك الشرك أمرهم باتباعه بتعظيم بيته الحرام بالحج وغيره 95
- باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد وترك الشرك الذي هو مدار السعادة، وبتركه حصول الشقاوة، وفي هذا دليل على أن اليهود وغيرهم ممن ليس أدلة يقينية، هذه الشهادة على من أنكرها، ومن هنا تعلم أن أعظم الناس تصديقا لله أعظمهم علما ويقينا بالأدلة التفصيلية السمعية والعقلية، ثم أمرهم

تفسير السعدي

قل صدق الله أي: فيما أخبر به وحكم، وهذا أمر من الله لرسوله ولمن يتبعه أن يقولوا بألسنتهم: صدق الله، معتقدين بذلك في قلوبهم عن التعبدات المختصة به، وأما هدى العلم فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله فيه آيات بينات 96 ما رزقهم من بهيمة الأنعام وهدى للعالمين والهدى نوعان: هدى في المعرفة، وهدى في العمل، فالهدى في العمل ظاهر، وهو ما جعل الله فيه من أنواع والنجاة من عقابه، ولهذا قال: مباركا أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية كما قال تعالى ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على أول بيت وضعه الله للناس، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضى ربهم والفوز بثوابه يخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنه

وهذا محب قاده الشوق والهوى بغير زمام قائد وعنان أتك على بعد المزار ولو ونت مطيته جاءت به القدمان انتهى كلامه رحمه الله تعالى. 97 المحب إذا نأى سبيلى هواه بعد طول زمان ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا دواء الهوى في الناس كل زمان بلى إنه يبلى والهوى على حاله لم يبله الملوان لي بالبعد يدان وما كان صدى عنك صد ملالة ولي شاهد من مقلتي ولسان دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا فلبى البكا والصبر عنك عصاني وقد زعموا أن فوالله ما ازداد إلا صباة ولا القلب إلا كثرة الخفقان فيا جنة المأوى ويا غاية المنى ويا منيتي من دون كل أمان أبت غلبات الشوق إلا تقربا إليك فما يشفيهم ولا البعاد يسليهم، كما قيل: أطوف به والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد الطواف تداني وألثم منه الركن أطلب برد ما بقلبي من شوق ومن هيمان نفوسهم حباله وشوقا إلى رؤيته، فهذه المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطرا أبدا، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حبا وإليه اشتياقا، فلا الوصال لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله وطهر بيتي لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا، وهذه الإضافة هي التي أقيمت بقلوب العالمين إليه، وسلبت ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات، وهذا يدل على الاعتناء منه سبحانه لهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو الأمن الحاصل لدخله، وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجه وإن شطت بالزائرين الديار وتناوت بهم الأقطار، ثم أتبع أنفع للخلائق، الثالث: أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه نفس الهدى، الرابع ما تضمن من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية، الخامس: أحدها كونه أسبق بيوت العالم وضع في الأرض، الثاني: أنه مبارك، والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيرا ولا أوم ولا هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت وعظم شأنه بما تدعوا النفوس إلى قصده وحجه وإن لم يطلب ذلك منها، فقال: إن أول بيت إلخ، فوصفه بخمس صفات: ما في الآية من الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، وكيف تضمن ذلك إيراد الكلام في صورتين وخلتين، اعتناء به وتأكيد لشأنه، ثم تأمل كيف افتتح الناس، ومرة بإسناده إلى خصوص المستطيعين، وهذا من فوائد البذل تقوية المعنى وتأكيد به بتكرار الإسناد ولهذا كان في نية تكرار العامل وإعادته، ثم تأمل الدالة على التأكيد، فهذه عشرة أوجه تقتضي تأكيد هذا الفرض العظيم. وتأمل سر البذل في الآية المقترني لذكر الإسناد مرتين، مرة بإسناده إلى عموم غنيا عن العالمين كلهم فله الغنى الكامل التام من كل وجه بكل اعتبار، فكان أدل لعظم مقتته لتارك حقه الذي أوجبه عليه، ثم أكد هذا المعنى بأداة إن بمقتته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هو أعظم التهديد وأبلغه، ثم أكد ذلك بذكر اسم العالمين عموما، ولم يقل: فإن الله غني عنه، لأنه إذا كان ثم عظم الشأن وأكد الوعيد بإخباره ما يستغنى به عنه، والله تعالى هو الغني الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد، وإنما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام تيسرت، من قوت أو مال، فعلق الوجوب بحصول ما يسمى سبيلا، ثم أتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر فقال ومن كفر أي: لعدم التزامه هذا الواجب وتركه ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف على أبدل منه أهل الاستطاعة، ثم نكر السبيل في سياق الشرط إيذانا بأنه يجب الحج على أي: سبيل ربكم عليكم وفي الحج أتى بهذا اللفظ الدال على تأكيد الوجوب من عشرة أوجه، أحدها أنه قدم اسمه تعالى وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص ثم يذكره بلفظ الأمر والنهي، وهو الأكثر، ولفظ الإيجاب والكتابة والتحريم نحو كتب عليكم الصيام حرمت عليكم الميتة قل تعالوا أتل ما حرم فتأمل، ولا يكاد يخطر بالبال من الآية، وهذا كما تقول: لله عليك الصلاة والزكاة والصيام. ومن فوائد الآية وأسرارها أنه سبحانه إذا ذكر ما يوجبه ويحرمه وهو الوجوب المفهوم من قوله على الناس أي: يجب لله على الناس الحج، فهو حق واجب لله، وأما تعليقه بالسبيل وجعله حالا منها، ففي غاية البعد كلامهم ما هم به أهم وببيانه أعني هذا تقرير السهيلي، وهذا بعيد جدا بل الصواب في متعلق الجار والمجرور وجه آخر أحسن من هذين، ولا يليق بالآية سواه، واقتضى حسن النظم وإعجاز اللفظ تقديم المجرور وإن كان موضعه التأخير، لأنه ضمير يعود على البيت، والبيت هو المقصود به الاعتناء، وهم يقدمون في لما كان عبارة هاهنا عن الموصل إلى البيت من قوت وزاد ونحوهما، كان فيه رائحة الفعل، ولم يقصد به السبيل الذي هو الطريق، فصلح تعلق المجرور به، نكرة قدم عليها، لأنه لو تأخر لكان في موضع النعت لسبيل، والثاني: أن يكون متعلقا بسبيل، فإن قلت: كيف يتعلق به وليس فيه معنى الفعل؟ قيل: السبيل في هذه أيضا مع ما تقدم طول الكلام بالصلة والموصول. وأما المجرور من قوله لله فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون في موضع من سبيل، كأنه نعت أن يكون أخص من المبدل منه، فإذا كان أعم وأضفته إلى ضمير أو قيدته بضمير يعود إلى الأول ارتفع العموم وبقي الخصوص، ومما حسن حذف المضاف الإخوة، وكذلك لو قلت: البس الثياب ما حسن وجمل، يريد منها، ولم يذكر الضمير كان أبعد في الجواز، لأن لفظ ما حسن أعم من الثياب. وباب البعض من الكل الأول، ولو كانت الصلة أعم لقبح حذف الضمير العائد، ومثال ذلك إذا قلت: رأيت إخوتك من ذهب إلى السوق منهم، كان قبيحا، لأن الذهاب إلى السوق أعم من الكلام لا يحسن، وحسنه هاهنا أمور منها: أن من واقعة على لا يعقل، كالاسم المبدل منه فارتبطت به، ومنها: أنها موصولة بما هو أخص من الاسم ثبت أن من بدل بعض من كل وجب أن يكون في الكلام ضمير يعود إلى الناس كأنه قيل: من استطاع منهم، وحذف هذا الضمير في أكثر فيه بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول والظرف حمل على المكتوب المرجوح، وهي قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم، فلا يصار إليه. وإذا

تفسير السعدي

فلو كان من هو الفاعل لأضيف المصدر إليه فكان يقال: ولله على الناس حج من استطاع وحمله على باب يعجبني ضرب زيد عمرا وفيما يفصل هذه النكتة البديعة فتأملها. الوجه الثاني: أن إضافة المصدر إلى الفاعل إذا وجد أولى من إضافته إلى المفعول ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بدليل منقول، أن يجاهد منهم المستطيع، كان الوجوب متعلقا بالجميع وعذر العاجز بعجزه، ففي نظم الآية على هذا الوجه دون أن يقال: ولله حج البيت على المستطيعين، أهل هذه الناحية أن يجاهد منهم الطائفة المستطيعون للجهد، فإذا جاهدت تلك الطائفة انقطع تعلق الوجوب في غيرهم، وإذا قلت واجب على الناس كلهم به ولا يطالبه بأدائه، فإذا حج سقط الفرض عن نفسه، وليس حج المستطيعين بمسقط الفرض عن العاجزين، وإذا أردت زيادة إيضاح، فإذا قلت: واجب على وليس الأمر كذلك، بل الحج فرض عين على كل أحد، حج المستطيعون أو قعدوا، ولكن الله سبحانه عذر غير المستطيع بعجزه عن أداء الواجب، فلا يؤاخذ به برئت ذمم غيرهم، لأن المعنى يؤل إلى: ولله على الناس حج البيت مستطيعهم، فإذا أدى المستطيعون الواجب لم يبق واجبا على غير المستطيعين، من استطاع إليه سبيلا، وهذا القول يضعف من وجوه، منها: أن الحج فرض عين، ولو كان معنى الآية ما ذكره لأفهم فرض الكفاية، لأنه إذا حج المستطيعون أوجب الله سبحانه بمثابة ما يوجب غيرهم. وأما قوله: من فهي بدل، وقد استهوى طائفة من الناس القول بأنها فاعل بالمصدر، كأنه قال: أن يحج البيت الثانية: أن الاسم المجرور من حيث كان اسما لله سبحانه، وجب الاهتمام بتقديمه تعظيما لحرمة هذا الواجب الذي أوجبه، وتخويفا من تضييعه، إذ ليس ما الفرض فبدأ بذكره، والثاني: مؤدي الواجب وهو المفترض عليه وهم الناس، والثالث: النسبة، والحق المتعلق به إيجابا وبهم وجوبا وأداء، وهو الحج. والفائدة بخبر فائدتان: إحداهما: أنه اسم للموجب للحج، فكان أحق بالتقديم من ذكر الوجوب، فتضمنت الآية ثلاثة أمور مرتبة بحسب الوقائع: أحدها: الموجب لهذا على الناس أكثر استعمالا في باب الوجوب من أن يقال: حج البيت لله أي: حج واجب لله، فتأمل. وعلى هذا ففي تقديم المجرور الأول وليس الفائدة وموضعها، وتقديمه في هذا الباب في نية التأخير، فكان الأحسن أن يكون لله على الناس. ويرجح الوجه الأول بأن يقال قوله: حج البيت لأنه وجوب، والوجوب يقتضي على ويجوز أن يكون في قوله: ولله لأنه متضمن الوجوب والاستحقاق، ويرجح هذا التقدير أن الخبر محط حج البيت من استطاع إليه سبيلا حج البيت مبتدأ وخبره في أحد المجرورين قبله، والذي يقتضيه المعنى أن يكون في قوله: على الناس يعاقبه عقوبة عاجلة، كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم، وقد رأيت لابن القيم هاهنا كلاما حسنا أحببت إيراده لشدة الحاجة إليه قال فائدة: ولله على الناس إن الواحد منهم مع شدة حميتهم ونعرتهم وعدم احتمالهم للضميم يجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيج، ومن جعله حرما أن كل من أراده بسوء فلا بد أن يقام عليه الحد حتى يخرج منه، وأما تأمينها قدرا فلأن الله تعالى بقضائه وقدره وضع في النفوس حتى نفوس المشركين به الكافرين برهبهم احترامه، حتى حتى إن التحريم في ذلك شمل صيودها وأشجارها ونباتها، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء أن من جنى جناية خارج الحرم ثم لجأ إليه أنه يأمن ولا ومن الآيات البيّنات فيها أن من دخله كان آمنا شرعا وقدرًا، فالشرع قد أمر الله رسوله إبراهيم ثم رسوله محمد باحترامه وتأمين من دخله، وأن لا يهاج، إليها وتحمل كل مشقة لأجلها، وما في ضمنها من الأسرار البديعة والمعاني الرفيعة، وما في أفعالها من الحكم والمصالح التي يعجز الخلق عن إحصاء بعضها، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمي، وسائر الشعائر، والآية في ذلك ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها وبذل نفائس النفوس والأموال في الوصول إبراهيم أنه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها، فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بيّنات، كالطواف والسعي ومواضعها، إلى أوائل هذه الأمة، وهذا من خوارق العادات، وقيل إن الآية فيه ما أودعه الله في القلوب من تعظيمه وتكريمه وتشريفه واحترامه، ويحتمل أن المراد بمقام في جدار الكعبة، فلما كان عمر رضي الله عنه وضعه في مكانه الموجود فيه الآن، والآية فيه قيل أثر قدمي إبراهيم، قد أثرت في الصخرة وبقي ذلك الأثر فمن الآيات مقام إبراهيم يحتمل أن المراد به المقام المعروف وهو الحجر الذي كان يقوم عليه الخليل لبنان الكعبة لما ارتفع البنيان، وكان ملصقا أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية، كالأدلة على توحيدته ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما من به على أوليائه وأتباعه، أي: أدلة واضحات، وبراهين قاطعات على

كل خير فقد هدي إلى صراط مستقيم موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. 98 يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصولات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم البيّنات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم من أبعد الأشياء، فقال: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربه كل وقت، وهي الآيات من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيمانهم، وأن ذلك وذلك لحسدهم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: يا أيها الذين آمنوا إن طيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين الله بغافل عما تعملون بل محيط بأعمالكم ونياتكم ومكركم السيئ، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدهم وبوبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر فعوله أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدهم هنا بقوله: وما المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصدوا عن سبيل الله زناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدهم هنا بقوله: وما أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب

كل خير فقد هدي إلى صراط مستقيم موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. 99 يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصولات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم البيئات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم من أبعد الأشياء، فقال: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربكم كل وقت، وهي الآيات من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيمانهم، وأن ذلك وذلك لحسدكم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين الله بغافل عما تعملون بل محيط بأعمالكم ونياتكم ومكركم السيئ، فمجازيكم عليه أشد الجزاء لما توعدكم ووبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدكم هنا بقوله: وما المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب تفسير الآيات من 98 الى 101 :- يوبخ تعالى

سورة 4

تنبيه على مراعاة حق الأزواج والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فيبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب علاقة. 1 الأمور أتم تفصيل، من أول السورة إلى آخرها. فكانها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم. وفي قوله: وخلق منها زوجها منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به. وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عموما، ثم بعد ذلك فصل هذه وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. أي: مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقبا لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه. الأمر الفلاني؛ لعلمه بما قام في قلبه من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأله بالله، فكما عظمتهم بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه. وكذلك الإخبار بأنه رقيب، الداعي لتقواه تساؤلهم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم بها بالسؤال بالله. فيقول من يريد ذلك لغيره: أسألك بالله أن تفعل العظيمة، التي من جملتها خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك. وبين السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه لأنه ربكم الذي خلقكم ورزقكم، ورباكم بنعمه افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته،

أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية. 10 يأكلون في بطونهم نارا أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم. وسيصلون سعيرا أي: نارا محرقة متوقدة. وهذا اليتامى ظلما أي: بغير حق. وهذا القيد يخرج به ما تقدم، من جواز الأكل للفقير بالمعروف، ومن جواز خلط طعامهم بطعام اليتامى. فمن أكلها ظلما ف إنما ولما أمرهم بذلك، زجرهم عن أكل أموال اليتامى، وتوعد على ذلك أشد العذاب فقال: إن الذين يأكلون أموال

غاية الأرباح، وسيرون من رحمته وكرمه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فنسأل الله أن لا يحرمنا خيره بشر ما عندنا. 100 والبنين والقوة، وغير ذلك. رحيمًا بالمؤمنين حيث وفقهم للإيمان، وعلمهم من العلم ما يحصل به الإيقان، ويسر لهم أسباب السعادة والفلاح وما به يدركون رحيمًا يغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصا التائبين المنيبين إلى ربهم. رحيمًا بجميع الخلق رحمة أوجدتهم وعافتهم ورزقهم من المال كاملا ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها. ولهذا ختم هذه الآية بتهذين الاسمين الكريمين فقال: وكان الله غفورا أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمن الله تعالى، وذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم ربه ورضاه، ومحبة لرسوله ونصرا لدين الله، لا لغير ذلك من المقاصد ثم يدركه الموت بقتل أو غيره، فقد وقع أجره على الله أي: فقد حصل له كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل من فعل فعلهم، حصل له ما حصل لهم إلى يوم القيامة. ثم قال: ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله أي: قاصدا وحصل لهم من الإيمان التام والجهاد العظيم والنصر لدين الله، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم مما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما وقد وقع كما أخبر الله تعالى. واعتبر ذلك بالصحابه رضي الله عنهم فإنهم لما هاجروا في سبيل الله وتركوا ديارهم وأولادهم وأموالهم لله، كمل بذلك إيمانهم

تفسير السعدي

إقامة دين الله وجهاد أعداء الله ومراغمتهم، فإن المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاطة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك ما يحصل له سعة في رزقه، المتعدية كالجهد بالقول والفعل، وتوابع ذلك، لعدم تمكنه من ذلك، وهو بصد أن يفتن عن دينه، خصوصا إن كان مستضعفا. فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من بعد الرخاء. والأمر ليس كذلك، فإن المؤمن ما دام بين أظهر المشركين فدينه في غاية النقص، لا في العبادات القاصرة عليه كالصلاة ونحوها، ولا في العبادات مشتمل على مصالح الدين، والسعة على مصالح الدنيا. وذلك أن كثيرا من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتا بعد الألفة، وفقرا بعد الغنى، وذلا بعد العز، وشدة على الهجرة والترغيب، وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغما في الأرض وسعة، فالمرام هذا في بيان الحث

حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكما في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل. 101 ما ذكرناه. وفي قوله: ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك دليل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام يثبت منتظرا للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولا ذكر أن الطائفة تقوم معه، فأخبر عن مصاحبتهم له. ثم أضاف الفعل بعد إليهم دون الرسول، فدل ذلك على قوله: فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على أن هذه الطائفة تكمل جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم على ما من به على المؤمنين، وأيدهم بمعونته وتعاليمه التي لو سلخواها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية، ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات. وفي ويحصرهم، ويقعدوا لهم كل مرصد، ويحذروهم في جميع الأحوال، ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم. فله أعظم حمد وثناء إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ومن العذاب المهين ما أمر الله به حظه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين من قتلهم وقتالهم حيثما تقفوه، ويأخذوهم من مرض أو مطر أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم والميل عليهم وعلى أمتعتهم، ولهذا قال تعالى: ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ثم إن الله عذر من له عذر واشتغال عن بعض أحوال الصلاة فإن فيه مصلحة راجحة وهو الجمع بين الصلاة والجهاد، والحذر من الأعداء الحريصين غاية الحرص على الإيقاع بالمسلمين واتفاقهم وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم، وأمر تعالى بأخذ السلاح والحذر في صلاة الخوف، وهذا وإن كان فيه حركة الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به لو صلوا بعدة أئمة، وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين المبجلة في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلولا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها. وتدل في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى. والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيرا من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في صلاة الخوف. فإنها صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة كلها جائزة، وهذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين: الطائفة الأولى منتظرا للطائفة الثانية، فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من صلاته ثم جلس ينتظرهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم وهذا أحد الوجوه فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا وهم الطائفة الذين قاموا إزاء العدو فليصلوا معك ودل ذلك على أن الإمام يبقى بعد انصراف ما يأتي: فإذا سجدوا أي: الذين معك أي: أكملوا صلاتهم وعبر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها. وتتم ما يجب فيها ويلزم، فعلمهم ما ينبغي لك ولهم فعله. ثم فسر ذلك بقوله: فلتقم طائفة منهم معك أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو كما يدل على ذلك العدد فقط، أو الخوف وحده جاز قصر الصفة. ولذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة أي: صليت بهم صلاة تقيمها الثاني، وهو أن المراد بالقصر: قصر العدد والصفة فإن القيد على بابه، فإذا وجد السفر والخوف، جاز قصر العدد، وقصر الصفة، وإذا وجد السفر وحده جاز قصر ما يتصور من المشقة المناسبة للرخصة، وهي اجتماع السفر والخوف، ولا يستلزم ذلك أن لا يقصر مع السفر وحده، الذي هو مظنة المشقة. وأما على الوجه وسلم وأصحابه عليها، فإن غالب أسفاره أسفار جهاد. وفيه فائدة أخرى وهي بيان الحكمة والمصلحة في مشروعية رخصة القصر، فبين في هذه الآية أنه عليه وسلم: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أو كما قال. فعلى هذا يكون هذا القيد أتى به نظرا لغالب الحال التي كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لنا نقصر الصلاة وقد أمنا؟ أي: والله يقول: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العدد فقط؟ أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول. وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى سأل عنه الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما، السفر مع الخوف. ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: أن تقصروا قصر من أربع إلى ركعتين. فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا الثانية: أن من تفيد التبعية ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضة لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية واحدة لأجزأ، فإتيانه بقوله: من الصلاة ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. تقصروا الصلاة فيه فائدتان: إحداها: أنه لو قال أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد، والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته. وقوله: أن تقصروا من الصلاة ولم يقل أن أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه. ويدل على أفضلية القصر على الإتمام أمران: أحدهما: ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم على القصر في جميع أسفاره. والثاني: أن شعائر الله إلى آخر الآية. وإزالة الوهم في هذا الموضوع ظاهرة، لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة، ولا يزيل هذا عن نفوس

تفسير السعدي

الأفضل، لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس، بل ولا ينافي الوجوب كما تقدم ذلك في سورة البقرة في قوله: إن الصفا والمروة من بسفره لا يناسب حاله التخفيف. وقوله: فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أي: لا حرج ولا إثم عليكم في ذلك، ولا ينافي ذلك كون القصر هو فلم يجوزوا الترخص في سفر المعصية، تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي أنه يقتضي الترخص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم، تفسير الآيتين 101 و102 :- هاتان الآيتان أصل في رخصة القصر، وصلاة الخوف، يقول تعالى: وإذا ضربتم في الأرض أي: في السفر، وظاهر الآية حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكما في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل. 102 ما ذكرناه. وفي قوله: ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك دليل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام يثبت منتظرا للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولا ذكر أن الطائفة تقوم معه، فأخبر عن مصابحتهم له. ثم أضاف الفعل بعد إليهم دون الرسول، فدل ذلك على قوله: فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على أن هذه الطائفة تكمل جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم على ما من به على المؤمنين، وأيدهم بمعونته وتعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية، ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات. وفي ويحصرهم، ويقعدوا لهم كل مرصد، ويحذروهم في جميع الأحوال، ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم. فله أعظم حمد وثناء إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ومن العذاب المهين ما أمر الله به حزبه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين من قتلهم وقتالهم حيثما ثقفوهم، ويأخذوهم من مرض أو مطر أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم والميل عليهم وعلى أمتعتهم، ولهذا قال تعالى: ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ثم إن الله عذر من له عذر واشتغال عن بعض أحوال الصلاة فإن فيه مصلحة راجحة وهو الجمع بين الصلاة والجهاد، والحذر من الأعداء الحريصين غاية الحرص على الإيقاع بالمسلمين واتفاقهم وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم، وأمر تعالى بأخذ السلاح والحذر في صلاة الخوف، وهذا وإن كان فيه حركة الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به لو صلوا بعدة أئمة، وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين المبطل في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلو لا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها. وتدل في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى. والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيرا من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في صلاة الخوف. فإنها صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة كلها جائزة، وهذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين: الطائفة الأولى منتظرا للطائفة الثانية، فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من صلاته ثم جلس ينتظرهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم وهذا أحد الوجوه فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا وهم الطائفة الذين قاموا إزاء العدو فليصلوا معك ودل ذلك على أن الإمام يبقى بعد انصراف ما يأتي: فإذا سجدوا أي: الذين معك أي: أكملوا صلاتهم وعبر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها. وتتم ما يجب فيها ويلزم، فعلمهم ما ينبغي لك ولهم فعله. ثم فسر ذلك بقوله: فلتقم طائفة منهم معك أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو كما يدل على ذلك العدد فقط، أو الخوف وحده جاز قصر الصفة. ولذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة أي: صليت بهم صلاة تقيمها الثاني، وهو أن المراد بالقصر: قصر العدد والصفة فإن القيد على بابه، فإذا وجد السفر والخوف، جاز قصر العدد، وقصر الصفة، وإذا وجد السفر وحده جاز قصر ما يتصور من المشقة المناسبة للرخصة، وهي اجتماع السفر والخوف، ولا يستلزم ذلك أن لا يقصر مع السفر وحده، الذي هو مظنة المشقة. وأما على الوجه وسلم وأصحابه عليها، فإن غالب أسفاره أسفار جهاد. وفيه فائدة أخرى وهي بيان الحكمة والمصلحة في مشروعية رخصة القصر، فبين في هذه الآية أنه عليه وسلم: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أو كما قال. فعلى هذا يكون هذا القيد أتى به نظرا لغالب الحال التي كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لنا نقصر الصلاة وقد أمانا؟ أي: والله يقول: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول. وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى سأل عنه الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما، السفر مع الخوف. ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: أن تقصروا قصر من أربع إلى ركعتين. فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا الثانية: أن من تفيد التبعض ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية واحدة لأجزاء، فإتيانه بقوله: من الصلاة ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. تقصروا الصلاة فيه فائدتان: إحداها: أنه لو قال أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد، والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته. وقوله: أن تقصروا من الصلاة ولم يقل أن أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه. ويدل على أفضلية القصر على الإتمام أمران: أحدهما: ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم على القصر في جميع أسفاره. والثاني: أن شعائر الله إلى آخر الآية. وإزالة الوهم في هذا الموضع ظاهرة، لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة، ولا يزيل هذا عن نفوس الأفضل، لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس، بل ولا ينافي الوجوب كما تقدم ذلك في سورة البقرة في قوله: إن الصفا والمروة من

تفسير السعدي

بسفره لا يناسب حاله التخفيف. وقوله: فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أي: لا حرج ولا إثم عليكم في ذلك، ولا ينافي ذلك كون القصر هو فلم يجوزوا الترخص في سفر المعصية، تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي أنه يقتضي الترخص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم، تفسير الآيتين 101 و102: هاتان الآيتان أصل في رخصة القصر، وصلاة الخوف، يقول تعالى: وإذا ضربتم في الأرض أي: في السفر، وظاهر الآية لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة، ولا يؤمرون بها، بل ولا تصح منهم ما داموا على كفرهم، وإن كانوا يعاقبون عليها وعلى سائر الأحكام في الآخرة. 103 أن الصلاة ميزان الإيمان وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاته وتتم وتكمل، ويدل ذلك على أن الكفار وإن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة أنهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: صلوا كما رأيتموني أصلي ودل قوله: على المؤمنين على المؤمنين كتاباً موقوتاً أي: مفروضاً في وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتاً لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقررت عند المسلمين صغيرهم من الخوف واطمأن قلبهم وأبدانهم فأتوا صلاتكم على الوجه الأكمل ظاهراً وباطناً، بأركانها وشروطها وخشوعها وسائر مكملاتها. إن الصلاة كانت على فائتوتوا واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفلحون فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير ذلك من الحكم. وقوله: فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة أي: إذا أمنت من أعظم مقويات القلب. ومنها: أن الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء، كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة جبرها بالذكر بعدها. ومنها: أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار أوجب أن يفرضها الله على عباده كل يوم وليلة. ومن المعلوم أن صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر ذكره والثناء عليه. وأعظم ما يحصل به هذا المقصود الصلاة، التي حقيقتها أنها صلة بين العبد وبين ربه. ومنها: أن فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان ما جميع أحوالكم وهيئاتكم، ولكن خصت صلاة الخوف بذلك لفوائده. منها: أن القلب صلاحه وفلاحه وسعادته بالإجابة إلى الله تعالى في المحبة وامتلاء القلب من أي: فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في

برضوان الله وجنته، فسبحان من فاوت بين العباد وفرق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: وكان الله عليماً حكيماً كامل العلم كامل الحكمة 104 زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الديني إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز لهم مقاصد عالية وآمال رفيعة من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق على الدوام، لا من يدال مرة، ويدال عليه أخرى. الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من تواتت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيتين: الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وهن القلب مستدع لو هن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم. ثم ذكر أي: لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار،

والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية. ويدل مفهوم الآية على جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم. 105 خصيماً أي: لا تخاصم عن من عرفت خيانتها، من مدع ما ليس له، أو منكر حقاً عليه، سواء علم ذلك أو ظنه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، بين الناس على معرفة الكتاب، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط نهاه عن الجور والظلم الذي هو ضد العدل فقال: ولا تكن للخائنين عليه وسلم فيما يبلغ عن الله من جميع الأحكام وغيرها، وأنه يشترط في الحاكم العلم والعدل لقوله: بما أراك الله ولم يقل: بما رأيته. ورتب أيضاً الحكم بما أراك الله أي: لا يهواك بل بما علمك الله وألهمك، كقوله تعالى: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وفي هذا دليل على عصمته صلى الله عليه وآله معناه واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام. وقوله: إليهم. فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبين جميع الدين وأصوله وفروعه، ويحتمل أن الآيتين كلتيهما صدق، وأوامره ونواهيها عدل وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس. وفي الآية الأخرى: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، أي: محفوظاً في إنزاله من الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل، بل نزل بالحق، ومشتتماً أيضاً على الحق، فأخبره يخبر تعالى

إن الله كان غفوراً رحيماً أي: يغفر الذنب العظيم لمن استغفره، وتاب إليه وأناب ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجب لثوابه وزوال عقابه. 106 واستغفر الله مما صدر منك إن صدر.

الشرعية. إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً أي: كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب ثبت ضده وهو البغض، وهذا كالتعليل، للنهي المتقدم. 107 النهي عن المجادلة، عن من أذنب وتوجه عليه عقوبة من حد أو تعزير، فإنه لا يجادل عنه بدفع ما صدر منه من الخيانة، أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم الاختيان والخيانة بمعنى الجناية والظلم والإثم، وهذا يشمل

أي: قد أحاط بذلك علماء، ومع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة بل استأنى بهم، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من الإصرار على ذنبهم الموجب للعقوبة البليغة. 108

تفسير السعدي

جمعوا بين عدة جنایات، ولم يراقبوا رب الأرض والسموات، المطلع على سرائرهم وضمايرهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: وكان الله بما يعملون محيطا خصوصا في حال تبييتهم ما لا يرضيه من القول، من تبرئة الجاني، ورمي البريء بالجنابة، والسعي في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ليفعل ما بيتوه. فقد المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم. وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو

الحقيقي. بخلاف الذي يدعي العقل، وليس كذلك، فإنه بجعله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان. 109
الهموم والغموم والحسرات، وفوات الثواب وحصول العقاب ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها. وهذا من أعظم ما ينفع العبد تدبره، وهو خاصة العقل الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟ وكذلك إذا دعت نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة قال لها: هبك فعلت ما اشتيت فإن لذته تنقضي ويعقبها من فيقول من أمرته نفسه بترك أمر الله ها أنت تركت أمره كسلا وتفريطا فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الآلية إرشاد إلى المقابلة بين ما يتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة أو يحصل من عقوباتها. الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين فمن يجادل عنهم من يعلم السر وأخفى ومن أقام عليهم من الشهود ما لا يمكن معه الإنكار؟ وفي هذه عنهم وينفعهم؟ ومن يجادل الله عنهم يوم القيامة حين تتوجه عليهم الحجة، وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون؟ يومئذ يوفيهام أم من يكون عليهم وكيفا أي: هبكم جادلتهم عنهم في هذه الحياة الدنيا، ودفع عنهم جدالك بعض ما تحذرون من العار والفضيحة عند الخلق، فماذا يغنيها أنتم هؤلاء جادلتهم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة

بكل شيء علما، وأحكم ما شرعه وقدر ما قدره على أحسن تقدير لا تستطيع العقول أن تقترح مثل أحكامه الصالحة الموافقة لكل زمان ومكان وحال. 11
أي الأولاد أو الوالدين أنفع لهم، وأقرب لحصول مقاصدهم الدينية والدنيوية. فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما أي: فرضها الله الذي قد أحاط رد تقدير الإرث إلى عقولكم واختياركم لحصل من الضرر ما الله به عليم، لنقص العقول وعدم معرفتها بما هو اللائق الأحسن، في كل زمان ومكان. فلا يدرون تصح من الثلث فأقل للأجنبي الذي هو غير وارث. وأما غير ذلك فلا ينفذ إلا بإجازة الورثة. قال تعالى: أبأؤكم وأبنأؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فلو وقدم الوصية مع أنها مؤخرة عن الدين للاهتمام بشأنها، لكون إخراجها شاقا على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال. وأما الوصية فإنها وتستحق بعد نزع الديون التي على الميت لله أو للآدميين، وبعد الوصايا التي قد أوصى الميت بها بعد موته، فالباقى عن ذلك هو التركة الذي يستحقه الورثة. إلا على الاحتمال الآخر فإن للأُم الثلث والباقي للأب ثم قال تعالى: من بعد وصية يوصي بها أو دين أي: هذه الفروض والأنصبة والموارث إنما ترد لفظ الجمع والمراد به اثنان فأكثر بالإجماع. فعلى هذا لو خلف أما وأبا وإخوة، كان للأُم السدس، والباقي للأب فحجبوها عن الثلث، مع حجب الأب بإيهاهم وقال في الإخوة للأُم: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فأطلق بأن المقصود مجرد التعدد، لا الجمع، ويصدق ذلك باثنين. وقد يطلق الجمع ويراد به الاثنان، كما في قوله تعالى عن داود وسليمان وكنا لحكمهم شاهدين يتوفر لهم شيء من المال، وهو معدوم، والله أعلم ولكن بشرط كونهم اثنين فأكثر، ويشكل على ذلك إتيان لفظ الإخوة بلفظ الجمع. وأجيب عن ذلك بدليل عدم تناولها للمحجوب بالنصف، فعلى هذا لا يحجبها عن الثلث من الإخوة إلا الإخوة الوارثون. ويؤيده أن الحكمة في حجبهم لها عن الثلث لأجل أن أشقاء، أو لأب، أو لأم، ذكورا كانوا أو إناثا، وارثين أو محجوبين بالأب أو الجد لكن قد يقال: ليس ظاهر قوله: فإن كان له إخوة شاملا لغير الوارثين في مسألة الزوجة زيادة عنها نصف السدس، وهذا لا نظير له، فإن المعهود مساواتها للأب، أو أخذه ضعف ما تأخذه الأم. فإن كان له إخوة فلأُمه السدس بمنزلة ما يأخذه الغرماء، فيكون من رأس المال، والباقي بين الأبوين. ولأنا لو أعطينا الأم ثلث المال، لزم زيادتها على الأب في مسألة الزوج، أو أخذ الأب فلم تدل الآية على إرث الأم ثلث المال كاملا مع عدم الأولاد حتى يقال: إن هاتين الصورتين قد استثنيتا من هذا. ويوضح ذلك أن الذي يأخذه الزوج أو الزوجة دل على ذلك قوله: وورثه أبواه فلأُمه الثلث أي: ثلث ما ورثه الأبوان. وهو في هاتين الصورتين إما سدس في زوج وأم وأب، وإما ربع في زوجة وأم وأب. أبقت الفروض، لكن لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين ويعبر عنهما بالعمريتين فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه، ثم تأخذ الأم ثلث الباقي والأب الباقي. وقد الأب والأم إضافة واحدة، ثم قدر نصيب الأم، فدل ذلك على أن الباقي للأب. وعلم من ذلك أن الأب مع عدم الأولاد لا فرض له، بل يرث تعصيا المال كله، أو ما بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر، وهو أولى من الأخ والعمة وغيرهما. فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأُمه الثلث أي: والباقي للأب لأنه أضاف المال إلى الفرض شيء كأبوين وابنتين لم يبق له تعصيب. وإن بقي بعد فرض البنت أو البنات شيء أخذ الأب السدس فرضا، والباقي تعصيا، لأننا ألحقنا الفروض أو متعددا. فأما الأم فلا تزيد على السدس مع أحد من الأولاد. وأما الأب فمع الذكور منهم، لا يستحق أزيد من السدس، فإن كان الولد أنثى أو إناثا ولم يبق بعد ثم ذكر ميراث الأبوين فقال: ولأبويه أي: أبوه وأمه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد أي: ولد صلب أو ولد ابن ذكرا كان أو أنثى، واحدا مما ترك أن الوارثين يرثون كل ما خلف الميت من عقار وأثاث وذهب وفضة وغير ذلك، حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمم وقد تم. فلو لم يسقطن لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص. وكل هذه الأحكام مجمع عليها بين العلماء ولله الحمد. ودل قوله: مع بنات الابن اللاتي أنزل منها. وتدلل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين، أنه يسقط من دونهن من بنات الابن لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، من الثلثين اللذين فرضهما الله للبنات أو بنات الابن السدس، فيعطى بنت الابن، أو بنات الابن، ولهذا يسمى هذا السدس تكملة الثلثين. ومثل ذلك بنت الابن،

تفسير السعدي

يزيد زيادتهن على الثنتين بل من الثنتين فصاعدا. ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة، وبنت ابن أو بنات ابن، فإن لبنت الصلب النصف، ويبقى الثلثين كما في الصحيح. بقي أن يقال: فما الفائدة في قوله: فوق اثنتين ؟. قيل: الفائدة في ذلك والله أعلم أنه ليعلم أن الفرض الذي هو الثلثان لا فإذا كان الأختان الثنتان مع بعدهما يأخذان الثلثين فالابنتان مع قريهما من باب أولى وأحرى. وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابنتي سعد من أختها، فأخذها له مع أختها من باب أولى وأحرى. وأيضا فإن قوله تعالى في الأخنتين: فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك نص في الأخنتين الثنتين. فإن الابن له الثلثان، وقد أخبر الله أنه مثل حظ الأنثيين، فدل ذلك على أن للبننتين الثلثين. وأيضا فإن البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها وهو أزيد ضررا عليها فمفهوم ذلك أنه إن زادت على الواحدة، انتقل الفرض عن النصف، ولا ثم بعده إلا الثلثان. وأيضا فقوله: للذكر مثل حظ الأنثيين إذا خلف ابنا وبنتا، وهذا إجماع. بقي أن يقال: من أين يستفاد أن للبننتين الثلثين الثلثين بعد الإجماع على ذلك؟ فالجواب أنه يستفاد من قوله: وإن كانت واحدة فلها النصف ذكره بقوله: فإن كن نساء فوق اثنتين أي: بنات صلب أو بنات ابن، ثلاثا فأكثر فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة أي: بنتا أو بنت ابن فلها النصف وليس لأولاد الابن شيء، حيث كان أولاد الصلب ذكورا وإناثا، هذا مع اجتماع الذكور والإناث. وهنا حالتان: انفراد الذكور، وسيأتي حكمها. وانفراد الإناث، وقد حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب فرض، أو ما أبقت الفروض يقتسمونه كذلك، وقد أجمع العلماء على ذلك، وأنه مع وجود أولاد الصلب فال ميراث لهم. الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهم، عليهم. ثم ذكر كيفية إرثهم فقال: للذكر مثل حظ الأنثيين أي: الأولاد للصلب، والأولاد للابن، للذكر مثل عند والديهم موصى بهم، فإذا أن يقوموا بتلك الوصية، وإما أن يضيعوها فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب. وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من المفاسد، وتأمروهم بطاعة الله وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فالأولاد أولادكم أي: أولادكم يا معشر الوالدين عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فتعلمونهم وتؤدبونهم وتكفونهم عن المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الجدة السدس، مع إجماع العلماء على ذلك. فقوله تعالى: يوصيكم الله في رجل ذكر مشتملات على جل أحكام الفرائض، بل على جميعها كما سترى ذلك، إلا ميراث الجدات فإنه غير مذكور في ذلك. لكنه قد ثبت في السنن هي آخر السورة هن آيات الموارث المتضمنة لها. فإنها مع حديث عبد الله بن عباس الثابت في صحيح البخاري ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلاولى هذه الآيات والآية التي

في تعليمها ما أمر به ويسعى في العمل بما يجب، فسعيه في غير هذا الطريق ظلم لنفسه وخيانة وعدول بها عن العدل، الذي ضده الجور والظلم. 110 له يتصرف فيها بما يشاء، وإنما هي ملك لله تعالى قد جعلها أمانة عند العبد وأمره أن يقيمها على طريق العدل، بإلزامها للصراف المستقيم علما وعملا، فيسعى في دماهم وأموالهم وأعراضهم. ويفسر ظلم النفس بالظلم والمعاصي التي بين الله وبين عبده، وسمي ظلم النفس ظلما لأن نفس العبد ليست ملكا ظلما بالشرك فما دونه. ولكن عند اقتران أحدهما بالآخر قد يفسر كل واحد منهما بما يناسبه، فيفسر عمل السوء هنا بالظلم الذي يسوء الناس، وهو ظلمهم سائر المعاصي، الصغيرة والكبيرة، وسمي سوءا لكونه يسوء عامله بعقوبته، ولكونه في نفسه سيئا غير حسن. وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ويوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه، لأنه قد غفره، وإذا غفره غفر ما يترتب عليه. واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة. فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة، أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفاراً تاماً يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

سيغفر له ويوفقه للتوبة. وإن صدر منه بتجرئه على المحارم استخفافا بنظر ربه، وتهاونا بعقابه، فإن هذا بعيد من المغفرة بعيد من التوفيق للتوبة. 111 لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة المذنب، أنه إن صدر منه الذنب بغلبة دواعي نفسه الأمارة بالسوء مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته، أنه الناشئة عن ذنبه، ولهذا قال: وكان الله عليهما حكيما أي: له العلم الكامل والحكمة التامة. ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب وما صدر منه، والسبب الداعي الآية الكريمة، لأن من ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئة. وفي هذا بيان عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحدا بذنب أحد، ولا يعاقب أحدا أكثر من العقوبة لا تتعداها إلى غيرها، كما قال تعالى: ولا تزر وازرة وزر أخرى لكن إذا ظهرت السيئات فلم تنكر عمت عقوبتها وشمل إثمها، فلا تخرج أيضا عن حكم هذه ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وهذا يشمل كل ما يؤثم من صغير وكبير، فمن كسب سيئة فإن عقوبتها الدنيوية والأخروية على نفسه،

وتقام على من لا يستحقها. ثم ما يترتب على ذلك أيضا من كلام الناس في البريء إلى غير ذلك من المفاسد التي نسأل الله العافية منها ومن كل شر. 112 الخطيئة والإثم، ثم رمي من لم يفعلها بفعلها، ثم الكذب الشنيع بتبرئة نفسه واتهام البريء، ثم ما يترتب على ذلك من العقوبة الدنيوية، تندفع عمن وجبت عليه، بهتاناً وإثماً مبيناً أي: فقد حمل فوق ظهره بهتاناً للبريء وإثماً ظاهراً بينا، وهذا يدل على أن ذلك من كبائر الذنوب وموبقاتها، فإنه قد جمع عدة مفسدات: كسب ومن يكسب خطيئة أي: ذنبا كبيرا أو إثما ما دون ذلك. ثم يرم به أي يتهم بذنبه بريئا من ذلك الذنب، وإن كان مذنباً. فقد احتمل

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من فضله على كل مخلوق وأجناس الفضل الذي قد فضله الله به لا يمكن استقصاؤها ولا يتيسر إحصاؤها 113 على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها، ولهذا قال: وكان فضل الله عليك عظيما فضله على بقوله: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ووجدك ضالا فهدى ثم لم يزل يوحى الله إليه ويعلمه ويكمله حتى ارتقى مقاما من العلم يتعذر وصوله منازلها وترتيب كل شيء بحسبه. وعلمك ما لم تكن تعلم وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى. فإنه صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله قبل النبوة

تفسير السعدي

والحكمة: إما السنة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السنة تنزل عليه كما ينزل القرآن. وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء عليه بالعلم فقال: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء وعلم الأولين والآخرين. والخسران. وهذه نعمة كبيرة على رسوله صلى الله عليه وسلم تتضمن النعمة بالعمل، وهو التوفيق لفعل ما يجب، والعصمة له عن كل محرم. ثم ذكر نعمته كحالة كل مكر، فقال: وما يضلون إلا أنفسهم لكون ذلك المكر وذلك التحيل لم يحصل لهم فيه مقصودهم، ولم يحصل لهم إلا الخيبة والحرمان والإثم وهو العمل بغير ما يجب. فحفظ الله رسوله عن هذا النوع من الضلال كما حفظه عن الضلال في الأعمال وأخبر أن كيدهم ومكرهم يعود على أنفسهم، الله عليه وسلم من المخاصمة عن الخائنين، فإن المخاصمة عن المبطل من الضلال، فإن الضلال نوعان: ضلال في العلم، وهو الجهل بالحق. وضلال في العمل، السرقة ببيتته وهو البريء. فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم على رءوس الناس، وقالوا: إنه لم يسرق وإنما الذي سرق من وجدت السارق بقومه أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم على رءوس الناس، وقالوا: إنه لم يسرق وإنما الذي سرق من وجدت أن سبب نزولها: أن أهل بيت سرقوا في المدينة، فلما اطلع على سرقته خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقته فرموها ببيت من هو بريء من ذلك. واستعان بحفظه وعصمته ممن أراد أن يضلّه فقال: ولولا فضل الله عليك ورحمته لهتم طائفة منهم أن يضلوك وذلك أن هذه الآيات الكريكات قد ذكر المفسرون ثم ذكر منته على رسوله

بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية حصلت واقترب بها ما يمكن من العمل. 114 مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما فلماذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له . فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء. ولكن كمال الأجر وتماحه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ومن يفعل ذلك ابتغاء والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله. كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: إن الله لا يصلح عمل المفسدين التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله الآية. وقال تعالى: والصلح خير والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال عند الاقتربان فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي. أو إصلاح بين الناس والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضا لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر. وأما ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة الحديث. أو معروف وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه. ثم استثنى تعالى فقال: إلا من أمر بصدقة من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة

الله بحسب حالة الذنب صغرا وكبرا، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق. 115 ونصله جهنم أي: نعذبه فيها عذابا عظيما. وساءت مصيرا أي: مرجعا له ومآلا. وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا لنصرف عنه سوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه سوء، وكذلك كل مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل. وقوله: وغلبات الطباع، فإن الله لا يولييه نفسه وشيطانه بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من سوء، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: كذلك ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهمة بها ما هو من مقتضيات النفوس، تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ويدل مفهومها على أن من لم يشاقق الرسول، وما اختاره لنفسه، ونخله فلا نوقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزأه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله. كما قال تبين له الهدى بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية. ويتبع غير سبيل المؤمنين وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم نوله ما تولى أي: نتركه أي: ومن يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويعانده فيما جاء به من بعد ما

موافقا للكتاب والسنة فلا يكون مخالفا. فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة، ولهذا بين الله قبح ضلال المشركين بقوله: 116 فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم ولا عالمين بها. ومثل ذلك قوله تعالى: الأمة جعلها الله وسطا أي: عدلا خيارا ليكونوا شهداء على الناس أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكرا، ومثل ذلك قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس فأخبر تعالى أن هذه فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفا ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ووجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرن إلا بالمعروف، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى:

تفسير السعدي

المؤمنين بالخذلان والنار، و سبيل المؤمنين مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال. فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، عليه وعاقب بعدله وحكمته، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ. ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه. وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبار. فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، أن الشرك لا يغفره الله

منهم المخلصين فهذا الذي ظنه الخبيث وجزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين 117 المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاها، وأثر طاعته على طاعة مولاه. وأقسم في موضع آخر ليغوينهم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك الشر لهم والفساد وأنه قال لربه مقسما: لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا أي: مقدرا. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله أبعد الله من رحمته يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله. إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ولهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله، لعنه الله وأبعده عن رحمته، فكما صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟ ومع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة. وبالحقيقة ما والعز والجمال، والرحمة والبر والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟ هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص وليس لها أسمع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يعبد من هذا وصفه ويترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد والجلال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن عابديها بل ولا عن نفسها؛ نفعا ولا ضرا ولا تنصر أنفسها ممن يريد بها بسوء، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدتها لصفات الكمال، أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثا، أي: أوثانا وأصناما مسميات بأسماء الإناث ك العزى و مناة ونحوهما،

منهم المخلصين فهذا الذي ظنه الخبيث وجزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين 118 المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاها، وأثر طاعته على طاعة مولاه. وأقسم في موضع آخر ليغوينهم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك الشر لهم والفساد وأنه قال لربه مقسما: لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا أي: مقدرا. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله أبعد الله من رحمته يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله. إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ولهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله، لعنه الله وأبعده عن رحمته، فكما صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟ ومع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة. وبالحقيقة ما والعز والجمال، والرحمة والبر والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟ هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص وليس لها أسمع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يعبد من هذا وصفه ويترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد والجلال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن عابديها بل ولا عن نفسها؛ نفعا ولا ضرا ولا تنصر أنفسها ممن يريد بها بسوء، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدتها لصفات الكمال، أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثا، أي: أوثانا وأصناما مسميات بأسماء الإناث ك العزى و مناة ونحوهما،

وأفلح كل الفلاح، وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، اللهم تولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت. 119 وأعظم ممن خسر دينه وديناه وأوبقته معاصيه وخطاياها؟! فحصل له الشقاء الأبدى، وفاته النعيم السرمدي. كما أن من تولى مولاه وآثر رضاه، ربح كل الربح، فخسروا الدنيا والآخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة، ولهذا قال: ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا وأي خسارة أبين المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفاطرهم وتوليهم لعدوهم المرید لهم الشر من كل وجه، ما فطر الله عليه العباد من توحيده وحبه ومعرفته. فافتروا الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذئب للغنم المنفردة. لولا لطف الله وكرمه بعباده وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان. فإن كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ويتناول أيضا تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفلطين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن هذا الخلق الجميل، خلقة الرحمن. وذلك يتضمن التسخط من خلقته والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، ولأمرهم فليغيرن خلق الله وهذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم، والوش والنمص والتفليج للحسن، ونحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغيروا وهذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام الجائرة ما هو من أكبر الإضلال. وغركم بالله الغرور وقوله: ولأمرهم فليبتكن آذان الأنعام أي: بتقطيع آذانها، وذلك كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فنبه بعض ذلك على جميعه، تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله

تفسير السعدي

كذلك زينا لكل أمة عملهم قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الآية. وقال وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم فإنهم كما حكى الله عنهم، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال. وهذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة ولأضلنهم أي: عن الصراط المستقيم ضلالا في العلم، وضلالا في العمل. ولأمنيهم أي: مع الإضلال، لأمنيهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا كذلك، وبقي شيء بعد أخذ البنات فرضهن، فإنه يعطى للأخوات ولا يعدل عنهن إلى عصابة أبعد منهن، كابن الأخ والعمة، ومن هو أبعد منهم. والله أعلم. 12 الأخوات لغير أم مع البنات أو بنات الابن عصابات، يأخذن ما فضل عن فروضهن، فلأنه ليس في القرآن ما يدل على أن الأخوات يسقطن بالبنات. فإذا كان الأمر جهة. فإن كانوا في جهة واحدة فالأقرب منزلة، فإن كانوا في منزلة واحدة فالأقوى، وهو الشقيق، فإن تساوا من كل وجه اشتركوا. والله أعلم. وأما كون أولي العصابة، وبحسب جهاتهم ودرجاتهم. فإن جهات العصابة خمس: البنوة، ثم الأبوة، ثم الأخوة وبنوهم، ثم العمومة وبنوهم، ثم الولاء، فيقدم منهم الأقرب وقال تعالى: ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون فإذا ألحقنا الفروض بأهلها ولم يبق شيء، لم يستحق العاصب شيئا، وإن بقي شيء أخذه بقية العصابة كالبنوة والأخوة وبنيتهم، والأعمام وبنيتهم إلخ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولي رجل ذكر مقدر بأعيانهم في كتاب الله. وأن بينهم وبين الميت وسائل، صاروا بسببها من الأقارب. فينزلون منزلة من أدلوا به من تلك الوسائل. والله أعلم. وأما ميراث بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فصرفه لغيرهم ترك لمن هو أولى من غيره، فتعين توريث ذوي الأرحام. وإذا تعين توريثهم، فقد علم أنه ليس لهم نصيب بين كون ماله يكون لبنت المال لمنافع الأجانب، وبين كون ماله يرجع إلى أقاربه المدلين بالورثة المجمع عليهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: وأولو الأرحام الكتاب والسنة، والقياس الصحيح، والله أعلم وبهذا يعلم أيضا ميراث ذوي الأرحام فإن الميت إذا لم يخلف صاحب فرض ولا عاصبا، وبقي الأمر دائرا لغيرهما من ذوي الفروض يرد عليهما؛ فكما ينقصان بالعول فإنهما يزدان بالرد لغيرهما، فالعلة على هذا كونه وارثا صاحب فرض، فهذا هو الظاهر من دلالة المقدر هذا عند من لا يورث الزوجين بالرد، وهم جمهور القائلين بالرد، فعلى هذا تكون علة الرد كونه صاحب فرض قريبا، وعلى القول الآخر، أن الزوجين الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فتعين أن يرد على أهل الفروض بقدر فروضهم. ولما كان الزوجان ليسا من القرابة، لم يستحقا زيادة على فرضهم مستحق من عاصب قريب ولا بعيد، فإن رده على أحدهم ترجيح بغير مرجح، وإعطاؤه غيرهم ممن ليس بقريب للميت جنف وميل، ومعارضة لقوله: وأولو أن العول في الفرائض قد بينه الله في كتابه. وبعكس هذه الطريقة بعينها يعلم الرد فإن أهل الفروض إذا لم تستغرق فروضهم التركة وبقي شيء ليس له أننا نعطي كل واحد منهم نصيبه بقدر الإمكان، ونحاصص بينهم كديون الغرماء الزائدة على مال الغريم، ولا طريق موصل إلى ذلك إلا بالعول، فعلم من هذا عن فرضه الذي فرضه الله له، ونكمل للباقيين منهم فروضهم، وهذا ترجيح بغير مرجح، وليس نقصان أحدهم بأولى من الآخر، فتعينة الحال الثانية، وهي: التركة، ففي الحالتين الأوليين كل يأخذ فرضه كاملا. وفي الحالة الأخيرة وهي ما إذا زادت الفروض على التركة فلا يخلو من حالين: إما أن ننقص بعض الورثة يزاحم ولا يستحق شيئا، وإن لم يحجب بعضهم بعضا فلا يخلو، إما أن لا تستغرق الفروض التركة، أو تستغرقها من غير زيادة ولا نقص، أو تزيد الفروض على وذلك أن الله تعالى قد فرض وقدر لأهل الموارث أنصاء، وهم بين حالتين: إما أن يحجب بعضهم بعضا أو لا. فإن حجب بعضهم بعضا، فالمحجوب ساقط لا يحجب جد الميت أخاه؟ فليس مع من يورث الإخوة مع الجد، نص ولا إشارة ولا تنبيه ولا قياس صحيح. وأما مسائل العول فإنه يستفاد حكمها من القرآن، الإخوة لغير أم. وإذا كان ابن الابن بمنزلة ابن الصلب فلم لا يكون الجد بمنزلة الأب؟ وإذا كان جد الأب مع ابن الأخ قد اتفق العلماء على أنه يحجبه. فلم لا حكم الأب عند عدمه في ميراثه مع الأولاد وغيرهم من بني الإخوة والأعمام وبنيتهم، وسائر أحكام الموارث، فينبغي أيضا أن يكون حكمه حكمه في حجب فسمى الله الجد وجد الأب أب، فدل ذلك على أن الجد بمنزلة الأب، يرث ما يرثه الأب، ويحجب من يحجبه. وإذا كان العلماء قد أجمعوا على أن الجد حكمه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق الآية. وقال يوسف عليه السلام: واتبعن ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب يحجب الإخوة أشقاء أو لأب أو لأم، كما يحجبهم الأب. وبيان ذلك: أن الجد أب في غير موضع من القرآن كقوله تعالى: إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما استطعتم وأما ميراث الجد مع الإخوة الأشقاء أو لأب، وهل يرثون معه أم لا؟ فقد دل كتاب الله على قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأن الجد قال تعالى: اعدلوا هو أقرب للتقوى وليس لنا طريق إلى العدل في مثل هذا أكثر من هذا الطريق المذكور. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها فاتقوا الله العلم بذلك، لم نعطه أكثر التقديرين، لاحتمال ظلم من معه من الورثة، ولم نعطه الأقل، لاحتمال ظلمنا له. فوجب التوسط بين الأمرين، وسلوك أعدل الطريقين، فإن كان الذكر والأنثى لا يختلف إرثهما كالإخوة للأُم فالأمر فيه واضح، وإن كان يختلف إرثه بتقدير ذكوريته وبتقدير أنوثيته، ولم يبق لنا طريق إلى فالأمر فيه واضح. إن كان ذكرا فله حكم الذكور، ويشمله النص الوارد فيهم. وإن كان أنثى فله حكم الإناث، ويشمله النص الوارد فيهن. وإن كان مشكلا، مثابا ومعاقبا، بقدر ما فيه من موجبات ذلك، فهذا كذلك. وأما الخنثى فلا يخلو إما أن يكون واضحا ذكوريته أو أنوثيته، أو مشكلا. فإن كان واضحا قابلا للتملك، وما فيه من الرق فليس بقابل لذلك، فإذا يكون المبعوض، يرث ويورث، ويحجب بقدر ما فيه من الحرية. وإذا كان العبد يكون محمودا مذموما، فعلم أنه لا ميراث له. وأما من بعضه حر وبعضه رقيق فإنه تتبع بعض أحكامه. فما فيه من الحرية يستحق بها ما رتبته الله في الموارث، لكون ما فيه من الحرية للذكر مثل حظ الأنثيين. ولكم نصف ما ترك أزواجكم فللكل واحد منهما السدس ونحوها لمن يتأتى منه التملك، وأما الرقيق فلا يتأتى منه ذلك، لأنه ليس له مال يورث عنه، بل كل ما معه فهو لسيدته. وأما كونه لا يرث فلا يملك، فإنه لو ملك لكان لسيدته، وهو أجنبي من الميت فيكون مثل قوله تعالى: فلا يقع بينهما التوارث. وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين انتهى. وأما الرقيق فإنه لا يرث ولا يورث، أما كونه لا يورث فواضح،

تفسير السعدي

تعالى: ولكم نصف ما ترك أزواجكم إيدانا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، المجردة. قال ابن القيم في جلاء الأفهام: وتأمل هذا المعنى في آية المواريث، وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ الزوجة دون المرأة، كما في قوله به. فيكون قوله تعالى: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إذا اتفقت أديانهم، وأما مع تباينهم فالأخوة الدينية مقدمة على الأخوة النسبية لقيام المانع. يوضح ذلك أن الله تعالى قد جعل حقوق المسلمين أولى من حقوق الأقارب الكفار الدنيوية، فإذا مات المسلم انتقل ماله إلى من هو أولى وأحق النسب الموجب للإرث، والمانع الذي هو المخالفة في الدين الموجبة للمباينة من كل وجه، فقوي المانع ومنع موجب الإرث الذي هو النسب، فلم يعمل الموجب أن من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه وبهذا ونحوه يعرف أن المخالف لدين الموروث لا إرث له، وذلك أنه قد تعارض الموجب الذي هو اتصال أن القتل أكبر مانع يمنع الميراث، ويقطع الرحم الذي قال الله فيه: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مع أنه قد استقرت القاعدة الشرعية علم أن القاتل قد سعى لمورثه بأعظم الضرر، فلا ينتهز ما فيه من موجب الإرث أن يقاوم ضرر القتل الذي هو ضد النفع الذي رتب عليه الإرث. فعلم من ذلك الإلهية في توزيع المال على الورثة بحسب قربهم ونفعهم الديني والدنيوي. وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة بقوله: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا وقد وإشارات دقيقة يعسر فهمها على غير المتأمل تدل على جميع المذكورات. فأما القاتل والمخالف في الدين فيعرف أنهم غير وارثين من بيان الحكمة والجدد مع الإخوة لغير أم، والعول، والرد، وذوي الأرحام، وبقية العصبة، والأخوات لغير أم مع البنات أو بنات الابن من القرآن أم لا؟ قيل: نعم، فيه تنبيهات الابن. وإن كان الإخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين. فإن قيل: فهل يستفاد حكم ميراث القاتل، والرقيق، والمخالف في الدين، والمبعض، والخنثى، والباقي من الثلثين للأخت أو الأخوات لأب وهو السدس تكملة الثلثين. وإذا استغرقت الشقيقات الثلثين سقط الأخوات للأب كما تقدم في البنات وبنات الله يفتيكم في الكلالة الآية. فالأخت الواحدة شقيقة أو لأب لها النصف، والثلثان لهما الثلثان، والشقيقة الواحدة مع الأخت للأب أو الأخوات تأخذ النصف، المسألة لا يبقى بعدهم شيء، فيسقط الأشقاء، وهذا هو الصواب في ذلك. وأما ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب، فمذكور في قوله: يستفتونك قل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر وأهل الفروض هم الذين قدر الله أنصباهم، ففي هذه الأشقاء، لأن الله أضاف الثلث للإخوة من الأم، فلو شاركهم الأشقاء لكان جمعا لما فرق الله حكمه. وأيضا فإن الإخوة للأم أصحاب فروض، والأشقاء عصباء. الإخوة الأشقاء يسقطون في المسألة المسماة بالحمارية. وهى: زوج، وأم، وإخوة لأم، وإخوة أشقاء. للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخوة للأم الثلث، ويسقط وإن علوا، يسقطون أولاد الأم، لأن الله لم يورثهم إلا في الكلالة، فلو لم يكن يورث كلاله، لم يرثوا منه شيئاً اتفاقاً. ودل قوله: فهم شركاء في الثلث أن فهم شركاء في الثلث أن ذكرهم وأنتاهم سواء، لأن لفظ التشريك يقتضي التسوية. ودل لفظ الكلالة على أن الفروع وإن نزلوا، والأصول الذكور الأخ والأخت السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك أي: من واحد فهم شركاء في الثلث أي: لا يزيدهم على الثلث ولو زادوا عن اثنين. ودل قوله: بنت ابن وإن نزلوا. وهذه هي الكلالة كما فسرنا بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد حصل على ذلك الاتفاق ولله الحمد. فلكل واحد منهما أي: من أجمع العلماء على أن المراد بالإخوة هنا الإخوة للأم، فإذا كان يورث كلاله أي: ليس للميت والد ولا ولد أي: لا أب ولا جد ولا ابن ولا بنت ولا أو من غيره، ويخرج عنه ولد البنات إجماعاً. ثم قال تعالى: وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت أي: من أم، كما هي في بعض القراءات. بعد وصية توصون بها أو دين ويدخل في مسمى الولد المشروط وجوده أو عدمه، ولد الصلب أو ولد الابن الذكر والأنثى، الواحد والمتعدد، الذي من الزوج ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركن من ولكم أيها الأزواج نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن

وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحزبه، مستقرهم النار. ولا يجدون عنها محيصاً أي: مخلصاً ولا ملجأ بل هم خالدون فيها أبد الآب. 120 الأمانى الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له، ولهذا قال: وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم أي: من انقاد للشيطان الشيطان يخوف أوليائه الآية. ويخوفهم عند إثارة مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير، وكذلك يمينهم الوعيد كما قال تعالى: الشيطان يعدكم الفقر فإنه يعدمهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره، كما قال تعالى: إنما ذلكم يعدهم ويمنيهم أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم، والوعد يشمل حتى

وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحزبه، مستقرهم النار. ولا يجدون عنها محيصاً أي: مخلصاً ولا ملجأ بل هم خالدون فيها أبد الآب. 121 الأمانى الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له، ولهذا قال: وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم أي: من انقاد للشيطان الشيطان يخوف أوليائه الآية. ويخوفهم عند إثارة مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير، وكذلك يمينهم الوعيد كما قال تعالى: الشيطان يعدكم الفقر فإنه يعدمهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره، كما قال تعالى: إنما ذلكم يعدهم ويمنيهم أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم، والوعد يشمل حتى

يدل عليه مطابقة وتضمناً وملزمة كل ذلك مراد من كلامه، وكذلك كلام رسوله صلى الله عليه وسلم لكونه لا يخبر إلا بأمره ولا ينطق إلا عن وجهه. 122 وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قليلاً فصدق الله العظيم الذي بلغ قوله وحديثه في الصدق أعلى ما يكون، ولهذا لما كان كلامه صدقاً وخبره حقاً، كان ما الرب الكريم، وماذا حصل لهم من كل خير وبهجة لا يصفه الواصفون، وتمام ذلك وكماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات، ولهذا قال: خالدين فيها أبداً والأسماع بخطابه الذي ينسبهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لهم لطاروا وماتوا من الفرح والحبور، فله ما أحلى ذلك النعيم وما أعلى ما أنالهم

تفسير السعدي

والنعم السابغة، وتزاور الإخوان، وتذكرهم ما كان منهم في رياض الجنان، وأعلى من ذلك كله وأجل رضوان الله عليهم وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، أنواع المأكّل والمشرب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلّية، والفاواكه المستغربة، والأصوات الشجية، ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله: سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من ذلك بحسب ما أحل به من الإيمان والعمل، وذلك بحسب ما علم من حكمة الله ورحمته، وكذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله وسنة رسوله. والذي على اللسان، والذي على بقية الجوارح. كل له من الثواب المرتب على ذلك بحسب حاله ومقامه، وتكميله للإيمان والعمل الصالح. ويفوته ما رتب على الوجه الذي أمروا به علما وتصديقا وإقرارا. وعملوا الصالحات الناشئة عن الإيمان؟ وهذا يشمل سائر الأمور من واجب ومستحب، الذي على القلب، أي: آمنوا بالله وملأنكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره على

أو ناصر أو شافع يدفع عنه ما استحقه، فأخبر تعالى بانتفاء ذلك، فليس له ولي يحصل له المطلوب، ولا نصير يدفع عنه المروء، إلا ربه ومليكه. 123 كما دلت على ذلك النصوص. وقوله: ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا لإزالة بعض ما لعله يتوهم أن من استحق المجازاة على عمله قد يكون له ولي قيضها الله لطفا بعباده، وبين هذين الحالين مراتب كثيرة. وهذا الجزاء على عمل السوء العام مخصوص في غير التائبين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، الصغار فما يصيبه من الهم والغم والأذى وبعض الآلام في بدنه أو قلبه أو حبيبه أو ماله ونحو ذلك فإنها مكفّرات للذنوب، وهي مما يجزى به على عمله، فإذا مات من دون توبة جوزي بالخلود في العذاب الأليم. ومن كان عمله صالحا، وهو مستقيم في غالب أحواله، وإنما يصدر منه بعض الأحيان بعض الذنوب لكل جزاء قليل أو كثير، دنيوي أو أخروي. والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فمن كان عمله كله سوءا وذلك لا يكون إلا كافرا. أو تكذّبا ولهذا قال تعالى: من يعمل سوءا يجز به وهذا شامل لجميع العاملين، لأن السوء شامل لأي ذنب كان من صفائر الذنوب وكبائرها، وشامل أيضا إلى الإسلام لكامل العدل والإنصاف، فإن مجرد الانتساب إلى أي دين كان، لا يفيد شيئا إن لم يأت الإنسان ببرهان على صحة دعواه، فالأعمال تصدق الدعوى الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانهم وغيرهم ممن ليس ينتسب لكتاب ولا رسول من باب أولى وأحرى. وكذلك أدخل الله في ذلك من ينتسب عورضت بمثلها كانت من جنسها. وهذا عام في كل أمر، فكيف بأمر الإيمان والسعادة الأبدية؟! فإن أمانى أهل الكتاب قد أخبر الله بها أنهم قالوا: لن يدخل أي: ليس الأمر والنجاة والتزكية بأمانيككم ولا أمانى أهل الكتاب والأمانى: أحاديث النفس المجردة عن العمل، المقترن بها دعوى مجردة لو

على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ولا يظلمون نقيرا أي: لا قليلا ولا كثيرا مما عملوه من الخير، بل يجدونه كاملا موفرا، مضاعفا أضعافا كثيرة. 124 كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق، فإنه مقيد به. فأولئك أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح يدخلون الجنة المشتملة بها العقاب إلا بالإيمان. فالأعمال بدون الإيمان كأغصان شجرة قطع أصلها وكبناء بني على موج الماء، فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة التي يبنى عليه صغير أو كبير، ذكر أو أنثى. ولهذا قال: من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وهذا شرط لجميع الأعمال، لا تكون صالحة ولا تقبل ولا يترتب عليها الثواب ولا يندفع ومن يعمل من الصالحات دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية، ودخل أيضا كل عامل من إنس أو جن،

لعموم المؤمنين، وإنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه وفي بما أمر به وقام بما ابتلي به، فجعله الله إماما للناس، واتخذة خليلا، ونوه بذكره في العالمين. 125 واتخذ الله إبراهيم خليلا والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليين محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأما المحبة من الله فهي لخواص خلقه وأتباعهم. واتبع ملة إبراهيم أي: دينه وشرعه حنيفا أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق، وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله. وهو مع هذا الإخلاص والاستسلام محسن أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، وأنزل كتبه، وجعلها طريقا أي: لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه،

ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزه وقهره كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء. 126 الجميع ملكه وعبيده، فهم المملوكون وهو المالك المتفرد بتدبيرهم، وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، وهذه الآية الكريمة فيها بيان إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء، فأخبر أنه له ما في السموات وما في الأرض أي:

كان الخير متعديا أو لازما فإن الله كان به عليما أي: قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير، قلة وكثرة، حسنا وضده، فيجازي كلا بحسب عمله. 127 الحث على القيام بمصالح من لا يقوم بمصلحة نفسه لضعفه وفقد أبيه. ثم حث على الإحسان عموما فقال: وما تفعلوا من خير لليتامى ولغيرهم سواء إلا بالتي هي أحسن، وكذلك لا يحابون فيهم صديقا ولا غيره، في تزوج وغيره، على وجه الهضم لحقوقهم. وهذا من رحمته تعالى بعباده، حيث حث غاية فيكون الأولياء مكلفين بذلك، يلزمونهم بما أوجبه الله. ويشمل القيام عليهم في مصالحهم الدنيوية بتنمية أموالهم وطلب الأحظ لهم فيها، وأن لا يقربوها على أموالهم على وجه الظلم والاستبداد. وأن تقوموا لليتامى بالقسط أي: بالعدل التام، وهذا يشمل القيام عليهم بإلزامهم أمر الله وما أوجبه على عباده، كما ذكرنا تمثيلا. والمستضعفين من ولدان أي: ويفتيكم في المستضعفين من ولدان الصغار، أن تعطوهم حقهم من الميراث وغيره وأن لا تستولوا في مهرها، بل يعطيها دون ما تستحق، فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص ولهذا قال: وترغبون أن تنكحوهن أي: ترغبون عن نكاحهن أو في نكاحهن من استخراجها من يده إن زوجها، أو يأخذ من مهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره، هذا إذا كان راغبا عنها، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال ولا يقسط الواقعة في ذلك الوقت، فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل بخسها حقها وظلمها، إما بأكل مالها الذي لها أو بعضه، أو منعها من التزوج لينتفع بمالها، خوفا

تفسير السعدي

يتامى النساء أي: ويفتيكم أيضا بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامى من النساء. اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن. وهذا إخبار عن الحالة الموجودة والكبار، ثم خص بعد التعميم الوصية بالضعاف من اليتامى والولدان اهتماما بهم وزجرا عن التفريط في حقوقهم فقال: وما يتلى عليكم في الكتاب في شؤون النساء، من القيام بحقوقهن وترك ظلمهن عموما وخصوصا. وهذا أمر عام يشمل جميع ما شرع الله أمرا ونهيا في حق النساء الزوجات وغيرهن، الصغار الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم النساء المتعلق بهم، فتولى الله هذه الفتوى بنفسه فقال: قل الله يفتيكم فيهن فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع الاستفتاء: طلب السائل من المسئول بيان الحكم الشرعي في ذلك المسئول عنه. فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون

المأمور، وتتقوا بترك المحظور فإن الله كان بما تعملون خبيرا قد أحاط به علما وخبرا، بظاهره وباطنه، فيحفظه لكم، ويجازيكم عليه أتم الجزاء. 128 المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال، أو علم، أو جاه، أو غير ذلك. وتتقوا الله بفعل جميع الأمور، وترك جميع المحظورات. أو تحسنوا بفعل خصمه مثله اشتد الأمر. ثم قال: وإن تحسنوا وتتقوا أي: تحسنوا في عبادة الخالق بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وتحسنوا إلى المطلوب. بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان والاقتناع ببعض الحق الذي لك. فمتى وفق الإنسان لهذا الخلق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى مجبولة على ذلك طبعاً، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده وهو السماحة، وهو بذل الحق الذي عليك؛ المانع بقوله: وأحضرت الأنفس الشح أي: جبلت النفوس على الشح، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس المقتضي لذلك ونبه على أنه خير، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه، فإن كان مع ذلك قد أمر الله به وحث عليه ازداد المؤمن طلباً له ورغبة فيه. وذكر وإنما يكون جوراً. واعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم ولا يكمل إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح، فذكر تعالى منها على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح. وهو جائز في جميع الأشياء إلا إذا أحل حراماً أو حرم حلالاً، فإنه لا يكون صلاحاً للفرقة، ولهذا قال: والصلح خير ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين من بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل أو لضرتهما. فإذا اتفقا على هذه الحالة فلا جناح ولا بأس عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من على وجه تبقى مع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة أو الكسوة أو المسكن، أو القسم بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها زوجها أي: ترفعه عنها وعدم رغبته فيها وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلحاً بينهما صلحاً بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها أي: إذا خافت المرأة نشوز

فإن الله كان عفواً غفوراً رحيماً يغفر ما صدر منكم من الذنوب والتقصير في الحق الواجب، ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحمتموهن. 129 فيما تنازعوا فيه، وهذا يستلزم الحث على كل طريق يوصل إلى الصلح مطلقاً كما تقدم. وتتقوا الله بفعل الأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور. وبين زوجاتكم، بإجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس، احتساباً وقياماً بحق الزوجة، وتصلحوا أيضاً فيما بينكم وبين الناس، وتصلحوا أيضاً بين الناس فإن الزوجة إذا ترك زوجها ما يجب لها، صارت كالمعلقة التي لا زوج لها فتستريح وتستعد للزوج، ولا ذات زوج يقوم بحقوقها. وإن تصلحوا ما بينكم وحقوقهن الواجبة، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل. فالنفقة والكسوة والقسم ونحوها عليكم أن تعدلوا بينهما فيها، بخلاف الحب والوطء ونحو ذلك، غير ممكن، فلذلك عفا الله عما لا يستطيع، ونهى عما هو ممكن بقوله: فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة أي: لا تميلوا ميلاً كثيراً بحيث لا تؤدون بين النساء، وذلك لأن العدل يستلزم وجود المحبة على السواء، والداعي على السواء، والميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك. وهذا متعذر يخبر تعالى: أن الأزواج لا يستطيعون وليس في قدرتهم العدل التام

والنجاة من النار. وذلك الفوز العظيم الذي حصل به النجاة من سخطه وعذابه، والفوز بثوابه ورضوانه بالنعيم المقيم الذي لا يصفه الواصفون. 13 بالله، ثم المعاصي على اختلاف طبقاتها يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فمن أدى الأوامر واجتنب النواهي فلا بد له من دخول الجنة ذلك فقال: ومن يطع الله ورسوله بامتثال أمرهما الذي أعظمه طاعتها في التوحيد، ثم الأوامر على اختلاف درجاتها واجتناب نهيهما الذي أعظمه الشرك مع قوله صلى الله عليه وسلم: لا وصية لوارث ثم ذكر طاعة الله ورسوله ومعصيتهما عموماً ليدخل في العموم لزوم حدوده في الفرائض أو ترك على أن الوصية للوارث منسوخة بتقديره تعالى أنصأه الوارثين. ثم قوله تعالى: تلك حدود الله فالوصية للوارث بزيادة على حقه يدخل في هذا التعدي، أي: تلك التفاصيل التي ذكرها في الموارث حدود الله التي يجب الوقوف معها وعدم مجاوزتها، ولا القصور عنها، وفي ذلك دليل

أي: يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة. فإذا اقتضت حكمته منع بعض عبادته من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمة عدلاً وحكمة. 130 الله يرزقها زوجها خيراً منه، وكان الله واسعاً أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه، ولكنه مع ذلك حكيماً الشامل. فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضله وإن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولعل لا بأس بالفراق، فقال: وإن يتفرقا أي: بطلاق أو فسخ أو خلع أو غير ذلك يغني الله كلا من الزوجين من سعته أي: من فضله وإحسانه الواسع هذه الحالة الثالثة بين الزوجين، إذا تعذر الاتفاق فإنه

أحسن اقتتران هذين الاسمين الكريمين الغني الحميد !! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتتران أحدهما بالآخر. 131

تفسير السعدي

وثناء وإكرام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النعم الجزال، فهو المحمود على كل حال. وما المطالب والأسئلة وأغناهم وأقناهم، ومن عليهم بلطفه وهداهم. وأما الحميد فهو من أسماء الله تعالى الجليلة الدال على أنه هو المستحق لكل حمد ومحبة تدابير ملكه. ومن كمال غناه افتقار العالم العلوي والسفلي في جميع أحوالهم وشئونهم إليه وسؤالهم إياه جميع حوائجهم الدقيقة والجليلة، فقام تعالى بتلك الكمال، بل له كل صفة كمال، ومن تلك الصفة كمالها، ومن تمام غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا شريكا في ملكه ولا ظهيرا، ولا معاونا له على شيء من كلام، إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون. ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف، إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه، لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك أهل السماوات وأهل الأرض أولهم وآخرهم، فسأل كل واحد منهم ما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه شيئا، ذلك بأنه جواد واجد ماجد، عطاؤه كلام وعذابه وكان الله غنيا حميدا له الجود الكامل والإحسان الشامل الصادر من خزائن رحمته التي لا ينقصها الإنفاق ولا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، لو اجتمع ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له خاضعون لأمره. ولهذا رتب على ذلك قوله: وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض قال: وإن تكفروا بأن تتركوا تقوى الله، وتشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فإنكم لا تضررون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضررون الله شيئا ولا تنقصون السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب، ولهذا ملكه العظيم الواسع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف قدرا وشرعا، فتصرفه الشرعي أن وصى الأولين والآخرين أهل الكتب يخبر تعالى عن عموم

والقدرة على تنفيذه وتدبيره، وكون ذلك التدبير على وجه الحكمة والمصلحة، فما نقص من ذلك فهو لنقص بالوكيل، والله تعالى منزه عن كل نقص. 132 الأرض، وأنه على كل شيء وكيل، أي: عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة، فإن ذلك من تمام الوكالة، فإن الوكالة تستلزم العلم بما هو وكيل عليه، والقوة ثم كرر إحاطة ملكه لما في السماوات وما في

منكم، وفي هذا تهديد للناس على إقامتهم على كفرهم وإعراضهم عن ربهم، فإن الله لا يعبأ بهم شيئا إن لم يطيعوه، ولكنه يمهل ويملي ولا يهمل. 133 أي: هو الغني الحميد الذي له القدرة الكاملة والمشينة النافذة فيكم إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين غيركم هم أطوع لله منكم وخير به، والافتقار إليه على الدوام. وله الحكمة تعالى في توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله وفي عطائه ومنعه، ولهذا قال: وكان الله سميعا بصيرا 134 لكل شيء الذي عنده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلب منه ويستعان به عليهما، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة ثواب الدنيا، وليس له إرادة في الآخرة فإنه قد قصر سعيه ونظره، ومع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا سوى ما كتب الله له منها، فإنه تعالى هو المالك ثم أخبر أن من كانت همته وإرادته دنية غير متجاوزة

يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرما، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام بالباطل. 135 الحاكم لحكمه الذي يجب عليه القيام به. فإن الله كان بما تعملون خبيرا أي: محيط بما فعلتم، يعلم أعمالكم خفيها وجليها، وفي هذا تهديد شديد للذي تكميلها، أو تأويل الشاهد على أمر آخر، فإن هذا من اللي لأنه الانحراف عن الحق. أو تعرضوا أي: تتركوا القسط المنوط بكم، كترك الشاهد لشهادته، وترك لي اللسان عن الحق في الشهادات وغيرها، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه، ويدخل في ذلك تحريف الشهادة وعدم الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم. ولما بين أن الواجب القيام بالقسط نهى عن ما يضاد ذلك، وهو للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا، وإما أن يعرف العمل به. وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نصب عينيه، ومحل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو ولا الفقير بزعمكم رحمة له، بل اشهدوا بالحق على من كان. والقيام بالقسط من أعظم الأمور وأدل على دين القائم به، وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على على الأحياء بل على النفس، ولهذا قال: شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي: فلا تراعوا الغني لغناه، يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان، حتى النفقات الواجبة، والديون، وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من الأخلاق والمكافأة وغير ذلك. ومن أعظم أنواع القسط القسط في المقالات والقائلين، فلا الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته، بل تصرف في طاعته. والقسط في حقوق الأدميين أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك. فتؤدي بالقسط شهداء لله والقوام صيغة مبالغة، أي: كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده، فالقسط في حقوق يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين

الموصلة له إلى العذاب الأليم؟ واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض 136 ومن يكفر بالله وملأنكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا وأي ضلال أبعد من ترك طريق الهدى المستقيم، وسلك الطريق الذي لا يكون العبد مؤمنا إلا به، إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل، فمن آمن هذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى وأنجح. يأبها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وأمر هنا بالإيمان به وبرسوله، وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من الإيمان الواجب

تفسير السعدي

الظاهرة والباطنة، كلها من الإيمان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، وأجمع عليه سلف الأمة. ثم الاستمرار على ذلك والثبات عليه إلى الممات كما قال تعالى: الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله، فإنه كلما وصل إليه نص وفهم معناه واعتقده فإن ذلك من الإيمان الأمور به. وكذلك سائر الأعمال من أمر المؤمنين بالإيمان، فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصح إيمانهم من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات. ويقتضي أيضا مصداقا لما معكم الآية. وإما أن يوجه إلى من دخل في الشيء فهذا يكون أمره ليصح ما وجد منه ويحصل ما لم يوجد، ومنه ما ذكره الله في هذه الآية الشيء ولم يتصف بشيء منه، فهذا يكون أمرا له في الدخول فيه، وذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان، كقوله تعالى: يأيتها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا أعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى من لم يدخل في

منهم الردة. وإذا كان هذا الحكم في الكفر فغيره من المعاصي التي دونه من باب أولى أن العبد لو تكررت منه ثم عاد إلى التوبة، عاد الله له بالمغفرة. 137 كما لم يؤمنوا به أول مرة ودلت الآية: أنهم إن لم يزدادوا كفرا بل رجعوا إلى الإيمان، وتركوا ما هم عليه من الكفران، فإن الله يغفر لهم، ولو تكررت لكونه أتى بأعظم مانع يمنع من حصولها. فإن كفره يكون عقوبة وطعلا لا يزول كما قال تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم الكفر بعد الإيمان فاهتدى ثم ضل، وأبصر ثم عمي، وآمن ثم كفر واستمر على كفره وازداد منه، فإنه بعيد من التوفيق والهداية لأقوم الطريق، وبعيد من المغفرة أي: من تكرر منه

من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم. 138 ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون. والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيتته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عما وراء ذلك، فاتخذوا الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأى شيء حملهم على ذلك؟ أبيتغون عندهم العزة؟ وهذا هو الواقع من الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: بشر المنافقين أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأفبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب تفسير اليتين 138 و139: البشارة تستعمل في

من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم. 139 ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون. والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيتته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عما وراء ذلك، فاتخذوا الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأى شيء حملهم على ذلك؟ أبيتغون عندهم العزة؟ وهذا هو الواقع من الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: بشر المنافقين أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأفبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب تفسير اليتين 138 و139: البشارة تستعمل في

وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد، غير مخلدين في النار، فما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود فيها. 14 يدخل فيها الشرك فما دونه، دخل النار وخلد فيها، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية. طاعته وطاعة رسوله. ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب. ومن عصى الله ورسوله معصية تامة مهين ويدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصي، فلا يكون فيها شبهة للخارج القائلين بكفر أهل المعاصي فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب

مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم إلى آخر الآيات. 140 عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها. إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا كما اجتمعوا على الكفر والموالاة ولا ينفع الكافرين في الحال المذكورة مثلهم لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسا يعصى الله به، فإنه يتعين لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم حتى يخوضوا في حديث غيره أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها. إنكم إذا أي: إن قعدتم معهم إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقا، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقبح حدوده التي حدها والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم. وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فسد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، أي: وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي

الكافرة، قد بقوا محترمين لا يتعرضون لأديانهم ولا يكونون مستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فله الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا. 141

تفسير السعدي

من خالفهم، ولا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين، ودفع لتسلط الكافرين، ما هو مشهود بالعيان. حتى إن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أي: تسلطا واستيلاء عليهم. بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم ولا ذلك مما هو معروف منهم. فالله يحكم بينكم يوم القيامة فيجازي المؤمنين ظاهرا وباطنا بالجنة، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات. أي: يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة، ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع في تنفيذهم وتزهيدهم في القتال، ومظاهرة الأعداء عليهم، وغير بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر، حكمة من الله. فإذا كان ذلك قالوا ألم نستحوذ عليكم أي: نستولي عليكم ومنعكم من المؤمنين عليهم، وليشركوهم في الغنيمة والفىء ولينتصروا بهم. وإن كان للكافرين نصيب ولم يقل فتح؛ لأنه لا يحصل لهم فتح، يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة، أعدوا لكل حالة جوابا بحسب نفاقهم. فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ليسلموا من القدر والطعن موالاة المنافقين للكافرين ومعاداتهم للمؤمنين فقال: الذين يتربصون بكم أي: ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها، وتنتهون إليها من خير أو شر، قد ثم ذكر تحقيق

لله، فهذا لا يذكرون الله إلا قليلا لامتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته. 142 الكسل، يراءون الناس أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون لها متبرمين من فعلها، والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده، عادمة للإيمان، لم يصدر منهم ألم نكن معكم إلى آخر الآيات. و من صفاتهم أنهم إذا قاموا إلى الصلاة إن قاموا التي هي أكبر الطاعات العملية قاموا كسالى متثاقلين للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم وظننا من العقل والمكر، فله ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه ومن خداعه لهم يوم القيامة ما ذكره الله في قوله: يوم يقول المنافقون والمنافقات وأي: خداع أعظم ممن يسعى سعيا يعود عليه بالهوان والذل والحرمان؟ ويدل بمجرد على نقص عقل صاحبه، حيث جمع بين المعصية، ورأها حسنة، من الكفران، ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده، والحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم ومشيههم عليها، خداع لأنفسهم. يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، من قبيح الصفات وشنائع السمات، وأن طريقتهم مخادعة الله تعالى، أي: بما أظهره من الإيمان وأبطونه ذكرهم لله تعالى. وأنهم قد هدامهم الله ووفقهم للصراط المستقيم. فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين وليختار أيهما أولى به، وبالله المستعان. 143 تدل بتبنيها على أن المؤمنين متصفون بضدها، من الصدق ظاهرا وباطنا، والإخلاص، وأنهم لا يجهل ما عندهم، ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم، وكثرة يضل الله فلن تجد له سبيلا أي: لن تجد طريقا لهديته ولا وسيلة لترك غوايته، لأنه انغلق عنه باب الرحمة، وصار بدله كل نقمة. فهذه الأوصاف المذمومة فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا، ولا من الكافرين ظاهرا وباطنا. أعطوا باطنهم للكافرين وظاهرهم للمؤمنين، وهذا أعظم ضلال يقدر. ولهذا قال: ومن مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أي: مترددين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يعذب أحدا قبل قيام الحجة عليه، وفيه التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطانا مبينا. 144 عليكم سلطانا مبينا أي: حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أذرننا وحذرننا منها، وأخبرنا بما فيها من المفساد، فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب. وفي هذه اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة، وأن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن تجعلوا لله لما ذكر أن من صفات المنافقين

تحت تلك القضية وغيرها، ولثلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم. 145 في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب عليه ثوابا أو عقابا وكان ذلك مشتركا بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تدرج أجرا عظيما، مع أن السياق فيهم. بل قال: وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما لأن هذه القاعدة الشريفة لم يزل الله يبدي فيها ويعيد، إذا كان السياق لفضلها وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليها، ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما. وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، وكون الإخلاص منافيا كل المنافاة للنفاق، فذكرهما الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: وأصلحوا لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما خصوصا في هذا المقام ويوم القيامة وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما لا يعلم كنهه إلا الله، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتأمل كيف خص لله فقصدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسلموا من الرياء والنفاق، فمن اتصف بهذه الصفات فأولئك مع المؤمنين أي: في الدنيا، والبرزخ، له الظواهر والبواطن واعتصموا بالله والتجأوا إليه في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم. وأخلصوا دينهم الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا من من الله عليهم بالتوبة من السيئات. وأصلحوا من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه أسفل الدرجات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في

تفسير السعدي

تحتة تلك القضية وغيرها، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم. 146 في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب عليه ثواباً أو عقاباً وكان ذلك مشتركاً بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تدرج أجراً عظيماً، مع أن السياق فيه. بل قال: وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً لأن هذه القاعدة الشريفة لم يزل الله يبدي فيها ويعيد، إذا كان السياق لفضلها وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما، ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما. وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، وكون الإخلاص منافياً كل المنافاة للنفاق، فذكرهما الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: وأصلحوا لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما خصوصاً في هذا المقام ويوم القيامة وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً لا يعلم كنهه إلا الله، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتأمل كيف خص الله فقصدها وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسلموا من الرياء والنفاق، فمن اتصف بهذه الصفات فأولئك مع المؤمنين أي: في الدنيا، والبرزخ، له الظواهر والباطن واعتصموا بالله والتجأوا إليه في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم. وأخلصوا دينهم الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا من من الله عليهم بالتوبة من السيئات. وأصلحوا من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه أسفل الدرجات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوه بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في

المطيع لنفسه. والشكر هو خضوع القلب واعترافه بنعمة الله، وثناء اللسان على المشكور، وعمل الجوارح بطاعته وأن لا يستعين بنعمه على معاصيه. 147 التوبة والإنابة والرجوع إليه، فإذا أنبتم إليه، فأى شيء يفعل بعدابكم؟ فإنه لا يتشفى بعدابكم، ولا ينتفع بعقابكم، بل العاصي لا يضر إلا نفسه، كما أن عمل الإحسان. ومن ترك شيئاً لله أعطاه الله خيراً منه. ومع هذا يعلم ظاهرهم وباطنهم، وأعمالهم وما تصدر عنه من إخلاص وصدق، وضد ذلك. وهو يريد منكم فقال: ما يفعل الله بعدابكم إن شكرتم وآمنتم والحال أن الله شاكر عليم. يعطي المتحلمين لأجله الأثقال، الدائبين في الأعمال، جزيل الثواب وواسع ثم أخبر تعالى عن كمال غناه وسعة حلمه ورحمته وإحسانه

فيسمع أقوالكم، فاحذروا أن تتكلموا بما يغضب ربكم فيعاقبكم على ذلك. وفيه أيضاً ترغيب على القول الحسن. عليم بنياتكم ومصدر أقوالكم. 148 فمن عفا وأصلح فأجره على الله وكان الله سميعاً عليمًا ولما كانت الآية قد اشتملت على الكلام السيئ والحسن والمباح، أخبر تعالى أنه سميع ويجهل بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعفوه وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: الله. ويدل مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين. وقوله: إلا من ظلم أي: فإنه يجوز له أن يدعوا على من ظلمه ويتشكى منه، ذلك ويمقتة ويعاقب عليه، ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك فإن ذلك كله من المنهي عنه الذي يبغضه يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول، أي: يبغض

كما في هذه الآية. لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن أحالنا على معرفة أسمائه وأن ذلك يغنيها عن ذكر ثوابها الخاص. 149 قدرته. وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، أحسن الله إليه، فلماذا قال: فإن الله كان عفواً قديراً أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن أو تعفوا عن سوء أي: عمن ساءكم في أبدانكم وأموالكم وأعراضكم، فتسمحوا عنه، فإن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا لله عفا الله عنه، ومن أحسن ثم قال تعالى: إن تبدوا خيراً أو تخفوه وهذا يشمل كل خير قول وفعل، ظاهر وباطن، من واجب ومستحب.

ليست منسوخة، وإنما هي مغياة إلى ذلك الوقت، فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتى جعل الله له سبيلاً، وهو رجم المحسن وجلد غير المحسن. 15 فإن الحبس من جملة العقوبات حتى يتوفاهن الموت أي: هذا منتهى الحبس. أو يجعل الله له سبيلاً أي: طريقاً غير الحبس في البيوت، وهذه الآية فاستشهدوا عليهن أربعة منكم أي: من رجالكم المؤمنين العدول. فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت أي: احبسوهن عن الخروج الموجب للريبة. وأيضاً أي: النساء اللاتي يأتين الفاحشة أي: الزنا، ووصفها بالفاحشة لشناعتها وقبحها.

هم الكافرون حقا ذكر عقاباً شاملاً لهم ولكل كافر فقال: وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً كما تكبروا عن الإيمان بالله، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي. 150 كفروا به موجود مثلاً أو أعظم منها فيمن آمنوا به. فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي والهوى ومجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلاً، ولما ذكر أن هؤلاء الإيمان به أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدرحون بها في النبي الذي أنه به مؤمن، ولهذا قال: أولئك هم الكافرون حقا وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر. ووجه كونهم كافرين حتى بما زعموا رسله فقد عادى الله وعادى جميع رسله، كما قال تعالى: من كان عدواً لله والآيات. وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم إن هذا إلا مجرد أمانى. فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله. فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحداً من مؤمن بالله وبرسله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله. وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا سبيل ينجي من عذاب الله،

هنا قسمان قد وضحا لكل أحد:

هم الكافرون حقا ذكر عقابا شاملا لهم ولكل كافر فقال: وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا كما تكبروا عن الإيمان بالله، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي. 151 كفروا به موجود مثلها أو أعظم منها فيمن آمنوا به. فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي والهوى ومجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلها، ولما ذكر أن هؤلاء الإيمان به أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدرحون بها في النبي الذي أنه به مؤمن، ولهذا قال: أولئك هم الكافرون حقا وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر. ووجه كونهم كافرين حتى بما زعموا رسله فقد عادى الله وعادى جميع رسله، كما قال تعالى: من كان عدوا لله والآيات. وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم إن هذا إلا مجرد أمانى. فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله. فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحدا من مؤمن بالله وبرسله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله. وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا سبيل ينجي من عذاب الله، هنا قسمان قد وضحا لكل أحد:

حسن، وخلق جميل، كل على حسب حاله. ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم، وكان الله غفورا رحيمًا يغفر السيئات ويتقبل الحسنات. 152 بهم كلهم، فهذا هو الإيمان الحقيقي، واليقين المبني على البرهان. أولئك سوف يؤتيهم أجورهم أي: جزاء إيمانهم وما ترتب عليه من عمل صالح، وقول بالله ورسله وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه وبكل ما جاءت به الرسل من الأخبار والأحكام. ولم يفرقوا بين أحد من رسله، بل آمنوا والذين آمنوا

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 153 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علامات الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم نبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوههم إلى ما هم عليه من الضلال والغى. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفعال لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالقوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلها يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخير أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 154

تفسير السعدي

لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلوكها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رعوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزول هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 155 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلوكها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن

تفسير السعدي

الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلها يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما جعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 156 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة، يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علامات الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلوكها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوههم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلها يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما جعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 157 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا

تفسير السعدي

هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغير من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159 :- هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عده فهو ضلال وباطل. 158
لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه

تفسير السعدي

أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبب فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما جعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 159 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقياهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلوكها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوههم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبب فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما جعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

يشاهد عيانا، من غير تعريض ولا كناية. ويؤخذ منهما أن الأذية بالقول والفعل والحبس، قد شرعه الله تعزيرا لجنس المعصية الذي يحصل به الزجر. 16 الصحيحة، وتومئ إليه هذه الآية لما قال: فاستشهدوا عليهن أربعة منكم لم يكتف بذلك حتى قال: فإن شهدوا أي: لا بد من شهادة صريحة عن أمر هذه الفاحشة، ستر لعباده، حتى إنه لا يقبل فيها النساء منفردات، ولا مع الرجال، ولا ما دون أربعة. ولا بد من التصريح بالشهادة، كما دلت على ذلك الأحاديث

تفسير السعدي

ما صدر منهم. ويؤخذ من هاتين الآيتين أن بيئة الزنا، لا بد أن تكون أربعة رجال مؤمنين، ومن باب أولى وأحرى اشتراط عدالتهم؛ لأن الله تعالى شدد في أمر إن الله كان تواباً رحيماً أي: كثير التوبة على المذنبين الخطائين، عظيم الرحمة والإحسان، الذي من إحسانه وفهمه للتوبة وقبلها منهم، وسامحهم عن فإن تابا أي: رجعا عن الذنب الذي فعلاه وندما عليه، وعزما على أن لا يعودوا وأصلحا العمل الدال على صدق التوبة فأعرضوا عنها أي: عن أذاهما فعلى هذا يكون الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون، والنساء يحبسن ويؤذبن. فالحبس غايته إلى الموت، والأذية نهايتها إلى التوبة والإصلاح، ولهذا قال: وكذلك اللذان يأتياها أي: الفاحشة منكم من الرجال والنساء فأذوهما بالقول والتوبيخ والتعيير والضرب الرادع عن هذه الفاحشة،

الطيبات التي كانوا بصدد حلها، لكونها طيبة، وأما التحريم الذي على هذه الأمة فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم. 160 الله، ومنعهم إياهم من الهدى، وبأخذهم الربا وقد نهوا عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبائعونه عن العدل، فعاقبهم الله من جنس فعلهم فمنعهم من كثير من ثم أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيرا من الطيبات التي كانت حلالا عليهم، وهذا تحريم عقوبة بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصددهم الناس عن سبيل الطيبات التي كانوا بصدد حلها، لكونها طيبة، وأما التحريم الذي على هذه الأمة فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم. 161 الله، ومنعهم إياهم من الهدى، وبأخذهم الربا وقد نهوا عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبائعونه عن العدل، فعاقبهم الله من جنس فعلهم فمنعهم من كثير من ثم أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيرا من الطيبات التي كانت حلالا عليهم، وهذا تحريم عقوبة بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصددهم الناس عن سبيل الوعيد ورجوا الوعد. أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما لأنهم جمعوا بين العلم والإيمان والعمل الصالح، والإيمان بالكتب والرسول السابقة واللاحقة. 162 الصالحة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللذين هما أفضل الأعمال، وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود والإحسان إلى العبيد. وآمنوا باليوم الآخر فخافوا في العلم أي: الذين ثبت العلم في قلوبهم ورسخ الإيقان في أفئدتهم فأثمر لهم الإيمان التام العام بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وأثمر لهم الأعمال لما ذكر معائب أهل الكتاب، ذكر الممدوحين منهم فقال: لكن الراسخون

ضرورة تقدر فأزال هذا الاضطراب، فله الحمد وله الشكر. ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم، أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم، إنه جواد كريم. 163 وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وذلك أيضا من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم على الله حجة لإرساله الرسل تترى يبينون لهم أمر دينهم، ومراضى ربهم ومساخطة وطرق الجنة وطرق النار، فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه. الله وخالفهم بشقاوة الدارين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير فلم يبق للخلق رسوله، ومنهم من لم يقصصه عليه، وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم، بالسعادة الدنيوية والأخروية، ومنذرين من عصى كلم موسى تكليما، أي: مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال: موسى كلمه الرحمن. وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم، فذكر أنه أتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كذلك نجزي المحسنين فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه. والرسل خصوصا هؤلاء المسمون في المرتبة العليا من الإحسان. ولما ويكون ذلك مصداقا لقوله: سلام على نوح في العالمين سلام على إبراهيم سلام على موسى وهارون سلام على إيل ياسين إنا من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستنانا بسنتهم ومعرفة بحقوقهم، وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين. ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا. ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوتهم دعوتهم؛ الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد. ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا عدة فوائد: منها: أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل، بل أرسل تفسير الآيات من 163 حتى 165: - يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم

ضرورة تقدر فأزال هذا الاضطراب، فله الحمد وله الشكر. ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم، أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم، إنه جواد كريم. 164 وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وذلك أيضا من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم على الله حجة لإرساله الرسل تترى يبينون لهم أمر دينهم، ومراضى ربهم ومساخطة وطرق الجنة وطرق النار، فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه. الله وخالفهم بشقاوة الدارين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير فلم يبق للخلق رسوله، ومنهم من لم يقصصه عليه، وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم، بالسعادة الدنيوية والأخروية، ومنذرين من عصى كلم موسى تكليما، أي: مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال: موسى كلمه الرحمن. وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم، فذكر أنه أتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كذلك نجزي المحسنين فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه. والرسل خصوصا هؤلاء المسمون في المرتبة العليا من الإحسان. ولما ويكون ذلك مصداقا لقوله: سلام على نوح في العالمين سلام على إبراهيم سلام على موسى وهارون سلام على إيل ياسين إنا من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستنانا بسنتهم ومعرفة بحقوقهم،

تفسير السعدي

وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين. ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا. ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعترف بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد. ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا عدة فوائد: منها: أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببعد من الرسل، بل أرسل تفسير الآيات من 163 حتى 165 :- يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم

ضرورة تقدر فأزال هذا الاضطراب، فله الحمد وله الشكر. ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم، أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم، إنه جواد كريم. 165 وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وذلك أيضا من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم على الله حجة لإرساله الرسل تنرى يبينون لهم أمر دينهم، ومراضى ربهم ومساخطة وطرق الجنة وطرق النار، فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه. الله وخالفهم بشقاوة الدارين، لنلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير فلم يبق للخلق رسوله، ومنهم من لم يقصصه عليه، وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم، بالسعادة الدنيوية والأخروية، ومنذرين من عصى كلم موسى تكليما، أي: مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال: موسى كليم الرحمن. وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم، فذكر أنه أتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كذلك نجزي المحسنين فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه. والرسل خصوصا هؤلاء المسمون في المرتبة العليا من الإحسان. ولما ويكون ذلك مصداقا لقوله: سلام على نوح في العالمين سلام على إبراهيم سلام على موسى وهارون سلام على إيل ياسين إنا

من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستئناسا بسنتهم ومعرفة بحقوقهم، وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين. ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا. ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعترف بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد. ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا عدة فوائد: منها: أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببعد من الرسل، بل أرسل تفسير الآيات من 163 حتى 165 :- يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم

قال تعالى في الشهادة على التوحيد: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم وكفى بالله شهيدا. 166 وإخباره تعالى بشهادة الملائكة على ما أنزل على رسوله، لكمال إيمانهم ولجلالة هذا المشهود عليه. فإن الأمور العظيمة لا يستشهد عليها إلا الخواص، كما ويخذل أعداءه وينصر أوليائه، فهل توجد شهادة أعظم من هذه الشهادة وأكبر؟ ولا يمكن القدح في هذه الشهادة إلا بعد القدح بعلم الله وقدرته وحكمته عليه، وأنه دعا الناس إليه، فمن أجابه وصدقته كان وليه، ومن كذبه وعاداه كان عدوه واستباح ماله ودمه، والله تعالى يمكنه ويوالي نصره ويجيب دعواته، في ذلك إشارة وتنبية على وجه شهادته، وأن المعنى: إذا كان تعالى أنزل هذا القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي، وهو يعلم ذلك ويعلم حالة الذي أنزله فيه من العلوم الإلهية والأحكام الشرعية والأخبار الغيبية ما هو من علم الله تعالى الذي علم به عبادته. ويحتمل أن يكون المراد: أنزله صادرا عن علمه، ويكون إلى إخوانه من المرسلين، أخبرنا بشهادته تعالى على رسالته وصحة ما جاء به، وأنه أنزله بعلمه يحتمل أن يكون المراد أنزله مشتملا على علمه، أي: لما ذكر أن الله أوحى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى

ودعاة الضلال قد ضلوا ضلالا بعيدا وأي ضلال أعظم من ضلال من ضل بنفسه وأضل غيره، فباء بالإثمين ورجع بالخسارتين وفاتته الهدايتان 167 ثم تواعد من كفر بهم فقال: إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أي: جمعوا بين الكفر بأنفسهم وصددهم الناس عن سبيل الله. وهؤلاء هم أئمة الكفر عليهم وأخبر برسالة خاتمهم محمد، وشهد بها وشهدت ملائكته لزم من ذلك ثبوت الأمر المقرر والمشهود به، فوجب تصديقهم، والإيمان بهم واتباعهم. لما أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله وسلامه

بظلام للعبيد وكان ذلك على الله يسيرا أي: لا يبالي الله بهم ولا يعاب، لأنهم لا يصلحون للخير، ولا يليق بهم إلا الحالة التي اختاروها لأنفسهم. 168 وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية لأنهم استمروا في طغيانهم، وازدادوا في كفرانهم فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا، وما ربك أعمال الكفر والاستغراق فيه، فهؤلاء بعيدون من المغفرة والهداية للصراط المستقيم. ولهذا قال: لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم إن الذين كفروا وظلموا وهذا الظلم هو زيادة على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه. والمراد بالظلم هنا

بظلام للعبيد وكان ذلك على الله يسيرا أي: لا يبالي الله بهم ولا يعاب، لأنهم لا يصلحون للخير، ولا يليق بهم إلا الحالة التي اختاروها لأنفسهم. 169 وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية لأنهم استمروا في طغيانهم، وازدادوا في كفرانهم فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا، وما ربك أعمال الكفر والاستغراق فيه، فهؤلاء بعيدون من المغفرة والهداية للصراط المستقيم. ولهذا قال: لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم إن الذين كفروا وظلموا وهذا الظلم هو زيادة على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه. والمراد بالظلم هنا

تفسير السعدي

ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدم توفيقه. والله أعلم. 17

الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: وكان الله عليهما حكيما فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلا منهما بحسب نفسه باب الرحمة. نعم قد يوفق الله عبده المصير على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جنائياته، ولكن فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة. والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على الإقلاع من حين صدور الذنب وأتاب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفات راسخة تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل أن يكون معنى قوله: من قريب أي: قريب من فعلهم للذنب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وقال هنا: وليست التوبة للذين يعملون السيئات أي: المعاصي فيما دون الكفر. حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل الآية. وقال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاناة الموت والعذاب قطعا. وأما بعد حضور الموت فلا يقبل من العاصين توبة ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى عن فرعون: عالما بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها ثم يتوبون من قريب يحتمل أن يكون المعنى: ثم يتوبون قبل معاناة الموت، فإن الله لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تنول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان فأخبر هنا أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرما منه وجودا، لمن عمل السوء أي: المعاصي بجهالة أي: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها توبة الله على عباده نوعان: توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد،

وكان الله عليهما بكل شيء حكيما في خلقه وأمره. فهو العليم بمن يستحق الهداية والغواية، الحكيم في وضع الهداية والغواية موضعهما. 170

إلا نفسه، والله تعالى غني عنه لا تضره معصية العاصين، ولهذا قال: فإن لله ما في السماوات والأرض أي: الجميع خلقه وملكه، وتحت تدبيره وتصريفه الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه. وأما مضره عدم الإيمان به صلى الله عليه وسلم فيعرف بضد ما يترتب على الإيمان به. وأن العبد لا يضر وأجل فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم والعمل الصالح والسرور والأفراح، والجنة وما اشتملت عليه من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان. كما أن لكم والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم وديارهم وأخراهم. وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله. وكلما ازداد به العبد بصيرة، ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان. وأما الفائدة في الإيمان فأخبر أنه خير وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح، ورشد وعدل وإحسان، وصدق وبر وصلة وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد والبغي والظلم وسوء الخلق، والكذب به من الشرع العظيم والصراط المستقيم. فإن فيه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلية، والخبر عن الله وعن اليوم الآخر ما لا يعرف إلا بالوحي والرسالة. نفس إرسال الرسول إليهم، ليعرفهم الهدى من الضلال، والغي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته. وكذلك النظر إلى ما جاء العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن حكمته ورحمته العظيمة به، والفائدة في الإيمان به، والمضرة من عدم الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره بأنه جاءهم بالحق. أي: فمجيئه نفسه حق، وما جاء به من الشرع حق، فإن يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وذكر السبب الموجب للإيمان

له شريك منهم أو ولد. ولما أخبر أنه المالك للعالم العلوي والسفلي أخبر أنه قائم بمصالحهم الدنيوية والأخروية وحافظها، ومجازيهم عليها تعالى. 171

إلا له. سبحانه أي: تنزهه وتقديسه أن يكون له ولد لأن له ما في السماوات وما في الأرض فالكل مملوكون له مفتقرون إليه، فمحال أن يكون أنه سبيل النجاة، وما سواه فهو طريق الهلاك، ثم نزه نفسه عن الشريك والولد فقال: إنما الله إله واحد أي: هو المنفرد بالألوهية، الذي لا تنبغي العبادة ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة أحدهم عيسى، والثاني مريم، فهذه مقالة النصارى قبهم الله. فأمرهم أن ينتهوا، وأخبر أن ذلك خير لهم، لأنه الذي يتعين عليه السلام فنفع في فرج مريم عليها السلام، فحملت بإذن الله بعيسى عليه السلام. فلما بين حقيقة عيسى عليه السلام، أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسوله، من باب إضافة التشريف والتكريم. وكذلك قوله: وروح منه أي: من الأرواح التي خلقها وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، أرسل الله روحه جبريل هي أعلى الدرجات وأجل المثوبات. وأنه كلمته التي ألقاها إلى مريم أي: كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا عيسى ابن مريم رسول الله أي: غاية المسيح عليه السلام ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة التي كانت هذه قاعدة عامة كلية، وكان السياق في شأن عيسى عليه السلام نص على قول الحق فيه، المخالف لطريقة اليهودية والنصرانية فقال: إنما المسيح منهي عنهما، وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ورسالته، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور. ولما لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك، ولهذا قال: ولا تقولوا على الله إلا الحق وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع. وذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى عليه السلام، ورفعته عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية الذي ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين وهو مجاوزة

فسيحشرهم إليه جميعا أي: فسيحشر الخلق كلهم إليه، المستنكفين والمستكبرين وعباده المؤمنين، فيحكم بينهم بحكمه العدل، وجزائه الفصل. 172

الخلق فوق مرتبته التي أنزله الله فيها وترفعه عن العبادة كمالا، بل هو النقص بعينه، وهو محل الذم والعقاب، ولهذا قال: ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر

تفسير السعدي

العظيم والفوز العظيم، فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيداً لربوبيته ولا لإلهيته، بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار. ولا يظن أن رفع عيسى أو غيره من أولى، ونفي الشيء فيه إثبات ضده. أي: فعيسى والملائكة المقربون قد رغبوا في عبادة ربهم، وأحبوها وسعوا فيها بما يليق بأحوالهم، فأوجب لهم ذلك الشرف ذكر هنا أنه لا يستنكف عن عبادة ربه، أي: لا يمتنع عنها رغبة عنها، لا هو ولا الملائكة المقربون فنزههم عن الاستنكاف وتنزيههم عن الاستكبار من باب لما ذكر تعالى غلو النصارى في عيسى عليه السلام، وذكر أنه عبده ورسوله،

ينصرهم فيدفع عنهم المهرج، بل قد تخلى عنهم أرحم الراحمين، وتركهم في عذابهم خالدين، وما حكم به تعالى فلا راد لحكمه ولا مغير لقضائه. 173 والنار الموقدة التي تطلع على الأفئدة. ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً أي: لا يجدون أحداً من الخلق يتولاهم فيحصل لهم المطلوب، ولا من دنيوي رتب على الإيمان والعمل الصالح. وأما الذين استنكفوا واستكبروا أي: عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذاباً أليماً وهو سخط الله وغضبه، ودخل في ذلك كل ما في الجنة من المأكّل والمشرب، والمناجى، والمناظر والسرور، ونعيم القلب والروح، ونعيم البدن، بل يدخل في ذلك كل خير ديني التي رتبها على الأعمال، كل بحسب إيمانه وعمله. ويزيدهم من فضله من الثواب الذي لم تنله أعمالهم ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر على قلوبهم. الصالحات أي: جمعوا بين الإيمان بالمأمور به، وعمل الصالحات من واجبات ومستحبات، من حقوق الله وحقوق عباده. فيوفيههم أجورهم أي: الأجور ثم فصل حكمه فيهم فقال: فأما الذين آمنوا وعملوا

والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خير. 174 والوصول إلى جنات النعيم. وأنزلنا إليكم نورا مبينا وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم، الأفقية والنفسية سريهم آياتنا في الأفق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وفي قوله: من ربكم ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، المحجة، فقال: يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده. وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات يمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم

وبين أنفسهم، فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالاً مبيناً، عقوبة لهم على تركهم الإيمان فحصلت لهم الخيبة والحرمان، نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة. 175 أي: يوفقههم للعلم والعمل، معرفة الحق والعمل به. أي: ومن لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه، منعهم من رحمته، وحرّمهم من فضله، وخلي بينهم منه وفضل أي: فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة، فيوفقههم للخيرات ويجزل لهم المثوبات، ويدفع عنهم البليات والمكروهات. ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً كاملاً، وتنزيهه من كل نقص وعيب. واعتصموا به أي: لجأوا إلى الله واعتمدوا عليه وتبرأوا من حولهم وقوتهم واستعانوا بربهم. فسيدخلهم في رحمة انقسم الناس بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به قسمين: فأما الذين آمنوا بالله أي: اعترفوا بوجوده واتصافه بكل وصف

حاجتكم إلى بيانه وتعليمه، فيعلمكم من علمه الذي ينفعمكم على الدوام في جميع الأزمنة والأمكنة. آخر تفسير سورة النساء فله الحمد والشكر. 176 ولئلا تضلوا عن الصراط المستقيم بسبب جهلكم وعدم علمكم. والله بكل شيء عليم أي: عالم بالغيب والشهادة والأمر الماضي والمستقبل، ويعلم إخوتهم. يبين الله لكم أن تضلوا أي: يبين لكم أحكامه التي تحتاجونها، ويوضحها ويشرحها لكم فضلاً منه وإحساناً لكي تهتدوا ببيانه، وتعملوا بأحكامه، الثلاثين مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء أي: اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث فللذكر مثل حظ الأنثيين فيسقط فرض الإناث ويعصبن لأنه عاصب فيأخذ مالها كله، إن لم يكن صاحب فرض ولا عاصب يشاركه، أو ما أبقت الفروض. فإن كانتا أي: الأختان اثنتين أي: فما فوق فلهما نقود وعقار وأثاث وغير ذلك، وذلك من بعد الدين والوصية كما تقدم. وهو أي: أخوها الشقيق أو الذي للأب يرثها إن لم يكن لها ولد ولم يقدر له إرثا مع الوالد، فإذا هلك وليس له ولد ولا والد وله أخت أي: شقيقة أو لأب، لا أم، فإنه قد تقدم حكمها. فلها نصف ما ترك أي نصف متروكات أخيها، من قال: إن امرؤ هلك ليس له ولد أي: لا ذكر ولا أنثى، لا ولد صلب ولا ولد ابن. وكذلك ليس له والد، بدليل أنه ورث فيه الإخوة، والأخوات بالإجماع لا يرثون صلى الله عليه وسلم أي: في الكلاله بدليل قوله: قل الله يفتيككم في الكلاله وهي الميت يموت وليس له ولد صلب ولا ولد ابن، ولا أب، ولا جد، ولهذا أخبر تعالى أن الناس استفتوا رسوله

ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدم توفيقه. والله أعلم. 18 الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: وكان الله عليماً حكيماً فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلا منهما بحسب نفسه باب الرحمة. نعم قد يوفق الله عبده المصّر على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جنائياته، ولكن فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة. والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على الإقلاع من حين صدور الذنب وأتاب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفات راسخة تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل أن يكون معنى قوله: من قريب أي: قريب من فعلهم للذنوب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وقال هنا: وليست التوبة للذين يعملون السيئات أي: المعاصي فيما دون الكفر.

تفسير السعدي

حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل الآية. وقال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعا. وأما بعد حضور الموت فلا يقبل من العاصين توبة ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى عن فرعون: عالما بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها ثم يتوبون من قريب يحتمل أن يكون المعنى: ثم يتوبون قبل معاينة الموت، فإن الله لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تنول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان فأخبر هنا أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرما منه وجودا، لمن عمل السوء أي: المعاصي بجهالة أي: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها توبة الله على عباده نوعان: توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد،

نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور. فإن كان لا بد من الفراق، وليس للإمساك محل، فليس الإمساك بلازم. 19 عدم محبته لها فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة. وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك. وربما رزق منها ولدا صالحا تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرا كثيرا. من ذلك امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة. ومنها أن إجباره نفسه مع ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال. فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا أي: ينبغي لكم أيها الأزواج أن الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في منه إذا كان عضلا بالعدل. ثم قال: وعاشروهن بالمعروف وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحة هو مفهوم قوله: كرها وإذا أتيتن بفاحشة مبينة كالزنا والكلام الفاحش وأذيتها لزوجها فإنه في هذه الحال يجوز له أن يعضلها، عقوبة لها على فعلها لتفتدي زوجته التي يكون يكرهها ليذهب ببعض ما آتاها، فهي الله المؤمنين عن جميع هذه الأحوال إلا حالتين: إذا رضيت واختارت نكاح قريب زوجها الأول، كما وإن لم يرضها عضلها فلا يزوجه إلا من يختاره هو، وربما امتنع من تزويجها حتى تبدل له شيئا من ميراث قريبه أو من صداقها، وكان الرجل أيضا يعضل عن زوجته، رأى قريبه كأخيه وابن عمه ونحوهما أنه أحق بزوجه من كل أحد، وحماها عن غيره، أحبت أو كرهت. فإن أحبها تزوجه على صداق يحبه دونها، كانوا في الجاهلية إذا مات أحدهم

ولاية المؤتي على ماله. وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه والقيام به بما يصلحه وينميهِ وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار. 2 استبدال الخبيث بالطيب أن يأخذ الولي من مال اليتيم النفيس، ويجعل بدله من ماله الخسيس. وفيه الولاية على اليتيم، لأن من لازم إيتاء اليتيم ماله، ثبوت الحالة، التي قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له من الرزق في ماله. فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى حوبا كبيرا أي: إثما عظيما، ووزرا جسيما. ومن مال اليتيم بغير حق. بالطيب وهو الحلال الذي ما فيه حرج ولا تبعة. ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي: مع أموالكم، ففيه تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه أن يحسنوا إليهم، وأن لا يقرّبوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، وأن يؤتوهم أموالهم إذا بلغوا ورشدوا، كاملة موفرة، وأن لا تتبدلوا الخبيث الذي هو أكل به من حقوق الخلق في هذه السورة. وهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافرين لهم، وهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم. فأمر الرؤوف الرحيم عباده وقوله تعالى: وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا هذا أول ما أوصى

تضمن مفسدة دينية وعدم مصلحة تقاوم ثم قال: أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً فإن هذا لا يحل ولو تحيلتم عليه بأنواع الحيل، فإن إثمه واضح. 20 الله عليه وسلم في تخفيف المهر. ووجه الدلالة أن الله أخبر عن أمر يقع منهم، ولم ينكره عليهم، فدل على عدم تحريره لكن قد ينهي عن كثرة الصداق إذا كثيرا. فلا تأخذوا منه شيئا بل وفروه لهن ولا تمطلوا بهن. وفي هذه الآية دلالة على عدم تحرير كثرة المهر، مع أن الأفضل واللائق الاقتداء بالنبي صلى زوج أي: تطليق زوجة وتزوج أخرى. أي: فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج. ولكن إذا آتيتن إحداهن أي: المفارقة أو التي تزوجه قنطارا أي: مالا بل متى أردتم استبدال زوج مكان

يستوفي المعوض ثم بعد ذلك يرجع على العوض؟ هذا من أعظم الظلم والجور، وكذلك أخذ الله على الأزواج ميثاقا غليظا بالعقد، والقيام بحقوقها. 21 بها وأفضى إليها وياشرها المباشرة التي كانت حراما قبل ذلك، والتي لم ترض ببذلها إلا بذلك العوض، فإنه قد استوفى المعوض فثبت عليه العوض. فكيف إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا وبيان ذلك: أن الزوجة قبل عقد النكاح محرمة على الزوج ولم ترض بحلها له إلا بذلك المهر الذي يدفعه لها، فإذا دخل وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم

والأب ابنه، مع الأمر ببره. وساء سبيلا أي: بنس الطريق طريقا لمن سلكه لأن هذا من عوائد الجاهلية، التي جاء الإسلام بالتنزه عنها والبراءة منها. 22 تزوجهن أبائكم أي: الأب وإن علا. إنه كان فاحشة أي: أمرا قبيحا يفحش ويعظم قبحه. ومقتا من الله لكم ومن الخلق بل يمقت بسبب ذلك الابن أباه أي: لا تتزوجوا من النساء ما

امرأتين بينهما رحم محرّم لو قدر إحداهما ذكرا والأخرى أنثى حرمت عليه فإنه يحرم الجمع بينهما، وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام. 23 والله أعلم. وأما المحرمات بالجمع فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحرمه وحرّم النبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، فكل تحرير الربيبة وأنها كانت بمنزلة البنات فمن المستقبح إباحتها. والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن. حجوركم قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره ولكن للتقيد بذلك فاندتان: إحداها: فيه التنبيه على الحكمة في

تفسير السعدي

فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجه كما قال هنا وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الآية. وقد قال الجمهور: إن قوله: اللاتي في وحلائل الأبناء وإن نزلوا، وارثين أو محجوبين. وأمها الزوجة وإن علون، فهؤلاء الثلاث يحرمن بمجرد العقد. والرابعة: الربيبة وهي بنت زوجته وإن نزلت، المرتضع إلى ذريته فقط. لكن بشرط أن يكون الرضاع خمس رضعات في الحولين كما بينت السنة. وأما المحرمات بالصهر فهن أربع. حلائل الآباء وإن علوا، النبي صلى الله عليه وسلم: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فينتشر التحريم من جهة المرضعة ومن له اللبن كما ينتشر في الأقارب، وفي الطفل إنما هو لصاحب اللبن، دل بتبنيها على أن صاحب اللبن يكون أباً للمرتضع فإذا ثبتت الأبوة والأمومة ثبت ما هو فرع عنهما كإخوتهما وأصولهم وفروعهم وقال وراء ذلك وذلك كبنيت العمه والعمة وبنت الخال والخالة. وأما المحرمات بالرضاع فقد ذكر الله منهن الأم والأخت. وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، الأخ وبنت الأخت أي: وإن نزلت. فهؤلاء هن المحرمات من النسب بإجماع العلماء كما هو نص الآية الكريمة وما عداهن فيدخل في قوله: وأحل لكم ما لك عليها ولادة، والأخوات الشقيقات، أو لأب أو لأم. والعمة: كل أخت لأبيك أو لجدك وإن علا. والخالة: كل أخت لأمك، أو جدتك وإن علت وارثة أم لا. وبناات المحلات من النساء. فأما المحرمات في النسب فهن السبع اللاتي ذكرهن الله. الأم يدخل فيها كل من لها عليك ولادة، وإن بعدت، ويدخل في البنت كل من هذه الآيات الكريمات مشتملات على المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع، والمحرمات بالصهر، والمحرمات بالجمع، وعلى

كان عليهما حكيماً أي: كامل العلم واسع، كامل الحكمة: فمن علمه وحكمته شرع لكم هذه الشرائع وحد لكم هذه الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام. 24. حرما النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يؤمر بتوقيتها وأجرها، ثم إذا انقضى الأمد الذي بينهما فتراضيا بعد الفريضة فلا حرج عليهما، والله أعلم. إن الله أو إسقاط من الزوجة عن رضا وطيب نفس هذا قول كثير من المفسرين، وقال كثير منهم: إنها نزلت في متعة النساء التي كانت حلالاً في أول الإسلام ثم معنى قوله فريضة: أي: مقدرة قد قدرتموها فوجبت عليكم، فلا تنقصوا منها شيئاً. ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة أي: بزيادة من الزوج الزوج بزوجه تقرر عليه صداقها فريضة أي: إتيانكم إياهن أجورهن فرض فرضه الله عليكم، ليس بمنزلة التبرع الذي إن شاء أمضاه وإن شاء رده. أو والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك. فما استمتعتم به منهن أي: ممن تزوجتموهن فاتوهن أجورهن أي: الأجور في مقابلة الاستمتاع. ولهذا إذا دخل شهوته في الحرام فتضعف داعيته للحلال فلا يبقى محصناً لزوجته. وفيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف لقوله تعالى: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة أي: مستعفين عن الزنا، ومعفين نساءكم. غير مسافحين والسفح: سفح الماء في الحلال والحرام، فإن الفاعل لذلك لا يحصن زوجته لكونه وضع من الله ورحمة وتيسيراً للعباد. وقوله: أن تبتغوا بأموالكم أي: تطلبوا من وقع عليه نظركم واختياركم من اللاتي أباحهن الله لكم حالة كونكم محصنين من الحرام. ودخل في قوله: وأحل لكم ما وراء ذلكم كل ما لم يذكر في هذه الآية، فإنه حلال طيب. فالحرام محصور والحلال ليس له حد ولا حصر لطفاً الأول ولقصة بريرة حين خيرها النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: كتاب الله عليكم أي: الزموا واهتدوا به فإن فيه الشفاء والنور وفيه تفصيل الحلال بالسبي، فإذا سبيت الكافرة ذات الزوج حلت للمسلمين بعد أن تستبرأ. وأما إذا بيعت الأمة المزوجة أو وهبت فإنه لا يفسخ نكاحها لأن المالك الثاني نزل منزلة في النكاح والمحصنات من النساء أي: ذوات الأزواج. فإنه يحرم نكاحهن ما دمن في ذمة الزوج حتى تطلق وتنقضي عدتها. إلا ما ملكت أيما نكح أي: و من المحرمات

الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنوب عباده كما ورد بذلك الحديث. وحكم العبد الذكر في الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بينهما. 25. الكريمين الغفور والرحيم لكون هذه الأحكام رحمة بالعباد وكرماً وإحساناً إليهم فلم يضيق عليهم، بل وسع غاية السعة. ولعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد، إنما عليهن تعزير يردعهن عن فعل الفاحشة. وعلى القول الثاني: إن الإماء غير المسلمات، إذا فعلن فاحشة أيضاً عزرن. وختم هذه الآية بهذين الاسمين الذي يمكن تنصيفه وهو: الجلد فيكون عليهن خمسون جلدة. وأما الرجم فليس على الإماء رجم لأنه لا يتنصف، فعلى القول الأول إذا لم يتزوجن فليس عليهن خير لكم والله غفور رحيم. وقوله: فإذا أحصن أي: تزوجن أو أسلمن أي: الإماء فعليهن نصف ما على المحصنات أي: الحرائر من العذاب وذلك من تعريض الأولاد للرق، ولما فيه من الدناءة والعيب. وهذا إذا أمكن الصبر، فإن لم يمكن الصبر عن المحرم إلا بنكاحهن وجب ذلك. ولهذا قال: وأن تصبروا بهن والعفة ظاهراً وباطناً، وعدم استطاعة طول الحرية، وخوف العنت، فإذا تمت هذه الشروط جاز له نكاحهن. ومع هذا فالصبر عن نكاحهن أفضل لما فيه مسافحات أي: زانيات علانية. ولا متخذات أخدان أي: أخلاء في السر. فالحاصل أنه لا يجوز للحر المسلم نكاح أمة إلا بأربعة شروط ذكرها الله: الإيمان بالمعروف أي: ولو كن إماء، فإنه كما يجب المهر للحره فكذلك يجب للأمة. ولكن لا يجوز نكاح الإماء إلا إذا كن محصنات أي: عفيفات عن الزنا غير ظواهر الأمور، وأحكام الآخرة مبنية على ما في البواطن. فانكحوهن أي: المملوكات بإذن أهلن أي: سيدهن واحداً أو متعدداً. وآتوهن أجورهن أي: الزنا والمشقة الكثيرة، فيجوز له نكاح الإماء المملوكات المؤمنات. وهذا بحسب ما يظهر، وإلا فالله أعلم بالمؤمن الصادق من غيره، فأمر الدنيا مبنية على ثم قال تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الآية. أي: ومن لم يستطع الطول الذي هو المهر لنكاح المحصنات أي: الحرائر المؤمنات وخاف على نفسه العنت

هذه الأشياء والحدود. ومن حكمته أنه يتوب على من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخزل من اقتضت حكمته وعدله من لا يصلح للتوبة. 26. يتوب عليهم بقبول ما وفقهم له. فله الحمد والشكر على ذلك. وقوله: والله عليم حكيم أي: كامل الحكمة، فمن علمه أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ومنها بسبب ما يسر الله عليكم فهذا من توبته على عباده. ومن توبته عليهم أنهم إذا أذنبوا فتح لهم أبواب الرحمة وأوزع قلوبهم الإنابة إليه، والتذلل بين يديه ثم في العلم والعمل. ويتوب عليكم أي: يلطف لكم في أحوالكم وما شرعه لكم حتى تمكنوا من الوقوف على ما حده الله، والاكتفاء بما أحله فتقل ذنوبكم سيرهم الحميدة، وأفعالهم السديدة، وشمائلهم الكاملة، وتوفيقهم التام. فلذلك نفذ ما أراه، ووضح لكم وبين بيانا كما بين لمن قبلكم، وهداكم هداية عظيمة

تفسير السعدي

أي: جميع ما تحتاجون إلى بيانه من الحق والباطل، والحلال والحرام، ويهديكم سنن الذين من قبلكم أي: الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم، في يخبر تعالى بمنته العظيمة ومنحته الجسيمة، وحسن تربيته لعباده المؤمنين وسهولة دينه فقال: يريد الله لبيبي لكم

وسعادتكم، وأن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرؤنكم بما فيه غاية الخسار والشقاء، فاختاروا لأنفسكم أولى الداعيين، وتخيروا أحسن الطريقتين. 27 الشيطان، وعن التزام حدود من السعادة كلها في امتثال أوامره، إلى من الشقاوة كلها في اتباعه. فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه صلاحكم وفلاحكم أن تميلوا ميلا عظيما أي: أن تنحرفوا عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين. يريدون أن يصرفوكم عن طاعة الرحمن إلى طاعة معها حيث مالت ويقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم، ويعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة والعاصين، المقدمين لأهوائهم على طاعة ربهم، فهؤلاء يريدون وقوله: والله يريد أن يتوب عليكم أي: توبة تلم شعثكم، وتجمع متفرقكم، وتقرب بعيدكم. ويريد الذين يتبعون الشهوات أي: يميلون

وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته. 28 للمضطر، وكتزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة. وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، أن يخفف عنكم أي: بسهولة ما أمركم به و ما نهاكم عنه، ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم ونحوهما يريد الله

طريق حصل الرضا انعقد به العقد. ثم ختم الآية بقوله: إن الله كان بكم رحيما ومن رحمته أن عصم دماءكم وأموالكم وصانها ونهاكم عن انتهاكها. 29 عليه شبيهه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا فلا ينفذ عقده. وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا فبأي من المتعاقدين ويأتي به اختيارا. ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوما، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدورا على تسليمه، لأن غير المقدور وشرط التراضي مع كونها تجارة لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا لأن الربا ليس من التجارة، بل مخالف لمقصودها، وأنه لا بد أن يرضى كل ماله، أباح لهم ما فيه مصلحتهم من أنواع المكاسب والتجارات، وأنواع الحرف والإجازات، فقال: إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم أي: فإنها مباحة لكم. الواحد، حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية. ولما نهى عن أكل الأموال بالباطل التي فيها غاية الضرر عليهم، على الأكل، ومن أخذ الغير ونفس الغير فقط. مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصلحتهم كالجسد ومال نفسك وقتل نفسك وقتل غيرك بعبارة أخصر من قوله: لا يأكل بعضكم مال بعض ولا يقتل بعضكم بعضا مع قصور هذه العبارة على مال وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبته من الحدود. وتأمل هذا الإيجاز والجمع في قوله: لا تأكلوا أموالكم ولا تقتلوا أنفسكم كيف شمل أموال غيرك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك إن الله كان بكم رحيما ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتهما الخالية من الموانع، المشتتة على الشروط من التراضي وغيره. ولا تقتلوا أنفسكم أي: لا يقتل بعضكم بعضا، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك في ذلك أكل مال نفسك على وجه البطر والإسراف، لأن هذا من الباطل وليس من الحق. ثم إنه لما حرم أكلها بالباطل أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة. بل لعله يدخل

منه الجور والظلم، وعدم القيام بالواجب ولو كان مباحا أنه لا ينبغي له أن يتعرض، له بل يلزم السعة والعافية، فإن العافية خير ما أعطي العبد. 3 عليه القسم في ملك اليمين ذلك أي: الاقتصار على واحدة أو ما ملكت اليمين أدنى ألا تعولوا أي: تظلموا. وفي هذا أن تعرض العبد للأمر الذي يخاف هذا فإنما يباح له ذلك إذا أمن على نفسه الجور والظلم، ووثق بالقيام بحقوقهن. فإن خاف شيئا من هذا فليقتصر على واحدة، أو على ملك يمينه. فإنه لا يجب الله تعالى إجماعا. وذلك لأن الرجل قد لا تدفع شهوته بالواحدة، فأبيح له واحدة بعد واحدة، حتى يبلغ أربعة، لأن في الأربع غنية لكل أحد، إلا ما ندر، ومع أي: من أحب أن يأخذ اثنتين فليفعل، أو ثلاثا فليفعل، أو أربعة فليفعل، ولا يزيد عليها، لأن الآية سبقت لبيان الامتنان، فلا يجوز الزيادة على غير ما سمى قبل النكاح، بل وقد أباح له الشارع النظر إلى من يريد تزوجها ليكون على بصيرة من أمره. ثم ذكر العدد الذي أباحه من النساء فقال: مثنى وثلاث ورباع صلى الله عليه وسلم: تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فافظف بذات الدين تربت يمينك وفي هذه الآية أنه ينبغي للإنسان أن يختار والمال، والجمال، والحسب، والنسب، وغير ذلك من الصفات الداعية لنكاحهن، فاختاروا على نظركم، ومن أحسن ما يختار من ذلك صفة الدين كما قال النبي وخفتم أن لا تقوموا بحقهن لعدم محبتكم إياهن، فاعدلوا إلى غيرهن، وانكحوا ما طاب لكم من النساء أي: ما وقع عليهن اختياركم من ذوات الدين، أي: وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت حجوركم وولائتكم

بالباطل وقتل النفوس عدوانا وظلما أي: لا جهلا ونسيانا فسوف نصليه نارا أي: عظيمة كما يفيد التنكير وكان ذلك على الله يسيرا 30

ثم قال: ومن يفعل ذلك أي: أكل الأموال

ما اجتنبت الكبائر. وأحسن ما حدث به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه. 31 الخمس، والجمعة، وصوم رمضان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ويدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكباً كبيرة، كالصلوات فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات وأدخلهم مدخلا كريما كثير الخير وهو الجنة

لربه، أو يجمع بين الأمرين فإن هذا مخذول خاسر. وقوله: إن الله كان بكل شيء عليما فيعطي من يعلمه أهلا لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق. 32 فيه. واسألوا الله من فضله أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا. فهذا كمال العبد وعنوان سعادته لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر ولهذا قال تعالى: للرجال نصيب مما اكتسبوا أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب. وللنساء نصيب مما اكتسبن فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب المحمود أمران: أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، ويسأل الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه ولا على غير ربه. نعمة الله على غيره أن تكون لك ويسلب إياها. ولأنه يقتضي السخط على قدر الله والإخلال إلى الكسل والأمانى الباطلة التي لا يقتدرن بها عمل ولا كسب. وإنما فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكمال تمنيا مجردا لأن هذا هو الحسد بعينه، تمنى ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة.

من الموالي. إن الله كان على كل شيء شهيدا أي: مطلعا على كل شيء بعلمه لجميع الأمور، وبصره لحركات عبادته، وسمعه لجميع أصواتهم. 33 قال تعالى: فاتوهم نصيبهم أي: آتوا الموالي نصيبهم الذي يجب القيام به من النصرة والمعاونة والمساعدة على غير معصية الله. والميراث للأقارب الأدين المحالفة على النصرة والمساعدة والاشتراك بالأموال وغير ذلك. وكل هذا من نعم الله على عبادته، حيث كان الموالي يتعاونون بما لا يقدر عليه بعضهم مفردا. الأصول والفروع والحواشي، هؤلاء الموالي من القرابة. ثم ذكر نوعا آخر من الموالي فقال: والذين عقدت أيمانكم أي: حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد من الناس جعلنا موالي أي: يتولونه ويتولاهم بالتعزز والنصرة والمعاونة على الأمور. مما ترك الوالدان والأقربون وهذا يشمل سائر الأقارب من أي: ولكل

أي: له العلو المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات. 34 أي: فقد حصل لكم ما تحبون فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية، والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها ويحدث بسببه الشر. إن الله كان عليا كبيرا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضربا غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم فلا تبغوا عليها سبيلا ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا ودنياء. ثم قال: واللاتي تخافون نشوزهن أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤديها بالأسهل فالأسهل، فعضوهن أي: الغيب تحفظ بعلمها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهن وتوفيجه لهن، لا من أنفسهن، فإن النفس أمارة بالسوء، ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ووظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها فهذا قال: فالصالحات قانتات أي: مطيعات لله تعالى حافظات للغيب أي: مطيعات لأزواجهن حتى في المفعول ليدل على عموم النفقة. فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به. للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء. ولعل هذا سر قوله: وبما أنفقوا وحذف مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس على بعض وبما أنفقوا من أموالهم أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات أن يلزمهن بذلك، وقوامهن عليهن أيضا بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: بما فضل الله بعضهم يخبر تعالى أن الرجال قوامون على النساء أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم

خبيرا أي: عالما بجميع الظواهر والبواطن، مطلعا على خفايا الأمور وأسرارها. فمن علمه وخبره أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة والشرائع الجميلة. 35 عليه، ولهذا قال: إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما أي: بسبب الرأي الميمون والكلام الذي يجذب القلوب ويؤلف بين القرينين. إن الله كان عليما ومعصية الله، ورأيا أن التفريق بينهما أصلح، فرقا بينهما. ولا يشترط رضا الزوج، كما يدل عليه أن الله سماهما حكمين، والحكم يحكم ولو لم يرض المحكوم من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصلاح فلا يعدلا عنه. فإن وصلت الحال إلى أنه لا يمكن اجتماعهما وإصلاحهما إلا على وجه المعادة والمقاطعة من اتصف بتلك الصفات. فينظران ما ينقم كل منهما على صاحبه، ثم يلزمان كلا منهما ما يجب، فإن لم يستطع أحدهما ذلك، قنعا الزوج الآخر بالرضا بما تيسر أي: رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق. وهذا مستفاد من لفظ الحكم لأنه لا يصلح حكما إلا أي: وإن خفتم الشقاق بين الزوجين والمباعدة والمجانبة حتى يكون كل منهما في شق فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها

الخلق فخورا يثني على نفسه ويمدحها على وجه الفخر والبطر على عباد الله، فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر يمنعه من القيام بالحقوق. 36 ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله، ولهذا قال: إن الله لا يحب من كان مختالا أي: معجبا بنفسه متكبرا على لربه، المتواضع لعباد الله، المنقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومن لم يقيم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، والبهايم بالقيام بكفائتهم وعدم تحمिलهم ما يشق عليهم وإعانتهم على ما يتحملون، وتأديبهم لما فيه مصلحتهم. فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع حق على المسلمين لشدة حاجته وكونه في غير وطنه بتبليغه إلى مقصوده أو بعض مقصوده وإكرامه وتأنيسه وما ملكت أيمانكم أي: من الآدميين له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحة تأكد الحق وزاد. وابن السبيل وهو: الغريب الذي احتاج في بلد الغربة أو لم يحتج، فله

تفسير السعدي

الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له؛ والوفاء معه في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن يجب والصاحب بالجنب قيل: الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل: الصاحب مطلقا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة. فعلى وكلما كان الجار أقرب بابا كان أكد حقا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل. أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. وكذلك الجار البعيد أي: الذي ليس له قرابة. كفايتهم، ولا كفاية من يمتنون، فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بسد خلتهم وبدفع فاقبتهم، والحض على ذلك، والقيام بما يمكن منه. والجار ذي القربى وبرهم وجبر خواطريهم وتأديبهم، وتربيتهم أحسن تربية في مصالح دينهم ودنياهم. والمساكين وهم الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على والفعل، وأن لا يقطع برحمه بقوله أو فعله. واليتامى أي: الذين فقدوا آباءهم وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، سواء كانوا أقارب أو غيرهم بكفالتهم ضدان، الإساءة وعدم الإحسان. وكلاهما منهي عنه. وبذي القربى أيضا إحسانا، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قريبا أو بعدوا، بأن يحسن إليهم بالقول والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة أمرهما واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما وإكرام من له تعلق بهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما. وللإحسان يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب. فقال: وبوالوالدين إحسانا أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل الواجب المتعين إخلاص العبادات لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه ولا جميع العبادات الظاهرة والباطنة. وينهى عن الشرك به شيئا لا شركا أصغر ولا أكبر، لا ملكا ولا نبيا ولا وليا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلا وإخلاصا له، في

على عباد الله ومنعوا حقوقه وتسببوا في منع غيرهم من البخل وعدم الاهتداء، أهانهم بالعذاب الأليم والخزي الدائم. فعياذا بك اللهم من كل سوء. 37 والبخل بالعلم، وبين السعي في خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم، وهذه هي صفات الكافرين، فلماذا قال تعالى: وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا أي: كما تكبروا أي: من العلم الذي يهتدي به الضالون ويستترشد به الجاهلون فيكتمونه عنهم، ويظهرون لهم من الباطل ما يحول بينهم وبين الحق. فجمعوا بين البخل بالمال الذين يبخلون أي: يمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة. ويأمر الناس بالبخل بأقوالهم وأفعالهم ويكتمون ما آتاهم الله من فضله

كما قال تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فهذا العمل المقبول الذي يستحق صاحبه المدح والثواب فلماذا حث تعالى عليه 38 عليه عاص آثم مخالف لربه، فكذلك من أنفق وتعب لغير الله فإنه آثم عاص لربه مستوجب للعقوبة، لأن الله إنما أمر بطاعته وامتنال أمره على وجه الإخلاص، له قرينا فساء قرينا أي: بنس المقارن والصاحب الذي يريد إهلاك من قارنه ويسعى فيه أشد السعي. فكما أن من بخل بما آتاه الله، وكنتم ما من به الله خطوات الشيطان وأعماله التي يدعو حزبه إليها ليكونوا من أصحاب السعير. وصدرت منهم بسبب مقارنته لهم وأزهم إليها فلماذا قال: ومن يكن الشيطان الناس أي: ليروهم ويمدحهم ويعظمهم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أي: ليس إنفاقهم صادرا عن إخلاص وإيمان بالله ورجاء ثوابه. أي: فهذا من ثم أخبر عن النفقة الصادرة عن رياء وسمعة وعدم إيمان به فقال: والذين ينفقون أموالهم رثاء

الإخلاص والإنفاق، ولما كان الإخلاص سرا بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه إلا الله أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال فقال: وكان الله بهم عليما 39 أي: أي شيء عليهم وأي حرج ومشقة تلحقهم لو حصل منهم الإيمان بالله الذي هو الإخلاص، وأنفقوا من أموالهم التي رزقهم الله وأنعم بها عليهم فجمعوا بين غير مأمور به، بل منهي عنه كالمشركة، وكالفاجرة، كما قال تعالى: ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقال: والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك 4 كذلك فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء، غير ما طابت به. وفي قوله: فانكحوا ما طاب لكم من النساء دليل على أن نكاح الخبيثة عنه. فكلوه هنينا مريئا أي: لا حرج عليكم في ذلك ولا تبعة. وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها ولو بالتبرع إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن تقتضي التمليك. فإن طبن لكم عن شيء منه أي: من الصداق نفسا بأن سمحن لكم عن رضا واختيار بإسقاط شيء منه، أو تأخيرها أو المعاوضة طيب نفس، وحال طمأنينة، فلا تمطلوهن أو تبخسوا منه شيئا. وفيه: أن المهر يدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد، لأنه أضافه إليها، بالإضافة خصوصا الصداق الذي يكون شيئا كثيرا، ودفعة واحدة، يشق دفعه للزوجة، أمرهم وحثهم على إيتاء النساء صدقاتهن أي: مهورهن نحلة أي: عن ولما كان كثير من الناس يظلمون النساء ويهضمونهن حقوقهن،

إخلاصا ومحبة وكمالا. ويؤت من لدنه أجرا عظيما أي: زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال آخر، وإعطاء البر الكثير والخير الغزير. 40 ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وإن تك حسنة يضاعفها أي: إلى عشرة أمثالها، إلى أكثر من ذلك، بحسب حالها ونفعها وحال صاحبها، ذلك من الظلم القليل والكثير فقال: إن الله لا يظلم مثقال ذرة أي: ينقصها من حسنات عبده أو يزيدها في سيئاته، كما قال تعالى: فمن يعمل مثقال

يخبر تعالى عن كمال عدله وفضله وتنزهه عما يضاد

مقربين له لكمال الفضل والعدل، والحمد والثناء. وهناك يسعد أقوام بالفوز والفلاح والعز والنجاح. ويشقى أقوام بالخزي والفضيحة والعذاب المهين. 41 أزكى الخلق وهم الرسل على أممهم مع إقرار المحكوم عليه؟ فهذا والله الحكم الذي هو أعم الأحكام وأعدلها وأعظمها. وهناك يبقى المحكوم عليهم بك على هؤلاء شهيدا أي: كيف تكون تلك الأحوال، وكيف يكون ذلك الحكم العظيم، الذي جمع أن من حكم به كامل العلم، كامل العدل، كامل الحكمة، بشهادة ثم قال تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا

تفسير السعدي

أن جحودهم ينفعهم من عذاب الله، فإذا عرفوا الحقائق وشهدت عليهم جوارحهم حينئذ ينجلي الأمر، ولا يبقى للكتمان موضع، ولا نفع ولا فائدة. 42
جزاءهم الحق، ويعلمون أن الله هو الحق المبين. فأما ما ورد من أن الكفار يكتُمون كفرهم وجحودهم، فإن ذلك يكون في بعض مواضع القيامة، حين يظنون
يا ليتني كنت ترابا. ولا يكتُمون الله حديثا أي: بل يقرّون له بما عملوا، وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يوفيه الله
الرسول أي: جمعوا بين الكفر بالله وبرسوله، ومعصية الرسول لو تسوى بهم الأرض أي: تبتلعهم ويكونون ترابا وعدما، كما قال تعالى: ويقول الكافر
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا

والإنابة ودعاهم إليه ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا، لأتاه بقرابها مغفرة. 43
فيخرج بذلك. ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة
بقوله: إن الله كان عفوا غفورا أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشق على العبد امتثاله،
وجوب تعميم مسح الوجه واليدين، وأنه يجوز التيمم ولو لم يضح الوقت، وأنه لا يخاطب بطلب الماء إلا بعد وجود سبب الوجوب والله أعلم. ثم ختم الآية
المحتقنة فيه، ففيه تنبيه على استفراغ ما هو أولى منها من البول والغائط والقيء والمني والدم، وغير ذلك، نبه على ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى. وفي الآية
باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل، وحماية للمريض عما يضره. وأما استفراغ المؤذي فقد أباح تعالى للمحرم المتأذي برأسه أن يحلقه لإزالة الأبخرة
عليها في كتابه العزيز. أما حفظ الصحة والحماية عن المؤذي، فقد أمر بالأكل والشرب وعدم الإسراف في ذلك، وأباح للمسافر والمريض الفطر حفظا لصحتهما،
كتيمم غيره، بالوجه واليدين. فائدة أعلم أن قواعد الطب تدور على ثلاث قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحماية عنها. وقد نبه تعالى
واليدين إلى الكوعين، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، ويستحب أن يكون ذلك بضربة واحدة، كما دل على ذلك حديث عمار، وفيه أن تيمم الجنب
قال: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وما لا غبار له لا يمسح به. وقوله: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم هذا محل المسح في التيمم: الوجه جميعه
العلماء ولله الحمد، وأن التيمم يكون بالصعيد الطيب، وهو كل ما تصاعد على وجه الأرض سواء كان له غبار أم لا، ويحتمل أن يختص ذلك بذي الغبار لأن الله
غير مطلق وفي ذلك نظر. وفي هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم الذي امتن به الله على هذه الأمة، وهو مشروعية التيمم، وقد أجمع على ذلك
بذلك أيضا على أن الماء المتغير بشيء من الطاهرات يجوز بل يتعين التطهر به لدخوله في قوله: فلم تجدوا ماء وهذا ماء. ونوزع في ذلك أنه ماء
بقوله: فلم تجدوا ماء بوجوب طلب الماء عند دخول الوقت، قالوا: لأنه لا يقال: لم يجد لمن لم يطلب، بل لا يكون ذلك إلا بعد الطلب، واستدل
بذلك مجرد للمس باليد، ويقيد ذلك بما إذا كان مظنة خروج المذي، وهو المس الذي يكون لشهوة فتكون الآية دالة على نقض الوضوء بذلك؟ واستدل الفقهاء
في معنى قوله: أو لامستم النساء هل المراد بذلك: الجماع فتكون الآية نصا في جواز التيمم للجنب، كما تكاثرت بذلك الأحاديث الصحيحة؟ أو المراد
والحاصل: أن الله تعالى أباح التيمم في حالتين: حال عدم الماء، وهذا مطلقا في الحضر والسفر، وحال المشقة باستعماله بمرض ونحوه. واختلف المفسرون
جاء له التيمم. وكذلك إذا أحدث الإنسان ببول أو غائط أو ملامسة النساء، فإنه يباح له التيمم إذا لم يجد الماء، حضرا وسفرا كما يدل على ذلك عموم الآية.
الماء وعدمه، والعلة المرض الذي يشق معه استعمال الماء، وكذلك السفر فإنه مظنة فقد الماء، فإذا فقده المسافر أو وجد ما يتعلق بحاجته من شرب ونحوه،
المسجد فقط. وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا فأباح التيمم للمريض مطلقا مع وجود
عابر السبيل أي: تمرّون في المسجد ولا تمكثون فيه، حتى تغتسلوا أي: فإذا اغتسلتم فهو غاية المنع من قربان الصلاة للجنب، فيحل للجنب المرور في
لطعام ونحوه كما ورد في ذلك الحديث الصحيح. ثم قال: ولا جنبا إلا عابري سبيل أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنبا، إلا في هذه الحال وهو
المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبثين والتوق
روحها ولها وهو الخشوع وحضور القلب، فإن الخمر يسكر القلب، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس
من عمل الشيطان فاجتنبوه الآية. ومع هذا فإنه يشتد تحريمه وقت حضور الصلاة لتضمنه هذه المفسدة العظيمة، بعد حصول مقصود الصلاة الذي هو
الصلاة كما في هذه الآية، ثم إنه تعالى حرمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس
لعباده بتحريمه بقوله: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور
إلى وجود العلم بما يقول السكران. وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا، فإن الخمر في أول الأمر كان غير محرم، ثم إن الله تعالى عرض
لا يمكن السكران من دخوله. وشامل لنفس الصلاة، فإنه لا يجوز للسكران صلاة ولا عبادة، لاختلاط عقله وعدم علمه بما يقول، ولهذا حدد تعالى ذلك وغياه
ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، حتى يعلموا ما يقولون، وهذا شامل لقربان مواضع الصلاة، كالصلاة، فالمسجد، فإنه

وكفى بالله نصيرا ينصرهم على أعدائهم ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر. 44
عليه من الضلال والإضلال، ولهذا قال: وكفى بالله وليا أي: يتولى أحوال عباده ويلطف بهم في جميع أمورهم، وييسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم.
أن تضلوا السبيل. فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك. ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بين لهم ما اشتملوا
عظيمة ويؤثرونها إيثارا من يبذل المال الكثير في طلب ما يحبه. فيؤثرون الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان، والشقاء على السعادة، ومع هذا يريدون
أوتوا نصيبا من الكتاب وفي ضمنه تحذير عباده عن الاغترار بهم، والوقوع في أشراكهم، فأخبر أنهم في أنفسهم يشترون الضلالة أي: يحبونها محبة
هذا ذم لمن

تفسير السعدى

وكفى بالله نصيرا ينصرهم على أعدائهم ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر. 45 عليه من الضلال والإضلال، ولهذا قال: وكفى بالله وليا أي: يتولى أحوال عباده ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم. أن تضلوا السبيل . فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك. ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بين لهم ما اشتملوا عظيمة ويؤثرونها إيثار من يبذل المال الكثير في طلب ما يحبه. فيؤثرون الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان، والشقاء على السعادة، ومع هذا يريدون أوتوا نصيبا من الكتاب وفي ضمنه تحذير عباده عن الاغترار بهم، والوقوع في أشراكهم، فأخبر أنهم في أنفسهم يشترون الضلالة أي: يحبونها محبة هذا ذم لمن

ولكن لما كانت طبايعهم غير زكية، أعرضوا عن ذلك، وطردهم الله بكفرهم وعنادهم، ولهذا قال: ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا 46

مخاطبة الرسول، والدخول تحت طاعة الله والانقياد لأمره، وحسن التلطف في طلبهم العلم بسماع سؤالهم، والاعتناء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه. خير لهم من ذلك فقال: ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وسمعنا وأطعنا وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم وذلك لما تضمنه هذا الكلام من حسن الخطاب والأدب اللائق في الذي يولون به أسنتهم إلى الطعن في الدين والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فلهاذا قال: ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ثم أرشدهم إلى ما هو قصدهم بذلك الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ لما كان محتملا لغير ما أرادوا من الأمور أنه يروج على الله وعلى رسوله، فتوصلوا بذلك اللفظ صلى الله عليه وسلم بأقبح خطاب وأبعده عن الأدب فيقولون: اسمع غير مسمع قصدهم: اسمع منا غير مسمع ما تحب، بل مسمع ما تكره، وراعنا في العمل والانقياد فإنهم يقولون سمعنا وعصينا أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وهذا غاية الكفر والعناد والشرود عن الانقياد، وكذلك يخاطبون الرسول ولا مقصود بها بل أريد بها غيره، وكتماهم ذلك. فهذا حالهم في العلم أشر حال، قبلوا فيه الحقائق، ونزلوا الحق على الباطل، وجحدوا لذلك الحق، وأما حالهم المعنى، أو هما جميعا. فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم على أنه غير مراد بها، وعنادهم وإيثارهم الباطل على الحق فقال: من الذين هادوا أي: اليهود وهم علماء الضلال منهم. يحرفون الكلم عن مواضعه إما بتغيير اللفظ أو

ثم بين كيفية ضلالهم

الذين اعتدوا في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وكان أمر الله مفعولا كقوله: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون 47 أديارها، بأن تجعل في أقدانهم وهذا أشنع ما يكون أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت بأن يطردهم من رحمته، ويعاقبهم بجعلهم قردة، كما فعل بإخوانهم عملوا، كما تركوا الحق، وآثروا الباطل وقلبوا الحقائق، فجعلوا الباطل حقا والحق باطلا، جوزوا من جنس ذلك بطمس وجوههم كما طمسوا الحق، وردها على يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم، ولهذا توعدهم على عدم الإيمان فقال: من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أديارها وهذا جزاء من جنس ما وفي قوله: آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم حث لهم وأنهم ينبغي أن يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، والكتاب الذي لم يؤمنوا بما في أيديهم من الكتب، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا، ويوافق بعضها بعضا. فدعوى الإيمان ببعضها دون بعض دعوى باطلة لا يمكن صدقها. المهيم على غيره من الكتب السابقة التي قد صدقها، فإنها أخبرت به فلما وقع المخبر به كان تصديقا لذلك الخبر. وأيضا فإنهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فإنهم يأمر تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله عليه من القرآن العظيم،

فما دونه كما قال تعالى: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا أي: لمن تاب إليه وأتاب. 48

بالعذاب وحرمان الثواب إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب، وأما التائب، فإنه يغفر له الشرك مخلوقاته، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع، الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ ولهذا حتم على صاحبه بالخلود وجه، الذي لا يملك لنفسه فضلا عن عبده نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بالخالق لكل شيء، الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما أي: افترى جرما كبيرا، وأي: ظلم أعظم ممن سوى المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الفقير بذاته من كل أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيد المصائب شيئا، وما لهم يوم القيامة من شافعين ولا صديق حميم ولهذا قال تعالى: ومن الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد. وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صفاتها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته. فالذنوب التي دون

يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك

ولهذا قال: ولا يظلمون فتيلًا وهذا لتحقيق العموم أي: لا يظلمون شيئًا ولا مقدار القتل الذي في شق النواة أو الذي يقتل من وسخ اليد وغيرها. 49
بزعمهم أنهم على شيء، وأن الثواب لهم وحدهم فإنهم كذبة في ذلك، ليس لهم من خصال الزاكين نصيب، بسبب ظلمهم وكفرهم لا يظلم من الله لهم،
قال هنا: بل الله يزكي من يشاء أي: بالإيمان والعمل الصالح بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتحلي بالصفات الجميلة. وأما هؤلاء فهم وإن زكوا أنفسهم
ما أخبر به في القرآن في قوله: بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهؤلاء هم الذين زكاهم الله ولهذا
والنصارى يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه ويقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى وهذا مجرد دعوى لا برهان عليها، وإنما البرهان
هذا تعجيب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصارى، ومن نحا نحوهم من كل من زكى نفسه بأمر ليس فيه. وذلك أن اليهود

تفسير السعدي

فيها واكسوهم وفيه دليل على أن قول الولي مقبول فيما يدعيه من النفقة الممكنة والكسوة؛ لأن الله جعله مؤتمنا على مالهم فلزم قبول قول الأمين. 5
من الحفظ والتصرف وعدم التعريض للأخطار. وفي الآية دليل على أن نفقة المجنون والصغير والسفيه في مالهم، إذا كان لهم مال، لقوله: وارزقوهم
لهم في الأقوال جبرا لخواطرتهم. وفي إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء، إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم،
يتعلق بضروراتهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية، وأن يقولوا لهم قولاً معروفاً، بأن يعدوهم إذا طلبوها أنهم سيدفعونها لهم بعد رشدهم، ونحو ذلك، ويلطفوا
قياما لعباده في مصالح دينهم ودنياهم، وهؤلاء لا يحسنون القيام عليها وحفظها، فأمر الولي أن لا يؤتيهم إياها، بل يرزقهم منها ويكسوهم، ويبذل منها ما
والمعتوه، ونحوهما، وإما لعدم رشده كالصغير وغير الرشيد. فنهى الله الأولياء أن يؤتوا هؤلاء أموالهم خشية إفسادها وإتلافها، لأن الله جعل الأموال
الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً السفهاء: جمع سفيه وهو: من لا يحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون
وقوله تعالى: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل

أعظم الكذب وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً. ولهذا قال: وكفى به إثماً مبيناً أي: ظاهراً بيناً موجباً للعقوبة البليغة والعذاب الأليم. 50
أنفسهم، لأن هذا من أعظم الافتراء على الله. لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم الإخبار بأن الله جعل ما هم عليه حقاً وما عليه المؤمنون المسلمون باطلاً. وهذا
انظر كيف يفترون على الله الكذب أي: بتزكيتهم

فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلاً، وإما من أعظمهم عناداً وتمرداً ومراغمة للحق، وهذا هو الواقع 51
وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال،
والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين،
عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالخلق،
كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم والوادي الذميم؟ هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقل أحد من الجهلاء، فهل يفضل دين قام على
للذين كفروا أي: لأجلهم تملقاً لهم ومداينة، وبغضاً للإيمان: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أي: طريقاً. فما أسمعهم وأشد عنادهم وأقل عقولهم
كل هذا من الجبت والطاغوت، وكذلك حملهم الكفر والحسد على أن فضلو طريقة الكافرين بالله عبدة الأصنام على طريق المؤمنين فقال: ويقولون
عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله. فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان،
وهذا من قبائح اليهود وحسدكم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض

فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلاً، وإما من أعظمهم عناداً وتمرداً ومراغمة للحق، وهذا هو الواقع 52
وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال،
والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين،
عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالخلق،
كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم والوادي الذميم؟ هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقل أحد من الجهلاء، فهل يفضل دين قام على
للذين كفروا أي: لأجلهم تملقاً لهم ومداينة، وبغضاً للإيمان: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أي: طريقاً. فما أسمعهم وأشد عنادهم وأقل عقولهم
كل هذا من الجبت والطاغوت، وكذلك حملهم الكفر والحسد على أن فضلو طريقة الكافرين بالله عبدة الأصنام على طريق المؤمنين فقال: ويقولون
عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله. فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان،
وهذا من قبائح اليهود وحسدكم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض

أي: شيئاً ولا قليلاً. وهذا وصف لهم بشدة البخل على تقدير وجود ملكهم المشارك لملك الله. وأخرج هذا مخرج الاستفهام المتقرر إنكاره عند كل أحد. 53
شركاء لله في تدبير المملكة، فلو كانوا كذلك لشحوا وبخلوا أشد البخل، ولهذا قال: فإذا أي: لو كان لهم نصيب من الملك لا يؤتون الناس نقيراً
أم لهم نصيب من الملك أي: فيفضلون من شاءوا على من شاءوا بمجرد أهوائهم، فيكونون

عبادة المؤمنين. فكيف ينكرون إنعامه بالنبوة والنصر والملك لمحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأجلهم وأعظمهم معرفة بالله وأخشاهم له؟ 54
ما أنعم الله به على إبراهيم وذريته من النبوة والكتاب والملك الذي أعطاه من أنبيائه كداود وسليمان. فإنعامه لم يزل مستمراً على
وللمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؟ وذلك ليس ببدع ولا غريب على فضل الله. فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً وذلك
يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أي: هل الحامل لهم على قولهم كونهم شركاء لله فيفضلون من شاءوا؟ أم الحامل لهم على ذلك الحسد للرسول
أم

ما هو بعض آثار معاصيهم وكفى بجهنم سعيراً تسعر على من كفر بالله، وجحد نبوة أنبيائه من اليهود والنصارى وغيرهم من أصناف الكفرة. 55
بمحمد صلى الله عليه وسلم فنال بذلك السعادة الدنيوية والفلاح الأخروي. ومنهم من صد عنه عناداً وبغياً وحسداً فحصل لهم من شقاء الدنيا ومصائبها
فمنهم من آمن به أي:

تفسير السعدي

لهم وسجية؛ كرر عليهم العذاب جزاء وفاقا، ولهذا قال: إن الله كان عزيزا حكيما أي: له العزة العظيمة والحكمة في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه. 56
كلما نضجت جلودهم أي: احترقت جلودا غيرها ليزوقوا العذاب أي: ليبلغ العذاب منهم كل مبلغ. وكما تكرر منهم الكفر والعناد وصار وصفا
إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا أي: عظيمة الوقود شديدة الحرارة

فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة أي: من الأخلاق الرذيلة، والخلق الذميم، ومما يكون من نساء الدنيا من كل دنس وعيب وندخلهم ظلا ظليلا 57
والذين آمنوا أي: بالله وما أوجب الإيمان به وعملوا الصالحات من الواجبات والمستحبات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
ونواهيها، لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون. 58
وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به. ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة قال: إن الله نعماء يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا وهذا مدح من الله لأوامره
والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو. والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام،
فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤديا لها. وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض، القليل من ذلك
حفظها في حرز مثلها. قالوا: لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها؛ فوجب ذلك. وفي قوله: إلى أهلها دلالة على أنها لا تدفع وتؤدي لغير المؤتمن، ووكيله بمنزلته؛
ممتولا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله. وقد ذكر الفقهاء على أن من أؤتمن أمانة وجب عليه
الأمانات كل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا

أي: الرد إلى الله ورسوله خير وأحسن تأويلا فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم. 59
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها ذلك
أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما. فالرد إليهما شرط في الإيمان فلماذا قال: إن
إلى الله وإلى الرسول أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم،
إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية. ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه
فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر
الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمرؤا بمعصية الله،
ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتنال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من

الله، ولا رحمة ومحبة للمولى عليهم، يرون هذه الحال حال فرصة فيغتنمونها ويتعجلون ما حرم الله عليهم، فنهى الله تعالى عن هذه الحالة بخصوصها. 6
ولا منعكم من أكلها، تبادرون بذلك أن يكبروا، فيأخذوها منكم ويمنعوكم منها. وهذا من الأمور الواقعة من كثير من الأولياء، الذين ليس عندهم خوف من
الله لكم من أموالكم، إلى الحرام الذي حرمه الله عليكم من أموالهم. وبداروا أن يكبروا أي: ولا تأكلوها في حال صغرهم التي لا يمكنهم فيها أخذها منكم،
كثيرا. فإن تبين رشد صلاحه في ماله وبلغ النكاح فادفعوا إليهم أموالهم كاملة موفرة. ولا تأكلوها إسرافا أي: مجاوزة للحد الحلال الذي أباحه
ويتصرف فيه التصرف اللائق بحاله، فيتبين بذلك رشد من سفهه، فإن استمر غير محسن للتصرف لم يدفع إليه ماله، بل هو باق على سفهه، ولو بلغ عمرا
الابتلاء: هو الاختبار والامتحان، وذلك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد، الممكن رشد، شيئا من ماله،

حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق. 60
قد أمروا أن يكفروا به فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار
أنهم مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وهو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت. والحال أنهم
يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. الذين يزعمون

حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق. 61
قد أمروا أن يكفروا به فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار
أنهم مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وهو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت. والحال أنهم
يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. الذين يزعمون

إلى المتخاصمين والتوفيق بينهم، وهم كذبة في ذلك. فإن الإحسان كل الإحسان تحكيم الله ورسوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون 62
من المعاصي ومنها تحكيم الطاغوت؟! ثم جاءوك معتذرين لما صدر منهم، ويقولون: إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أي: ما قصدنا في ذلك إلا الإحسان
ككيف يكون حال هؤلاء الضالين إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم

وقمعهم عما كانوا عليه، وفي هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه فإنه ينصح سرا، ويبلغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به. 63
في الانقياد لله، والترهيب من تركه. وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا أي: انصحهم سرا بينك وبينهم، فإنه أنجح لحصول المقصود، وبالغ في زجرهم
أي: من النفاق والقصد السيئ. فأعرض عنهم أي: لا تبال بهم ولا تقابلهم على ما فعلوه واقترفوه. وعظهم أي: بين لهم حكم الله تعالى مع الترغيب

أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم

مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك. 64
لوجود الله تواباً رحيماً أي: لتأب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها. فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يمكن الإنسان إن لم يعنه الله أن يطيع الرسول. ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترفوا السيئات أنهم معصومون لا يشعرون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقاً. وقوله: بإذن الله أي: الطاعة من المطيع صادرة بقضاء الله وقدره. ففيه إثبات القضاء والقدر، يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع. وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرهم به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقاً، فلولا الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له. وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يخبر تعالى خبراً في ضمنه

وأكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العصيين. 65
وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن. فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمن استكمل هذه المراتب يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليماً بانشرح صدر، لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم

بالحق، ومحبتة وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير. 66
سمعت، ولا خطر على قلب بشر. الرابع الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم الثالث قوله: وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن وأيضاً فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات. يكرها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر. فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر. عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي الثاني حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا لهم أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده. بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط. ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور: أحدها الخيرية في قوله: لكان خيراً يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى ويزداد حمداً وشكراً لربه. ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبدلوا همهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم يخبر تعالى أنه لو كتب

بالحق، ومحبتة وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير. 67
سمعت، ولا خطر على قلب بشر. الرابع الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم الثالث قوله: وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن وأيضاً فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات. يكرها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر. فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر. عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي الثاني حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا لهم أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده. بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط. ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور: أحدها الخيرية في قوله: لكان خيراً يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى ويزداد حمداً وشكراً لربه. ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبدلوا همهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم

تفسير السعدي

به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم يخبر تعالى أنه لو كتب

بالحق، ومحبتة وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير. 68 سمعت، ولا خطر على قلب بشر. الرابع الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم الثالث قوله: وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن وأيضاً فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات. يكرهها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر. فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر. عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوقفون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي الثاني حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا لهم أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده. بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط. ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور: أحدها الخيرية في قوله: لكان خيرا يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى ويزداد حمدا وشكرا لربه. ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبدلوا همهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم يخبر تعالى أنه لو كتب

فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم وحسن أولئك رفيقا بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقرينهم في جوار رب العالمين. 69 وحالا ودعوة إلى الله، والشهداء الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا، والصالحين الذين صلح ظاهراً وباطناً فصلحت أعمالهم، إلى الخلق، ودعوتهم إلى الله تعالى والصدقين وهم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعملوا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولاً وعملاً مع الذين أنعم الله عليهم أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة من النبيين الذين فضلهم الله بوحيه، واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم أي: كل من أطاع الله ورسوله على حسب حاله وقدر الواجب عليه من ذكر وأثنى وصغير وكبير، فأولئك آخر، لعل أحدا يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: مما قل منه أو كثر فتبارك الله أحسن الحاكمين. 7 لهم ما يشاءون؟ أو شئنا مقدراً؟ فقال تعالى: نصيباً مفروضاً: أي: قد قدره العليم الحكيم. وسيأتي إن شاء الله تقدير ذلك. وأيضاً فهنا توههم والألم والأقربون عموم بعد خصوص وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون فكأنه قيل: هل ذلك النصيب راجع إلى العرف والعادة، وأن يرضخوا تشوفت له النفوس، وزالت الوحشة التي منشؤها العادات القبيحة، فقال: للرجال نصيب: أي: قسط وحصّة مما ترك أي: خلف الوالدان أي: الأب شرعاً، يستوي فيه رجالهم ونسأؤهم، وأقوياءهم وضعفاؤهم. وقدم بين يدي ذلك أمراً مجعلاً لتتوطن على ذلك النفوس. فيأتي التفصيل بعد الإجمال، قد كالنساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء لأنهم بزعمهم أهل الحرب والقتال والنهب والسلب، فأراد الرب الرحيم الحكيم أن يشرع لعباده كان العرب في الجاهلية من جبروتهم وقسوتهم لا يورثون الضعفاء

أعمالهم. وكفى بالله علماً يعلم أحوال عباده ومن يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة التي تواطأ عليها القلب والجوارح. 70 ذلك الفضل الذي نالوه من الله فهو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه

أو انفروا جميعاً وكل هذا تبع للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين في دينهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة 71 ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله. ولهذا قال: فانفروا ثبات أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم غيرهم الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع

له فيها عظيم الثواب ورضا الكريم الوهاب. وأما القعود فإنه وإن استراح قليلاً، فإنه يعقبه تعب طويل وآلام عظيمة، ويفوته ما يحصل للمجاهدين. 72 فيه تلك المصيبة نعمة. ولم يدر أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه الطاعة الكبيرة، التي بها يقوى الإيمان، ويسلم بها العبد من العقوبة والخسران، ويحصل لما لله في ذلك من الحكم. قال ذلك المتخلف قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً رأى من ضعف عقله وإيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي المتتافلين ونهاية مقاصدهم، وأن معظم قصدهم الدنيا وحطامها فقال: فإن أصابتكم مصيبة أي: هزيمة وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال

تفسير السعدي

فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد. كما قال تعالى: قالت الأعراب أمانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا إلى آخر الآيات. ثم ذكر غايات هؤلاء المودة. وأيضا فإن هذا هو الواقع. فإن المؤمنين على قسمين: صادقون في إيمانهم أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد. وضعفاء دخلوا في الإسلام والخطاب للمؤمنين. والثاني: قوله في آخر الآية: كأن لم تكن بينكم وبينه مودة فإن الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح. وقيل معناه: ليبطن غيره أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أولى لوجهين: أحدهما: قوله منكم ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: وإن منكم أي: أيها المؤمنون لمن ليبطن أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل المؤمنين ويألمون بفقدائها، ويسعون جميعا في كل أمر يصلحون به دينهم ودنياهم، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة. 73 بينكم وبينه المودة الإيمانية التي من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما أي: يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك، كأنه ليس منكم يا معشر المؤمنين ولا ولن أصابكم فضل من الله أي: نصر وغنيمة ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة

ودينه، وغنيمة، وثناء حسنا، وثواب المجاهدين في سبيل الله الذين أعد الله لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. 74 الله بأن يكون جهادا قد أمر الله به ورسوله، ويكون العبد مخلصا لله فيه قاصدا وجه الله. فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما زيادة في إيمانه المقاتل والمجاهد للكفار الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، فيكون على هذا الوجه الذين في محل نصب على المفعولية. ومن يقاتل في سبيل إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا إلى آخر الآيات. وقوله: فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين. وقيل: إن معنى الآية: فليقاتل المقتضي لذلك. وأما أولئك المتثاقلون، فلا يعبأ بهم خرجوا أو قعدوا، فيكون هذا نظير قوله تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله الدنيا رغبة عنها بالآخرة رغبة فيها. فإن هؤلاء الذين يوجه إليهم الخطاب لأنهم الذين قد أعدوا أنفسهم ووطنوها على جهاد الأعداء، لما معهم من الإيمان التام الآية وهو أصحابها. وقيل: إن معناه: فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الكاملو الإيمان، الصادقون في إيمانهم الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أي: يبيعون وتكميل نفسه، فلماذا أمر هؤلاء بالإخلاص والخروج في سبيله فقال: فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة هذا أحد الأقوال في هذه ومن لطف الله بعباده أن لا يقطع عنهم رحمته، ولا يغلق عنهم أبوابها. بل من حصل منه غير ما يليق أمره ودعاه إلى جبر نقصه

فضل عظيم ويلازم المتخلف عنه أعظم اللوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجرا وأكبر فائدة، بحيث يكون من باب دفع الأعداء. 75 أهلها، فصار جهادكم على هذا الوجه من باب القتال والذب عن عيالاتكم وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه والشرك، وللمؤمنين بالأذى والصد عن سبيل الله، ومنعهم من الدعوة لدينهم والهجرة. ويدعون الله أن يجعل لهم وليا ونصيرا يستنقذهم من هذه القرية الظالم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، ومع هذا فقد نالهم أعظم الظلم من أعدائهم، فهم يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها لأنفسهم بالكفر قد تعين عليهم، وتوجه اللوم العظيم عليهم بتركه، فقال: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والحال أن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين هذا حث من الله لعباده المؤمنين وتهيبج لهم على القتال في سبيله، وأن ذلك

الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق ولا لكيد الله لعباده المؤمنين. 76 ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة. فلماذا قال تعالى: فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا والكيد: سلوك ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمد على ركن وثيق، وهو الحق، والتوكل على الله. فصاحب القوة والركن الوثيق يطلب منه من الصبر والثبات والنشاط وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى: إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الآية. الكفر ومقتضياته. ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه ومتابعته. فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت الذي هو الشيطان. في ضمن ذلك عدة فوائد: منها: أنه بحسب إيمان هذا إخبار

خير لمن اتقى أي: اتقى الشرك، وسائر المحرمات. ولا تظلمون فتبلا أي: فسعيكم للدار الآخرة ستجدونه كاملا موفرا غير منقوص منه شيئا. 77 خالدون فيها، فإذا فكر العاقل في هاتين الدارين وتصور حقيقتهما حق التصور، عرف ما هو أحق بالإثارة، والسعي له والاجتهاد لطلبه، ولهذا قال: والآخرة لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه، وأما زمانها، فإن الدنيا منقضية، وعمر الإنسان بالنسبة إلى الدنيا شيء يسير، وأما الآخرة فإنها دائمة النعيم وأهلها سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وأما لذات الدنيا فإنها مشوبة بأنواع التنغيص الذي لو قوبل بين لذاتها وما يقتترن بها من أنواع الآلام والهموم والغموم، الجنة فوق ذلك كما قال تعالى: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال الله على لسان نبيه: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن عنه أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها. ولذاتها صافية عن المكدرات، بل كل ما خطر بالبال أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة ذلك، فكيف إذا وزنت بين الدنيا والآخرة، وأن الآخرة خير منها، في ذاتها، ولذاتها وزمانها، فذاتها كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت قليل، فتحمل الأثقال في طاعة الله في المدة القصيرة مما يسهل على النفوس ويخف عليها؛ لأنها إذا علمت أن المشقة التي تنالها لا يطول لبثها هان عليها

تفسير السعدي

الصبر. ثم إن الله وعظهم عن هذه الحال التي فيها التخلف عن القتال فقال: قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى أي: التمتع بلذات الدنيا وراحتها وهذه الحال كثيرا ما تعرض لمن هو غير رزين واستعجل في الأمور قبل وقتها، فالغالب عليه أنه لا يصبر عليها وقت حلولها ولا ينوء بحملها، بل يكون قليل لأمر الله والصبر على أوامره، فعكسوا الأمر المطلوب منهم فقالوا: لولا أخرتنا إلى أجل قريب أي: هلا أخرت فرض القتال مدة متأخرة عن الوقت الحاضر، ذلك خوفا من الناس وضعفا وخورا: ربنا لم كتب علينا القتال ؟ وفي هذا تضجرهم واعتراضهم على الله، وكان الذي ينبغي لهم ضد هذه الحال، التسليم لكان خيرا لهم وأشد تنبيها فلما هاجروا إلى المدينة وقوي الإسلام، كتب عليهم القتال في وقته المناسب لذلك، فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل اللائق فيها ذلك، وإنما اللائق فيها القيام بما أمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة ونحو ذلك كما قال تعالى: ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به بالإسلام، فروعى جانب المصلحة العظمى على ما دونها ولغير ذلك من الحكم. وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال، غير لا يشق عليهم؛ ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل. ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال مع قلة عددهم وعددهم وكثرة أعدائهم لأدى ذلك إلى اضمحلال ذات النصب والشروط، فإنها لم تفرض إلا بالمدينة، ولم يؤمروا بجهد الأعداء لعدة فوائد: منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه كان المسلمون إذ كانوا بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة أي: مواسة الفقراء، لا الزكاة المعروفة

يخرج منها شيء عن ذلك. وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يكونون سببا لشر يحدث، هم ولا ما جاءوا به لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا والآخرة والدين. 78 ذلك، من الإقبال على كلامهما وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليه. فلو فقهوا عن الله لعلوا أن الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا وفقهم عن الله وعن رسوله، وذلك بسبب كفرهم وإعراضهم. وفي ضمن ذلك مدح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على لا يكادون يفقهون حديثا أي: لا يفهمون حديثا بالكلية ولا يقربون من فهمه، أو لا يفهمون منه إلا فهما ضعيفا، وعلى كل فهو ذم لهم وتوبيخ على عدم فهمهم قل كل أي: من الحسنة والسيئة والخير والشر. من عند الله أي: بقضائه وقدره وخلقه. فما لهؤلاء القوم أي: الصادر منهم تلك المقالة الباطلة. تشابهت أقوالهم وأعمالهم. وهكذا كل من نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه فهو داخل في هذا الذم الوخيم. قال الله في جوابهم: وقال قوم صالح: قالوا اطيروا بك وبمن معك وقال قوم ياسين لرسولهم: إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم الآية. فلما تشابهت قلوبهم بالكفر كما تطير أمثالهم برسول الله، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه سيئة أي: جذب وفقر، ومرض وموت أولاد وأحباب قالوا: هذه من عندك أي: بسبب ما جئتنا به يا محمد، تطيروا برسول الله صلى الله عليه وسلم عما جاءت به الرسل، المعارضين لهم أنهم إذا جاءتهم حسنة أي: خصب وكثرة أموال، وتوفر أولاد وصحة، قالوا: هذه من عند الله وأنهم إن أصابتهم بالترهيب من عقوبة تركه، وتارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودهم، وتارة بتسهيل الطريق في ذلك وقصرها. يخبر تعالى عن الذين لا يعلمون المعارضين وأي مكان. ولو كنتم في بروج مشيدة أي: قصور منيعة ومنازل رفيعة، وكل هذا حث على الجهاد في سبيل الله تارة بالترغيب في فضله وثوابه، وتارة ثم أخبر أنه لا يغني حذر عن قدر، وأن القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئا، فقال: أينما تكونوا يدرككم الموت أي: في أي زمان

وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره نصرا عظيما، يتقن بذلك أنه رسول الله، وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين. 79 أكبر شهادة على الإطلاق، كما قال تعالى: قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم فإذا علم أن الله تعالى كامل العلم، تام القدرة عظيم الحكمة، الله عليه وسلم فقال: وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا على أنك رسول الله حقا بما أيدك بنصره والمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة، فهي أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلا نفسه فإنه المانع لنفسه عن وصول فضل الله وبره. ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله محمد صلى الدين والدنيا فمن نفسك أي: بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر. فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه وأمرهم بالدخول لبره وفضله، وأخبرهم ما أصابك من حسنة أي: في الدين والدنيا فمن الله هو الذي من بها ويسرها بتيسير أسبابها. وما أصابك من سيئة في

الإعطاء، فإن لم يمكن ذلك لكونه حق سفهاء، أو ثم أهم من ذلك فليقولوا لهم قولنا معروفا يردوهم ردا جميلا، بقول حسن غير فاحش ولا قبيح. 8 أشجارهم أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك، علما منه بشدة تشوفه لذلك، وهذا كله مع إمكان إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناول له لمة أو لقمتين أو كما قال. وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا بدأت باكورة ويؤخذ من المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب، ولا عناء ولا نصب، فإن نفوسهم متشوفة إليه، وقلوبهم متطلعة، فاجبروا خواطرهم بما لا يضرهم وهو نافعهم. بقرينة قوله: القسمة لأن الوارثين من المقتسم عليهم. واليتامى والمساكين أي: المستحقون من الفقراء. فارزقوهم منه أي: أعطوهم ما تيسر وهذا من أحكام الله الحسنة الجليلة الجارية للقلوب فقال: وإذا حضر القسمة أي: قسمة الموارث أو لو القربى أي: الأقارب غير الوارثين

وناصحا، وقد أدبت وظيفتك، ووجب أجرك على الله، سواء اهدتوا أم لم يهدتوا. كما قال تعالى: فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر الآية. 80 تولى عن طاعة الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئا فما أرسلناك عليهم حفيظا أي: تحفظ أعمالهم وأحوالهم، بل أرسلناك مبلغا ومبيننا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، وله من الثواب والخير ما رتب على طاعة الله ومن مختص بالرسول، وهو التعزيز والتوقير والنصرة. وقسم مشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله ومحبتهم وطاعتهم، كما جمع الله بين هذه الحقوق في قوله: مطلقا، ويمدح على ذلك. وهذا من الحقوق المشتركة فإن الحقوق ثلاثة: حق لله تعالى لا يكون لأحد من الخلق، وهو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك. وقسم

تفسير السعدي

الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله أمر بطاعته مطلقا، فلولا أنه معصوم في كل ما يبلغ عن الله لم يأمر بطاعته أي: كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه فقد أطاع الله تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر

فإنهم لا يضرونه شيئا إذا توكل على الله واستعان به في نصر دينه، وإقامة شرعه. ولهذا قال: فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا 81 ما فعلوا فقال: والله يكتب ما يبيتون أي: يحفظه عليهم وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، ففيه وعيد لهم. ثم أمر رسوله بمقابلتهم بالإعراض وعدم التعنيف، طائفة منهم غير الذي تقول دليل على أن الأمر الذي استقروا عليه غير الطاعة؛ لأن التبييت تدبير الأمر ليلا على وجه يستقر عليه الرأي، ثم توعدهم على أي: خرجوا وخلوا في حالة لا يطلع فيها عليهم. بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي: بيتوا ودبروا غير طاعتك ولا ثم إلا المعصية. وفي قوله: بيت فإن الطاعة التي أظهرها غير نافعة ولا مفيدة، وقد أشبه من قال الله فيهم: ويقولون طاعة أي: يظهرن الطاعة إذا كانوا عندك. فإذا برزوا من عندك الله ورسوله ظاهرا وباطنا في الحضرة والمغيب. فأما من يظهر في الحضرة والطاعة والالتزام فإذا خلا بنفسه أو أبناء جنسه ترك الطاعة وأقبل على ضدها، ولا بد أن تكون طاعة

علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا. 82 الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط أفعالها ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب وقال تعالى: أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب. وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو عنه من سمات النقص، ويعرف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال وما ينزه يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف،

بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم. 83 عنه؟ ثم قال تعالى: ولولا فضل الله عليكم ورحمته أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، لاتبعتم الشيطان إلا قليلا لأن الإنسان وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. لم يذيعوه، ولهذا قال: لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذاعته مصلحة ونشاط للمؤمنين وسرورا لهم وتحريزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي: والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم

باقية. ولكن من حكمته يبلو بعض عباده ببعض ليقوم سوق الجهاد، ويحصل الإيمان النافع، إيمان الاختيار، لا إيمان الاضطرار والقهر الذي لا يفيد شيئا. 84 بعضكم بعضا. والله أشد بأسا أي: قوة وعزة وأشد تنكيلا بالمذنب في نفسه، وتنكيلا لغيره، فلو شاء تعالى لانتصر من الكفار بقوته ولم يجعل لهم على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال. عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا أي: بقتالكم في سبيل الله، وتحريض على القتال، وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم، وبما أعد للمقاتلين من الثواب، وما أو أحدهما فلماذا قال لرسوله: فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك أي: ليس لك قدرة على غير نفسك، فلن تكلف بفعل غيرك. وحرص المؤمنين هذه الحالة أفضل أحوال العبد، أن يجتهد في نفسه على امتثال أمر الله من الجهاد وغيره، ويحرص غيره عليه، وقد يعدم في العبد الأمان

التعاون على الإثم والعدوان، وقرر ذلك بقوله: وكان الله على كل شيء مقبلا أي: شاهدا حفيظا حسيبا على هذه الأعمال، فيجازي كلا ما يستحقه. 85 عاون غيره على أمر من الشر كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه. ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن من أمور الخير ومنه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم كان له نصيب من شفاعته بحسب سعيه وعمله ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل والمباشر شيء، ومن المراد بالشفاعة هنا: المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفع غيره وقام معه على أمر

الله كان على كل شيء حسيبا فيحفظ على العباد أعمالهم، حسننها وسيئها، صغيرها وكبيرها، ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله وحكمه المحمود. 86 رد التحية كل تحية اعتادها الناس وهي غير محظورة شرعا، فإنه مأمور بردها وبأحسن منها، ثم أوعد تعالى وتوعد على فعل الحسنات والسيئات بقوله: إن أمر الشارع بهجره وعدم تحيته، وهو العاصي غير التائب الذي يرتدع بالهجر، فإنه يهجر ولا يحيا، ولا ترد تحيته، وذلك لمعارضة المصلحة الكبرى. ويدخل في من حيا بحال غير مأمور بها، كعلى مشغول بقراءة، أو استماع خطبة، أو وصل ونحو ذلك فإنه لا يطلب إجابة تحيته، وكذلك يستثنى من ذلك من

تفسير السعدي

الثاني: ما يستفاد من أفعال التفضيل وهو أحسن الدال على مشاركة التحية وردّها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك. ويستثنى من عموم الآية الكريمة ويؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعا. تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها لفظا وبشاشة، أو مثلها في ذلك. ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أو ردها بدونها. من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقتضيه بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء وردا. فأمر التحية هي: اللفظ الصادر

بل أعلاها. فكل ما قيل في العقائد والعلوم والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به، فهو باطل لمناقضته للخبر الصادق اليقين، فلا يمكن أن يكون حقا. 87 ذلك على الله يسير وفي قوله: ومن أصدق من الله حديثا ومن أصدق من الله قتيلا إخبار بأن حديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم عليه في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قلا بلى وربّي لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم خلقه عبثا، يحيون ثم يموتون. وأما الدليل السمعي فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك، بل إقسامه عليه ولهذا قال: ومن أصدق من الله حديثا كذلك أمر العقلي ما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها، ومن وجود النشأة الأولى التي وقوع الثانية أولى منها بالإمكان، ومن الحكمة التي تجزم بأن الله لم يخلق أي: أولكم وآخركم في مقام واحد. في يوم القيامة لا ريب فيه أي: لا شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، بالدليل العقلي والدليل السمعي، فالدليل المستحق لذلك وحده والمجازي للعباد بما قاموا به من عبوديته أو تركوه منها، ولذلك أقسم على وقوع محل الجزاء وهو يوم القيامة، فقال: ليجمعنكم هو، لكماله في ذاته وأوصافه ولكونه المنفرد بالخلق والتدبير، والنعم الظاهرة والباطنة. وذلك يستلزم الأمر بعبادته والتقرب إليه بجميع أنواع العبودية. لكونه يخبر تعالى عن انفراده بالوحدانية وأنه لا معبود ولا ما لوه إلا

الله عليهم فيه، اشتباه، فبعضهم تخرج عن قتالهم، وقطع موالاتهم بسبب ما أظهره من الإيمان، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم فحكم بكفرهم. 88 المراد بالمنافقين المذكورين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلامهم، ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة رضوان حيث ثقفتهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسألة، فلا يلوموا إلا أنفسهم. 89 المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم أي: المسالمة والمودعة ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم الفرقة فتركوه خوفا لا احتراما، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتضاحا عظيما اعتزال ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها. فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احتراما لهم لا خوفا على أنفسهم، وأما هذه إلى الفتنة أركسوا فيها أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على رءوسهم، وازداد كفرهم عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ستجدون آخرين أي: من هؤلاء المنافقين. يريدون أن يأمنوكم أي: خوفا منكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا من ذلك. فهؤلاء إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر قومهم وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام: إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضا أمر بتركهم، وذكر الحكمة في ذلك في قوله: ولو وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال. والفرقة الثانية قوم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا التحريم في الأشهر الحرم. ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق: فرقتين أمر بتركهم وحتم على ذلك، إحداها من يصل إلى قوم بينهم كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد وهاجر إليه، وسواء كان مؤمنا حقيقة أو ظاهر الإيمان. وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي: في أي وقت وأي محل بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه تحققتم ذلك منهم فلا تتخذوا منهم أولياء وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرروا كفرهم، وودوا مع ذلك كفرهم وأن تكونوا مثلهم. فإذا فأخبرهم الله

بعدهم من ذريتهم الضعاف فليتقوا الله في ولايتهم لغيرهم، أي: يعاملونهم بما فيه تقوى الله، من عدم إهانتهم والقيام عليهم، وإلزامهم لتقوى الله. 9 أولادهم بعدهم. وقيل: إن المراد بذلك أولياء السفهاء من المجانين والصغار والضعاف أن يعاملوهم في مصالحهم الدينية والدنيوية بما يحبون أن يعامل به من المساواة فيها، بدليل قوله: وليقولوا قولا سديدا أي: سدادا، موافقا للقسط والمعروف. وأنهم يأمرهم من يريد الوصية على أولاده بما يحبون معاملة قيل: إن هذا خطاب لمن يحضر من حضره الموت وأجنف في وصيته، أن يأمره بالعدل في وصيته

حيث ثقفتهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسألة، فلا يلوموا إلا أنفسهم. 90 المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم أي: المسالمة والمودعة ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم

تفسير السعدي

الفرقة فتركوه خوفا لا احتراماً، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتساحاً عظيماً اعتزال ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها. فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احتراماً لهم لا خوفاً على أنفسهم، وأما هذه إلى الفتنة أركسوا فيها أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على رءوسهم، وازداد كفرهم عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ستجدون آخرين أي: من هؤلاء المنافقين. يريدون أن يأمنوكم أي: خوفاً منكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا من ذلك. فهؤلاء إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر قومهم وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلوكم فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام: إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضاً أمر بتركهم، وذكر الحكمة في ذلك في قوله: ولو وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال. والفرقة الثانية قوم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا التحريم في الأشهر الحرم. ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق: فرقتين أمر بتركهم وحتم على ذلك، إحداها من يصل إلى قوم بينهم كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد وهاجر إليه، وسواء كان مؤمناً حقيقة أو ظاهر الإيمان. وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي: في أي وقت وأي محل بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه تحققتم ذلك منهم فلا تتخذوا منهم أولياء وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضاً بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتهبوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرروا كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم وأن تكونوا مثلهم. فإذا فأخبرهم الله

حيث ثقتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسالمة، فلا يلوموا إلا أنفسهم. 91 المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم أي: المسالمة والمودعة ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم الفرقة فتركوه خوفاً لا احتراماً، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتساحاً عظيماً اعتزال ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها. فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احتراماً لهم لا خوفاً على أنفسهم، وأما هذه إلى الفتنة أركسوا فيها أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على رءوسهم، وازداد كفرهم عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ستجدون آخرين أي: من هؤلاء المنافقين. يريدون أن يأمنوكم أي: خوفاً منكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا من ذلك. فهؤلاء إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر قومهم وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلوكم فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام: إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضاً أمر بتركهم، وذكر الحكمة في ذلك في قوله: ولو وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال. والفرقة الثانية قوم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا التحريم في الأشهر الحرم. ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق: فرقتين أمر بتركهم وحتم على ذلك، إحداها من يصل إلى قوم بينهم كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد وهاجر إليه، وسواء كان مؤمناً حقيقة أو ظاهر الإيمان. وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي: في أي وقت وأي محل بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه تحققتم ذلك منهم فلا تتخذوا منهم أولياء وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضاً بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتهبوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرروا كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم وأن تكونوا مثلهم. فإذا فأخبرهم الله

وطاقتهم، وخففت أيضاً بتأجيلها عليهم ثلاث سنين. ومن حكمته وعلمه أن جبر أهل القتل عن مصيبتهم، بالدية التي أوجبها على أولياء القتال. 92 تحصيل المصالح وكف المفساد ولعل ذلك من أسباب منعهم لمن يعقلون عنه من القتل حذراً من تحميلهم ويخف عنهم بسبب توزيعه عليهم بقدر أحوالهم بإجماع العلماء، لكون القاتل لم يذنب فيشق عليه أن يحمل هذه الدية الباهظة، فناسب أن يقوم بذلك من بينه وبينهم المعاونة والمناصرة والمساعدة على في القتل الدية ولو كان خطأ، لتكون رادعة وكافة عن كثير من القتل باستعمال الأسباب العاصمة عن ذلك. ومن حكمته أن وجبت على العاقلة في قتل الخطأ، الشاقة في عددها ووجوب التتابع فيها، ولم يشرع الإطعام في هذا الموضع لعدم المناسبة. بخلاف الظاهر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. ومن حكمته أن أوجب فأخرج نفسه من رق الشهوات واللذات الحسية القاطعة للعبد عن سعادته الأبدية إلى التعبد لله تعالى بتركها تقرباً إلى الله. ومدها تعالى بهذه المدة الكثيرة وأخرجها من الوجود إلى العدم، فناسب أن يعتق رقبة ويخرجها من رق العبودية للخلق إلى الحرية التامة، فإن لم يجد هذه الرقبة صام شهرين متتابعين،

تفسير السعدي

بل كل ما خلقه وشرعه فهو متضمن لغاية الحكمة، ومن علمه وحكمته أن أوجب على القاتل كفارة مناسبة لما صدر منه، فإنه تسبب لإعدام نفس محترمة، عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، في أي وقت كان وأي محل كان. ولا يخرج عن حكمته من المخلوقات والشرائع شيء، وتكفير لما عساه أن يحصل منهم من تقصير وعدم احتراز، كما هو واقع كثيرا للقاتل خطأ. وكان الله عليهما حكيما أي: كامل العلم كامل الحكمة، لا يخفى كان لغير عذر انقطع التتابع ووجب عليه استئناف الصوم. توبة من الله أي: هذه الكفارات التي أوجبها الله على القاتل توبة من الله على عباده ورحمة بهم، شيء يفي بالرقبة، فصيام شهرين متتابعين أي: لا يفطر بينهما من غير عذر، فإن أفطر لعذر فإن العذر لا يقطع التتابع، كالمرض والحيض ونحوهما. وإن وذلك لاحترام أهله بما لهم من العهد والميثاق. فمن لم يجد الرقبة ولا ثمنها، بأن كان معسرا بذلك، ليس عنده ما يفضل عن مؤنته وحوائجه الأصلية وليس عليكم لأهله دية، لعدم احترامهم في دمائهم وأموالهم. وإن كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة الله سماها صدقة، والصدقة مطلوبة في كل وقت. فإن كان المقتول من قوم عدو لكم أي: من كفار حربيين وهو مؤمن ففتح تحرير رقبة مؤمنة أي: تفاصيل كثيرة مذكورة في كتب الفقه. وقوله: إلا أن يصدقوا أي: يتصدق ورثة القاتل بالعفو عن الدية، فإنها تسقط، وفي ذلك حث لهم على العفو لأن القاتل في الخطأ وشبه العمد. مسلمة إلى أهله جبرا لقلوبهم، والمراد بأهله هنا هم ورثته، فإن الورثة يرثون ما ترك الميت، فالدية داخلة فيما ترك وللدية تخليص من استحققت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع لم يتصور وجود التحرير. فتأمل ذلك فإنه واضح. وأما الدية فإنها تجب على عاقلة العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعثقه، وبقاؤه في الرق أنفع له فإنه لا يجزئ عتقه، مع أن في قوله: تحرير رقبة ما يدل على ذلك؛ فإن التحرير: والكبير، والذكر والأنثى، والصحيح والمعيب، في قول بعض العلماء. ولكن الحكمة تقتضي أن لا يجزئ عتق المعيب في الكفارة؛ لأن المقصود بالعتق نفع ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا، كما يفيد التنكير في سياق الشرط، فإن على القاتل تحرير رقبة مؤمنة كفارة لذلك، تكون في ماله، ويشمل ذلك الصغير من أسرار الإتيان بـ من في هذا الموضوع، فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول: فإن قتله، ولكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله من وسوء كان المقتول مؤمنا خطأ سواء كان القاتل ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا، صغيرا أو كبيرا، عاقلا أو مجنونا، مسلما أو كافرا، كما يفيد لفظ من الدالة على العموم وهذا غير آثم، ولا مجترئ على محارم الله، ولكنه لما كان قد فعل فعلا شنيعا وصورته كافية في قبحه وإن لم يقصده أمر تعالى بالكفارة والدية فقال: ومن قتل لفظا عاما لجميع الأحوال، وأنه لا يصدر منه قتل أخيه بوجه من الوجوه، استثنى تعالى قتل الخطأ فقال: إلا خطأ فإن المخطئ الذي لا يقصد القتل بعدي كافرا يضرب بعضكم رقاب بعض فعلم أن القتل من الكفر العملي وأكبر الكبائر بعد الشرك بالله. ولما كان قوله: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إيمانية التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذى، وأي أذى أشد من القتل؟ وهذا يصدق قوله صلى الله عليه وسلم: لا ترجعوا من فاسق قد نقص إيمانه نقضا عظيما، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك، فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة يتمتع ويستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي: متعمدا، وفي هذا الإخبار بشدة تحريمه وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو هذه الصيغة من صيغ الامتناع، أي:

التوبة كل وقت بالرجوع إلى الله في عدد أنفاسه، وهذا من أحب الخلق إلى الله. انتهى كلامه قدس الله روحه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا. 93 كما تحرق النار الحطب، وصاحب هذا المقام من الإيمان يستحيل إصراره على السيئات، وإن وقعت منه وكثرت، فإن ما معه من نور الإيمان يأمره بتجديد ذلك، ونسبة ذلك إليه نسبة ما لا يليق به إليه، فيكون نسبة ذلك إلى بصيرته كنسبة الشمس والنجوم إلى بصره. وهذا يقين الإيمان، وهو الذي يحرق السيئات، في كتابه من أمر المعاد وتفاصيله، حتى كأنه يشاهده رأي عين. ويعلم أن هذا هو مقتضى إلهيته سبحانه، وربوبيته وعزته وحكمته وأنه يستحيل عليه خلاف ومن يدخل النار ثم يخرج منها ويكون مكته فيها بحسب ما فيه من مقتضى المكث في سرعة الخروج وبطئه. ومن له بصيرة منورة يرى بها كل ما أخبر الله به وأحدهما يمنع كمال تأثير الآخر ويقاومه، فإذا ترجح عليه وقهره كان التأثير له. ومن هنا يعلم انقسام الخلق إلى من يدخل الجنة ولا يدخل النار، وعكسه، الأخلط وبغيها مانع من عمل الطبيعة، وفعل القوة والحكم للغالب منهما، وكذلك قوى الأدوية والأمراض. والعبد يكون فيه مقتضى للصحة ومقتضى للعطب، الأسباب ومسبباتها خلقا وأمرا، وقد جعل الله سبحانه لكل ضد يدافعه ويقاومه، ويكون الحكم للأغلب منهما. فالقوة مقتضية للصحة والعافية، وفساد قالوا: وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما. وعلى هذا بناء الأحكام الشرعية والأحكام القدريّة، وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود، وبه ارتباط هذه النصوص فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين. ومن هنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات، اعتبارا بمقتضى العقاب وموانعه، وإعمالا لأرجحها. المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتضى لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص. فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص وأمثالها مما ذكر فيه مقتضى للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه. وغاية هذه النصوص الإمام المحقق: شمس الدين بن القيم رحمه الله في المدارج فإنه قال بعدما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك وانتقدها فقال: وقالت فرقة: هذه النصوص اختلفت الأئمة رحمهم الله في تأويلها مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدونهم في النار ولو كانوا موحدين. والصواب في تأويلها ما قاله فعباذا بالله من كل سبب يبعد عن رحمته. وهذا الوعيد له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، على بعض الكبائر والمعاصي بالخلود في النار، أو حرمان الجنة. وقد قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار. له الأفئدة، وتنزعج منه أولو العقول. فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاء جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم

تفسير السعدي

تقدم أن الله أخبر أنه لا يصدر قتل المؤمن من المؤمن، وأن القتل من الكفر العملي، وذكر هنا وعيد القاتل عمدا، وعيدا ترجف له القلوب وتنصدع حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب. إن الله كان بما تعملون خبيرا فيجازي كلا ما عمله ونواه، بحسب ما علمه من أحوال عباده ونياتهم. 94 في أنه إنما سلم تعوذا من القتل وخوفا على نفسه فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيثبت فيها العبد، كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأمورا بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه، ولهذا أعاد الأمر بالتبين فقال: فتبينوا فإذا بعد ضلالكم فكذلك يهدي غيركم، وكما أن الهداية حصلت لكم شيئا فشيئا، فكذلك غيركم. فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، ومعاملته لمن كان على مثلها امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها. ثم قال تعالى مذكرا لهم بحالهم الأولى، قبل هدايتهم إلى الإسلام: كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم أي: فكما هداكم مائلة إلى حالة له فيها هوى وهي مضرة له، أن يذكرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيبا للنفس في على ارتكاب ما لا ينبغي فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى. وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه فلماذا عاتبهم بقوله: ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة أي: فلا يحملنكم العرض الفاني القليل الذين عاتبهم الله في الآية لما لم يتثبتوا وقتلوا من سلم عليهم، وكان معه غنيمة له أو مال غيره، ظنا أنه يستكفي بذلك قتلهم، وكان هذا خطأ في نفس الأمر، عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله وورائته، بخلاف المستعجل للأمر في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟ فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشورور أمورهم المشتبهة. فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشككة غير يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع

عنها. ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة الصادرين عن اسميه الكريمين الغفور الرحيم ختم هذا الآية بهما فقال: وكان الله غفورا رحاما 95 له الكمال. كما إذا قيل: النصارى خير من المجوس فليقل مع ذلك: وكل منهما كافر. والقتل أشنع من الزنا، وكل منهما معصية كبيرة، حرما الله ورسوله وزجر والأعمال أن يتفطن لهذه النكتة. وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض، لئلا يتوهم أن المفضل قد حصل ثم قال: وكلا وعد الله الحسنى وكما قال تعالى: ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف في الآيات المذكورة في الصف في قوله: وبشر المؤمنين وكما في قوله تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أي: ممن لم يكن كذلك. شيء، وكل منهما له فضل، احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا: وكلا وعد الله الحسنى وكما قال تعالى حالة إلى أعلى منها عند التفضيل والمدح، أو النزول من حالة إلى ما دونها، عند القدح والذم أحسن لفظا وأوقع في النفس. وكذلك إذا فضل تعالى شيئا على فإنه نفى التسوية أولا بين المجاهد وغيره، ثم صرح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة، ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات. وهذا الانتقال من ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم إلى آخر السورة. وتأمل حسن هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها، أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله. وهذا الثواب الذي رتبته الله على الجهاد، نظير الذي في سورة الصف في قوله: يا أيها الذين آمنوا هل كل شر. والدرجات التي فصلها النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث الثابت عنه في الصحيحين أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل. ثم صرح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر. ومن كان عازما على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك ويحدث به نفسه، فإنه بمنزلة من خرج للجهاد، به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمن كان من أولي الضرر راضيا بقعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع، ولا يحدث نفسه على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر. وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج والذي لا يجد ما يتجهز أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث

عنها. ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة الصادرين عن اسميه الكريمين الغفور الرحيم ختم هذا الآية بهما فقال: وكان الله غفورا رحاما 96 له الكمال. كما إذا قيل: النصارى خير من المجوس فليقل مع ذلك: وكل منهما كافر. والقتل أشنع من الزنا، وكل منهما معصية كبيرة، حرما الله ورسوله وزجر والأعمال أن يتفطن لهذه النكتة. وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض، لئلا يتوهم أن المفضل قد حصل ثم قال: وكلا وعد الله الحسنى وكما قال تعالى: ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف في الآيات المذكورة في الصف في قوله: وبشر المؤمنين وكما في قوله تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أي: ممن لم يكن كذلك. شيء، وكل منهما له فضل، احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا: وكلا وعد الله الحسنى وكما قال تعالى حالة إلى أعلى منها عند التفضيل والمدح، أو النزول من حالة إلى ما دونها، عند القدح والذم أحسن لفظا وأوقع في النفس. وكذلك إذا فضل تعالى شيئا على فإنه نفى التسوية أولا بين المجاهد وغيره، ثم صرح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة، ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات. وهذا الانتقال من

تفسير السعدي

ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم إلى آخر السورة. وتأمل حسن هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها، أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله. وهذا الثواب الذي رتبته الله على الجهاد، نظير الذي في سورة الصف في قوله: يا أيها الذين آمنوا هل كل شر. والدرجات التي فصلها النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث الثابت عنه في الصحيحين أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل. ثم صرح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر. ومن كان عازما على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك ويحدث به نفسه، فإنه بمنزلة من خرج للجهاد، به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمن كان من أولي الضرر راضيا بعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع، ولا يحدث نفسه على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر. وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج والذي لا يجد ما يتجهز أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث

شيء من ذلك لم يكن متوفيا. وفيه الإيمان بالملائكة ومدحهم، لأن الله ساق ذلك الخطاب لهم على وجه التقرير والاستحسان منهم، وموافقته لمحل. 97 على أن كل من توفي فقد استكمل واستوفى ما قدر له من الرزق والأجل والعمل، وذلك مأخوذ من لفظ التوفي فإنه يدل على ذلك، لأنه لو بقي عليه شروطه وانتفاء موانعه، وقد يمنع من ذلك مانع. وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر، وفي الآية دليل الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا وهذا كما تقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع من إظهار دينه، فإن له متسعا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون قال ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه قدرة على الهجرة. وهم غير صادقين في ذلك لأن الله وبخهم وتوعدهم، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، واستثنى المستضعفين حقيقة. ولهذا قالت لهم الملائكة: الخير الكثير، والجهاد مع رسوله، والكون مع المسلمين، ومعاونتهم على أعدائهم. قالوا كنا مستضعفين في الأرض أي: ضعفاء مقهورين مظلومين، ليس لنا العظيم، ويقولون لهم: فيم كنتم أي: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ بل كنتم سوادهم، وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم هذا الوعيد الشديد لمن ترك الهجرة مع قدرته عليها حتى مات، فإن الملائكة الذين يقبضون روحه يوبخونه بهذا التوبيخ

ثم استثنى المستضعفين على الحقيقة، الذين لا قدرة لهم على الهجرة بوجه من الوجوه ولا يهتدون سبيلا 98

أبواب الحيل لقوله: لا يستطيعون حيلة وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ونحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة. 99 الله ما استطعتم وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده وانسدت عليه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج وقال في عموم الأوامر: فاتقوا الوجه اللانق الذي ينبغي، بل يكون مقصرا فلا يستحق ذلك الثواب. والله أعلم. وفي الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن الأمور من واجب وغيره فإنه واجب وقوعها من الله تعالى بمقتضى كرمه وإحسانه، وفي الترجية بالثواب لمن عمل بعض الأعمال فائدة، وهو أنه قد لا يوفيه حق توفيته، ولا يعمل على فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا و عسى ونحوها

سورة 5

رحمة بكم، وحرم عليكم ما استثنى منها من ذوات العوارض، من الميتة ونحوها، صونا لكم واحتراما، ومن صيد الإحرام احتراماً للإحرام وإعظاما. 1 يحكم ما يريد أي: فمهما أرادته تعالى حكم به حكما موافقا لحكمته، كما أمركم بالوفاء بالعقود لحصول مصالحكم ودفع المضار عنكم. وأحل لكم بهيمة الأنعام أي: متجربون على قتله في حال الإحرام، وفي الحرم، فإن ذلك لا يحل لكم إذا كان صيدا، كالظباء ونحوه. والصيد هو الحيوان المأكول المتوحش. إن الله في حال الإحرام فقال: غير محلي الصيد وأنتم حرم أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام في كل حال، إلا حيث كنتم متصفين بأنكم غير محلي الصيد وأنتم حرم، آخر الآية. فإن هذه المذكورات وإن كانت من بهيمة الأنعام فإنها محرمة. ولما كانت إباحة بهيمة الأنعام عامة في جميع الأحوال والأوقات، استثنى منها الصيد الآية على إباحة الجنين الذي يموت في بطن أمه بعدما تدبج. إلا ما يتلى عليكم تحريمه منها في قوله: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير إلى بكم بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، بل ربما دخل في ذلك الوحشي منها، والظباء وحمر الوحش، ونحوها من الصيود. واستدل بعض الصحابة بهذه التقاطع. فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها ثم قال ممتنا على عباده: أحلت لكم أي: لأجلكم، رحمة بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: إنما المؤمنون إخوة بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم بحقوق الصلبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، شيئا، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم. والتي بينه وبين أصحابه من القيام

تفسير السعدي

أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود،

كفروا وكذبوا بآياتنا الدالة على الحق المبين، فكذبوا بها بعد ما أبانت الحقائق. أولئك أصحاب الجحيم الملازمون لها ملازمة صاحب لصاحبه. 10 والذين

أخبر أن الفلاح متوقف على التقوى التي هي موافقة الله في أمره ونهيه، فمن اتقاه أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواه حصل له الخسران وفاتته الأرباح. 100 تفلحون فأمر أولي الأبواب، أي: أهل العقول الوافية، والآراء الكاملة، فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب. وهم الذين يؤبه لهم، ويرجى أن يكون فيهم خير. ثم الطيبة، ولا المال الحرام بالمال الحلال. ولو أعجبت كثرة الخبيث فإنه لا ينفع صاحبه شيئا، بل يضره في دينه ودنياه. فاتقوا الله يا أولي الأبواب لعلكم الخير: لا يستوي الخبيث والطيب من كل شيء، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا الطاعة والمعصية، ولا أهل الجنة وأهل النار، ولا الأعمال الخبيثة والأعمال أي: قل للناس محذرا عن الشر ومرغبا في

وعفا عنه. والله غفور حلیم أي: لم يزل بالمغفرة موصوفا، وبالحلم والإحسان معروفا، فتعرضوا لمغفرته وإحسانه، واطلبوه من رحمته ورضوانه. 101 السماء، تبد لكم، أي: تبين لكم وتظهر، وإلا فاستكتوا عما سكت الله عنه. عفا الله عنها أي: سكت معافيا لعباده منها، فكل ما سكت الله عنه فهو مما أباحه أي: وإذا وافق سؤالكم محله فسألتم عنها حين ينزل عليكم القرآن، فتسألون عن آية أشكلت، أو حكم خفي وجهه عليكم، في وقت يمكن فيه نزول الوحي من الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهذا مأمور به، كما قال تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الواقعة. وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أخرجت الأمة، وكالسؤال عما لا يعني، فهذه الأسئلة، وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السؤال المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بين للسائل لم يكن له فيه خير، وكسؤالهم للأمور غير ينهي عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء التي إذا بينت لهم ساءت لهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض

الصحيح: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم. 102 من قبلكم أي: جنسها وشبهها، سؤال تعنت لا استرشاد. فلما بينت لهم وجاءتهم أصبحوا بها كافرين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث وهذه المسائل التي نهيتكم عنها قد سألها قوم

ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون فلا نقل فيها ولا عقل، ومع هذا فقد أعجبوا بآرائهم التي بنيت على الجهالة والظلم. 103 إلى حالة معروفة بينهم. فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان. وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم، ولهذا قال: عليه، سببها فلا تركب ولا يحمل عليها ولا تؤكل، وبعضهم ينذر شيئا من ماله يجعله سائبة. ولا حام أي: جمل يحمى ظهره عن الركوب والحمل، إذا وصل ما جعل الله من بحيرة وهي: ناقة يشقون أذنها، ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة. ولا سائبة وهي: ناقة، أو بقرة، أو شاة، إذا بلغت شيئا اصطلحوا في الدين ما لم يأذن به الله، وحرموها ما أحله الله، فجعلا بآرائهم الفاسدة شيئا من مواشيهم محرما، على حسب اصطلاحاتهم التي عارضت ما أنزل الله فقال: هذا ذم للمشركين الذين شرعوا

شيء. فتبا لمن قلد من لا علم عنده صحيح، ولا عقل رجيح، وترك اتباع ما أنزل الله، واتباع رسله الذي يملأ القلوب علما وإيمانا، وهدي، وإيقانا. 104 من عذاب الله. ولو كان في آباءهم كفاية ومعرفة ودراية لهان الأمر. ولكن آباءهم لا يعقلون شيئا، أي: ليس عندهم من المعقول شيء، ولا من العلم والهدى فإذا دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا فلم يقبلوا، وقالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ولو كان غير سديد، ولا دينا ينجي ضلال غيره. وقوله: إلى الله مرجعكم جميعا أي: مآلكم يوم القيامة، واجتماعكم بين يدي الله تعالى. فينبئكم بما كنتم تعملون من خير وشر. 105 فإنه لا يتم هداة، إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. نعم، إذا كان عاجزا عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه، فإنه لا يضره ضل عن الصراط المستقيم، ولم يهتد إلى الدين القويم، وإنما يضر نفسه. ولا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يضر العبد تركهما وإيهامهما، يقول تعالى: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم أي: اجتهدوا في إصلاحها وكمالها وإلزامها سلوك الصراط المستقيم، فإنكم إذا صلتكم لا يضركم من ولو كان ذا قربى فلا نراعيه لأجل قربه منا ولا نكنتم شهادة الله بل نؤديها على ما سمعناها إنا إذا أي: إن كنتمناها لمن الآثمين 106

إن ارتبتم في شهادتهما، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك. ويقولان: لا نشترى به أي: بأيماننا ثمنا بأن نكذب فيها، لأجل عرض من الدنيا. إلا لأن قولهما في تلك الحال مقبول، ويؤكد عليهما، بأن يحبسنا من بعد الصلاة التي يعظمونها. فيقسمان بالله أنهما صدقا، وما غيرا ولا بدلا، هذا والضرورة وعدم غيرهما من المسلمين. إن أنتم ضربتم في الأرض أي: سافرتم فيها فأصابتم مصيبة الموت أي: فأشهدوهما، ولم يأمر بشهادتهما ويشهد عليهما اثنين ذوي عدل ممن تعتبر شهادتهما. أو آخران من غيركم أي: من غير أهل دينكم، من اليهود أو النصارى أو غيرهم، وذلك عند الحاجة يخبر تعالى خبرا متضمنا للأمر بإشهاد اثنين على الوصية، إذا حضر الإنسان مقدمات الموت وعلائمه. فينبغي له أن يكتب وصيته،

بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما أي: أنهما كذبا، وغيرا وخانا. وما اعتدنا إنا إذا لمن الظالمين أي: إن ظلمنا واعتدنا، وشهدنا بغير الحق. 107 وأنهما خانا فأخاران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان أي: فليقم رجلان من أولياء الميت، وليكونا من أقرب الأولياء إليه. فيقسمان

تفسير السعدي

فإن عثر على أنهما أي: الشاهدين استحقا إثما بأن وجد من القرائن ما يدل على كذبهما

أولياء الميت فأقسما بالله: أن أيماننا أصدق من أيمانهما، ولقد خانا وكذبا. ثم يدفع إليهما ما ادعياه، فتكون القرينة مع أيمانهما قائمة مقام البينة. 108 امتحان الشاهدين عند الريبة منهما، وتفريقهما لينظر عن شهادتهما. ومنها: أنه إذا وجدت القرائن الدالة على كذب الوصيين في هذه المسألة قام اثنان من حاجة إلى حبسهما، وتأكيد اليمين عليهما. ومنها: تعظيم أمر الشهادة حيث أضافها تعالى إلى نفسه، وأنه يجب الاعتناء بها والقيام بها بالقسط. ومنها: أنه يجوز وأراد الأولياء أن يؤكدوا عليهم اليمين، ويحبسوهما من بعد الصلاة، فيقسمان بصفة ما ذكر الله تعالى. ومنها: أنه إذا لم تحصل تهمة ولا ريب لم يكن ومنها: جواز سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذور. ومنها: جواز السفر للتجارة. ومنها: أن الشاهدين إذا ارتبب منهما، ولم تبد قرينة تدل على خيانتها، أنه ربما استفيد من تلميح الحكم ومعناه، أن شهادة الكفار عند عدم غيرهم، حتى في غير هذه المسألة مقبولة، كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. في هذه الوصية ونحوها مقبولة لوجود الضرورة، وهذا مذهب الإمام أحمد. وزعم كثير من أهل العلم: أن هذا الحكم منسوخ، وهذه دعوى لا دليل عليها. ومنها: معتبرة، ولو كان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت وعلاماته، ما دام عقله ثابتا. ومنها: أن شهادة الوصية لا بد فيها من اثنين عدلين. ومنها: أن شهادة الكافرين أوصى لهما العدوي، والله أعلم. ويستدل بالآيات الكريمة على عدة أحكام: منها: أن الوصية مشروعة، وأنه ينبغي لمن حضره الموت أن يوصي. ومنها: أنها الأولين، وأنهما خانا وكذبا، فيستحقون منهما ما يدعون. وهذه الآيات الكريمة نزلت في قصة تميم الداري وعدي بن بدء المشهورة حين فإن لم يصدقوهما ووجدوا قرينة تدل على كذب الشاهدين، فإن شاء أولياء الميت، فليقم منهم اثنان، فيقسمان بالله: لشهادتهما أحق من شهادة الشاهدين إليهما، ولكن لأجل كفرهما فإن الأولياء إذا ارتابوا بهما فإنهم يحلفونهما بعد الصلاة، أنهما ما خانا، ولا كذبا، ولا غيرا، ولا بدلا، فيبرآن بذلك من حق يتوجه إليهما. الموت في سفر ونحوه، مما هو مظنة قلة الشهود المعتبرين أنه ينبغي أن يوصي شاهدين مسلمين عدلين. فإن لم يجد إلا شاهدين كافرين، جاز أن يوصي الميت. والله لا يهدي القوم الفاسقين أي: الذين وصفهم الفسق، فلا يريدون الهدى والقصد إلى الصراط المستقيم. وحاصل هذا، أن الميت إذا حضره أقرب أن يأتوا بالشهادة على وجهها حين تؤكد عليهما تلك التأكيدات. أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم أي: أن لا تقبل أيمانهم، ثم ترد على أولياء قال الله تعالى في بيان حكمة تلك الشهادة وتأكيدها، وردها على أولياء الميت حين تظهر من الشاهدين الخيانة: ذلك أدنى أي:

أي: ماذا أجابتكم به أممكم. ف قالوا لا علم لنا وإنما العلم لك يا ربنا، فأنت أعلم منا. إنك أنت علام الغيوب أي: تعلم الأمور الغائبة والحاضرة. 109 يخبر تعالى عن يوم القيامة وما فيه من الأهوال العظام، وأن الله يجمع به جميع الرسل فيسألهم: ماذا أجبتكم

وتبرؤوا من حولهم وقوتهم، ويثقلوا بالله تعالى في حصول ما يحبون. وعلى حسب إيمان العبد يكون توكله، وهو من واجبات القلب المتفق عليها. 11 به على الانتصار على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ويذكروه، وهذا يشمل كل من هم بالمؤمنين بشر، من كافر ومنافق وباغ، كف الله شره عن المسلمين، فإنه داخل في هذه الآية. ثم أمرهم بما يستعينون قد هموا بأمر، وظنوا أنهم قادرون عليه. فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم، فهو نصر من الله لعباده المؤمنين ينبغي لهم أن يشكروا الله على ذلك، ويعبدوه يعدون قتلهم لأعدائهم، وأخذ أموالهم وبلادهم وسبيهم نعمة فليعدوا أيضا إنعامه عليهم بكف أيديهم عنهم، ورد كيدهم في نحورهم نعمة. فإنهم الأعداء، يذكر تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة، ويحثهم على تذكرها بالقلب واللسان، وأنهم كما أنهم

الله بها على عبده ورسوله عيسى ابن مريم، ودعاه إلى شكرها والقيام بها، فقام بها عليه السلام أتم القيام، وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم. 110 بالبينات الموجبة للإيمان به. إن هذا إلا سحر مبين وهموا بعيسى أن يقتلوه، وسعوا في ذلك، فكف الله أيديهم عنه، وحفظه منهم وعصمه. فهذه من امتن عنها الأطباء وغيرهم، أيد الله بها عيسى وقوى بها دعوته. وإذا كفت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم لما جاءهم الحق مؤيدا فيه فيكون طيرا بإذن الله، وتبرئ الأكمة الذي لا بصر له ولا عين. والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني فهذه آيات بينات، ومعجزات باهرات، يعجز وحكمه، وحسن الدعوة والتعليم، ومراعاة ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي. وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير أي: طيرا مصورا لا روح فيه. فتنفخ وخصوصا التوراة، فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل بعد موسى بها. ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه. والحكمة هي: معرفة أسرار الشرع وفوائده وجعلني نبيا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا الآية. وإذا علمت الكتاب والحكمة فالكتاب يشمل الكتب السابقة، المرسلين، من التكليم في حال الكهولة، بالرسالة والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر، وامتاز عنهم بأنه كلم الناس في المهد، فقال: إني عبد الله أتاني الكتاب هو مجرد الكلام، وإنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب، وهو الدعوة إلى الله. ولعيسى عليه السلام من ذلك، ما لإخوانه من أولي العزم من عليه السلام، وأن الله أعانه به وبملازمته له، وتثبيتته في المواطن المشقة. تكلم الناس في المهد وكهلا المراد بالتكليم المعهود الذي أي: إذ قويتك بالروح والوحي، الذي طهرك وزكاك، وصار لك قوة على القيام بأمر الله والدعوة إلى سبيله. وقيل: إن المراد بروح القدس جبريل أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك أي: أذكرها بقلبك ولسانك، وقم بواجبها شكرا لربك، حيث أنعم عليك نعمًا ما أنعم بها على غيرك. إذ أيدتك بروح القدس إذ قال الله يا عيسى ابن مريم

بالله، واشهد بأننا مسلمون، فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان. 111 ألهمتهم، وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبرسولي، أو أوحيت إليهم على لسانك، أي: أمرتهم بالوحي الذي جاءك من عند الله، فأجابوا لذلك وانقادوا، وقالوا: آمنا

تفسير السعدي

واذكر نعمتي عليك إذ يسرت لك أتباعا وأعوانا. فأوحيت إلى الحواريين أي:

فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئا. 112
آيات الاقتراح منافيا للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسى عليه السلام فقال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين من السماء أي: مائدة فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، واستطاعته على ذلك. وإنما ذلك من باب العرض والأدب منهم. ولما كان سؤال ابن مريم للحواريين: من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة والحواريون هم: الأنصار، كما قال تعالى كما قال عيسى

ما جئت به، أنه حق وصدق، ونكون عليها من الشاهدين فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدا لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك. 113
قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قال: ونعلم أن قد صدقتنا أي: نعلم صدق حين نرى الآيات العيانة، فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين. كما سأل الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك ف قالوا نريد أن نأكل منها وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، وتطمئن قلوبنا بالإيمان فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم

لنا رزقا، فسأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقا. 114
أعياد المسلمين ومناسكهم مذكرا لآياته، ومنبها على سنن المرسلين وطرقهم القويمية، وفضله وإحسانه عليهم. وارتزقنا وأنت خير الرازقين أي: اجعلها وآخرنا وآية منك أي: يكون وقت نزولها عيدا وموسما، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين. كما جعل الله تعالى فلما سمع عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله: ونكون عليها من الشاهدين والله أعلم بحقيقة الحال. 115
الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأنجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه. أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلا، وإنما ذلك كان متوارثا بينهم، ينقله ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويدل على ذلك، أنه لم يذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف وظلما، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد. وإعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم إن كفروا بهذا الوعد، ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين لأنه شاهد الآية الباهرة وكفر عنادا

ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيهه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة. 116
إنك أنت علام الغيوب وهذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام: لم أقل شيئا من ذلك وإنما أخبر بكلام الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فأنتم أعلم بما صدر مني و ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما عيسى ويقول: سبحانك عن هذا الكلام القبيح، وعما لا يليق بك. ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئا ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ وإذ قال الله يا عيسى

علما وسمعا وبصرا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعتك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر. 117
أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به. فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم أي: المطلع على سرائرهم وضمايرهم. وأنت على كل شيء شهيد وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أنني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي. وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فقال: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجري على عظمتك، أن اعبدوا الله ربي وربكم أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل،

صادرة عن تمام عزة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة. الحكيم حيث كان من مقتضى حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة. 118
فإنهم عبادك وأنت أرحم بهم من أنفسهم وأعلم بأحوالهم، فلو أنهم عباد متمردون لم تعذبهم. وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أي: فمغفرتك إن تعذبهم

خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم، وثمرة أعمالهم الفاسدة. 119
والهدي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ومن الهالك، ومن الشقي ومن السعيد، هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم قال الله مبينا لحال عباده يوم القيامة، ومن الفائز منهم

وعلم، فيستحق ما يستحقه الضالون من حرمان الثواب، وحصول العقاب. فكأنه قيل: ليت شعري ماذا فعلوا؟ وهل وفوا بما عاهدوا الله عليه أم نكثوا؟ 12

تفسير السعدي

عليها من العقوبات. فمن كفر بعد ذلك العهد والميثاق المؤكد بالإيمان والالتزامات، المقرون بالترغيب بذكر ثوابه. فقد ضل سواء السبيل أي: عن عمد ولأدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم، واندفاع المكروه بتكفير السيئات، ودفع ما يترتب والطاعة وأقرضتم الله قرضا حسنا وهو الصدقة والإحسان، الصادر عن الصدق والإخلاص وطيب المكسب، فإذا قمتم بذلك لا كفرن عنكم سيئاتكم وأمنتكم برسلي جميعهم، الذين أفضلهم وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم، وعزرتموهم أي: عظمتموهم، وأديتم ما يجب لهم من الاحترام المؤنة. ثم ذكر ما واثقهم عليه فقال: لنن أقمتم الصلاة ظاهرا وباطنا، بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها، والمداومة على ذلك وآتيتم الزكاة لمستحقيها لهم على القيام بما أمروا به، مطالبا يدعوه. وقال الله للنقباء الذين تحملوا من الأعباء ما تحملوا: إني معكم أي: بالعون والتصر، فإن المعونة بقدر ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل أي: عهدهم المؤكد الغليظ، وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا أي: رئيسا وعريفا على من تحته، ليكون ناظرا عليهم، حاثا على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد، وذكر صفة الميثاق وأجرهم إن قاموا به، وإثمهم إن لم يقوموا به، ثم ذكر أنهم ما قاموا به، وذكر ما عاقبهم به، فقال: يخبر تعالى أنه أخذ

قدير فلا يعجزه شيء، بل جميع الأشياء منقادة لمشيئته، ومسخرة بأمره. تم تفسير سورة المائدة بفضل من الله وإحسان، والحمد لله رب العالمين 120 لله ملك السماوات والأرض لأنه الخالق لهما والمدير لذلك بحكمه القدري، وحكمه الشرعي، وحكمه الجزائي، ولهذا قال: وهو على كل شيء إن الله يحب المحسنين والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. وفي حق المخلوقين: بذل النفع الديني والدنيوي لهم. 13 وهدهم للصرات المستقيم. فاعف عنهم واصفح أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفى عنهم، واصفح، فإن ذلك من الإحسان وقال في الحظ النافع: وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وقوله: إلا قليلا منهم أي: فإنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه فوفقهم عداه فإنما هي حظوظ دنيوية، كما قال تعالى: فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذكر به، وأنه لا بد أن يبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية. وسمى الله تعالى ما ذكروا به حظا، لأنه هو أعظم الحظوظ، وما حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم. فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، المؤمنين. ومن أعظم الخيانة منهم، كتمهم عن من يعظهم ويحسن فيهم الظن الحق، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة. وهذه الخصال الذميمة، بعض الذي قد ذكر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه مما نسوه. الخامسة: الخيانة المستمرة التي لا تزال تطلع على خائنة منهم أي: خيانة لله ولعباده يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم. وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم أنهم نسوا حظا مما ذكروا به فإنهم ذكروا بالتوراة، وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظا منه، وهذا شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم إلا شرا. الثالثة: أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه أي: ابتلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلم الذي أراد الله معنى غير ما أراد الله ولا رسوله. الرابعة: ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيد الهدى، والخير أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم، الذي هو سببها الأعظم. الثانية: قوله: وجعلنا قلوبهم قاسية أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، فيما نقضهم ميثاقهم أي: بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات: الأولى: أنا لعناهم أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أغلقوا على

يوم القيامة، وهذا أمر مشاهد، فإن النصارى لم يزالوا ولا يزالون في بغض وعداوة وشقاق. وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون فيعاقبهم عليه. 14 العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة أي: سلطنا بعضهم على بعض، وصار بينهم من الشرور والإحن ما يقتضي بغض بعضهم بعضا ومعاداة بعضهم بعضا إلى لعيسى ابن مريم، وزكوا أنفسهم بالإيمان بالله ورسله وما جاءوا به، فنقضوا العهد، فنسوا حظا مما ذكروا به نسيانا علميا، ونسيانا عمليا. فأغرينا بينهم أي: وكما أخذنا على اليهود العهد والميثاق، فكذلك أخذنا على الذين قالوا إنا نصارى

مبين لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم. من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية. 15 ويعفو عن كثير أي: يترك بيان ما لا تقتضيه الحكمة. قد جاءكم من الله نور وهو القرآن، يستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة. وكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب من أدل الدلائل على القطع برسالتة، وذلك مثل صفة محمد في كتبهم، ووجود البشائر به في كتبهم، وبيان آية الرجم ونحو ذلك. ما عندهم، فالحريص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم، فإتيان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن العظيم الذي بين به ما كانوا يتكاثمونه بينهم، نبوته، وهي: أنه بين لهم كثيرا مما يخفون عن الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم، فإذا كانوا هم المشار إليهم في العلم ولا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا الكتاب من اليهود والنصارى، وأنهم نقضوا ذلك إلا قليلا منهم، أمرهم جميعا أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، واحتج عليهم بآية قاطعة دالة على صحة لما ذكر تعالى ما أخذه الله على أهل

إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم، والذكر. وكل هذه الهداية بإذن الله، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ويهديهم إلى صراط مستقيم 16 من العذاب، وتوصله إلى دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به، إجمالا وتفصيلا. ويخرجهم من ظلمات الكفر والبعدة والمعصية، والجهل والغفلة، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام أي: يهدي به من اجتهد وحرص على بلوغ مرضاة الله، وصار قصده حسنا سبيل السلام التي تسلم صاحبها وإن شاء من غير أب ولا أم كآدم فنوع خليقته تعالى بمشيئته النافذة، التي لا يستعصي عليها شيء، ولهذا قال: والله على كل شيء قدير 17

تفسير السعدي

عيسى ابن مريم من غير أب، فإن الله يخلق ما يشاء إن شاء من أب وأم، كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم، كحواء. وإن شاء من أم بلا أب، كعيسى. وهم مملوكون مدبرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلهاً معبوداً غنياً من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال. ولا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح يمتنع من الإهلاك، ولا في قوته شيء من الفكاك. ومن الأدلة أن لله وحده ملك السماوات والأرض يتصرف فيهم بحكمه الكوني والشرعي والجزائي، مريم وأمّه ومن في الأرض جميعاً فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعه لو أراد الله أن يهلكهم، ولا قدرة لهم على ذلك. دل على بطلان إلهية من لا فدل على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان ولا شبهة. فرد الله عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال: قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطل مع أن حواء نظيره، خلقت بلا أم، وآدم أولى منه، خلق بلا أب ولا أم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوا في المسيح؟ يقوموا به بل نقضوه، ذكر أقوالهم الشنيعة. فذكر قول النصارى، القول الذي ما قاله أحد غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، ووجه شبهتهم أنه ولد من غير لما ذكر تعالى أخذ الميثاق على أهل الكتابين، وأنهم لم

بينهما وإليه المصير أي: بأي شيء خصكم بهذه الفضيلة، وأنتم من جملة المماليك ومن جملة من يرجع إلى الله في الدار الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم. 18 خلق تجري عليكم أحكام العدل والفضل يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء إذا أتوا بأسباب المغفرة أو أسباب العذاب، ولله ملك السماوات والأرض وما الله ردا عليهم حيث ادعوا بلا برهان: قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ فلو كنتم أحبّاء ما عذبكم لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه بل أنتم بشر ممن منهما: نحن أبناء الله وأحباؤه والابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البتة الحقيقية، فإن هذا ليس من مذهبهم إلا مذهب النصارى في المسيح. قال ومن مقالات اليهود والنصارى أن كلا منهما ادعى دعوى باطلة، يزكون بها أنفسهم، بأن قال كل

الأشياء طوعاً وإذعاناً لقدرته، فلا يستعصي عليه شيء منها، ومن قدرته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأنه يثيب من أطاعهم ويعاقب من عصاهم. 19 الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. وينذر بالعقاب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. والله على كل شيء قدير انقادت والأحكام الشرعية. وقد قطع الله بذلك حجّتهم، لئلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير يبشر بالثواب العاجل والآجل، وبالأعمال ويشكروا الله تعالى الذي أرسله إليهم على حين فترة من الرسل وشدة حاجة إليه. وهذا مما يدعو إلى الإيمان به، وأنه يبين لهم جميع المطالب الإلهية يدعو تبارك وتعالى أهل الكتاب بسبب ما من عليهم من كتابه أن يؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم،

ثم إغاثة غيره على تركه. واتقوا الله إن الله شديد العقاب على من عصاه وتجراً على محارمه، فاحذروا المحارم لئلا يحل بكم عقابه العاجل والآجل. 2 التي يأنم صاحبها، ويخرج. والعنوان وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك. ولا تعاونوا على الإثم وهو التجرؤ على المعاصي الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين. والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه عليه أو ظلم واعتدي عليه، فلا يحل له أن يكذب على من كذب عليه، أو يخون من خانه. وتعاونوا على البر والتقوى أي: ليعن بعضكم بعضاً على البر. وهو: واعتداؤهم عليكم، حيث صدوكم عن المسجد، على الاعتداء عليهم، طلباً للاشتفاء منهم، فإن العبد عليه أن يلتزم أمر الله، ويسلك طريق العدل، ولو جني التحريم يرد الأشياء إلى ما كانت عليه من قبل. ولا يجزئكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي: لا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم حال الإحرام قال: وإذا حللتم فاصطادوا أي: إذا حللتم من الإحرام بالحج والعمرة، وخرجتم من الحرم حل لكم الاصطياد، وزال ذلك التحريم. والأمر بعد من تمام احترام الحرم صد من هذه حاله عن الإفساد ببیت الله، كما قال تعالى: ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ولما نهاهم عن الصيد في إلى الحرم. والتخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه يدل على أن من قصده ليلحد فيه بالمعاصي، فإن الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فالمشرك لا يمكن من الدخول إلى بيت الله وجعل القاصدين له مطمئنين مستريحين، غير خائفين على أنفسهم من القتل فما دونه، ولا على أموالهم من المكس والنهب ونحو ذلك. وهذه من أنواع العبادات، فلا تتعرضوا له بسوء، ولا تهينوه، بل أكرموا، وعظموا الوافدين الزائرين لبيت ربكم. ودخل في هذا الأمر الأمر بتأمين الطرق الموصلة ورضواناً أي: من قصد هذا البيت الحرام، وقصده فضل الله بالتجارة والمكاسب المباحة، أو قصده رضوان الله بحجه وعمرته والطواف به، والصلاة، وغيرها للسنة، وليعرف أنه هدي فيحترم، ولهذا كان تقليد الهدي من السنن والشعائر المسنونة. ولا أمين البيت الحرام أي: قاصدين له يبتغون فضلاً من ربهم هذا نوع خاص من أنواع الهدي، وهو الهدي الذي يقتل له قلائد أو عرى، فيجعل في أعناقهم إظهاراً لشعائر الله، وحملًا للناس على الاقتداء، وتعليماً لهم محله، ولا تأخذه بسرقة أو غيرها، ولا تقصروا به، أو تحملوه ما لا يطيق، خوفاً من تلفه قبل وصوله إلى محله، بل عظموه وعظموا من جاء به. ولا القلائد وقوله: ولا الهدي ولا القلائد أي: ولا تحلوا الهدي الذي يهدي إلى بيت الله في حج أو عمرة، أو غيرها، من نعم وغيرها، فلا تصدوه عن الوصول إلى المقصود منه الدفع. فأما قتال الدفع إذا ابتدأ الكفار المسلمين بالقتال، فإنه يجوز للمسلمين القتال، دفعا عن أنفسهم في الشهر الحرام وغيره بإجماع العلماء. فإنه يجوز. وحملوا قتال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الطائف على ذلك، لأن أول قتالهم في حنين في شوال. وكل هذا في القتال الذي ليس على ذلك، وقالوا: المطلق يحمل على المقيد. وفصل بعضهم فقال: لا يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، وأما استدامته وتكميله إذا كان أوله في غيرها، الحرم. وقال آخرون: إن النهي عن القتال في الأشهر الحرم غير منسوخ لهذه الآية وغيرها، مما فيه النهي عن ذلك بخصوصه، وحملوا النصوص المطلقة الواردة

تفسير السعدي

التي فيها الأمر بقتال الكفار مطلقا، والوعيد في التخلف عن قتالهم مطلقا. وبأن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل أهل الطائف في ذي القعدة، وهو من الأشهر من العلماء على أن القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى: فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وغير ذلك من العمومات إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم والجمهور الإحرام، ومحرمات الحرم. ويدخل في ذلك ما نص عليه بقوله: ولا الشهر الحرام أي: لا تنتهكوه بالقتال فيه وغيره من أنواع الظلم كما قال تعالى: وعدم فعلها، والنهي يشمل النهي عن فعلها، والنهي عن اعتقاد حلها؛ فهو يشمل النهي، عن فعل القبيح، وعن اعتقاده. ويدخل في ذلك النهي عن محرمات يقول تعالى يأيتها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله أي: محرماته التي أمركم بتعظيمها،

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 20 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعبداء، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعبداء لعدوها، ولم تكن لها همم ترققها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يبدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتسب عليهم: لتبنيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرته نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزئوا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهنضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا تردوا أي: ترجعوا على أديباركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعبداء عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعوكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتك جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم. وقومه وأسرهم واستبعادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حوالیه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 إلى 26: لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 21 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعبداء، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعبداء لعدوها، ولم تكن لها همم ترققها

تفسير السعدي

منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتسب عليهم: لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرته نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجح فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا تردوا أي: ترجعوا على أدياركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتكم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألستمكم. وقومه وأسره واستبعادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26: لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 22 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها هم ترقيقها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتسب عليهم: لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرته نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم

تفسير السعدي

الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا ترتدوا أي: ترجعوا على أدياركم فتتقلبوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتك جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم. وقومه وأسره واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26: لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 23 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تترى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترققها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا ييقنون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلنا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلنا إنا معكم مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغمام ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتج عليهم: لنبيه في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرته نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلنا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا ترتدوا أي: ترجعوا على أدياركم فتتقلبوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم

تفسير السعدي

وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادكم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وقومه وأسره واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حوالیه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26 :- لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 24 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تترى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترققها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتم عليهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها فإنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا تردوا أي: ترجعوا على أدياركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادكم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وقومه وأسره واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حوالیه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26 :- لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 25 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تترى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن

تفسير السعدي

في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقئها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتتم عليهم: لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزئوا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا ترتدوا أي: ترجعوا على أدباركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعوكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردي، ويحثونكم على سعادتك جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم. وقومه وأسرهم واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حوالیه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26: لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 26 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تنربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقئها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتتم عليهم: لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم،

تفسير السعدي

الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقَاتِلَا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالوا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزئوا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا ترتدوا أي: ترجعوا على أديباركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وقومه وأسرهم واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26 :- لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 27 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمى وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جبا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أنني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقربان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نبأهما في حال تقريبهما للقربان، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قربا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابنه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 :- إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 28 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمى وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جبا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف

تفسير السعدي

العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقرآن، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نبأهما في حال تقريبيهما للقرآن، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قربا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابنه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 -: إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 29 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم. وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمك وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جينا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقرآن، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نبأهما في حال تقريبيهما للقرآن، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قربا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابنه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 -: إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

ولا يزيد في الأكل على كفايته فإن الله غفور رحيم حيث أباح له الأكل في هذه الحال، ورحمه بما يقيم به بنيته من غير نقص يلحقه في دينه. 3 شيء من المحرمات السابقة، في قوله: حرمت عليكم الميتة في مخمصة أي: مجاعة غير متجانف أي: مائل لإثم بأن لا يأكل حتى يضطر، لكم ديننا، كما ارتضيتكم له، فقوموا به شكرا لربكم، واحمدوا الذي من عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها. فمن اضطر أي: ألجأته الضرورة إلى أكل ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله. وأتممت عليكم نعمتي الظاهرة والباطنة ورضيت لكم الإسلام ديننا أي: اخترته واصطفيته في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه. فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس واخشون أي: فلا تخشوا المشركين، واخشوا الله الذي نصركم عليهم وخذلهم، ورد كيدهم في نحورهم. اليوم أكملت لكم دينكم بتمام النصر، وتكميل في هذه السنة التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع لم يحج فيها مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ولهذا قال: فلا تخشوهم دينهم، طامعين في ذلك. فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره وظهوره، ينسوا كل اليأس من المؤمنين، أن يرجعوا إلى دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون، ولهذا رحيم واليوم المشار إليه يوم عرفة، إذ أتم الله دينه، ونصر عبده ورسوله، وانخذل أهل الشرك انخذالا بليغا، بعد ما كانوا حريصين على رد المؤمنين عن فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديننا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور التي حرّمها الله صيانة لعباده، وأنها فسق، أي: خروج عن طاعته إلى طاعة الشيطان. ثم امتن على عباده بقوله: اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فحرمه الله عليهم، الذي في هذه الصورة وما يشبهه، وعوضهم عنه بالاستخارة لربهم في جميع أمورهم. ذلكم فسق الإشارة لكل ما تقدم من المحرمات، في أمره، وإن ظهر المكتوب عليه لا تفعل لم يفعل ولم يمتض في شأنه، وإن ظهر الآخر الذي لا شيء عليه، أعادها حتى يخرج أحد القدحين فيعمل به. كتابة فيه. فإذا هم أحدهم بسفر أو عرس أو نحوهما، أجال تلك القداح المتساوية في الجرم، ثم أخرج واحدا منها، فإن خرج المكتوب عليه افعل مضى طلب ما يقسم لكم ويقدر بها، وهي قداح ثلاثة كانت تستعمل في الجاهلية، مكتوب على أحدها افعل وعلى الثاني لا تفعل والثالث غفل لا وفيها حياة حلت ولو كانت مبانة الحشوة وهو ظاهر الآية الكريمة وأن تستقسموا بالأزلام أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام. ومعنى الاستقسام: لو أبان السبع أو غيره حشوتها، أو قطع حلقومها، كان وجود حياتها كعدمه، لعدم فائدة الذكاة فيها وبعضهم لم يعتبر فيها إلا وجود الحياة فإذا ذكاهما ما ذكيتم راجع لهذه المسائل، من منخقة، وموقودة، ومتردية، ونطيحة، وأكيلة سبع، إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة لتتحقق الذكاة فيها، ولهذا قال الفقهاء:

تفسير السعدي

غيرها فتموت. وما أكل السبع من ذئب أو أسد أو نمر، أو من الطيور التي تفترس الصيد، فإنها إذا ماتت بسبب أكل السبع، فإنها لا تحل. وقوله: إلا أو هدم شيء عليها، بقصد أو بغير قصد. والمتردية أي: الساقطة من علو، كجبل أو جدار أو سطح ونحوه، فتموت بذلك. والنطيحة وهي التي تنطحها الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو إدخالها رأسها بشيء ضيق، فتعجز عن إخراجها حتى تموت. والموقوذة أي: الميتة بسبب الضرب بعصا أو حصى أو خشبة، وغير ذلك من المخلوقين. فكما أن ذكر الله تعالى يطيب الذبيحة، فذكر اسم غيره عليها، يفيدها خبثا معنويا، لأنه شرك بالله تعالى. والمنخقة أي: الله أحله لهم. أي: فلا تغفروا بهم، بل هو محرم من جملة الخبائث. وما أهل لغير الله به أي: ذكر عليه اسم غير الله تعالى، من الأصنام والأولياء والكواكب ولحم الخنزير وذلك شامل لجميع أجزائه، وإنما نص الله عليه من بين سائر الخبائث من السباع، لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن وكثيرا ما تموت بعلة تكون سببا لهلاكها، فتضر بالاكل. ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسمل، فإنه حلال. والدم أي: المسفوح، كما قيد في الآية الأخرى. لا يبين. فأخبر أنه حرم الميتة والمراد بالميتة: ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها المضرب بأكملها. إلا ما يتلى عليكم واعلم أن الله تبارك وتعالى لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك وقد هذا الذي حولنا الله عليه في قوله:

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 30 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمى وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لمن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جبا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أنني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقرابان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نأهما في حال تقريبهما للقرابان، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قربا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 -: إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 31 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمى وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لمن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جبا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أنني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقرابان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نأهما في حال تقريبهما للقرابان، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قربا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 -: إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

بعد ذلك البيان القاطع للحجة، الموجب للاستقامة في الأرض لمسرفون في العمل بالمعاصي، ومخالفة الرسل الذين جاءوا بالبينات والحجج. 32

تفسير السعدي

ونحوهم، ممن يصول على الناس لقتلهم، أو أخذ أموالهم. ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات التي لا يبقى معها حجة لأحد. ثم إن كثيرا منهم أي: من الناس في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم إلا بالقتل. وكذلك قطاع الطريق على أن القتل يجوز بأحد أمرين: إما أن يقتل نفسا بغير حق متعمدا في ذلك، فإنه يحل قتله، إن كان مكلفا مكافئا، ليس بوالد للمقتول. وإما أن يكون مفسدا دعاء نفسه له إلى قتله، فمنعه خوف الله تعالى من قتله، فهذا كأنه أحيا الناس جميعا، لأن ما معه من الخوف يمنعه من قتل من لا يستحق القتل. ودلت الآية غيره، وإنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمارة بالسوء. فتجروء على قتله، كأنه قتل الناس جميعا. وكذلك من أحيا نفسا أي: استبقى أحدا، فلم يقتله مع معه داع يدعوه إلى التبيين، وأنه لا يقدم على القتل إلا بحق، فلما تجرأ على قتل النفس التي لم تستحق القتل علم أنه لا فرق عنده بين هذا المقتول وبين كتبنا على بني إسرائيل أهل الكتب السماوية أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض أي: بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا؛ لأنه ليس يقول تعالى من أجل ذلك الذي ذكرناه في قصة ابني آدم، وقتل أحدهما أخاه، وسنه القتل لمن بعده، وأن القتل عاقبته وخسارة في الدنيا والآخرة. السبل والطرق، عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض. 33 موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وأن فاعله محارب لله ولرسوله. وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين في بعض التفاصيل. ذلك النكال لهم خزي في الدنيا أي: فضيحة وعار ولهم في الآخرة عذاب عظيم فدل هذا أن قطع الطريق من أعظم الذنوب، ولم يقتلوا، ولا أخذوا مالا، نفوا من الأرض، فلا يتركون يأوون في بلد حتى تظهر توبتهم. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وكثير من الأئمة، على اختلاف قتلوا ولم يأخذوا مالا تحتهم قتلهم فقط. وإن أخذوا مالا ولم يقتلوا تحتهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنى والرجل اليسرى. وإن أخافوا الناس كما تدل عليه الآية بحكمته وموافقتها لحكمة الله تعالى. وأنهم إن قتلوا وأخذوا مالا تحتهم قتلهم وصلبهم، حتى يشتهروا ويختزوا ويرتدع غيرهم. وإن طريق يفعل به الإمام أو نائبه ما رآه المصلحة من هذه الأمور المذكورة؟ وهذا ظاهر اللفظ، أو أن عقوبتهم تكون بحسب جرائمهم، فكل جريمة لها قسط يقابلها، بذلك. فأخبر الله أن جزاءهم ونكالهم عند إقامة الحد عليهم أن يفعل بهم واحد من هذه الأمور. واختلف المفسرون: هل ذلك على التخيير، وأن كل قاطع قطاع الطريق، الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها، فتقطع المحاربون لله ولرسوله، هم الذين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض بالكفر والقتل، وأخذ الأموال، وإخافة السبل. والمشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام ظاهرة. وإذا كانت التوبة قبل القدرة عليه، تمنع من إقامة الحد في الحراة، فغيرها من الحدود إذا تاب من فعلها، قبل القدرة عليه من باب أولى. 34 فإن حق الآدمي، لا يسقط عنه من القتل وأخذ المال. ودل مفهوم الآية على أن توبة المحارب بعد القدرة عليه أنها لا تسقط عنه شيئا، والحكمة في ذلك رحيم أي: فيسقط عنه ما كان له، من تحتهم القتل والصلب والقطع والنفي، ومن حق الآدمي أيضا، إن كان المحارب كافرا ثم أسلم، فإن كان المحارب مسلما إلا الذين تابوا من قبل أن تقدر عليهم أي: من هؤلاء المحاربين، فاعلموا أن الله غفور

وجاهدتم في سبيله ابتغاء مرضاته. والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب، والنجاة من كل مرهوب، فحقيقته السعادة الأبدية والنعيم المقيم. 35 القربات. ولأن من قام به، فهو على القيام بغيره أخرى وأولى لعلكم تفلحون إذا اتقيتم الله بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلى الله، بفعل الطاعات، بذل الجهد في قتال الكافرين بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي في نصر دين الله بكل ما يقدر عليه العبد، لأن هذا النوع من أجل الطاعات وأفضل يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ويستجيب الله له الدعاء. ثم خص تبارك وتعالى من العبادات المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو: والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي والإنابة والتوكل. والبدنية: كالزكاة والحج. والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه، من سخط الله وعذابه. وابتغوا إليه الوسيلة أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، ويبذل غاية ما يمكنه من المقدور في اجتناب ما يسخطه الله، من معاصي القلب واللسان والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحرز من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد،

معه ما تقبل منهم، ولا أفاد، لأن محل الافتداء قد فات، ولم يبق إلا العذاب الأليم، الموجع الدائم الذي لا يخرجون منه أبدا، بل هم ماكثون فيه سرمدا. 36 تفسير الآيتين 36 و 37: يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله يوم القيامة ومآلهم الفظيع، وأنهم لو افتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله معه ما تقبل منهم، ولا أفاد، لأن محل الافتداء قد فات، ولم يبق إلا العذاب الأليم، الموجع الدائم الذي لا يخرجون منه أبدا، بل هم ماكثون فيه سرمدا. 37 تفسير الآيتين 36 و 37: يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله يوم القيامة ومآلهم الفظيع، وأنهم لو افتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله

الله أي: تنكيلا وترهيبا للسارق ولغيره، ليرتدع السارق إذا علموا أنهم سيقطعون إذا سرقوا. والله عزيز حكيم أي: عز وحكم فقطع السارق. 38 تقطع يده اليسرى، ثم رجله اليمنى، وقيل: يحبس حتى يموت. وقوله: جزاء بما كسب أي: ذلك القطع جزاء للسارق بما سرقه من أموال الناس. نكالا من في قطع اليد في السرقة، أن ذلك حفظ للأموال، واحتياط لها، وليقطع العضو الذي صدرت منه الجناية، فإن عاد السارق قطعت رجله اليسرى، فإن عاد، فقيل: لم يكن ذلك سرقة شرعية. ومن الحكمة أيضا أن لا تقطع اليد في الشيء النزر التافه، فلما كان لابد من التقدير، كان التقدير الشرعي مخصصا للكتاب. والحكمة ولعل هذا يؤخذ من لفظ السرقة ومعناها، فإن لفظ السرقة أخذ الشيء على وجه لا يمكن الاحتراز منه، وذلك أن يكون المال محرزا، فلو كان غير محرز

تفسير السعدي

من غير حرز فلا قطع عليه. ومنها: أنه لا بد أن يكون المسروق نصاباً، وهو ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو ما يساوي أحدهما، فلو سرق دون ذلك فلا قطع عليه. فيقف الدم، ولكن السنة قيدت عموم هذه الآية من عدة أوجه: منها: الحرز، فإنه لا بد أن تكون السرقة من حرز، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة. فلو سرق وهو قطع اليد اليمنى، كما هو في قراءة بعض الصحابة. وحد اليد عند الإطلاق من الكوع، فإذا سرق قطعت يده من الكوع، وحسنت في زيت لتتسد العروق السارق: هو من أخذ مال غيره المحترم خفية، بغير رضاه. وهو من كبائر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة،

فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم فيغفر لمن تاب فترك الذنوب، وأصلح الأعمال والعيوب. 39

إلا بها. ثم حث تعالى على تقواه، وحذر من إتيان الحساب في يوم القيامة، وأن ذلك أمر قد دنا واقترب، فقال: واتقوا الله إن الله سريع الحساب 4
الله متعمداً، لم يبيح ما قتل الجارح. العاشر: أنه يجوز أكل ما صاده الجارح، سواء قتله الجارح أم لا. وأنه إن أدركه صاحبه، وفيه حياة مستقرة فإنه لا يباح والانتفاع به. الثامن: فيه حجة لمن أباح بيع كلب الصيد، قال: لأنه قد لا يحصل له إلا بذلك. التاسع: فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجارح، وأنه إن لم يسم لا يباح صيده. السابع: أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذموماً، وليس من العبث والباطل. بل هو أمر مقصود، لأنه وسيلة لحل صيده من الصيد، لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلاً، فدل على طهارته. السادس: فيه فضيلة العلم، وأن الجارح المعلم بسبب العلم يباح صيده، والجاهل بالتعليم كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إبادة صيده وتعليمه جواز اقتنائه. الخامس: طهارة ما أصابه فم الكلب أو مخالبتها، والمشهور أن الجوارح بمعنى الكواشب أي: المحصلات للصيد والمدركات لها فلا يكون فيها على هذا دلالة والله أعلم الرابع: جواز اقتناء من الجوارح مع ما تقدم من تحريم المنخقة. فلو خنقه الكلب أو غيره، أو قتله بثقله لم يباح هذا بناء على أن الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنبياهن لأجلكم. وما أكل منه الجارح فإنه لا يعلم أنه أمسكه على صاحبه، ولعله أن يكون أمسكه على نفسه. الثالث: اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: تعليمها، بأن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل، ولهذا قال: تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم أي: أمسكن من الصيد مما صادته الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقور، ونحو ذلك، مما يصيد بنابه أو بمخلبه. الثاني: أنه يشترط أن تكون معلمة، بما يعد في العرف لكم ما علمتم من الجوارح إلى آخر الآية. دلت هذه الآية على أمور: أحدها: لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكره دلت الآية بمفهومها على تحريم الخبائث، كما صرح به في قوله تعالى: ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح أي: أحل الحبوب والثمار التي في القرى والبراري، ودخل في ذلك جميع حيوانات البحر وجميع حيوانات البر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع والخبائث منها. ولهذا وسلم: يسألونك ماذا أحل لهم من الأطعمة؟ قل أحل لكم الطيبات وهي كل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل، فدخل في ذلك جميع يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما شاء من التصاريح القدريّة والشرعية، والمغفرة والعقوبة، بحسب ما اقتضته حكمته ورحمته الواسعة ومغفرته. 40
وذلك أن لله ملك

وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد. لهم في الدنيا خزي أي: فضيحة وعار ولهم في الآخرة عذاب عظيم هو: النار وسخط الجبار. 41
من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به، وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، ودل على أن طهارة القلب، سبب لكل خير، صدر منهم ما صدر. فدل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك فتنته فلن تملك له من الله شيئاً كقوله تعالى: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أي: فلذلك محمد بهذا الحكم الذي يوافق أهواءكم، فاقبلوا حكمه، وإن لم يحكم لكم به، فاحذروا أن تتابعوه على ذلك، وهذا فتنة واتباع ما تهوى الأنفس. ومن يرد الله به. يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا أي: هذا قولهم عند محاكمتهم إليك، لا قصد لهم إلا اتباع الهوى. يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم إلى الضلال، المتبعين للمحال، الذين يأتون بكل كذب، لا عقول لهم ولا همم. فلا تبال أيضاً إذا لم يتبعوك، لأنهم في غاية النقص، والناقص لا يؤبه له ولا يبالى بما عندهم من الباطل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، أي: جلب معانٍ للألفاظ ما أرادها الله ولا قصدها، لإضلال الخلق ولدفع الحق، فهؤلاء المنقادون للدعاة لم يأتوك أي: مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي. وهؤلاء الرؤساء المتبعون لم يأتوك بل أعرضوا عنكم، وفرحوا بالإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبيغ به بدلاً. ومن الذين هادوا أي: اليهود سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين قلوبهم فإن الذين يؤسى ويحزن عليهم، من كان معدوداً من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهراً وباطناً، وحاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن في النفي. إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، ولهذا قال مبینا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم فقال: من الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن حرصه على الخلق يشد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشد الله تعالى، إلى أنه لا بأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء. فإن هؤلاء لا في العبر ولا كان الرسول صلى الله عليه وسلم من شدة

ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم. وفي هذا بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى يحبه. 42
فإن حكم بينهم وجب أن يحكم بالقسط، ولهذا قال: وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين حتى الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وعلى هذا فكل مستفت ومتحاكم إلى عالم، يعلم من حاله أنه إن حكم عليه لم يرض، لم يجب الحكم ولا الإفتاء لهم،

تفسير السعدي

في ذلك. وليست هذه منسوخة، فإنه عند تحاكم هذا الصنف إليه يخير بين أن يحكم بينهم، أو يعرض عن الحكم بينهم، بسبب أنه لا قصد لهم في الحكم سفلتهم وعوامهم من المعلومات والرواتب، التي يغير الحق، فجمعوا بين اتباع الكذب وأكل الحرام. فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم فأنت مخير والسمع هاهنا سمع استجابة، أي: من قلة دينهم وعقلهم، أن استجابوا لمن دعاهم إلى القول الكذب. أكالون للسحت أي: المال الحرام، بما يأخذونه على سماعون للكذب

هذا صنيعهم بالمؤمنين أي: ليس هذا دأب المؤمنين، وليسوا حريين بالإيمان. لأنهم جعلوا آلهتهم أهواءهم، وجعلوا أحكام الإيمان تابعة لأهوائهم. 43 يوافق أهواءهم. وحين حكمت بينهم بحكم الله الموافق لما عندهم أيضا، لم يرضوا بذلك بل أعرضوا عنه، فلم يرتضوه أيضا. قال تعالى: وما أولئك الذين فإنهم لو كانوا مؤمنين عاملين بما يقتضيه الإيمان ويوجبه لم يصدفوا عن حكم الله الذي في التوراة التي بين أيديهم، لعلمهم أن يجدوا عندك ما ثم قال متعجبا لهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين

وقد يكون كفرا ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه. وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد. 44 أنزل الله من الحق المبين، وحكم بالباطل الذي يعلمه، لغرض من أغراضه الفاسدة فأولئك هم الكافرون فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، كفرها ودفع حظا جسيما، محروما منه غيره، فنسألك اللهم علما نافعا، وعملا متقبلا، وأن ترزقنا العفو والعافية من كل بلاء يا كريم. ومن لم يحكم بما أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدين، قد ارتشى في أحكامه، وأخذ المال على فتاويه، ولم يعلم عباد الله إلا بأجرة وجعالة. فهذا قد من الله عليه بمنة عظيمة، من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثر الدنيا على الدين. كما أن علامة شقاوة العالم أن يكون مخلدا للبطالة، غير قائم بما أمر به، ولا مبال بما استحفظ عليه، قد همه الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم أن الله قد استحفظه ما أودعه من العلم واستشهد عليه، وأن يكون خائفا من ربه، ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم ولا تشتتوا بآياتي ثمنا قليلا فتكتمون الحق، وتظهرون الباطل، لأجل متاع الدنيا القليل، وهذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعاده، بأن يكون يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصا الأمور الأصولية والتي يكثر وقوعها وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم، ولهذا قال: فلا تخشوا الناس واخشون التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا. وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبئهم على ما بالجهال، بالإخلاد إلى البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، أنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه على الناس منه، فالله تعالى قد حمل أهل العلم، ما لم يحمله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حملوا. وأن لا يقتدوا على كتابه، وجعلهم أمنا عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه. وهم شهداء عليه، بحيث ولهم لسان الصدق بين أممهم. وذلك الحكم الصادر منهم الموافق للحق بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء أي: بسبب أن الله استحفظهم العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين. والأخبار أي: العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترمق آثارهم، الباطل، أولئك أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار. وقوله: والربانيون والأخبار أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من الربانيين، أي: العلماء عمل ظاهر وباطن، إلا بتلك العقيدة؟ هل لهم إمام في ذلك؟ نعم لهم أئمة دأبهم التحريف، وإقامة رياستهم ومناصبهم بين الناس، والتأكل بكتمان الحق، وإظهار فما الذي منع هؤلاء الأراذل من اليهود من الاقتداء بها؟ وما الذي أوجب لهم أن يبنذوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي لا يقبل لأوامره، الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم، وهم صفوة الله من العباد. فإذا كان هؤلاء النبيون الكرام والسادة للأنام قد اقتدوا بها واثموا ومشوا خلفها، موسى وهارون والفرقان وضياء وذكرنا للمتقين يحكم بها بين الذين هادوا، أي: اليهود في القضايا والفتاوى النبيون الذين أسلموا لله وانقادوا يهدي إلى الإيمان والحق، ويعصم من الضلالة ونور يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، كما قال تعالى: ولقد آتينا إنا أنزلنا التوراة على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام. فيها هدى

الظالمون قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له. 45 حقه، وكفارة أيضا عن العافي، فإنه كما عفا عن جنى عليه، أو على من يتعلق به، فإن الله يعفو عن زلاته وجنایاته. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم من الأطراف والجروح، بأن عفا عن جنى، وثبت له الحق قبله. فهو كفارة له أي: كفارة للجاني، لأن الآدمي عفا عن حقه. والله تعالى أحق وأولى بالعفو عن حدا، وموضعا، وطولا، وعرضا وعمقا، وليعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه. فمن تصدق به أي: بالقصاص في النفس، وما دونها الاقتصاص منها بدون حيف. والجروح قصاص والاقتصاص: أن يفعل به كما فعل. فمن جرح غيره عمدا اقتص من الجارح جرحا مثل جرحه للمجروح، إذا قتلت تقتل بالنفس بشرط العمد والمكافأة، والعين تغل بالعين، والأذن تؤخذ بالأذن، والسن ينزع بالسن. ومثل هذه ما أشبهها من الأطراف التي يمكن هذه الأحكام من جملة الأحكام التي في التوراة، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار. إن الله أوجب عليهم فيها أن النفس

من التوراة بتثبيتها والشهادة لها والموافقة. وهدي وموعظة للمتقين فإنهم الذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بالمواعظ، ويرتدعون عما لا يليق. 46 وآتيناه الإنجيل الكتاب العظيم المتمم للتوراة. فيه هدى ونور يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل. ومصداقا لما بين يديه أكثر الأمور الشرعية. وقد يكون عيسى عليه السلام أخف في بعض الأحكام، كما قال تعالى عنه أنه قال لبني إسرائيل: ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم إلى مريم. بعثه الله مصداقا لما بين يديه من التوراة، فهو شاهد لموسى ولما جاء به من التوراة بالحق والصدق، ومؤيد لدعوته، وحاكم بشريعته، وموافق له في أي: وأتبعنا هؤلاء الأنبياء والمرسلين، الذين يحكمون بالتوراة، بعبدنا ورسولنا عيسى ابن مريم، روح الله وكلمته التي ألقاها

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أي: يلزمهم التقيد بكتابهم، ولا يجوز لهم العدول عنه. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون 47

الله ليوم لا ريب فيه. فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الشرائع والأعمال، فيثيب أهل الحق والعمل الصالح، ويعاقب أهل الباطل والعمل السيئ. 48
بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها سبق. إلى الله مرجعكم جميعا الأمم السابقة واللاحقة، كلهم سيجمعهم على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، على الأمر، إلا بأمرين: المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به. ويستدل بهذه الآية، فاستبقوا الخيرات أي: بادروا إليها وأكملوها، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقا لغيره مستوليا تعملون، ويبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويؤتي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم فكل أمة تحرص على سبق غيرها، ولهذا قال: الشرائع. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة تبعا لشريعة واحدة، لا يختلف متأخرها ولا متقدمها. ولكن ليلوكم في ما آتاكم فيختبركم وينظر كيف تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع بالذي هو خير. لكل جعلنا منكم أيها الأمم جعلنا شرعة ومنهاجا أي: سبيلا وسنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب أنزله الله عليك. ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق أي: لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلا عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه. فاحكم بينهم بما أنزل الله من الحكم الشرعي الذي الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه. وهو وطابت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقا لخبرها. ومهيمننا عليه أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب أفضل الكتب وأجلها. بالحق أي: إنزالا بالحق، ومشتملا على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه. مصداقا لما بين يديه من الكتاب لأنه شهد لها ووافقها، يقول تعالى: وأنزلنا إليك الكتاب الذي هو القرآن العظيم،

يبتلى العبد ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه. وإن كثيرا من الناس لفاسقون أي: طبيعتهم الفسق والخروج عن طاعة الله واتباع رسوله. 49
اتباعك واتباع الحق فاعلم أن ذلك عقوبة عليهم وأن الله يريد أن يصيبهم ببعض ذنوبهم فإن للذنوب عقوبات عاجلة وأجلة، ومن أعظم العقوبات أن بهم، وأن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فصار اتباع أهوائهم سببا موصلا إلى ترك الحق الواجب، والفرض اتباعه. فإن تولوا عن مقام الحكم وحده، وكلاهما يلزم فيه أن لا يتبع أهواءهم المخالفة للحق، ولهذا قال: واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي: إياك والاعتذار خالف ذلك فهو جور وظلم. ولا تتبع أهواءهم كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها. ولأن ذلك في مقام الحكم والفتوى، وهو أوسع، وهذا في قال: وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما عدمه، وذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق. وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم، فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله ناسخة لقوله: فاحكم بينهم أو أعرض عنهم والصحيح: أنها ليست بناسخة، وأن تلك الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم مخير بين الحكم بينهم وبين وأن احكم بينهم بما أنزل الله هذه الآية هي التي قيل: إنها

أعمالهم في الدنيا والآخرة وهو في الآخرة من الخاسرين أي: الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم يوم القيامة، وحصلوا على الشقاوة الأبدية. 5
من كتبه ورسله أو شيء من الشرائع، فقد حبط عمله، بشرط أن يموت على كفره، كما قال تعالى: ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت العفة، وأن شرط الزوج أن يكون الرجل عفيفا عن الزنا. وقوله تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله أي: ومن كفر بالله تعالى، وما يجب الإيمان به الزنا مع العشيقات، لأن الزنا في الجاهلية، منهم من يزني مع من كان، فهذا المسافح. ومنهم من يزني مع خدنه ومحبه. فأخبر الله تعالى أن ذلك كله ينافي حالة كونكم أيها الأزواج محصنين لنسائكم، بسبب حفظكم لفروجكم عن غيرهن. غير مسافحين أي: زانين مع كل أحد ولا متخذي أخدان وهو: الأجور إيهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها، وليس لأحد منه شيء، إلا ما سمحت به لزوجها أو وليها أو غيرها. محصنين غير مسافحين أي: إذا أعطيتموهن مهورهن، فمن عزم على أن لا يؤتيها مهرها فإنها لا تحل له. وأمر بإيتائها إذا كانت رشيدة تصلح للإيتاء، وإلا أعطاه الزوج لوليها. وإضافة سواء كن مسلمات أو كتابيات، حتى يتبين لقوله تعالى: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة الآية. وقوله: إذا آتيتموهن أجورهن أي: أبحنا لكم نكاحهن، وأما المسلمات إذا كن رقيقات فإنه لا يجوز للأحرار نكاحهن إلا بشرطين، عدم الطول وخوف العنت. وأما الفاجرات غير العفيفات عن الزنا فلا يباح نكاحهن، المؤمنات لا يباح نكاحهن للأحرار، وهو كذلك. وأما الكتابيات فعلى كل حال لا يباحن، ولا يجوز نكاحهن للأحرار مطلقا، لقوله تعالى: من فتياكم المؤمنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي: من اليهود والنصارى. وهذا مخصص لقوله تعالى ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن ومفهوم الآية، أن الأرقاء من أيها المسلمون حل لهم أي: يحل لكم أن تطعموهم إياه و أحل لكم المحصنات أي: الحرائر العفيفات من المؤمنات والحرائر العفيفات أنه كان طعاما، بسبب ذبحهم. ولا يقال: إن ذلك للتمليك، وأن المراد: الطعام الذي يملكون. لأن هذا، لا يباح على وجه الغصب، ولا من المسلمين. وطعامكم ليس من الذبائح كالحبوب والثمار ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية، بل يباح ذلك ولو كان من طعام غيرهم. وأيضا فإنه أضاف الطعام إليهم. فدل ذلك، على

تفسير السعدي

لأنه شرك، فاليهود والنصارى يتدينون بتحريم الذبح لغير الله، فلذلك أبيحت ذبائحهم دون غيرهم. والدليل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم، أن الطعام الذي دون باقي الكفار، فإن ذبائحهم لا تحل للمسلمين، وذلك لأن أهل الكتاب ينتسبون إلى الأنبياء والكتب. وقد اتفق الرسل كلهم على تحريم الذبح لغير الله، الحاجة إليه، ويحصل لهم الانتفاع به من الطيبات. وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم أي: ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم يا معشر المسلمين كرر تعالى إحلل الطيبات لبيان الامتنان، ودعوة للعباد إلى شكره والإكثار من ذكره، حيث أباح لهم ما تدعوهم

الفرق بين الحكمين ويميز بإيقانه ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين عقلا وشرعا اتباعه. واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل. 50 الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى. ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فالموقن هو الذي يعرف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه أفحكم الجاهلية يغفون أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف

العبد منهم. إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي: الذين وصفهم الظلم، وإليه يرجعون، وعليه يعولون. فلو جئتهم بكل آية ما تبعوك، ولا انقادوا لك. 51 ولهذا قال: ومن يتولهم منكم فإنه منهم لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم. والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئا فشيئا، حتى يكون فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضرهم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئا على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم، بين لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء. فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدا على من سواهم، يرشد تعالى عباده المؤمنين حين

وضرهم بلا نفع حصل لهم، فحصل الفتح الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين، وأذل به الكفر والكافرين، فندموا وحصل لهم من الغم ما الله به عليهم. 52 أمر من عنده ييأس به المنافقون من ظفر الكافرين من اليهود وغيرهم فيصبحوا على ما أسروا أي: أضمروا في أنفسهم نادمين على ما كان منهم ظن منهم بالإسلام، قال تعالى رادا لظنهم السيئ: فعسى الله أن يأتي بالفتح الذي يعز الله به الإسلام على اليهود والنصارى، ويظهرهم المسلمون أو إن تولينا إياهم للحاجة، فإننا نخشى أن تصيبنا دائرة أي: تكون الدائرة لليهود والنصارى، فإذا كانت الدائرة لهم، فإذا لنا معهم يد يكافؤنا عنها، وهذا سوء ولما نهى الله المؤمنين عن توليهم، أخبر أن ممن يدعي الإيمان طائفة تواليهم، فقال: فترى الذين في قلوبهم مرض أي: شك ونفاق، وضعف إيمان، يقولون: ظنوه بالإسلام وأهله باطلا، فبطل كيدهم وبطلت أعمالهم في الدنيا فأصبحوا خاسرين حيث فاتهم مقصودهم، وضرهم الشقاء والعذاب. 53 بأنواع التأكيدات: إنهم لمعكم في الإيمان، وما يلزمه من النصرة والمحبة والموالة، ظهر ما أضمره، وتبين ما أسروه، وصار كيدهم الذي كادوه، وظنهم الذي الذين آمنوا متعجبين من حال هؤلاء الذين في قلوبهم مرض: هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم أي: حلفوا وأكدوا حلفهم، وغلظوه ويقول

كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليهم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا. 54 أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته لما لم يذكر من أفعال الخير أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي من عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم. ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة تنتقض عزمته عند لوم اللائمين، وتفترق قوته عند عدل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر ولا يخافون لومة لائم بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة همهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم. يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم. أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدّة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتالي هي أحسن. فتجتمع وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال تعالى: أشدّاء على الكفار رحماء بينهم فالغلظة والشدّة على بالله، المعاندين لآياته، المكذّبين لرسوله أعزّة، قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل. ومن صفاتهم أنهم أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين لأعينته. ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله كما أن من لازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال إليه بالمحبة والوداد. ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لابد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده

تفسير السعدي

بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافاً، وأقواهم نفوساً، وأحسنهم أخلاقاً، أجل صفاتهم أن الله يحبهم ويحبونه فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه. وأن لله عباداً مخلصين، ورجالاً صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهديتهم، ووعد بالإتيان يخبر تعالى أنه الغني عن العالمين،

لله دليلون. فإداة الحصر في قوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم. 55 للمعبود، بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقها منهم. وقوله: وهم راكعون أي: خاضعون لله ولياً، ومن كان ولياً لله فهو ولي لرسوله، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولى من تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا تعالى من يجب ويتعين توليه، وذكر فائدة ذلك ومصلحته فقال: إنما وليكم الله ورسوله فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى. فكل من كان مؤمناً تقياً كان لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وذكر مآل توليهم أنه الخسران المبين، أخبر

وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريد بها الله تعالى، فأخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلاً. 56 عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: وإن جندنا لهم الغالبون وهذه بشارة عظيمة، لمن قام بأمر الله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة

بموالاتهم من اتخذوه هزوا ولعباً، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهيج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم. 57 بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء. فكيف تدعي لنفسك ديناً قيماً، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بها النفوس. فإذا علمتم أيها المؤمنون حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فمن لم يعادهم بعد هذا دل على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي إذا نادوا إليها اتخذوها هزوا ولعباً، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تنصف من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزوا ولعباً، واحتقاره واستصغاره، خصوصاً الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امتثال أوامره واجتناب زواجره مما تدعوهم إلى معاداتهم، وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، لهم أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم، تفسير الآيتين 57 و58: ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون

بموالاتهم من اتخذوه هزوا ولعباً، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهيج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم. 58 بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء. فكيف تدعي لنفسك ديناً قيماً، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بها النفوس. فإذا علمتم أيها المؤمنون حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فمن لم يعادهم بعد هذا دل على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي إذا نادوا إليها اتخذوها هزوا ولعباً، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تنصف من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزوا ولعباً، واحتقاره واستصغاره، خصوصاً الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امتثال أوامره واجتناب زواجره مما تدعوهم إلى معاداتهم، وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، لهم أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم، تفسير الآيتين 57 و58: ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون

معاصيه، فأولى لكم أيها الفاسقون السكوت، فلو كان عيبكم وأنتم سالمون من الفسق، وهيهات ذلك لكان الشر أخف من قدحكم فينا مع فسقكم. 59 كافر فاسق؟ فهل تنقمون منا بهذا الذي هو أوجب الواجبات على جميع المكلفين؟ ومع هذا فأكثرتم فاسقون، أي: خارجون عن طاعة الله، متجرئون على أي: هل لنا عنكم من العيب إلا إيماننا بالله، وبكتبه السابقة واللاحقة، وبأنبيائه المتقدمين والمتأخرين، وبأننا نجزم أن من لم يؤمن بهذا الإيمان فإنه الإسلام هو الدين الحق، وإن قدحهم فيه قدح بأمر ينبغي المدح عليه: هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثرتم فاسقون قل يا أيها الرسول يا أهل الكتاب ملزماً لهم، إن دين

شرائع الله، في الطهارة وغيرها ليزداد معرفة وعلماً، ويزداد شكراً لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة. 6 وطهارة تدرك بالحس والمشاهدة، فإن فيها طهارة معنوية ناشئة عن امتثال أمر الله تعالى. الحادي والخمسون: أنه ينبغي للعبد أن يتدبر الحكم والأسرار في هو التاسع والأربعون: أن طهارة الظاهر بالماء والتراب، تكميل لطهارة الباطن بالتوحيد، والتوبة النصوح. الخمسون: أن طهارة التيمم، وإن لم يكن فيها نظافة أن الله تعالى فيما شرعه لنا من الأحكام لم يجعل علينا في ذلك من حرج ولا مشقة ولا عسر، وإنما هو رحمة منه بعباده ليظهرهم، وليتم نعمته عليهم. وهذا بكل شيء. السابع والأربعون: اشتراط الترتيب في طهارة التيمم، كما يشترط ذلك في الوضوء، ولأن الله بدأ بمسح الوجه قبل مسح اليدين. الثامن والأربعون: عموم الآية وإطلاقها. السادس والأربعون: أنه يكفي المسح بأي شيء كان، بيده أو غيرها، لأن الله قال فامسحوا ولم يذكر الممسوح به، فدل على جوازه أن محل التيمم في الحدث الأصغر والأكبر واحد، وهو الوجه واليدان. الخامس والأربعون: أنه لو نوى من عليه حدثان التيمم عنهما، فإنه يجزئ أحداً من الماء، وأطلق في الآية فلم يقيد وقد يقال أن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم لأن السياق في الأحداث وهو قول جمهور العلماء الرابع والأربعون:

تفسير السعدي

في الوضوء. الثالث والأربعون: أن الآية عامة في جواز التيمم، لجميع الأحداث كلها، الحدث الأكبر والأصغر، بل ولنجاسة البدن، لأن الله جعلها بدلا عن طهارة الثاني والأربعون: أن اليدين تمسحان إلى الكوعين فقط، لأن اليدين عند الإطلاق كذلك. فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك، كما قيده الأربعون: أن قوله: بوجوهكم شامل لجميع الوجه وأنه يعمم بالمسح، إلا أنه معفو عن إدخال التراب في الفم والأنف، وفيما تحت الشعور، ولو خفيفة. والثلاثون: أنه لا يصح التيمم بالتراب النجس، لأنه لا يكون طيبا بل خبيثا. الأربعون: أنه يمسح في التيمم الوجه واليدين فقط، دون بقية الأعضاء. الحادي والتغليب، وأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليدين، وإما أن يكون إرشادا للأفضل، وأنه إذا أمكن التراب الذي فيه غبار فهو أولى. التاسع والثلاثون: أنه يكفي التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض من تراب وغيره. فيكون على هذا، قوله: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه إما من باب أي: يكون طهورا، لأن الماء المتغير ماء، فيدخل في قوله: فلم تجدوا ماء السابع والثلاثون: أنه لا بد من نية التيمم لقوله: فتيمموا أي: اقصدوا. والثلاثون: أن من وجد ماء لا يكفي بعض طهارته، فإنه يلزمه استعماله، ثم يتيمم بعد ذلك. السادس والثلاثون: أن الماء المتغير بالطهارات، مقدم على التيمم، عدم الماء. الرابع والثلاثون: أنه إذا دخل الوقت وليس معه ماء، فإنه يلزمه طلبه في رحله وفيما قرب منه، لأنه لا يقال لم يجد لمن لم يطلب. الخامس ناقض للوضوء. الثاني والثلاثون: اشتراط عدم الماء لصحة التيمم. الثالث والثلاثون: أن مع وجود الماء ولو في الصلاة، يبطل التيمم لأن الله إنما أباحه مع ولا غيره. الثلاثون: استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به لقوله تعالى: أو جاء أحد منكم من الغائط الحادي والثلاثون: أن لمس المرأة بلذة وشهوة أن الخارج من السبيلين من بول وغائط، ينقض الوضوء. التاسع والعشرون: استدلال بها من قال: لا ينقض الوضوء إلا هذان الأمران، فلا ينتقض بلمس الفرج من البول والغائط إذا عدم الماء، فالمرض يجوز التيمم مع وجود الماء لحصول الضرر به، وباقيها يجوز العدم للماء ولو كان في الحضر. الثامن والعشرون: والعشرون: أن من أسباب جواز التيمم وجود المرض الذي يضره غسله بالماء، فيجوز له التيمم. السابع والعشرون: أن من جملة أسباب جوازه، السفر والإتيان من ذكر أنه احتلم ولم يجد بللا، فإنه لا غسل عليه، لأنه لم يتحقق منه الجنابة. الخامس والعشرون: ذكر منة الله تعالى على العباد، بمشروعية التيمم. السادس يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء. الثالث والعشرون: أن الجنب يصدق على من أنزل المني يقظة أو مناما، أو جامع ولو لم ينزل. الرابع والعشرون: أن بغسل ظاهر الشعر وباطنه في الجنابة. الثاني والعشرون: أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي من هما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه، لأن الله لم عشر: الأمر بالغسل من الجنابة. العشرون: أنه يجب تعميم الغسل للبدن، لأن الله أضاف التطهر للبدن، ولم يخصه بشيء دون شيء. الحادي والعشرون: الأمر على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين. الثامن عشر: الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به. التاسع والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب. السابع عشر: أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية. وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق إذا كانتا مستورتين بالخف. السادس عشر: الأمر بالترتيب في الوضوء، لأن الله تعالى ذكرها مرتبة. ولأنه أدخل ممسوحا وهو الرأس بين مغسولين، الجر في وأرجلكم وتكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلهما إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحهما فيها الرد على الرافضة، على قراءة الجمهور بالنصب، وأنه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين. الخامس عشر: فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة غسل رأسه ولم يمر يده عليه لم يكف، لأنه لم يأت بما أمر الله به. الثالث عشر: الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين. الرابع عشر: كيفما كان، بيديه أو إحدهما، أو خرقة أو خشبة أو نحوهما، لأن الله أطلق المسح ولم يقيده بصفة، فدل ذلك على إطلاقه. الثاني عشر: أن الواجب المسح. فلو الأمر بمسح الرأس. العاشر: أنه يجب مسح جميعه، لأن الباء ليست للتبعيض، وإنما هي للملاصقة، وأنه يعم المسح بجميع الرأس. الحادي عشر: أنه يكفي المسح و إلى كما قال جمهور المفسرين بمعنى مع كقوله تعالى: ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق. التاسع: التي فيه. لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتفي بظاهاها. الثامن: الأمر بغسل اليدين، وأن حدهما إلى المرفقين منابت شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولا. ومن الأذن إلى الأذن عرضا. ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة، ويدخل فيه الشعور الجنابة، تشتترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر. السابع: الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة. السادس: أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة إذا قمتم إلى الصلاة أي: بقصدتها ونيتها. الرابع: اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب. الخامس: أي: يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم. الثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: إذا قمتم إلى الصلاة الثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ما يسره الله وسهله. أحدها: أن هذه المذكورات فيها امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله يا أيها الذين آمنوا إلى آخرها. هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها

أخلصوا له الدين. وهذا النوع من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه وكذلك قوله: وأضل عن سواء السبيل أي: وأبعد عن قصد السبيل. 60 أولئك المذكورون بهذه الخصال القبيحة شر مكانا من المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم، ورضي الله عنهم وأثابهم في الدنيا والآخرة، لأنهم رحمته وغضب عليه وعاقبه في الدنيا والآخرة وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وهو الشيطان، وكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت. قال تعالى: قل لهم مخربا عن شناعة ما كانوا عليه: هل أنبئكم بشر من ذلك الذي نقمتم فيه علينا، مع التنزل معكم. من لعنه الله أي: أبعد عن ولما كان قدحهم في المؤمنين يقتضي أنهم يعتقدون أنهم على شر،

تفسير السعدي

- بالكفر وهم يزعمون أنهم مؤمنون، فهل أشر من هؤلاء وأقبح حالا منهم؟ والله أعلم بما كانوا يكتمون فيجازيهم بأعمالهم خيرا وشرها. 61
وإذا جاءوكم قالوا آمنا نفاقا ومكرا و هم قد دخلوا مشتملين على الكفر وهم قد خرجوا به فمدخلهم ومخرجهم
- مجبولة على حب المعاصي والظلم. هذا وهم يدعون لأنفسهم المقامات العالية. لبئس ما كانوا يعملون وهذا في غاية الذم لهم والقبح فيهم. 62
وأكلهم السحت الذي هو الحرام. فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه، وهذا يدل على خبثهم وشرهم، وأن أنفسهم وترى كثيرا منهم أي: من اليهود يسارعون في الإثم والعدوان أي: يحرصون، ويبادرون المعاصي المتعلقة في حق الخالق والعدوان على المخلوقين. ثم استمر تعالى يعدد معائبهم، انتصارا لقدحهم في عبادته المؤمنين، فقال:
- عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر لبئس ما كانوا يصنعون 63
هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله لولا ينهاهم الربانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت أي:
- المعاصي، والدعوة إلى دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام. والله لا يحب المفسدين بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم على ذلك. 64
أطفأها الله بخذلانهم وتفرق جنودهم، وانتصار المسلمين عليهم. ويسعون في الأرض فسادا أي: يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض، بعمل متباغضين في قلوبهم، متعادين بأفعالهم، إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب ليكيدوا بها الإسلام وأهله، وأبدوا وأعادوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم لها بالشبه الباطلة. وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فلا يتآلفون، ولا يتناصرون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل لم يزالوا وشكرا لله عليها، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه، وطفغان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعراضه عنها، ورده لها، ومعاندته إياها، ومعارضته حياة القلب والروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين، الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام لله بها، وقوله وليزيدين كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وهذا أعظم العقوبات على العبد، أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، الذي فيه المقالة، ونحوهم ممن حاله كحالهم بعض قولهم، لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالى، يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم. كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده. وقبح الله من استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك من كل النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يجأرون في دفع المكارة، وتبارك من لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أتى على نفسه، وتعالى من لا يخلو العباد من يدركه الوصف، ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من الإحسان، ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان فيه البر والفاجر، ويوجد على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ما لا يعطي فقيرا عائلا، ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين. وينعم على من لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصيا، بل خيره يرتع بمعاصيهم. فيداه سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارا، يفرج كربا، ويزيل غما، ويغني فقيرا، ويفك أسيرا ويجبر كسيرا، ويجيب سائلا، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي. ولهذا قال: بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء لا حجر عليه، فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم. فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحسانا، وأسوأهم ظنا وعقيدتهم الفظيعة، فقال: وقالت اليهود يد الله مغلولة أي: عن الخير والإحسان والبر. غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وهذا دعاء عليهم بجنس مقاتلتهم. يخبر تعالى عن مقالة اليهود الشنيعة،
- وجميع كتبه، وجميع رسله، واتقوا المعاصي، لكفر عنهم سيئاتهم ولو كانت ما كانت، ولأدخلهم جنات النعيم التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. 65
ولأدخلناهم جنات النعيم وهذا من كرمه وجوده، حيث ذكر قبائح أهل الكتاب ومعائبهم وأقوالهم الباطلة، دعاهم إلى التوبة، وأنهم لو آمنوا بالله وملائكته، ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
- أي: عاملة بالتوراة والإنجيل، عملا غير قوي ولا نشيط، وكثير منهم ساء ما يعملون أي: والمسيء منهم الكثير. وأما السابقون منهم فقليل ما هم. 66
وأنتب لهم الأرض كما قال تعالى: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض منهم أي: من أهل الكتاب أمة مقتصدة بهذه النعمة العظيمة التي أنزلها ربهم إليهم، أي: لأجلهم وللاعتناء بهم لأكلا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي: لأمر الله عليهم الرزق، ولأمطر عليهم السماء، ربهم أي: قاموا بأوامرهما ونواهيهما، كما نديهم الله وحثهم. ومن إقامتهما الإيمان بما دعيا إليه، من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، فلو قاموا ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من
- إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب كفرهم. 67
لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت وإن لم تفعل أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك فما بلغت رسالته أي: فما امتثلت أمره. والله يعصمك من الناس هذه حماية وعصمة من الله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرنا عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين.

تفسير السعدي

والمطالب الإلهية. فبلغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية هذا أمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأعظم

أحكام الله، وتقوموا بما حملتم من أمانة الله وعهده. وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليكم من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين 68 و تقيموا ما أنزل إليكم من ربكم الذي رباكم، وأنعم عليكم، وجعل أجل إنعامه إنزال الكتب إليكم. فالواجب عليكم، أن تقوموا بشكر الله، وتلتزموا ولا بحق تمسكتم، ولا على أصل اعتمدتم حتى تقيموا التوراة والإنجيل أي: تجعلوهما قائمين بالإيمان بهما واتباعهما، والتمسك بكل ما يدعوان إليه. أي: قل لأهل الكتاب، مناديا على ضلالهم، ومعلنا بباطلهم: لستم على شيء من الأمور الدينية، فإنكم لا بالقرآن ومحمد آمنتم، ولا بنبيكم وكتابتكم صدقتم، الآخر، فله النجاة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من الأمور المخوفة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا منها. وهذا الحكم المذكور يشمل سائر الأزمنة. 69 القرآن والتوراة والإنجيل، أن سعادتهم ونجاتهم في طريق واحد، وأصل واحد، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فمن آمن منهم بالله واليوم يخبر تعالى عن أهل الكتب من أهل

ما يكرهه، واعمروا قلوبكم بمعرفته ومحبته والنصح لعباده. فإنكم إن كنتم كذلك غفر لكم السيئات، وضاعف لكم الحسنات، لعلمه بصلاح قلوبكم. 7 أحوالكم إن الله عليم بذات الصدور أي: بما تنطوي عليه من الأفكار والأسرار والخواطر. فاحذروا أن يطلع من قلوبكم على أمر لا يرضاه، أو يصدر منكم وأن المؤمنين يذكرون في ذلك عهد الله وميثاقه عليهم، وتكون منهم على بال، ويحرصون على أداء ما أمروا به كاملا غير ناقص. واتقوا الله في جميع آياتك القرآنية والكونية، سمع فهم وإذعان وانقياد. وأطعنا ما أمرتنا به بالامتثال، وما نهيتنا عنه بالاجتناب. وهذا شامل لجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة. ونطقوا بالعهد والميثاق، وإنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله ورسوله قد التزموا طاعتهم، ولهذا قال: إذ قلتم سمعنا وأطعنا أي: سمعنا ما دعوتنا به من بالنعم الدينية، وزيادة لفضل الله وإحسانه. و ميثاقه أي: واذكروا ميثاقه الذي واثقكم به أي: عهده الذي أخذه عليكم. وليس المراد بذلك أنهم لفظوا نعمه الدينية والدينية، بل قلوبهم وألسنتهم. فإن في استدامة ذكرها داعيا لشكر الله تعالى ومحبته، وامتلاء القلب من إحسانه. وفيه زوال للعجب من النفس يأمر تعالى عباده بذكر

لم ينجح فيهم، ولم يفد كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم من الحق كذبوه وعاندوه، وعاملوه أقبح المعاملة فريقا كذبوا وفريقا يقتلون 70 أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا إلى آخر الآيات. وأرسلنا إليهم رسلا يتوالون عليهم بالدعوة، ويتعاهدونهم بالإرشاد، ولكن ذلك يقول تعالى: لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل أي: عهدهم الثقيل بالإيمان بالله، والقيام بواجباته التي تقدم الكلام عليها في قوله: ولقد

كثير منهم بهذا الوصف، والقليل استمروا على توبتهم وإيمانهم. والله بصير بما يعملون فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 71 عن الحق ثم نعشهم و تاب الله عليهم حين تابوا إليه وأتابوا ثم لم يستمروا على ذلك حتى انقلب أكثرهم إلى الحال القبيحة. فعموا وصموا وحسبوا ألا تكون فتنة أي: ظنوا أن معصيتهم وتكذيبهم لا يجز عليهم عذابا ولا عقوبة، فاستمروا على باطلهم. فعموا وصموا

الخالصة لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار. وما للظالمين من أنصار ينقذونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم. 72 أحدا من المخلوقين، لا عيسى ولا غيره. فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له وهو العبادة في هذه الدعوى، وقال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فأتبث لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق. إنه من يشرك بالله النصارى بقولهم: إن الله هو المسيح ابن مريم بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم يخبر تعالى عن كفر

معه إله غيره؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. ثم توعدهم بقوله: وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم 73 وعلى أشباههم: وما من إله إلا إله واحد متصف بكل صفة كمال، منزّه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى رادا عليهم وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. وهذا أكبر دليل على قلة عقول لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة

ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات. وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله: أفلا يتوبون إلى الله 74 وبأن عيسى عبد الله ورسوله، عما كانوا يقولونه ويستغفرونه عن ما صدر منهم والله غفور رحيم أي: يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت عنان السماء، دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم، وبين أنه يقبل التوبة عن عباده فقال: أفلا يتوبون إلى الله أي: يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد،

ثم

نبين لهم الآيات الموضحة للحق، الكاشفة لليقين، ومع هذا لا تفيد فيهم شيئا، بل لا يزالون على إفكهم وكذبهم وافترائهم، وذلك ظلم وعناد منهم. 75 إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد. ولما بين تعالى البرهان قال: انظر كيف

تفسير السعدي

وأمة صديقة، فلائي شيء اتخذهما النصارى إلهين مع الله؟ وقوله: كانا يأكلان الطعام دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم في أكمل الصنفين، في الرجال كما قال تعالى: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وهذا دليل على أن مريم لم تكن نبيه، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك فضلا وشرفا. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبيه، لأن الله تعالى جعل النبوة صديقة أي: هذا أيضا غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء. والصديقية، هي العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح. ليس لهم من الأمر ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية. وأمه مريم المسيح وأمه، الذي هو الحق، فقال: ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أي: هذا غايته ومنتهى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ثم ذكر حقيقة

والغيب والشهادة، والأمر الماضي والمستقبل، فالكامل تعالى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدين. 76 وتدعون من انفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع، والله هو السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. العليم بالظواهر والبواطن، أي: قل لهم أيها الرسول: أتعبدون من دون الله من المخلوقين الفقراء المحتاجين، ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا السبيل أي: قصد الطريق، فجمعوا بين الضلال والإضلال، وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة. 77 اتباعا ل أهواء قوم قد ضلوا من قبل أي: تقدم ضلالهم. وأضلوا كثيرا من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين، الذي هم عليه. وضلوا عن سواء لا تغلوا في دينكم غير الحق أي: لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك كقولهم في المسيح، ما تقدم حكايته عنهم. وكفلوهم في بعض المشايخ، يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا أهل الكتاب الكفر واللعن بما عصوا وكانوا يعتدون أي: بعصيانهم لله، وظلمهم لعباد الله، صار سببا لكفرهم وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات. 78 أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله على لسان داود وعيسى ابن مريم أي: بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم، وعاندوها. ذلك لعن الذين كفروا من بني إسرائيل

فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم. 79 أن السكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان موع بالاعتداء بأضرابه وبني جنسه، ومنها ومنها. وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالا؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقا؟ ومنها: للمنكر يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها يظن أنها ليست بمعصية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدر على ما كانوا يقدر على أولها. ومنها: أن في ترك الإنكار وقلة الاكتراث بها. ومنها: أن ذلك يجري العصاة والفاسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتغظم المعصية الدينية والدنيوية، معصية، وإن لم يباشرها الساكت. فإنه كما يجب اجتناب المعصية فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية. ومنها: ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي، لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر مع القدرة موجبا للعقوبة، لما فيه من المفاصد العظيمة: منها: أن مجرد السكوت، فعل بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك. وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم معاصيهم التي أحلت بهم المثالات، وأوقعت بهم العقوبات أنهم: كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضا، فيشترك ومن

لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى. إن الله خبير بما تعملون فمجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، جزاء عاجلا، وآجلا. 80 حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق. اعدلوا هو أقرب للتقوى أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو. ولا يجرمنكم أي: لا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل وأن يكون ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل، لا الإفراط ولا التفريط، في أقوالكم ولا أفعالكم، يأبى الذين آمنوا بما أمروا بالإيمان به، قوموا بلازم إيمانكم، بأن تكونوا قوامين لله شهداء بالقسط بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة والباطنة. أي

كل شيء، والخلود الدائم في العذاب العظيم، فقد ظلمتهم أنفسهم حيث قدمت لهم هذا النزل غير الكريم، وقد ظلموا أنفسهم إذ فوتوها النعيم المقيم. 80 الذين كفروا بالمحبة والموالة والنصرة. لبئس ما قدمت لهم أنفسهم هذه البضاعة الكاسدة، والصفقة الخاسرة، وهي سخط الله الذي يسخط لسخطه ترى كثيرا منهم يتولون

منهم الشرط، فدل على انتفاء المشروط. ولكن كثيرا منهم فاسقون أي: خارجون عن طاعة الله والإيمان به وبالنبي. ومن فسقهم موالة أعداء الله. 81 العبد موالة ربه، وموالة أوليائه، ومعاداة من كفر به وعاداه، وأوضع في معاصيه، فشرط ولاية الله والإيمان به، أن لا يتخذ أعداء الله أولياء، وهؤلاء لم يوجد

تفسير السعدي

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء فإن الإيمان بالله وبالنبي وما أنزل إليه، يوجب على

أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر. 82
العبادة مما يلفظ القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود، وشدة المشركين. ومنها: أنهم لا يستكبرون
إننا نصارى وذكر تعالى لذلك عدة أسباب: منها: أن منهم قسيسين ورهبانا أي: علماء متزهدين، وعبادا في الصوامع متعبدين. والعلم مع الزهد وكذلك
للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعيا في إيصال الضرر إليهم، وذلك لشدة بغضهم لهم، بغيا وحسدا وعنادا وكفرا. ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا
وإلى ولايتهم ومحبتهم، وأبعدهم من ذلك: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معادة
يقول تعالى في بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين،

والتكذيب. وهم عدول، شهادتهم مقبولة، كما قال تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا 83
مع الشاهدين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة وصحة ما جاءوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق
صلى الله عليه وسلم، أثر ذلك في قلوبهم وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه، فلذلك آمنوا وأقروا به فقالوا: ربنا آمنا فاكتبنا
إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول محمد

إذا آمنا واتبعنا الحق طمعا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأى مانع يمنعنا؟ أليس ذلك موجبا للمسارعة والانقياد للإيمان وعدم التخلف عنه. 84
الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين أي: وما الذي يمنعنا من الإيمان بالله، والحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك والريب، ونحن
فكأنهم ليموا على إيمانهم ومسارعتهم فيه، فقالوا: وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من

ممن آمن منهم. وكذلك لا يزال يوجد فيهم من يختار دين الإسلام، ويتبين له بطلان ما كانوا عليه، وهم أقرب من اليهود والمشركين إلى دين الإسلام. 85
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين وهذه الآيات نزلت في النصارى الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، كالنجاشي وغيره
قال الله تعالى: فأثابهم الله بما قالوا أي: بما تفوهوا به من الإيمان ونطقوا به من التصديق بالحق جنات

ذكر ثواب المحسنين، ذكر عقاب المسيئين قال: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم لأنهم كفروا بالله، وكذبوا بآياته المبينة للحق. 86

ولما

حراما خبيثا، فإن هذا من الاعتداء. والله قد نهى عن الاعتداء فقال: ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك. 87
أحلها لكم، واشكروها ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب
يقول تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم من المطاعم والمشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ

الزوجة فيه كفارة ظهار، ويدخل في هذه الآية أنه لا ينبغي للإنسان أن يتجنب الطيبات ويحرمها على نفسه، بل يتناولها مستعينا بها على طاعة ربه. 88
وأمة، ونحو ذلك، فإنه لا يكون حراما بتحريمه، لكن لو فعله فعليه كفارة يمين، كما قال تعالى: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية. إلا أن تحريم
مؤمنون فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراعاة حقه، فإنه لا يتم إلا بذلك. ودلت الآية الكريمة على أنه إذا حرم حلالا عليه من طعام وشراب، وسرية
حق، وكان أيضا طيبا، وهو الذي لا خبث فيه، فخرج بذلك الخبيث من السباع والخبائث. واتقوا الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه. الذي أنتم به
الله حلالا طيبا أي: كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم، بما يسره من الأسباب، إذا كان حلالا لا سرقة ولا غصبا ولا غير ذلك من أنواع الأموال التي تؤخذ بغير
ثم أمر بضد ما عليه المشركون، الذين يحرمون ما أحل الله فقال: وكلوا مما رزقكم

لعلكم تشكرون الله حيث علمكم ما لم تكونوا تعلمون. فعلى العباد شكر الله تعالى على ما من به عليهم، من معرفة الأحكام الشرعية وتبيينها. 89
الحنث خيرا، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير. كذلك يبين الله لكم آياته المبينة للحلال من الحرام، الموضحة للأحكام.
حلقتكم تكفرها وتمحوها وتمنع من الإثم. واحفظوا أيمانكم عن الحلف بالله كاذبا، وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلقتكم عن الحنث فيها، إلا إذا كان
الموضع، فمتى فعل واحدا من هذه الثلاثة فقد انحلت يمينه. فمن لم يجد واحدا من هذه الثلاثة فصيام ثلاثة أيام ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا
تطعمون أهليكم أو كسوتهم أي: كسوة عشرة مساكين، والكسوة هي التي تجزئ في الصلاة. أو تحرير رقبة أي: عتق رقبة مؤمنة كما قيدت في غير هذا
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم فكفارته أي: كفارة اليمين الذي عقدتموها بقصدكم إطعام عشرة مساكين وذلك الإطعام من أوسط ما
أو عقدها يظن صدق نفسه، فبان بخلاف ذلك. ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان أي: بما عزمتم عليه، وعقدت عليه قلوبكم. كما قال في الآية الأخرى:
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم أي: في أيمانكم التي صدرت على وجه اللغو، وهي الأيمان التي حلف بها المقسم من غير نية ولا قصد،

بالغو عنها وعن عواقبها، وبالأجر العظيم الذي لا يعلم عظمه إلا الله تعالى. فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون 9
الذي لا يخلف الميعاد وهو أصدق القائلين المؤمنين به وبكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات بالمغفرة لذنوبهم،
أي وعد الله

عرضا بقوله: فهل أنتم منتهون لأن العاقل إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ. 90

تفسير السعدي

والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ فهل فوق هذه المفاصد شيء أكبر منها؟ ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيتها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة ذلك أعظم صد، ويشغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو. فأى معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس للعداوة والبغضاء. ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والميسر، يصدانه عن ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب العداوة والبغضاء. فإن في الخمر من انقلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب مانعة من الفلاح ومعوقة له. ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليوقع بين المؤمنين منها، والخوف من الوقوع فيها. ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور يحذر منه، وتحذر مصايد وأعماله، خصوصا الأعمال التي يعملها ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر نجسة حسا. والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضاعها. ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان. ومن المعلوم أن العدو التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفاصد الداعية إلى تركها واجتنابها. فمنها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما ينصب ويعبد من دون الله، والأزلام لعلمكم تفعلون فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصا هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر، تفسير الآيتين 90 و 91: يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. فاجتنبوه أي: اتركوه

عرضا بقوله: فهل أنتم منتهون لأن العاقل إذا نظر إلى بعض تلك المفاصد انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ. 91 والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ فهل فوق هذه المفاصد شيء أكبر منها؟ ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيتها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة ذلك أعظم صد، ويشغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو. فأى معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس للعداوة والبغضاء. ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والميسر، يصدانه عن ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب العداوة والبغضاء. فإن في الخمر من انقلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب مانعة من الفلاح ومعوقة له. ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليوقع بين المؤمنين منها، والخوف من الوقوع فيها. ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور يحذر منه، وتحذر مصايد وأعماله، خصوصا الأعمال التي يعملها ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر نجسة حسا. والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضاعها. ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان. ومن المعلوم أن العدو التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفاصد الداعية إلى تركها واجتنابها. فمنها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما ينصب ويعبد من دون الله، والأزلام لعلمكم تفعلون فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصا هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر، تفسير الآيتين 90 و 91: يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. فاجتنبوه أي: اتركوه

على رسولنا البلاغ المبين وقد أدى ذلك. فإن اهتديتم فلأنفسكم، وإن أسأتم فعليها، والله هو الذي يحاسبكم، والرسول قد أدى ما عليه وما حمل به. 92 وقوله: واحذروا أي: من معصية الله ومعصية رسوله، فإن في ذلك الشر والخسران المبين. فإن توليتم عما أمرتم به ونهيتم عنه. فاعلموا أنما المتعلقة بحقوق الله وحقوق خلقه والانتهاه عما نهى الله ورسوله عنه كذلك. وهذا الأمر أعم الأوامر، فإنه كما ترى يدخل فيه كل أمر ونهي، ظاهر وباطن، فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله. وذلك شامل للقيام بما أمر الله به ورسوله من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، الواجبة والمستحبة، طاعة الله وطاعة رسوله واحدة، فمن أطاع الله،

من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، واتقى وآمن وعمل صالحا، فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في ذلك. 93 حتى يكون كذلك حتى يأتيه أجله، ويدوم على إحسانه، فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد، ويدخل في هذه الآية الكريمة، أنهم تاركون للمعاصي، مؤمنون بالله إيمانا صحيحا، موجبا لهم عمل الصالحات، ثم استمروا على ذلك. وإلا فقد يتصف العبد بذلك في وقت دون آخر. فلا يكفي من الخمر والميسر قبل تحريمهما. ولما كان نفي الجناح يشمل المذكورات وغيرها، قيد ذلك بقوله: إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات أي: بشرط قبل تحريم الخمر وهم يشربونها. فأُنزل الله هذه الآية. وأخبر تعالى أنه ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح أي: حرج وإثم فيما طعموا لما نزل تحريم الخمر والنهي الأكيد والتشديد فيه، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام والاعتبار بمن يخافه بالغيب، وعدم حضور الناس عنده. وأما إظهار مخافة الله عند الناس، فقد يكون ذلك لأجل مخافة الناس، فلا يثاب على ذلك. 94

تفسير السعدي

منكم بعد ذلك البيان، الذي قطع الحجج، وأوضح السبيل. فله عذاب أليم أي: مؤلم موجه، لا يقدر على وصفه إلا الله، لأنه لا عذر لذلك المعتدي، عما نهى الله عنه مع قدرته عليه وتمكنه، فيثيبه الثواب الجزيل، ممن لا يخافه بالغيب، فلا يرتدع عن معصية تعرض له فيصطاد ما تمكن منه فمن اعتدى فلا يبقى للابتلاء فائدة. ثم ذكر الحكمة في ذلك الابتلاء، فقال: ليعلم الله علما ظاهرا للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب من يخافه بالغيب فيكف منه تعالى ولطفا، وذلك الصيد الذي يبتليكم الله به تناله أيديكم ورماحكم أي: تتمكنون من صيده، ليتم بذلك الابتلاء، لا غير مقدور عليه بيد ولا رمح، عن بيته، فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا بد أن يختبر الله إيمانكم. ليبولنكم الله بشيء من الصيد أي: بشيء غير كثير، فتكون محنة يسيرة، تخفيفا هذا من منن الله على عباده، أن أخبرهم بما سيفعل قضاء وقدرًا، ليطيعوه ويقدموا على بصيرة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي

والفرق بين هذا وبين التضمنين في الخطأ في النفوس والأموال في هذا الموضع الحق فيه لله، فكما لا إثم لا جزاء لإتلافه نفوس الأدميين وأموالهم 95 عليه عقوبة، إنما عليه الجزاء، هذا جواب الجمهور من هذا القيد الذي ذكره الله. وطائفة من أهل العلم يرون تخصيص الجزاء بالمتعمد وهو ظاهر الآية. والأموال المحترمة، فإنه يضمنها على أي حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق، لأن الله رتب عليه الجزاء والعقوبة والانتقام، وهذا للمتعمد. وأما المخطئ فليس الله منه والله عزيز ذو انتقام وإنما نص الله على المتعمد لقتل الصيد، مع أن الجزاء يلزم المتعمد والمخطئ، كما هو القاعدة الشرعية أن المتلف للنفوس ذلك الطعام صيما أي: يصوم عن إ طعام كل مسكين يوما. ليدوق بإيجاب الجزاء المذكور عليه وبال أمره ومن عاد بعد ذلك فينتقم المثل من النعم، طعام يطعم المساكين. قال كثير من العلماء: يقوم الجزاء، فيشتري بقيمته طعام، فيطعم كل مسكين مد بر أو نصف صاع من غيره. أو عدل وذلك الهدي لا بد أن يكون هديا بالغ الكعبة أي: يذبح في الحرم. أو كفارة طعام مساكين أي: كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، أي: يجعل مقابلة وفي بقر الوحش على اختلاف أنواعه بقرة، وهكذا كل ما يشبه شيئا من النعم، ففيه مثله، فإن لم يشبه شيئا ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المتلفات، أن يحكم به ذوا عدل منكم أي: عدلان يعرفان الحكم، ووجه الشبه، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، حيث قضوا بالحمامة شاة، وفي النعامة بدنة، ف عليه جزاء مثل ما قتل من النعم أي: الإبل، أو البقر، أو الغنم، فينظر ما يشبه شيئا من ذلك، فيجب عليه مثله، يذبحه ويتصدق به. والاعتبار بالمائلة وهذا كله تعظيم لهذا النسك العظيم، أنه يحرم على المحرم قتل وصيد ما كان حلالا له قبل الإحرام. وقوله: ومن قتله منكم متعمدا أي: قتل صيدا عمدا النهي عن مقدمات القتل، وعن المشاركة في القتل، والدلالة عليه، والإعانة على قتله، حتى إن من تمام ذلك أنه ينهي المحرم عن أكل ما قتل أو صيد لأجله، صرح بالنهي عن قتل الصيد في حال الإحرام، فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم أي: محرمون في الحج والعمرة، والنهي عن قتله يشمل

ثم

وترك ما نهى عنه، واستعينوا على تقواه بعلمكم أنكم إليه تحشرون. فيجازيكم، هل قمتم بتقواه فيثيبكم الثواب الجزيل، أم لم تقوموا بها فيعاقبكم؟ 96 وحشيا، لأن الإنسي ليس بصيد. ومأكولا، فإن غير المأكول لا يصاد ولا يطلق عليه اسم الصيد. واثقوا الله الذي إليه تحشرون أي: اتقوه بفعل ما أمر به، لكم أنه لأجل انتفاعكم وانتفاع رفقكم الذين يسيرون معكم. وحرم عليكم صيد البر ما دتم حراما ويؤخذ من لفظ الصيد أنه لا بد أن يكون حال إحرامكم صيد البحر، وهو الحي من حيواناته، وطعامه، وهو الميت منها، فدل ذلك على حل ميتة البحر. متاعا لكم وللسيارة أي: الفائدة في إباحته ولما كان الصيد يشمل الصيد البري والبحري، استثنى تعالى الصيد البحري فقال: أحل لكم صيد البحر وطعامه أي: أحل لكم في

يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم فمن علمه أن جعل لكم هذا البيت الحرام، لما يعلمه من مصالحكم الدينية والدنيوية. 97 وقوله: والهدي والقلائد أي: وكذلك جعل الهدى والقلائد التي هي أشرف أنواع الهدى قياما للناس، ينتفعون بهما ويثابون عليها. ذلك لتعلموا أن الله من قال من العلماء: إن حج بيت الله فرض كفاية في كل سنة. فلو ترك الناس حجه لأثم كل قادر، بل لو ترك الناس حجه لزال ما به قوامهم، وقامت القيامة. والدنيوية. قال تعالى: ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ومن أجل كون البيت قياما للناس قال من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتتعدد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية وإسلامهم، وبه تحط أوزارهم، وتحصل لهم بقصده العطايا الجزيلة، والإحسان الكثير، وبسببه تنفق الأموال، وتتقحم من أجله الأهوال. ويجتمع فيه يخبر تعالى أنه جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم ودنياهم، فبذلك يتم

وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه. فيثمر لكم هذا العلم الخوف من عقابه، والرجاء لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء. 98 العقاب وأن الله غفور رحيم أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والآجل على من عصاه، اعلموا أن الله شديد

وقد بلغ كما أمر، وقام بوظيفته، وما سوى ذلك فليس له من الأمر شيء. والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيجازيكم بما يعلمه تعالى منكم. 99 ما على الرسول إلا البلاغ

سورة 6

أي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه. 1

تفسير السعدي

والطاعة، وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى، هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وذلك شامل للحسي من ذلك، كالليل والنهار، والشمس والقمر. والمعنوي، كظلمات الجهل، والشك، والشرك، والمعصية، والغفلة، ونور العلم والإيمان، واليقين، فحمد نفسه على خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال عموماً، وعلى هذه المذكورات خصوصاً.

العذاب أكمل نصيب. فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون فاحذروا أيها المكذبون أن تستمروا على تكذيبكم، فيصيبكم ما أصابهم. 10 ولقد استهزئ برسلكم من قبل كما جاءوا أممهم بالبينات، كذبوهم واستهزأوا بهم وبما جاءوا به. فأهلكهم الله بذلك الكفر والتكذيب، ووفى لهم من يقول تعالى مسلياً لرسوله ومصبراً، ومتهدداً أعداءه ومتوعداً.

ولهذا نزه نفسه عما افتراه عليه المشركون فقال: سبحانه وتعالى عما يصفون فإنه تعالى، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، وآفة وعيب. 100 وافتروا من تلقاء أنفسهم لله، بنين وبنات بغير علم منهم، ومن أظلم ممن قال على الله بلا علم، وافتري عليه أشنع النقص، الذي يجب تنزيه الله عنه؟! والألوهية شيء، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر، وهو المنعم بسائر أصناف النعم، الدافع لجميع النقم، وكذلك خرق المشركون أي: انتفكوا، المشركين به، من قریش وغيرهم، جعلوا له شركاء، يدعونهم، ويعبدونهم، من الجن والملائكة، الذين هم خلق من خلق الله، ليس فيهم من خصائص الربوبية يخبر تعالى: أنه مع إحسانه لعباده وتعريفه إليهم، بآياته البينات، وحججه الواضحات أن

ذلك دلالة على سعة علم الخالق، وكمال حكمته، كما قال تعالى: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وكما قال تعالى: وهو الخلاق العليم 101 عليم وفي ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر، فإن في والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابهاً لله بوجه من الوجوه. ولما ذكر عموم خلقه للأشياء، ذكر إحاطة علمه بها فقال: وهو بكل شيء الصمد، الذي لا صاحبة له أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده؛ وبها، لا تقتصر عقول أولي الأبواب مثله، وليس له في خلقهما مشارك. أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة أي: كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد بديع السماوات والأرض أي: خالقهما، ومتقن صنعتهما، على غير مثال سبق، بأحسن خلق، ونظام

وعيباً. ومن وكالته: أنه تعالى، توكل ببيان دينه، وحفظه عن المزيلات والمغيرات، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمتهم عما يزيل إيمانهم ودينهم. 102 متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه، والعدل، فلا يمكن لأحد أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خلا ولا فطوراً، ولا في تدبيره نقصاً تعالى على الأشياء، ليست من جنس وكالة الخلق، فإن وكالته، وكالة نيابة، والوكيل فيها تابع لموكله. وأما الباري، تبارك وتعالى، فوكالته من نفسه لنفسه، وكالة الله وتدبيره، خلقاً، وتدبيراً، وتصريفاً. ومن المعلوم، أن الأمر المتصرف فيه يكون استقامته وتمامه، وكمال انتظامه، بحسب حال الوكيل عليه. ووكالته بها وجهه. فإن هذا هو المقصود من الخلق، الذي خلقوا لأجله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وهو على كل شيء وكيل أي: جميع الأشياء، تحت النقم. لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه أي: إذا استقر وثبت، أنه الله الذي لا إله إلا هو، فاصرفوا له جميع أنواع العبادة، وأخلصوها لله، واقتصدوا خلق ما خلق، وقدر ما قدر. الله ربكم أي: المألوه المعبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب، الرب، الذي ربي جميع الخلق بالنعم، وصرف عنهم صنوف ذلكم الذي

التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين. 103 ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى أنه يقدر عليه الأمور، قال: وهو اللطيف الخبير الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن. ومن لطفه، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، يدرك الأبصار أي: هو الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، وسمعه بجميع الأصوات الظاهرة، والخفية، وبصره بجميع المبصرات، صغارها، وكبارها، ولهذا لا تراه الأبصار ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم. وهو فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة. فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال لا تدركه الأبصار لعظمته، وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم،

أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام إنما علي البلاغ المبين وقد أدبته، وبلغت ما أنزل الله إلي، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فليست موظفاً فيه 104 ومن عمي بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه. وما أنا أي الرسول عليكم بحفيظ التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. فمن أبصر بتلك الآيات، ومواقع العبرة، وعمل بمقتضاها فلنفسه فإن الله هو الغني الحميد. من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربي خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: قد جاءكم بصائر من ربكم أي: آيات تبيين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ لما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

تفسير السعدي

أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام إنما علي البلاغ المبين وقد أدبته، وبلغت ما أنزل الله إلي، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفا فيه 105 ومن عمي بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه. وما أنا أي الرسول عليكم بحفيظ التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. فمن أبصر بتلك الآيات، مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها فلنفسه فإن الله هو الغني الحميد. من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربي خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: قد جاءكم بصائر من ربكم أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه فلنفسه ومن عمي فعلها وما أنا عليكم بحفيظ لما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام إنما علي البلاغ المبين وقد أدبته، وبلغت ما أنزل الله إلي، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفا فيه 106 ومن عمي بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه. وما أنا أي الرسول عليكم بحفيظ التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. فمن أبصر بتلك الآيات، مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها فلنفسه فإن الله هو الغني الحميد. من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربي خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: قد جاءكم بصائر من ربكم أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه فلنفسه ومن عمي فعلها وما أنا عليكم بحفيظ لما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام إنما علي البلاغ المبين وقد أدبته، وبلغت ما أنزل الله إلي، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفا فيه 107 ومن عمي بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه. وما أنا أي الرسول عليكم بحفيظ التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. فمن أبصر بتلك الآيات، مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها فلنفسه فإن الله هو الغني الحميد. من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربي خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: قد جاءكم بصائر من ربكم أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه فلنفسه ومن عمي فعلها وما أنا عليكم بحفيظ لما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

دليل للقاعدة الشرعية وهو أن الوسائل تعتبر بالأمر التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر. 108 ولكن الخلق كلهم، مرجعهم ومآلهم، إلى الله يوم القيامة، يعرضون عليه، وتعرض أعمالهم، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشر. وفي هذه الآية الكريمة، فرأوه حسنا، وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتى إنهم، ليسبون الله رب العالمين، الذي رسخت عظمتة في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم. تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وآفة، وسب، وقدح نهى الله عن سب آلهة المشركين، لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له. لأن كل أمة، زين الله لهم عملهم، المشركين، التي اتخذت أوثانا وآلهة مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها. ولكن لما كان هذا السب طريقا إلى سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزا، بل مشروعا في الأصل، وهو سب آلهة

معلوما، أنهم إذا جاءتهم الآيات يؤمنون ويصدقون، بل الغالب ممن هذه حاله، أنه لا يؤمن، ولهذا قال: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون 109 إذا شاء، ليس لي من الأمر شيء، فطلبكم مني الآيات ظلم، وطلب لما لا أملك، وإنما توجهون إلي توضيح ما جئتمكم به، وتصديقه، وقد حصل، ومع ذلك، فليس المقترحين للآيات على رسلهم، إذا جاءتهم، فلم يؤمنوا بها أنه يعاجلهم بالعقوبة، ولهذا قال: قل إنما الآيات عند الله أي: هو الذي يرسلها إذا شاء، ويمنعها صحة ما جاء به، فطلبهم بعد ذلك للآيات من باب التعنت، الذي لا يلزم إجابته، بل قد يكون المنع من إجابتهم أصلح لهم، فإن الله جرت سنته في عباد، أن جاء به الرسول قطعاً، فإن الله أيد رسوله صلى الله عليه وسلم، بالآيات البينات، والأدلة الواضحات، التي عند الالتفات لها لا تبقى أدنى شبهة ولا إشكال في على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ليؤمنن بها وهذا الكلام الذي صدر منهم، لم يكن قصدهم فيه الرشاد، وإنما قصدهم دفع الاعتراض عليهم، ورد ما أي: وأقسم المشركون المكذوبون للرسول محمد صلى الله عليه وسلم. بالله جهد أيمانهم أي: قسما اجتهدوا فيه وأكوه. لن جاءتهم آية تدل

عبرة لأولي الأبصار. وهذا السير المأمور به، سير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار. وأما مجرد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئا. 11 تجدوا إلا قوما مهلكين، وأما في المثلاث تالفين، قد أوحشت منهم المنازل، وعدم من تلك الربوع كل متمتع بالسرور نازل، أبادهم الملك الجبار، وكان بناؤهم فإن شككتهم في ذلك، أو ارتبتم، فسيروا في الأرض، ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين، فلن

بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه. 110 إذا لم يشأ الله إيمانهم، ولكن أكثرهم يجهلون. فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات، وإنما العقل والعلم، أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه وتكليم الموتى وبعثهم بعد موتهم، وحشر كل شيء إليهم حتى يكلمهم قولا ومشاهدة، ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل منهم الإيمان،

تفسير السعدي

بإرادتهم، ومشيتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط، فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة، من تنزيل الملائكة إليهم، يشهدون للرسول بالرسالة، جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسباً لأحوالهم. وكذلك تعليقهم الإيمان وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم. وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين 110 و 111: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيتهم فيها الداعي، تفسير الآيتين

بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه. 111 إذا لم يشأ الله إيمانهم، ولكن أكثرهم يجهلون. فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات، وإنما العقل والعلم، أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه وتكليم الموتى وبعثهم بعد موتهم، وحشر كل شيء إليهم حتى يكلمهم قبالاً ومشاهدة، ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل منهم الإيمان، بإرادتهم، ومشيتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط، فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة، من تنزيل الملائكة إليهم، يشهدون للرسول بالرسالة، جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسباً لأحوالهم. وكذلك تعليقهم الإيمان وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم. وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين 110 و 111: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيتهم فيها الداعي، تفسير الآيتين

له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات الموهمة، فيعتقدون الحق باطلاً والباطل حقاً 112 القول غروراً أي: يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليفتر به السفهاء، وينقاد هذه سنتنا، أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق أعداء، من شياطين الإنس والجن، يقومون بضد ما جاءت به الرسل. يوحى بعضهم إلى بعض زخرف يقول تعالى مسلياً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكما جعلنا لك أعداء يردون دعوتك، ويحاربونك، ويحسدونك،

يتبين من أدلة الحق، وشواهد الدالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو من أكبر المطالب، التي يتنافس فيها المتنافسون. 113 من الجاهل، والبصير من الأعمى. ومن حكمته أن في ذلك بيانا للحق، وتوضيحا له، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه. فإنه حينئذ ومن حكمة الله تعالى، في جعله للأنبياء أعداء، وللباطل أنصاراً قائمين بالدعوة إليه، أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليطهر الصادق من الكاذب، والعاقل ولو كسيت عبارات ردية، وألفاظاً غير وافية، وإن كانت باطلاً ردوها على من قالها، كأنها من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة، ما هو أرق من التحرير. العبارات، ولا تخلبهم تلك التمييزات، بل همته مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة، فإن كانت حقاً قبلوها، وإنقادوا لها، فهذه حال المغترين بشياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم، وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك، أن يقتربوا من الأعمال والأقوال ما هم مقتربون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة، على ذلك، وليرضوه بعد أن يصغوا إليه، فيصغون إليه أولاً، فإذا مالوا إليه ورأوا تلك العبارات المستحسنة، رضوه، وزين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، ولتصغى إليه أي: ولتميل إلى ذلك الكلام المزخرف أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة، يحملهم

والنصارى، يعترفون بذلك ويعلمون أنه منزل من ربك بالحق ولهذا، تواطأت الإخبارات فلا تشك في ذلك ولا تكون من الممترين 114 لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكماً ولا أقوم قبلاً، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة. وأهل الكتب السابقة، من اليهود لا شريك له، الذي له الخلق والأمر. الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً أي: موضحاً فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم. وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص، والعيب، والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكماً، فهو الله وحده أي: قل يا أيها الرسول أغير الله أبتغي حكماً أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه.

منها وهو السميع لسائر الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات. العليم الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والماضي والمستقبل. 115 العزيز، ولا أعدل من أوامره ونواهيه لا مبدل لكلماته حيث حفظها وأحكمها بأعلى أنواع الصدق، وبغاية الحق، فلا يمكن تغييرها، ولا اقتراح أحسن وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأمر والنهي. فلا أصدق من أخبار الله التي أودعها هذا الكتاب عباده، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن هذا وإن كان خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم فإن أمته أسوة له في سائر الأحكام، التي ليست من خصائصه. 116 بل غايتهم أنهم يتبعون الظن، الذي لا يغني عن الحق شيئاً، ويتخرصون في القول على الله ما لا يعلمون، ومن كان بهذه المثابة، فحري أن يحذر الله منه الله فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم، وعلومهم، فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق. يقول تعالى، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، محذراً عن طاعة أكثر الناس: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل

بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه. 117 وأرحم بكم من أنفسكم. ودلت هذه الآية، على أنه لا يستدل على الحق، بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع

تفسير السعدي

و هو أعلم من يضل عن سبيله وأعلم بمن يهتدي. ويهدي. فيجب عليكم أيها المؤمنون أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه لأنه أعلم بمصالحكم، والله تعالى أصدق قيلا، وأصدق حديثا،

الهادين المهتدين، فإنهم يدعون إلى الحق والهدى، ويؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية، ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم والقرب منه. 118 حجة شرعية، وإنما يوجد لهم شبه بحسب أهوائهم الفاسدة، وآرائهم القاصرة، فهؤلاء معتدون على شرع الله وعلى عباد الله، والله لا يحب المعتدين، بخلاف بمجرد ما تهوى أنفسهم بغير علم ولا حجة. فليحذر العبد من أمثال هؤلاء، وعلامتهم كما وصفهم الله لعباده أن دعوتهم غير مبنية على برهان، ولا لهم إلى أن قال: فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ثم حذر عن كثير من الناس، فقال: وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم أي: فليس بحرام. ومع ذلك، فالحرام الذي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخمصة، كما قال تعالى: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله ووضحه؟ فلم يبق فيه إشكال ولا شبهة، توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال، خوفا من الوقوع في الحرام، ودلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء الجاهلية، في هذه العادة الذميمة، المتضمنة لتغيير شرع الله، وأنه، أي شيء يمنعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل الله لعباده ما حرم عليهم، وبينه، حلها، ولا يفعلوا كما يفعل أهل الجاهلية من تحريم كثير من الحلال، ابتداء من عند أنفسهم، وإضلالا من شياطينهم، فذكر الله أن علامة المؤمن مخالفة أهل تعالى عباده المؤمنين، بمقتضى الإيمان، وأنهم إن كانوا مؤمنين، فليأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام، وغيرها من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا تفسير الآيتين 118 و 119: يأمر

الهادين المهتدين، فإنهم يدعون إلى الحق والهدى، ويؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية، ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم والقرب منه. 119 حجة شرعية، وإنما يوجد لهم شبه بحسب أهوائهم الفاسدة، وآرائهم القاصرة، فهؤلاء معتدون على شرع الله وعلى عباد الله، والله لا يحب المعتدين، بخلاف بمجرد ما تهوى أنفسهم بغير علم ولا حجة. فليحذر العبد من أمثال هؤلاء، وعلامتهم كما وصفهم الله لعباده أن دعوتهم غير مبنية على برهان، ولا لهم إلى أن قال: فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ثم حذر عن كثير من الناس، فقال: وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم أي: فليس بحرام. ومع ذلك، فالحرام الذي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخمصة، كما قال تعالى: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله ووضحه؟ فلم يبق فيه إشكال ولا شبهة، توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال، خوفا من الوقوع في الحرام، ودلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء الجاهلية، في هذه العادة الذميمة، المتضمنة لتغيير شرع الله، وأنه، أي شيء يمنعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل الله لعباده ما حرم عليهم، وبينه، حلها، ولا يفعلوا كما يفعل أهل الجاهلية من تحريم كثير من الحلال، ابتداء من عند أنفسهم، وإضلالا من شياطينهم، فذكر الله أن علامة المؤمن مخالفة أهل تعالى عباده المؤمنين، بمقتضى الإيمان، وأنهم إن كانوا مؤمنين، فليأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام، وغيرها من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا تفسير الآيتين 118 و 119: يأمر

الله على بعث الخلاق، فأوضعوا في معاصيه، وتجروا على الكفر به، ففسدوا دنياهم وأخراهم، ولهذا قال: الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون 12 فيه وهذا قسم منه، وهو أصدق المخبرين، وقد أقام على ذلك من الحجج والبراهين، ما يجعله حق اليقين، ولكن أبى الظالمون إلا جحودا، وأنكروا قدرة العباد أبواب الرحمة، إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها، إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم، وقوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب عليهم رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه كتابا أن رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحب إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع والتدبير، أن يعترفوا له بالإخلاص والتوحيد؟ وقوله كتب على نفسه الرحمة أي: العالم العلوي والسفلي تحت ملكه وتديره، وهو تعالى قد بسط السماوات والأرض أي: من الخالق لذلك، المالك له، المتصرف فيه؟ قل لهم: لله وهم مقرون بذلك لا ينكرونه، أفلا حين اعترفوا بانفراد الله بالملك يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين بالله، مقررا لهم وملزما بالتوحيد: لمن ما في

حسب كسبهم، وعلى قدر ذنوبهم، قلت أو كثرت، وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا، يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته. 120 به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة. ثم أخبر تعالى، أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون على بذلك واجبا متعينا على المكلف. وكثير من الناس، تخفى عليه كثير من المعاصي، خصوصا معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون والمتعلقة بالقلب، ولا يتم للعبد، ترك المعاصي الظاهرة والباطنة، إلا بعد معرفتها، والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفته معاصي القلب والبدن، والعلم والخرج، من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده. فهي الله عباده، عن اقتراح الإثم الظاهر والباطن، أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح، المراد بالإثم: جميع المعاصي، التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم،

يكون الرحمن ويكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما والفرقان، وبعد التفريق بين الأمرين، حصل من الغلط والضلال، ما لا يحصيها إلا الله. 121 كتاب الله وسنة رسوله. فإن شهدا لها بالقبول قبلت، وإن ناقضتهما ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك، توقف فيها ولم تصدق ولم تكذب، لأن الوحي والإلهام، على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات والكشوف، التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل بمجرد ما على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على

تفسير السعدي

إنكم لمشركون لأنكم اتخذتموهم أولياء من دون الله، ووافقتموهم على ما به فارقوا المسلمين، فذلك كان طريقكم، طريقهم. ودلت هذه الآية الكريمة الذين يريدون أن يضلوا الخلق عن دينهم، ويدعوهم ليكونوا من أصحاب السعير. وإن أطمعتموهم في شركهم وتحليلهم الحرام، وتحريمهم الحلال على شرع الله وأحكامه، الموافقة للمصالح العامة والمنافع الخاصة. ولا يستغرب هذا منهم، فإن هذه الآراء وأشباهاها، صادرة عن وحي أوليائهم من الشياطين، فاسد، لا يستند على حجة ولا دليل بل يستند إلى آرائهم الفاسدة التي لو كان الحق تبعاً لها لفسدت السماوات والأرض، ومن فيهن. فتباً لمن قدم هذه العقول يستحلون أكل الميتة قالوا معاندة لله ورسوله، ومجادلة بغير حجة ولا برهان أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون بذلك: الميتة. وهذا رأي الآية، لقوله وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم بغير علم. فإن المشركين حين سمعوا تحريم الله ورسوله الميتة، وتحليله للمذكاة، وكانوا هذه الآية، ما مات بغير ذكاة من الميتات، فإنها مما لم يذكر اسم الله عليه. ونص الله عليها بخصوصها، في قوله: حرمت عليكم الميتة ولعلها سبب نزول والأكل، إذا كان الذابح متعمداً ترك التسمية، عند كثير من العلماء. ويخرج من هذا العموم، الناسي بالنصوص الأخر، الدالة على رفع الحرج عنه، ويدخل في يذبح للأصنام، وألتهتهم، فإن هذا مما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصاً. ويدخل في ذلك، متروك التسمية، مما ذبح لله، كالضحايا، والهدايا، أو للحم ويدخل تحت هذا المنهي عنه، ما ذكر عليه اسم غير الله كالذي

وفي باطلهم يترددون، غير متساوين. فمنهم: القادة، والرؤساء، والمتبوعون، ومنهم: التابعون المرءوسون، والأولون، منهم الذين فازوا بأشقى الأحوال 122 ورأوها حقاً. وصار ذلك عقيدة في قلوبهم، وصفة راسخة ملازمة لهم، فذلك رضا بما هم عليه من الشر والقبائح. وهؤلاء الذين في الظلمات يعمهون، وأن يبقى في الظلمات متحيراً: فأجاب بأنه زين للكافرين ما كانوا يعملون فلم يزل الشيطان يحسن لهم أعمالهم، وبزينها في قلوبهم، حتى استحسوها يستوي هذا ولا هذا كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات. فكأنه قيل: فكيف يؤثر من له أدنى مسكة من عقل، أن يكون بهذه الحالة، ليس بخارج منها قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهم والغم والحزن والشقاء. فبته تعالى العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا نفسه وغيره، عارفاً بالشر مبغضاً له، مجتهداً في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره. أفستوي هذا بمن هو في الظلمات، ظلمات الجهل والغي، والكفر والمعاصي. فأحييناه بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصراً في أموره، مهتدياً لسبيله، عارفاً للخير مؤثراً له، مجتهداً في تنفيذه في يقول تعالى: أومن كان من قبل هداية الله له ميتاً في ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي،

إلى سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم، بالقول والفعل، وإنما مكرهم وكيدهم يعود على أنفسهم، لأنهم يمكرون، ويمكر الله والله خير الماكرين. 123 وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها أي: الرؤساء الذين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم ليمكروا فيها بالخديعة والدعوة

أجرموا صغار عند الله أي: إهانة وذل، كما تكبروا على الحق، أذلهم الله. وعذاب شديد بما كانوا يمكرون أي: بسبب مكرهم، لا ظلماً منه تعالى. 124 حكمة الله تعالى، لأنه، وإن كان تعالى رحيماً واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله، ثم توعد المجرمين فقال: سيصيب الذين دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده. وفي هذه الآية، دليل على كمال من النبيين والمرسلين، فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق فضل الله وإحسانه. فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلاً أن يكونوا مثل ما أوتي رسل الله من النبوة والرسالة. وفي هذا اعتراض منهم على الله، وعجب بأنفسهم، وتكبر على الحق الذي أنزله على أيدي رسله، وتحجر على وظهورهم، والعاقبة للمتقين. وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل، حسداً منهم وبغياً، فقالوا: لن نؤمن حتى نؤتى ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته بنصرهم وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم، يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله،

ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير، فإن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، يسه الله ليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسييسره للعسرى. 125 إلى السماء، الذي لا حيلة له فيه. وهذا سببه، عدم إيمانهم، هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجز عليهم، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود هداً، ومن عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق. وأن علامة من يرد الله أن يضلّه، أن يجعل صدره ضيقاً حرجاً. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذاً به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد يقول تعالى مبيناً لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح،

هذا التفصيل والبيان، ليس لكل أحد، إنما هو لقوم يذكرون فإنهم الذين علموا، فانتفعوا بعلمهم، وأعد الله لهم الجزاء الجزيل، والأجر الجميل 126 أي: معتدلاً، موصلاً إلى الله، وإلى دار كرامته، قد بينت أحكامه، وفصلت شرائعه، وميز الخير من الشر. ولكن

ومقدماتهم التي قصدوا بها رضا مولاها، بخلاف من أعرض عن مولاها، واتبع هواها، فإنه سلط عليه الشيطان فتولاه، فأفسد عليه دينه ودنياه. 127 يتولى تدبيرهم وتربيتهم، ولطف بهم في جميع أمورهم، وأعانهم على طاعته، ويسر لهم كل سبب موصل إلى محبته، وإنما تولاهم، بسبب أعمالهم الصالحة، الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون، من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها، ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون. وهو وليهم الذي

تفسير السعدي

من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات، ويلزم من ذلك، أن يكون نعيمها في غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه لهم دار السلام عند ربهم، وسميت الجنة دار السلام، لسلامتها

حكيمته وعلمه، ختم الآية بقوله: إن ربك حكيم عليم فكما أن علمه وسع الأشياء كلها وعمها، فحكيمته الغائية شملت الأشياء وعمتها ووسعتها. 128
نوع تضرع وترقق، ولكن في غير أوانه. ولهذا حكم فيهم بحكمه العادل، الذي لا جور فيه، فقال: النار مثواكم خالدين فيها ولما كان هذا الحكم من مقتضى نجازي فيه بالأعمال، فافعل بنا الآن ما تشاء، واحكم فينا بما تريد، فقد انقطعت حجتنا ولم يبق لنا عذر، والأمر أمرك، والحكم حكمك. وكأن في هذا الكلام منهم ويحصل له منه بعض الحوائج الدنيوية، أي: حصل منا من الذنوب ما حصل، ولا يمكن رد ذلك، وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا أي: وقد وصلنا المحل الذي له وعبادته، وتعظيمه، واستعاذته به. والإنسي يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغه بسبب خدمة الجني له بعض شهواته، فإن الإنسي يعبد الجني، فيخدمه الجني، من الإنس، فأبدوا عذرا غير مقبول فقالوا: ربنا استمتع بعضنا ببعض أي: تمتع كل من الجني والإنسي بصاحبه، وانتفع به. فالجني يستمتع بطاعة الإنسي ولا ملجأ إليه تلجأون، ولا شافع يشفع ولا دعاء يسمع، فلا تسأل حينئذ عما يحل بهم من النكال، والخزي والوبال، ولهذا لم يذكر الله لهم اعتذارا، وأما أولياؤهم إلى سبيل الجحيم؟ فالיום حقت عليكم لعنتي، ووجبت لكم نقمتي وسنزيدكم من العذاب بحسب كفركم، وإضلالكم لغيركم. وليس لكم عذر به تعتذرون، أي: من إضلالهم، وصددهم عن سبيل الله، فكيف أقدمتم على محارمي، وتجراتم على معاندة رجلي؟ وقمتم محاربين لله، ساعين في صد عباد الله عن سبيله من ضل منهم، ومن أضل غيره، فيقول موبخا للجن الذين أضلوا الإنس، وزينوا لهم الشر، وأزوههم إلى المعاصي: يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يقول تعالى ويوم يحشرهم جميعا أي: جميع الثقلين، من الإنس والجن،

وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين. كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعاتهم، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف. 129
ومنعهم الحقوق الواجبة، ولى عليهم ظلمة، يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله، وحقوق عباده، على خطرها. والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى وما ربك بظلام للعبيد ومن ذلك، أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، كذلك من سنتنا أن نولي كل ظالم ظلما مثله، يؤزه إلى الشر ويحثه عليه، ويؤده في الخير وينفقه عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيعة أثرها، البليغ بما كانوا يكسبون أي: وكما ولينا الجن المردة وسلطانهم على إضلال أوليائهم من الإنس وعقدنا بينهم عقد الموالاة والموافقة، بسبب كسبهم وسعيهم بذلك. وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا

الأصوات، على اختلاف اللغات، بتفنن الحاجات. العليم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، المطلع على الظواهر والبواطن؟! 13
المدير المالك، الضار النافع؟! أم العقول السليمة، والفطر المستقيمة، تدعو إلى إخلاص العبادة، والحب، والخوف، والرجاء لله رب العالمين؟! السميع لجميع وعبيد مسخرون لربهم العظيم، القاهر المالك، فهل يصح في عقل ونقل، أن يعبد من هؤلاء الممالك، الذي لا نفع عنده ولا ضرر؟ ويترك الإخلاص للخالق، فذكر أن له تعالى ما سكن في الليل والنهار وذلك هو المخلوقات كلها، من آدميها، وجننها، وملائكتها، وحيواناتها وجماداتها، فالكل خلق مدبرون، ونقل، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله. فهذه الآيات، ذكر الله فيها ما يتبين به الهدى، وينقمع به الشرك. اعلم أن هذه السورة الكريمة، قد اشتملت على تقرير التوحيد، بكل دليل عقلي

خسران أعظم من خسران جنات النعيم، وحرمان جوار أكرم الأكرمين؟! ولكنهم وإن اشتروا في الخسران، فإنهم يتفاوتون في مقداره تفاوتاً عظيماً. 130
الجن والإنس صنعوا كصنيعكم، واستمتعوا بخلاقهم كما استمتعتم، وخاضوا بالباطل كما خضتم، إنهم كانوا خاسرين، أي: الأولون من هؤلاء والآخرين، وأي حجة الله، وعلم حينئذ كل أحد، حتى هم بأنفسهم عدل الله فيهم، فقال لهم: حاكما عليهم بالعذاب الأليم: ادخلوا في جملة أمم قد خلت من قبلكم من أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها، ونعيمها فاطمأنوا بها ورضوا، وألتهتهم عن الآخرة، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فقامت عليهم النجاة فيه، والفوز إنما هو بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن الشقاء والخسران في تضییع ذلك، فأقروا بذلك واعترفوا، ف قالوا بلى شهدنا على يقصون عليكم آياتي الواضحات البينات، التي فيها تفاصيل الأمر والنهي، والخير والشر، والوعد والوعيد. وينذرونكم لقاء يومكم هذا ويعلمونكم أن ثم وبخ الله جميع من أعرض عن الحق وردة، من الجن والإنس، وبين خطأهم، فاعترفوا بذلك، فقال: يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم

خسران أعظم من خسران جنات النعيم، وحرمان جوار أكرم الأكرمين؟! ولكنهم وإن اشتروا في الخسران، فإنهم يتفاوتون في مقداره تفاوتاً عظيماً. 131
الجن والإنس صنعوا كصنيعكم، واستمتعوا بخلاقهم كما استمتعتم، وخاضوا بالباطل كما خضتم، إنهم كانوا خاسرين، أي: الأولون من هؤلاء والآخرين، وأي حجة الله، وعلم حينئذ كل أحد، حتى هم بأنفسهم عدل الله فيهم، فقال لهم: حاكما عليهم بالعذاب الأليم: ادخلوا في جملة أمم قد خلت من قبلكم من أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها، ونعيمها فاطمأنوا بها ورضوا، وألتهتهم عن الآخرة، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فقامت عليهم النجاة فيه، والفوز إنما هو بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن الشقاء والخسران في تضییع ذلك، فأقروا بذلك واعترفوا، ف قالوا بلى شهدنا على يقصون عليكم آياتي الواضحات البينات، التي فيها تفاصيل الأمر والنهي، والخير والشر، والوعد والوعيد. وينذرونكم لقاء يومكم هذا ويعلمونكم أن ثم وبخ الله جميع من أعرض عن الحق وردة، من الجن والإنس، وبين خطأهم، فاعترفوا بذلك، فقال: يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم

عن الأعمال السيئة، رحمة بهم، وقصدا لمصالحهم. وإلا فهو الغني بذاته، عن جميع مخلوقاته، فلا تنفعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين. 132

تفسير السعدي

وأهل الصفوة من أهل وداذه. وما ريك بغافل عما يعملون فيجازي كلا بحسب علمه، وبما يعلمه من مقصده، وإنما أمر الله العباد بالأعمال الصالحة، ونهاهم قد رضوا بما آتاهم مولاهم، وقنعوا بما حباهم. فنسأله تعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى، التي أعدها الله للمقربين من عباده، والمصطفين من خلقه، ولا المرءوس كالرئيس، كما أن أهل الثواب والجنة وإن اشتركوا في الربح والفلاح ودخول الجنة، فإن بينهم من الفرق ما لا يعلمه إلا الله، مع أنهم كلهم، ولكل منهم درجات مما عملوا بحسب أعمالهم، لا يجعل قليل الشر منهم كثيره، ولا التابع كالمتبوع،

الدرجات وما أبخس حظ من رضي بالدون، وأدنى همة من اختار صفقة المغبون ولا يستبعد المعرض الغافل، سرعة الوصول إلى هذه الدار 133 فيه المتنافسون، من لذة الأرواح، وكثرة الأفراح، ونعيم الأبدان والقلوب، والقرب من علام الغيوب، فله همة تعلقت بتلك الكرامات، وإرادة سمت إلى أعلى التي لا غاية وراءها، والمطلوب الذي ينتهي إليه كل مطلوب، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب، هنالك والله، ما تشتهيبه الأنفس، وتلذ الأعين، ويتنافسون ونقص؟ وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرتلحل نحوها السابقون واللاحقون، التي إذا وصلوها، فتم الخلود الدائم، والإقامة اللازمة، والغاية قبلكم وخلوها لكم، فلم اتخذتموها قراراً؟ وتوطنتم بها ونسيتم، أنها دار ممر لا دار مقر. وأن أمامكم داراً، هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين فإذا عرفتم بأنكم لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار، كما انتقل غيركم، وترحلون منها وتخلونها لمن بعدكم، كما رحل عنها من إن يشأ يذهبكم بالإهلاك ويستخلف من بعدكم ما يشاء

إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين لله، فارين من عقابه، فإن نواصيك تحت قبضته، وأنتم تحت تدبيره وتصرفه. 134

يفلح الظالمون فكل ظالم، وإن تمتع في الدنيا بما تمتع به، فنهايته فيه الاضمحلال والتلف إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته 135 علم أن العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة للمتقين، وأن المؤمنين لهم عقبى الدار، وأن كل معرض عما جاءت به الرسل، عاقبته سوء وشر، ولهذا قال: إنه لا وهذا من الإنصاف بموضع عظيم، حيث بين الأعمال وعامليها، وجعل الجزاء مقروناً بنظر البصير، ضارباً فيه صفحا عن التصريح الذي يغني عنه التلويح. وقد على حالتكم التي أنتم عليها، ورضيتموها لأنفسكم. إني عامل على أمر الله، ومتبع لمراضي الله. فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار أنا أو أنتم، إلى الله، وبينت لهم ما لهم وما عليهم من حقوقه، فامتنعوا من الانقياد لأمره، واتبعوا أهواءهم، واستمروا على شركهم: يا قوم اعملوا على مكانتكم أي: قل يا أيها الرسول لقومك إذا دعوتهم

لله على زعمهم فإنه لا يصل إليه لكونه شركاً، بل يكون حظ الشركاء والأنداد، لأن الله غني عنه، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق. 136 عن الشرك، من أشرك معي شيئاً تركته وشركه. وأن معنى الآية أن ما جعلوه وتقربوا به لأوثانهم، فهو تقرب خالص لغير الله، ليس لله منه شيء، وما جعلوه مما يفعل بحق الله. ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة، ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن الله تعالى أنه قال: أنا أغنى الشركاء لله، ردوه إلى محله، وقالوا: إنها فقيرة، لا بد من رد نصيبها. فهل أسوأ من هذا الحكم. وأظلم؟ حيث جعلوا ما للمخلوق، يجتهد فيه وينصح ويحفظ، أكثر فإن وصل شيء مما جعلوه لله، واختلط بما جعلوه لغيره، لم يبالوا بذلك، وقالوا: الله غني عنه، فلا يردونه، وإن وصل شيء مما جعلوه لأنفسهم إلى ما جعلوه قسماً قالوا: هذا لله بقولهم وزعمهم، وإلا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه، ولا يقبل عمل من أشرك به. وقسماً جعلوه حصّة شركائهم من الأوثان والأنداد. اعتنوا به واحتفظوا به ولم يصل إلى الله منه شيء، وذلك أنهم إذا حصل لهم من زروعهم وثمارهم وأنعامهم، التي أوجدها الله لهم شيء، جعلوه قسمين: الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئاً في ذلك، وحكمهم الجائر في أن ما كان لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو كان واصلاً إلى الشركاء، وما كان لشركائهم وأوجده رزقاً، فجمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير، منتهم على الله، في جعلهم له نصيباً، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع، وإشراك الشركاء لهم في مقابلة الحق، فذكر من ذلك أنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، ولشركائهم من ذلك نصيباً، والحال أن الله تعالى هو الذي ذرأه للعباد، شيئاً من خرافاتهم، لينبه بذلك على ضلالهم والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق الذي جاء به الرسول، لا تقدر فيه أصلاً، فإنهم لا أهلية يخبر تعالى، عما عليه المشركون المكذوبون للنبي صلى الله عليه وسلم، من سفاهة العقل، وخفة الأحلام، والجهل البليغ، وعدد تبارك وتعالى

وإمهالاً لهم، وعدم مبالاة بما هم عليه، ولهذا قال: فذرهم وما يفترون أي: دعهم مع كذبهم وافترائهم، ولا تحزن عليهم، فإنهم لن يضروا الله شيئاً. 137 يمنهم ويحول بينهم وبين هذه الأفعال، ويمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم، ما فعلوه، ولكن اقتضت حكمته التخلية بينهم وبين أفعالهم، استدراجاً منه لهم، دينهم، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح، ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم، حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة، ولو شاء الله أن وهو: الوأد، الذين يدفنون أولادهم الذكور خشية الافتقار، والإناث خشية العار. وكل هذا من خدع الشياطين، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك، ويلبسوا عليهم ومن سفه المشركين وضلالهم، أنه زين لكثير من المشركين شركاؤهم أي: رؤساؤهم وشياطينهم قتل أولادهم،

تلك الأفعال إلى الله، وهم كذبة فجار في ذلك. سيجزيهم بما كانوا يفترون على الله، من إحلال الشرك، وتحريم الحلال من الأكل، والمنافع. 138 والحمل عليها، ويحمونها ظهراً، ويسمونها الحام، وأنعام لا يذكر اسم الله عليها، بل يذكرون اسم أصنامهم وما كانوا يعبدون من دون الله عليها، وينسبون من عندهم. وكل هذا بزعمهم لا مستند لهم ولا حجة إلا أهويتهم، وآراؤهم الفاسدة. وأنعام ليست محرمة من كل وجه، بل يحرمون ظهورها، أي: بالركوب أنهم يقولون فيها: هذه أنعام وحرث حجر أي: محرّم لا يطعمها إلا من نشأ أي: لا يجوز أن يطعمه أحد، إلا من أردنا أن يطعمه، أو وصفناه بوصف الله لهم عموماً، وجعلها رزقاً ورحمة، يتمتعون بها ويتمتعون بها، قد اخترعوا فيها بدعاً وأقوالاً من تلقاء أنفسهم، فعندهم اصطلاح في بعض الأنعام والحرث

ومن أنواع سفاهتهم أن الأنعام التي أحلها

مما هم فيه من الضلال. عليم بهم، لا تخفى عليه خافية، وهو تعالى يعلم بهم وبما قالوه عليه وافتروه، وهو يعافهم ويرزقهم جل جلاله. 139 حين وصفوا ما أحله الله بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، فنقضوا شرع الله وخالفوه، ونسبوا ذلك إلى الله. إنه حكيم حيث أمهل لهم، ومكنهم على أزواجنا أي: نساينا، هذا إذا ولد حيا، وإن يكن ما في بطنها يولد ميتا، فهم فيه شركاء، أي: فهو حلال للذكور والإناث. سيجزيهم الله وصفهم محرما ما في بطنها على الإناث دون الذكور، فيقولون: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا أي: حلال لهم، لا يشاركون فيها النساء، ومحرم ومن آرائهم السخيفة أنهم يجعلون بعض الأنعام، ويعينونها

أي: ونهيت أيضا، عن أن أكون من المشركين، لا في اعتقادهم، ولا في مجالستهم، ولا في الاجتماع بهم، فهذا أفرض الفروض علي، وأوجب الواجبات. 14 الحميد؟ قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم لله بالتوحيد، وانقاد له بالطاعة، لأنني أولى من غيري بامتثال أوامر ربي. ولا تكونن من المشركين خالقهما ومدبرهما. وهو يطعم ولا يطعم أي: وهو الرزاق لجميع الخلق، من غير حاجة منه تعالى إليهم، فكيف يليق أن أتخذ وليا غير الخالق الرزاق، الغني المشركين بالله: أغير الله أتخذ وليا من هؤلاء المخلوقات العاجزة يتولاني، وينصرني؟! فلا أتخذ من دونه تعالى وليا، لأنه فاطر السماوات والأرض، أي: قل لهؤلاء

على الله أي: كذبا يكذب به كل معاند كفار. قد ضلوا وما كانوا مهتدين أي: قد ضلوا ضلالا بعيدا، ولم يكونوا مهتدين في شيء من أمورهم. 140 ما رزقهم الله أي: ما جعله رحمة لهم، وساقه رزقا لهم. فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوها بأنها حرام، وهي من أحل الحلال. وكل هذا افتراء قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم أي: خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصفهم بعد العقول الرزينة السفه المردى، والضلال. وحرمو ثم بين خسراهم وسفاهة عقولهم فقال:

الله عليه وسلم، يبعث خارصا، يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعتريها من الأكل وغيره، من أهلها، وغيرهم. 141 أنه لا يضمها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. وقد كان النبي صلى العبد أحوالا كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، عليه. وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصاها في الزرع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت لا يخرج. وقوله: ولا تسرفوا يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج الحول، لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجها على أهل الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهرا لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن حقه يوم حصاده أي: أعطوا حق الزرع، وهو الزكاة ذات الأنصاء المقدرة في الشرع، أمرهم أن يعطوها يوم حصاها، وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان وطعمه. كأنه قيل: لأي شيء أنشأ الله هذه الجنات، وما عطف عليها؟ فأخبر أنه أنشأها لمنافع العباد فقال: كلوا من ثمره أي: النخل والزرع إذا أثمر وآتوا على اختلاف أنواعه لكثرة منافعها، ولكونها هي القوت لأكثر الخلق. و أنشأ تعالى الزيتون والرمان متشابهة في شجره وغير متشابهة في ثمره أنشأ تعالى النخل والزرع مختلفا أكله أي: كله في محل واحد، ويشرب من ماء واحد، ويفضل الله بعضه على بعض في الأكل. وخص تعالى النخل والزرع خال من العروش، تثبت على ساق، أو تنفرش في الأرض، وفي هذا تنبيه على كثرة منافعها، وخيراتها، وأنه تعالى، علم العباد كيف يعرضونها، وينمونها. و والنباتات المختلفة. معروشات وغير معروشات أي: بعض تلك الجنات، مجعول لها عرش، تنتشر عليه الأشجار، ويعاونها في النهوض عن الأرض. وبعضها ذكر تبارك وتعالى نعمته عليهم بذلك، ووظيفتهم اللازمة عليهم في الحروث والأنعام فقال: وهو الذي أنشأ جنات أي: بساتين، فيها أنواع الأشجار المتنوعة، لما ذكر تعالى تصرف المشركين في كثير مما أحله الله لهم من الحروث والأنعام،

أي: طريقه وأعماله التي من جملتها أن تحرموا بعض ما رزقكم الله. إنه لكم عدو مبين فلا يأمركم إلا بما فيه مصلحتكم وشقاؤكم الأبدى. 142 تنقسم إلى هذين القسمين. وأما من جهة الأكل وأنواع الانتفاع، فإنها كلها تؤكل وينتفع بها. ولهذا قال: كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان وفرشا أي: بعضها تحملون عليه وتركبونه، وبعضها لا تصلح للحمل والركوب عليها لصغرها كالفصلان ونحوها، وهي الفرش، فهي من جهة الحمل والركوب، أي: و خلق وأنشأ من الأنعام حمولة

أن مصدرها من الجهل المركب، والعقول المختلة المنحرفة، والآراء الفاسدة، وأن الله، ما أنزل بما قالوه من سلطان، ولا لهم عليه حجة ولا برهان. 143 عليها اصطلاحات من عند أنفسهم، حرام على الإناث دون الذكور، أو محرمة في وقت من الأوقات، أو نحو ذلك من الأقوال، التي يعلم علما لا شك فيه أنهم لا يمكنهم أن يقولوا قولاً سائغا في العقل، إلا واحدا من هذه الأمور الثلاثة. وهم لا يقولون بشيء منها. إنما يقولون: إن بعض الأنعام التي يصطلحون هذه الأقوال الثلاثة، التي حصرت الأقسام الممكنة في ذلك، فإلى أي شيء تذهبون؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين في قولكم ودعواكم، ومن المعلوم ما اشتهلت عليه أرحام الأنثيين أي: أنثى الضأن وأنثى المعز، من غير فرق بين ذكر وأنثى، فلستم تقولون أيضا بهذا القول. فإذا كنتم لا تقولون بأحد فليس هذا قولكم، لا تحريم الذكور الخالص، ولا الإناث الخالص من الصنفين. بقي إذا كان الرحم مشتملا على ذكر وأنثى، أو على مجهول فقال: أم تحرمون

تفسير السعدي

الفرق بين ما أباحوا منها وحرّموا: المذكورين من الضأن والمعز حرم الله، فلمستم تقولون بذلك وتطردونه، أم الأنثيين حرم الله من الضأن والمعز، أحل الله، لا فرق بين شيء منها، فقل لهؤلاء المتكلفين، الذين يحرمون منها شيئاً دون شيء، أو يحرمون بعضها على الإناث دون الذكور، ملزماً لهم بعدم وجود الله بها على عبادته، وجعلها كلها حلالاً طيباً، فصلها بأنها: ثمانية أزواج من الضأن اثنين ذكر وأنثى ومن المعز اثنين كذلك، فهذه أربعة، كلها داخلة فيما وهذه الأنعام التي امتن

الله، بغير بينة منه ولا برهان، ولا عقل ولا نقل. إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين لا إرادة لهم في غير الظلم والجور، والافتراء على الله. 144 يجله أحد، ولهذا قال: فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم أي: مع كذبه وافتراءه على الله، قصده بذلك إضلال عباد الله عن سبيل وهي أن تقولوا: إن الله وصانا بذلك، وأوحى إلينا كما أوحى إلى رسله، بل أوحى إلينا وحياً مخالفاً لما دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، وهذا افتراء لا حيلة لهم في الخروج من تبعته، إلا في اتباع شرع الله. أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله أي: لم يبق عليكم إلا دعوى، لا سبيل لكم إلى صدقها وصحتها. ثم ذكر في الإبل والبقر مثل ذلك. فلما بين بطلان قولهم وفساده، قال لهم قولوا

وأشباههم، فيمنونها كما ينمون المواشي، ويستحلونها، ولا يفرقون بينها وبين الأنعام، فهذا المحرم على هذه الأمة كله من باب التنزيه لهم والسيانة. 145 فحلال. ولعل مناسبة ذكر الخنزير هنا على هذا الاحتمال، أن بعض الجهال قد يدخله في بهيمة الأنعام، وأنه نوع من أنواع الغنم، كما قد يتوهمه جهلة النصارى بذلك، بحسب ما سولت لهم أنفسهم، وذلك في بهيمة الأنعام خاصة، وليس منها محرم إلا ما ذكر في الآية: الميتة منها، وما أهل لغير الله به، وما سوى ذلك ما لم يقل. وفي الآية احتمال قوي، لولا أن الله ذكر فيها الخنزير، وهو: أن السياق في نقض أقوال المشركين المتقدمة، في تحريمهم لما أحله الله وخوضهم من المطاعم إلا ما ذكر، والتحريم لا يكون مصدره، إلا شرع الله دل ذلك على أن المشركين، الذين حرّموا ما رزقهم الله مفترون على الله، متقولون عليه لهم، وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس. ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السنة، فإنها تفسر القرآن، وتبين المقصود منه، فإذا كان الله تعالى لم يحرم الأخير منها فقط: فإنه رجس وصف شامل لكل محرم، فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من الخبائث المستقذرة التي حرّمها الله على عبادته، صيانة إن هذه الآية مشتملة على سائر المحرمات، بعضها صريحاً، وبعضها يؤخذ من المعنى وعموم العلة. فإن قوله تعالى في تعليل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو قبل تحريم ما زاد على ما ذكر فيها، فلا ينافي هذا الحصر المذكور فيها التحريم المتأخر بعد ذلك؛ لأنه لم يجده فيما أوحى إليه في ذلك الوقت، وقال بعضهم: الله في هذا الحصر المذكور في هذه الآية، مع أن ثم محرمات لم تذكر فيها، كالسباع وكل ذي مخلب من الطير ونحو ذلك، فقال بعضهم: إن هذه الآية نازلة للحد، بأن يأكل زيادة عن حاجته. فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم أي: فالله قد سامح من كان بهذه الحال. واختلف العلماء رحمهم الله أكل شيء منها، بأن لم يكن عنده شيء وخاف على نفسه التلف. غير باغ ولا عاد أي: غير باغ أي: مريد لأكلها من غير اضطرار ولا متعدي، أي: متجاوز فإن هذا من الفسق الذي هو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته، أي: ومع هذا، فهذه الأشياء المحرمات، من اضطر إليها، أي: حملته الحاجة والضرورة إلى لكم عن مقارنة الخبائث. أو إلا أن يكون فسقاً أهل لغير الله به أي: إلا أن تكون الذبيحة مذبوحة لغير الله، من الأوثان والآلهة التي يعبدونها المشركون، والعروق بعد الذبح، أنه حلال طاهر. أو لحم خنزير فإنه رجس أي: فإن هذه الأشياء الثلاثة، رجس، أي: خبث نجس مضر، حرّمه الله لطفاً بكم، ونزاهة من الذبيحة عند ذكاتها، فإنه الدم الذي يضر احتباسه في البدن، فإذا خرج من البدن زال الضرر بأكل اللحم، ومفهوم هذا اللفظ، أن الدم الذي يبقى في اللحم والميتة: ما مات بغير ذكاة شرعية، فإن ذلك لا يحل. كما قال تعالى: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير أو دماً مسفوفاً وهو الدم الذي يخرج وقد قال لرسوله: قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم أي: محرماً أكله، بقطع النظر عن تحريم الانتفاع بغير الأكل وعدمه. إلا أن يكون ميتة للناس ما حرّمه الله عليهم، ليعلموا أن ما عدا ذلك حلال، من نسب تحريمه إلى الله فهو كاذب مبطل، لأن التحريم لا يكون إلا من عند الله على لسان رسوله، لما ذكر تعالى ذم المشركين على ما حرّموا من الحلال ونسبوه إلى الله، وأبطل قولهم. أمر تعالى رسوله أن يبين

الأشياء عقوبة لهم ونكالا. وإنا لصادقون في كل ما نقول ونفعل ونحكم به، ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون. 146 للأمعاء أو ما اختلط بعضهم ذلك التحريم على اليهود جزيناهم ببغيهم أي: ظلّمهم وتعديهم في حقوق الله وحقوق عبادته، فحرم الله عليهم هذه المحرم جميع الشحوم منها، بل شحم الألية والترب، ولهذا استثنى الشحم الحلال من ذلك فقال: إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أي: الشحم المخالط قال: وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر وذلك كالإبل، وما أشبهها و حرّمنا عليهم. ومن البقر والغنم بعض أجزائها، وهو: شحومها وليس وأما ما حرم على أهل الكتاب، فبعضه طيب ولكنه حرم عليهم عقوبة لهم، ولهذا

القوم المجرمين أي: الذين كثر إجرامهم وذنوبهم، فاحذروا الجرائم الموصلة لبأس الله، التي أعظمها ورأسها تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم. 147 لجميع للمخلوقات كلها، فسارعوا إلى رحمته بأسبابها، التي رأسها ومادتها، تصديق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به. ولا يرد بأسه عن أي: فإن كذبك هؤلاء المشركون، فاستمر على دعوتهم، بالترغيب والترهيب، وأخبرهم بأن الله ذو رحمة واسعة أي: عامة شاملة أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ 148 به على معاصي الله ومساخطه. ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟ ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فإعجاباً كيف يحتجون

تفسير السعدي

داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته. ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف. ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا تعالى أعطى كل مخلوق، قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا. ومنها: أن الله والعناد والشر والفساد؟ ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول علم أنه لا علم عندهم. إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ومن بنى حجه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا فلو كان لهم علم وهم خصوم ألداء لأخرجوه، فلما لم يخرجوه كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة. ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه: منها: ما ذكر الله من أنها لو بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئا ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهكلهم الله، وأذاقهم بأسه. فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت كما قال في الآية الأخرى: وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الآية. فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم. وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، تفسير الآيتين 148 و 149: هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم

أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ 149 به على معاصي الله ومساخطه. ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟ ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا، ويعلمون أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فإعجابا كيف يحتجون داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته. ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف. ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا تعالى أعطى كل مخلوق، قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا. ومنها: أن الله والعناد والشر والفساد؟ ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول علم أنه لا علم عندهم. إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ومن بنى حجه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا فلو كان لهم علم وهم خصوم ألداء لأخرجوه، فلما لم يخرجوه كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة. ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه: منها: ما ذكر الله من أنها لو بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئا ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهكلهم الله، وأذاقهم بأسه. فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت كما قال في الآية الأخرى: وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الآية. فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم. وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، تفسير الآيتين 148 و 149: هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم

يخاف عذابه، ويحذر عقابه؛ لأنه من صرف عنه العذاب يومئذ فهو المرحوم، ومن نجا فيه فهو الفائز حقا، كما أن من لم ينج منه فهو الهالك الشقي. 15 قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم فإن المعصية في الشرك توجب الخلود في النار، وسخط الجبار. وذلك اليوم هو اليوم الذي بهوى هذا شأنه، أن ينهى الله خيار خلقه عن اتباعه، وعن الشهادة مع أربابه، وعلم حينئذ أن تحريمهم لما أحل الله صادر عن تلك الأهواء المضلة. 150 غيره من الأنداد والأوثان. فإذا كانوا كافرين باليوم الآخر غير موحدين لله، كانت أهويتهم مناسبة لعقيدتهم، وكانت دائرة بين الشرك والتكذيب بالحق، فحري وأتباعه عن هذه الشهادة. فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي: يسوون به لهم بذلك، ولا يمكن أن يشهد بهذا إلا كل أفاك أثيم غير مقبول الشهادة، وليس هذا من الأمور التي يصح أن يشهد بها العدول؛ ولهذا قال تعالى ناهيا نبيه، قيل لهم هذا الكلام، فهم بين أمرين: إما: أن لا يحضروا أحدا يشهد بهذا، فتكون دعواهم إذا باطلة، خلية من الشهود والبرهان. وإما: أن يحضروا أحدا يشهد أي: قل لمن حرم ما أحل الله، ونسب ذلك إلى الله: أحضروا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا، فإذا

به لعلمكم تعقلون عن الله وصيته، ثم تحفظونها، ثم تراعونها وتقومون بها. ودلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به. 151 والكافرة التي قد عصمت بالعهد والميثاق. إلا بالحق كالزاني المحصن، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة. ذلكم المذكور وصاكم

تفسير السعدي

- فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله. وهي: النفس المسلمة، من ذكر وأنثى، صغير وكبير، بر وفاجر، وما بطن أي: لا تقربوا الظاهر منها والخفي، أو المتعلق منها بالظاهر، والمتعلق بالقلب والباطن. والنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، الجميع، فليست الذين ترزقون أولادكم، بل ولا أنفسكم، فليس عليكم منهم ضيق. ولا تقربوا الفواحش وهي: الذنوب العظام المستفحشة، ما ظهر منها قتلهم في هذه الحال، وهم أولادهم، فنهيههم عن قتلهم لغير موجب، أو قتل أولاد غيرهم، من باب أولى وأحرى. نحن نرزقكم وإياهم أي: قد تكفلنا برزق أولادكم من ذكور وإناث من إملاق أي: بسبب الفقر وضيقكم من رزقهم، كما كان ذلك موجودا في الجاهلية القاسية الظالمة، وإذا كانوا منهيين عن الأفعال الجميلة المستحسنة، فكل قول وفعل يحصل به منفعة للوالدين أو سرور لهما، فإن ذلك من الإحسان، وإذا وجد الإحسان انتفى العقوق. ولا تقتلوا جميع أحواله، فهذا حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. ثم بدأ بأكّد الحقوق بعد حقه فقال: وبالوالدين إحسانا من الأقوال الكريمة الحسنة، أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحدا، مخلصا لله في عاما شاملا لكل أحد، محتويا على سائر المحرمات، من المأكّل والمشارب والأقوال والأفعال. ألا تشركوا به شيئا أي: لا قليلا ولا كثيرا. وحقيقة الشرك بالله: يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الذين حرموا ما أحل الله. تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم تحريما
- الأحكام المذكورة وصاكم به لعلكم تذكرون ما بينه لكم من الأحكام، وتقومون بوصية الله لكم حق القيام، وتعرفون ما فيها، من الحكم والأحكام. 152 عاهده عليه العباد من القيام بحقوقه والوفاء بها، ومن العهد الذي يقع التعاقد به بين الخلق. فالجميع يجب الوفاء به، ويحرم نقضه والإخلال به. ذلكم ويعتبر قربها من الحق وبعدها منه. وذكر الفقهاء أن القاضي يجب عليه العدل بين الخصمين، في لحظه ولفظه. وبعده الله أوفوا وهذا يشمل العهد الذي فيه أو في مقالته من الظلم المحرم. بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، المقالات والأحوال فاعدلوا في قولكم، بمرعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام الله فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه فيما سوى ذلك. وإذا قلتم قولا تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتكلمون به على حصل منه تقصير لم يفرط فيه، ولم يعلمه، فإن الله عفو غفور. وبهذه الآية ونحوها استدل الأصوليون، بأن الله لا يكلف أحدا ما لا يطيق، وعلى أن من اتقى أي: بالعدل والوفاء التام، فإذا اجتهدتم في ذلك، ف لا تكلف نفسا إلا وسعها أي: بقدر ما تسعه، ولا تضيق عنه. فمن حرص على الإيفاء في الكيل والوزن، ثم على أن اليتيم قبل بلوغ الأشد محجور عليه، وأن وليه يتصرف في ماله بالأحظ، وأن هذا الحجر ينتهي ببلوغ الأشد. وأوفوا الكيل والميزان بالقسط مصلحة، حتى يبلغ اليتيم أشده أي: حتى يبلغ ويرشد، ويعرف التصرف، فإذا بلغ أشده، أعطي حينئذ ماله، وتصرف فيه على نظره. وفي هذا دلالة أي: إلا بالحال التي تصلح بها أموالهم، وينتفعون بها. فدل هذا على أنه لا يجوز قربانها، والتصرف بها على وجه يضر اليتامى، أو على وجه لا مضرة فيه ولا ولا تقربوا مال اليتيم بأكل، أو معاوضة على وجه المحاباة لأنفسكم، أو أخذ من غير سبب. إلا بالتي هي أحسن
- علما وعملا صرتم من المتقين، وعباد الله المفلحين، ووحد الصراط وأضافه إليه لأنه سبيل واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه. 153 يمينا وشمالا، فإذا ضللتهم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم. ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون فإنكم إذا قمتم بما بينه الله لكم لتناولوا الفوز والفلاح، وتدرکوا الآمال والأفراح. ولا تتبعوا السبل أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق فتفرق بكم عن سبيله أي: تضلکم عنه وتفرقكم أي: هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر. فاتبعوه ولما بين كثيرا من الأوامر الكبار، والشرائع المهمة، أشار إليها وإلى ما هو أعم منها فقال: وأن هذا صراطي مستقيما
- والبيّنات عليهم بقاء ربهم يؤمنون فإنه اشتمل من الأدلة القاطعة على البعث والجزاء بالأعمال، ما يوجب لهم الإيمان بقاء ربهم والاستعداد له. 154 أي: يهديهم إلى الخير، ويعرفهم بالشّر، في الأصول والفروع. ورحمة يحصل به لهم السعادة والرحمة والخير الكثير. لعلهم بسبب إنزالنا الكتاب نعمة الله، ووجب عليهم القيام بشكرها. وتفصيلا لكل شيء يحتاجون إلى تفصيله، من الحلال والحرام، والأمر والنهي، والعقائد ونحوها. وهدي ورحمة وكما لا لإحسانه. على الذي أحسن من أمة موسى، فإن الله أنعم على المحسنين منهم بنعم لا تحصى. من جملتها وتامها إنزال التوراة عليهم. فتمت عليهم على تلاوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب، وإنما المراد الترتيب الإخباري. فأخبر أنه أتى موسى الكتاب وهو التوراة تماما لنعمته، ثم في هذا الموضع، ليس المراد منها الترتيب الزمني، فإن زمن موسى عليه السلام، متقدم
- عليه واتقوا الله تعالى أن تخالفوا له أمرا لعلكم إن اتبعتموه ترحموا فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب، علما وعملا. 155 عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة فاتبعوه فيما يأمر به وينهى، وابتوا أصول دينكم وفروعه الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وذكر الحكم والمصالح التي تحث وهذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم. كتاب أنزلناه مبارك أي: فيه الخير
- علينا كتابا، والكتب التي أنزلتها على الطائفتين ليس لنا بها علم ولا معرفة، فأنزلنا إليكم كتابا، لم ينزل من السماء كتاب أجمع ولا أوضح ولا أبين منه. 156 المبارك قطعاً لحجتكم، وخشية أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، أي: اليهود والنصارى. وإن كنا عن دراستهم لغافلين أي: تقولون لم تنزل أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أي: أنزلنا إليكم هذا الكتاب

وفيه: ما كان عليه الجاهلية قبل نزول القرآن، من الجهل العظيم وعدم العلم بما عند أهل الكتاب، الذين عندهم مادة العلم، وغفلتهم عن دراسة كتبهم. 157 أنه لم ينزل جنس الكتاب إلا على الطائفتين، من اليهود والنصارى، فهم أهل الكتاب عند الإطلاق، لا يدخل فيهم سائر الطوائف، لا المجوس ولا غيرهم. إلى الصراط المستقيم، هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخصص المتكلمين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأولين والآخرين. وأن المعروف جزاء لهم على عملهم السيئ وما ربك بظلام للعبيد وفي هذه الآيات دليل على أن علم القرآن أجل العلوم وأبركها وأوسعها، وأنه به تحصل الهداية أعرض ونأى بجانبه. سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب أي: العذاب الذي يسوء صاحبه ويشق عليه. بما كانوا يصدفون لأنفسهم ولغيرهم، لكم الانقياد لأحكامه والإيمان بأخباره، وأن من لم يرفع به رأسا وكذب به، فإنه أظلم الظالمين، ولهذا قال: فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها أي: جاءكم بيعة من ربكم وهذا اسم جنس، يدخل فيه كل ما يبين الحق وهدى من الضلالة ورحمة أي: سعادة لكم في دينكم ودنياكم، فهذا يوجب أي: إما أن تعتذروا بعدم وصول أصل الهداية إليكم، وإما أن تعتذروا، بعدم كمالها وتامها، فحصل لكم بكتابتكم أصل الهداية وكمالها، ولهذا قال: فقد أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكان أهدى منهم

الإنسان يكتسب الخير بإيمانه. فالطاعة والبر والتقوى إنما تنفع وتتم إذا كان مع العبد الإيمان. فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك. 158 جملة أشرار الساعة طلوع الشمس من مغربها. وأن الله تعالى حكيم قد جرت عادته وسنته، أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختياريا لا اضطراريا، كما تقدم. وأن الاختيارية لله تعالى، كالاستواء والنزول، والإتيان لله تبارك وتعالى، من غير تشبيه له بصفات المخلوقين. وفي الكتاب والسنة من هذا شيء كثير، وفيه أن من الدهر ومصائب الأمور، قال: قل انتظروا إنا منتظرون فستعلمون أينا أحق بالأمن. وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأفعال ويغلق حينئذ باب التوبة. ولما كان هذا وعيدا للمكذبين بالرسول صلى الله عليه وسلم، منتظرا، وهم ينتظرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه قوارع الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد ببعض آيات الله، طلوع الشمس من مغربها، وأن الناس إذا رأوها، آمنوا، فلم ينفعهم إيمانهم، تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وقد تكاثرت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة، لأنه يشبه الإيمان الضروري، كإيمان الغريق والحريق ونحوهما، ممن إذا رأى الموت، أقبل عما هو فيه كما قال من الخير المرجو قبل أن يأتي بعض الآيات. والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيمانا بالغيب، وكان اختياريا من العبد، فأما إذا وجدت أي: إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمن المقصر أن يزداد خيره بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له آيات ربك الخارقة للعادة، التي يعلم بها أن الساعة قد دنت، وأن القيامة قد اقتربت. لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا الأعمال. أو يأتي ربك لفصل القضاء بين العباد، ومجازاة المحسنين والمسيئين. أو يأتي بعض آيات ربك الدالة على قرب الساعة. يوم يأتي بعض إلا أن يأتيهم مقدمات العذاب، ومقدمات الآخرة بأن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، فإنهم إذا وصلوا إلى تلك الحال، لم ينفعهم الإيمان ولا صالح يقول تعالى: هل ينظر هؤلاء الذين استمر ظلمهم وعنادهم،

شيء أي لست منهم وليسوا منك، لأنهم خالفوك وعاندوك. إنما أمرهم إلى الله يردون إليه فيجازيهم بأعمالهم ثم ينبتهم بما كانوا يفعلون 159 والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية. وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال: لست منهم في ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة. ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع وكل أخذ لنفسه نصيبا من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئا، كاليهودية والنصرانية والمجوسية. أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئا يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه،

يخاف عذابه، ويحذر عقابه؛ لأنه من صرف عنه العذاب يومئذ فهو المرحوم، ومن نجا فيه فهو الفائز حقا، كما أن من لم ينج منه فهو الهالك الشقي. 16 قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم فإن المعصية في الشرك توجب الخلود في النار، وسخط الجبار. وذلك اليوم هو اليوم الذي من التضعيف. ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهذا من تمام عدله تعالى وإحسانه، وأنه لا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: وهم لا يظلمون 160 ثم ذكر صفة الجزاء فقال: من جاء بالحسنة القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله أو حق خلقه فله عشر أمثاله هذا أقل ما يكون الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف، كاليهود والنصارى والمشركين. 161 الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل يأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يقول ويعلم بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال لله في سائر أعماله. وقوله: ومحياي ومماتي أي: ما أتبه في حياتي، وما يجريه الله علي، وما يقدر علي في مماتي، الجميع لله رب العالمين 162 واللسان، والجوارح وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى. ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه قل إن صلاتي ونسكي أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب لله ابتداء مني، وبدعا أتبهته من تلقاء نفسي، بل بذلك أمرت أمرا حتما، لا أخرج من التبعة إلا بامتناله وأنا أول المسلمين من هذه الأمة. 163 لا شريك له في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير، وليس هذا الإخلاص

تفسير السعدي

- 164 من وزر المباشر شيء. ثم إلى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من خير وشر، ويجازيكم على ذلك، أوفى الجزاء. 164
- أساء فعليها ولا تزر وازرة وزر أخرى بل كل عليه وزر نفسه، وإن كان أحد قد تسبب في ضلال غيره ووزره، فإن عليه وزر التسبب من غير أن ينقص الفقراء العاجزين. ثم رغب ورهب بذكر الجزاء فقال: ولا تكسب كل نفس من خير وشر إلا عليها كما قال تعالى: من عمل صالحا فلنفسه ومن رب كل شيء، فالخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقادون لأمره؟ فتعين علي وعلى غيري، أن يتخذ الله ربا، ويرضى به، وألا يتعلق بأحد من المربوبين قل أغير الله من المخلوقين أبغي ربا أي: يحسن ذلك ويليق بي، أن أتخذ غيره، مربيا ومدبرا والله
- الموبقات. آخر تفسير سورة الأنعام، فله الحمد والثناء وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. 165
- ليبلوكم فيما آتاكم فتفاوتت أعمالكم. إن ربك سريع العقاب لمن عصاه وكذب بآياته وإنه لغفور رحيم لمن آمن به وعمل صالحا، وتاب من الله في الأرض، وسخر لكم جميع ما فيها، وابتلاكهم، لينظر كيف تعملون. ورفع بعضكم فوق بعض درجات في القوة والعافية، والرزق والخلق والخلق. وهو الذي جعلكم خلانف الأرض أي: يخلف بعضكم بعضا، واستخلفكم
- نحوه. فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير فإذا كان وحده النافع الضار، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية والإلهية. 17
- ومن أدلة توحيده، أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسراء. ولهذا قال: وإن يمسسك الله بضر من فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أو هم أو الحكيم فيما أمر به ونهى، وأتاب، وعاقب، وفيما خلق وقدر. الخبر المطلق على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، وهذا كله من أدلة التوحيد. 18
- إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون، فإذا كان هو القاهر وغيره مقهورا، كان هو المستحق للعبادة. وهو وهو القاهر فوق عباده فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن،
- والتدبير. وإنني بريء مما تشركون به، من الأوثان، والأنداد، وكل ما أشرك به مع الله. فهذا حقيقة التوحيد، إثبات الإلهية لله ونفيها عما عداه. 19
- لأنفسنا ما اختاره الله لنبيه، الذي أمرنا الله بالاعتداء به، فقال: قل إنما هو إله واحد أي: منفرد، لا يستحق العبودية والإلهية سواه، كما أنه المنفرد بالخلق أقوالهم على إثبات أن مع الله آلهة أخرى، مع أنه لا يقوم على ما قالوه أدنى شبهة، فضلا عن الحجج، واختار لنفسك أي: الشهادتين، إن كنت تعقل، ونحن نختار شريك له، وشهادة أهل الشرك، الذين مرجت عقولهم وأديانهم، وفسدت آراؤهم وأخلاقهم، وأضحكوا على أنفسهم العقلاء. بل خالفوا بشهادة فطرتهم، وتناقضت فلا تشهد معهم. فوازن بين شهادة أصدق القائلين، ورب العالمين، وشهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة، على توحيد الله وحده لا هي أكبر الشهادات على توحيده، قال: قل لهؤلاء المعارضين لخبر الله، والمكذبين لرسله أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد أي: إن شهدوا، القرآن، فيه النذارة لكم أيها المخاطبون، وكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة، فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية. لما بين تعالى شهادته التي الأليم. والنذارة إنما تكون بذكر ما ينذرهم به، من الترغيب، والترهيب، وبيان الأعمال، والأقوال، الظاهرة والباطنة، التي من قام بها، فقد قبل النذارة، فهذا هذه الشهادة؟ وقوله: وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أي وأوحى الله إلي هذا القرآن الكريم لمنفعتكم ومصلحتكم، لأنذركم به من العقاب وهو مع ذلك يصدق بإقراره وبفعله، فيؤيده على ما قال بالمعجزات الباهرة، والآيات الظاهرة، وينصره، ويخذه من خالفه وعاداه، فأني شهادة أكبر من بحكمته وقدرته أن يقر كاذبا عليه، زاعما أن الله أرسله ولم يرسله، وأن الله أمره بدعوة الخلق ولم يأمره، وأن الله أباح له دماء من خالفه، وأموالهم ونساءهم، بإقراره وفعله، فيقرني على ما قلت لكم، كما قال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فإنه حكيم قدير، فلا يليق أي شيء أكبر شهادة على هذا الأصل العظيم. قل الله أكبر شهادة، فهو شهيد بيني وبينكم فلا أعظم منه شهادة، ولا أكبر، وهو يشهد لي قل لهم لما بينا لهم الهدى، وأوضحنا لهم المسالك:
- فيها، وهي: الصراط المتضمنة للعلم بالحق والعمل به، كما قال تعالى: وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله 2
- الله ووعيده، ووقوع الجزاء يوم القيامة. وذكر الله الظلمات بالجمع، لكثرة موادها وتنوع طرقها. ووحد النور لكون الصراط الموصلة إلى الله واحدة لا تعدد التي ينتقل العباد إليها من هذه الدار، فيجازيهم بأعمالهم من خير وشر. ثم مع هذا البيان التام وقطع الحجة أنتم تفترون أي: تشكون في وعد به وتمتحنون، وتبتلون بما يرسل إليكم به رسله. ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويعمركم ما يتذكر فيه من تذكر. وأجل مسمى عنده وهي: الدار الآخرة، هو الذي خلقكم من طين وذلك بخلق مادتهم وأبيكم آدم عليه السلام. ثم قضى أجلا أي: ضرب لمدة إقامتكم في هذه الدار أجلا، تتمتعون
- الإيمان والتوحيد، وحرموها الفضل من الملك المجيد فهم لا يؤمنون فإذا لم يوجد الإيمان منهم، فلا تسأل عن الخسار والشر، الذي يحصل لهم. 20
- بها، لما عندهم من البشارات به، ونعوته التي تنطبق عليه ولا تصلح لغيره، والمعنيان متلازمان. قوله الذين خسروا أنفسهم أي: فوتوها ما خلقت له، من البنين الملازمين في الغالب لأبائهم. ويحتمل أن الضمير عائد إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأن أهل الكتاب لا يشتهون بصحة رسالته ولا يمترون من اليهود والنصارى. يعرفونه أي: يعرفون صحة التوحيد كما يعرفون أبناءهم أي: لا شك عندهم فيه بوجه، كما أنهم لا يشتهون بأولادهم، خصوصا لما بين شهادته وشهادة رسوله على التوحيد، وشهادة المشركين الذين لا علم لديهم على ضده، ذكر أن أهل الكتاب
- بإدعاء الشريك له والعوين، أو زعم أنه ينبغي أن يعبد غيره أو اتخذ له صاحبة أو ولدا، وكل من رد الحق الذي جاء به الرسل أو من قام مقامهم. 21
- افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته، التي جاءت بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم لا يفلح أبدا. ويدخل في هذا، كل من كذب على الله،

تفسير السعدي

أي: لا أعظم ظلما وعنادا، ممن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتماعا،

وأنتهم يسألون ويوبخون فيقال لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أي إن الله ليس له شريك، وإنما ذلك على وجه الزعم منهم والافتراء. 22
يخبر تعالى عن مآل أهل الشرك يوم القيامة،

ثم لم تكن فتنتهم أي: لم يكن جوابهم حين يفتنون ويختبرون بذلك السؤال، إلا إنكارهم لشركهم وحلفهم أنهم ما كانوا مشركين. 23

بالخسار على أنفسهم وضرهم والله غاية الضرر وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء الذين زعموهم مع الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. 24
انظر متعجبا منهم ومن أحوالهم كيف كذبوا على أنفسهم أي: كذبوا كذبا عاد

الكتاب الحاوي لأنباء السابقين واللاحقين، والحقائق التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون، والحق، والقسط، والعدل التام من كل وجه، أساطير الأولين؟. 25
الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين أي: مأخوذ من صحف الأولين المسطورة، التي ليست عن الله، ولا عن رسله. وهذا من كفرهم، وإلا فكيف يكون هذا
أن الآيات البينات الدالة على الحق، لا ينقادون لها، ولا يصدقون بها، بل يجادلون بالباطل الحق ليدحضوه. ولهذا قال: حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول
كلامه عن أمثال هؤلاء. وفي آذانهم جعلنا وقرا أي: صمما، فلا يستمعون ما ينفعهم. وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وهذا غاية الظلم والعناد،
من قصد الحق واتباعه، ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع، لعدم إرادتهم للخير وجعلنا على قلوبهم أكنة أي: أغشية وأغشية، لنلا يفقهوا كلام الله، فسان
أي: ومن هؤلاء المشركين، قوم يحملهم بعض الأوقات، بعض الدواعي إلى الاستماع لما تقول، ولكنه استماع خال

الحق، ويحذرونهم منه، ويبعدون بأنفسهم عنه، ولن يضرؤا الله ولا عباده المؤمنين، بفعلهم هذا، شيئا. وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك. 26
وهم: أي المشركون بالله، المكذبون لرسوله، يجمعون بين الضلال والإضلال، يهتدون الناس عن اتباع

قلوبهم عن الخير، وهم كذبة في هذه الأمنية، وإنما قصدهم، أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب. ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون 27
من قبل فإنهم كانوا يخفون في أنفسهم، أنهم كانوا كاذبين، ويبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات. ولكن الأغراض الفاسدة، صدتهم عن ذلك، وصرفت
أقروا على أنفسهم بالكفر والفسوق، وتمنوا أن لو يردون إلى الدنيا. فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون
مخبرا عن حال المشركين يوم القيامة، وإحضارهم النار. ولو ترى إذ وقفوا على النار ليوبخوا ويقرعوا، لرأيت أمرا هائلا، وحالا مفضعة. ولرأيتهم كيف
تفسير الآيتين 27 و 28: يقول تعالى

قلوبهم عن الخير، وهم كذبة في هذه الأمنية، وإنما قصدهم، أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب. ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون 28
من قبل فإنهم كانوا يخفون في أنفسهم، أنهم كانوا كاذبين، ويبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات. ولكن الأغراض الفاسدة، صدتهم عن ذلك، وصرفت
أقروا على أنفسهم بالكفر والفسوق، وتمنوا أن لو يردون إلى الدنيا. فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون
مخبرا عن حال المشركين يوم القيامة، وإحضارهم النار. ولو ترى إذ وقفوا على النار ليوبخوا ويقرعوا، لرأيت أمرا هائلا، وحالا مفضعة. ولرأيتهم كيف
تفسير الآيتين 27 و 28: يقول تعالى

منكرين للبعث إن هي إلا حياتنا الدنيا أي: ما حقيقة الحال والأمر وما المقصود من إيجادنا، إلا الحياة الدنيا وحدها. وما نحن بمبعوثين 29

وقالوا

وجهركم ويعلم ما تكسبون، فاحذروا معاصيه وارغبوا في الأعمال التي تقرّبكم منه، وتدينكم من رحمته، واحذروا من كل عمل يبعدكم منه ومن رحمته. 3
متعبدون لربهم، خاضعون لعظمته، مستكينون لعزه وجلاله، الملائكة المقربون، والأنبياء والمرسلون، والصدّيقون، والشهداء والصالحون. وهو تعالى يعلم سرّكم
أي: وهو المألوه المعبود في السماوات وفي الأرض، فأهل السماء والأرض،

أليس هذا الذي ترون من العذاب بالحق قالوا بلى وربنا فأقروا، واعترفوا حيث لا ينفعهم ذلك، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون 30

أي: ولو ترى الكافرين إذ وقفوا على ربهم لرأيت أمرا عظيما، وهولا جسيما، قال لهم موبخا ومقرعا:

على ظهورهم ألا ساء ما يزرون فإن وزرهم وزر يثقلهم، ولا يقدرون على التخلص منه، ولهذا خلدوا في النار، واستحقوا التأبيد في غضب الجبار. 31
الساعة وهم على أقبح حال وأسوئه، فأظهروا غاية الندم. و قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ولكن هذا تحسر ذهب وقته، وهم يحملون أوزارهم
أي: قد خاب وخسر، وحرّم الخير كله، من كذب بقاء الله، فأوجب له هذا التكذيب، الاجترار على المحرمات، واقتراف الموبقات حتى إذا جاءتهم

وإنما هي للمتقين الذين يفعلون أوامر الله، ويتركون نواهيه وزواجره أفلا تعقلون أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تدركون، أي الدارين أحق بالإيثار. 32
يتقون في ذاتها وصفاتها، وبقائها ودوامها، وفيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، من نعيم القلوب والأرواح، وكثرة السرور والأفراح، ولكنها ليست لكل أحد،
لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فالقلوب لها والهة، والنفوس لها عاشقة، والهوموم فيها متعلقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان. وأما الآخرة، فإنها خير للذين
هذه حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، أما حقيقة الدنيا فإنها لعب ولهو،

حتى إنهم كانوا يسمونه قبل البعثة الأمين. ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أي: فإن تكذيبهم لآيات الله التي جعلها الله على يدك. 33

تفسير السعدي

والأحوال الغالية. فلا تظن أن قولهم صادر عن اشتباه في أمرك، وشك فيك. فإنهم لا يكذبونك لأنهم يعرفون صدقك، ومدخلك ومخرجك، وجميع أحوالك، أي: قد نعلم أن الذي يقول المكذبون فيك يحزنك ويسوءك، ولم نأمرك بما أمراك به من الصبر إلا لتحصل لك المنازل العالية

على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا فاصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا. ولقد جاءك من نبي المرسلين ما به يثبت فؤادك، ويطمئن به قلبك. 34 ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا

الهدى ولكن حكمته تعالى، اقتضت أنهم يبقون على الضلال. فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا ينزلونها على منازلها. 35 أو سلما في السماء فتأتيهم بآية أي: فافعل ذلك، فإنه لا يفيدهم شيئا، وهذا قطع لطمعه في هدايته أشباه هؤلاء المعاندين. ولو شاء الله لجمعهم على من حرصك عليهم، ومحبتك لإيمانهم، فابذل وسعك في ذلك، فليس في مقدورك، أن تهدي من لم يرد الله هدايته. فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض وإن كان كبر عليك إعراضهم أي: شق عليك،

المعاد، وأنه سيبعث الأموات يوم القيامة ثم يبينهم بما كانوا يعملون. ويكون هذا، متضمنا للترغيب في الاستجابة لله ورسوله، والترهيب من عدم ذلك. 36 بما ينجيهم، فإنهم لا يستجيبيون لك، ولا ينادون، وموعدهم القيامة، يبعثهم الله ثم إليه يرجعون، ويحتمل أن المراد بالآية، على ظاهرها، وأن الله تعالى يقرر ثم إليه يرجعون يحتمل أن المعنى، مقابل للمعنى المذكور. أي: إنما يستجيب لك أحياء القلوب، وأما أموات القلوب، الذين لا يشعرون بسعادتهم، ولا يحسون سماع الأذن، يشترك فيه البر والفاجر. فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى، باستماع آياته، فلم يبق لهم عذر، في عدم القبول. والموتى يبعثهم الله رسالتك، وينقاد لأمرك ونهيك الذين يسمعون بقلوبهم ما ينفعهم، وهم أولو الأبواب والأسماع. والمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: إنما يستجيب لدعوتك، ويلبي

وارتياب، فتبارك الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأيده بالآيات البينات ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم. 37 على ما جاء به من الحق، بحيث يتمكن العبد في كل مسألة من مسائل الدين، أن يجد فيما جاء به عدة أدلة عقلية ونقلية، بحيث لا تبقي في القلوب أدنى شك لا تبديل لها، ومع هذا، فإن كان قصدهم الآيات التي تبين لهم الحق، وتوضح السبيل، فقد أتى محمد صلى الله عليه وسلم، بكل آية قاطعة، وحجة ساطعة، دالة ولكن أكثر الناس لا يعلمون فهم لجهلهم وعدم علمهم يطلبون ما هو شر لهم من الآيات، التي لو جاءتهم، فلم يؤمنوا بها لعوجلوا بالعقاب، كما هي سنة الله، التي الآيات. قل مجيبا لقولهم: إن الله قادر على أن ينزل آية فليس في قدرته قصور عن ذلك، كيف، وجميع الأشياء منقادة لعزته، مذنة لسلطانه؟! لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي باله والملائكة قبلا وعنادا: لولا نزل عليه آية من ربه يعنون بذلك آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة. كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وقالوا أي: المكذبون بالرسول، تعنتا

في ذلك الموقف العظيم الهائل، فيجازيهم بعدله وإحسانه، ويمضي عليهم حكمه الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، أهل السماء وأهل الأرض. 38 كالمعنى في قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقوله ثم إلى ربهم يحشرون أي: جميع الأمم تحشر وتجمع إلى الله في موقف القيامة، بجميع الموجودات، ومشينته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقهم لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد. ويحتمل أن المراد بالكتاب، هذا القرآن، وأن المعنى الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط شيئا من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ، على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم. وفي هذه ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا، كما كانت نافذة فيكم. ما فرطنا في الكتاب من شيء أي: ما أهملنا ولا أغفلنا، في اللوح المحفوظ أي: جميع الحيوانات، الأرضية والهوائية، من البهائم والوحوش والطيور، كلها أمم أمثالكم خلقناها. كما خلقناكم،

إضلال الله إياهم، ف من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لأنه المنفرد بالهداية والإضلال، بحسب ما اقتضاه فضله وحكمته. 39 سماع الحق وبكم عن النطق به، فلا ينطقون إلا بباطل. في الظلمات أي: منغمسون في ظلمات الجهل، والكفر، والظلم، والعناد، والمعاصي. وهذا من هذا بيان لحال المكذبين بآيات الله، المكذبين لرسله، أنهم قد سدوا على أنفسهم باب الهدى، وفتحوا باب الردى، وأنهم صم عن قاطعة، الداعية لهم إلى اتباعه وقبوله إلا كانوا عنها معرضين لا يلقون لها بالا، ولا يصغون لها سمعا، قد انصرف قلوبهم إلى غيرها، وولوها أدبارهم. 40 المشركين، وشدة تكذيبهم وعداوتهم، وأنهم لا تنفع فيهم الآيات حتى تحل بهم المثلات، فقال: وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الدالة على الحق دالة هذا إخبار منه تعالى عن إعراض

كنتم صادقين أي: إذا حصلت هذه المشقات، وهذه الكروب، التي يضطر إلى دفعها، هل تدعون آلهتكم وأصنامكم، أم تدعون ربكم الملك الحق المبين. 40 يقول تعالى لرسوله: قل للمشركين بالله، العادلين به غيره: رأيتمكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن فما بالك في الرخاء تشركون به، وتجعلون له شركاء؟ هل ذلكم على ذلك، عقل أو نقل، أم عندكم من سلطان بهذا؟ بل تفترون على الله الكذب؟ 41 تنسونهم، لعلمكم أنهم لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا. وتخلصون لله الدعاء، لعلمكم أنه هو النافع الضار، المجيب لدعوة المضطر، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون فإذا كانت هذه حالكم مع أندادكم عند الشدائد،

تفسير السعدي

- بآياتنا. فأخذناهم بالبأساء والضراء أي: بالفقر والمرض والآفات، والمصائب، رحمة منا بهم. لعلهم يتضرعون إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا. 42
- يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك من الأمم السالفين، والقرون المتقدمين، فكذبوا رسلنا، وجحدوا فلا تلين للحق. وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان. 43
- فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم أي: استحجرت
- هم مبلسون أي: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة، وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد لعقوبتهم، وأعظم لمصيبتهم. 44
- فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الدنيا ولذاتها وغفلاتها. حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا
- لله رب العالمين على ما قضاه وقدره، من هلاك المكذبين. فإن بذلك، تتبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاءت به المرسلون. 45
- فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي اصطلموا بالعذاب، وتقطعت بهم الأسباب. والحمد
- أي: نوعها، ونأتي بها في كل فن، ولتنير الحق، وتبين سبيل المجرمين. ثم هم مع هذا البيان التام يصدفون عن آيات الله، ويعرضون عنها. 46
- غير الله يأتي بذلك، فلم عبدتم معه من لا قدرة له على شيء إلا إذا شاء الله. وهذا من أدلة التوحيد وبطلان الشرك، ولهذا قال: انظر كيف نصرف الآيات والإلهية فقال: قل رأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم فبقيتم بلا سمع ولا بصر ولا عقل من إله غير الله يأتيكم به فإذا لم يكن يخبر تعالى، أنه كما أنه هو المتفرد بخلق الأشياء وتديرها، فإنه المتفرد بالوحدانية
- إلا القوم الظالمون الذين صاروا سببا لوقوع العذاب بهم، بظلمهم وعنادهم. فاحذروا أن تقيموا على الظلم، فإنه الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي. 47
- قل رأيتمكم أي: أخبروني إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة أي: مفاجأة أو قد تقدم أمامه مقدمات، تعلمون بها وقوعه. هل يهلك
- آمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وأصلح إيمانه وأعماله ونيته فلا خوف عليهم فيما يستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى. 48
- والمنذر به، والأعمال التي من عملها، حقت عليه النذارة. ولكن الناس انقسموا بحسب إجاباتهم لدعوتهم وعدمها إلى قسمين: فمن آمن وأصلح أي: يذكر تعالى، زبدة ما أرسل به المرسلين؛ أنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر والمبشر به، والأعمال التي إذا عملها العبد، حصلت له البشارة. والمنذر
- والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب أي: ينالهم، ويذوقونه بما كانوا يفسقون 49
- جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين 5
- وافترأهم، وكانوا يستهزئون بالبعث والجنة والنار، فإذا كان يوم القيامة قيل للمكذبين: هذه النار التي كنتم بها تكذبون وقال تعالى: وأقسموا بالله به فاستحقوا العقاب الشديد. فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون أي: فسوف يرون ما استهزأوا به، أنه الحق والصدق، ويبين الله للمكذبين كذبهم فقد كذبوا بالحق لما جاءهم والحق حقه أن يتبع، ويشكر الله على تيسيره لهم، وإتيانهم به، فقابلوه بضد ما يجب مقابلته
- إلي، وبين من لم يكن كذلك قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون فتنزّلون الأشياء منازلها، وتختارون ما هو أولى بالاختيار والإيثارة؟ 50
- بما أوحى إلي أن تلزموني أني أدعي لنفسني غير مرتبتي. وهل هذا إلا ظلم منكم، وعناد، وتمرد؟ قل لهم في بيان الفرق، بين من قبل دعوتي، وانقاد لما أوحى إلى ذلك. فإذا عرفت منزلتي، فلا شيء يبيح الباحث معي، أو يطلب مني أمرا لست أدعيه، وهل يلزم الإنسان، بغير ما هو بصدد؟. ولأي شيء إذا دعوتكم، التي أنزلني الله بها. إن أتبع إلا ما يوحى إلي أي: هذا غاييتي ومنتهى أمري وأعلاه، إن أتبع إلا ما يوحى إلي، فأعمل به في نفسي، وأدعو الخلق كلهم عالم الغيب والشهادة. فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول. ولا أقول لكم إني ملك فأكون نافذ التصرف قويا، فلست أدعي فوق منزلتي، رزقه ورحمته. ولا أعلم الغيب وإنما ذلك كله عند الله فهو الذي ما يفتح للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو وحده يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم؛ المقترحين عليه الآيات، أو القائلين له: إنما تدعوننا لننتخذك إلها مع الله. ولا أقول لكم عندي خزائن الله أي: مفاتيح لهم، لأن الخلق كلهم، ليس لهم من الأمر شيء. لعلهم يتقون الله، بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن الإنذار موجب لذلك، وسبب من أسبابه. 51
- ما يضرهم. ليس لهم من دونه أي: لا من دون الله ولي ولا شفيع أي: من يتولى أمرهم فيحصل لهم المطلوب، ويدفع عنهم المحذور، ولا من يشفع
- كلهم، ولكن إنما ينتفع به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم فهم متيقنون للانتقال، من هذه الدار، إلى دار القرار، فلذلك يستصحبون ما ينفعهم ويدعون هذا القرآن نذارة للخلق
- فإننا نستحيي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء، فحملة حبه لإسلامهم، واتباعهم له، فحدثته نفسه بذلك. فعاتبه الله بهذه الآية ونحوها. 52
- أن أناسا من قريش، أو من أجلاف العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلانا وفلانا، أناسا من فقراء الصحابة، صبر نفسه معهم، وأحسن معاملتهم، ولأن لهم جانبه، وحسن خلقه، وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه رضي الله عنهم. وكان سبب نزول هذه الآيات، عمله الحسن، وعمله القبيح. فتطردهم فتكون من الظالمين وقد امتثل صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، أشد امتثال، فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين وإن كانوا فقراء، والأعزاء في الحقيقة وإن كانوا عند الناس أدلاء. ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء أي: كل له حسابه، وله سوى ذلك الغرض الجليل، فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم، بل مستحقون لمواالاتهم ومحبتهم، وإدنائهم، وتقريبهم، لأنهم الصفوة من الخلق

تفسير السعدي

- من الملازمين لدعاء ربهم، دعاء العبادة بالذكر والصلاة ونحوها، ودعاء المسألة، في أول النهار وآخره، وهم قاصدون بذلك وجه الله، ليس لهم من الأغراض ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي: لا تطرد عنك، وعن مجالستك، أهل العبادة والإخلاص، رغبة في مجالسة غيرهم، لا يضع فضله عند من ليس له بأهل، وهؤلاء المعترضون بهذا الوصف، بخلاف من من الله عليهم بالإيمان، من الفقراء وغيرهم فإنهم هم الشاكرون. 53
- بالشاكرين الذين يعرفون النعمة، ويقرون بها، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح، فيضع فضله ومنته عليهم، دون من ليس بشاكر، فإن الله تعالى حكيم، بينا فمنعهم هذا من اتباع الحق، لعدم زكائهم، قال الله مجيباً لكلامهم المتضمن الاعتراض على الله في هداية هؤلاء، وعدم هدايتهم هم. أليس الله بأعلم بالغنى أو الشرف، وإن لم يكن صادقا في طلب الحق، كانت هذه عقبة ترده عن اتباع الحق. وقالوا محتقرين لمن يرونهم دونهم: هؤلاء من الله عليهم من الله بالإيمان على الفقير أو الوضيع؛ كان ذلك محل محنة للغني والشریف فإن كان قصده الحق واتباعه، آمن وأسلم، ولم يمنعه من ذلك مشاركته الذي يراه دونه ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أي: هذا من ابتلاء الله لعباده، حيث جعل بعضهم غنياً؛ وبعضهم فقيراً، وبعضهم شريفاً، وبعضهم وضيعاً، فإذا من وكذلك فتننا بعضهم ببعض
- ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة. فإذا وجد ذلك كله فإنه غفور رحيم أي: صب عليهم من مغفرته ورحمته، بحسب ما قاموا به، مما أمرهم به. 54
- أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح أي: فلا بد مع ترك الذنوب والإقلاع، والندم عليها، من إصلاح العمل، وأداء ما أوجب الله، وإصلاح وطريق، يوصل لذلك. ورهبهم من الإقامة على الذنوب، وأمرهم بالتوبة من المعاصي، لينالوا مغفرة ربهم وجوده، ولهذا قال: كتب ربكم على نفسه الرحمة المؤمنون، فحيهم ورحب بهم ولقهم منك تحية وسلاماً، وبشرهم بما ينشط عزائمهم وهمهم، من رحمة الله، وسعة جوده وإحسانه، وحثهم على كل سبب عن طرد المؤمنين القانتين، أمره بمقابلتهم بالإكرام والإعظام، والتبجيل والاحترام، فقال: وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم أي: وإذا جاءك ولما نهى الله رسوله،
- فإن سبيل المجرمين إذا استبان وتوضحت، أمكن اجتنابها، والبعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة، فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل. 55
- الهدى من الضلال، والغى والرشد، ليهتدي بذلك المهتدون، ويتبين الحق الذي ينبغي سلوكه. ولتستبين سبيل المجرمين الموصلة إلى سخط الله وعذابه، وكذلك تفصل الآيات أي: نوضحها ونبينها، ونميز بين طريق
- وما أنا من المهتدين بوجه من الوجوه. وأما ما أنا عليه، من توحيد الله وإخلاص العمل له، فإنه هو الحق الذي تقوم عليه البراهين والأدلة القاطعة. 56
- هذا باطل، وليس لكم فيه حجة بل ولا شبهة، ولا اتباع الهوى الذي اتباعه أعظم الضلال، ولهذا قال قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا أي: إن اتبعت أهواءكم يدعون مع الله آلهة أخرى: إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الأنداد والأوثان، التي لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فإن يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين الذين
- من حي عن بينة وهو خير الفاصلين بين عباده، في الدنيا والآخرة، فيفصل بينهم فصلاً، يحمد عليه، حتى من قضى عليه، ووجه الحق نحوه. 57
- على حكمه مطلقاً مدفوع، وقد أوضح السبيل، وقص على عباده الحق قصاً، قطع به معاذيرهم، وانقطعت له حجتهم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى إن الحكم إلا لله فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي، فأمر ونهى، فإنه سيحكم بالحكم الجزائي، فيثيب ويعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته. فالاعتراض على تكذيبكم، فاعلموا أن العذاب واقع بكم لا محالة، وهو عند الله، هو الذي ينزله عليكم، إذا شاء، وكيف شاء، وإن استعجلتم به، فليس بيدي من الأمر شيء صحتها وصدقها، بحسب ما من الله به عليهم. و لكنكم أيها المشركون كذبتم به وهو لا يستحق هذا منكم، ولا يليق به إلا التصديق، وإذا استمررتم يقين مبين، بصحته، وبطلان ما عداه، وهذه شهادة من الرسول جازمة، لا تقبل التردد، وهو أعدل الشهود على الإطلاق. فصدق بها المؤمنون، وتبين لهم من وأنا على بينة من ربي أي: على
- وهو يعافهم، ويرزقهم، ويسدي عليهم نعمه، الظاهرة والباطنة. والله أعلم بالظالمين لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، فيمهلهم ولا يهملهم. 58
- تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم فأوقعته بكم ولا خير لكم في ذلك، ولكن الأمر، عند الحليم الصبور، الذي يعصيه العاصون، ويتجرأ عليه المتجرئون، قل للمستعجلين بالعذاب، جهلاً وعناداً وظلماً، لو أن عندي ما
- أحد ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث. 59
- أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط. وجل من إله، لا يحصي بيه عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها. وأن الخلق من أولهم إلى آخرهم لو اجتمعوا على أصناف النباتات. ولا رطب ولا يابس هذا عموم بعد خصوص إلا في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور، والدنيا والآخرة، إلا يعلمها. ولا حبة في ظلمات الأرض من حبوب التمار والزروع، وحبوب البذور التي يبذر الخلق؛ وبذور النواكب البرية التي ينشئ منها من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها. وما تسقط من ورقة من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفار، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين،

فأهلكهم الله بذنوبهم وأنشأ من بعدهم قرناً آخرين فهذه سنة الله ودأبه، في الأمم السابقين واللاحقين، فاعتبروا بمن قص الله عليكم نبأهم. 6 منها ما يشتهون، فلم يشكروا الله على نعمه، بل أقبلوا على الشهوات، وألهتهم أنواع اللذات، فجاءتهم رسلهم بالبينات، فلم يصدقوها، بل ردوها وكذبوها والبنين والرفاهية. وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فينبت لهم بذلك ما شاء الله، من زروع وثمار، يتمتعون بها، ويتناولون كم أهلكنا من قبلهم من قرن أي: كم تتابع إهلاكنا للأمم المكذبين، وأمهلتناهم قبل ذلك الإهلاك، بأن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهؤلاء من الأموال أمرهم أن يعتبروا بالأمم السالفة فقال: ألم يروا

الحياة، وأجل آخر فيما بعد ذلك، وهو البعث بعد الموت، ولهذا قال: ثم إليه مرجعكم لا إلى غيره ثم ينبئكم بما كنتم تعملون من خير وشر. 60 يعلم ما جرحوا وما كسبوا من تلك الأعمال. ثم لا يزال تعالى هكذا، يتصرف فيهم، حتى يستوفوا آجالهم. فيقضى بهذا التدبير، أجل مسمى، وهو: أجل وأنه يتوفاهم بالليل، وفاة النوم، فتهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية والدنيوية وهو تعالى واحتجاج على المشركين به، وبيان أنه تعالى المستحق للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، فأخبر أنه وحده، المتفرد بتدبير عبادته، في يقظتهم ومنامهم، هذا كله، تقرير لألوهيته،

وهم لا يفرطون في ذلك، فلا يزيدون ساعة مما قدره الله وقضاه ولا ينقصون، ولا ينفذون من ذلك، إلا بحسب المراسيم الإلهية والتقادير الربانية. 61 ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فهذا حفظه لهم في حال الحياة. حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح. يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون عن اليمين وعن الشمال قعيد ينفذ فيهم إرادته الشاملة، ومشيتته العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئاً، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك، فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة، وهو تعالى القاهر فوق عباده

إلى معرفته، وذهل عقولهم في حبه. ولمقتوا أنفسهم أشد المقت، حيث انقادوا لداعي الشيطان، الموجب للخزي والخسران، ولكنهم قوم لا يعقلون. 62 حلم الله عليهم، وعفوه ورحمته بهم، وهم يبارزونهم بالشرك والكفران، ويتجرءون على عظمته بالإفك والبهتان، وهو يعافهم ويرزقهم لانجذبت، دواعيهم فأين للمشركين العدول عن من هذا وصفه ونعته، إلى عبادة من ليس له من الأمر شيء، ولا عنده مثقال ذرة من النفع، ولا له قدرة وإرادة؟! أما والله لو علموا بالخلق والتدبير، وهو القاهر فوق عباده، وقد اعتنى بهم كل الاعتناء، في جميع أحوالهم، وهو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو أسرع الحاسبين لكمال علمه وحفظه لأعمالهم، بما أثبتته في اللوح المحفوظ، ثم أثبتته ملائكته في الكتاب، الذي بأيديهم، فإذا كان تعالى هو المنفرد ثم ردوا إليه ليتولى الحكم فيهم بالجزاء، ويثيبهم على ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم على الشرور والسيئات، ولهذا قال: ألا له الحكم وحده لا شريك له إلى الله مولاهم الحق أي: الذي تولاهم بحكمه القدري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير، ثم تولاهم بأمره ونهيته، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ثم بعد الموت والحياة البرزخية، وما فيها من الخير والشر ردوا

الشدة التي وقعنا فيها لنكونن من الشاكرين لله، أي المعترفين بنعمته، الواضعين لها في طاعة ربهم، الذين حفظوها عن أن يبذلوها في معصيته. 63 يتعسر عليكم وجه الحيلة، فتدعون ربكم تضرباً بقلب خاضع، ولسان لا يزال يلهج بحاجته في الدعاء، وتقولون وأنتم في تلك الحال: لئن أنجانا من هذه ملزما لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، على ما أنكروا من توحيد الإلهية من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي: شداًندهما ومشقاتهما، وحين يتعذر أو أي قل للمشركين بالله، الداعين معه آلهة أخرى،

الكروب العامة. ثم أنتم تشركون لا تفنون لله بما قلتم، وتنسون نعمه عليكم، فأني برهان أوضح من هذا على بطلان الشرك، وصحة التوحيد؟ 64 قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب أي: من هذه الشدة الخاصة، ومن جميع

ونأتي بها على أوجه كثيرة وكلها دالة على الحق. لعلهم يفقهون أي: يفهمون ما خلقوا من أجله، ويفقهون الحقائق الشرعية، والمطالب الإلهية. 65 منهم، بأن أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها المعتبرون، ويشعر بها العالمون انظر كيف نصرف الآيات أي: ننوعها، أنه قادر على ذلك. ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب، ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف. ولكن عاقب من عاقب أي: في الفتنة، وقتل بعضهم بعضاً. فهو قادر على ذلك كله، فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أي: هو تعالى قادر على إرسال العذاب إليكم من كل جهة. من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم أي: يخلطكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض أي: بالقرآن قومك وهو الحق الذي لا مربة فيه، ولا شك يعتريه. قل لست عليكم بوكيل أحفظ أعمالكم، وأجازيكم عليها، وإنما أنا منذر ومبلغ. 66 وكذب به

لكل نبيا مستقر أي: وقت يستقر فيه، وزمان لا يتقدم عنه ولا يتأخر. وسوف تعلمون ما توعدون به من العذاب. 67

الظالمين يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته. 68 على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق. ثم قال: وإما ينسينك الشيطان أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة. فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم

تفسير السعدي

فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور. فإن كان مصلحة كان مأمورا به، وإن كان غير ذلك، كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل، حث بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر الله رسوله أصلا، وأمره تبعًا، إذا رأوا من يخوض المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق،

وفيه دليل على أنه إذا كان التذكير والوعظ، مما يزيد الموعوظ شرا إلى شره، إلى أن تركه هو الواجب لأنه إذا ناقض المقصود، كان تركه مقصودا. 69 أي: ولكن ليذكرهم، ويعظهم، لعلهم يتقون الله تعالى. وفي هذا دليل على أنه ينبغي أن يستعمل المذكر من الكلام، ما يكون أقرب إلى حصول مقصود التقوى. فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه، فهذا ليس عليه حرج ولا إثم، ولهذا قال: وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم، وعن الإنكار، فإن استعمل تقوى الله تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، هذا النهي والتحريم، لمن جلس معهم، ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم

إلا سحر مبين فأى بيعة أعظم من هذه البيعة، وهذا قولهم الشنيع فيها، حيث كابروا المحسوس الذي لا يمكن من له أدنى مسكة من عقل دفعه؟ 7 وإنما ذلك ظلم وبغي، لا حيلة لكم فيه، فقال: ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم وتيقنوه لقال الذين كفروا ظلما وعدوا إن هذا هذا إخبار من الله لرسوله عن شدة عناد الكافرين، وأنه ليس تكذيبهم لقصور فيما جنتهم به، ولا لجهل منهم بذلك،

من الخير، وذلك بما كسبوا لهم شراب من حميم أي: ماء حار قد انتهى حره، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون 70 أي: تفتدي بكل فداء، ولو بملء الأرض ذهبًا لا يؤخذ منها أي: لا يقبل ولا يفيد. أولئك الموصوفون بما ذكر الذين أفسدوا أي: أهلكوا وأيسوا أي: قبل أن تحيط بها ذنوبها، ثم لا ينفعها أحد من الخلق، لا قريب ولا صديق، ولا يتولاها من دون الله أحد، ولا يشفع لها شافع وإن تعدل كل عدل وتجترئه على علام الغيوب، واستمرارها على ذلك المرهوب، فذكرها، وعظها، لترتدع وتنزجر، وتكف عن فعلها. وقوله ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع نهيا عنه، وتفصيلا لأنواعه، وبيان ما فيه، من الأوصاف القبيحة الشنيعة، الداعية لتركه، وكل هذا لئلا تبسل نفس بما كسبت، أي: قبل اقتحام العبد للذنوب ولا يغتر بتعويقه عما يقرب إلى الله. وذكر به أي: ذكر بالقرآن، ما ينفع العباد، أمرا، وتفصيلا، وتحسينا له، بذكر ما فيه من أوصاف الحسن، وما يضر العباد ولها في باطله، ولعب فيه ببدنه، لأن العمل والسعي إذا كان لغير الله، فهو لعب، فهذا أمر الله تعالى أن يترك ويحذر، ولا يغتر به، وتتنظر حاله، ويحذر من أفعاله، يقال له دين، فأما من زعم أنه على الحق، وأنه صاحب دين وتقوى، وقد اتخذ دينه لعبا ولهوا. بأن لها قلبه عن محبة الله ومعرفته، وأقبل على كل ما يضره، وذلك متضمن لإقبال القلب على الله وتوجهه إليه، وكون سعي العبد نافعا، وجدا، لا هزلا، وإخلاصا لوجه الله، لا رياء وسمعة، هذا هو الدين الحقيقي، الذي المقصود من العباد، أن يخلصوا لله الدين، بأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويبدلوا مقدورهم في مرضاته ومحابه.

بأن نقاد لتوحيده، ونستسلم لأوامره ونواهيه، ندخل تحت عبوديته، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد، وأكمل تربية أوصلاهم إليهم. 71 قل إن هدى الله هو الهدى أي: ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله، وما عداه، فهو ضلال وردى وهلاك. وأمرنا لنسلم لرب العالمين أغلبيها، ومنهم من بالعكس من ذلك. ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع، تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة. وقوله: الشيطان، ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس من يكون مع داعي الهدى، في أموره كلها أو يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح، والفتنة المستقيمة يدعونه إلى الهدى والصعود إلى أعلى عليين. ودواعي حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى والشياطين يدعونه إلى الردى، فبقي بين الداعيين حائرا وهذه حال الناس كلهم، إلا من عصمه الله تعالى، فإنهم الأليم. فهذه حال لا يرتضيها ذو رشد، وصاحبها كالذي استهوته الشياطين في الأرض أي: أضلته وتيهته عن طريقه ومنهجه له الموصل إلى مقصده. فبقي الله أي: ونقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال، ومن الرشد إلى الغي، ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم، إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب ولا يضرنا وهذا وصف، يدخل فيه كل من عبد من دون الله، فإنه لا ينفع ولا يضر، وليس له من الأمر شيء، إن الأمر إلا لله. ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا بذكر وصفها، عن النهي عنها، فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المشركين جزم ببطلانه، قبل أن تقام البراهين على ذلك، فقال: أندعو من دون الله ما لا ينفعنا قل يا أيها الرسول للمشركين بالله، الداعين معه غيره، الذين يدعونكم إلى دينهم، مينا وشارحا لوصف آلهتهم، التي يكتفي العاقل

واتقوه بفعل ما أمر به، واجتناب ما عنه نهى. وهو الذي إليه تحشرون أي: تجمعون ليوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها. 72 وأن أقيموا الصلاة أي: وأمرنا أن نقيم الصلاة بأركانها وشروطها وسننها ومكملاتها.

الحكيم الخبير الذي له الحكمة التامة، والنعمة السابعة، والإحسان العظيم، والعلم المحيط بالسرائر والبواطن والخفايا، لا إله إلا هو، ولا رب سواه. 73 في الصور أي: يوم القيامة، خصه بالذكر مع أنه مالك كل شيء لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى ملك إلا الله الواحد القهار. عالم الغيب والشهادة وهو ليأمر العباد وينهاهم، ويثيبهم ويعاقبهم، ويوم يقول كن فيكون قوله الحق الذي لا مرية فيه ولا مثنوية، ولا يقول شيئا عبثا وله الملك يوم ينفخ وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق

لها من الأمر شيء، إني أراك وقومك في ضلال مبين حيث عبدتم من لا يستحق من العبادة شيئا، وتركتم عبادة خالقكم، ورازقكم، ومدبركم. 74

تفسير السعدي

عليه الصلاة والسلام، مثنيا عليه ومعظما في حال دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك، وإذ قال لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة أي: لا تنفع ولا تضر وليس يقول تعالى: واذكر قصة إبراهيم،

اشتملت عليه من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة وليكون من الموقنين فإنه بحسب قيام الأدلة، يحصل له الإيقان والعلم التام بجميع المطالب. 75 وكذلك حين وفقناه للتوحيد والدعوة إليه نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض أي: ليرى ببصيرته، ما

ومدبرا له في جميع شئونه، فأما الذي يمضي وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخذه إلها إلا من أسفه السفه، وأبطل الباطل؟! 76 ولا برهان. فلما أفل أي: غاب ذلك الكوكب قال لا أحب الآفلين أي: الذي يغيب ويختفي عن عبده، فإن المعبود لا بد أن يكون قائما بمصالح من عبده، على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهل ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه، بغير حجة رأى كوكبا لعله من الكواكب المضئية، لأن تخصيصه بالذكر، يدل على زيادته عن غيره، ولهذا والله أعلم قال من قال: إنه الزهرة. قال هذا ربي أي: فلما جن عليه الليل أي: أظلم

ربي لأكون من القوم الضالين فافتقر غاية الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يهده الله فلا هادي له، وإن لم يعنه على طاعته، فلا معين له. 77 فلما رأى القمر بازغا أي: طالعا، رأى زيادته على نور الكواكب ومخالفته لها قال هذا ربي تنزلا. فلما أفل قال لن لم يهديني

القمر. فلما أفلت تقرر حينئذ الهدى، واضمحل الردى ف قال يا قوم إني بريء مما تشركون حيث قام البرهان الصادق الواضح، على بطلانه. 78 فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر من الكوكب ومن

مقام مناظرة، من إبراهيم لقومه، وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها. وأما من قال: إنه مقام نظر في حال طفوليته، فليس عليه دليل 79 وما أنا من المشركين فتبرأ من الشرك، وأذعن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان وهذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات، هو الصواب، وهو أن المقام إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا أي: لله وحده، مقبلا عليه، معرضا عن من سواه.

فطلبهم لإنزال الملك شر لهم لو كانوا يعلمون، ومع ذلك، فالملك لو أنزل عليهم، وأرسل، لم يطيقوا التلقي عنه، ولا احتملوا ذلك، ولا أطاقتهم قواهم الفانية. 8 فلم يؤمن بها، فأرسل الرسول البشري إليهم بالآيات البينات، التي يعلم الله أنها أصلح للعباد، وأرفق بهم، مع إهمال الله للكافرين والمكذبين خير لهم وأنفع، إن آمنوا، والغالب أنهم لا يؤمنون بهذه الحالة، فإذا لم يؤمنوا قضي الأمر بتعجيل الهلاك عليهم وعدم إنظارهم، لأن هذه سنة الله، فيمن طلب الآيات المقترحة بما جاء به، عن علم وبصيرة، وغيب. ولو أنزلنا ملكا برسالتنا، لكان الإيمان لا يصدر عن معرفة بالحق، ولكان إيمانا بالشهادة، الذي لا ينفع شيئا وحده، هذا ما هو عليه بزعمهم أنه بشر، وأن رسالة الله، لا تكون إلا على أيدي الملائكة. قال الله في بيان رحمته ولطفه بعباده، حيث أرسل إليهم بشرا منهم يكون الإيمان وقالوا أيضا تعنتنا مبنيا على الجهل، وعدم العلم بالمعقول. لولا أنزل عليه ملك أي: هلا أنزل مع محمد ملك، يعاونه ويساعده على

تضرني، ولن تمنع عني من النفع شيئا. إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون فتعلمون أنه وحده المعبود المستحق للعبودية. 80 لم يتبين له الهدى؟ فأما من هداه الله، ووصل إلى أعلى درجات اليقين، فإنه هو بنفسه يدعو الناس إلى ما هو عليه. ولا أخاف ما تشركون به فإنها لن وحاجه قومه قال أتحتاجوني في الله وقد هدان أي فائدة لمحاجة من

وعدم النفع، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي: إلا بمجرد اتباع الهوى. فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون 81 وكيف أخاف ما أشركتم وحالها حال العجز،

الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء. 82 بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا قال الله تعالى فاصلا بين الفريقين الذين آمنوا ولم يلبسوا أي: يخلطوا إيمانهم

منكم والذين أوتوا العلم درجات إن ربك حكيم عليم فلا يضع العلم والحكمة، إلا في المحل اللائق بها، وهو أعلم بذلك المحل، وبما ينبغي له. 83 فإنه يجعله الله إماما للناس، بحسب حاله ترمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره، ويمشى بعلمه في ظلمة ديجوره. قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا درجات من نشاء كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات. خصوصا العالم العامل المعلم، ولما حكم إبراهيم عليه السلام، بما بين به من البراهين القاطعة قال: وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه أي: علا بها عليهم، وفلجهم بها. نرفع

لأنه أحسن في عبادة ربه، وأحسن في نفع الخلق كذلك نجزي المحسنين بأن نجعل لهم من الثناء الصدق، والذرية الصالحة، بحسب إحسانهم. 84 مجرد ابن له. داود وسليمان بن داود وأيوب ويوسف بن يعقوب. وموسى وهارون ابني عمران، وكذلك كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل، إلى إبراهيم لأن السياق في مدحه والثناء عليه، ولوط وإن لم يكن من ذريته فإنه ممن آمن على يده، فكان منقبة الخليل وفضيلته بذلك، أبلغ من كونه أن الضمير عائد إلى نوح، لأنه أقرب مذكور، ولأن الله ذكر مع من ذكر لوطا، وهو من ذرية نوح، لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه. ويحتمل أن الضمير يعود

تفسير السعدي

هدينا من قبل وهدايته من أنواع الهدايا الخاصة التي لم تحصل إلا لأفراد من العالم؛ وهم أولو العزم من الرسل، الذي هو أحدهم. ومن ذريته يحتمل له إسحاق ويعقوب ابنه، الذي هو إسرائيل، أبو الشعب الذي فضله الله على العالمين. كلا منهما هدينا الصراط المستقيم، في علمه وعمله. ونوحا الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب. وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، وأعظم بهذه المنقبة والكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها نظير فقال: ووهبنا لما ذكر الله تعالى عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، وذكر ما من الله عليه به، من العلم والدعوة، والصبر، ذكر ما أكرمه

ابنه وعيسى ابن مريم. وإلياس كل هؤلاء من الصالحين في أخلاقهم وأعمالهم وعلومهم، بل هم سادة الصالحين وقادتهم وأئمتهم. 85

وزكريا ويحيى

فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك. 86 درجات الفضائل أربع وهي التي ذكرها الله بقوله: ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين محمد صلى الله عليه وسلم. ويونس بن متى ولوطا بن هاران، أخي إبراهيم. وكلا من هؤلاء الأنبياء والمرسلين فضلنا على العالمين لأن وإسماعيل بن إبراهيم أبو الشعب الذي هو أفضل الشعوب، وهو الشعب العربي، ووالد سيد ولد آدم،

المذكورين وذرياتهم وإخوانهم أي: وهدينا من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم. واجتبيناهم أي: اخترناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم 87

ومن آباؤهم أي: آباء هؤلاء

يعملون فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا وحاشاهم لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى. 88 فاطلبوا منه الهدى فإنه إن لم يهدكم فلا هادي لكم غيره، وممن شاء هدايته هؤلاء المذكورون. ولو أشركوا على الفرض والتقدير لحبط عنهم ما كانوا ذلك الهدى المذكور هدى الله الذي لا هدى إلا هداه. يهدي به من يشاء من عباده

يعملون فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا وحاشاهم لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى. 89 فاطلبوا منه الهدى فإنه إن لم يهدكم فلا هادي لكم غيره، وممن شاء هدايته هؤلاء المذكورون. ولو أشركوا على الفرض والتقدير لحبط عنهم ما كانوا ذلك الهدى المذكور هدى الله الذي لا هدى إلا هداه. يهدي به من يشاء من عباده

وقواعده التي هي قواعده، لم يكن ذلك هداية لهم، إذا اهتدى بذلك غيرهم، والذنب ذنبهم، حيث أغلقوا على أنفسهم باب الهدى، وفتحوا أبواب الضلال. 90 وملبوسا وذلك بسبب ما لبسوه على أنفسهم، فإنهم بنوا أمرهم على هذه القاعدة التي فيها اللبس، وبها عدم بيان الحق. فلما جاءهم الحق، بطرقه الصحيحة، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لأن الحكمة لا تقتضي سوى ذلك. وللبسنا عليهم ما يلبسون أي: وكان الأمر، مختلطا عليهم،

الموصلة إليها، والأخلاق الرذيلة، والطرق المفضية إليها، فإذا كان ذكرى للعالمين، كان أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم، فعليهم قبولها والشكر عليها. 90 للعالمين يتذكرون به ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم، فيذرونه، ويتذكرون به معرفة ربهم بأسمائه وأوصافه. ويتذكرون به الأخلاق الحميدة، والطرق أسألهم عليه أجرا أي: لا أطلب منكم مغرما ومالا، جزاء عن إبلاغي إياكم، ودعوتي لكم فيكون من أسباب امتناعكم، إن أجري إلا على الله. إن هو إلا ذكرى أجمعين، وبهذا الملحظ، استدل بهذه من استدل من الصحابة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفضل الرسل كلهم. قل للذين أعرضوا عن دعوتك: لا قبله، وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم هدى الله فيهداهم اقتده أي: امش أيها الرسول الكريم خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امتثل صلى الله عليه وسلم، فاهتدى بهدي الرسل أولئك المذكورون الذين

ثم إذا ألزمتهم بهذا الإلزام ذرهم في خوضهم يلعبون أي: اتركهم يخوضوا في الباطل، ويلعبوا بما لا فائدة فيه، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون. 91 أنزل هذا الكتاب الموصوف بتلك الصفات، فأجب عن هذا السؤال. و قل الله الذي أنزله، فحينئذ يتضح الحق وينجلي مثل الشمس، وتقوم عليهم الحجة، وما خالف ذلك، أخفوه وكتموه، وذلك كثير. وعلمتم من العلوم التي بسبب ذلك الكتاب الجليل ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فإذا سألتهم عن الذي شاع وذاع، ومأذركه القلوب والأسماع. حتى أنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس، ويتصرفون فيه بما شاءوا، فما وافق أهواءهم منه، أبدوه وأظهروه، الكتاب الذي جاء به موسى وهو التوراة العظيمة نورا في ظلمات الجهل وهدى من الضلالة، وهدايا إلى الصراط المستقيم علما وعملا، وهو الكتاب للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأيقن في الله أعظم من هذا؟ قل لهم ملزما بفساد قولهم، وقرره، بما به يقرون: من أنزل حق عظمت، إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملا، لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة، امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة، التي لا طريق هذا تشيع على من نفى الرسالة، من اليهود والمشركين وزعم أن الله ما أنزل على بشر من شيء، فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه

وانقاد لمراضي الله. وهم على صلاتهم يحافظون أي: يدومون عليها، ويحفظون أركانها وحدودها وشروطها وآدابها، ومكملاتها. جعلنا الله منهم. 92 فتحذر الناس عقوبة الله، وأخذهم الأمم، وتحذرهم مما يوجب ذلك. والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به لأن الخوف إذا كان في القلب عمريت أركانه، وشاهد لها بالصدق. ولتنذر أم القرى ومن حولها أي: وأنزلناه أيضا لتنذر أم القرى، وهي: مكة المكرمة، ومن حولها، من ديار العرب، بل، ومن سائر البلدان. وهذا القرآن الذي أنزلناه إليك مبارك أي: وصفه البركة، وذلك لكثرة خيراته، وسعة مبراته. مصدق الذي بين يديه أي: موافق للكتب السابقة،

بحسب الأعمال. فهي التي تنفع أو تضر، وتسوء أو تسر، وما سواها من الأهل والولد، والمال والأنصار، فعواري خارجية، وأوصاف زائلة، وأحوال حائلة 93 مع العبد في الدنيا، سوى العمل الصالح والعمل السيء، الذي هو مادة الدار الآخرة، الذي تنشأ عنه، ويكون حسنها وقبحها، وسرورها وغمومها، وعذابها ونعيمها، خلقهم الله أول مرة، عارين من كل شيء. فإن الأشياء، إنما تتمول وتحصل بعد ذلك، بأسبابها، التي هي أسبابها، وفي ذلك اليوم تنقطع جميع الأمور، التي كانت الجسد، ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ. وأما يوم القيامة، فإنهم إذا وردوها، وردوها مفلسين فرادى بلا أهل ولا مال، ولا أولاد ولا جنود، ولا أنصار، كما فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده. وفيه دليل، على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن للحق، الذي جاءت به الرسل. وكنتم عن آياته تستكبرون أي: ترفعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها. وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، الهون أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم ويذلكم والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب بما كنتم تقولون على الله غير الحق من كذبكم عليه، وردكم أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها، وتعصيتها للخروج من الأبدان: أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب في غمرات الموت أي: شدائده وأهواله الفظيعة، وكرهه الشنيعة لرأيت أمرا هائلا، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها. والملائكة باسطو أيديهم إلى من جميع الوجوه، في ذاته وأسمائه وصفاته؟ ولما ذم الظالمين، ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار، ويوم القيامة فقال: ولو ترى إذ الظالمون القرآن، وأنه في إمكانه أن يأتي بمثله. وأي: ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني، الذي له الكمال المطلق، ممن زعم. أنه يقدر على ما يقدر الله عليه ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع، كما شرعه الله. ويدخل في هذا، كل من يزعم أنه يقدر على معارضة الآية، كل من ادعى النبوة، كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف. ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله أي: ومن أظلم مع كذبه على الله، وجراته على عظمته وسلطانه يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدوهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم. ويدخل في هذه وتغيير الأديان أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله ما هو من أكبر المفاصد. ويدخل في ذلك، ادعاء النبوة، وأن الله يوحى إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه لا أحد أعظم ظلما، ولا أكبر جرما، ممن كذب على الله. بأن نسب إلى الله قولا أو حكما وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب، يقول تعالى:

بها أسنتكم. واغتررتكم بهذا الزعم الباطل، الذي لا حقيقة له، حين تبين لكم نقيض ما كنتم تزعمون، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهلكم وأموالكم. 94 وغيرها فلم تنفع ولم تجد شيئا. وضل عنكم ما كنتم تزعمون من الربح، والأمن والسعادة، والنجاة، التي زينها لكم الشيطان، وحسناها في قلوبكم، فنطقت لهم هذه المقالة. وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم أي: تقطعت الوصل والأسباب بينكم وبين شركائكم، من الشفاعة الجميع عبيد لله، والله مالكمهم، والمستحق لعبادتهم. فشركهم في العبادة، وصرفها لبعض العبيد، تنزيل لهم منزلة الخالق المالك، فيؤبخون يوم القيامة ويقال للملائكة، والأنبياء، والصالحين، وغيرهم، وهم كلهم لله، ولكنهم يجعلون لهذه المخلوقات نصيبا من أنفسهم، وشركة في عبادتهم، وهذا زعم منهم وظلم، فإن به عليكم وراء ظهوركم لا يغنون عنكم شيئا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء فإن المشركين يشركون بالله، ويعبدون معه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم أي: أعطيناكم، وأنعمنا

فأنى تؤفكون أي: فأنى تصرفون، وتصدون عن عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا؟ 95 فعل، وانفرد بخلق هذه الأشياء وتديرها الله ربكم أي: الذي له الألوهية والعبادة على خلقه أجمعين، وهو الذي ربي جميع العالمين بنعمه، وغذاهم بكرمه. وهو الذي لا نمو فيه، أو لا روح من الحي كما يخرج من الأشجار والزرع والنوى والحب، ويخرج من الطائر بيضا ونحو ذلك. ذلكم الذي فعل ما وأن عبادة ما سواه باطلة. يخرج الحي من الميت كما يخرج من المنى حيوانا، ومن البيضة فرخا، ومن الحب والنوى زرا وشجرا. ومخرج الميت ذلك. ويريه الله من بره وإحسانه ما يبهر العقول، ويذهل الفحول، ويريه من بدائع صنعته، وكمال حكمته، ما به يعرفونه ويوحدهونه، ويعلمون أنه هو الحق، ذلك. فينتفع الخلق، من الآدميين والأنعام، والدواب. ويرتعون فيما فلق الله من الحب والنوى، ويقتاتون، وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في الله في البراري والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع والنوابت، على اختلاف أنواعها، وأشكالها، ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار، من النخيل والفواكه، وغير وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، فقال: إن الله فالق الحب شامل لسائر الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها يخبر تعالى عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته،

الأدلة العقلية على إحاطة علمه، تسخير هذه المخلوقات العظيمة، على تقدير، ونظام بديع، تحير العقول في حسنه وكماله، وموافقته للمصالح والحكم. 96 فجرت مذلة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر العليم الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر. ومن الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت. ذلك التقدير المذكور تقدير العزيز العليم الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة، من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتناوبهما واختلافهما لما عرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه، بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس، بعد و جعل تعالى الشمس والقمر حسبانا بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتتضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة، ثم يزيل الله ذلك بالضيء، وهكذا أبدا إلى يوم القيامة ومنافع دينهم ودنياهم. ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة، التي لا تتم بوجود النهار والنور جعل الله الليل سكنا يسكن

تفسير السعدي

الأرض، بضياء الصباح الذي يفلقه شينا فشيئا، حتى تذهب ظلمة الليل كلها، ويخلفها الضياء والنور العام، الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم، ومعاشهم، يترتب على ذلك من أنواع المنافع والمصالح فقال: فالق الإصباح أي: كما أنه فالق الحب والنوى، كذلك هو فالق ظلمة الليل الداجي، الشامل لما على وجه ولما ذكر تعالى مادة خلق الأقوات، ذكر منته بتهيئة المساكن، وخلق كل ما يحتاج إليه العباد، من الضياء والظلمة، وما

المعرضين عن آيات الله، وعن العلم الذي جاءت به الرسل، فإن البيان لا يفيدهم شيئا، والتفصيل لا يزيل عنهم ملتبسا، والإيضاح لا يكشف لهم مشكلا. 97 صارت آيات الله بادية ظاهرة لقوم يعلمون أي: لأهل العلم والمعرفة، فإنهم الذين يوجه إليهم الخطاب، ويطلب منهم الجواب، بخلاف أهل الجهل والجفاء، الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك. قد فصلنا الآيات أي بيناها، ووضحناها، وميزنا كل جنس ونوع منها عن الآخر، بحيث ما هو مستمر السير، يعرف سيره أهل المعرفة بذلك، ويعرفون به الجهات والأوقات. ودلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها فجعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم، وتجاراتهم، وأسفارهم. منها: نجوم لا تزال ترى، ولا تسيير عن محلها، ومنها: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر حين تشتبه عليكم المسالك، ويتحير في سيره السالك،

إلى الدار التي هي المستقر، وأما هذه الدار، فإنها مستودع وممر قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون عن الله آياته، ويفهمون عنه حججه، وبيناته. 98 الله في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، ثم في دار الدنيا، ثم في البرزخ، كل ذلك، على وجه الوديعة، التي لا تستقر ولا تثبت، بل ينتقل منها حتى يوصل التي لا مستقر وراءها، ولا نهاية فوقها، فهذه الدار، هي التي خلق الخلق لسكنائها، وأوجدوا في الدنيا ليسعوا في أسبابها، التي تنشأ عليها وتعمر بها، وأودعهم في أخلاقه وخلقهم، وأوصافه تفاوت لا يمكن ضبطه، ولا يدرك وصفه، وجعل الله لهم مستقرا، أي منتهى ينتهون إليه، وغاية يساقون إليها، وهي دار القرار، وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام. أنشأ الله منه هذا العنصر الآدمي؛ الذي قد ملأ الأرض ولم يزل في زيادة ونمو، الذي قد تفاوت ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكير في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه، عقلا، وفطرة، وشرعا. 99 وليس كل من تفكر، أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال: إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فإن المؤمنين يحملهم نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبرا وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده، وكمال اقتداره وعنايته بعباده. ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر به، فقال: انظروا نظر فكر واعتبار إلى ثمره أي: الأشجار كلها، خصوصا: النخل إذا أثمر وينعه أي: انظروا إليه، وقت إطلاعه، ووقت بعضه بعضا، ويتقارب في بعض أوصافه، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون، ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبهها في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره. ويحتمل أن يرجع ذلك، إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشبه فهذه من الأشجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عم جميع الأشجار والنوابت. وقوله مشتبهها وغير متشابهه يحتمل أن بحيث لا يعسر التناول من النخل وإن طالت، فإنه يوجد فيها كرب ومراق، يسهل صعودها. و أخرج تعالى بالماء جنات من أعناب والزيتون والرمان أخرج الله من طلعها وهو الكفري، والوعاء قبل ظهور القنوه منه، فيخرج من ذلك الوعاء قنوان دانية أي: قريبة سهلة التناول، متدلية على من أرادها، بل هي متفرقة الحبوب، مجتمعة الأصول، وإشارة أيضا إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلثها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار. ومن النخل بر، وشعير، وذرة، وأرز، وغير ذلك، من أصناف الزروع، وفي وصفه بأنه متراكب، إشارة إلى أن حبوبه متعددة، وجميعها تستمد من مادة واحدة، وهي لا تختلط، والنخل، لكثرة نفعها وكونها قوتا لأكثر الناس فقال: فأخرجنا منه خضرا نخرج منه أي: من ذلك النبات الخضر، حبا متراكبا بعضه فوق بعض، من يوجب لهم، أن يبذلوا جهدهم في شكر من أسدى النعم، وعبادته والإنابة إليه، والمحبة له. ولما ذكر عموم ما ينبت بالماء، من أنواع الأشجار والنبات، ذكر الزرع بإحسانه، وزال عنهم الجذب واليأس والقحط، وفرحت القلوب، وأسفرت الوجوه، وحصل للعباد من رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون وبه يرتعون، مما وهو أنه أنزل من السماء ماء متتابعاً وقت حاجة الناس إليه، فأثبت الله به كل شيء، مما يأكل الناس والأنعام، فرتع الخلق بفضل الله، وانبسطوا برزقه، وفرحوا وهذا من أعظم مننه العظيمة، التي يضطر إليها الخلق، من الآدميين وغيرهم،

سورة 7

في أوائل السور، فالأسلم فيها، السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثا بل لحكمة لا نعلمها. 1 الحروف المقطعة

وأنواع الصنائع والتجارات، فإنه هو الذي هيأها، وسخر أسبابها. قليلا ما تشكرون الله، الذي أنعم عليكم بأصناف النعم، وصرف عنكم النقم. 10 أي: هيأناها لكم، بحيث تتمكنون من البناء عليها وحرثها، ووجوه الانتفاع بها وجعلنا لكم فيها معايش مما يخرج من الأشجار والنبات، ومعادن الأرض، يقول تعالى ممثنا على عبادته بذكر المسكن والمعيشة: ولقد مكناكم في الأرض

فيعلوها الران والدنس، حتى يختم عليها، فلا يدخلها حق، ولا يصل إليها خير، ولا يسمعون ما ينفعهم، وإنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم. 100 قلوبهم فهم لا يسمعون أي: إذا نبههم الله فلم ينتبهوا، وذكرهم فلم يتذكروا، وهادهم بالآيات والعبر فلم يهتدوا، فإن الله تعالى يعاقبهم ويطبّع على قلوبهم، قبلهم بذنوبهم، ثم عملوا كأعمال أولئك المهلكين؟ أو لم يهتدوا أن الله، لو شاء لأصابهم بذنوبهم، فإن هذه سنته في الأولين والآخرين. وقوله: ونطبع على

تفسير السعدي

الأمم الغابرين أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أي: أو لم يتبين ويتضح للأمم الذين ورثوا الأرض، بعد إهلاك من يقول تعالى منها للأمم الغابرين بعد هلاك

لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين عقوبة منه. وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم. 101 كذبوا من قبل أي: بسبب تكذيبهم وردهم الحق أول مرة، ما كان ليهديهم للإيمان، جزاء لهم على ردهم الحق، كما قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما إلى ما فيه سعادتهم، وأيدهم الله بالمعجزات الظاهرة، والبيّنات المبيّنات للحق بيانا كاملا، ولكنهم لم يفدهم هذا، ولا أغنى عنهم شيئا، فما كانوا ليؤمنوا بما أنبأها ما يحصل به عبرة للمعتبرين، وازدجار للظالمين، وموعظة للمتقين. ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات أي: ولقد جاءت هؤلاء المكذبين رسلهم تدعوهم تلك القرى الذين تقدم ذكرهم نقص عليك من

لهم من الله، سابقة السعادة. وأما أكثر الخلق فأعرضوا عن الهدى، واستكبروا عما جاءت به الرسل، فأحل الله بهم من عقوباته المتنوعة ما أحل. 102 بغير هدى من الله، فالله تعالى امتحن العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمرهم باتباع عهده وهداه، فلم يمثل لأمره إلا القليل من الناس، الذين سبقت أوصى بها جميع العالمين، ولا انقادوا لأوامره التي ساقها إليهم على أسنة رسله. وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين أي: خارجين عن طاعة الله، متبعين لأهوائهم وما وجدنا لأكثرهم من عهد أي: وما وجدنا لأكثر الأمم الذين أرسل الله إليهم الرسل من عهد، أي: من ثبات والتزام لوصية الله التي له فهو ظالم، بل استكبروا عنها. فانظر كيف كان عاقبة المفسدين كيف أهلكهم الله، وأتبعهم الذم واللعنة في الدنيا ويوم القيامة، بس الرصد المرفود، 103 عتاة جبارة، وهم فرعون وملؤه، من أشرفهم وكبرائهم، فأراهم من آيات الله العظيمة ما لم يشاهد له نظير فظلموا بها بأن لم ينقادوا لحقها الذي لم ينقد أي: ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى الكليم، الإمام العظيم، والرسول الكريم، إلى قوم

وإرسال بني إسرائيل الشعب الذي فضله الله على العالمين، أولاد الأنبياء، وسلسلة يعقوب عليه السلام، الذي موسى عليه الصلاة والسلام واحد منهم. 104 وقد جاءهم بيينة من الله واضحة على صحة ما جاء به من الحق، فوجب عليهم أن يعملوا بمقصود رسالته، ولها مقصودان عظيمان. إيمانهم به، واتباعهم له، أن لا أكذب عليه، ولا أقول عليه إلا الحق. فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر. فهذا موجب لأن ينقادوا له ويتبعوه، خصوصا مبشرين ومنذرين، وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه، ويدعي أنه أرسله ولم يرسله. فإذا كان هذا شأنه، وأنا قد اختارني واصطفاني لرسالته، فحقيق علي عظيم، وهو رب العالمين، الشامل للعالم العلوي والسفلي، مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل تفسير الآيتين 104 و 105 :- وقال موسى حين جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان. يا فرعون إني رسول من رب العالمين أي: إني رسول من مرسل

وإرسال بني إسرائيل الشعب الذي فضله الله على العالمين، أولاد الأنبياء، وسلسلة يعقوب عليه السلام، الذي موسى عليه الصلاة والسلام واحد منهم. 105 وقد جاءهم بيينة من الله واضحة على صحة ما جاء به من الحق، فوجب عليهم أن يعملوا بمقصود رسالته، ولها مقصودان عظيمان. إيمانهم به، واتباعهم له، أن لا أكذب عليه، ولا أقول عليه إلا الحق. فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر. فهذا موجب لأن ينقادوا له ويتبعوه، خصوصا مبشرين ومنذرين، وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه، ويدعي أنه أرسله ولم يرسله. فإذا كان هذا شأنه، وأنا قد اختارني واصطفاني لرسالته، فحقيق علي عظيم، وهو رب العالمين، الشامل للعالم العلوي والسفلي، مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل تفسير الآيتين 104 و 105 :- وقال موسى حين جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان. يا فرعون إني رسول من رب العالمين أي: إني رسول من مرسل

فقال له فرعون: إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين . 106

فألقي موسى عصاه في الأرض فإذا هي ثعبان مبين أي: حية ظاهرة تسعى، وهم يشاهدونها. 107

دالتان على صحة ما جاء به موسى وصدقه، وأنه رسول رب العالمين، ولكن الذين لا يؤمنون لو جاءتهم كل آية لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. 108 ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين من غير سوء، فهاتان آيتان كبيرتان

فلهذا قال المأ من قوم فرعون حين بهرهم ما رأوا من الآيات، ولم يؤمنوا، وطلبوا لها التأويلات الفاسدة: إن هذا لساحر عليم أي: ماهر في سحره. 109

لآدم، إكراما واحتراما، وإظهارا لفضله، فامتلأوا أمر ربهم، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يسجد له، تكبرا عليه وإعجابا بنفسه. 11 ثم صورناكم في أحسن صورة، وأحسن تقويم، وعلمه الله تعالى ما به تكمل صورته الباطنة، أسماء كل شيء. ثم أمر الملائكة الكرام أن يسجدوا يقول تعالى مخاطبا لبني آدم: ولقد خلقناكم بخلق أصلكم ومادتك التي منها خرجتم: أبيكم آدم عليه

فيما بينهم ما يفعلون بموسى، وما يندفع به ضرره بزعمهم عنهم، فإن ما جاء به إن لم يقابل بما يبطله ويدحضه، وإلا دخل في عقول أكثر الناس. 110 ثم خوفوا ضعفاء الأحلام وسفهاء العقول، بأنه يريد موسى بفعله هذا أن يخرجكم من أرضكم أي: يريد أن يجليكم عن أوطانكم فمادام تأمرون أي: إنهم تشاوروا

اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى. قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحي فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . 111 وأمهلهما، وابتعث في المدان أناسا يحشرون أهل المملكة ويأتون بكل سحر عليم، أي: يجيئون بالسحرة المهرة، ليقابلوها ما جاء به موسى، فقالوا: يا موسى تفسير الآيتين 111 و 112 :- فحينئذ انعقد رأيهم إلى أن قالوا لفرعون: أرجه وأخاه أي: احبسهما

تفسير السعدي

اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى. قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . 112 وأمهلهما، وابتعث في المدائن أناسا يحشرون أهل المملكة ويأتون بكل سحر عليم، أي: يجيئون بالسريرة الماهرة، ليقابلوا ما جاء به موسى، فقالوا: يا موسى تفسير الآيتين 111 و 112 :- فحينئذ انعقد رأيهم إلى أن قالوا لفرعون: أرجه وأخاه أي: احبسهما

وقال هنا: وجاء السحرة فرعون طالبين منه الجزاء إن غلبوا فقالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ؟ 113

ف قال فرعون: نعم لكم أجر وإنكم لمن المقربين فوعدهم الأجر والتقريب، وعلو المنزلة عنده، ليجتهدوا ويبدلوا وسعهم وطاقاتهم في مغالبة موسى. 114 مع موسى بحضرة الخلق العظيم قالوا على وجه التآلي وعدم المبالاة بما جاء به موسى: يا موسى إما أن تلقي ما معك وإما أن نكون نحن الملقين . 115 فلما حضروا

ألقوا حبالهم وعصيهم، إذا هي من سحرهم كأنها حيات تسعى، ف سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم لم يوجد له نظير من السحر. 116 ف قال موسى: ألقوا لأجل أن يرى الناس ما معهم وما مع موسى. فلما

وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فألقاها فإذا هي حية تسعى، ف تلقف جميع ما يأفكون أي: يكذبون به ويموهون. 117

فوقع الحق أي: تبين وظهر، واستعلن في ذلك المجمع، وبطل ما كانوا يعملون . 118

العظيم أهل الصنف والسحر، الذين يعرفون من أنواع السحر وجزئياته، ما لا يعرفه غيرهم، فعرفوا أن هذه آية عظيمة من آيات الله لا يدان لأحد بها. 119 أي: في ذلك المقام وانقلبوا صاغرين أي: حقيرين قد اضمحل باطلهم، وتلاشى سحرهم، ولم يحصل لهم المقصود الذي ظنوا حصوله. وأعظم من تبين له الحق فغلبوا هنالك

اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق. ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين. 12 في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات، على بمجرد كافي لنقص إبليس الخبيث. فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على الله بلا علم. وأي نقص أعظم من هذا؟ ومنها: أنه كذب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعا لها. فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاء النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة. ومنها: أن قوله: أنا خير منه منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس، أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص، يقارب وموجب هذا أن المخلوق من نار أفضل من المخلوق من طين لعلو النار على الطين وصعودها، وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه باطل من عدة أوجه: فعصيت أمري وتهاورت بي؟ قال إبليس معارضا لربه: أنا خير منه ثم برهن على هذه الدعوى الباطلة بقوله: خلقتني من نار وخلقته من طين فوبخه الله على ذلك وقال: ما منعك ألا تسجد لما خلقت بيدي، أي: شرفته وفضلته بهذه الفضيلة، التي لم تكن لغيره،

من 120 الى 122 :- وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات. 120

تفسير الآيات

من 120 الى 122 :- وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات. 121

تفسير الآيات

من 120 الى 122 :- وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات. 122

تفسير الآيات

قد بذلوا مجهودهم في مغالبة موسى، حتى عجزوا، وتبين لهم الحق، فاتبعوه. ثم توعدهم فرعون بقوله: فسوف تعلمون ما أحل بكم من العقوبة. 123 ومن سبر الأحوال، أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يجتمع بأحد منهم، وأنهم جمعوا على نظر فرعون ورسله، وأن ما جاء به موسى آية إلهية، وأن السحرة كبيركم الذي علمكم السحر، فتواطأتم أنتم وهو على أن تنقلبوا له، فيظهر فتتبعوه، ثم يتبعكم الناس أو جمهورهم فتخرجوا منها أهلها. وهذا كذب يعلم هو آمنتم به قبل أن أذن لكم أي: فهذا سوء أدب منكم وتجروء علي. ثم موه على قومه وقال: إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها أي: إن موسى قوله وحكمه، وبهذه الحالة تنحط الأمم وتضعف عقولها ونفوذها، وتعجز عن المدافعة عن حقوقها، ولهذا قال الله عنه: فاستخف قومه فأطاعوه وقال هنا: آمنتم به قبل أن أذن لكم كان الخبيث حاكما مستبدا على الأبدان والأقوال، قد تقرر عنده وعندهم أن قوله هو المطاع، وأمره نافذ فيهم، ولا خروج لأحد عن فقال لهم فرعون متهددا على الإيمان:

اليمنى والرجل اليسرى. ثم لأصلبكم في جذوع النخل، لتختزوا بزعمه أجمعين أي: لا أفعل هذا الفعل بأحد دون أحد، بل كلكم سيذوق هذا العذاب. 124 لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف زعم الخبيث أنهم مفسدون في الأرض، وسيصنع بهم ما يصنع بالمفسدين، من تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، أي: اليد

فقال السحرة، الذين آمنوا لفرعون حين تهددهم: إنا إلى ربنا منقلبون أي: فلا نبالي بعقوبتك، فالله خير وأبقى، فاقض ما أنت قاض. 125

ما توعدهم عليه، وأن الله تعالى ثبتهم على الإيمان. هذا وفرعون وملؤه وعامتهم المتبعون للملأ قد استكبروا عن آيات الله، وجحدوا بها ظلما وعلوا، 126

تفسير السعدي

شيء كثير، ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه، ويزول عنه الانزعاج الكثير. وتوفنا مسلمين أي: منقادين لأمر، متبعين لرسولك، والظاهر أنه أوقع بهم ويصبرهم فقالوا: ربنا أفرغ أي: أفض علينا صبرا أي: عظيما، كما يدل عليه التنكير، لأن هذه محنة عظيمة، تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى وتوعدك لنا؟ فليس لنا ذنب إلا أن أمانا بآيات ربنا لما جاءتنا فإن كان هذا ذنبا يعاب عليه، ويستحق صاحبه العقوبة، فهو ذنبا. ثم دعوا الله أن يشبثهم وما تنقم منا أي: وما تعيب منا على إنكارك علينا

ومسخرين لهم على ما نشاء من الأعمال وإنا فوقهم قاهرون لا خروج لهم عن حكمنا، ولا قدرة، وهذا نهاية الجبروت من فرعون والعتو والقسوة. 127 فرعون وقومه بزعمه من ضررهم: سقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أي: نستبقيهن فلا نقتلن، فإذا فعلنا ذلك أمانا من كثرتهم، وكنا مستخدمين لباقيهم، وآلهتك أي: يدعك أنت وآلهتك، وينهى عنك، ويصد الناس عن اتباعك. فقال فرعون مجيبا لهم، بأنه سيدع بني إسرائيل مع موسى بحالة لا يمتنع فيها، ويأمن بالدعوة إلى الله، وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، التي هي الصلاح في الأرض، وما هم عليه هو الفساد، ولكن الظالمين لا يبالون بما يقولون. ويذرك وقالوا لفرعون مهيجين له على الإيقاع بموسى، وزاعمين أن ما جاء باطل وفساد: أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض

وهذه وظيفة العبد، أنه عند القدرة، أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير، ما يقدر عليه، وعند العجز، أن يصبر ويستعين بالله، وينتظر الفرج. 128 الناس على حسب مشيئته وحكمته، ولكن العاقبة للمتقين، فإنهم وإن امتحنوا مدة ابتلاء من الله وحكمة، فإن النصر لهم، والعاقبة الحميدة لهم على قومهم أي: الزموا الصبر على ما يحل بكم، منتظرين للفرج. إن الأرض لله ليست لفرعون ولا لقومه حتى يتحكموا فيها يورثها من يشاء من عباده أي: يداولها بين مقاومة بالمقاومة الإلهية، والاستعانة الربانية: استعينوا بالله أي: اعتمدوا عليه في جلب ما ينفعكم، ودفع ما يضركم، وثقوا بالله، أنه سيتم أمركم واصبروا فقال موسى لقومه موصيا لهم في هذه الحالة، التي لا يقدرُونَ معها على شيء، ولا

الأرض أي: يمكنكم فيها، ويجعل لكم التدبير فيها فينظر كيف تعملون هل تشكرون أم تكفرون؟. وهذا وعد أنجزه الله لما جاء الوقت الذي أرادته الله. 129 أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا كذلك فقال لهم موسى مرجيا لهم الفرج والخلاص من شرهم: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في قالوا لموسى متضجرين من طول ما مكتوا في عذاب فرعون، وأذيتهم: أؤذينا من قبل أن تأتينا فإنهم يسوموننا سوء العذاب، يذبحون

دار الطيبين الطاهرين، فلا تليق بأخيت خلق الله وأشرهم. فأخرج إنك من الصاغرين أي: المهانين الأذلين، جزاء على كبره وعجبه بالإهانة والذل 13 فقال الله له: فاهبط منها أي: من الجنة فما يكون لك أن تتكبر فيها لأنها

يذكرون أي: يتعظون أن ما حل بهم وأصابهم معاتبة من الله لهم، لعلمهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجع فيهم ولا أفاد، بل استمروا على الظلم والفساد. 130 عادته وسنته في الأمم، أن يأخذهم بالبأساء والضراء، لعلمهم يضرعون. الآيات: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي: بالدهور والجذب، ونقص من الثمرات لعلمهم قال الله تعالى في بيان ما عامل به آل فرعون في هذه المدة الأخيرة، أنها على

ألا إنما طائرهم عند الله أي: بقضائه وقدرته، ليس كما قالوا، بل إن ذنوبهم وكفرهم هو السبب في ذلك، بل أكثرهم لا يعلمون أي: فذلك قالوا ما قالوا. 131 الله عليها وإن تصيبهم سبئة أي: قحط وجذب يطيروا بموسى ومن معه أي: يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، واتباع بني إسرائيل له. قال الله تعالى: فإذا جاءتهم الحسنة أي: الخصب وإدراك الرزق قالوا لنا هذه أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا

سحر، فلا نؤمن لك ولا نصدق، وهذا غاية ما يكون من العناد، أن يبلغ بالكافرين إلى أن تستوي عندهم الحالات، سواء نزلت عليهم الآيات أم لم تنزل. 132 لموسى أنهم لا يزالون، ولا يزولون عن باطلهم: مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين أي: قد تقرر عندنا أنك ساحر، فمهما جئت بآية، جزمنا أنها وقالوا مبينين

جاء به موسى، حق وصدق فاستكبروا لما رأوا الآيات وكانوا في سابق أمرهم قوما مجرمين فلذلك عاقبهم الله تعالى، بأن أبقاهم على الغي والضلال. 133 أن ماءهم الذي يشربون انقلب دما، فكانوا لا يشربون إلا دما، ولا يطبخون إلا بدم. آيات مفصلات أي: أدلة وبيانات على أنهم كانوا كاذبين ظالمين، وعلى أن ما صغار الجراد، والظاهر أنه القمل المعروف والضفادع فملأت أوعيتهم، وأقلقتهم، وأذتهم أذية شديدة والدم إما أن يكون الرعاف، أو كما قال كثير من المفسرين، عليهم الطوفان أي: الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم وزروعهم، وأضر بهم ضررا كثيرا والجراد فأكل ثمارهم وزروعهم، ونباتهم والقمل قيل: إنه الدباء، أي: فأرسلنا

عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل وهم في ذلك كذبة، لا قصد لهم إلا زوال ما حل بهم من العذاب، وظنوا إذا رفع لا يصيبهم غيره. 134 رجز وعذاب، وأنهم كلما أصابهم واحد منها قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك أي: تشفعوا بموسى بما عهد الله عنده من الوحي والشرع، لئن كشفت العذاب، يحتمل أن المراد به: الطاعون، كما قاله كثير من المفسرين، ويحتمل أن يراد به ما تقدم من الآيات: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، فإنها ولما وقع عليهم الرجز أي:

بالإيمان به، وإرسال بني إسرائيل، فلا آمنوا به ولا أرسلوا معه بني إسرائيل، بل استمروا على كفرهم يعمهون، وعلى تعذيب بني إسرائيل دائبين. 135 عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه أي: إلى مدة قدر الله بقاءهم إليها، وليس كشفا مؤبدا، وإنما هو مؤقت، إذا هم ينكثون العهد الذي عاهدوا عليه موسى، ووعده فلما كشفنا

تفسير السعدي

الآخرين . وقال هنا: فأغرقتناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي: بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عما دلت عليه من الحق. 136
فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين
الناس ليتبعوا بني إسرائيل، وقالوا لهم: إن هؤلاء لشردمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجمع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
جاء الوقت المؤقت لهلاكهم، أمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا وأخبره أن فرعون سيتبعهم هو وجنوده فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يجمعون
فانتقمنا منهم أي: حين

ما كان يصنع فرعون وقومه من الأبنية الهائلة، والمساكن المزخرفة وما كانوا يعرشون فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . 137
ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا حين قال لهم موسى: استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ودمرنا
مشارك الأرض ومغاربها والمراد بالأرض هاهنا، أرض مصر، التي كانوا فيها مستضعفين، أذلين، أي: ملكهم الله جميعا، ومكنهم فيها التي باركنا فيها وتمت كلمة
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في الأرض، أي: بني إسرائيل الذين كانوا خدمة لآل فرعون، يسومونهم سوء العذاب أورثهم الله
إنكم قوم تجهلون وأي جهل أعظم من جهل من جهل ربه وخالقه وأراد أن يسوي به غيره، ممن لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟ 138
لنبههم موسى بعدما أراهم الله من الآيات ما أراهم يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة أي: اشرع لنا أن نتخذ أصناما آلهة كما اتخذها هؤلاء. ف قال لهم موسى:
وأهلكهم الله، وبني إسرائيل ينظرون. فأتوا أي: مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم أي: يقيمون عندها ويتبركون بها، ويعبدونها. ف قالوا من جهلهم وسفههم
جاوزنا ببني إسرائيل البحر بعد ما أنجاهم الله من عدوهم فرعون وقومه،

ولهذا قال لهم موسى إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون لأن دعاءهم إياها باطل، وهي باطلة بنفسها، فالعمل باطل وغايته باطلة. 139
فلما أعلن عدو الله بعداوة الله، وعداوة آدم وذريته، سأل الله النظرة والإمهال إلى يوم البعث، ليتمكن من إغواء ما يقدر عليه من بني آدم. 14
ذاته، وصفاته وأفعاله. وهو فضلكم على العالمين فيقتضي أن تقابلوا فضله، وتفضيله بالشكر، وذلك بإفراجه وحده بالعبادة، والكفر بما يدعي من دونه. 140
قال أغير الله أبغىكم إلها أي: أطلب لكم إلها غير الله المألوه، الكامل في

عظيم أي: نعمة جليلة، ومنحة جزيلة، أو: وفي ذلك العذاب الصادر منهم لكم بلاء من ربكم عليكم عظيم، فلما ذكرهم موسى ووعظهم انتهوا عن ذلك. 141
يسومونكم سوء العذاب أي: يوجهون إليكم من العذاب أسوأه، وهو أنهم كانوا يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم النجاة من عذابهم بلاء من ربكم
ثم ذكرهم بما امتن الله به عليهم فقال: وإذ أنجيناكم من آل فرعون أي: من فرعون وآله

في قومي أي: كن خليفتي فيهم، واعمل فيهم بما كنت أعمل، وأصلح أي: اتبع طريق الصلاح ولا تتبع سبيل المفسدين وهم الذين يعملون بالمعاصي. 142
لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى إنزالها. ولما ذهب موسى إلى ميقات ربه قال لهارون موصيا له على بني إسرائيل من حرصه عليهم وشفقته: اخلفني
الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى، ويتهيأ لوعده الله، ويكون
ولما أتم الله نعمته عليهم بالنجاة من عدوهم، وتمكينهم في الأرض، أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم، بإنزال

عليه الصلاة والسلام إيمانه، بما كمل الله له مما كان يحمله قبل ذلك، فلما منعه الله من رؤيته بعدما ما كان متشوقا إليها أعطاه خيرا كثيرا فقال: 143
يوافق موضعا و لذلك قال سبحانه أي: تنزيها لك، وتعظيما عما لا يليق بجلالك ثبت إليك من جميع الذنوب، وسوء الأدب معك وأنا أول المؤمنين أي: جدد
موسى حين رأى ما رأى صعقا فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله، فموسى أولى أن لا يثبت لذلك، واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم
فإن استقر مكانه إذا تجلى الله له فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل الأصم الغليظ جعله دكا أي: انهال مثل الرمل، انزعاجا من رؤية الله وعدم ثبوته لها وخر
يقدرعون معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال مقنعا لموسى في عدم إجابته للرؤية ولكن انظر إلى الجبل
فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة،
على رؤيتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرعون بها، ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة،
بما كلمه من وحيه وأمره ونهيه، تشوق إلى رؤية الله، ونزعت نفسه لذلك، حبا لربه ومودة لرؤيته. ف قال رب أرني أنظر إليك قال الله لن تراني أي: لن تقدر الآن
ولما جاء موسى لميقاتنا الذي وقتناه له لإنزال الكتاب وكلمه ربه

فخذ ما آتيتك من النعم، وخذ ما آتيتك من الأمر والنهي بانشرح صدر، وتلقه بالقبول والانقياد، وكن من الشاكرين لله على ما خصك وفضلك. 144
التي لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق. وبكلامي إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسى الكريم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين،
يا موسى إني اصطفتك على الناس أي: اخترتك واجتبيتك وفضلتك وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، برسالاتي

كل شريعة كاملة عادلة حسنة. سأريكم دار الفاسقين بعد ما أهلكهم الله، وأبقى ديارهم عبرة بعدهم، يعتبر بها المؤمنون الموفقون المتواضعون. 145
بقوة أي: بجد واجتهاد على إقامتها، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها وهي الأوامر الواجبة والمستحبة، فإنها أحسنها، وفي هذا دليل على أن أوامر الله في
إليه العباد موعظة ترغب النفوس في أفعال الخير، وترهبهم من أفعال الشر، وتفصيلا لكل شيء من الأحكام الشرعية، والعقائد والأخلاق والآداب فخذها

وكتبنا له في الألواح من كل شيء يحتاج

وكانوا عنها غافلين فردهم لآيات الله، وغفلتهم عما يراد بها واحتقارهم لها هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشداً ما أوجب. 146 ولا يرغبوا فيه وإن يروا سبيل الغي أي: الغواية الموصلة لصاحبه إلى دار الشقاء يتخذوه سبيلاً والسبب في انحرافهم هذا الانحراف ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا واعتراضهم، ومحادتهم لله ورسوله، وإن يروا سبيل الرشداً أي: الهدى والاستقامة، وهو الصراط الموصول إلى الله، وإلى دار كرامته لا يتخذوه أي: لا يسلكوه حرمة الله خيراً كثيراً وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح. وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها لإعراضهم الأفقية والنفسية، والفهم لآيات الكتاب الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة، سأصرف عن آياتي أي: عن الاعتبار في الآيات

ضد مقصودهم إلا ما كانوا يعملون فإن أعمال من لا يؤمن باليوم الآخر، لا يرجو فيها ثواباً، وليس لها غاية تنتهي إليه، فلذلك اضمحلت وبطلت. 147 رسلنا. ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم لأنها على غير أساس، وقد فقد شرطها وهو الإيمان بآيات الله، والتصديق بجزائه هل يجزون في بطلان أعمالهم وحصول والذين كذبوا بآياتنا العظيمة الدالة على صحة ما أرسلنا به

وفيه دليل على أن من أنكر كلام الله، فقد أنكر خصائص إلهية الله تعالى، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للإلهية. 148 ينفع ولا يضر من أبطل الباطل، وأسمج السفه، ولهذا قال: اتخذوه وكانوا ظالمين حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، الجماد، الذي لا يتكلم ولا يهديهم سبيلاً أي: لا يهديهم طريقاً دينياً، ولا يحصل لهم مصلحة دنيوية، لأن من المتقرر في العقول والفطر، أن اتخاذ إله لا يتكلم ولا أنه ليس فيه من الصفات الذاتية ولا الفعلية، ما يوجب أن يكون إلهاً ألم يروا أنه لا يكلمهم أي: وعدم الكلام نقص عظيم، فهم أكمل حالة من هذا الحيوان أو فني موسى، وذهب يطلبه، وهذا من سفههم، وقلة بصيرتهم، كيف اشتبه عليهم رب الأرض والسموات، بعجل من أنقص المخلوقات؟ ولهذا قال مبيناً من بعده من حليهم عجلاً جسداً صاغه السامري وألقى عليه قبضة من أثر الرسول فصار له خوار وصوت، فعبده واتخذوه إلهاً. وقال هذا إلهكم وإله موسى واتخذ قوم موسى

ربنا فيدلنا عليه، ويرزقنا عبادته، ويوفقنا لصالح الأعمال، ويغفر لنا ما صدر منا من عبادة العجل لتكون من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة. 149 هذه الحال، وأخبرهم بضلالهم ندموا و سقط في أيديهم أي: من الهم والندم على فعلهم، ورأوا أنهم قد ضلوا فتنصلوا، إلى الله وتضرعوا وقالوا لئن لم يرحمنا ولما رجع موسى إلى قومه، فوجدهم على

حكمة الله مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم، ليتبين الصادق من الكاذب، ومن يطيعه ومن يطيع عدوه، أجابه لما سأله، فقال: إنك من المنظرين 15 ولما كانت

لي، ومسك إياي بسوء، فإن الأعداء حريصون على أن يجدوا علي عثرة، أو يطلعوا لي على زلة ولا تجعلني مع القوم الظالمين فتعاملني معاملةهم. 150 احقروني حين قلت لهم: يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري وكادوا يقتلونني أي: فلا تظن بي تقصيراً فلا تشمت بي الأعداء بنهرك أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي و قال هنا ابن أم هذا تريق لأخيه، بذكر الأم وحدها، وإلا فهو شقيقه لأمه وأبيه: إن القوم استضعفوني أي: ضلوا أن لا تتبعن أف عصيت أمري لك بقولي: اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ف قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت برأيكم الفاسد إلى هذه الخصلة القبيحة وألقى الألواح أي: رماها من الغضب وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته يجره إليه وقال له: ما منعك إذ رأيتهم الحالة التي خلفتموني بها من بعد ذهابي عنكم، فإنها حالة تفضي إلى الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي. أعجلتم أمر ربكم حيث وعدكم بإنزال الكتاب. فبادرتم موسى إلى قومه غضبان أسفاً أي: ممتلئاً غضباً وغيظاً عليهم، لتتمام غيرته عليه الصلاة والسلام، وكمال نصحه وشفقته، قال بنسما خلفتموني من بعدي أي: بنس ولما رجع

حصن حصين، من جميع الشرور، وثم كل الخير وسرور. وأنت أرحم الراحمين أي: أرحم بنا من كل راحم، أرحم بنا من آبائنا، وأمهاتنا وأولادنا وأنفسنا. 151 أن يعلم براءته، مما ظنه فيه من التقصير. و قال رب اغفر لي ولأخي هارون وأدخلنا في رحمتك أي: في وسطها، واجعل رحمتك تحيط بنا من كل جانب، فإنها فندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل

أمرهم أن يقتلوا أنفسهم، وأنه لا يرضى الله عنهم إلا بذلك، فقتل بعضهم بعضاً، وانجلت المعركة عن كثير من القتلى ثم تاب الله عليهم بعد ذلك. 152 المقتربين فكل مفتر على الله، كاذب على شرعه، متقول عليه ما لم يقل، فإن له نصيباً من الغضب من الله، والذل في الحياة الدنيا، وقد نالهم غضب الله، حيث حال أهل العجل الذين عبدوه: إن الذين اتخذوا العجل أي: إلهاً سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا كما أغضبوا ربهم واستهانوا بأمره. وكذلك نجزي قال الله تعالى مبيناً

من السيئات والرجوع إلى الطاعات، لغفور يغفر السيئات ويمحوها، ولو كانت قراب الأرض رحيم بقبول التوبة، والتوفيق لأفعال الخير وقبولها. 153 بالله وبما أوجب الله من الإيمان به، ولا يتم الإيمان إلا بأعمال القلوب، وأعمال الجوارح المترتبة على الإيمان إن ربك من بعدها أي: بعد هذه الحالة، حالة التوبة والذين عملوا السيئات من شرك وكبائر، وصغائر ثم تابوا من بعدها بأن ندموا على ما مضى، وأقلعوا عنها، وعزموا على أن لا يعودوا وآمنوا

تفسير السعدي

لربهم يرهبون أي: يخافون منه ويخشونه، وأما من لم يخف الله ولا المقام بين يديه، فإنه لا يزداد بها إلا عتوا ونفورا وتقوم عليه حجة الله فيها. 154
ورحمة وسعادة لمن عمل بها، وعلم أحكامها ومعانيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هدى الله ورحمته، وإنما يقبل ذلك وينقاد له، ويتلقاه بالقبول الذين هم
مشتمة ومتضمنة هدى ورحمة أي: فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير وأعمال الشر، والهدى لأحسن الأعمال، والأخلاق، والآداب،
أي: سكن غضبه، وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه، اشتغل بأهم الأشياء عنده، ف أخذ الألواح التي ألقاها، وهي ألواح عظيمة المقدار، جليلة وفي نسختها أي:
ولما سكت عن موسى الغضب

لذینك السببین، ومع هذا فأنت أرحم الراحمین، وخیر الغافرین، فاغفر لنا وارحمنا. فأجاب الله سؤاله، وأحياهم من بعد موتهم، وغفر لهم ذنوبهم. 155
وأن من حضره عقله ورشده، وتم على ما وهبته من التوفيق، فإنه لم يزل مستقيما، وأما من ضعف عقله، وسفه رأيه، وصرفته الفتنة، فهو الذي فعل ما فعل،
غفر، وأولى من رحم، وأكرم من أعطى وتفضل، فكان موسى عليه الصلاة والسلام، قال: المقصود يا رب بالقصد الأول لنا كلنا، هو التزام طاعتك والإيمان بك،
بها الإنسان، ويخاف من ذهاب دينه فقال: إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرین أي: أنت خير من
ضعفاء العقول، سفهاء الأحلام، فتضرع إلى الله واعتذر بأن المتجرئين على الله ليس لهم عقول كاملة، تردعهم عما قالوا وفعلوا، وبأنهم حصل لهم فتنة يخطر
الله ويتبتل ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل أن يحضروا ويكونون في حالة يعتذرون فيها لقومهم، فصاروا هم الظالمين أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أي:
أرنا الله جهرة فتجروا على الله جراءة كبيرة، وأساءوا الأدب معه، ف أخذتهم الرجفة فصعقوا وهلكوا. فلم يزل موسى عليه الصلاة والسلام، يتضرع إلى
إلى رشدهم اختار موسى منهم سبعين رجلا من خيارهم، ليعتذروا لقومهم عند ربهم، ووعدهم الله ميقاتا يحضرون فيه، فلما حضروه، قالوا: يا موسى،
ولما تاب بنو إسرائيل وتراجعوا

ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أصول الدين وفروعه. 156
الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها: فسأكتبها للذين يتقون المعاصي، صغارها وكبارها. ويؤتون الزكاة الواجبة مستحقيها والذين هم بآياتنا يؤمنون
العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة
أي: رجعنا مقربين بتقصيرنا، منيبين في جميع أمورنا. قال الله تعالى عذابي أصيب به من أشاء ممن كان شقيا، متعرضا لأسبابه، ورحمتي وسعت كل شيء من
دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة من علم نافع، ورزق واسع، وعمل صالح. وفي الآخرة حسنة: وهي ما أعد الله لأوليائه الصالحين من الثواب. إنا هدنا إليك
وقال موسى في تمام

من شرهما، لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح. وأما من لم يؤمن بهذا النبي الأمي، ويعززه، وينصره، ولم يتبع النور الذي أنزل معه، فأولئك هم الخاسرون. 157
معه وهو القرآن، الذي يستضاء به في ظلمات الشك والجهالات، ويقتدى به إذا تعارضت المقالات، أولئك هم المفلحون الظافرون بخير الدنيا والآخرة، والناجون
أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه، ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال. فالذين آمنوا به وعزروه أي: عظموه وبجلوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل
والمناج. ويحرم عليهم الخبائث من المطاعم والمشارب والمناج، والأقوال والأفعال. ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم أي: ومن وصفه
والفجور، ونحو ذلك. فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله، ما دعا إليه وأمر به، ونهى عنه، وأحله وحرمه، فإنه يحل لهم الطيبات من المطاعم والمشارب،
والعفاف، والبر، والنصيحة، وما أشبه ذلك، وينهى عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والزنا، وشرب ما يسكر العقل، والظلم لسائر الخلق، والكذب،
في العقول والفطر. فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والصدق،
التي من أعظمها وأجلها، ما يدعو إليه، وينهى عنه. وأنه يأمرهم بالمعروف وهو كل ما عرف حسنه وصلاحه ونفعه. وينهاهم عن المنكر وهو: كل ما عرف قبحه
بالأمي لأنه من العرب الأمة الأمية، التي لا تقرأ ولا تكتب، وليس عندها قبل القرآن كتاب. الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل باسمه وصفته،
وأن الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم شرط في دخولهم في الإيمان، وأن المؤمنين به المتبعين، هم أهل الرحمة المطلقة، التي كتبها الله لهم، ووصفه
الرسول النبي الأمي احتراز عن سائر الأنبياء، فإن المقصود بهذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم. والسياق في أحوال بني إسرائيل
الذين يتبعون

أي: آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله، واتبعوه لعلكم تهتدون في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتكم ضلالا بعيدا. 158
صدق الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم قطعا. فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي إيمانا في القلب، متضمنا لأعمال القلوب والجوارح. الذي يؤمن بالله وكلماته
رسله، يحيي ويميت أي: من جملة تدابير: الإحياء والإماتة، التي لا يشاركه فيها أحد، الذي جعل الموت جسرا ومعبرا يعبر منه إلى دار البقاء، التي من آمن بها
وإلى دار كرامته، ويحذركم من كل ما يباعدكم منه، ومن دار كرامته. لا إله إلا هو أي: لا معبود بحق، إلا الله وحده لا شريك له، ولا تعرف عبادته إلا من طريق
والأرض يتصرف فيهما بأحكامه الكونية والتدابير السلطانية، وبأحكامه الشرعية الدينية التي من جملتها: أن أرسل إليكم رسولا عظيما يدعوكم إلى الله
عليهم، أتى بما يدل على العموم فقال: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا أي: عربكم، وعجمكم، أهل الكتاب منكم، وغيرهم. الذي له ملك السماوات
ولما دعا أهل التوراة من بني إسرائيل، إلى اتباعه، وكان ربما توهم متوهم، أن الحكم مقصور

معايب بني إسرائيل، المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهتدية. 159

تفسير السعدي

الصلاة والسلام، وأن الله تعالى جعل منهم هداة يهدون بأمره. وكان الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من به بينهم في الحكم بينهم، بقضايهم، كما قال تعالى: وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وفي هذا فضيلة لأمة موسى عليه ومن قوم موسى أمة أي: جماعة يهدون بالحق وبه يعدلون أي: يهدون به الناس في تعليمهم إياهم وفتواهم لهم، ويعدلون

فبما أغويتني لأقعدن لهم أي: للخلق صراطك المستقيم أي: لألزم الصراط ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه. 16
أي: قال إبليس لما أبلس وأبس من رحمة الله

الله، ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم. ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث فوتوها كل خير، وعرضوها للشر والنقمة، وهذا كان مدة لبثهم في التيه. 160
بين الظلال، والشراب، والطعام الطيب، من الحلوى واللحوم، على وجه الراحة والطمأنينة. وقيل لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا حين لم يشكروا الله عليهم. وظللنا عليهم الغمام فكان يستترهم من حر الشمس وأنزلنا عليهم المن وهو الحلوى، والسلوى وهو لحم طير من أنواع الطيور وألذها، فجمع الله لهم قسم على كل قبيلة من تلك القبائل الاثنتي عشرة، وجعل لكل منهم عينا، فعلموها، واطمأنوا، واستراحوا من التعب والمزاحمة، والمخاصمة، وهذا من تمام نعمة ويحتمل أنه اسم جنس، يشمل أي حجر كان، فضربه فانجست أي: انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا جارية سارحة. قد علم كل أناس مشربهم أي: قد وتشرب منه مواشيهم، وذلك لأنهم والله أعلم في محل قليل الماء. فأوحى الله لموسى إجابة لطلبهم أن اضرب بعصاك الحجر يحتمل أنه حجر معين، متعارفة متوالفة، كل بني رجل من أولاد يعقوب قبيلة. وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أي: طلبوا منه أن يدعو الله تعالى، أن يسقيهم ماء يشربون منه وقطعناهم أي: قسمناهم اثنتي عشرة أسباط أمما أي: اثنتي عشرة قبيلة

وسؤال المغفرة، ووعدهم على ذلك مغفرة ذنوبهم والثواب العاجل والآجل فقال: نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين من خير الدنيا والآخرة 161
حين تدخلون الباب: حطة أي: احطط عنا خطايانا، واعف عنا. وادخلوا الباب سجدا أي: خاضعين لربكم مستكينين لعزته، شاكرين لنعمته، فأمرهم بالخضوع، وهي إيلياء وكلوا منها حيث شئتم أي: قرية كانت كثيرة الأشجار، غزيرة الثمار، رغيدة العيش، فلذلك أمرهم الله أن يأكلوا منها حيث شاءوا. وقولوا
وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية أي: ادخلوها لتكون وطننا لكم ومسكنا،

بما كانوا يظلمون أي: يخرجون من طاعة الله إلى معصيته، من غير ضرورة ألجأتهم ولا داع دعاهم سوى الخبث والشر الذي كان كامنا في نفوسهم. 162
عليهم حين خالفوا أمر الله وعصوه رجزا من السماء أي: عذابا شديدا، إما الطاعون وإما غيره من العقوبات السماوية. وما ظلمهم الله بعقابه وإنما كان ذلك وقولهم: حطة حبة في شعيرة، وإذا بدلوا القول مع يسره وسهولته فتبديلهم للفعل من باب أولى، ولهذا دخلوا وهم يزحفون على أستاههم. فأرسلنا فبدل الذين ظلموا منهم أي: عصوا الله واستهانوا بأمره قولا غير الذي قيل لهم فقالوا بدل طلب المغفرة،

فإذا جاء يوم السبت ووقعت في تلك الحفر والشباك، لم يأخذوها في ذلك اليوم، فإذا جاء يوم الأحد أخذوها، وكثر فيهم ذلك، وانقسموا ثلاث فرق 163
وأن تكون لهم هذه المحنة، وإلا فلو لم يفسقوا، لعافاهم الله، ولما عرضهم للبلاء والشر، فتحيلوا على الصيد، فكانوا يحفرون لها حفرا، وينصبون لها الشباك، لا يسبتون أي: إذا ذهب يوم السبت لا تأتيهم أي: تذهب في البحر فلا يرون منها شيئا كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم الله، أمرهم أن يعظموه ويحترموا ولا يصيدوا فيه صيدا، فابتلاهم الله وامتنحهم، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا أي: كثيرة طافية على وجه البحر. ويوم أي: أسأل بني إسرائيل عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي: على ساحله في حال تعذيبهم وعقاب الله إياهم. إذ يعدون في السبت وكان الله تعالى قد وأسألهم

اللوم. وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر، والنهي. 164
نعظهم ونهأهم معذرة إلى ربكم أي: لنعذر فيهم. ولعلمهم يتقون أي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم، فربما نجح فيهم الوعظ، وأثر فيهم في وعظ من اقتحم محارم الله، ولم يصغ للنصيح، بل استمر على اعتدائه وطغيانه، فإنه لا بد أن يعاقبهم الله، إما بهلاك أو عذاب شديد. فقال الواعظون: بنهيه والإنكار عليهم. وفرقة اكتفت بإنكار أولئك عليهم، ونهيههم لهم، وقالوا لهم: لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا كأنهم يقولون: لا فائدة معظمهم اعتدوا وتجروا، وأعلنوا بذلك. وفرقة أعلنت

قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة. 165
السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: لم تعظون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين، لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون. فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في وهم الذين اعتدوا في السبت بعذاب بنيس أي: شديد بما كانوا يفسقون وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهيين: لم تعظون قوما الله مهلكهم فاختلف المفسرون أنجينا من العذاب الذين ينهون عن سوء وهكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وأخذنا الذين ظلموا فلما نسوا ما ذكروا به أي: تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم.

ولا تعظوا، قلنا لهم قولا قديرا: كونوا قردة خاسئين فانقلبوا بإذن الله قردة، وأبعدهم الله من رحمته، ثم ذكر ضرب الذلة والصغار على من بقي منهم 166
فلما عتوا عما نهوا عنه أي: قسوا فلم يلينوا،

تفسير السعدي

- ويثيبه عليها بأنواع المثوبات، وقد فعل الله بهم ما أوعدهم به، فلا يزالون في ذل وإهانة، تحت حكم غيرهم، لا تقوم لهم راية، ولا ينصر لهم علم. 167
- لمن عصاه، حتى إنه يعجل له العقوبة في الدنيا. وإنه لغفور رحيم لمن تاب إليه وأناب، يغفر له الذنوب، ويستتر عليه العيوب، ويرحمه بأن يتقبل منه الطاعات، وإذ تأذن ربك أي: أعلم إعلاما صريحا: ليمعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب أي: يهينهم، ويذلهم. إن ربك لسريع العقاب
- وبلونا هم على عادتنا وسنتنا، بالحسنات والسيئات أي: بالعسر واليسر. لعلهم يرجعون عما هم عليه مقيمون من الردى، يراجعون ما خلقوا له من الهدى 168
- الأرض بعد ما كانوا مجتمعين، منهم الصالحون القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، ومنهم دون ذلك أي: دون الصلاح، إما مقتصدون، وإما ظالمون لأنفسهم، وقطعناهم في الأرض أمما أي: فرقناهم ومزقناهم في
- يكون لكم عقول توازن بين ما ينبغي إثباره، وما ينبغي الإيثار عليه، وما هو أولى بالسعي إليه، والتقديم له على غيره. فخاصية العقل النظر للعواقب. 169
- خير للذين يتقون ما حرم الله عليهم، من المأكَل التي تصاب، وتؤكل رشوة على الحكم بغير ما أنزل الله، وغير ذلك من أنواع المحرمات. أفلا تعقلون أي: أفلا مستبصرين، وهذا أعظم للذنوب، وأشد للوم، وأشنع للعقوبة، وهذا من نقص عقولهم، وسفاهة رأيهم، بإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، ولهذا قال: والدار الآخرة عليه غير الحق اتباعا لأهوائهم، وميلا مع مطامعهم. و الحال أنهم قد درسوا ما فيه فليس عليهم فيه إشكال، بل قد أتوا أمرهم متعمدين، وكانوا في أمرهم هو أدنى بالذي هو خير، قال الله تعالى في الإنكار عليهم، وبيان جرائعهم: ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق فما بالهم يقولون ذلك لندموا على ما فعلوا، وعزموا على أن لا يعودوا، ولكنهم إذا أتاهم عرض آخر، ورشوة أخرى يأخذوه. فاشتروا بآيات الله ثمنا قليلا واستبدلوا الذي عرض هذا الأدنى ويقولون مقرين بأنه ذنب وأنهم ظلمة: سيغفر لنا وهذا قول خال من الحقيقة، فإنه ليس استغفارنا وطلبنا للمغفرة على الحقيقة. فلو كان ورثوا بعدهم الكتاب وصار المرجع فيه إليهم، وصاروا يتصرفون فيه بأهوائهم، وتبذل لهم الأموال، ليفتوا ويحكموا، بغير الحق، وفشت فيهم الرشوة. يأخذون فلم يزلوا بين صالح وطالح ومقتصد، حتى خلف من بعدهم خلف. زاد شرهم
- على فعله، لتأخذ منه حذرنا ونستعد لعدونا، ونحترز منه بعلمنا، بالطريق التي يأتي منها، ومداخله التي ينفذ منها، فله تعالى علينا بذلك، أكمل نعمة. 17
- الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم عنه، وعدم قيامهم به، قال تعالى: إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وإنما نبهنا الله على ما قال وعزم قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازما ببذل مجهوده على إغوائهم، ظن وصدق ظنه فقال: ولا تجد أكثرهم شاكرين فإن القيام بالشكر من سلوك خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائهم أي: من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم. ولما علم الخبيث أنهم ضعفاء ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن
- بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم. 170
- علمهم كله إصلاحا، قال تعالى: إنا لا نضيع أجر المصلحين في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، مصلحين لأنفسهم ولغيرهم. وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله من المأمورات، إقامة الصلاة، ظاهرا وباطنا، ولهذا خصها الله بالذكر لفضلها، وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات. ولما كان علمها أشرف العلوم. ويعلمون بما فيها من الأوامر التي هي قرة العيون وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة. ومن أعظم ما يجب التمسك به له العقل والرأي؟ وإنما العقلاء حقيقة من وصفهم الله بقوله والذين يمسكون بالكتاب أي: يتمسكون به علما وعملا فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار، التي وأما من نظر إلى عاجل طفيف منقطع، يفوت نعيما عظيما باقيا فأنى
- أنه واقع بهم وقيل لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة أي: بجد واجتهاد. واذكروا ما فيه دراسة ومباحثة، واتصافا بالعمل به لعلكم تتقون إذا فعلتم ذلك. 171
- ثم قال تعالى: وإذ نتقنا الجبل فوقهم حين امتنعوا من قبول ما في التوراة. فألزمهم الله العمل ونتق فوق رؤوسهم الجبل، فصار فوقهم كأنه ظلة وظنوا وتزعمون أن حجة الله ما قامت عليكم، ولا عندكم بها علم، بل أنتم غافلون عنها لاهون. فاليوم قد انقطعت حجتكم، وثبتت الحجة البالغة لله عليكم. 172
- القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أي: إنما امتحناكم حتى أقررتم بما تقرر عندكم، من أن الله تعالى ربكم، خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تتقروا بشيء من ذلك، على الدين الحنيف القيم. فكل أحد فهو مفلطح على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة، ولهذا قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم ألسنت بربكم أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرتهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم. قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده ذريتهم أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن. و حين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم أشهدهم على أنفسهم يقول تعالى: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
- من ظهره، حين كانوا في عالم الكلد، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمي، فكيف يحتج الله عليهم بأمر ليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟ 173
- في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك. فإن هذا العهد والميثاق، الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتج عليهم بما أقروا به في ذلك الوقت على ظلمهم في كفرهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة، ولكن ليس ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق، هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات. وقد قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم ومذاهبهم الفاسدة ما يظنه هو الحق، وما ذاك إلا لإعراضه، عن حجج الله وبياناته، وآياته الأخفية والنفسية، فإعراضه عن ذلك، وإقباله على ما قاله المبطلون، يدلكم على أن ما مع آبائكم باطل، وأن الحق ما جاءت به الرسل، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم، ويعلو عليه. نعم قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين،

تفسير السعدي

أخرى، فتقولون: إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فحدونا حدوهم، وتبعناهم في باطلهم. أفتهلكنا بما فعل المبطلون فقد أودع الله في فطركم، ما أو تحتجون أيضا بحجة

وكذلك نفضل الآيات أي: نبينها ونوضحها، ولعلمهم يرجعون إلى ما أودع الله في فطرتهم، وإلى ما عاهدوا الله عليه، فيرتدعون عن القبائح. 174

تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزا. فكان من الغاوين بعد أن كان من الراشدين المرشدين. 175 الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس. فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: فأتبعه الشيطان أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإن العلم بذلك، يصير صاحبه متصفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أي: علمناه كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النحرير. فانسلخ منها

واتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من الله. فاقصص القصص لعلهم يتفكرون في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيات، فإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا. 176 قاطعا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بعد أن ساقها الله إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على الله، في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، كمثلكم إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي: لا يزال لاهثا في كل حال، وهذا لا يزال حريصا، حرصا فيتحصن من أعدائه. ولكنه فعل ما يقتضي الخذلان، فأخذ إلى الأرض، أي: إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية. واتبع هواه وترك طاعة مولاه، فمثله ولو شئنا لرفعناه بها بأن يوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة،

من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى، وإخلاق العبد إلى الشهوات، يكون سببا للخذلان. 177 وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها. وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب وهذا الذي آتاه الله آياته، يحتمل أن المراد به شخص معين، قد كان منه ما ذكره الله، فقض الله قصته تنبيها للعباد. ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون أي: ساء وقبح، مثل من كذب بآيات الله، وظلم نفسه بأنواع المعاصي، فإن مثلهم مثل السوء،

حقا لأنه أثر هدايته تعالى، ومن يضل فيخذه ولا يوفقه للخير فأولئك هم الخاسرون لأنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين. 178 قال تعالى مبينا أنه المنفرد بالهداية والإضلال: من يهد الله بأن يوفقه للخيرات، ويعصمه من المكروهات، ويعلمه ما لم يكن يعلم فهو المهتدي

وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة الله، وانصغ قلبه بالإيمان بالله ومحبه، ولم يغفل عن الله، فهؤلاء، أهل الجنة، وبأعمال أهل الجنة يعملون. 179 بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود. فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم وخلقهم لها، فخلقهم للنار، وبأعمال أهلها يعملون. أولئك هم الغافلون الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره. خلقت لهم الأفئدة والأسماع والأبصار، لتكون عوناً لهم على القيام فسلبوا خاصية العقل. بل هم أضل من البهائم، فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان، تدرك بها، مضرتها من منفعتها، فلذلك كانت أحسن حالا منهم. لا يسمعون بها سماعا يصل معناه إلى قلوبهم. أولئك الذين بهذه الأوصاف القبيحة كالأنعام أي: البهائم، التي فقدت العقول، وهؤلاء أثروا ما يفنى على ما يبقى، منهم. لهم قلوب لا يفقهون بها أي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة. ولهم أعين لا يبصرون بها ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها وفائدتها. ولهم أذان يقول تعالى مبينا كثرة الغاوين الضالين، المتبعين إبليس اللعين: ولقد ذرأنا أي: أنشأنا وبثنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس صارت البهائم أحسن حالة

لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهذا قسم منه تعالى، أن النار دار العصاة، لا بد أن يملأها من إبليس وأتباعه من الجن والإنس. 18

لما قال ما قال: اخرج منها خروج صغار واحتقار، لا خروج إكرام بل مذءوما أي: مذموما مدحورا مبعدا عن الله وعن رحمته وعن كل خير.

أي: قال الله لإبليس

ويحذر الملحدون فيها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة 180 المشركين بها لآلهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراد الله ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، سيجزون ما كانوا يعملون أي: عقوبة وعذابا على إلحادهم في أسمائهم، وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علي يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك. وقوله: وذروا الذين يلحدون في أسمائهم أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: فادعوه بها وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا و كالرحيم الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء. و كالقدير الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك. ومن تمام كونها حسنى منها، مستغرق لجميع معناها. وذلك نحو العليم الدال على أن له علما محيطا عاما لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، وكذلك لو هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل

تلي مرتبة الرسالة، وهم في أنفسهم مراتب متفاوتة كل بحسب حاله وعلو منزلته، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. 181 هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وهم الذين أنعم الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهم الصديقون الذين مرتبتهم

تفسير السعدي

ويعملون به، ويعلمونه، ويدعون إليه وإلى العمل به. وبه يعدلون بين الناس في أحكامهم إذا حكموا في الأموال والدماء والحقوق والمقاتلات، وغير ذلك، وهؤلاء أي: ومن جملة من خلقنا أمة فاضلة كاملة في نفسها، مكملة لغيرها، يهدون أنفسهم وغيرهم بالحق، فيعلمون الحق

الله الدالة على صحة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، من الهدى فردوها ولم يقبلوها. سنستدرجهم من حيث لا يعلمون بأن يدر لهم الأرزاق. 182 أي: والذين كذبوا بآيات

وطغياننا، وشرنا إلى شرهم، وبذلك تزيد عقوبتهم، ويتضاعف عذابهم، فيضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون، ولهذا قال: إن كيدي متين أي: قوي بليغ. 183 وأملئ لهم أي: أمهلهم حتى يظنوا أنهم لا يؤخذون ولا يعاقبون، فيزدادون كفرا

والناصح المبين، والماجد الكريم، والرءوف الرحيم؟ ولهذا قال: إن هو إلا نذير مبين أي: يدعو الخلق إلى ما ينجيهم من العذاب، ويحصل لهم الثواب. 184 إلا أتمها، ولا من العقل والرأي إلا ما فاق به العالمين، ولا يدعو إلا لكل خير، ولا ينهى إلا عن كل شر. أفبهذا يا أولي الألباب من جنة؟ أم هو الإمام العظيم من حاله شيء، هل هو مجنون؟ فليظنوا في أخلاقه وهديه، ودله وصفاته، وينظروا في ما دعا إليه، فلا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها، ولا من الأخلاق أولم يتفكروا ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم من جنة أي: أو لم يعملوا أفكارهم، وينظروا: هل في صاحبهم الذي يعرفونه ولا يخفى عليهم

الكتاب الجليل، فبأي حديث يؤمنون به؟ أبكتب الكذب والضلال؟ أم بحديث كل مقتر دجال؟ ولكن الضال لا حيلة فيه، ولا سبيل إلى هدايته. 185 قبل أن يقترب أجلهم، ويفجأهم الموت وهم في غفلة معرضون، فلا يتمكنون حينئذ، من استدراك الفارط. فبأي حديث بعده يؤمنون أي: إذا لم يؤمنوا بهذا لأن يكون هو المعبود المحمود، المسيح الموحّد المحبوب. وقوله: وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم أي: لينظروا في خصوص حالهم، وينظروا لأنفسهم يدل أعظم دلالة على الله وقدرته وحكمته وسعة رحمته، وإحسانه، ونفوذ مشيئته، وغير ذلك من صفاته العظيمة، الدالة على تفردّه بالخلق والتدبير، الموجبة إذا نظروا إليها، وجدوها أدلة دالة على توحيد ربها، وعلى ما له من صفات الكمال. و كذلك لينظروا إلى جميع ما خلق الله من شيء فإن جميع أجزاء العالم، أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض فإنهم

من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون أي: متحيرين يترددون، لا يخرجون منه ولا يهتدون إلى حق. 186

حال هؤلاء الذين يتركون السؤال عن الأهم، ويدعون ما يجب عليهم من العلم، ثم يذهبون إلى ما لا سبيل لأحد أن يدركه، ولا هم مطالبون بعلمه. 187 الله عن الخلق، لكمال حكمته وسعة علمه. قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلذلك حرصوا على ما لا ينبغي الحرص عليه، وخصوصا مثل يقتدون بك، ويكفون عن الاستحفاء عن هذا السؤال الخالي من المصلحة المتعذر علمه، فإنه لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وهي من الأمور التي أخفاها عن الساعة، كأنك مستحف عن السؤال عنها، ولم يعلموا أنك لكمال علمك بربك، وما ينفع السؤال عنه غير مبال بالسؤال عنها، ولا حريص على ذلك، فلم لا الساعة مشفقون. لا تأتيكم إلا بغتة أي: فجأة من حيث لا تشعرون، لم يستعدوا لها، ولم يتهيأوا لقيامها. يسألونك كأنك حفي عنها أي: هم حريصون على سؤالك أي: لا يظهرها لوقتها الذي قدر أن تقوم فيه إلا هو. ثقلت في السماوات والأرض أي: خفي علمها على أهل السماوات والأرض، واشتد أمرها أيضا عليهم، فهم من عن الساعة أيان مرساها أي: متى وقتها الذي تجيء به، ومتى تحل بالخلق؟ قل إنما علمها عند ربي أي: إنه تعالى مختص بعلمها، لا يجليها لوقتها إلا هو يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: يسألونك أي: المكذبون لك، المتعنتون

الله عليه وسلم، الذي فاق نفع الآباء والأمهات، والأخلاء والإخوان بما حث العباد على كل خير، وحذرهم عن كل شر، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح. 188 ولا يدفع الضر عن من لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والنذارة، وعمل بذلك، فهذا نفعه صلى الآيات الكريمات، مبينة جهل من يقصد النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضر. فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله، بالثواب العاجل والأجل، ببيان الأعمال الموصلة إليه والترغيب فيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هذه البشارة والنذارة، وإنما ينتفع بذلك ويقبله المؤمنون، وهذه فهذا أدل دليل على أني لا علم لي بالغييب. إن أنا إلا نذير أنذر العقوبات الدينية والدنيوية والأخروية، وأبين الأعمال المفضية إلى ذلك، وأحذر منها. وبشير لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما تفضي إليه. ولكني لعدم علمي قد ينالني ما ينالني من سوء، وقد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع، ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا فإني فقير مدبر، لا يأتيني خير إلا من الله، ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني الله تعالى. ولو كنت

خروجه حيا، صحيحا، سالما لا آفة فيه كذلك فدعوا الله ربهما لنن آتيتنا ولدا صالحا أي: صالح الخلقة تامها، لا نقص فيه لنكونن من الشاكرين. 189 خفيفا، وذلك في ابتداء الحمل، لا تحس به الأنثى، ولا يثقها. فلما استمرت به وأثقلت به حين كبر في بطنها، فحينئذ صار في قلوبهما الشفقة على الولد، وعلى فانقاد كل منهما إلى صاحبه بزماء الشهوة. فلما تغشاها أي: تجللها مجامعا لها قدر الباري أن يوجد من تلك الشهوة وذلك الجماع النسل، وحينئذ حملت حملا منها زوجها أي: خلق من آدم زوجته حواء لأجل أن يسكن إليها لأنها إذا كانت منه حصل بينهما من المناسبة والموافقة ما يقتضي سكونا أحدهما إلى الآخر، هو الذي خلقكم أيها الرجال والنساء، المنتشرون في الأرض على كثرتكم وتفرقتكم، من نفس واحدة وهو آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم. وجعل

أراد، إلا أنه عين لهما شجرة، ونهاهما عن أكلها، والله أعلم ما هي، وليس في تعيينها فائدة لنا. وحرم عليهما أكلها، بدليل قوله: فتكونا من الظالمين 19 أي: أمر الله تعالى آدم وزوجته حواء، التي أنعم الله بها عليه ليسكن إليها، أن يأكلا من الجنة حيث شاءا ويتمتعاً فيها بما

تفسير السعدي

يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا به في عبادته أحدا، ويخلصوا له الدين. ولكن الأمر جاء على العكس، فأشركوا بالله من لا يخلق شيئا وهم يخلقون . 190 ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتا موقوتا، تتشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجهم سويا صحيحا، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم. أفلا من أنفسهم أزواجا، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه ويلتذ به، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل. الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا، فلذلك قرره الله على بطلان العزيز و عبد الكعبة ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة، بعدما من الله عليهما بما من من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد. وهذا انتقال شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعباده لغير الله. إما أن يسمياه بعبد غير الله ك عبد الحارث و عبد تفسير الآيتين 190 و191: فلما آتاها صالحا على وفق ما طلبا، وتمت عليهما النعمة فيه جعلاه شركاء فيما آتاها أي: جعلاه لله

يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا به في عبادته أحدا، ويخلصوا له الدين. ولكن الأمر جاء على العكس، فأشركوا بالله من لا يخلق شيئا وهم يخلقون . 191 ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتا موقوتا، تتشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجهم سويا صحيحا، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم. أفلا من أنفسهم أزواجا، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه ويلتذ به، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل. الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا، فلذلك قرره الله على بطلان العزيز و عبد الكعبة ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة، بعدما من الله عليهما بما من من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد. وهذا انتقال شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعباده لغير الله. إما أن يسمياه بعبد غير الله ك عبد الحارث و عبد تفسير الآيتين 190 و191: فلما آتاها صالحا على وفق ما طلبا، وتمت عليهما النعمة فيه جعلاه شركاء فيما آتاها أي: جعلاه لله

ذرة، بل هي مخلوقة، ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن من يعبدها، بل ولا عن أنفسها، فكيف تتخذ مع الله آلهة؟ إن هذا إلا أظلم الظلم، وأسفه السفه. 192 ولا يستطيعون لهم أي: لعابديها نصرا ولا أنفسهم ينصرون . فإذا كانت لا تخلق شيئا، ولا مثقال

حالة منها، لأنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تهدي ولا تهدى، وكل هذا إذا تصوره اللبيب العاقل تصورا مجردا، جزم ببطلان إلهيتها، وسفاهة من عبدها. 193 وإن تدعوا، أيها المشركون هذه الأصنام، التي عبدتم من دون الله إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون . فصار الإنسان أحسن ثم كيدون فلا تنظرون أي: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم على إيقاع السوء والمكروه بي، من غير إمهال ولا إنظار فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي. 194 في الإنسان. فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها، وهي عباد أمثالكم، بل أنتم أكمل منها وأقوى على كثير من الأشياء، فلا شيء عبدتموها. قل ادعوا شركاءكم أنه ليس لديها من النفع شيء، فليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيد تبطش بها، ولا أعين تبصر بها، ولا أذان تسمع بها، فهي عادمة لجميع الآلات والقوى الموجودة وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوى، مفترون على الله أعظم الفرية، وهذا لا يحتاج إلى التبيين فيه، فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتها دالة على فكلكم عبيد لله مملوكون، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئا فادعوهم فليستجيبوا لكم فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، الآيتين 194 و195 :- وهذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم أي: لا فرق بينكم وبينهم، تفسير

ثم كيدون فلا تنظرون أي: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم على إيقاع السوء والمكروه بي، من غير إمهال ولا إنظار فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي. 195 في الإنسان. فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها، وهي عباد أمثالكم، بل أنتم أكمل منها وأقوى على كثير من الأشياء، فلا شيء عبدتموها. قل ادعوا شركاءكم أنه ليس لديها من النفع شيء، فليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيد تبطش بها، ولا أعين تبصر بها، ولا أذان تسمع بها، فهي عادمة لجميع الآلات والقوى الموجودة وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوى، مفترون على الله أعظم الفرية، وهذا لا يحتاج إلى التبيين فيه، فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتها دالة على فكلكم عبيد لله مملوكون، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئا فادعوهم فليستجيبوا لكم فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، الآيتين 194 و195 :- وهذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم أي: لا فرق بينكم وبينهم، تفسير

بهم وأعانهم على ما فيه الخير والمصلحة لهم، في دينهم ودنياهم، ودفع عنهم بإيمانهم كل مكروه، كما قال تعالى: إن الله يدافع عن الذين آمنوا . 196 آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور فالمؤمنون الصالحون لما تولوا ربهم بالإيمان والتقوى، ولم يتولوا غيره ممن لا ينفع ولا يضر تولاهم الله ولطف والشفاء والنور، وهو من توليته وتربيته لعباده الخاصة الدينية. وهو يتولى الصالحين الذين صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم، كما قال تعالى: الله ولي الذين إن وليي الله الذي يتولاني فيجلب لي المنافع ويدفع عني المضار. الذي نزل الكتاب الذي فيه الهدى

يعبدونها من دون الله لشيء من العبادة، لأنها ليس لها استطاعة ولا اقتدار في نصر أنفسهم، ولا في نصر عابديها، وليس لها قوة العقل والاستجابة. 197 وهذا أيضا في بيان عدم استحقاق هذه الأصنام التي

تفسير السعدي

إليك يا رسول الله نظر اعتبار يتبين به الصادق من الكاذب، ولكنهم لا يبصرون حقيقتك وما يتوسمه المتوسمون فيك من الجمال والكمال والصدق. 198
وقيل: إن معنى قوله وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون أن الضمير يعود إلى المشركين المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحسبهم ينظرون
أحوال عباده الصالحين، لم يقدرُوا على كيدِهِ بمِثقال ذرة من الشر، لكمال عجزهم وعجزها، وكمال قوة الله واقتداره، وقوة من احتمى بجلاله وتوكل عليه.
وتقربوا لها بأنواع العبادات؟ فإذا عرف هذا، عرف أن المشركين وآلهتهم التي عبدوها، لو اجتمعوا، وأرادوا أن يكيدوا من تولاه فاطر الأرض والسماوات، متولي
فإذا رأيتها قلت: هذه حية، فإذا تأملتُها عرفت أنها جمادات لا حراك بها، ولا حياة، فبأي رأي اتخذها المشركون آلهة مع الله؟ ولأي مصلحة أو نفع عكفوا عندها
صور لا حياة فيها، فتراهم ينظرون إليك، وهم لا يبصرون حقيقة، لأنهم صوروها على صور الحيوانات من الأدميين أو غيرهم، وجعلوا لها أبصاراً وأعضاء،
فلو دعوتها إلى الهدى لم تهتد، وهي

يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذ، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصله، ومن ظلمك فاعدل فيه. 199
أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن
كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة،
العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتشرح له صدورهم. وأمر بالعرف أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق
من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص
فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر
هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم،

كما قال تعالى: وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين يتذكرون به الصراط المستقيم، وأعماله الظاهرة والباطنة، وما يحول بين العبد، وبين سلوكه. 2
ولتصدع بأوامره ونواهيه، ولا تخش لائماً ومعارضاً. لتتذكر به الخلق، فتعظمهم وتذكرهم، فتقوم الحجة على المعاندين. و ليكون ذكرى للمؤمنين
أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأنه أصدق الكلام فليشرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك،
حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، محكما مفصلا فلا يكن في صدرك حرج منه أي: ضيق وشك واشتباه، بل لتعلم
يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مبينا له عظمة القرآن: كتاب أنزل إليك أي: كتاب جليل

إلا أن تكونا ملكين أي: من جنس الملائكة أو تكونا من الخالدين كما قال في الآية الأخرى: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى 20
فلم يبالا ممتثلين لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
لما تقول. عليم بنيتك وضعفك، وقوة التجاؤك له، فسيحملك من فتنته، وبقيك من وسوسته، كما قال تعالى: قل أعوذ برب الناس إلى آخر السورة. 200
من الشيطان نزغ أي: تحس منه بوسوسة، وتبسط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه. فاستعذ بالله أي: التجأ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه سميع
أي: أي وقت، وفي أي حال ينزغك

فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه. 201
الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب تذكر من أي باب أتى، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان،
لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطا ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسّه طائف من
ولما كان العبد

بعد ذنب، ولا يقصرون عن ذلك، فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء، لأنها طمعت فيهم، حين رأته سلسي القياد لها، وهم لا يقصرون عن فعل الشر. 202
وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنبا

له من الضلال ورحمة له من الشقاء، فالمؤمن مهتد بالقرآن، متبع له، سعيد في دنياه وأخراه. وأما من لم يؤمن به، فإنه ضال شقي، في الدنيا والآخرة. 203
أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه قامت الحجة على كل من بلغه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، وإلا فمن آمن، فهو هدى
هذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم بصائر من ربكم يستبصر به في جميع المطالب الإلهية والمقاصد الإنسانية، وهو الدليل والمدلول فمن تفكر فيه وتدبره، علم
ينزل الآيات ويرسلها على حسب ما اقتضاه حمده، وطلبته حكمته البالغة، فإن أردتم آية لا تضمحل على تعاقب الأوقات، وحجة لا تبطل في جميع الآتات، ف
ولم يعلموا أنه ليس لك من الأمر شيء، أو أن المعنى: لولا اخترعتها من نفسك. قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي فأنا عبد متبع مدبر، والله تعالى هو الذي
الاقتراح التي يعينونها قالوا لولا اجتبيتها أي: هلا اخترت الآية، فصارت الآية الفلانية، أو المعجزة الفلانية كأنك أنت المنزل للآيات، المدبر لجميع المخلوقات،
لك في تعنت وعناد، ولو جاءتهم الآيات الدالة على الهدى والرشاد، فإذا جنتهم بشيء من الآيات الدالة على صدقك لم ينقادوا. وإذا لم تأتهم بآية من آيات
أي لا يزال هؤلاء المكذبون

في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة، وغيرها. 204
أن من تلي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاتته خير كثير. ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت

تفسير السعدي

كتاب الله، فإنه ينال خيرا كثيرا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهديًا متزايدًا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر يترك

ساكنًا، وتواطئ عليه قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه. 205 وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر الله أثناء الليل والنهار، خصوصًا طرفي النهار، مخلصًا خاشعًا متضرعًا، متذللاً أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به، بين ذلك سبيلًا. بالغدو أول النهار والأصل آخره، وهذان الوقتان لذكر الله فيهما مزية وفضيلة على غيرهما. ولا تكن من الغافلين الذين نسوا الله فأنساهم علامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به. ودون الجهر من القول أي: كن متوسطًا، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ أي: مخلصًا خاليًا. متضرعًا أي: متضرعًا بلسانك، مكررا لأنواع الذكر، وخيفة في قلبك بأن تكون خائفًا من الله، وجل القلب منه، خوفًا أن يكون عملك غير مقبول، الذكر لله تعالى يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر الله عبده ورسوله محمدًا أصلًا وغيره تبعًا، بذكر ربه في نفسه، الكرام، وليداوموا على عبادة الملك العلام. تم تفسير سورة الأعراف ولله الحمد والشكر والثناء. صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. 206

لا يستكبرون عن عبادته بل يدعنون لها وينقادون لأوامر ربهم ويسبحونه الليل والنهار لا يفترون. وله وحده لا شريك له يسجدون فليقتد العباد بهؤلاء الملائكة ما عملتم، فقال: إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون إن الذين عند ربك من الملائكة المقربين، وحمة العرش والكروبيين. لخدمته وهم الملائكة، فلتعلموا أن الله لا يريد أن يتكثر بعبادتك من قلة، ولا ليتعزز بها من ذلة، وإنما يريد نفع أنفسكم، وأن تربحوا عليه أضعاف أضعاف ثم ذكر تعالى أن له عبادًا مستديمين لعبادته، ملازمين

أقسم لهما بالله إني لكما لمن الناصحين أي: من جملة الناصحين حيث قلت لكما ما قلت، فاعترا بذلك، وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل. 21 ومع قوله هذا

وهما بتلك الحال موبخا ومعاتبًا: ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين فلم اقترفتما المنهي، وأطعتما عدوكما؟ 22 اللباس الظاهر، حتى انخل فظهرت عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما خجلا وجعلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك. وناداهما ربهما على أكلها. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما أي: ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعرى الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في فدلها أي: نزلها عن رتبتهما العالية، التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بأوضاعها، فأقدا

إذا صدرت منه الذنوب اجتباها ربه وهده. ومن أشبه إبليس إذا صدر منه الذنب، لا يزال يزداد من المعاصي فإنه لا يزداد من الله إلا بعدا. 23 ربه فغوى ثم اجتباها ربه فتأب عليه وهدي هذا وإبليس مستمر على طغيانه، غير مقلع عن عصيانه، فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع وقد فعلنا سبب الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافة من أمثال هذه الخطايا. فغفر الله لهما ذلك وعصى آدم من الله مغفرته فقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أي: قد فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وضربنا بأنفسنا باقتراف الذنب، فحينئذ، من الله عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا بالذنب، وسألا

إذا صدرت منه الذنوب اجتباها ربه وهده. ومن أشبه إبليس إذا صدر منه الذنب، لا يزال يزداد من المعاصي فإنه لا يزداد من الله إلا بعدا. 24 ربه فغوى ثم اجتباها ربه فتأب عليه وهدي هذا وإبليس مستمر على طغيانه، غير مقلع عن عصيانه، فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع وقد فعلنا سبب الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافة من أمثال هذه الخطايا. فغفر الله لهما ذلك وعصى آدم من الله مغفرته فقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أي: قد فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وضربنا بأنفسنا باقتراف الذنب، فحينئذ، من الله عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا بالذنب، وسألا

وينزل عليهم كتبه، حتى يأتيهم الموت، فيدفنون فيها، ثم إذا استكملوا بعثهم الله وأخرجهم منها إلى الدار التي هي الدار حقيقة، التي هي دار المقامة. 25 إلى الأرض، أخبرهما بحال إقامتهم فيها، وأنه جعل لهم فيها حياة يتلوها الموت، مشحونة بالامتحان والابتلاء، وأنهم لا يزالون فيها، يرسل إليهم رسله، أي: لما أهبط الله آدم وزوجته وذريتهما

ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون أي: ذلك المذكور لكم من اللباس، مما تذكرون به ما ينفعكم ويضركم وتشبهون باللباس الظاهر على الباطن. 26 تنكشف عورته الظاهرة، التي لا يضره كشفها، مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تنكشف عورته الباطنة، وينال الخزي والفضيحة. وقوله: اللباس الظاهري، فغايتة أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأوقات، أو يكون جمالا للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع. وأيضا، فبتقدير عدم هذا اللباس، وطاعته، ولهذا قال: ولباس التقوى ذلك خير من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح. وأما والمراكب، والمناكب ونحوها، قد يسر الله للعباد ضروريها، ومكمل ذلك، وبين لهم أن هذا ليس مقصودا بالذات، وإنما أنزله الله ليكون معونة لهم على عبادته ثم امتن عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب

تفسير السعدي

الولاية بين الإنسان والشیطان. إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون 27 على الدوام، و يراكم هو وقبيله من شياطين الجن من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون فعدم الإيمان هو الموجب لعقد إن استطاع، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالك، وأن تلبسوا لأمة الحرب بينكم وبينه، وأن لا تغفلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم. ف إنه يراقبكم فيه، فتتقادون له كما أخرج أبويكم من الجنة وأنزلهما من المحل العالي إلى أنزل منه، فأنتم يريد أن يفعل بكم كذلك، ولا يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم، يقول تعالى، محذرا لبني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان بأن يزين لكم العصيان، ويدعوكم إليه، ويرغبكم وحكمته أن يأمر عباده بتعاطي الفواحش لا هذا الذي يفعله المشركون ولا غيره أتقولون على الله ما لا تعلمون وأي: افتراء أعظم من هذا 28 عليها آباءنا وصدقوا في هذا. والله أمرنا بها وكذبوا في هذا، ولهذا رد الله عليهم هذه النسبة فقال: قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أي: لا يليق بكما له الذين يفعلون الذنوب، وينسبون أن الله أمرهم بها. وإذا فعلوا فاحشة وهي: كل ما يستفحش ويستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة قالوا وجدنا يقول تعالى مبينا لقبح حال المشركين

دعائكم سوى عبودية الله ورضاه. كما بدأكم أول مرة تعودون للبعث، فالقادر على بدء خلقكم، قادر على إعادته، بل الإعادة، أهون من البداية. 29 مخلصين له الدين أي: قاصدين بذلك وجهه وحده لا شريك له. والدعاء يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة، أي: لا تراءوا ولا تقصدوا من الأغراض في عند كل مسجد أي: توجهوا لله، واجتهدوا في تكميل العبادات، خصوصا الصلاة أقيموها، ظاهرا وباطنا، ونقوها من كل نقص ومفسد. وادعوه ثم ذكر ما يأمر به، فقال: قل أمر ربي بالقسط أي: بالعدل في العبادات والمعاملات، لا بالظلم والجور. وأقيموا وجوهكم تتولونهم، وتتبعون أهواءهم، وتتركون لأجلها الحق. قليلا ما تذكرون فلو تذكروا وعرفتكم المصلحة، لما آتاكم الضار على النافع، والعدو على الولي. 30 فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي، إن اتبعتموه، كملت تربيتكم، وتمت عليكم النعمة، وهديتكم لأحسن الأعمال والأخلاق ومعاليها ولا تتبعوا من دونه أولياء أي: الله العباد، وألفتهم إلى الكتاب فقال: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم أي: الكتاب الذي أريد إنزاله لأجلكم، وهو: من ربكم الذي يريد أن يتم تربيته لكم، ثم خاطب

لنفسه بالضلال، وأن من حسب أنه مهتد وهو ضال، أنه لا عذر له، لأنه متمكن من الهدى، وإنما أتاه حسبانته من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى. 30 وأنه لا يأمر إلا بالعدل والإخلاص، وفيه دليل على أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذا تولى بجهله وظلمه الشيطان، وتسبب والحق باطلا، وفي هذه الآيات دليل على أن الأوامر والنواهي تابعة للحكمة والمصلحة، حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتكره العقول، لهم النصيب الوافر من الخذلان، ووكلا إلى أنفسهم فخسروا أشد الخسران. وهم يحسبون أنهم مهتدون لأنهم انقلبت عليهم الحقائق، فظنوا الباطل حقا أولياء من دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا فحين انسلخوا من ولاية الرحمن، واستحبوا ولاية الشيطان، حصل وصرف عنهم موانعها. وفريقا حق عليهم الضلالة أي: وجبت عليهم الضلالة بما تسببوا لأنفسهم وعملا بأسباب الغواية. ف إنهم اتخذوا الشياطين فريقا منكم هدى الله، أي: وفقهم للهداية، ويسر لهم أسبابها،

أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما. 31 في المآكل والمشرب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام. إنه لا يحب المفسرين فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته، حتى إنه ربما ولا تسرفوا في ذلك، والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الأنداس والأنجاس. ثم قال: وكلوا واشربوا أي: مما رزقكم الله من الطيبات فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها. ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا يقول تعالى بعد ما أنزل على بني آدم لباسا يوارى سوءاتهم وريشا: يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فصل الآيات أي: نوضحها ونبينها لقوم يعلمون لأنهم الذين ينتفعون بما فصله الله من الآيات، ويعلمون أنها من عند الله، فيعقلونها ويفهمونها. 32 أن من لم يؤمن بالله، بل استعان بها على معاصيه، فإنها غير خالصة له ولا مباحة، بل يعاقب عليها وعلى التمتع بها، ويسأل عن النعيم يوم القيامة. كذلك به على عبادته، فلم يبيحه إلا لعباده المؤمنين، ولهذا قال: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة أي: لا تبعة عليهم فيها. ومفهوم الآية الذي يقدم على تحريم ما أنعم الله بها على العباد، ومن ذا الذي يضيع عليهم ما وسعه الله؟ وهذا التوسيع من الله لعباده بالطيبات، جعله لهم ليستعينوا قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه، والطيبات من الرزق، من مأكلا ومشربا بجميع أنواعه، أي: من هذا يقول تعالى منكرا على من تعنت، وحرم ما أحل الله من الطيبات

العباد عن تعاطيها، لما فيها من المفسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجري على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه. 33 الشرك الأصغر كالرياء والحلف بغير الله، ونحو ذلك. وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرمها الله، ونهى بالله ما لم ينزل به سلطانا أي: حجة، بل أنزل الحجة والبرهان على التوحيد. والشرك هو أن يشرك مع الله في عبادته أحد من الخلق، وربما دخل في هذا العقوبة في حقوق الله، والبغى على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فدخل في هذا الذنوب المتعلقة بحق الله، والمتعلقة بحق العباد. وأن تشركوا

تفسير السعدي

- تتعلق بحركات البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب، كالكبر والعجب والرياء والنفاق، ونحو ذلك، والإثم والبغي بغير الحق أي: الذنوب التي تؤثم وتوجب الفواحش أي: الذنوب الكبار التي تستفحش وتستقبح لشناعتها وقبحها، وذلك كالزنا واللواط ونحوهما. وقوله: ما ظهر منها وما بطن أي: الفواحش التي ثم ذكر المحرمات التي حرمها الله في كل شريعة من الشرائع فقال: قل إنما حرم ربي
- الله بني آدم إلى الأرض، وأسكنهم فيها، وجعل لهم أجلا مسمى لا تتقدم أمة من الأمم على وقتها المسمى، ولا تتأخر، لا الأمم المجتمعة ولا أفرادها. 34 أي: وقد أخرج
- عليهم من الشر الذي قد يخافه غيرهم ولا هم يحزنون على ما مضى، وإذا انتفى الخوف والحزن حصل الأمن التام، والسعادة، والفلاح الأبدي. 35 استجاب لهم، وخسار من لم يستجب لهم فقال: فمن اتقى ما حرم الله، من الشرك والكبائر والصغائر، وأصلح أعماله الظاهرة والباطنة فلا خوف لما أخرج الله بني آدم من الجنة، ابتلاهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم يقصون عليهم آيات الله ويبينون لهم أحكامه، ثم ذكر فضل من بها قلوبهم، ولا انقادت لها جوارحهم، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون كما استهانوا بآياته، ولأزموا التكذيب بها، أهينوا بالعذاب الدائم الملازم. 36 والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أي: لا أمنت
- عنا أي: اضمحلوا وبطلوا، وليسوا مغنين عنا من عذاب الله من شيء. وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين مستحقين للعذاب المهيمن الدائم. 37 الحالة توبيخا وعتابا أين ما كنتم تدعون من دون الله من الأصنام والأوثان، فقد جاء وقت الحاجة إن كان فيها منفعة لكم أو دفع مضر. قالوا ضلوا شيئا، يتمتعون قليلا، ثم يعذبون طويلا، حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي: الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واستيفاء آجالهم. قالوا لهم في تلك المبينة للحق المبين، الهادية إلى الصراط المستقيم، هؤلاء وإن تمتعوا بالدنيا، ونالهم نصيبهم مما كان مكتوبا لهم في اللوح المحفوظ، فليس ذلك بمغن عنهم أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك له، أو النقص له، أو الثقل عليه ما لم يقل، أو كذب بآياته الواضحة
- عذابا ضعفا من النار أي: عذبهم عذابا مضاعفا لأنهم أضلوا، وزينوا لنا الأعمال الخبيثة. قال الله لكل منكم ضعف ونصيب من العذاب. 38 والمقلدين الاتباع. قالت أخرهم أي: متأخروهم، المتبعون للرؤساء لأولاهم أي: لرؤسائهم، شاكين إلى الله إضلالهم إياهم: ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا حتى إذا ادركوا فيها جميعا أي: اجتمع في النار جميع أهلها، من الأولين والآخرين، والقادة والرؤساء على ما مضيت عليهم من الكفر والاستكبار، فاستحق الجميع الخزي والبوار، كلما دخلت أمة من الأمم العاتية النار لعنت أختها كما قال تعالى: ويوم فقالت لهم الملائكة ادخلوا في أمم أي: في جملة أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس أي: مضوا
- كانوا متفاوتين في مقداره، بحسب أعمالهم وعنادهم وظلمهم وافترائهم، وأن مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعة. 39 فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذه الآيات ونحوها، دلت على أن سائر أنواع المكذبين بآيات الله، مخلدون في العذاب، مشتركون فيه وفي أصله، وإن الضلال أبلغ وأشنع من عذاب الاتباع، كما أن نعيم أئمة الهدى ورؤسائه أعظم من ثواب الاتباع، قال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا جميعا في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب، فأبي: فضل لكم علينا؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ولكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء وأئمة أي: الرؤساء، قالوا لأتباعهم: فما كان لكم علينا من فضل أي: قد اشتركنا
- على قلوبهم. فحين جاءهم العذاب لم يدفعوه عن أنفسهم، ولا أغنت عنهم آلهتهم التي كانوا يرجونهم، ولا أنكروا ما كانوا يفعلونه من الظلم والمعاصي. 40 فقال: وكمن من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا أي: عذابنا الشديد بياتا أو هم قائلون أي: في حين غفلتهم، وعلى غرتهم غافلون، لم يخطر الهلاك ثم حذرهم عقوباته للأمم الذين كذبوا ما جاءتهم به رسلهم، لئلا يشابهوهم
- تعالى: إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وقال هنا وكذلك نجزي المجرمين أي: الذين كثر إصرارهم واشتد طغيانهم. 40 أضييق الأشياء، وهذا من باب تعليق الشيء بالمحال، أي: فكما أنه محال دخول الجمل في سم الخياط، فكذلك المكذبون بآيات الله محال دخولهم الجنة، قال الجنة حتى يلج الجمل وهو البعير المعروف في سم الخياط أي: حتى يدخل البعير الذي هو من أكبر الحيوانات جسما، في خرق الإبرة، الذي هو من لها أبواب السماء حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله من العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربها والحظوة برضوانه. وقوله عن أهل النار ولا يدخلون بالله ومعرفته ومحبته كذلك لا تصعد بعد الموت، فإن الجزء من جنس العمل. ومفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر الله المصدقين بآياته، تفتح أنهم آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا وصعدت تريد العروج إلى الله، فتستأذن فلا يؤذن لها، كما لم تصعد في الدنيا إلى الإيمان يخبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته فلم يؤمن بها، مع أنها آيات بينات، واستكبر عنها فلم ينقد لأحكامها، بل كذب وتولى،
- أي: فراش من تحتهم ومن فوقهم غواش أي: ظلل من العذاب، تغشاهم. وكذلك نجزي الظالمين لأنفسهم، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد. 41 لهم من جهنم مهاد
- خالدون أي: لا يحولون عنها ولا يبيغون بها بدلا، لأنهم يرون فيها من أنواع اللذات وأصناف المشتبهات ما تقف عنده الغايات، ولا يطلب أعلى منه. 42 حرج فاتقوا الله ما استطعتم فلا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة. أولئك أي: المتصفون بالإيمان والعمل الصالح أصحاب الجنة هم فيها التي يقدر عليها غيرها سقطت عنها كما قال تعالى: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ما جعل عليكم في الدين من

تفسير السعدي

- نفسا إلا وسعها أي: بمقدار ما تسعه طاقتها، ولا يعسر على قدرتها، فعليها في هذه الحال أن تتقي الله بحسب استطاعتها، وإذا عجزت عن بعض الواجبات ولما كان قوله: وعملوا الصالحات لفظا عاما يشمل جميع الصالحات الواجبة والمستحبة، وقد يكون بعضها غير مقدور للعبد، قال تعالى: لا تكلف أمنا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، فجمعوا بين الإيمان والعمل، بين الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، بين فعل الواجبات وترك المحرمات، لما ذكر الله تعالى عقاب العاصين الظالمين، ذكر ثواب المطيعين فقال: والذين
- أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته. 43 أن تكلم الجنة أورثتموها أي: كنتم الوارثين لها، وصارت إقطاعا لكم، إذ كان إقطاع الكفار النار، أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعض السلف: قالوا لقد تحققنا، ورأينا ما وعدتنا به الرسل، وأن جميع ما جاءوا به حق اليقين، لا مرية فيه ولا إشكال، ونودوا تهنئة لهم، وإكراما، وتحية واحتراما، واتباع رسله. لقد جاءت رسل ربنا بالحق أي: حين كانوا يتمتعون بالنعيم الذي أخبرت به الرسل، وصار حق يقين لهم بعد أن كان علم يقين لهم، الظاهرة والباطنة ما لا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله أي: ليس في نفوسنا قابلية للهدى، لولا أنه تعالى من بهدايته للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ الله علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم، الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم لها حد محدود و لهذا لما رأوا ما أنعم الله عليهم وأكرمهم به وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا بأن من علينا وأوحى إلى قلوبنا، فأمنت به، وانقادت إن شاءوا في خلال القصور، أو في تلك الغرف العاليات، أو في رياض الجنات، من تحت تلك الحدائق الزاهرات. أنهار تجري في غير أخدود، وخيرات ليس النعيم نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه. وقوله: تجري من تحتهم الأنهار أي: يفجرونها تفجيرا، حيث شاءوا، وأين أرادوا، ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من الجنة، أن الغل الذي كان موجودا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانا متحابين، وأخلاء متصافين. قال تعالى: ونزعنا ونزعنا ما في صدورهم من غل وهذا من كرمه وإحسانه على أهل
- كل خير على الظالمين إذ فتح الله لهم أبواب رحمته، فصدفوا أنفسهم عنها ظلما، وصدوا عن سبيل الله بأنفسهم، وصدوا غيرهم، فضلوا وأضلوا. 44 من الخير، وأقروا على أنفسهم بأنهم مستحقون للعذاب. فأذن مؤذن بينهم أي: بين أهل النار وأهل الجنة، بأن قال: أن لعنة الله أي: بعده وإقصاؤه عن لا شك فيه، صدق وعد الله، ومن أصدق من الله قيلا، وذهبت عنهم الشكوك والشبه، وصار الأمر حق اليقين، وفرح المؤمنون بوعد الله واغتبطوا، وأيس الكفار الصالح الجنة فأدخلناها وأرأنا ما وصفه لنا فهل وجدتم ما وعد ربكم على الكفر والمعاصي حقا قالوا نعم قد وجدناه حقا، فبين للخلق كلهم، بيانا الرسل ونطقت به الكتب من الثواب والعقاب: أن أهل الجنة نادوا أصحاب النار بأن قالوا: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حين وعدنا على الإيمان والعمل يقول تعالى لما ذكر استقرار كل من الفريقين في الدارين، ووجدوا ما أخبرت به
- إيمانهم بالبعث، وعدم خوفهم من العقاب ورجائهم للثواب، ومفهوم هذا النداء أن رحمة الله على المؤمنين، وبره شامل لهم، وإحسانه متواتر عليهم. 45 عوجا منحرفة صادة عن سواء السبيل، وهم بالآخرة كافرون وهذا الذي أوجب لهم الانحراف عن الصراط، والإقبال على شهوات النفوس المحرمة، عدم وصدوا عن سبيل الله بأنفسهم، وصدوا غيرهم، فضلوا وأضلوا. والله تعالى يريد أن تكون مستقيمة، ويعتدل سير السالكين إليه، و هؤلاء يريدونها أن لعنة الله أي: بعده وإقصاؤه عن كل خير على الظالمين إذ فتح الله لهم أبواب رحمته، فصدفوا أنفسهم عنها ظلما،
- ويسلمون عليهم، وهم إلى الآن لم يدخلوا الجنة، ولكنهم يطمعون في دخولها، ولم يجعل الله الطمع في قلوبهم إلا لما يريد بهم من كرامته. 46 يعرفون كلا من أهل الجنة والنار بسيماهم، أي: علاماتهم، التي بها يعرفون ويميزون، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم أن سلام عليكم أي: يحيونهم الجنة وأصحاب النار حجاب يقال له: الأعراف لا من الجنة ولا من النار، يشرف على الدارين، وينظر من عليه حال الفريقين، وعلى هذا الحجاب رجال أي: وبين أصحاب
- معهم في الجنة، ويحيونهم ويسلمون عليهم، وعند انصراف أبصارهم بغير اختيارهم لأهل النار، يستجرون بالله من حالهم هذا على وجه العموم. 47 تلقاء أصحاب النار ورأوا منظرا شنيعا، وهولا فظيلا قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فأهل الجنة إذا رآهم أهل الأعراف يطمعون أن يكونوا وإذا صرفت أبصارهم
- به إلى مطالبكم في الدنيا، فاليوم اضمحل، ولا أغني عنكم شيئا، وكذلك، أي شيء نفعمكم استكباركم على الحق وعلى من جاء به وعلى من اتبعه. 48 فقال لهم أصحاب الأعراف، حين رأوهم منفردين في العذاب، بلا ناصر ولا مغيث: ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا، الذي تستدفعون به المكارة، وتتسلون الخصوص بعد العموم فقال: نادى أصحاب الأعراف رجلا يعرفونهم بسيماهم وهم من أهل النار، وقد كانوا في الدنيا لهم أبهة وشرف، وأموال وأولاد، ثم ذكر
- فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه، ورحمته وسعت كل شيء. 49 من هم أصحاب الأعراف، وما أعمالهم؟ والصحيح من ذلك، أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار، ولا رجحت حسناتهم الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون إلى أن قال فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون واختلف أهل العلم والمفسرون،

تفسير السعدي

عليكم فيما يستقبل من المكارة ولا أنتم تحزنون على ما مضى، بل آمنون مطمئنون فرحون بكل خير. وهذا كقوله تعالى: إن الذين أجرموا كانوا من لكم من الله ما لم يكن لكم في حساب، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، أي: قيل لهؤلاء الضعفاء إكراما واحتراما: ادخلوا الجنة بأعمالكم الصالحة لا خوف لأهل النار: أهؤلاء الذين أدخلهم الله الجنة الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة احتقاراً لهم وازدراء وإعجاباً بأنفسكم، قد حنثتم في أيما نكم، وبدا ثم أشاروا لهم إلى أناس من أهل الجنة كانوا في الدنيا فقراء ضعفاء يستهزئ بهم أهل النار، فقالوا

لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين 5
بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين كما قال تعالى: وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون فما كان دعواهم إذ جاءهم

وطعامها على الكافرين وذلك جزاء لهم على كفرهم بآيات الله، واتخاذهم دينهم الذي أمروا أن يستقيموا عليه، ووعدوا بالجزاء الجزيل عليه. 50
الموجع، يستغيثون بهم، فيقولون: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله من الطعام، فأجابهم أهل الجنة بقولهم: إن الله حرهما أي: ماء الجنة أي: ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة، حين يبلغ منهم العذاب كل مبلغ، وحين يمسه الجوع المفرط والظلم

فكانهم لم يخلقوا إلا للدنيا، وليس أمامهم عرض ولا جزاء. وما كانوا بآياتنا يجحدون والحال أن جحودهم هذا، لا عن قصور في آيات الله وبيناته. 51
وكثرة دعائها، فاطمأنوا إليها ورضوا بها وفرحوا، وأعرضوا عن الآخرة ونسوها. فاليوم ننساهم أي: نتركهم في العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سخرياً، أو أنهم جعلوا بدل دينهم اللهو واللعب، واستعاضوا بذلك عن الدين القيم. وغرته الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها لهوا ولعباً أي: لهت قلوبهم

الذين حق عليهم العذاب، لم يؤمنوا بهذا الكتاب العظيم، ولا انقادوا لأوامره ونواهيه، فلم يبق فيهم حيلة إلا استحقاقهم أن يحل بهم ما أخبر به القرآن. 52
وبيان الحق والباطل، والغي والرشد، ويحصل أيضاً لهم به الرحمة، وهي: الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فينتفى عنهم بذلك الضلال والشقاء. وهؤلاء مناسب، بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء. هدى ورحمة لقوم يؤمنون أي: تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال، من الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمر، فتجعله بعض الأحوال، فيحكم حكماً غير بل قد جئناهم بكتاب فصلناه أي: بينا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق على علم

في الدنيا مما تمنىهم أنفسهم به، ويعدهم به الشيطان، قدموا على ما لم يكن لهم في حساب، وتبين لهم باطلهم وضلالهم، وصدق ما جاءتهم به الرسل 53
فوتوها الأرباح، وسلخوا بها سبيل الهلاك، وليس ذلك كخسران الأموال والأثاث أو الأولاد، إنما هذا خسران لا جبران لمصابه، وضل عنهم ما كانوا يفترون الدنيا، ليعملوا غير عملهم كذب منهم، مقصودهم به، دفع ما حل بهم، قال تعالى: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون قد خسروا أنفسهم حين فيشفعوا لنا أو نرد إلى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل وقد فات الوقت عن الرجوع إلى الدنيا. فما تنفعهم شفاعة الشافعين وسؤالهم الرجوع إلى من قبل متندمين متأسفين على ما مضى منهم، متشفعين في مغفرة ذنوبهم. مقرين بما أخبرت به الرسل: قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفاعات ينظرون إلا تأويله أي: وقوع ما أخبر به كما قال يوسف عليه السلام حين وقعت رؤياه: هذا تأويل رؤياي من قبل يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه ولهذا قال: هل

ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين 54
تبارك الله رب العالمين ولما ذكر من عظمتهم وجلاله ما يدل ذوي الأبواب على أنه وحده، المعبود المقصود في الحوائج كلها أمر بما يترتب على ذلك، فقال: وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمته وأوصافه وكماله، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته، ولهذا قال: ف أحكامه الكونية القدريّة، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء، تبارك الله أي: عظم وتعالى وكثر خيره الخلق والأمر أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوت، فالخلق: يتضمن حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ألا له أي: بتسخيره وتدبيره، الدال على ما له من أوصاف الكمال، فخلقها وعظمها دال على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال جاء النهار ذهب الليل، وهكذا أبداً على الدوام، حتى يطوي الله هذا العالم، وينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار. والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وتأوى المخلوقات إلى مساكنها، ويستريحون من التعب، والذهاب والإياب الذي حصل لهم في النهار. يطلبه حثيثاً كلما جاء الليل ذهب النهار، وكلما وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، ولهذا قال: يغشي الليل المظلم النهار المضى، فيظلم ما على وجه الأرض، ويسكن الآدميون، الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاها وأودع فيهما من أمره ما أودع استوى تبارك وتعالى على العرش العظيم أنه الرب المعبود وحده لا شريك له: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما على عظمتهما وسعتهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما. يقول تعالى مبيناً

تفسير السعدي

ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه. 55
في العبادة، وخفية أي: لا جهرا وعلانية، يخاف منه الرباء، بل خفية وإخلاصا لله تعالى. إنه لا يحب المعتدين أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور،
الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فأمر بدعائه تضرعا أي: إلحاحا في المسألة، ودعوا

إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحسانا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى. 56
في كل عبادة بذل الجهد فيها، وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولهذا قال: إن رحمة الله قريب من المحسنين في عبادة الله، المحسنين
وحده، لأن ذلك يتضمنه الخفية، وإخفاؤه وإسراره، وأن يكون القلب خائفا طامعا لا غافلا، ولا آمنا ولا غير مبال بالإجابة، وهذا من إحسان الدعاء، فإن الإحسان
من ردها، لا دعاء عبد مدل على ربه قد أعجبه نفسه، ونزل نفسه فوق منزلته، أو دعاء من هو غافل لاه. وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء: الإخلاص فيه لله
تصلح بها الأخلاق، والأعمال، والأرزاق، وأحوال الدنيا والآخرة. وادعوه خوفا وطمعا أي: خوفا من عقابه، وطمعا في ثوابه، طمعا في قبولها، وخوفا
إصلاحها بالطاعات، فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق، كما قال تعالى: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس كما أن الطاعات
ولا تفسدوا في الأرض بعمل المعاصي بعد

من باب العناد، وإنكار المحسوسات. وفي هذا الحث على التذكر والتفكير في آلاء الله والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال. 57
نخرج الموتى من قبورهم، بعد ما كانوا رفاتا متمزقين، وهذا استدلال واضح، فإنه لا فرق بين الأميين، فمنكر البعث استبعادا له مع أنه يرى ما هو نظيره
الثمرات فأصبحوا مستبشرين برحمة الله، راتعين بخير الله، وقوله: كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون أي: كما أحيينا الأرض بعد موتها بالنبات، كذلك
يبأسوا من رحمة الله، فأزلنا به أي: بذلك البلد الميت الماء الغزير من ذلك السحاب وسخر الله له ريحا تدره وتفركه بإذن الله. فأخرجنا به من كل
حتى إذا أقلت الرياح سحابا ثقالا قد أثاره بعضها، وألفه ريح أخرى، وألحقه ريح أخرى سقناه لبلد ميت قد كادت تهلك حيواناته، وكاد أهله أن
يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أي: الرياح المبشرات بالغيث، التي تثيره بإذن الله من الأرض، فيستبشر الخلق برحمة الله، وترتاح لها قلوبهم قبل نزوله.
يبين تعالى أثرا من آثار قدرته، ونفحة من نفحات رحمته فقال: وهو الذي

على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئا، وهذا كقوله تعالى: أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الآيات. 58
وحسن عنصرها. وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلا قابلا، بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالمطر الذي يمر
حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحيا، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنتب بحسب طيب أصلها،
من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيتلقونها مفتقرين إليها فرحين بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم، وهذا مثال للقلوب
يشكرون الله بالاعتراف بنعمه، والإقرار بها، وصرفها في مرضاة الله، فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية، لأنهم يرونها
لا يخرج إلا نكدا أي: إلا نباتا خاسا لا نفع فيه ولا بركة. كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم
الذي هو مستعد له بإذن ربه أي: بإرادة الله ومشيئته، فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك. والذي خبت من الأراضي
ثم ذكر تفاوت الأراضي، التي ينزل عليها المطر، فقال: والبلد الطيب أي: طيب التربة والمادة، إذا نزل عليه مطر يخرج نباته

والشقاء السرمدى، كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم، فلما قال لهم هذه المقالة، ردوا عليه أقبح رد. 59
لم يطيعوه عذاب الله، فقال: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وهذا من نصحه عليه الصلاة والسلام وشفقته عليهم، حيث خاف عليهم العذاب الأبدي،
يا قوم اعبدوا الله أي: وحده ما لكم من إله غيره لأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق مدبر، ليس له من الأمر شيء، ثم خوفهم إن
ومعتقد واحد، فقال عن نوح أول المرسلين: لقد أرسلنا نوحا إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، حين كانوا يعبدون الأوثان فقال لهم:
الداعين إلى توحيدهم مع أممهم المنكرين لذلك، وكيف أيد الله أهل التوحيد، وأهلك من عانداهم ولم ينقد لهم، وكيف اتفقت دعوة المرسلين على دين واحد
لما ذكر تعالى من أدلة توحيده جملة صالحة، أيد ذلك بذكر ما جرى للأنبياء

عما أجابوا به رسلهم، ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتكم المرسلين الآيات. ولنسأل المرسلين عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعما أجابتهم به أممهم. 6
وقوله: فلنسألن الذين أرسل إليهم أي: لنسألن الأمم الذين أرسل الله إليهم المرسلين،

له، بل استكبروا عن الانقياد له، وقدحوا فيه أعظم قدح، ونسبوه إلى الضلال، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالا مبينا واضحا لكل أحد. 60
المتبوعون الذين قد جرت العادة باستكبارهم على الحق، وعدم انقيادهم للرسول، إنا لنراك في ضلال مبين فلم يكفهم قبحهم الله أنهم لم ينقادوا
قال الملاء من قومه أي: الرؤساء الأغنياء

التربية، الذي من أعظم تربيته أن أرسل إلى عباده رسلا تأمرهم بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والعقائد الحسنة وتنهاهم عن أضرارها، ولهذا قال: 61
وأتمها، وهي هداية الرسالة التامة الكاملة، ولهذا قال: ولكني رسول من رب العالمين أي: ربي وربكم ورب جميع الخلق، الذي ربي جميع الخلق بأنواع
المسائل بوجه من الوجوه، وإنما أنا هاد مهتد، بل هدايته عليه الصلاة والسلام من جنس هداية إخوانه، أولي العزم من المرسلين، أعلى أنواع الهدايات وأكملها
وأعقل، فرد نوح عليهم ردا لطيفا، وترقق لهم لعلهم ينقادون له فقال: يا قوم ليس بي ضلالة يا قوم ليس بي ضلالة أي: لست ضالا في مسألة من

تفسير السعدي

السموات، وصرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات، فلولا أن لهم أذهانا تقوم بها حجة الله عليهم لحكم عليهم بأن المجانين أهدى منهم، بل هم أهدى منهم منطبق على قوم نوح، الذين جاءوا إلى أصنام قد صوروها ونحتوها بأيديهم، من الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئا، فنزلوها منزلة فاطر وهذا من أعظم أنواع المكابرة، التي لا تروج على أضعف الناس عقلا، وإنما هذا الوصف

وأوامره ونواهيته، على وجه النصيحة لكم والشفقة عليكم، وأعلم من الله ما لا تعلمون فالذي يتعين أن تطيعوني وتنقادوا لأمري إن كنتم تعلمون. 62 أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم أي: وظيفتي تبليغكم، ببيان توحيده

ترحمون أي: لينذركم العذاب الأليم، وتفعلوا الأسباب المنجية من استعمال تقوى الله ظاهرا وباطنا، وبذلك تحصل عليهم وتنزل رحمة الله الواسعة. 63 رجل منكم، تعرفون حقيقته وصدقه وحاله؟ فهذه الحال من عناية الله بكم وبره وإحسانه الذي يتلقى بالقبول والشكر، وقوله: لينذركم ولتتقوا ولعلكم أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم أي: كيف تعجبون من حالة لا ينبغي العجب منها، وهو أن جاءكم التذكير والموعظة والنصيحة، على يد

عمين عن الهدى، أبصروا الحق، وأراهم الله على يد نوح من الآيات البينات، ما بهم يؤمن أولوا الأبواب، فسخرها منه، واستهزؤا به وكفروا. 64 إليه أن يحمل من كل صنف من الحيوانات، زوجين اثنين وأهله ومن آمن معه، فحملهم فيها ونجاهم الله بها. وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما فلم يفد فيهم، ولا نجح فكذبوه فأنجيناهم والذين معه في الفلك أي: السفينة التي أمر الله نوحا عليه الصلاة والسلام بصنعها، وأوحى

الأرض. ف قال لهم: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون سخطه وعذابه، إن أقمتهم على ما أنتم عليه، فلم يستجيبوا ولا انقادوا. 65 أرسلنا إلى عاد الأولى، الذين كانوا في أرض اليمن أخاهم في النسب هودا عليه السلام، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك والطغيان في

أي: و

العبادة في غير موضعها، فعبد من لا يغني عنه شيئا من الأشجار والأحجار؟ وأي: كذب أبلغ من كذب من نسب هذه الأمور إلى الله تعالى؟ 66 السفهاء حقا الكاذبون. وأي سفه أعظم ممن قابل أحق الحق بالرد والإنكار، وتكبر عن الانقياد للمرشدين والنصحاء، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد، ووضع على ظننا أنك من جملة الكاذبين، وقد انقلبت عليهم الحقيقة، واستحكم عماهم حيث رموا نبيهم عليه السلام بما هم متصفون به، وهو أبعد الناس عنه، فإنهم قال الملاء الذين كفروا من قومه رادين لدعوته، قادحين في رأيه: إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين أي: ما نراك إلا سفيها غير رشيد، ويغلب

ف

الرشيد، ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول والانقياد وطاعة رب العباد. 67 قال يا قوم ليس بي سفاهة بوجه من الوجوه، بل هو الرسول المرشد

الرشيد، ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول والانقياد وطاعة رب العباد. 68 قال يا قوم ليس بي سفاهة بوجه من الوجوه، بل هو الرسول المرشد

لهم وصف نفسه، وأنه ناصح أمين، وحذرهم أن يأخذهم الله كما أخذ من قبلهم، وذكرهم نعم الله عليهم وإدراج الأرزاق إليهم، فلم ينقادوا ولا استجابوا. 69 المتكررة لعلكم إذا ذكرتموها بشكرها وأداء حقها تفلحون أي: تفوزون بالمطلوب، وتنجون من المرهوب، فوعظهم وذكرهم، وأمرهم بالتوحيد، وذكر نعمة الله عليكم التي خصكم بها، وهي أن زادكم في الخلق بسطة في القوة وكبر الأجسام، وشدة البطش، فاذكروا آلاء الله أي: نعمه الواسعة، وأيايها الأمم الهالكة الذين كذبوا الرسل، فأهلكهم الله وأبقاكم، لينظر كيف تعملون، واحذروا أن تقيموا على التكذيب كما أقاموا، فيصيبكم ما أصابهم، و اذكروا لكم، فتعجبتم من ذلك تعجب المنكرين. واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي: واحمدوا ربكم واشكروه، إذ مكن لكم في الأرض، وجعلكم تخلفون لينذركم أي: كيف تعجبون من أمر لا يتعجب منه، وهو أن الله أرسل إليكم رجلا منكم تعرفون أمره، يذكركم بما فيه مصالحكم، ويحثكم على ما فيه النفع أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

كنا غائبين في وقت من الأوقات، كما قال تعالى: أحصاه الله ونسوه وقال تعالى: ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين 7

فلنقص عليهم أي: على الخلق كلهم ما عملوا بعلم منه تعالى لأعمالهم وما

ما دعت إليه الرسل من توحيد الله وحده لا شريك له، وكذبوا نبيهم، وقالوا: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين وهذا استفتاح منهم على أنفسهم 70 الذي هو أوجب الواجبات وأكمل الأمور، من الأمور التي لا يعارضون بها ما وجدوا عليه آباءهم، فقدموا ما عليه الآباء الضالون من الشرك وعبادة الأصنام، على ف قالوا متعجبين من دعوته، ومخبرين له أنهم من المحال أن يطيعوه: أجننتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا قبحهم الله، جعلوا الأمر

من العقاب، الذي وعدتكم به إني معكم من المنتظرين وفرق بين الانتظرين، انتظار من يخشى وقوع العقاب، ومن يرجو من الله النصر والثواب 71

ما من مطلوب ومقصود وخصوصا الأمور الكبار إلا وقد بين الله فيها من الحجج، ما يدل عليها، ومن السلطان، ما لا تخفى معه. فانتظروا ما يقع بكم لا شيء من الآلهة فيها، ولا مثقال ذرة و ما أنزل الله بها من سلطان فإنها لو كانت صحيحة لأنزل الله بها سلطانا، فعدم إنزاله له دليل على بطلانها، فإنه أسبابه، وحان وقت الهلاك. أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي: كيف تجادلون على أمور، لا حقائق لها، وعلى أصنام سميتوها آلهة، وهي

تفسير السعدي

فقال لهم هود عليه السلام: قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي: لا بد من وقوعه، فإنه قد انعقدت

لعاد قوم هود وقال هنا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين بوجه من الوجوه، بل وصفهم التكذيب والعناد، ونعتهم الكبر والفساد. 72 فلم ينقادوا لها، وأمروا بالإيمان فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك، والخزي والفضيحة. وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فأهلكوا فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت عليهم الحجج، سببا ينالون به رحمته فأنجاهم برحمته، وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي: استأصلناهم بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحدا، وسلط الله عليهم فأنجيناه أي: هودا والذين آمنوا معه برحمة منا فإنه الذي هداهم للإيمان، وجعل إيمانهم

صالح عليه السلام فذروها تأكل في أرض الله فلا عليكم من مؤنتها شيء، ولا تمسوها بسوء أي: بعقر أو غيره، فإخذكم عذاب أليم 73 كبيرة، وهي المعروفة بئر الناقة، يتناولونها هم والناقة، للناقة يوم تشربها ويشربون اللبن من ضرعها، ولهم يوم يردونها، وتصدر الناقة عنهم. وقال لهم نبهم شريفة فاضلة لإضافتها إلى الله تعالى إضافة تشريف، لكم فيها آية عظيمة. وقد ذكر وجه الآية في قوله: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكان عندهم بئر بينة من ربكم أي: خارق من خوارق العادات، التي لا تكون إلا آية سماوية لا يقدر الناس عليها، ثم فسرها بقوله: هذه ناقة الله لكم آية أي: هذه ناقة الله ما لكم من إله غيره دعوته عليه الصلاة والسلام من جنس دعوة إخوانه من المرسلين، الأمر بعبادة الله، وبيان أنه ليس للعباد إله غير الله، قد جاءكم من أرض الحجاز وجزيرة العرب، أرسل الله إليهم أخاهم صالحا نبيا يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، وينهاهم عن الشرك والتنديد، ف قال يا قوم اعبدوا أي و أرسلنا إلى ثمود القبيلة المعروفة الذين كانوا يسكنون الحجر وما حوله،

مفسدين أي: لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإن المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحشة بعدهم. 74 من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، فاذكروا آلاء الله أي: نعمه، وما خولكم من الفضل والرزق والقوة، ولا تعثوا في الأرض السهلة التي ليست بجبال، تتخذون فيها القصور العالية والأنبية الحصينة، وتحتون الجبال بيوتا كما هو مشاهد إلى الآن من أعمالهم التي في الجبال، من بعدهم، وبوأكم في الأرض أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون وتبتغون تتخذون من سهولها قصورا أي: من الأراضي واذكروا إذ جعلكم خلفاء في الأرض تتمتعون بها وتدركون مطالبكم من بعد عاد الذين أهلكهم الله، وجعلكم خلفاء

أن صالحا مرسل من ربه أي: أهو صادق أم كاذب؟ فقال المستضعفون: إنا بما أرسل به مؤمنون من توحيد الله والخبر عنه وأمره ونهيه. 75 من قومه أي: الرؤساء والأشراف الذين تكبروا عن الحق، للذين استضعفوا ولما كان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين، قالوا لمن آمن منهم أتعلمون قال الملاء الذين استكبروا

قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء. 76

بما فعلوا، بل مفتخرين بها: يا صالح اثنتا بما تعدنا إن كنت من الصادقين من العذاب فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب 77 من عتا عنه أذاقه العذاب الشديد. لا جرم أحل الله بهم من النكال ما لم يحل بغيرهم وقالوا مع هذه الأفعال متجربئين على الله، معجزين له، غير مباينين فعفروا الناقة التي توعدهم إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب أليم، وعتوا عن أمر ربهم أي: قسوا عنه، واستكبروا عن أمره الذي فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين على ركبهم، قد أبادهم الله، وقطع دابرهم. 78

الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما. 79 الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟ فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه. نعم لو صح شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يناقض كتاب نبهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم احمرار وجوههم، واصفرارها واسودادها من العذاب هل قال لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكرات، فإن صالحا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال. وكل هذا تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رعى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال وأطعتم كل شيطان رجيم. واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها إليكم، قد أبلغتكم به وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم. ولكن لا تحبون الناصحين بل رددتم قول النصحاء، أحل الله بهم العذاب، وقال مخاطبا لهم توبيخا وعتابا بعدما أهلكهم الله: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم أي: جميع ما أرسلني الله به فتولى عنهم صالح عليه السلام حين

كفة حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون أي: الناجون من المكروه، المدركون للمحبوب، الذين حصل لهم الريح العظيم، والسعادة الدائمة. 8

تفسير السعدي

- خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون أي: والوزن يوم القيامة يكون بالعدل والقسط، الذي لا جور فيه ولا ظلم بوجه. فمن ثقلت موازينه بأن رجحت ثم ذكر الجزاء على الأعمال، فقال: والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين ما سبقكم بها من أحد من العالمين فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعوها وابتكروها، وسنوها لمن بعدهم، من أشنع ما يكون أيضا. 80
- عن الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، فقال: أتأتون الفاحشة أي: الخصلة التي بلغت في العظم والشناعة إلى أن استغرقت أنواع الفحش، أي: و اذكر عبدنا لوطا عليه الصلاة والسلام، إذ أرسلناه إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده، وبنهاهم
- الأثتان والأخبار، التي يستحيي من ذكرها فضلا عن ملامستها وقربها، بل أنتم قوم مسرفون أي: متجاوزون لما حده الله متجرئون على محارمه. 81
- اللاتي خلقهن الله لكم، وفيهن المستمتع الموافق للشهوة والفطرة، وتقبلون على أذار الرجال، التي هي غاية ما يكون في الشناعة والخبث، ومحل تخرج منه ثم بينها بقوله: إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي: كيف تذرون النساء
- قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون أي: يتنزهون عن فعل الفاحشة. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . 82
- وما كان جواب
- إلا امرأته كانت من الغابرين أي: الباقيين المعذبين، أمره الله أن يسري بأهله ليلا، فإن العذاب مصبح قومه فسرى بهم، إلا امرأته أصابها ما أصابهم. 83
- فأنجيناه وأهله
- وأمطرنا عليهم مطرا أي: حجارة حارة شديدة، من سجل، وجعل الله عاليها سافلها، فانظر كيف كان عاقبة المجرمين الهلاك والخزي الدائم. 84
- لكم خير لكم إن كنتم مؤمنين فإن ترك المعاصي امتثالا لأمر الله وتقربا إليه خير، وأنفع للعبد من ارتكابها الموجب لسخط الجبار، وعذاب النار. 85
- والميزان، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم، وأن لا يعثوا في الأرض مفسدين، بالإكثار من عمل المعاصي، ولهذا قال: ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها أي: و أرسلنا إلى القبيلة المعروفة بمدين أخاهم في النسب شعيبا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويأمرهم بإيفاء المكيال
- في جموعهم إلا الشتات، ولا في ربوعهم إلا الوحشة والانبثات ولم يورثوا ذكرا حسنا، بل أتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة أشد خزيا وفضيحة. 86
- عليكم عدوا يجاتحكم ولا فرقمكم في الأرض، بل أنعم عليكم باجتماعكم، وإدراج الأرزاق وكثرة النسل. وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين فإنكم لا تجدون عليكم إذ كنتم قليلا فكثركم أي: نماكم بما أنعم عليكم من الزوجات والنسل، والصحة، وأنه ما ابتلاكم بوباء أو أمراض من الأمراض المقللة لكم، ولا سلب قطاع طريقها، الصادين الناس عنها، فإن هذا كفر لنعمة الله ومحادة لله، وجعل أقوم الطرق وأعدلها مائلة، وتشنعون على من سلكها. واذكروا نعمة الله للسبيل التي نصبها الله لعباده ليسلكوها إلى مرضاته ودار كرامته، ورحمهم بها أعظم رحمة، وتصدون لنصرتها والدعوة إليها والذب عنها، لا أن تكونوا أنتم أراد الاهتداء به وتبغونها عوجا أي: تبغون سبيل الله تكون معوجة، وتميلونها اتباعا لأهوائكم، وقد كان الواجب عليكم وعلى غيركم الاحترام والتعظيم
- تقعّدوا للناس بكل صراط أي: طريق من الطرق التي يكثر سلوكها، تحذرون الناس منها و توعدون من سلكها وتصدون عن سبيل الله من
- ولا
- أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا وهم الجمهور منهم. فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فينصر المحق، ويوقع العقوبة على المبطل. 87
- وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي
- ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطولنا، فإنما يدعى إليها من له نوع رغبة فيها، أما من يعلن بالنهي عنها، والتشجيع على من اتبعها فكيف يدعى إليها؟ 88
- هو ومن معه أحق به منهم. ف قال لهم شعيب عليه الصلاة والسلام متعجبا من قولهم: أو لو كنا كارهين أي: أتباعكم على دينكم وملتكم الباطلة، قريتنا. ف شعيب عليه الصلاة والسلام كان يدعوهم طامعا في إيمانهم، والآن لم يسلم من شرهم، حتى توعده إن لم يتابعهم بالجلاء عن وطنه، الذي ذمة ولا حقا، وإنما راعوا واتبعوا أهواءهم وعقولهم السفهية التي دلتهم على هذا القول الفاسد، فقالوا: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من المستضعفين: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا استعملوا قوتهم السبعية، في مقابلة الحق، ولم يراعوا ديننا ولا الذين اتبعوا أهواءهم ولها بلذاتهم، فلما أتاهم الحق ورأوه غير موافق لأهوائهم الرديئة، ردوه واستكبروا عنه، فقالوا لنبيهم شعيب ومن معه من المؤمنين قال الملأ الذين استكبروا من قومه وهم الأشراف والكبراء منهم
- وفتحه تعالى لعباده نوعان: فتح العلم، بتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ومن هو من المستقيمين على الصراط، ممن هو منحرف عنه. 89
- الله، كفاه، ويسر له أمر دينه ودينه. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي: انصر المظلوم، وصاحب الحق، على الظالم المعاند للحق وأنت خير الفاتحين ما يصلح للعباد وما يدبرهم عليه. على الله توكلنا أي: اعتمدنا أنه سيثبتنا على الصراط المستقيم، وأن يعصمنا من جميع طرق الجحيم، فإن من توكل على وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا أي: فلا يمكننا ولا غيرنا، الخروج عن مشيئته التابعة لعلمه وحكمته، وقد وسع ربنا كل شيء علما فيعلم في خلقه، التي لا خروج لأحد عنها، ولو تواترت الأسباب وتوافقت القوى، فإنهم لا يحكمون على أنفسهم أنهم سيفعلون شيئا أو يتركونه، ولهذا استثنى أبطل الباطل، وأمحل المحال. وحيث إن الله من عليهم بعقول يعرفون بها الحق والباطل، والهدى والضلال. وأما من حيث النظر إلى مشيئة الله وإرادته النافذة حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعالى والاعتراف له بالعبودية، وأنه الإله وحده الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، وأن آلهة المشركين

تفسير السعدي

- إن اتبعهم ومن معه فإنهم كاذبون. ومنها: اعترفهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها. ومنها: أن عودهم فيها بعد ما هداهم الله من المحلات، بالنظر إلى والسلام من كونه يوافقهم من وجوه متعددة، من جهة أنهم كارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك. ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذبا، وأشهدهم أنه لم يتخذ ولدا ولا صاحبة، ولا شريكا في الملك. وما يكون لنا أن نعود فيها أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال، فأيسهم عليه الصلاة نجانا الله منها وأنقذنا من شرها، أننا كاذبون مفترون على الله الكذب، فإننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ممن جعل لله شريكا، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها أي: اشهدوا علينا أننا إن عدنا إليها بعد ما
- فأولئك الذين خسروا أنفسهم إذ فاتهم النعيم المقيم، وحصل لهم العذاب الأليم بما كانوا بأيأتنا يظلمون فلم ينقادوا لها كما يجب عليهم ذلك. 9
- ومن خفت موازينه بأن رجحت سيئاته، وصار الحكم لها،
- والشقاء في اتباع الرشد والهدى، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة في لزوم ما هم عليه من الضلال والإضلال، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال. 90
- وقال الملأ الذين كفروا من قومه محذرين عن اتباع شعيب، لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة فأخذتهم الرجفة أي: الزلزلة الشديدة فأصبحوا في دارهم جاثمين أي: صرعى ميتين هامدين. 91
- فيهم، لأنهم خسروا دينهم وأنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين، لا من قالوا لهم: لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون 92
- من مورد اللهو واللعب واللذات، إلى مستقر الحزن والشقاء والعقاب والدركات ولهذا قال: الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أي: الخسار محصور أقاموا في ديارهم، وكأنهم ما تمتعوا في عرصاتهما، ولا تفيئوا في ظلالها، ولا غنوا في مسارح أنهارها، ولا أكلوا من ثمار أشجارها، حين فاجأهم العذاب، فنقلهم قال تعالى ناعيا حالهم الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم ما
- بل يفرح بإهلاكهم ومحقهم. فعياذا بك اللهم من الخزي والفضيحة، وأي: شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم؟ 93
- آسى على قوم كافرين أي: فكيف أحزن على قوم لا خير فيهم، أتاهم الخير فردوه ولم يقبلوه ولا يلبق بهم إلا الشر، فهؤلاء غير حقيقين أن يحزن عليهم، حتى بلغت منكم أقصى ما يمكن أن تصل إليه، وخالطت أفئدتكم ونصحت لكم فلم تقبلوا نصحي، ولا انقذتم لإرشادي، بل فسقتم وطغيتم. فكيف تولى عنهم نبينهم شعيب عليه الصلاة والسلام وقال معاتبا وموبخا ومخاطبا بعد موتهم: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي أي: أوصلتها إليكم، وبينتها فحين هلكوا
- إلا ابتلاههم الله بالبأساء والضراء أي: بالفقر والمرض وأنواع البلايا لعلمهم إذا أصابتهم، أخضعت نفوسهم فتضرعوا إلى الله واستكانوا للحق. 94
- يقول تعالى: وما أرسلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن ما هم فيه من الشر، فلم ينقادوا له:
- أخذناهم بالعذاب بغتة وهم لا يشعرون أي: لا يخطر لهم الهلاك على بال، وظنوا أنهم قادرون على ما آتاهم الله، وأنهم غير زائلين ولا منتقلين عنه. 95
- الزمان وتداول الأيام، وحسبوا أنها ليست للموعظة والتذكير، ولا للاستدراج والنكير حتى إذا اغتبطوا، وفرحوا بما أوتوا، وكانت الدنيا، أسر ما كانت إليهم، أي: هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين، تارة يكونون في سراء وتارة في ضراء، وتارة في فرح، ومرة في ترح، على حسب تقلبات عنهم البلاء حتى عفوا أي: كثروا، وكثرت أرزاقهم وانبسطوا في نعمة الله وفضله، ونسوا ما مر عليهم من البلاء. وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ثم إذا لم يفد فيهم، واستمر استكبارهم، وازداد طغيانهم. بدلنا مكان السيئة الحسنة فأدر عليهم الأرزاق، وعافى أبدانهم، ورفع
- فلو أخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك عليها من دابة. ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلمهم يرجعون 96
- ولا كد ولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ومكرا، ذكر أن أهل القرى، لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهرا وباطنا بترك جميع ما حرم الله، لفتح عليهم بركات لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسول يبتلون بالضراء موعظة وإنذارا، وبالسراء استدراجا
- أفأمن أهل القرى أي: المكذبة، بقرينة السياق أن يأتيهم بأسنا أي: عذابنا الشديد بيئات وهم نائمون أي: في غفلتهم، وغرثهم وراحتهم. 97
- أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أي: أي شيء يؤمنهم من ذلك، وهم قد فعلوا أسبابه، وارتكبوا من الجرائم العظيمة، ما يوجب بعضه الهلاك؟! 98
- أو أمن أهل القرى
- دينك وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة. 99
- يكون أمنا على ما معه من الإيمان. بل لا يزال خائفا وجلأ أن يبتلى ببليّة تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيا بقوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على من عذاب الله، فهو لم يصدق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسول حقيقة الإيمان. وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن أفأمنوا مكر الله حيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملي لهم، إن كبهده متين، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فإن من آمن

سورة 8

الجامع لذلك كله قوله: وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله، كما أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن. 1 والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابير، والأمر ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابير، بالتواضع والتحاب والتواصل.. فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع من التخاصم، والتشاجر حكم الله ورسوله أن ترضوا بحكمهما، وتسلموا الأمر لهما، وذلك داخل في قوله فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.. وأصلحوا ذات بينكم أي: أصلحوا الله يسألونك عن الأنفال كيف تقسم وعلى من تقسم؟ قل لهم: الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاء، فلا اعتراض لكم على حكم الله ورسوله.. بل عليكم إذا في قصة بدر أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين، فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فأنزل الأنفال هي الغنائم التي ينفلها الله لهذه الأمة من أموال الكفار، وكانت هذه الآيات في هذه السورة قد نزلت

لا يغالبه مغالب، بل هو القهار، الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا. حكيم حيث قدر الأمور بأسبابها، ووضع الأشياء مواضعها. 10 وما جعله الله أي: إنزال الملائكة إلا بشرى أي: لتستبشر بذلك نفوسكم، ولتطمئن به قلوبكم وإلا فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عدد ولا عدد.. إن الله عزيز قلوبكم أي: يثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن، ويثبت به الأقدام فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلما نزل عليها المطر تلبدت، وثبتت به الأقدام. 11 على النصر والطمأنينة. ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطرا ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه. وليربط على ومن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاسا يغشىكم أي فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون أمانة لكم وعلامة

بدر، أو للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين، وأنهم لا يرحمونهم، وذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله أي: حاربوها وبارزوها بالعداوة. 12 الرقاب واضربوا منهم كل بنان أي: مفصل. وهذا خطاب، إما للملائكة الذين أوحى الله إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا فيكون في ذلك دليل أنهم باسروا القتال يوم لكم عليهم، فإن الله إذا ثبت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين، لم يقدر الكافرون على الثبات لهم ومنحهم الله أكتافهم. فاضربوا فوق الأعناق أي: على فثبتوا الذين آمنوا أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله. سألفي في قلوب الذين كفروا الرعب الذي هو أعظم جند ومن ذلك أن الله أوحى إلى الملائكة أني معكم بالعون والنصر والتأييد،

الله ورسوله أي: حاربوها وبارزوها بالعداوة 13 ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب 14 ومن عقابه تسليط أوليائه على أعدائه وتقتيلهم 15

شاقوا

وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية 16 ومنها أن من لطف الله بعبده أن يسهل عليه طاعته، ويسر لها أسباب داخلية وخارجية 17 الآية 18 ومنها إجابة دعوة الله للمؤمنين لما استغاثوه بما ذكره من الأسباب، وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، الله وعدهم وعدا، فأنجزهموه 19 ومنها ما قال الله تعالى 20 قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين 21 معجلا 22 وأن للكافرين عذاب النار 23 وفي هذه القصة من آيات الله العظيمة ما يدل على أن ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - رسول الله حقا 24 منها أن ألكم العذاب المذكور 25 وقوه 26 أيها المشاققون لله ورسوله عذابا

من بعض، أقلا تولوهم الأدبار 27 بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم، فإن في ذلك نصرة لدين الله، وقوة لقلوب المؤمنين، وإرهابا للكافرين 28 والأبدان، ونهاهم عن الفرار إذا التقى الزحفان، فقال 29 أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا 30 أي في صف القتال، وتزاحف الرجال، واقترب بعضهم يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره، والسعي في جلب الأسباب الموقية للقلوب

الحال - أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه - على هذا - لا يتصور الفرار المنهي عنه، وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد 31 يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم 32 أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد - في هذه محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما المحاربين، وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإن كانت الفئة في غير فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فارا، وإنما ولي دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد 33 ومفهوم الآية 34 أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، الله وماواه 35 أي مقره إجهنم وبنس المصير 36 وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وكما لومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء 37 أي رجع بغضب من

أعلن، ويعلم ما في قلبه من النيات الصالحة وضدها، فيقدر على العباد أقدارا موافقة لعلمه وحكمته ومصلحة عباده، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله 38 المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجرا حسنا وثوابا جزيلا 39 إن الله سميع عليم 40 يسمع تعالى ما أسر به العبد وما

تفسير السعدي

بقوتنا واقتدارنا^{١٨} أوليبي المؤمنين منه بلاء حسنا^{١٩} أي إن الله تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال، ولكن الله أراد أن يمتحن أنكسر حدهم، وفتر زندهم، وبأن فيهم الفضل والضعف، فانهزموا^{٢٠} يقول تعالى لنبيه^{٢١} لست بقوتك - حين رميت التراب - أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم خرج منه، فأخذ حفنة من تراب، فرماها في وجوه المشركين، فأوصلها الله إلى وجوههم، فما بقي منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه وفمه وعينه منها، فحينئذ تقدم ذكره^{٢٢} ألوما رميت إذ رميت ولكن الله رمى^{٢٣} وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقت القتال دخل العريش وجعل يدعو الله، ويناشده في نصرته، ثم يقول تعالى - لما انهزم المشركون يوم بدر، وقتلهم المسلمون أقلم تقتلوهم^{٢٤} بحولكم وقوتكم ولكن الله قتلهم^{٢٥} حيث أعانكم على ذلك بما

لذلكم النصر من الله لكم^{٢٦} وأن الله موهن كيد الكافرين^{٢٧} أي^{٢٨} مضعف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محيقا بهم^{٢٩}

وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، وإلا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه، لما انهزم لهم راية انهزاما مستقرا^{٣٠} ولا أدبيل عليهم عدوهم أبد^{٣١} الله أنه يؤيد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان^{٣٢} فإذا أدبيل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات، فليس ذلك إلا تفریطا من المؤمنين الذين تحاربون وتقاتلون، معتمدين عليهم، شيئا وأن الله مع المؤمنين^{٣٣} ومن كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفا قليلا عدده، وهذه المعية التي أخبر ولم يعجل لكم النعمة^{٣٤} وإن تعودوا^{٣٥} إلى الاستفتاح وقاتل حزب الله المؤمنين^{٣٦} ثعدا في نصرهم عليكم^{٣٧} أولن تغني عنكم فتكم^{٣٨} أي^{٣٩} أعوانكم وأنصاركم، الظالمين^{٤٠} فقد جاءكم الفتح^{٤١} حين أوقع الله بكم من عقابه، ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين^{٤٢} وإن تنتهوا^{٤٣} عن الاستفتاح فهو خيرا^{٤٤} لأنه ربما أمهلتكم، لأن تستفتحوا^{٤٥} أيها المشركون، أي^{٤٦} تطلبوا من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين

في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك. والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به. 2 ربه، أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان. وعلى ربه وحده لا شريك له يتوكلون أي: يعتمدون في قلوبهم على ربه التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة أن يحجز صاحبه عن الذنوب. وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن لشرائع الإيمان. الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خافت ورهبت، فأوجب لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته كان الإيمان قسمين: إيمانا كاملا يترتب عليه المدح والثناء، والفوز التام، وإيمانا دون ذلك ذكر الإيمان الكامل فقال: إنما المؤمنون الألف واللام للاستغراق ومن نقصت طاعته لله ورسوله، فذلك لنقص إيمانه، ولما

طاعة الله، وطاعة رسوله^{٤٧} أنتم تسمعون^{٤٨} ما يتلى عليكم من كتاب الله، وأوامره، ووصاياه، ونصائحه، فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال^{٤٩} 20 الإيمان الذي يدركون به معيته، فقال^{٥٠} أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله^{٥١} بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما^{٥٢} أولا تولوا عنه^{٥٣} أي^{٥٤} عن هذا الأمر الذي هو لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى

الدعوى الخالية التي لا حقيقة لها، فإنها حالة لا يرضاها الله ولا رسوله، فليس الإيمان بالتمني والتخلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال^{٥٥} 21 أي^{٥٦} لا تكتفوا بمجرد

سمع الحجة، فقد قامت حجة الله تعالى عليهم بما سمعوه من آياته، وإنما لم يسمعهم السماع النافع، لأنه لم يعلم فيهم خيرا يصلحون به لسماع آياته^{٥٧} 22 بصد أن يكونوا من خيار البرية^{٥٨} فأبوا هذا الطريق، واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية، والسمع الذي نفاه الله عنهم، سمع المعنى المؤثر في القلب، وأما الله من جميع الدواب، لأن الله أعطاهم أسماعا وأبصارا وأفئدة، ليستعملوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصيه وعدموا - بذلك - الخير الكثير، فإنهم كانوا لم تفد فيهم الآيات والنذر، وهم الصم^{٥٩} عن استماع الحق^{٦٠} البكم^{٦١} عن النطق^{٦٢} به^{٦٣} الذين لا يعقلون^{٦٤} أما ينفعهم، ويؤثرونه على ما يضرهم، فهؤلاء شر عند يقول تعالى^{٦٥} إن شر الدواب عند الله^{٦٦} من

الوجوه، وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير، إلا لمن لا خير فيه، الذي لا يزكو لديه ولا يثمر عنده^{٦٧} وله الحمد تعالى والحكمة في هذا^{٦٨} 23 أولو علم الله فيهم خيرا^{٦٩} لسمعهم ولو أسمعهم^{٧٠} أعلى الفرض والتقدير^{٧١} التولوا^{٧٢} عن الطاعة^{٧٣} لوهم معرضون^{٧٤} إلا التفات لهم إلى الحق بوجه من

دينك، يا مصرف القلوب، أصرف قلبي إلى طاعتك^{٧٥} وأنه إليه تحشرون^{٧٦} أي^{٧٧} تجتمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانته^{٧٨} 24 بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء^{٧٩} فليكثر العبد من قول^{٨٠} أي^{٨١} مقلب القلوب ثبت قلبي على حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال^{٨٢} أواعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه^{٨٣} أي^{٨٤} فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائده وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام^{٨٥} ثم لله وللرسول، أي^{٨٦} الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه^{٨٧} وقوله^{٨٨} إذا دعاكم^{٨٩} لما يحييكم^{٩٠} يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة

المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن^{٩١} أواعلموا أن الله شديد العقاب^{٩٢} من تعرض لمساخطه، وجانب رضاه^{٩٣} 25 لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة^{٩٤} بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن أواتقوا فتنة

تفسير السعدي

أعدانكم على أيديكم، وغنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء^{٢٦}العلكم تشكرون^{٢٧}الله على منته العظيمة وإحسانه التام، بأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً^{٢٨}26 تحت حكم غيركم تخافون أن يتخطفكم الناس^{٢٩}أي^{٣٠}يأخذونكم^{٣١}وأاكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات^{٣٢}فجعل لكم بلداً تأوون إليه، وانتصر من يقول تعالى ممتنا على عباده في نصرهم بعد الذلة، وتكثيرهم بعد القلة، وإغنائهم بعد العيلة^{٣٣}وآذركوا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض^{٣٤}أي^{٣٥}مقهورون لله وللرسول ولأمانته، منقصا لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتا لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة^{٣٦}27 وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً فمن أدى الأمانة استحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤديها بل خانها استحق العقاب الوبيل، وصار خائناً يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما ائتمنهم الله عليه من أوامره ونواهيته، فإن الأمانة قد عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها فإن كان لكم عقل ورأي، فآثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة، فالعقل يوازن بين الأشياء، ويؤثر أوالها بالإيثار، وأحقها بالتقديم^{٣٧}28 أداء أمانته، أخبر الله تعالى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي الله بهما عباده، وأنها عارية ستؤدى لمن أعطها، وترد لمن استودعها^{٣٨}وإن الله عنده أجر عظيم^{٣٩}ولما كان العبد ممتحناً بأمواله وأولاده، فربما حمله محبة ذلك على تقديم هوى نفسه على

بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر^{٤٠}الرابع^{٤١}الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه^{٤٢}والله ذو الفضل العظيم^{٤٣}29 السعادة من أهل الشقاوة^{٤٤}الثاني والثالث^{٤٥}تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع يفسر تكفير السيئات كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها^{٤٦}الأول^{٤٧}الفرقان^{٤٨}وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيراً، فذكر هنا أن من اتقى الله حصل له أربعة أشياء، امتثال

رزقناهم ينفقون النفقات الواجبة، كالزكوات، والكفارات، والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير. 3 الذين يقيمون الصلاة من فرائض ونوافل، بأعمالها الظاهرة والباطنة، كحضور القلب فيها، الذي هو روح الصلاة ولها، ومما

مكة عنوة، وقهر أهلها، فأذنوا له وصاروا تحت حكمه، بعد أن خرج مستخفياً منهم، خائفاً على نفسه^{٤٩}فسبحان اللطيف بعبده الذي لا يغالبه مغالب^{٥٠}30 التراب عن رأسه، ومنع الله رسوله منهم، وأذن له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، وأيده الله بأصحابه المهاجرين والأنصار، ولم يزل أمره يعلو حتى دخل رءوسهم التراب وخرج، وأعمى الله أبصارهم عنه، حتى إذا استبطؤوه جاءهم آت وقال^{٥١}خيبيكم الله، قد خرج محمد وذريته على رءوسكم التراب^{٥٢}فنفذ كل منهم على مقاومة سائر قريش، فترصدوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - في الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه^{٥٣}فجاءه الوحي من السماء، وخرج عليهم، فذر على من كل قبيلة من قبائل قريش فتى ويعطوه سيفاً صارماً، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل^{٥٤}فيرضى بنو هاشم ثم بديته، فلا يقدرون - من شره^{٥٥}وإما أن يخرجوه ويجلوه من ديارهم^{٥٦}فكل أبدي من هذه الآراء رأياً رآه، فاتفق رأيهم على رأي^{٥٧}رآه شريبرهم أبو جهل لعنه الله، وهو أن يأخذوا تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، إما أن يثبتوه عندهم بالحبس ويوثقوه^{٥٨}وإما أن يقتلوه فيستريحوا - بزعمهم أي^{٥٩}وإذا أذكر أيها الرسول، ما من الله به عليك^{٦٠}إذ يمكر بك الذين كفروا^{٦١}أحيان

لا يقرأ ولا يكتب، ولا رحل ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد^{٦٢}31 من دون الله، فلم يقدروا على ذلك، وتبين عجزهم^{٦٣}فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوى، كذبه الواقع، وقد علم أنه - صلى الله عليه وسلم - أمي قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين^{٦٤}وهذا من عنادهم وظلمهم، وإلا فقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله، ويدعوا من استطاعوا يقول تعالى في بيان عناد المكذبين للرسول - صلى الله عليه وسلم -^{٦٥}وإذا تتلى عليهم آياتنا^{٦٦}الدالة على صدق ما جاء به الرسول^{٦٧}القالوا

لهم أن يكونوا على بصيرة ويقيين منه، قالوا لمن ناظرهم وادعى أن الحق معه^{٦٨}إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، لكان أولى لهم وأستر لظلمهم^{٦٩}32 أو اتنا بعباد أليم^{٧٠}قالوه على وجه الجزم منهم بباطلهم، والجهل بما ينبغي من الخطاب^{٧١}فلو أنهم إذ أقاموا على باطلهم من الشبه والتمويهات ما أوجب لو^{٧٢}إذا قالوا اللهم إن كان هذا الذي يدعو إليه محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء

رءوس الأشهاد، يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم، فيستغفرون الله تعالى فهذا^{٧٣}قال تعالى^{٧٤}وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون^{٧٥}33 فقال^{٧٦}وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم^{٧٧}فوجوده - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم أمانة لهم من العذاب^{٧٨}وكانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على قولهم أنهم السفهاء الأغبياء، الجهلة الظالمون، فلو عاجلهم الله بالعقاب لما أبقي منهم باقية، ولكنه تعالى دفع عنهم العذاب بسبب وجود الرسول بين أظهرهم، فمنذ قالوا^{٧٩}اللهم إن كان هذا هو الحق من عندنا^{٨٠}الآية، علم بمجرد

الذين آمنوا بالله ورسوله، وأفردوا الله بالتوحيد والعبادة، وأخلصوا له الدين^{٨١}ولكن أكثرهم لا يعلمون^{٨٢}فلذلك ادعوا لأنفسهم أمراً غيرهم أولى به^{٨٣}34 يحتمل أن الضمير يعود إلى الله، أي^{٨٤}أولياء الله^{٨٥}ويحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام، أي^{٨٦}وما كانوا أولى به من غيرهم^{٨٧}لأن أوليائه إلا المتقون^{٨٨}وهم عن المسجد الحرام، خصوصاً صدهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، الذين هم أولى به منهم، ولهذا قال^{٨٩}وما كانوا^{٩٠}أي^{٩١}المشركون أولياءه^{٩٢}من وقوع العذاب بهم، بعد ما انعقدت أسبابه ثم قال^{٩٣}وما لهم ألا يعذبهم الله^{٩٤}أي^{٩٥}شيء يمنعهم من عذاب الله، وقد فعلوا ما يوجب ذلك، وهو صد الناس فهذا مانع يمنع

تفسير السعدي

ما مكن لهم فيه إيا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال هنا لذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون³⁵ والذين هم عن اللغو معرضون، إلى آخر ما وصفهم الله به من الصفات الحميدة، والأفعال السديدة³⁶ لا جرم أورثهم الله بيته الحرام، ومكنهم منه، وقال لهم بعد البقاع وأشرفها، فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات³⁷ فبأي شيء كانوا أولى بهذا البيت من المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون، أكبر أنواع العبادات³⁸ إلا مكاء وتصدية³⁹ أي⁴⁰ صفيها وتصفيقا، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام لأفضل الحرام ليقام فيه دينه، وتخلص له فيه العبادة، فالمؤمنون هم الذين قاموا بهذا الأمر، وأما هؤلاء المشركون الذين يصدون عنه، فما كان صلاتهم فيه التي هي يعني أن الله تعالى إنما جعل بيته

ويعذبون في الآخرة أشد العذاب⁴¹ ولهذا قال⁴² والذين كفروا إلى جهنم يحشرون⁴³ أي⁴⁴ يجمعون إليها، ليزوقوا عذابها، وذلك لأنها دار الخبث والخبثاء⁴⁵ هذه النفقة، وتخف عليهم لتمسكهم بالباطل، وشدة بغضهم للحق، ولكنها ستكون عليهم حسرة، أي⁴⁶ ندامة وخزيا وذلا ويغلبون فتذهب أموالهم وما أملوا، ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله⁴⁷ أي⁴⁸ ليبطلوا الحق وينصروا الباطل، ويبطل توحيد الرحمن، ويقوم دين عبادة الأوثان⁴⁹ أي⁵⁰ يسيئونها⁵¹ أي⁵² يفسدونها ومبارزتهم لله ولرسوله، وسعيهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وأن وبال مكرهم سيعود عليهم، ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله، فقال⁵³ والذين كفروا يقول تعالى مبينا لعداوة المشركين وكيدهم ومكرهم،

والأشخاص⁵⁴ أي⁵⁵ غيركمه جميعا فيجعلهم في جهنم أولئك هم الخاسرون⁵⁶ الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين⁵⁷ والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب، ويجعل كل واحدة على حدة، وفي دار تخصصه، فيجعل الخبيث بعضه على بعض، من الأعمال والأموال يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، فهذا خطابه للمكذبين، وأما خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين، فقال⁵⁸ وأوقاتلوهم حتى لا تكون فتنة⁵⁹ لهم ما قد سلف⁶⁰ أي⁶¹ منهم من الجرائم وإن يعودوا⁶² إلى كفرهم وعنادهم أقدم مضت سنة الأولين⁶³ أي⁶⁴ بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندین، فسوف الرشاد والهدى، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى، فقال⁶⁵ قل للذين كفروا إن ينتهوا⁶⁶ عن كفرهم وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له⁶⁷ أي⁶⁸ يغفر هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد، من أن يدعوهم إلى طريق

الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان⁶⁹ أي⁷⁰ أن انتهوا⁷¹ عن ما هم عليه من الظلم فإن الله بما يعملون بصير⁷² أي⁷³ لا تخفى عليه منهم خافية⁷⁴ 39 ويذعنوا لأحكام الإسلام، أي⁷⁵ يكون الدين كله لله⁷⁶ أي⁷⁷ هذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق أوقاتلوهم حتى لا تكون فتنة⁷⁸ أي⁷⁹ شرك وصد عن سبيل الله،

ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ودل هذا على أن من يصل إلى درجتهم في الإيمان وإن دخل الجنة فلن ينال ما نالوا من كرامة الله التامة. 4 المؤمنين حقا فقال: لهم درجات عند ربهم أي: عالية بحسب علو أعمالهم. ومغفرة لذنوبهم ورزق كريم وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها. وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميّه، وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه. ثم ذكر ثواب العلم والعمل، بين أداء حقوق الله وحقوق عباده. وقدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها، وفيها دليل على أن الإيمان، يزيد وينقص، أولئك الذين اتصفوا بتلك الصفات هم المؤمنون حقا لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، بين

الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجار، وتكالب الأشرار⁸⁰ ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عز له ولا قائمة له⁸¹ 40 الإضاعة إقاعلوا أن الله مولاكم نعم المولى⁸² الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية⁸³ أي⁸⁴ أنعم النصير⁸⁵ وإن تولوا⁸⁶ عن الطاعة وأوضاعوا في

على رسوله يوم الفرقان، الذي حصل فيه من الآيات والبراهين، ما دل على أن ما جاء به هو الحق⁸⁷ أي⁸⁸ الله على كل شيء قدير⁸⁹ أي⁹⁰ لا يغلبه أحد إلا غلبه⁹¹ 41 الله به بين الحق والباطل⁹² وأظهر الحق وأبطل الباطل⁹³ أي⁹⁴ يوم التقى الجمعان⁹⁵ أي⁹⁶ جمع المسلمين، وجمع الكافرين، أي⁹⁷ إن كان إيمانكم بالله، وبالحق الذي أنزله الله وهذا هو الأول⁹⁸ أي⁹⁹ جعل الله أداء الخمس على وجهه شرطا للإيمان فقال¹⁰⁰ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان¹⁰¹ وهو يوم بدر¹⁰² الذي فرق المنقطع به في غير بلده، أي¹⁰³ بعض المفسرين يقول إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك تبع للمصلحة وقد فقد من يقوم بمصالحهم¹⁰⁴ أي¹⁰⁵ الخمس الرابع للمساكين، أي¹⁰⁶ المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث¹⁰⁷ أي¹⁰⁸ والخمس الخامس لابن السبيل، وهو الغريب وأنشأهم¹⁰⁹ أي¹¹⁰ الخمس الثالث لليتامى، وهم الذين فقدت أبائهم وهم صغار، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، النبي - صلى الله عليه وسلم - من بني هاشم وبني المطلب¹¹¹ أي¹¹² أضافه الله إلى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله¹¹³ أي¹¹⁴ لم يعين الله له مصرفا، دل على أن مصرفه للمصالح العامة¹¹⁵ أي¹¹⁶ والخمس الثاني¹¹⁷ الذي القربى، وهم قرابة لفرسه، وسهم له¹¹⁸ أي¹¹⁹ وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم، سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة، لأن الله جعله له لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خمسها¹²⁰ أي¹²¹ قدل على أن الباقي لهم، يقسم على ما قسمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للراجل سهم، وللفراس سهمان يقول تعالى¹²² أي¹²³ أنما غنمتم من شيء¹²⁴ أي¹²⁵ أخذتم من مال الكفار قهرا بحق، قليلا كان أو كثيرا¹²⁶ أي¹²⁷ أن لله خمسة¹²⁸ أي¹²⁹ وباقية لكم أيها الغانمون،

الألباب¹³⁰ أي¹³¹ أن الله لسميع عليم¹³² أي¹³³ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، عليم بالظواهر والضمائر والسرائر، والغيب والشهادة¹³⁴ 42

تفسير السعدي

فلا يبقى له عذر عند الله ^{أي} يوحيا من حي عن بيئته ^{أي} يزداد المؤمن بصيرة ويقينا، بما أرى الله الطائفتين من أدلة الحق وبراهينه، ما هو تذكرة لأولي أمرا كان مفعولا ^{أي} مقدرًا في الأزل، لا بد من وقوعه ^{أي} يهلك من هلك عن بيئته ^{أي} ليكون حجة وبينة للمعاند، فيختار الكفر على بصيرة وجزم ببطلانه، ^{أي} لا بد من تقدم أو تأخر أو اختيار منزل، أو غير ذلك، مما يعرض لكم أو لهم، يصدقكم عن ميعادكم ولكن الله جمعكم على هذه الحال ليقتضي الله الذي خرجتم لطلبه، وأراد الله غيره أسفل منكم ^{أي} مما يلي ساحل البحر ^{أي} ولو تواعدتم أنتم وإياهم على هذا الوصف وبهذه الحال لاختلفتم في الميعاد إذ أنتم بالعدوة الدنيا ^{أي} بعدوة الوادي القريبة من المدينة، وهم بعدوته ^{أي} جانبه البعيدة من المدينة، فقد جمعكم واد واحدا ^{أي} والركب بكم إنه عليم بذات الصدور ^{أي} بما فيها من ثبات وجزع، وصدق وكذب، فعلم الله من قلوبكم ما صار سببا للطفه وإحسانه بكم وصدق رؤيا رسوله 43 ولتنازعتم في الأمر فممنكم من يرى الإقدام على قتالهم، وممنكم من لا يرى ذلك فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل ^{أي} ولكن الله سلم ^{أي} لطف رسوله المشركين في الرؤيا عددا قليلا، فبشر بذلك أصحابه، فاطمأنت قلوبهم وتثبتت أفئدتهم ^{أي} ولو أراكم الله إياهم كثيرا فأخبرت بذلك أصحابك فشلتكم وكان الله قد أرى

الله ترجع الأمور ^{أي} جميع أمور الخلائق ترجع إلى الله، فيميز الخبيث من الطيب، ويحكم في الخلائق بحكمه العادل، الذي لا جور فيه ولا ظلم 44 الضلال منهم، ولم يبق منهم أحد له اسم يذكر، فيتيسر بعد ذلك انقيادهم إذا دعوا إلى الإسلام، فصار أيضا لطفًا بالباقيين، الذين من الله عليهم بالإسلام ^{أي} وإلى من الطائفتين ترى الأخرى قليلة، لتقدم كل منهما على الأخرى ^{أي} ليقتضي الله أمرا كان مفعولا من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وقتل قاداتهم ورؤساء فأرى الله المؤمنين عدوهم قليلا في أعينهم، ويقللهم - يا معشر المؤمنين - في أعينهم، فكل بالإكثار من ذكر الله ^{أي} هللكم تفلحون ^{أي} تدركون ما تطلبون من الانتصار على أعدائكم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر 45 فنة ^{أي} طائفة من الكفار تقاتلكم ^{أي} قاتبتوا لقتالها، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة، التي عاقبتها العز والنصر ^{أي} واستعينوا على ذلك يقول تعالى ^{أي} أيها الذين آمنوا إذا لقيتم

من النصر على طاعة الله ورسوله ^{أي} وأصابروا نفوسكم على طاعة الله إن الله مع الصابرين ^{أي} بالنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له 46 ^{أي} ولا تنازعوا تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها، اقتفشلوا ^{أي} تجنبوا أو تذهب ريحكم ^{أي} تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به وأطيعوا الله ورسوله ^{أي} في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال

وجه الله تعالى وإعلاء دين الله، والصد عن الطرق الموصلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم الموصل لجنت النعيم 47 سلوكه، والله بما يعملون محيط ^{أي} فلذلك أخبركم بمقاصدهم، وحذركم أن تشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة ^{أي} فليكن قصدكم في خروجكم وهذا الذي أبرزهم من ديارهم لقصد الأشر والبطر في الأرض، وليراهم الناس ويفخروا لديهم ^{أي} والمقصود الأعظم أنهم خرجوا ليصدوا عن سبيل الله من أراد ^{أي} ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ^{أي} هذا مقصدهم الذي خرجوا إليه،

الشیطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين 48 قد سول لهم، ووسوس في صدورهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، وأنه جار لهم، فلما أوردتهم مواردهم، نكص عنهم، وتبرأ منهم، كما قال تعالى ^{أي} اكمل أرى الملائكة الذين لا يبدان لأحد بقتالهم ^{أي} إني أخاف الله ^{أي} أخاف أن يعاجلني بالعقوبة في الدنيا والله شديد العقاب ^{أي} ومن المحتمل أن يكون الشيطان، عليه السلام يزع الملائكة خاف خوفا شديدا ^{أي} ونكص على عقبيه ^{أي} ولي مدبر ^{أي} وقال لمن خدعهم وجرهم ^{أي} إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون ^{أي} كانت بينهم ^{أي} فقال لهم الشيطان أنا جار لكم، فاطمأنت نفوسهم وأتوا على حرد قادريين ^{أي} فلما تراءت الفئتان المسلمون والكافرون، فرأى الشيطان جبريل لكم ^{أي} أن يأتيكم أحد ممن تخشون غائلته، لأن إبليس قد تبدى لقريش في صورة سراقاة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكانوا يخافون من بني مدلج لعداوة أعمالهم أحسنها في قلوبهم وخدعهم ^{أي} وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ^{أي} فإنكم في عدد وعدد وهبئة لا يقاومكم فيها محمد ومن معه ^{أي} وإني جار لإد زين لهم الشيطان

وكان واثقا بربه، مطمئن القلب لا فزعا ولا جبانا، ولهذا قال لومن يتوكل على الله فإن الله عزيز لا يغالب قوته قوة ^{أي} أحكيم ^{أي} فيما قضاه وأجراه 49 لم يضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحق، وأن الله تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على نفع شخص بمثقال ذرة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضره - الأخفاء عقولا، الضعفاء أحلاما ^{أي} فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام، فإن المؤمن المتوكل على الله، الذي هؤلاء دينهم ^{أي} أوردتهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يبدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقارا لهم واستخفافا لعقولهم، وهم - والله ^{أي} إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ^{أي} شك وشبهة، من ضعفاء الإيمان، للمؤمنين حين أقدموا - مع قلتهم - على قتال المشركين مع كثرتهم ^{أي} كما بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقته، ويبطل الباطل بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ولو كره المجرمون فلا يبالي الله بهم، 5 الله أن يحق الحق بكلماته فينصر أهله ويقطع دابر الكافرين أي: يستأصل أهل الباطل، ويرى عباده من نصره للحق أمرا لم يكن يخطر ببالهم، ليحق الحق ولأنها غير ذات شوك، ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمرا أعلى مما أحبوا. أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم، ويريد

تفسير السعدي

والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريبا من الألف. فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعين، أو بالنفير، فأحبوا العير لقلّة ذات يد المسلمين، عشر رجلا معهم سبعون بعيرا، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع عيرهم، في عدد كثير وعدة وافرة من السلاح مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة، فلما سمعوا برجوعها من الشام، ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس، فخرج معه ثلاثمائة، وبضعة الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقبض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها. وكان أصل خروجهم يتعرضون لعير خرجت فأما إذا وضح وبان، فليس إلا الانقياد والإذعان. هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم ما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدال محل فيها لأن الجدال محلّه وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصا بعد قدره وقضاه. وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال. فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به، كذلك أخرج الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى لقاء المشركين في بدر بالحق الذي يحبه الله تعالى، وقد التي على المؤمنين أن يقوموا بها، لأن من قام بها استقامت أحواله وصلحت أعماله، التي من أكبرها الجهاد في سبيله. فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي، تفسير الآيات من 5 حتى 8: قدم تعالى أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة الصفات

أنفسكم، ونفوسهم متمنعة مستعصية على الخروج، لعلمها ما أمامها من العذاب الأليم، ولهذا قال ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ أَيُّ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ الْمَحْرُقَ 50﴾ بآيات الله حين توافاهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم وقد اشتد بهم القلق وعظم كربهم، والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ﴿أَخْرَجُوا﴾ يقول تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا

المعاصي التي أثرت لكم ما أثرت، وهذه سنة الله في الأولين والآخرين، فإن دأب هؤلاء المكذبين أي سنتهم وما أجرى الله عليهم من الهلاك بذنوبهم 51﴾ ذلك العذاب حصل لكم، غير ظلم ولا جور من ربكم، وإنما هو بما قدمت أيديكم من المكذبة كفروا بآيات الله فأخذهم الله بالعقاب بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب لا يعجزه أحد يريد أخذهما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها 52﴾ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم

سواء من أسر القول ومن جهر به، ويعلم ما تنطوي عليه الضمائر، وتخفيه السرائر، فيجري على عباده من الأقدار ما اقتضاه علمه وجرت به مشيئته 53﴾ لم يعاقبهم إلا بظلمهم، وحيث جذب قلوب أوليائه إليه، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره 54﴾ أن الله سميع عليم يسمع جميع ما نطق به الناطقون، إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرا، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كماغيروا ما بأنفسهم 55﴾ ولله الحكمة في ذلك والعدل والإحسان إلى عباده، حيث بأنفسهم، فإن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقياهم ويزيدهم منها، إن ازدادوا له شكرا 56﴾ احتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة لذلك العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما

هلاكها، لم يظلمهم الله، ولا أخذهم بغير جرم اقترفوه، فليحذر المخاطبون أن يشابهوهم في الظلم، فيحل الله بهم من عقابه ما أحل بأولئك الفاسقين 54﴾ بآيات ربهم حين جاءتهم إياها هلكناهم بذنوبهم 55﴾ كل بحسب جرمه 56﴾ وأغرقتنا آل فرعون وكل من المهلكين المعذبين إنا كنا ظالمين لأنفسهم، ساعين في إكذاب آل فرعون أي فرعون وقومه والذين من قبلهم كذبوا

لمن عملها أن لا يعاودها 57﴾ ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر - ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر - أنه إذا أعطي عهدا لا يجوز خيانتته وعقوبته 55﴾ يُذكرون أصنيعهم، لنلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا لا يكون لهم عهد وميثاق 58﴾ أقشرد بهم من خلفهم أي نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون إياه عبرة لمن بعدهم 59﴾ أي من خلفهم متوقع فيهم، فإذا هاب هؤلاء ومحققهم هو المتعين، لنلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا قال ﴿إِنَّمَا تَتَّقِ الظَّالِمِينَ فِي الْحَرْبِ أَيُّ تُجَدِّدُهُمْ فِي حَالِ الْمُحَارَبَةِ، بِحَيْثُ وَالْخِيَانَةِ، بِحَيْثُ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى عَهْدٍ عَاهَدُوهُ وَلَا قَوْلٍ قَالُوهُ، هُمْ شَرُّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ فَهُمْ شَرُّ الْحَمِيرِ وَالْكَلابِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ الْخَيْرَ مَعْدُومٌ مِنْهُمْ، وَالشَّرُّ تَفْسِيرُ الْآيَاتِ مِنْ 55 إِلَى 57: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ الْكُفْرَ، وَعَدَمَ الْإِيمَانَ،

لمن عملها أن لا يعاودها 57﴾ ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر - ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر - أنه إذا أعطي عهدا لا يجوز خيانتته وعقوبته 56﴾ يُذكرون أصنيعهم، لنلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا لا يكون لهم عهد وميثاق 58﴾ أقشرد بهم من خلفهم أي نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون إياه عبرة لمن بعدهم 59﴾ أي من خلفهم متوقع فيهم، فإذا هاب هؤلاء ومحققهم هو المتعين، لنلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا قال ﴿إِنَّمَا تَتَّقِ الظَّالِمِينَ فِي الْحَرْبِ أَيُّ تُجَدِّدُهُمْ فِي حَالِ الْمُحَارَبَةِ، بِحَيْثُ وَالْخِيَانَةِ، بِحَيْثُ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى عَهْدٍ عَاهَدُوهُ وَلَا قَوْلٍ قَالُوهُ، هُمْ شَرُّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ فَهُمْ شَرُّ الْحَمِيرِ وَالْكَلابِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ الْخَيْرَ مَعْدُومٌ مِنْهُمْ، وَالشَّرُّ تَفْسِيرُ الْآيَاتِ مِنْ 55 إِلَى 57: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ الْكُفْرَ، وَعَدَمَ الْإِيمَانَ،

لمن عملها أن لا يعاودها 57﴾ ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر - ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر - أنه إذا أعطي عهدا لا يجوز خيانتته وعقوبته 57﴾ يُذكرون أصنيعهم، لنلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا

تفسير السعدي

لا يكون لهم عهد وميثاق إلا فشردهم من خلفهم أي نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون إبهة عبرة لمن بعدهم العلم أي من خلفهم متوقع فيهم، فإذهاب هؤلاء ومحققهم هو المتعين، لئلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا قال الإمام تتفقنهم في الحرب أي تجدنهم في حال المحاربة، بحيث والخيانة، بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه ولا قول قالوه، هم شر الدواب عند الله فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها، لأن الخير معدوم منهم، والشر تفسير الآيات من 55 إلى 57: هؤلاء الذين جمعوا هذه الخصال الثلاث الكفر، وعدم الإيمان،

ودل مفهومها أيضا أنه إذا لم يخف منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته 58 المحققة منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله تعالى سواءا وهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم العهد، حتى تخبرهم بذلك لأن الله لا يحب الخائنين بل يبغضهم أشد بغض، فلا بد من أمر بين بيرنكم من الخيانة ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم على سواء أي حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل لك أن تغدرهم، أو تسعى في شيء مما منعه موجب وميثاق على ترك القتال فخفت منهم خيانة، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة فأنذرتهم إياهم عهدهم، أي أرمه أي وإذا كان بينك وبين قوم عهد

ابتلاء عباده المؤمنين وامتحانهم، وتزودهم من طاعته ومراضيه، ما يصلون به المنازل العالية، واتصافهم بأخلاق وصفات لم يكونوا بغيره بالغيها، 59 المكذبون بآياتها، أنهم سبقوا الله وفاتوه، فإنهم لا يعجزونه، والله لهم بالمرصاد وله تعالى الحكمة البالغة في إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، التي من جملتها أي لا يحسب الكافرون بريهم

بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ويبطل الباطل بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ولو كره المجرمون فلا يبالي الله بهم. 60 الله أن يحق الحق بكلماته فينصر أهله ويقطع دابر الكافرين أي: يستأصل أهل الباطل، ويرى عباده من نصره للحق أمرا لم يكن يخطر ببالهم. ليحق الحق ولأنها غير ذات شوك، ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمرا أعلى مما أحبوا. أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم. ويريد والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريبا من الألف. فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالغير، أو بالنفير، فأحبوا الغير لقلّة ذات يد المسلمين، عشر رجلا معهم سبعون بعيرا، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم. فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع غيرهم، في عدد كثير وعدة وافرة من السلاح مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة. فلما سمعوا بروجعها من الشام، ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس. فخرج معه ثلاثمائة، وبضعة الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقبض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها. وكان أصل خروجهم يتعرضون لغير خرجت فأما إذا وضح وبان، فليس إلا الانقياد والإذعان. هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم. وكذلك الذين عاتبهم ما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه. فهذه الحال ليس للجدال محل فيها لأن الجدال محل فائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر. يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصا بعد قدره وقضاه. وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال. فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به، كذلك أخرج الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى لقاء المشركين في بدر بالحق الذي يحبه الله تعالى، وقد التي على المؤمنين أن يقوموا بها، لأن من قام بها استقامت أحواله وصلحت أعماله، التي من أكبرها الجهاد في سبيله. فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي، تفسير الآيات من 5 حتى 8: قدم تعالى أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة الصفات

كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وأنتم لا تظلمون أي لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا 60 في جهاد الكفار ولهذا قال تعالى مرغبا في ذلك أو ما تنفقوا من شيء في سبيل الله قليلا كان أو كثيرا أيوف إليكم أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به الله يعلمهم فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب وقوله ترهبون به عدو الله وعدوكم ممن تعلمون أنهم أعداؤكم أو آخرين من دونهم لا تعلمونهم كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، ترهبون به عدو الله وعدوكم وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ألا إن القوة الرمي ومن ذلك الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى أو من رباط الخيل والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، في هلاككم وإبطال دينكم أما استطعتم من قوة أي كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، أي أوعدوا أعدائكم الكفار الساعين

قلبك فل - هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين أي أعانك بمعونة سماوية، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة المؤمنين بأن قبضهم لنصرنا 61 فقال أو إن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله أي كافيك ما يؤذك، وهو القائم بمصالحك ومهماتك، فقد سبق لك نصرة ما يطمئن به

تفسير السعدي

واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم، فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره، فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة يعلى عليه، أفكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك، ومنها أنكم إذا أصلحتهم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة، منها أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم، ومنها أن في ذلك إجماعاً لقواكم، تعالى أن جنحوه أي الكفار المحاربون، أي مالوا للسلم أي الصلح وترك القتال، فاجتنب لها وتوكل على الله أي أجبههم إلى ما طلبوا متوكلاً على تفسير الآيتين 61 و62 - يقول

قلبك، فل - هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين أي أعانك بمعونة سماوية، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة بالمؤمنين بأن قضيضهم لنصر الله، فقال أن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله أي كافيك ما يؤذك، وهو القائم بمصالحك ومهماتك، فقد سبق لك كفايته لك ونصره ما يطمئن به واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم، فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره، فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة يعلى عليه، أفكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك، ومنها أنكم إذا أصلحتهم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة، منها أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم، ومنها أن في ذلك إجماعاً لقواكم، تعالى أن جنحوه أي الكفار المحاربون، أي مالوا للسلم أي الصلح وترك القتال، فاجتنب لها وتوكل على الله أي أجبههم إلى ما طلبوا متوكلاً على تفسير الآيتين 61 و62 - يقول

كما قال تعالى، وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، 63 ألفت بين قلوبهم، لأنه لا يقدر على قلب القلوب إلا الله تعالى، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم، ومن عزته أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة، لما وألف بين قلوبهم فاجتمعوا واثقفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، على الأعداء، فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بد أن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها، 64 حسبك الله أي كافيك، ومن اتبعك من المؤمنين أي وكافي أتباعك من المؤمنين، وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله، بالكفاية والنصرة ثم قال تعالى، أيها النبي

القتال، أنه لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه، والذب عن كتاب الله، وحصول الفوز الأكبر عند الله، وهذه كلها دواعٍ للشجاعة والصبر والإقدام على القتال، 65 بأن الكفار أقوم لا يفقهون أي لا علم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها، وأنتم تفقهون المقصود من أن يكن منكم أي فيها المؤمنون، عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا، يكون الواحد بنسبة عشرة من الكفار، وذلك الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون، الجهاد ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من لنبيه - صلى الله عليه وسلم - أي أيها النبي حرض المؤمنين على القتال أي حثهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم وينشط همهم، من الترغيب في يقول تعالى

أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك، فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر الله به من النصر لهذا العدد القليل، 66 تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين، ويجاب عن الثاني أن المقصود بتقبيد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر، وقد يقال، إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة بدعية لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر، وهو ظنهم الضرر، كما تقتضيه الحكمة الإلهية، ويجاب عن الأول بأن قوله، لأن خفف الله عنكم إلى آخرها، دليل على أن هذا أمر لازم وأمر محتتم، ثم إن الله العدد أن يكونوا صابرين بأن يكونوا متدربين على الصبر، ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين، فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم إذا غلب على ولكن يرد على هذا أمران، أحدهما أنها بصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع، والثاني، تقبيد ذلك العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية، ولكن معناها حقيقة الأمر، وأن الله أمر المؤمنين - في أول الأمر - أن الواحد لا يجوز له أن يفر من بعونه وتأيدته، وهذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، ضعفاً، فلذلك اقتضت رحمته وحكمته التخفيف، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين، بإذن الله والله مع الصابرين

تفسير السعدي

ثم إن هذا الحكم خففه الله على العباد فقال ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم

فيأمركم بما يوصل إلى ذلك﴾ ^{٦٧} والله عزيز حكيم ^{٦٨} أي: كامل العزة، ولو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعّل، لكنه حكيم، يبتلي بعضكم ببعض ^{٦٩} بأخذكم الفداء وإبقائهم لعرض الدنيا ^{٧٠} أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم ^{٧١} والله يريد الآخرة بإعزاز دينه، ونصر أوليائه، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، دام لهم شر وصوله، فالأوفق أن لا يؤسروا ^{٧٢} فإذا أئخذوا، وبطل شرهم، واضمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم ^{٧٣} يقول تعالى ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠} ^{١٠١} ^{١٠٢} ^{١٠٣} ^{١٠٤} ^{١٠٥} ^{١٠٦} ^{١٠٧} ^{١٠٨} ^{١٠٩} ^{١١٠} ^{١١١} ^{١١٢} ^{١١٣} ^{١١٤} ^{١١٥} ^{١١٦} ^{١١٧} ^{١١٨} ^{١١٩} ^{١٢٠} ^{١٢١} ^{١٢٢} ^{١٢٣} ^{١٢٤} ^{١٢٥} ^{١٢٦} ^{١٢٧} ^{١٢٨} ^{١٢٩} ^{١٣٠} ^{١٣١} ^{١٣٢} ^{١٣٣} ^{١٣٤} ^{١٣٥} ^{١٣٦} ^{١٣٧} ^{١٣٨} ^{١٣٩} ^{١٤٠} ^{١٤١} ^{١٤٢} ^{١٤٣} ^{١٤٤} ^{١٤٥} ^{١٤٦} ^{١٤٧} ^{١٤٨} ^{١٤٩} ^{١٥٠} ^{١٥١} ^{١٥٢} ^{١٥٣} ^{١٥٤} ^{١٥٥} ^{١٥٦} ^{١٥٧} ^{١٥٨} ^{١٥٩} ^{١٦٠} ^{١٦١} ^{١٦٢} ^{١٦٣} ^{١٦٤} ^{١٦٥} ^{١٦٦} ^{١٦٧} ^{١٦٨} ^{١٦٩} ^{١٧٠} ^{١٧١} ^{١٧٢} ^{١٧٣} ^{١٧٤} ^{١٧٥} ^{١٧٦} ^{١٧٧} ^{١٧٨} ^{١٧٩} ^{١٨٠} ^{١٨١} ^{١٨٢} ^{١٨٣} ^{١٨٤} ^{١٨٥} ^{١٨٦} ^{١٨٧} ^{١٨٨} ^{١٨٩} ^{١٩٠} ^{١٩١} ^{١٩٢} ^{١٩٣} ^{١٩٤} ^{١٩٥} ^{١٩٦} ^{١٩٧} ^{١٩٨} ^{١٩٩} ^{٢٠٠} ^{٢٠١} ^{٢٠٢} ^{٢٠٣} ^{٢٠٤} ^{٢٠٥} ^{٢٠٦} ^{٢٠٧} ^{٢٠٨} ^{٢٠٩} ^{٢١٠} ^{٢١١} ^{٢١٢} ^{٢١٣} ^{٢١٤} ^{٢١٥} ^{٢١٦} ^{٢١٧} ^{٢١٨} ^{٢١٩} ^{٢٢٠} ^{٢٢١} ^{٢٢٢} ^{٢٢٣} ^{٢٢٤} ^{٢٢٥} ^{٢٢٦} ^{٢٢٧} ^{٢٢٨} ^{٢٢٩} ^{٢٣٠} ^{٢٣١} ^{٢٣٢} ^{٢٣٣} ^{٢٣٤} ^{٢٣٥} ^{٢٣٦} ^{٢٣٧} ^{٢٣٨} ^{٢٣٩} ^{٢٤٠} ^{٢٤١} ^{٢٤٢} ^{٢٤٣} ^{٢٤٤} ^{٢٤٥} ^{٢٤٦} ^{٢٤٧} ^{٢٤٨} ^{٢٤٩} ^{٢٥٠} ^{٢٥١} ^{٢٥٢} ^{٢٥٣} ^{٢٥٤} ^{٢٥٥} ^{٢٥٦} ^{٢٥٧} ^{٢٥٨} ^{٢٥٩} ^{٢٦٠} ^{٢٦١} ^{٢٦٢} ^{٢٦٣} ^{٢٦٤} ^{٢٦٥} ^{٢٦٦} ^{٢٦٧} ^{٢٦٨} ^{٢٦٩} ^{٢٧٠} ^{٢٧١} ^{٢٧٢} ^{٢٧٣} ^{٢٧٤} ^{٢٧٥} ^{٢٧٦} ^{٢٧٧} ^{٢٧٨} ^{٢٧٩} ^{٢٨٠} ^{٢٨١} ^{٢٨٢} ^{٢٨٣} ^{٢٨٤} ^{٢٨٥} ^{٢٨٦} ^{٢٨٧} ^{٢٨٨} ^{٢٨٩} ^{٢٩٠} ^{٢٩١} ^{٢٩٢} ^{٢٩٣} ^{٢٩٤} ^{٢٩٥} ^{٢٩٦} ^{٢٩٧} ^{٢٩٨} ^{٢٩٩} ^{٣٠٠} ^{٣٠١} ^{٣٠٢} ^{٣٠٣} ^{٣٠٤} ^{٣٠٥} ^{٣٠٦} ^{٣٠٧} ^{٣٠٨} ^{٣٠٩} ^{٣١٠} ^{٣١١} ^{٣١٢} ^{٣١٣} ^{٣١٤} ^{٣١٥} ^{٣١٦} ^{٣١٧} ^{٣١٨} ^{٣١٩} ^{٣٢٠} ^{٣٢١} ^{٣٢٢} ^{٣٢٣} ^{٣٢٤} ^{٣٢٥} ^{٣٢٦} ^{٣٢٧} ^{٣٢٨} ^{٣٢٩} ^{٣٣٠} ^{٣٣١} ^{٣٣٢} ^{٣٣٣} ^{٣٣٤} ^{٣٣٥} ^{٣٣٦} ^{٣٣٧} ^{٣٣٨} ^{٣٣٩} ^{٣٤٠} ^{٣٤١} ^{٣٤٢} ^{٣٤٣} ^{٣٤٤} ^{٣٤٥} ^{٣٤٦} ^{٣٤٧} ^{٣٤٨} ^{٣٤٩} ^{٣٥٠} ^{٣٥١} ^{٣٥٢} ^{٣٥٣} ^{٣٥٤} ^{٣٥٥} ^{٣٥٦} ^{٣٥٧} ^{٣٥٨} ^{٣٥٩} ^{٣٦٠} ^{٣٦١} ^{٣٦٢} ^{٣٦٣} ^{٣٦٤} ^{٣٦٥} ^{٣٦٦} ^{٣٦٧} ^{٣٦٨} ^{٣٦٩} ^{٣٧٠} ^{٣٧١} ^{٣٧٢} ^{٣٧٣} ^{٣٧٤} ^{٣٧٥} ^{٣٧٦} ^{٣٧٧} ^{٣٧٨} ^{٣٧٩} ^{٣٨٠} ^{٣٨١} ^{٣٨٢} ^{٣٨٣} ^{٣٨٤} ^{٣٨٥} ^{٣٨٦} ^{٣٨٧} ^{٣٨٨} ^{٣٨٩} ^{٣٩٠} ^{٣٩١} ^{٣٩٢} ^{٣٩٣} ^{٣٩٤} ^{٣٩٥} ^{٣٩٦} ^{٣٩٧} ^{٣٩٨} ^{٣٩٩} ^{٤٠٠} ^{٤٠١} ^{٤٠٢} ^{٤٠٣} ^{٤٠٤} ^{٤٠٥} ^{٤٠٦} ^{٤٠٧} ^{٤٠٨} ^{٤٠٩} ^{٤١٠} ^{٤١١} ^{٤١٢} ^{٤١٣} ^{٤١٤} ^{٤١٥} ^{٤١٦} ^{٤١٧} ^{٤١٨} ^{٤١٩} ^{٤٢٠} ^{٤٢١} ^{٤٢٢} ^{٤٢٣} ^{٤٢٤} ^{٤٢٥} ^{٤٢٦} ^{٤٢٧} ^{٤٢٨} ^{٤٢٩} ^{٤٣٠} ^{٤٣١} ^{٤٣٢} ^{٤٣٣} ^{٤٣٤} ^{٤٣٥} ^{٤٣٦} ^{٤٣٧} ^{٤٣٨} ^{٤٣٩} ^{٤٤٠} ^{٤٤١} ^{٤٤٢} ^{٤٤٣} ^{٤٤٤} ^{٤٤٥} ^{٤٤٦} ^{٤٤٧} ^{٤٤٨} ^{٤٤٩} ^{٤٥٠} ^{٤٥١} ^{٤٥٢} ^{٤٥٣} ^{٤٥٤} ^{٤٥٥} ^{٤٥٦} ^{٤٥٧} ^{٤٥٨} ^{٤٥٩} ^{٤٦٠} ^{٤٦١} ^{٤٦٢} ^{٤٦٣} ^{٤٦٤} ^{٤٦٥} ^{٤٦٦} ^{٤٦٧} ^{٤٦٨} ^{٤٦٩} ^{٤٧٠} ^{٤٧١} ^{٤٧٢} ^{٤٧٣} ^{٤٧٤} ^{٤٧٥} ^{٤٧٦} ^{٤٧٧} ^{٤٧٨} ^{٤٧٩} ^{٤٨٠} ^{٤٨١} ^{٤٨٢} ^{٤٨٣} ^{٤٨٤} ^{٤٨٥} ^{٤٨٦} ^{٤٨٧} ^{٤٨٨} ^{٤٨٩} ^{٤٩٠} ^{٤٩١} ^{٤٩٢} ^{٤٩٣} ^{٤٩٤} ^{٤٩٥} ^{٤٩٦} ^{٤٩٧} ^{٤٩٨} ^{٤٩٩} ^{٥٠٠} ^{٥٠١} ^{٥٠٢} ^{٥٠٣} ^{٥٠٤} ^{٥٠٥} ^{٥٠٦} ^{٥٠٧} ^{٥٠٨} ^{٥٠٩} ^{٥١٠} ^{٥١١} ^{٥١٢} ^{٥١٣} ^{٥١٤} ^{٥١٥} ^{٥١٦} ^{٥١٧} ^{٥١٨} ^{٥١٩} ^{٥٢٠} ^{٥٢١} ^{٥٢٢} ^{٥٢٣} ^{٥٢٤} ^{٥٢٥} ^{٥٢٦} ^{٥٢٧} ^{٥٢٨} ^{٥٢٩} ^{٥٣٠} ^{٥٣١} ^{٥٣٢} ^{٥٣٣} ^{٥٣٤} ^{٥٣٥} ^{٥٣٦} ^{٥٣٧} ^{٥٣٨} ^{٥٣٩} ^{٥٤٠} ^{٥٤١} ^{٥٤٢} ^{٥٤٣} ^{٥٤٤} ^{٥٤٥} ^{٥٤٦} ^{٥٤٧} ^{٥٤٨} ^{٥٤٩} ^{٥٥٠} ^{٥٥١} ^{٥٥٢} ^{٥٥٣} ^{٥٥٤} ^{٥٥٥} ^{٥٥٦} ^{٥٥٧} ^{٥٥٨} ^{٥٥٩} ^{٥٦٠} ^{٥٦١} ^{٥٦٢} ^{٥٦٣} ^{٥٦٤} ^{٥٦٥} ^{٥٦٦} ^{٥٦٧} ^{٥٦٨} ^{٥٦٩} ^{٥٧٠} ^{٥٧١} ^{٥٧٢} ^{٥٧٣} ^{٥٧٤} ^{٥٧٥} ^{٥٧٦} ^{٥٧٧} ^{٥٧٨} ^{٥٧٩} ^{٥٨٠} ^{٥٨١} ^{٥٨٢} ^{٥٨٣} ^{٥٨٤} ^{٥٨٥} ^{٥٨٦} ^{٥٨٧} ^{٥٨٨} ^{٥٨٩} ^{٥٩٠} ^{٥٩١} ^{٥٩٢} ^{٥٩٣} ^{٥٩٤} ^{٥٩٥} ^{٥٩٦} ^{٥٩٧} ^{٥٩٨} ^{٥٩٩} ^{٦٠٠} ^{٦٠١} ^{٦٠٢} ^{٦٠٣} ^{٦٠٤} ^{٦٠٥} ^{٦٠٦} ^{٦٠٧} ^{٦٠٨} ^{٦٠٩} ^{٦١٠} ^{٦١١} ^{٦١٢} ^{٦١٣} ^{٦١٤} ^{٦١٥} ^{٦١٦} ^{٦١٧} ^{٦١٨} ^{٦١٩} ^{٦٢٠} ^{٦٢١} ^{٦٢٢} ^{٦٢٣} ^{٦٢٤} ^{٦٢٥} ^{٦٢٦} ^{٦٢٧} ^{٦٢٨} ^{٦٢٩} ^{٦٣٠} ^{٦٣١} ^{٦٣٢} ^{٦٣٣} ^{٦٣٤} ^{٦٣٥} ^{٦٣٦} ^{٦٣٧} ^{٦٣٨} ^{٦٣٩} ^{٦٤٠} ^{٦٤١} ^{٦٤٢} ^{٦٤٣} ^{٦٤٤} ^{٦٤٥} ^{٦٤٦} ^{٦٤٧} ^{٦٤٨} ^{٦٤٩} ^{٦٥٠} ^{٦٥١} ^{٦٥٢} ^{٦٥٣} ^{٦٥٤} ^{٦٥٥} ^{٦٥٦} ^{٦٥٧} ^{٦٥٨} ^{٦٥٩} ^{٦٦٠} ^{٦٦١} ^{٦٦٢} ^{٦٦٣} ^{٦٦٤} ^{٦٦٥} ^{٦٦٦} ^{٦٦٧} ^{٦٦٨} ^{٦٦٩} ^{٦٧٠} ^{٦٧١} ^{٦٧٢} ^{٦٧٣} ^{٦٧٤} ^{٦٧٥} ^{٦٧٦} ^{٦٧٧} ^{٦٧٨} ^{٦٧٩} ^{٦٨٠} ^{٦٨١} ^{٦٨٢} ^{٦٨٣} ^{٦٨٤} ^{٦٨٥} ^{٦٨٦} ^{٦٨٧} ^{٦٨٨} ^{٦٨٩} ^{٦٩٠} ^{٦٩١} ^{٦٩٢} ^{٦٩٣} ^{٦٩٤} ^{٦٩٥} ^{٦٩٦} ^{٦٩٧} ^{٦٩٨} ^{٦٩٩} ^{٧٠٠} ^{٧٠١} ^{٧٠٢} ^{٧٠٣} ^{٧٠٤} ^{٧٠٥} ^{٧٠٦} ^{٧٠٧} ^{٧٠٨} ^{٧٠٩} ^{٧١٠} ^{٧١١} ^{٧١٢} ^{٧١٣} ^{٧١٤} ^{٧١٥} ^{٧١٦} ^{٧١٧} ^{٧١٨} ^{٧١٩} ^{٧٢٠} ^{٧٢١} ^{٧٢٢} ^{٧٢٣} ^{٧٢٤} ^{٧٢٥} ^{٧٢٦} ^{٧٢٧} ^{٧٢٨} ^{٧٢٩} ^{٧٣٠} ^{٧٣١} ^{٧٣٢} ^{٧٣٣} ^{٧٣٤} ^{٧٣٥} ^{٧٣٦} ^{٧٣٧} ^{٧٣٨} ^{٧٣٩} ^{٧٤٠} ^{٧٤١} ^{٧٤٢} ^{٧٤٣} ^{٧٤٤} ^{٧٤٥} ^{٧٤٦} ^{٧٤٧} ^{٧٤٨} ^{٧٤٩} ^{٧٥٠} ^{٧٥١} ^{٧٥٢} ^{٧٥٣} ^{٧٥٤} ^{٧٥٥} ^{٧٥٦} ^{٧٥٧} ^{٧٥٨} ^{٧٥٩} ^{٧٦٠} ^{٧٦١} ^{٧٦٢} ^{٧٦٣} ^{٧٦٤} ^{٧٦٥} ^{٧٦٦} ^{٧٦٧} ^{٧٦٨} ^{٧٦٩} ^{٧٧٠} ^{٧٧١} ^{٧٧٢} ^{٧٧٣} ^{٧٧٤} ^{٧٧٥} ^{٧٧٦} ^{٧٧٧} ^{٧٧٨} ^{٧٧٩} ^{٧٨٠} ^{٧٨١} ^{٧٨٢} ^{٧٨٣} ^{٧٨٤} ^{٧٨٥} ^{٧٨٦} ^{٧٨٧} ^{٧٨٨} ^{٧٨٩} ^{٧٩٠} ^{٧٩١} ^{٧٩٢} ^{٧٩٣} ^{٧٩٤} ^{٧٩٥} ^{٧٩٦} ^{٧٩٧} ^{٧٩٨} ^{٧٩٩} ^{٨٠٠} ^{٨٠١} ^{٨٠٢} ^{٨٠٣} ^{٨٠٤} ^{٨٠٥} ^{٨٠٦} ^{٨٠٧} ^{٨٠٨} ^{٨٠٩} ^{٨١٠} ^{٨١١} ^{٨١٢} ^{٨١٣} ^{٨١٤} ^{٨١٥} ^{٨١٦} ^{٨١٧} ^{٨١٨} ^{٨١٩} ^{٨٢٠} ^{٨٢١} ^{٨٢٢} ^{٨٢٣} ^{٨٢٤} ^{٨٢٥} ^{٨٢٦} ^{٨٢٧} ^{٨٢٨} ^{٨٢٩} ^{٨٣٠} ^{٨٣١} ^{٨٣٢} ^{٨٣٣} ^{٨٣٤} ^{٨٣٥} ^{٨٣٦} ^{٨٣٧} ^{٨٣٨} ^{٨٣٩} ^{٨٤٠} ^{٨٤١} ^{٨٤٢} ^{٨٤٣} ^{٨٤٤} ^{٨٤٥} ^{٨٤٦} ^{٨٤٧} ^{٨٤٨} ^{٨٤٩} ^{٨٥٠} ^{٨٥١} ^{٨٥٢} ^{٨٥٣} ^{٨٥٤} ^{٨٥٥} ^{٨٥٦} ^{٨٥٧} ^{٨٥٨} ^{٨٥٩} ^{٨٦٠} ^{٨٦١} ^{٨٦٢} ^{٨٦٣} ^{٨٦٤} ^{٨٦٥} ^{٨٦٦} ^{٨٦٧} ^{٨٦٨} ^{٨٦٩} ^{٨٧٠} ^{٨٧١} ^{٨٧٢} ^{٨٧٣} ^{٨٧٤} ^{٨٧٥} ^{٨٧٦} ^{٨٧٧} ^{٨٧٨} ^{٨٧٩} ^{٨٨٠} ^{٨٨١} ^{٨٨٢} ^{٨٨٣} ^{٨٨٤} ^{٨٨٥} ^{٨٨٦} ^{٨٨٧} ^{٨٨٨} ^{٨٨٩} ^{٨٩٠} ^{٨٩١} ^{٨٩٢} ^{٨٩٣} ^{٨٩٤} ^{٨٩٥} ^{٨٩٦} ^{٨٩٧} ^{٨٩٨} ^{٨٩٩} ^{٩٠٠} ^{٩٠١} ^{٩٠٢} ^{٩٠٣} ^{٩٠٤} ^{٩٠٥} ^{٩٠٦} ^{٩٠٧} ^{٩٠٨} ^{٩٠٩} ^{٩١٠} ^{٩١١} ^{٩١٢} ^{٩١٣} ^{٩١٤} ^{٩١٥} ^{٩١٦} ^{٩١٧} ^{٩١٨} ^{٩١٩} ^{٩٢٠} ^{٩٢١} ^{٩٢٢} ^{٩٢٣} ^{٩٢٤} ^{٩٢٥} ^{٩٢٦} ^{٩٢٧} ^{٩٢٨} ^{٩٢٩} ^{٩٣٠} ^{٩٣١} ^{٩٣٢} ^{٩٣٣} ^{٩٣٤} ^{٩٣٥} ^{٩٣٦} ^{٩٣٧} ^{٩٣٨} ^{٩٣٩} ^{٩٤٠} ^{٩٤١} ^{٩٤٢} ^{٩٤٣} ^{٩٤٤} ^{٩٤٥} ^{٩٤٦} ^{٩٤٧} ^{٩٤٨} ^{٩٤٩} ^{٩٥٠} ^{٩٥١} ^{٩٥٢} ^{٩٥٣} ^{٩٥٤} ^{٩٥٥} ^{٩٥٦} ^{٩٥٧} ^{٩٥٨} ^{٩٥٩} ^{٩٦٠} ^{٩٦١} ^{٩٦٢} ^{٩٦٣} ^{٩٦٤} ^{٩٦٥} ^{٩٦٦} ^{٩٦٧} ^{٩٦٨} ^{٩٦٩} ^{٩٧٠} ^{٩٧١} ^{٩٧٢} ^{٩٧٣} ^{٩٧٤} ^{٩٧٥} ^{٩٧٦} ^{٩٧٧} ^{٩٧٨} ^{٩٧٩} ^{٩٨٠} ^{٩٨١} ^{٩٨٢} ^{٩٨٣} ^{٩٨٤} ^{٩٨٥} ^{٩٨٦} ^{٩٨٧} ^{٩٨٨} ^{٩٨٩} ^{٩٩٠} ^{٩٩١} ^{٩٩٢} ^{٩٩٣} ^{٩٩٤} ^{٩٩٥} ^{٩٩٦} ^{٩٩٧} ^{٩٩٨} ^{٩٩٩} ^{١٠٠٠} ^{١٠٠١} ^{١٠٠٢} ^{١٠٠٣} ^{١٠٠٤} ^{١٠٠٥} ^{١٠٠٦} ^{١٠٠٧} ^{١٠٠٨} ^{١٠٠٩} ^{١٠١٠} ^{١٠١١} ^{١٠١٢} ^{١٠١٣} ^{١٠١٤} ^{١٠١٥} ^{١٠١٦} ^{١٠١٧} ^{١٠١٨} ^{١٠١٩} ^{١٠٢٠} ^{١٠٢١} ^{١٠٢٢} ^{١٠٢٣} ^{١٠٢٤} ^{١٠٢٥} ^{١٠٢٦} ^{١٠٢٧} ^{١٠٢٨} ^{١٠٢٩} ^{١٠٣٠} ^{١٠٣١} ^{١٠٣٢} ^{١٠٣٣} ^{١٠٣٤} ^{١٠٣٥} ^{١٠٣٦} ^{١٠٣٧} ^{١٠٣٨} ^{١٠٣٩} ^{١٠٤٠} ^{١٠٤١} ^{١٠٤٢} ^{١٠٤٣} ^{١٠٤٤} ^{١٠٤٥} ^{١٠٤٦} ^{١٠٤٧} ^{١٠٤٨} ^{١٠٤٩} ^{١٠٥٠} ^{١٠٥١} ^{١٠٥٢} ^{١٠٥٣} ^{١٠٥٤} ^{١٠٥٥} ^{١٠٥٦} ^{١٠٥٧} ^{١٠٥٨} ^{١٠٥٩} ^{١٠٦٠} ^{١٠٦١} ^{١٠٦٢} ^{١٠٦٣} ^{١٠٦٤} ^{١٠٦٥} ^{١٠٦٦} ^{١٠٦٧} ^{١٠٦٨} ^{١٠٦٩} ^{١٠}

تفسير السعدي

شيءًا لكانهم لو أن استنصروكم في الدين أي لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم فعليكم النصر والقتال معهم، وأما من قاتلهم لغير ذلك من المقاصد من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال، فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين - وأصحابه وأعوانهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكامل إيمانهم وتام اتصال بعضهم ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله - صلى الله عليه وسلم هذا عقد مولاة ومحبة، عقدها الله

وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض 73 واليتم الكافرين وعاديتهم المؤمنين لأن فتنه في الأرض وفساد كبير فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكفر، الكفر فبعضهم أولياء لبعض فلا يواليتهم إلا كافر مثلهم وقوله لا تفعلوه أي مولاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتهموهم كلهم أو عاديتهموهم كلهم، أو لما عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم

أقي كتاب الله أي في حكمه وشرعه لأن الله بكل شيء عليم ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائع الدين عليكم ما يناسبها 74 كتاب الله فلا يرثه إلا أقاربه من العصبات وأصحاب الفروض، فإن لم يكونوا، فأقرب قرابته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة، وقوله وسلم - آخى بين المهاجرين والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها، فأنزل الله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في أموالكم منكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فهذه المولاة الإيمانية - وقد كانت في أول الإسلام - لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي - صلى الله عليه وسلم - الثواب المعجل ما تقر به أعينهم، وتطمئن به قلوبهم، وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، ممن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل الله لهم هم مغفرة من الله تمحى بها سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، ولهم لرزق كريم أي خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم وربما حصل لهم من الأنصار لهم المؤمنون حقاً لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والمولاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين وهذه الآيات في بيان مدحهم وثوابهم، فقال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك أي المؤمنون من المهاجرين تفسير الآيتين 74 و75 - الآيات السابقات في ذكر عقد المولاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار

وشرعه لأن الله بكل شيء عليم ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائع الدين عليكم ما يناسبها 75 ثم تفسير سورة الأنفال ولله الحمد 75 من العصبات وأصحاب الفروض، فإن لم يكونوا، فأقرب قرابته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة، وقوله أقي كتاب الله أي في حكمه والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها، فأنزل الله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فلا يرثه إلا أقاربه وعليهم ما عليكم فهذه المولاة الإيمانية - وقد كانت في أول الإسلام - لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي - صلى الله عليه وسلم - آخى بين المهاجرين وتطمئن به قلوبهم، وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، ممن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل الله وأولئك منكم لهم ما لكم سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، ولهم لرزق كريم أي خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم وربما حصل لهم من الثواب المعجل ما تقر به أعينهم، لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والمولاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين لهم مغفرة من الله تمحى بها وثوابهم، فقال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك أي المؤمنون من المهاجرين والأنصار لهم المؤمنون حقاً تفسير الآيتين 74 و75 - الآيات السابقات في ذكر عقد المولاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار وهذه الآيات في بيان مدحهم

بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ويبطل الباطل بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ولو كره المجرمون فلا يزال الله بهم. 8 الله أن يحق الحق بكلماته فينصر أهله ويقطع دابر الكافرين أي: يستأصل أهل الباطل، ويرى عباده من نصره للحق أمراً لم يكن يخطر ببالهم. ليحق الحق ولأنها غير ذات شوك، ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمراً أعلى مما أحبوا. أراد أن يظفروا بالفتنة الذي خرج فيه كبراء المشركين وصاديديهم. ويريد والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريباً من الألف. فوعده الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعبير، أو بالنفير، فأحبوا العبير لقلّة ذات يد المسلمين، عشر رجلاً معهم سبعون بعيراً، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع غيرهم، في عدد كثير وعدة وافرة من السلاح مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة، فلما سمعوا برجوعها من الشام، ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس، فخرج معه ثلاثمائة، وبضعة الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقبض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها. وكان أصل خروجهم يتعرضون لعبير خرجت فأما إذا وضح وبان، فليس إلا الانقياد والإذعان. هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم ما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدال محل فيها لأن الجدال محلّه وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصاً بعد قدره وقضاه. وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال. فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به، كذلك أخرج الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى لقاء المشركين في بدر بالحق الذي يحبه الله تعالى، وقد التي على المؤمنين أن يقوموا بها، لأن من قام بها استقامت أحواله وصلحت أعماله، التي من أكبرها الجهاد في سبيله. فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي، تفسير الآيات من 5 حتى 8: قدم تعالى أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة الصفات

تفسير السعدي

بريكم، وطلبتهم منه أن يعينكم وينصركم فاستجاب لكم وأغاثكم بعدة أمور: منها: أن الله أمدكم بألف من الملائكة مردفين أي: يردف بعضهم بعضا. 9
أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم

سورة 9

يفوتوه، وأنه من استمر منهم على شركه فإنه لا بد أن يخزيه، فكان هذا مما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد الله له 1
الله يتعين أن يتم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد 1 ثم أُنذر المعاهدين في مدة عهدهم، أنهم وإن كانوا آمنين، فإنهم لن يعجزوا الله ولن
الأربعة الأشهر فلا عهد لهم، ولا ميثاق 1 وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإن
1 و2: أي هذه براءة من الله ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسبحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وبعد
تفسير الآيتين

عرف دين الإسلام وشرائع الدين 1 اللهم اجعلنا من القوم الذين يعملون، ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين 10
وضح، أحكاما وحكما، وحكما قال 1 ونفصل الآيات أي: نوضحها ونميزها القوم يعملون 1 فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، وبهم
الدين 1 وتناصوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدا حقيقا 1 لما بين من أحكامه العظيمة ما بين، ووضح منها ما
بهما، حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء، ولهذا 1 فإن تابوا 1 عن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان 1 وأقاموا الصلاة 1 وآتوا الزكاة 1 فإخوانكم في
عن دينكم، وانصروه واتخذوا من عاداه لكم عدوا ومن نصره لكم وليا، واجعلوا الحكم يدور مع وجودا وعدما، لا تجعلوا الولاية والعداوة، طبيعية تملون
إلا ولا ذمة 1 أي 1 لأجل عداوتهم للإيمان 1 إلا ولا ذمة 1 أي 1 لأجل عداوتهم للإيمان 1 وأهل 1 فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم، هو الإيمان، فذبوا
في الدنيا 1 على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله 1 أقصدوا بأنفسهم، وصدوا غيرهم 1 عن سبيله 1 إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن
تفسير الآيات من 9 إلى 11: 1 اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا 1 أي 1 اختاروا الحظ العاجل الخسيس

وجدوه 1 ألك الفوز العظيم 1 الذي حصل لهم فيه، كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كل محذور 1 100
الجنان، والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضرة 1 الأخالدين فيها أبدا 1 لا يبغون عنها حولا، ولا يطلبون منها بدلا، لأنهم مهما تمنوه، أدركوه، ومهما أرادوه،
الكرامات من الله 1 أرضي الله عنهم 1 ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار 1 الجارية التي تساق إلى سقي
ولو كان بهم خصاصة 1 والذين اتبعوهم بإحسان 1 بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل
الصادقون 1 ومن الأنصار 1 الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم 1 يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم
والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله 1 آمن المهاجرين 1 الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم 1 يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم
السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان

لما يصيب المؤمنين من الفتح والنصر، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار 1 ويحتمل أن المراد سنغلظ عليهم العذاب، ونضاعفه عليهم ونكرهه 1 101
أحسن نعلمهم سنعذبهم مرتين 1 يحتمل أن التثنية على بابها، وأن عذابهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة 1 ففي الدنيا ما ينالهم من الهم والحزن، والكرهية
على النفاق 1 أي 1 تمرنوا عليه، واستمروا وازدادوا فيه طغيانا 1 لا تعلمهم 1 بأعيانهم فتعاقبهم، أو تعاملهم بمقتضى نفاقهم، لما لله في ذلك من الحكمة الباهرة 1
يقول تعالى 1 أو ممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة 1 أيضا منافقون 1 أمردوا

والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب 1 وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصرا على الذنوب، فإنه يخاف عليه أشد الخوف 1 102
قبيل موتهم بأقل القليل، فإنه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، فهذه الآية، دلت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحا، أنه تحت الخوف
إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا 1 ومن مغفرته أن المسرفين على أنفسهم الذين قطعوا أعمارهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا ولو
بل لا بقاء للعالم العلوي والسفلي إلا بهما، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة 1 1 أن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا
على عبده نوعان 1 الأول 1 التوفيق للتوبة 1 والثاني 1 قبولها بعد وقوعها منهم 1 1 أن الله غفور رحيم 1 أي 1 وصفه المغفرة والرحمة اللتان لا يخلو مخلوق منهما،
من التجرد على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء، بأن يغفر الله لهم، فهؤلاء 1 عسى الله أن يتوب عليهم 1 وتوبته
صالحا إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهؤلاء 1 خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة،
الإسلامية، اعترفوا بذنوبهم 1 أي 1 أقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها 1 اخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا 1 ولا يكون العمل
يقول تعالى 1 أو آخرون 1 آمنن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد

اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه 1 وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملا صالحا بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك 1 103
لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي، أن يكون جهرا، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه 1 ويؤخذ من المعنى، أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام
يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها 1 وفيها 1 استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه

تفسير السعدى

بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة، مالا يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، وإنما صرف عن المالية بالفقنية ونحوها، وفيها: "أن العبد لا يمكنه أن التجارة، فإن كان المال ينمي، كالحبوب، والثمار، والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للفقنية، لم تكن الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال تنمي ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسى منها الفقراء، بأداء ما أوجب الله فيها من الزكاة" وما عدا أموال عليه وسلم - يمتثل لأمر الله، ويأمرهم بالصدقة، ويبعث عماله لجبايتها، فإذا أتاه أحد بصدقته دعا له وبركاً، ففي هذه الآية، دلالة على وجوب الزكاة، في جميع واستبشار لهم، أو الله سميع الدعاء، سمع إجابة وقبول، "أعلم" بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عامل بعمله، وعلى قدر نيته، فكان النبي - صلى الله وتتمي أموالهم، أو وصل عليهم، أي: ادع لهم، أي: للمؤمنين عموماً وخصوصاً عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم، لأن صلاتك سكن لهم، أي: طمأنينة لقلوبهم، بها، أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة، أو تزكيتهم، أي: تنميتهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، قال تعالى لرسوله ومن قام مقامه، أمراً له بما يظهر المؤمنين، ويتم إيمانهم، "أخذ" من أموالهم صدقة، وهي الزكاة المفروضة، "أظهرهم وتزكيتهم

والشرود عن بابه، ومولاتهم عدوهم^{١٠٤} الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بأياته، ويتبعون رسوله^{١٠٤} أي كثير التوبة على التائبين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو تكررت منه المعصية^{١٠٤} أمراراً ولا يمل الله من التوبة على عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفاذ ويأخذها بيمينه، فيريها لأحدهم كما يربي الرجل فله، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك^{١٠٤} وأن الله هو التواب كرمه وأنه يقبل التوبة عن عباده^{١٠٤} التائبين من أي ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده، إذا تاب أعظم فرح يقدر^{١٠٤} أو يأخذ الصدقات^{١٠٤} منهم أي يقبلها، أي^{١٠٤} أما علموا سعة رحمة الله وعموم

وعصيانة^{١٠٥} ويحتمل أن المعنى^{١٠٦} أنكم مهما عملتم من خير أوشر، فإن الله مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة^{١٠٧} فاستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون^{١٠٨} من خير وشر، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمر على باطله وطغيانه وغيه ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك، سيخفى^{١٠٩} القسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون^{١١٠} أي^{١١١} لا بد أن يتبين عملكم ويتضح، يقول تعالى^{١١٢} **قُلِ الْهَٰؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ ۖ إِنَّمَا يُدِيرُ ٱلْأُمُورَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ۚ سَيُجَنَّبُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ۚ فَبَسْ ۖ ٱلْقَوْمُ كَافِرُونَ ۚ**

وينزلها منازلها، فإن اقتضت حكمته أن يغفر لهم ويتوب عليهم غفر لهم وتاب عليهم، وإن اقتضت حكمته أن يخذلهم ولا يوفقهم للتوبة، فعل ذلك ﴿١٠٦﴾ يتوب عليهم ﴿١٠٧﴾ في هذا التخويف الشديد للمخلفين، والحث لهم على التوبة والندم ﴿١٠٨﴾ والله عليم بأحوال العباد ونياتهم أحكيم يضع الأشياء مواضعها، أي ﴿١٠٩﴾ أو آخرون آمن المخلفين مؤخرون الأمر الله إما يعذبهم وإما

أردنا في بنائنا إياه إلا الحسنى أي الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير، والله يشهد إنهم كاذبون، فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم. 107 - صلى الله عليه وسلم - من يهدمه ويحرقه، فهدم وحرق، وصار بعد ذلك مزبلة، قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد أولي حلفن إن بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد وممالة، هو والمنافقون فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي به، وكان متعبدا في الجاهلية، فذهب إلى المشركين يستعين بهم على حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر الذين تقدم حراهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - وهاجر إلى المدينة، كفر لؤثريقا بين المؤمنين أي ليتشعبوا ويتفرقوا، وإرصاد أي إعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل أي إغاثة للمحاربين لله ورسوله، سرهم فقالوا الذين اتخذوا مسجدا ضارا أي مضارا للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه لوكفر أي قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصنا عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء،

على صنيعهم^١ والله يحب المطهرين^٢ الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث^٣ 108 من مخالفة الله ورسوله^٤ وسألهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد ما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة الماء، فحدهم ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد، مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحزرون والأحداث^٥ ومن المعلوم أن من أحب شيئاً لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، وتتعب، وتذكر الله تعالى فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله^٦ آفقيه رجال يحبون أن يتطهروا^٧ من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات وهو مسجد إقبال^٨ أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائره دينه، وكان قديماً في هذا عريقاً فيه، فهذا المسجد الفاضل أحق أن تقوم فيه^٩ تصل في ذلك المسجد الذي بني ضراباً أبدال^{١٠} قاله يغنيك عنه، ولست بمضطر إليه^{١١} المسجد أسس على التقوى من أول يوم^{١٢} ظهر فيه الإسلام في إقبال^{١٣} لا تقم فيه أبدال^{١٤} أي لا

أي على طرف جرف هارأي بال، قد تداعى للانهدام، إقناهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لما فيه مصالح دينهم ودنياهم 109 من الله أي على نية صالحة وإخلاص لورضوان بأن كان موافقا لأمره، فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة، إخير أم من أسس بنيانه على شفا ثم فاضل بين المساجد بحسب مقاصد أهلها وموافقتها لرضاه فقال أفمن أسس بنيانه على تقوى

تفسير السعدي

عرف دين الإسلام وشرائع الدين اللهم اجعلنا من القوم الذين يعملون، ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين 111
 وض، أحكاما وحكما، وحكما قال 112 ونفصل الآيات أي 113 نوضحها ونميزها القوم يعلمون 114 فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، وبهم الدين وتنافسوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدا حقيقيا 115 لما بين من أحكامه العظيمة ما بين، ووضح منها ما بهما، حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء، ولهذا 116 فإن تابوا 117 عن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في دينكم، وانصروهم واتخذوا من عاداهم عدوا ومن نصره لكم وليا، واجعلوا الحكم يدور مع وجودا وعدما، لا تجعلوا الولاية والعداوة، طبيعية تملكون إلا ولا ذمة أي 118 لأجل عداوتهم للإيمان 119 إلا ولا ذمة أي 120 لأجل عداوتهم للإيمان وأهلها 121 فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم، هو الإيمان، فذبوا في الدنيا 122 على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله 123 قصدوا بأنفسهم، وصدوا غيرهم 124 عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن تفسير الآيات من 9 إلى 11: 125 اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا أي 126 اختاروا الحظ العاجل الخسيس

والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين 110
 فيه واختاره الله له من باب أولى وأحرى 127 ومنها 128 أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم 129 قلبه من الندم والحسرات 130 ومنها 131 أنه إذا كان مسجد قباء مسجدا أسس على التقوى، فمسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي أسسه بيده المباركة وعمل ومنها 132 أن الأعمال الحسنة الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع أو فيه معصية لله، فإن المعاصي من فروع الكفر، أو فيه تفريق بين المؤمنين، أو فيه معاونته لمن عادى الله ورسوله، فإنه محرم ممنوع منه، وعكسه بعكسه 133 قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه 134 ومنها 135 أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية، أربع قواعد مهمة، وهي 136 كل عمل فيه مضارة لمسلم، فيه 137 المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه 138 ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان - صلى الله عليه وسلم - يزور البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد اقباء 139 حتى قال الله للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله 140 ومنها 141 النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها 142 ومنها 143 أن المعصية تؤثر في كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين وانتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن الله علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد الموجب عنه، كما قبلت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى 144 ومنها 145 أن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها 146 لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، وأنه يجب هدم مسجد الضرار، الذي اطلع على مقصود أصحابه 147 ومنها 148 أن العمل وإن كان فاضلا تغيره النية، فينقلب منها لا يفعل ولا يخلق ولا يأمر ولا ينهى إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به فله الحمد 149 وفي هذه الآيات فوائد عدة 150 منها 151 أن اتخاذ المسجد الذي يقصد به الضرار فبنيانهم لا يزيدهم إلا ريبا إلى ريبهم، ونفاقا إلى نفاقهم 152 والله عليهم بجميع الأشياء، ظاهرها، وباطنها، خفيها وجليها، وبما أسره العباد، وأعلنوه 153 أحكيم 154 قلوبهم أي 155 شكاً، وريبا مأكثا في قلوبهم، إلا أن تقطع قلوبهم بأن يندموا غاية الندم ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غاية الخوف، فبذلك يعفو الله عنهم، وإلا لا يزال بنينا لهم الذي بنوا ريبة في

أحب الأشياء للإنسان 156 وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق 111
 فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعيان وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفة، أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، أبيعكم الذي بايعتم به أي 157 لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضا، ويحث بعضكم بعضا 158 وذلك هو الفوز العظيم 159 الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق 160 مؤمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا 161 الله فيقتلون ويقتلون 162 فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات 163 وأوعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن 164 التي هي أشرف والحوار الحسن، والمنازل الأنبيات 165 وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه 166 فيقاتلون في سبيل المؤمنين أنفسهم وأموالهم 167 فهي المثلث والسلعة المبيعة 168 بأن لهم الجنة 169 التي فيها ما تشتهي الأنفس، وتلد الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، يخبر تعالى خبرا صدقا، ويعد وعدا حقا بمبايعة عظيمة، ومعوضة جسيمة، وهو أنه اشترى 170 بنفسه الكريمة لهم

ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن 171 وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيمانهم، قوة، وضعفا، وعملا بمقتضاه 112
 يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلا وتركاً 172 وبشر المؤمنين 173 لم يذكر ما يبشرهم به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من الواجبات والمستحبات 174 والناهون عن المنكر 175 وهي جميع ما نهى الله ورسوله عنه 176 والحافظون لحدود الله 177 بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك 178 الراكون الساجدون أي 179 المكثرون من الصلاة، المشتتة على الركوع والسجود 180 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 181 وفسرت بسياسة القلب في معرفة الله ومحبتة، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياحة 182 السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار 183 لسائحون 184 فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين 185 الحامدون لله في السراء والضراء، والبسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم الكرامات 186 فقال 187 هم الثابون أي 188 الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات 189 العابدون أي 190 المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته

تفسير السعدي

كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل

يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، ويعادوا من عاداه الله، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له 113 عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين، وأيضا فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن الجحيم، فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به أن يستغفروا للمشركين، أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ولو كانوا أولي قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب يعنني

سأستغفر لك ربي، فعليكم أن تقتدوا به، وتتبعوا ملة إبراهيم في كل شيء، إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك، كما نهكم الله عليها وعلى غيرها 114 وصفح عما يصدر منهم إليه، من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: الأرحمك، وهو يقول له: سلام عليك لربه وتادبا معه، لأن إبراهيم لأواه، أي: رجاء إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء، والاستغفار والإنابة إلى ربه، الحليم، أي: ذو رحمة بالخلق، إنه كان بي حقيقا، وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه، فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير، أثرا منه موافقة ولن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه عن موعدة وعدها إياه في قوله: سأستغفر لك ربي

لهم على ردهم الحق المبين، والأول أولى، لأن الله بكل شيء عليم، فلكمال علمه وعمومه علمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبين لكم ما به تنتفعون، 115 ويحتمل أن المراد بذلك لوما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، فإذا بين لهم ما يتقون فلم ينقادوا له، عاقبهم بالإضلال جزاء ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين، جاهلين بأمور دينهم، ففي هذا دليل على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه، يعني أن الله تعالى إذا من على قوم بالهداية، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم، فإنه تعالى يتمم عليهم إحسانه، ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه، وتدعو إليه أعظم توليه لعباده، فلماذا قال: لوما لكم من دون الله من ولي ولا نصير، أي: ولي يتولاكم بجلب المنافع لكم، أو نصير يدفع عنكم المضار، 116 وأنواع التدابير الإلهية، فإذا كان لا يخل بتدبيره القدري فكيف يخل بتدبيره الديني المتعلق بالهيتة، ويترك عباده سدى مهملين، أو يدعهم ضالين جاهلين، وهو لأن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت، أي: هو المالك لذلك، المدبر لعباده بالإحياء والإماتة

الوجه الشرعي، وقوله: ثم تاب عليهم، أي: قبل توبتهم، إنه بهم رءوف رحيم، ومن رأفته ورحمته أن من عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبتهم عليها، 117 المستقيم، فإن كان الانحراف في أصل الدين، كان كفرا، وإن كان في شرائعه، كان بحسب تلك الشريعة، التي زاغ عنها، إما قصر عن فعلها، أو فعلها على غير بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم، أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم وأيدهم وقواهم، وزج القلب هو انحرافه عن الصراط الأعداء في وقعة أثول، وكانت في حر شديد، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف، فاستعانوا الله تعالى، وقاموا بذلك لهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات، ولهذا قال: الذين اتبعوه في ساعة العسرة، أي: خرجوا معه لقتال يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تاب على النبي - صلى الله عليه وسلم - والمهاجرين والأنصار، فغفر لهم الزلات، ووفر

من بت في قبول عذرهم، أو في رده، وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: تخلفوا، ومنها: أن الله تعالى من عليهم بالصدق، 118 وانقطع عن المخلوقين، ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: تخلفوا، إشارة إلى أن المؤمنين خلفوهم، أو خلفوا عن وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرص إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة، ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقا تاما، أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر، ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب دمه وأسفه الشديد، خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها، ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة، ومنها: جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية، وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية هو التواب، أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، الرحيم، وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في وفروا منه إليه، فمكتوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة، ثم تاب عليهم، أي: أذن في توبتهم ووفقه لها ليتوبوا، أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، لأن الله من الله إلا إليه، أي: يتيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء، لا وظنوا أن لا ملجأ أي: على سعتها ورحبتها وضاقت عليهم أنفسهم، التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاقت عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وهم: كعب بن مالك وأصحابه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصحاح والسنن، احتى إذا حزنا عظيما، وإضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأكذلك لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا، عن الخروج مع المسلمين، في تلك الغزوة،

مشتمة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، قال الله تعالى: أهذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، الآية، 119 مع الصادقين، أي: أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، إياها الذين آمنوا بالله، وبما أمر الله بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى الله تعالى، باجتنب ما نهى الله عنه والبعد عنه، أو كونوا

على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين، ناكثين للعهد، لا يوثق منهم¹²⁰ العلمهم¹²¹ في قتالكم إياهم¹²² إنتهون¹²³ عن الطعن في دينكم، وربما دخلوا فيه 12
جنايتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليلد على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أئمة الكفر¹²⁴ إنهم لا إيمان لهم¹²⁵ أي لا عهود ولا موافيق يلازمون
الموجهة إلى الدين، أو إلى القرآن، إقتاتلوا أئمة الكفر¹²⁶ أي القادة فيه، الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم
عهدهم¹²⁷ أي نقضوها وحلوا، فقاتلوكم أو أعانوا على قتالكم، أو نقصوكم، ووطعنوا في دينكم¹²⁸ أي عابوه، وسخروا منه¹²⁹ ويدخل في هذا جميع أنواع الطعن
يقول تعالى بعدما ذكر أن المعاهدين من المشركين إن استقاموا على عهدهم فاستقيموا لهم على الوفاء¹³⁰ وإن نكثوا أيانهم من بعد

إن الله لا يضيع أجر المحسنين¹³¹ الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم¹³² 120
والاستيلاء على أوطانهم، أو يبالغون من عدو نبلا¹³³ كالظفر بجيش أو سرية أو الغنيمة لمال¹³⁴ لا كتب لهم به عمل صالح¹³⁵ لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم¹³⁶
سبيل الله لا يصيبهم ظمأ ولا نصب¹³⁷ أي تعب ومشقة ولا مخمصة في سبيل الله¹³⁸ أي مجاعة¹³⁹ ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار¹⁴⁰ من الخوض لديارهم،
الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومحبتة والإيمان التام به، أن لا يتخلفوا عنه، ثم ذكر الثواب الحامل على الخروج فقال¹⁴¹ ذلك بأنهم¹⁴² أي المجاهدين في
بل النبي - صلى الله عليه وسلم - أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم أن يفدي النبي - صلى الله عليه وسلم -، بنفسه ويقدمه عليها، فعلازمة تعظيم
أن يتخلفوا عن رسول الله¹⁴³ أي ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحوالهم¹⁴⁴ ولا يرغبوا بأنفسهم¹⁴⁵ في بقائها وراحتها، وسكونه¹⁴⁶ لأن نفسه¹⁴⁷ الكريمة الزكية،
- حائلا لأهل المدينة المنورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم -¹⁴⁸ أما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب
يقول تعالى

إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير¹⁴⁹ 121
ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون¹⁵⁰ ومن ذلك هذه الأعمال، إذا أخلصوا فيها لله، ونصحوا فيها، ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا¹⁵¹ في ذهابهم إلى عدوهم¹⁵² لا كتب لهم

مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور¹⁵³ 122
بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام
ومنحه¹⁵⁴ فهم¹⁵⁵ وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي¹⁵⁶ أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم
ما لا يعلمون، فأى منفعة حصلت للمسلمين منه¹⁵⁷ وأي نتيجة نتجت من علمه¹⁵⁸ وأغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما
العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له¹⁵⁹ وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال
إذا رجعوا إليهم¹⁶⁰ ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار
أي¹⁶¹ القاعدون أي الدين وليندروا قومهم إذا رجعوا إليهم¹⁶² أي ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسرارها، وليعلموا غيرهم، وليندروا قومهم
إطائفة¹⁶³ تحصل بها الكفاية والمقصود كان أولى¹⁶⁴ ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال¹⁶⁵ ليتفقوا¹⁶⁶
جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفتت به كثير من المصالح الأخرى، إلهولا نفر من كل فرقة منهم¹⁶⁷ أي من البلدان، والقبايل، والأفخاذ
يقول تعالى¹⁶⁸ منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم -¹⁶⁹ لوما كان المؤمنون لينفروا كافة¹⁷⁰ أي

وهذا العموم في قوله¹⁷¹ إقتاتلوا الذين يلونكم من الكفار¹⁷² مخصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال غير الذين يلوننا، وأنواع المصالح كثيرة جدا¹⁷³ 123
والثبات¹⁷⁴ أعلموا أن الله مع المتقين¹⁷⁵ أي وليكن لديكم علم أن المعونة من الله تنزل بحسب التقوى، فلازموا على تقوى الله، يعنكم وينصركم على عدوكم¹⁷⁶
إرشاد آخر، بعدما أرشدهم إلى التدبير فيمن يباشر القتال، أرشدهم إلى أنهم يبدأون بالأقرب فالأقرب من الكفار، والغلبة عليهم، والشدة في القتال، والشجاعة
وهذا أيضا

من الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها¹⁷⁷ وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحتهم عليه¹⁷⁸ 124
فزادتهم إيمانا¹⁷⁹ بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر¹⁸⁰ لوهم يستبشرون¹⁸¹ أي يبشر بعضهم بعضا بما
أقمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا¹⁸² أي حصل الاستفهام، لمن حصل له الإيمان بها من الطائفتين¹⁸³ قال تعالى - مبينا الحال الواقعة -¹⁸⁴ أقاما الذين آمنوا
عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين، فقال¹⁸⁵ وإذا ما أنزلت سورة¹⁸⁶ فيها الأمر، والنهي، والخبر عن نفسه الكريمة، وعن الأمور الغائبة، والحث على الجهاد¹⁸⁷
يقول تعالى¹⁸⁸ مبينا حال المنافقين، وحال المؤمنين

الطبع على قلوبهم، حتى لئاموا وهم كافرون¹⁸⁹ وهذا عقوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه¹⁹⁰ 125
إلى رجسهم¹⁹¹ أي مرضا إلى مرضهم، وشكا إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها، وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد ذلك مرضهم، وتراعى بهم إلى الهلاك¹⁹² أو
أو أما الذين في قلوبهم مرض¹⁹³ أي شك ونفاق إزدادتهم رجسا
يذكرون¹⁹⁴ وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن، أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدهه وبينميه، ليكون دائما في صعود¹⁹⁵ 126

تفسير السعدي

فيفعلونه، وما يضرهم، فيتركونه^{١٢} قاله تعالى يبتليهم - كما هي سنته في سائر الأمم - بالسراء والضراء والأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم بما يصيبهم من البلاء والأمراض، وبما يبتلون من الأوامر الإلهية التي يراد بها اختبارهم^{١٣} لا يتوبون^{١٤} عما هم عليه من الشر^{١٥} ولا هم يذكرون^{١٦} ما ينفعهم، قال تعالى - موبخا لهم على إقامتهم على ما هم عليه من الكفر والنفاق -^{١٧} أولًا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين^{١٨}

الإيمان، كما قال تعالى عنهم^{١٩} فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت^{٢٠} لا يفقهون^{٢١} فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها^{٢٢} والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره، من شرائع متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل^{٢٣} صرف الله قلوبهم^{٢٤} أي^{٢٥} صداه عن الحق وخذلها^{٢٦} أي^{٢٧} أنهم قوم ائظر بعضهم إلى بعض^{٢٨} جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون^{٢٩} أهل يراكم من أحد ثم انصرفوا^{٣٠} يعني^{٣١} أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها

الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم^{٣٢} ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره^{٣٣} 128 ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه^{٣٤} أي^{٣٥} بالمؤمنين رءوف رحيم^{٣٦} أي^{٣٧} شديد - في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم^{٣٨} أي^{٣٩} يشق عليه ما عنتم^{٤٠} أي^{٤١} يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم^{٤٢} أي^{٤٣} يحريص عليكم^{٤٤} أي^{٤٥} فيحب لكم الخير، على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو - صلى الله عليه وسلم - يمتن^{٤٦} أي^{٤٧} ائعالي

العظيم، الذي وسع المخلوقات، كان ربا لما دونه من باب أولى وأحرى^{٤٨} تم تفسير سورة التوبة بعون الله ومنه فله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا^{٤٩} 129 سواه^{٥٠} أي^{٥١} اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، أو هو رب العرش العظيم^{٥٢} الذي هو أعظم المخلوقات^{٥٣} وإذا كان رب العرش أو^{٥٤} أي^{٥٥} عن الإيمان والعمل، فامض على سبيلك، ولا تنزل في دعوتك، وقل^{٥٦} أي^{٥٧} الله^{٥٨} أي^{٥٩} الله^{٦٠} كافي في جميع ما أهمني، لا إله إلا هو^{٦١} أي^{٦٢} لا معبود بحق إله^{٦٣} أي^{٦٤} آمنوا، فذلك حظهم وتوفيقهم، وإن

أن تخشوه إن كنتم مؤمنين^{٦٥} فإنه أمركم بقتالهم، وأكد ذلك عليكم غاية التأكيد^{٦٦} فإن كنتم مؤمنين فامثلوا لأمر الله، ولا تخشوهم فتتركوا أمر الله^{٦٧} 13 بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقاتلوا معهم كما هو مذكور مبسوط في السيرة^{٦٨} أي^{٦٩} تخشونهم^{٧٠} أي^{٧١} ترك قتالهم^{٧٢} أي^{٧٣} قاله الله أحق ويخرجوه من وطنه وسعوا في ذلك ما أمكنهم، أو هم بدءوكم أول مرة^{٧٤} أي^{٧٥} حيث نقضوا العهد وأعانوا عليكم، وذلك حيث عاونت قريش - وهم معاهدون - بني موصوفون بها، المقتضية لقتالهم فقال^{٧٦} أي^{٧٧} لا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول^{٧٨} الذي يجب احترامه وتوقيره وتعظيمه^{٧٩} أي^{٨٠} وهم هموا أن يجلوهم ثم حث على قتالهم، وهيج المؤمنين بذكر الأوصاف، التي صدرت من هؤلاء الأعداء، والتي هم

الكفر والفسوق والعصيان^{٨١} أي^{٨٢} الله عليم حكيم^{٨٣} يضع الأشياء مواضعها، ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه، ومن لا يصلح، فيبقيه في غيه وطغيانه^{٨٤} 14 ما في صدورهم وذهاب غيظهم^{٨٥} أي^{٨٦} قال^{٨٧} أي^{٨٨} يتوب الله على من يشاء^{٨٩} أي^{٩٠} هؤلاء المحاربين، بأن يوفقهم للدخول في الإسلام، ويزينه في قلوبهم، ويكره إليهم إطفاء نور الله، وزوال الغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء قلوبهم من الحنق والغیظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في الذين يطلب خزبهم ويحرص عليه، أو ينصرهم عليهم^{٩١} هذا وعد من الله وبشارة قد أنجزها^{٩٢} أي^{٩٣} يكشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم^{٩٤} أي^{٩٥} فإن في من الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم، فقال^{٩٦} أي^{٩٧} قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم^{٩٨} أي^{٩٩} بالقتل أو يخزهم^{١٠٠} أي^{١٠١} إذا نصركم الله عليهم، وهم الأعداء تفسير الآيتين 14 و 15 :- ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم

الكفر والفسوق والعصيان^{١٠٢} أي^{١٠٣} الله عليم حكيم^{١٠٤} يضع الأشياء مواضعها، ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه، ومن لا يصلح، فيبقيه في غيه وطغيانه^{١٠٥} 15 ما في صدورهم وذهاب غيظهم^{١٠٦} أي^{١٠٧} قال^{١٠٨} أي^{١٠٩} يتوب الله على من يشاء^{١١٠} أي^{١١١} هؤلاء المحاربين، بأن يوفقهم للدخول في الإسلام، ويزينه في قلوبهم، ويكره إليهم إطفاء نور الله، وزوال الغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء قلوبهم من الحنق والغیظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في الذين يطلب خزبهم ويحرص عليه، أو ينصرهم عليهم^{١١٢} هذا وعد من الله وبشارة قد أنجزها^{١١٣} أي^{١١٤} يكشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم^{١١٥} أي^{١١٦} فإن في من الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم، فقال^{١١٧} أي^{١١٨} قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم^{١١٩} أي^{١٢٠} بالقتل أو يخزهم^{١٢١} أي^{١٢٢} إذا نصركم الله عليهم، وهم الأعداء تفسير الآيتين 14 و 15 :- ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم

المؤمنين^{١٢٣} أي^{١٢٤} الله خبير بما تعملون^{١٢٥} أي^{١٢٦} يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها^{١٢٧} 16 وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة^{١٢٨} أي^{١٢٩} ولها من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء^{١٣٠} أي^{١٣١} فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، الذين جاهدوا منكم^{١٣٢} أي^{١٣٣} علما يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليترتب عليه الثواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله^{١٣٤} أي^{١٣٥} لإعلاء كلمته أو لم يتخذوا من

تفسير السعدي

- يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد ما أمرهم بالجهاد: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ دُونَ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ**، وأمر بما يبين به الصادق والكاذب **أَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ** المؤمنين **أَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ** خبر بما تعملون **أَيُّهَا** يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها **17** وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة **أَيُّهَا** وليا من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء **أَلَمْ** فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، الذين جاهدوا منكم **أَيُّهَا** علما يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليرتب عليه الثواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله **أَلَمْ** لإعلاء كلمته **أَلَمْ** يتخذوا من يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد ما أمرهم بالجهاد: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ دُونَ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ**، وأمر بما يبين به الصادق والكاذب **أَلَمْ** يعلم الله واجبة **أَلَمْ** وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمار مساجد الله، ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادعاه **18** وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها، الذين هم أهلها **أَلَمْ** أقعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين **أَلَمْ** وعسى من الله أي قصر خشيته على ربه، فكف عما حرم الله، ولم يقصر بحقوق الله الواجبة **أَلَمْ** فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أمها الصلاة والزكاة، يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن **أَلَمْ** وآتى الزكاة لأهلها **أَلَمْ** يخش إلا الله **1** ثم ذكر من هم عمار مساجد الله فقال **أَلَمْ** إنما
- قال **أَلَمْ** يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين **أَيُّهَا** الذين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر **19** وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالا صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فذلك وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال **أَلَمْ** وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل **أَلَمْ** وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله **أَلَمْ** فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، فقال **أَلَمْ** جعلتم سقاية الحاج **أَيُّهَا** سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما، لما اختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين،
- يفوتوه، وأنه من استمر منهم على شركه فإنه لا بد أن يخزيه، فكان هذا مما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد الله له **2** الله يتعين أن يتم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد **أَلَمْ** أنذر المعاهدين في مدة عهدهم، أنهم وإن كانوا آمنين، فإنهم لن يعجزوا الله ولن الأربعة الأشهر فلا عهد لهم، ولا ميثاق **أَلَمْ** وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإن **2 و1** - أي **أَلَمْ** هذه براءة من الله ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسبحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وبعد تفسير الآيتين
- بالخروج بالنفس أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون **أَيُّهَا** لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم **20** ثم صرح بالفضل فقال **أَلَمْ** الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم **أَلَمْ** بالنفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة **أَلَمْ** لأنفسهم **1** الذي منه أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم **21** فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا **أَلَمْ** لوجنات لهم فيها نعيم مقيم **أَلَمْ** من كل ما اشتتهه الأنفس، وتلذ الأعين، مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى، بهم، واعتناء ومحبة لهم، لرحمة منه أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم إليها كل خيرا **أَلَمْ** لرضوان **أَلَمْ** منه تعالى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، يبشرهم ربهم أجودا منه، وكرما وبراً
- ولا يبالغون عنها حولا، إن الله عنده أجر عظيم **أَلَمْ** تستغرب كثرته على فضل الله، ولا يتعجب من عظمه وحسنه على من يقول للشيء كن فيكون **22** تخالدين فيها أبدا **أَلَمْ** ينتقلون عنها،
- أعداء الله أولياء، وأصل الولاية **أَلَمْ** المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله **23** إن استحبوا **أَيُّهَا** اختاروا على وجه الرضا والمحبة **أَلَمْ** الكفر على الإيمان **أَلَمْ** ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون **أَلَمْ** لأنهم تجرؤوا على معاصي الله، واتخذوا توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم به **أَلَمْ** ولا تتخذوا آباءكم وإخوانكم **أَلَمْ** الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم أولياء يقول تعالى **أَيُّهَا** الذين آمنوا **أَلَمْ** اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن
- وتشتبهه، ولكنه يفوت عليه محبوبا لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه **24** أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله **أَلَمْ** وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات الله بأمره الذي لا مرد له **أَلَمْ** لا يهدي القوم الفاسقين **أَيُّهَا** الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئا من المذكورات **أَلَمْ** وهذه الآية الكريمة فإن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله **أَلَمْ** فأنتم فسقة ظلمة **أَلَمْ** اقتربصوا **أَيُّهَا** انتظروا ما يحل بكم من العقاب حتى يأتي

تفسير السعدي

من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك^{٢٥} ما كان ترضونها^{٢٦} من حسناتها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، ممن تأتبه الأموال من غير تعب ولا كد^{٢٧} وتجارة تخشون كسادها^{٢٨} أي^{٢٩} رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، وعشيرتكم^{٣٠} أي^{٣١} قراباتكم عموما وأموال اقترفتموها^{٣٢} أي^{٣٣} اكتسبتموها وتعتبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال^{٣٤} قل إن كان آبؤكم^{٣٥} ومثلهم الأمهات^{٣٦} أو أبناءكم وإخوانكم^{٣٧} في النسب والعشرة أو أزواجكم ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما

ولا كثيرا^{٣٨} إضاقت عليكم الأرض^{٣٩} بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمت^{٤٠} إما رحبت^{٤١} أي^{٤٢} على رحبها وسعتها، ثم وليتم مدبرين^{٤٣} أي^{٤٤} منهزمين^{٤٥} 25 مواطن كثيرة ويوم حنين^{٤٦} وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف^{٤٧} إذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا^{٤٨} أي^{٤٩} لم تفدكم شيئا، قليلا رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين، هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم^{٥٠} وذلك قوله تعالى لقد نصركم الله في بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم^{٥١} يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة^{٥٢} فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة وجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يركض بغلته نحو المشركين ويقول^{٥٣} أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب^{٥٤} ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، اثني عشر ألفا، والمشركون أربعة آلاف، فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم^{٥٥} لن نغلب اليوم من قلة^{٥٦} فلما التقوا هم وهوازن، حملوا على المسلمين - لما فتح مكة، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا يومئذ^{٥٧} الذين اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها^{٥٨} وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، ومواقع الحروب والهيجاء، حتى في

والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم^{٥٩} وذلك جزاء الكافرين^{٦٠} يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ^{٦١} 26 على العباد^{٦٢} أو أنزل جنودا لم تروها^{٦٣} وهم الملائكة، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر^{٦٤} أو عذب الذين كفروا^{٦٥} بالهزيمة وعلى المؤمنين^{٦٦} أو السكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفطعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة ثم أنزل الله سكنته على رسوله

ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة والطاعة، والصفح عن جرائمهم، وقبول توباتهم، فلا ييأسن أحد من مغفرته ورحمته، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل^{٦٧} 27 الله عليه وسلم - مسلمين تائبين، فرد عليهم نساءهم، وأولادهم^{٦٨} أو الله غفور رحيم^{٦٩} أي^{٧٠} ذو مغفرة واسعة، ورحمة عامة، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء^{٧١} افتاب الله على كثير ممن كانت الوقعة عليهم، وأتوا إلى النبي - صلى

من الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل هذا لأجل بعد كل كافر عن المسجد الحرام، فيدخل في قوله^{٧٢} لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا^{٧٣} 28 صار بعد الفتح الحكم لرسول الله والمؤمنين، مع إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم نزلت هذه الآية^{٧٤} ولما مات النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر أن يجلوا وينزلها منازلها^{٧٥} وتدل الآية الكريمة، وهي قوله^{٧٦} لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا^{٧٧} أن المشركين بعد ما كانوا، هم الملوك والرؤساء بالبيت، ثم ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين، إلا من يحب^{٧٨} أن الله عليم حكيم^{٧٩} أي^{٨٠} علمه واسع، يعلم من يليق به الغنى، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها شاء^{٨١} تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فهذا علقه الله بالمشيئة^{٨٢} فإن الله يعطي الدنيا، من يحب، فإن الله أكرم الأكرمين^{٨٣} وقد أنجز الله وعده، فإن الله قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك^{٨٤} وقوله^{٨٥} أن مقصورا على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، خصوصا لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية، فسوف يغنيكم الله من فضله^{٨٦} فليس الرزق المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة^{٨٧} وقوله^{٨٨} أو أن خفتم^{٨٩} أي^{٩٠} المسلمون لعيلة^{٩١} أي^{٩٢} فقرا وحاجة، الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها^{٩٣} والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تقذرهم من النجاسات، وإنما فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان^{٩٤} وليس المراد هنا، نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء هذا^{٩٥} وهو سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق، وبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ابن عمه عليا، أن يؤذن يوم الحج الأكبر ب - إراءة^{٩٦} الله ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الإصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم^{٩٧} لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تتفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئا^{٩٨} وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل يقول تعالى^{٩٩} أي^{١٠٠} أيها الذين آمنوا إنما المشركون^{١٠١} بالله الذين عبدوا معه غيره^{١٠٢} أي^{١٠٣}

المسلمين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث^{١٠٤} إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين كتابي وغيره^{١٠٥} 29 قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخبارا بالواقع، لا مفهوما له^{١٠٦} ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب، ولأنه قد تواتر عن من الفرس المجوس^{١٠٧} وقيل^{١٠٨} إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في

تفسير السعدي

الكتاب في أخذ الجزية وإقرارهم في ديار المسلمين، المجوس، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير المؤمنين عمر الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن الله لم يذكر أخذ الجزية إلا منهم. وأما غيرهم فلم يذكر إلا قتالهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الإمام أو نائبه أن يعقدها لهم. وإلا بأن لم يفوا، ولم يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لم يجز إقرارهم بالجزية، بل يقاتلون حتى يسلموا. واستدل بهذه الآية وقهرهم، وحال الأمن من شرهم وفتنتهم، واستسلموا للشروط التي أجراها عليهم المسلمون مما ينفي عزمهم وتكبرهم، ويوجب ذلهم وصغارهم، وجب على بها خادما ولا غيره، بل لا تقبل إلا من أيديهم، لوهم صاغرون. فإذا كانوا بهذه الحال، وسألوا المسلمين أن يقرؤهم بالجزية، وهم تحت أحكام المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره، من أمراء المؤمنين. وقوله: «أعن يد أي» حتى يبذلوها في حال ذلهم، وعدم اقتدارهم، ويعطونها بأيديهم، فلا يرسلون قتالهم، وإقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم، بين أظهر المسلمين، يؤخذ منهم كل عام، كل على حسب حاله، من غني وفقير ومتوسط، كما فعل ذلك إلى ما هم عليه، ويحصل الضرر الكثير منهم للناس، بسبب أنهم أهل كتاب. وغيب ذلك القتال لاحتى يعطوا الجزية أي المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين قد شرعه الله، ثم غيره بشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - فيبقى التمسك به بعد النسخ غير جائز. فأمره بقتال هؤلاء وحث على ذلك، لأنهم يدعون الحق أي لا يدينون بالدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير الحق، لأنه إما بين دين مبدل، وهو الذي لم يشرعه الله أصلا، وإما دين منسوخ بالله ولا باليوم الآخر. إيماننا صحيحا يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم ولا يحرمون ما حرم الله، فلا يتبعون شرعه في تحريم المحرمات، ولا يدينون دين هذه الآية أمر بقتال الكفار من اليهود والنصارى من الذين لا يؤمنون

أن يسלט عليكم عباده المؤمنين. وأبشر الذين كفروا بعداب أليم أي مؤلم مفضع في الدنيا بالقتل والأسر، والجلاء، وفي الآخرة، بالنار، وبئس القرار. بالتوبة، ورهبهم من الاستمرار على الشرك فقال: «إن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله أي فائتيه، بل أنتم في قبضته، قادر بكر الصديق رضي الله عنه، وأذن ببراءة - يوم النحر - ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ثم رغب تعالى المشركين فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة. وحج بالناس أبو أن يؤذن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن الله بريء ورسوله من المشركين، التسلط عليه من أرض الحجاز. نصر الله رسوله والمؤمنين حتى افتتح مكة، وأذل المشركين، وصار للمؤمنين الحكم والغلبة على تلك الديار. فأمر النبي مؤذنه الله به المؤمنين، من نصر دينه وإعلاء كلمته، وخذلان أعدائهم من المشركين الذين أخرجوا الرسول ومن معه من مكة، من بيت الله الحرام، وأجلوهم، مما لهم هذا ما وعد

قلوبهم، فتشابهت أقوالهم في البطلان. فقاتلهم الله أنى يؤفكون أي كيف يصرفون على الحق، الصرف الواضح المبين، إلى القول الباطل المبين. 30 من الكلام. ولهذا قال: «أيضا هونوا أي يشابهون في قولهم هذا أقول الذين كفروا من قبل أي قول المشركين الذين يقولون: «الملائكة بنات الله» تشابهت قالوه أقولهم بأفواههم لم يقيموا عليه حجة ولا برهانا. ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي قول يقول، فإنه لا دين ولا عقل، يحجزه، عما يريد عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة. وقالت النصارى المسيح عيسى ابن مريم ابن الله قال الله تعالى ذلك القول الذي أعزير أنه ابن الله، أنه لما سلت الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حملة التوراة، وجدوا عزيزا بعد ذلك حافظا لها أو أكثرها، فأملأها على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرأوا فيها على الله، وتنقصوا عظمتهم وجلاله. وقد قيل: إن سبب ادعائهم في ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: «توقالت اليهود عزيز ابن الله» وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، فيدل ذلك لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم

فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، والله تعالى العالي في أوصافه وأفعاله عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس. 31 والدعاء، فنبذوا أمر الله وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا. تسبحانه وتعالى إنما يشركون أي تنزهه وتقديسه، وتعالى عظمتهم عن شركهم وافترائهم، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر الله لهم على السنة رسله فما أمروا إلا ليعبدوا إله واحد لا إله إلا هو. فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانا تعبد من دون الله، وتقصد بالذبائح، والدعاء والاستغاثة. أو المسيح ابن مريم اتخذوه إلهًا من دون الله، فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها. وكانوا أيضا يغفلون في مشايخهم عليه، فإن لذلك سببا وهو أنهم اتخذوا أحبارهم وأعلمائهم أورهبانهم أي العباد المتجردين للعبادة. أربابا من دون الله يحلون لهم ما حرم الله وهذا - وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة، أن تتفق على قول - يدل على بطلانه أدنى تفكر وتسلط للعقل

من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: «أيأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئا. 32 الله إلا أن يتم نوره لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلا. أو أيأبى ونور الله دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه الله نورا، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصولوه، وإنما هو مجرد قول قالوه وافترأه افتروه أخبر أنهم يريدون بهذا أن يطفئوا نور الله بأفواههم

فلما

تفسير السعدي

وإن كره المشركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكربهم، فإن المكر السيئ لا يضر إلا صاحبه، فوعد الله لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لأبد أن يقوم به³³ والآخرة³⁴ فأرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون³⁵ أي³⁶ ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يصاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق النافع لودين الحق³⁷ الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمدا - صلى الله عليه وسلم - مشتتلا على بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال³⁸ هو الذي أرسل رسوله بالهدى³⁹ الذي هو العلم

بمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت⁴⁰ لبشرهم بعذاب أليم⁴¹ عن سبيل الله⁴² أو الذين يكتزون الذهب والفضة⁴³ أي⁴⁴ يمسكونها أو لا ينفقونها في سبيل الله⁴⁵ أي⁴⁶ طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحرار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان⁴⁷ أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصددهم الناس فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم⁴⁸ ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، رواتب من أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها ويصدون الناس عن سبيل الله، المؤمنين عن كثير من الأحرار والرهبان، أي⁴⁹ العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، أي⁵⁰ بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم هذا تحذير من الله تعالى لعباده

التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله⁵¹ وإما أن يمسك ماله عن إخراجها في الواجبات، والنهي عن الشيء، أمر بضده⁵² في ماله، وذلك بأحد أمرين⁵³ إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعاً، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات لهذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون⁵⁴ فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز⁵⁵ وذكر الله في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان على حدته⁵⁶ اقتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم⁵⁷ أي⁵⁸ يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخا ولوما⁵⁹ أي⁶⁰ يوم يحمى عليها⁶¹ أي⁶² على أموالهم، أي⁶³ نار جهنم فيحمى كل دينار أو درهم

في سرهم وعلنكم والقيام بطاعته، خصوصا عند قتال الكفار، فإنه في هذه الحال، ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين⁶⁴ على هذا الاحتمال بقوله⁶⁵ أو ما كان المؤمنون لينفروا كافة⁶⁶ الآية⁶⁷ أو أعلموا أن الله مع المتقين⁶⁸ أبعونه ونصره وتأييده، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله من الشر شيئا⁶⁹ ويحتمل أن أكافة⁷⁰ حال من الواو فيكون معنى هذا⁷¹ وقتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفي على جميع المؤمنين⁷² وقد نسخت برب العالمين⁷³ ولا تخصوا أحدا منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألوهم من قال⁷⁴ إن تحريم القتال فيها منسوخ، أخذنا بعموم نحو قوله تعالى⁷⁵ وقتلوا المشركين كافة⁷⁶ أي⁷⁷ قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين غيرها⁷⁸ ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال⁷⁹ إن القتال في الأشهر الحرام لم ينسخ تحريمه عملا بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها⁸⁰ ومنهم أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهى لهم عن الظلم فيها، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على منته بها، وتقييضا لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها⁸¹ ويحتمل وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرما لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها⁸² فلا تظلموا فيهن أنفسكم⁸³ يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهرا، وأن خلق السموات والأرض⁸⁴ وأجرى ليلها ونهارها، وقدر أوقاتها فقسما على هذه الشهور الاثني عشر شهرا⁸⁵ أي⁸⁶ أربعة حرم⁸⁷ وهي⁸⁸ رجب الفرد، وذو القعدة، يقول تعالى⁸⁹ إن عدة الشهور عند الله⁹⁰ أي⁹¹ في قضاؤه وقدره⁹² اثنا عشر شهرا⁹³ وهي هذه الشهور المعروفة في كتاب الله⁹⁴ أي⁹⁵ في حكمه القدري، أي⁹⁶ يوم

حسنة، بسبب العقيدة المزيينة في قلوبهم⁹⁷ أو الله لا يهدي القوم الكافرين⁹⁸ أي⁹⁹ الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا¹⁰⁰ أي¹⁰¹ أما ليواطنوا عدة ما حرم الله¹⁰² أي¹⁰³ ليوافقوها في العدد، فيحلوا ما حرم الله¹⁰⁴ أي¹⁰⁵ زين لهم سوء أعمالهم¹⁰⁶ أي¹⁰⁷ زين لهم الشياطين الأعمال السيئة، فرأوها عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل، ولهذا قال¹⁰⁸ يضل به الذين كفروا يحلون ما يحرمونه ومنها¹⁰⁹ أي¹¹⁰ أنهم موهوا على الله بزعمهم وعلى عبادته، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله¹¹¹ ومنها¹¹² أي¹¹³ أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار منها¹¹⁴ أي¹¹⁵ أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه¹¹⁶ أي¹¹⁷ ومنها¹¹⁸ أي¹¹⁹ أنهم قبلوا الدين، فجعلوا الحلال حراما، والحرام حلالا¹²⁰ ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حراما، فهذا - كما أخبر الله عنهم - أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، لما فيه من المحاذير¹²¹ أي¹²² بآرائهم الفاسدة - أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال، في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا

النسيء¹²³

الأنفس وتلد الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما أثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عد من أولي الألباب،³⁸ وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار³⁹ فبأي رأي رأيتم إثارتها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيه

تفسير السعدي

- من أولها إلى آخرها - لا نسبة لها في الآخرة^{٣٩} فما مقدار عمر الإنسان القصير جدا من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه متاع الحياة الدنيا^{٤٠} التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة^{٤١} إلا قليل^{٤٢} أفليس قد جعل الله لكم عقولا تزنون بها الأمور، وأيهما أحق بالإيثارة^{٤٣} أفليست الدنيا الأرض والدعة والسكون فيها^{٤٤} أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة^{٤٥} أي^{٤٦} ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا وسعى لها ولم يبال بالآخرة، فكأنه ما آمن بها^{٤٧} فما لأمر الله، والمصارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، فلما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم إلى الأرض^{٤٨} أي^{٤٩} تكاسلتم، وملتم إلى من التناقل ما أوجب أن يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم، فقال تعالى^{٥٠} أيها الذين آمنوا^{٥١} ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي اليقين من المبادرة في غزوة تبوك، إذ ندب النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حارا، والزاد قليلا، والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين اعلم أن كثيرا من هذه السورة الكريمة، نزلت

بنصر دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر الله، أو ألقيتموه، وراءكم ظهر^{٥٢} أي^{٥٣} الله على كل شيء قديرا^{٥٤} لا يعجزه شيء أرادته، ولا يغالبه أحد^{٥٥} 39 حاله أن يتوعد الله بالوعيد الشديد، فقال^{٥٦} لا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم^{٥٧} ثم لا يكونوا أمثالكم^{٥٨} أولا تضروه شيئا^{٥٩} فإنه تعالى متكفل عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فت في أعضاء من قاموا بجهاد أعداء الله، فحقيق بمن هذا الشديدة، فإن المتخلف، قد عصى الله تعالى واركتب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على^{٦٠} لا تنفروا يعذبكم عذابا أليما^{٦١} في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار كثرت، لأن الإسلام لا يأمر بالخيانة وإنما يأمر بالوفاء^{٦٢} لأن الله يحب المتقين^{٦٣} الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي^{٦٤} 40 المشركين^{٦٥} واستمروا على عهدهم، ولم يجر منهم ما يوجب النقض، فلا نقضوكم شيئا، ولا عاونوا عليكم أحدا، فهؤلاء آمنوا لهم عهدهم إلى مدتهم، قلت، أو أي هذه البراءة التامة المطلقة من جميع المشركين^{٦٦} إلا الذين عاهدتم من

وفيهما^{٦٧} أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبء - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضاعف للقلب، موهن للعزيمة^{٦٨} 40 على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته^{٦٩} الكريمة، ولهذا عدا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - كافرا، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها^{٧٠} وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله أبي بكر الصديق بخصيصه لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب، أحكيم^{٧١} أي^{٧٢} يضع الأشياء مواضعها، وقد يؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر، اقتضته الحكمة الإلهية^{٧٣} وفي هذه الآية الكريمة فضيلة يقوم الشهداء^{٧٤} أن جندنا لهم الغالبون^{٧٥} أفدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر^{٧٦} أي^{٧٧} الله عزيزا وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله^{٧٨} وكان حقا علينا نصر المؤمنين^{٧٩} إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا^{٨٠} ثاني اثنين من هذا النوع^{٨١} وقوله^{٨٢} وكلمة الله هي العليا^{٨٣} أي^{٨٤} كلماته القدرية لهم ما طلبوا، وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم^{٨٥} والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه، أن يرد عنه عدوه، ويدافع شيئا منه^{٨٦} ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين^{٨٧} نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله في ظنهم على قتل الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرسا له، لوجعل كلمة الذين كفروا السفلى^{٨٨} أي^{٨٩} الساقطة المخدولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، الله سكنته عليه^{٩٠} أي^{٩١} الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال لا تحزن إن الله معنا^{٩٢} أي^{٩٣} أيده بجنود لم تروها^{٩٤} يخطر على البال^{٩٥} إذ يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -^{٩٦} صاحبه^{٩٧} أي^{٩٨} بكر لما حزن واشتد قلقه، لا تحزن إن الله معنا^{٩٩} أي^{١٠٠} بعونه ونصره وتأنيده^{١٠١} 41 فأنزل فيه ليبرد عنهما الطلب^{١٠٢} فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا فألجؤوه إلى أن يخرج^{١٠٣} أي^{١٠٤} اثنين^{١٠٥} أي^{١٠٦} هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه^{١٠٧} إذ هما في الغار^{١٠٨} أي^{١٠٩} لما هربا من مكة، لجأ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكتا فإله غني عنكم، لا تضرونه شيئا، فقد نصره في أقل ما يكون وأذلة^{١١٠} إذ أخرجه الذين كفروا^{١١١} من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، أي^{١١٢} إلا تنصروا رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم -

والمال، خير لكم من التقاعد عن ذلك، لأن فيه رضا الله تعالى، والفوز بالدرجات العاليات عنده، والنصر لدين الله، والدخول في جملة جنده وحزبه^{١١٣} 41 أنه - كما يجب الجهاد في النفس - يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك^{١١٤} ثم قال^{١١٥} ادلكم خير لكم إن كنتم تعلمون^{١١٦} أي^{١١٧} الجهاد في النفس وفي جميع الأحوال^{١١٨} أي^{١١٩} وجهادوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله^{١٢٠} أي^{١٢١} ابذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على يقول تعالى لعباده المؤمنين - مهيجا لهم على النفير في سبيله فقال^{١٢٢} انفروا خفافا وثقالا^{١٢٣} أي^{١٢٤} في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، - صلى الله عليه وسلم - عنهم بمجرد اعتذارهم، من غير أن يمتحنهم، فيتبين له الصادق من الكاذب، ولهذا عاتبه الله على هذه المصارعة إلى عذرهم^{١٢٥} 42 لكاذبون^{١٢٦} وهذا العتاب إنما هو للمنافقين، الذين تخلفوا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك^{١٢٧} وأبدوا من الأعذار الكاذبة ما أبدوا، فعفا النبي أي^{١٢٨} سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج أن لهم أعذرا وأنهم لا يستطيعون ذلك^{١٢٩} أي^{١٣٠} يهلكون أنفسهم^{١٣١} بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، والله يعلم إنهم

تفسير السعدي

- بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل حال^{٤٣} أو سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم^{٤٤} لعدم المشقة الكثيرة، ولكن بعدت عليهم الشقة^{٤٥} أي طالبت عليهم المسافة، وصعب عليهم السفر، فلذلك تفاقلوا عنك، وليس هذا من أمارات العبودية، لو كان خروجهم لطلب العرض القريب، أي منفعة دنيوية سهلة التناول أو كان السفر سفرا قاصدا^{٤٦} أي قريبا سهلا^{٤٧} لا يتبعولوا^{٤٨} التخلف حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين^{٤٩} بأن تمتحنهم، ليتبين لك الصادق من الكاذب، فتعذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك^{٥٠} يقول تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - عفا الله عنك^{٥١} أي سامحك وغفر لك ما أجزيت^{٥٢} ألم أذنت لهم^{٥٣} في عذر^{٥٤} أو الله عليهم بالمتقين^{٥٥} فيجازيهم على ما قاموا به من تقواه، ومن علمه بالمتقين، أنه أخبر، أن من علاماتهم، أنهم لا يستأذنون في ترك الجهاد^{٥٦} بأموالهم وأنفسهم، لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان، يحملهم على الجهاد من غير أن يحثهم عليه حاث، فضلا عن كونهم يستأذنون في تركه من غير ثم أخبر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد^{٥٧} فلذلك قلت رغبتهم في الخير، وجنبوا عن القتال، واحتاجوا أن يستأذنوا في ترك القتال^{٥٨} فهم في ريبهم يترددون^{٥٩} أي لا يزالون في الشك والحيرة^{٦٠} إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم^{٦١} أي ليس لهم إيمان تام، ولا يقين صادق، وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم لوقيل اقعدوا مع القاعدين^{٦٢} من النساء والمعذورين^{٦٣} ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج^{٦٤} ولكن كره الله انبعاثهم^{٦٥} معكم في الخروج للغزو^{٦٦} اقبطهم^{٦٧} أقدرأ وقضاء، وإن كان قد أمرهم الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر^{٦٨} أو أما هؤلاء المنافقون فالو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة^{٦٩} أي لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب يقول تعالى مبينا أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن^{٧٠} ولطفا من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم^{٧١} أو الله عليهم بالظالمين^{٧٢} فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفسد الناشئة من مخالطتهم^{٧٣} فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فله أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، أي^{٧٤} مستجيبون لدعوتهم يغتفرون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم^{٧٥} بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، ليغفونكم^{٧٦} أي هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم^{٧٧} أو فيكم^{٧٨} أناس ضعفاء العقول^{٧٩} اسماعون لهم^{٨٠} ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال^{٨١} لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا^{٨٢} أي نقصا^{٨٣} أو لأوضعوا خلالكم^{٨٤} أي ولسعوا في الفتنة والشر^{٨٥} أمر الله وهم كارهون^{٨٦} فبطل كيدهم واضمحل باطلهم، فحقيق بمثل هؤلاء أن يحذر الله عباده المؤمنين منهم، وأن لا يبالي المؤمنين، بتخلفهم عنهم^{٨٧} المدينة، بذلوا الجهد، أو قبلوا لك الأمور^{٨٨} أي أداروا الأفكار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا في ذلك، حتى جاء الحق وظهر ثم ذكر أنه قد سبق لهم سوابق في الشر فقال^{٨٩} لقد ابتغوا الفتنة من قبل^{٩٠} أي حين هاجرتهم إلى مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير، ولهذا توعدهم الله بقوله^{٩١} وإن جهنم لمحيطة بالكافرين^{٩٢} ليس لهم عنها مفر ولا مناص، ولا فكاك، ولا خلاص^{٩٣} وفتنة عظمية محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، وكفا عن الشر^{٩٤} قال الله تعالى مبينا كذب هذا القول^{٩٥} ألا في الفتنة سقطوا^{٩٦} فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، فإن^{٩٧} في التخلف مفسدة كبرى قال ذلك^{٩٨} الجد بن قيس^{٩٩} ومقصوده - قبحه الله - الرياء والنفاق بأن مقصودي مقصود حسن، فإن في خروجي فتنة وتعرضا للشر، وفي عدم خروجي عافية في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول^{١٠٠} أئذن لي^{١٠١} في التخلف^{١٠٢} ولا تفتني^{١٠٣} في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بين الأصفر لا أصبر عنهن، كما أي^{١٠٤} ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن قبولها منهم^{١٠٥} وفي هذه الآية، دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة، فإنه يقاتل حتى يؤديهما، كما استدل بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه^{١٠٦} سبيلهم^{١٠٧} أي^{١٠٨} أتركوهم، وليكونوا مثلكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم^{١٠٩} أن الله غفور رحيم^{١١٠} يغفر الشرك فما دونه، للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم تزالوا على هذا الأمر حتى يتوبوا من شركهم^{١١١} ولهذا قال^{١١٢} فإن تابوا^{١١٣} من شركهم وأقاموا الصلاة^{١١٤} أي أدوها بحقوقها وأتوا الزكاة^{١١٥} المستحقين^{١١٦} اخلوا الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون^{١١٧} أو أقعدوا لهم كل مرصدا^{١١٨} أي كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادهم وابدلوا غاية مجهودكم في ذلك، ولا أهلا لسكانها، ولا يستحقون منها شبرا، لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربون الذين يريدون أن يخلو الأرض من دينه، ويأبى مكان وزمان، أو خذوهم^{١١٩} أسرى أو احصروهم^{١٢٠} أي ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها^{١٢١} الله^{١٢٢} لعباده^{١٢٣} فهو^{١٢٤} لا يسوا قتال المشركين المعاهدين، وهي أشهر التسيير الأربعة، وتام المدة لمن له مدة أكثر منها، فقد برئت منهم الذمة^{١٢٥} اقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم^{١٢٦} في أي يقول تعالى فإذا انسلك أشهر الحرم^{١٢٧} أي^{١٢٨} التي حرم فيها من قبل^{١٢٩} أي^{١٣٠} قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة^{١٣١} أو يتولوا^{١٣٢} وهم فرحون^{١٣٣} فيفرحون بمصيبتك، وبعد مشاركتهم إياك فيها^{١٣٤} 50 وإدالة على العدو^{١٣٥} أو أي^{١٣٦} تحزنهم وتغمهم^{١٣٧} أو أن تصبك مصيبة^{١٣٨} كإدالة العدو عليك^{١٣٩} أو يقولوا^{١٤٠} متبجحين بسلامتهم من الحضور معك^{١٤١} أو قد أخذنا أمرنا يقول تعالى مبينا أن المنافقين هم الأعداء حقا، المبغضون للدين صرفا^{١٤٢} أن تصبك حسنة^{١٤٣} كنصر

تفسير السعدي

مصلحتهم ودفع المضار عنهم، ويثقلوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل⁵¹ متولي أمورنا الدينية والدينية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء⁵² وأعلى الله وحده اقلية توكل المؤمنون⁵³ أي يعتمدوا عليه في جلب قال تعالى رادا عليهم في ذلك اقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا⁵⁴ أي ما قدره وأجراه في اللوح المحفوظ⁵⁵ هو مولانا⁵⁶ أي

بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، لا سبب لنا فيه، أو بأيدينا، بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم⁵⁷ اقتربوا بنا الخير إنا معكم متربصون⁵⁸ بكم الشر⁵⁹ ونيل الثواب الآخروي والديني⁶⁰ وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع المنازل عند الله⁶¹ وأما تربصنا بكم - يا معشر المنافقين - فنحن نتربص الذين يتربصون بكم الدوائر⁶² أي شيء تربصون بنا⁶³ فإنكم لا تربصون بنا إلا أمرا فيه غاية نفعنا، وهو إحدى الحسنيين، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم أي قل للمنافقين

طوعا من أنفسكم أو كرها⁶⁴ على ذلك، بغير اختياركم⁶⁵ لأن يتقبل منكم شيء من أعمالكم⁶⁶ إنكم كنتم قوما فاسقين⁶⁷ خارجين عن طاعة الله . 53 يقول تعالى مبينا بطلان نفقات المنافقين، وذاكر السبب في ذلك اقل لهم أنفقوا

يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشراح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين⁶⁸ 54 يفعلونها من ثقلها عليهم⁶⁹ ولا ينفقون إلا وهم كارهون⁷⁰ من غير انشراح صدر وثبات نفس، ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال⁷¹ لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى⁷² أي متثاقلون، لا يكادون ثم بين صفة فسقهم وأعمالهم، فقال⁷³ أو ما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله⁷⁴ والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا⁷⁵ وتزهق أنفسهم وهم كافرون⁷⁶ فأى عقوبة أعظم من هذه العقوبة الموجبة للشقاء الدائم والحسرة الملازمة⁷⁷ 55 حتى في الدنيا⁷⁸ ومن وبالها العظيم الخطر، أن قلوبهم تتعلق بها، وإرادتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة الشديد في ذلك، وهم القلب فيها، وتعبد البدن⁷⁹ فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهي - لما ألهمتهم عن الله وذكره - صارت وبالا عليهم قدموها على مراضى ربهم، وعصوا الله لأجلها⁸⁰ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا⁸¹ والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها، والسعي يقول تعالى فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، وأول بركاتنا عليهم أن

وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلة الجبن، وحلوا بحلية الكذب⁸² 56 وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم⁸³ فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرأوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب⁸⁴ 57 ليحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم أقصد⁸⁵ في حلفهم هذا أنهم أقوم يفرقون⁸⁶ أي يخافون الدوائر،

فيها أو مدخلا⁸⁷ أي محلا يدخلونه فيتحصنون فيه⁸⁸ ألوا إليه وهم يجمعون⁸⁹ أي يسرعون ويهرعون، فليس لهم ملكة، يقتدرون بها على الثبات⁹⁰ 57 ثم ذكر شدة جبنهم فقال⁹¹ لو يجدون ملجأ⁹² يلجأون إليه عندما تنزل بهم الشدائد، أو مغارات⁹³ يدخلونها فيستقرون

الفاقد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعا لمرضاة ربه، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -⁹⁴ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جنت به⁹⁵ 58 يعطوا منها⁹⁶ القرآن أعطوا منها رضا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون⁹⁷ وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاء وغضبه، تابعا لهوى نفسه الديني وغرضه أي⁹⁸ ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها، وليس انتقادهم فيها وعييبهم لقصد صحيح، ولا لرأي رجيح، وإنما مقصودهم أن

أي متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا، لسلما من النفاق ولهدوا إلى الإيمان والأحوال العالية، ثم بين تعالى كيفية قسمة الصدقات الواجبة 59 59 وقالوا حسبنا الله⁹⁹ أي كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا¹⁰⁰ سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون¹⁰¹ 60 60 ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله¹⁰² أي أعطاهم من قليل وكثير¹⁰³

الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم¹⁰⁴ أن القرآن مخلوق¹⁰⁵ وكمن الأدلة الدالة على بطلان هذا القول، ليس هذا محل ذكرها¹⁰⁶ 61 61 كلام الله¹⁰⁷ وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة فرما كان استمرارهم على كفرهم لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر الله رسوله، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع وينظر حالة الإسلام¹⁰⁸ فأجره حتى يسمع كلام الله¹⁰⁹ ثم إن أسلم، فذاك، وإلا فأبلغه مأمنه، أي¹¹⁰ المحل الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون، إذا اقتضت تقرب بعضهم جاز، بل وجب ذلك فقال¹¹¹ وإن أحد من المشركين استجارك¹¹² أي طلب منك أن تجيره، وتمنعه من الضرر، لأجل أن يسمع كلام الله، المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد¹¹³ أما في جميع الأحوال، وفي كل الأشخاص منهم، ذكر تعالى، أن المصلحة لما كان ما تقدم من قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا

زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية¹¹⁴ 60 من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء لعلمه وحكمه¹¹⁵ الله عليهم حكيم¹¹⁶ وأعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين¹¹⁷ أحدهما¹¹⁸ من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما¹¹⁹ والثاني¹²⁰ به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم¹²¹ اقربضة من الله¹²² فرضها وقدرها، تابعة

تفسير السعدي

لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله^{٦١} وقالوا أيضاً^{٦٢} يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، وفيه نظراً^{٦٣} والثامن^{٦٤} ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعِياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه^{٦٥} وقال كثير من الفقهاء^{٦٦} إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، ثم أعسر، فإنه يعطى ما يوفى به دينه^{٦٧} والسابع^{٦٨} الغازي في سبيل الله، وهم^{٦٩} الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنياً^{٧٠} والثاني^{٧١} من غرم لنفسه في قوله^{٧٢} وفي الرقاب^{٧٣} السادس^{٧٤} الغارمون، وهم قسمان^{٧٥} أحدهما^{٧٦} الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالاً، لدخوله ما يحصل به التأليف والمصلحة^{٧٧} الخامس^{٧٨} الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون قلبه^{٧٩} هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها^{٨٠} والرابع^{٨١} المؤلف قلوبهم، والمؤلف تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنياً، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم^{٨٢} والثالث^{٨٣} العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئاً، أو يجد بعض كفايته دون نصفها^{٨٤} والمسكين^{٨٥} الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف^{٨٦} الأول والثاني^{٨٧} الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، يقول تعالى^{٨٨} إنما الصدقات^{٨٩} أي^{٩٠} الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد^{٩١} أي^{٩٢} إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون

وآخرتهم، والذين يؤذون رسول الله^{٩٣} بالقول أو الفعل^{٩٤} لهم عذاب أليم^{٩٥} في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمته^{٩٦} 61 وعدم صدقهم، أو رحمة للذين آمنوا منكم^{٩٧} فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون^{٩٨} وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم ما في قلبه ورأيه، فقال عنه^{٩٩} يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين^{١٠٠} الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيراً ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وامتناله لأمر الله في قوله^{١٠١} سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس^{١٠٢} وأما حقيقة ولهذا قال تعالى^{١٠٣} قل^{١٠٤} أذن خير لكم^{١٠٥} أي^{١٠٦} يقبل من قال له خيراً وصدقاً^{١٠٧} وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة ومنها^{١٠٨} قدحهم في عقل النبي - صلى الله عليه وسلم - وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلاً، وأنتمهم إدراكاً، وأتقهم رأياً وبصيرة، أعظمها أذية نبينهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة^{١٠٩} ومنها^{١١٠} عدم اهتمامهم أيضاً بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية^{١١١} بينهم، أنهم غير مكثرئين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل^{١١٢} فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، للنبي، ويقولون^{١١٣} إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي^{١١٤} يقل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم - قبحهم الله - فيما أي^{١١٥} ومن هؤلاء المنافقين الذين يؤذون النبي^{١١٦} بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه، أو يقولون هو أذن^{١١٧} أي^{١١٨} لا يبالون بما يقولون من الأذية أن يرضوه إن كانوا مؤمنين^{١١٩} لأن المؤمن لا يقدم شيئاً على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير الله ورسوله^{١٢٠} 62 إichلفون بالله لكم ليرضوكم^{١٢١} فيتبرأوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايبتهم أن ترضوا عليهم^{١٢٢} والله ورسوله أحق جهم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم^{١٢٣} الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه، حيث فاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على عذاب الجحيم عياذاً بالله من أحوالهم^{١٢٤} 63 حاده بقوله^{١٢٥} ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله^{١٢٦} أي^{١٢٧} يكون في حد وشق مبعد عن الله ورسوله بأن تهاون بأوامر الله، وتجراً على محارمه^{١٢٨} أن له نار وهذا محادة لله ومشاقة له، وقد تواعد من

أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية^{١٢٩} أن الله مخرج ما تحذرون^{١٣٠} وقد وفى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم، وهتكت أستارهم^{١٣١} 64 تنبتهم بما في قلوبهم^{١٣٢} أي^{١٣٣} تخبرهم وتفضحهم، وتبين أسرارهم، حتى تكون علانية لعباده، ويكونوا عبرة للمعتبرين^{١٣٤} قل^{١٣٥} استهزئوا أي^{١٣٦} استمروا على ما في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً^{١٣٧} وقال هنا يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة إلي يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف^{١٣٨} قال الله تعالى^{١٣٩} لن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون لفائدتين^{١٤٠} أحدهما^{١٤١} أن الله ستيير يحب الستر على عباده^{١٤٢} والثانية^{١٤٣} أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم الكريمة تسمى^{١٤٤} الفاضحة لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول^{١٤٥} ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم كانت هذه السورة

سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، فإنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل ذنب، وإن كان عظيماً^{١٤٦} 65 التي يمكر فيها دينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله، فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة^{١٤٧} وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو أعذب طائفة^{١٤٨} منكم^{١٤٩} بأنهم بسبب أنهم كانوا مجرمين^{١٥٠} مقيمين على كفرهم ونفاقهم^{١٥١} وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصاً السريرة على قوله^{١٥٢} بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم^{١٥٣} وقوله^{١٥٤} إن نفع عن طائفة منكم^{١٥٥} لتوبتهم واستغفارهم وندمهم، دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة^{١٥٦} ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة، والرسول لا يزيدهم

تفسير السعدي

كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم ونلعب أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب قال الله تعالى - مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك - **﴿أَقْلَهُ لَهُمُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولَهُ أَلَسْنَا وَاجِبِينَ عِنْدَ اللّٰهَ وَالنَّحْوِ ذٰلِكَ﴾** ولما بلغهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد علم بكلامهم، جاءوا يعتذرون إليه ويقولون **﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ الْمُسْلِمِينَ وَفِي دِينِهِمْ، يَقُولُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لَمَّا رَأَيْنَا مِثْلَ قِرَائِنَا هَؤُلَاءِ - يَعْنُونَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابَهُ - أَرْغَبَ بَطُونًا، وَأَكْذَبَ تَفْسِيرَ الْآيَتَيْنِ 65 و 66 :-** أولئن سألتهم عما قالوه من الطعن في

سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، فإنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل ذنب، وإن كان عظيماً 66 التي يمكر فيها دينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله، فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو أغضب طائفةً منكم إيانهم بسبب أنهم كانوا مجرمين أمقيمين على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصاً السريرة على قوله **﴿أَلَا بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾** وقوله إن نفع عن طائفة منكم لتوبتهم واستغفارهم وندمهم، دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة، والرسول لا يزيدهم كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم ونلعب أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب قال الله تعالى - مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك - **﴿أَقْلَهُ لَهُمُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولَهُ أَلَسْنَا وَاجِبِينَ عِنْدَ اللّٰهَ وَالنَّحْوِ ذٰلِكَ﴾** ولما بلغهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد علم بكلامهم، جاءوا يعتذرون إليه ويقولون **﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ الْمُسْلِمِينَ وَفِي دِينِهِمْ، يَقُولُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لَمَّا رَأَيْنَا مِثْلَ قِرَائِنَا هَؤُلَاءِ - يَعْنُونَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابَهُ - أَرْغَبَ بَطُونًا، وَأَكْذَبَ تَفْسِيرَ الْآيَتَيْنِ 65 و 66 :-** أولئن سألتهم عما قالوه من الطعن في

لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديداً 67 رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلصين إلا أن المنافقين هم الفاسقون أحصر الفسق فيهم، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة التي يقبضون أيديهم عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم بالخل **﴿لَسُوا اللَّهَ فِلا يذكرونه إلا قليلاً﴾** إقنسيهم من الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال **﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَهُوَ الْكَفَرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ﴾** أي يهتدون عن المعروف وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والمنافقات بعضهم من بعض لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضاً، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم ثم ذكر وصف المنافقين العام، يقول تعالى **﴿الْمُنافِقُونَ**

الله ولهم عذاب مقيم﴾ جمع المنافقين والكفار في النار، واللجنة والخلود في ذلك، لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعاداة لله ورسوله، والكفر بآياته 68 **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنُهُمْ**

الله ليظلمهم﴾ إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع أولئك كانوا أنفسهم يظلمون حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيداً 69 به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل **﴿قوله﴾** إقما كما كان من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ممن فعلوا كفعلهم، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبتهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة وخضتم كالذي خاضوا، أي وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصي الله، ولم تعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي بنصيبتكم من الدنيا فتناولتموه المكذبة **﴿أَقَوْمَ نوح وَعَاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات﴾** أي قرى قوم لوط **﴿فكلهم أنتهم﴾** رسلهم بالبينات أي بالحق الواضح الجلي، تفسير الآيتين 69 و 70 :- قول تعالى محذرا المنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم

الحرام فإن لهم في العهد وخصوصاً في هذا المكان الفاضل حرمة، أوجب أن يراعوا فيها **﴿قما استقاموا لكم فاستقيموا﴾** لهم إن الله يحب المتقين 71 أما سعوا في الأرض فساداً **﴿فيحق عليهم﴾** أن يتبرأ الله منهم، وأن لا يكون لهم عهد عنده ولا عند رسوله **﴿إلا﴾** الذين عاهدتم من المشركين عند المسجد كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله أهل قاموا بواجب الإيمان، أم تركوا رسول الله والمؤمنين من أذيتهم **﴿أما حاربوا الحق ونصروا الباطل﴾** هذا بيان للحكمة الموجبة لأن يتبرأ الله ورسوله من المشركين، فقال **﴿**

الله ليظلمهم﴾ إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع أولئك كانوا أنفسهم يظلمون حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيداً 70 به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل **﴿قوله﴾** إقما كما كان من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ممن فعلوا كفعلهم، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبتهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة وخضتم كالذي خاضوا، أي وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصي الله، ولم تعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم

تفسير السعدي

المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه المكذبة قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أي قرى قوم لوطاً فكلهم أنتهم رسلهم بالبينات أي بالحق الواضح الجلي، تفسير الآيتين 69 و 70 :- قول تعالى محذرا المنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم

ويشملهم بإحسانه لأن الله عزيز حكيم أي قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به 71 الخبيثة، والأخلاق الرذيلة التي يطيعون الله ورسوله أي لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام أولئك سيرحهم الله أي يدخلهم في رحمته، الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، لو ينفون عن المنكر وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال إيعضهم أولياء بعض في المحبة والموالة، والانتفاء والنصرة أي يأمرون بالمعروف وهو اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال بعضهم أولياء بعض ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فقال أو المؤمنون والمؤمنات أي ذكروهم وإناتهم لما ذكر أن المنافقين

هو الفوز العظيم حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده 72 إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسموات، أكبر من نعيم الجنات لذلك في جنات عدن، أي إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها أو رضوان من الله أي يحله على أهل الجنة أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلاها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفا في غاية الصفاء والحسن، من الخيرات والبركات إلا الله تعالى الخالدين فيها لا ييغون عنها حولا أو مساكن طيبة في جنات عدن قد زخرت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب فقال أوعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار

الإسلام، ومساوي الشوك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا أو أما في الآخرة، فلهما وأهم جهنم أي مقرهم الذي لا يخرجون منها لو بنس المصير 73 فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان ومن كان مدعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الكفار والمنافقين أي بالغ في جهادهم والغلبة عليهم حيث اقتضت الحال الغلبة عليهم وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، يقول تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - يا أيها النبي جاهد

أمورهم، ويحصل لهم المطلوب أولا نصيرا يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية الله تعالى، فثم أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان 74 من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة، في عذاب السعير أو ما لهم في الأرض من ولي يتولى بك خيرا لهم لأن التوبة، أصل لسعادة الدنيا والآخرة إن يتولوا عن التوبة والإنابة يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة في الدنيا بما ينالهم الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه أو اجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية ثم عرض عليهم التوبة فقال إن يتوبوا الله ورسوله من فضله بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سببا لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنيا لهم بعد غزوة تبوك، فقصر الله عليه نبأهم، فأمر من يصدهم عن قصدهم أو الحال أنهم لما نقموا وعابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أن أغناهم من دائرة الكفر - فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر أو هموا بما لم ينالوا وذلك حين هموا بالفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في من ذلك، جاءوا إليه يحلفون بالله ما قالوا أو قال تعالى مكذبا لهم أو لقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أو إسلامهم السابق - وإن كان ظاهره أنه أخرجهم الأعز منها الأذل أو الكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين، وبالرسول فإذا بلغهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بلغه شيء يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر أي إذا قالوا قولا كقول من قال منهم ليخرجن

الدنيا فبسطها لنا ووسعها لنصدقن ولنكونن من الصالحين فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة 75 أي ومن هؤلاء المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه أن آتانا من فضله من

قلما آتاهم من فضله لم يفوا بما قالوا، بل إخلوا به وتولوا عن الطاعة والانقياد لوهم معرضون أي غير ملتفتين إلى الخير 76

وعد أخلفا فهذا المنافق الذي وعد الله وعاهده، لن أعطاه الله من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف 77 بالنفاق كما عاقب هؤلاء وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الثابت في الصحيحين الآية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وبما كانوا يكذبون فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه الله فلما لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، عاقبهم فأعقبهم نفاقا في قلوبهم فاستمروا إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه

وسلم - ثم جاء بها لأبي بكر بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يقبلها، ثم جاء بها بعد أبي بكر لعمر فلم يقبلها، فيقال إنه هلك في زمن عثمان 78 فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثلاثا فلما نزلت هذه الآية فيه، وفي أمثاله، ذهب بها بعض أهله فبلغه إياها، فجاء بزكاته، فلم يقبلها النبي - صلى الله عليه وسلم -

تفسير السعدي

يأخذ الصدقات من أهلها، فمروا على ثعلبة، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فلما لم يعطهم جاءوا فأخبروا بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أبعد، فكان لا يحضر إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت فأبعد بها، فكان لا يحضر جمعة ولا جماعة، ففقدته النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبر بحاله، فبعث من على النواصب، فدعا له النبي - صلى الله عليه وسلم -، فكان له غنم، فلم تزل تنتامي، حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر إلا بعض الصلوات الخمس، يقال له ثعلبة: جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وسأله أن يدعو الله له، أن يعطيه الله من فضله، وأنه إن أعطاه، ليتصدقن، ويصل الرحم، ويعين أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب، وسيجازيهم على ما عملوا من الأعمال التي يعلمها الله تعالى، وهذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين ولهذا توعده من صدر منهم هذا الصنيع، بقوله: ألم يعلموا

إليه أقمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم، 79 عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله - وإن كان غنيا عنهم - فهم فقراء على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟ ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: الله غني عن صدقة هذا، كلام مقصوده باطل، فإن الله غني إعانته، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه، ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح، ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي هو الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم، ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين، ومنها: أن اللز محرم، بل عذاب أليم، فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير، منها: تثبيطهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: إن لا يجدون إلا جهدهم، فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم، فيسخرهم الله على صنيعهم بأن سخر الله منهم ولهم الله تعالى، الذين يلمزون أي: يعيبون ويطنعون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، فيقولون: مراءون، قصدهم الفخر والرياء، أو يلمزون الذين على حسب حاله، منهم المكث، ومنهم المقل، فيلمزون المكث منهم، بأن قصده بنفقتة الرياء والسمعة، وقالوا للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأزله من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالا، إلا قالوا وطعنوا بغيا وعدوانا، فلما حث الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل وهذا أيضا من مخازي المنافقين، فكانوا - قبحهم الله - لا يدعون شيئا

فإنهم يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم، الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقا، المبغضون لكم صدقا، أو أكثرهم فاسقون، لا ديانة لهم ولا مروءة، 80 أي: لا ذمة ولا قرابة، ولا يخافون الله فيكم، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا، ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، أي: كيف يكون للمشركين عند الله عهد وميثاق أو الحال أنهم لو أن يظهروا عليكم بالقدرة والسلطة، لا يرحمكم، ولا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة، صار الفسق لهم وصفا، بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يغيثون به بدلا، يأتيهم الحق الواضح فيردونه، فيعاقبهم الله تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك، 80 المانع لمغفرة الله لهم فقال: ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافرا، أو الله لا يهدي القوم الفاسقين، أي: الذين المبالغة، وإلا، فلا مفهوم لها، قلن: يغفر الله لهم، كما قال في الآية الأخرى: أسوء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، ثم ذكر السبب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة، على وجه

قال: قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون، لما أثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة، 81 على الراحة الأبدية التامة، وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهب به البكر والاصل، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية، ولهذا من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه، أو قالوا: أي: المنافقون لا تنفروا في الحر، أي: قالوا إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية إذا تخلفوا - ولو لعذر - حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به، أو كرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وهذا بخلاف المؤمنين الذين بتخلفهم وعدم مبالاةهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان، أقرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، وهذا قدر زائد على مجرد يقول تعالى مبينا تبجح المنافقين

الدار المنقضية، ويفرحوا بذلتها، ويلهوا بلعبها، فسيكون كثيرا في عذاب أليم، أجزاء بما كانوا يكسبون، من الكفر والنفاق، وعدم الانقياد لأوامر ربهم، 82 قال الله تعالى: قل ليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا، أي: فليتمتعوا في هذه فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخا لهم، وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم، 83 وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، فإن المتثاقل المتخلف عن الأمور به عند انتهاز الفرصة، لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه، وفيه أيضا تعزيز لهم، تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا، فسيغني الله عنكم، أنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين، وهذا كما قال تعالى: لو نقلب أفئدتهم إلى طائفة منهم، وهم الذين تخلفوا من غير عذر، ولم يحزنوا على تخلفهم، أو استأذنوك للخروج، الغير هذه الغزوة، إذا رأوا السهولة، قلل لهم عقوبة، إن رجعت الله

للدعاء لهم، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان متقررا في المؤمنين، 84

تفسير السعدي

وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلح عليه ولا وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم لا تنفع فيهم الشفاعة إلا أنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ومن كان كافرا ومات على ذلك، فما تنفعه شفاعة الشافعين، وفي ذلك عبرة لغيرهم، تعالى لا تصل على أحد منهم مات أبدا من المنافقين ولا تقم على قبره بعد الدفن لتدعو له، فإن صلاته ووقوفه على قبورهم شفاعة منه لهم، وهم يقول

الآخرة، حتى ينتقلوا من الدنيا أو تزهد أنفسهم وهم كافرون قد سلبهم حبها عن كل شيء، فماتوا وقلوبهم بها متعلقة، وأفندتهم عليها متحرقة 85
الله أن يعذبهم بها في الدنيا فينتعبون في تحصيلها، ويخافون من زوالها، ولا يتهننون بها بل لا يزالون يعانون الشدائد والمشاق فيها، وتلهيهم عن الله والدار أي لا تغتر بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال والأولاد، فليس ذلك لكرامتهم عليه، وإنما ذلك إهانة منه لهم إنما يريد يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في القعود وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين 86
فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله استأذناك أولوا الطول منهم يعني أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات أو إذا أنزلت سورة يؤمنون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح فهم لا يفقهون مصالحهم، فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال 87
أي كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد، هل معهم فقه أو عقل دلهم على ذلك أم طبع الله على قلوبهم فلا تعي الخير، ولا يكون قال تعالى لرضوا بأن يكونوا مع الخوالف

بل هم فرحون مستبشرون، وأولئك لهم الخيرات الكثيرة في الدنيا والآخرة، وأولئك هم المفلحون الذين ظفروا بأعلى المطالب وأكمل الرغائب 88
اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم غير متثاقلين ولا كسلين، يقول تعالى إذا تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد، فالله سيغني عنهم، ولله عباد وخواص من خلقه
أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا وقوله إن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين 89
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم أفتبا لمن لم يرغب بما رغبو فيه، وخسر دينه ودنياه وأخراه، وهذا نظير قوله تعالى أقل آمنوا به أعد الله لهم جنات

وبهم عرف دين الإسلام وشرائع الدين اللهم اجعلنا من القوم الذين يعلمون، ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين 90
منها ما وضع، أحكاما وحكما، وحكمة قال أن فصل الآيات أي نوضحها ونميزها القوم يعلمون فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، في الدين وتنافسوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدا حقيقة لما بين من أحكامه العظيمة ما بين، ووضح بهما، حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء، ولهذا فإن تابوا عن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم عن دينكم، وانصروه واتخذوا من عاداهم عدوا ومن نصره لكم وليا، واجعلوا الحكم يدور مع وجودا وعدما، لا تجعلوا الولاية والعداوة، طبيعية تملكون إلا ولا ذمة أي لا أجل عداوتهم للإيمان إلا ولا ذمة أي لا أجل عداوتهم للإيمان وأهله فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم، هو الإيمان، فذبوا في الدنيا على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله قصدوا بأنفسهم، وصدوا غيرهم عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن تفسير الآيات من 9 إلى 11: اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا أي اختاروا الحظ العاجل الخسيس

ورسوله في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة 90
أن معنى قوله المعذرون أي الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر أو فقد الذين كذبوا الله في الاعتذار لجفائهم وعدم حيائهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف وأما الذين كذبوا الله ورسوله منهم، ففقدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل يقول تعالى أو جاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم أي جاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مباينين المسيء - كالمفرط، أن عليه الضمان أو الله غفور رحيم أو من مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأتابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين 91
أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن - وهو توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه ويستبدل بهذه الآية على قاعدة وهي أن من أحسن على غيره، في نفسه على الجهاد إنما على المحسنين من سبيل أي من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم - بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد - أسقطوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع والفالج، وغير ذلك ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون أي لا يجدون زادا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا الخروج والقتال ولا على المرضى وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وذات الجنب، والمعذرين، وكانوا على قسمين، قسم معذور في الشرع، وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله ليس على الضعفاء في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على لما ذكر

تفسير السعدي

سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، واقترب بنيتة الجازمة سعي فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام⁹² تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون⁹³ فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشفقة ما ذكره الله عنهم⁹⁴ فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا وُلا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم فلم يصادفوا عندك شيئا فقلت لهم معذرتهم⁹⁵ ألا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم

لأن الله طبع على قلوبهم أي⁹⁶ ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدنيوية، إهم لا يعلمون⁹⁷ عقوبة لهم، على ما اقتروا⁹⁸ قادرين على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء أضوا لأنفسهم ومن دينهم⁹⁹ إيان يكونوا مع الخوالف¹⁰⁰ النساء والأطفال ونحوهم¹⁰¹ وإنما رضوا بهذه الحال إنما السبيل¹⁰² يتوجه واللوم يتناول الذين يستأذنونك وهم أغنياء

والتعزير¹⁰³ الفعلي على ذنبهم، وإما أن يعرض عنهم، ولا يقابلوا بما فعلوا بالعقوبة الفعلية، وهذه الحال الثالثة هي التي أمر الله بها في حق المنافقين¹⁰⁴ 94 لم يذنب¹⁰⁵ فهذه الحالة هي المذكورة هنا في حق المنافقين، أن عذرهم غير مقبول، وأنه قد تقرر أحوالهم الخبيثة وأعمالهم السيئة، وإما أن يعاقبوا بالعقوبة أو بفضل، من غير أن يظلمكم مثقال ذرة¹⁰⁶ وأعلم أن المسيء المذنب له ثلاث حالات¹⁰⁷ إما أن يقبل قوله وعذره، ظاهرا وباطنا، ويعفى عنه بحيث يبقى كأنه دلالة فيها على شيء من ذلك¹⁰⁸ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة¹⁰⁹ الذي لا تخفى عليه خافية، إقينبتكم بما كنتم تعملون¹¹⁰ من خير وشر، ويجازيكم بعده فيما يخالف خبر الله الذي هو أعلى مراتب الصدق¹¹¹ وأسيرى الله عملكم ورسوله¹¹² في الدنيا، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقوال، فلا الكاذب¹¹³ لقد نبأنا الله من أخباركم¹¹⁴ وهو الصادق في قوله، فلم يبق للاعتذار فائدة، لأنهم يعتذرون بخلاف ما أخبر الله عنهم، ومحال أن يكونوا صادقين وأنهم لا عذر لهم، أخبر أنهم س- يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم¹¹⁵ من غراتكم¹¹⁶ قل لهم لا تعتذروا لن نؤمن لكم¹¹⁷ أي لن نصدقكم في اعتذاركم لما ذكر تخلف المنافقين الأغنياء،

إنهم رجس¹¹⁸ أي¹¹⁹ إنهم قدر خبثاء، ليسوا بأهل لأن يبالى بهم، وليس التوبيخ والعقوبة مفيدا فيهم، لو¹²⁰ تكفيهم عقوبة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون¹²¹ 95 أسبلحفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم¹²² أي لا توبخوهم، ولا تجلدوهم أو تقتلوه¹²³

هذا، وفي قوله¹²⁴ وأسيرى الله عملكم ورسوله¹²⁵ أخبر أنه سيراه بعد وقوعه، وفيها إثبات الرضا لله عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين¹²⁶ 96 والرجس، وفي هذه الآيات، إثبات الكلام لله تعالى في قوله¹²⁷ لقد نبأنا الله من أخباركم¹²⁸ وإثبات الأفعال الاختيارية لله، الواقعة بمشيئته تعالى وقدرته في وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم، فلا حبا ولا كرامة لهم¹²⁹ وأما الإعراض عنهم، فيعرض المؤمنون عنهم، إعراضهم عن الأمور الردية الله أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد من غير عذر، إذا اعتذروا للمؤمنين، وزعموا أن لهم أعذارا في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بذلك أن تعرضوا عنهم، يرضى عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو خروجهم عن ما رضى الله لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك، والنفاق، والمعاصي¹³⁰ وحاصل ما ذكره لا يرضى عنهم¹³¹ ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله يتوب عليهم، ويرضى عنهم¹³² وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا عن من لم يرض الله عنه، بل عليكم أن توافقوا ربكم في رضاه وغضبه¹³³ وتأمل كيف قال¹³⁴ فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين¹³⁵ ولم يقل¹³⁶ فإن الله بل يحبون أن تعرضوا عنهم، كأنهم ما فعلوا شيئا¹³⁷ فإن تعرضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين¹³⁸ أي فلا ينبغي لكم - أيها المؤمنون - أن تعرضوا وقوله¹³⁹ أسبلحفون لكم لتعرضوا عنهم¹⁴⁰ أي ولهم أيضا هذا المقصد الآخر منكم، غير مجرد الإعراض،

وإن كان في البادية والحاضرة، كفار ومنافقون، ففي البادية أشد وأغلظ مما في الحاضرة¹⁴¹ ومن ذلك أن الأعراب أحرص على الأموال، وأشح فيها¹⁴² 97 من لطافة الطبع والانقياد للداعي ما ليس في البادية، ويجالسون أهل الإيمان، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية، أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، فيحدث لهم - بسبب هذا العلم - تصورات حسنة، وإرادات للخير، الذي يعلمون، ما لا يكون في البادية¹⁴³ وفيهم الدينية والأعمال والأحكام، فهم أحرى¹⁴⁴ وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله¹⁴⁵ من أصول الإيمان وأحكام الأوامر والنواهي، بخلاف الحاضرة، فإنهم الأعراب¹⁴⁶ وهم سكان البادية والبراري¹⁴⁷ أشد كفرا ونفاقا¹⁴⁸ من الحاضرة الذين فيهم كفر ونفاق، وذلك لأسباب كثيرة¹⁴⁹ منها¹⁵⁰ أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع يقول تعالى¹⁵¹

المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبي الحسنة، أو الله سميع عليم¹⁵² يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال، من إخلاص وغيره¹⁵³ 98 الدوائر¹⁵⁴ أي¹⁵⁵ من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم فلهم دائرة السوء¹⁵⁶ وأما الزكاة والنفقة في سبيل الله وغير ذلك، لمغرم¹⁵⁷ أي¹⁵⁸ يراها خسارة ونقصا، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه الله، ولا يكاد يؤديها إلا كرها¹⁵⁹ أو يتربص بكم فمهم لمن يتخذ ما ينفق¹⁶⁰ من

الأمر بها أو النهي عنها¹⁶¹ ومنها¹⁶² أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنما، ولا تكون مغرما¹⁶³ 99 والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك¹⁶⁴ فإن في معرفتها يتمكن من فعلها - إن كانت مأمور بها، أو تركها إن كانت محظورة - ومن ما أنزل الله على رسوله، من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، أشد كفرا ونفاقا، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله¹⁶⁵ ومنها¹⁶⁶ أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخف بحسب الأحوال¹⁶⁷ ومنها¹⁶⁸ فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم

الأعراب كأهل الحاضرة، منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعريضهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله، وأنهم في مظنة ذلك ومنها شيء، ويخص عباده المؤمنين برحمة يوفقهم فيها إلى الخيرات، ويحميهم فيها من المخالفات، ويجزل لهم فيها أنواع المثوبات وفي هذه الآية دليل على أن البركة لا يسد خلهم الله في رحمته في جملة عباد الصالحين إنه غفور رحيم، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه، ويعم عباده برحمته، التي وسعت كل ل - أصول الرسول أي دعائه لهم، وتبريكه عليهم، قال تعالى مبينا لنفع صلوات الرسول إلا أنها قرابة لهم تقر بهم إلى الله، وتنمي أموالهم وتحل فيها بذلك من الكفر والنفاق ويعمل بمقتضى الإيمان لا يتخذ ما ينفق قربات عند الله أي يحتسب نفقته، ويقصد بها وجه الله تعالى والقرب منه و يجعلها وسيلة وليس الأعراب كلهم مذمومين، بل منهم آمن يؤمن بالله واليوم الآخر فيسلم

سورة 10

المشتمل على الحكمة والأحكام، الدالة آياته على الحقائق الإيمانية والأوامر والنواهي الشرعية، الذي على جميع الأمة تلقيه بالرضا والقبول والانقياد 1 يقول تعالى 2 تلك آيات الكتاب الحكيم 3 وهو هذا القرآن،

أن أهل الجنة - إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب ونحوهما - قالوا سبحانه اللهم، فأحضر لهم في الحال 4 فإذا فرغوا قالوا الحمد لله رب العالمين 10 عند التلاقي والتزاور، فهو السلام، أي كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه إسلام وقد قيل في تفسير قوله ادعواهم فيها سبحانه إلى آخر الآية، من المأكّل اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة النفس، من دون كلفة ومشقة 11 أما اثبتهم فيما بينهم فيها لله، أولها تسبيح لله وتنزيه له عن النقائص، وآخرها تحميد لله، فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل الذات، الذي هو ألد عليهم ادعواهم فيها سبحانه اللهم أي عبادتهم

الإيمان، وفقه وهداية. ويجعل الرجس أي: الشر والضلال على الذين لا يعقلون عن الله وأوامره ونواهي، ولا يلقوا بالانصاحه ومواعظه. 100 وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله أي: بإرادته ومشئته، وإذنه القدري الشرعي، فمن كان من الخلق قابلاً لذلك، يزكو عنده

ذو الجلال والإكرام، والأسماء والصفات العظام. وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فإنهم لا ينتفعون بالآيات لإعراضهم وعنادهم. 101 والاعتبار والتأمل، لما فيها، وما تحتوي عليه، والاستبصار، فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، وعبرا لقوم يوقنون، تدل على أن الله وحده، المعبود المحمود، يدعو تعالى عباده إلى النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر

قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين فستعلمون من تكون له العاقبة الحسنة، والنجاة في الدنيا والآخرة، وليست إلا للرسول وأتباعهم. 102 بآيات الله، بعد وضوحها، إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم أي: من الهلاك والعقاب، فإنهم صنعوا كصنيعهم وسنة الله جارية في الأولين والآخرين. فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم أي: فهل ينتظر هؤلاء الذين لا يؤمنون

ننجي المؤمنين وهذا من دفعه عن المؤمنين، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا فإنه بحسب ما مع العبد من الإيمان تحصل له النجاة من المكارة. 103 ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا من مكاره الدنيا والآخرة، وشدائدها. كذلك حقا علينا أوجبناه على أنفسنا

الظاهرة والباطنة لله، وأقم جميع شرائع الدين حنيفا، أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، ولا تكونن من المشركين لا في حالهم، ولا تكن معهم. 104 ليجازيكم بأعمالكم، فهو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويخضع ويسجد. وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا أي: أخلص أعمالك من الأمور، وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضي عبادتها. ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم أي: هو الله الذي خلقكم، وهو الذي يميّتكم، ثم يبعثكم، الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة. ولهذا قال: فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الأنداد، والأصنام وغيرها، لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدبر شيئا إن كنتم في شك من ديني أي: في ريب واشتباه، فإني لست في شك منه، بل لدي العلم اليقيني أنه الحق، وأن ما تدعون من دون الله باطل، ولي على ذلك، تفسير الآيتين 104 و 105: - يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، سيد المرسلين، وإمام المتقين وخير الموقنين: قل يا أيها الناس

الظاهرة والباطنة لله، وأقم جميع شرائع الدين حنيفا، أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، ولا تكونن من المشركين لا في حالهم، ولا تكن معهم. 105 ليجازيكم بأعمالكم، فهو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويخضع ويسجد. وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا أي: أخلص أعمالك من الأمور، وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضي عبادتها. ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم أي: هو الله الذي خلقكم، وهو الذي يميّتكم، ثم يبعثكم، الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة. ولهذا قال: فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الأنداد، والأصنام وغيرها، لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدبر شيئا إن كنتم في شك من ديني أي: في ريب واشتباه، فإني لست في شك منه، بل لدي العلم اليقيني أنه الحق، وأن ما تدعون من دون الله باطل، ولي على ذلك، تفسير الآيتين 104 و 105: - يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، سيد المرسلين، وإمام المتقين وخير الموقنين: قل يا أيها الناس

الظلم هو الشرك كما قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم. فإذا كان خير الخلق، لو دعا مع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟! 106 النافع الضار، هو الله تعالى. فإن فعلت بأن دعوت من دون الله، ما لا ينفعك ولا يضرك فإنك إذا من الظالمين أي: الضارين أنفسهم بإهلاكها، وهذا

تفسير السعدي

ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وهذا وصف لكل مخلوق، أنه لا ينفع ولا يضر، وإنما

والكربات، وأن أحدا من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل. 107
بحيث لا تستغنى عن إحسانه، طرفه عين، فإذا عرف العبد بالدليل القاطع، أن الله، هو المنفرد بالنعم، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات
عبد له لأسباب مغفرتة، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها. الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات،
له من بعده يصيب به من يشاء من عباد الله أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، وهو الغفور لجميع الزلات، الذي يوفق
بخير فلا راد لفضله أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: ما يفتح الله للناس من رحمة، فلا ممسك لها وما يممسك فلا مرسل
على أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا، لم يقدرُوا على شيء من ضرره، إذا لم يرد الله، ولهذا قال: وإن يردك
أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفف وممرض، ونحوها فلا كاشف له إلا هو لأن الخلق، لو اجتمعوا
هذا من أعظم الأدلة على

وما أنا عليكم بوكيل فأحفظ أعمالكم وأحاسبكم عليها، وإنما أنا لكم نذير مبين، والله عليكم وكيل. فانظروا لأنفسكم، ما دمت في مدة الإمهال. 108
ثمرة أعمالهم راجعة إليهم. ومن ضل عن الهدى بأن أعرض عن العلم بالحق، أو عن العمل به، فإنما يضل عليها ولا يضر الله شيئا، فلا يضر إلا نفسه.
فقد تبين الرشد من الغي، ولم يبق لأحد شبهة. فمن اهتدى بهدى الله بأن علم الحق وتفهمه، وآثره على غيره فلنفسه والله تعالى غني عن عبادته، وإنما
أن أنزل إليكم هذا القرآن الذي فيه تبيان لكل شيء، وفيه من أنواع الأحكام والمطالب الإلهية والأخلاق المرضية، ما فيه أعظم تربية لكم، وإحسان منه إليكم،
قد جاءكم الحق من ربكم أي: الخبر الصادق المؤيد بالبراهين، الذي لا شك فيه بوجه من الوجوه، وهو واصل إليكم من ربكم الذي من أعظم تربيته لكم،
أي: قل يا أيها الرسول، لما تبين البرهان يا أيها الناس

بالحجة والبرهان، فله الحمد، والثناء الحسن، كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه. تم تفسير سورة يونس والحمد لله رب العالمين. 109
عليه وسلم أمر ربه، وثبت على الصراط المستقيم، حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان، ونصره على أعدائه بالسيف والسنان، بعد ما نصره الله عليهم،
حتى يحكم الله بينك وبين من كذبك وهو خير الحاكمين فإن حكمه، مشتمل على العدل التام، والقسط الذي يحمد عليه. وقد امتثل صلى الله
إليك علما، وعملا، وحالا، ودعوة إليه، واصبر على ذلك، فإن هذا أعلى أنواع الصبر، وإن عاقبتة حميدة، فلا تكسل، ولا تضجر، بل دم على ذلك، واثبت،
واتبع أيها الرسول ما يوحى

جاءوا به الحق والحد الذي يترددون حائرين، لا يهتدون السبيل، ولا يوفقون لأقوم دليل، وذلك عقوبة لهم على ظلمهم، وكفرهم بآيات الله. 11
وقوله: أفنذر الذين لا يرجون لقاءنا أي: لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يستعدون لها، ولا يعلمون ما ينجيهم من عذاب الله، أي: طغيانهم أي: باطلهم، الذي
ويدخل في هذا، أن العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه لهلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حليم حكيم
إليهم أجلبهم أي: لمحققتهم العقوبة، ولكنه تعالى يمهلهم ولا يهملهم، ويعفو عن كثير من حقوقه، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة
وهذا من لطفه وإحسانه بعباده، أنه لو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه، وبأدبرهم بالعقوبة على ذلك، كما يعجل لهم الخير إذا أتوا بأسبابه القضي

وهذا تزيين من الشيطان، زين له ما كان مستهجنًا مستقبحا في العقول والفطر. كذلك زين للمسرفين أي: المتجاوزين للحد ما كانوا يعملون. 12
ما جاءه ضره، فكشفه الله عنه، فأبى ظلم أعظم من هذا الظلم. يطلب من الله قضاء غرضه، فإذا أناله إياه لم ينظر إلى حق ربه، وكأنه ليس عليه لله حق
وقاعدا ومضطجعا، وألح في الدعاء ليكشف الله عنه ضره. قلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضرر مسه أي: استمر في غفلته معرضا عن ربه، كأنه
وهذا إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه إذا مسه ضرر، من مرض أو مصيبة اجتهد في الدعاء، وسأل الله في جميع أحواله، قائما

أيدي الرسل وتبين الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا. فأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرئ على محارم الله، وهذه سنته في جميع الأمم. 13
يخبر تعالى أنه أهلك الأمم الماضية بظلمهم وكفرهم، بعد ما جاءتهم البينات على

بمن قبلكم واتبعت آيات الله وصدقتم رسله، نجوتم في الدنيا والآخرة. وإن فعلتم كفضل الظالمين قبلكم، أحل بكم ما أحل بهم، ومن أنذر فقد أذعن. 14
ثم جعلناكم في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون. فإن أنتم اعتبرتم واتعظتم

فكيف بهؤلاء السفهاء الضالين، الذين جمعوا بين الجهل والضلال، والظلم والعناد، والتعنت والتعجيز لرب العالمين، أفلا يخافون عذاب يوم عظيم. 15
إلا ما يوحى إلي أي: ليس لي غير ذلك، فإني عبد مأمور، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. فهذا قول خير الخلق وأدبه مع أوامره وروحه،
العظيم يأمره الله، أن يقول لهم: أقل ما يكون لي أي: ما ينبغي ولا يليق أن أبدله من تلقاء نفسي. فإني رسول محض، ليس لي من الأمر شيء، إن أتبع
وطلبوا وجوه التعنت فقالوا، جراءة منهم وظلما. أنت بقرآن غير هذا أو بدله أفقبحهم الله، ما أجراهم على الله، وأشداهم ظلما وردا لآياته. فإذا كان الرسول
يذكر تعالى تعنت المكذبين لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنهم إذا تتلى عليهم آيات الله القرآنية المبينة للحق، أعرضوا عنها،

الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذ أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون. أقمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته. 16
أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد. أفلو أعلمتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب، لجزمتكم جزما لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق

تفسير السعدي

أمي لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرس ولا أتعلم من أحداً فأتيتكم بكتاب عظيم أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن - مع هذا - أن يكون من تلقاء نفسي، تعقلون! أني حيث لم أتقوله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل على ذلك، فكيف أتقوله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمراً طويلاً تعرفون حقيقة حالي، بأنني الله ما تلوته عليكم ولا أدراككم به فقد لبثت فيكم عمراً طويلاً من قبله أي قبل تلاوته، وقبل درايتكم به، وأنا ما خطر على بالي، ولا وقع في ظني إلا فلا فهم كذبة في ذلك، فإن الله قد بين من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، وهو الذي يصرفها كيف يشاء، تابعا لحكمته الربانية، ورحمته بعباده أقل لو شاء فإن زعموا أن قصدهم أن يتبين لهم الحق بالآيات التي طلبوا

هذا التعتن الذي صدر منهم هو عدم إيمانهم بقاء الله وعدم رجائه، وأن من آمن بقاء الله فلا بد أن ينقاد لهذا الكتاب ويؤمن به، لأنه حسن القصد 17 بها، فتعين فيكم الظلم، ولا بد أن أمركم سيضمحل، ولن تنالوا الفلاح، ما دمتم كذلك ودل قوله قال الذين لا يرجون لقاءنا الآية، أن الذي حملهم على فلو كنت متقولاً لكنت أظلم الناس، وفاتني الفلاح، ولم تخف عليكم حالي، ولكني جئتكم بآيات الله، فكذبتم في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلاً وشرعاً وفطرة ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير 18 وتعالى عما يشركون أي تقديس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير، بل هو الله الأحد الفرد الصمد الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو، وكل معبود هذا القول، المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه وأسبحانه ولا إله معه، أفأنتم - يا معشر المشركين - تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء أفأفتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتوه أنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أي الله تعالى هو العالم، الذي أحاط علماً بجميع ما في السماوات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك الله أي يعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم، ولهذا قال تعالى - مبطلاً لهذا القول - أقل أتنبئون - آمن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم أي لا تملك لهم مقال ذرة من النفع ولا تدفع عنهم شيئاً فيقولون أقولا خالياً من البرهان هؤلاء شفعاءنا عند يقول تعالى لا يعبدون أي المشركون المكذبون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم

ونهلك الكافرين المكذبين، وصار هذا فارقاً بينهم إيماناً فيه يختلفون ولكنه أراد امتحانهم وابتلاء بعضهم ببعض، ليتبين الصادق من الكاذب 19 الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه لا لولا كلمة سبقت من ربك بإمهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم، القضي بينهم بأن ننجي المؤمنين، أي أئمة كان الناس إلا أمة واحدة متفقين على الدين الصحيح، ولكنهم اختلفوا، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم يؤمنوا بهذا الرسول الكريم، الذي بعثه الله من أنفسهم، يعرفونه حق المعرفة، فردوا دعوته، وحرصوا على إبطال دينه، والله متم نوره ولو كره الكافرون 20 على أحد، وهذا من سفههم وعنادهم، فإنهم تعجبوا من أمر ليس مما يتعجب منه ويستغرب، وإنما يتعجب من جهالتهم وعدم معرفتهم بمصالحهم كيف لم فتعجب الكافرون من هذا الرجل العظيم تعجباً حملهم على الكفر به، فاقال الكافرون عنه أن هذا لساحر مبين أي بين السحر، لا يخفى بزعمهم الذين آمنوا إيماناً صادقاً أن لهم قدم صدق عند ربهم أي لهم جزاء موفور وثواب مذخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة ومع هذا فأعرض أكثرهم، فهم لا يعلمون، فتعجبوا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس عذاب الله، وخوفهم نقم الله، وذكرهم بآيات الله أوبشر تدبير في حكم ولا دليل، ولا غاية ولا تعليل فانتظروا إني معكم من المنتظرين أي كل ينتظر بصاحبه ما هو أهل له، فانظروا لمن تكون العاقبة 20 الآيات أقل لهم إذا طلبوا منك آية إنما الغيب لله أي هو المحيط علماً بأحوال العباد، فيدبرهم بما يقتضيه علمه فيهم وحكمته البديعة، وليس لأحد يعنون آيات الاقتراح التي يعينونها كقولهم لا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً الآيات وكقولهم لا نقولوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً فيقولون أي المكذبون المتعنتون، لا أنزل عليه آية من ربه

فمقصودهم منعكس عليهم، ولم يسلموا من التبعة، بل تكتب الملائكة عليهم ما يعملون، ويحصى الله عليهم، ثم يجازيهم الله عليه أوفر الجزاء 21 في طغيانهم ومكرهم ولهذا قال إذا لهم مكر في آياتنا أي يسعون بالباطل، ليبطلوا به الحق أقل الله أسرع مكرًا فإن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، بعد ضراء مستهم كالصحة بعد المرض، والغنى بعد الفقر، والأمن بعد الخوف، نسوا ما أصابهم من الضراء، ولم يشكروا الله على الرخاء والرحمة، بل استمروا يقول تعالى لا إذا أذقنا الناس رحمة من

من هذه الشدة إلا الله وحده، فدعوه مخلصين له الدين ووعدوا من أنفسهم على وجه الإلزام، فقالوا لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين 22 عاصفاً شديدة الهبوب لوجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم أي عرفوا أنه الهلاك، فانقطع حينئذ تعلقهم بالخلق، وعرفوا أنه لا ينجيهم أي السفن البحرية لوجرين بهم بريح طيبة موافقة لما يهوونه، من غير انزعاج ولا مشقة أو فرحوا بها أو اطمانوا إليها، فبينما هم كذلك، إذ جاءتها ريح والخوف من عواقبه، فقال هو الذي يسيركم في البر والبحر بما يسر لكم من الأسباب المسيرة لكم فيها، وهادكم إليها حتى إذا كنتم في الفلك لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد الضراء، واليسر بعد العسر، ذكر حالة، تؤيد ذلك، وهي حالهم في البحر عند اشتداده، جميعاً، ثم تنتقلون عنه بالرغم أنم إلينا مرجعكم في يوم القيامة اقتنبتكم بما كنتم تعملون وفي هذا غاية التحذير لهم عن الاستمرار على عملهم 23 الحياة الدنيا أي غاية ما تؤملون بغيكم، وشروءكم عن الإخلاص لله، أن تنالوا شيئاً من حطام الدنيا وجاهها النذر اليسير الذي سينقضي سريعاً، ويمضي فهلاً أخلصوا لله العبادة في الرخاء، كما أخلصوها في الشدة ولكن هذا البغي يعود وباله عليهم، ولهذا قال أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع

تفسير السعدي

في الأرض بغير الحق أي نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزموه أنفسهم، فأشركوا بالله، من اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق، أقلما أنجاهم إذا هم يبعون

إلى الأذهان، وضرب الأمثال القوم يتفكرون أي يعملون أفكارهم فيما ينفعهم وأما الغافل المعرض، فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان 24 أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس أي كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء كذلك تفصل الآيات أي نبينها ونوضحها، بتقريب المعاني أنهم قادرون عليها أي حصل معهم طمع، بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتفاء مطالبهم فيه أي فبينما هم في تلك الحالة أتاهم أمرنا ليلا في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبرسين، فصرت ترى لها منظرا عجيبا ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره أي وطن أهلها والثمار أي مما تأكل الأنعام أنواع العشب، والكأ المختلف الأصناف أي إذا أخذت الأرض زخرفها وزينت أي تزخرفت في منظرها، واكتست من همها وحزنها وحسرتها أي كذلك إكماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض أي ثبت فيها من كل صنف، وزوج بهيج لهما يأكل الناس أي الحبوب وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتا قصيرا، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلى القلب وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها

بعد البيان والرسول، وسمى الله الجنة دار السلام لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقاءه، وحسنه من كل وجه 25 والترغيب، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة عم تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام، والحث على ذلك،

قال الله عنهم - اعرف في وجوههم نضرة النعيم أولئك أصحاب الجنة الملازمون لها هم فيها خالدون لا يحولون ولا يزولون، ولا يتغيرون 26 يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أي لا ينالهم مكروه، بوجه من الوجوه، لأن المكروه، إذا وقع بالإنسان، تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدر وأما هؤلاء - فهم كما الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمدنون، ويسأله السائلون ثم ذكر اندفاع المحذور عنهم فقال أولو المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان أي هؤلاء الذين أحسنوا، لهم الحسن أي وهي الجنة الكاملة في حسنها وزيادة وهي النظر إلى وجه الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعل، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة الحسنى وزيادة أي للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبادته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد ولما دعا إلى دار السلام، كأن النفوس تشوقت إلى الأعمال الموجبة لها الموصلة إليها، فأخبر عنها بقوله للذين أحسنوا

يومئذ بأسرة تظن أن يفعل بها فاقرة أي وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قتر أولئك هم الكفرة الفجرة 27 الليل مظلم أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي فكم بين الفريقين من الفرق، ويا بعد ما بينهما من التفاوت أي وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه عذاب الله، لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم، وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرها، فتكون سودا في الوجوه أي كأنما أغشيت وجوههم قطعا من فجراؤهم سيئة مثلها أي جزاء يسوؤهم بحسب ما عملوا من السيئات على اختلاف أحوالهم أي وترهقهم أي تغشاهم ذلة أي في قلوبهم وخوف من أصحاب الجنة ذكر أصحاب النار، فذكر أن بضاعتهم التي اكتسبوها في الدنيا هي الأعمال السيئة المسخطة لله، من أنواع الكفر والتكذيب، وأصناف المعاصي، لما ذكر

الوداد، فانقلبت تلك المحبة والولاية بغضا وعداوة وتبرأ شركاؤهم منهم وقالوا أي كنتم إيانا تعبدون فإننا ننزه الله أن يكون له شريك، أو نديد 28 بينكم وبينهم أي فزينا بينهم أي فرقنا بينهم، بالبعد البدني والقلبي، وحصلت بينهم العداوة الشديدة، بعد أن بذلوا لهم في الدنيا خالص المحبة وصفو يوم معلوم، ونحضر المشركين، وما كانوا يعبدون من دون الله أي ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم أي ألزموا مكانكم ليقيم التحاكم والفصل يقول تعالى أي يوم نحشرهم جميعا أي نجتمع جميع الخلق، لميعاد

الخصال، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين، وأنهم مفترون على الله، قد ضلت عبادتهم، واضمحل معبوداتهم، وتقطعت بهم الأسباب والوسائل 29 إلى عبادتهم وهم الصادقون البارون في ذلك، فحينئذ يتحسر المشركون حسرة لا يمكن وصفها، ويعلمون مقدار ما قدموا من الأعمال، وما أسلفوا من رديء بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون أي فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرؤون ممن عبدتهم يوم القيامة ويتنصلون من دعائهم إياهم آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين أي وقال أي يوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين أي أمرناكم بها، ولا دعوناكم لذلك، وإنما عبدتم من دعاكم إلى ذلك، وهو الشيطان كما قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني إني كفى بالله شهيدا بيننا

أقاعبدوه أي أفردوه بجميع ما تقدر على أنواع العبودية، ألا تذكرون الأدلة الدالة على أنه وحده المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام 30 والتوحيد له أي ألكم أي هذا شأنه الله ربكم أي هو الله الذي له وصف الإلهية الجامعة لصفات الكمال، ووصف الربوبية الجامع لصفات الأفعال أي أما من شفيق إلا من بعد إذنه فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة، ولو كان أفضل الخلق، حتى يأذن الله ولا يأذن، إلا لمن ارتضى، ولا يرتضى إلا أهل الإخلاص الناس، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين أي فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مدعون لعزه خاضعون لعظمته وسلطانه أي

تفسير السعدي

والأرض استوى على العرش استواء يليق بعظمته لا يدبر الأمر في العالم العلوي والسفلي من الإمامة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله ومن جملة حكمته فيها، أنه خلقها بالحق وللحق، ليعرف بأسمائه وصفاته ويفرد بالعبادة ثم بعد خلق السماوات مبينا لربوبيته وإلهيته وعظمته أن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك يقول تعالى

فخير، وإن شرا فشر، وضل عنهم ما كانوا يفترون من قولهم بصحة ما هم عليه من الشرك وأن ما يعبدون من دون الله تنفعهم وتدفع عنهم العذاب 30
هناك أي في ذلك اليوم أثبو كل نفس ما أسلفت أي تتفقد أعمالها وكسبها، وتتبعه بالجزاء، وتجازي بحسبه، إن خيرا

المذكورات أقل لهم إلزاما بالحجة أفلا تتقون الله فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان 31
والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير الإلهية، فإنك إذا سألتهم عن ذلك هم يقولون الله لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ويخرج الميت من الحي أعكس هذه المذكورات، ومن يدبر الأمر في العالم العلوي وخصهما بالذكر من باب التنبيه على المفضل بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما فمن يخرج الحي من الميت أو يخرج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والأرض إنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها فمن يملك السمع والأبصار أي من هو الذي خلقهما وهو مالهما أي لهؤلاء الذين أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطانا - محتجا عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية - لمن يرزقكم من السماء أي أقل

من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فتبا لمن أشرك به، وويح لمن كفر به، لقد عدموا عقولهم، بعد أن عدموا أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم 32
إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فليس له من الملك مثقال ذرة، ولا شركة له بوجه يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام أفأنتي تصرفون عن عبادة من هذا وصفه، المربي جميع الخلق بالنعم وهو الحق فمادام بعد الحق إلا الضلال فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا هكذا الذي وصف نفسه بما وصفها به الله ربكم أي المألوه المعبود المحمود،

الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون بعد ما أراهم الله من الآيات البينات والبراهين النيرات، ما فيه عبرة لأولي الأبواب، وموعظة للمتقين وهدى للعالمين 33
إكذلك حقت كلمة ربك على

ولا معاون له على ذلك أفأنتي تؤفكون أي تصرفون، وتتحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء، والإعادة إلى عبادة من لا يخلق شيئا وهم يخلقون 34
وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز، أقل الله يبدأ الخلق ثم يعيده من غير مشارك يقول تعالى - مبينا عجز آلهة المشركين، وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله - أقل هل من شركائكم من يبدأ الخلق أي يبتدئ ثم يعيده
تحكمون أي أي شيء جعلكم تحكمون هذا الحكم الباطل، بصحة عبادة أحد مع الله، بعد ظهور الحجة والبرهان، أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده 35
إلى سلوك أقوم طريق آمن لا يهدي أي لا يهدي إلى أن يهدي العدم علمه، ولضلاله، وهي شركاؤهم، التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تهدي أقما لكم كيف هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ببيانه وإرشاده، أو بإلهامه وتوفيقه أقل الله وحده يهدي للحق بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق، والإعانة

أقل

مع الله، إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الله عليم بما يفعلون وسيجزيهم على ذلك بالعقوبة البليغة 36
أي ما يتبعون في الحقيقة شركاء لله، فإنه ليس لله شريك أصلا عقلا ولا نقلا، وإنما يتبعون الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا فسموها آلهة، وعبدوها تزيين الشيطان للإنسان، أقبح البهتان، وأضل الضلال، حتى اعتقد ذلك وألفه، وظنه حقا، وهو لا شيء ولهذا قال وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء معنوية، ولا أوصافا فعلية، تقتضي أن تعبد مع الله، بل هي متصفة بالنقائص الموجبة لبطلان إلهيتها، فلا شيء جعلت مع الله آلهة فالجواب أن هذا من فإذا تبين أنه ليس في آلهتهم التي يعبدون مع الله أوصافا

بنعمه ومن أعظم أنواع تربيته أن أنزل عليهم هذا الكتاب الذي فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، المشتغل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال 37
الصادقة لا ريب فيه من رب العالمين أي لا شك ولا مرية فيه بوجه من الوجوه، بل هو الحق اليقين تنزيل من رب العالمين الذي ربي جميع الخلق السماوية، بأن وافقها، وصدقها بما شهدت به، وبشرت بنزوله، فوقع كما أخبرت وتفصيل الكتاب للحلال والحرام، والأحكام الدينية والقدرية، والإخبارات لعاجله بالعقوبة، وبادره بالنكال ولكن الله أنزل هذا الكتاب، رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين أنزله إصديق الذي بين يديه من كتب الله فإن كان أحد يماثل الله في عظمته، وأوصاف كماله، أمكن أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولو تنزلنا على الفرض والتقدير، فتقوله أحد على رب العالمين، لبعض ظهيرا، وهو كتاب الله الذي تكلم به رب العالمين فكيف يقدر أحد من الخلق، أن يتكلم بمثله، أو بما يقاربه، والكلام تابع لعظمة المتكلم ووصفه أي يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميدا وهو الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم يقول تعالى أو ما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله أي غير ممكن ولا متصور، أن يفترى هذا القرآن على الله تعالى، لأنه الكتاب العظيم الذي لا

تفسير السعدي

من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين إيعاونكم على الإتيان بسورة مثله، وهذا محال، ولو كان ممكنا لادعوا قدرتهم على ذلك، ولأتوا بمثله³⁸ وبغيا³⁹ افتراه⁴⁰ محمد على الله، واختلقه، قل لهم - ملزما لهم بشيء - إن قدروا عليه، أمكن ما ادعوه، وإلا كان قولهم باطلا⁴¹ فأتوا بسورة مثله وادعوا أم يقولون أي⁴² المكذوبون به عنادا

بالأمم المكذبين والقرون المهلكين⁴³ وفي هذا دليل على التثبت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر بقبول شيء أو رده، قبل أن يحيط به علما⁴⁴ كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين⁴⁵ وهو الهلاك الذي لم يبق منهم أحدا⁴⁶ فليحذر هؤلاء، أن يستمروا على تكذيبهم، فيحل بهم ما أحل إلى الآن لم يأتهم تأويله الذي وعدهم أن ينزل بهم العذاب ويحل بهم النكال، وهذا التكذيب الصادر منهم، من جنس تكذيب من قبلهم، ولهذا قال⁴⁷ كذلك على التكذيب بالقرآن المشتمل على الحق الذي لا حق فوقه، أنهم لم يحيطوا به علما⁴⁸ فلو أحاطوا به علما وفهموه حق فهمه، لأنعنوا بالتصديق به، وكذلك ولكن لما بان عجزهم تبين أن ما قالوه باطل، لا حظ له من الحجة، والذي حملهم

الوجوه، ويقطع الأمعاء⁴⁹ عذاب أليم⁵⁰ من سائر أصناف العذاب إما كانوا يكفرون أي⁵¹ بسبب كفرهم وظلمهم، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون⁵² قد بينه لعباده، وأخبر أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين⁵³ أو الذين كفروا⁵⁴ آيات الله وكذبوا⁵⁵ رسل الله⁵⁶ اللهم شراب من حميم⁵⁷ أي⁵⁸ ماء حار، يشوي اليجزي الذين آمنوا⁵⁹ بقلوبهم بما أمرهم الله بالإيمان به⁶⁰ أو عملوا الصالحات⁶¹ أجوارحهم، من واجبات، ومستحبات، بالقسط⁶² أي⁶³ بإيمانهم وأعمالهم، جزاء لأحد المثلين مع إثبات ما هو أولى منه، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد⁶⁴ وقد ذكر الدليل النقلي فقال⁶⁵ أوعد الله حقا⁶⁶ أي⁶⁷ وعده صادق لا بد من إنمامه يوم معلوم⁶⁸ لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده⁶⁹ فالقادر على ابتداء الخلق قادر على إعادته، والذي يرى ابتداءه بالخلق، ثم ينكر إعادته للخلق، فهو فاقد العقل منكر عبادته وحده لا شريك له، ذكر الحكم الجزائي، وهو مجازاته على الأعمال بعد الموت، فقال⁷⁰ إليه مرجعكم جميعا⁷¹ أي⁷² سيجمعكم بعد موتكم، لميقات فلما ذكر حكمه القدري وهو التدبير العام، وحكمه الديني وهو شرعه، الذي مضمونه ومقصوده

به، أو منهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين⁷³ وهم الذين لا يؤمنون به على وجه العناد والظلم والفساد، فسيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب⁷⁴ أو منهم من يؤمن به أي⁷⁵ بالقرآن وما جاء

لكل عمله⁷⁶ أقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون⁷⁷ كما قال تعالى⁷⁸ فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها⁷⁹ أو إن كذبوا⁸⁰ فاستمر على دعوتك، وليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء،

الحجة، فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة الله البالغة، فهذا طريق عظيم من طرق العلم قد انسد عليهم، وهو طريق المسموعات المتعلقة بالخير⁸¹ إذا كان عقلهم معدوما⁸² فإذا كان من المحال إسماع الأصم الذي لا يعقل للكلام، فهؤلاء المكذوبون، كذلك ممتنع إسماعك إياهم، إسماعا ينتفعون به⁸³ وأما سماع قال⁸⁴ أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون⁸⁵ وهذا الاستفهام، بمعنى النفي المتقرر، أي⁸⁶ لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول ولو جهرت به، وخصوصا وجه التفرج والتكذيب وتطلب العثرات، وهذا استماع غير نافع، ولا مجد على أهله خيرا، لا جرم انسد عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع، ولهذا عن بعض المكذبين للرسول، ولما جاء به، و أن⁸⁷ منهم من يستمعون⁸⁸ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقت قراءته للوحي، لا على وجه الاسترشاد، بل على يخبر تعالى

- صلى الله عليه وسلم - وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة⁸⁹ التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق، فأين الطريق الموصول لهم إلى الحق⁹⁰ أو دل قوله⁹¹ أو منهم من ينظر إليك⁹² الآية، أن النظر إلى حالة النبي فلا يفيد نظره إليك، ولا سبر أحوالك شيئا، فكما أنك لا تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون، فكذلك لا تهدي هؤلاء⁹³ فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم ثم ذكر انسداد الطريق الثاني، وهو⁹⁴ طريق النظر فقال⁹⁵ أو منهم من ينظر إليك⁹⁶

من حسنتهم⁹⁷ أو لكن الناس أنفسهم يظلمون⁹⁸ إيجينهم الحق فلا يقبلونه، فيعاقبهم الله بعد ذلك بالطبع على قلوبهم، والختم على أسماعهم وأبصارهم⁹⁹ 44 وقوله¹⁰⁰ إن الله لا يظلم الناس شيئا¹⁰¹ فلا يزيد في سيئاتهم، ولا ينقص

اليوم يربح المتقون، ويخسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين إلى الصراط المستقيم والدين القويم، حيث فاتهم النعيم، واستحقوا دخول النار¹⁰² 45 إذا حشر الناس وجمعهم ليوم لا ريب فيه، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس، وهم يتعارفون بينهم، كحالهم في الدنيا، ففي هذا يخبر تعالى، عن سرعة انقضاء الدنيا، وأن الله تعالى

إلى الله، وسينبئهم بما كانوا يعملون، أحصاه ونسوه، والله على كل شيء شهيد، ففيه الوعيد الشديد لهم، والتسلي للرسول الذي كذبه قومه وعاندوه¹⁰³ 46 المكذبين، ولا تستعجل لهم، فإنهم لا بد أن يصيبهم الذي نعدهم من العذاب¹⁰⁴ إما في الدنيا فتراه بعينك، وتقر به نفسك¹⁰⁵ وإما في الآخرة بعد الوفاة، فإن مرجعهم أي¹⁰⁶ لا تحزن أيها الرسول على هؤلاء

بأن يعذبوا قبل إرسال الرسول وبيان الحجة، أو يعذبوا بغير جرمهم، فليحذر المكذوبون لك من مشابهة الأمم المهلكين، فيحل بهم ما حل بأولئك¹⁰⁷ 47 ودينه¹⁰⁸ فإذا جاءهم¹⁰⁹ أو رسولهم¹¹⁰ بالآيات، صدقه بعضهم، وكذبه آخرون، فيقضي الله بينهم بالقسط¹¹¹ بنبذة المؤمنين، وإهلاك المكذبين¹¹² أوهم لا يظلمون¹¹³ يقول تعالى¹¹⁴ أو لكل أمة¹¹⁵ من الأمم الماضية¹¹⁶ أو رسول¹¹⁷ يدعوهم إلى توحيد الله

تفسير السعدي

إن كنتم صادقين فإن هذا ظلم منهم، حيث طلبوه من النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإنه ليس له من الأمر شيء، وإنما عليه البلاغ والبيان للناس⁴⁸ ولا يستبطلوا العقوبة ويقولوا⁴⁹ امتى هذا الوعد

ساعة ولا يستقدمون، فليحذر المكذبون من الاستعجال بالعذاب، فإنهم مستعجلون بعذاب الله الذي إذا نزل لا يرد بأسه عن القوم المجرمين⁴⁹ العذاب عليهم، فمن الله تعالى، ينزله عليهم إذا جاء أجل الذي أجله فيه، والوقت الذي قدره فيه، الموافق لحكمته الإلهية⁵⁰ فإذا جاء ذلك الوقت لا يستأخرون وأما حسابهم وإنزال

فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة⁵¹ من المخلوقات المربوبات، المفتقرات إلى الله في جميع شئونها⁵² وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، أنه وحده المعبود والمحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام، الذي لا تنبغي الرغبة والرغبة إلا إليه، ولا يصرف خالص الدعاء إلا له، لا لغيره ما يحصل - يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتنائه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة⁵³ وذلك دال على على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة علمه⁵⁴ وما فيها من أنواع المنافع والمصالح - كجعل الشمس ضياء، والقمر نورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الأحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال استنباط الدليل على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرغبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين⁵⁵ وحاصل ذلك والأرض وجميع ما خلق فيها من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات القوم يعلمون⁵⁶ والقوم يتقون⁵⁷ فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية تفسير الآيتين 5 و6: لما قرر ربوبيته وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسموات

أتاكم عذابه بيئات⁵⁸ وقت نومكم بالليل أو نهارا⁵⁹ في وقت غفلتكم لماذا يستعجل منه المجرمون⁶⁰ أي⁶¹ أي بشارة استعجلوا بها⁶² وأي عقاب ابتدوه⁶³ 50 يقول تعالى⁶⁴ أقل أرايتم إن

خلت في عبادته⁶⁵ وقال هنا⁶⁶ أتم إذا ما وقع آمنتم به، الآن⁶⁷ تدعون الإيمان⁶⁸ لقد كنتم به تستعجلون⁶⁹ فهذا ما عملت أيديكم، وهذا ما استعجلتم به⁷⁰ 51 وأنا من المسلمين⁷¹ وأنه يقال له⁷² الآن⁷³ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين⁷⁴ وقال تعالى⁷⁵ أقلم بك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد قبل وقوع العذاب، فإذا وقع العذاب لا ينفع نفسا إيمانها، كما قال تعالى عن فرعون، لما أدركه الغرق⁷⁶ قال آمنتم أنه لا إله إلا الذي آمنتم به بنو إسرائيل تلك الحال التي زعموا أنهم يؤمنون، الآن⁷⁷ تؤمنون في حال الشدة والمشقة⁷⁸ لقد كنتم به تستعجلون⁷⁹ فإن سنة الله في عبادته أنه يعتبهم إذا استعتبوه أتم إذا ما وقع آمنتم به⁸⁰ فإنه لا ينفع الإيمان حين حلول عذاب الله، ويقال لهم توبخوا وعتابا في

القيامة⁸¹ لقد قوا عذاب الخلد⁸² أي⁸³ العذاب الذي تخلدون فيه، ولا يفتر عنكم ساعة⁸⁴ أهل تجزون إلا بما كنتم تكسبون⁸⁵ من الكفر والتكذيب والمعاصي⁸⁶ 52 ثم قيل للذين ظلموا⁸⁷ حين يوفون أعمالهم يوم

لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه⁸⁸ أو ما أنتم بمعجزين⁸⁹ الله أن يبعثكم، فكما ابتدأ خلقكم ولم تكونوا شيئا، كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم⁹⁰ 53 ليوم المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر⁹¹ أقل⁹² لهم مقسما على صحته، مستدلا عليه بالدليل الواضح والبرهان⁹³ أي⁹⁴ وربي إنه لحق⁹⁵ أحق هو⁹⁶ أي⁹⁷ يستخبرك المكذبون على وجه التعنت والعناد، لا على وجه التبين والرشاد⁹⁸ أحق هو⁹⁹ أي¹⁰⁰ أصحح حشر العباد، وبعثهم بعد موتهم يقول تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -¹⁰¹ لا يستنبئونك

لما رأوا العذاب¹⁰² اندموا على ما قدموا، ولات حين مناص، أو قضي بينهم بالقسط¹⁰³ أي¹⁰⁴ العدل التام الذي لا ظلم ولا جور فيه بوجه من الوجوه¹⁰⁵ 54 به من عذاب الله لا فتدت به¹⁰⁶ ولما نفعها ذلك، وإنما النفع والضرر والثواب والعقاب، على الأعمال الصالحة والسيئة¹⁰⁷ أو أسروا¹⁰⁸ أي¹⁰⁹ الذين ظلموا¹¹⁰ الندامة أو إذا كانت القيامة فالو أن لكل نفس ظلمت¹¹¹ بالكفر والمعاصي جميع لما في الأرض¹¹² من ذهب وفضة وغيرهما، لتفتدي

وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون¹¹³ فلذلك لا يستعدون للقاء الله، بل ربما لم يؤمنوا به، وقد تواترت عليه الأدلة القطعية والبراهين النقلية والعقلية¹¹⁴ 55 ألا إن لله ما في السموات والأرض¹¹⁵ يحكم فيهم بحكمه الديني والقدري، وسيحكم فيهم بحكمه الجزائي¹¹⁶ ولهذا قال¹¹⁷ ألا إن

أي¹¹⁸ هو المتصرف بالإحياء والإماتة، وسائر أنواع التدبير، لا شريك له في ذلك¹¹⁹ أو إليه ترجعون¹²⁰ أي¹²¹ يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم خيرها وشرها¹²² 56 هو يحيي ويميت¹²³

به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين¹²⁴ وإذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والصلاح، والريح والنجاح، والفرح والسرور¹²⁵ 57 والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده¹²⁶ أو هدى ورحمة للمؤمنين¹²⁷ فالهدى هو العلم بالحق والعمل به¹²⁸ والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القاذحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين¹²⁹ وإذا صح القلب ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه¹³⁰ وكذلك ما فيه من البراهين فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرغبة¹³¹ وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرغبة من الشر، ونمتا على تكرر

تفسير السعدي

لما في الصدور وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما الناس قد جاءكم موعظة من ربكم أي تعظكم، وتذكركم عن الأعمال الموجبة لسخط الله، المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها أو شفاء يقول تعالى - مرغباً للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال أيها

وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل أقلماء جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم 58 فرح محمود، بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم كما قال تعالى عن قوم قارون له لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين بالفرح بفضلته ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا من متاع الدنيا ولذاتها فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب وإنما أمر الله تعالى هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده لورحمته الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته البذل فليفرحوا هو خير مما يجمعون ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال أقل بفضل الله الذي هو القرآن، الذي

منه حراماً وحلالاً لهم - موبخاً على هذا القول الفاسد - الله أذن لكم أم على الله تفترون ومن المعلوم أن الله لم يأذن لهم، فعلم أنهم مفترون 59 ما أحل الله وتحليل ما حرمه - أقل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق أعني أنواع الحيوانات المحللة، التي جعلها الله رزقاً لهم ورحمة في حقهم فجعلتم يقول تعالى - منكراً على المشركين، الذين ابتدعوا تحريم

فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة 60 من المخلوقات المربوبات، المفتقرات إلى الله في جميع شئونها وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، أنه وحده المعبود والمحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام، الذي لا تنبغي الرغبة والرهبة إلا إليه، ولا يصرف خالص الدعاء إلا له، لا لغيره ما يحصل - يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتناؤه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة وذلك دال على على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة علمه وما فيها من أنواع المنافع والمصالح - كجعل الشمس ضياء، والقمر نورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الأحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال استنباط الدليل على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين وحاصل ذلك والأرض وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات لقوم يعلمون أو القوم يتقون فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية تفسير الآيتين 5 و6: لما قرر ربوبيته وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسموات

على طاعته ويستدل بهذه الآية على أن الأصل في جميع الأطعمة الحل، إلا ما ورد الشرع بتحريمه، لأن الله أنكر على من حرم الرزق الذي أنزله لعباده 60 يستعينوا بها على معاصيه، وإما أن يحرموا منها، ويردوا ما من الله به على عباده، وقليل منهم الشاكر الذي يعترف بالنعمة، ويثني بها على الله، ويستعين بها كذبوا على الله وجوههم مسودة 61 إن الله ل ذو فضل على الناس كثير، وذو إحسان جزيل، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، إما أن لا يقوموا بشكرها، وإما أن يؤما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة أن يفعل الله بهم من النكال، ويحل بهم من العقاب، قال تعالى يؤيؤم القيامة ترى الذين

الأشياء، وكتابتها المحيطة بجميع الحوادث، كقوله تعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن الله يسيّر 61 إلا في كتاب مبين أي قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه وهاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر، كثيرا ما يقرن الله بينهما، وهما العلم المحيط بجميع وبواطنكم يؤما يعزب عن ربك أي ما يغيب عن علمه، وسمعته، وبصره ومشاهدته من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر على العمل به فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة، والاجتهاد فيها، وإياكم، وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بظواهركم وما تتلو من القرآن الذي أوحاه الله إليك ألا تعملون من عمل أصغير أو كبير إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه أي وقت شروءكم فيه، واستمراركم وسكناتهم، وفي ضمن هذا، الدعوة لمراقبته على الدوام فقال يؤما تكون في شأن أي حال من أحوالك الدينية والدنيوية يؤما تتلو منه من قرآن أي يخبر تعالى، عن عموم مشاهدته، واطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم،

لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى 62 أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم فقال ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأحوال ألا هم يحزنون على ما أسلفوا، يخبر تعالى عن أوليائه وأحبابه، ويذكر

الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا بإيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي 63 ثم ذكر وصفهم فقال

لغير أهل الإيمان والتقوى والحاصل أن البشرية شاملة لكل خير وثواب، رتبته الله في الدنيا والآخرة، على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك، فلم يقيدته 64 أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه ذلك هو الفوز العظيم لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز فيه، لأنه لا فوز بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم إلا بتبديل لكلمات الله بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قوله، الذي لا يقدر

تفسير السعدي

عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم وفي الآخرة تمام البشرى الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل الدنيا وفي الآخرة أما البشارة في الدنيا، فهي الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله تعالى وليا، وأهم البشرى في الحياة

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلا، فاكثف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله، فهو حسبه 65 أي سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفى عليه شيء منها وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، في السماوات والأرض، والعمل الصالح يرفعه ومن المعلوم، أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولأتباعك من الله لولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقوله هو السميع العليم يؤتيها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء قال تعالى آمن كان يريد العزة فلله العزة جميعا أي فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده إليه يصعد الكلم الطيب أي ولا يحزنك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدح فيك، وفي دينك فإن أقوالهم لا تعزهم، ولا تضرك شيئا لأن العزة لله جميعا ذرة من العبادة، فلن يستطيعوا، فهل منهم أحد يخلق شيئا أو يرزق، أو يملك شيئا من المخلوقات، أو يدبر الليل والنهار، الذي جعله الله قياما للناس 66 من الحق شيئا وإن هم إلا يخرصون في ذلك، خرس كذب وإفك وبهتان فإن كانوا صادقين في أنها شركاء لله، فليظهروا من أوصافها ما تستحق به مثقال لا يستحقون شيئا من العبادة، وليسوا شركاء لله بوجه الوجوه، ولهذا قال أو ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن الذي لا يغني يخبر تعالى أن له ما في السماوات والأرض، خلقا وملكا وعبيدا، يتصرف فيهم بما شاء من أحكامه، فالجميع ممالك لله، مسخرون، مدبرون، فإن في ذلك لآيات، لقوم يسمعون، يستدلون بها على أنه وحده المعبود وأنه الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، وأنه الرؤوف الرحيم العليم الحكيم 67 به الخلق، فيتصرفون في معاشهم، ومصالح دينهم ودنياهم لأن في ذلك لآيات لقوم يسمعون عن الله، سمع فهم، وقبول، واسترشاد، لا سمع تعنت وعناد، فيه في النوم والراحة بسبب الظلمة، التي تغشى وجه الأرض، فلو استمر الضياء، لما قروا، ولما سكنوا أو جعل الله النهار مبصرا أي مضيا، يبصر وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا

وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا قال أتقولون على الله ما لا تعلمون فإن هذا من أعظم المحرمات 68 الولادة البرهان الثالث، قوله لأن عندكم من سلطان بهذا أي هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن لله ولدا، فلو كان لهم دليل لأدبوه، فلما تحداهم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقا ولا مملوكا فملكته لما في السماوات والأرض عموما، تنافي له ما في السماوات وما في الأرض وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد ممالك ومن المعلوم الوجوه، فإذا كان غنيا من كل وجه، فلا شيء يتخذ الولد الحاجة منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولدا إلا لنقص في غناه البرهان الثاني، قوله ذلك، بعده براهين أحدها قوله هو الغني أي الغنى منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرقة فيه، فهو الغني الذي له الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع لرب العالمين قالوا اتخذ الله ولدا فنزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه أي تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقص إليه علوا كبيرا، ثم برهن على يقول تعالى مخبرا عن بهت المشركين

وكذبهم، في الدنيا، قليلا، ثم ينتقلون إلى الله، ويرجعون إليه، فيذيبهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون أو ما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون 69 تفسير الآيتين 69 و 70: أقل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي لا ينالون مطلوبهم، ولا يحصل لهم مقصودهم، وإنما يتمتعون في كفرهم عن آياتنا غافلون فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة، عن المدلول المقصود. 7 للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون. والذين هم لها وأكبوها على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إرادتهم ونباتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها. فكأنهم خلقوا أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ورضوا بالحياة الدنيا بدلا عن الآخرة. واطمأنوا بها أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا يقول تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤمنون، بل

وكذبهم، في الدنيا، قليلا، ثم ينتقلون إلى الله، ويرجعون إليه، فيذيبهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون أو ما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون 70 تفسير الآيتين 69 و 70: أقل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي لا ينالون مطلوبهم، ولا يحصل لهم مقصودهم، وإنما يتمتعون في كفرهم وأبدوا كل ما تقدرون عليه من الكيد، فأوقعوا بي إن قدرتم على ذلك، فلم يقدروا على شيء من ذلك فاعلم أنه الصادق حقا، وهم الكاذبون فيما يدعون 71 آلهتهم وقد حملوا من بغضه، وعداوته ما هو أعظم من الجبال الرواسي، وهم أهل القدرة والسلطة، وهو يقول لهم اجتمعوا أنتم وشركاءكم ومن استطعتم، وآية عظيمة على صحة رسالته، وصدق ما جاء به، حيث كان وحده لا عشيرة تحميه، ولا جنود تؤويه وقد بادأ قومه بتسفيه آرائهم، وفساد دينهم، وعيب ليكن ذلك ظاهرا علانية أقم اقضوا إلي أي اقضوا علي بالعقوبة والسوء، الذي في إمكانكم، لولا تنظرون أي لا تهملوني ساعة من نهار فهذا برهان قاطع، مجهودكم شيئا أو أحضروا شركاءكم الذي كنتم تعبدونهم وتوالونهم من دون الله رب العالمين أقم لا يكن أمركم عليكم غمة أي مشتتة خفيا، بل وبما ادعوا إليه، فهذا جندي، وعدتي وأنتم، فأتوا بما قدرتم عليه، من أنواع العدد والعدد أقم أمركم أكلكم، بحيث لا يتخلف منكم أحد، ولا تدخروا من

تفسير السعدي

الواضحة البينة، قد شق عليكم وعظم لديكم، وأردتم أن تتألوني بسوء أو تردوا الحق ^{٧٢}فعلى الله توكلت أي اعتمدت على الله، في دفع كل شر يراد بي، في دعوتهم، فقال لهم أي قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله أي إن كان مقامي عندهم، وتذكيري إياكم ما ينفعكم بآيات الله الأدلة مدة طويلة، فمكت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فلم يزدتهم دعاؤه إياهم إلا طغيانا، فتملأوا منه وسنموا، وهو عليه الصلاة والسلام غير متكاسل، ولا متوان يقول تعالى لنبيه ^{٧٣}واتل على قومك أثبا نوح في دعوته لقومه، حين دعاهم إلى الله

والجزاء إلا منه، وإيا أيضا فإني ما أمرتكم بأمر وأخالفكم إلى ضده، بل أمرت أن أكون من المسلمين فأنا أول داخل، وأول فاعل لما أمرتكم به ^{٧٤}هذا أقما سألتكم من أجراء على دعوتي، وعلى إجابتيكم، فتقولوا ^{٧٥}هذا جاءنا ليأخذ أموالنا، فتمتنعون لأجل ذلك ^{٧٦}إن أجري إلا على الله أي لا أريد الثواب إليه، فلا موجب لتوليكم، لأنه تبين أنكم لا تولون عن باطل إلى حق، وإنما تولون عن حق قامت الأدلة على صحته، إلى باطل قامت الأدلة على فساده ^{٧٧}ومع إقارن توليتكم عن ما دعوتكم

لا تسمع فيهم إلا لوما، ولا ترى إلا قدحا وذما ^{٧٨}فليحذر هؤلاء المكذبون، أن يحل بهم ما حل بأولئك الأقوام المكذبين من الهلاك، والخزي، والنكال ^{٧٩}الذين كذبوا بآياتنا بعد ذلك البيان، وإقامة البرهان، إناظر كيف كان عاقبة المنذرين ^{٨٠}وهو الهلاك المخزي، واللجنة المتتابعة عليهم في كل قرن يأتي بعدهم، تجري بأعيننا، ^{٨١}لوجعلناهم خلائفا في الأرض بعد إهلاك المكذبين ^{٨٢}ثم بارك الله في ذريته، وجعل ذريته، هم الباقين، ونشرهم في أقطار الأرض، ^{٨٣}لأغرقنا عليه القول ومن آمن ^{٨٤}ففعّل ذلك ^{٨٥}فأمر الله السماء أن تمطر بماء منهمر وفجر الأرض عيونا، فالتقى الماء على أمر قد قدر ^{٨٦}لأحملناه على ذات ألواح ودسر ^{٨٧}دعاؤه إلا فرارا، ^{٨٨}فنجيناها ومن معه في الفلك الذي أمرناه أن يصنعه بأعيننا، وقلنا له إذا فار التنور ^{٨٩}فأحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق ^{٩٠}فكذبوه ^{٩١}بعد ما دعاهم ليلا ونهارا، سرا وجهارا، فلم يزدتهم

نطبع على قلوب المعتدين أي ^{٩٢}نختم عليها، فلا يدخلها خير، وما ظلمهم الله ^{٩٣}ولكنهم ظلموا أنفسهم بردهم الحق لما جاءهم، وتكذيبهم الأول ^{٩٤}قلوبهم، وحال بينهم وبين الإيمان بعد أن كانوا متمكنين منه، كما قال تعالى ^{٩٥}لأنقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ^{٩٦}ولهذا قال هنا ^{٩٧}كذلك الدالة على صحة ما جاء به ^{٩٨}لأقما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ^{٩٩}يعني ^{١٠٠}أن الله تعالى عاقبهم حيث جاءهم الرسول، فبادروا بتكذيبه، طبع الله على بعد نوح عليه السلام أرسل إلى قومهم ^{١٠١}المكذبين، يدعونهم إلى الهدى، ويحذرونهم من أسباب الردى ^{١٠٢}فجاءهم بالبينات أي ^{١٠٣}كل نبي أيد دعوته، بالآيات أي ^{١٠٤}لأنهم بعثنا من

الله، والنهي عن عبادة ما سوى الله تعالى، ^{١٠٥}فاستكبروا ^{١٠٦}عنها ظلما وعلوا، بعد ما استيقنوها ^{١٠٧}لأنهم كانوا قوما مجرمين أي ^{١٠٨}وصفهم الإجرام والتكذيب ^{١٠٩}أخاه هارون ^{١١٠}وزيرا بعثناهما إلى فرعون وملئه أي ^{١١١}كبار دولته ورؤسائهم، لأن عامتهم، تبع للرؤساء ^{١١٢}لأننا الدالة على صدق ما جاء به من توحيد المهلكين ^{١١٣}أموسى ابن عمران، كلم الرحمن، أحد أولي العزم من المرسلين، وأحد الكبار المقتدى بهم، المنزل عليهم الشرائع المعظمة الواسعة ^{١١٤}لأننا جعلنا معه أي ^{١١٥}لأنهم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل، الذين أرسلهم الله إلى القوم المكذبين

- قبحهم الله - إعراضهم ولا ردهم إياه، حتى جعلوه أبطل الباطل، وهو السحرة ^{١١٦}الذي حقيقته التمويه، بل جعلوه سحرا مبينا، ظاهرا، وهو الحق المبين ^{١١٧}الرقاب، وهو رب العالمين، المربي جميع خلقه بالنعمة ^{١١٨}فلما جاءهم الحق من عند الله على يد موسى، رده فلم يقبلوه، وأقالوا إن هذا لسحر مبين ^{١١٩}لم يكفهم الذي هو أكبر أنواع الحق وأعظمها، وهو من عند الله الذي خضعت لعظمته

له العاقبة، ولمن له الفلاح، وعلى يديه النجاح ^{١٢٠}وقد علموا بعد ذلك وظهر لكل أحد أن موسى عليه السلام هو الذي أفلح، وفاز بظفر الدنيا والآخرة ^{١٢١}أسحر هذا أي ^{١٢٢}فانظروا وصفه وما اشتمل عليه، فبمجرد ذلك يجزم بأنه الحق ^{١٢٣}لأنه لا يفلح الساحرون إلا في الدنيا، ولا في الآخرة، فانظروا لمن تكون ^{١٢٤}أقال لهم أموسى ^{١٢٥}موبخا لهم عن ردهم الحق، الذي لا يرده إلا أظلم الناس ^{١٢٦}لأنهم أتقولون للحق لما جاءكم أي ^{١٢٧}أتقولون إنه سحر مبين ^{١٢٨}

لا لبطلان ما جاء به موسى وهارون، ولا لاشتباه فيه، ولا لغير ذلك من المعاني، سوى الظلم والعدوان، وإرادة العلو الذي رموا به موسى وهارون ^{١٢٩}قصده كقصده إخوانه المرسلين، هداية الخلق، وإرشادهم لما فيه نفعهم ^{١٣٠}ولكن حقيقة الأمر، كما نطقوا به بقولهم ^{١٣١}لأننا نحن لكما بمؤمنين أي ^{١٣٢}تكبرا وعنادا، وإخباره عن قصد خصمه، أم كاذبا، مع أن موسى عليه الصلاة والسلام كل من عرف حاله، وما يدعو إليه، عرف أنه ليس له قصد في العلو في الأرض، وإنما عجز موردها، عن الإتيان بما يرد القول الذي جاء خصمه، لأنه لو كان له حجة لأوردها، ولم يلجأ إلى قوله ^{١٣٣}فصدك كذا، أو مرادك كذا، سواء كان صادقا في قوله لا يحتج به، من عرف الحقائق، وميز بين الأمور، فإن الحجج لا تدفع إلا بالحجج والبراهين ^{١٣٤}وأما من جاء بالحق، فرد قوله بأمثال هذه الأمور، فإنها تدل على أي ^{١٣٥}لأنهم جئتمونا لتكونوا رؤساء، ولتخرجونا من أرضنا ^{١٣٦}وهذا تمويه منهم، وترويج على جهالهم، وتهبيج لعوامهم على معاداة موسى، وعدم الإيمان به ^{١٣٧}وهذا الله وحده لا شريك له ^{١٣٨}فجعلوا قول آبائهم الضالين حجة، يردون بها الحق الذي جاءهم به موسى عليه السلام ^{١٣٩}وقولهم ^{١٤٠}لأننا نكون لكما الكبرياء في الأرض ^{١٤١}لموسى رادين لقوله بما لا يرده ^{١٤٢}لأننا جئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا أي ^{١٤٣}لأننا جئتنا لتصدنا عما وجدنا عليه آباءنا، من الشرك وعبادة غير الله، وتأمرا بأن نعبد ^{١٤٤}أقالوا

لملئه وقومه ^{١٤٥}لأنهم بكل ساحر عليم أي ^{١٤٦}ماهر بالسحر، متقن له ^{١٤٧}فأرسل في مدائن مصر، من أتاه بأنواع السحرة، على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ^{١٤٨}لأنهم قالوا ^{١٤٩}فرعون ^{١٥٠}معارضاً للحق، الذي جاء به موسى، ومغالطا

تفسير السعدي

- أولئك الذين هذا وصفهم أمأواهم النار أي مقرهم ومسكنهم التي لا يرحلون عنها أي كانوا يكسبون من الكفر والشرك وأنواع المعاصي، 8
- للمغالبة مع موسى إقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي شيء أردتم، لا أعين لكم شيئا، وذلك لأنه جازم بغلبته، غير مبال بهم، وبما جاءوا به 80
- أقلما جاء السحرة
- نافعة، مأمور بها، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام، فألقى موسى عصاه، فتلقفت جميع ما صنعوا، فبطل سحرهم، واضمحل باطلهم 81
- ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن ماله الاضمحلال والمحقق وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل المفسدين فإنهم يريدون بذلك نصر الباطل على الحق، وأي فساد أعظم من هذا؟ وهكذا كل مفسد عمل عملا، واحتال كيدا، أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل إذا هي كأنها حيات تسعى، فإقال موسى ما جئتم به السحرة أي هذا السحر الحقيقي العظيم، ولكن مع عظمتها إن الله سيبيطه إن الله لا يصلح عمل أقلما ألقوا حبالهم وعصيهم،
- وتقطع الأيدي والأرجل، فلم يبالوا بذلك وثبتوا على إيمانهم. وأما فرعون وملؤه، وأتباعهم، فلم يؤمن منهم أحد، بل استمروا في طغيانهم يعمهون. 82
- فألقي السحرة سجدا حين تبين لهم الحق. فتوعدهم فرعون بالصلب،
- وأُسرع له انقيادا، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة أبعد من الحق من غيرهم. 83
- لمن المسرفين أي: المتجاوزين للحد، في البغي والعدوان. والحكمة والله أعلم بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية والشباب، أقبل للحق، وملئهم أن يفتنهم عن دينهم وإن فرعون لعال في الأرض أي: له القهر والغلبة فيها، فحقيق بهم أن يخافوا من بطشته. و خصوصا إنه كان فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان. على خوف من فرعون
- ذلك فقال: يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فقوموا بوظيفة الإيمان. فعليه توكلا إن كنتم مسلمين أي: اعتمدوا عليه، والجؤوا إليه واستنصروه. 84
- وقال موسى موصيا لقومه بالصبر، ومذكرا لهم ما يستعينون به على
- على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أي: لا تسلطهم علينا، فيفتنونا، أو يغلبونا، فيفتنونا بذلك، ويقولون: لو كانوا على حق لما غلبوا. 85
- فقالوا ممتثلين لذلك
- برحمتك من القوم الكافرين لنسلم من شرهم، ولنقيم على ديننا على وجه نتمكن به من إقامة شرائعه، وإظهاره من غير معارض، ولا منازع. 86
- ونجنا
- يسرا، وحين اشتد الكرب، وضاق الأمر، فرجه الله ووسعاه. فلما رأى موسى، القسوة والإعراض من فرعون وملئه، دعا عليهم وأمن هارون على دعائه. 87
- والبيع العامة. وأقيموا الصلاة فإنها معونة على جميع الأمور، وبشر المؤمنين بالنصر والتأييد، وإظهار دينهم، فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يجعلوا لهم بيوتا، يتمكنون به من الاستخفاء فيها. واجعلوا بيوتكم قبلة أي: اجعلوها محلا، تصلون فيها، حيث عجزتم عن إقامة الصلاة في الكنائس، إلى موسى وأخيه حين اشتد الأمر على قومهما، من فرعون وقومه، وحرصوا على فتنتهم عن دينهم. أن تبتوا لقومكما بمصر بيوتا أي: مروهم أن وأوحينا
- حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدوا عن سبيله، ولكمال معرفته بربه بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم. 88
- عليهم: إما بالهلاك، وإما بجعلها حجارة، غير منتفع بها. واشدد على قلوبهم أي: قسها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال ذلك، غضبا عليهم، الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك أي: إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيلك، فيضلون ويضلون. ربنا اطمس على أموالهم أي: أتلها ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة يزينون بها من أنواع الحلي والثياب، والبيوت المزخرفة، والمراكب الفاخرة، والخدام، وأموال عظيمة في فأتبعهم بجنوده، بغيا وعدوا أي: خروجهم باغين على موسى وقومه، ومعتدين في الأرض، وإذا اشتد البغي، واستحكم الذنب، فانتظر العقوبة. 89
- في المدائن حاشرين يقولون: إن هؤلاء أي: موسى وقومه: لشزيمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون فجمع جنوده، قاصيهم ودانيهم، الجهال الضلال، المنحرفين عن الصراط المستقيم، المتبعين لطرق الجحيم، فأمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا، وأخبره أنهم يتبعون، وأرسل فرعون الذي يؤمن، يكون شريكا للداعي في ذلك الدعاء. فاستقيما على دينكما، واستمرا على دعوتكما، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي: لا تتبعان سبيل قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما هذا دليل على أن موسى، كان يدعو، وهارون يؤمن على دعائه، وأن
- والمناظر المفرحات ونعيم البدن بأنواع المأكول والمشرب، والمناجح ونحو ذلك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون 9
- ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه، ولقاء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنفحات المشجيات، من تحتهم الأنهار الجارية على الدوام أي جنات النعيم أضافها الله إلى النعيم، لاشتغالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحبور، في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم، ولهذا قال تجري بإيمانهم أي بسبب ما معهم من الإيمان، يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر

تفسير السعدي

بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة⁹⁰ لآيديهم ربه
فلما ذكر عقابهم ذكر ثواب المطيعين فقال: يقول تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات⁹¹ أي: أجمعوا

أنه لا إله إلا الذي آمن به بنو إسرائيل وهو الله الإله الحق الذي لا إله إلا هو وأنا من المسلمين أي: المتقادين لدين الله، ولما جاء به موسى. 90
وجنوده داخلين فيه، أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجنوده، فأغرقهم، وبنو إسرائيل ينظرون. حتى إذا أدرك فرعون الغرق، وجزم بهلاكه قال آمنت
بعصاه، فضربه، فانفلق اثنى عشر طريقا، وسلكه بنو إسرائيل، وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين. فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وذلك أن الله أوحى إلى موسى، لما وصل البحر، أن يضربه

وصلوا إلى هذه الحالة الاضطرارية أنه لا ينفعهم إيمانهم، لأن إيمانهم، صار إيمانا مشاهدا كإيمان من ورد القيامة، والذي ينفع، إنما هو الإيمان بالغيب. 91
وتقر برسول الله وقد عصيت قبل أي: بارزت بالمعاصي، والكفر والتكذيب وكنت من المفسدين فلا ينفعك الإيمان كما جرت عادة الله، أن الكفار إذا
قال الله تعالى مبينا أن هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع له: لأن تؤمن،

وتتكرر فلا ينتفعون بها، لعدم إقبالهم عليها. وأما من له عقل وقلب حاضر، فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبر به الرسل. 92
باغراقه، وشكوا في ذلك، فأمر الله البحر أن يلقيه على نجوة مرتفعة ببدنه، ليكون لهم عبرة وآية. وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون فلذلك تمر عليهم
قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما في قلوبهم من الرعب العظيم، من فرعون، كأنهم لم يصدقوا

من دينهم، بسبب ذلك ما يموت؟ فنسألك اللهم، لطفا بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم ويرأب صدعهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام. 93
العامّة متفقة، فلا شيء يختلفون اختلافا يفرق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم، فيفوت من مصالحهم الدينية والدنيوية ما يفوت، ويموت
ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض، وعداوة بعضهم لبعض، ما هو قرّة عين اللعين. وإلا فإذا كان ربهما واحدا، ورسولهم واحدا، ودينهم واحدا، ومصالحهم
وهو: أن الشيطان إذا أعجزوه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما هو موجب
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بحكمة العدل الناشئ عن علمه التام، وقدرته الشاملة، وهذا هو الداء، الذي يعرض لأهل الدين الصحيح.
لاجتماعهم واتلافهم، ولكن بغى بعضهم على بعض، وصار لكثير منهم أهوية وأغراض تخالف الحق، فحصل بينهم من الاختلاف شيء كثير. إن ربك
آل فرعون، وأورثهم أرضهم وديارهم. ورزقناهم من الطيبات من المطاعم والمشارب وغيرهما فما اختلفوا في الحق حتى جاءهم العلم الموجب
أي: أنزلهم الله وأسكنهم في مساكن

أي: الذي لا شك فيه بوجه من الوجوه ولهذا قال: من ربك فلا تكونن من الممتريين كقوله تعالى: كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه 94
أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجا لملكهم، وتمويها لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البيئة الظاهرة. وقوله: لقد جاءك الحق
الذين أثروا رياستهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسما لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم أنهم دهرية منحلون عن جميع
دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات
ليس أكثر أهل الكتاب، رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعا واختيارا، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب. فلم يمكث
ذكره الله، لأبدوه وأظهره وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك، كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه. ومنها: أنه
ذلك وأعلنه على رءوس الأشهاد. ومن المعلوم أن كثيرا منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فلو كان عندهم ما يرد ما
فلو اتفقوا من أولهم لآخروهم على إنكار ذلك، لم يقدح بما جاء به الرسول. ومنها: أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر
الكتاب للرسول صلى الله عليه وسلم مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه. فإذا كان موجودا في التوراة، ما يوافق القرآن ويصدق، ويشهد له بالصحة،
بن سلام وأصحابه وكثير ممن أسلم في وقت النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه، ومن بعده و كعب الأحبار وغيرهما. ومنها: أن شهادة أهل
عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كعبد الله
فالجواب عن هذا، من عدة أوجه: منها: أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم. وأما من
رسول الله وعاندوه، وردوا عليه دعوته. والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهانا على صدقه، فكيف يكون ذلك؟
فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبرت به، وموافقته لما معهم، فإن قيل: إن كثيرا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا
في شك مما أنزلنا إليك هل هو صحيح أم غير صحيح؟ فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك أي: اسأل أهل الكتب المنصفين، والعلماء الراشخين،
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإن كنت

إليه، والإقبال عليه، علما وعملا. فبذلك يكون العبد من الراجحين الذين أدركوا أجل المطالب، وأفضل الرغائب، وأتم المناقب، وانتفى عنهم الخسار. 95
وذلك بفوات الثواب في الدنيا والآخرة، وحصول العقاب في الدنيا والآخرة، والنهي عن الشيء أمر بضده، فيكون أمرا بالتصديق التام بالقرآن، وطمأنينة القلب
في هذا القرآن والامتراء فيه. وأشد من ذلك، التكذيب به، وهو آيات الله البينات التي لا تقبل التكذيب بوجه، ورتب على هذا الخسار، وهو عدم الربح أصلا،
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين وحاصل هذا أن الله نهى عن شيئين: الشك

تفسير السعدي

لا يجدي عليهم إيمانهم شيئاً، فيؤمنون لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم، ولا هم يستعتبون، وأما الآيات فإنها تنفع من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد. 96
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، الذي وعدوا به. فحينئذ يعلمون حق اليقين، أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت
إلا طغيانا، وغيا إلى غيهم. وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق، لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله، بأن طبع على قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم،
حققت عليهم كلمة ربك أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات
تفسير الآيتين 96 و 97 :- يقول تعالى: إن الذين

لا يجدي عليهم إيمانهم شيئاً، فيؤمنون لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم، ولا هم يستعتبون، وأما الآيات فإنها تنفع من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد. 97
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، الذي وعدوا به. فحينئذ يعلمون حق اليقين، أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت
إلا طغيانا، وغيا إلى غيهم. وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق، لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله، بأن طبع على قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم،
حققت عليهم كلمة ربك أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات
تفسير الآيتين 96 و 97 :- يقول تعالى: إن الذين

أن غيرهم من المهلكين، لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. وأما قوم يونس، فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر، بل قد استمر فعلاً وثبتوا عليه والله أعلم. 98
أفهامنا. قال الله تعالى: وإن يونس لمن المرسلين إلى قوله: وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمعتناهم إلى حين ولعل الحكمة في ذلك،
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومعتناهم إلى حين فهم مستثنون من العموم السابق. ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة، لم تصل إلينا، ولم تدركها
بإيمان حقيقة، ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان، لرجع إلى الكفران. وقوله: إلا قوم يونس لما آمنوا بعدما رأوا العذاب، كشفنا عنهم
وقال تعالى: حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا والحكمة في هذا ظاهرة، فإن الإيمان الاضطرابي، ليس
وكما قال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده
عن فرعون ما تقدم قريبا، لما قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فليل له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
فلولا كانت قرية من قرى المكذبين آمنت حين رأت العذاب فنفعها إيمانها أي: لم يكن منهم أحد انتفع بإيمانه، حين رأى العذاب، كما قال تعالى
يقول تعالى:

وبعضهم كافرين. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي: لا تقدر على ذلك، وليس في إمكانك، ولا قدرة لغير الله على شيء من ذلك. 99
شاء ربك لأن من في الأرض كلهم جميعاً بأن يلهمهم الإيمان، ويوزع قلوبهم للتقوى، فقدرته صالحة لذلك، ولكنه اقتضت حكمته أن كان بعضهم مؤمنين،
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولو

سورة 11

أنواع البيان، من لدن حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، لا يأمر ولا ينهى إلا بما تقتضيه حكمته، خبير مطلع على الظواهر والبواطن. 1
أحكمت آياته أي: أتقنت وأحسن، صادقة أخبارها، عادلة وأمرها ونواهيها، فصيحة ألفاظه بهية معانيه. ثم فصلت أي: ميزت وبينت بيانا في أعلى
يقول تعالى: هذا كتاب عظيم، ونزل كريم،

أولئك لهم مغفرة لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. وأجر كبير وهو: الفوز بجنت النعيم، التي فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين. 10
من هذا الخلق الذميمة إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم يياسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات.
والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدراؤهم، وأي عيب أشد من هذا؟ وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه
له ذلك الخير، ويقول: ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور أي: فرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر
تفسير الآيتين 10 و 11 :- وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم

منها قائم لم يتلف، بل بقي من آثار ديارهم، ما يدل عليهم، و منها حصيد قد تهدمت مساكنهم، واضمحلت منازلهم، فلم يبق لها أثر. 100
ذكر قصص هؤلاء الأمم مع رسلهم، قال الله تعالى لرسوله: ذلك من أنباء القرى نقصه عليك لتنذر به، ويكون آية على رسالتك، وموعظة وذكرى للمؤمنين.

ولما

أمر ربك وهكذا كل من التجأ إلى غير الله، لم ينفعه ذلك عند نزول الشدائد. وما زادوهم غير تنبيذ أي: خسار ودمار، بالضد مما خطر ببالهم. 101
وما ظلمناهم بأخذهما بأنواع العقوبات ولكن ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر، والعناد. فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء

أي: يقصمهم بالعذاب ويبيدهم، ولا ينفعهم، ما كانوا يدعون، من دون الله من شيء. 102

تفسير السعدي

- وليبظهر لهم من عظمة الله وسلطانه وعدله العظيم، ما به يعرفونه حق المعرفة. وذلك يوم مشهود أي: يشهده الله وملائكته، وجميع المخلوقين. 103 لهم العقوبة الدنيوية، والعقوبة الأخروية، ثم انتقل من هذا، إلى وصف الآخرة فقال: ذلك يوم مجموع له الناس أي: جمعوا لأجل ذلك اليوم، للمجازاة، إن في ذلك المذكور، من أخذه للظالمين، بأنواع العقوبات، لآية لمن خاف عذاب الآخرة أي: لعبرة ودليلا، على أن أهل الظلم والإجرام، الدنيا وما قدر الله فيها من الخلق، فحينئذ ينقلهم إلى الدار الآخرة، ويجري عليهم أحكامه الجزائية، كما أجرى عليهم في الدنيا، أحكامه الشرعية. 104 وما نؤخره أي: إتيان يوم القيامة إلا لأجل معدود إذا انقضى أجل
- إلا بإذنه، فمنهم أي: الخلق شقي وسعيد فالأشقياء، هم الذين كفروا بالله، وكذبوا رسله، وعصوا أمره، والسعداء، هم: المؤمنون المتقون. 105 يوم يأت ذلك اليوم، ويجتمع الخلق لا تكلم نفس إلا بإذنه حتى الأنبياء، والملائكة الكرام، لا يشفعون
- ففي النار منغمسون في عذابها، مشدد عليهم عقابها، لهم فيها من شدة ما هم فيه زفير وشهيق وهو أشنع الأصوات وأقبحها. 106 وأما جزاؤهم فأما الذين شقوا أي: حصلت لهم الشقاوة، والخزي والفضيحة،
- الأزمان، سوى الزمن الذي قبل الدخول فيها. إن ربك فعال لما يريد فكل ما أراد فعله واقتضته حكمته فعله، تبارك وتعالى، لا يردده أحد عن مراده. 107 إلا المدة التي شاء الله، أن لا يكونوا فيها، وذلك قبل دخولها، كما قاله جمهور المفسرين، فالاستثناء على هذا، راجع إلى ما قبل دخولها، فهم خالدون فيها جميع خالدين فيها أي: في النار، التي هذا عذابها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك أي: خالدين فيها أبداً،
- غير مجذوذ أي: ما أعطاهم الله من النعيم المقيم، واللذة العالية، فإنه دائم مستمر، غير منقطع بوقت من الأوقات، نسأل الله الكريم من فضله. 108 الذين سعدوا أي: حصلت لهم السعادة، والفلاح، والفوز ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ثم أكد ذلك بقوله: عطاء وأما
- والدين الصحيح، إلا من يحب. والحاصل أنه لا يغتر باتفاق الضالين، على قول الضالين من آباؤهم الأقدمين، ولا على ما خولهم الله، وآتاهم من الدنيا 109 الدنيا، مما كتب لهم، وإن كثر ذلك النصيب، أو راق في عينك، فإنه لا يدل على صلاح حالهم، فإن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان وفساد أقوالهم، في أصول الدين، فإن أقوالهم، وإن اتفقوا عليها، فإنها خطأ وضلال. وإنما لموفوهم نصيبهم غير منقوص أي: لا بد أن ينالهم نصيبهم من ومن المعلوم أن هذا، ليس بشبهة، فضلا عن أن يكون دليلا، لأن أقوال ما عدا الأنبياء، يحتج لها لا يحتج بها، خصوصا أمثال هؤلاء الضالين، الذين كثر خطأهم أي: لا تشك في حالهم، وأن ما هم عليه باطل، فليس لهم عليه دليل شرعي ولا عقلي، وإنما دليلهم وشبهتهم، أنهم ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل يقول الله تعالى، لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء المشركون،
- أولئك لهم مغفرة لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. وأجر كبير وهو: الفوز بجنت النعيم، التي فيها ما تشتهي النفس، وتلذ الأعين. 11 من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات. والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم، وأي عيب أشد من هذا؟ وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه له ذلك الخير، ويقول: ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور أي: فرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشهر تفسير الآيتين 10 و 11 :- وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم
- وإذا كانت هذه حالهم، مع كتابهم، فمع القرآن الذي أوحاه الله إليكم، غير مستغرب، من طائفة اليهود، أن لا يؤمنوا به، وأن يكونوا في شك منه مريب. 110 معاجلتهم بالعذاب لقضي بينهم بإحلال العقوبة بالظالم، ولكنه تعالى، اقتضت حكمته، أن أخر القضاء بينهم إلى يوم القيامة، وبقوا في شك منه مريب. والاجتماع، ولكن، مع هذا، فإن المنتسبين إليه، اختلفوا فيه اختلافا، أضر بعقائدهم، وبجامعتهم الدينية. ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخيرهم، وعدم يخبر تعالى، أنه أتى موسى الكتاب، الذي هو التوراة، الموجب للاتفاق على أوامره ونواهيه،
- يوم القيامة، بحكمه العدل، فيجازي كلا بما يستحقه. إنه بما يعملون من خير وشر خبير فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم، دقيقها وجليلها. 111 وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم أي: لا بد أن الله يقضي بينهم
- إنه بما تعملون بصير أي: لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها، ففيه ترغيب لسلوك الاستقامة، وترهيب من ضدها 112 ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة. وقوله: اختلافهم وافتراقهم، أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، ومن معه، من المؤمنين، أن يستقيموا كما أمروا، فيسلوكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ثم لما أخبر بعدم استقامتهم، التي أوجبت
- على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم. وإذا كان هذا الوعيد في الركود إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية من الظلم. 113 ثم لا تنصرون أي: لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية: التحذير من الركود إلى كل ظالم، والمراد بالركون، الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته ما هم عليه من الظلم فتمسكم النار إن فعلتم ذلك وما لكم من دون الله من أولياء يمينعونكم من عذاب الله، ولا يحصلون لكم شيئا، من ثواب الله.

تفسير السعدي

ولا تركنوا أي: لا تميلوا إلى الذين ظلموا فإنكم، إذا ملتكم إليهم، ووافقتموهم على ظلمهم، أو رضيتم

ونهاهم عنه، ويمتثلون لتلك الأوامر الحسنة المثمرة للخيرات، الدافعة للشرور والسيئات، ولكن تلك الأمور، تحتاج إلى مجاهدة النفس، والصبر عليها. 114
وتعديده، وعدم الركون إلى الذين ظلموا، والأمر بإقامة الصلاة، وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، الجميع ذكرى للذاكرين يفهمون بها ما أمرهم الله به،
كبائر ما تهنون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ذلك لعل الإشارة، لكل ما تقدم، من لزوم الاستقامة على الصراط المستقيم، وعدم مجاوزته
والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، بل كما قيدتها الآية التي في سورة النساء، وهي قوله تعالى: إن تجتنبوا
فإنها تذهب السيئات وتمحوها، والمراد بذلك: الصفائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل قوله: الصلوات الخمس،
الحسنات يذهبن السيئات أي: فهذه الصلوات الخمس، وما ألحق بها من التطوعات من أكبر الحسنات، وهي: مع أنها حسنات تقرب إلى الله، وتوجب الثواب،
وصلات الظهر والعصر، وزلفا من الليل ويدخل في ذلك، صلاة المغرب والعشاء، ويتناول ذلك قيام الليل، فإنها مما تزلف العبد، وتقربه إلى الله تعالى. إن
يأمر تعالى بإقامة الصلاة كاملة طرفي النهار أي: أوله وآخره، ويدخل في هذا، صلاة الفجر،

عملوا، ويجزيهم أجرهم، بأحسن ما كانوا يعملون، وفي هذا ترغيب عظيم، للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله، كلما وثت وفترت. 115
أي: احبس نفسك على طاعة الله، وعن معصيته، وإلزامها لذلك، واستمر ولا تضجر. فإن الله لا يضيع أجر المحسنين بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي
واصبر

على الأدنى، ويبصرونهم من العمى. وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون، إماما في الدين، إذا جعل عمله خالسا لرب العالمين. 116
واستأصلهم العذاب. وفي هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم
ما أترفوا فيه أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلا. وكانوا مجرمين أي: ظالمين، باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب،
وقيامهم بما قاموا به من دينهم، ويكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة و لكن اتبع الذين ظلموا
أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدا. وغاية الأمر، أنهم نجوا، باتباعهم المرسلين،
وأن أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا، من
لما ذكر تعالى، إهلاك الأمم المكذبة للرسل،

حجة الله. ويحتمل، أن المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم السابق، إذا رجعوا وأصلحوا عملهم، فإن الله يعفو عنهم، ويمحو ما تقدم من ظلمهم. 117
كان الله ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، والحال أنهم مصلحون، أي: مقيمون على الصلاح، مستمرون عليه، فما كان الله ليهلكهم، إلا إذا ظلموا، وقامت عليهم
أي: وما

حكيمته، أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق، فيما قاله، والضلال في قول غيره. 118
يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت
بالامتحان والابتلاء. و لأنه تمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلا بد أن يبسر للنار أهلا، يعملون بأعمالها الموصلة إليها. 119
عليهم الضلالة، ليتبين للعباد، عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا
ولذلك خلقهم أي: اقتضت حكمته، أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفوقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله، والفريق الذين حقت
به، والاتفاق عليه، فهو لاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي. وأما من عداهم، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم. وقوله:
إلا من رحم ربك فهدهم إلى العلم بالحق والعمل

أم عليك حسابهم، ومطالب بهديتهم جبرا؟ إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل فهو الوكيل عليهم، يحفظ أعمالهم، ويجازيهم بها أتم الجزاء. 12
من سفيه ولا يضيق لذلك صدرك. فهل أوردوا عليك حجة لا تستطيع حلها؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحا، يؤثر فيه وينقص قدره، فيضيق صدرك لذلك؟!
ملك فإن هذا القول ناشئ من تعنت، وظلم، وعناد، وضلال، وجهل بمواقع الحجج والأدلة، فامض على أمرك، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلا
لا ينبغي هذا لمثلك، أن قولهم يؤثر فيك، ويصدق عما أنت عليه، فتترك بعض ما يوحى إليك، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم: لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه
مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، عن تكذيب المكذبين: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أي:
يقول تعالى

هو أكبر فضائل النفوس. وموعظة وذكرى للمؤمنين أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها. 120
ويتأيد الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به. وجاءك في هذه السورة الحق اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي
ما تثبت به فؤادك أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاعتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها،
لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء، ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: وكلا نقص عليك من أنباء الرسل

قال: وكل للذين لا يؤمنون بعد ما قامت عليهم الآيات، اعملوا على مكانتكم أي: حالتكم التي أنتم عليها إنا عاملون على ما كنا عليه. 121

وأما من ليس من أهل الإيمان، فلا تنفعهم المواعظ، وأنواع التذكير، ولهذا

وانتظروا ما يحل بنا إنا منتظرون ما يحل بكم. 122

بل قد أحاط علمه بذلك، وجري به قلمه، وسيجري عليه حكمه، وجزاؤه. تم تفسير سورة هود، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم. 123
فاعبده وتوكل عليه أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك. وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر،
ولله غيب السماوات والأرض أي: ما غاب فيهما من الخفايا، والأمور الغيبية. وإليه يرجع الأمر كله من الأعمال والعمال، فيميز الخبيث من الطيب
وقد فصل الله بين الفريقين، وأرى عباده، نصره لعباده المؤمنين، وقمعه لأعداء الله المكذبين.

وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقاً، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات. 13
القرآن؟ فأجابهم بقوله: قل لهم فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين أنه قد افتراه، فإنه لا فرق بينكم
أم يقولون افتراه أي: افترى محمد هذا

على ذلك. وفيها: أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو 14
البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، تحداهم الله بذلك، فلم يعارضوه، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم
للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب. وفيها أن هذا القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد من
القدح لا مستند له، ولا يقدر فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضياً على أمره، مقبلاً على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين
لألوهيته، مستسلمون لعبوديته، وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصده اعتراض المعارضين، ولا قدح القادحين. خصوصاً إذا كان
والمقتضي، وانتفاء المعارض. وأن لا إله إلا هو أي: واعلموا أنه لا إله إلا هو أي: هو وحده المستحق للألوهية والعبادة، فهل أنتم مسلمون أي: منقادون
فإن لم يستجيبوا لكم على شيء من ذلكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله من عند الله لقيام الدليل

فيها أي: نعطيهم ما قسم لهم في أم الكتاب من ثواب الدنيا. وهم فيها لا يبخسون أي: لا ينقصون شيئاً مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم. 15
إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار إرادته الدار الآخرة. ولكن هذا الشقي، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها نوف إليهم أعمالهم
وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع
مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيول المسومة، والأنعام والحراث. قد صرف رغبته
يقول تعالى: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أي: كل إرادته

أي: في الدنيا، أي: بطل واضمحل ما عملوه مما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان. 16
أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار خالدين فيها أبداً، لا يفتر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب. وحبط ما صنعوا فيها

جهلاً منهم وضلالاً، وإما ظلماً وعناداً وبغياً، وإلا فمن كان قصده حسناً وفهمه مستقيماً، فلا بد أن يؤمن به، لأنه يرى ما يدعوه إلى الإيمان من كل وجه. 17
على رد الحق، فالنار موعده لا بد من وروده إليها فلا تك في مربة منه أي: في أدنى شك إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون إما
يؤمنون بالقرآن حقيقة، فيثمر لهم إيمانهم كل خير في الدنيا والآخرة. ومن يكفر به أي: القرآن من الأحزاب أي: سائر طوائف أهل الأرض، المتحيزة
لديه أدلة اليقين، كمن هو في الظلمات والجهالات، ليس بخارج منها؟! لا يستوون عند الله، ولا عند عباد الله، أولئك أي: الذين وفقوا لقيام الأدلة عندهم،
إماماً للناس ورحمة لهم، يشهد لهذا القرآن بالصدق، ويوافقه فيما جاء به من الحق. أي: أفمن كان بهذا الوصف قد تواردت عليه شواهد الإيمان، وقامت
شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيمانا إلى إيمانه. و ثم شاهد ثالث وهو كتاب موسى التوراة التي جعلها الله
ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البينة. ويتلوه أي: يتلو هذه البينة والبرهان برهان آخر شاهد منه وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين
وحججه الموقنين بذلك، وأنهم لا يوصف بهم غيرهم ولا يكون أحد مثلهم، فقال: أفمن كان على بينة من ربه بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمة،
يذكر تعالى، حال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومن قام مقامه من ورثته القائمين بدينه،

بافتراءهم وكذبهم: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أي: لعنة لا تنقطع، لأن ظلمهم صار وصفاً لهم ملازماً، لا يقبل التخفيف. 18
فهؤلاء أعظم الناس ظلماً أولئك يعرضون على ربهم ليجازيهم بظلمهم، فعندما يحكم عليهم بالعقاب الشديد يقول الأشهاد أي: الذين شهدوا عليهم
في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله،
يخبر تعالى أنه لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً ويدخل

في ميلها، وتشبيهاها، وتهجينها، لتصير عند الناس غير مستقيمة، فيحسنون الباطل ويقبحون الحق، قبحهم الله وهم بالآخرة هم كافرون 19
سبيل الله، وهي سبيل الرسل، التي دعوا الناس إليها، وصدوا غيرهم عنها، فصاروا أئمة يدعون إلى النار. ويبغونها أي: سبيل الله عوجاً أي: يجتهدون
ثم وصف ظلمهم فقال: الذين يصدون عن سبيل الله فصدوا بأنفسهم عن

لكم أيها الناس منه أي: من الله ربكم نذير لمن تجرأ على المعاصي بعقاب الدنيا والآخرة، وبشير للمطيعين لله بثواب الدنيا والآخرة. 2

تفسير السعدي

- على كمال الحكمة، وسعة الرحمة . وإنما أنزل الله كتابه لـ أن لا تعبدوا إلا الله أي: لأجل إخلاص الدين كله لله، وأن لا يشرك به أحد من خلقه. إنني فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير، فلا تسأل بعد هذا، عن عظمته وجلالته واشتماله
- كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وما كانوا يبصرون أي: ينظرون نظر عبدة وتفكر، فيما ينفعهم، وإنما هم كالصم البكم الذين لا يعقلون. 20 كانوا يستطيعون السمع أي: من بغضهم للحق ونفورهم عنه، ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا آيات الله سماعا ينتفعون به فما لهم عن التذكرة معرضين المكروه، أو يحصلون لهم ما ينفعهم، بل تقطعت بهم الأسباب. يضاعف لهم العذاب أي: يغلظ ويزداد، لأنهم ضلوا بأنفسهم وأضلوا غيرهم. ما أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي: ليسوا فائتين الله، لأنهم تحت قبضته وفي سلطانه. وما كان لهم من دون الله من أولياء فيدفعون عنهم وذل عنهم ما كانوا يفترون أي: اضمحل دينهم الذي يدعون إليه ويحسنونه، ولم تغن عنهم آلهتهم التي يعبدون من دون الله لما جاء أمر ربك. 21 أولئك الذين خسروا أنفسهم حيث فوتوها أعظم الثواب، واستحقوا أشد العذاب، هم الأخسرون حصر الخسار فيهم، بل جعل لهم منه أشده، لشدة حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة والعذاب، نستجير بالله من حالهم. 22 لا جرم أي: حقا وصدقا أنهم في الآخرة إليه. أولئك الذين جمعوا تلك الصفات أصحاب الجنة هم فيها خالدون لأنهم لم يتركوا من الخير مطلباً، إلا أدركوه، ولا خيراً، إلا سبقوا إليه. 23 القلوب والجوارح، وأقوال اللسان. وأخبتوا إلى ربهم أي: خضعوا له، واستكانوا لعظمته، وذلوا لسلطانه، وأناخوا إليه بمحبته، وخوفه، ورجائه، والتضرع يقول تعالى: إن الذين آمنوا بقلوبهم، أي: صدقوا واعترفوا، لما أمر الله بالإيمان به، من أصول الدين وقواعده. وعملوا الصالحات المشتعلة على أعمال لا يستتويون مثلاً، بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف، أفلا تذكرون الأعمال، التي تنفعكم، فتفعلونها، والأعمال التي تضركم، فتتركونها. 24 مثل الفريقين أي: فريق الأتقياء، وفريق السعداء. كالأعمى والأصم هؤلاء الأتقياء، والبصير والسميع مثل السعداء. هل يستويان مثلاً أول المرسلين إلى قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الشرك فقال لهم: إني لكم نذير مبين أي: بينت لكم ما أنذرتكم به، بيانا زال به الإشكال. 25 إلى آخر القصة أي: ولقد أرسلنا رسولنا نوحاً إلا الله أي: أخلصوا العبادة لله وحده، واتركوا كل ما يعبد من دون الله. إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم إن لم تقوموا بتوحيد الله وتطيعوني. 26 أن لا تعبدوا منا فننقاد لكم، بل نظنكم كاذبين وكذبوا في قولهم هذا، فإنهم رأوا من الآيات التي جعلها الله مؤيدة لنوح، ما يوجب لهم الجزم التام على صدقه. 27 ما يصل إلى أولي الأبواب، يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمر الخفية، التي تحتاج إلى تأمل، وفكر طويل. وما نرى لكم علينا من فضل أي: لستم أفضل من غير تفكر وروية، بل بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، يعنون بذلك، أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، ولم يعلموا أن الحق المبين تدعو إليه بدهة العقول، وبمجرد كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أرذل من هؤلاء وأخس؟ وقولهم: بادي الرأي أي: إنما اتبعوا اتبعك منا إلا الأراذل والسفلة، بزعمهم. وهم في الحقيقة الأشراف، وأهل العقول، الذين انقادوا للحق ولم يكونوا كالأراذل، الذين يقال لهم الملاء الذين اتبعوا الذي لا ينبغي غيره، لأن البشر يتمكن البشر، أن يتلقوا عنه، ويراجعوه في كل أمر، بخلاف الملائكة. وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أي: ما نرى السلام، كما جرت العادة لأمثالهم، أنهم أول من رد دعوة المرسلين. ما نراك إلا بشراً مثلنا وهذا مانع بزعمهم عن اتباعه، مع أنه في نفس الأمر هو الصواب، فقال الملاء الذين كفروا من قومه أي: الأشراف والرؤساء، رادين لدعوة نوح عليه
- فإذا وصلت الحال إلى هذه الغاية، فلا نقدر على إكراهكم، على ما أمر الله، ولا إلزامكم، ما نفرتم عنه، ولهذا قال: أنلزمكموها وأنتم لها كارهون 28 من يقيننا فيه، ولا قولكم وافتراؤكم علينا، صادا لنا عما كنا عليه. وإنما غايته أن يكون صاداً لكم أنتم، وموجباً لعدم انقيادكم للحق الذي تزعمون أنه باطل، أنلزمكموها أي: أنكرهكم على ما تحققناه، وشككتكم أنتم فيه؟ وأنتم لها كارهون حتى حرصتم على رد ما جئت به، ليس ذلك ضارنا، وليس بقادح بهذا القول، شهادة له وتصديقا. وآتاني رحمة من عنده أي: أوحى إلي وأرسلني، ومن علي بالهداية، فعميت عليكم أي: خفيت عليكم، وبها تفاقمت. الكامل القدوة، الذي ينقاد له أولو الأبواب، ويضمحل في جنب عقله، عقول الفحول من الرجال، وهو الصادق حقا، فإذا قال: إني على بينة من ربي، فحسبك ولهذا قال لهم نوح مجابوا يا قوم رأيتم إن كنت على بينة من ربي أي: على يقين وجزم، يعني، وهو الرسول
- أولياء الله، وإبغادهم عني. وحيث رددتم الحق، لأنهم أتباعه، وحيث استدللتم على بطلان الحق بقولكم إني بشر مثلكم وإنه ليس لنا عليكم من فضل. 29 بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام إنهم ملاقو ربهم فمثيرهم على إيمانهم وتقواهم بجنان النعيم. ولكني أراكم قوما تجهلون حيث تأمرونني، بطرد إن أجري إلا على الله وكأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم: وما أنا بطارد الذين آمنوا أي: ما ينبغي لي، ولا يليق بي ذلك، بل أتلقاهم ويا قوم لا أسألكم عليه أي: على دعوتي إياكم ما لا فستستثقلون المغرم.
- به فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فيجازيهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر 3 والبر من فضله وبره، ما هو جزاء لإحسانهم، من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهون. وإن تولوا عن ما دعوتكم إليه، بل أعرضتم عنه، وربما كذبتم

تفسير السعدي

- أي: يعطيكم من رزقه، ما تتمتعون به وتنتفعون. إلى أجل مسمى أي: إلى وقت وفاتكم ويؤت منكم كل ذي فضل فضله أي: يعطي أهل الإحسان من أعماركم، بالرجوع إليه، بالإجابة والرجوع عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه. ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال: يتمتعكم متاعا حسنا وأن استغفروا ربكم عن ما صدر منكم من الذنوب ثم توبوا إليه فيما تستقبلون
- 30 يمنعي من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع. أفلا تذكرون ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتدبرون الأمور. ويا قوم من ينصروني من الله إن طردتهم أي: من
- 31 يمنعي من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع. أفلا تذكرون ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتدبرون الأمور. ويا قوم من ينصروني من الله إن طردتهم أي: من
- الذي قد دعي إلى أمر خفي عليه، ولكنهم في قولهم، كاذبون، وعلى نبينهم متجرون. ولم يردوا ما قاله بأدنى شبهة، فضلا عن أن يردوه بحجة. 32 يا نوح قد نصحتنا، وأشفقت علينا، ودعوتنا إلى أمر، لم يتبين لنا، فنريد منك أن تبينه لنا لننقاد لك، وإلا فأنت مشكور في نصحك. لكان هذا الجواب المنصف، جادنا فأنتا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فما أجهلهم وأضلهم، حيث قالوا هذه المقالة، لنبينهم الناصح. فهلا قالوا: إن كانوا صادقين: فلما رأوه، لا ينكف عما كان عليه من دعوتهم، ولم يدركوا منه مطلوبهم قالوا يا نوح قد جادلنا فأكثر
- إنما يأتيكم به الله إن شاء أي: إن اقتضت مشيئته وحكمته، أن ينزله بكم، فعل ذلك. وما أنتم بمعجزين لله، وأنا ليس بيدي من الأمر شيء. 33 ولهذا عدلوا من جهلهم وظلمهم إلى الاستعجال بالعذاب، وتعجيز الله، ولهذا أجابهم نوح عليه السلام بقوله:
- قد فعل عليه السلام فليس ذلك بنافع لكم شيئا، هو ربكم يفعل بكم ما يشاء، ويحكم فيكم بما يريد وإليه ترجعون فيجازيكم بأعمالكم. 34 لكم إن كان الله يريد أن يغويكم أي: إن إرادة الله غالبية، فإنه إذا أراد أن يغويكم، لردكم الحق، فلو حرصت غاية مجهودي، ونصحت لكم أتم النصح وهو ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح
- هذه الحال، الإعراض عنهم، ولهذا قال: قل إن افتريته فعلي إجرامي أي: ذنبي وكذبي، وأنا بريء مما تجرمون أي: فلم تستلجون في تكذبي. 35 فجاء بهذا الكتاب الذي تحادهم أن يأتوا بسورة من مثله. فإذا زعموا مع هذا أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللائق في هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه، أي: فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يرحل عنهم لدراسة على أهل الكتاب، فلما شرع الله في قصصها على رسوله، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام فقال: أم يقولون افتراه أي: ويحتمل أن يكون عائدا إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتكون هذه الآية معترضة، في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء، الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول: قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون أي: كل عليه وزره ولا تزر وزره وأخرى يقولون افتراه هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعنى: أن قومه يقولون: افترى على الله كذبا، وكذب بالوحي أم
- من قد آمن أي: قد قسوا، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أي: فلا تحزن، ولا تبال بهم، وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحق عليهم عذابه الذي لا يرد. 36 وقوله: وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا منار، وعلى مرضاتنا، ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي: لا تراجعني في إهلاكهم، إنهم مغروقون أي: قد حق عليهم القول، ونفذ فيهم القدر. 37 واصنع الفلك بأعيننا ووحينا أي: بحفظنا، ومرأى
- فإننا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم نحن أم أنتم. وقد علموا ذلك، حين حل بهم العقاب. 38 تفسير الآيتين 38 و 39: فامتثل أمر ربه، وجعل يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه ورأوا ما يصنع سخروا منه قال إن تسخروا منا الآن
- فإننا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم نحن أم أنتم. وقد علموا ذلك، حين حل بهم العقاب. 39 تفسير الآيتين 38 و 39: فامتثل أمر ربه، وجعل يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه ورأوا ما يصنع سخروا منه قال إن تسخروا منا الآن
- على إحياء الله الموتى، فإنه قدير على كل شيء، ومن جملة الأشياء إحياء الموتى، وقد أخبر بذلك وهو أصدق القائلين، فيجب وقوع ذلك عقلا ونقلا. 4 وفي قوله: وهو على كل شيء قدير كالدليل
- السفينة لا تطيق حملها وأهلك إلا من سبق عليه القول ممن كان كافرا، كابنه الذي غرق. ومن آمن و الحال أنه ما آمن معه إلا قليل 40 فيها من كل زوجين اثنين أي: من كل صنف من أصناف المخلوقات، ذكر وأنثى، لتبقى مادة سائر الأجناس وأما بقية الأصناف الزائدة عن الزوجين، فلأن وفجر الأرض كلها عيونا حتى التناير التي هي محل النار في العادة، وأبعد ما يكون عن الماء، تفجرت فالتقى الماء على أمر، قد قدر. قلنا لنوح: احمل حتى إذا جاء أمرنا أي قدرنا بوقت نزول العذاب بهم وفار التنور أي: أنزل الله السماء بالماء بالهمهم،
- أي: تجري على اسم الله، وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره وأمره. إن ربي لغفور رحيم حيث غفر لنا ورحمنا، ونجانا من القوم الظالمين. 41

تفسير السعدي

وقال نوح لمن أمره الله أن يحملهم: اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها

في معزل عنهم، حين ركبوا، أي: مبتعدا وأراد منه، أن يقرب ليركب، فقال له: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيصيبك ما يصيبهم. 42
وهي تجري بهم أي: بنوح، ومن ركب معه في موج كالجبال والله حافظها وحافظ أهلها ونادى نوح ابنه لما ركب، ليركب معه وكان ابنه
ثم وصف جريانها كأنها نشاهدها فقال:

فلا يعصم أحدا، جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب، لما نجا إن لم ينجه الله. وحال بينهما الموج فكان الابن من المغرقين 43
ركب معه السفينة. سأوي إلى جبل يعصمني من الماء أي: سأرتقي جبلا، أمتنع به من الماء، ف قال نوح: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
ف قال ابنه، مكذبا لأبيه أنه لا ينجو إلا من

أي: أرسى على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل. وقيل بعدا للقوم الظالمين أي: أتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعدا، وسحقا لا يزال معهم. 44
الله، فابتلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، فنضب الماء من الأرض، وقضى الأمر بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين. واستوت السفينة على الجودي
الله ونجى نوحا ومن معه وقيل يا أرض ابلعي ماءك الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلعي الماء الذي على وجهك ويا سماء أقلعي فامتثلتا لأمر
فلما أغرقهم

وأن الله وعده بنجاة أهله، ظن أن الوعد لعمومهم، من آمن، ومن لم يؤمن، فلذلك دعا ربه بذلك الدعاء، ومع هذا، ففوض الأمر لحكمة الله البالغة. 45
أهلي وإن وعدك الحق أي: وقد قلت لي: ف احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ولن تخلف ما وعدتني به. لعله عليه الصلاة والسلام، حملته الشفقة،
ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من

وهل يكون خيرا، أو غير خير. إني أعظك أن تكون من الجاهلين أي: أني أعظك وعظا تكون به من الكاملين، وتنجو به من صفات الجاهلين. 46
إنه عمل غير صالح أي: هذا الدعاء الذي دعوت به، لنجاة كافر، لا يؤمن بالله ولا رسوله. فلا تسألن ما ليس لك به علم أي: ما لا تعلم عاقبته، ومآله،
ف قال الله له: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم

إنهم مغرِقون بل تعارض عنده الأمران، وظن دخوله في قوله: وأهلك وبعد ذلك تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم، والمراجعة فيهم. 47
من الخاسرين، ودل هذا على أن نوحا، عليه السلام، لم يكن عنده علم، بأن سؤاله لربه، في نجاة ابنه محرم، داخل في قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا
ما صدر منه، و قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين فبالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون
فحينئذ ندم نوح، عليه السلام، ندامة شديدة، على

الدنيا ثم يمسه من عذاب أليم أي: هذا الإنجاء، ليس بمانع لنا من أن من كفر بعد ذلك، أحلنا به العقاب، وإن متعوا قليلا، فسيؤخذون بعد ذلك. 48
وعلى أمم ممن معك من الآدميين وغيرهم من الأزواج التي حملها معه، فبارك الله في الجميع، حتى ملأوا أقطار الأرض ونواحيها. وأمم ستمتعهم في
قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك

المستقيم، والدعوة إلى الله إن العاقبة للمتقين الذين يتقون الشرك وسائر المعاصي، فستكون لك العاقبة على قومك، كما كانت لنوح على قومه. 49
نوحيا إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فيقولوا: إنه كان يعلمها. فاحمد الله، واشكره، واصبر على ما أنت عليه، من الدين القويم، والصراف
قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه هذه القصة المبسطة، التي لا يعلمها إلا من من عليه برسالته. تلك من أنباء الغيب

دعوته، ويعظمهم بما ينفعهم، فهل فوق هذا الإعراض شيء؟ ثم توعدهم بعلمه تعالى بجميع أحوالهم، وأنهم لا يخفون عليه، وسيجازيهم بصنيعهم. 5
للسلطان الغافلين عن دعوته، أنهم من شدة إغراضهم يثنون صدورهم، أي: يحدوون حين يرون الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا يراهم ويسمعهم
التي لم ينطقوا بها، سرا ولا جهرا، فكيف تخفى عليه حالكم، إذا ثنيت صدوركم لتستخفوا منه. ويحتمل أن المعنى في هذا أن الله يذكر إغراض المكذبين
يسرون من الأقوال والأفعال وما يعلنون منها، بل ما هو أبلغ من ذلك، وهو: إنه عليم بذات الصدور أي: بما فيها من الإرادات، والوساوس، والأفكار،
قال تعالى مبينا خطأهم في هذا الظن ألا حين يستغشون ثيابهم أي: يتغطون بها، يعلمهم في تلك الحال، التي هي من أخفى الأشياء. بل يعلم ما
عن جهل المشركين، وشدة ضلالهم، أنهم يثنون صدورهم أي: يميلونها ليستخفوا من الله، فتقع صدورهم حاجبة لعلم الله بأحوالهم، وبصره لهياتهم.
يخبر تعالى

من عبادة غير الله، وأخبرهم أنهم قد افترؤا على الله الكذب في عبادتهم لغيره، وتجوزهم لذلك، ووضح لهم وجوب عبادة الله، وفساد عبادة ما سواه. 50
الأخذ عنه والعلم بصدقه. ف قال لهم يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترئون أي: أمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عما هم عليه،
إلى آخر القصة أي: و أرسلنا إلى عاد وهم القبيلة المعروفة في الأحقاف، من أرض اليمن، أخاهم في النسب هودا ليتمكنوا من

يأخذ أموالنا، وإنما أدعوكم وأعلمكم مجانا. إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ما أدعوكم إليه، وأنه موجب لقبوله، منتف المانع عن رده. 51
ثم ذكر عدم المانع لهم من الانقياد فقال يا قوم لا أسألكم عليه أجرا أي: غرامة من أموالكم، على ما دعوتكم إليه، فتقولوا: هذا يريد أن

تفسير السعدي

- ٥٢ ، فوعدهم أنهم إن آمنوا، زادهم قوة إلى قوتهم. ولا تتولوا عنه، أي: عن ربكم مجرمين أي: مستكبرين عن عبادته، متجربين على محارمه. 52 عليكم مدارا بكثرة الأمطار التي تخصب بها الأرض، ويكثر خيرها. ويزدكم قوة إلى قوتكم فإنهم كانوا من أقوى الناس، ولهذا قالوا: من أشد منا قوة ويا قوم استغفروا ربكم عما مضى منكم ثم توبوا إليه فيما تستقبلونه، بالتوبة النصوح، والإنابة إلى الله تعالى. فإنكم إذا فعلتم ذلك يرسل السماء ما أقمت عليه بينة بزعمهم، وما نحن لك بمؤمنين وهذا تأسيس منهم لنبيهم، هود عليه السلام، في إيمانهم، وأنهم لا يزالون في كفرهم بعمهون. 53 لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. وقولهم: وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك أي: لا نترك عبادة آلهتنا لمجرد قولك، الذي ثم لا تنظرون وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي طريق كان، وهو غير مكتثرت منهم، ولا مبال بهم، وهم عاجزون قومه، ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لهم: إني توكلت على الله ربي وربكم إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيديوني جميعا مجرد الخوارق، التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط. ومن آياته، وبيئاته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان، وهو يصرخ في عليه السلام، من الصفات، التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة، على صدقه. بل أهل العقول، وأولو الأبواب، يرون أن هذه الآية، أكبر من لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش، والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه هود، في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه، إلا وبعث الله على يديه، من الآيات ما يؤمن على مثله البشر. ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله، وحده فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة، تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا ف قالوا رادين لقوله: يا هود ما جئنا ببينة إن كان قصدهم بالبينة البينة التي يقترحونها،
- واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيديوني جميعا أي: اطلبوا لي الضرر كلكم، بكل طريق تتمكنون بها مني ثم لا تنظرون أي: لا تمهلوني. 54 عنهم لولا أن الله حكاها عنهم. ولهذا بين هود، عليه الصلاة والسلام، أنه واثق غاية الوثوق، أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذى، فقال: إني أشهد الله تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة، التي يستحي العاقل من حكايتها تفسير الآيتين 54 و 55 :- إن نقول فيك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت
- واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيديوني جميعا أي: اطلبوا لي الضرر كلكم، بكل طريق تتمكنون بها مني ثم لا تنظرون أي: لا تمهلوني. 55 عنهم لولا أن الله حكاها عنهم. ولهذا بين هود، عليه الصلاة والسلام، أنه واثق غاية الوثوق، أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذى، فقال: إني أشهد الله تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة، التي يستحي العاقل من حكايتها تفسير الآيتين 54 و 55 :- إن نقول فيك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت
- وحكمة، وحمد في قضائه وقدره، في شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه، وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم، التي يحمد، ويثنى عليه بها. 56 جميعا على الإيقاع بي، والله لم يسلطكم علي، لم تقدرنا على ذلك، فإن سلطكم، فلحكمة أرادها. ف إن ربي على صراط مستقيم أي: على عدل، وقسط، الله ربي وربكم أي: هو خالق الجميع، ومدبرنا وإياكم، وهو الذي ربانا. ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه، فلو اجتمعتم إني توكلت على الله أي: اعتمدت في أمري كله على
- فاله لا تضره معصية العاصين. ولا تنفعه طاعة المطيعين من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها إن ربي على كل شيء حفيظ . 57 فلم يبق علي تبعة من شأنكم. ويستخلف ربي قوما غيركم يقومون بعبادته، ولا يشركون به شيئا، ولا تضره شيئا فإن ضرركم، إنما يعود عليكم، فإن تولوا عما دعوتكم إليه فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم
- كالرميم نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ أي: عظيم شديد، أحله الله بعاد، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم. 58 ولما جاء أمرنا أي: عذابنا بإرسال الريح العقيم، التي ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته
- على عباد الله بالجبروت، عنيد أي: معاند لآيات الله، فعصوا كل ناصح ومشفق عليهم، واتبعوا كل غاش لهم، يريد إهلاكهم لا جرم أهلكهم الله. 59 لدعوته، وإنما عاندوا ووجدوا وعصوا رسله لأن من عصى رسولا، فقد عصى جميع المرسلين، لأن دعوتهم واحدة. واتبعوا أمر كل جبار أي: متسلط وتلك عاد الذين أوقع الله بهم ما أوقع، بظلم منهم لأنهم جحدوا بآيات ربهم ولهذا قالوا لهود: ما جئنا ببينة فتبين بهذا أنهم متيقنون
- قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علما بذواتها، وصفاتها. 60 كل من تفاصيل أحوالها في كتاب مبين أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها. جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فاله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها على الله. ويعلم مستقرها ومستودعها أي:
- لعنة، ألا إن عادا كفروا ربهم أي: جحدوا من خلقهم ورزقهم ورباهم. ألا بعدا لعاد قوم هود أي: أبعدهم الله عن كل خير وقربهم من كل شر. 60 وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة فكل وقت وجيل، إلا ولأنبائهم القبيحة، وأخبارهم الشنيعة، ذكر يذكرون به، وذم يلحقهم ويوم القيامة لهم أيضا

تفسير السعدي

- دعوة الداع وهذا النوع، قرب يقتضي إطفاه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن، باسمه القريب اسمه المجيب 61
- عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى واسجد واقترّب وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب نوعان: عام، وخاص، فالقرب العام: قربه بعلمه، من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد والقرب الخاص: قربه من إن ربي قريب مجيب أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤاله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب، وأعلم أن قربه تعالى به في عبادته. فاستغفروه مما صدر منكم، من الكفر، والشرك، والمعاصي، وأقلعوا عنها، ثم توبوا إليه أي: ارجعوا إليه بالتوبة النصوح، والإنابة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا أهل السماء، ولا من أهل الأرض. هو أنشأكم من الأرض أي: خلقكم فيها واستعمركم فيها أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، يدعوه إلى عبادة الله وحده، ف قال يا قوم اعبدوا الله أي: وحدوه، وأخلصوا له الدين ما لكم من إله غيره لا من أي: و أرسلنا إلى ثمود وهم: عاد الثانية، المعروفون، الذين يسكنون الحجر، ووادي القرى، أخاهم في النسب صالحا عبد
- إليه مريب أي: ما زلنا شاكين فيما دعوتنا إليه، شكا مؤثرا في قلوبنا الرب، وبزعمهم أنهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه، لاتبعوه، وهم كذبة في ذلك 62
- لله ربهم، الذي لم تزل نعمه عليهم تترى، وإحسانه عليهم دائما ينزل، الذي ما بهم من نعمة، إلا منه، ولا يدفع عنهم السيئات إلا هو. وإنما لفي شك مما تدعونا قدح في عقولهم، وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاهم عن عبادة، من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئا من الأحجار، والأشجار ونحوها. وأمرهم بإخلاص الدين فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير. وذنبه، ما قالوه عنه، وهو قولهم: أئنهنا أن نعبد ما يعبد آبائنا وبزعمهم أن هذا من أعظم القدح في صالح، كيف وأنه من خيار قومه. ولكنه، لما جاءهم بهذا الأمر، الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة، التي مضمونها، أنك قد كنت كاملا، والآن أخلفت ظننا كنت فينا مرجوا قبل هذا أي: قد كنا نرجوكم ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فلما أمرهم نبيهم صالح عليه السلام، ورغبهم في الإخلاص لله وحده، ردوا عليه دعوته، وقابلوه أشنع المقابلة. قالوا يا صالح قد
- أي: أفأتابعكم على ما أنتم عليه، وما تدعونني إليه؟ فمن ينصرتني من الله إن عصيته فما تزيدوني غير تخسير أي: غير خسارة وتباب، وضرر. 63
- قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي أي: برهان وبقين مني وآتاني منه رحمة أي: من علي برسالته ووجيه،
- شرب يوم معلوم. فذروها تأكل في أرض الله أي: ليس عليكم من مؤنتها وعلفها شيء، ولا تمسوها بسوء أي: بعقر فيأخذكم عذاب قريب 64
- ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية لها شرب من البئر يوما، ثم يشربون كلهم من ضرعها، ولهم
- ففقروها فقال لهم صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب بل لا بد من وقوعه. 65
- يومئذ أي: نجيناهم من العذاب والخزي والفضيحة. إن ربك هو القوي العزيز ومن قوته وعزته، أن أهلك الأمم الطاغية، ونجى الرسل وأتباعهم. 66
- فلما جاء أمرنا بوقوع العذاب نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي
- وأخذ الذين ظلموا الصيحة العظيمة فقطعت قلوبهم، فأصبحوا في ديارهم جائمين أي: خامدين لا حراك لهم. 67
- ألا إن ثمود كفروا ربهم أي: جحدوه بعد أن جاءتهم الآية المبصرة، ألا بعدا لثمود فما أشقاها وأذلهم، نستجير بالله من عذاب الدنيا وخزيها. 68
- جاءهم العذاب ما تمتعوا في ديارهم، ولا أنسوا بها ولا تنعموا بها يوما من الدهر، قد فارقهم النعيم، وتناولهم العذاب السرمدي، الذي ينقطع، الذي كأنه لم يزل. كأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم لما
- إبراهيم لما دخلوا عليه أن جاء بعجل حنيد أي: بادر لبنيته، فاستحضر لأضيافه عجلا مشويا على الرضف سميئا، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟ 69
- سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية. فما لبث عليهم السلام. ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه قالوا سلاما قال سلام أي: سلموا عليه، ورد ولقد جاءت رسلنا من الملائكة الكرام، رسولنا إبراهيم الخليل بالبشرى أي: بالبشارة
- وأخبرتهم بالبعث بعد الموت، لم يصدقوك، بل كذبوك أشد التكذيب، وقدحوا فيما جئت به، وقالوا: إن هذا إلا سحر مبين ألا وهو الحق المبين. 7
- ولهذا ذكر الله تكذيب المشركين بالجزاء، فقال: ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أي: ولئن قلت لهؤلاء فمن انقاد، وأدى ما أمر به، فهو من المفlichen، ومن أعرض عن ذلك، فأولئك هم الخاسرون، ولا بد أن يجمعهم في دار يجازيهم فيها على ما أمرهم به ونهاهم. الأمر بينهم لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فإله تعالى خلق الخلق لعبادته ومعرفته بأسمائه وصفاته، وأمرهم بذلك، متبعا فيه الشرع والسنة، وهذا كما قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقال تعالى: الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا، لم يقبل. وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون بأمره ونهيه، فينظر أيكم أحسن عملا. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: أخلصه وأصوبه قيل يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل ويصرفها كيف شاء من الأحكام القدريّة، والأحكام الشرعيّة. ولهذا قال: ليلوكم أيكم أحسن عملا أي: ليمتحنكم، إذ خلق لكم ما في السماوات والأرض

تفسير السعدي

- يوم الجمعة و حين خلق السماوات والأرض كان عرشه على الماء فوق السماء السابعة. فبعد أن خلق السماوات والأرض استوى عليه، يدبر الأمور، يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها
- وظن أنهم أتوه بشر ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم. ف قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي: إنا رسل الله، أرسلنا الله إلى إهلاك قوم لوط. 70 فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي: إلى تلك الضيافة نكرهم وأوجس منهم خيفة قائمة تخدم أضيافه فضحكت حين سمعت بحالهم، وما أرسلوا به، تعجبا. فبشرناهم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فتعجبت من ذلك. 71 وامرأة إبراهيم
- قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا فهذان مانعان من وجود الولد إن هذا لشيء عجيب 72
- إحسان، وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط. مجيد، والمجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها. 73 من خيره وإحسانه، وحلول الخير الإلهي على العبد عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد أي: حميد الصفات، لأن صفاته صفات كمال، حميد الأفعال لأن أفعاله شيء، وخصوصا فيما يدبره ويمضيه، لأهل هذا البيت المبارك. رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أي: لا تزال رحمته وإحسانه وبركاته، وهي: الزيادة قالوا أتعجبين من أمر الله فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته
- البشرى بالولد، التفت حينئذ، إلى مجادلة الرسل في إهلاك قوم لوط، وقال لهم: إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته 74 فلما ذهب عن إبراهيم الروح الذي أصابه من خيفة أضيافه وجاءته
- في جميع الأوقات، منيب أي: رجع إلى الله بمعرفته ومحبه، والإقبال عليه، والإعراض عن سواه، فلذلك كان يجادل عن حتم الله بهلاكهم. 75 إن إبراهيم لحليم أي: ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين. أواه أي: متضرع إلى الله
- فقيل له: يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدل إنه قد جاء أمر ربك بهلاكهم وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود فلا فائدة في جدالك. 76
- هذا يوم عصيب أي: شديد حرج، لأنه علم أن قومه لا يتركونهم، لأنهم في صور شباب، جرد، مرد، في غاية الكمال والجمال، ولهذا وقع ما خطر بباله. 77 ولما جاءت رسلنا أي: الملائكة الذين صدروا من إبراهيم لما أتوا لوطا سيء بهم أي: شق عليه مجيئهم، وضاق بهم ذرعا وقال
- أن تراعوني في ضيفي، ولا تخزون عندهم. أليس منكم رجل رشيد فينهاكم، ويزجركم، وهذا دليل على مروجهم وانحلالهم، من الخير والمروءة. 78 بناته ممتنع منالهن، ولا حق لهم فيهن. والمقصود الأعظم، دفع هذه الفاحشة الكبرى فائقوا الله ولا تخزون في ضيفي أي: إما أن تراعوا تقوى الله، وإما بناتي هن أظهر لكم من أضيافي، وهذا كما عرض لسليمان صلى الله عليه وسلم، على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه، لاستخراج الحق ولعلمه أن بالفاحشة، التي كانوا يعملونها، ولهذا قال: ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي: الفاحشة التي ما سبقهم عليها أحد من العالمين. قال يا قوم هؤلاء ف وجاءه قومه يهرعون إليه أي: يسرعون ويبادرون، يريدون أضيافه
- ف قالوا له: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد أي: لا نريد إلا الرجال، ولا لنا رغبة في النساء. 79
- عنهم فيتمكنون من النظر في أمرهم. وحق بهم أي: نزل ما كانوا به يستهزئون من العذاب، حيث تهاونوا به، حتى جزموا بكذب من جاء به. 80 به، فإنهم يستدلون بعدم وقوعه بهم عاجلا على كذب الرسول المخبر بوقوع العذاب، فما أبعد هذا الاستدلال ألا يوم يأتيهم العذاب ليس مصروفا ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة أي: إلى وقت مقدر فتباطأوه، لقالوا من جهلهم وظلمهم ما يحبسهم ومضمون هذا تكذيبهم
- لمنعتكم. وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد، ولهذا لما بلغ الأمر منتهاه واشتد الكرب. 80 فاشتد قلق لوط عليه الصلاة والسلام، و قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد كقبيلة مانعة،
- قومها في الإثم، فتدلمهم على أضياف لوط، إذا نزل به أضياف. إن موعدهم الصبح فكان لوطا، استعجل ذلك، فقيل له: أليس الصبح بقريب 81 ولا يلتفت منكم أحد أي: بادروا بالخروج، وليكن همكم النجاة ولا تلتفتوا إلى ما وراءكم. إلا امرأتك إنه مصيبتها من العذاب ما أصابهم لأنها تشارك يتوعدون لوطا بمجيء الصبح، وأمر الملائكة لوطا، أن يسري بأهله بقطع من الليل أي: بجانب منه قبل الفجر بكثير، ليتمكنوا من البعد عن قريتهم. قالوا له: إنا رسل ربك أي: أخبروه بحالهم ليطمئن قلبه، لن يصلوا إليك بسوء. ثم قال جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، فانطلقوا
- أي: قلبناها عليهم وأمطرنا عليها حجارة من سجيل أي: من حجارة النار الشديدة الحرارة منضود أي: متتابعة، تتبع من شذ عن القرية. 82 فلما جاء أمرنا بنزول العذاب، وإحلاله فيهم جعلنا ديارهم عاليها سافلها
- علامة العذاب والغضب، وما هي من الظالمين الذين يشابهون لفعل قوم لوط ببعيد فليحذر العباد، أن يفعلوا كفعلهم، لنلا يصيبهم ما أصابهم. 83 مسومة عند ربك أي: معلمة، عليها

الله على ما أعطاكم، ولا تكفروا بنعمة الله، فيزيلها عنكم. وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط أي: عذابا يحيط بكم، ولا يبقى منكم باقية. 84 ذلك فقال: ولا تنقصوا المكيال والميزان بل أوفوا الكيل والميزان بالقسط. إني أراكم بخير أي: بنعمة كثيرة، وصحة، وكثرة أموال وبنين، فاشكروا

تفسير السعدي

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أي: أخلصوا له العبادة، فإنهم كانوا يشركون به، وكانوا مع شركهم يبخسون المكيال والميزان، ولهذا نهاهم عن مدين القبيلة المعروفة، الذين يسكنون مدين في أدنى فلسطين، أخاهم في النسب شعبيا لأنهم يعرفونه، وليتمكنوا من الأخذ عنه. ف قال لهم : و أرسلنا إلى

المكيال والميزان. ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن الاستمرار على المعاصي، يفسد الأديان، والعقائد، والدين، والدنيا، ويهلك الحرث والنسل. 85 المكيال والميزان بالقسط أي: بالعدل الذي ترضون أن تعطوه، ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي: لا تنقصوا من أشياء الناس، فتسرقوها بأخذها، بنقص ويا قوم أوفوا

بمقتضى الإيمان، وما أنا عليكم بحفيظ أي: لست بحافظ لأعمالكم، ووكيل عليها، وإنما الذي يحفظها الله تعالى، وأما أنا، فأبلغكم ما أرسلت به. 86 بقية الله خير لكم أي: يكفيكم ما أبقي الله لكم من الخير، وما هو لكم، فلا تطمعوا في أمر لكم عنه غنية، وهو ضار لكم جدا. إن كنتم مؤمنين فاعملوا وأي فحشاء ومنكر، أكبر من عبادة غير الله، ومن منع حقوق عباد الله، أو سرقته بالمكاييل والموازين، وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد. 87 ظنوه، بل الأمر كما قالوه. إن صلاته تأمره أن ينهائهم، عما كان يعبد آباؤهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والغواية، أي: أن المعنى: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، وآباؤنا هم السفهاء الغاوون!! وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم، وأن الأمر بعكسه، ليس كما والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي، أي: ليس الأمر كذلك. وقصدهم أنه موصوف بعكس هذين الوصفين: بالسفه نزال نفعل فيها ما شئنا، لأنها أموالنا، فليس لك فيها تصرف. ولهذا قالوا في تهكمهم: إنك لأنت الحليم الرشيد أي: أنك أنت الذي، الحلم والوقار، لك خلق، الأقدمين أولي العقول والألباب؟! وكذلك لا يوجب قولك لنا: أن نفعل في أموالنا ما قلت لنا، من وفاء الكيل، والميزان، وأداء الحقوق الواجبة فيها، بل لا لنهيك لنا، إلا أنك تصلي لله، وتتعب له، فإن كنت كذلك، أفوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل إلا أنه موافق لك، فكيف نتبعك، ونترك آباءنا قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أي: قالوا ذلك على وجه التهكم بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له. ومعنى كلامهم: أنه لا موجب

وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه، والإنابة إليه، كما قال تعالى: فاعبده وتوكل عليه وقال: إياك نعبد وإياك نستعين 88 توكلت أي: اعتمدت في أموري، ووثقت في كفايته، وإليه أنيب في أداء ما أمرني به من أنواع العبادات، وفي هذا التقرب إليه بسائر أفعال الخيرات. للنفس، دفع هذا بقوله: وما توفيقي إلا بالله أي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي. عليه لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي، شيء بحسب استطاعتي. ولما كان هذا فيه نوع تزكية المكيال، والميزان، وأفعله أنا، وحتى تتطرق إلي التهمة في ذلك. بل ما أنهاكم عن أمر إلا وأنا أول مبتدئ لتركه. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت أي: ليس منه رزقا حسنا أي: أعطاني الله من أصناف المال ما أعطاني. و أنا لا أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه فلست أريد أن أنهاكم عن البخس، في قال لهم شعيب: يا قوم رأيتم إن كنت على بينة من ربي أي: يقين وطمأنينة، في صحة ما جئت به، وورزقني

ومشاقتي أن يصيبكم من العقوبات مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد لا في الدار ولا في الزمان. 89 ويا قوم لا يجرمكم شقاقي أي: لا تحملنكم مخالفتي

والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرا منها عليه. 90 يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق،

توبته ويحبه، ومعنى الودود، من أسمائه تعالى، أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه، فهو فعول بمعنى فاعل وبمعنى مفعول 90 توبوا إليه فيما يستقبل من أعماركم، بالتوبة النصوح، والإنابة إليه بطاعته، وترك مخالفته. إن ربي رحيم ودود لمن تاب وأناب، يرحمه فيغفر له، ويتقبل واستغفروا ربكم عما اقترفتكم من الذنوب ثم

أي: جماعتك وقبيلتك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز أي: ليس لك قدر في صدورنا، ولا احترام في أنفسنا، وإنما احترمتنا قبيلتك، بتركنا إياك. 91 مما تقول وذلك لبغضهم لما يقول، ونفرتهم عنه. وإنا لنراك فينا ضعيفا أي: في نفسك، لست من الكبار والرؤساء بل من المستضعفين. ولولا رهطك قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول أي: تضجروا من نصائحه ومواعظه لهم، فقالوا: ما نفقه كثيرا

ولا خفتم منه. إن ربي بما تعملون محيط لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فسبجازيكم على ما عملتم أتم الجزاء. 92 كيف تراعوني لأجل رهطي، ولا تراعوني لله، فصار رهطي أعز عليكم من الله. واتخذتموه وراءكم ظهريا أي: نبذتم أمر الله، وراء ظهوركم، ولم تبالوا به، ف قال لهم مترققا لهم: يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله أي:

يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم أنا أم أنتم، وقد علموا ذلك حين وقع عليهم العذاب. وارتقبوا ما يحل بي إني معكم رقيب ما يحل بكم. 93 و لما أعيوه وعجز عنهم قال: يا قوم اعملوا على مكائتكم أي: على حالتكم ودينكم. إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب

نجينا شعبيا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين لا تسمع لهم صوتا، ولا ترى منهم حركة. 94

ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب

أن تكون الدولة للمسلمين، وهم الحكام، فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة، والله أعلم. 95

الدينية والدينيوية، لكان أولى، من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدينيوية، وتحرص على إبادتها، وجعلهم عملة وخدمة لهم. نعم إن أمكن حسب القدرة والإمكان. فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين، لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك، لأن الإصلاح مطلوب على يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم، بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب أن يغفر له، ويعود عليه العفو، وأما عود الود والحب فإنه لا يعود فإن الله قال: واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ومنها: أن الله على التقوى. ومنها: أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه فإن الله تعالى يحبه ويوده، ولا عبرة بقول من يقول: إن التائب إذا تاب، فحسبه وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر. كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث التوفيق، فلينسبه لموليه ومسديه، ولا يعجب بنفسه لقوله: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ومنها: الترهيب بأخذات الأمم، وما جرى عليهم، ما يقدر عليه. ومنها: أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يزال مستعينا بربه، متوكلاً عليه، سائلاً له التوفيق، وإذا حصل له شيء من ومنها: أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح، لم يكن ملوماً ولا مذموماً في عدم فعله، ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه، وفي غيره، المفاسد وتقليها، ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة. وحقيقة المصلحة، هي التي تصلح بها أحوال العباد، وتستقيم بها أمورهم الدينية والدينيوية. ومنها: أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم، إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان، فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها، أو بتحصيل ما يقدر عليه منها، وبدفع عليه السلام: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ولقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون سواء وافق حكم الله، أو خالفه. ومنها: أن من تكلم دعوة الداعي وتماها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرّمها الله ورسوله، لا كما يزعمه الكفار، ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاءون ويختارون، ومنها: أن المال الذي يرزقه الله الإنسان وإن كان الله قد خوله إياه فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء وتقديماً على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبقايتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها، تختل أحواله الدينية. إذا لم يوجد العمل، فالإيمان ناقص أو معدوم. ومنها: أن الصلاة، لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة. ومنها: أن ذلك، من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به، على وجود الإيمان، فدل على أنه الله، ويقنع بالحلال عن الحرام وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: بقية الله خير لكم ففي ذلك، من البركة، وزيادة الرزق ما بنقيض ذلك، وكان سبباً لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: إني أراكم بخير أي: فلا تسبوا إلى زواله بفعلكم. ومنها: أن على العبد أن يقنع بما آتاه للوعيد، فسرقتهم على وجه القهر والغلبة من باب أولى وأحرى. ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخرس أموال الناس، يريد زيادة ماله، عوقب والموازنين، من كبار الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة، على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان سرقتهم في المكايل والموازنين، موجبة فكذلك بشرائعه وفروعه، لأن شعيباً دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد، مرتباً على مجموع ذلك. ومنها: أن نقص المكايل السلام كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، وفي قصته من الفوائد والعبر، شيء كثير. منها: أن الكفار، كما يعاقبون، ويخاطبون، بأصل الإسلام، حين أتاهم العذاب. ألا بعدا لمدين إذ أهلكها الله وأخزاها كما بعدت ثمود أي: قد اشتركت هاتان القبيلتان في السحق والبعد والهلاك. وشعيب عليه كأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، ولا تنعموا فيها

به، كالعصا، واليد ونحوهما، من الآيات التي أجراها الله على يدي موسى عليه السلام. وسلطان مبين أي: حجة ظاهرة بينة، ظهرت ظهور الشمس. 96

ولقد أرسلنا موسى بن عمران بآياتنا الدالة على صدق ما جاء

ولكنهم فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد بل هو ضال غاو، لا يأمر إلا بما هو ضرر محض، لا جرم لما اتبعه قومه أراهم وأهلكهم. 97

وملئه أي: أشرف قومه لأنهم المتبوعون، وغيرهم تبع لهم، فلم ينقادوا لما مع موسى من الآيات، التي أراهم إياها، كما تقدم بسطها في سورة الأعراف، إلى فرعون

وملائكته، والناس أجمعون في الدنيا والآخرة. بنس الرافد المرفود أي: بنس ما اجتمع لهم، وترادف عليهم، من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة. 98

الآيتين 98 و99: - يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه أي: في الدنيا لعنة ويوم القيامة أي: يلعنهم الله

تفسير

وملائكته، والناس أجمعون في الدنيا والآخرة. بنس الرافد المرفود أي: بنس ما اجتمع لهم، وترادف عليهم، من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة. 99

الآيتين 98 و99: - يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه أي: في الدنيا لعنة ويوم القيامة أي: يلعنهم الله

تفسير

سورة 12

يخبر تعالى أن آيات القرآن هي آيات الكتاب المبين أي: البين الواضحة ألفاظه ومعانيه. 1

رأيا في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل، فلما اتفقوا على هذا الرأي. 10 أنه لا يخبر بشأنكم، بل على أنه عبد مملوك أبق منكم، لأجل أن يلتقطه بعض السيارة الذين يريدون مكانا بعيدا، فيحتفظون فيه. وهذا القائل أحسنهم يوسف فإن قتله أعظم إثما وأشنع، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، ولكن توصلوا إلى تبعيده بأن تلقوه في غيابة الجب وتتوعدوه على أي: قال قائل من إخوة يوسف الذين أرادوا قتله أو تبعيده: لا تقتلوا

الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، الحكيم في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها. 100 تلك الفرقة الشاقة. إن ربي لطيف لما يشاء يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، إنه هو العليم بيني وبين إخوتي فلم يقل نزغ الشيطان إخوتي بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد أحسن بي جعل الإحسان عاندا إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. من بعد أن نزغ الشيطان عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي. فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: أحسن بكم بل قال إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتنام عفوه كوكبا والشمس والقمر له ساجدين، فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت قد جعلها ربي حقا فلم يجعلها أضغاث أحلام. وقد أحسن بي إحسانا جسيما سجودا على وجه التعظيم والتبجيل والإكرام، وقال لما رأى هذه الحال، ورأى سجودهم له: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل حين رأي أحد عشر ورفع أبويه على العرش أي: على سرير الملك، ومجلس العزيز، وخروا له سجدا أي: أبوه، وأمه وإخوته،

علي الإسلام وثبتني عليه حتى توفاني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت، وألحقني بال صالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار. 101 أي: من تأويل أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤيا وغير ذلك من العلم فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما أي: أدم لها داعيا بالثبات على الإسلام: رب قد آتيتني من الملك وذلك أنه كان على خزائن الأرض وتديرها ووزيرا كبيرا للملك وعلمتني من تأويل الأحاديث لما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك، وأقر عينه بأبويه وإخوته، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه، قال مقرا بنعمة الله شاكرا إلا بوحيه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين الآيات، فهذا أدل دليل على أن ما جاء به رسول الله حقا. 102 الله تعالى، ولا يمكن أحدا أن يصل إلى علمها، إلا بتعليم الله له إياها. كما قال تعالى لما قص قصة موسى وما جرى له، ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلى علمها فإنك لم تكن حاضرا لديهم إذ أجمعوا أمرهم أي: إخوة يوسف وهم يملكون به حين تعاقدوا على التفريق بينه وبين أبيه، في حالة لا يطلع عليها إلا على محمد صلى الله عليه وسلم قال الله له: ذلك الإنباء الذي أخبرناك به من أنباء الغيب الذي لولا إخبارنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل، لما قص الله هذه القصة

ويدعونهم إلى ما فيه الخير لهم، ودفع الشر عنهم، من غير أجر ولا عوض، ولو أقاموا لهم من الشواهد والآيات الدالات على صدقهم ما أقاموا. 103 حرصت على إيمانهم بمؤمنين فإن مداركهم ومقاصدهم قد أصبحت فاسدة، فلا ينفعهم حرص الناصحين عليهم ولو عدت الموانع، بأن كانوا يعلمونهم يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أكثر الناس ولو

وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين يتذكرون به ما ينفعهم ليفعلوه، وما يضرهم ليتركوه. 104

وكأين أي: وكم من آية في السماوات والأرض يَمرون عليها دالة لهم على توحيد الله وهم عنها معرضون 105

فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون. 106 ومع هذا إن وجد منهم بعض الإيمان فلا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، أو تأتيتهم الساعة بغتة أي: فجأة وهم لا يشعرون أي: فإنهم قد استوجبوا لذلك، فليتوبوا إلى الله، ويتركوا ما يكون سببا في عقابهم. 107 أفأمنوا أي: الفاعلون لتلك الأفعال، المعرضون عن آيات الله أن تأتيتهم غاشية من عذاب الله أي: عذاب يغشاهم ويعمهم ويستأصلهم،

أمره. وسبحان الله عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله. وما أنا من المشركين في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين. 108 هذا فأنا على بصيرة من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. و كذلك من اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، أدعو إلى الله أي: أحث الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه. ومع وسلم: قل للناس هذه سبيلي أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيتاره، يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

تفسير السعدي

لا يفنى أبداً، بل هو على الدوام في تزايد وتواصل، عطاء غير مجذوذ أفلا تعقلون أي: أفلا تكون لكم عقول تؤثر الذي هو خير على الأدنى. 109
الجنة وما فيها من النعيم المقيم، خير للذين اتقوا الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن نعيم الدنيا منقص منك، منقطع، ونعيم الآخرة تام كامل،
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كيف أهلكهم الله بتكذيبهم، فاحذروا أن تقيموا على ما أقاموا عليه، فيصيبكم ما أصابهم، ولدار الآخرة أي:
أي: لا من البادية، بل من أهل القرى الذين هم أكمل عقولا، وأصح آراء، وليتبين أمرهم ويتضح شأنهم. أفلم يسيروا في الأرض إذا لم يصدقوا لقولك،
الخلق، فلا شيء يستغرب قومك رسالتك، ويزعمون أنه ليس لك عليهم فضل، فلك فيمن قبلك من المرسلين أسوة حسنة نوحى إليهم من أهل القرى
ثم قال تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا أي: لم نرسل ملائكة ولا غيرهم من أصناف

إنا له لناصحون أي: مشفقون عليه، نود له ما نود لأنفسنا، وهذا يدل على أن يعقوب عليه السلام لا يترك يوسف يذهب مع إخوته للبرية ونحوها. 11
لأبيهم: يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أي: لأي شيء يدخلك الخوف منا على يوسف، من غير سبب ولا موجب؟ و الحال
أي: قال إخوة يوسف، متوصلين إلى مقصدهم

نشأ وهم الرسل وأتباعهم، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين أي: ولا يرد عذابنا، عمن اجترم، وتجراً على الله فما لهم من قوة ولا ناصر 110
تصديقهم بوعد الله ووعيده ربما أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس، ونوع من ضعف العلم والتصديق، فإذا بلغ الأمر هذه الحال جاءهم نصرنا فنجي من
الله تعالى يمهلهم ليرجعوا إلى الحق، ولا يزال الله يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية الشدة منهم على الرسل. حتى إن الرسل على كمال يقينهم، وشدة
يخبر تعالى: أنه يرسل الرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون اللئام، وأن

غير ذلك. فنسأله تعالى علما نافعا وعملا متقبلا، إنه جواد كريم. تم تفسير سورة يوسف وأبيه وإخوته عليهم الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين. 111
أنت ولي في الدنيا والآخرة توفي مسلما وألحقني بالصالحين فهذا ما يسر الله من الفوائد والعبر في هذه القصة المباركة، ولا بد أن يظهر للمتدبر المتفكر
ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض
الشدائد والمحن، ليوصله بها إلى أعلى الغايات ورفيع الدرجات. ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائما في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك،
يوسف عليه السلام: وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ومنها: لطف الله العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال، وأوصل إليه
أنه ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال، أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن لا يزال ذاكرا حاله الأولى، ليحدث لذلك شكرا كلما ذكرها، لقول
والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلها، أحسن العواقب، لقوله: قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ومنها:
غير وجه التسخط، لأن إخوة يوسف قالوا: يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ولم ينكر عليهم يوسف. ومنها: فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا
ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد بذلك إيمانهم ويقينهم وعرفانهم. ومنها: جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر ونحوهما، على
فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرارا، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أوليائه بالشدة والرخاء، والعسر والبسر
الكر؛ وأن مع العسر يسرا، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطراب لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج،
ولا ينافي ذلك، قوله: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه، الشكوى إلى المخلوقين. ومنها: أن الفرج مع
صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، قد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا شك أنه وفى بما وعد به،
مدة طويلة، لا تقصر عن خمس عشرة سنة، ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة وابتضت عيناه من الحزن فهو كظلم ثم ازداد به الأمر شدة، حين
يعقوب عليه السلام، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويحزنه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه
وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به، وتطمئن إليه النفس لقولهم: وما شهدنا إلا بما علمنا ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه
أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبين الحال. ومنها: أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه،
ولم يقل من سرق متاعنا وكذلك لم يقل إنا وجدنا متاعنا عنده بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام
في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موهما أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده
أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يحب أن يطلع عليه، أن يستعمل المعارض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصواع
بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم. ومنها:

من القضاء والقدر، لأمر يعقوب حيث قال لبنيه: يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ومنها: جواز استعمال المكاييد التي يتوصل
أن استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكارة، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضا
بل سولت لكم أنفسكم أمرا فهم في الأخيرة وإن لم يكونوا مفرطين فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير إثم عليه ولا حرج. ومنها:
لكم أنفسكم أمرا وقال لهم في الأخ الآخر: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ثم لما احتبس يوسف عنده، وجاء إخوته لأبيهم قال لهم:
محرم، فإن يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله بل سولت
وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ومنها: أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا
فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بعير وحمله. ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين،

تفسير السعدي

ومنها: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جدا حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجدية، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله، ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه. يتقون ومنها: أن جباية الأرزاق إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخروي، وفضله العظيم لقوله تعالى: ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا في الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان: الإيمان والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها. ومنها: أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا ذلك مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب، لقول يوسف: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك لا تدم الولاية، إذا كان المتولي الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم. ومنها: أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في المراني داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وقال الملك: أفتوني في رؤياي وقال الفتى ليوسف: أفتنا في سبع بقرات الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته. ومنها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف بسبب جماله حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ومنها: فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة ومنها: أنه لا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يحمى على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم مع ذلك على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته. أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه وفطنته، وحسن إرشاده، الفتى، وجاءه سائلا مستفتيا عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جوابا تاما من كل وجه. ومنها: أنه ينبغي للمسئول ما كلفه به المعلم، فإن يوسف عليه السلام قد قال، ووصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الإخلاص التام في تعليمه وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: اذكرني عند ربك ومنها: أنه ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف لما سأله الفتيان عن الرؤيا قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له. ومنها: أن من فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي، وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلم ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن عليه. ومنها: أنه يبدأ بالأهم ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولا، أن الذي أوصله إلى الحال التي رآها فيها من الكمال والعلم، إيمانه وتوحيده، وتركه ملة نراك من المحسنين وأتياه لأن يعبر لهما رؤياهما، فرأهما متشوفين لتعبيرها عنده رأى ذلك فرصة فانتهازها، فدعاهما إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما على ذلك، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك، ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته، حيث ظنا فيه الظن الحسن وقال له: إنا ومنها: أنه كما على العبد عبودية لله في الرخاء، فعليه عبودية له في الشدة، ف يوسف عليه السلام لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن، استمر ومنها: أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس، وإن كان معصية ضارا لصاحبه. الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته، لقول يوسف عليه السلام: وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار. ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية أن يختار العقوبة الدنيوية على مواجهة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين وقالت النسوة: حاش لله ما علمنا عليه من سوء ومنها: أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا وشهادة امرأة العزيز والنسوة بعد ذلك ببراءته، ولهذا قالت امرأة العزيز: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت بعد ذلك: الآن حصح الحق أنا ذلك أن قطعن أيديهن وقلن ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة عن المعصية، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوعها، ومنها: ما عليه يوسف من الجمال الظاهر والباطن، فإن جماله الظاهر، أوجب للمرأة التي هو في بيتها ما أوجب، وللنساء اللاتي جمعتهن حين لمنها على أو وجود المرأة التي لا زوج لها ولا سيد، حاملا فإنه يقام بذلك الحد، ما لم يقم مانع منه، ولهذا سمى الله هذا الحاكم شاهدا فقال: وشهد شاهد من أهلها هذا إذا وجد المسروق في يد السارق، خصوصا إذا كان معروفا بالسرقة، فإنه يحكم عليه بالسرقة، وهذا أبلغ من الشهادة، وكذلك وجود الرجل يتقيا الخمر، صدق يوسف وكذبها. ومما يدل على هذه القاعدة، أنه استدل بوجود الصواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسرقة، من غير بينة شهادة ولا إقرار، فعلى حرفتهما من غير بينة، والعمل بالقافة في الأشباه والأثر، من هذا الباب، فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قد القميص، واستدل بقده من دبره على فلو تخاصم رجل وامراته في شيء من أواني الدار، فما يصلح للرجل فإنه للرجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة، وكذا لو تنازع نجار وحداد في آلة

تفسير السعدي

من المعصية، لأن يوسف عليه السلام لما راودته التي هو في بيتها فر هاربا، يطلب الباب ليتخلص من شرها، ومنها: أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، الله، وخلصه من سوء والفحشاء. ومنها: أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص المخلصين على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلاص الله إياه، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص عمله لله أخلصه السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله. وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا عزما، ربما اقترن به الفعل. ومنها: أن من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصا لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير الله وخشيته، غلبت محبة الله وخشيته داعي النفس والهوى. فكان ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظلهم به يوسف بالمرأة ثم تركه لله، مما يقربه إلى الله زلفى، لأن الهم داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين محبة منها ما جرى، بسبب توحيدها بيوسف، وحبا الشديد له، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسجن بسببها مدة طويلة. ومنها: أن الهم الذي بمنزلة الغلام الرقيق المكرم. ومنها: الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعا حراما لا يجوز، ثم ذهبت به السيارة إلى مصر فباعوه بها، وبقي عند سيده غلاما رقيقا، وسماه الله شراء، وكان عندهم إذا تداولته الأيدي وصار من جملة الأموال، ولم يعلم أنه كان على غير وجه الشرع، أنه لا إثم على من باشره ببيع أو شراء، أو خدمة أو انتفاع، أو استعمال، فإن إلقاءه أرضا، وقال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير. ومنها: أن الشيء بل لعموم الخلق. ومنها: أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو الدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفوا بادرهم به، وتمم ذلك بأن لا يثرب عليهم ولا يعيرهم به. ثم بره العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته، الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة. ومنها: ما من الله به على يوسف عليه الصلاة والسلام من العلم والحلم، ومكارم الأخلاق، ويعقوب والأسباط وهم أولاد يعقوب اثنا عشر وذريتهم، ومما يدل على ذلك أن في رؤيا يوسف، أنه رأى كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فإله خير الراحمين. ولهذا في أصح الأقوال أنهم كانوا أنبياء لقوله تعالى: وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق منهم ما جرى في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة حصل، وهذا شؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة. ومنها: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، والافتراء، ما لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبيكون، جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم. ومنها: الحذر من شؤم الذنوب، وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوبا متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف في المحبة والإيثار وغيره، وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وأثره على إخوته، جرى منهم ما والسرور والغطية ما حصل بسبب يوسف. ومنها: أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه، حتى في معاملة الوالد لأولاده، يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف وكذلك على إخوتك فيكيديك لك كيديا. ومنها: أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله: فيكيديك لك كيديا. ومنها: أن نعمة الله على العبد، كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون. ومنها: أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى ضرته، لقول يعقوب ليوسف يا بني لا تقصص رؤياك الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحدا. يراه قومه بين أظهرهم صباحا ومساء، وهو أُمي لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما وفي الجذب ثقل وتيبس وهي أفضل غلال الأرض. ومنها: ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قص على قومه هذه القصة وأما البقر فإنها تحرث الأرض عليها، ويستقي عليها الماء، وإذا أخضبت السنة سمئت، وإذا أجذبت صارت عجافا، وكذلك السنايل في الخصب، تكثر وتختصر، أن الملك، به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنون بها صلاح أحوال الرعية، واستقامة أمر المعاش أو عدمه. فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل. وأول رؤيا الملك للبقرات والسنايل، بالسنين المخصبة، والسنين المجذبة، ووجه المناسبة جلدة رأسه ولحمه، وما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، وأنه سيبرز للطيور، بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته يقصد لغيره، فلذلك أوله بما يؤول إليه، أنه يسقي ربه، وذلك متضمن لخروجه من السجن. وأول الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، بأن ويعلمك من تأويل الأحاديث ومن المناسبة في رؤيا الفتيين، أنه أول رؤيا، الذي رأى أنه يعصر خمرا، أن الذي يعصر في العادة، يكون خادما لغيره، والعصر يكون معظما محترما عند أبويه وإخوته. ومن لازم ذلك أن يكون مجتبي مفضلا في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: وكذلك يجتبيك ربك والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته، ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود له معظم محترم، فلذلك دل ذلك على أن يوسف أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته. ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمّه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل

تفسير السعدي

يوسف التي رأى أن الشمس والقمر، وأحد عشر كوكبا له ساجدين، وجه المناسبة فيها: أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعتها، فكذلك الأنبياء لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبنى عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا سرور، ومن رخاء إلى جذب، ومن جذب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها، ووضحها وبينها. ومنها: أن فيها أصلا حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنة، ومن ذل إلى عز، ومن رق إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى عبرة لأولي الألباب غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد. فمن ذلك، أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من التي قال الله في أولها نحن نقص عليك أحسن القصص وقال لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين وقال في آخرها لقد كان في قصصهم لهم الهدى، وبما يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل تحصل لهم الرحمة. فصل في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأدلة والبراهين. وهدي ورحمة لقوم يؤمنون فإنهم بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق وإيثاره يحصل الأحاديث المفتراة المختلفة، ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السابقة، يوافقها ويشهد لها بالصحة، وتفصيل كل شيء يحتاج إليه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له. وقوله: ما كان حديثا يفترى أي: ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من بها، أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون بها أيضا، ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه لقد كان في قصصهم أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم، عبرة لأولي الألباب أي: يعتبرون

بإرساله معهم، فقالوا: أرسله معنا غدا يرتع ويلعب أي: ينتزه في البرية ويستأنس. وإننا له لحافظون أي: سنراعيه، ونحفظه من أذى يريده. 12 فلما نفوا عن أنفسهم التهمة المانعة من عدم إرساله معهم، ذكروا له من مصلحة يوسف وأنسه الذي يحبه أبوه له، ما يقتضي أن يسمح فهذا مانع من إرساله و مانع ثان، وهو أنني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون أي: في حال غفلتكم عنه، لأنه صغير لا يمتنع من الذئب. 13 فأجابهم بقوله: إني ليحزنني أن تذهبوا به أي: مجرد ذهابكم به يحزنني ويشق علي، لأنني لا أقدر على فراقه، ولو مدة يسيرة، خير فينا ولا نفع يرجى منا إن أكله الذئب وغلبنا عليه. فلما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حينئذ بإرساله معهم لأجل أنسه. 14 قالوا لن أكله الذئب ونحن عصبة أي: جماعة، حريصون على حفظه، إنا إذا لخاسرون أي: لا

هذا، وهم لا يشعرون بذلك الأمر، ففيه بشارة له، بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض. 15 الجب، ثم إن الله لطف به بأن أوحى إليه وهو في تلك الحال الحرجة، لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون أي: سيكون منك معاتبة لهم، وإخبار عن أمرهم بعد ما أذن له أبوه، وعزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب، كما قال قائلهم السابق ذكره، وكانوا قادرين على ما أجمعوا عليه، فنفذوا فيه قدرتهم، وألقوه في أي: لما ذهب إخوة يوسف بيوسف

وجاءوا أباهم عشاء يبكون ليكون إتيانهم متأخرا عن عادتهم، وبكاؤهم دليلا لهم، وقرينة على صدقهم. 16

وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين أي: تعذرنا بهذا العذر، والظاهر أنك لا تصدقنا لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرقعة الشديدة عليه. 17 أبانا إنا ذهبنا نستبق إما على الأقدام، أو بالرمي والنضال، وتركنا يوسف عند متاعنا توفيرا له وراحة. فأكله الذئب في حال غيبتنا عنه في استباقنا فقالوا متعذرين بعذر كاذب يا

نفسه هذا الأمر وشكى إلى خالقه في قوله: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لأن الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل، لأن النبي إذا وعد وفى. 18 على القيام بها، وهي أنني أصبر على هذه المحنة صبرا جميلا سالما من السخط والتشكي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوتي، فوعد من القرائن والأحوال ومن رؤيا يوسف التي قصها عليه ما دله على ما قال. فصر جميل والله المستعان على ما تصفون أي: أما أنا فوظيفتي سأحرص حين أكله الذئب، فلم يصدقهم أبوه بذلك، و قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي: زينت لكم أنفسكم أمرا قبيحا في التفريق بيني وبينه، لأنه رأى من إيانا، لا يمنعنا أن نتعذر بالعذر الحقيقي، وكل هذا، تأكيد لعذرهم. و مما أكدوا به قولهم، أنهم جاءوا على قميصه بدم كذب زعموا أنه دم يوسف ولكن عدم تصديقك

من جملة بضائعهم التي معهم، حتى جاءهم إخوته فزعموا أنه عبد أبق منهم، فاشتروه منهم بذلك الثمن، واستوثقوا منهم فيه لئلا يهرب، والله أعلم. 19 لأنه لم يكن لهم قصد إلا تغييبه وإبعاده عن أبيه، ولم يكن لهم قصد في أخذ ثمنه، والمعنى في هذا: أن السيارة لما وجدوه، عزموا أن يسروا أمره، ويجعلوه وأسرهم بضاعة وكان إخوته قريبا منه، فاشتراه السيارة منهم، بثمن بخس أي: قليل جدا، فسر به بقوله: دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين الحياض ونحو ذلك، فأدلى ذلك الوارد دلوه فتعلق فيه يوسف عليه السلام وخرج. قال يا بشرى هذا غلام أي: استبشر وقال: هذا غلام نفيس، الجب ما مكث، حتى جاءت سيارة أي: قافلة تريد مصر، فأرسلوا واردهم أي: فرطهم ومقدمهم، الذي يعس لهم المياه، ويسبرها ويستعد لهم بتهيئة تفسير الآيتين 19 و 20 -: أي: مكث يوسف في

والانقياد إليه، و لعلكم تعقلون أي: تزداد عقولكم بتكرار المعاني الشريفة العالية، على أذهانكم، فتنتقلون من حال إلى أحوال أعلى منها وأكمل. 2 والتبيين لعلكم تعقلون أي: لتعقلوا حدوده وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه. فإذا عقلتم ذلك بإيقانكم واتصفت قلوبكم بمعرفتها، أثمر ذلك عمل الجوارح

تفسير السعدي

ومن بيانه وإيضاحه: أنه أنزله باللسان العربي، أشرف الألسنة، وأبينها، المبين لكل ما يحتاجه الناس من الحقائق النافعة وكل هذا الإيضاح من جملة بضائعهم التي معهم، حتى جاءهم إخوته فزعموا أنه عبد أبق منهم، فاشتروه منهم بذلك الثمن، واستوتقوا منهم فيه لئلا يهرب، والله أعلم. 20 لأنه لم يكن لهم قصد إلا تغييره وإبعاده عن أبيه، ولم يكن لهم قصد في أخذ ثمنه، والمعنى في هذا: أن السيارة لما وجدوه، عزموا أن يسروا أمره، ويجعلوه وأسرهم بضاعة وكان إخوته قريباً منه، فاشتراه السيارة منهم، بثمن بخس أي: قليل جداً، فسره بقوله: دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين الحياض ونحو ذلك، فأدلى ذلك الوارد دلوه فتعلق فيه يوسف عليه السلام وخرج. قال يا بشرى هذا غلام أي: استبشر وقال: هذا غلام نفيس، الجب ما مكث، حتى جاءت سيارة أي: قافلة تريد مصر، فأرسلوا واردهم أي: فرطهم ومقدمهم، الذي يعس لهم المياه، ويسبرها ويستعد لهم بتهيئة تفسير الآيتين 19 و20 -: أي: مكث يوسف في

ولا يغلبه مغالب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلذلك يجري منهم ويصدر ما يصدر، في مغالبة أحكام الله القدريّة، وهم أعجز وأضعف من ذلك. 21 له سوى العلم صار ذلك من أسباب تعلمه علماً كثيراً، من علم الأحكام، وعلم التعبير، وغير ذلك. والله غالب على أمره أي: أمره تعالى نافذ، لا يبطله مبطل، أن يشتره عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق. ولنعلمه من تأويل الأحاديث إذا بقي لا شغل له ولا هم ينفعنا كنفع العبيد بأنواع الخدم، وإما أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا، ولعل ذلك أنه لم يكن لهما ولد، وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي: كما يسرنا له إلى مصر وباعوه بها، فاشتراه عزيز مصر، فلما اشتراه، أعجب به، ووصى عليه امرأته وقال: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً أي: إما أن أي: لما ذهب به السيارة

نؤتيهم من جملة الجزاء على إحسانهم علماً نافعا. ودل هذا، على أن يوسف وفي مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة. 22 أي: جعلناه نبياً رسولاً، وعالماً ربانياً، وكذلك نجزي المحسنين في عبادة الخالق ببذل الجهد والنصح فيها، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم، أي: ولما بلغ يوسف أشده أي: كمال قوته المعنوية والحسية، وصلاح لأن يتحمل الأحمال الثقيلة، من النبوة والرسالة. آتيناه حكماً وعلماً له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه. 23 برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي. فلا يليق بي أن أقبله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل لتترك كل ما حرم الله ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و قال معاذ الله أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عذب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي أي: أفعّل الأمر المكروه وأقبل إلي، ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها زادت المصيبة، بأن غلقت الأبواب وصار المحل خالياً، وهما أمانان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعت إلى نفسها وقالت هيت لك راودته التي هو في بيتها عن نفسه أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر. و ملجأ إلا الصبر عليها، طانعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرماً في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محتته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له تفسير الآيتين 23 و24 -: هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي

له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه. 24 برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي. فلا يليق بي أن أقبله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل لتترك كل ما حرم الله ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و قال معاذ الله أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عذب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي أي: أفعّل الأمر المكروه وأقبل إلي، ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها زادت المصيبة، بأن غلقت الأبواب وصار المحل خالياً، وهما أمانان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعت إلى نفسها وقالت هيت لك راودته التي هو في بيتها عن نفسه أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر. و ملجأ إلا الصبر عليها، طانعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرماً في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن

تفسير السعدي

- الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له تفسير الآيتين 23 و 24 :- هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي فعل بأهلك سوءا تبرئة لها وتبرئة له أيضا من الفعل. وإنما النزاع عند الإرادة والمرادة إلا أن يسجن أو عذاب أليم أي: أو يعذب عذاباً أليماً. 25 أي: زوجها لدى الباب، فرأى أمراً شق عليه، فبادرت إلى الكذب، أن المرادة قد كانت من يوسف، وقالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ولم تقل من عنها ويبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص، ويهرب من الفتنة، فبادرت إليه، وتعلقت بثوبه، فشقت قميصه، فلما وصلا إلى الباب في تلك الحال، ألفياً سيدها، ولما امتنع من إجابة طلبها بعد المرادة الشديدة، ذهب ليهرب
- فصدقت وهو من الكاذبين لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المراد لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب. 26 منهما، تبرئة لئيبه وصفيه يوسف عليه السلام، فانبعث شاهد من أهل بيتها، يشهد بقرينة من وجدت معه، فهو الصادق، فقال: إن كان قميصه قد من قبل ولم يعلم أيهما. ولكن الله تعالى جعل للصدق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في هذه القضية بمعرفة الصادق فبراً نفسه مما رمته به، وقال: هي راودتني عن نفسي فحينئذ احتملت الحال صدق كل واحد منهما
- وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقت قميصه من هذا الجانب. 27 سيدها: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم وهل أعظم من هذا الكيد، الذي برأت به نفسها مما أرادت وفعلت، ورمت به نبي الله يوسف عليه السلام 28 فلما رأى قميصه قد من دبر عرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأنها هي الكاذبة. فقال لها
- ولا تذكره لأحد، طلباً للستر على أهلها، واستغفري أيتها المرأة لذنبك إنك كنت من الخاطئين فأمر يوسف بالإعراض، وهي بالاستغفار والتوبة. 29 ثم إن سيدها لما تحقق الأمر، قال ليوسف: يوسف أعرض عن هذا أي: اترك الكلام فيه وتناسه
- وأنها أحسن القصص على الإطلاق، فلا يوجد من القصص في شيء من الكتب مثل هذا القرآن، ذكر قصه يوسف، وأبيه وإخوته، القصة العجيبة الحسنة 3 ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحى الله إليك، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا. ولما مدح ما اشتمل عليه هذا القرآن من القصص، أي: بما اشتمل عليه هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، وفضلناك به على سائر الأنبياء، وذاك محض منة من الله وإحسان. وإن كنت من قبله لمن الغافلين أي: نحن نقص عليك أحسن القصص وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها ورواق معانيها، بما أوحينا إليك هذا القرآن
- إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحقق امرأة العزيز، وتريهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكرراً، فقال: فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن 30 منها، وهي حالة تحط قدرها وتضعه عند الناس، وكان هذا القول منهن مكرراً، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام وصل حبه إلى شغاف قلبها، وهو باطنه وسويداؤه، وهذا أعظم ما يكون من الحب، إنا لنراها في ضلال مبين حيث وجدت منها هذه الحالة التي لا تنبغي وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه، ومع هذا فإن حبه قد بلغ من قلبها مبلغاً عظيماً. قد شغفها حباً أي: وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلمنها، ويقلن: امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً أي: هذا أمر مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، يعني: أن الخبر اشتهر
- أي: تنزيهاً لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم وذلك أن يوسف أعطي من الجمال الفائق والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين. 31 أي: أعظمته في صدورهن، ورأين منظراً فائقاً لم يشاهدن مثله، وقطعن من الدهش أيديهن بتلك السكاكين اللاتي معهن، وقلن حاش لله أترج، أو غيره، وآتت كل واحدة منهن سكيناً ليقطعن فيها ذلك الطعام وقالت ليوسف: اخرج عليهن في حالة جماله وبهائه. فلما رأيته أكبرنه أي: محلاً مهياً بأنواع الفرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما آتت به وأحضرتة في تلك الضيافة، طعام يحتاج إلى سكين، إما فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن تدعوهن إلى منزلها للضيافة. وأعدت لهن متكاً
- يفعل ما أمره ليسجنن وليكون من الصاغرين لتلجنه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربه، واستعان به على كيدهن 32 عن نفسه فاستعصم أي: امتنع وهي مقيمة على مراودته، لم تزدها مرور الأوقات إلا قلقاً ومحبة وشوقاً لوصاله وتوقاً. ولهذا قالت له بحضرتهن: ولئن لم شيء كثير أرادت أن تريهن جماله الباطن بالعفة التامة فقالت معلنة لذلك ومبينة لحبه الشديد غير مباينة، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة: ولقد راودته فلما تقرر عندهن جمال يوسف الظاهر، وأعجبهن غاية، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز،
- النعيم، ومن أثر هذا على هذا، فمن أجهل منه؟ فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة. 33 لم تدفع عني سوء، وأكن إن صوبت إليهن من الجاهلين فإن هذا جهل، لأنه أثر لذة قليلة منغصة، على لذات متتابعات وشهوات متنوعة في جنات فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن أي: أمل إليهن، فإني ضعيف عاجز، إن قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وهذا يدل على أن النسوة جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيدته، وجعلن يكندن في ذلك.
- فهذا ما نجي الله به يوسف من هذه الفتنة الملمة والمحنة الشديدة. وأما أسياده فإنه لما اشتهر الخبر وبان، وصار الناس فيها بين عاذر ولائم وقادر. 34

تفسير السعدي

الوسائل، حتى أيسها، وصرف الله عنه كيدها، إنه هو السميع لدعاء الداعي العليم بنيته الصالحة، وبنيته الضعيفة المقتضية لإمداده بمعونته ولطفه. فاستجاب له ربه حين دعاه فصرف عنه كيدهن فلم تزل تراوده وتستعين عليه بما تقدر عليه من

ويتناساه الناس، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه، فإذا عدمت أسبابه نسي، فأروا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السجن. 35
بدا لهم أي: ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءته، ليسجنه حتى حين أي: لينقطع بذلك الخبر

وقولهما: إنا نراك من المحسنين أي: من أهل الإحسان إلى الخلق، فأحسن إلينا في تعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلى غيرنا، فتوسلا ليوسف بإحسانه. 36
إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا وذلك الخبز تأكل الطير منه نبنا بتأويله أي: بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما، لما دخل يوسف السجن، كان في جملة من دخل معه السجن فتيان أي: شابان، فرأى كل واحد منهما رؤيا، فقصها على يوسف ليعبرها، ف قال أحدهما أي: و

هم كافرون والترك كما يكون للداخل في شيء ثم ينتقل عنه، يكون لمن لم يدخل فيه أصلا. فلا يقال: إن يوسف كان من قبل، على غير ملة إبراهيم. 37
ذلكما التعبير الذي سأعبره لكما مما علمني ربي أي: هذا من علم الله علمنيه وأحسن إلي به، وذلك إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة أن يأتیکما. ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهم إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما. ثم قال: بتأويله قبل أن يأتیکما أي: فلتطمئن قلوبكما، فإني سأبادر إلى تعبير رؤياكما، فلا يأتیکما غداؤكما، أو عشاؤكما، أول ما يجيء إليكما، إلا نباتكما بتأويله قبل ف قال لهما مجيبا لطلبتهما: لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نباتكما

التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث من علي بترك الشرك واتباع ملة آبائه، فبهذا وصلت إلى ما رأيتهما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت. 38
هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتيين لما تقرر عنده أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال وأنه محسن معلم ذكر لهما أن هذه الحالة له فهو حظه، وقد حصل له أكبر النعم وأجل الفضائل. ولكن أكثر الناس لا يشكرون فلذلك تأتيهم المنة والإحسان، فلا يقبلونها ولا يقومون لله بحقه، وفي أي: هذا من أفضل مننه وإحسانه وفضله علينا، وعلى من هداه الله كما هدانا، فإنه لا أفضل من منة الله على العباد بالإسلام والدين القويم، فمن قبله وانقاد ما كان لنا أي: ما ينبغي ولا يليق بنا أن نشرك بالله من شيء بل نفرد الله بالتوحيد، ونخلص له الدين والعبادة. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم فسر تلك الملة بقوله:

ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرقة التي هي مجرد أسماء، لا كمال لها ولا أفعال لديها. 39
الكمال، الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك. القهار الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أتلک خير أم الله الذي له صفات ثم صرح لهما بالدعوة، فقال: يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار أي: أرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي

عنه ليلا ولا نهارا، ولا سرا ولا جهارا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم. 4
لا تقتص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا أي: حسدا من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين لا يفتر العباد من البر وغيره، فيعطي كلا ما تقتضيه حكمته وحده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. ولما بان تعبيرها ليوسف، قال له أبوه: يا بني إبراهيم وإسحاق حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية، ودنيوية. إن ربك عليم حكيم أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر كالكتب السماوية ونحوها، ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، كما أتمها على أبويك من قبل

بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة. ويعلمك من تأويل الأحاديث أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تنول إليه الأحاديث الصادقة، في الأرض. وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاء لها، ولهذا قال: وكذلك يجتبيك ربك أي: يصطفيك ويختارك يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاما، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتناء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين العبد من المشاق، لطفًا بعبد، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على الخليل عليهم الصلاة والسلام: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف

يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم ينقل. فقلوه تعالى: إذ قال يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الحد قبحا، فإن تضاعف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها تفسير الآيات من 4 إلى 6 نواعلم أن الله ذكر أنه يقص على

عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزالا على شركهما، فقامت عليهما بذلك الحجة، ثم إنه عليه السلام شرع يعبر رؤياهما، بعد ما وعدهما ذلك، فقال: 40

تفسير السعدي

بذلك، حصل منهم ما حصل من الشرك، فيوسف عليه السلام دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا، فتمت أكثر الناس لا يعلمون حقائق الأشياء، وإلا فإن الفرق بين عبادة الله وحده لا شريك له، وبين الشرك به، أظهر الأشياء وأبينها. ولكن لعدم العلم من أكثر الناس أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم أي: المستقيم الموصل إلى كل خير، وما سواه من الأديان، فإنها غير مستقيمة، بل معوجة توصل إلى كل شر. ولكن لم ينزل الله بها سلطانا، لم يكن طريق ولا وسيلة ولا دليل لها. لأن الحكم لله وحده، فهو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع، ويسن الأحكام، وهو الذي أمركم سميتموها آلهة، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهية شيء، ما أنزل الله بها من سلطان بل أنزل الله السلطان بالنهي عن عبادتها وبيان بطلانها، وإذا ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي: كسوتموها أسماء،

من أكله، ثم أخبرهما بأن هذا التأويل الذي تأوله لهما، أنه لا بد من وقوعه فقال: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي: تسألان عن تعبيره وتفسيره. 41 فإنه عبر عن الخبز الذي تأكله الطير، بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويستتر عن الطيور، بل يصلب ويجعل في محل، تتمكن الطيور يخدمه خمرًا، وذلك مستلزم لخروجه من السجن، وأما الآخر وهو: الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه. فيصلب فتأكل الطير من رأسه يا صاحبي السجن أما أحكما وهو الذي رأى أنه يعصر خمرًا، فإنه يخرج من السجن فيسقي ربه خمرًا أي: يسقي سيده الذي كان سبع سنين، ولما أراد الله أن يتم أمره، ويأذن بإخراج يوسف من السجن، قدر لذلك سببًا لإخراج يوسف وارتقاء شأنه وإعلاء قدره، وهو رؤيا الملك. 42 الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، وذلك ليتم الله أمره وقضاه. فلبث في السجن بضع سنين والبضع من الثلاث إلى التسع، ولهذا قيل: إنه لبث فيخرجني مما أنا فيه، فأنساه الشيطان ذكر ربه أي: فأنسى الشيطان ذلك الناجي ذكر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف أي: وقال يوسف عليه السلام: للذي ظن أنه ناج منهما وهو: الذي رأى أنه يعصر خمرًا: اذكرني عند ربك أي: اذكر له شأني وقصتي، لعله يرق لي، يابسات يا أيها المأفوتوني في رؤياي لأن تعبير الجميع واحد، وتأويله شيء واحد. إن كنتم للرؤيا تعبرون فتحيروا، ولم يعرفوا لها وجهًا. 43 أن السبع العجاف الهزيلات اللاتي سقطت قوتهن، يأكلن السبع السمان التي كن نهاية في القوة. و رأيت سبع سنبلات خضر يأكلهن سبع سنبلات رأى رؤيا حالته، فجمع لها علماء قومه وذوي الرأي منهم وقال: إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع أي: سبع من البقرات عجاف وهذا من العجب، فضله، ويبين من علمه ما يكون له رفعة في الدارين، ومن التقادير المناسبة أن الملك الذي ترجع إليه أمور الرعية هو الذي رآها، لارتباط مصالحها به. وذلك أنه لما أراد الله تعالى أن يخرج يوسف من السجن، أرى الله الملك هذه الرؤيا العجيبة، الذي تأويلها يتناول جميع الأمة، ليكون تأويلها على يد يوسف، فيظهر من ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون. فسبحان من خفيت أطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفياه وأوليائه. 44 إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتزون عنها، ثم يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول: أنا لها أنا لها فيشفع في جميع الخلق، وينال كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم غايه، فعبرها يوسف وقعت عندهم موقعا عظيما، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء قبل أن يعرضها على الملائكة من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها لم يكن لها ذلك الموضع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجاء، وهذا أيضا من لطف الله بيوسف عليه السلام. فإنه لو عبرها ابتداء لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإننا لا نعبرها. فجمعوا بين الجهل والجزم، بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، أي أحلام لا حاصل لها، ولا لها تأويل. وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم، بما ليس بعذر ثم قالوا: وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين أي: قالوا أضغاث أحلام

في تعبيره لرؤياهما، وما وصاه به، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة من السنين فقال: أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون إلى يوسف لأسأله عنها. 45 نجا منها أي: من الفتيين، وهو: الذي رأى أنه يعصر خمرًا، وهو الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه وادكر بعد أمة أي: وتذكر يوسف، وما جرى له وقال الذي

سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون فإنهم متشوقون لتعبيرها، وقد أهتمهم. 46 إليه، ولم يعنفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك فقال: يوسف أيها الصديق أي: كثير الصدق في أقواله وأفعاله. أفطنا في فأرسلوه، فجاء

له وأبعد من الالتفات إليه إلا قليلا مما تأكلون أي: دبروا أيضا أكلكم في هذه السنين الخصبة، وليكن قليلا، ليكثر ما تدخرون ويعظم نفعه ووقعه. 47 الخصب، إلى سني الجذب فقال: تزرعون سبع سنين دأبا أي: متتابعات. فما حصدتم من تلك الزروع فدروه أي: اتركوه في سنبله لأنه أبقى هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك، لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدون به من التدبير في سني والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجذب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقى عليها الحروث في الغالب، والسنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدبات، ولعل وجه ذلك والله أعلم أن الخصب والجذب لما كان الحرث مبنيا عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع فعبر يوسف، السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف، والسبع السنبلات

تفسير السعدي

- أي: مجربات جدا يأكلن ما قدمتم لهن أي: يأكلن جميع ما ادخرتموه ولو كان كثيرا. إلا قليلا مما تحصنون أي: تمنعونه من التقديم لهن. 48
- ثم يأتي من بعد ذلك أي: بعد تلك السنين السبع المخصبات. سبع شداد
- مخصب جدا، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح. 49
- في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها. ومن المعلوم أنه لا يزول الجذب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام وتكثر الغلات، وتزيد على أقواتهم، حتى إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة على أكلهم، ولعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به
- ثم يأتي من بعد ذلك أي: بعد السبع الشداد عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون أي: فيه تكثر الأمطار والسيول،
- عنه ليلا ولا نهارا، ولا سرا ولا جهارا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم. 5
- لا تقتصر رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا أي: حسدا من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين لا يفتر العباد من البر وغيره، فيعطي كلا ما تقتضيه حكمته وحده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. ولما بان تعبيرها ليوسف، قال له أبوه: يا بني إبراهيم وإسحاق حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية، ودنيوية. إن ربك عليم حكيم أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر كالكتب السماوية ونحوها، ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، كما أتمها على أبويك من قبل بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة. ويعلمك من تأويل الأحاديث أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تنول إليه الأحاديث الصادقة، في الأرض. وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاء له فيها، ولهذا قال: وكذلك يجتبيك ربك أي: يصطفيك ويختارك يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاما، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتناء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين العبد من المشاق، لطفا بعبد، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على الخليل عليهم الصلاة والسلام: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم ينقل. فقله تعالى: إذ قال يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الحد قبحا، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها تفسير الآيات من 4 إلى 6 نواعلم أن الله ذكر أنه يقص على
- يعني به الملك. فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن أي: أسأله ما شأنهن وقصتهن، فإن أمرهن ظاهر متضح إن ربي بكيدهن عليم. 50
- وأمره بالحضور عند الملك، امتنع عن المبادرة إلى الخروج، حتى تتبين براءته التامة، وهذا من صبره وعقله ورأيه التام. ف قال للرسول: ارجع إلى ربك يقول تعالى: وقال الملك لمن عنده انتوني به أي: بيوسف عليه السلام، بأن يخرجوه من السجن ويحضروه إليه، فلما جاء يوسف الرسول أي: تمحض وتبين، بعد ما كنا ندخل معه من سوء والتهمة، ما أوجب له السجن أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في أقواله وبرائه. 51
- عليه من سوء أي: لا قليل ولا كثير، فحينئذ زال السبب الذي تنبني عليه التهمة، ولم يبق إلا ما عند امرأة العزيز، ف قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق فأحضرهن الملك، وقال: ما خطبكن أي: شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه فهل رأيتهن منه ما يريب؟ فبرأتهن و قلن حاش لله ما علمنا
- أني لم أخنه في حال غيبته عني. وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فإن كل خائن، لا بد أن تعود خيائته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره. 52
- لم أخنه بالغيب، أي: لم يجر مني إلا مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك ليعلم يوسف حين أقررت أنني أنا الذي راودته، وأنه صادق الإقرار، الذي أقررت أنني راودت يوسف ليعلم أنني لم أخنه بالغيب يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أنني حين أقررت أنني راودت يوسف، أنني ذلك
- للأعمال الصالحة. وهذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر. 53
- بل من فضل الله ورحمته بعبد. إن ربي غفور رحيم أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، رحيم بقبول توبته، وتوفيقه إلا ما رحم ربي فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، متعاضية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، والكيد في ذلك. إن النفس لأماراة بالسوء أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها، وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف، استدركت فقالت: وما أبرئ نفسي أي: من المراودة والهمل، والحرص الشديد
- ثم لما
- مكرما محترما، فلما كلمه أعجبه كلامه، وزاد موقعه عنده فقال له: إنك اليوم لدينا أي: عندنا مكين أمين أي: متمكن، أمين على الأسرار 54
- فلما تحقق الملك والناس براءة يوسف التامة، أرسل إليه الملك وقال: انتوني به أستخلصه لنفسي أي: أجعله خصيصة لي ومقربا لدي فأتوه به

تفسير السعدي

من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه. فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها. 55 والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه وغلالها، وكيلا حافظا مدبرا. إني حفيظ عليهم أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير قال يوسف طلبا للمصلحة العامة: اجعلني على خزائن الأرض أي: على خزائن جبايات الأرض

ولبست مقصورة على نعمة الدنيا. ولا نضيع أجر المحسنين ويوسف عليه السلام من سادات المحسنين، فله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة 56 يتبوا منها حيث يشاء في عيش رغد، ونعمة واسعة، وجاه عريض، نصيب برحمتنا من نشاء أي: هذا من رحمة الله بيوسف التي أصابه بها وقدرها له، وكذلك أي: بهذه الأسباب والمقدمات المذكورة، مكنا ليوسف في الأرض

الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح، من الواجبات والمستحبات. 57 ولأجر الآخرة خير من أجر الدنيا للذين آمنوا وكانوا يتقون أي: لمن جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر

التي يقيم فيها يعقوب وبنوه، فأرسل يعقوب بنيه لأجل الميرة إلى مصر. وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون أي: لم يعرفوه. 58 واتخذ لها المحلات الكبار، وجبا من الأطعمة شيئا كثيرا وحفظه، وضبطه ضبطا تاما، فلما دخلت السنون المجدة، وسرى الجذب، حتى وصل إلى فلسطين، أي: لما تولى يوسف عليه السلام خزائن الأرض، دبرها أحسن تدبير، فزرع في أرض مصر جميعها في السنين الخصبة، زروعا هائلة،

ف قال لهم: اتئوني بأخ لكم من أبيكم ثم رغبهم في الإتيان به فقال: ألا ترون أنني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين في الضيافة والإكرام. 59 كان يكيل لغيرهم، وكان من تدبيره الحسن أنه لا يكيل لكل واحد أكثر من حمل بعير، وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخا عند أبيه، وهو بنيامين. ولما جهزهم بجهازهم أي: كال لهم كما

عنه ليلا ولا نهارا، ولا سرا ولا جهارا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم. 6 لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا أي: حسدا من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين لا يفتر العباد من البر وغيره، فيعطي كالا ما تقتضيه حكمته وحده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. ولما بان تعبيرا ليوسف، قال له أبوه: يا بني إبراهيم وإسحاق حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية، ودنيوية. إن ربك عليم حكيم أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضوائر كالكتب السماوية ونحوها، ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، كما أتمها على أبويك من قبل بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة. ويعلمك من تأويل الأحاديث أي: من تعبیر الرؤيا، وبيان ما تنول إليه الأحاديث الصادقة، في الأرض. وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاء له فيها، ولهذا قال: وكذلك يجتبيك ربك أي: يصطفيك ويختارك يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاما، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكن العبد من المشاق، لطفا بعبد، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على الخليل عليهم الصلاة والسلام: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم ينقل. فقله تعالى: إذ قال يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الحد قبحا، فإن تضعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها تفسير الآيات من 4 إلى 6: نواعلم أن الله ذكر أنه يقص على

بعد الإتيان به، فقال: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وذلك لعلمه باضطرابهم إلى الإتيان إليه، وأن ذلك يحملهم على الإتيان به. 60 ثم رهبهم

أن يعقوب عليه السلام كان مولعا به لا يصبر عنه، وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم وإنا لفاعلون لما أمرتنا 61 ف قالوا سنراود عنه أباه دل هذا على

إيهم بالكيل لهم كيلا وافيا، ثم إعادة بضاعتهم إليهم على وجه لا يحسون بها، ولا يشعرون لما يأتي، فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن. 62 يعرفونها أي: بضاعتهم إذا رأوها بعد ذلك في رحالهم، لعلمهم يرجعون لأجل التحرج من أخذها على ما قيل، والظاهر أنه أراد أن يرغبهم في إحسانه وقال يوسف لفتيانه الذين في خدمته: اجعلوا بضاعتهم أي: الثمن الذي اشتروا به من الميرة. في رحالهم لعلمهم

ترسل معنا أخانا، فأرسل معنا أخانا نكتل أي: ليكون ذلك سببا لكيلا، ثم التزموا له بحفظه، فقالوا: وإنا له لحافظون من أن يعرض له ما يكره. 63 فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل أي: إن لم

تفسير السعدي

- تعالى. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين أي: يعلم حالي، وأرجو أن يرحمني، فيحفظه ويرده علي، وكأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم. 64
- على أخيه من قبل أي: تقدم منكم التزام، أكثر من هذا في حفظ يوسف، ومع هذا لم تقوا بما عقدتم من التأكيد، فلا أثق بالتزامكم وحفظكم، وإنما أثق بالله
- قال لهم يعقوب عليه السلام: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم
- ونزداد كيل بعير بإرساله معنا، فإنه يكيل لكل واحد حمل بعير، ذلك كيل يسير أي: سهل لا ينالك ضرر، لأن المدة لا تطول، والمصلحة قد تبينت. 65
- هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا أي: إذا ذهبنا بأخيها صار سببا لكيه لنا، فمرنا أهلنا، وأتينا لهم، بما هم مضطرون إليه من القوت، ونحفظ أخاننا
- أبانا ما نبغي أي: أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وفى لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق؟
- دليل على أنه قد كان معلوما عندهم أن يوسف قد ردها عليهم بالقصد، وأنه أراد أن يملكهم إياها. ف قالوا لأبيهم ترغيبا في إرسال أخيهام معهم : يا
- ثم إنهم ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم هذا
- لا قبل لكم به، ولا تقدرون دفعه، فلما آتوه موثقهم على ما قال وأراد قال الله على ما نقول وكيل أي: تكفينا شهادته علينا وحفظه وكفالاته. 66
- ف قال لهم يعقوب: لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله أي: عهدا ثقيلًا، وتحلفون بالله لتأتيني به إلا أن يحاط بكم أي: إلا أن يأتاكم أمر
- أي: اعتمدت على الله، لا على ما وصيتكم به من السبب، وعليه فليتوكل المتوكلون فإن بالتوكل يحصل كل مطلوب، ويندفع كل مرهوب. 67
- أغني عنكم من الله من شيء فالمقدر لا بد أن يكون، إن الحكم إلا لله أي: القضاء قضاؤه، والأمر أمره، فما قضاؤه وحكم به لا بد أن يقع، عليه توكلت
- من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين، لكثرتهم وبهاء منظرهم، لكونهم أبناء رجل واحد، وهذا سبب. و إلا ف ما
- ثم لما أرسله معهم وصاهم، إذا هم قدموا مصر، أن لا تدخلوا
- وتعليمه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء وكذلك أهل العلم منهم، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير. 68
- الكرام والعلماء الربانيين، ولهذا قال عنه: وإنه ل ذو علم أي: لصاحب علم عظيم لما علمناه أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله
- يعقوب قضاها وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمأنينة، وقضاء لما في خاطره. وليس هذا قصورا في علمه، فإنه من الرسل
- ولما ذهبوا و دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان ذلك الفعل يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس
- إني أنا أخوك فلا تبتئس أي: لا تحزن بما كانوا يعملون فإن العاقبة خير لنا، ثم خبره بما يريد أن يصنع ويتحيل لبقائه عنده إلى أن ينتهي الأمر. 69
- يوسف آوى إليه أخاه أي: شقيقه وهو بنيامين الذي أمرهم بالإتيان به، و ضمه إليه، واختصه من بين إخوته، وأخبره بحقيقة الحال، و قال
- أي: لما دخل إخوة يوسف على
- سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال، فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا في القصص والبيانات. 7
- يقول تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات أي: عبر وأدلة على كثير من المطالب الحسنة، للسائلين أي: لكل من
- فيه في رحل أخيه ثم أوعوا متاعهم، فلما انطلقوا ذاهبين، أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ولعل هذا المؤذن، لم يعلم بحقيقة الحال. 70
- فلما جهزهم بجهازهم أي: كال لكل واحد من إخوته، ومن جملتهم أخوه هذا. جعل السقاية وهو: الإناء الذي يشرب به، ويكال
- لهم هم إلا إزالة التهمة التي رموا بها عنهم، فقالوا في هذه الحال: ماذا تفقدون ولم يقولوا: ما الذي سرقنا لجزمهم بأنهم براء من السرقة. 71
- إخوة يوسف وأقبلوا عليهم لإبعاد التهمة، فإن السارق ليس له هم إلا البعد والانطلاق عمن سرق منه، لتسلم له سرقة، وهؤلاء جاءوا مقبلين إليهم، ليس
- قالوا أي:
- قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير أي: أجرة له على وجدانه وأنا به زعيم أي: كفيل، وهذا يقوله المؤذن المتفقد. 72
- على عفتهم وورعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا: تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق. 73
- فإن السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما أقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم سبروا من أحوالهم ما يدلهم
- قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض بجميع أنواع المعاصي، وما كنا سارقين
- قالوا فما جزاؤه أي: جزاء هذا الفعل إن كنتم كاذبين بأن كان معكم؟ 74
- يتملكه صاحب السرقة، وكان هذا في دينهم أن السارق إذا ثبتت عليه السرقة كان ملكا لصاحب المال المسروق، ولهذا قالوا: كذلك نجزي الظالمين 75
- قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو أي: الموجود في رحله جزاؤه بأن
- إلى مقصدها، كما رفعنا درجات يوسف، وفوق كل ذي علم عليم فكل عالم، فوقه من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى عالم الغيب والشهادة. 76
- لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه جعل الحكم منهم، ليتم له ما أراد. قال تعالى: نرفع درجات من نشاء بالعلم النافع، ومعرفة الطرق الموصلة
- إلى أمر غير مذموم ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك لأنه ليس من دينه أن يملك السارق، وإنما له عندهم، جزاء آخر، فلو ردت الحكومة إلى دين الملك،
- الواقعة. فحينئذ تم ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته، قال تعالى: كذلك كدنا ليوسف أي: يسرنا له هذا الكيد، الذي توصل به

تفسير السعدي

- الريبة التي يظن أنها فعلت بالقصد، فلما لم يجد في أوعيتهم شيئا استخرجها من وعاء أخيه ولم يقل وجدها، أو سرقها أخوه مراعاة للحقيقة فبدأ المفتش بأوعيتهم قبل وعاء أخيه وذلك لتزول
- 77 بما أنتم على أشر منه، والله أعلم بما تصفون منا، من وصفنا بالسرقة، يعلم الله أنا براء منها، ثم سلخوا معه مسلك التملق، لعله يسمح لهم بأخيهم. ولم يبدها لهم أي: لم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسر الأمر في نفسه. و قال في نفسه أنتم شر مكانا حيث ذمتمونا تبرئة أنفسهم وأن هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا. وفي هذا من الغض عليهما ما فيه، ولهذا: أسرها يوسف في نفسه فلما رأى إخوة يوسف ما رأوا قالوا إن يسرق هذا الأخ، فليس هذا غريبا منه. فقد سرق أخ له من قبل يعنون: يوسف عليه السلام، ومقصودهم العزيز إن له أبا شيخا كبيرا أي: وإنه لا يصبر عنه، وسيشقى عليه فراقه، فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين فأحسن إلينا وإلى أبينا بذلك. 78 ف قالوا يا أيها
- يقل من سرق كل هذا تحرز من الكذب، إنا إذا أي: إن أخذنا غير من وجد في رحله لظالمون حيث وضعنا العقوبة في غير موضعها. 79 ف قال يوسف معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده أي: هذا ظلم منا، لو أخذنا البريء بذنب من وجدنا متاعنا عنده، ولم جماعة، فكيف يفضلهما علينا بالمحبة والشفقة، إن أبانا لفي ضلال مبين أي: لفي خطأ بين، حيث فضلنا عليهما من غير موجب نراه، ولا أمر نشاهده. 80 إذ قالوا فيما بينهم: ليوسف وأخوه بنيامين، أي: شقيقه، وإلا فكلهم إخوة. أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة أي:
- أي: سأقيم في هذه الأرض ولا أزال بها حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي أي: يقدر لي المجيء وحدي، أو مع أخي وهو خير الحاكمين 80 ما فرطتم في يوسف، فاجتمع عليكم الأمان، تفريطكم في يوسف السابق، وعدم إتيانكم بأخيه باللاحق، فليس لي وجه أواجه به أبي. فلن أبرح الأرض وجعلوا يتناجون فيما بينهم، ف قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله في حفظه، وأنكم تأتون به إلا أن يحاط بكم ومن قبل أي: فلما استيأس إخوة يوسف من يوسف أن يسمح لهم بأخيهم خلصوا نجيا أي: اجتمعوا وحدهم، ليس معهم غيرهم،
- كنا للغيب حافظين أي: لو كنا نعلم الغيب لما حرصنا وبذلنا المجهود في ذهابه معنا، ولما أعطيناك عهدونا ومواريثنا، فلم نظن أن الأمر سيبلغ ما بلغ. 81 يحصل لنا أن نأتيك به، مع ما بذلنا من الجهد في ذلك. والحال أنا ما شهدنا بشيء لم نعلمه، وإنما شهدنا بما علمنا، لأننا رأينا الصواع استخرج من رحله، وما ثم وصاهم بما يقولون لأبيهم، فقال: ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق أي: وأخذ بسرقة، ولم قولنا القرية التي كنا فيها والعرير التي أقبلنا فيها فقد اطلعوا على ما أخبرناك به وإنا لصادقون لم نكذب ولم نغير ولم نبدل، بل هذا الواقع. 82 واسأل إن شككت في
- واحتماجي إلى تفرجه ومنته، واضطراري إلى إحسانه، الحكيم الذي جعل لكل شيء قدرا، ولكل أمر منتهى، بحسب ما اقتضته حكمته الربانية. 83 والكربة انتهت فقال: عسى الله أن يأتيني بهم جميعا أي: يوسف وبنيامين وأخوهم الكبير الذي أقام في مصر. إنه هو العليم الذي يعلم حالي، أمرا فصر جميل أي: ألجأ في ذلك إلى الصبر الجميل، الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوى للخلق، ثم لجأ إلى حصول الفرج لما رأى أن الأمر اشتد، فلما رجعوا إلى أبيهم وأخبروه بهذا الخبر، اشتد حزنه وتضاعف كمد، واتهمهم أيضا في هذه القضية، كما اتهمهم في الأولى، و قال بل سولت لكم أنفسكم وقال يا أسفى على يوسف أي: ظهر منه ما كمن من الهم القديم والشوق المقيم، وذكرته هذه المصيبة الخفيفة بالنسبة للأولى، المصيبة الأولى. 84 وإبضت عيناه من الحزن الذي في قلبه، والكمد الذي أوجب له كثرة البكاء، حيث إبضت عيناه من ذلك. فهو كظيم أي: ممتلئ القلب من الحزن الشديد، أي: وتولى يعقوب عليه الصلاة والسلام عن أولاده بعد ما أخبروه هذا الخبر، واشتد به الأسف والأسى،
- أحوالك. حتى تكون حرضا أي: فانيا لا حراك فيك ولا قدرة على الكلام. أو تكون من الهالكين أي: لا تترك ذكره مع قدرتك على ذكره أبدا. 85 فقال له أولاده متعجبين من حاله: تالله تفتأ تذكر يوسف أي: لا تزال تذكر يوسف في جميع
- إلى الله وحده، لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق، فقولوا ما شئتم وأعلم من الله ما لا تعلمون من أنه سيردهم علي ويقر عيني بالاجتماع بهم. 86 قال يعقوب إنما أشكو بثي أي: ما أثبت من الكلام وحزني الذي في قلبي
- ورحمته وروحه، إنه لا يبينس من روح الله إلا القوم الكافرون فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين. 87 ولا تياسوا من روح الله فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التناقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه أي: قال يعقوب عليه السلام لبنيه: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه أي: احرصوا واجتهدوا على التفتيش عنهما
- عن الواجب. إن الله يجزي المتصدقين بثواب الدنيا والآخرة. فلما انتهى الأمر، وبلغ أشده، رق لهم يوسف رقة شديدة، وعرفهم بنفسه، وعاتبهم. 88 وأهلنا وجئنا ببضاعة مزجاة أي: مدفوعة مرغوب عنها لقلتها، وعدم وقوعها الموقع، فأوف لنا الكيل أي: مع عدم وفاء العرض، وتصدق علينا بالزيادة أي: على يوسف قالوا متضرعين إليه: يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا أي: قد اضطررنا نحن ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه، فذهبوا فلما دخلوا عليه

تفسير السعدي

فيه، والأصل الموجب له. إذ أنتم جاهلون وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه لا ينبغي ولا يليق منهم. 89 أما يوسف فظاهر فعلهم فيه، وأما أخوه، فلعله والله أعلم قولهم: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل أو أن الحادث الذي فرق بينه وبين أبيه، هم السبب قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه

تتوبون إلى الله، وتستغفرون من بعد ذنبكم. فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلا لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطا من بعضهم لبعض. 9 لكم، ويقبل عليكم بالشفقة والمحبة، فإنه قد اشتغل قلبه بيوسف شغلا لا يتفرغ لكم، وتكونوا من بعده أي: من بعد هذا الصنيع قوما صالحين أي: أو اطرحوه أرضا أي: غيبوه عن أبيه في أرض بعيدة لا يتمكن من رؤيته فيها. فإنكم إذا فعلتم أحد هذين الأمرين يخل لكم وجه أبيكم أي: يتفرغ اقتلوا يوسف

ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامثالها فإن الله لا يضيع أجر المحسنين فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. 90 يوسف وهذا أخي قد من الله علينا بالإيمان والتقوى والتمكين في الدنيا، وذلك بسبب الصبر والتقوى، إنه من يتق ويصبر أي: يتقي فعل ما حرم الله، فعرفوا أن الذي خاطبهم هو يوسف، فقالوا: أنك لأنت يوسف قال أنا

إليك، والتباعد لك عن أبيك، فأترك الله تعالى وممكن مما تريد وإن كنا لخاطئين وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف. 91 قالوا تالله لقد آثرك الله علينا أي: فضلك علينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى

تاما، من غير تعبير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين. 92 لهم يوسف عليه السلام، كرما وجودا: لا تثريب عليكم اليوم أي: لا أثرب عليكم ولا ألومكم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فسمح لهم سماحا ف قال

ذلك على هذا الأمر. وأتوني بأهلكم أجمعين أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرزق. 93 الله به عليهم أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، ولله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما أي: قال يوسف عليه السلام لإخوته: اذهبوا بقميصي

لولا أن تفندون أي: تسخرون مني، وتزعمون أن هذا الكلام، صدر مني من غير شعور، لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ما أوجب له هذا القول. 94 ولما فصلت العير عن أرض مصر مقبلة إلى أرض فلسطين، شم يعقوب ريح القميص، فقال: إني لأجد ريح يوسف

فوقع ما ظنه بهم فقالوا: تالله إنك لفي ضلالك القديم أي: لا تزال تائها في بحر الحب لا تدري ما تقول. 95

عليهم، متبجحا بنعمة الله عليه: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون حيث كنت مترجيا للقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم والغم والحزن. 96 بصيرا أي: رجع على حاله الأولى بصيرا، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن، فقال لمن حضره من أولاده وأهله الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه منتصرا فلما أن جاء البشير بقرب الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم، ألقاه أي: القميص على وجهه فارتد

فأقروا بذنبهم ونجعوا بذلك و قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين حيث فعلنا معك ما فعلنا. 97

ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم، ويتغمدكم برحمته، وقد قيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل، ليكون أتم للاستغفار، وأقرب للإجابة. 98 ف قال مجيبا لطلبته، ومسرعا لإجابته: سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم أي:

مصر إن شاء الله آمنين من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة. 99 على يوسف آوى إليه أبويه أي: ضمهما إليه، واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإكرام والتبجيل والإعظام شيئا عظيما، وقال لجميع أهله: ادخلوا أي: فلما تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكنها، فلما وصلوا إليه، و دخلوا

سورة 13

لا يؤمنون بهذا القرآن، إما جهلا وإعراضا عنه وعدم اهتمام به، وإما عنادا وظلما، فلذلك أكثر الناس غير منتفعين به، لعدم السبب الموجب للانتفاع. 1 عدل، مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة، فمن أقبل عليه وعلى علمه، كان من أهل العلم بالحق، الذي يوجب لهم علمهم العمل بما أحب الله. ولكن أكثر الناس الكتاب الدالة على كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، وأن الذي أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق المبين، لأن أخباره صدق، وأوامره ونواهيه يخبر تعالى أن هذا القرآن هو آيات

مستقر بمكان خفي فيه، وسارب بالنهار أي: داخل سربه في النهار والسرب هو ما يختفي فيه الإنسان إما جوف بيته أو غار أو مغارة أو نحو ذلك. 10

تفسير السعدي

سواء منكم في علمه وسمعه وبصره. من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل أي:

فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه، فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله خشية أن يحل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين. 11
سواء أي: عذابا وشدة وأما يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم. فإنه لا مرد له ولا أحد يمنعه من، وما لهم من دونه من وال يتولى أمورهم
غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة، وإذا أراد الله بقوم
يغيروا ما بأنفسهم بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها. وكذلك إذا
هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء، إن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والإحسان ورغد العيش حتى
من أمر الله أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائما، فكما أن علم الله محيط به، فإله قد أرسل
له أي: للإنسان معقبات من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار. من بين يديه ومن خلفه يحفظونه

والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطعم في خيره ونفعه، وينشئ السحاب الثقال بالمطر الغزير الذي به نفع العباد والبلاد. 12
يقول تعالى: هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا أي: يخاف منه الصواعق

وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد وهو شديد القوة فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. 13
الحول والقوة فلا يريد شيئا إلا فعله، ولا يتعاضى عليه شيء ولا يفوته هارب. فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم،
ويرسل الصواعق وهي هذه النار التي تخرج من السحاب، فيصيب بها من يشاء من عباده بحسب ما شاء وأراده وهو شديد المحال أي: شديد
وهو الصوت الذي يسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده، و تسبح الملائكة من خيفته أي: خشعا لربهم خائفين من سطوته،
ويسبح الرعد بحمده

نفي الشيء كما قال تعالى: إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط 14
يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في
بطلان غايتها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقا متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة. وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي
لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. وما دعاء الكافرين إلا في ضلال لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم؛ لأن الوسيلة تبطل
لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة لأنهم فقراء كما أن من دعوه فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما
كفيه إلى الماء فاه فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه. كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة
أي: لمن يدعوها ويعبدها بشيء قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة إلا كباسط كفيه إلى الماء الذي لا تناله كفاه لبعده، ليبلغ ببسط
والرهبة، والإنابة؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة والذين يدعون من دونه من الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله. لا يستجيبون لهم
وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة،
أي: لله وحده دعوة الحق

تفقهون تسبيحهم فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا وكرها كان هو الإله حقا المعبود المحمود حقا وإلهية غيره باطلة، ولهذا ذكر بطلانها 15
بالغزو والأصل أي: ويسجد له ضلال المخلوقات أول النهار وآخره وسجود كل شيء بحسب حاله كما قال تعالى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا
له طوعا وكرها فالطوع لمن يأتي بالسجود والخضوع اختيارا كالمؤمنين، والكره لمن يستكبر عن عبادة ربه، وحاله وفطرته تكذبه في ذلك، وظلالهم
أي: جميع ما احتوت عليه السماوات والأرض كلها خاضعة لربها، تسجد

متلازمان متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر، أن ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات وبذلك كانت عبادته باطلة. 16
والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد
يخلق شيء من الأشياء نفسه. ومن المحال أيضا أن يوجد من دون خالق، فتعين أن لها إلها خالقا لا شريك له في خلقه لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة
خلقوا كخلقه وفعلوا كفعله، فأزل عنهم هذا الاشتباه واللبس بالبرهان الدال على توحيد الإله بالوحدانية، فقل لهم: الله خالق كل شيء فإنه من المحال أن
الله وحده، وعبادة المشركين به، كما لا يستوي الأعمى والبصير، وكما لا تستوي الظلمات والنور. فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم
لأنفسهم نفعا ولا ضرا وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات، المالك للأحياء والأموات، الذي بيده الخلق والتدبير والنفع والضر؟ فما تستوي عبادة
كما يحبون الله، ويبذلون لها أنواع التقربات والعبادات: أفتاهت عقولكم حتى اتخذتم من دونه أولياء تتولونهم بالعبادة وليسوا بأهل لذلك؟ فإنهم لا يملكون
أي: قل لهؤلاء المشركين به أوثانا وأندادا يحبونها

فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق إن الباطل كان زهوقا وقال هنا: كذلك يضرب الله الأمثال ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال. 17
بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة
طافية مكدرة له حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة. كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرها، ويجاهدها

تفسير السعدي

من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يأخذ ماء قليلا، كقلب صغير، يسع علما قليلا، وهكذا. وشبه ما يكون في القلوب ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل شبه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبه

والعطش الوجيع، والنار الحامية والزقوم والزمهرير، والضريع وجميع ما ذكره الله من أصناف العذاب وبئس المهاد أي: المقر والمسكن مسكنهم. 18 كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا و بعد هذا الحساب السيئ ومأواهم جهنم الجامعة لكل عذاب، من الجوع الشديد، على كل ما أسلفوه من عمل سيئ وما ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده قد كتب ذلك وسطر عليهم وقالوا: يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا ذهب وفضة وغيرها، ومثله معه لا فتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وأنى لهم ذلك؟ أولئك لهم سوء الحساب وهو الحساب الذي يأتي خطر على قلب بشر، والذين لم يستجيبوا له بعد ما ضرب لهم الأمثال وبين لهم الحق، لهم الحالة غير الحسنة، ف لو أن لهم ما في الأرض جميعا من الحسنى أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن. فلهم من الصفات أجلاها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا فذكر عقابه فقال: للذين استجابوا لربهم أي: انقادوا قلوبهم للعلم والإيمان وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريد منهم، فلهم لما بين تعالى الحق من الباطل ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب

ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره. إنما يتذكر أولو الألباب أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لب العالم، وصفوة بني آدم 19 ولا يعمل به فيبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعباد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالا وخير مآلا فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها، يقول تعالى: مفرقا بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق ففهم ذلك وعمل به. كمن هو أعمى لا يعلم الحق أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيهم، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيها جزاؤه، فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء، ويجازي المسيئين بإساءتهم. 2 الإلهية، خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور. وأيضا فقد علم أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، ولا يتركهم عبثا، فكما أنه بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية والآيات القرآنية، بقاء ربكم توقنون فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور وينزل الكتب الإلهية على رسله ويبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأوامر والنواهي، ويفصلها غاية التفصيل ببيانها وإيضاحها وتمييزها، لعلهم ويرفع، ويقلل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره. استوى الله العظيم على سرير الملك، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفف غير أهل للعبادة؛ فيتحسر بذلك أشد الحسرة وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين. وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات هذا جمع بين الخلق والأمر، أي: قد هي دار القرار، فعند ذلك يطوي الله السماوات ويبدلها، ويغير الأرض ويبدلها. فتكور الشمس والقمر، ويجمع بينهما فيلقين في النار، ليرى من عبدهما أنهما بتدبير العزيز العليم، لأجل مسمى بسير منتظم، لا يفتران ولا ينيان، حتى يجيء الأجل المسمى وهو طي الله هذا العالم، ونقلهم إلى الدار الآخرة التي المخلوقات، استواء يليق بجلاله ويناسب كماله. وسخر الشمس والقمر لمصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم، كل من الشمس والقمر يجري ترونها أي: ليس لها عمد من تحتها، فإنه لو كان لها عمد، لرأيتموها ثم بعد ما خلق السماوات والأرض استوى على العرش العظيم الذي هو أعلى والسلطان الدال على أنه وحده المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له فقال: الله الذي رفع السماوات على عظمها واتساعها بقدرته العظيمة، بغير عمد يخبر تعالى عن انفراده بالخلق والتدبير، والعظمة

والعهد والأيمان والنذور، التي يعقدها العباد. فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها. 20 حقها من التتميم لها، والنصح فيها و من تمام الوفاء بها أنهم لا ينقضون الميثاق أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في ذلك جميع المواثيق فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله: الذين يوفون بعهد الله الذي عهد إليهم والذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها توفيتها فإن سألت عن وصفهم،

خوفهم منه، ومن القدوم عليه يوم الحساب، أن يتجرؤوا على معاصي الله، أو يقصروا في شيء مما أمر الله به خوفا من العقاب ورجاء للثواب. 21 والدينية. والسبب الذي يجعل العبد واصلًا ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهذا قال: ويخشون ربهم أي: يخافونه، فيمنعهم ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولا وفعلًا، ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملا موفرا من الحقوق الدينية به وبرسوله، ومحبتة ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوبهم، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان

إليهم، وإذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما ظنك بغير المسيء؟! أولئك الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة لهم عقبى الدار 22 أساء إليهم بقول أو فعل، لم يقابلوه بفعله، بل قابلوه بالإحسان إليه. فيعطون من حرمهم، ويعفون عن ظلمهم، ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات والنفقات المستحبة وأنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة، سرا وعلانية، ويدعرون بالحسنة السيئة أي: من

تفسير السعدي

فليس هو الممدوح على الحقيقة. وأقاموا الصلاة بأركانها وشروطها ومكملاتها ظاهرا وباطنا، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية دخل في ذلك بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وجه ربهم لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلبا لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة صبروا علالمأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها. ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ابتغاء والذين

النظر والأشباه، والأصحاب والأحباب، فإنهم من أزواجهم وذرياتهم، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يهنئونهم بالسلامة وكرامة الله لهم 23 إليه المطالب والغايات. ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم أنهم يدخلونها ومن صلح من آبائهم من الذكور والإناث وأزواجهم أي الزوج أو الزوجة وكذلك جنات عدن أي: إقامة لا يزولون عنها، ولا يبغون عنها حولا؛ لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي لعلها تحظى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فملئها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون. 24 المنازل العالية، والجنات الغالية، فنعيم عقبى الدار فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب. بما صبرتم أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه سلام عليكم أي: حلت عليكم

عوجا، أولئك لهم اللعنة أي: البعد والذم من الله وملأته وعباده المؤمنين، ولهم سوء الدار وهي: الجحيم بما فيها من العذاب الأليم. 25 يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام ولا أدوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي، والصد عن سبيل الله وابتغائها من بعد ما أكده عليهم على أيدي رسله، وغلظ عليهم، فلم يقابلوه بالانقياد والتسليم، بل قابلوه بالإعراض والنقص، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل فلم لما ذكر حال أهل الجنة ذكر أن أهل النار بعكس ما وصفهم به، فقال عنهم: والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه أي: عن الآخرة وذلك لنقصان عقولهم، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع أي: شيء حقير يتمتع به قليلا ويفارق أهله وأصحابه ويعقبهم ويلا طويلا. 26 وحده يوسع الرزق ويبسطه على من يشاء ويقدره ويضيقه على من يشاء، وفرحوا أي: الكفار بالحياة الدنيا فرحا أوجب لهم أن يطمئثوا بها، ويغفلوا أي: هو

من الحق، كفى ذلك وحصل المقصود، وكان أنفع لهم من طلبهم الآيات التي يعينونها، فإنها لو جاءتهم طبق ما اقترحوا فلم يؤمنوا بها لعاجلهم العذاب. 27 قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ولا يلزم أن يأتي الرسول بالآية التي يعينونها ويقترحونها، بل إذا جاءهم بآية تبين ما جاء به الهداية والضلال بأيديهم حتى يجعلوا ذلك متوقفا على الآيات، ومع ذلك فهم كاذبون، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء لو أنزل عليه آية من ربه وبزعمهم أنها لو جاءت لآمنوا فأجابهم الله بقوله: قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب أي: طلب رضوانه، فليست يخبر تعالى أن الذين كفروا بآيات الله يتعتنون على رسول الله، ويقترحون ويقولون:

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقا عظيما. 28 مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام. ولو كان من وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، وتهليل وتكبير وغير ذلك. وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها. ألا بذكر الله تطمئن القلوب أي: حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء أذل للقلوب ولا أشهى ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال: الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أي: يزول قلقها

وتتام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة. 29 ونحوها، طوبى لهم وحسن مآب أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن. وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة بالله وملأته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ثم قال تعالى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي: آمنوا بقلوبهم

ولا معبود سواه، وأنه عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، وأنه القادر على كل شيء، الحكيم في كل شيء المحمود على ما خلقه وأمر به تبارك وتعالى. 3 في ذلك لآيات على المطالب الإلهية لقوم يتفكرون فيها، وينظرون فيها نظر اعتبار دالة على أن الذي خلقها ودبرها وصرفها، هو الله الذي لا إله إلا هو، فإذا هم مصبحون منتشرون في مصالحهم وأعمالهم في النهار. ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون إن يغشي الليل النهار فتظلم الآفاق فيسكن كل حيوان إلى مأواه ويستريحون من التعب والنصب في النهار، ثم إذا قضوا مأربهم من النوم غشي النهار الليل وحروثهم، فأخرج بها من الأشجار والزرع والثمار خيرا كثيرا ولهذا قال: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين أي: صنفين مما يحتاج إليه العباد.

تفسير السعدي

لمادت بأهلها، لأنها على تيار ماء، لا ثبوت لها ولا استقرار إلا بالجمال الرواسي، التي جعلها الله أوتادا لها. و جعل فيها أنهارا تسقي الآدميين وبهائمهم خلقها للعباد، ووسعها وبارك فيها ومهدا للعباد، وأودع فيها من مصالحهم ما أودع، وجعل فيها رواسي أي: جبالا عظاما، لئلا تميد بالخلق، فإنه لولا الجبال وهو الذي مد الأرض أي:

فهو ربي الذي رباني بنعمه منذ أوجدني، وهو إلهي الذي عليه توكلت في جميع أموري وإليه متاب أي: أرجع في جميع عباداتي وفي حاجاتي. 30
بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة كيف أخذهم الله بذنوبهم، قل هو ربي لا إله إلا هو وهذا متضمن للتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.
بالرحمن، فلم يقابلوا رحمته وإحسانه التي أعظمها أن أرسلناك إليهم رسولا وأنزلنا عليك كتابا بالقبول والشكر بل قابلوها بالإنكار والرد، أفلا يعتبرون
يستنكروا رسالتك، ولست تقول من تلقاء نفسك، بل تتلو عليهم آيات الله التي أوحاها الله إليك، التي تطهر القلوب وتزكي النفوس. والحال أن قومك يكفرون
محمد صلى الله عليه وسلم: كذلك أرسلناك إلى قومك تدعوهم إلى الهدى قد خلت من قبلها أمم أرسلنا فيهم رسلنا، فلست ببعد من الرسل حتى
يقول تعالى لنبيه

العذاب المتصل الذي لا يمكن رفعه، إن الله لا يخلف الميعاد وهذا تهديد لهم وتخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم وعنادهم وظلمهم. 31
والله تعالى يوالي عليهم القوارع التي تصيبهم في ديارهم أو تحل قريبا منها، وهم مصرّون على كفرهم حتى يأتي وعد الله الذي وعدهم به، لنزول
فليعلموا أنه قادر على هدايتهم جميعا ولكنه لا يشاء ذلك، بل يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ولا يزال الذين كفروا على كفرهم، لا يعتبرون ولا يتعظون،
فما بال المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
عن أماكنها أو قطعت به الأرض جنانا وأنهارا أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن. بل لله الأمر جميعا فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته،
يقول تعالى مبينا فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة: ولو أن قرآنا من الكتب الإلهية سيرت به الجبال

شديدا وعذابا أليما، فلا يغتر هؤلاء الذين كذبوك واستهزؤوا بك بأمهالنا، فلهم أسوة فيمن قبلهم من الأمم، فليحذروا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك. 32
كذب وأوذى فأمليت للذين كفروا برسلكم أي: أمهلتهم مدة حتى ظنوا أنهم غير معذبين. ثم أخذتهم بأنواع العذاب فكيف كان عقاب كان عقابا
يقول تعالى لرسوله ميثنا له ومسلما ولقد استهزئ برسلكم من قبلك فلست أول رسول

وصدوا عن السبيل أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، ومن يضل الله فما له من هاد لأنه ليس لأحد من الأمر شيء. 33
فلا إله إلا الله، وليس أحد من الخلق يستحق شيئا من العبادة، ولكن زين للذين كفروا مكرهم الذي مكروه وهو كفرهم وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله
وهو لا يعلمه، وهذا أبطل ما يكون؛ ولهذا قال: أم بظاهر من القول أي: غاية ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى أنه بظاهر أقوالكم. وأما في الحقيقة،
بما لا يعلم في الأرض فإنه إذا كان عالم الغيب والشهادة وهو لا يعلم له شريكا، علم بذلك بطلان دعوى الشريك له، وأنكم بمنزلة الذي يعلم الله أن له شريكا
وجعلوا لله شركاء وهو الله الأحد الفرد الصمد، الذي لا شريك له ولا ند ولا نظير، قل لهم إن كانوا صادقين: سموهم لتعلم حالهم أم تنبؤونه
يقول تعالى: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت بالجاء العاجل والآجل، بالعدل والقسط، وهو الله تبارك وتعالى كمن ليس كذلك؟ ولهذا قال:

الدنيا ولعذاب الآخرة أشق من عذاب الدنيا لشدته ودوامه، وما لهم من الله من واق يقيه من عذاب الله، فعذابه إذا وجهه إليهم لا مانع منه. 34
لهم عذاب في الحياة

دائم أيضا، تلك عقبي الذين اتقوا أي: عاقبتهم ومآلهم التي إليها يصيرون، وعقبي الكافرين النار فكم بين الفريقين من الفرق المبين؟ 35
العسل، وأنهار الخمر، وأنهار اللبن، وأنهار الماء التي تجري في غير أخدود، فتسقى تلك البساتين والأشجار فتحمل من جميع أنواع الثمار. أكلها دائم وظلها
تعالى: مثل الجنة التي وعد المتقون الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، ولم يقصروا فيما أمرهم به، أي: صفتها وحقيقتها تجري من تحتها الأنهار أنهار
يقول

أي: بإخلاص الدين لله وحده، إليه أدعو وإليه مآب أي: مرجعي الذي أرجع به إليه فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه والقيام بما أمرت به. 36
هذا القرآن ولا يصدقه. فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها إنما أنت يا محمد منذر تدعوا إلى الله، قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به
وتصديق بعضها بعضا وهذه حال من آمن من أهل الكتابين، ومن الأحزاب من ينكر بعضه أي: ومن طوائف الكفار المنحرفين عن الحق، من ينكر بعض
تعالى: والذين أتيناهم الكتاب أي: منّا عليهم به وبمعرفته، يفرحون بما أنزل إليك فيؤمنون به ويصدقونه، ويفرحون بموافقة الكتب بعضها لبعض،
يقول

من العلم البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، ما لك من الله من ولي يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ولا واق يقيك من الأمر المكروه. 37
أهواء الذين لا يعلمون. ولهذا توعدهم رسوله مع أنه معصوم ليمتن عليه بعصمته ولتكون أمته أسوته في الأحكام فقال: ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك
عريبا أي: محكما متقنا، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يدهن فيه، ولا يتبع ما يصاده ويناقضه من
أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكما،

أجل كتاب لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فليس استعجالهم بالآيات أو بالعذاب موجبا لأن يقدم الله ما كتب أنه يؤخر مع أنه تعالى فعال لما يريد. 38

تفسير السعدي

- طلبوا منك آية اقترحوها فليس لك من الأمر شيء. وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله والله لا يأذن فيها إلا في وقتها الذي قدره وقضاه، لكل أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلا شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟ وإن أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك، ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدير الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يديره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ. 39
- من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان أم الكتاب أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب. فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال: وعنده يحسب الله ما يشاء من الأقدار ويثبت ما يشاء منها، وهذا المحو وصيايه وأوامره ونواهي، وأما أهل الإعراض، وأهل البلادة فهم في ظلماتهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، لا يهتدون إلى ربهم سبيلا ولا يعون له قليلا. 4
- أم ذلك تقدير العزيز الرحيم؟ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي: لقوم لهم عقول تهديهم إلى ما ينفعهم، وتقودهم إلى ما يرشدهم ويعقلون عن الله وهذه تمسك الماء ولا تنبت الكأ، وهذه تنبت الزرع والأشجار ولا تنبت الكأ، وهذه النمرة حلوة وهذه مرة وهذه بين ذلك. فهل هذا التنوع في ذاتها وطبيعتها؟ على بعض في الأكل لونا وطعما ونفعا ولذة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكأ والعشب الكثير والأشجار والزرع، وهذه أرض تلاحظها لا تنبت كأ ولا تمسك ماء، صنوان أي: عدة أشجار في أصل واحد، وغير صنوان بأن كان كل شجرة على حدة، والجميع يسقى بماء واحد وأرضه واحدة ونفضل بعضها كمال قدرته وبديع صنعته أن جعل في الأرض قطع متجاورات وجنات فيها أنواع الأشجار من أعناب وزرع ونخيل وغير ذلك، والنخيل التي بعضها ومن الآيات على
- ذلك شغلا لك فإنما عليك البلاغ والتبيين للخلق. وعلينا الحساب فنحاسب الخلق على ما قاموا به، مما عليهم، وضيعوه، ونشيبهم أو نعاقبهم. 40
- فهم إن استمروا على طغيانهم وكفرهم فلا بد أن يصيبهم ما وعدوا به، إما نرينك إياه في الدنيا فتقر بذلك عينك، أو نتوفينك قبل إصابتهم فليس يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تعجل عليهم بإصابتهم ما يوعدون به من العذاب،
- فيها، بخلاف حكم غيره فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافق، وهو سريع الحساب أي: فلا يستعجلوا بالعذاب فإن كل ما هو آت، فهو قريب. 41
- التي يحكم الله فيها، توجد في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية على القسط والعدل والحمد، فلا يتعقبها أحد ولا سبيل إلى القدر ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرد أحد، ولهذا قال: والله يحكم لا معقب لحكمه ويدخل في هذا حكمه الشرعي والقدري والجزائي. فهذه الأحكام والظاهر والله أعلم أن المراد بذلك أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويحتاجها، ويحل القوارع بأطرافها، تنبئهم لهم قبل أن يحتاجهم النقص، ننقصها من أطرافها قبل إهلاك المكذبين واستئصال الظالمين، وقيل: بفتح بلدان المشركين، ونقصهم في أموالهم وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال. ثم قال متوعدا للمكذبين أولم يروا أنا نأتي الأرض
- يمكروا مكرا يضر الحق وأهله ويفيدهم شيئا، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار أي: ألهم أو لرسله؟ ومن المعلوم أن العاقبة للمتقين لا للكفر وأعماله. 42
- فإن الله يعلم ما تكسب كل نفس أي: هومها وإراداتها وأعمالها الظاهرة والباطنة. والمكر لا بد أن يكون من كسبها فلا يخفى على الله مكرهم، فيمتنع أن فله المكر جميعا أي: لا يقدر أحد أن يمكر مكرا إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره، فإذا كانوا يملكون بدينه فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، يقول تعالى: وقد مكر الذين من قبلهم برسلمهم وبالحق الذي جاءت به الرسل، فلم يغن عنهم مكرهم ولم يصنعوا شيئا فإنهم يحاربون الله ويبارزون، كالأمة من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم والله أعلم. تم تفسير سورة الرعد، والحمد لله رب العالمين. 43
- مكتومة. وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، التي عليه، ومن كتم ذلك فأخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاد بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة الأقاويل لعاجله بالعقوبة. ومن عنده علم الكتاب وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول من آمن واتبع الحق، صرح بتلك الشهادة وأنه أمر الناس باتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله وكرامته، ومن لم يتبعه فله النار والسخط وحل له ماله ودمه والله يقره على ذلك، فلو تقول عليه بعض الله تعالى أيد رسوله ونصره نصرا خارجا عن قدرته وقدرة أصحابه وأتباعه وهذا شهادة منه له بالفعل والتأييد. وأما إقراره، فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله، ذلك شهيدا: كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وشهادته بقوله وفعله وإقراره، أما قوله فيما أوحاه الله إلى أصدق خلقه مما يثبت به رسالته. وأما فعله فلا أن ويقول الذين كفروا لست مرسلنا أي: يكذبونك ويكذبون ما أرسلت به، قل لهم إن طلبوا على
- الهدى فلم يهتدوا، فقلبت قلوبهم وأفندتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها أبدا. 5
- وحداثيته، وهي أظهر الأشياء وأجلها، وأولئك الأغلال المانعة لهم من الهدى في أعناقهم حيث دعوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وعرض عليهم ويرى من الأدلة القاطعة على البعث ما لا يقبل الشك والريب، ثم ينكر ذلك فإن قوله من العجائب. ولكن ذلك لا يستغرب على الذين كفروا بربهم وجحدوا

تفسير السعدي

ونسوا أن الله خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئا. ويحتمل أن معناه: وإن تعجب من قولهم وتكذيبهم للبعث، فإن ذلك من العجائب، فإن الذي توضح له الآيات، كانوا ترابا، أن الله يعيدهم، فإنهم من جهلهم قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق. فلما رأوا هذا ممتنعا في قدرة المخلوق ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق، فإن العجب مع هذا إنكار المكذبين وتكذيبهم بالبعث، وقولهم أنذا كنا ترابا أننا لفي خلق جديد أي: هذا بعيد في غاية الامتناع بزعمهم، أنهم بعد ما يحتمل أن معنى قوله وإن تعجب من عظمة الله تعالى وكثرة أدلة توحيده،

على من لم يزل مصرا على الذنوب، قد أبى التوبة والاستغفار والالتجاء إلى العزيز الغفار، فليحذر العباد عقوباته بأهل الجرائم، فإن أخذه أليم شديد. 6 من المعائب قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وإن ربك لشديد العقاب فلا يحرمهم خيره وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم لأنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب، ليظهرهم على ظلمهم أي: لا يزال خيره إليهم وإحسانه وبره وعفوهم نازلا إلى العباد، وهم لا يزال شرهم وعصيانهم إليه صاعدا. يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون الحال أنه قد خلت من قبلهم المثلاث أي: وقائع الله وأيامه في الأمم المكذبين، أفلا يتفكرون في حالهم ويتركون جهلهم وإن ربك لذو مغفرة للناس حق، وجعلوا يستعجلون الرسول بالعذاب، ويقول قائلهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم و وعظوا فلم يتعظوا، وأقيمت عليهم الأدلة فلم ينقادوا لها، بل جاهدوا بالإنكار، واستدلوا بحلم الله الواحد القهار عنهم، وعدم معاجلتهم بذنوبهم أنهم على يخبر تعالى عن جهل المكذبين لرسوله المشركين به، الذين

واتباع شهوته ولكل قوم هاد أي: داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل وأتباعهم، ومعهم من الأدلة والبراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى. 7 فهذا اقتراح منه باطل وكذب وافتراء فإنه لو جاءت أي آية كانت لم يؤمن ولم ينقد؛ لأنه لم يمتنع من الإيمان، لعدم ما يدل على صحته وإنما ذلك لهوى نفسه الآيات. وقد أيده بالأدلة البينات التي لا تخفى على أولي الأبصار، وبها يهتدي من قصده الحق، وأما الكافر الذي من ظلمه وجهله يقترح على الله الآيات لولا أنزل عليه آية من ربه ويجعلون هذا القول منهم، عذرا لهم في عدم الإجابة إلى الرسول، والحال أنه منذر ليس له من الأمر شيء، والله هو الذي ينزل أي: ويقترح الكفار عليك من الآيات، التي يعينونها ويقولون:

وما تزداد الأرحام وتكبر الأجنة التي فيها، وكل شيء عنده بمقدار لا يتقدم عليه ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه. 8 بكل شيء فقال: الله يعلم ما تحمل كل أنثى من بني آدم وغيرهم، وما تغيض الأرحام أي: تنقص مما فيها إما أن يهلك الحمل أو يتضائل أو يضمحل يخبر تعالى بعموم علمه وسعة اطلاعه وإحاطته

فإنه عالم الغيب والشهادة الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته المتعال على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره. 9

سورة 14

الحميد بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بجز الله قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة. 1 الذي يهديهم إليه هذا الكتاب فقال: إلى صراط العزيز الحميد أي: الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر العزيز الحسنة، وقوله: بإذن ربهم أي: لا يحصل منهم المراد المحبوب لله، إلا بإرادة من الله ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم. ثم فسر النور على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق يخبر تعالى أنه أنزل كتابه

نطيعكم وأنتم بشر مثلنا؟ فأتونا بسلطان مبين أي: بحجة وبينة ظاهرة، ومرادهم بينة يقترحونها هم، وإلا فقد تقدم أن رسلهم جاءتهم بالبينات. 10 إن أنتم إلا بشر مثلنا أي: فكيف تفضلوننا بالنبوة والرسالة، تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فكيف تترك رأي الآباء وسيرتهم لرأيكم؟ وكيف على الاستجابة لدعوته بالثواب العاجل والآجل، فلم يدعكم لينتفع بعبادتكم، بل النفع عائد إليكم. فردوا على رسلهم رد السفهاء الجاهلين قالوا لهم: الرسل خطاب من لا يشك فيه ولا يصلح الريب فيه يدعوكم إلى منافعكم ومصالحكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى أي: ليثيبكم في الله فاطر السماوات والأرض الذي وجود الأشياء مستند إلى وجوده، لم يكن عنده ثقة بشيء من المعلومات، حتى الأمور المحسوسة، ولهذا خاطبتهم ولهذا قالت لهم رسلهم أفي الله شك أي: فإنه أظهر الأشياء وأجلاها، فمن شك

مصالحهم ودفع مضارهم لعلمهم بتمام كفايته وكمال قدرته وعميم إحسانه، ويثقون به في تيسير ذلك وبحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم. 11 جاءكم به، وإن شاء لم يأتكم به وهو لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته ورحمته، وعلى الله لا على غيره فليتوكل المؤمنون فيعتمدون عليه في جلب جنائكم به، وقولكم: فأتونا بسلطان مبين فإن هذا ليس بأيدينا وليس لنا من الأمر شيء. وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله فهو الذي إن شاء لأحد أن يحجر على الله فضله ويمنعه من تفضله، فانظروا ما جنائكم به فإن كان حقا فاقبلوه وإن كان غير ذلك فردوه ولا تجعلوا حالنا حجة لكم على رد ما ولكن ليس في ذلك ما يدفع ما جننا به من الحق فإن الله يمن على من يشاء من عباده فإذا من الله علينا بوحيه ورسالته، فذلك فضله وإحسانه، وليس

تفسير السعدي

قالت لهم رسلهم مجيبين عن اقتراحهم واعتراضهم: إن نحن إلا بشر مثلكم أي: صحيح وحقيقة أنا بشر مثلكم،

في أعلى المطالب وأشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره، وهداية عبده، وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل. 12 مع كثرة التذكير. وعلى الله وحده لا على غيره فليتوكل المتوكلون فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير. واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم دعوتكم ووعظكم وتذكيركم ولا نبالي بما يأتيكم منكم من الأذى فإننا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى، احتساباً للأجر ونصحاء لكم لعل الله أن يهديكم السلام قال: إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ولنصبرن على ما آذيتمونا أي: ولنستمرن على مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون الآيات. وقول هود عليه وجاهزون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون هذا كقول نوح لقومه: يا قوم إن كان كبر عليكم الصلاة والسلام لقومهم بأية عظيمة، وهو أن قومهم في الغالب لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدثهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكرهم، يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى، فإنه ليس ضامناً على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل. وفي هذا كالإشارة من الرسل عليهم الله والحال أننا على الحق والهدى، ومن كان على الحق والهدى فإن هداية يوجب له تمام التوكل، وكذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي وكفايته، ومن العبادات الكبار التي يحبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه، وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا أي: أي شيء يمنعنا من التوكل على فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان،

انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال ما بقي حينئذ إلا أن يمضي الله أمره، وينصر أوليائه، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين بأنواع العقوبات. 13 العادة فإن الرسل من جملة أهل بلادهم، وأفراد منهم، فلا شيء يمنعونهم حقاً لهم صريحاً واضحاً؟ هل هذا إلا من عدم الدين والمروءة بالكلية؟ ولهذا لما لم يكن ذلك خالصاً له، ولم يحل له، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها. وإن رجعنا إلى مجرد الأرض وما عليها يستعينون بها على عبادته. فمن استعان بذلك على عبادة الله حل له ذلك وخرج من التبعة، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي، من ديارهم ونسبوا إلى أنفسهم وزعموا أن الرسل لا حق لهم فيها، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض، وأمرهم بعبادته، وسخر لهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا وهذا أبلغ ما يكون من الرد، وليس بعد هذا فيهم مطمع، لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن الهدى بل توعدوهم بالإخراج لما ذكر دعوة الرسل لقومهم ودوامهم على ذلك وعدم ملهم، ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال مع قومهم فقال: وقال الذين كفروا لرسولهم متوعدين لهم الله مراقبة من يعلم أنه يراه، وخاف وعيد أي: ما توعدت به من عصائي فأوجب له ذلك الانكفاف عما يكرهه الله والمبادرة إلى ما يحبه الله. 14 ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك أي: العاقبة الحسنة التي جعلها الله للرسل ومن تبعهم جزاء لمن خاف مقامي عليه في الدنيا وراقب وخاب كل جبار عنيد أي: خسر في الدنيا والآخرة من تجبر على الله وعلى الحق وعلى عباد الله واستكبر في الأرض وعاند الرسل وشاقهم. 15 أي: الكفار أي: هم الذين طلبوا واستعجلوا فتح الله وفرقائه بين أوليائه وأعدائه فجاءهم ما استفتحوا به وإلا فالله حليم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، واستفتحوا

بالمرصاد، فلا بد له من ورودها فيذاق حينئذ العذاب الشديد، ويسقى من ماء صديد في لونه وطعمه ورائحته الخبيثة، وهو في غاية الحرارة. 16 من ورائه جهنم أي: جهنم لهذا الجبار العنيد

كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ومن ورائه أي: الجبار العنيد عذاب غليظ أي: قوي شديد لا يعلم وصفه وشدة إلا الله تعالى. 17 من أنواع العذاب، وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت ولكن الله قضى أن لا يموتوا كما قال تعالى: لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها إذا قرب إلى وجهه شواه وإذا وصل إلى بطنه قطع ما أتى عليه من الأمعاء، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت أي: يأتيه العذاب الشديد من كل نوع يتجرعه من العطش الشديد ولا يكاد يسيفه فإنه

الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق، فإنهم يسعون ويكدحون في ذلك ومكرهم عائد عليهم ولن يضروا الله ورسله وجنده وما معهم من الحق شيئاً. 18 شيء ولا على مثقال ذرة منه لأنه مبني على الكفر والتكذيب. ذلك هو الضلال البعيد حيث بطل سعيهم واضمحل عملهم، وإما أن المراد بذلك أعمال به الريح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئاً، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل، فكذلك أعمال الكفار لا يقدر من كسبوا على الكفار التي عملوها: إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله، بأنها في ذهابها وبطلانها واضمحلالها كاضمحلال الرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت يخبر تعالى عن أعمال

أطوع لله منكم، ويحتمل أن المراد أنه: إن يشأ يفتنكم ثم يعيدهم بالبعث خلقاً جديداً، ويدل على هذا الاحتمال ما ذكره بعده من أحوال القيامة. 19 وأن قدرته ومشيئته لا تقصر عن ذلك ولهذا قال: إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. يحتمل أن المعنى: إن يشأ يذهبكم ويأت بقوم غيركم يكونون ما له من صفات الكمال، وليعلموا أن الذي خلق السماوات والأرض على عظمهما وسعتهما قادر على أن يعيدهم خلقاً جديداً، ليجازيهم بإحسانهم وإساءتهم، ينبه تعالى عباده بأنه خلق السماوات والأرض بالحق أي: ليعبده الخلق ويعرفوه، ويأمرهم وبيناهم وليستدلوا بهما وما فيهما على ولا يليق به أن يتركهم سدى، فلما بين الدليل والبرهان توعد من لم ينقد لذلك، فقال: وويل للكافرين من عذاب شديد لا يقدر قدره، ولا يوصف أمره 2

تفسير السعدي

بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم، وأنه كما أن له ملك السماوات والأرض خلقا ورزقا وتدبيراً، فله الحكم على عبادته بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه، الله من أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأنه مألوه معبود وليدل ذلك على أن صراط

على الله بعزیز أي: بممتنع بل هو سهل عليه جداً، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه 20

وما ذلك

فلا يغني أحد أحداً، سواء علينا أجزعنا من العذاب أم صبرنا عليه، ما لنا من محيص أي: من ملجأ نلجأ إليه، ولا مهرب لنا من عذاب الله. 21
فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء أي: ولو مثقال ذرة، قالوا أي: المتبوعون والرؤساء أغويانكم كما غوينا و لو هدانا الله لهديانكم والمقلدون للذين استكبروا وهم: المتبوعون الذين هم قادة في الضلال: إنا كنا لكم تبعاً أي: في الدنيا، أمرتمونا بالضلال، وزينتموه لنا فأغويتمونا، لا يخفى عليه منهم خافية، فإذا برزوا صاروا يحتاجون، وكل يدفع عن نفسه، ويدافع ما يقدر عليه، ولكن أني لهم ذلك؟ فيقول الضعفاء أي: التابعون الخلائق لله جميعاً حين ينفخ في الصور فيخرجون من الأجداث إلى ربهم فيقفون في أرض مستوية قاع صفصف، لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً، ويبرزون له وبرزوا أي:

يؤزهم إلى المعاصي أذاً، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بموالاته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. 22
إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على المعاصي. وأما السلطان الذي أثبتته فهو التسلسل بالإغراء على المعاصي لأوليائه آية أخرى إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فالسلطان الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلاً على ما يدعو لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم ولا يبنك مثل خبير واعلم أن الله ذكر في هذه الآية أنه ليس له سلطان، وقال في وهذا من لطف الله لعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان وأخبر بمدخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين أي: تبرأت من جعلكم لي شريكاً مع الله فلست شريكاً لله ولا تجب طاعتي، إن الظالمين لأنفسهم بطاعة الشيطان لهم عذاب أليم خالدين فيه أبداً. العقاب، ما أنا بمصرخكم أي: بمغيثكم من الشدة التي أنتم بها وما أنتم بمصرخي كل له قسط من العذاب. إني كفرت بما أشركتمون من قبل وزينته لكم، فاستجبتم لي اتباعاً لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كانت الحال بهذه الصورة فلا تلوُموني ولوموا أنفسكم فأنتم السبب وعليكم المدار في موجب الباطلة. وما كان لي عليكم من سلطان أي: من حجة على تأييد قولي، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي أي: هذا نهاية ما عندي أني دعوتكم إلى مرادي على أسنة رسله فلم تطيعوه، فلو أطعتموه لأدرتكم الفوز العظيم، ووعدتكم الخير فأخلفتكم أي: لم يحصل ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأمان سبب لكل شر يقع ووقع في العالم، مخاطباً لأهل النار ومتبرئاً منهم لما قضى الأمر ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. إن الله وعدكم وعد الحق أي: وقال الشيطان الذي هو

خالدين فيها بإذن ربهم أي: لا بحولهم وقوتهم بل بحول الله وقوته تحيتهم فيها سلام أي: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والتحية والكلام الطيب. 23
قاموا بالدين، قولاً وعملاً، واعتقاداً جنات تجري من تحتها الأنهار فيها من اللذات والشهوات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولما ذكر عقاب الظالمين ذكر ثواب الطائعين فقال: وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي:

طيبة وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها كشجرة طيبة وهي النخلة أصلها ثابت في الأرض وفروعها منتشر في السماء 24
يقول تعالى: ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة

غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فله أتم الحمد وأكمل وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن. 25
الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراد الله والآداب الحسنة في السماء دائماً يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، ويضرب الله ثمرتها كل حين بإذن ربها فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علماً واعتقاداً. وفروعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، وهي كثيرة النفع دائماً، تؤتي أكلها أي:

في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضر به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره. 26
من قرار أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة صالحة، تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة، فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي، ليس لها ثبوت نافع الكفر وفروعها فقال: ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة المأكول والمطعم وهي: شجرة الحنظل ونحوها، اجتثت هذه الشجرة من فوق الأرض ما لها ثم ذكر ضدها وهي كلمة

هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه. 27
المؤمن: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول

تفسير السعدي

إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها. وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية يخبر تعالى أنه يثبت عباده

ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم بدر ليحاربوا الله ورسوله، فجرى عليهم ما جرى، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم في تلك الوقعة. 28 عنها بأنفسهم. و صدهم غيرهم حتى أحلوا قومهم دار البوار وهي النار حيث تسبوا لإضلالهم، فصاروا وبالا على قومهم، من حيث يظن نفعهم، صلى الله عليه وسلم إليهم، يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة وإلى النجاة من شرور الدنيا والآخرة، فبدلوا هذه النعمة بردها، والكفر بها والصّد يقول تعالى مبينا حال المكذبين لرسوله من كفار قريش وما آل إليه أمرهم: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ونعمة الله هي إرسال محمد جهنم يصلونها أي: يحيط بهم حرها من جميع جوانبهم وبئس القرار 29

وأما أهل الإيمان فبعكس هؤلاء يؤمنون بالله وآياته، ويستحبون الآخرة على الدنيا ويدعون إلى سبيل الله ويحسنونها مهما أمكنهم، ويبينون استقامتها. 30 نوره ولو كره الكافرون. أولئك الذين ذكر وصفهم في ضلال بعيد لأنهم ضلوا وأضلوا، وشاقوا الله ورسوله وحاربوهما، فأى ضلال أبعد من هذا؟ قد نابذوا مولاهم بالمعاداة والمحاربة، ويبغونها أي: سبيل الله عوجا أي: يحرصون على تهجينها وتقبيحها، للتنفير عنها، ولكن يأبى الله إلا أن يتم الآخرة فرضوا بها واطمأنوا، وغفلوا عن الدار الآخرة. ويصدون الناس عن سبيل الله التي نصبها لعباده وبينها في كتبه وعلى السنة رسله، فهؤلاء الذين يستحبون الحياة الدنيا على

قل لهم متوعدا: تمتعوا بكفركم وضلالكم قليلا، فليس ذلك بنافعكم فإن مصيركم إلى النار أي: مآلكم ومقركم ومأواكم فيها وبئس المصير. 30 وجعلوا لله أندادا أي: نظراء وشركاء ليضلوا عن سبيله أي: ليضلوا العباد عن سبيل الله بسبب ما جعلوا لله من الأنداد ودعوههم إلى عبادتها، وشراء ولا بهمة خليل وصديق، فكل امرئ له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغد، وليتفقد أعماله، ويحاسب نفسه، قبل الحساب الأكبر. 31 نفقته، والمستحبة كالصدقات ونحوها. من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال أي: لا ينفع فيه شيء ولا سبيل إلى استدراك ما فات لا بمعاوضة بيع وينفقوا مما رزقناهم أي: من النعم التي أنعمنا بها عليهم قليلا أو كثيرا سرا وعلانية وهذا يشمل النفقة الواجبة كالزكاة ونفقة من تجب عليه أي: قل لعبادي المؤمنين آمرا لهم بما فيه غاية صلاحهم وأن ينتهزوا الفرصة، قبل أن لا يمكنهم ذلك: يقيموا الصلاة ظاهرا وباطنا وحفظها على تيار الماء لتحملكم، وتحمل تجارتكم، وأمتعكم إلى بلد تقصدونه. وسخر لكم الأنهار لتسقي حروثكم وأشجاركم وتشربوا منها. 32 الأنواع رزقا لكم ورزقا لأنعامكم وسخر لكم الفلك أي: السفن والمراكب. لتجري في البحر بأمره فهو الذي يسر لكم صنعته وأقدركم عليها، والأرض على اتساعها وعظمتها، وأنزل من السماء ماء وهو: المطر الذي ينزله الله من السحاب، فأخرج بذلك الماء من الثمرات المختلفة يخبر تعالى: أنه وحده الذي خلق السماوات

من حساب أزمنتكم ومصلح أبدانكم، وحيواناتكم، وزروعكم، وثماركم، وسخر لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا من فضله. 33 وسخر لكم الشمس والقمر دائبين لا يفتران، ولا ينيان، يسعيان لمصلحكم، الله به العباد إلى القيام بشكره، وذكره ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات. 34 ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به. ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو قيامكم بشكرها إن الإنسان لظلوم كفار أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرب على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفار لنعم الله، لا يشكرها به أمانيتكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فضلا عن وآتاكم من كل ما سألتموه أي: أعطاكم من كل ما تعلق

نعبد الأصنام أي: اجعلني وإياهم جانبا بعيدا عن عبادتها والإلمام بها، ثم ذكر الموجب لخوفه عليه وعلى بنييه بكثرة من افترتن وابتلي بعبادتها فقال: 35 ما هو معلوم، حتى إنه لم يرد ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم. ولما دعا له بالأمن دعا له ولبنيه بالأمن فقال: واجنبي وبني أن الحالة الجميلة، إذ قال: رب اجعل هذا البلد أي: الحرم آمنا فاستجاب الله دعاءه شرعا وقدرًا، فحرمه الله في الشرع ويسر من أسباب حرمة قدرًا أي: و اذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه

من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله والله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده لا يعذب إلا من تمرد عليه. 36 ما جئت به من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين فإنه مني لتمام الموافقة ومن أحب قوما وتبعهم التحق بهم. ومن عصاني فإنك غفور رحيم وهذا أي: ضلوا بسببها، فمن تبني على

فأجاب الله دعاءه، فصار يجبي إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت والثمار فيها متوفرة والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب. 37 على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه وعظم ولعه وتوقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة. وارضقهم من الثمرات لعلهم يشكرون

تفسير السعدي

له وصاروا مقيمي الصلاة. وافترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم وجعل فيه سرا عجيبا جاذبا للقلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرا ساكنون فيه. فأجاب الله دعاءه فأخرج من ذرية إسماعيل محمدا صلى الله عليه وسلم حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي وإلى ملة أبيهم إبراهيم فاستجابوا لأن إقامة الصلاة من أخص وأفضل العبادات الدينية فمن أقامها كان مقيما لدينه، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم أي: تحبهم وتحب الموضع الذي هم في مكة إسماعيل وذريته، وقوله: بواد غير ذي زرع أي: لأن أرض مكة لا تصلح للزراعة. ربنا ليقيموا الصلاة أي: اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة دعا ربه بهذا الدعاء فقال متضرعا متوكلا على ربه: ربنا إني أسكنت من ذريتي أي: لا كل ذريتي لأن إسحاق في الشام وباقي بنيي كذلك وإنما أسكن وبابنها إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو في الرضاع، من الشام حتى وضعهما في مكة وهي إذ ذاك ليس فيها سكن، ولا داع ولا مجيب، فلما وضعهما وذلك أنه أتى به هاجر أم إسماعيل

وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ومن ذلك هذا الدعاء الذي لم يقصد به الخليل إلا الخير وكثرة الشكر لله رب العالمين. 38 أي: أنت أعلم بنا منا، فنسألك من تدبيرك وتربيتك لنا أن تيسر لنا من الأمور التي نعلمها والتي لا نعلمها ما هو مقتضى علمك ورحمتك، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فاستجاب الله له في ذلك كله إلا أن دعاءه لأبيه إنما كان عن موعدة وعده إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. 39 الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي، ثم دعا لنفسه ولذريته، فقال: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإيأس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، إن ربي لسميع الدعاء أي: لقريب عليها صغيرهم وصارت طبيعة لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رسوله ابتداء كما تلقى عنهم الصحابة رضي الله عنهم. 4 رسولهم أمور مطلوبة محبوبة لله لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، وذلك إذا تمرنوا على العربية، ونشأ إلى ما شاء، ومن حكمته أنه لا يضع هدايته ولا إضلاله إلا بالمحل اللائق به. ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلامه وكلام من يشاء ممن لم ينقد للهدى، ويهدي من يشاء ممن اختصه برحمته. وهو العزيز الحكيم الذي من عزته أنه انفرد بالهداية والإضلال، وتقلب القلوب فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه، فإذا بين لهم الرسول ما أمروا به، ونهوا عنه وقامت عليهم حجة الله فيضل الله وهذا من لطفه بعباده أنه ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ما يحتاجون إليه، ويتمكنون من تعلم ما أتى به، بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فاستجاب الله له في ذلك كله إلا أن دعاءه لأبيه إنما كان عن موعدة وعده إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. 40 الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي، ثم دعا لنفسه ولذريته، فقال: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإيأس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، إن ربي لسميع الدعاء أي: لقريب وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فاستجاب الله له في ذلك كله إلا أن دعاءه لأبيه إنما كان عن موعدة وعده إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. 41 الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي، ثم دعا لنفسه ولذريته، فقال: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإيأس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، إن ربي لسميع الدعاء أي: لقريب فيما بين العبد وربيه وظلمه لعباد الله. إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل. 42 الله يملئ للظالم ويمهله ليزداد إثما، حتى إذا أخذه لم يفلته وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد والظلم هاهنا يشمل الظلم الله غافلا عما يعمل الظالمون حيث أمهلهم وأدر عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم فإن هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تعالى: ولا تحسبن

رءوسهم، لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم قد سعدت إلى الحناجر لكنها مملوءة من كل هم وغم وحزن وقلق. 43 يدعوههم إلى الحضور بين يدي الله للحساب لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ، مقنعي رءوسهم أي: رافعيها قد غلت أيديهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك مهطعين أي: مسرعين إلى إجابة الداعي حين

ويقال لهم: أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال عن الدنيا وانتقال إلى الآخرة، فما قد تبين حنثكم في إقسامكم، وكذبكم فيما تدعون 44 يدعوهم إلى دار السلام وتتبع الرسل وهذا كله لأجل التخلص من العذاب الأليم وإلا فهم كذبة في هذا الوعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولهذا يوبخون وأنواع المعاصي نادمين على ما فعلوا سائلين للرجعة في غير وقتها، ربنا أخرنا إلى أجل قريب أي: ردنا إلى الدنيا فإننا قد أبصرنا، نجب دعوتك والله العذاب أي: صف لهم صفة تلك الحال وحذرهم من الأعمال الموجبة للعذاب الذي حين يأتي في شدائده وقلاقله، فيقول الذين ظلموا بالكفر والتكذيب يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر الناس يوم يأتهم

أزالتهم، فلم تنفع فيكم تلك الآيات بل أعرضتم ودمتم على باطلكم حتى صار ما صار، ووصلتم إلى هذا اليوم الذي لا ينفع فيه اعتذار من اعتذر بباطل. 45 فعلنا بهم من أنواع العقوبات؟ وكيف أحل الله بهم العقوبات، حين كذبوا بالآيات البينات، وضربنا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا و ليس عملكم قاصر في الدنيا من أجل الآيات البينات، بل سكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف

في هذا كل من مكر من المخالفين للرسل لينصر باطلا، أو يبطل حقا، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئا، ولم يضروا الله شيئا وإنما ضروا أنفسهم. 46

تفسير السعدي

- وبمن جاء به من عظمه لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها، أي: مكروا مكرا كبارا لا يقادر قدره ولكن الله رد كيدهم في نحورهم. ويدخل وقدرة فإنه عاد مكرهم عليهم ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال أي: ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسول بالحق وقد مكروا أي: المكذبون للرسول مكرهم الذي وصلت إرادتهم وقدر لهم عليه، وعند الله مكرهم أي: هو محيط به علما
- ما يكون من الأخبار، خصوصا وهو مطابق للحكمة الإلهية، والسنن الربانية، وللعقول الصحيحة، والله تعالى لا يعجزه شيء فإنه عزيز ذو انتقام 47 وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا وعقابهم في الآخرة، فهذا لا بد من وقوعه لأنه، وعد به الصادق قولا على أسنة أصدق خلقه وهم الرسل، وهذا أعلى يقول تعالى: فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله بنجاتهم ونجاة أتباعهم وسعادتهم
- المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه وتديره، فلا يتحرك منها متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه. 48 يطويها الله تعالى بيمينه. وبرزوا أي: الخلائق من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم في محل لا يخفى منهم على الله شيء، لله الواحد القهار أي: وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم، فتصير قاعا صاففا، لا ترى فيها عوجا ولا أمنا، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم ثم في يوم القيامة، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات تبدل غير السماوات، وهذا التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى أي: إذا أراد أن ينتقم من أحد، فإنه لا يفوته ولا يعجزه، وذلك
- في ذلك اليوم مقرنين في الأصفاد أي: يسلسل كل أهل عمل من المجرمين بسلاسل من نار فيقادون إلى العذاب في أذل صورة وأشنعها وأبشعها. 49 وترى المجرمين أي: الذين وصفهم الإجماع وكثرة الذنوب، يومئذ عقابه، إن في ذلك أي: في أيام الله على العباد لآيات لكل صبار شكور أي: صبار في الضراء والعسر والضييق، شكور على السراء والنعمة. 5
- نور العلم والإيمان وتوابعه. وذكرهم بأيام الله أي: بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، وبأيامه في الأمم المكذبين، ووقائعهم بالكافرين، ليذكروا نعمه وليحذروا به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بل وبما أمر به جميع الرسل قومهم أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور أي: ظلمات الجهل والكفر وفروعه، إلى يخبر تعالى: أنه أرسل موسى بآياته العظيمة الدالة على صدق ما جاء به وصحته، وأمره بما أمر الله
- النار أي: تحيط بها وتصلها من كل جانب، وغير الوجوه من باب أولى وأحرى، وليس هذا ظلما من الله لهم وإنما هو جزاء لما قدموا وكسبوا 50 سرايلهم أي: ثيابهم من قطران وذلك لشدة اشتعال النار فيهم وحرارتها وتنت ريحها، وتغشى وجوههم التي هي أشرف ما في أبدانهم
- المحاسبة فيحاسب الخلق في ساعة واحدة، كما يرزقهم ويدبرهم بأنواع التدابير في لحظة واحدة لا يشغله شأن عن شأن وليس ذلك بعسير عليه. 51 الذي لا جور فيه بوجه من الوجوه. إن الله سريع الحساب كقوله تعالى: اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ويحتمل أن معناه: سريع ليحزي الله كل نفس ما كسبت من خير وشر بالعدل والقسط
- العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة. والحمد لله رب العالمين. تم تفسير سورة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام 52 أفكارهم لما أخذوه غضا طريا فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها. وهذه القاعدة إذا تدرب بها الألباب أي: العقول الكاملة ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر. إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتورت الله لأهلها من العقاب، وليلعلموا أنما هو إله واحد حيث صرف فيه من الأدلة والبراهين على ألوهيته ووحدانيته، ما صار ذلك حق اليقين، وليذكر أولو وأفضل الكرامات، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد. ولينذروا به لما فيه من الترهيب من أعمال الشر وما أعد فلما بين البيان المبين في هذا القرآن قال في مدحه: هذا بلاغ للناس أي: يتبلغون به ويتزودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات
- بلاء من ربكم عظيم أي: نعمة عظيمة، أو وفي ذلك العذاب الذي ابتليتم به من فرعون وملئه ابتلاء من الله عظيم لكم، لينظر هل تصبرون أم لا؟ 6 أي: يولونكم سوء العذاب أي: أشده وفسر ذلك بقوله: ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم أي: ييقونهن فلا يقتلونهن، وفي ذلك الإنجاء ولهذا امتثل موسى عليه السلام أمر ربه، فذكرهم نعم الله فقال: اذكروا نعمة الله عليكم أي: بقلوبكم وألسنتكم. إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم فإنه يستدل بأيامه على كمال قدرته وعميم إحسانه، وتما عدله وحكمته،
- أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم. والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك. 7 وقال لهم حاثا على شكر نعم الله: وإذ تأذن ربكم أي: أعلم ووعد، لئن شكرتم لأزيدنكم من نعمي ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ومن ذلك
- في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليس له من الصفات إلا كل صفة حمد وكمال، ولا من الأسماء إلا كل اسم حسن، ولا من الأفعال إلا كل فعل جميل. 8 تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فلن تضروا الله شيئا، فإن الله لغني حميد فالطاعات لا تزيد في ملكه والمعاصي لا تنقصه، وهو كامل الغنى حميد وقال موسى إن
- الموت وقالوا صريحا لرسولهم: إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب أي: موقع في الريبة، وقد كذبوا في ذلك وظلموا. 9 فردوا أيديهم في أفواههم أي: لم يؤمنوا بما جاءوا به ولم يتفوهوا بشيء مما يدل على الإيمان كقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر

تفسير السعدي

الدالة على صدق ما جاءوا به، فلم يرسل الله رسولا إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، فحين أتتهم رسلهم بالبينات لم ينقادوا لها بل استكبروا عنها، قصصهم في كتابه وبسطها، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله من كثرتهم وكون أخبارهم اندرست. فهؤلاء كلهم جاءتهم رسلهم بالبينات أي: بالأدلة حين جاءتهم الرسل، فكذبوهم، فعاقبهم بالعقاب العاجل الذي رآه الناس وسمعوه فقال: ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقد ذكر الله يقول تعالى مخوفا عباده ما أحله بالأمم المكذبة

سورة 15

مبين للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود، وهذا مما يوجب على الخلق الانقياد إليه، والتسليم لحكمه وتلقيه بالقبول والفرح والسرور. 1 يقول تعالى معظمًا لكتابه مادحا له تلك آيات الكتاب أي: الآيات الدالة على أحسن المعاني وأفضل المطالب، وقرآن تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون الماضية: ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين أي: فرقهم وجماعتهم رسلا. 10 يقول

وما يأتيتهم من رسول يدعوهم إلى الحق والهدى إلا كانوا به يستهزئون 11

الذين وصفهم لظلم والبهت، عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر والتكذيب، تشابهت معاملتهم لأنبيائهم ورسلهم بالاستهزاء والسخرية وعدم الإيمان 12 كذلك نسله أي: ندخل التكذيب في قلوب المجرمين أي:

لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين أي: عادة الله فيهم بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله. 13

رأينا ما لم نر، بل نحن قوم مسحورون أي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء 14 فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عيانا بأنفسهم لقالوا من ظلمهم وعنادهم منكرين لهذه الآية: إنما سكرت أبصارنا أي: أصابها سكر وغشاوة حتى تفسير الآيتين 14 و15 -: أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا وكابروا ولو فتحنا عليهم بابا من السماء

رأينا ما لم نر، بل نحن قوم مسحورون أي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء 15 فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عيانا بأنفسهم لقالوا من ظلمهم وعنادهم منكرين لهذه الآية: إنما سكرت أبصارنا أي: أصابها سكر وغشاوة حتى تفسير الآيتين 14 و15 -: أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا وكابروا ولو فتحنا عليهم بابا من السماء

لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها. 16 اقتداره ورحمته بخلقه: ولقد جعلنا في السماء بروجا أي: نجوما كالأبراج والأعلام العظام يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وزيناها للناظرين فإنه يقول تعالى مبينا كمال

من كل شيطان رجيم إذا استرق السمع أتبعته الشهب الثواقب فبقيت السماء ظاهرها مجملا بالنجوم النيرات وباطنها محروسا ممنوعا من الآفات. 17 وحفظناها

خبر السماء عن الأرض، وربما ألقاها إلى وليه قبل أن يدركه الشهاب فيضهما ويكذب معها مائة كذبة، ويستدل بتلك الكلمة التي سمعت من السماء. 18 بعض الشياطين السمع بخفية واختلاس، فأتبعه شهاب مبين أي: بين منير يقتله أو يخبله. فربما أدركه الشهاب قبل أن يوصلها الشيطان إلى وليه فينقطع إلا من استرق السمع أي: في بعض الأوقات قد يسترق

وتثبتها أن تزول وأنبتنا فيها من كل شيء موزون أي: نافع متقوم يضطر إليه العباد والبلاد ما بين نخيل وأعناب وأصناف الأشجار وأنواع النبات. 19 والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها والتناول من أرزاقها والسكون في نواحيها. وألقينا فيها رواصي أي: جبالا عظاما تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد والأرض مددناها أي: وسعناها سعة يتمكن الآدميون

الغطاء وتظهر أوائل الآخرة ومقدمات الموت، فإنهم في أحوال الآخرة كلها يتمنون أنهم مسلمون، وقد فات وقت الإيمان، ولكنهم في هذه الدنيا مغترون. 20 هذه النعمة العظيمة بردها والكفر بها، فإنه من المكذبين الضالين، الذين سيأتي عليهم وقت يتمنون أنهم مسلمون، أي: منقادون لأحكامه وذلك حين ينكشف فأما من قابل

والحرف. ومن لستم له برازقين أي: أنعمنا عليكم بعبيد وإماء وأنعام لنفعكم ومصالحكم وليس عليكم رزقها، بل خولكم الله إياها وتكفل بأرزاقها. 20 وجعلنا لكم فيها معايش من الحرت ومن الماشية ومن أنواع المكاسب

بحسب حكمته ورحمته الواسعة، وما ننزله أي: المقدر من كل شيء من مطر وغيره، إلا بقدر معلوم فلا يزيد على ما قدره الله ولا ينقص منه. 21 أي: جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فحزانها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء،

تفسير السعدي

ورحمته، وما أنتم له بخازنين أي: لا قدرة لكم على خزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم ويسلكه يبايع في الأرض رحمة بكم وإحسانا إليكم. 22
يلقح الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مدخرا لحاجاتهم وضروراتهم ما هو مقتضى قدرته
أي: وسخرنا الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما

وبميتهم لأجلهم التي قدرها ونحن الوارثون كقوله: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون وليس ذلك بعزيز ولا ممتنع على الله 23
أي: هو وحده لا شريك له الذي يحيي الخلق من العدم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا

فيعيد عباده خلقا جديدا ويحشرهم إليه. إنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، ويجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 24
الآيتين 24 و 25 :- يعلم المتقدمين من الخلق والمستأخرين منهم ويعلم ما تنقص الأرض منهم وما تفرق من أجزائهم، وهو الذي قدرته لا يعجزها معجز
تفسير

فيعيد عباده خلقا جديدا ويحشرهم إليه. إنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، ويجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 25
الآيتين 24 و 25 :- يعلم المتقدمين من الخلق والمستأخرين منهم ويعلم ما تنقص الأرض منهم وما تفرق من أجزائهم، وهو الذي قدرته لا يعجزها معجز
تفسير

مسنون أي: من طين قد يبس بعد ما خمر حتى صار له صلصلة وصوت، كصوت الفخار، والحمأ المسنون: الطين المتغير لونه وريحه من طول مكثه. 26
السلام، وما جرى من عدوه إبليس، وفي ضمن ذلك التحذير لنا من شره وفتنته فقال تعالى: ولقد خلقنا الإنسان أي آدم عليه السلام من صلصال من حمأ
يذكر تعالى نعمته وإحسانه على أبينا آدم عليه

والجان وهو: أبو الجن أي: إبليس خلقناه من قبل خلق آدم من نار السموم أي: من النار الشديدة الحرارة 27

للملائكة: إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته جسدا تاما ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فامتثلوا أمر ربهم. 28
تفسير الآيتين 28 و 29 :- فلما أراد الله خلق آدم قال

للملائكة: إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته جسدا تاما ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فامتثلوا أمر ربهم. 29
تفسير الآيتين 28 و 29 :- فلما أراد الله خلق آدم قال

فيلهم عن الآخرة، فسوف يعلمون أن ما هم عليه باطل وأن أعمالهم ذهبت خسرانا عليهم ولا يغتروا بإمهال الله تعالى فإن هذه سنته في الأمم. 3
ف ذرهم يأكلوا ويتمتعوا بلذاتهم ويلهم الأمل أي: يؤملون البقاء في الدنيا

فسجد الملائكة كلهم أجمعون تأكيد بعد تأكيد ليدل على أنه لم يتخلف منهم أحد، وذلك تعظيما لأمر الله وإكراما لآدم حيث علم ما لم يعلموا. 30
إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين وهذه أول عداوته لآدم وذريته 31

لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون فاستكبر على أمر الله وأبدى العداوة لآدم وذريته وأعجب بعنصره، وقال: أنا خير من آدم. 32
تفسير آيتين 32 و 33 :- قال الله: يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال

لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون فاستكبر على أمر الله وأبدى العداوة لآدم وذريته وأعجب بعنصره، وقال: أنا خير من آدم. 33
تفسير آيتين 32 و 33 :- قال الله: يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال

قال الله معاقبا له على كفره واستكباره فأخرج منها فإنك رجيم أي: مطرود مبعد من كل خير 34

وإن عليك اللعنة أي: الذم والعيب، والبعد عن رحمة الله، إلى يوم الدين ففيها وما أشبهها دليل على أنه سيستمر على كفره وبعده من الخير. 35

امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاة دون عدوه ممن ليس كذلك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا. 36
:- قال رب فأنظرني أي: أمهلني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك
تفسير الآيات من 36 إلى 38

امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاة دون عدوه ممن ليس كذلك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا. 37
:- قال رب فأنظرني أي: أمهلني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك
تفسير الآيات من 36 إلى 38

امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاة دون عدوه ممن ليس كذلك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا. 38
:- قال رب فأنظرني أي: أمهلني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك
تفسير الآيات من 36 إلى 38

تفسير السعدي

أجمعين أي: أصددهم كلهم عن الصراط المستقيم، إلا عبادك منهم المخلصين أي: الذين أخلصتهم واجتبتيتهم لإخلاصهم، وإيمانهم وتوكلهم. 39
و40: قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض أي: أزين لهم الدنيا وأدعوهم إلى إثارتها على الأخرى، حتى يكونوا منقادين لكل معصية. ولأغوينهم
تفسير الآيتين 39

وما أهلكنا من قرية كانت مستحقة للعذاب إلا ولها كتاب معلوم مقدر لإهلاكها. 4
أجمعين أي: أصددهم كلهم عن الصراط المستقيم، إلا عبادك منهم المخلصين أي: الذين أخلصتهم واجتبتيتهم لإخلاصهم، وإيمانهم وتوكلهم. 40
و40: قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض أي: أزين لهم الدنيا وأدعوهم إلى إثارتها على الأخرى، حتى يكونوا منقادين لكل معصية. ولأغوينهم
تفسير الآيتين 39

قال الله تعالى: هذا صراط علي مستقيم أي: معتدل موصل إلي وإلى دار كرامتي. 41
بولايك وطاعتك بدلا من طاعة الرحمن، من الغاوين والغاوي: ضد الراشد فهو الذي عرف الحق وتركه، والضال: الذي تركه من غير علم منه به. 42
سلطان تميلهم به إلى ما تشاء من أنواع الضلالات، بسبب عبوديتهم لربهم وانقيادهم لأوامره أعانهم الله وعصمهم من الشيطان. إلا من اتبعك فرضي
إن عبادي ليس لك عليهم

وإن جهنم لموعدهم أجمعين أي: إبليس وجنوده 43
لكل باب منهم أي: من أتباع إبليس جزء مقسوم بحسب أعمالهم. قال الله تعالى: فككبوا فيها هم والغاؤون وجنود إبليس أجمعون 44
لها سبعة أبواب كل باب أسفل من الآخر،
يدعوهم إليه من جميع الذنوب والعصيان في جنات وعيون قد احتوت على جميع الأشجار وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة في جميع الأوقات. 45
أتباع إبليس من النكال والعذاب الشديد ذكر ما أعد لأولياؤه من الفضل العظيم والنعيم المقيم فقال تعالى: إن المتقين الذين اتقوا طاعة الشيطان وما
ولما ذكر تعالى ما أعد لأعدائه

بسلام آمنين من الموت والنوم والنصب، واللغوب وانقطاع شيء من النعيم الذي هم فيه أو نقصانه ومن المرض، والحزن والهم وسائر المكدرات 46
ويقال لهم حال دخولها: ادخلوها
واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم في كون كل منهم مقابلا للآخر لا مستدبرا له متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر. 47
ونزعنا ما في صدورهم من غل فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل وحسد متصافية متحابية إخوانا على سرر متقابلين دل ذلك على تزاورهم
فيها نصب لا ظاهر ولا باطن، وذلك لأن الله ينشئهم نشأة وحياة كاملة لا تقبل شيئا من الآفات، وما هم منها بمخرجين على سائر الأوقات. 48
لا يمسهم

أنا الغفور الرحيم فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته، ومغفرته سعوا في الأسباب الموصلة لهم إلى رحمته وأقلعوا عن الذنوب وتابوا منها، لينالوا مغفرته. 49
الرغبة والرغبة من مفعولات الله من الجنة والنار، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى فقال: نبى عبادي أي: أخبرهم خبرا جازما مؤيدا بالأدلة، أني
ولما ذكر ما يوجب

ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وإلا فالذنوب لا بد من وقوع أثرها وإن تأخر 5
ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرغبة والإقلاع عنها. 50
يوثق وثاقه أحد حذروا وأبعدوا عن كل سبب يوجب لهم العقاب، فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائما بين الخوف والرجاء، والرغبة والرغبة، فإذا نظر إلى رحمة
هو العذاب الأليم أي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه نعوذ به من عذابه، فإنهم إذا عرفوا أنه لا يعذب عذابه أحد ولا
ومع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال، فنبههم وأن عذابي

ما يوجب لهم العبرة والاعتداء بهم، خصوصا إبراهيم الخليل، الذي أمرنا الله أن نتبع ملته، وضيئه هم الملائكة الكرام أكرمهم الله بأن جعلهم أضيافه. 51
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ونبئهم عن ضيف إبراهيم أي: عن تلك القصة العجيبة فإن في قصصك عليهم أنباء الرسل وما جرى لهم
ضيؤفا ذهب مسرعا إلى بيته فأحضر لهم ضيافتهم، عجلا حنيذا فقدمه إليهم، فلما رأى أيديهم لا تصل، إليه خاف منهم أن يكونوا لصوصا أو نحوهم. 52
إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما أي: سلموا عليه فرد عليهم قال إنا منكم وجلون أي: خائفون، لأنه لما دخلوا عليه وحسبهم

إسحاق عليه الصلاة والسلام، تضمنت هذه البشارة بأنه ذكر لا أنثى عليم أي: كثير العلم، وفي الآية الأخرى وبشرنا بإسحاق نبيا من الصالحين 53
ف قالوا له: لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم وهو

هذه البشارة: أبشركموني بالولد على أن مسني الكبر وصار نوع إياس منه فبم تبشرون أي: على أي وجه تبشرون وقد عدت الأسباب؟ 54

فقال لهم متعجباً من

سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئاً كثيراً، ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم. 55 فأجابهم إبراهيم بقوله: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا عليكم فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم. فلا تكن من القانطين الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزال راجياً لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، تفسير الآيتين 55 و 56 :- قالوا بشرناك بالحق الذي لا شك فيه لأن الله على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص يا أهل هذا البيت رحمة الله وبركاته سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئاً كثيراً، ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم. 56 فأجابهم إبراهيم بقوله: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا عليكم فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم. فلا تكن من القانطين الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزال راجياً لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، تفسير الآيتين 55 و 56 :- قالوا بشرناك بالحق الذي لا شك فيه لأن الله على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص يا أهل هذا البيت رحمة الله وبركاته

أي: قال الخليل عليه السلام للملائكة: فما خطبكم أيها المرسلون أي: ما شأنكم ولأي شيء أرسلتم؟ 57

قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين أي: كثر فسادهم وعظم شرهم، لنعذبهم ونعاقبهم 58

إبراهيم يجادل الرسل في إهلاكهم ويراجعهم، فقيل له: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود فذهبوا منه. 59 و 60 :- إلا آل لوط أي: إلا لوطاً وأهله إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين أي: الباقين بالعذاب، وأما لوط فسنخرجنه وأهله وننجيهم منها، فجعل

تفسير الآيتين

وسلم استهزاء وسخرية: يا أيها الذي نزل عليه الذكر على زعمك إنك لمجنون إذ تظن أنا سنتبعك ونترك ما وجدنا عليه آباءنا لمجرد قولك. 6

أي: وقال المكذبون لمحمد صلى الله عليه

إبراهيم يجادل الرسل في إهلاكهم ويراجعهم، فقيل له: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود فذهبوا منه. 60 و 59 :- إلا آل لوط أي: إلا لوطاً وأهله إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين أي: الباقين بالعذاب، وأما لوط فسنخرجنه وأهله وننجيهم منها، فجعل

تفسير الآيتين

تفسير الآيتين 61 و 62 :- فلما جاء آل لوط المرسلون قال لهم لوط إنكم قوم منكرون أي: لا أعرفكم ولا أدري من أنتم. 61

تفسير الآيتين 61 و 62 :- فلما جاء آل لوط المرسلون قال لهم لوط إنكم قوم منكرون أي: لا أعرفكم ولا أدري من أنتم. 62

قالوا بل جنناك بما كانوا فيه يمترون أي: جنناك بعدابهم الذي كانوا يشكون فيه ويكذبونك حين تعدهم به 63

وأتيناك بالحق الذي ليس بالهزل وإنا لصادقون فيما قلنا لك. 64

العيون ولا يدري أحد عن مسراك، ولا يلتفت منكم أحد أي: بادروا وأسرعوا، وامضوا حيث تؤمرون كأن معهم دليلاً يدلهم إلى أين يتوجهون 65 فأسر بأهلك بقطع من الليل أي: في أثنائه حين تنام

وقضينا إليه ذلك أي: أخبرناه خبراً لا مثنوية فيه، أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين أي: سيصبحهم العذاب الذي يجتاحهم ويستأصلهم 66

حتى وصلوا إلى بيت لوط فجعلوا يعالجون لوطاً على أضيافه، ولوط يستعيز منهم ويقول: إن هؤلاء ضيغي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون 67 التي فيها قوم لوط يستبشرون أي: يبشر بعضهم بعضاً بأضياف لوط وصباحة وجوههم واقتدارهم عليهم، وذلك لقصددهم فعل الفاحشة فيهم، فجاءوا وجاء أهل المدينة أي: المدينة

تفضحون واتقوا الله ولا تخزون أي: راقبوا الله أول ذلك وإن كان ليس فيكم خوف من الله فلا تفضحون في أضيافي، وتنتهكوا منهم الأمر الشنيع. 68

تفسير الآيتين 68 و 69 :- إن هؤلاء ضيغي فلا

تفضحون واتقوا الله ولا تخزون أي: راقبوا الله أول ذلك وإن كان ليس فيكم خوف من الله فلا تفضحون في أضيافي، وتنتهكوا منهم الأمر الشنيع. 69

تفسير الآيتين 68 و 69 :- إن هؤلاء ضيغي فلا

فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم، فليس في إنزال الملائكة، خير لهم بل لا ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقذ له. 7 فإن هذا تجرؤ على الله وتعنّت بتعيين الآيات التي لم يخترها وحصل المقصود والبرهان بدونها من الآيات الكثيرة الدالة على صحة ما جاء به، وأما الجهل، بالملائكة يشهدون لك بصحة ما جنت به إن كنت من الصادقين فلما لم تأت بالملائكة فلسنت بصادق، وهذا من أعظم الظلم والجهل. أما الظلم فظاهر لو ما تأتينا

ف قالوا له جواباً عن قوله ولا تخزون فقط: أولم نهك عن العالمين أن تضيفهم فنحن قد أنذرناك، ومن أنذر فقد أعذر 70

تفسير السعدي

- لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون وهذه السكره هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يباليون معها بعذل ولا لوم. 71
تفسير الآيتين 71 و 72 :- ف قال لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه: هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين فلم يباليوا بقوله ولهذا قال الله
- لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون وهذه السكره هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يباليون معها بعذل ولا لوم. 72
تفسير الآيتين 71 و 72 :- ف قال لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه: هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين فلم يباليوا بقوله ولهذا قال الله
- فامتثل أمر ربه وسرى بأهله ليلا فنجوا، وأما أهل القرية فأخذتهم الصيحة مشرقين أي: وقت شروق الشمس حين كانت العقوبة عليهم أشد 73
فلما بينت له الرسل حالهم، زال عن لوط ما كان يجده من الضيق والكرب،
- فجعلنا عاليها سافلها أي: قلبنا عليهم مدينتهم، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل تتبع فيها من شذ من البلد منهم. 74
- ما أريد بذلك، من أن من تجرأ على معاصي الله، خصوصا هذه الفاحشة العظيمة، وأن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرأوا على أشنع السيئات. 75
إن في ذلك لآيات للمتوسمين أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكر وروية وفراصة، يفهمون بها
- وإنها أي: مدينة قوم لوط لبسبيل مقيم للسالكين، يعرفه كل من تردد في تلك الديار 76
- الصبح أليس الصبح بقریب ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه. 77
كانوا أهل وطنه، فربما أخذته الرقة عليهم والرافة بهم قدر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: إن موعدهم
- عليه السلام كي يبشروه بالولد ويخبروه بما بعثوا له، حتى إنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه. وكذلك لوط عليه السلام، لما
- إبراهيم، فإن لوطا عليه السلام من أتباعه، وممن آمن به فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر رسله أن يمروا على إبراهيم
- إن في ذلك لآية للمؤمنين وفي هذه القصة من العبر: عنايته تعالى بخليعه
- وأصحاب الأيكة لبإمام مبین أي: لطريق واضح يمر بهم المسافرون كل وقت، فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار فيعتبر بذلك أولوا الألباب. 78
حق الخالق، وفي حق الخلق، ولهذا وصفهم هنا بالظلم، فانتقمنا منهم فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. وإنهما أي: ديار قوم لوط
- بها بل جاءهم نبيهم شعيب، فدعاهم إلى التوحيد، وترك ظلم الناس في المكاييل والموازين، وعاجلهم على ذلك على أشد المعالجة فاستمروا على ظلمهم في
- تفسير الآيتين 78 و 79 :- وهؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا
- وأصحاب الأيكة لبإمام مبین أي: لطريق واضح يمر بهم المسافرون كل وقت، فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار فيعتبر بذلك أولوا الألباب. 79
حق الخالق، وفي حق الخلق، ولهذا وصفهم هنا بالظلم، فانتقمنا منهم فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. وإنهما أي: ديار قوم لوط
- بها بل جاءهم نبيهم شعيب، فدعاهم إلى التوحيد، وترك ظلم الناس في المكاييل والموازين، وعاجلهم على ذلك على أشد المعالجة فاستمروا على ظلمهم في
- تفسير الآيتين 78 و 79 :- وهؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا
- عليهم كل شيء قبالا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ويكفيهم من الآيات إن كانوا صادقين، هذا القرآن العظيم ولهذا قال هنا: 8
فصار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلا لأنفسهم بالهلاك والدمار، فإن الإيمان ليس في أيديهم وإنما هو بيد الله، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
- الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقده له. وما كانوا إذا أي: حين تنزل الملائكة، إن لم يؤمنوا، ولن يؤمنوا بـ منظرين أي: بمهملين،
- لا ينزل الله
- ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل، لاتفاق دعوتهم، وليس تكذيب بعضهم لشخصه بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به 80
يخبر تعالى عن أهل الحجر، وهم قوم صالح الذين كانوا يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز، أنهم كذبوا المرسلين أي: كذبوا صالحا،
- على صحة ما جاءهم به صالح من الحق التي من جملتها: تلك الناقة التي هي من آيات الله العظيمة. فكانوا عنها معرضين كبرا وتجبوا على الله 81
وآتيناهم آياتنا الدالة
- بأنواع من الثواب العاجل والآجل، ولكنهم لما كذبوا وعقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين 82
ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من المخاوف مطمئنين في ديارهم، فلو شكروا النعمة وصدقوا نبيهم صالحا عليه السلام لأدر الله عليهم الأرزاق، ولأكرمهم
- وكانوا من كثرة إنعام الله عليهم
- فأخذتهم الصيحة مصبحين فتقطعت قلوبهم في أجوافهم وأصبحوا في دارهم جائمين هلكى، مع ما يتبع ذلك من الخزي واللعنة المستمرة 83
فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون لأن أمر الله إذا جاء لا يردده كثرة جنود، ولا قوة أنصار ولا غزارة أموال. 84
- بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى. 85
ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا. وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس
- وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتثال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد

تفسير السعدي

وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، وإن الساعة لآتية لا ريب فيها لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فاصفح الصفح الجميل يظن ذلك أعداء الله، بل ما خلقناها إلا بالحق الذي منه أن يكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما، واقتداره، وسعة رحمته وحكمته، وعلمه المحيط، أي: ما خلقناها عبثا وباطلا كما

إن ربك هو الخلاق لكل مخلوق العليم بكل شيء، فلا يعجزه أحد من جميع ما أحاط به علمه وجرى عليه خلقه، وذلك سائر الموجودات. 86
كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون 87
فيها. وعلى القول بأن الفاتحة هي السبع المثاني معناها: أنها سبع آيات، تننى في كل ركعة، وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني آيات، فيكون عطف القرآن العظيم على ذلك من باب عطف العام على الخاص، لكثرة ما في المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب، والأحكام الجلية، وتثنيها آل عمران و النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف و الأنفال مع التوبة أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع يقول تعالى ممتنا على رسوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهن على الصحيح السور السبع الطوال: البقرة و

فلك في المؤمنين عنهم أحسن البديل وأفضل العوض، واخفض جناحك للمؤمنين أي: ألن لهم جانبك، وحسن لهم خلقك، محبة وإكراما وتوددا 88
التي تمتع بها المترفون، واغتر بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، ولا تحزن عليهم فإنهم لا خير فيهم يرجى، ولا نفع يرتقب، لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم أي: لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا

وأداء الرسالة والتبليغ للقریب والبعيد والعدو والصديق، فإنك إذا فعلت ذلك فليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء. 89
وقل إني أنا النذير المبين أي: قم بما عليك من النذارة

يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يحتاجهم. 9
فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من له لحافظون أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه إنا نحن نزلنا الذكر أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، وإنا

وقوله: كما أنزلنا على المقتسمين أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به، الساعين لصد الناس عن سبيل الله. 90

سحر ومنهم من يقول: كهانة ومنهم من يقول: مفتري إلى غير ذلك من أقوال الكفرة المكذبين به، الذين جعلوا قذحهم فيه ليصدوا الناس عن الهدى. 91
الذين جعلوا القرآن عضين أي: أصنافا وأعضاء وأجزاء، يصرفونه بحسب ما يهوونه، فمنهم من يقول:

لنسألنهم أجمعين أي: جميع من قدح فيه وعابه وحرفه وبدله عما كانوا يعملون وفي هذا أعظم تهريب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا عليه 92
تفسير الآيتين 92 و93 :- فوريك

لنسألنهم أجمعين أي: جميع من قدح فيه وعابه وحرفه وبدله عما كانوا يعملون وفي هذا أعظم تهريب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا عليه 93
تفسير الآيتين 92 و93 :- فوريك

لكل أحد ولا يعوقه عن أمره عائق ولا تصده أقوال المتهوكين، وأعرض عن المشركين أي: لا تبال بهم واترك مشائهم ومسابتهم مقبلا على شأنك 94
ثم أمر الله رسوله أن لا يبالي بهم ولا بغيرهم وأن يصدع بما أمر الله ويعلن بذلك

بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة. 95
إنا كفيناك المستهزين بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزون، وأن يكفيه الله إياهم

يا رسول الله، فإنهم أيضا يؤذون الله ويجعلون معه إلها آخر وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم فسوف يعلمون غب أفعالهم إذا وردوا القيامة 96
ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك

صدرك بما يقولون لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استنصالحهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يمهلهم. 97
ولقد نعلم أنك يضيق

فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك. 98
فأنت يا محمد

فامتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فلم يزل دأبا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. تم تفسير سورة الحجر 99
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات،

سورة 16

- الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحت وتجاهد من حاربها وقام بضدها 1 دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة التي هي صفات الكمال فقال: ينزل الملائكة بالروح من أمره أي: بالوحي الذي به حياة الأرواح على من يشاء من عباده ممن يعلمه صالحا، لتحمل رسالته. وزبدة مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ولما نزه نفسه عما وصفه به أعداؤه ذكر الوحي الذي ينزله على أنبيائه، مما يجب اتباعه في ذكر ما ينسب لله، من صفات فإنه آت، وما هو آت، فإنه قريب، سبحانه وتعالى عما يشركون من نسبة الشريك والولد والصاحبة والكفاء وغير ذلك مما نسبه إليه المشركون تفسير الآيتين 1 و 2: يقول تعالى مقربا لما وعد به محققا لوقوعه أتى أمر الله فلا تستعجلوه
- الرقيق اللطيف ورحمته حيث جعل فيه ماء غزيرا منه يشربون وتشرب مواشيهم ويسقون منه حروثهم فتخرج لهم الثمرات الكثيرة والنعم الغزيرة. 10 تفسير الآيتين 10 و 11: بذلك على كمال قدرة الله الذي أنزل هذا الماء من السحاب ولاية الله، ودخولهم في طاعة الشيطان، وانضمامهم لحزبه، فهم الذين جعلوا له ولاية على أنفسهم، فأزهم إلى المعاصي أزا وقادهم إلى النار قودا. 100 إنما سلطانه أي: تسلطه على الذين يتولونه أي: يجعلونه لهم وليا، وذلك بتخليهم عن ولا بشرعه، ومن المعلوم أن قدح الجاهل بلا علم لا عبرة به، فإن القدح في الشيء فرع عن العلم به، وما يشتمل عليه مما يوجب المدح أو القدح. 101 ورحمته، فإذا رآه كذلك قدحوا في الرسول وبما جاء به و قالوا إنما أنت مفتر قال الله تعالى: بل أكثرهم لا يعلمون فهم جهال لا علم لهم بربهم يذكر تعالى أن المكذبين بهذا القرآن يتتبعون ما يرونه حجة لهم، وهو أن الله تعالى هو الحاكم الحكيم، الذي يشرع الأحكام، ويبدل حكما مكان آخر لحكمته ويتخلقوا بأخلاقه، ويستضيئوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات، فبذلك تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية. 102 به مبلغا عظيما، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم، وانتقلوا إلى أخلاق وعوائد وأعمال فاقوا بها الأولين والآخرين. وكان أعلى وأولى لمن بعدهم أن يتربوا بعلمه وتفرق الفكر فيه بل ينزل الله حكما وبشارة أكثر فإذا فهموه وعقلوه وعرفوا المراد منه وترووا منه أنزل نظيره وهكذا. ولذلك بلغ الصحابة رضي الله عنهم والهدى من الضلال، ويبشرهم أن لهم أجرا حسنا، ما كثر فيه أبدا. وأيضا فإنه كلما نزل شيئا فشيئا، كان أعظم هداية وبشارة لهم مما لو أتاهم جملة واحدة منه لهم وأن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية والمناسبة العقلية. وهدي وبشرى للمسلمين أي: يهديهم إلى حقائق الأشياء ويبين لهم لحق من الباطل حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي، وأيضا فإنهم يعلمون أنه الحق، وإذا شرع حكما من الأحكام ثم نسخه علموا أنه أبدله بما هو مثله أو خير أنه الحق علم أن ما عارضه وناقضه باطل. ليثبت الذين آمنوا عند نزول آياته وتواردها عليهم وقتا بعد وقت، فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئا فشيئا عيب وخيانة وآفة. بالحق أي: نزوله بالحق وهو مشتمل على الحق في أخباره وأوامره ونواهيته، فلا سبيل لأحد أن يقدر فيه قدحا صحيحا، لأنه إذا علم قل نزل روح القدس وهو جبريل الرسول المقدس المنزه عن كل
- أو له حظ من الاحتمال؟ ولكن الكاذب يكذب ولا يفكر فيما يؤول إليه كذبه، فيكون في قوله من التناقض والفساد ما يوجب رده بمجرد تصويره. 103 إنما يعلمه هذا الكتاب الذي جاء به بشر وذلك البشر الذي يشيرون إليه أعجمي اللسان وهذا القرآن لسان عربي مبين هل هذا القول ممكن؟ يخبر تعالى عن قبيح المشركين المكذبين لرسوله أنهم يقولون
- المبين فيردونها ولا يقبلونها، لا يهديهم الله حيث جاءهم الهدى فردوه فعوقبوا بحرمانه وخذلان الله لهم. ولهم في الآخرة عذاب أليم 104 إن الذين لا يؤمنون بآيات الله الدالة دلالة صريحة على الحق
- لربه فمحال أن يكذب على الله ويتقول عليه ما لم يقل، فأعداؤه رموه بالكذب الذي هو وصفهم، فأظهر الله خزيمهم وبين فضائهم، فله تعالى الحمد. 105 البيئات، وأولئك هم الكاذبون أي: الكذب منحصر فيهم وعليهم أولى بأن يطلق من غيرهم. وأما محمد صلى الله عليه وسلم المؤمن بآيات الله الخاضع إنما يفترى الكذب أي: إنما يصدر افتراه الكذب من الذين لا يؤمنون بآيات الله كالمعاندين لرسوله من بعد ما جاءتهم
- الشديد من الرب الرحيم الذي إذا غضب لم يقم لغضبه شيء وغضب عليهم كل شيء، ولهم عذاب عظيم أي: في غاية الشدة مع أنه دائم أبدا. 106 عن شناعة حال من كفر بالله من بعد إيمانه فعمى بعد ما أبصر ورجع إلى الضلال بعد ما اهتدى، وشرح صدره بالكفر راضيا به مطمئنا أن لهم الغضب يخبر تعالى
- إلى قلوبهم. فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها أتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها. 107 على الإيمان منعهم الله الهداية فلم يهدهم لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم ويصل بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة حيث ارتدوا على أدبارهم طمعا في شيء من حطام الدنيا، ورغبة فيه وزهدا في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر تفسير الآيتين 107 و 108: ذلك

تفسير السعدي

- إلى قلوبهم. فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها أتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها. 108
- على الإيمان منعهم الله الهداية فلم يهدهم لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم ويصل بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة حيث ارتدوا على أديبارهم طمعا في شيء من حطام الدنيا، ورغبة فيه وزهدا في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر تفسير الآيتين 107 و 108 :- و ذلك
- أو الشراء أو سائر العقود أنه لا عبرة به، ولا يترتب عليه حكم شرعي، لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر إذا أكره عليها فغيرها من باب أولى وأحرى. 109
- بالإيمان؛ راغب فيه فإنه لا حرج عليه ولا إثم، ويجوز له النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها. ودل ذلك على أن كلام المكروه على الطلاق أو العتاق أو البيع خسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم يوم القيامة وفاتهم النعيم المقيم وحصلوا على العذاب الأليم. وهذا بخلاف من أكره على الكفر وأجبر عليه، وقلبه مطمئن لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون الذين
- الريق اللطيف ورحمته حيث جعل فيه ماء غزيرا منه يشربون وتشرب مواشيهم ويسقون منه حروثهم فتخرج لهم الثمرات الكثيرة والنعم الغزيرة. 11
- تفسير الآيتين 10 و 11:- بذلك على كمال قدرة الله الذي أنزل هذا الماء من السحاب
- مغفرة الله للذنوب صغارها وكبارها المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه، ورحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم واستقامت أمور دينهم ودنياهم 110
- الله ليدخلهم في دين الله بلسانه ويده، وصبر على هذه العبادات الشاقة على أكثر الناس. فهذه أكبر الأسباب التي تنال بها أعظم العطايا وأفضل المواهب، وهي لمن هاجر في سبيله، وخلق دياره وأمواله طلبا لمرضاة الله، وفتن على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان، وتخلص ما معه من اليقين، ثم جاهد أعداء أي: ثم إن ربك الذي ربي عباده المخلصين بلطفه وإحسانه لغفور رحيم
- من خير وشر وهم لا يظلمون فلا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون 111
- نفس تجادل عن نفسها كل يقول نفسي نفسي لا يهمه سوى نفسه، ففي ذلك اليوم يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرة من الخير. وتوفى كل نفس ما عملت في يوم القيامة حين تأتي كل
- الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 112
- أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنصرة العربية فحصل لها من الأمن تفسير الآيتين 112 و 113 :- وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة
- الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 113
- أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنصرة العربية فحصل لها من الأمن تفسير الآيتين 112 و 113 :- وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة
- بها بالقلب والثناء على الله بها وصرفها في طاعة الله. إن كنتم إياه تعبدون أي إن كنتم مخلصين له العبادة، فلا تشكروا إلا إياه، ولا تنسوا المنعم. 114
- بهذين الوصفين بحيث لا تكون مما حرم الله أو أثرا عن غصب ونحوه. فتمتعوا بما خلق الله لكم من غير إسراف ولا تعد. واشكروا نعمة الله بالاعتراف يأمر تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله من الحيوانات والحبوب والثمار وغيرها. حاللا طيبا أي: حالة كونها متصفة
- أي: إذا لم يرد أكل المحرم وهو غير مضطر، ولا متعد الحلال إلى الحرام، أو متجاوز لما زاد على قدر الضرورة، فهذا الذي حرمه الله من المباحات. 115
- لأنه مقصود به الشرك. فمن اضطر إلى شيء من المحرمات بأن حملته الضرورة وخاف إن لم يأكل أن يهلك فلا جناح عليه إذا لم يكن باغيا أو عاديا، واللحم فلا يضر. ولحم الخنزير لقذارته وخبثه وذلك شامل للحمة وشحمه وجميع أجزائه. وما أهل لغير الله به كالذي يذبح للأصنام والقبور ونحوها ك الميتة ويدخل في ذلك كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة، ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسماك. والدّم المسفوح وأما ما يبقى في العروق إنما حرم عليكم الأشياء المضرة تنزيها لكم، وذلك:
- لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيبهم وإن تمتعوا في الدنيا فإنه متاع قليل ومصيرهم إلى النار ولهم عذاب أليم 116
- حرام أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبا وافتراء على الله وتقولوا عليه. لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
- تفسير الآيتين 116 و 117 :- ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا
- لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيبهم وإن تمتعوا في الدنيا فإنه متاع قليل ومصيرهم إلى النار ولهم عذاب أليم 117
- حرام أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبا وافتراء على الله وتقولوا عليه. لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

تفسير السعدي

تفسير الآيتين 116 و 117 :- ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا

كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمننا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون 118
كل مستقذر. وأما الذين هادوا فحرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم عقوبة لهم، كما قصه في سورة الأنعام في قوله: وعلى الذين هادوا حرمننا
فأله تعالى ما حرم علينا إلا الخبثات تفضلا منه، وصيانة عن

الذنب. فإذا تاب وأصلح بأن ترك الذنب وندم عليه وأصلح أعماله، فإن الله يغفر له ويرحمه ويتقبل توبته ويعيده إلى حالته الأولى أو أعلى منها. 119
ودعوة لهم إلى الإنابة، فأخبر أن من عمل سوءا بجهالة بعاقبة ما تجني عليه، ولو كان متعمدا للذنب، فإنه لا بد أن ينقص ما في قلبه من العلم وقت مفارقة
وهذا حض منه لعباده على التوبة،

يستعملونها في التدبر والتفكير فيما هي مهياة له مستعدة تعقل ما تراه وتسمعه، لا كنظر الغافلين الذين حظهم من النظر حظ البهائم التي لا عقل لها. 120
البر والبحر، ومعرفة الأوقات وحساب الأزمنة ما تتنوع دلالاتها وتتصرف آياتها، ولهذا جمعها في قوله إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي: لمن لهم عقول
الضارة للأرض، وللأبدان، وغير ذلك من الضروريات والحاجيات التابعة لوجود الشمس والقمر، وفيهما وفي النجوم من الزينة للسماء والهداية في ظلمات
في معاشكم ومنافع دينكم ودنياكم، وبالشمس والقمر من الضياء والنور والإشراق، وإصلاح الأشجار والثمار والنبات، وتجفيف الرطوبات، وإزالة البرودة
أي: سخر لكم هذه الأشياء لمنافعكم وأنواع مصالحكم بحيث لا تستغفون عنها أبدا، فبالليل تسكنون وتنامون وتستريحون، وبالنهار تنتشرون
مقبلا على الله بالمحبة، والإنابة والعبودية معرضا عن سواه. ولم يك من المشركين في قوله وعمله، وجميع أحواله لأنه إمام الموحدين الحنفاء. 120
والمناقب الكاملة فقال: إن إبراهيم كان أمة أي: إماما جامعاً لخصال الخير هاديا مهتديا. قانتا لله أي: مديما لطاعة ربه مخلصا له الدين، حنيفا
يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وخصه به من الفضائل العالية

ربه واختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين. وهذه إلى صراط مستقيم في علمه وعمله فعلمه بالحق وأثره على غيره. 121
شاكرا لأنعمه أي: آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها، فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن اجتنابه
واسعا، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقا مرضية وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم المنازل العالية والقرب العظيم من الله تعالى. 122
وآتيناه في الدنيا حسنة رزقا

ومن أعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق وأكملهم أن يتبع ملة إبراهيم، ويقتدي به هو وأمتة. 123

هذه الأمة إليه. وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيبين لهم المحق من المبطل والمستحق للثواب ممن استحق العقاب 124
ضلوا عن يوم الجمعة وهم اليهود فصار اختلافهم سببا لأن يجب عليهم في السبت احترامه وتعظيمه، وإلا فالفضيلة الحقيقية ليوم الجمعة الذي هدى الله
يقول تعالى: إنما جعل السبت أي: فرضا على الذين اختلفوا فيه حين

إلى الضلال، وعلم أعماله المترتبة على ضلالته وسببها عليه. وهو أعلم بالمهتدين علم أنهم يصلحون للهداية فهداهم ثم من عليهم فاجتباهم. 125
ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها. وقوله: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله علم السبب الذي أداه
عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها،
العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتالي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته
وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقيم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب
فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار
ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبذاءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا
للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بالحكمة أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.
أي: ليكن دعاؤك

وعفوتهم عن جرمهم لهو خير للصابرين من الاستيفاء وما عند الله خير لكم وأحسن عاقبة كما قال تعالى: فمن عفا وأصلح فأجره على الله 126
وإن عاقبتهم من أساء إليكم بالقول والفعل فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم. ولئن صبرتم عن المعاقبة
يقول تعالى مبيناً للعدل ونادبا للفضل والإحسان

فإن الحزن لا يجدي عليك شيئا. ولا تك في ضيق أي: شدة ورج مما يمكرون فإن مكرهم عائد إليهم وأنت من المتقين المحسنين. 127
ذلك وعدم الاتكال على النفس فقال: واصبر وما صبرك إلا بالله هو الذي يعينك عليه ويثبتك. ولا تحزن عليهم إذا دعوتهم فلم تر منهم قبولا لدعوتك،
ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله والاستعانة بالله على

يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه. نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المحسنين. تم تفسير سورة النحل والحمد لله. 128

تفسير السعدي

والله مع المتقين المحسنين، بعونه وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله كأنهم يرونه فإن لم يكونوا لقوم يذكرون أي: يستحضرون في ذاكرتهم ما ينفعهم من العلم النافع، ويتأملون ما دعاهم الله إلى التأمل فيه حتى يتذكروا بذلك ما هو دليل عليه. 13 ونبات، وغير ذلك، مما تختلف ألوانه، وتختلف منافعه، آية على كمال قدرة الله وعميم إحسانه، وسعة بره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، أي: فيما ذرأ الله ونشر للعباد من كل ما على وجه الأرض، من حيوان وأشجار

حيث أعطى العباد من مصالحهم ومنافعهم فوق ما يطلبون، وأعلى ما يتمنون، وآتاهم من كل ما سألوه، لا نحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه. 14 يطلبون بها الأرزاق وفضل الله عليهم. ولعلكم تشكرون الذي يسر لكم هذه الأشياء وهياها وتنتون على الله الذي من بها، فله تعالى الحمد والشكر والثناء، والمراكب مواخر فيه أي: تمخر في البحر العجاج الهائل بمقدمها حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي لحما طريا وهو السمك والحوث الذي يصطادونه منه، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها فتزيدكم جمالا وحسنا إلى حسنكم، وترى الفلك أي: السفن أي: هو وحده لا شريك له الذي سخر البحر وهياها لمنافعكم المتنوعة. لتأكلوا منه

الديار المتناثية لعلكم تهتدون السبيل إليها حتى إنك تجد أرضا مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها وقد جعل الله فيما بينها منافذ ومسالك للسالكين. 15 بحفرها، حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخر الله لهم من الدوالي والآلات ونحوها، ومن رحمته أن جعل في الأرض سبلا، أي: طرقا توصل إلى أن جعل فيها أنهارا، يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وحروثهم، أنهارا على وجه الأرض، وأنهارا في بطنها يستخرجونها لأجل عباده في الأرض رواسي وهي: الجبال العظام لئلا تميد بهم وتضطرب بالخلق فيتمكنون من حرث الأرض والبناء والسير عليها، ومن رحمته تعالى تفسير الآيتين 15 و 16 :- أي: وألقى الله تعالى

الديار المتناثية لعلكم تهتدون السبيل إليها حتى إنك تجد أرضا مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها وقد جعل الله فيما بينها منافذ ومسالك للسالكين. 16 بحفرها، حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخر الله لهم من الدوالي والآلات ونحوها، ومن رحمته أن جعل في الأرض سبلا، أي: طرقا توصل إلى أن جعل فيها أنهارا، يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وحروثهم، أنهارا على وجه الأرض، وأنهارا في بطنها يستخرجونها لأجل عباده في الأرض رواسي وهي: الجبال العظام لئلا تميد بهم وتضطرب بالخلق فيتمكنون من حرث الأرض والبناء والسير عليها، ومن رحمته تعالى تفسير الآيتين 15 و 16 :- أي: وألقى الله تعالى

ولا كثيرا، أفلا تذكرون فتعرفون أن المنفرد بالخلق أحق بالعبادة كلها، فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره فإنه واحد في إلهيته وتوحيده وعبادته. 17 به من النعم العظيمة ذكر أنه لا يشبهه أحد ولا كفه له ولا ند له فقال: أفمن يخلق جميع المخلوقات وهو الفعال لما يريد كمن لا يخلق شيئا لا قليلا لما ذكر تعالى ما خلقه من المخلوقات العظيمة، وما أنعم

يعرف العباد، ومما لا يعرفون وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى، إن الله لغفور رحيم يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير. 18 عددا مجردا عن الشكر لا تحصىها فضلا عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما وكما أنه ليس له مشارك إذ أنشأكم وأنشأ غيركم، فلا تجعلوا له أندادا في عبادته بل أخلصوا له الدين، وإن تعدوا نعمة الله

من عبد من دونه، فإنهم لا يخلقون شيئا قليلا ولا كثيرا وهم يخلقون فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى؟ 19 تفسير الآيتين 19 و 20 :- وكما أن رحمته واسعة وجوده عميم ومغفرته شاملة للعباد فعلمه محيط بهم، يعلم ما تسرون وما تعلنون بخلاف الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحت وتجاهد من حاربها وقام بضدها 2 دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أي: على معرفة الله تعالى وتوحيده في صفات العظمة التي هي صفات الكمال فقال: ينزل الملائكة بالروح من أمره أي: بالوحي الذي به حياة الأرواح على من يشاء من عباده ممن يعلمه صالحا، لتحمل رسالته. وزبدة مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ولما نزه نفسه عما وصفه به أعداؤه ذكر الوحي الذي ينزله على أنبيائه، مما يجب اتباعه في ذكر ما ينسب لله، من صفات فإنه آت، وما هو آت، فإنه قريب، سبحانه وتعالى عما يشركون من نسبة الشريك والولد وال صاحبة والكفاء وغير ذلك مما نسب إليه المشركون تفسير الآيتين 1 و 2 :- يقول تعالى مقربا لما وعد به محققا لوقوعه أتى أمر الله فلا تستعجلوه

من عبد من دونه، فإنهم لا يخلقون شيئا قليلا ولا كثيرا وهم يخلقون فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى؟ 20 تفسير الآيتين 19 و 20 :- وكما أن رحمته واسعة وجوده عميم ومغفرته شاملة للعباد فعلمه محيط بهم، يعلم ما تسرون وما تعلنون بخلاف والقدرة العامة والرحمة الواسعة التي ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة، التي لا يقدر أحد من الخلق أن يحيط ببعض أوصافه 21 أوصاف كمال، ولا شيء من الأفعال، وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فله العلم المحيط بكل الأشياء هذه آلهة من دون رب العالمين، فتبا لعقول المشركين ما أضلها وأفسدها، حيث ضلت في أظهر الأشياء فسادا، وسووا بين الناقص من جميع الوجوه فلا ومع هذا ليس فيهم من أوصاف الكمال شيء لا علم، ولا غيره أموات غير أحياء فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا، أفنتخذ

تفسير السعدي

- لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لهذا الأمر العظيم الذي لا ينكره إلا أعظم الخلق جهلا وعنادا وهو: توحيد الله وهم مستكبرون عن عبادته. 22
وصرفوا له كل ما استطاعوا من القربات البدنية والمالية، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، وأثنوا عليه بأسمائه الحسنى وصفاته وأفعاله المقدسة، فالذين إلهكم إله واحد وهو الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفوا أحد. فأهل الإيمان والعقول أجلته قلوبهم وعظمته، وأحبته حبا عظيما،
إنه لا يحب المستكبرين بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم من جنس عملهم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين 23
لا جرم أي: حقا لا بد أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من الأعمال القبيحة
اختلقه محمد على الله، وما هو إلا قصص الأولين التي يتناقلها الناس جيلا بعد جيل، منها الصدق ومنها الكذب، فقالوا هذه المقالة، ودعوا أتباعهم إليها 24
به؟ وهل تشكرون هذه النعمة وتعتزفون بها أم تكفرون وتعادون؟ فيكون جوابهم أقبح جواب وأسماجه، فيقولون عنه: إنه أساطير الأولين أي: كذب
شدة تكذيب المشركين بآيات الله: وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم أي: إذا سألوهم عن القرآن والوحي الذي هو أكبر نعمة أنعم الله بها على العباد، فماذا قولكم
يقول تعالى مخبرا عن
يعلمون فكل مستقل بجرمه، لأنه عرف ما عرفوا ألا ساء ما يزرعون أي: بئس ما حملوا من الوزر المثقل لظهورهم، من وزرهم ووزر من أضلوه. 25
القيامة. وقوله: ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم أي: من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم إلا ما دعواهم إليه، فيحملون إثم ما دعواهم إليه، وأما الذين وحملوا وزرهم ووزر من انقاد لهم إلى يوم
وذلك أنهم ظنوا أن هذا البنيان سينفعهم ويسيئهم العذاب فصار عذابهم فيما بنوه وأصلوه. وهذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه. 26
من القواعد أي: جاءها الأمر من أساسها وقاعدتها، فخر عليهم السقف من فوقهم فصار ما بنوه عذابا عذبوا به، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
قد مكر الذين من قبلهم برسلمهم واحتالوا بأنواع الحيل على رد ما جاءوهم به وبنوا من مكرهم قصورا هائلة، فأثنى الله بنيانهم
العلم، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارا عند الله وعند خلقه، ثم ذكر ما يفعل بهم عند الوفاة وفي القيامة 27
قال الذين أوتوا العلم أي: العلماء الربانيون إن الخزي اليوم أي: يوم القيامة والسوء أي: العذاب على الكافرين وفي هذا فضيلة أهل
أنهم شركاء لله، فإذا سألهم هذا السؤال لم يكن لهم جواب إلا الإقرار بضلالهم، والاعتراف بعنادهم فيقولون ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين
رءوس الخلائق ويبين لهم كذبهم وافتراءهم على الله. ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم أي: تحاربون وتعادون الله وحزبه لأجلهم وتزعمون
وذلك لأن مكرهم سيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله هذا في الدنيا وللعذاب الآخرة أخزى، ولهذا قال: ثم يوم القيامة يخزيهم أي: يفضحهم على
ويردون بها ما جاءت به الرسل، واحتالوا أيضا على إيقاع المكروه والضرر بالرسل ومن تبعهم، فصار مكرهم وبالا عليهم، فصار تدبيرهم فيه تدميرهم،
فإنهم فكروا وقدروا فيما جاءت به الرسل لما كذبوهم وجعلوا لهم أصولا وقواعد من الباطل يرجعون إليها،
ما كانوا عليه في الدنيا ظنا أنه ينفعهم، فإذا شهدت عليهم جوارحهم وتبين ما كانوا عليه أقروا واعترفوا، ولهذا لا يدخلون النار حتى يعترفوا بذنوبهم. 28
من سوء فيقال لهم: بلى كنتم تعملون السوء ف إن الله عليم بما كنتم تعملون فلا يفيدكم الجحود شيئا، وهذا في بعض مواقف القيامة ينكرون
يلقى الظلمة في ذلك المقام من أنواع العذاب والخزي والإهانة. فألقوا السلم أي: استسلموا وأنكروا ما كانوا يعبدونهم من دون الله وقالوا: ما كنا نعمل
الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم أي: تتوفاهم في هذه الحال التي كثر فيها ظلمهم وغيبهم وقد علم ما
وموضع السخط من الحي القيوم، لا يفتر عنهم من عذابها، ولا يرفع عنهم يوما من أليم عقابها، قد أعرض عنهم الرب الرحيم، وأذاقهم العذاب العظيم. 29
كل أهل عمل يدخلون من الباب اللائق بحالهم، فلبئس مثوى المتكبرين نار جهنم فإنها مثوى الحسرة والندم، ومنزل الشقاء والألم ومحل الهموم والغموم،
فدخلوا أبواب جهنم
أي: تنزه وتعاظم عن شركهم فإنه الإله حقا، الذي لا تنبغي العبادة والحب والذل إلا له تعالى، ولما ذكر خلق السماوات والأرض ذكر خلق ما فيهما. 3
خلقهما مسكنا لعباده الذين يعبدونه، بما يأمرهم به في الشرائع التي أنزلها على ألسنة رسله، ولهذا نزه نفسه عن شرك المشركين به فقال: تعالى عما يشركون
وفي آخرها متمماتها ومكملاتها، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وما له من نعوت الكمال ويعلموا أنه
هذه السورة تسمى سورة النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها،
هذه الدار وما فيها من أنواع اللذات والمشتهيات، فإن هذه نعيمها قليل محشو بالآفات منقطع، بخلاف نعيم الآخرة ولهذا قال: ولنعم دار المتقين 30
في عبادة الله تعالى، وأحسنوا إلى عباد الله فلم في هذه الدنيا حسنة رزق واسع، وعيشه هنية، وطمأنينة قلب، وأمن وسرور. ولدار الآخرة خير من
الله نعمة عظيمة، وخير عظيم امتن الله به على العباد، فقبلوا تلك النعمة، وتلقوها بالقبول والانقياد، وشكروا الله عليها، فعملوها وعملوا لها للذين أحسنوا
لما ذكر الله قبيل المكذبين بما أنزل الله، ذكر ما قاله المتقون، وأنهم اعترفوا وأقروا بأن ما أنزله
لسخط الله وعذابه بأداء ما أوجبه عليهم من الفروض والواجبات المتعلقة بالقلب والبدن واللسان من حقه وحق عباده، وترك ما نهاهم الله عنه. 31
لا نهاية لكرمه، ولا حد لجوده الذي ليس كمثله شيء في صفات ذاته، وصفات أفعاله وآثار تلك النعوت، وعظمة الملك والملكوت، كذلك يجزي الله المتقين
وسرور الأرواح، إلا وهو حاضر لديهم، ولهذا يعطي الله أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يذكرهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم. فتبارك الذي

تفسير السعدي

ما يشاءون أي: مهما تمنته أنفسهم وتعلقت به إرادتهم حصل لهم على أكمل الوجوه وأنمها، فلا يمكن أن يطلبوا نوعا من أنواع النعيم الذي فيه لذة القلوب جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها

لأمره، فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته عليهم لا بحولهم وقوتهم. 32 عليكم أي: التحية الكاملة حاصلة لكم والسلامة من كل آفة. وقد سلمتم من كل ما تكرهون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والانقياد وندس يتطرق إليهم ويخل في إيمانهم، فطابت قلوبهم بمعرفة الله ومحبه وألستهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه، يقولون سلام الذين تتوفاهم الملائكة مستمرين على تقواهم طيبين أي: طاهرين مطهرين من كل نقص

كانوا أنفسهم يظلمون فإنها مخلوقة لعبادة الله ليكون مآلها إلى كرامة الله فظلموها وتركوا ما خلقت له، وعرضوها للإهانة الدائمة والشقاء الملازم. 33 بهم فإنهم قد استحقوا وقوعه فيهم، كذلك فعل الذين من قبلهم كذبوا وكفروا، ثم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب. وما ظلمهم الله إذ عذبهم ولكن هل ينظر هؤلاء الذين جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا، وذكروا فلم يتذكروا، إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر ربك بالعذاب الذي سيحل يقول تعالى:

أي: نزل ما كانوا به يستهزئون فإنهم كانوا إذا أخبرتهم رسلهم بالعذاب استهزأوا به، وسخروا ممن أخبر به فحل بهم ذلك الأمر الذي سخروا منه. 34 فأصابهم سيئات ما عملوا أي: عقوبات أعمالهم وآثارها، وحاق بهم

يبقى لأحد على الله حجة، فإذا بلغتهم الرسل أمر ربهم ونهيه، واحتجوا عليهم بالقدر، فليس للرسل من الأمر شيء، وإنما حسابهم على الله عز وجل. 35 فجمعوا بين تكذيب الله وتكذيب رسله وتكذيب الأمور العقلية والحسية، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين أي: البين الظاهر الذي يصل إلى القلوب، ولا تصدر عنها أفعالهم. فاحتجواهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل، هذا وكل أحد يعلم بالحس قدرة الإنسان على كل فعل يريد من غير أن ينازعه منازع، إلا رد الحق الذي جاءت به الرسل، وإلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله. فإن الله أمرهم ونهاهم ومكنهم من القيام بما كلفهم وجعل لهم قوة ومشينة حجة باطلة، فإنها لو كانت حقا ما عاقب الله الذين من قبلهم حيث أشركوا به، فعاقبهم أشد العقاب. فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم، وليس قصدهم بذلك المشركون على شركهم بمشيئة الله، وأن الله لو شاء ما أشركوا، ولا حرموا شيئا من الأنعام التي أحلها كالبحيرة والوصيلة والحام ونحوها من دونه، وهذه أي: احتج

في الأرض بأبدانكم وقلوبكم فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فإنكم سترون من ذلك العجائب، فلا تجدون مكذبا إلا كان عاقبته الهلاك. 36 لدعوة الرسل وعدمها قسمين، فمنهم من هدى الله فاتبعوا المرسلين علما وعملا، ومنهم من حقت عليه الضلالة فاتبع سبيل الغي. فسيروا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فانقسمت الأمم بحسب استجابتها يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا،

جهدك في ذلك فإن الله لا يهدي من يضل ولو فعل كل سبب لم يهده إلا الله، وما لهم من ناصرين ينصرونهم من عذاب الله ويقونهم بأسه. 37 إن تحرص على هداهم وتبذل

ويجمعهم ليوم لا ريب فيه وعدا عليه حقا لا يخلفه ولا يغيره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ومن جهلهم العظيم إنكارهم للبعث والجزاء، 38 أي: حلفوا أيمانا مؤكدة مغلظة على تكذيب الله، وأن الله لا يبعث الأموات، ولا يقدر على إحيائهم بعد أن كانوا ترابا، قال تعالى مكذبا لهم: بلى سيبعثهم يخبر تعالى عن المشركين المكذبين لرسوله أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم

الحالات، وليس ذلك على الله بصعب، ولا شديد فإنه إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، من غير منازعة ولا امتناع، بل يكون على طبق ما أرادته وشاءه. 39 ربك، وحين يرون ما يعبدون حطبا لجهنم، وتكور الشمس والقمر وتتناثر النجوم، ويتضح لمن يعبدونها أنها عبيد مسخرات، وأنهن مفتقرات إلى الله في جميع ويوضحها. وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين حين يرون أعمالهم حسرات عليهم، وما نفعتهم آلهتهم التي يدعون مع الله من شيء لما جاء أمر تفسير الآيتين 39 و40 :- ليبين لهم الذي يختلفون فيه من المسائل الكبار والصغار، فيبين حقائقها

طور حتى صار عاقلا متكلما، ذا ذهن ورأي: يخاصم ويجادل، فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها. 4 ونسي خلقه الأول وما أنعم الله عليه به، من النعم فاستعان بها على معاصيه، ويحتمل أن المعنى: أن الله أنشأ الآدمي من نطفة، ثم لم يزل ينقله من طور، إلى بنعمة الغزيرة، حتى إذا استتم فخر بنفسه وأعجب بها فإذا هو خصيم مبين يحتمل أن المراد: فإذا هو خصيم لربه، يكفر به، ويجادل رسله، ويكذب بآياته. خلق الإنسان من نطفة لم يزل يدبرها ويرقيها وينميها حتى صارت بشرا تاما كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، قد غمره

الحالات، وليس ذلك على الله بصعب، ولا شديد فإنه إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، من غير منازعة ولا امتناع، بل يكون على طبق ما أرادته وشاءه. 40 ربك، وحين يرون ما يعبدون حطبا لجهنم، وتكور الشمس والقمر وتتناثر النجوم، ويتضح لمن يعبدونها أنها عبيد مسخرات، وأنهن مفتقرات إلى الله في جميع ويوضحها. وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين حين يرون أعمالهم حسرات عليهم، وما نفعتهم آلهتهم التي يدعون مع الله من شيء لما جاء أمر تفسير الآيتين 39 و40 :- ليبين لهم الذي يختلفون فيه من المسائل الكبار والصغار، فيبين حقائقها

تفسير السعدي

عظيم وقوله: لو كانوا يعلمون أي: لو كان لهم علم ويقين بما عند الله من الأجر والثواب لمن آمن به وهاجر في سبيله لم يتخلف عن ذلك أحد. 41 بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر الدنيا حسنة. ولأجر الآخرة الذي وعدهم الله على لسان رسوله أكبر من أجر الدنيا، كما قال تعالى: الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الرزق الواسع والعيش الهنيء، الذي رآه عيانا بعد ما هاجروا، وانتصروا على أعدائهم، وافتتحوا البلدان وغنموا منها الغنائم العظيمة، فتمولوا وآتاهم الله في من قومهم، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك، فتركوا الأوطان والخلان، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن، فذكر لهم ثوابين: ثوابا عاجلا في الدنيا من يخبر تعالى بفضل المؤمنين الممتحنين الذين هاجروا في الله أي: في سبيله وابتغاء مرضاته من بعد ما ظلموا بالأذية والمحنة

فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدا شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله. 42 الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن وعلى ربهم يتوكلون أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، ثم ذكر وصف أوليائه فقال: الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار

نزل إليهم وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، ولعلمهم يتفكرون فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه. 43 بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: وأنزلنا إليك الذكر أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، لتبين للناس ما وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال. وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعية، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، رجلا يوحى إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في وشككتهم هل بعث الله رجلا؟ فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر والبيانات فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا ما هو من فضله وإحسانه على العبيد من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم، فاسألوا أهل الذكر أي: الكتب السابقة إن كنتم لا تعلمون نبأ الأولين، وسلم: وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملائكة بل رجلا كامليين لا نساء. نوحى إليهم من الشرائع والأحكام تفسير الآيتين 43 و44 -: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

نزل إليهم وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، ولعلمهم يتفكرون فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه. 44 بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: وأنزلنا إليك الذكر أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، لتبين للناس ما وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال. وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعية، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، رجلا يوحى إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في وشككتهم هل بعث الله رجلا؟ فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر والبيانات فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا ما هو من فضله وإحسانه على العبيد من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم، فاسألوا أهل الذكر أي: الكتب السابقة إن كنتم لا تعلمون نبأ الأولين، وسلم: وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملائكة بل رجلا كامليين لا نساء. نوحى إليهم من الشرائع والأحكام تفسير الآيتين 43 و44 -: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العيم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه. 45 صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهّل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه تضرهم، ويعددهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فليستج المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه العاصين بالعقوبة، بل يمهّلهم ويعافيه ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أوليائه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي بباهلهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده. ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل بالعذاب على غرة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب تفسير الآيات من 45 حتى 47 -: بهذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم

رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العيم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه. 46 صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهّل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه تضرهم، ويعددهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فليستج المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه العاصين بالعقوبة، بل يمهّلهم ويعافيه ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أوليائه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي بباهلهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده. ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل بالعذاب على غرة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب

تفسير السعدي

تفسير الآيات من 45 حتى 47: بهذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم

رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العميم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه. 47 ساعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهّل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه تضرهم، ويعدمهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فليستج المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه العاصين بالعقوبة، بل يمهّلهم ويبعافهم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أوليائه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي ببالحم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده. ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل بالعذاب على غرة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب تفسير الآيات من 45 حتى 47: بهذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم

ساجدة لربها خاضعة لعظمته وجلاله، وهم داخرون أي: ذليلون تحت التسخير والتدبير والقهر، ما منهم أحد إلا وناصيته بيد الله وتديره عنده. 48 توحيد ربهم وعظمته وكماله، إلى ما خلق الله من شيء أي: إلى جميع مخلوقاته وكيف تتفياً أظلتها، عن اليمين وعن الشمال سجدا لله أي: كلها يقول تعالى: أولم يروا أي: الشاكون في

لا يستكبرون أي: عن عبادته على كثرتهم وعظمتهم وأخلاقهم وقوتهم كما قال تعالى: لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون 49 وما في الأرض من دابة من الحيوانات الناطقة والصامتة، والملائكة الكرام خصهم بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم ولهذا قال: وهم ولله يسجد ما في السماوات

دفع مما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب والفرش والبيوت. و لكم فيها منافع غير ذلك ومنها تأكلون 5 والأنعام خلقها لكم أي: لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم، من جملة منافعها العظيمة أن لكم فيها

مخلوق من مؤمن وكافر وبر وفاجر وحيوان ناطق وغيره، وسجود اختيار يختص بأوليائه وعباده المؤمنين من الملائكة وغيرهم من المخلوقات. 50 مهما أمرهم الله تعالى امتثلوا لأمره، طوعا واختيارا، وسجود المخلوقات لله تعالى قسما: سجود اضطرار ودلالة على ما له من صفات الكمال، وهذا عام لكل بكثرة الطاعة والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره. ويفعلون ما يؤمرون أي: يخافون ربهم من فوقهم لما مدحهم

ولهذا قال: فإياي فارهبون أي: خافوني وامتثلوا أمري، واجتنبوا نهبي من غير أن تشركوا بي شيئا من المخلوقات، فإنها كلها لله تعالى مملوكة. 51 إلهيته، وهو إنما هو إله واحد متوحد في الأوصاف العظيمة متفرد بالأفعال كلها. فكما أنه الواحد في ذاته وأسمائه ونعوته وأفعاله، فلتوحدوه في عبادته، يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ويستدل على ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية فقال: لا تتخذوا إلهين اثنين أي: تجعلون له شريكا في

لله وحده على الخلق أن يخلصوه لله وينصبغوا بعبوديته. أفعير الله تتقون من أهل الأرض أو أهل السماوات فإنهم لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا 52 وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أي: الدين والعبادة والذل في جميع الأوقات

ولكن كثيرا من الناس يظلمون أنفسهم، ويجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة فصاروا في حال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة 53 تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده. والإحسان وما بكم من نعمة ظاهرة وباطنة فمن الله لا أحد يشركه فيها، ثم إذا مسكم الضر من فقر ومرض وشدة فإليه تجأرون أي:

تفسير الآيتين 53 و 54: نواله المنفرد بالعطاء

ولكن كثيرا من الناس يظلمون أنفسهم، ويجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة فصاروا في حال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة 54 تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده. والإحسان وما بكم من نعمة ظاهرة وباطنة فمن الله لا أحد يشركه فيها، ثم إذا مسكم الضر من فقر ومرض وشدة فإليه تجأرون أي:

تفسير الآيتين 53 و 54: نواله المنفرد بالعطاء

بما آتيناهم أي: أعطيناهم حيث نجيناهم من الشدة، وخلصناهم من المشقة، فتمتعوا في دنياكم قليلا فسوف تعلمون عاقبة كفركم. 55 ليكفروا

منحوتة، كما قال تعالى: وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله 56 الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر نصيبا مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا به إلى أصنام يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله

لله البنات حيث قالوا عن الملائكة العباد المقربين: إنهم بنات الله ولهم ما يشتهون أي: لأنفسهم الذكور حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة 57

- الغم الذي أصابه وهو كظيم أي: كاظم على الحزن والأسف إذا بشر بأنثى، وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه ويتوارى منهم من سوء ما بشر به. 58 فكان أحدهم وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا من
- في التراب أي: يدفنها وهي حية وهو الواد الذي ذم الله به المشركين، ألا ساء ما يحكمون إذ وصفوا الله بما لا يليق بجلاله من نسبة الولد إليه. 59 ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التي بشر بها أي: يتركها من غير قتل على إهانة وذل أم يدسه
- ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، كما تتجملون بشبابكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك 60 ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون أي: في وقت راحتها وسكونها
- قهر جميع الأشياء وانقادت له المخلوقات بأسرها، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يأمر ولا يفعل، إلا ما يحمد عليه ويثنى على كماله فيه. 60 فالله أحق به، من غير أن يستلزم ذلك نقصا بوجه، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه، وهو التعظيم والإجلال والمحبة والإنابة والمعرفة. وهو العزيز الذي قال تعالى: للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أي: المثل الناقص والعيب التام، ولله المثل الأعلى وهو كل صفة كمال وكل كمال في الوجود
- اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها ويكرهونها، فكيف ينسبون لها الله تعالى؟! فبئس الحكم حكمهم. ولما كان هذا من أمثال السوء التي نسبها إليه أعداؤه المشركون، ثم لم يكفهم هذا حتى نسبوا له أردأ القسمين، وهو الإناث
- وهو يوم القيامة فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فليحذروا ما داموا في وقت الإمهال قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال فيه. 61 للمعصية وغيرهم، من أنواع الدواب والحيوانات فإن شؤم المعاصي يهلك به الحرث والنسل. ولكن يؤخرهم عن تعجيل العقوبة عليهم إلى أجل مسمى
- افتراه الظالمون عليه ذكر كمال حلمه وصبره فقال: ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم من غير زيادة ولا نقص، ما ترك عليها من دابة أي: لأهلك المباشرين لما ذكر تعالى ما
- أن لهم الحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، رد عليهم بقوله: لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون مقدمون إليها ماكتون فيها غير خارجين منها أبدا. 62 شركاء لهم فيما رزقهم الله فكيف يجعلون له شركاء من عباده؟ و هم مع هذه الإساءة العظيمة تصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى أي:
- الشرك بصرف شيء من العبادات إلى بعض المخلوقات التي هي عبيد لله، فكما أنهم يكرهون، ولا يرضون أن يكون عبيدهم وهم مخلوقون من جنسهم يخبر تعالى أن المشركين ويجعلون لله ما يكرهون من البنات، ومن الأوصاف القبيحة وهو
- لكم عدو بئس للظالمين بدلا ولهم عذاب أليم في الآخرة حيث تولوا عن ولاية الرحمن، ورضوا بولاية الشيطان فاستحقوا لذلك عذاب الهوان. 63 دعت إليه الرسل فهو بخلاف ذلك، فلما زين لهم الشيطان أعمالهم، صار وليهم في الدنيا، فأطاعوه واتبعوه وتولوه. أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم
- أمم من قبلك رسلا يدعونهم إلى التوحيد، فزين لهم الشيطان أعمالهم فكذبوا الرسل، وزعموا أن ما هم عليه، هو الحق المنجي من كل مكروه وأن ما بين تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه ليس هو أول رسول كذب فقال تعالى: تالله لقد أرسلنا إلى
- لكم عدو بئس للظالمين بدلا ولهم عذاب أليم في الآخرة حيث تولوا عن ولاية الرحمن، ورضوا بولاية الشيطان فاستحقوا لذلك عذاب الهوان. 64 دعت إليه الرسل فهو بخلاف ذلك، فلما زين لهم الشيطان أعمالهم، صار وليهم في الدنيا، فأطاعوه واتبعوه وتولوه. أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم
- أمم من قبلك رسلا يدعونهم إلى التوحيد، فزين لهم الشيطان أعمالهم فكذبوا الرسل، وزعموا أن ما هم عليه، هو الحق المنجي من كل مكروه وأن ما بين تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه ليس هو أول رسول كذب فقال تعالى: تالله لقد أرسلنا إلى
- وعلى أنه على كل شيء قدير، وأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات وأن الذي نشر هذا الإحسان لذو رحمة واسعة وجود عظيم. 65 عن الله مواعظه وتذكيره فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، لأنه المنعم بإنزال المطر وإنبات جميع أصناف النبات،
- إلهية لا أمور طبيعية. فأى شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح لبنا خالصا سائغا للشاربين؟ 66 حيث أسقامكم من بطونها المشتعلة على الفرث والدم، فأخرج من بين ذلك لبنا خالصا من الكدر سائغا للشاربين لذته ولأنه يسقي ويغذي، فهل هذه إلا قدرة
- أي: وإن لكم في الأنعام التي سخرها الله لمنافعكم لعبرة تستدلون بها على كمال قدرة الله وسعة إحسانه
- بالحطب، فصارت ثمرة لذيذة وفاكهة طيبة وعلى شمول رحمته حيث عم بها عباده ويسرها لهم وأنه الإله المعبود وحده حيث إنه المنفرد بذلك. 67 وأعاض عنها بالطيبات من الأنبذة، وأنواع الأشربة اللذيذة المباحة. إن في ذلك لآية لقوم يعقلون عن الله كمال اقتداره حيث أخرجها من أشجار شبيهة يأكله العباد طريا ونضيجا وحاضرا ومدخرا وطعاما وشرابا يتخذ من عصيرها ونبيذها، ومن السكر الذي كان حلالا قبل ذلك، ثم إن الله نسخ حل المسكرات، وجعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد، ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي
- فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعي سواه. 68 ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها،

تفسير السعدي

تفسير الآيتين 68 و69 :- في خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي،

فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتعام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعي سواه. 69
ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها،
تفسير الآيتين 68 و69 :- في خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي،

الشاسعة، إن ربكم لرءوف رحيم إذ سخر لكم ما تضطرون إليه وتحتاجونه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه وسعة جوده وبره. 7
إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ولكن الله ذللها لكم. فمنها ما تركبونه، ومنها ما تحملون عليه ما تشاءون من الأثقال إلى البلدان البعيدة والأقطار
وتحمل أثقالكم من الأحمال الثقيلة، بل وتحملكم أنتم

خلق كما قال تعالى: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير 70
ولهذا قال: لكيلا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير أي: قد أحاط علمه وقدرته بجميع الأشياء ومن ذلك ما ينقل به الآدمي من أطوار الخلقة، خلقا بعد
الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة والباطنة حتى العقل الذي هو جوهر الإنسان يزيد ضعفه حتى إنه ينسى ما كان يعلمه، ويصير عقله كعقل الطفل
تعالى أنه الذي خلق العباد ونقلهم في الخلقة، طورا بعد طور، ثم بعد أن يستكملوا آجالهم يتوفاهم، ومنهم من يعمره حتى يرد إلى أرذل العمر أي: أخسه
يخبر

هذا إلا من أعظم الظلم والجور لنعم الله؟ ولهذا قال: أفبنعمة الله يجحدون فلو أقروا بالنعمة ونسبوا إلى من أولاهها، لما أشركوا به أحدا. 71
فيه سواء ويرون هذا من الأمور الممتنعة، فكذلك من أشركتم بها مع الله، فإنها عبید ليس لها من الملك مثقال ذرة، فكيف تجعلونها شركاء لله تعالى؟! هل
لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم لا يملكون شيئا من الدنيا، فكما أن سادتهم الذين فضلهم الله عليهم بالرزق ليسوا برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم
توحيدهم وقبح الشرك به، يقول تعالى: كما أنكم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون إلا أنه تعالى فضل بعضكم على بعض في الرزق فجعل منكم أحرارا
وهذا من أدلة

وبنعمة الله هم يكفرون يجحدونها ويستعينون بها على معاصي الله والكفر به، هل هذا إلا من أعظم الظلم وأفجر الفجور وأسفه السفه؟ 72
من وجوده سوى العدم فلا تخلق ولا ترزق ولا تدبر من الأمر شيئا، وهذا عام لكل ما عبد من دون الله فإنها باطلة فكيف يتخذها المشركون من دون الله؟
التي لا يقدر العباد أن يحصوها. أفتبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون أي: أيؤمنون بالباطل الذي لم يكن شيئا مذكورا ثم أوجده الله وليس له
أولاداً تقر بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطيبات من جميع المأكول والمشرب، والنعم الظاهرة
يخبر تعالى عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم

لا يملكون ولا يقدر. فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله، وشبهوها بمالك الأرض والسموات الذي له الملك كله والحمد كله والقوة كلها؟ 73
ولا يملكون مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به، وهؤلاء
يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقا من السماوات والأرض، فلا ينزلون مطرا، ولا رزقا ولا ينبتون من نبات الأرض شيئا،
يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم

الأمثال المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون فعلينا أن لا نقول عليه بلا علم وأن نسمع ما ضربه العليم من الأمثال 74
فلا تضربوا لله

قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم سوى المشركون آلهتهم بالله؟ قال: بل أكثرهم لا يعلمون فلو علموا حقيقة العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم. 75
هو فقير من جميع الوجوه بالرب الخالق المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء؟ ولهذا حمد نفسه واختص بالحمد بأنواعه فقال: الحمد لله فكأنه
وذاك؟! لا يستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استواؤهما. فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة ولا استطاعة، بل
المال والدنيا شيئا، والثاني حر غني قد رزقه الله منه رزقا حسنا من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان، فهو ينفق منه سرا وجهرا، هل يستوي هذا
ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه، أحدهما عبد مملوك أي: رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من

الله وهو لا يقدر على شيء من مصالحه، فلولا قيام الله بها لم يستطع شيئا منها، ولا يكون كفوا وندا لمن لا يقول إلا الحق، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه. 76
كل وجه، فهل يستوي هذا ومن كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة، فكما أنهما لا يستويان فلا يستوي من عبد من دون
أبكم لا يسمع ولا ينطق ولا يقدر على شيء لا قليل ولا كثير وهو كل على مولاه أي: يخدمه مولاه، ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه فهو ناقص من
والمثل الثاني مثل رجلين أحدهما

قبورهم إلى يوم بعثهم ونشورهم وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال، إن الله على كل شيء قدير فلا يستغرب على قدرته الشاملة إحياءه للموتى. 77
والأسرار إلا هو، ومن ذلك علم الساعة فلا يدري أحد متى تأتي إلا الله، فإذا جاءت وتجلت لم تكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك فيقوم الناس من
أي: هو تعالى المنفرد بغياب السماوات والأرض، فلا يعلم الخفايا والبواطن

تفسير السعدي

لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة. 78
الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك
ثم إنه جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب
أي: هو المنفرد بهذه النعم حيث أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ولا تقدرون على شيء

الحركة وما قدرت به على ذلك، وذلك دليل على كمال حكمته وعلمه الواسع وعنايته الربانية بجميع مخلوقاته وكمال اقتداره، تبارك الله رب العالمين. 79
عليه، وأما غيرهم فإن نظرهم نظر لهو وغفلة، ووجه الآية فيها أن الله تعالى خلقها بخلقه تصلح للطيران، ثم سخر لها هذا الهواء اللطيف ثم أودع فيها من قوة
أي: لأنهم المنتفعون بآيات الله المتفكرون فيما جعلت آية

ويخلق ما لا تعلمون ولما ذكر تعالى الطريق الحسي، وأن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من الإبل وغيرها ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه 8
له نظيرا في قوله: فيهما من كل فاكهة زوجان فكذا هنا ذكر ما نعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن، وأجمل الباقي في قوله:
فيذكر أصلا جامعا يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون، كما ذكر نعيم الجنة وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره، كالنخل والأعناب والرمان، وأجمل ما لا نعرف
بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه،
ويخلق ما لا تعلمون مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصلحتهم، فإنه لم يذكرها
في الغالب للأكل، بل ينهى عن ذبحها لأجل الأكل خوفا من انقطاعها وإلا فقد ثبت في الصحيحين، أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في لحوم الخيل.
لتركبوها وزينة أي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب وتارة لأجل الجمال والزينة، ولم يذكر الأكل لأن البغال والحمير محرمة أكلها، والخيل لا تستعمل
والخيل والبغال والحمير سخرناها لكم

والفرش والألبسة والأجلة، وغير ذلك. ومتاعا إلى حين أي: تتمتعون بذلك في هذه الدنيا وتتفنون بها، فهذا مما سخر الله العباد لصنعتة وعمله. 80
وتقي متاعكم من المطر، وجعل لكم ومن أصوافها أي: الأنعام وأوبارها وأشعارها أثاثا وهذا شامل لكل ما يتخذ منها من الآتية والأوعية
من صوف وشعر ووبر. بيوتا تستخفونها أي: خفيفة الحمل تكون لكم في السفر والمنازل التي لا قصد لكم في استيطانها، فتقيكم من الحر والبرد والمطر،
منافعكم ومصلحتكم وفيها حفظ لأموالكم وحرمتكم وغير ذلك من الفوائد المشاهدة، وجعل لكم من جلود الأنعام إما من الجلد نفسه أو مما نبت عليه،
لكم من بيوتكم سكنا في الدور والقصور ونحوها تكنكم من الحر والبرد وتستتركم أنتم وأولادكم وأمتعتكم، وتتخذون فيها الغرف والبيوت التي هي لأنواع
يذكر تعالى عبادته نعمه، ويستدعي منهم شكرها والاعتراف بها فقال: والله جعل

في طاعة موليا ومسديها، فكثر النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى، ولكن أبى الظالمون إلا تمردا وعنادا. 81
عليكم من نعمه ما لا يدخل تحت الحصر لعلمكم إذا ذكرتم نعمة الله ورأيتموها غامرة لكم من كل وجه تسلمون لعظمته وتتقادون لأمره، وتصرفونها
ومنافع وسراويل تقيكم بأسكم أي: وثيابا تقيكم وقت البأس والحرب من السلاح، وذلك كالدرع والزرذ ونحوها، كذلك يتم نعمته عليكم حيث أسبغ
السورة أولها في أصول النعم وآخرها في مكملاتها ومتمماتها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله لكم فيها دفء
أي: مغارات تكنكم من الحر والبرد والأمطار والأعداء. وجعل لكم سراويل أي: ألبسة وثيابا تقيكم الحر. ولم يذكر الله البرد لأنه قد تقدم أن هذه
والله جعل لكم مما خلق أي: من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها، ظلالة وذلك كأظلة الأشجار والجبال والأكام ونحوها، وجعل لكم من الجبال أكنانا

لا خير فيهم، وما ينفعهم توالي الآيات، لفساد مشاعرهم وسوء قصودهم وسيرون جزاء الله لكل جبار عنيد كفور للنعم متمرد على الله وعلى رسله. 82
والإنذار والتحذير، فإذا أدبت ما عليك، فحسابهم على الله فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويجحدونها، وأكثرهم الكافرون
عن الله وعن طاعته بعد ما ذكروا بنعمه وآياته، فإنما عليك البلاغ المبين أي: ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير
تفسير الآيتين 82 و83 -: فإن تولوا

لا خير فيهم، وما ينفعهم توالي الآيات، لفساد مشاعرهم وسوء قصودهم وسيرون جزاء الله لكل جبار عنيد كفور للنعم متمرد على الله وعلى رسله. 83
والإنذار والتحذير، فإذا أدبت ما عليك، فحسابهم على الله فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويجحدونها، وأكثرهم الكافرون
عن الله وعن طاعته بعد ما ذكروا بنعمه وآياته، فإنما عليك البلاغ المبين أي: ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير
تفسير الآيتين 82 و83 -: فإن تولوا

من غير إنظار ولا إمهال من حين يروونه لأنهم لا حساب عليهم لأنهم لا حسنات لهم وإنما تعد أعمالهم وتحصى ويوقفون عليها ويقرون بها ويفتضحون. 84
ما هم عليه، اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئا، وإن طلبوا أيضا الرجوع إلى الدنيا ليستدركوا لم يجابوا ولم يعتبوا، بل يبادرهم العذاب الشديد الذي لا يخفف عنهم
يبعثه الله أركى الشهداء وأعدهم وهم الرسل الذين إذا شهدوا تم عليهم الحكم. ف لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار لأن اعتذارهم بعد ما علم يقينا بطلان
على أنفسهم بالكفر والافتراء على الله فقال: ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يشهد عليهم بأعمالهم وماذا أجابوا به الداعي إلى الهدى وذلك الشهيد الذي

تفسير السعدي

تفسير الآيتين 84 و85: يخبر تعالى عن حال الذين كفروا في يوم القيامة وأنه لا يقبل لهم عذر ولا يرفع عنهم العقاب وأن شركاءهم تتبرأ منهم ويقولون من غير إنظار ولا إهمال من حين يروونه لأنهم لا حساب عليهم لأنهم لا حسنات لهم وإنما تعد أعمالهم وتحصى ويوقفون عليها ويقولون بها ويفتضحون. 85 ما هم عليه، اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئا، وإن طلبوا أيضا الرجوع إلى الدنيا ليستردوا لم يجابوا ولم يعتبوا، بل يبادرهم العذاب الشديد الذي لا يخفف عنهم يبعثه الله أذكى الشهداء وأعدلهم وهم الرسل الذين إذا شهدوا تم عليهم الحكم. ف لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار لأن اعتذارهم بعد ما علم يقينا بطلان على أنفسهم بالكفر والافتراء على الله فقال: ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يشهد عليهم بأعمالهم وماذا أجابوا به الداعي إلى الهدى وذلك الشهيد الذي تفسير الآيتين 84 و85: يخبر تعالى عن حال الذين كفروا في يوم القيامة وأنه لا يقبل لهم عذر ولا يرفع عنهم العقاب وأن شركاءهم تتبرأ منهم ويقولون قولهم، فقالت لهم: إنكم لكاذبون حيث جعلتمونا شركاء لله، وعبدتمونا معه فلم تأمركم بذلك، ولا زعمنا أن فينا استحقاقا للألوهية فاللوم عليكم. 86 ليس عندها نفع ولا شفع، فنوهوا بأنفسهم بطلانها، وكفروا بها، وبدأت بغضاء والعداوة بينهم وبينها، فألقوا إليهم القول أي: ردت عليهم شركاؤهم وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم يوم القيامة وعلموا بطلانها ولم يمكنهم الإنكار. قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك مستحقون للعذاب. وضل عنهم ما كانوا يفترون فدخلوا النار وقد امتلأت قلوبهم من مقت أنفسهم ومن حمد ربهم وأنه لم يعاقبهم إلا بما كسبوا. 87 فحينئذ استسلموا لله، وخضعوا لحكمه وعلموا إنهم وحاربوا رسله، وصدوا الناس عن سبيل الله، وصاروا دعاة إلى الضلال فاستحقوا مضاعفة العذاب، كما تضاعف جرمهم، وكما أفسدوا في أرض الله. 88 حيث كفروا بأنفسهم، وكذبوا بآيات الله،

والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقول والفعل ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم. 89 والآخر، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح. والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبدئها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض وقوله: ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ رسول يشهد على أمته لأنه أعظم اطلاعا من غيره على أعمال أمته، وأعدل وأشفق من أن يشهد عليهم إلا بما يستحقون. وهذا كقوله تعالى: وكذلك جعلناكم هنا، وخص منهم هذا الرسول الكريم فقال: وجئنا بك شهيدا على هؤلاء أي: على أمتك تشهد عليهم بالخير والشر، وهذا من كمال عدل الله تعالى أن كل لما ذكر فيما تقدم أنه يبعث في كل أمة شهيدا ذكر ذلك أيضا

بإذن ربهم، وضل الغاؤون عنه، وسلوكوا الطرق الجائرة ولو شاء لهداكم أجمعين ولكنه هدى بعضا كرما وفضلا، ولم يهد آخرين، حكمة منه وعدلا. 9 وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله وهو: كل ما خالف الصراط المستقيم فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم وعلى الله قصد السبيل أي: الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق وأخصرها موصل إلى الله.

عما فيه مضرتكم. لعلكم تذكرون ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكروتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه فستدتم سعادة لا شقاوة معها. 90 جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء. ولهذا قال: يعظكم به أي: بما بينه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم ونهيكم منكر أو بغى فهي مما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو الله تعالى. وبالغى كل عدوان على الخلق في الدماء والأموال والأعراض. فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقه والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير ذلك من الفواحش. ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق ويدخل في ذلك جميع الأقارب قريبيهم وبعييدهم لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر. وقوله: وينهى عن الفحشاء وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره. وخص الله إيتاء ذي القربى وإن كان داخلا في العموم لتأكد حقهم وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك. تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاولات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي. والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل

تفسير السعدي

فالعبد الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عبادته، فالعدل في ذلك أداء الحقوق

الله فيه كفيلا. فكما ائتمنتك وأحسن ظنه فيك فلتف له بما قلته وأكذته. إن الله يعلم ما تفعلون يجازي كل عامل بعمله على حسب نيته ومقصده. 91 كفيلا فلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلا فيكون ذلك ترك تعظيم الله واستهانة به، وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها بعقدها على اسم الله تعالى: وقد جعلتم الله عليكم أيها المتعاقدون بها برا، ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكد على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها إذا كان الوفاء

أسباب المحن ما يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقي. وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيجازي كلا بما عمل، ويخزي الغادر. 92 وعلى المروءة الإنسانية، والأخلاق المرضية لأجل أن تكون أمة أكثر عددا وقوة من الأخرى. وهذا ابتلاء من الله وامتحان يبتليكم الله به حيث قيض من لعجزه، وإن كان قويا يرى مصلحته الدنيوية في نقضها نقضها غير مبال بعهد الله ويمينه. كل ذلك دورانا مع أهوية النفوس، وتقديما لها على مراد الله منكم، أي: لا تنبغي هذه الحالة منكم تعتقدون الأيمان المؤكدة وتنتظرون فيها الفرص، فإذا كان العاقد لها ضعيفا غير قادر على الآخر أتمها لا لتعظيم العقد واليمين بل الرأي، فذلك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة. وقوله: تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة غزلا قويا فإذا استحکم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته أنكاثا فنبعت على الغزل ثم على النقض، ولم تستد سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص ولا تكونوا في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدله على سفه متعاطيها، وذلك كالتى تغزل

يعطي الهداية من يستحقها فضلا، ويمنعها من لا يستحقها عدلا. ولتسألن عما كنتم تعملون من خير وشر فيجازيكم عليها أتم الجزاء وأعدله. 93 لو شاء الله لجمع الناس على الهدى وجعلهم أمة واحدة ولكنه تعالى المنفرد بالهداية والإضلال، وهديته وإضلاله من أفعاله التابعة لعلمه وحكمته، أي:

وتذوقوا السوء أي: العذاب الذي يسوءكم ويحزنكم بما صدقتم عن سبيل الله حيث ضلتم وأضلتم غيركم ولكم عذاب عظيم مضاعف. 94 وعهودكم وموائيقكم تبعا لأهوائكم متى شئتم وفيتهم بها، ومتى شئتم نقضتموها، فإنكم إذا فعلتم ذلك تزل أقدامكم بعد ثبوتها على الصراط المستقيم، أي: ولا تتخذوا أيمانكم

إنما عند الله من الثواب العاجل والآجل لمن آثر رضاه، وأوفى بما عاهد عليه الله هو خير لكم من حطام الدنيا الزائلة إن كنتم تعلمون 95 يحذر تعالى عبادته من نقض العهود والأيمان لأجل متاع الدنيا وحطامها فقال: ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا تنالونه بالنقض وعدم الوفاء المضرة يدينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا 96 لا ينفع في الدين والدنيا، والرغبة والسعي في كل ما ينفع ولنجزين الذين صبروا على طاعة الله، وعن معصيته، وفطموا نفوسهم عن الشهوات الدنيوية زهدا صحيحا حتى يقوم بما يقدر عليه من الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة، ومن الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل، فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما والتفاوت ما يدعوه إلى إثارة أعلى الأمور وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات القاصرة كالصلاة والصيام والذكر ونحوها، بل لا يكون العبد زاهدا عما أوجب الله عليه وتقديمه على حق الله فإن هذا الزهد واجب. ومن الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا وشهواتها بخيرات الآخرة، فإنه يجد من الفرق وما عند الله خير للأبرار وفي هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا. خصوصا الزهد المتعين وهو الزهد فيما يكون ضررا على العبد ويوجب له الاشتغال ببقائه لا يفنى ولا يزول، فليس بعاقل من آثر الفاني الخسيس على الباقي النفيس وهذا كقوله تعالى: بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى فأثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الذي عندكم ولو كثر جدا لا بد أن ينفد ويفنى، وما عند الله باق

بأحسن ما كانوا يعملون من أصناف اللذات مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فيؤتية الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. 97 بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب. ولنجزينهم في الآخرة أجرهم مقتض لها، فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة وذلك من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالا صالحة إلا بالإيمان، والإيمان بقلبه على الله في صرفه عنه، مجتهدا في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة مجتهدا، على السبب الأقوى في دفعه، وهو التحلي بحلية الإيمان والتوكل. 98 ومعانيها. فالطريق إلى السلامة من شره الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به من شره، فيقول القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم متدبرا لمعناها، معتمدا الكتب وأجلها وفيه صلاح القلوب والعلوم الكثيرة فإن الشيطان أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة، فيسعى في صرفه عن مقاصدها أي: فإذا أردت القراءة لكتاب الله الذي هو أشرف

تسلط على الذين آمنوا وعلى ربهم وحده لا شريك له يتوكلون فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان ولا يبق له عليهم سبيل. 99 فإن الشيطان ليس له سلطان أي:

سورة 17

- من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد المدينة، وأنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة والصلاة فيه وأن الله اختصه محلا لكثير من أنبيائه وأصفيائه. 1
- لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربه. وقوله: الذي باركنا حوله أي: بكثرة الأشجار والأنهار والخصب الدائم. ومن برسته تفضيله على غيره بالأجر والثواب، وحاز من المفاخر تلك الليلة هو وأمته ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل. وذكره هنا وفي مقام الإنزال للقرآن ومقام التحدي بصفة العبودية العلى ورأى الجنة والنار، والأنبياء على مراتبهم وفرض عليه الصلوات خمسين، ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم حتى صارت خمسا بالفعل، وخمسين صلى الله عليه وسلم في الإسراء، وذكر تفاصيل ما رأى وأنه أسري به إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك إلى السماوات حتى وصل إلى ما فوق السماوات فيه العبادة كتضاعفها في نفس المسجد، وأن الإسراء بروحه وجسده معا وإلا لم يكن في ذلك آية كبرى ومنقبة عظيمة. وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي وأنه من نفس المسجد الحرام، لكن ثبت في الصحيح أنه أسري به من بيت أم هانئ، فعلى هذا تكون الفضيلة في المسجد الحرام لسائر الحرم، فكله تضاعف وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه حيث يسره ليسرى في جميع أموره وخوله نعمًا فاق بها الأولين والآخرين، وظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل الفاضلة وهو محل الأنبياء. فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا، بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الذي هو أجل المساجد على الإطلاق إلى المسجد الأقصى الذي هو من المساجد ينزه تعالى نفسه المقدسة ويعظمها لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة التي من جعلتها أن أسرى
- أليما فالقرآن مشتمل على البشارة والندارة وذكر الأسباب التي تنال بها البشارة وهو الإيمان والعمل الصالح والتي تستحق بها الندارة وهو ضد ذلك. 10
- وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا
- إذا لأمسكتم خشية الإنفاق أي: خشية أن ينفد ما تنفقون منه، مع أنه من المحال أن تنفذ خزائن الله، ولكن الإنسان مطبوع على الشح والبخل. 100
- قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفذ ولا تبديد.
- وفلق البحر. فإن شككت في شيء من ذلك فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون مع هذه الآيات إنني لأظنك يا موسى مسحورا 101
- وقومه، وأتيناها تسع آيات بينات كل واحدة منها تكفي لمن قصده اتباع الحق، كالحية، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والرجز، أي: لست أيها الرسول المؤيد بالآيات، أول رسول كذبه الناس، فلقد أرسلنا قبلك موسى ابن عمران الكليم، إلى فرعون
- وإنما قلت ذلك ترويجا على قومك، واستخفافا لهم. وإنني لأظنك يا فرعون مثيرا أي: ممقوتا، ملقى في العذاب، لك الويل والذم واللعنة. 102
- ف قال له موسى لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات إلا رب السماوات والأرض بصائر منه لعباده، فليس قولك هذا بالحقيقة، فأراد فرعون أن يستفزهم من الأرض أن: يجليهم ويخرجهم منها. فأغرقناه ومن معه جميعا وأورثنا بني إسرائيل أرضهم وديارهم. 103
- ولهذا قال: وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا أي: جميعا ليجازي كل عامل بعمله. 104
- أرسلناك إلا مبشرا من أطاع الله بالثواب العاجل والآجل ونذيرا لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ويلزم من ذلك بيان ما بشر به وأنذر. 105
- أي: وبالحق أنزلنا هذا القرآن الكريم، لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم، وبالحق نزل أي: بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم وما على مكث أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه. ونزلناه تنزيلا أي: شيئا فشيئا، مفرقا في ثلاث وعشرين سنة. 106
- أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقا، فارقا بين الهدى والضلال، والحق والباطل. لتقرأه على الناس
- عليكم، فإن لله عبادا غيركم، وهم الذين آتاهم الله العلم النافع: إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا أي: يتأثرون به غاية التأثر، ويخضعون له. 107
- فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه ف: قل لمن كذب به وأعرض عنه: آمنوا به أو لا تؤمنوا فليس لله حاجة فيكم، ولستم بضاربه شيئا، وإنما ضرر ذلك ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فإذا تبين أنه الحق، الذي لا شك
- سبحان ربنا عما لا يليق بجلاله، مما نسبته إليه المشركون. إن كان وعد ربنا بالبعث والجزاء بالأعمال لمفعولا لا خلف فيه ولا شك. 108
- ويقولون
- وهؤلاء كالذين من الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وغيره، ممن آمن في وقت النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك. 109
- ويخرون للأذقان أي: على وجوههم يبيكون ويزيدهم القرآن خشوعا
- في الخير، ولكن الله بلطفه يستجيب له في الخير ولا يستجيب له بالشر. ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم 11
- وهذا من جهل الإنسان وعجلته حيث يدعو على نفسه وأولاده وماله بالشر عند الغضب ويبادر بذلك الدعاء كما يبادر بالدعاء
- وأما المخافتة، فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء وابتغ بين ذلك أي: بين الجهر والإخفات سبيلا أي: تتوسط فيما بينهما. 110

تفسير السعدي

تجهر بصلاتك أي: قراءتك ولا تخافت بها فإن في كل من الأمرين محذورا. أما الجهر، فإن المشركين المكذابين به إذا سمعوه سبوه، وسبوا من جاء به. له اسم غير حسن، أي: حتى ينهى عن دعائه به، أي: اسم دعوتهم به، حصل به المقصود، والذي ينبغي أن يدعى في كل مطلوب، مما يناسب ذلك الاسم. ولا بقول تعالى لعباده: ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي: أيهما شئتم. أيما ما تدعوا فله الأسماء الحسنى أي: ليس

ناصر بن عبد الله بن سعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين وصلى الله على محمد وسلم تسليما وذلك في 7 جمادى الأولى سنة 1344. 111 وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له. تم تفسير سورة الإسراء ولله الحمد والمنة والثناء الحسن على يد جامعته عبد الرحمن بن يخرجه من الظلمات إلى النور وكبره تكبيرا أي: عظمه وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه، بأسمائه الحسنى، وبتمجيد أفعاله المقدسة، الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات، في الأرض ولا في السماوات، ولكنه يتخذ أولياء إحسانا منه إليهم ورحمة بهم الله ولي الذين آمنوا فالعالم العلوي والسفلي، كلهم مملوكون لله، ليس لأحد من الملك شيء. ولم يكن له ولي من الدنيا أي: لا يتولى أحد من خلقه ليتعزز به ويعاونه، فإنه الكمال والثناء والحمد والمجد من جميع الوجوه، المنزه عن كل آفة ونقص. الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك بل الملك كله لله الواحد القهار، وقل الحمد لله له

وكل شيء فصلناه تفصيلا أي: بينا الآيات وصرفناه لتتميز الأشياء ويستبين الحق من الباطل كما قال تعالى: ما فرطنا في الكتاب من شيء 12 وصنائعكم وتجاراتكم وأسفاركم. ولتعلموا بتوالي الليل والنهار واختلاف القمر عدد السنين والحساب فتبنون عليها ما تشاءون من مصالحكم. العبادة إلا له. فمحمونا آية الليل أي: جعلناه مظلمة للسكون فيه والراحة، وجعلنا آية النهار مبصرة أي: مضيئة لتبتغوا فضلا من ربكم في معاشكم يقول تعالى: وجعلنا الليل والنهار آيتين أي: دالتين على كمال قدرة الله وسعة رحمته وأنه الذي لا تنبغي فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله. ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا فيه ما عمله من الخير والشر حاضرا صغيره وكبيره 13 وهذا إخبار عن كمال عدله أن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر يجعله الله ملازما له لا يتعداه إلى غيره، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب. 14 ويقال له:

تعالى فإن الله تعالى لا يعذبه. واستدل بهذه الآية على أن أهل الفترات وأطفال المشركين، لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولا لأنه منزه عن الظلم. 15 عنه مثقال ذرة من الشر، والله تعالى أعدل العادلين لا يعذب أحدا حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاند الحجة. وأما من انقاد للحجة أو لم تبلغه حجة الله أي: هداية كل أحد وضلاله لنفسه لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يدفع

ويستأصلها بالعذاب أمر مترفيها أمرا قدريا ففسقوا فيها واشتد طغيانهم، فحق عليها القول أي: كلمة العذاب التي لا مرد لها فدمرناها تدميرا 16 يخبر تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة

كثر بغيتهم واشتد كفرهم أنزل الله بهم عقابه العظيم. وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا فلا يخافوا منه ظلما وأنه يعاقبهم على ما عملوه. 17 وهؤلاء أمم كثيرة أبادهم الله بالعذاب من بعد قوم نوح كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن عاقبهم الله لما

يباشر عذابها مذموما مدحورا أي: في حالة الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله فيجمع له بين العذاب والفضيحة. 18 من حطامها ومتاعها ما يشاؤه ويريده مما كتب الله له في اللوح المحفوظ ولكنه متاع غير نافع ولا دائم له. ثم يجعل له في الآخرة جهنم يصلها أي: يخبر تعالى أن من كان يريد الدنيا العاجلة المنقضية الزائلة فعمل لها وسعى، ونسي المبتدأ أو المنتهى أن الله يعجل له

وهو مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. فأولئك كان سعيهم مشكورا أي: مقبولا منى مدخرا لهم أجرهم وثوابهم عند ربهم. 19 ومن أراد الآخرة فرضيها وآثرها على الدنيا وسعى لها سعيها الذي دعت إليه الكتب السماوية والآثار النبوية فعمل بذلك على قدر إمكانه

وحده وينيبوا إليه ويتخذوه وحده وكيلا ومدبرا لهم في أمر دينهم ودنياهم ولا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئا ولا ينفعونهم بشيء. 20 هدى لبني إسرائيل يهتدون به في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق. ألا تتخذوا من دوني وكيلا أي: وقلنا لهم ذلك وأنزلنا إليهم الكتاب لذلك ليعبدوا الله أفضل الكتب وشريعتيهما أكمل الشرائع ونبوتيهما أعلى النبوات وأتباعهما أكثر المؤمنين، ولهذا قال هنا: وآتيناه موسى الكتاب الذي هو التوراة وجعلناه كثيرا ما يقرن الباري بين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة موسى صلى الله عليه وسلم وبين كتابيهما وشريعتيهما لأن كتابيهما

من الدنيا فكلا يمدد الله منها لأنه عطاؤه وإحسانه. وما كان عطاء ربك محظورا أي: ممنوعا من أحد بل جميع الخلق راتعون بفضلته وإحسانه. 20 ومع هذا فلا يفوتهم نصيبهم

ممن هو يتقلب في الجحيم ويعذب بالعذاب الأليم، وقد حل عليه سخط الرب الرحيم وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحدا عده. 21 تفضيلا فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه. فكم بين من هو في الغرف العاليات والذات المتنوعات والسرور والخيرات والأفراح الأرزاق وقتلتها، واليسر والعسر والعلم والجهل والعقل والسفه وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها. وللآخرة أكبر درجات وأكبر

انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا بسعة

إلا بإذن الله، كما أن من جعل مع الله إلها آخر له الذم والخذلان، فمن وحده وأخلص دينه لله وتعلق به دون غيره فإنه محمود معان في جميع أحواله. 22
نعتا. وله من الخذلان في أمر دينه ودنياه بحسب ما تركه من التعلق بربه، فمن تعلق بغيره فهو مخذول قد وكل إلى من تعلق به ولا أحد من الخلق ينفع أحدا
ورسله قد نهوا عن الشرك وذموا من عمله أشد الذم ورتبوا عليه من الأسماء المذمومة، والأوصاف المقبوحة ما كان به متعاطيه، أشنع الخلق وصفا وأقبحهم
أي: لا تعتقد أن أحدا من المخلوقين يستحق شيئا من العبادة ولا تشرك بالله أحدا منهم فإن ذلك داع للذم والخذلان، فالله وملائكته

قولا كريما بلفظ يحبانه وتآدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان. 23
تقل لهما أف وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية. ولا تنهرهما أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلاما خشنا، وقل لهما
البر. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما أي: إذا وصلا إلى هذا السن الذي تضعف فيه قواهما ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف. فلا
أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلاني لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب
الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور فهو المتفرد بذلك كله وغيره ليس له من ذلك شيء. ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال: وبالوالدين إحسانا
الأحد الفرد الصمد الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعظمها على وجه لا يشبهه أحد من خلقه، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة الدافع لجميع النقم
بالتوحيد فقال: وقضى ربك قضاء دينيا وأمر أمرا شرعيا أن لا تعبدوا أحدا من أهل الأرض والسموات والأموال. إلا إياه لأنه الواحد
لما نهى تعالى عن الشرك به أمر

من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من رباه حق التربية. 24
لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد. وقل رب ارحمهما أي: ادع لهما بالرحمة أحياء وأمواتا، جزاء على تربيتكما إياك صغيرا. وفهم
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة أي: تواضع لهما ذلا لهما ورحمة واحتسابا للأجر لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء
ومحبة ما يقرب إليه فإنه وإن جرى منه في بعض الأوقات ما هو مقتضى الطباع البشرية فإن الله يعفو عنه ويغفر له الأمور العارضة غير المستقرة. 25
مستقرة لغير الله. فإنه كان للأوابين أي: الرجاعين إليه في جميع الأوقات غفورا فمن اطاع الله على قلبه وعلم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه ومحبته
وما فيها من الخير والشر. إن تكونوا صالحين بأن تكون إرادتكم ومقاصدكم دائرة على مرضاة الله ورغبتكم فيما يقربكم إليه وليس في قلوبكم إرادات
أي: ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم من خير وشر وهو لا ينظر إلى أعمالكم وأبدانكم وإنما ينظر إلى قلوبكم
وهو الغريب المنقطع به عن بلده، فيعطي الجميع من المال على وجه لا يضر المعطي ولا يكون زائدا على المقدار اللائق فإن ذلك تبذير قد نهى الله عنه 26
وذلك الحق يتفاوت بتفاوت الأحوال والأقارب والحاجة وعدمها والأزمنة. والمسكين آتة حقه من الزكاة ومن غيرها لتزول مسكنته وابن السبيل
يقول تعالى: وآت ذا القربى حقه من البر والإكرام الواجب والمسنون

يشاء من عباده ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجزئهم على ما يعلمه صالحا لهم ويدبرهم بلطفه وكرمه. 27
للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن
بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي
الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم
إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. فقل لهم قولا ميسورا أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت
فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي: تعرض عن إعطائهم
أي: تلام على ما فعلت محسورا أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى،
إلى عنقك كناية عن شدة الإمساك والبخل. ولا تبسطها كل البسط فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي. فتتعد إن فعلت ذلك ملوما
ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال هنا: ولا تجعل يدك مغلولة
لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأفسطها
تفسير الآيات من 27 إلى 30 :- إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين لأن الشيطان

يشاء من عباده ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجزئهم على ما يعلمه صالحا لهم ويدبرهم بلطفه وكرمه. 28
للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن
بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي
الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم
إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. فقل لهم قولا ميسورا أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت
فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي: تعرض عن إعطائهم

تفسير السعدي

أي: تلام على ما فعلت محسورا أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى، إلى عنقك كناية عن شدة الإمساك والبخل. ولا تبسطها كل البسط فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي. فتتعد إن فعلت ذلك ملوما ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال هنا: ولا تجعل يدك مغلولة لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها تفسير الآيات من 27 إلى 30 :- إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين لأن الشيطان

يشاء من عباده ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجزئهم على ما يعلمه صالحا لهم ويدبرهم بلطفه وكرمه. 29 للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن اللهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. فقل لهم قولا ميسورا أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي: تعرض عن إعطائهم أي: تلام على ما فعلت محسورا أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى، إلى عنقك كناية عن شدة الإمساك والبخل. ولا تبسطها كل البسط فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي. فتتعد إن فعلت ذلك ملوما ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال هنا: ولا تجعل يدك مغلولة لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها تفسير الآيات من 27 إلى 30 :- إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين لأن الشيطان

الله واتصافه بذلك والحث لذريته أن يقتدوا به في شكره ويتابعوه عليه، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم إذ أبقاهم واستخلفهم في الأرض وأغرق غيرهم. 3 ذرية من حملنا مع نوح أي: يا ذرية من مننا عليهم وحملناهم مع نوح، إنه كان عبدا شكورا ففيه التنويه بالثناء على نوح عليه السلام بقيامه بشكر يشاء من عباده ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجزئهم على ما يعلمه صالحا لهم ويدبرهم بلطفه وكرمه. 30 للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن اللهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. فقل لهم قولا ميسورا أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي: تعرض عن إعطائهم أي: تلام على ما فعلت محسورا أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى، إلى عنقك كناية عن شدة الإمساك والبخل. ولا تبسطها كل البسط فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي. فتتعد إن فعلت ذلك ملوما ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال هنا: ولا تجعل يدك مغلولة لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها تفسير الآيات من 27 إلى 30 :- إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين لأن الشيطان

كان خطأ كبيرا أي: من أعظم كبائر الذنوب لزوال الرحمة من القلب والعقوق العظيم والتجرؤ على قتل الأطفال الذين لم يجر منهم ذنب ولا معصية. 31 وهذا من رحمته بعباده حيث كان أرحم بهم من والديهم، فهي الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع. وأخبر أن قتلهم أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفساد. وقوله: وساء سييلا أي: بسئ السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم. 32 ووصف الله الزنى وقبحه بأنه كان فاحشة أي: إنما يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن: من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه خصوصا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه. والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك

دليل إلى أن الحق في القتل للولي فلا يقتص إلا بإذنه وإن عفا سقط القصاص. وأن ولي المقتول يعينه الله على القاتل ومن أعانه حتى يتمكن من قتله. 33 فلا يسرف الولي في القتل إنه كان منصورا والإسراف مجاوزة الحد إما أن يمثل بالقاتل أو يقتله بغير ما قتل به أو يقتل غير القاتل. وفي هذه الآية أي: حجة ظاهرة على القصاص من القاتل، وجعلنا له أيضا تسلطا قدريا على ذلك، وذلك حين تجتمع الشروط الموجبة للقصاص كالعدم العدوان والمكافأة. للجماعة والباغي في حال بغيه إذا لم يندفع إلا بالقتل. ومن قتل مظلوما أي: بغير حق فقد جعلنا لوليه وهو أقرب عصباته وورثته إليه سلطنا نفس حرم الله قتلها من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد ومسلم وكافر له عهد. إلا بالحق كالتفلس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق

وهذا شامل لكل

عاهدتم الخلق عليه. إن العهد كان مسئولاً أي: مسئولين عن الوفاء به وعدمه، فإن وفيتم فلکم الثواب الجزيل وإن لم تفوا فعليكم الإثم العظيم. 34 عنه الولاية وصار ولي نفسه ودفع إليه ماله. كما قال تعالى: فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم وأوفوا بالعهد الذي عاهدتم الله عليه والذي من التجارة فيه وعدم تعريضه للأخطار، والحرص على تنميته، وذلك ممتد إلى أن يبلغ اليتيم أشده أي: بلوغه وعقله ورشده، فإذا بلغ أشده زالت باليتيم الذي فقد والده وهو صغير غير عارف بمصلحة نفسه ولا قائم بها أن أمر أوليائه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وأن لا يقربوه إلا بالتي هي أحسن وهذا من لطفه ورحمته تعالى

عليه والأمر بالنصح والصدق في المعاملة. ذلك خير من عدمه وأحسن تأويلاً أي: أحسن عاقبة به يسلم العبد من التبعات وبه تنزل البركة. 35 وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكاييل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص. ويؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مثن أو معقود به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جواباً، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى. 36 تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا

في تكبرك بل تكون حقيراً عند الله ومحتقراً عند الخلق مبغوضاً ممقوتاً قد اكتسبت أشر الأخلاق واكتسبت أرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم. 37 ولا تمش في الأرض مرحاً أي: كبراً وتبها وبطراً متكبراً على الحق ومتعاضماً على الخلق. إنك في فعلك ذلك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً يقول تعالى:

آخر والنهي عن عقوق الوالدين وما عطف على ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً أي: كل ذلك يسوء العاملين ويضرهم والله تعالى يكرهه ويأباه. 38 كل ذلك المذكور الذي نهى الله عنه فيما تقدم من قوله: ولا تجعل مع الله إلهاً

فإنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. ملوماً مدحوراً أي: قد لحقتك اللانمة واللعنة والذم من الله وملانكته والناس أجمعين. 39 من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً. ثم ختمها بالنهي عن عبادة غير الله كما افتتنها بذلك فقال: ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم أي: خالداً مخلداً الأعمال المذكورة في هذه الآيات من الحكمة العالية التي أوحاها رب العالمين لسيد المرسلين في أشرف الكتب ليأمر بها أفضل الأمم فهي من الحكمة التي هذه الأحكام الجليلة، مما أوحى إليك ربك من الحكمة فإن الحكمة الأمر بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق والنهي عن أرذل الأخلاق وأسوأ الأعمال. وهذه ذلك الذي بيناه ووضحناه من

الله والعلو في الأرض والتكبر فيها وأنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء وانتقم منهم وهذا تحذير لهم وإنذار لعلمهم يرجعون فيذكرون. 4 وقضينا إلى بني إسرائيل أي: تقدمنا وعهدنا إليهم وأخبرناهم في كتابهم أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي والبطر لنعم واستغناء بعض المخلوقات عنه وحكمتم له بأردأ القسمين، وهن الإناث وهو الذي خلقكم واصطفاكم بالذكر فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. 40 لنفسه من الملائكة إننا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله. إنكم لتقولون قولاً عظيماً فيه أعظم الجراءة على الله حيث نسبتهم له الولد المتضمن لحاجته وهذا إنكار شديد على من زعم أن الله اتخذ من خلقه بنات فقال: أفأصفاكم ربكم بالبنين أي: اختار لكم الصفوة والقسم الكامل واتخذ

هو أصل الأصول، فأمر به ونهى عن ضده وأقام عليه من الحجج العقلية والنقلية شيئاً كثيراً بحيث من أصغى إلى بعضها لا تدع في قلبه شكاً ولا ريباً. 41 ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل حتى تعصبوا لباطلهم ولم يعيروا آيات الله لهم سمعاً ولا أقوالاً لها بالاً. ومن أعظم ما صرف فيه الآيات والأدلة التوحيد الذي والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكر لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلوكه وما يضرهم فيدعوه. ولكن أبى أكثر الناس إلا نفورا عن آيات الله لبغضهم للحق يخبر تعالى أنه صرف لعباده في هذا القرآن أي: نوع الأحكام ووضحها وأكثر من الأدلة

اتخذوها وهي بهذه الحال؟ فيكون هذا كقوله تعالى: ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض 42 أن يعلوا عليه فيكون من علا وقهر هو الرب الإله، فأما وقد علموا أنهم يقولون أن آلهتهم التي يعبدون من دون الله مقهورة مغلوبة ليس لها من الأمر شيء فلم ويحتمل أن المعنى في قوله: قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً أي: لطلبوا السبيل وسعوا في مغالبة الله تعالى، فإما ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبكان ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أظلم الظلم وأسفه السفه؟. فعلى هذا المعنى تكون هذه الآية كقوله تعالى: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وكقوله تعالى: لاتخذوا سبيلاً إلى الله بعبادته والإنابة إليه والتقرب وابتغاء الوسيلة، فكيف يجعل العبد الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه إلهاً مع الله؟! هل هذا إلا من قل للمشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر: لو كان معه آلهة كما يقولون أي: على موجب زعمهم وافترائهم إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً أي:

وجوهه فقر من جهة الخلق والرزق والتدبير، وفقر من جهة الاضطرار إلى أن يكون معبودهم ومحبوبهم الذي إليه يتقربون وإليه في كل حال يفزعون 43

تفسير السعدي

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وافتقر إليه العالم العلوي والسفلي فقرا ذاتيا لا ينفك عن أحد منهم في وقت من الأوقات. هذا الفقر بجميع وظلم ظلما كبيرا. لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة وصغرت لدى كبرائه السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن والأرض جميعا يقولون من الشرك به واتخاذ الأنداد معه علوا كبيرا فعلا قدره وعظم وجلت كبريأؤه التي لا تقادر أن يكون معه آلهة فقد ضل من قال ذلك ضلالا مبينا سبحانه وتعالى أي: تقدر وتزده وعلت أوصافه عما

من هذا الذنب العظيم ليعطيهم الثواب الجزيل ويغفر لهم ذنبهم، فلولا حلمه ومغفرته لسقطت السماوات على الأرض ولما ترك على ظهرها من دابة. 44 لم يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولا تكاد السماوات والأرض تنفطر منه وتخر له الجبال ولكنه أمهلهم وأنعم عليهم وعافاهم ورزقهم ودعاهم إلى بابه ليتوبوا ولسان المقال. ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب. إنه كان حليما غفورا حيث السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحى وميت إلا يسبح بحمده بلسان الحال تسبح له

جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يستترهم عن فهمه حقيقة وعن التحقق بحقائقه والانقياد إلى ما يدعو إليه من الخير. 45 بالحق الذين ردوه وأعرضوا عنه أنه يحول بينهم وبين الإيمان فقال: وإذا قرأت القرآن الذي فيه الوعظ والتذكير والهدى والإيمان والخير والعلم الكثير. يخبر تعالى عن عقوبته للمكذبين

لما هم عليه من الباطل، كما قال تعالى: وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون 46 وقرا أي: صمما عن سماعه، وإذا ذكرت ربك في القرآن داعيا لتوحيد ناهيا عن الشرك به. ولوا على أدبارهم نفورا من شدة بغضهم له ومحبتهم وجعلنا على قلوبهم أكنة أي: أغشية وأغشية لا يفقهون معها القرآن بل يسمعون سماعا تقوم به عليهم الحجة، وفي آذانهم

فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم وقد بنوها على أنه مسحور فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال، وأنه يهذي لا يدري ما يقول. 47 لم يفده الاستماع شيئا ولهذا قال: إذ يستمعون إليك وإنهم نجوى أي: متناجين إذ يقول الظالمون في مناجاتهم: إن تتبعون إلا رجلا مسحورا سيئة يريدون أن يعثروا على أقل شيء ليقذروا به، وليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق وإنما هم متعمدون على عدم اتباعه، ومن كان بهذه الحالة نحن أعلم بما يستمعون به أي: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن لأننا نعلم أن مقاصدهم

لأنهم بنوا عليها أمرهم والمبني على فاسد أفسد منه. فلا يستطيعون سبيلا أي: لا يهتدون أي اهتداء فنصيبهم الضلال المحض والظلم الصرف. 48 قال تعالى: انظر متعجبا كيف ضربوا لك الأمثال التي هي أضل الأمثال وأبعدها عن الصواب فضلوا في ذلك أو فصارت سببا لضلالتهم وأعلاها ليرى عباد أنه ما ثم إلا توفيقه وإعانتة أو الهلاك والضلال. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب 49 عليه جعلوا قدرة الله كذلك. فسبحان من جعل خلقا من خلقه يزعمون أنهم أولو العقول والألباب مثالا في جهل أظهر الأشياء وأجلاها وأوضحها براهين أشد الجهل حيث كذبوا رسل الله ووجدوا آيات الله وقاسوا قدرة خالق السماوات والأرض بقدرتهم الضعيفة العاجزة. فلما رأوا أن هذا ممتنع عليهم لا يقدرون وتكذيبهم به واستبعادهم بقولهم: أنذا كنا عظاما ورفاتا أي: أجسادا بالية أننا لمبعوثون خلقا جديدا أي: لا يكون ذلك وهو محال بزعمهم، فجعلوا يخبر تعالى عن قول المنكرين للبعث

قوم كفار. إما من أهل العراق أو الجزيرة أو غيرها سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي وتركوا كثيرا من شريعتهم وطغوا في الأرض. 50 المسجد الحرام وأفسدوه. وكان وعدا مفعولا لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم. واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسطين إلا أنهم اتفقوا على أنهم لنا أولي بأس شديد أي: ذوي شجاعة وعدد وعدة فنصرهم الله عليكم فقتلوكم وسبوا أولادكم ونهبوا أموالكم، وجاسوا خلال دياركم فهتكوا الدور ودخلوا وعد أولاهما أي: أولى المرتين اللتين يفسدون فيهما. أي: إذا وقع منهم ذلك الفساد بعثنا عليكم بعثا قدريا وسلطنا عليكم تسليطا كونيا جزائيا عبادا فإذا جاء

قل عسى أن يكون قريبا فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره والإقرار به وإثباته وإلا فكل ما هو آت فإنه قريب. 50 أي: يهزونها إنكارا وتعجبا مما قلت، ويقولون متى هو أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقرار منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم وتعجيز. قل الذي فطركم أول مرة فكما فطركم ولم تكونوا شيئا مذكورا فإنه سيعيدكم خلقا جديدا كما بدأنا أول خلق نعيده فسيعيدون إليكم رءوسهم وبعد الممات. فدعوا التدبير والتصريف لمن هو على كل شيء قدير وبكل شيء محيط. فسيفولون حين تقيم عليهم الحجة في البعث: من يعيدنا أن تنالكم قدرة الله أو تنفذ فيكم مشيئته، فإنكم غير معجزى الله في أي حالة تكونون وعلى أي وصف تتحولون، وليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة وسلم أن يقول لهؤلاء المنكرين للبعث استبعادا: قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر أي: يعظم في صدوركم لتسلموا بذلك على زعمكم من تفسير الآيتين 50 و51: ولها أمر رسوله صلى الله عليه

قل عسى أن يكون قريبا فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره والإقرار به وإثباته وإلا فكل ما هو آت فإنه قريب. 51 أي: يهزونها إنكارا وتعجبا مما قلت، ويقولون متى هو أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقرار منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم وتعجيز.

تفسير السعدي

قل الذي فطركم أول مرة فكما فطركم ولم تكونوا شيئا مذكورا فإنه سيعيدكم خلقا جديدا كما بدأنا أول خلق نعيده فسينغضون إليك رؤوسهم وبعد الممات. فدعوا التدبير والتصريف لمن هو على كل شيء قدير وبكل شيء محيط. فسيقولون حين تقيم عليهم الحجة في البعث: من يعيدنا أن تنالكم قدرة الله أو تنفذ فيكم مشيئته، فإنكم غير معجزتي الله في أي حالة تكونون وعلى أي وصف تتحولون، وليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة وسلم أن يقول لهؤلاء المنكرين للبعث استبعادا: قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر أي: يعظم في صدوركم لتسلموا بذلك على زعمكم من تفسير الآيتين 50 و51: بول هذا أمر رسوله صلى الله عليه

عليكم من النعيم كأنه ما كان. فهذا الذي يقول عنه المنكرون: متى هو ؟ يندمون غاية الندم عند وروده ويقال لهم: هذا الذي كنتم به تكذبون 52 وقوله: بحمده أي: هو المحمود تعالى على فعله ويجزي به العباد إذا جمعهم ليوم التناد. وتظنون إن لبثتم إلا قليلا من سرعة وقوعه وأن الذي مر يوم يدعوكم للبعث والنشور وينفخ في الصور فتستجيبون بحمده أي: تنقادون لأمره ولا تستعصون عليه.

السعي في ضد عدوهم وأن يقيموا أنفسهم الأمانة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها فبذلك يطيعون ربهم ويستقيم أمرهم ويهدون لرشددهم. 53 لهم أن يحاربوه فإنه يدعوه ليعيدوا من أصحاب السعير وأما إخوانهم فإنهم وإن نزع الشيطان فيما بينهم وسعى في العداوة فإن الحزم كل الحزم فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلينوا فيما بينهم لينقمع الشيطان الذي ينزع بينهم فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره. وقوله: إن الشيطان ينزع بينهم أي: يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم وديناهم. لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما. والقول الحسن داع والآخرة فقال: وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا

فيضل عنها فيستحق العذاب. وما أرسلناك عليهم وكبلا تدبر أمرهم وتقوم بمجازاتهم وإنما الله هو الوكيل وأنت مبلغ هاد إلى صراط مستقيم. 54 يأمركم إلا بما فيه مصلحة لكم وقد تريدون شيئا والخير في عكسه. إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم فيوفق من شاء لأسباب الرحمة ويخذل من شاء ربكم أعلم بكم من أنفسكم فلذلك لا يريد لكم إلا ما هو الخير ولا

تعالى قد فضل بعضهم على بعض وآتى بعضهم كتابا فلم ينكر المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم ما أنزله الله عليه وما فضله به من النبوة والكتاب. 55 الصالحة وكثرة الأتباع ونزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داود زبوراً وهو الكتاب المعروف. فإذا كان كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض الفضائل والخصائص الراجعة إلى ما من به عليهم من الأوصاف الممدوحة والأخلاق المرضية والأعمال السماوات والأرض من جميع أصناف الخلائق فيعطي كلا منهم ما يستحقه تقتضيه حكمته ويفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية والمعنوية وربك أعلم بمن في

الأحد الكامل المنعم بجميع النعم الظاهرة والباطنة هو السفة والأمر المتعجب منه كما قال المشركون: أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب 56 ومن العجب أن السفة عند الاعتقاد والممارسة وتلقيه عن الآباء الضالين بالقبول يراه صاحبه هو الرأي: السديد والعقل المفيد. ويرى إخلاص الدين لله الواحد ما دونها. فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي شيء تدعونهم من دون الله؟ فإنهم لا كمال لهم ولا فعال نافعة، فاتخاذهم آلهة نقص في الدين والعقل وسفه في الرأي. لا يملكون كشف الضر عنكم من مرض أو فقر أو شدة ونحو ذلك فلا يدفعونه بالكلية، ولا يملكون أيضا تحويله من شخص إلى آخر من شدة إلى ملزما لهم بتصحيح ما زعموه واعتقدوه إن كانوا صادقين: ادعوا الذين زعمتم آلهة من دون الله فانظروا هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم الضر، فإنهم يقول تعالى: قل للمشركين بالله الذين اتخذوا من دونه أندادا يعبدونهم كما يعبدون الله ويدعونهم كما يدعونهم

الله وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها وإيقاعها على أكمل الوجوه المقذور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب. 57 فمن تمت له تمت له أموره وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور. وعلامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى شدة الحذر منه والتوقي من أسبابه. وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير. الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب. إن عذاب ربك كان محذورا أي: هو الذي ينبغي الذين يدعون من الأنبياء والصالحين والملائكة يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبذلون ما يقدرون عليه من ثم أخبر أيضا أن الذين يعبدونهم من دون الله في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله وابتغاء الوسيلة إليه فقال: أولئك

كتاب كتبه الله وقضاء أبرمه، لا بد من وقوعه، فليبادر المكذبون بالإجابة إلى الله وتصديق رسله قبل أن تتم عليهم كلمة العذاب، ويحق عليهم القول. 58 أي: ما من قرية من القرى المكذبة للرسول إلا لا بد أن يصيبهم هلاك قبل يوم القيامة أو عذاب شديد

تخويفا أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها، بل المقصود منها التخويف والترهيب ليرتدعوا عن ما هم عليه. 59 به الموجب لهداية من طلب الهداية فغيرها مثلها فلا بد أن يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها فترك إنزالها والحالة هذه خير لهم وأنفع. وقوله: وما نرسل بالآيات إلا الكبار لم يؤمنوا، فإنه ما منعهم من الإيمان خفاء ما جاء به الرسول واشتباهاه هل هو حق أو باطل؟ فإنه قد جاء من البراهين الكثيرة ما دل على صحة ما جاء

تفسير السعدي

- الناقة العظيمة الباهرة التي كانت تصدر عنها جميع القبيلة بأجمعها ومع ذلك كذبوا بها فأصابهم ما قص الله علينا في كتابه، وهؤلاء كذلك لو جاءتهم الآيات تكذيبهم لها، فإذا كذبوا بها عاجلهم العقاب وحل بهم من غير تأخير كما فعل بالأولين الذين كذبوا بها. ومن أعظم الآيات الآية التي أرسلها الله إلى ثمود وهي يذكر تعالى رحمته بعدم إنزاله الآيات التي يقترح بها المكذبون، وأنه ما منعه أن يرسلها إلا خوفاً من
- وأمددناكم بأموال وبنين أي: أكثرنا أرزاقكم وكثرناكم وقويناكم عليهم، وجعلناكم أكثر نفيرا منهم وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله. 60
ثم ردنا لكم الكرة عليهم أي: على هؤلاء الذين سلطوا عليكم فأجلبتموهم من دياركم.
- ونخوفهم بالآيات فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا وهذا أبلغ ما يكون في التملي بالشر ومحبة وبغض الخير وعدم الانقياد له. 60
بها قبل وقوعها، فيكون ذلك ريبا في قلوب بعض المؤمنين ومانعا يمنع من لم يدخل الإسلام ومنفرا عنه. بل ذكر الله ألفاظا عامة تتناول جميع ما يكون.
- الكتاب والسنة يذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة المتأخرة أولى وأحسن لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرا ربما لا تقبلها عقولهم لو أخبروا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة؟ أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟ فلذلك رحمهم الله وصرفها عنهم، ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في
- إلى المسجد الأقصى كان خارقا للعادة. والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضا من الخوارق فهذا الذي أوجب لهم التكذيب. فكيف لو شاهدوا الكفار بكفرهم وازداد شرهم وبعض من كان إيمانه ضعيفا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء ومن الإسراء من المسجد الحرام الملعونة التي ذكرت في القرآن وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم. والمعنى إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس حتى استلج كاف لمن له عقل في الانتكاف عما يكرهه الله الذي أحاط بالناس. وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة أكثر المفسرين على أنها ليلة الإسراء. والشجرة وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس علما وقدرة فليس لهم ملجأ يلجأون إليه ولا ملاذ يلوذون به عنه، وهذا
- و قال متكبرا: أأسجد لمن خلقت طينا أي: من طين وبزعمه أنه خير منه لأنه خلق من نار. وقد تقدم فساد هذا القياس الباطل من عدة أوجه. 61
ينبه تبارك وتعالى عباده على شدة عداوة الشيطان وحرصه على إضلالهم وأنه لما خلق الله آدم استكبر عن السجود له
- آخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته أي: لأستأصلنهم بالإضلال ولأغوينهم إلا قليلا عرف الخبيث أنه لا بد أن يكون منهم من يعاديه ويعصيه. 62
فلما تبين لإبليس تفضيل الله لآدم قال مخاطبا لله: أرايتك هذا الذي كرمت علي لئن
- فقال الله له: اذهب فمن تبعك منهم واختارك على ربه ووليه الحق، فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا أي: مدخرا لكم موفرا جزاء أعمالكم. 63
الفاصلة ويعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على الحق، وقال تعالى: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا 64
الحديث. وعدهم الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها ولهذا قال: وما يعدهم الشيطان إلا غورا أي: باطلا مضمحلا كأن يزين لهم المعاصي والعقائد أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه وعدم تأديب الأولاد وتربيتهم على الخير وترك الشر وأخذ الأموال بغير حقها أو وضعها بغير حقها أو استعمال المكاسب الردية. بل ذكر كثير من المفسرين معصية الله بأقواله وأفعاله. وشاركهم في الأموال والأولاد وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم من منع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة، بخيلك ورجلك ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل الشيطان ورجله. والمقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين الداعي لهم إلى ثم أمره الله أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم فقال: واستفز من استطعت منهم بصوتك ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية. وأجلب عليهم الله يدفع عنهم بقيامهم بعبوديته كل شر ويحفظهم من الشيطان الرجيم ويقوم بكفائتهم. وكفى بربك وكبلا لمن توكل عليه وأدى ما أمر به. 65
أن يفعل بالعباد وذكر ما يعتصم به من فتنته وهو عبودية الله والقيام بالإيمان والتوكل فقال: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان أي: تسلط وإغواء بل ولما أخبر عما يريد الشيطان
- العباد بها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة. وهذا من رحمته بعباده فإنه لم يزل بهم رحيمًا رؤوفا يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم. 66
يذكر تعالى نعمته على العباد بما سخر لهم من الفلك والسفن والمراكب وألهمهم كيفية صنعها، وسخر لها البحر الملتطم يحملها على ظهره لينتفع
- تلك الحال. فلما حصلت له النجاة وزالت عنه المشقة ظن بجعله أنه قد أعجز الله ولم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنيوية فضلا عن أمور الآخرة. 67
له سائر الأعمال في الشدة والرخاء والبسر والعسر. وأما من خذل ووكل إلى عقله الضعيف فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة وإنجاه في من هدى الله فمن عليه بالعقل السليم واهتدى إلى الصراط المستقيم، فإنه يعلم أن الذي يكشف الشدائد وينجي من الأهوال هو الذي يستحق أن يفرد وتخلص من قبل وأشركوا به من لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع وأعرضوا عن الإخلاص لربهم ومليكمهم، وهذا من جهل الإنسان وكفره فإن الإنسان كفور للنعم، إلا تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه الحال. فلما كشف الله عنهم الضر ونجاهم إلى البر ونسوا ما كانوا يدعون إليه الأحياء والأموات، فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر وصرخوا بدعوة فاطر الأرض والسموات الذي أنه وحده المعبود دون ما سواه أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من ومن رحمته الدالة على
- عليكم عذابا من أسفل منكم بالخسف أو من فوقكم بالحاصب وهو العذاب الذي يحصبهم فيصحبوا هالكين، فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في البحر. 68

تفسير السعدي

- أفأمنت أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا أي: فهو على كل شيء قدير إن شاء أنزل
أي: ريحا شديدة جدا تقصف ما أتت عليه. فيفرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا أي: تبعة ومطالبة فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة. 69
وإن ظننتم ذلك فأنتم آمنون من أن يعيدكم في البحر تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح
مرة، والمراد بالمسجد مسجد بيت المقدس. وليتبروا أي: يخربوا ويدمروا ما علوا عليه تتبيرا فيخربوا بيوتكم ومساجدكم وحروثكم. 7
الآخرة التي تفسدون فيها في الأرض سلطنا عليكم الأعداء. ليسوءوا وجوهكم بانتصارهم عليكم وسبيكم وليدخلوا المسجد الحرام كما دخلوه أول
كما شاهدتم من انتصاركم على أعدائكم. وإن أسأتم فلها أي: فلأنفسكم يعود الضرر كما أراكم الله من تسليط الأعداء. فإذا جاء وعد الآخرة أي: المرة
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم لأن النفع عائد إليكم حتى في الدنيا
المخلوقات. أفلا يقومون بشكر من أولى النعم ودفع النقم ولا تحجبهم النعم عن المنعم فيشتغلوا بها عن عبادة ربهم بل ربما استعانوا بها على معاصيه. 70
الله به ويسره لهم غاية التيسير. وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بما خصهم به من المناقب وفضلهم به من الفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع
في البحر في السفن والمراكب ورزقناهم من الطيبات من المأكول والمشروب والملابس والمناجح. فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم
وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة. وحملناهم في البر على الركاب من الإبل والبغال والحمر والمراكب البرية. و
وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب،
سيئاته فأولئك يقرءون كتابهم قراءة سرور وبهجة، على ما يرون فيها مما يفرحهم ويسرهم. ولا يظلمون فتبلا مما عملوه من الحسنات. 71
هي موافقة له أم لا؟ فينقسمون بهذا قسمين: فمن أوتي كتابه بيمينه لكونه اتبع إمامه، الهادي إلى صراط مستقيم، واهتدى بكتابه، فكثرت حسناته، وقلت
إمامهم وهاديهم إلى الرشd، وهم الرسل ونوابهم، فتعرض كل أمة، ويحضرها رسولهم الذي دعاهم، وتعرض أعمالهم على الكتاب الذي يدعو إليه الرسول، هل
يخبر تعالى عن حال الخلق يوم القيامة، وأنه يدعو كل أناس، ومعهم
بأيامانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وأن أهل الشر بعكس ذلك، لأنهم لا يقدرّون على قراءة كتبهم، من شدة غمهم وحزنهم وثورهم. 72
عملت به أم لا؟ وأنهم لا يؤاخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه، وأن الله لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها. وأن أهل الخير، يعطون كتبهم
الجنة كما لم يسلكه في الدنيا، وأضل سبيلا فإن الجزاء من جنس العمل، كما تدين تدان. وفي هذه الآية دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها وكتابها، هل
ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن الحق فلم يقبله، ولم ينقله، بل اتبع الضلال. فهو في الآخرة أعمى عن سلوك طريق
إلا للحق الذي جئت به لا لذاتك، كما قال الله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون 73
من أحبائهم، لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، المحبة للقریب والبعيد، والصديق والعدو. ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذك العداوة،
الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك. وإذا لو فعلت ما يهوون لاتخذوك خليلا أي حبيبا صفيّا، أعز عليهم
على فتنته بكل طريق، فقال: وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا أي: قد كادوا لك أمرا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على
يذكر تعالى منته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وحفظه له من أعدائه الحريصين
هذا ف لولا أن ثبتناك على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، لقد كدت تترك إلههم شيئا قليلا من كثرة المعالجة، ومحبتك لهديتهم. 74
و مع
الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تترك إلههم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة. 75
مضاعف، في الحياة الدنيا والآخرة، وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال معرفتك. ثم لا تجد لك علينا نصيرا ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن
إذا لو ركنك إلههم بما يهوون لأدّٰنك ضعف الحياة وضعف الممات أي لأصبنك بعذاب
أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم. 76
إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل وحاشاه من ذلك بقوله: إذا لأدّٰنك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وفيها:
عند وجود أسباب الشر بالعصمة منه، والثبات على الإيمان. وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثم، ويتضاعف جرمه،
إلههم شيئا قليلا فكيف بغيره؟ وفيها تذكير الله لرسوله منته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم
لربه، أن يثبت على الإيمان، ساعيا في كل سبب موصول إلى ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق، قال الله له: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
بـ بدر وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد. وفي هذه الآيات، دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقا
ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة. ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلا، حتى أوقع الله بهم
أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها. ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا، حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول
تفسير الآيتين 76 و77 -: وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها أي: من بغضهم لمقامك بين
أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم. 77

تفسير السعدي

إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل وحاشاه من ذلك بقوله: إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وفيها: عند وجود أسباب الشر بالعصمة منه، والثبات على الإيمان. وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إليهم شيئا قليلا فكيف بغيره؟ وفيها تذكير الله لرسوله منته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم لربه، أن يثبتته على الإيمان، ساعيا في كل سبب موصل إلى ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق، قال الله له: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن بـ بدر وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد. وفي هذه الآيات، دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقا ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة. ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلا، حتى أوقع الله بهم أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها. ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا، حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول تفسير الآيتين 76 و77 :- وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها أي: من بغضهم لمقامك بين

وقتهما جميعا. وفيه: فضيلة صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القراءة فيها، وأن القراءة فيها، ركن لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها، دل على فرضية ذلك. 78 أن الوقت شرط لصحة الصلاة، وأنه سبب لوجوبها، لأن الله أمر بإقامتها لهذه الأوقات. وأن الظهر والعصر يجمعان، والمغرب والعشاء كذلك، للعدر، لأن الله جمع الله، وملائكة الليل وملائكة النهار. ففي هذه الآية، ذكر الأوقات الخمسة، للصلوات المكتوبات، وأن الصلوات الموقعة فيه فرائض لتخصيصها بالأمم. وفيها: المغرب وصلاة العشاء. وقرآن الفجر أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنا، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، وفضل القراءة فيها حيث شهدها لدلوك الشمس أي: ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال، فيدخل في ذلك صلاة الظهر وصلاة العصر. إلى غسق الليل أي: ظلمته، فدخل في ذلك صلاة يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلاة تامة، ظاهرا وباطنا، في أوقاتها.

ولد آدم، ليرحمهم الله من هول الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيم مقامه يغبطه به الأولون والآخرين، وتكون له المنة على جميع الخلق. 79 والآخرين، مقام الشفاعة العظمى، حين يتشفع الخلائق بآدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد فرض عليك بالخصوص، ولكرامتك على الله، أن جعل وظيفتك أكثر من غيرك، وليكثر ثوابك، وتنال بذلك المقام المحمود، وهو المقام الذي يحمد فيه الأولون ورفع الدرجات، بخلاف غيرك، فإنها تكون كفارة لسيئاته. ويحتمل أن يكون المعنى: أن الصلوات الخمس فرض عليك وعلى المؤمنين، بخلاف صلاة الليل، فإنها ومن الليل فتعبد به أي: صل به في سائر أوقاته. نافلة لك أي: لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر،

على المسلمين والظلمة، عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله، مكن لهم في الأرض ونصرهم على أعدائهم. 80 وفي هذه الآيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لنال يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تغير. ومن نظر إلى تسليط الكفرة الله به منهم، فهذا جزاء الدنيا وما عند الله من النكال أعظم وأشنع، ولهذا قال: وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يصلونها وبلازمونها لا يخرجون منها أبدا. على المعاصي فقال: وإن عدتم إلى الإفساد في الأرض عدنا إلى عقوبتكم، فعادوا لذلك فسلط الله عليهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فانتقم عسى ربكم أن يرحمكم فيديل لكم الكرة عليهم، فرحمهم وجعل لهم الدولة. وتوعدهم

خيرا ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له على كل حالة من أحواله دليلا ظاهرا، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، للعلم بالمسائل والدلائل. 80 واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا أي: حجة ظاهرة، وبرهانا قاطعا على جميع ما آتبه وما أذره. وهذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق أي: اجعل مداخلتي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقتها الأمر. وقل

لم يقابله الحق فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك. ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبياناته. 81 قد جاء الحق الذي لا يقوم له شيء، وزهق الباطل أي: اضمحل وتلاشى. إن الباطل كان زهوقا أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا وقل جاء الحق وزهق الباطل والحق هو ما أوحاه الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فأمره الله أن يقول ويعلم،

وأسقامها. وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل. 82 السينة فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها آياته إلا خسارا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم فالقرآن مشتمل

من هداه الله فإنه عند النعم يخضع لربه، ويشكر نعمته، وعند الضراء يتضرع، ويرجو من الله عافيته، وإزالة ما يقع فيه، وبذلك يخف عليه البلاء. 83 بجانبه عن ربه، فلا يشكره ولا يذكره. وإذا مسه الشر كالمرض ونحوه كان ينوسا من الخير قد قطع ربه رجاءه، وظن أن ما هو فيه دائم أبدا. وأما هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من هداه الله، فإن الإنسان عند إنعام الله عليه يفرح بالنعم ويبطر بها، ويعرض وينأى ولم يوافقهم إلا ما وافق أغراضهم. فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فيعلم من يصلح للهداية، فيهديه ومن لا يصلح لها فيخذله ولا يهديه. 84

تفسير السعدي

ما يليق به من الأحوال، إن كان من الصفوة الأبرار، لم يشاكلهم إلا عملهم لرب العالمين. ومن كان من غيرهم من المخدولين، لم يناسبهم إلا العمل للمخلوقين، أي: قل كل من الناس يعمل على شاكلته أي: على

هذه الآية دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر، الأولى بالسائل غيره أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه. 85 سؤالهم بقوله: قل الروح من أمر ربي أي: من جملة مخلوقاته، التي أمرها أن تكون فكانت، فليس في السؤال عنها كبير فائدة، مع عدم علمكم بغيرها. وفي عن الروح التي هي من الأمور الخفية، التي لا يتقن وصفها وكيفيتها كل أحد، وهم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد. ولهذا أمر الله رسوله أن يجيب وهذا متضمن لردع من يسأل المسائل، التي لا يقصد بها إلا التعنت والتعجيز، ويدع السؤال عن المهم، فيسألون

فلتغيب به، وتقر به عينك، ولا يحزنك تكذيب المكذبين، واستهزاء الضالين، فإنهم عرضت عليهم أجل النعم، فردوها لهوانهم على الله وخذلانه لهم. 86 الإطلاق على رسوله، فإن فضل الله عليه كبير، لا يقادر قدره. فالذي تفضل به عليك، قادر على أن يذهب به، ثم لا تجد رادا يردده، ولا وكيلا بتوجهه عند الله فيه. تفسير الآيتين 86 و 87: يخبر تعالى أن القرآن والوحي الذي أوحاه إلى رسوله، رحمة منه عليه وعلى عباد، وهو أكبر النعم على

فلتغيب به، وتقر به عينك، ولا يحزنك تكذيب المكذبين، واستهزاء الضالين، فإنهم عرضت عليهم أجل النعم، فردوها لهوانهم على الله وخذلانه لهم. 87 الإطلاق على رسوله، فإن فضل الله عليه كبير، لا يقادر قدره. فالذي تفضل به عليك، قادر على أن يذهب به، ثم لا تجد رادا يردده، ولا وكيلا بتوجهه عند الله فيه. تفسير الآيتين 86 و 87: يخبر تعالى أن القرآن والوحي الذي أوحاه إلى رسوله، رحمة منه عليه وعلى عباد، وهو أكبر النعم على

وأفعاله تبارك وتعالى. فتبا لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق، وزعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه على الله واختلقه من نفسه. 88 الله. فكما أنه ليس أحد من المخلوقين مماثل له في أوصافه فكلامه من أوصافه، التي لا يماثلها فيها أحد، فليس كمثله شيء، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، المطلق، والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي لو أن البحر يمدده من بعده سبعة أبحر مدادا، والأشجار كلها أقلام، لنفذ المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلمات الذي ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب الأرض والسموات، المطلع على سائر الخفيات، الذي له الكمال وتمكن من ذلك لفعله. فعلم بذلك، أنهم أذعنوا غاية الإذعان، طوعا وكرها، وعجزوا عن معارضته. وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، عليه. ووقع كما أخبر الله، فإن دواعي أعدائه المكذبين به، متوفرة على رد ما جاء به بأي: وجه كان، وهم أهل اللسان والفصاحة، فلو كان عندهم أدنى تأهل ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا وهذا دليل قاطع، وبرهان

إلا كفورا لهذه النعمة التي هي أكبر من جميع النعم، وجعلوا يتعننون عليه باقتراح آيات غير آياته، يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة. 89 يضطر إليها العباد، لأجل أن يتذكروا ويتقوا، فلم يتذكر إلا القليل منهم، الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة، وأعانهم الله بتوفيقه، وأما أكثر الناس فأبوا يقول تعالى: ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي: نوعا فيه المواعظ والأمثال، وثبينا فيه المعاني التي

أموره. ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الواجبات والسنن، أن لهم أجرا كبيرا أعده الله لهم في دار كرامته لا يعلم وصفه إلا هو. 9 وأنه يهدي للتي هي أقوم أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته

الله صلى الله عليه وسلم الذي أتى بهذا القرآن المشتمل على كل برهان وآية: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أي: أنهارا جارية. 90 فيقولون لرسول

أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتستغنى بها عن المشي في الأسواق والذهاب والمجيء. 91

تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أي: قطعنا من العذاب، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أي: جميعا، أو مقابلة ومعينة، يشهدون لك بما جنت به. 92 أو

الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرا. وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة. 93 أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة. هل كنت إلا بشرا رسولا ليس بيده شيء من الأمر. وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزله فقال: قل سبحان ربي عما تقولون علوا كبيرا، وسبحانه و ومع هذا فـ ولن نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات؛ وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق تفسير الآيتين 93 و 94: أو يكون لك بيت من زخرف أي: مزخرف بالذهب وغيره أو ترقى في السماء رقيبا حسيا،

الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرا. وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة. 94 أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة. هل كنت إلا بشرا رسولا ليس بيده شيء من الأمر. وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزله فقال: قل سبحان ربي عما تقولون علوا كبيرا، وسبحانه

تفسير السعدي

و ومع هذا ف ولن نؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات؛ وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق تفسير الآيتين 93 و 94 :- أو يكون لك بيت من زخرف أي: مزخرف بالذهب وغيره أو ترقى في السماء رقيا حسيا، كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين يثبتون على رؤية الملائكة والتلقي عنهم؛ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ليمكنهم التلقي عنه. 95 فلو على من عاداه وناوأه. فلو تقول عليه بعض الأقاويل، لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين، فإنه خبير بصير، لا تخفى عليه من أحوال العباد خافية. 96 قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فمن شهادته لرسوله ما أيده به من المعجزات، وما أنزل عليه من الآيات، ونصره عذابها، ولم يظلمهم الله تعالى، بل جازاهم بما كفروا بآياته وأنكروا البعث الذي أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب وعجزوا ربهم وأنكروا تمام قدرته 97 هم وغم وعذاب. كلما خبت أي: تهيات للانطفاء زدناهم سعيرا أي: سعرناها بهم لا يفتر عنهم العذاب، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من ينصره من عذاب الله، حين يحشرهم الله على وجوههم خزيا عميا وبكما، لا يبصرون ولا ينطقون. مأواهم أي: مقرهم ودارهم جهنم التي جمعت كل فمن يهده، فييسره لليسرى ويجنبه العسرى، فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله، فيخذله، ويكله إلى نفسه، فلا هادي له من دون الله، وليس له ولي يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية والإضلال، وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا أي: لا يكون هذا لأنه في غاية البعد عن عقولهم الفاسدة. 98 أجلا لا ريب فيه ولا شك، وإلا فلو شاء لجاءهم به بغتة، ومع إقامته الحجج والأدلة على البعث. فأبى الظالمون إلا كفورا ظلما منهم وافتراء. 99 أن الله الذي خلق السماوات والأرض وهي أكبر من خلق الناس. قادر على أن يخلق مثلهم بلى، إنه على ذلك قدير. و لكنه قد جعل لذلك أولم يروا

سورة 18

والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له. وحقيق بكتاب موصوف. بما ذكر، أن يحمده الله نفسه على إنزاله، وأن يتمدح إلى عباده به. 1 الله وصفاته وأفعاله، ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن أوامره ونواهيه، تزكي النفوس، وتطهرها وتنميتها وتكملها، لاشتمالها على كمال العدل والقسط، ونواهيه ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة، يقتضي أنه لا يخبر ولا يأمر إلا بأجل الإخبارات وهي الأخبار، التي تملأ القلوب معرفة وإيمانا وعقلا، كالإخبار بأسماء مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيم مستقيم، فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره محمد صلى الله عليه وسلم فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم، ثم وصف هذا الكتاب بوصفين الثناء عليه بصفاته، التي هي كلها صفات كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وأجل نعمه على الإطلاق، إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله، الحمد لله هو

إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم 10 الشر، وتوقفنا للخير وهيب لنا من أمرنا رشدا أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشd، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، أوى الفتية أي: الشباب، إلى الكهف يريدون بذلك التحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم، فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي تثبتنا بها وتحفظنا من ثم ذكر قصتهم مجملة، وفصلها بعد ذلك فقال: إذ

بأغلالها وسعيرها، وحميمها، وزمهيرها، وليذوقوا من العقاب، ما تبكم له القلوب، وتصم الأذان، وهذا آثار أعمالهم، وجزاء أفعالهم، فإنهم في الدنيا . 100 كما قال تعالى: وبرزت الجحيم للغاوين أي: عرضت لهم لتكون مأواهم ومنزلهم، وليتمتعوا

بأغلالها وسعيرها، وحميمها، وزمهيرها، وليذوقوا من العقاب، ما تبكم له القلوب، وتصم الأذان، وهذا آثار أعمالهم، وجزاء أفعالهم، فإنهم في الدنيا . 101 كما قال تعالى: وبرزت الجحيم للغاوين أي: عرضت لهم لتكون مأواهم ومنزلهم، وليتمتعوا

ضال خائب الرجاء، غير نائل لبعض مقصوده. إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا أي ضيافة وقرى، فبنس النزل نزلهم، وبنست جهنم، ضيافتهم. 102 الضر عنكم ولا تحويلا ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ونحو ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها، أن المتخذ من دونه وليا ينصره ويواليه، باطل، وظن فاسد، فإن جميع المخلوقين، ليس بيدهم من النفع والضر، شيء، ويكون هذا، كقوله تعالى: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف أن المعنى: أفحسب الكفار بالله، المنابدون لرسله، أن يتخذوا من دون الله أولياء ينصرونهم، وينفعونهم من دون الله، ويدفعون عنهم الأذى؟ هذا حسابان أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم فمن زعم أنه يتخذ ولي الله وليا له، وهو معاد لله، فهو كاذب، ويحتمل وهو الظاهر لله أبدا، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابها لقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة وجه الاستفهام والإنكار المتقرر بطلانه في العقول: أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء أي: لا يكون ذلك ولا يوالي ولي الله معاديا

تفسير السعدي

والأولياء، شركاء لله يعبدونهم، ويزعمون أنهم يكونون لهم أولياء، ينجونهم من عذاب الله، وينيلونهم ثوابه، وهم قد كفروا بالله وبرسله. يقول الله لهم على وهذا برهان وبيان، لبطلان دعوى المشركين الكافرين، الذين اتخذوا بعض الأنبياء

أي: قل يا محمد، للناس على وجه التحذير والإنذار: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالا على الإطلاق؟ 103

وأنها محادة لله ورسله ومعاداة؟ فمن هم هؤلاء الذين خسرت أعمالهم، ففخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؟ ألا ذلك هو الخسران المبين 104 الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أي: بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل، يحسبون أنهم محسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رءوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها 105 لأن الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنة لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان، كما قال تعالى ومن يعمل والآيات العيانة، الدالة على وجوب الإيمان به، وملأته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر. فحبطت بسبب ذلك أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه أي: جحدوا الآيات القرآنية

بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم، وتعسوا، وانتكسوا في العذاب. ولما بين مآل الكافرين وأعمالهم، بين أعمال المؤمنين ومآلهم 106 بكفرهم بآيات الله، واتخاذهم آياته ورسله، هزوا يستهزئون بها، ويسخرون منها، مع أن الواجب في آيات الله ورسله، الإيمان التام بها، والتعظيم لها، والقيام ذلك جزاؤهم أي: حبوط أعمالهم، وأنه لا يقام لهم يوم القيامة، وزنا لحقارتهم وخستهم،

النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة نفذت فكان، ما كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. 107 الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدانا، ولم يؤثرها عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يفوتوا أوقاتا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علما حقيقيا يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرءوف الرحيم، فله تلك الضيافة، ما أجلها وأجلها، وأدومها وأكملها، وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة، وأعلى ذلك وأفضله وأجله، التنعم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة. والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، ضيافة أجل وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهي الأنفس. وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، يطلق على البستان، المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفة، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نزل، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي: الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدين، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، ولأن الفردوس وأن هذا الثواب، لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح، والأنبياء والمقربون. ويحتمل أن يراد بها، جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل والباطنة، فهؤلاء على اختلاف طبقاتهم من الإيمان والعمل الصالح لهم جنات الفردوس. يحتمل أن المراد بجنات الفردوس، أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأعماله، أصوله، وفروعه الظاهرة،

أنه لا ينقطع لا ييغون عنها حولا أي: تحولا ولا انتقالا، لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيما فوق ما هم فيه. 108 خالدين فيها هذا هو تمام النعيم، إن فيها النعيم الكامل، ومن تمامه

وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن الله، له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلى ربك المنتهى. 109 وحكمته، وقدرته، ورحمته، فلو جمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، لكان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة عصفور الله، فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى، فأى سعة وعظمة تصورتها القلوب فالحه فوق ذلك، وهكذا سائر صفات الله تعالى، كعلمه، ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان، لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات، منقضية منتهية، وأما كلام قبل أن تنفذ كلمات ربي وهذا شيء عظيم، لا يحيط به أحد. وفي الآية الأخرى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر في العالم مدادا لكلمات ربي أي: وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار، أقلام، لنفد البحر وتكسرت الأقلام أي: قل لهم مخبرا عن عظمة الباري، وسعة صفاته، وأنها لا يحيط العباد بشيء منها: لو كان البحر أي: هذه الأبحر الموجودة

سنتين عددا وهي ثلاث مائة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم وليكون آية بينة. 11 فضربنا على آذانهم في الكهف أي أنماهم

ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاتته القرب من مولاه، ونيل رضاه. آخر تفسير سورة الكهف، ولله الحمد. 110 من واجب ومستحب، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي: لا يراي بعمله بل يعمل خالصا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال: فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو الموافق لشرع الله، أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحى الله إلي، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إلهكم إله واحد، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره، أي: لست بآله، ولا لي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، إنما أنا بشر مثلكم عبد من عبيد ربي، يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد

أي: قل يا محمد للكفار وغيرهم: إنما أنا بشر مثلكم

لبنهم، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، فلو استمروا على نومهم، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك من قصتهم. 12
لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا أي: لنعلم أيهم أحصى لمقدار مدتهم، كما قال تعالى: وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الآية، وفي العلم بمقدار
ثم بعثناهم أي: من نومهم

أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى 13
آمنوا بربهم وهذا من جموع القلة، يدل ذلك على أنهم دون العشرة، آمنوا بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، ف شكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى،
هذا شروع في تفصيل قصتهم، وأن الله يقصها على نبيه بالحق والصدق، الذي ما فيه شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، إنهم فتية
الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والتزام ذلك، وبيان أنه الحق وما سواه باطل، وهذا دليل على كمال معرفتهم بربهم، وزيادة الهدى من الله لهم. 14
دعونا معه آلهة، بعد ما علمنا أنه الرب الإله الذي لا تجوز ولا تبغي العبادة، إلا له شططا أي: ميلا عظيما عن الحق، وطريقا بعيدة عن الصواب، فجمعوا بين
موتا ولا حياة ولا نشورا، فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية، ولهذا قالوا: لن ندعو من دونه إلهة أي: من سائر المخلوقات لقد قلنا إذا أي: إن
ودبرنا وربانا، هو خالق السماوات والأرض، المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة، لا تلك الأوثان والأصنام، التي لا تخلق ولا ترزق، ولا تملك نفعا ولا ضرا، ولا
وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات، والطمأنينة. إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض أي: الذي خلقنا ورزقنا،
وربطنا على قلوبهم أي صبرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة،

ولا يستطيعون سبيلا إلى ذلك، وإنما ذلك افتراء منهم على الله وكذب عليه، وهذا أعظم الظلم، ولهذا قال: فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا 15
وبينوا أنهم ليسوا على يقين من أمرهم، بل في غاية الجهل والضلال فقالوا: لولا يأتون عليهم بسلطان بين أي: بحجة وبرهان، على ما هم عليه من الباطل،
لما ذكروا ما من الله به عليهم من الإيمان والهدى، والتفتوا إلى ما كان عليه قومهم، من اتخاذ الآلهة من دون الله، فمقتوهم،

آياته على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن، ما هو من رحمته بهم، ويسر لهم كل سبب، حتى المحل الذي ناموا فيه، كان على غاية ما يمكن من الصيانة 16
أمرهم، ودعائه بذلك، وبين الثقة بالله أنه سيفعل ذلك، لا جرم أن الله نشر لهم من رحمته، وهياً لهم من أمرهم مرفقا، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من
وفيما تقدم، أخبر أنهم دعوه بقولهم ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا فجمعوا بين التبري من حولهم وقوتهم، والالتجاء إلى الله في صلاح
ولا بقائهم بين أظهرهم، وهم على غير دينهم، فأووا إلى الكهف أي: انضموا إليه واختفوا فيه ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا
لبعض، إذ حصل لكم اعتزال قومكم في أجسامكم وأديانكم، فلم يبق إلا النجاء من شرهم، والتسبب بالأسباب المفضية لذلك، لأنهم لا سبيل لهم إلى قتالهم،
أي: قال بعضهم

تجد له وليا مرشدا أي: لا تجد من يتولاه ويدبره، على ما فيه صلاحه، ولا يرشده إلى الخير والفلاح، لأن الله قد حكم عليه بالضلال، ولا راد لحكمه. 17
حتى في هذه الأمور، ولهذا قال: من يهد الله فهو المهتد أي: لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله، فهو الهادي المرشد لمصالح الدارين، ومن يضل فلن
والنسيم، ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصا مع طول المكث، وذلك من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بهم، وإجابة دعائهم وهدايتهم
عنه يمينا، وعند غروبها تميل عنه شمالا، فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها، وهم في فجوة منه أي: من الكهف أي: مكان متسع، وذلك ليطرحهم الهواء
أي: حفظهم الله من الشمس فيسر لهم غارا إذا طلعت الشمس تميل

المدينة جدا، والدليل على قربهم، أنهم لما استيقظوا، أرسلوا أحدهم، يشتري لهم طعاما من المدينة، وبقوا في انتظاره، فدل ذلك على شدة قربهم منها. 18
الله عليهم، فلو اطلع عليهم أحد، لامتأ قلبه رعبا، وولى منهم فرارا، وهذا الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة، وهم لم يعثر عليهم أحد، مع قربهم من
النوم وقت حراسته، فكان باسطة ذراعيه بالوصيد، أي: الباب، أو فئانه، هذا حفظهم من الأرض. وأما حفظهم من الآدميين، فأخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره
أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بمسبباتها. وكلبهم باسطة ذراعيه بالوصيد أي: الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، أصابه ما أصابهم من
قدر الله، أن قلبهم على جنوبهم يمينا وشمالا، بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، والله تعالى قادر على حفظهم من الأرض، من غير تقليب، ولكنه تعالى حكيم،
يحسبهم أيقاظا، وهم رقود، ونقلهم ذات اليمين وذات الشمال وهذا أيضا من حفظه لأبدانهم، لأن الأرض من طبيعتها، أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من
أيقاظا وهم رقود أي: تحسبهم أيها الناظر إليهم كأنهم أيقاظا، والحال أنهم نيام، قال المفسرون: وذلك لأن أعينهم منفتحة، لنلا تفسد، فالناظر إليهم
وتحسبهم

يلائمه إلا ذلك ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها. 19
أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وخصوصا إذا كان الإنسان لا
ذلك. ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يردّه إلى عالمه، وأن يقف عند حده. ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك. ومنها: جواز
أبدا، بل يحشرون في دينهم ودنياهم وأخراهم، وقد دلت هاتان الآيتان، على عدة فوائد. منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل
بين أمرين، إما الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون

تفسير السعدي

في ذهابه وشرائه وإيابه، وأن يختفي في ذلك، ويخفي حال إخوانه، ولا يشعرون بهم أحدا. وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم أي: بالدرهم، التي كانت معهم، ليستري لهم طعاما يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها، وأمروه أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه وألذ، وأن يتلطف الساعة لا ريب فيها فلولا أنه حصل العلم بحالهم، لم يكونوا دليلا على ما ذكر، ثم إنهم لما تساءلوا بينهم، وجرى منهم ما أخبر الله به، أرسلوا أحدهم بورقهم، في الأمور المطلوب علمها، وسعى لذلك ما أمكنه، فإن الله يوضح له ذلك، وبما ذكر فيما بعده من قوله. وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن وصار آخر أمرهم، الاشتباه، فلا بد أن يكون قد أخبرهم يقينا، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم، وأنه لا يفعل ذلك عبثا. ومن رحمته بمن طلب علم الحقيقة علمه بكل شيء، جملة وتفصيلا، ولعل الله تعالى بعد ذلك أطلعهم على مدة لبثهم، لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم، وأخبر أنهم تساءلوا، وتكلموا بمبلغ ما عندهم، يوما أو بعض يوم وهذا مبني على ظن القائل، وكأنهم وقع عندهم اشتباه. في طول مدتهم، فلماذا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فردوا العلم إلى المحيط وكذلك بعثناهم أي: من نومهم الطويل ليتساءلوا بينهم أي: ليتباحثوا للوقوف على الحقيقة من مدة لبثهم. قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يقول تعالى:

ولا خطر على قلب بشر. وفي وصفه بالحسن، دلالة على أنه لا مكدر فيه ولا منغص بوجه من الوجوه، إذ لو وجد فيه شيء من ذلك لم يكن حسنه تاما. 2 أجرا حسنا وهو الثواب الذي رتبته الله على الإيمان والعمل الصالح، وأعظمه وأجله، الفوز برضا الله ودخول الجنة، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، به، وبرسلة وكتبه، الذين كمل إيمانهم، فأوجب لهم عمل الصالحات، وهي: الأعمال الصالحة، من واجب ومستحب، التي جمعت الإخلاص والمتابعة، أن لهم وبينها لهم، وبين لهم الأسباب الموصلة إليها. ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا أي: وأنزل الله على عبده الكتاب، ليبشر المؤمنين لما ذكر في هذا القرآن وصف النار قال: ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون فمن رحمته بعباده، أن قيض العقوبات الغليظة على من خالف أمره، قدره وقضاه، على من خالف أمره، وهذا يشمل عقاب الدنيا وعقاب الآخرة، وهذا أيضا، من نعمه أن خوف عباده، وأنذرهم ما يضرهم ويهلكهم. كما قال تعالى وقوله لينذر بأسا شديدا من لدنه أي: لينذر بهذا القرآن الكريم، عقابه الذي عنده، أي:

عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين، والمتأخرين لقولهم: ولن تفلحوا إذا أبدا 20 على الإنسان وعلى إخوانه في الدين. ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة، في دينهم وتركهم أوطانهم في الله. ومنها: ذكر ما اشتمل ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك

وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب وما عند الله خير للأبرار 21 الحال إلى ما ترى. وفي هذه القصة، دليل على أن من فردينه من الفتن، سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله ومن أوى إلى الله، آواه الله، والثناء عليهم، وأن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: ابنوا عليهم مسجدا، بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم، وحذرهم من الاطلاع عليهم، فوصلت جرى لهم، وهذه الحالة محظورة، نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، وذم فاعليها، ولا يدل ذكرها هنا على عدم ذمها، فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف بنيانا الله أعلم بحالهم ومآلهم، وقال من غلب على أمرهم، وهم الذين لهم الأمر: لتتخذن عليهم مسجدا أي: نعبد الله تعالى فيه، ونذكر به أحوالهم، وما ويقين للمؤمنين، وحجة على الجاحدين، وصار لهم أجر هذه القضية، وشهر الله أمرهم، ورفع قدرهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم. و فقالوا ابنوا عليهم على أن وعد الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا بعد، بعدما كانوا يتنازعون بينهم أمرهم، فمن مثبت للوعد والجزاء، ومن ناف لذلك، فجعل قصتهم زيادة بصيرة لهم طعاما، وأمروه بالاستخفاء والإخفاء، فأراد الله أمرا فيه صلاح للناس، وزيادة أجر لهم، وهو أن الناس رأوا منهم آية من آيات الله، المشاهدة بالعيان، يخبر الله تعالى، أنه أطلع الناس على حال أهل الكهف، وذلك والله أعلم بعدما استيقظوا، وبعثوا أحدهم يشتري

دون آخر. فيستفتى فيما هو أهل له، بخلاف غيره، لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقا، إنما نهى عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها. 22 وإذا نهى عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هو عن الفتوى، من باب أولى وأحرى. وفي الآية أيضا، دليل على أن الشخص، قد يكون منهيا عن استفتائه في شيء، الحق شيئا، ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه، ولا تستفت فيهم أي: في شأن أهل الكهف منهم أي: من أهل الكتاب أحدا وذلك لأن مبنى كلامهم فيهم على الرجم بالغيب والظن، الذي لا يغني من دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإن في كثرة المناقشات فيها، والبحوث المتسلسلة، تضييعا للزمان، وتأثيرا في مودة القلوب بغير فائدة. فيه فائدة، وأما الممارسة المبنية على الجهل والرجم بالغيب، أو التي لا فائدة فيها، إما أن يكون الخصم معاندا، أو تكون المسألة لا أهمية فيها، ولا تحصل فائدة إلا قليل وهم الذين أصابوا الصواب وعلموا إصابتهم. فلا تمار أي: تجادل وتحتاج فيهم إلا مراء ظاهرا أي: مبني على العلم واليقين، ويكون أيضا صحتهم، وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته، ولا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس، دينية ولا دنيوية، ولهذا قال تعالى: قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم أن هذا رجم منهم بالغيب، فدل على بطلانها. ومنهم من يقول: سبعة، وثامنهم كلبهم، وهذا والله أعلم بالصواب، لأن الله أبطل الأولين ولم يبطله، فدل على بما لا يعلمون، وأنهم فيهم على ثلاثة أقوال: منهم: من يقول: ثلاثة، رابعهم كلبهم، ومنهم من يقول: خمسة، سادسهم كلبهم. وهذان القولان، ذكر الله بعدهما، يخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف، اختلافا صادرا عن رجمهم بالغيب، وتقولهم

بعبد، تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد، أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدده في جميع أموره. 23

تفسير السعدي

أمره الله أن يقول: عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا فأمره أن يدعو الله ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشd. وحري وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكون من الغافلين، ولما كان العبد مفتقرا إلى الله في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، إذا ذكر، ليحصل المطلوب، وينفع المحذور، ويؤخذ من عموم قوله: واذكر ربك إذا نسيت الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه، ولما كان العبد بشرا، لا بد أن يسهو فيترك ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثني بعد ذلك، رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالا، وذلك محذور محظور، لأن المشيئة كلها لله وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ولما في ذكر مشيئة الله، من ذلك من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور، وهو: الكلام على الغيب المستقبل، الذي لا يدري، هل يفعله أم لا؟ وهل تكون أم لا؟ وفيه كغيره، وإن كان لسبب خاص وموجها للرسول صل الله عليه وسلم، فإن الخطاب عام للمكلفين، فهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلية، إني فاعل تفسير الآيتين 23 و 24 :- هذا النهي

بعد، تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشd، أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدده في جميع أموره. 24 أمره الله أن يقول: عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا فأمره أن يدعو الله ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشd. وحري وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكون من الغافلين، ولما كان العبد مفتقرا إلى الله في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، إذا ذكر، ليحصل المطلوب، وينفع المحذور، ويؤخذ من عموم قوله: واذكر ربك إذا نسيت الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه، ولما كان العبد بشرا، لا بد أن يسهو فيترك ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثني بعد ذلك، رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالا، وذلك محذور محظور، لأن المشيئة كلها لله وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ولما في ذكر مشيئة الله، من ذلك من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور، وهو: الكلام على الغيب المستقبل، الذي لا يدري، هل يفعله أم لا؟ وهل تكون أم لا؟ وفيه كغيره، وإن كان لسبب خاص وموجها للرسول صل الله عليه وسلم، فإن الخطاب عام للمكلفين، فهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلية، إني فاعل تفسير الآيتين 23 و 24 :- هذا النهي

وغيبها مختص به، فما أخبر به عنها على أسنة رسله، فهو الحق اليقين، الذي لا يشك فيه، وما لا يطلع رسله عليه، فإن أحدا من الخلق، لا يعلمه. 25 أهل الكهف، لعدم علمهم بذلك، وكان الله عالم الغيب والشهادة، العالم بكل شيء، أخبره بمدة لبثهم، وأن علم ذلك عنده وحده، فإنه من غيب السماوات والأرض، لما نهاه الله عن استفتاء أهل الكتاب، في شأن

تعالى، له غيب السماوات والأرض، فليس لمخلوق إليها طريق، إلا عن الطريق التي يخبر بها عباده، وكان هذا القرآن، قد اشتمل على كثير من الغيوب 26 الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحاكم في خلقه، قضاء وقدر، وخالقا وتديرا، والحاكم فيهم، بأمره ونهي، وثوابه وعقابه. ولما أخبر أنه قال: ما لهم من دونه من ولي أي: هو الذي تولى أصحاب الكهف، بلطفه وكرمه، ولم يكلمهم إلى أحد من الخلق. ولا يشرك في حكمه أحدا وهذا يشمل العامة والخاصة، فهو الولي الذي يتولى تدبير جميع الكون، الولي لعباده المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور ويبسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى، ولهذا أبصر به وأسمع تعجب من كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات، بعد ما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات. ثم أخبر عن انفراد بالولاية وقوله:

وحده الملجأ في كل الأمور، تعين أن يكون هو المألوه المرغوب إليه، في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسئول في جميع المطالب. 27 تعظيم للقرآن، في ضمنه الترغيب على الإقبال عليه. ولن تجد من دونه ملتحدا أي: لن تجد من دون ربك، ملجأ تلجأ إليه، ولا معادا تعوذ به، فإذا تعين أنه من الحسن فوق كل غاية وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا فلتنامها، استحال عليها التغيير والتبديل، فلو كانت ناقصة، لعرض لها ذلك أو شيء منه، وفي هذا إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتنال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي: لا تغير ولا تبدل لصدقها وعدلها، وبلوغها التلاوة: هي الاتباع، أي: اتبع ما أوحى الله

والدعاء والعبادة طرفي النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه. 28 يتبع ويجعل إماما، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام. وفي الآية، استحباب الذكر واتباع مرضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك، أن لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، على علم الآية. وكان أمره أي: مصالح دينه ودنياه فرطا أي: ضائعة معطلة. فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه حيث ما اشتتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، كما قال تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله الأبدية، والندامة السردية. ولهذا قال: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا بأن أغفل عن ذكره. واتبع هواه أي: صار تبعا لهواه، في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للنظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الدنيا فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة

تفسير السعدي

وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى. ولا تعد عينك عنهم أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك. تريد زينة الحياة أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم بنبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يأمر تعالى

فيها ارتفاق، وإنما فيها العذاب العظيم الشاق، الذي لا يفتر عنهم ساعة، وهم فيه مبلسون قد أيسوا من كل خير، ونسيهم الرحيم في العذاب، كما نسوه. 29 بعض العذاب، فيكون زيادة في عذابهم، وشدة عقابهم. وساءت النار مرتفقا وهذا ذم لحالة النار، أنها ساءت المحل، الذي يرتفق به، فإنها ليست أي: فكيف بالأمعاء والبطون، كما قال تعالى يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد بنس الشراب الذي يراد ليطفئ العطش، ويدفع أي: يطلبوا الشراب، ليطفئ ما نزل بهم من العطش الشديد. يغاثوا بماء كالمهل أي: كالرصاص المذاب، أو كعكر الزيت، من شدة حرارته. يشوي الوجوه والفسوق والعصيان نارا أحاط بهم سراقها أي: سورها المحيط بها، فليس لهم منفذ ولا طريق ولا مخلص منها، تصلاهم النار الحامية. وإن يستغيثوا وإنما ذلك تهديد ووعيد لمن اختار الكفر بعد البيان التام، كما ليس فيها ترك قتال الكافرين. ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقال: إنا أعتدنا للظالمين بالكفر على الإيمان، كما قال تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وليس في قوله: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الإذن في كلا الأمرين، وعدم توفيقه، وقد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان والكفر، والخير والشر، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، وليس بمكره الله على لسان رسوله، فإذا بان واتضح، ولم يبق فيه شبهة. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أي: لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين، بحسب توفيق العبد، أي: قل للناس يا محمد: هو الحق من ربكم أي: قد تبين الهدى من الضلال، والرشد من الغي، وصفات أهل السعادة، وصفات أهل الشقاوة، وذلك بما بينه التبشير ما يقتضي ذكر الأعمال الموجبة للمبشر به، وهو أن هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل صالح، موصل لما تستبشر به النفوس، وتفرح به الأرواح. 3 ومع ذلك فهذا الأجر الحسن ماكتين فيه أبدا لا يزول عنهم، ولا يزولون عنه، بل نعيمهم في كل وقت متزايد، وفي ذكر

لوجه الله، متبعا في ذلك شرع الله. فهذا العمل لا يضيعه الله، ولا شيئا منه، بل يحفظه للعاملين، ويوفيههم من الأجر، بحسب عملهم وفضله وإحسانه 30 ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وعمل الصالحات من الواجبات والمستحبات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا وإحسان العمل: أن يريد العبد العمل ثم ذكر الفريق الثاني فقال: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي: جمعوا بين الإيمان بالله وملأنكته وكتبه

الكريمة وما أشبهها، على أن الحلية، عامة للذكور والإناث، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لأنه أطلقها في قوله يحلون وكذلك الحرير ونحوه. 31 فنعيمهم على الدوام متزايد في أوصافه وحسنه، فنسأل الله الكريم، أن لا يحرمننا خير ما عنده من الإحسان، بشر ما عندنا من التقصير والعصيان. ودلت الآية ونعيمه وقصوره وبساتينه ألفت سنة، ولا يرى فوق ما هو فيه من النعيم، قد أعطى جميع أمانيه ومطالبه، وزيد من المطالب، ما قصرت عنه الأمانى، ومع ذلك، مما تشتهي النفس وتلد الأعين، من الحبرة والسور، والفرح الدائم، واللذات المتواترة، والنعم المتوافرة، وأي مرتفق أحسن من دار، أدنى أهلها، يسير في ملكه بما يشتهون، وتمام ذلك الخلود الدائم والإقامة الأبدية، فهذه الدار الجليلة نعم الثواب للعاملين وحسنت مرتفقا يرتفقون بها، ويتمتعون بما فيها، بالثياب الفاخرة فإنها لا تسمى أريكة حتى تكون كذلك، وفي اتكائهم على الأرائك، ما يدل على كمال الراحة، وزوال النصب والتعب، وكون الخدم يسعون عليهم الذهب، ولباسهم فيها الحرير الأخضر من السندس، وهو الغليظ من الديباج، والإستبرق، وهو ما رق منه. متكئين فيها على الأرائك، وهي السرر المزينة، المجملية لهم الجنات العاليات التي قد كثرت أشجارها، فأجنت من فيها، وكثرت أنهارها، فصارت تجري من تحت تلك الأشجار الأنيقة، والمنازل الرفيعة، وحليتهم فيها أي: أولئك الموصوفون بالإيمان والعمل الصالح،

وارجحت أشجارهما، ولم تعرض لهما آفة أو نقص، فهذا غاية منتهى زينة الدنيا في الحرث، ولهذا اغتر هذا الرجل بهما، وتبجح وافتخر، ونسي آخرته. 32 ومع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة. وكان له أي: لذلك الرجل ثمر أي: عظيم كما يفيد التنكير، أي: قد استكملت جنتاه ثمارهما، فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أي: ثمرها وزرعها ضعفين، أي: متضاعفا و أنها لم تظلم منه شيئا أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء، التي تكمل بها الثمار، وتنضج وتتجوه، ومع ذلك جعل بين تلك الأشجار زراعا، فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف ثمار هاتين الجنتين؟ وهل لهما ماء يكفيهما؟ أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، الكافر لنعمة الله الجليلة، جعل الله له جنتين، أي: بستانين حسنين، من أعناب. وحففناهما بنخل أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصا أعيان الرجلين، وفي أي: زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف، فأحد هذين الرجلين صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما، وليس معرفة تفسير الآيتين 32 و 33 -: يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما

وارجحت أشجارهما، ولم تعرض لهما آفة أو نقص، فهذا غاية منتهى زينة الدنيا في الحرث، ولهذا اغتر هذا الرجل بهما، وتبجح وافتخر، ونسي آخرته. 33 ومع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة. وكان له أي: لذلك الرجل ثمر أي: عظيم كما يفيد التنكير، أي: قد استكملت جنتاه ثمارهما، فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أي: ثمرها وزرعها ضعفين، أي: متضاعفا و أنها لم تظلم منه شيئا أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء،

تفسير السعدي

التي تكمل بها الثمار، وتنضج وتتجوه، ومع ذلك جعل بين تلك الأشجار زرعاً، فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف ثمار هاتين الجنتين؟ وهل لهما ماء يكفيهما؟ أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، الكافر لنعمة الله الجليلة، جعل الله له جنتين، أي: بستانين حسنين، من أعناب. وحففناهما بنخل أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصاً أعيان الرجلين، وفي أي: زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف، فأحد هذين الرجلين صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما، وليس معرفة تفسير الآيتين 32 و 33 :- يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما

بدليل قوله: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده. 34 أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه قال هذا الكلام، على وجه التهكم والاستهزاء، حذا من العقل، فأى: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم ولن ردت إلى ربي على ضرب المثل لأجدر خيراً منها منقلباً أي ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين، وهذا لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة لما دخل جنته، ف قال ما أظن أن تبدي أي: تنقطع وتضمحل هذه أبداً فاطمأن إلى هذه الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث، فقال: وما أظن الساعة قائمة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأمان، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله وظلمه، وظن عليه: أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأى: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة تفسير الآيات من 34 حتى 36 :- أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن، وهما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماكرات المعتادة، مفتخرا

بدليل قوله: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده. 35 أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه قال هذا الكلام، على وجه التهكم والاستهزاء، حذا من العقل، فأى: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم ولن ردت إلى ربي على ضرب المثل لأجدر خيراً منها منقلباً أي ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين، وهذا لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة لما دخل جنته، ف قال ما أظن أن تبدي أي: تنقطع وتضمحل هذه أبداً فاطمأن إلى هذه الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث، فقال: وما أظن الساعة قائمة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأمان، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله وظلمه، وظن عليه: أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأى: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة تفسير الآيات من 34 حتى 36 :- أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن، وهما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماكرات المعتادة، مفتخرا

بدليل قوله: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده. 36 أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه قال هذا الكلام، على وجه التهكم والاستهزاء، حذا من العقل، فأى: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم ولن ردت إلى ربي على ضرب المثل لأجدر خيراً منها منقلباً أي ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين، وهذا لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة لما دخل جنته، ف قال ما أظن أن تبدي أي: تنقطع وتضمحل هذه أبداً فاطمأن إلى هذه الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث، فقال: وما أظن الساعة قائمة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأمان، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله وظلمه، وظن عليه: أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأى: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة تفسير الآيات من 34 حتى 36 :- أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن، وهما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماكرات المعتادة، مفتخرا

أخبره أن نعمة الله عليه بالإيمان والإسلام، ولو مع قلة ماله وولد، أنها هي النعمة الحقيقية، وأن ما عداها معرض للزوال والعقوبة عليه والنكال، فقال: 37 والشبه: لكن الله ربي ولا أشرك بربي أحداً فأقر بربوبية لربه، وانفراده فيها، والتزم طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحداً من المخلوقين، ثم ولا يليق. ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبراً عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، عند ورود المجادلات أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وتجدد نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيراً من جنتك؟! هذا مما لا ينبغي المحسوسة، والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهياً لك ما هياً من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك، فكيف يليق بك نطفة ثم سواك رجلاً فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلاً، كامل الأعضاء والجوارح تفسير الآيتين 37 و 38 :- أي: قال له صاحبه المؤمن، ناصحاً له، ومذكراً له حاله الأولى، التي أوجده الله فيها في الدنيا من تراب ثم من

تفسير السعدي

- أخبره أن نعمة الله عليه بالإيمان والإسلام، ولو مع قلة ماله وولد، أنها هي النعمة الحقيقية، وأن ما عاها معرض للزوال والعقوبة عليه والنكال، فقال: 38 والشبه: لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا فأقر بربوبية لربه، وانفراده فيها، والتزم طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحدا من المخلوقين، ثم ولا يليق. ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبرا عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، عند ورود المجادلات أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلا، وتجدد نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيرا من جنتك؟! هذا مما لا ينبغي المحسوسة، والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهيا لك ما هيا من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك، فكيف يليق بك نطفة ثم سواك رجلا فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلا، كامل الأعضاء والجوارح تفسير الآيتين 37 و 38 :- أي: قال له صاحبه المؤمن، ناصحا له، ومذكرا له حاله الأولى، التي أوجده الله فيها في الدنيا من تراب ثم من ورأيتني أقل منك مالا وولدا فإن ما عند الله، خير وأبقى، وما يرجى من خيره وإحسانه، أفضل من جميع الدنيا، التي يتنافس فيها المتنافسون. 39 أي: قال للكافر صاحبه المؤمن: أنت وإن فخرت علي بكثرة مالك وولدك، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا من اليهود والنصارى، والمشركين، الذين قالوا هذه المقالة الشنيعة، فإنهم لم يقولوها عن علم ولا يقين 4
- السماء أي: عذابا، بمطر عظيم أو غيره، فتصبح بسبب ذلك صعيدا زلعا أي: قد اقتلعت أشجارها، وتلفت ثمارها، وغرق زرعها، وزال نفعها. 40 فعسى ربي أن يؤتينا خيرا من جنتك ويرسل علينا أي: على جنتك التي طغيت بها وغرتك حسباننا من إليه بالمعاول ولا بغيرها، وإنما دعا على جنته المؤمن، غضبا لربه، لكونها غرته وأطغته، واطمأن إليها، لعله ينيب، ويراجع رشده، ويبصر في أمره. 41 أو يصبح ماؤها الذي مادتها منه غورا أي: غائرا في الأرض فلن تستطيع له طلبا أي: غائرا لا يستطيع الوصول
- نفقاته الدنيوية عليها، حيث اضمحلت وتلاشت، فلم يبق لها عوض، وندم أيضا على شركه، وشده، ولهذا قال: ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا 42 والإحاطة بالثمر يستلزم تلف جميع أشجاره، وثماره، وزرعه، فندم كل الندامة، واشتد لذلك أسفه، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها أي على كثرة فاستجاب الله دعاءه وأحيط بثمره أي: أصابه عذاب، أحاط به، واستهلكه، فلم يبق منه شيء،
- عنه ما يطفيه، وعاقبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا. وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول. 43 هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب على قضاء الله وقدره الذي إذا أمضاه وقدره، لو اجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيء منه، لم يقدرُوا؟ ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه، أن صاحب لصاحبه: أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئا، أشد ما كان إليهم حاجة، وما كان بنفس منتصرا، وكيف ينتصر، أي: يكون له أنصارا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا أي: لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله
- إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم ف هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا أي: عاقبة ومآلا. 44 وفيه الدعاء بتلف مال ما كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصا إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم، وفيها أن ولاية الله وعدمها وفيها أن المال والولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا وفيها: الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير لقوله: إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتينا خيرا من جنتك ومسديها، وأن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله ليكون شاكرًا لله متسببا لبقاء نعمته عليه، لقوله: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله مآله الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلا، فإنه يحرمها طويلا، وأن العبد ينبغي له إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى موليتها والأخروي، خير ثواب يرجى ويؤمل، ففي هذه القصة العظيمة، اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعمًا دنيوية، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها، أن الحق، فمن كان مؤمنا به تقيًا، كان له وليا، فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور والمثلات، ومن لم يؤمن بربه ويتولاه، خسر دينه ودنياه، فثوابه الدنيوي الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى، وآثر الحياة الدنيا، والكرامة لمن آمن، وعمل صالحا، وشكر الله، ودعا غيره لذلك، تبين وتوضح أن الولاية لله هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا أي: في تلك
- كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل، لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسارانه 45 الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدرتي أنك قد مت، ولا بد أن تموتي، فأني: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها حين يعلم حقيقة ما هو عليه، ويتمنى العود إلى الدنيا، لا ليستكمل الشهوات، بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات، بالتوبة والأعمال الصالحات، فالعاقل الجازم فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله، وانفرد بصالح، أو سبى أعماله، هنالك يعرض الظالم على يديه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، غبراء ترابا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض أيهما أولى بالإيثار. وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينما زهرتها وزخرفها تسر الناظرين،

تفسير السعدى

أصلاً، ولمن قام بورأئته بعده تبعاً: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

به قليلا، ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه، بل ربما لحقته مضرته وهو المال والبنون ونوع يبقى وينفع صاحبه على الدوام، وهي الباقيات الصالحات. 46 إليها العاملون، ويوجد في تحصيلها المجتهدون، وتأمل كيف لما ضرب الله مثل الدنيا وحالها واضمحلالها ذكر أن الذي فيها نوعان: نوع من زينتها، يتمتع عند الله ثوابا وخير أملا، فتوايها يبقى، ويتضاعف على الآباد، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها عند الحاجة، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستنبق عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزوجات، والمماليك، والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كل هذا من الباقيات الصالحات، فهذه خير من حقوق الله، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، صدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره، الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة أن المال والبنين،

فلا يغادر منهم أحدا، بل يجمع الأولين والآخرين، من بطون الفلوات، وقصور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقا جديدا 47 كالعهن المنفوش، ثم تضمحل وتتلشى، وتكون هباء منبثا، وتبرز الأرض فتصير قاعا صفصفا، لا عوج فيه ولا أمتا، ويحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض، يخبر تعالى عن حال يوم القيامة، وما فيه من الأهوال المقلقة، والشدائد المزعجة فقال: ويوم نسير الجبال أي: يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيبا، ثم يجعلها للمنكرين للبعث، وقد شاهدوه عيانا: بل زعمتم أن نجعل لكم موعدا أي: أنكرتم الجزاء على الأعمال، ووعد الله ووعيده، فما قد رأيتموه وذقتموه 48 ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء وقال هنا، مخاطبا جئتمونا كما خلقناكم أول مرة أي: بلا مال، ولا أهل، ولا عشيرة، ما معهم إلا الأعمال، التي عملوها، والمكاسب في الخير والشر، التي كسبوها كما قال تعالى: فيعرضون عليه صفا ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جور فيه ولا ظلم، ويقول لهم: لقد

يجازون بها، ويقررون بها، ويخزون، ويحق عليهم العذاب، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد، بل هم غير خارجين عن عدله وفضله. 49 مكتوبة فيه، محفوظة لم ينس منها عمل سر ولا علانية، ولا ليل ولا نهار، ووجدوا ما عملوا حاضرا لا يقدرّون على إنكاره ولا يظلم ربك أحدا فحينئذ محصى عليهم أقوالهم وأفعالهم، قالوا: يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها أي: لا يترك خطيئة صغيرة ولا كبيرة، إلا وهي كتبتها الملائكة الكرام فطير لها القلوب، وتعظم من وقعها الكروب، وتكاد لها الصم الصلاب تذوب، ويشفق منها المجرمون، فإذا رأوها مسطرة عليهم أعمالهم، فحينئذ تحضر كتب الأعمال التي

منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانيا، أنه قول قبيح شنيع فقال: كبرت كلمة تخرج من أفواههم ثم ذكر ثالثا مرتبته من القبح، وهو: الكذب المنافي للصدق. 5 وتأمل كيف أبطل هذا القول بالتدرج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولا: أنه ما لهم به من علم ولا لبائهم والقول على الله بلا علم، لا شك في الربوبية والإلهية، والكذب عليه؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ولهذا قال هنا: إن يقولون إلا كذبا أي: كذبا محضا ما فيه من الصدق شيء، تخرج من أفواههم أي: عظمت شناعتها واشتدت عقوبتها، وأي شناعة أعظم من وصفه بالاتخاذ للولد الذي يقتضي نقصه، ومشاركة غيره له في خصائص لا علم منهم، ولا علم من آبائهم الذين قلدوهم واتبعوهم، بل إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس كبرت كلمة

الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقال تعالى: إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله 50 وأنه لا يفعل ذلك إلا ظالم، وأي: ظلم أعظم من ظلم من اتخذ عدوه الحقيقي وليا، وترك الولي الحميد؟ قال تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من عن ولاية الرحمن، الذي كل السعادة والفلاح والسرور في ولايته. وفي هذه الآية، الحث على اتخاذ الشيطان عدوا، والإغراء بذلك، وذكر السبب الموجب لذلك، أي: الشياطين أولياء من دوني وهم لكم عدو بسئ للظالمين بدلا أي: بسئ ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان، الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء والمنكر كان من الجن ففسق عن أمر ربه وقال: أأسجد لمن خلقت طينا وقال: أنا خير منه فتبين بهذا عداوته لله ولأبيكم ولكم، فكيف تتخذونه وذريته يخبر تعالى، عن عداوة إبليس لآدم وذريته، وأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، إكراما وتعظيما، وامتناعا لأمر الله، فامتنعوا ذلك إلا إبليس

الشئون، أي: ما ينبغي ولا يليق بالله، أن يجعل لهم قسطاً من التدبير، لأنهم ساعون في إضلال الخلق والعداوة لربهم، فاللائق أن يقصيهـم ولا يدنيهـم. 51 يطاع الله، وهم لم يخلقوا ولم يشهدوا خلقاً، ولم يعاونوا الله تعالى؟! ولهذا قال: وما كنت متخذ المضلين عضداً أي: معاونين، مظاهرين لله على شأن من المفرد بالخلق والتدبير، والحكمة والتقدير، هو الله، خالق الأشياء كلها، المتصرف فيها بحكمته، فكيف يجعل له شركاء من الشياطين، يوالون ويطاعون، كما الشياطين وهؤلاء المضلين، خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم أي: ما أحضرتهم ذلك، ولا شاورتهم عليه، فكيف يكونون خالقين لشيء من ذلك؟! بل يقول تعالى: ما أشهدت

ويتبين حينئذ عداوة الشركاء لشركائهم، وكفرهم بهم، وتبريهم منهم، كما قال تعالى وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين 52 يملك مثقال ذرة من النفع لنفسه ولا لغيره. وجعلنا بينهم أي: بين المشركين وشركائهم موبقا أي، مهلكا، يفرق بينهم وبينهم، ويبعد بعضهم من بعض، لله شريك في الأرض، ولا في السماء، أي: نادوهم، لينفعوكم، ويخلصوكم من الشدائد، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم لأن الحكم والملك يومئذ لله، لا أحد

تفسير السعدي

صاحبه وسفقه، أخبر عن حالهم مع شركائهم يوم القيامة، وأن الله يقول لهم: نادوا شركائي بزعمكم أي: على موجب زعمكم الفاسد، وإلا فبالحقيقة ليس ولما ذكر حال من أشرك به في الدنيا، وأبطل هذا الشرك غاية الإبطال، وحكم بجهل

ولم يجدوا عنها مصرفا أي: معدلا يعدلون إليه، ولا شافع لهم من دون إذنه، وفي هذا من التخويف والترهيب، ما ترعد له الأفئدة والقلوب. 53
على المجرمين، فرأوا جهنم قبل دخولها، فانزعجوا واشتد قلقهم لظنهم أنهم واقعوها، وهذا الظن قال المفسرون: إنه بمعنى اليقين، فأيقنوا أنهم داخلوها أي: لما كان يوم القيامة وحصل من الحساب ما حصل، وتميز كل فريق من الخلق بأعمالهم، وحقت كلمة العذاب
الإيمان بالله، إنما هو الظلم والعناد، لا لقصور في بيانه وحجته، وبرهانه، وإلا فلو جاءهم العذاب، وجاءهم ما جاء قبلهم، لم تكن هذه حالهم، ولهذا قال: 54
به الحق ولهذا قال: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا أي: مجادلة ومنازعة فيه، مع أن ذلك، غير لائق بهم، ولا عدل منهم، والذي أوجب له ذلك وعدم
وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور، ومع ذلك، كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل ليدحضوا
أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادا، وطمأنينة، ونورا، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن
القرآن، وجلالته، وعمومه، وأنه صرف فيه من كل مثل، أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه
يخبر الله تعالى عن عظمة

بالعذاب، أو يرون العذاب قد أقبل عليهم، ورأوه مقابلة ومعاناة، أي: فليخافوا من ذلك، وليتوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الذي لا مرد له. 55
حجة الله، فلم يمنعه عدم البيان، بل منعهم الظلم والعدوان، عن الإيمان، فلم يبق إلا أن تأتيهم سنة الله، وعادته في الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا، عوجلوا
أي: ما منع الناس من الإيمان، والحال أن الهدى الذي يحصل به الفرق، بين الهدى والضلال، والحق والباطل، قد وصل إليهم، وقامت عليهم
تقييضة المبطلين المجادلين الحق بالباطل، من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق وتبين شواهد وأدلتها، وتبين الباطل وفساده، فبضدها تتبين الأشياء. 56
ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ويظهر الحق على الباطل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ومن حكمة الله ورحمته، أن
الباطل، ليدحضوا به الحق، فسعوا في نصر الباطل مهما أمكنهم، وفي دحض الحق وإبطاله، واستهزؤوا برسول الله وآياته، وفرحوا بما عندهم من العلم،
العاجل والأجل، وينذرونهم على معصية ذلك بالعقاب العاجل والأجل، فقامت بذلك حجة الله على العباد، ومع ذلك يأبى الظالمون الكافرون، إلا المجادلة
عبثا، ولا ليتخذهم الناس أربابا، ولا ليدعوا إلى أنفسهم، بل أرسلناهم يدعون الناس إلى كل خير، وينهون عن كل شر، ويبشرونهم على امتثال ذلك بالتواب
أي: لم نرسل الرسل

ولا طريق وفي هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك. 57
وأما هؤلاء، الذين أبصروا ثم عموا، ورأوا طريق الحق فتركوه، وطريق الضلال فسلكوه، وعاقبهم الله بإقفال القلوب والطبع عليها، فليس في هدايتهم حيلة
الانتفاع وإذا كانوا بهذه الحالة، فليس لهدايتهم سبيل، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا لأن الذي يرجو أن يجيب الداعي للهدى من ليس عالما،
أن يفقه الآيات وإن سمعتها، فليس في إمكانها الفقه الذي يصل إلى القلب، وفي آذانهم وقرا أي: صمما يمنعه من وصول الآيات، ومن سماعها على وجه
بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه، حالة الشر مع علمه بها، أن سد عليه أبواب الهداية بأن جعل على قلبه أكنة، أي: أغطية محكمة تمنعه
الذي لم تأت آيات الله ولم يذكر بها، وإن كان ظالما، فإنه أخف ظلما من هذا، لكون العاصي على بصيرة وعلم، أعظم ممن ليس كذلك، ولكن الله تعالى عاقبه
ورغب، فأعرض عنها، فلم يذكر بما ذكر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسى ما قدمت يده من الذنوب، ولم يراقب علام الغيوب، فهذا أعظم ظلما من المعرض
يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلما، ولا أكبر جرما، من عبد ذكر بآيات الله وبين له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخوف ورهب

فإن تابوا وأنبأوا، غفر لهم ورحمهم، وأزال عنهم العقاب، وإلا، فإن استمروا على ظلمهم وعنادهم، وجاء الوقت الذي جعله موعدا لهم، أنزل بهم بأسه 58
لا بد لهم منه، ولا مندوحة لهم عنه، ولا ملجأ، ولا محيد عنه، وهذه سنته في الأولين والآخرين، أن لا يعاجلهم بالعقاب، بل يستدعيهم إلى التوبة والإنابة،
والذنوب لا بد من وقوع آثارها، وإن تأخرت عنها مدة طويلة، ولهذا قال: بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلا أي: لهم موعد، يجازون فيه بأعمالهم،
برحمته، ويشمله بإحسانه، وأنه لو أخذ العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب، لعجل لهم العذاب، ولكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل،
ثم أخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته، وأنه يغفر الذنوب، ويتوب الله على من يتوب، فيتغمده

وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا أي: بظلمهم، لا بظلم منا وجعلنا لمهلكهم موعدا أي: وقتا مقدرا، لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون. 59
السلام يقول: رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي الآية، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر 6
الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله له: إنك لا تهدي من أحببت وموسى عليه
مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضاعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله
وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه،
وهؤلاء لو علم الله فيهم خيرا لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غما وأسفا عليهم، ليس فيه فائدة لك.
مؤمنين وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وهنا قال فلعلك باخع نفسك أي: مهلكها، غما وأسفا عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله،

تفسير السعدي

عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا ساعيا في ذلك أعظم السعي، فكان صلى الله عليه وسلم يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذابين الضالين، شفقة منه صلى الله عليه وسلم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية الخلق،

عندك، أو أمضي حقبا أي: مسافة طويلة، المعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه. 60 علي الشقة، ولحققتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحى إليه أنك ستجد فيه عبدا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو يوضع بنون الذي نبأه الله بعد ذلك: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أي: لا أزال مسافرا وإن طالت يخبر تعالى عن نبه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه أي: خادمه

قال المفسرون إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حيا. 61 حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وعد أنه متى فقد الحوت فثم ذلك العبد الذي قصدته، فاتخذ ذلك الحوت سبيله، أي: طريقه في البحر سربا وهذا من الآيات. فلما بلغا أي: هو وفتاه مجمع بينهما نسيا حوتهما وكان معهما

الدالة لموسى، على وجود مطلبه، وأيضا فإن الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق، فلما تجاوزا غايتهما وجدا مس التعب 62 نصبا أي: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل الذي وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدا مس التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا

ولموسى وفتاه عجا، فلما قال له الفتى هذا القول، وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر، فقال موسى: ذلك ما كنا نبغ 63 السبب في ذلك واتخذ سبيله في البحر عجا أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه، كان ذلك من العجائب. قال المفسرون: كان ذلك المسلك للحوت سربا، أويينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت أي: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان لأنه قال له فتاه: أرايت إذ

المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه. 64 قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من لا نبيا على الصحيح. آتيناه رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله وعلمناه من لدنا أي: من عندنا علما، وكان رجعا على آثارهما قصصا أي رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبدا من عبادنا، وهو الخضر، وكان عبدا صالحا، تفسير الآيتين 64 و 65: ذلك ما كنا نبغ أي: نطلب فارتدا أي:

المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه. 65 قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من لا نبيا على الصحيح. آتيناه رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله وعلمناه من لدنا أي: من عندنا علما، وكان رجعا على آثارهما قصصا أي رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبدا من عبادنا، وهو الخضر، وكان عبدا صالحا، تفسير الآيتين 64 و 65: ذلك ما كنا نبغ أي: نطلب فارتدا أي:

وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام 66 هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدي، وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ لن تستطيع معي صبرا أي: لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك 67 فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك

وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا أي: كيف تصبر على أمر، ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟ 68 لك أمرا وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر. 69 فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي

الدار، فتننة واختبارا. لنبلوهم أيهم أحسن عملا أي: أخلصه وأصوبه، ومع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات، فانية مضمحلة، وزائلة منقضية. 7 وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، الجميع جعله الله زينة لهذه يخبر تعالى: أنه جعل جميع ما على وجه الأرض، من مأكول لذیذة، ومشرب، ومسكن طيبة،

لا تبتدئي بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاء عن سؤاله، ووعد أنه يوقفه على حقيقة الأمر. 70 فحينئذ قال له الخضر: فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا أي:

تفسير السعدي

عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا أي: عظيما شنيعا، وهذا من عدم صبره عليه السلام 71 حتى إذا ركبا في السفينة خرقها أي: اقتلع الخضر منها لوحا، وكان له مقصود في ذلك، سببينه، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه فانطلقا

ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى نسيانا 72 على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر. 73 لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا أي: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع جنت شيئا نكرا وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحدا؟! وكانت الأولى من موسى نسيانا، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر 74 أي: صغيرا فقتله الخضر، فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاما صغيرا لم يذنب. قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما

فقال له الخضر معاتباً ومذكراً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا 75 سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني أي: فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي قد بلغت من لدني عذرا أي: أعذرت مني، ولم تقصر. 76 فقال له موسى: إن

لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تنبيه من دون أجرة، وأنت تقدر عليها؟. فحينئذ لم يف موسى عليه السلام بما قال، واستعذر الخضر منه 77 يريد أن ينقض أي: قد عاب واستهدم فأقامه الخضر أي: بناه وأعادته جديدا. فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي: أهل هذه القرية، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها أي: استضافاهم، فلم يضيفوهما فوجدا فيها جدارا ولا موضع للصحة، سأنبك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أي: سأخبرك بما أنكرت علي، وأنبك بما لي في ذلك من المآرب، وما ينول إليه الأمر. 78 هذا فراق بيني وبينك فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر،

على ذلك الملك الظالم، فكل سفينة صالحة تمر عليه ما فيها عيب غصبها وأخذها ظلما، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم. 79 فكانت لمساكين يعملون في البحر يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم. فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أي: كان مرورهم أما السفينة التي خرقها

فنظر إلى باطن الدنيا، حين نظر المغتر إلى ظاهرها، وعمل لآخرته، حين عمل البطل لدنياه، فشتان ما بين الفريقين، وما أبعد الفرق بين الطائفتين 8 لا منزل إقامة، فبذل جهده في معرفة ربه، وتنفيذ أوامره، وإحسان العمل، فهذا بأحسن المنازل عند الله، وهو حقيق منه بكل كرامة ونعيم، وسرور وتكريم، المقصود منها ومنه، فإنه يتناول منها، ما يستعين به على ما خلق له، وانتهاز الفرصة في عمره الشريف، فجعل الدنيا منزل عبور، لا محل حبور، وشقة سفر، أي حالة اتفقت، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، وفوات لذاته، لا لما قدمت يداه من التفریط والسيئات. وأما من نظر إلى باطن الدنيا، وعلم فصحبوا الدنيا صحبة البهائم، وتمتعوا بها تمتع السوائم، لا ينظرون في حق ربهم، ولا يهتمون لمعرفته، بل همهم تناول الشهوات، من أي وجه حصلت، وعلى وحذرنا من الاغترار بها، ورغبنا في دار يودم نعيمها، ويسعد مقيمها، كل ذلك رحمة بنا، فاغتر بزخرف الدنيا وزينتها، من نظر إلى ظاهر الدنيا، دون باطنها، وستعود الأرض صعيدا جرضا قد ذهب لذاتها، وانقطعت أنهارها، واندurst أثارها، وزال نعيمها، هذه حقيقة الدنيا، قد جالها الله لنا كأنها رأي عين،

وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيتهما من الذرية، ما هو خير منه 80 أي: لحملهما على الطغيان والكفر، إما لأجل محبتهم إياه، أو للحاجة إليه أو يحدهما على ذلك، أي: فقتلته، لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأما الغلام الذي قتلته فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا وكان ذلك الغلام قد قدر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغيانا وكفرا، ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما أي: ولدا صالحا، زكيا، واصلا لرحمه، فإن الغلام الذي قتل لو بلغ لعقهما أشد العقوق بحملهما على الكفر والطغيان. 81 فأردنا أن يبدلها

كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجا من لطفه وكرمه، ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكرهه. 82 محض أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح، ليستدل العباد بذلك على أطفاه في أقضيته، وأنه يقدر على العبد أمورا يكرها جدا، وهي صلاح دينه، في غير الأمور المحذورة، مدعاة وسبب لبقاء الصحة وتأكدتها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة. ومنها: أن هذه القضايا التي أجراها الخضر هي قدر للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته، حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى. ومنها: أن موافقة الصاحب لصاحبه، وإذا مرضت فهو يشفيين وقالت الجن: وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا مع أن الكل بقضاء الله وقدره. ومنها: أنه ينبغي فأردت أن أعيبها وأما الخير، فأضافه إلى الله تعالى لقوله: فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك كما قال إبراهيم عليه السلام لأنه علل استخراج كنزهما، وإقامة جدارهما، أن أباهما صالح. ومنها: استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله

تفسير السعدي

غير منكر لقوله بغير نفس ومنها: أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه، وفي ذريته. ومنها: أن خدمة الصالحين، أو من يتعلق بهم، أفضل من غيرها، المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين، لهم سفينة. ومنها: أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام لقد جئت شيئا نكرا. ومنها: أن القتل قصاصا في البحر، كما يجوز في البر لقوله: يعملون في البحر ولم ينكر عليهم عملهم. ومنها: أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم بل شرع له ذلك، حفظا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن. ومنها: أن العمل يجوز الملك الظالم. فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار، فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غضب ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها، داخل في هذا. ومنها: القاعدة الكبيرة أيضا وهي أن عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على من دون قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانها خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، بارتكاب الشر الصغير ويراعي أكبر المصلحتين، بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شرا منه، وبقاء الغلام في حالتها العامة، ولم يلتفت إلى هذا العارض، الذي يوجب عليه الصبر، وعدم المبادرة إلى الإنكار. ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه يدفع الشر الكبير ظاهرها، أنها من المنكر، وموسى عليه السلام لا يسعه السكوت عنها، في غير هذه الحال، التي صحب عليها الخضر، فاستعجل عليه السلام، وبادر إلى الحكم على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية، في الأموال، والدماء وغيرها، فإن موسى عليه السلام، أنكر على الخضر خرقه السفينة، وقتل الغلام، وأن هذه الأمور له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسامة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر. ومنها: أن الأمور تجري أحكامها حقوق العباد لقوله: لا تؤاخذني بما نسيت. ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم، العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي سؤالا، لا يتعلق في موضع البحث. ومنها: جواز ركوب البحر، في غير الحالة التي يخاف منها. ومنها: أن الناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله، ولا في هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصرا، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل فوطن نفسه على الصبر ولم يفعل. ومنها: أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم إني فاعل ذلك في المستقبل، إلا أن يقول إن شاء الله. ومنها: أن العزم على فعل الشيء، ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: ستجدي إن شاء الله صابرا إلى الحكم على الشيء، حتى يعرف ما يرد منه وما هو المقصود. ومنها: تعليق الأمور المستقبلية التي من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشيء: الصبر لقوله: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فجعل الموجب لعدم صبره، وعدم إحاطته خبرا بالأمر. ومنها: الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة الصبر، إحاطة الإنسان علما وخبرة، بذلك الأمر، الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدره، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه إنه لا يصبر معه. ومنها: أن السبب الكبير لحصول ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضارا، أو ليس فيه فائدة لقوله: أن تعلمن مما علمت رشدا. ومنها: أن من تعلمن مما علمت أي: مما علمك الله تعالى. ومنها: أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن العلوم، أن لا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثا ولا فقيها. ومنها: إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله: الخاص كان عند الخضر، ما ليس عنده، فهذا حرص على التعلم منه. فعلى هذا، لا ينبغي للفقهاء المحدث، إذا كان قاصرا في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه في العلم بدرجات كثيرة. فإن موسى عليه السلام من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى بلا شك أفضل من الخضر. ومنها: تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم. ومنها الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقارهم من لدنا علما. ومنها: التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عليه السلام: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا فأخرج ومنها: أن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: علم مكتسب يدرسه العبد بجده واجتهاده. ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يمين عليه من عباده لقوله وعلمناه على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذني من الجبال بيوتا ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيا، لذكر ذلك كما ذكره غيره. وأما قوله في آخر القصة: وما فعلته عن أمري فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل نسيه في الموضع الذي إليه منتهى قصده. ومنها: أن ذلك العبد الذي لقيه، ليس نبيا، بل عبدا صالحا، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منه الله عليه بالرحمة والعلم، فقدوا الحوت حين أووا إلى الصخرة، فالظاهر أنهم باتوا عندها، ثم ساروا من الغد، حتى إذا جاء وقت الغداء قال موسى لفتاه آتنا غداءنا فحينئذ تذكر أنه والإشارة إلى السفر المجاوز، لمجمع البحرين، وأما الأول، فلم يشتك منه التعب، مع طوله، لأنه هو السفر على الحقيقة. وأما الأخير، فالظاهر أنه بعض يوم، لأنهم جميعا. ومنها: أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله، يعان ما لا يعان غيره لقوله: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ليتم له أمره الذي يريده. ومنها: استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعا، لأن ظاهر قوله: آتنا غداءنا إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو أو عطش، إذا لم يكن على وجه التسخط وكان صدقا، لقول موسى: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. ومنها: استحباب كون خادم الإنسان، ذكيا فطنا كيسا،

تفسير السعدي

بقضاء الله وقدره، لقول فتى موسى: وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ومنها: جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصب أو جوع، أصحابه حين غزا تبوك بوجهه، مع أن عاداته التوروية، وذلك تبع للمصلحة. ومنها: إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التوسيل والتزيين، وإن كان الكل على بصيرة، وإظهارا لشرف هذه العبادة الجليلة، كما قال موسى: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا وكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لطلب علم أو جهاد أو نحوه، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريده، فإنه أكمل من كتمه، فإن في إظهاره فوائد من الاستعداد له عدته، وإتيان الأمر من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل. ومنها: جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤمن، وطلب الراحة، كما فعل موسى. ومنها: أن المسافر لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك. ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم فمنها فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، الذي فسرت له تأويل ما لم تسطع عليه صبرا وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه على بعضه بعون الله. فعلمته رحمة من الله، آتاه الله عبده الخضر وما فعلته عن أمري أي: أتيت شيئا من قبل نفسي، ومجرد إرادتي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره. ذلك فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما أي: فلماذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجانا. رحمة من ربك أي: هذا الذي المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا أي: حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهم، لكونهما صغيرين عدما أباهما، وحفظهما الله أيضا بصلاح والدهما. وأما الجدار الذي أقمته فكان لغلامين يتيمين في

منه ذكرا فيه نبأ مفيد، وخطاب عجيب. أي: سأتلوا عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة، وأما ما سوى ذلك من أحواله، فلم يتله عليهم. 83 كان أهل الكتاب أو المشركون، سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة ذي القرنين، فأمره الله أن يقول: سأتلوا عليكم يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل. 84 قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. وأتيناها من كل شيء سببا فأتبع سببا أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على تفسير الآيتين 84 و 85: - إنا مكنا له في الأرض أي: ملكه الله تعالى، ومكنه

يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل. 85 قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. وأتيناها من كل شيء سببا فأتبع سببا أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على تفسير الآيتين 84 و 85: - إنا مكنا له في الأرض أي: ملكه الله تعالى، ومكنه

ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله. 86 صالحا فله جزاء الحسنى أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، وسنقول له من أمرنا يسرا أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، أما من ظلم بالكفر فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة. وأما من آمن وعمل غير فساد، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخير بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساد، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي: إما أن به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ العلم، فلماذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، تفسير الآيات من 86 حتى 88: - وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد

ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله. 87 صالحا فله جزاء الحسنى أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، وسنقول له من أمرنا يسرا أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، أما من ظلم بالكفر فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة. وأما من آمن وعمل غير فساد، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخير بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساد، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي: إما أن به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ

تفسير السعدي

العلم، فهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، تفسير الآيات من 86 حتى 88 :- وهذه الأسباب التي أعطاها الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد

ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله. 88 صالحا فله جزاء الحسنى أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، وستقول له من أمرنا يسرا أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، أما من ظلم بالكفر فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة. وأما من آمن وعمل غير فساد، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: تعذيبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخير بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي: إما أن به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاريها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ العلم، فهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، تفسير الآيات من 86 حتى 88 :- وهذه الأسباب التي أعطاها الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد

الله له، وعلمه به ولهذا قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار. 89 كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر، متبعا للأسباب، التي أعطاها الله، فوصل إلى مطلع الشمس ف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر تفسير الآيات من 89 حتى 91 :- أي لما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعا، قاصدا مطلعها،

العلم والإيقان. وأضافهم إلى الكهف، الذي هو الغار في الجبل، الرقيم، أي: الكتاب الذي قد رقت فيه أسماؤهم وقصتهم، لملازمتهم له دهر طويلا. 9 مقام العجب والاستغراب، نقص في العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكير بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها، فإنها مفتاح الإيمان، وطريق وليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هي من آيات الله العجيبة، وإنما المراد، أن جنسها كثير جدا، فالوقوف معها وحدها، في من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها، فلم يزل الله يري عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، ما يتبين به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، وهذا الاستفهام بمعنى النفي، والنهي. أي: لا تظن أن قصة

الله له، وعلمه به ولهذا قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار. 90 كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر، متبعا للأسباب، التي أعطاها الله، فوصل إلى مطلع الشمس ف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر تفسير الآيات من 89 حتى 91 :- أي لما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعا، قاصدا مطلعها،

الله له، وعلمه به ولهذا قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار. 91 كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر، متبعا للأسباب، التي أعطاها الله، فوصل إلى مطلع الشمس ف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر تفسير الآيات من 89 حتى 91 :- أي لما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعا، قاصدا مطلعها،

من الأسباب العلمية، ما فقه به السنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم 92 بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوما، لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين السدين قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدا تفسير الآيتين 92 و 93 :- ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين

من الأسباب العلمية، ما فقه به السنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم 93 بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوما، لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين السدين قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدا

تفسير السعدي

تفسير الآيتين 92 و 93 :- ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين

تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجره، وشكر ربه على تمكينه واقتداره 94
اقتدار ذي القرنين عليه، فبدلوا له أجره، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا الأموال وغير ذلك. فهل نجعل لك خرجا أي جعلنا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا
إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض بالقتل وأخذ

ربي خير أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم أجعل بينكم وبينهم ردا أي: مانعا من عبورهم عليكم. 95
فقال لهم: ما مكني فيه

أتوني أفرغ عليه قطرا أي: نحاسا مذابا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكما هائلا، وامتنع من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج. 96
قال انفخوا النار أي: أوقدوها بإقادات عظيمها، واستعملوا لها المنافخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد قال
أتوني زبر الحديد أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك. حتى إذا ساوى بين الصدفين أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد

فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقه لإحكامه وقوته. 97

ربي أي: لخروج يأجوج ومأجوج جعله أي: ذلك السد المحكم المتقن دكاء أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض وكان وعد ربي حقا 98
أشرا وبطرا. كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: إنما أوتيته على علم عندي وقوله: فإذا جاء وعد
عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم
وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترفهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده
فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليتها وقال: هذا رحمة من ربي أي: من فضله وإحسانه علي،

منهم والآخرين، والكافرين والمؤمنين، ليسألوا ويحاسبوا ويجزون بأعمالهم، فأما الكافرون على اختلافهم فإن جهنم جزأهم، خالدين فيها أبدا. 99
في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أي: إذا نفخ إسرافيل في الصور، أعاد الله الأرواح إلى الأجساد، ثم حشرهم وجمعهم لموقف القيامة، الأولين
ويموج بعضهم ببعض، من الأهوال والزلازل العظام، بدليل قوله: ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم
قال تعالى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ويحتمل أن الضمير يعود إلى الخلاق يوم القيامة، وأنهم يجتمعون فيه فيكثر
يحتمل أن الضمير، يعود إلى يأجوج ومأجوج، وأنهم إذا خرجوا على الناس من كثرتهم واستيعابهم للأرض كلها يموج بعضهم ببعض، كما

سورة 19

الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاتته القرب من مولاه، ونيل رضاه. آخر تفسير سورة الكهف، ولله الحمد. 1
الله، من واجب ومستحب، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي: لا يراني بعمله بل يعمل خالسا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو
وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال: فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو الموافق لشرع
أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه الله إلي، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إلهكم إله واحد، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره،
أي: لست بإله، ولا لي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، إنما أنا بشر مثلكم عبد من عبيد ربي، يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد
أي: قل يا محمد للكفار وغيرهم: إنما أنا بشر مثلكم

واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار فاطمأن قلبه، واستبشر بهذه البشارة العظيمة، وامثل لأمر الله له بالشكر بعبادته وذكره، فعكف في محرابه، 10
للعوائد، ومع هذا، ممنوع من الكلام الذي يتعلق بالآدميين وخطابهم.. وأما التسبيح والتهليل، والذكر ونحوه، فغير ممنوع منه، ولهذا قال في الآية الأخرى:
وهذا من الآيات العجيبة، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام، وعجزه عنه من غير خرس ولا آفة، بل كان سويا، لا نقص فيه، من الأدلة على قدرة الله الخارقة
ف قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وفي الآية الأخرى ثلاثة أيام إلا رمزا والمعنى واحد، لأنه تارة يعبر بالليالي، وتارة بالأيام ومؤداها واحد،
كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فطلب زيادة العلم، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين، فأجابه الله إلى طلبته رحمة به،
قال رب اجعل لي آية أي: يطمئن بها قلبي، وليس هذا شكا في خبر الله، وإنما هو، كما قال الخليل عليه السلام: رب أرني

وخرج على قومه منه فأوحى إليهم، أي: بالإشارة والرمز أن سبحوا بكرة وعشيا لأن البشارة بـ يحيى في حق الجميع، مصلحة دينية. 11

الله فيه من الذكاء والفطنة، ما لا يوجد في غيره ولهذا قال: وآتيناه الحكم صبيا أي: معرفة أحكام الله والحكم بها، وهو في حال صغره وصباه. 12
وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامثل أمر ربه، وأقبل على الكتاب، فحفظه وفهمه، وجعل
دل الكلام السابق على ولادة يحيى، وشبابه، وتربيته، فلما وصل إلى حالة يفهم فيها الخطاب أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجهد واجتهاد،

تفسير السعدي

للمحظور، ومن كان مؤمنا تقيا كان لله وليا، وكان من أهل الجنة التي أعدت للمتقين، وحصل له من الثواب الدنيوي والأخروي، ما رتبته الله على التقوى. 13
وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديئة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة، ولهذا قال: وكان تقيا أي: فاعلا للمأمور، تاركا
من لدنا أي: رحمة ورأفة، تيسرت بها أموره، وصلحت بها أحواله، واستقامت بها أفعاله. وزكاة أي: طهارة من الآفات والذنوب، فظهر قلبه وتزكى عقله،
و آتيناها أيضا حنانا

متذلا، مطيعا، أو ابنا لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه، ولهذا حصلت له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها 14
محسنا إليهما بالقول والفعل. ولم يكن جبارا عصيا أي: لم يكن متجبرا متكبرا عن عبادة الله، ولا مترفعًا على عباد الله، ولا على والديه، بل كان متواضعا،
و كان أيضا برا بوالديه أي: لم يكن عاقا، ولا مسينا إلى أبويه، بل كان

وأنه سالم من النار والأهوال، ومن أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى والده وعلى سائر المرسلين، وجعلنا من أتباعهم، إنه جواد كريم. 15
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وذلك يقتضي سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها،

وسعيها الكامل، أي: واذكر في الكتاب مريم، في حالها الحسنة، حين انتبذت أي: تباعدت عن أهلها مكانا شرقيا أي: مما يلي الشرق عنهم. 16
من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل،
وكانت من الآيات العجيبة، انتقل منها إلى ما هو أعجب منها، تدريجا من الأدنى إلى الأعلى فقال: واذكر في الكتاب الكريم مريم عليها السلام، وهذا
لما ذكر قصة زكريا ويحيى،

عن الناس، قد اتخذت الحجاب عن أعز الناس عليها وهم أهلها، خافت أن يكون رجلا قد تعرض لها بسوء، وطمع فيها، فاعتصمت بربها، واستعازت منه 17
في صورة جميلة، وهينة حسنة، لا عيب فيه ولا نقص، لكونها لا تحتل رأيته على ما هو عليه، فلما رأته في هذه الحال، وهي معتزلة عن أهلها، منفردة
مريم ائقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وقوله: فأرسلنا إليها روحنا وهو: جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا أي: كاملا من الرجال،
الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا
فاتخذت من دونهم حجابا أي: سترًا ومانعا، وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب، لتعتزل، وتتفرد بعبادة ربها، وتقتن له في حالة

من روحنا والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين فأعاضها الله بعفتها، ولدا من آيات الله، ورسولا من رسله. 18
العفة خصوصا مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع من أفضل الأعمال. ولذلك أثنى الله عليها فقال: ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه
الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء، أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة، والبعد عن الشر وأسبابه. وهذه
التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه، وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك
إني أعوذ بالرحمن منك أي: ألتجئ به وأعتصم برحمته، أن تنالني بسوء. إن كنت تقيا أي: إن كنت تخاف الله، وتعمل بتقواه، فاترك

ربي فيك لأهب لك غلاما زكيا وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة 19
فلما رأى جبريل منها الروح والخيفة، قال: إنما أنا رسول ربك أي: إنما وظيفتي وشغلي، تنفيذ رسالة

يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا. 2
العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم
ومعرفته، والسبب الموصل إليه. وذلك أن الله تعالى اجتنب واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا
فإن في قصتها عبرة للمعتبرين، وأسوة للمقتدين، ولأن في تفصيل رحمته لأوليائه، وبأي: سبب حصلت لهم، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره
تفسير الآيتين 2 و 3: أي: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا سنقصه عليك، ونفصله تفصيلا يعرف به حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة،

فتعجبت من وجود الولد من غير أب، فقالت: أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا والولد لا يوجد إلا بذلك؟ 20

أي: وجود عيسى عليه السلام على هذه الحالة أمرا مقضيا قضاء سابقا، فلا بد من نفوذ هذا التقدير والقضاء، فنفخ جبريل عليه السلام في جيبها. 21
نعمه عليهم، أن بعث فيهم رسولا، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فيؤمنون به، ويطيعونه، وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، وكان
الله بوحيه ومن عليه بما من به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته، فلما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة. وأما رحمته بالناس، فإن أكبر
العادية، لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها ورحمة منا أي: ولنجعل رحمة منا به، وبوالدته، وبالناس. أما رحمة الله به، فلما خصه
آية للناس تدل على كمال قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها، لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب
قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعل

وكانت نسيا منسيا فلا تذكر. وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل. 22
إلى جذع نخلة، فلما ألمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من قالة الناس، وخافت عدم صبرها، تمت أنها ماتت قبل هذا الحادث،
تفسير الآيتين 22 و 23: أي: لما حملت بعيسى عليه السلام، خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس مكانا قصيا فلما قرب ولادها، ألجأها المخاض

تفسير السعدي

وكانت نسيا منسيا فلا تذكر. وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل. 23 إلى جذع نخلة، فلما ألمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من حالة الناس، وخافت عدم صبرها، تمنّت أنها ماتت قبل هذا الحادث، تفسير الآيتين 22 و 23: أي: لما حملت بعيسى عليه السلام، خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس مكانا قصيا فلما قرب ولادها، ألجأها المخاض وناداهما من تحتها، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزني، أي: لا تجزعي ولا تهتمي، ف قد جعل ربك تحتك سريا أي: نهرا تشربين منه. 24 فحينئذ سكن الملك روعها وثبت جأشها

وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا أي: طريا لذيذا نافعا 25

من أكبر الدعاوى، التي لو أقيم عدة من الشهود، لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمرا من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جدا. 26 لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها، فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، بكلام، لتستريح من قولهم وكلامهم. وكان معروفا عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفي ذلك عن نفسها لأن الناس الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحدا من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: إني نذرت للرحمن صوما أي: سكوتا فلن أكلم اليوم إنسيا أي: لا تخاطبهم من التمر، واشربي من النهر وقري عينا بعيسى، فهذا طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكّل والمشرب والهني. وأما من جهة حالة فكلي

لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأنت غير مبالية ولا مكترثة، فقالوا: لقد جئت شيئا فريا أي: عظيما وخيما، وأرادوا بذلك البغاء حاشاها من ذلك. 27 أي: فلما تعلت مريم من نفاسها، أنت بعيسى قومها تحمله، وذلك

وأنت بما لم يأتيا به؟ وذلك أن الذرية في الغالب بعضها من بعض، في الصلاح وضده، فتعجبوا بحسب ما قام بقلوبهم كيف وقع منها 28 سوء وما كانت أمك بغيا أي: لم يكن أبواك إلا صالحين سالمين من الشر، وخصوصا هذا الشر، الذي يشيرون إليه، وقصدهم: فكيف كنت على غير وصفهما؟ الظاهر، أنه أخ لها حقيقي، فنسبوا إليه، وكانوا يسمون بأسماء الأنبياء وليس هو هارون بن عمران أخا موسى، لأن بينهما قرونا كثيرة ما كان أبوك أمرا يا أخت هارون

فلما أشارت إليهم بتكليمه، تعجبوا من ذلك وقالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبيا لأن ذلك لم تجر به عادة، ولا حصل من أحد في ذلك السن. 29 فأشارت لهم إليه، أي: كلموه. وإنما أشارت لذلك، لأنها أمرت عند مخاطبة الناس لها، أن، تقول: إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا. 3 العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم ومعرفته، والسبب الموصل إليه. وذلك أن الله تعالى اجتنب واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا فإن في قصها عبرة للمعتبرين، وأسوة للمقتدين، ولأن في تفصيل رحمته لأولياته، وبأي: سبب حصلت لهم، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره تفسير الآيتين 2 و 3: أي: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا سنقصه عليك، ونفصله تفصيلا يعرف به حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة،

الكتاب أي: قضى أن يؤتيني الكتب وجعلني نبيا فأخبرهم بأنه عبد الله، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه، فهذا من كماله لنفسه 30 وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلها، أو ابنا للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله إني عبد الله ومدعون موافقته. آتاني فحينئذ قال عيسى عليه السلام، وهو في المهد صبي: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا فخاطبهم بوصفه بالعبودية،

أي: أوصاني بالقيام بحقوقه، التي من أعظمها الصلاة، وحقوق عبادته، التي أجلها الزكاة، مدة حياتي، أي: فأنا ممتثل لوصية ربي، عامل عليها، منفذ لها 31 والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالس، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه. وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وجعلني مباركا أين ما كنت أي: في أي: مكان، وأي: زمان، فالبركة جعلها الله في من تعليم الخير والدعوة إليه،

في دنياي أو أخراي، فلم يجعلني كذلك بل جعلني طيعا له خاضعا خاشعا متذللا، متواضعا لعباد الله، سعيدا في الدنيا والآخرة، أنا ومن اتبعني. 32 الإحسان، وأقوم بما ينبغي له، لشرفها وفضلها، ولكونها والدة لها حق الولادة وتوابعها. ولم يجعلني جبارا أي: متكبرا على الله، مترفعا على عبادته شقيا ووصاني أيضا، أن أبر والدي فأحسن إليهما غاية

وذلك يقتضي سلامته من الأهوال، ودار الفجار، وأنه من أهل دار السلام، فهذه معجزة عظيمة، وبرهان باهر، على أنه رسول الله، وعبد الله حقا. 33 يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا أي: من فضل ربي وكرمه، حصلت لي السلامة يوم ولادتي، ويوم موتي، ويوم بعثي، من الشر والسيطان والعقوبة، فلما تم له الكمال، ومحامد الخصال قال: والسلام علي

أي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قائل عنه: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقولهم علوا كبيرا. 34 عن عيسى عليه السلام، وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكا من قائله لا علم له به، ولهذا قال: الذي فيه يمتزون

تفسير السعدي

الموصوف بتلك الصفات، عيسى بن مريم، من غير شك ولا مرية، بل قول الحق، وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلا، ولا أحسن منه حديثا، فهذا الخبر اليقيني، أي: ذلك

نافذا في العالم العلوي والسفلي، فكيف يكون له ولد؟ وإذا كان إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون فكيف يستبعد إيجاد عيسى من غير أب؟! 35
عن الولد والنقص، إذا قضى أمرا أي: من الأمور الصغار والكبار، لم يمتنع، عليه ولم يستصعب وإنما يقول له كن فيكون فإذا كان قدره ومشيتته ولا يليق، لأن ذلك من الأمور المستحيلة، لأنه الغني الحميد، المالك لجميع الممالك، فكيف يتخذ من عباده ومماليكه، ولدا؟! سبحانه أي: تنزهه وتقدس ف ما كان لله أن يتخذ من ولد أي: ما ينبغي

ولهذا قال: هذا صراط مستقيم أي: طريق معتدل، موصل إلى الله، لكونه طريق الرسل وأتباعهم، وما عدا هذا، فإنه من طرق الغي والضلال. 36
وصرفنا تقديره. فاعبدوه أي: أخلصوا له العبادة، واجتهدوا في الإنابة، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاستدلال بالأول على الثاني، أخبر عيسى أنه عبد مربوب كغيره، فقال: وإن الله ربي وربكم الذي خلقنا، وصورنا، ونفذ فينا تدبيره،

وأهل الأرض، الخالق والمخلوق، الممتلئ بالزلازل والأهوال، المشتغل على الجزاء بالأعمال، فحينئذ يتبين ما كانوا يخفون ويبدون، وما كانوا يكتُمون. 37
ويدخل فيهم اليهود والنصارى، القائلون بعيسى قول الكفر. من مشهد يوم عظيم أي: مشهد يوم القيامة، الذي يشهده الأولون والآخرون، أهل السماوات مبنية على الشك والعناد، والأدلة الفاسدة، والشبه الكاسدة، وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد، ولهذا قال: فويل للذين كفروا بالله ورسله وكتبه، ومنهم من قال: إنه ابن الله. ومنهم من قال: إنه ثالث ثلاثة. ومنهم من لم يجعله رسولا، بل رماه بأنه ولد بغي كاليهود. وكل هؤلاء أقوالهم باطلة، وآراؤهم فاسدة، الأحزاب، أي: فرق الضلال، من اليهود والنصارى وغيرهم، على اختلاف طبقاتهم اختلفوا في عيسى عليه السلام، فمن غال فيه وجاف، فمنهم من قال: إنه الله، لما بين تعالى حال عيسى بن مريم الذي لا يشك فيها ولا يمتري، أخبر أن

فقلت في عيسى: إنه عبد الله ورسوله فآمنوا به، واتبعوه، فهؤلاء مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد، فهذا خص الله بالكافرين. 38
فاختلف الأحزاب من بينهم ولم يقل فويل لهم ليعود الضمير إلى الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين، طائفة أصابت الصواب، ووافقت الحق، الحق والصواب، ولكنه راض بضلاله وما هو عليه من سوء أعماله، غير ساع في معرفة الحق من الباطل، وتأمل كيف قال: فويل للذين كفروا بعد قوله في ضلال مبين وليس لهم عذر في هذا الضلال، لأنهم بين معاند ضال على بصيرة، عارف بالحق، صادف عنه، وبين ضال عن طريق الحق، متمكن من معرفة وشركهم وأقوالهم، ويقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ففي القيامة، يستيقنون حقيقة ما هم عليه. لكن الظالمون اليوم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم! فيقرون بكفرهم

ومن عليها، ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو ربحوا، فمن فعل خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه. 39
دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية. فالدنيا وما فيها، من أولها إلى آخرها، ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، وسيرت الله الأرض غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة، وشملتهم السكر، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألهمتهم سخطه والنار، على وجه لا يتمكن من الرجوع، ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟! فهذا قدامهم، والحال أنهم في الدنيا في بعدها، وخسر نفسه وأهله. فحينئذ يتحسر، ويندم ندامة تتقطع منها القلوب، وتنصدع منها الأفئدة، وأي: حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله، وأتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقي شقاوة لا سعادة هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر، فيجمع الأولون والآخرون تفسير الآيتين 39 و 40: الإنذار

أطافك تتوالى علي، وإحسانك وأصلا إلي، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقا، أن يتم إحسانه لاحقا. 4
القلب بحول الله وقوته. ولم أكن بدعائك رب شقيا أي: لم تكن يا رب تردني خائبا ولا محروما من الإجابة، بل لم تزل بي حفيا ولدعائي مجيبا، ولم تزل والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق رب إني وهن العظم مني أي: وهى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، واشتعل الرأس شيبا لأن الشيب دليل الضعف ومن عليها، ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو ربحوا، فمن فعل خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه. 40
دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية. فالدنيا وما فيها، من أولها إلى آخرها، ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، وسيرت الله الأرض غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة، وشملتهم السكر، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألهمتهم سخطه والنار، على وجه لا يتمكن من الرجوع، ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟! فهذا قدامهم، والحال أنهم في الدنيا في بعدها، وخسر نفسه وأهله. فحينئذ يتحسر، ويندم ندامة تتقطع منها القلوب، وتنصدع منها الأفئدة، وأي: حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله، وأتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقي شقاوة لا سعادة هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر، فيجمع الأولون والآخرون

وشرعا. ودل بتنبهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى. 41
نفعا ولا ضرا، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا
الأوثان: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا أي: لم تعبد أصناما، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعبادها
على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه، مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه، فقال: إذ قال لأبيه مهجنا له عبادة
كلهم بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دعا الخلق إلى الله، وصبر
أمر بالتصديق به، وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل، وإبراهيم عليه السلام، هو أفضل الأنبياء
في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا جمع الله له بين الصديقية والنبوة. فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما
أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم، والاقتداء بهم، فقال: واذكر
وحقوق العباد، ودعوة الخلق إلى الله، والصبر على ذلك، والمقامات الفاخرة، والمنازل العالية. فذكر الله في هذه السورة جملة من الأنبياء، يأمر الله رسوله
ويعيد في قصص الأنبياء، الذين فضلهم على غيرهم، ورفع قدرهم، وأعلى أمرهم، بسبب ما قاموا به، من عبادة الله ومحبتة، والإنابة إليه، والقيام بحقوقه،
كان أصدق الأنبياء وأحقها وأدلها على الحكمة والعدل والفضل. وإن ذكر فيه الأنبياء والمرسلون، كان المذكور فيه، أكمل من غيره وأفضل، ولهذا كثيرا ما يبدئ
ذكر فيه الأخبار، كانت أصدق الأخبار وأحقها، وإن ذكر فيه الأمر والنهي، كانت أجل الأوامر والنواهي، وأعدلها وأقسطها، وإن ذكر فيه الجزاء والوعيد،
تفسير الآيتين 41 و 42: أجل الكتب وأفضلها وأعلاها، هذا الكتاب المبين، والذكر الحكيم، فإن

وشرعا. ودل بتنبهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى. 42
نفعا ولا ضرا، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا
الأوثان: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا أي: لم تعبد أصناما، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعبادها
على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه، مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه، فقال: إذ قال لأبيه مهجنا له عبادة
كلهم بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دعا الخلق إلى الله، وصبر
أمر بالتصديق به، وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل، وإبراهيم عليه السلام، هو أفضل الأنبياء
في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا جمع الله له بين الصديقية والنبوة. فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما
أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم، والاقتداء بهم، فقال: واذكر
وحقوق العباد، ودعوة الخلق إلى الله، والصبر على ذلك، والمقامات الفاخرة، والمنازل العالية. فذكر الله في هذه السورة جملة من الأنبياء، يأمر الله رسوله
ويعيد في قصص الأنبياء، الذين فضلهم على غيرهم، ورفع قدرهم، وأعلى أمرهم، بسبب ما قاموا به، من عبادة الله ومحبتة، والإنابة إليه، والقيام بحقوقه،
كان أصدق الأنبياء وأحقها وأدلها على الحكمة والعدل والفضل. وإن ذكر فيه الأنبياء والمرسلون، كان المذكور فيه، أكمل من غيره وأفضل، ولهذا كثيرا ما يبدئ
ذكر فيه الأخبار، كانت أصدق الأخبار وأحقها، وإن ذكر فيه الأمر والنهي، كانت أجل الأوامر والنواهي، وأعدلها وأقسطها، وإن ذكر فيه الجزاء والوعيد،
تفسير الآيتين 41 و 42: أجل الكتب وأفضلها وأعلاها، هذا الكتاب المبين، والذكر الحكيم، فإن

من العلم شيء وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها. 43
لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال. وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل أو ليس عندك
ما ليس عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما لم يعطك، والمقصود من هذا قوله: فاتبعني أهدك صراطا سويا أي: مستقيما معتدلا، وهو: عبادة الله وحده
يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك أي: يا أبت لا تحقرني وتقول: إني ابنك، وإن عندك

ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها. كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته. 44
آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين إن الشيطان كان للرحمن عصيا فمن اتبع خطواته، فقد اتخذها وليا وكان عاصيا لله بمنزلة الشيطان. وفي
يا أبت لا تعبد الشيطان لأن من عبد غير الله، فقد عبد الشيطان، كما قال تعالى: ألم أعهد إليكم يا بني

إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون وليا للشيطان، 45
وترتفع في مراتبه الوخيمة. فتدرج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنت إن أطعني، اهتديت
أن يمسه عذاب من الرحمن أي: بسبب إصرارك على الكفر، وتماديك في الطغيان فتكون للشيطان وليا أي: في الدنيا والآخرة، فتتزل بمنازله الذميمة،
يا أبت إني أخاف

إليها. لأن لم تنته أي: عن شتم آلهتي، ودعوتي إلى عبادة الله لأرجمك أي: قتلا بالحجارة واهجرني مليا أي: لا تكلمني زمانا طويلا 46
إبراهيم فتبجح بآلهته التي هي من الحجر والأصنام، ولام إبراهيم عن رغبته عنها، وهذا من الجهل المفرط، والكفر الوخيم، يتمدح بعبادة الأوثان، ويدعو

تفسير السعدي

فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي، وأجاب بجواب جاهل وقال: أراغب أنت عن آلهتي يا

على ذلك، وعدم السأمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي. 47
أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر
رحيما رءوفا بحالي، معتنيا بي، فلم يزل يستغفر الله له رجاء أن يهديه الله، فلما تبين له أنه عدو لله، وأنه لا يفيد فيه شيئا، ترك الاستغفار له، وتبرأ منه. وقد
سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا أي: لا أزال أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، بأن يهديك للإسلام، الذي تحصل به المغفرة، ف إنه كان بي حفيا أي:
عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين، ولم يشتمه، بل صبر، ولم يقابل أباه بما يكره، وقال: سلام عليك أي: ستسلم من خطابي إياك بالشتم والسب وبما تكره،
فأجابه الخليل جواب

دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله. 48
لدعاء العبادة، ودعاء المسألة عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا أي: عسى الله أن يسعدني بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من آيس ممن
فلما آيس من قومه وأبيه قال: وأعتزلكم وما تدعون من دون الله أي: أنتم وأصنامكم وأدعو ربي وهذا شامل
ويعقوب جعلنا نبيا فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين. 49
شيئا لله عوضه الله خيرا منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا من إسحاق
ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمر كثيرة معروفة، ومنها انفراده عن يعتز بهم ويتكبر، وكان من ترك
وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد. فهب لي من لدنك وليا وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل 5
من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا، يقوم بالدين من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر، أي ليست تلد أصلا،
وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته
لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحدا فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه شفقة زكريا عليه السلام ونصحه،
وإني خفت الموالى من ورائي أي: وإني خفت من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، أن

فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين.. ولا تزال أذكراهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. 50
فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملاأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة،
لهم لسان صدق عليا وهذا أيضا من الرحمة التي وهبها لهم، لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين،
يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة، من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون. وجعلنا
ووهبنا لهم أي: لإبراهيم وابنيه من رحمتنا وهذا

بل خصه الله من أنواع الوحي، بأجل أنواعه وأفضلها، وهو: تكليمه تعالى وتقريبه مناجيا لله تعالى، وبهذا اختص من بين الأنبياء، بأنه كليم الرحمن 51
وتبليغ جميع ما جاء به من الشرع، دقه وجله. والنبوة تقتضي إحياء الله إليه وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق،
حالة يوصف بها العبد، الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه. وكان رسولا نبيا أي: جمع الله له بين الرسالة والنبوة، فالرسالة تقتضي تبليغ كلام المرسل،
في جميع أعماله، وأقواله، ونياته، فوصفه بالإخلاص في جميع أحواله، والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه، موجب لاستخلاصه، وأجل
إنه كان مخلصا قرئ بفتح اللام، على معنى أن الله تعالى اختاره واستخلصه، واصطفاه على العالمين. وقرئ بكسرها، على معنى أنه كان مخلص لله تعالى،
أي: واذكر في هذا القرآن العظيم موسى بن عمران، على وجه التمجيل له والتعظيم، والتعريف بمقامه الكريم، وأخلاقه الكاملة،

إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه، من النداء، والنجاء، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافا لمن أنكر ذلك، من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم. 52
قوله تعالى: أن بورك من في النار ومن حولها وقربناه نجيا والفرق بين النداء والنجاء، أن النداء هو الصوت الرفيع، والنجاء ما دون ذلك، وفي هذه
ونادينا من جانب الطور الأيمن أي: الأيمن من موسى في وقت مسيره، أو الأيمن: أي: الأبرك من اليمن والبركة. ويدل على هذا المعنى

مثله، فاستجاب الله له ذلك، ووهب له من رحمته أخاه هارون نبيا. فنبوة هارون تابعة لنبوة موسى عليهما السلام، فساعدته على أمره، وأعاناه عليه. 53
ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا هذا من أكبر فضائل موسى وإحسانه، ونصحه لأخيه هارون، أنه سأل ربه أن يشركه في أمره، وأن يجعله رسولا

من الذبح، الذي هو أكبر مصيبة تصيب الإنسان، ثم وصفه بالرسالة والنبوة، التي هي أكبر منن الله على عبده، وأهلها من الطبقة العليا من الخلق. 54
للوعد الذي يعقده مع الله أو مع العباد، ولهذا لما وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه له وقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين وفي بذلك ومكن أباه
النبي العظيم، الذي خرج منه الشعب العربي، أفضل الشعوب وأجلها، الذي منهم سيد ولد آدم. إنه كان صادق الوعد أي: لا يعد وعدا إلا وفى به. وهذا شامل
أي: واذكر في القرآن الكريم، هذا

بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، ارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، فرضي الله عنه، ورضي هو عن ربه. 55
للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصا أخص الناس عنده وهم أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم. وكان عند ربه مرضيا وذلك

تفسير السعدي

وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة أي: كان مقيما لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة

نبيا جمع الله له بين الصديقية، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفاؤه لوحيه، واختياره لرسالته. 56
أي: اذكر في الكتب على وجه التعظيم والإجلال، والوصف بصفات الكمال. إدريس إنه كان صديقا

ورفعناه مكانا عليا أي: رفع الله ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة. 57

دلالة على أن آياته، من رحمته بعباده وإحسانه إليهم حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة. 58
ما أوجب لهم البكاء والإنابة، والسجود لربهم، ولم يكونوا من الذين إذا سمعوا آيات الله خروا عليها صما وعميانا. وفي إضافة الآيات إلى اسمه الرحمن الغيوب، والإخبار باليوم الآخر، والوعد والوعيد. خروا سجدا وبكيا أي: خضعوا لآيات الله، وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة، وإسرائيل فهذه خير بيوت العالم، اصطفاهم الله، واختارهم، واجتباهم. وكان حالهم عند تلاوة آيات الرحمن عليهم، المتضمنة للإخبار بالغيوب وصفات علام وأن من أطاع الله، كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية. وأن بعضهم من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح أي: من ذريته ومن ذرية إبراهيم عليهم من النبيين أي: أنعم الله عليهم نعمة لا تحق، ومنه لا تسبق، من النبوة والرسالة، وهم الذين أمرنا أن ندعو الله أن يهدينا صراط الذين أنعمت عليهم، لما ذكر هؤلاء الأنبياء المكرمين، وخوادم المرسلين، وذكر فضائلهم ومراتبهم قال: أولئك الذين أنعم الله

لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم، حصلوها، وعلى أي: وجه اتفقت تناولوها. فسوف يلقون غيا أي: عذابا مضاعفا شديدا 59
أضيق، وله أرفض، والسبب الداعي لذلك، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت همهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله، فنشأ من ذلك التضيق وضيقوها، وإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين، وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين، التي هي أكد الأعمال، وأفضل الخصال، كانوا لما سواها من دينهم من أتى بعدهم، وبدلوا ما أمروا به، وأنه خلف من بعدهم خلف، رجعوا إلى الخلف والوراء، فأضاعوا الصلاة التي أمروا بالمحافظة عليها وإقامتها، فتهانوا بها لما ذكر تعالى هؤلاء الأنبياء المخلصون المتبعون لمراضي ربهم، المنيبون إليه، ذكر

خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعاً لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته 6
أي: عبدا صالحا ترضاه وتحببه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولدا، ذكرا، صالحا، يبق بعد موته، ويكون وليا من بعده، ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا

على النعيم المقيم، والعيش السليم، وجوار الرب الكريم، ولا يظلمون شيئا من أعمالهم، بل يجدونها كاملة، موفرة أجورها، مضاعفا عددها. 60
وهو العمل الذي شرعه الله على أسنة رسله، إذا قصد به وجهه، فأولئك الذي جمعوا بين التوبة والإيمان، والعمل الصالح، يدخلون الجنة المشتملة عن الشرك والبدع والمعاصي، فأقلع عنها وندم عليها، وعزم عزمًا جازمًا أن لا يعاودها، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل صالحا ثم استثنى تعالى فقال: إلا من تاب

كلها صحيحة ثابتة، ولكن الاحتمال الأول أولى، بدليل قوله: إنه كان وعده مأتيا لابد من وقوعه، فإنه لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين. 61
المجمل، ما يهيج النفوس، ويزعج الساكن إلى طلبها، فيكون هذا مثل قوله: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون والمعاني ويحتمل أيضا، أن المعنى: هذه الجنات التي وعدنا الرحمن عباده، من الأمور التي لا تدركها الأوصاف، ولا يعلمها أحد إلا الله، ففيه من التشويق لها، والوصف بعباده، أي: الذين عبدوه في حال غيبهم وعدم رؤيتهم إياها، فهذه عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه، لكانوا أشد له عبادة، وأعظم إنابة، وأكثر حبا، وأجل شوقا، لو رأوها، لكانوا أشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، وأكثر لها سعيًا، ويكون في هذا، مدح له بإيمانهم بالغيب، الذي هو الإيمان النافع. ويحتمل أن تكون متعلقة فيكون المعنى على هذا، أن الله وعدهم إياها وعدا غائبا، لم يشاهدوه ولم يروه فآمنوا بها، وصدقوا غيبها، وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها، فكيف العبودية الاختيارية، التي يمدح صاحبها، وإنما عبوديتهم عبودية اضطرار، لا مدح لهم فيها. وقوله: بالغيب يحتمل أن تكون متعلقة ب وعد الرحمن ونحوه، بخلاف عباده المماليك فقط، الذين لم يعبدوه، فهؤلاء وإن كانوا عبيدا لربوبيته، لأنه خلقهم ورزقهم، ودبرهم، فليسوا داخلين في عبيد إلهيته رحمته، التي هي أثرها وموجبها، والعباد في هذه الآية، المراد: عباد إلهيته، الذين عبدوه، والتزموا شرائعه، فصارت العبودية وصفا لهم كقوله: وعباد الرحمن فقال: وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون وأيضا ففي إضافتها إلى رحمته، ما يدل على استمرار سرورها، وأنها باقية بقاء الرحمن، أضافها إلى اسمه الرحمن لأن فيها من الرحمة والإحسان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وسماها تعالى رحمته، لا ظعن فيها، ولا حول ولا زوال، وذلك لسعتها، وكثرة ما فيها من الخيرات والسرور، والبهجة والحبور. التي وعد الرحمن عباده بالغيب أي: التي وعدنا الجنة التي وعدهم بدخلوها، ليست كسائر الجنات، وإنما هي جنات عدن، أي: جنات إقامة،

الذات، مستمرة حيثما طلبوا، وفي أي: وقت رغبوا، ومن تمامها ولذاتها وحسنها، أن تكون في أوقات معلومة. بكرة وعشيا ليعظم وقعها ويتم نفعها 62
الرخيمة، لأن الدار، دار السلام، فليس فيها إلا السلام التام في جميع الوجوه. ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أي: أرزاقهم من المأكل والمشرب، وأنواع وبشارة، ومطابقة الأحاديث الحسنة بين الإخوان، وسماع خطاب الرحمن، والأصوات الشجية، من الحور والملائكة والولدان، والنغمات المطربة، والألفاظ فلا يسمعون فيها شتما، ولا عيبا، ولا قولاً فيه معصية لله، أو قولاً مكذرا، إلا سلاما أي: إلا الأقوال السالمة من كل عيب، من ذكر لله، وتحية، وكلام سرور،

لا يسمعون فيها لغوا أي: كلاما لاغيا لا فائدة فيه، ولا ما يؤثم،

الدائم، الذي لا يظعنون عنه، ولا يبيغون عنه حولا، كما قال تعالى: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين 63 فتلك الجنة التي وصفناها بما ذكر التي نورث من عبادنا من كان تقيا أي: نورثها المتقين، ونجعلها منزلهم

الجميلة، وتدابيره الجميلة. أي: فإذا تأخر نزولنا عن الوقت المعتاد، فلا يحزنك ذلك ولا يهملك، واعلم أن الله هو الذي أراد ذلك، لما له من الحكمة فيه. 64 قال: وما كان ربك نسيا أي: لم يكن لينساك ويهملك، كما قال تعالى: ما ودعك ربك وما قلى بل لم يزل معتنيا بأمورك، مجريا لك على أحسن عوائد المكان، فإذا تبين أن الأمر كله لله، وأنا عبيد مدبرون، فيبقى الأمر دائرا بين: هل تقتضيه الحكمة الإلهية فينفذه؟ أم لا تقتضيه فيؤخره؟ ولهذا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فنحن عبيد مأمورون، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك أي: له الأمور الماضية والمستقبلية والحاضرة، في الزمان الله تعالى على لسان جبريل: وما ننزل إلا بأمر ربك أي: ليس لنا من الأمر شيء، إن أمرنا، ابتدرنا أمره، ولم نعص له أمرا، كما قال عنهم: لا يعصون الله الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرة في نزوله إليه فقال له: لو تأتينا أكثر مما تأتينا تشوقا إليه، وتوحشا لفراقه، وليطمئن قلبه بنزوله فأنزل

استبطن النبي صلى

بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى. 65 الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، قال: وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية. هل تعلم له سميا أي: هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النفي، الله تسليق للعابد عن جميع التعلقات والمشتبهات، كما قال تعالى: ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه إلى أن وهو: عبادته وحده لا شريك له، واصطبر لعبادته أي: اصبر نفسك عليها واجهداها، وقم عليها أتم القيام وأكملها بحسب قدرتك، وفي الاشتغال بعبادة نظام وأكملها، ليس فيه غفلة ولا إهمال، ولا سدى، ولا باطل، برهان قاطع على علمه الشامل، فلا تشغل نفسك بذلك، بل اشغلها بما ينفعك ويعود عليك طائله، ثم علل إحاطة علمه، وعدم نسيانه، بأنه رب السماوات والأرض فربوبيته للسماوات والأرض، وكونهما على أحسن

وهذا بحسب عقله الفاسد ومقصده السيء، وعناده لرسل الله وكتبه، فلو نظر أدنى نظر، وتأمل أدنى تأمل، لرأى استعباده للبعث، في غاية السخافة 66 على وجه النفي والعناد والكفر أنذا ما مت لسوف أخرج حيا أي: كيف يعيدني الله حيا بعد الموت، وبعد ما كنت رميمًا؟ هذا لا يكون ولا يتصور، المراد بالإنسان هاهنا، كل منكر للبعث، مستبعد لوقوعه، فيقول مستفهما

للنظر، بالدليل العقلي، بألطف خطاب، وأن إنكار من أنكر ذلك، مبني على غفلة منه عن حاله الأولى، وإلا فلو تذكرها وأحضرها في ذهنه، لم ينكر ذلك. 67 بقادر على إنشائه بعد ما تمزق، وجمعه بعد ما تفرق؟ وهذا كقوله: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وفي قوله: أولا يذكر الإنسان دعوة يك شيئا أي: أولا يلفت نظره، ويستذكر حالته الأولى، وأن الله خلقه أول مرة، ولم يك شيئا، فمن قدر على خلقه من العدم، ولم يكن شيئا، مذكورا، أليس ذكر تعالى برهانا قاطعا، ودليلا واضحا، يعرفه كل أحد على إمكان البعث فقال: أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم

معلوم، ثم لنحضرهم حول جهنم جثيا أي: جاثين على ركبهم من شدة الأهوال، وكثرة الزلازل، وفظاعة الأحوال، منتظرين لحكم الكبير المتعال 68 أقسم الله تعالى وهو أصدق القائلين ربوبيته، ليحشرن هؤلاء المنكرين للبعث، هم وشياطينهم فيجمعهم لميقات يوم

عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل وكل هذا تابع لعدله وحكمته وعلمه الواسع 69 العذاب، ثم هكذا يقدم إلى العذاب، الأغلط إثما، فالأغلظ وهم في تلك الحال متلاعنون، يلعن بعضهم بعضا، ويقول أخراهم لأولاهم: ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم الرحمن عتيا أي: ثم لننزعن من كل طائفة وفرقة من الظالمين المشتركين في الظلم والكفر والعتو أشدهم عتوا، وأعظمهم ظلما، وأكبرهم كفرا، فيقدمهم إلى ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على

من قبله، ولكن على هذا الاحتمال، هذا العموم لا بد أن يكون مخصوصا بإبراهيم وموسى ونوح عليهم السلام، ونحوهم، ممن هو أفضل من يحيى قطعا 7 أي: لم يسم هذا الاسم قبله أحد، ويحتمل أن المعنى: لم نجعل له من قبل مثيلا ومساميا، فيكون ذلك بشارته بكماله، واتصافه بالصفات الحميدة، وأنه فاق وكان اسما موافقا لمسامه: يحيى حياة حسية، فتتم به المنة، ويحيى حياة معنوية، وهي حياة القلب والروح، بالوحي والعلم والدين. لم نجعل له من قبل سميا أي: بشره الله تعالى على يد الملائكة بـ يحيى وسماه الله له يحيى

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي: علمنا محيط بمن هو أولى صليا بالنار، قد علمناهم، وعلمنا أعمالهم واستحقاقها وقسطها من العذاب. 70

الخیل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كل بحسب تقواه 71 برذا وسلاما. وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الورود، فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعد، ينجي الله المتقين. وقيل: ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكما حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه. واختلف في معنى

وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم،

ونذر الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي فيها جثيا وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب. 72 ثم ننجي الذين اتقوا الله تعالى بفعل المأمور، واجتنب المحذور

وهذا دليل في غاية الفساد، وهو من باب قلب الحقائق، وإلا فكثر الأموال والأولاد، وحسن المنظر، كثيرا ما يكون سببا لهلاك صاحبه، وشقائه، وشده 73 أنهم أكثر مالا وأولادا، وقد حصلت لهم أكثر مطالبهم من الدنيا، ومجالسهم وأنديتهم مزخرفة مزوقة. والمؤمنون بخلاف هذه الحال، فهم خير من المؤمنين، والمؤمنون خير مقاما أي: في الدنيا، من كثرة الأموال والأولاد، وتوفر الشهوات وأحسن نديا أي مجلسا. أي: فاستنتجوا من هذه المقدمة الفاسدة، ما يجب لها، واستهزؤا بها وبمن آمن بها، واستدلوا بحسن حالهم في الدنيا، على أنهم خير من المؤمنين، فقالوا معارضين للحق: أي الفريقين أي: نحن أي: وإذا تتلى على هؤلاء الكفار آياتنا بينات، أي: واضحات الدلالة على وحدانية الله وصدق رسله، توجب لمن سمعها صدق الإيمان وشدة الإيقان، قابلوها بضد أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ؟ وعلم من هذا، أن الاستدلال على خير الآخرة بخير الدنيا من أفسد الأدلة، وأنه من طرق الكفار. 74 الصور، فإذا كان هؤلاء المهلكون أحسن منهم أثاثا ورثيا، ولم يمنعهم ذلك من حلول العقاب بهم، فكيف يكون هؤلاء، وهم أقل منهم وأذل، معتصمين من العذاب من قرن هم أحسن أثاثا أي: متاعا، من أوان وفرش، وبيوت، وزخارف، وأحسن رثيا، أي: أحسن مرأى ومنظرا، من غصارة العيش، وسرور اللذات، وحسن وكم أهلكنا قبلهم

مضمحلة، ويتيقنون أنهم أهل الشر، وأضعف جندا ولكن لا يفيدهم هذا العلم شيئا، لأنه لا يمكنهم الرجوع إلى الدنيا، فيعملون غير عملهم الأول. 75 أو غيره وإما الساعة التي هي باب الجزاء على الأعمال فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا أي: فحينئذ يتبين لهم بطلان دعوهم، وأنها دعوى به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون حتى إذا رأوا أي: القائلون: أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ما يوعدون إما العذاب بقتل الله يمدد منها، ويزيده فيها حبا، عقوبة له على اختيارها على الهدى، قال تعالى: فلما زاعوا أزاغ الله قلوبهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا لما ذكر دليلهم الباطل، الدال على شدة عنادهم، وقوة ضلالهم، أخبر هنا، أن من كان في الضلالة، بأن رضيها لنفسه، وسعى فيها، فإن

ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر، ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله ويرضاه. 76 يبقى لصاحبه ثوابه ولا ينجع، ومناسبة ذكر الباقيات الصالحات والله أعلم أنه لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو عند الله، ثوابها وأجرها، وكثير للعاملين نفعها وردها، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل في غير باب، فإنه ما ثم غير الباقيات الصالحات، عمل ينفع، ولا وعمره، وقرأة، وتسبيح، وتكبير، وتحميد، وتهليل، وإحسان إلى المخلوقين، وأعمال قلبية وبدنية. فهذه الأعمال خير عند ربك ثوابا وخير مردا أي: خير تفاوت، ثم قال: والباقيات الصالحات أي: الأعمال الباقية، التي لا تنقطع إذا انقطع غيرها، ولا تضمحل، هي الصالحات منها، من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، آياته زادتهم إيمانا ويدل عليه أيضا الواقع، فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور، أعظم تدخل تحت كسبه، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى ويزداد الذين آمنوا إيمانا وإذا تليت عليهم والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح. فكل من سلك طريقا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهله عليه ويسره له، ووهب له أمورا آخر، لا لما ذكر أنه يمد للظالمين في ضلالهم، ذكر أنه يزيد المهتدين هداية من فضله عليهم ورحمته،

مؤمننا بالله وادعى هذه الدعوى، لسهل الأمر. وهذه الآية وإن كانت نازلة في كافر معين فإنها تشمل كل كافر، زعم أنه على الحق، وأنه من أهل الجنة 77 من حالة هذا الكافر، الذي جمع بين كفره بآيات الله ودعواه الكبيرة، أنه سيؤتى في الآخرة مالا وولدا، أي: يكون من أهل الجنة، هذا من أعجب الأمور، فلو كان أي: أفلا تتعجب

عند الله، بالإيمان به، واتباع رسله، الذين عهد الله لأهله، وأوزع أنهم أهل الآخرة، والناجون الفائزون. فإذا انتفى هذان الأمران، علم بذلك بطلان الدعوى 78 عن علم بالغيوب المستقبل، وقد علم أن هذا لله وحده، فلا أحد يعلم شيئا من المستقبلات الغيبية، إلا من أطلعه الله عليه من رسله. وإما أن يكون متخذا عهدا وهذا التقسيم والترديد، في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة؛ فإن الذي يزعم أنه حاصل له خير عند الله في الآخرة، لا يخلو: إما أن يكون قوله صادرا ما يكون، أنه يؤتى يوم القيامة مالا وولدا؟ أم اتخذ عند الرحمن عهدا أنه نائل ما قاله، أي: لم يكن شيء من ذلك، فعلم أنه متقول، قائل ما لا علم له به. قال الله، توبيخا له وتكذيبا: أطلع الغيب أي: أحاط علمه بالغيب، حتى علم ما يكون، وأن من جملة

محفوظ، ليجازي عليه ويعاقب، ولهذا قال: سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا أي: نزيده من أنواع العقوبات، كما ازداد من الغي والضلال. 79 اطلاع على الغيب، لأنه كافر، ليس عنده من علم الرسائل شيء، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا، لكفره وعدم إيمانه، ولكنه يستحق ضد ما تقوله، وأن قوله مكتوب، كلا أي: ليس الأمر كما زعم، فليس للقائل

وكأنه وقت دعائه، لم يستحضر هذا المانع لقوة الوارد في قلبه، وشدة الحرص العظيم على الولد، وفي هذه الحال، حين قبلت دعوته، تعجب من ذلك 8 فحينئذ لما جاءته البشارة بهذا المولود الذي طلبه استغرب وتعجب وقال: رب أنى يكون لي غلام والحال أن المانع من وجود الولد، موجود بي وبزوجتي؟

تفسير السعدي

- 80 فينتقل من الدنيا فردا، بلا مال ولا أهل ولا أنصار ولا أعوان ويأتينا فردا فيرى من وخيم العذاب وأليم العقاب، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين. ونثره ما يقول أي: نثره ماله وولده،
- 81 فينتقل من الدنيا فردا، بلا مال ولا أهل ولا أنصار ولا أعوان ويأتينا فردا فيرى من وخيم العذاب وأليم العقاب، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين. ونثره ما يقول أي: نثره ماله وولده،
- 82 فينتقل من الدنيا فردا، بلا مال ولا أهل ولا أنصار ولا أعوان ويأتينا فردا فيرى من وخيم العذاب وأليم العقاب، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين. ونثره ما يقول أي: نثره ماله وولده،
- 83 له عليه سلطان، كما قال تعالى: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون عنه، ويجاهد أهل الحق في سبيل الباطل، وهذا كله، جزاء له على توليه من وليه وتوليه لعدوه، جعل له عليه سلطان، وإلا فلو آمن بالله، وتوكل عليه، لم يكن إليهم، ويزينون لهم الباطل، ويقبحون لهم الحق، فيدخل حب الباطل في قلوبهم ويتشربها، فيسعى فيه سعي المحق في حقه، فينصره بجده ويحارب ووالوا أعداءه، من الشياطين سلطهم عليهم، وقبضهم لهم، فجعلت الشياطين تؤزهم إلى المعاصي أزا، وتزعجهم إلى الكفر إزعاجا، فيوسوسون لهم، ويوحدون وهذا من عقوبة الكافرين أنهم لما لم يعتصموا بالله، ولم يتمسكوا بحبل الله، بل أشركوا به
- 84 أي أن لهم أياما معدودة لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون، نملهم ونحلم عنهم مدة ليراجعوا أمر الله، فإذا لم ينجع فيهم ذلك أخذناهم أخذ عزيز مقتدر. 84 فلا تعجل عليهم أي: على هؤلاء الكفار المستعجلين بالعذاب إنما نعد لهم عدا
- بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، واتباع مراضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على السنة رسله فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضله. 85 من الرجاء، وحسن الظن بالوفاة إليه ما هو معلوم، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك والبدع والمعاصي يحشرهم إلى موقف القيامة مكرمين، مبجلين معظمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفودا إليه، والوفاة لابد أن يكون في قلبه يخبر تعالى عن تفاوت الفريقين المتقين، والمجرمين، وأن المتقين له باتقاء الشرك
- إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم يستغيثون فلا يغاثون، ويدعون فلا يستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم 86 وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم وردا، أي: عطاشا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سوقهم على وجه الذل والصغار
- قال تعالى: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وسمى الله الإيمان به واتباع رسله عهدا، لأنه عهد في كتبه وعلى السنة رسله، بالجزاء الجميل لمن اتبعهم. 87 الشافعين، لأنهم لم يتخذوا عنده عهدا بالإيمان به وبرسله، وإلا فمن اتخذ عنده عهدا فآمن به وبرسله واتباعهم، فإنه ممن ارتضاه الله، وتحصل له الشفاعة كما لا يملكون الشفاعة أي: ليست الشفاعة ملكهم، ولا لهم منها شيء، وإنما هي لله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وقد أخبر أنه لا تنفعهم شفاعة
- زعموا أن الرحمن اتخذ ولدا، كقول النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزيز ابن الله، والمشركون: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. 88 وهذا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين
- لقد جئتم شيئا إذا أي: عظيما وخيما. 89
- وفي سنة الله في الخليقة، ولكن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاد الأشياء بدون أسبابها فذلك هين عليه، ليس بأصعب من إيجادها قبل ولم يكن شيئا. 9
- فأجاب الله بقوله: كذلك قال ربك هو علي هين أي: الأمر مستغرب في العادة،
- على عظمتها وصلابتها يتفطرن منه أي: من هذا القول وتنشق الأرض منه، أي: تتصدع وتنفطر وتخر الجبال هذا أي: تندك الجبال. 90 من عظيم أمره أنه تكاد السماوات
- ولدا وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضا، من جنس والده، والله تعالى لا شبه له ولا مثل ولا سمي. 91 للرحمن أي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر. والحال أنه: ما ينبغي أي: لا يليق ولا يكون للرحمن أن يتخذ
- تفسير الآيتين 91 و 92 :- أن دعوا
- ولدا وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضا، من جنس والده، والله تعالى لا شبه له ولا مثل ولا سمي. 92 للرحمن أي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر. والحال أنه: ما ينبغي أي: لا يليق ولا يكون للرحمن أن يتخذ
- تفسير الآيتين 91 و 92 :- أن دعوا
- والجن وغيرهم، الجميع ممالك، متصرف فيهم، ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء، فكيف يكون له ولد، وهذا شأنه وعظمته ملكه؟ 93 إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا أي: ذليلا منقادا، غير متعاص ولا ممتنع، الملائكة، والإنس،
- وعدهم عدا أي: لقد أحاط علمه بالخلائق كلهم، أهل السماوات والأرض، وأحصاهم وأحصى أعمالهم، فلا يضل ولا ينسى، ولا تخفى عليه خافية. 94
- لقد أحصاهم

تفسير السعدي

أنصار، ليس معه إلا عمله، فيجازيه الله ويوفيه حسابه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، كما قال تعالى: ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة 95 وكلهم آتية يوم القيامة فردا أي: لا أولاد، ولا مال، ولا

إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض وإنما جعل الله لهم ودا، لأنهم ودوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبابه. 96 والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: إن الله إذا أحب عبدا، نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: وودادا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم ودا، أي: محبة

أي: شديدين في باطلهم، أقوياء في كفرهم، فتذرهم. فتقوم عليهم الحجة، وتبين لهم المحجة، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. 97 المقصود منه والانتفاع به، لتبشر به المتقين بالترغيب في المبرر به من الثواب العاجل والآجل، وذكر الأسباب الموجبة للبشارة، وتذره به قوما لدا يخبر تعالى عن نعمته تعالى، وأن الله يسر هذا القرآن الكريم بلسان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يسر ألفاظه ومعانيه، ليحصل

الصوت الخفي، أي: لم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسماهم عظة للمتعظين. تم تفسير سورة مريم، والله الحمد والشكر. 98 وفرعون، وغيرهم من المعاندين المكذبين، لما استمروا في ظغيانهم، أهلكهم الله فليس لهم من باقية. هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا والركز: ثم توعدهم بإهلاك المكذبين قبلهم، فقال: وكم أهلكنا قبلهم من قرن من قوم نوح، وعاد، وثمود،

سورة 20

طه من جملة الحروف المقطعة، المفتحة بها كثير من السور، وليست اسما للنبي صلى الله عليه وسلم. 1

تستنير به الأرواح والقلوب، والهداية الحقيقية، هداية الصراط المستقيم، الموصلة إلى جنات النعيم، فحصل له أمر لم يكن في حسابه، ولا خطر بباله. 10 تصطلون به أو أجد على النار هدى أي: من يهديني الطريق. وكان مطلبه، النور الحسي والهداية الحسية، فوجد ثم النور المعنوي، نور الوحي، الذي فقال لأهله امكنوا إني أنست أي: أبصرت نارا وكان ذلك في جانب الطور الأيمن، لعلي آتيكم منها بقبس

أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة فإنه يحمل يوم القيامة وزرا وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، 100 وأما مقابلته بالإعراض، أو ما هو أعظم منه من الإنكار، فإنه كفر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة، ولهذا قال: من أعرض عنه فلم يؤمن به، عذابا على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها. وساء لهم يوم القيامة حملا أي: بنس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة 101 خالدين فيه أي: في وزرهم، لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب

وخرج الناس من قبورهم، كل على حسب حاله، فالمتقون يحشرون إلى الرحمن وفدا، والمجرمون يحشرون زرقا ألوانهم من الخوف والقلق والعطش 102 أي: إذا نفخ في الصور

كما قال تعالى: قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون 103 القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور. ويسمع ما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة أي: أعد لهم وأقربهم إلى التقدير إن لبثتم إلا يوما والمقصود من هذا، الندم العظيم، كيف ضيعوا الأوقات و 104 نيتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، تفسير الايتين 103

كما قال تعالى: قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون 104 القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور. ويسمع ما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة أي: أعد لهم وأقربهم إلى التقدير إن لبثتم إلا يوما والمقصود من هذا، الندم العظيم، كيف ضيعوا الأوقات و 104 نيتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، تفسير الايتين 103

وأماكن منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مد الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، ولهذا 105 منبها، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجعل الأرض قاعا صفصفا، مستويا لا يرى فيه أيها الناظر عوجا، هذا من تمام استوائها ولا أمتا أي: أودية ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ فقل ينسفها ربي نسفا أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن وكالرمال، ثم يدكها فيجعلها هباء تفسير الآيات من 105 إلى 107: يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلقل، فقال: ويسألونك عن الجبال أي:

وأماكن منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مد الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، ولهذا 106

تفسير السعدي

منبتا، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجعل الأرض قاعا صفصفا، مستويا لا يرى فيه أيها الناظر عوجا، هذا من تمام استوائها ولا أمتا أي: أودية ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ فقل ينسفها ربي نسفا أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن والكرمل، ثم يدكها فيجعلها هباء تفسير الآيات من 105 الى 107: يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلقل، فقال: ويسألونك عن الجبال أي:

وأماكن منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مد الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، ولهذا 107 منبتا، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجعل الأرض قاعا صفصفا، مستويا لا يرى فيه أيها الناظر عوجا، هذا من تمام استوائها ولا أمتا أي: أودية ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ فقل ينسفها ربي نسفا أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن والكرمل، ثم يدكها فيجعلها هباء تفسير الآيات من 105 الى 107: يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلقل، فقال: ويسألونك عن الجبال أي:

كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجل من غني عن عبادته، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين. 108 فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وتعالى من وسعت رحمته هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العباد مع قوله صلى الله عليه وسلم: لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها فقل ما شئت عن رحمته، رحمة، بها يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تطأه أي: من الرحمة المودعة في قلبها، فإذا كان يوم القيامة، ضم الأصوات للرحمن إلا من أذن له الرحمن مع قوله الملك يومئذ الحق للرحمن مع قوله صلى الله عليه وسلم: إن لله مائة رحمة أنزل لعباده سعة جوده، الذي عم جميع البرايا، ومما نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا، من النعم المتواترة في هذه الدار، وخصوصا في فصل القيامة، فإن قوله: وخشعت المؤمنون به وبرسله بالرحمة فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم هذا العلم بما ذكر؟ قلنا: لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار، ويتطلع لرحمته إذ ذاك جميع الخلق لما يشاهدونه فيختص شأن يغنيه فحينئذ يحكم فيهم الحاكم العدل الديان، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بالحرمان. والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يرى الخلائق عانية وجوههم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا يفعل به، قد اشتغل كل بنفسه وشأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه لكل امرئ منهم يومئذ العظيم، الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين على ركبهم، سرا بتحريك الشفتين فقط، يملكهم الخشوع والسكون والإنصات، انتظارا لحكم الرحمن فيهم، وتعنو وجوههم، أي: تذلل وتخضع، فترى في ذلك الموقف الخلق، يسمعون جميعهم، ويصيح بهم أجمعين، فيحضرون لموقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحمن، فلا تسمع إلا همسا أي: إلا وطء الأقدام، أو المخافتة فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرجون يمنا ولا يسرة، وقوله: لا عوج له أي: لا عوج لدعوة الداعي، بل تكون دعوته حقا وصدقا، لجميع يومئذ يتبعون الداعي وذلك حين يبعثون من قبورهم ويقومون منها، يدعوه الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، والمرسلين، وعباده المقربين، فيمن ارتضى قوله وعمله، وهو المؤمن المخلص، فإذا اختل واحد من هذه الأمور، فلا سبيل لأحد إلى شفاعته من أحد. 109 الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا أي: لا يشفع أحد عنده من الخلق، إلا إذا أذن في الشفاعة ولا يأذن إلا لمن رضي قوله، أي: شفاعته، من الأنبياء يومئذ لا تنفع

لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره فلما وصل إليها نودي منها، أي: ناداه الله، كما قال: ونادينه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا 11 النار التي آنسها من بعيد، وكانت في الحقيقة نورا، وهي نار تحرق وتشرق، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: حجاب النور أو النار، لو كشفه فلما أتاها أي:

ولا هضما أي: نقصا من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 110 الأليم في جهنم، وسخط الديان. والقسم الثاني: من آمن بالإيمان المأمور به، وعمل صالحا من واجب ومسنون فلا يخاف ظلما أي: زيادة في سيئاته تفسير الآيات من 110 الى 112: يوينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين: ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب

ولا هضما أي: نقصا من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 111 الأليم في جهنم، وسخط الديان. والقسم الثاني: من آمن بالإيمان المأمور به، وعمل صالحا من واجب ومسنون فلا يخاف ظلما أي: زيادة في سيئاته تفسير الآيات من 110 الى 112: يوينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين: ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب

ولا هضما أي: نقصا من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 112 الأليم في جهنم، وسخط الديان. والقسم الثاني: من آمن بالإيمان المأمور به، وعمل صالحا من واجب ومسنون فلا يخاف ظلما أي: زيادة في سيئاته تفسير الآيات من 110 الى 112: يوينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين: ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب

عربيا، وكونه مصرفا فيه من الوعيد، أكبر سبب، وأعظم داع للتقوى والعمل الصالح، فلو كان غير عربي، أو غير مصرف فيه، لم يكن له هذا الأثر. 113 كل هذا رحمة بالعباد، لعلهم ينتقون الله فيتركون من الشر والمعاصي ما يضرهم، أو يحدث لهم ذكرا فيعملون من الطاعات والخير ما ينفعهم، فكونه آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة يذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة يذكر جهنم وما فيها من أنواع العقاب وأصناف العذاب،

تفسير السعدي

نوعانها أنواعا كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثالات التي أحلها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة بذكر أي: وكذلك أنزلنا هذا الكتاب، باللسان الفاضل العربي، الذي تفهمونه وتفقهونه، ولا يخفى عليكم لفظه، ولا معناه. وصرنا فيه من الوعيد أي:

العلم، فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسئول، ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب. 114 له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامه المتصل ببعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي الاجتهاد، والشوق للعلم، وسؤال الله، والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت. ويؤخذ من هذه الآية الكريمة، الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي إليه، تدل على محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله، والطريق إليها تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرأناه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ولما كانت عجلته صلى الله عليه وسلم، على تلقف الوحي ومبادرته بتلقف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا فرغ منه فاقراءه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقرأتك إياه، كما قال تعالى: لا الأشياء، فإنه ملك قاصر باطل يزول، وأما الرب، فلا يزال ولا يزول ملكا حيا قيوما جليلا. ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه أي: لا تبادر وجوده وملكه وكماله حق، فصافات الكمال، لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال، ومن ذلك: الملك، فإن غيره من الخلق، وإن كان له ملك في بعض الأوقات، على بعض أي: جل وارتفع وتقدس عن كل نقص وآفة، الملك الذي الملك وصفه، والخلق كله ممالك له، وأحكام الملك القدريّة والشرعية، نافذة فيهم. الحق أي: لما ذكر تعالى حكمه الجزائي في عبادته، وحكمه الأمري الديني، الذي أنزله في كتابه، وكان هذا من آثار ملكه قال: فتعالى الله

ذريته، وخطي فخطوا، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة من خطيئته، وأقر بها واعترف، فغفرت له، ومن يشابه أباه فما ظلم. 115 على القيام به، ومع ذلك نسي ما أمر به، وانتقضت عزمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبيعته، نسي آدم فنسيت أي: ولقد وصينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهدا ليقوم به، فالتزمه، وأدع له وانقاد، وعزم

أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فتبينت حينئذ، عداوته البليغة لآدم وزوجه، لما كان عدوا لله، وظهر من حسده، ما كان سبب العداوة 116 وكرمه، أمر الملائكة بالسجود له، إكراما وتعظيما وإجلالا، فبادروا بالسجود ممتثلين، وكان بينهم إبليس، فاستكبر عن أمر ربه، وامتنع من السجود لآدم وقال: أي: لما أكمل خلق آدم بيده، وعلمه الأسماء، وفضله،

فحذر الله آدم وزوجه منه، وقال لا يخرجكما من الجنة فتشقى إذا أخرجت منها، فإن لك فيها الرزق الهني، والراحة التامة. 117 فيها ولا تعرى وأنت لا تظما فيها ولا تضحى أي: تصيبك الشمس بحرهما، فضمن له استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم التعب والنصب 118 تفسير الآيتين 118 و119: إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظما فيها ولا تضحى أي: تصيبك الشمس بحرهما، فضمن له استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم التعب والنصب 119 تفسير الآيتين 118 و119: إن لك ألا تجوع

إلا أن الله اختاره لمناجاته كلمه موسى لكفى، وقد قال كثير من المفسرين: إن الله أمره أن يلقي نعليه، لأنهما من جلد حمار فالله أعلم بذلك. 120 المقدس طوى أخبره أنه ربه، وأمره أن يستعد ويتهيأ لمناجاته، ويهتم لذلك، ويلقي نعليه، لأنه بالوادي المقدس المطهر المعظم، ولو لم يكن من تقديسه، إني أنا ربك فالخلع نعليك إنك بالواد

لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم. 120 إذا أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتر به آدم، وأكلا من الشجرة فسقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا يسول لهما، ويزين أكل الشجرة، ويقول: هل أدلك على شجرة الخلد أي: الشجرة التي من أكل منها خلد في الجنة. وملك لا يبلى أي: لا ينقطع تفسير الآيتين 120 و121: ولكن نهاه عن أكل شجرة معينة فقال: ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فلم يزل الشيطان

لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم. 121 إذا أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتر به آدم، وأكلا من الشجرة فسقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا يسول لهما، ويزين أكل الشجرة، ويقول: هل أدلك على شجرة الخلد أي: الشجرة التي من أكل منها خلد في الجنة. وملك لا يبلى أي: لا ينقطع تفسير الآيتين 120 و121: ولكن نهاه عن أكل شجرة معينة فقال: ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فلم يزل الشيطان

كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتها إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون 122 عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها والاعتراف، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرابط الملازم لهم، ليلا ونهارا يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان الخاسرين فاجتبه ربه، واختاره، ويسر له التوبة فتاب عليه وهدي فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها، ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمت النعمة وعصى آدم ربه فغوى فبادر إلى التوبة والإنابة، وقال: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون واتباع الهدى، بتصديق الخبر، وعدم معارضته بالشبه، وامتنال الأمر بأن لا يعارضه بشهوة. 123

تفسير السعدي

ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة. وقد نفى عنه الخوف والحزن في آية أخرى، بقوله: المبين، وأنهم أي: وقت جاءهم ذلك الهدى، الذي هو الكتب والرسول، فإن من اتبعه اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهى عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، منه، ويعدوا له عدته ويحاربوه، وأنه سينزل عليهم كتباً، ويرسل إليهم رسلاً يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، ويحذرونهم من هذا العدو يخبر تعالى، أنه أمر آدم وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأن يتخذوا آدم وبنوه الشيطان عدواً لهم، فيأخذوا الحذر

هذا المعرض عن ذكر ربه يوم القيامة أعمى البصر على الصحيح، كما قال تعالى: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً 124 عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها. ونحشره أي: ذلك والله أعلم آخر الآية، وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم القيامة. وبعض المفسرين، يرى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض العذاب الأكبر والرابعة قوله عن آل فرعون: النار يعرضون عليها غدواً وعشياً الآية. والذي أوجب لمن فسرهما بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على عذاب القبر. والثانية قوله تعالى: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم الآية. والثالثة قوله: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون ذلك إلا عذاباً. وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به فإن له معيشة ضنكاً أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ومن أعرض عن ذكرى أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض

والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: رب لم حشرتني أعمى وقد كنت في دار الدنيا بصيراً فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة. 125 قال على وجه الدل

ربك، وعشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، ونسيك في العذاب. 126 آياتنا فنسيتها بإعراضك عنها وكذلك اليوم تنسى أي: تترك في العذاب، فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت عن ذكر قال كذلك أتتك

أشد من عذاب الدنيا أضعافاً مضاعفة وأبقى لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب الخوف والحذر من عذاب الآخرة. 127 الدالة على جميع مطالب الإيمان دالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها، وإنما السبب إصراره وعدم إيمانه. ولعذاب الآخرة وكذلك أي: هذا الجزاء نجزيه من أسرف بأن تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوز ما أذن له ولم يؤمن بآيات ربه هم عليه، ولكن ما كل أحد ينتفع بالآيات، إنما ينتفع بها أولو النهى، أي: العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والألباب التي تزجر أصحابها عما لا ينبغي. 128 بل هم أذل وأحق من ذلك، فإهلاك القرون الماضية بذنوبهم، من أسباب الهداية، لكونها من الآيات الدالة على صحة رسالة الرسل الذين جاءوهم، وبطلان ما بخيرهم، بل هم شر منهم، لأنهم كفروا بأشرف الرسل وخير الكتب، وليس لهم براءة مزبورة وعهد عند الله، وليسوا كما يقولون أن جمعهم ينفعهم ويدفع عنهم، خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر لا شيء من هذا كله، فليس هؤلاء الكفار، خيراً من أولئك، حتى يدفع عنهم العذاب هود وصالح ولوط وغيرهم، وأنهم لما كذبوا رسلنا، وأعرضوا عن كتبنا، أصبناهم بالعذاب الأليم؟ فما الذي يؤمن هؤلاء، أن يحل بهم، ما حل بأولئك؟ أكفاركم ما أحل الله بالمكذبين قبلهم، من القرون الخالية، والأمم المتتابعة، الذين يعرفون قصصهم، ويتناقلون أسماهم، وينظرون بأعينهم، مساكنهم من بعدهم، كقوم أي: أفلم يهد هؤلاء المكذبين المعرضين، ويدلهم على سلوك طريق الرشاد، وتجنب طريق الغي والفساد،

ونفوذ كلمة الله، هو الذي أخر عنهم العقوبة إلى إبان وقتها، ولعلمهم يراجعون أمر الله، فيتوب عليهم، ويرفع عنهم العقوبة، إذا لم تحق عليهم الكلمة. 129 وناشنا عن الذنوب، ملازماً لها، وهؤلاء قد أتوا بالسبب، ولكن الذي أخره عنهم كلمة ربك، المتضمنة لإمهالهم وتأخيرهم، وضرب الأجل المسمى، فالأجل المسمى للرسول، وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صالح لحلول العذاب بهم، ولزومه لهم، لأن الله جعل العقوبات سبباً هذا تسلياً

ما يليق بها، ولهذا قال: فاستمع لما يوحى أي: ألق سمعك للذي أوحى إليك، فإنه حقيق بذلك، لأنه أصل الدين ومبدأه، وعماد الدعوة الإسلامية. 13 وأنا اخترتك أي: تخيرتك واصطفيتك من الناس، وهذه أكبر نعمة ومنة أنعم الله بها عليه، تقتضي من الشكر

ذلك، ترضى بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر. 130 بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته، لعلك إن فعلت أمر الله رسوله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح

وفي هذه الآية، إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا، وإقبالاً عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا. 131 خير مما متعنا به أزواجاً، في ذاته وصفاته وأبقى لكونه لا ينقطع، أكلها دائم وظلها، كما قال تعالى: بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى عليها صعيداً جزواً ورزق ربك العاجل من العلم والإيمان، وحقائق الأعمال الصالحة، والآجل من النعيم المقيم، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم واختباراً، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملاً، كما قال تعالى: إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وإنا لجاعلون ما

تفسير السعدي

ثم تذهب سريعا، وتمضي جميعا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة المجمل، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها بقطع النظر عن الآخرة القوم الظالمون، لا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشرب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء أي:

والعاقبة في الدنيا والآخرة للتقوى التي هي فعل المأمور وترك المنهي، فمن قام بها، كان له العاقبة، كما قال تعالى والعاقبة للمتقين 132 الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واشتغل بذكرنا؟! ورزق الله عام للمتقي وغيره، فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية، وهو: التقوى، ولهذا قال: لما سواها أضيع، ثم ضمن تعالى لرسوله الرزق، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه، فقال: نحن نرزقك أي: رزقك علينا قد تكفلنا به، كما تكفلنا بأرزاق ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائما، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان ما يصلح الصلاة ويفسدها ويكملها. واصطبر عليها أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مشق على النفس، ولكن أي: حث أهلك على الصلاة، وأزعجهم إليها من فرض ونفل. والأمر بالشيء، أمر بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمرا بتعليمهم،

صاحبه هو الفائز الراشد، الناجي المفلح، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة، وأعداؤه بخلافه، والله أعلم. 133 أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي أي: المستقيم، ومن اهتدى بسلوكة، أنا أم أنتم؟ فإن قل كل متربص فتربصوا بي الموت، وأنا أتربص بكم العذاب قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أي: الظفر أو الشهادة ونحن نتربص بكم بالعقوبة، فما قد جاءكم رسولي ومعها آياتي وبراهيني، فإن كنتم كما تقولون، فصدقوه. قل يا محمد مخاطبا للمكذبين لك الذين يقولون تربصوا به ريب المنون في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب وإنما الفائدة أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعارضون الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت به، وتصديقه أيضا مذكور فيها، ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله تعالى: ولهذا قال: أولم تأتئهم إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليلة، بينة ما في الصحف الأولى أي: هذا القرآن العظيم، المصدق لما في يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب وافتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرة، ما يحصل ببعضه المقصود، لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله. ولأن قولهم: لولا أنزل عليه آيات من ربه الأذهار خلالها تفجييرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وهذا تعنت منهم وعناد وظلم، فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد وسلم: هلا يأتينا بآية من ربه؟ يعنون آيات الاقتراح كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر تفسير الآيات من 133 إلى 135: بأي: قال المكذبون للرسول صلى الله عليه

صاحبه هو الفائز الراشد، الناجي المفلح، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة، وأعداؤه بخلافه، والله أعلم. 134 أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي أي: المستقيم، ومن اهتدى بسلوكة، أنا أم أنتم؟ فإن قل كل متربص فتربصوا بي الموت، وأنا أتربص بكم العذاب قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أي: الظفر أو الشهادة ونحن نتربص بكم بالعقوبة، فما قد جاءكم رسولي ومعها آياتي وبراهيني، فإن كنتم كما تقولون، فصدقوه. قل يا محمد مخاطبا للمكذبين لك الذين يقولون تربصوا به ريب المنون في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب وإنما الفائدة أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعارضون الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت به، وتصديقه أيضا مذكور فيها، ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله تعالى: ولهذا قال: أولم تأتئهم إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليلة، بينة ما في الصحف الأولى أي: هذا القرآن العظيم، المصدق لما في يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب وافتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرة، ما يحصل ببعضه المقصود، لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله. ولأن قولهم: لولا أنزل عليه آيات من ربه الأذهار خلالها تفجييرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وهذا تعنت منهم وعناد وظلم، فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد وسلم: هلا يأتينا بآية من ربه؟ يعنون آيات الاقتراح كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر تفسير الآيات من 133 إلى 135: بأي: قال المكذبون للرسول صلى الله عليه

صاحبه هو الفائز الراشد، الناجي المفلح، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة، وأعداؤه بخلافه، والله أعلم. 135 أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي أي: المستقيم، ومن اهتدى بسلوكة، أنا أم أنتم؟ فإن قل كل متربص فتربصوا بي الموت، وأنا أتربص بكم العذاب قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أي: الظفر أو الشهادة ونحن نتربص بكم

تفسير السعدي

بالعقوبة، فما قد جاءكم رسولي ومعه آياتي وبراهيني، فإن كنتم كما تقولون، فصدقوه. قل يا محمد مخاطبا للمكذبين لك الذين يقولون تربصوا به رب المنون في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب وإنما الفائدة أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعرضون الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت به، وتصديقه أيضا مذكور فيها، ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله تعالى: ولهذا قال: أولم تأتئهم إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليله، بينة ما في الصحف الأولى أي: هذا القرآن العظيم، المصدق لما في يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب واقتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرة، ما يحصل ببعضه المقصود، لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله. ولأن قولهم: لولا أنزل عليه آيات من ربه الأتھار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وهذا تعنت منهم وعناد وظلم، فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد وسلم: هلا يأتينا بآية من ربه؟ يعنون آيات الاقتراح كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر تفسير الآيات من 133 إلى 135: أي: قال المكذبون للرسول صلى الله عليه

من ذكر الله أكبر من نهيهما عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العباد، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده. 14 إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة. قال الله تعالى: اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر أي: ما فيها وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها لفضلها وشرفها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح. وقوله: لذكرى اللام للتعليل أي: أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، له ولا مثيل ولا كفو ولا سمي، فاعبدني بجميع أنواع العبادات، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادات، بين الذي يوحى إليه بقوله: إني أنا الله لا إله إلا أنا أي: الله المستحق الألوهية المتصف بها، لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المنفرد بأفعاله، الذي لا شريك ثم

الساعة لتجزى كل نفس بما تسعى من الخير والشر، فهي الباب لدار الجزاء ليحزي الذين أساءوا بما عملوا ويحزي الذين أحسنوا بالحسنى 15 الساعة قل إنما علمها عند الله وقال: وعنده علم الساعة فعلمها قد أخفاها عن الخلائق كلهم، فلا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والحكمة في إتيان إن الساعة آتية أي: لا بد من وقوعها أكاد أخفيها أي: عن نفسي كما في بعض القراءات، كقوله تعالى: يسألك الناس عن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله: فتردى أي: تهلك وتشفى، إن اتبعت طريق من يصد عنها. 16 شيء منها. وهذه نظير قوله تعالى في الإخبار عن ميزان سعادة الفرق، الذين أتوا الكتاب وشقاوتهم: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى في هذا الإيمان به، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، لأن هذه الأمور الثلاثة أصول الإيمان، وركن الدين، وإذا تمت تم أمر الدين، ونقصه أو فقده بنقصها، أو نقص وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك، وذكر الله تعالى عمن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله وكون النفوس مجبولة على التشبه، والاقتران بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه إلى الحق، وإنما قصاره اتباع هواه، فأياك أن تصغي إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئا من أقواله وأعماله الصادرة عن الإيمان بها والسعي لها سعيها، وإنما حذر بها، غير معتقد لوقوعها. يسعى في الشك فيها والتشكيك، ويجادل فيها بالباطل، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعا في ذلك هواه، ليس قصده الوصول أي: فلا يصدك ويشغلك عن الإيمان بالساعة، والجزاء، والعمل لذلك، من كان كافرا

الله له على عدوه فقال: وما تلك بيمينك يا موسى هذا، مع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام في هذا الموضع، أخرج الكلام بطريق الاستفهام. 17 لما بين الله لموسى أصل الإيمان، أراد أن يبين له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه، وتقر به عينه، ويقوي إيمانه، بتأييد الأمرين. ومن أدب موسى عليه السلام، أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال محتملا عن السؤال عن عينها، أو منفعتها أجابه بعينها، ومنفعتاتها 18 البهيم، والإحسان إليه دل على عناية من الله له واصطفاء، وتخصيص تقتضيه رحمة الله وحكمته. ولي فيها مآرب أي: مقاصد أخرى غير هذين شجر الخبط ونحوه، هش بها، أي: ضرب الشجر، ليتساقط ورقه، فيرعاه الغنم. هذا الخلق الحسن من موسى عليه السلام، الذي من آثاره، حسن رعاية الحيوان هاتين المنفعتين، منفعة لجنس الآدمي، وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه، فيحصل فيها معونة. ومنفعة للبهائم، وهو أنه كان يرعى الغنم، فإذا رعاها في هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ذكر فيها

موسى هاربا خائفا، ولم يعقب، وفي وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم. 19 تفسير الآيتين 19 و 20: فقال الله له: ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى انقلبت بإذن الله ثعبانا عظيما، فولى غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإنذاع، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة. 2. العاملين. وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طريقه وأبوابه، وجعله

تفسير السعدي

لتشقى أي: ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى ما أنزلنا عليك القرآن

موسى هاربا خائفا، ولم يعقب، وفي وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم. 20
تفسير الآيتين 19 و 20: فقال الله له: ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى انقلبت بإذن الله ثعبانا عظيما، فولى بأس. سنعيدها سيرتها الأولى أي: هيئتها وصفتها، إذ كانت عصا، فامتثل موسى أمر الله إيمانا به وتسليما، فأخذها، فعادت عصاه التي كان يعرفها 21 فقال الله لموسى: خذها ولا تخف أي: ليس عليك منها

غير سوء أي: بياضا ساطعا، من غير عيب ولا برص آية أخرى قال الله: فذالك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين 22 واضمم يدك إلى جناحك أي: أدخل يدك في جيبك، وضم عليك عضدك، الذي هو جناح الإنسان تخرج بيضاء من على صحة رسالتك وحقيقة ما جئت به، فيطمئن قلبك ويزداد علمك، وتتق بوعد الله لك بالحفظ والنصرة، وتكون حجة وبرهانا لمن أرسلت إليهم. 23 لنريك من آياتنا الكبرى أي: فعلنا ما ذكرنا، من انقلاب العصا حية تسعى، ومن خروج اليد بيضاء للناظرين، لأجل أن نريك من آياتنا الكبرى، الدالة فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشرحه عليهم. 24 والفعل، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: بالانشرح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي هي من تمام الدعوة، فقال: رب اشرح لي صدري أي: وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه، وتلقاه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحدا، إلا بعد قيام الحجة بالرسول، فحينئذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملا عظيما، حيث فرعون إنه طغى أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية قبحه الله أي: وطغيانه تفسير الآيتين 24 و 25: فلما أوحى الله إلى موسى، ونباه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: اذهب إلى

فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشرحه عليهم. 25 والفعل، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: بالانشرح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي هي من تمام الدعوة، فقال: رب اشرح لي صدري أي: وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه، وتلقاه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحدا، إلا بعد قيام الحجة بالرسول، فحينئذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملا عظيما، حيث فرعون إنه طغى أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية قبحه الله أي: وطغيانه تفسير الآيتين 24 و 25: فلما أوحى الله إلى موسى، ونباه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: اذهب إلى

ومن تيسير الأمر أن يبسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله. 26 ويسر لي أمري أي: سهل علي كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك، وهون علي ما أمامي من الشدائد،

هارون هو أفصح مني لسانا فسأل الله أن يحل منه عقدة، يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني. 27 و 28 :- واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام، كما قال المفسرون، كما قال الله عنه أنه قال: وأخي

تفسير الآيتين

هارون هو أفصح مني لسانا فسأل الله أن يحل منه عقدة، يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني. 28 و 27 :- واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام، كما قال المفسرون، كما قال الله عنه أنه قال: وأخي

تفسير الآيتين

قربانه، ثم عينه بسؤاله فقال: هارون أخي اشد به أزمي أي: قوني به، وشد به ظهري، قال الله: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا 29 :- واجعل لي وزيرا من أهلي أي: معينا يعاونني، ويؤازرنني، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان تفسير الآيات من 29 إلى 31

من لم يؤمن بجنة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مثقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى 3 والتذكرة لشيء كان موجودا، إلا أن صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وخص بالتذكرة من يخشى لأن غيره لا ينتفع به، وكيف ينتفع به ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المفصلة، التي كان مستقرا في عقله حسنهما مجعلا، فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سماه الله تذكرة يخشى إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيهرب منه،

قربته، ثم عينه بسؤاله فقال: هارون أخي اشد به أزي أي: قوني به، وشد به ظهري، قال الله: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا 30
:- واجعل لي وزيرا من أهلي أي: معينا يعاونني، ويؤازرنني، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان
تفسير الآيات من 29 إلى 31

قربته، ثم عينه بسؤاله فقال: هارون أخي اشد به أزي أي: قوني به، وشد به ظهري، قال الله: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا 31
:- واجعل لي وزيرا من أهلي أي: معينا يعاونني، ويؤازرنني، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان
تفسير الآيات من 29 إلى 31

وأشركه في أمري أي: في النبوة، بأن تجعله نبيا رسولا، كما جعلتني. 32

ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل، وغيره من أنواع العبادات. 33
تفسير الايتين 33 و34 :- كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا علم عليه الصلاة والسلام، أن مدار العبادات كلها والدين، على
ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل، وغيره من أنواع العبادات. 34
تفسير الايتين 33 و34 :- كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا علم عليه الصلاة والسلام، أن مدار العبادات كلها والدين، على
بنا بصيرا تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور، وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم، فمن علينا بما سألناك، وأجب لنا فيما دعوناك. 35
إنك كنت

صفة كمال، وله من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وفصاحة اللسان، وحسن التعبير والبيان، والأعوان على الحق من الصحابة، فمن بعدهم، ما ليس لغيره. 36
حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق، رأيتهم بهذه الحال، بحسب أحوالهم خصوصا، خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه في الذروة العليا من كل
صفته، أعوان ووزراء، يساعده على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت، لا بد أن تؤثر، فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيتها. وإذا نظرت إلى
البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يعامل الناس كلا بحسب حاله، وتام ذلك، أن يكون لمن هذه
ولحاجته لتحسين الحق، وتزيينه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى تقبيح الباطل وتهجينه، لينفر عنه، ويحتاج مع ذلك أيضا، أن يتيسر له أمره، فيأتي
الأذى، ولسان فصيح، يتمكن من التعبير به عن ما يريد ويقتضيه، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام، من ألزم ما يكون، لكثرة المراجعات والمراوضات،
نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصا إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يصيبه من
يصلون إليكم بآياتنا أنتم ومن اتبعكم الغالبون وهذا السؤال من موسى عليه السلام، يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور، وكمال
أي: أعطيت جميع ما طلبت، فسنتشرح صدرك، ونيسر أمرك، ونحل عقدة من لسانك، يفقهوا قولك، ونشد عضدك بأخيك هارون، ونجعل لكما سلطانا فلا
فقال الله: قد أوتيت سؤلك يا موسى

بن عمران، في الدين، والوحي، والرسالة، وإجابة سؤاله، ذكر نعمته عليه، وقت التربية، والتنقلات في أطواره فقال: ولقد مننا عليك مرة أخرى 37
لما ذكر منته على عبده ورسوله، موسى

فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون ماله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا. 38
في يد عدوه، قلقت أمه قلعا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع،
إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع
مني فكل من رآه أحبه ولتصنع على عيني ولتتربى على نظري وفي حظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجل وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على
الله اليم، أن يلقيه في الساحل، وقبض أن يأخذه، أعدى الأعداء لله ولموسى، ويتربى في أولاده، ويكون قرة عين لمن رآه، ولهذا قال: وألقيت عليك محبة
خوفا من فرعون، لأنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، فأخفته أمه، وخافت عليه خوفا شديدا فقذفته في التابوت، ثم قذفته في اليم، أي: شط نيل مصر، فأمر
تفسير الآيتين 38 و 39: بحيث ألهمنا أمك أن تقذفك في التابوت وقت الرضاع،

فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون ماله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا. 39
في يد عدوه، قلقت أمه قلعا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع،
إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع
مني فكل من رآه أحبه ولتصنع على عيني ولتتربى على نظري وفي حظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجل وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على
الله اليم، أن يلقيه في الساحل، وقبض أن يأخذه، أعدى الأعداء لله ولموسى، ويتربى في أولاده، ويكون قرة عين لمن رآه، ولهذا قال: وألقيت عليك محبة
خوفا من فرعون، لأنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، فأخفته أمه، وخافت عليه خوفا شديدا فقذفته في التابوت، ثم قذفته في اليم، أي: شط نيل مصر، فأمر
تفسير الآيتين 38 و 39: بحيث ألهمنا أمك أن تقذفك في التابوت وقت الرضاع،

تفسير السعدي

فلم يخلق شيئا عبثا، فكذلك لا يأمر ولا ينهى إلا بما هو عدل وحكمة وإحسان. فلما بين أنه الخالق المدبر، الأمر الناهي، أخبر عن عظمتة وكبريائه 4
إلزام ولا أمر ولا نهى إلا من خالقهم، وأيضا فإن خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكوني، وأمره فيه التدبير الشرعي الديني، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكمة،
وفي قوله: الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلن ينزل الأمر بينهن وذلك أنه الخالق الأمر الناهي، فكما أنه لا خالق سواه، فليس على الخلق
تنزيله بغاية الإذعان والمحبة والتسليم، وعظموه نهاية التعظيم. وكثيرا ما يقرن بين الخلق والأمر، كما في هذه الآية، وكما في قوله: ألا له الخلق والأمر
ثم ذكر جلالة هذا القرآن العظيم، وأنه تنزيل خالق الأرض والسماوات، المدبر لجميع المخلوقات، أي: فاقبلوا

في هذا الوقت وهذا الزمان وهذا المكان، ليس مجيئك اتفاقا من غير قصد ولا تدبير منا، وهذا يدل على كمال اعتناء الله بكليمه موسى عليه السلام 40
إلى مدين، ووصل إليها، وتزوج هناك، ومكث عشر سنين، أو ثمان سنين، ثم جئت على قدر يا موسى أي: جئت مجيئا قد مضى به القدر، وعلمه الله وأراد
أو نقلناك في أحوالك، وأطوارك، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، فلبثت سنين في أهل مدين حين فر هاربا من فرعون وملئه، حين أرادوا قتله، فتوجه
سمع أن المألأ طلبوه، يريدون قتله. فنجاه الله من الغم من عقوبة الذنب، ومن القتل، وفتناك فتونا أي: اختبرناك، وبلوناك، فوجدناك مستقيما في أحوالك
والآخر من عدوه قبطي فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى ففضى عليه فدعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر هاربا لما
فرجعاك إلى أمك كي تقرر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا وهو القبطي لما دخل المدينة وقت غفلة من أهلها، وجد رجلين يقتتلان، واحد من شيعه موسى،
فجاءت أخت موسى، فقالت لهم: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون

غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أرادته لنفسه، واصطفاه من خلقه؟ 41
ذلك مبلغا لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم، وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل
واصطنعتك لنفسه أي: أجريت عليك صنائعي ونعمي، وحسن عوائدي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيبا مختصا، وتبلغ في

بل استمر عليه، والزماه كما وعدتما بذلك كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فإن ذكر الله فيه معونة على جميع الأمور، يسهلها، ويخفف حملها. 42
على الحق وحسنه، وقبح الباطل، كاليد، والعصا ونحوها، في تسع آيات إلى فرعون وملئه، ولا تنبأ في ذكره أي: لا تفتتر، ولا تكسلا، عن مداومة ذكره
لما امتن الله على موسى بما امتن به، من النعم الدينية والدنيوية قال له: اذهب أنت وأخوك هارون بآياتي أي: الآيات التي مني، الدالة

انذهبا إلى فرعون إنه طغى أي: جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه. 43

فقال: وأهديك إلى ربك فتخشى فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب، علم أنه لا ينجع فيه تذكير، فأخذ الله أخذ عزيز مقتدر. 44
أزكيك بل قال: تزكى أنت بنفسك، ثم دعاه إلى سبيل ربه، الذي رباه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، التي ينبغي مقابلتها بشكرها، وذكرها
على العرض والمشاورة، التي لا يشمئز منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس، التي أصلها، التطهر من الشرك، الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل
أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإن في هذا الكلام، من لطف القول وسهولته، وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل، فإنه أتى به هل الدالة
ينفعه فيأتيه، أو يخشى ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: فقل هل لك إلى
أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، لعله بسبب القول اللين يتذكر ما
فقلوا له قولا ليئا

يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا، قبل أن تبغفه رسالاتك، ونقيم عليه الحجة أو أن يطغى أي: يتمرد عن الحق، ويطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعوانه. 45
قالا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أي:

معكما أسمع وأرى أي: أننا بحفظي ورعايتي، أسمع أقوالكما، وأرى جميع أحوالكما، فلا تخافا منه، فزال الخوف عنهما، واطمأنت قلوبهما بوعده ربهما. 46
قال لا تخافا أن يفرط عليكما إنني

آخر ما ذكر الله عنهما. والسلام على من اتبع الهدى أي: من اتبع الصراط المستقيم، واهتدى بالشرع المبين، حصلت له السلامة في الدنيا والآخرة. 47
موسى شرع الله ودينه. قد جئناك بآية تدل على صدقنا فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين إلى
أي: فأتياه بهذين الأمرين، دعوته إلى الإسلام، وتخليص هذا الشعب الشريف بني إسرائيل من قيده وتعبيده لهم، ليتحرروا ويملكوا أمرهم، ويقيم فيهم
لفرعون بالإيمان والتصديق واتباعهما، والترهيب من ضد ذلك، ولكن لم يفد فيه هذا الوعد والتذكير، فأنكر ربه، وكفر، وجادل في ذلك ظلما وعنادا. 48
خبر من عند الله، لا من عند أنفسنا أن العذاب على من كذب وتولى أي: كذب بأخبار الله، وأخبار رسله، وتولى عن الانقياد لهم واتباعهم، وهذا فيه الترغيب
إنا قد أوحى إلينا أي:

أي: قال فرعون لموسى على وجه الإنكار: فمن ربكما يا موسى 49

الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها وأوسعها، استوى استواء يليق بجلاله، ويناسب عظمتة وجماله، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك. 5
الرحمن على العرش

تفسير السعدي

المعلومة ما أنكر، كان إنكاره لرب العالمين أكبر من ذلك، ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا الدليل القاطع، عدل إلى المشاغبة، وحاد عن المقصود 50 فوق حسنه، وهادها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودا، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور من العقل، ما يتمكن به على ذلك. وهذا كقوله تعالى: الذي أحسن كل شيء خلقه فالذي خلق المخلوقات، وأعطاه خلقها الحسن، الذي لا تقتصر العقول العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية فأجاب موسى بجواب شاف كاف واضح، فقال: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق فما بال القرون الأولى أي: ما شأنهم؟ وما خبرهم؟ وكيف وصلت بهم الحال، وقد سبقونا إلى الإنكار والكفر، والظلم، والعناد، ولنا فيهم أسوة؟ 51 فقال لموسى:

أنفسهم ظلما وعلوا وقال موسى: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر فعلم أنه ظالم في جداله، قصده العلو في الأرض. 52 بالدليل، والبرهان بالبرهان، ولن تجد لذلك سبيلا، ما دام الملوان. كيف وقد أخبر الله عنه، أنه جحدوا مع استيقانها، كما قال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها الحق، ودع عنك الكفر والظلم، وكثرة الجدل بالباطل، وإن كنت قد شككت فيها أو رأيته غير مستقيمة، فالطريق مفتوح وباب البحث غير مغلق، فرد الدليل فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم، فإن كان الدليل الذي أوردناه عليك، والآيات التي أريناها، قد تحققت صدقها وبقينها، وهو الواقع، فانقد إلى شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها. ومضمون ذلك، أنهم قدموا إلى ما قدموا، ولاقوا أعمالهم، وسيجازون عليها، فلا معنى لسؤالك واستفهامك يا فرعون عنهم، عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى أي: قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علما وخبرا، فلا يضل عن فقال موسى: علمها

النوابت على اختلاف أنواعها، وتشتت أشكالها، وتباين أحوالها، فساقه، وقدره، ويسره، رزقا لنا ولأنعامنا، ولولا ذلك لهلك من عليها من آدمي وحيوان 53 مما ينتفعون بإقامتهم. وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى أي: أنزل المطر فأحيا به الأرض بعد موتها وأنبت بذلك جميع أصناف الطرق الموصلة، من أرض إلى أرض، ومن قطر إلى قطر، حتى كان الآدميون يتمكنون من الوصول إلى جميع الأرض بأسهل ما يكون، وينتفعون بأسفارهم، أكثر فيها، والقرار، والبناء، والغراس، وإثارتها للزادراغ وغيره، وذلك لذلك، ولم يجعلها ممتنعة عن مصلحة من مصالحكم. وسلك لكم فيها سبلا أي: نفذ لكم فقال: الذي جعل لكم الأرض مهذا أي: فراشا بحالة تتمكنون من السكون

حظهم، حظ البهائم، يأكلون ويشربون، وقلوبهم لاهية، وأجسامهم معرضة. وكأين من آية في السماوات والأرض يَمرون عليها وهم عنها معرضون 54 الناظرون إليها نظر اعتبار، وأما من عداهم، فإنهم بمنزلة البهائم السارحة، والأنعام السائمة، لا ينظرون إليها نظر اعتبار، ولا تنفذ بصائرهم إلى المقصود منها، بل إلا من امتن بهذه النعم، وعلى أنه على كل شيء قدير، فكما أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى. وخص الله أولي النهى بذلك، لأنهم المنتفعون بها، على فضل الله وإحسانه، ورحمته، وسعة جوده، وتام عنايته، وعلى أنه الرب المعبود، المالك المحمود، الذي لا يستحق العبادة سواه، ولا الحمد والمدح والثناء، في جميع النوابت الإباحة، فلا يحرم منهم إلا ما كان مضرا، كالسموم ونحوه. إن في ذلك لآيات لأولي النهى أي: لذوي العقول الرزينة، والأفكار المستقيمة كلوا وارعوا أنعامكم وسياقها على وجه الامتنان، ليدل ذلك على أن الأصل

بأعمالنا التي عملناها عليها. وهذان دليلان على الإعادة عقليان واضحان: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم. 55 وفيها يعيدنا إذا متنا دفندا فيها، ومنها يخرجنا تارة أخرى، فكما أوجدنا منها من العدم، وقد علمنا ذلك وتحققناه، فسيعيدنا بالبعث منها بعد موتنا، ليجازينا ولما ذكر كرم الأرض، وحسن شكرها لما ينزله الله عليها من المطر، وأنها بإذن ربها، تخرج النبات المختلف الأنواع، أخبر أنه خلقنا منها، والنفسية، فما استقام ولا ارعوى، وإنما كذب وتولى، كذب الخبر، وتولى عن الأمر والنهي، وجعل الحق باطلا، والباطل حقا، وجادل بالباطل لبيضل الناس 56 يخبر تعالى، أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع، جميع أنواعها العيانية، والأفقية

في قلوب قومه، فإن الطباع تميل إلى أوطانها، ويصعب عليها الخروج منها ومفارقةا. فأخبرهم أن موسى هذا قصده، ليبغضوه، ويسعوا في محاربته 57 من أرضنا بسحرك زعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى، سحر وتمويه، المقصود منها إخراجهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، ليكون كلامه مؤثرا أجنثنا لتخرجنا سحرك فأملنا، واجعل لنا موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى أي: مستو علمنا وعلمك به، أو مكانا مستويا معتدلا ليتمكن من رؤية ما فيه. 58 فلنأتينك بسحر مثل

الضحى، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى فيه يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره 59 فقال موسى: موعدكم يوم الزينة وهو عيدهم، الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم، وأن يحشر الناس ضحى أي: يجمعون كلهم في وقت ملك لله تعالى، عبيد مدبرون، مسخرون تحت قضائه وتدبيره، ليس لهم من الملك شيء، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. 6 له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما من ملك وإنسي وجني، وحيوان، وجماد، ونبات، وما تحت الثرى أي: الأرض، فالجميع

تفسير السعدي

- والأشراف، والعوام، والصغار، والكبار، وحضوا الناس على الاجتماع، وقالوا للناس: هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين 60 وعلمه علما مرغوبا فيه، فجمع خلقا كثيرا من السحرة، ثم أتى كل منهما للموعد، واجتمع الناس للموعد. فكان الجمع حافلا، حضره الرجال والنساء، والماء، فرعون فجمع كيده أي: جميع ما يقدر عليه، مما يكيد به موسى، فأرسل في مدائنه من يحشر السحرة الماهرين في سحرهم، وكان السحر إذ ذاك، متوفرا، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى فيه يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره، فتولى موسى: موعدهم يوم الزينة وهو عيدهم، الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم، وأن يحشر الناس ضحى أي: يجمعون كلهم في وقت الضحى، فقال
- سعيكم وافترؤكم، فلا تدركون ما تطلبون من النصر والجاه عند فرعون وملائه، ولا تسلمون من عذاب الله، وكلام الحق لا بد أن يؤثر في القلوب. 61
- الله كذبا فيسحتكم بعذاب أي: لا تنصروا ما أنتم عليه من الباطل بسحركم وتغالبون الحق، وتفترون على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب من عنده، ويخيب فحين اجتماعوا من جميع البلدان، وعظهم موسى عليه السلام، وأقام عليهم الحجة، وقال لهم: ويلكم لا تفتروا على
- ويحيا من حي عن بينة فحينئذ أسروا فيما بينهم النجوى، وأنهم يتفقون على مقالة واحدة، لينجحوا في مقالهم وفعالهم، وليتمسك الناس بدينهم 62 ولعل من جملة نزاعهم، الاشتباه في موسى، هل هو على الحق أم لا؟ ولكن هم إلى الآن، ما تم أمرهم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ليهلك من هلك عن بينة لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة لما سمعوا كلام موسى، وارتبكوا،
- الذي أشغلتهم زمانكم فيه، ويذهب عنكم ما كنتم تأكلون بسببه، وما يتبع ذلك من الرياسة، وهذا حض من بعضهم على بعض على الاجتهاد في مغالبتة 63 قالوا: ويذهب بطريقتكم المثلى أي: طريقة السحر حسدكم عليها، وأراد أن يظهر عليكم، ليكون له الفخر والصيت والشهرة، ويكون هو المقصود بهذا العلم، توافقا من فرعون والسحرة على هذه المقالة من غير قصد، وإما أن يكون تلقينا منه لهم مقالته، التي صمم عليها وأظهرها للناس، وزادوا على قول فرعون أن فسرنا بقوله: قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى كمقالة فرعون السابقة، فإما أن يكون ذلك والنجوى التي أسروها
- في باطلهم، وأشدهم فيه، حيث أتوا بكل سبب، ووسيلة وممكن، ومكيدة يكيدون بها الحق، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر الحق على الباطل 64 يترك بعضكم بعض مقدوره من العمل، واعلموا أن من أفلح اليوم ونجح وغلب غيره، فإنه المفلح الفائز، فهذا يوم له ما بعده من الأيام فله درهم ما أصلهم أي: أظهروه دفعة واحدة متظاهرين متساعدين فيه، متناصرين، متفقا رأيكم وكلمتكم، ثم اتوا صفا ليكون أمكن لعلكم، وأهيب لكم في القلوب، ولئلا فأجمعوا كيدكم
- إلا العمل قالوا يا موسى إما أن تلقي عصاك وإما أن نكون أول من ألقى خيروه، موهمين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي: حالة كانت 65 فلما تمت مكيدتهم، وانحصر مقصدهم، ولم يبق
- وعصيتهم، فإذا حبالهم وعصيتهم يخيل إليه أي: إلى موسى من سحرهم البليغ أنها تسعى أي: أنها حيات تسعى فلما خيل إلى موسى ذلك. 66 فقال لهم موسى: بل ألقوا فألقوا حبالهم
- أوجس في نفسه خيفة موسى كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره. 67
- قلنا له تثبينا وتطمينا: لا تخف إنك أنت الأعلى عليهم، أي: ستعلو عليهم وتقهرهم، ويدلوا لك ويخضعوا. 68
- موسى عصاه، فتلقت ما صنعوا كله وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع، فعلم السحرة علما يقينا أن هذا ليس بسحر، وأنه من الله، فبادروا للإيمان. 69 أتى أي: كيدهم ومكرهم، ليس بمثمر لهم ولا ناجح، فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، ويلبسون الباطل، ويخيلون أنهم على الحق، فألقى وألق ما في يمينك أي: عصاك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث
- على عرشه، وعموم ملكه، وعموم علمه، نتج من ذلك، أنه المستحق للعبادة، وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره باطلة 7 فسواء جهرت بقولك أو أسررت، فالكل سواء، بالنسبة لعلمه تعالى. فلما قرر كماله المطلق، وعموم خلقه، وعموم أمره ونهيه، وعموم رحمته، وسعة عظمتة، وعلوه القلب. وأخفى ما لم يخطر. يعلم تعالى أنه يخطر في وقته، وعلى صفته، المعنى: أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء، دقيقها، وجليلها، خفيها، وظاهرها، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر الكلام الخفي وأخفى من السر، الذي في القلب، ولم ينطق به. أو السر: ما خطر على
- فوقع الحق وظهر وسط، وبطل السحر والمكر والكيد، في ذلك المجمع العظيم. 70
- أن تشتتوها وتختزوا، ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى يعني بزعمه هو أو الله، وأنه أشد عذابا من الله وأبقى، قلبا للحقائق، وترهيبا لمن لا عقل له. 71
- فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف كما يفعل بالمحارب الساعي بالفساد، يقطع يده اليمنى، ورجله اليسرى، ولأصلبكنم في جذوع النخل أي: لأجل وكان منهم ما كان، فهل يمكن أن يتصور مع هذا أن يكونوا دبوا هم وموسى واتفقوا على ما صدر؟ هذا من أمحل المحال، ثم توعد فرعون السحرة فقال: في مدائنه من يجمع له كل ساحر عليهم. فجاءوا إليه، ووعدهم الأجر والمنزلة عند الغلبة، وهم حرصوا غاية الحرص، وكادوا أشد الكيد، على غلبتهم لموسى،

تفسير السعدي

لم يجتمع بأحد من السحرة ولا غيرهم، بل بادر إلى دعوة فرعون وقومه، وأراهم الآيات، فأراد فرعون أن يعارض ما جاء به موسى فسعى ما أمكنه، وأرسل إنهم كانوا قوما فاسقين مع أن هذه المقالة التي قالها، لا تدخل عقل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة بالواقع، فإن موسى أتى من مدين وحيدا، وحين أتى الحق، بل لأنه تمالأ هو والسحرة، ومكروا، ودبروا أن يخرجوا فرعون وقومه من بلادهم، فقبل قومه هذا المكر منه، وظنوه صدقا فاستخف قومه فأطاعوه هذا من ذلك. ثم استلج فرعون في كفره وطغيانه بعد هذا البرهان، واستخف عقول قومه، وأظهر لهم أن هذه الغلبة من موسى للسحرة، ليس لأن الذي معه آذن لكم أي: كيف أقدمتم على الإيمان من دون مراجعة مني ولا إذن؟ استغرب ذلك منهم، لأدبهم معه، وذللهم، وانقيادهم له في كل أمر من أمورهم، وجعل فصارت بينة ورحمة للمؤمنين، وحجة على المعاندين ف قال فرعون للسحرة: آمنتم له قبل أن

عذابا وأبقى وفي هذا الكلام، من السحرة، دليل على أنه ينبغي للعقل، أن يوازن بين لذات الدنيا، ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة. 72 في هذه الحياة الدنيا، ينقضي ويزول ولا يضرنا، بخلاف عذاب الله، لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظيم. وهذا كأنه جواب منهم لقوله: ولتعلمن أينا أشد وخلقنا، هذا لا يكون فاقض ما أنت قاض مما أوعدتنا به من القطع، والصلب، والعذاب. إنما تقضي هذه الحياة الدنيا أي: إنما توعدنا به غاية ما يكون والتقريب، على ما أرانا الله من الآيات البينات الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده، المعظم المبجل وحده، وأن ما سواه باطل، ونؤثرك على الذي فطرنا السحرة الحق، ورزقهم الله من العقل ما يدركون به الحقائق، أجابوه بقولهم: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات أي: لن نختاركم وما وعدتنا به من الأجر ولهذا لما عرف

على الدليل، والله أعلم بذلك وغيره، ولكن توعدو إياهم بذلك مع اقتداره، دليل على وقوعه، ولأنه لو لم يقع لذكره الله، ولاتفاق الناقلين على ذلك. 73 إذا أتى على قصة السحرة، أن فرعون توعدهم بالقطع والصلب، ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأت في ذلك حديث صحيح، والجزم بوقوعه، أو عدمه، يتوقف ثوبا وإحسانا لا ما يقول فرعون: ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى يريد أنه أشد عذابا وأبقى. وجميع ما أتى من قصص موسى مع فرعون، يذكر الله فيه ما فعلوا على وجه الإغماض، هي التي أثرت معهم، ورحمهم الله بسببها، ووفقهم للإيمان والتوبة، والله خير مما وعدتنا من الأجر والمنزلة والجاه، وأبقى يخرجكم من أرضكم بسحرهما فجروا على ما سنه لهم، وأكرههم عليه، ولعل هذه النكتة، التي قامت بقلوبهم من كراهتهم لمعارضة الحق بالباطل وفعلهم، والموعظة، ثم إن فرعون ألزمهم ذلك، وأكرههم على المكر الذي أجروه، ولهذا تكلموا بكلامه السابق قبل إتيانهم، حيث قالوا: إن هذان لساحران يريدان أن أن موسى لما وعظهم كما تقدم في قوله: وليكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب أثر معهم، ووقع منهم موقعا كبيرا، ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام وما أكرهتنا عليه من السحر الذي عارضنا به الحق، هذا دليل على أنهم غير مختارين في عملهم المتقدم، وإنما أكرههم فرعون إكراها. والظاهر والله أعلم أن إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا أي: كفرنا ومعاصينا، فإن الإيمان مكفر للسيئات، والتوبة تجب ما قبلها، وقولهم،

ساعة، يستغيث فلا يغاث، ويدعو فلا يستجاب له. نعم إذا استغاث، أغيث بماء كالمهل يشوي الوجوه، وإذا دعا، أجيب بـ اخسئوا فيها ولا تكلمون 74 المعذب فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها، وإنما حياته محشوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر قدره، ولا يفتر عنه حتى مات، فإن له نار جهنم، الشديد نكالها، العظيمة أغلالها، البعيد قعرها، الأليم حرها وقرها، التي فيها من العقاب ما يذيب الأكباد والقلوب، ومن شدة ذلك أن يخبر تعالى أن من أتاه، وقدم عليه مجرما أي: وصفه الجرم من كل وجه، وذلك يستلزم الكفر واستمر على ذلك

المزخرفات، واللذات المتواصلات، والأنهار السارحات، والخلود الدائم، والسرور العظيم، فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. 75 يأت ربه مؤمنا به مصدقا لرسله، متبعا لكتبه قد عمل الصالحات الواجبة والمستحبة، فأولئك لهم الدرجات العلى أي: المنازل العاليات، وفي الغرف

ومن

أيضا نفسه، ونماها بالإيمان والعمل الصالح، فإن للتزكية معنيين، التنقية، وإزالة الخبث، والزيادة بحصول الخير، وسميت الزكاة زكاة، لهذين الأمرين. 76 وذلك الثواب، جزاء من تزكى أي: تطهر من الشرك والكفر والفسوق والعصيان، إما أن لا يفعلها بالكلية، أو يتوب مما فعله منها، وزكى

الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هدامهم في وقت من الأوقات، فأوردتهم موارد الغي والضلال، ثم أوردتهم مورد العذاب والنكال. 77 إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم بهلاكه وهذا عاقبة الكفر والضلال، وعدم الاهتمام بهدي الله، ولهذا قال تعالى: وأضل فرعون قومه بما زين لهم من موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيه من اليم ما غشيه، وغرقوا كلهم، ولم ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل ينظرون الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الغرق في البحر، فسلخوا في تلك الطرق. فجاء فرعون وجنوده، فسلخوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم البحر بعصاه، فضربه، فانفرد اثني عشر طريقا، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأبيس الله طرقهم التي انفرد عنها الماء، وأمرهم ورأهم، قد امتلأ عليهم غيظا وحنقا، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعد ربه، فقال: كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله إليه أن يضرب فرعون فصار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، والله غالب على أمره، فتكاملت جنود سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهرا، ويقيموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى أن سر أو سيروا أول الليل، ليتماذوا في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه

تفسير السعدي

في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدر أن يظهر إيمانهم ويعلموه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويسعى في تخلص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله من الآيات والعبر، ما قصه الله علينا تفسير الآيات من 77 إلى 79: فلما ظهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام،

الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هدهم في وقت من الأوقات، فأوردتهم موارد الغي والضلال، ثم أوردتهم مورد العذاب والنكال. 78 إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم بهلاكه وهذا عاقبة الكفر والضلال، وعدم الاهتداء بهدي الله، ولهذا قال تعالى: وأضل فرعون قومه بما زين لهم من موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيه من اليم ما غشيه، وغرقوا كلهم، ولم ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل ينظرون الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الفرق في البحر، فسلخوا في تلك الطرق. فجاء فرعون وجنوده، فسلخوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم البحر بعصاه، فضربه، فانفرد اثني عشر طريقا، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأبسس الله طرقهم التي انفرد عنها الماء، وأمرهم ورأهم، قد امتلأ عليهم غيظا وحنقا، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعد ربه، فقال: كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله إليه أن يضرب فرعون فصار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، والله غالب على أمره، فتكاملت جنود سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهرا، ويقوموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى أن سر أو سيروا أول الليل، ليتماذوا في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدر أن يظهر إيمانهم ويعلموه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويسعى في تخلص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله من الآيات والعبر، ما قصه الله علينا تفسير الآيات من 77 إلى 79: فلما ظهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام،

الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هدهم في وقت من الأوقات، فأوردتهم موارد الغي والضلال، ثم أوردتهم مورد العذاب والنكال. 79 إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم بهلاكه وهذا عاقبة الكفر والضلال، وعدم الاهتداء بهدي الله، ولهذا قال تعالى: وأضل فرعون قومه بما زين لهم من موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيه من اليم ما غشيه، وغرقوا كلهم، ولم ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل ينظرون الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الفرق في البحر، فسلخوا في تلك الطرق. فجاء فرعون وجنوده، فسلخوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم البحر بعصاه، فضربه، فانفرد اثني عشر طريقا، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأبسس الله طرقهم التي انفرد عنها الماء، وأمرهم ورأهم، قد امتلأ عليهم غيظا وحنقا، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعد ربه، فقال: كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله إليه أن يضرب فرعون فصار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، والله غالب على أمره، فتكاملت جنود سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهرا، ويقوموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى أن سر أو سيروا أول الليل، ليتماذوا في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدر أن يظهر إيمانهم ويعلموه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويسعى في تخلص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله من الآيات والعبر، ما قصه الله علينا تفسير الآيات من 77 إلى 79: فلما ظهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام،

مقربة إليه يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها، قال تعالى: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها 8 هي أسماء وأوصاف، ومن حسننها أنها دالة على الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعماها وأجلها، ومن حسننها أنه أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة الكثيرة الكاملة الحسنى، من حسننها أنها كلها أسماء دالة على المدح، فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد، ومن حسننها أنها ليست أعلاما محضة، وإنما الله لا إله إلا هو أي: لا معبود بحق، ولا مألوه بالحب والذل، والخوف والرجاء، والمحبة والإنابة والدعاء، وإلا هو. له الأسماء الحسنى أي: له الأسماء فتتم عليهم النعمة الدينية، بعد النعمة الدنيوية، ويذكر منته أيضا عليهم في التيه، بإزالة المن والسلوى، والرزق الرغد الهني الذي يحصل لهم بلا مشقة 80 منته العظيمة عليهم بإهلاك عدوهم، ومواعيده لموسى عليه السلام بجانب الطور الأيمن، لينزل عليه الكتاب، الذي فيه الأحكام الجليلة، والأخبار الجميلة، يذكر تعالى بني إسرائيل

عليكم، ثم عذبتكم، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى أي: ردى وهلك، وخاب وخسر، لأنه عدم الرضا والإحسان، وحل عليه الغضب والخسران. 81 على ما أسدى إليكم من النعم ولا تطغوا فيه أي: في رزقه، فتستعملونه في معاصيه، وتبطلون النعمة، فإنكم إن فعلتم ذلك، حل عليكم غضبي أي: غضبت كلوا من طيبات ما رزقناكم أي: واشكروه

به، ودعوة إلى دين الحق، ورد بدعة أو كفر أو ضلالة، وجهاد، وهجرة، وغير ذلك من جزئيات الهداية، كلها مكفرات للذنوب محصلات لغاية المطلوب. 82

تفسير السعدي

الصالح الذي هو الحسنات، يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها، من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي لأنه أتى بالسبب الأكبر، للمغفرة والرحمة، بل الأسباب كلها منحصرة في هذه الأشياء فإن التوبة تجب ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل اللسان. ثم اهتدى أي: سلك الصراط المستقيم، وتابع الرسول الكريم، واقتدى بالدين القويم، فهذا يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره، أي: كثير المغفرة والرحمة، لمن تاب من الكفر والبدعة والفسوق، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل صالحا من أعمال القلب والبدن، وأقوال ومع هذا، فالتوبة معروضة، ولو عمل العبد ما عمل من المعاصي، فهذا قال: وإني لغفار

شوقا لربه، وحرصا على موعوده، فقال الله له: وما أعجلك عن قومك يا موسى أي: ما الذي قدمك عليهم؟ ولم لم تصبر حتى تقدم أنت وهم؟ 83 كان الله تعالى، قد واعد موسى أن يأتيه لينزل عليه التوراة ثلاثين ليلة، فأتمها بعشر، فلما تم الميقات، بادر موسى عليه السلام إلى الحضور للموعود قال: هم أولاء على أثري أي: قريبا مني، وسيصلون في أثري والذي عجلني إليك يا رب طلبا لقربك ومسارة في رضاك، وشوقا إليك 84 جسدا وصاغه فصار له خوار فقالوا لهم هذا إلهكم وإله موسى ففسيه موسى، فافتتن به بنو إسرائيل، فعبدوه، ونهاهم هارون فلم ينتهوا. 85 فتنا قومك من بعدك أي: بعبادتهم للعجل، ابتليناهم، واختبرناهم، فلم يصبروا، وحين وصلت إليهم المحنة، كفروا وأضلهم السامري فأخرج لهم عجلا فإذا قد

واقترحتهم موجب عذابه، وهذا هو الواقع، فأخلفتم موعدي حين أمرتكم بالاستقامة، ووصيت بكم هارون، فلم ترقبوا غائبا، ولم تحترموا حاضرا. 86 الرسالة؟ أي: ليس الأمر كذلك، بل النبوة بين أظهركم، والعلم قائم، والعذر غير مقبول؟ أم أردتم بفعلكم، أن يحل عليكم غضب من ربكم؟ أي: فتعرضتم لأسبابه فلم يكن لكم بالنبوة علم ولا أثر، واندرست آثارها، فلم تقفوا منها على خير، فانمحت آثارها بعد العهد بها، فعبدتم غير الله، لغلبة الجهل، وعدم العلم بآثار أفعال عليكم العهد أي: المدة، فتناولتم غيبيتي وهي مدة قصيرة؟ هذا قول كثير من المفسرين، ويحتمل أن معناه: أفعال عليكم عهد النبوة والرسالة، موسى إلى قومه وهو غضبان أسف، أي: ممتلى غيظا وحنقا وغما، قال لهم موبخا ومقبحا لفعلهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا وذلك بإنزال التوراة، فلما رجع

ربه، وهو هاهنا ففسيه، وهذا من بلادتهم، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار، بعد أن كان جمادا، فظنوه إله الأرض والسموات. 87 ألقاها على شيء حيي، فتنة وامتحان، فألقاها على ذلك العجل الذي صاغه بصورة عجل، فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت، وقالوا: إن موسى ذهب يطلب وألقوه، وجمعوه حين ذهب موسى ليراجعوه فيه إذا رجع. وكان السامري قد بصر يوم الغرق بأثر الرسول، فسولت له نفسه أن يأخذ قبضة من أثره، وأنه إذا منا، وملك منا لأنفسنا، ولكن السبب الداعي لذلك، أننا تأثنا من زينة القوم التي عندنا، وكانوا فيما يذكرون استعاروا حليا كثيرا من القبط، فخرجوا وهو معهم تفسير الآيتين 87 و88: أي: قالوا له: ما فعلنا الذي فعلنا عن تعمد

ربه، وهو هاهنا ففسيه، وهذا من بلادتهم، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار، بعد أن كان جمادا، فظنوه إله الأرض والسموات. 88 ألقاها على شيء حيي، فتنة وامتحان، فألقاها على ذلك العجل الذي صاغه بصورة عجل، فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت، وقالوا: إن موسى ذهب يطلب وألقوه، وجمعوه حين ذهب موسى ليراجعوه فيه إذا رجع. وكان السامري قد بصر يوم الغرق بأثر الرسول، فسولت له نفسه أن يأخذ قبضة من أثره، وأنه إذا منا، وملك منا لأنفسنا، ولكن السبب الداعي لذلك، أننا تأثنا من زينة القوم التي عندنا، وكانوا فيما يذكرون استعاروا حليا كثيرا من القبط، فخرجوا وهو معهم تفسير الآيتين 87 و88: أي: قالوا له: ما فعلنا الذي فعلنا عن تعمد

للكمال والكلام والفعال لا يستحق أن يعبد وهو أنقص من عابديه، فإنهم يتكلمون ويقدرّون على بعض الأشياء، من النفع والدفع، بإقدار الله لهم. 89 أفلا يرون أن العجل لا يرجع إليهم قولا أي: لا يتكلم ويراجعهم ويراجعونه، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا، فالعادم موسى في حاله التي هي مبدأ سعادته، ومنشأ نبوته، أنه رأى نارا من بعيد، وكان قد ضل الطريق، وأصابه البرد، ولم يكن عنده ما يتدفأ به في سفره. 9 يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على وجه الاستفهام التقريري والتعظيم لهذه القصة والتفخيم لها: هل أتاك حديث فإن هارون قد نهاهم عنه، وأخبرهم أنه فتنة، وأن ربهم الرحمن، الذي منه النعم الظاهرة والباطنة، الدافع للنقم وأنه أمرهم أن يتبعوه، ويعتزلوا العجل أي: إن اتخاذهم العجل، ليسوا معذورين فيه، فإنه وإن كانت عرضت لهم الشبهة في أصل عبادته، فأبوا وقالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى 91

إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن فتخبرني لأبادر للرجوع إليهم؟ أفعصيت أمري في قولني اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين 92 تفسير الآيتين 92 و93: فأقبل موسى على أخيه لاثما له، وقال: يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن فتخبرني لأبادر للرجوع إليهم؟ أفعصيت أمري في قولني اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين 93 تفسير الآيتين 92 و93: فأقبل موسى على أخيه لاثما له، وقال: يا هارون ما منعك فينا الأعداء، فندم موسى على ما صنع بأخيه، وهو غير مستحق لذلك ف قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين 94

تفسير السعدي

أن تقول فرقت بين بني إسرائيل حيث تركتهم، وليس عندهم راع ولا خليفة، فإن هذا يفرقهم ويشنت شملهم، فلا تجعلني مع القوم الظالمين، ولا تشمت برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي فإنك أمرتني أن أخلفك فيهم، فلو تبعتك، لتركت ما أمرتني بلزومه وخشيت لأثمتك، و فآخذ موسى برأس هارون ولحيته، يجره من الغضب والعتب عليه، فقال هارون: يا ابن أم ترقيق له، وإلا فهو شقيقه لا تأخذ بلحيتي ولا

أي: ما شأنك يا سامري، حيث فعلت ما فعلت؟، 95

على ما قاله المفسرون، فقبضت قبضة من أثر حافر فرسه، فنبذتها على العجل، وكذلك سولت لي نفسي أن أقبضها، ثم أنبذها، فكان ما كان 96 بصرت بما لم يبصروا به وهو جبريل عليه السلام على فرس رآه وقت خروجهم من البحر، وغرق فرعون وجنوده

كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنة، لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل، فلما تبين لهم بطلانه، أخبرهم بمن يستحق العبادة وحده لا شريك له 97 بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونسفه، ليزول ما في قلوبهم من حبه، العجل لنحرقنه ثم لننسفه في اليم نسفا ففعل موسى ذلك، فلو كان إلها، لامتنع ممن يريده بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب مس ما لم يمسه غيره، وأجرى ما لم يجره أحد، وإن لك موعدا لن تخلفه فتجازى بعملك، من خير وشر، وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا أي: أي: تعاقب في الحياة عقوبة، لا يدنو منك أحد، ولا يمسك أحد، حتى إن من أراد القرب منك، قلت له: لا تمسني، ولا تقرب مني، عقوبة على ذلك، حيث فقال له موسى: فاذهب أي: تباعد عني واستأخر مني فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس

الأسماء الحسنى، والصفات العلى، المحيط علمه بجميع الأشياء، الذي ما من نعمة بالعباد إلا منه، ولا يدفع السوء إلا هو، فلا إله إلا هو، ولا معبود سواه. 98 أي: لا معبود إلا وجهه الكريم، فلا يؤله، ولا يحب، ولا يرجى ولا يخاف، ولا يدعى إلا هو، لأنه الكامل الذي له

ذكرا للرسول ولأمته، فيجب تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم. 99 يدل على أن القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام، التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها، ويذكر هذا القرآن ما أودع الله فيها، وإذا كان القرآن الكريم، ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، وهذا مما أخبرهم، دليل على أنك رسول الله حقا، وما جئت به صدق، ولهذا قال: وقد آتيناك من لدنا أي: عطية نفيسة، ومنحة جزيلة من عندنا. ذكرنا وهو هذا العظيمة، وما فيها من الأحكام وغيرها، التي لا ينكرها أحد من أهل الكتاب، فأنت لم تدرس أخبار الأولين، ولم تتعلم ممن دراها، فإخبارك بالحق اليقين من يمتن الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بما قصه عليه من أنباء السابقين، وأخبار السالفين، كهذه القصة

سورة 21

على أعمالهم الصالحة والطالحة، والحال أنهم في غفلة معرضون، أي: غفلة عما خلقوا له، وإعراض عما زجروا به. كأنهم للدنيا خلقوا، وللتمتع بها ولدوا 1 هذا تعجب من حالة الناس، وأنه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يرعون إلى نذير، وأنهم قد قرب حسابهم، ومجازاتهم

لم يرفع بهذا القرآن رأسا، ولم يهتد به ويتزك به، من المقت والضعف، والتدسية، والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب. 10 من الصحابة، فمن بعدهم، حصل لهم من الرفعة والعلو الباهر، والصيت العظيم، والشرف على الملوك، ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل، لمن الدنيا والآخرة وشقاوتكم فيهما، علم أنه ليس لكم معقول صحيح، ولا رأي رجيح. وهذه الآية، مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول، الذين تذكروا بالقرآن، ما فيه ذكركم وشرفكم في الدنيا والآخرة، فلو كان لكم عقل، لسلكتم هذا السبيل، فلما لم تسلكوه، وسلكتم غيره من الطرق، التي فيها ضعتكم وخستكم في ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم، وعظم أمركم، أفلا تعقلون ما ينفعكم وما يضركم؟ كيف لا ترضون ولا تعملون على بن عبد المطلب كتابا جليلا، وقرآنا مبينا فيه ذكركم أي: شرفكم وفخركم وارتفاعكم، إن تذكركم به ما فيه من الأخبار الصادقة فاعتقدتموها، وامتلتم لقد أنزلنا إليكم أيها المرسل إليهم، محمد بن عبد الله

من الأصوات غير صوتها، لشدة غليانها، واشتداد زفيرها وتغيظها. ودخول آلهة المشركين النار، إنما هو الأصنام، أو من عبد، وهو راض بعبادته. 100 لهم فيها زفير من شدة العذاب وهم فيها لا يسمعون صم بكم عمي، أولا يسمعون

من المأكّل، والمشارب، والمناكح والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مستمر لهم ذلك، يزداد حسنه على الأحقاب. 101 فلا يدخلونها، ولا يكونون قريبا منها، بل يبعدون عنها، غاية البعد، حتى لا يسمعوها حسيستها، ولا يروا شخصها، وهم في ما اشتتت أنفسهم خالدون

أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا ليسرى الأعمال الصالحة. أولئك عنها أي: عن النار مبعدون

101 و102: نوأما المسيح، وعزير، والملائكة ونحوهم، ممن عبد من الأولياء، فإنهم لا يعذبون فيها، ويدخلون في قوله: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى

تفسير الآيتين

من المأكّل، والمشارب، والمناكح والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مستمر لهم ذلك، يزداد حسنه على الأحقاب. 102

تفسير السعدي

فلا يدخلونها، ولا يكونون قريباً منها، بل يبعدون عنها، غاية البعد، حتى لا يسمعون حسيسها، ولا يروا شخصها، وهم في ما اشتتهت أنفسهم خالدون أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا لليسرى والأعمال الصالحة. أولئك عنها أي: عن النار مبعدون 101 و102: نوأما المسيح، وعزير، والملائكة ونحوهم، ممن عبد من الأولياء، فإنهم لا يعذبون فيها، ويدخلون في قوله: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى

تفسير الآيتين

كنتم توعدون فليهنكم ما وعدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره. 103 عليه وأن الله قد أمنهم مما يخافون. وتتلقاهم الملائكة إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفداً، لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: هذا يومكم الذي إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون لا يحزنهم الفزع الأكبر أي: لا يقلقهم

فكما ابتدأنا خلقهم، ولم يكونوا شيئاً، كذلك نعيدهم بعد موتهم. وعدا علينا إنا كنا فاعلين ننفذ ما وعدنا، لكمال قدرته، وأنه لا تمتنع منه الأشياء. 104 أي: الورقة المكتوب فيها، فتنثر نجومها، ويكور شمسها وقمرها، وتزول عن أماكنها كما بدأنا أول خلق نعيده أي: إعادتنا للخلق، مثل ابتدأنا لخلقهم، يخبر تعالى أنه يوم القيامة يطوي السماوات على عظمها واتساعها كما يطوي الكاتب للسجل

في الأرض، ويوليهم عليها كقوله تعالى: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية. 105 الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء ويحتمل أن المراد: الاستخلاف في الأرض، وأن الصالحين يمكن الله لهم في ذلك: أن الأرض أي: أرض الجنة يرثها عبادي الصالحون الذين قاموا بالمأمورات، واجتنبوا المنهيات، فهم الذين يورثهم الله الجنات، كقول أهل الذكر أي: كتبناه في الكتب المنزلة، بعد ما كتبنا في الكتاب السابق، الذي هو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه والمكتوب ولقد كتبنا في الزبور وهو الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة، كالتوراة ونحوها من بعد

في دقيق الدين وجليه، والتحذير من طرق الشيطان، وبيان مداخلة على الإنسان، فمن لم يغنه القرآن، فلا أغناه الله، ومن لا يكفيه، فلا كفاه الله. 106 الصادقة، وبال دعوة لحقائق الإيمان، وشواهد الإيقان، المبين للمأمورات كلها، والمنهيات جميعاً، المعرف بعيوب النفس والعمل، والطرق التي ينبغي سلوكها أجل المطالب، وأفضل الرغائب، وليس للعابدين، الذين هم أشرف الخلق، وراءه غاية، لأنه الكفيل بمعرفة ربهم، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبالإخبار بالغيوب كفايته التامة عن كل شيء، وأنه لا يستغنى عنه فقال: إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين أي: يتبلغون به في الوصول إلى ربهم، وإلى دار كرامته، فوصلهم إلى يثني الله تعالى على كتابه العزيز القرآن ويبين

فهو رحمته المهداة لعباده، فالؤمنون به، قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وقاموا بها، وغيرهم كفروا، وبدلوا نعمة الله كفراً، وأبوا رحمة الله ونعمته. 107 ثم أتني على رسوله، الذي جاء بالقرآن فقال: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

قال: فهل أنتم مسلمون أي: منقادون لعبوديته مستسلمون لألوهيته، فإن فعلوا فليحمدوا ربهم على ما من عليهم بهذه النعمة التي فاقت المن. 108 قل يا محمد إنما يوحى إلي أنما إليكم إله واحد الذي لا يستحق العبادة إلا هو، ولهذا

بمآل الكفر، ولم أكنم عنكم شيئاً. وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون أي: من العذاب لأن علمه عند الله، وهو بيده، ليس لي من الأمر شيء. 109 علمي وعلمكم بذلك مستو، فلا تقولوا إذا أنزل بكم العذاب: ما جاءنا من بشير ولا نذير بل الآن، استوى علمي وعلمكم، لما أنذرتكم، وحذرتكم، وأعلمتكم فإن تولوا عن الانقياد لعبودية ربهم، فحذرهم حلول المثلات، ونزول العقوبة. فقل أذنتكم أي: أعلمتكم بالعقوبة على سواء أي

بما فعل بالأمم المكذبة لغيره من الرسل وكم قصصنا أي: أهلكنا بعذاب مستأصل من قربة تلفت عن آخرها وأنشأنا بعدها قوما آخرين 111 يقول تعالى محذراً لهؤلاء الظالمين، المكذبين للرسول،

بمآل الكفر، ولم أكنم عنكم شيئاً. وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون أي: من العذاب لأن علمه عند الله، وهو بيده، ليس لي من الأمر شيء. 110 علمي وعلمكم بذلك مستو، فلا تقولوا إذا أنزل بكم العذاب: ما جاءنا من بشير ولا نذير بل الآن، استوى علمي وعلمكم، لما أنذرتكم، وحذرتكم، وأعلمتكم فإن تولوا عن الانقياد لعبودية ربهم، فحذرهم حلول المثلات، ونزول العقوبة. فقل أذنتكم أي: أعلمتكم بالعقوبة على سواء أي

أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين أي: لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه شر لكم، وأن تتمتعوا في الدنيا إلى حين، ثم يكون أعظم لعقوبتكم. 111

وإن

ولا نتكل على حولنا وقوتنا، وإنما نستعين بالرحمن، الذي ناصية كل مخلوق بيده، ونرجوه أن يتم ما استعناه به من رحمته، وقد فعل، ولله الحمد. 112 المستعان على ما تصفون أي: نسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفون، من قولكم سنظهر عليكم، وسيضمحل دينكم، فنحن في هذا، لا نعجب بأنفسنا، وبين القوم الكافرين، فاستجاب الله هذا الدعاء، وحكم بينهم في الدنيا قبل الآخرة، بما عاقب الله به الكافرين من وقعة بدر وغيرها. وربنا الرحمن قال رب احكم بالحق أي: بيننا

تفسير السعدي

- وباشرهم نزوله، لم يمكن لهم الرجوع ولا طريق لهم إلى النزوع وإنما ضربوا الأرض بأرجلهم، ندما وقلقا، وتحسرا على ما فعلوا وهربوا من وقوعه 12 وأن هؤلاء المهلكين، لما أحسوا بعذاب الله وعقابه،
- وهيئات، أين الوصول إلى هذا؟ وقد فات الوقت، وحل بهم العقاب والمقت، وذهب عنهم عزهم، وشرفهم وديانهم، وحضرهم ندمهم وتحسروهم؟. 13 وللذات جانين، وفي منازلكم مطمئنين معظمين، لعلكم أن تكونوا مقصودين في أموركم، كما كنتم سابقا، مسئولين من مطالب الدنيا، كحالتكم الأولى، اقتدار، فارجعوا إلى ما أترفتم فيه، من اللذات، والمشتهيات، ومساكنكم المزخرفات، وديانكم التي غرتكم وألهتكم، حتى جاءكم أمر الله. فكونوا فيها متمكنين، فقيل لهم على وجه التهكم بهم: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون أي: لا يفيدكم الركوض والندم، ولكن إن كان لكم
- قد خدمت منهم الحركات، وسكنت منهم الأصوات، فاحذروا أيها المخاطبون أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل فيحل بكم كما حل بأولئك. 14 بالويل والثبور، والندم، والإقرار على أنفسهم بالظلم وأن الله عادل فيما أحل بهم. حتى جعلناهم حصيدا خامدين أي: بمنزلة النبات الذي قد حصد وأنهم، تفسير الآيتين 14 و 15 :- قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم أي: الدعاء
- قد خدمت منهم الحركات، وسكنت منهم الأصوات، فاحذروا أيها المخاطبون أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل فيحل بكم كما حل بأولئك. 15 بالويل والثبور، والندم، والإقرار على أنفسهم بالظلم وأن الله عادل فيما أحل بهم. حتى جعلناهم حصيدا خامدين أي: بمنزلة النبات الذي قد حصد وأنهم، تفسير الآيتين 14 و 15 :- قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم أي: الدعاء
- رسله، فيما تخبر عنه، وأن القادر على خلقهما مع سعتهما وعظمتها، قادر على إعادة الأجساد بعد موتها، ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. 16 وللحق، ليستدل بها العباد على أنه الخالق العظيم، المدير الحكيم، الرحمن الرحيم، الذي له الكمال كله، والحمد كله، والعزة كلها، الصادق في قوله، الصادقة يخبر تعالى أنه ما خلق السماوات والأرض عبثا، ولا لعبا من غير فائدة، بل خلقها بالحق
- منها العبث واللهو، كل هذا تنزل مع العقول الصغيرة وإقناعها بجميع الوجوه المقنعة، فسبحان الحليم الرحيم، الحكيم في تنزيه الأشياء منازلها. 17 نطلعكم على ما فيه عبث ولهو، لأن ذلك نقص ومثل سوء، لا نحب أن نريه إياكم، فالسماوات والأرض اللذان برأى منكم على الدوام، لا يمكن أن يكون القصد لو أردنا أن نتخذ لهما على الفرض والتقدير المحال لاتخذنا من لدنا أي: من عندنا إن كنا فاعلين ولم
- لكم مما قلتم فائدة، ولا يرجع عليكم بعائدة تؤملونها، وتعملون لأجلها، وتسعون في الوصول إليها، إلا عكس مقصودكم، وهو الخيبة والحرمان 18 الواصفون الله، بما لا يليق به، من اتخاذ الولد والصاحبة، ومن الأنداد والشركاء، حظكم من ذلك، ونصيبكم الذي تدركون به الويل والندامة والخسران. ليس ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد. وهذا يتبين باستقراء المسائل، مسألة مسألة، فإنك تجدها كذلك، ثم قال: ولكم أيها فان، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل، شبهة، عقلية ولا نقلية، في إحقاق باطل، أو رد حق، إلا وفي أدلة الله، من القواطع العقلية والنقلية، الباطل، وإن كل باطل قبيح وجود له، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان، ما يدمغه، فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه فإذا هو زاهق أي: مضمحل، يخبر تعالى، أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال
- ومن عنده أي من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون أي: لا يملون ولا يسأمونها، لشدة رغبتهم، وكمال محبتهم، وقوة أبدانهم. 19 وتقدس، المالك العظيم، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الصعاب، وخشعت له الملائكة المقربون، وأذعنوا له بالعبادة الدائمة المستمرة أجمعون، ولهذا قال: ومما يليك، فليس لأحد منهم ملك ولا قسط من الملك، ولا معاونه عليه، ولا يشفع إلا بإذن الله، فكيف يتخذ من هؤلاء آلهة وكيف يجعل لله منها ولدا؟! فتعالى أخبر أنه له ملك السماوات والأرض وما بينهما، فالكل عبيده
- ذكر من ربهم محدث يذكرهم ما ينفعهم ويحثمهم عليه وما يضرهم، ويرهبهم منه إلا استمعوه سماعا، تقوم عليهم به الحجة، وهم يلعبون 2 وأن الله تعالى لا يزال يجدد لهم التذكير والوعظ، ولا يزالون في غفلتهم وإعراضهم، ولهذا قال: ما يأتيهم من
- وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمتهم وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته، ما يوجب أن لا يعبد إلا هو، ولا تصرف العبادة لغيره. 20 يسبحون الليل والنهار لا يفترون أي: مستغرقين في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم فليس في أوقاتهم وقت فارغ ولا خال منها
- والنفع والضر، وهذا من عدم توفيقه، وسوء حظه، وتوفر جهله، وشدة ظلمه، فإنه لا يصلح الوجود، إلا على إله واحد، كما أنه لم يوجد، إلا برب واحد. 21 ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فالمشرك يعبد المخلوق، الذي لا ينفع ولا يضر، ويدع الإخلاص لله، الذي له الكمال كله وبيده الأمر من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا واتخذوا من دون الله آلهة لهم
- آلهة من الأرض، في غاية العجز وعدم القدرة هم ينشرون استفهام بمعنى النفي، أي: لا يقدرُونَ على نشرهم وحشرهم، يفسرها قوله تعالى: واتخذوا لما بين تعالى كمال اقتداره وعظمته، وخضوع كل شيء له، أنكر على المشركين الذين اتخذوا من دون الله
- وأعظمها، فربوبية ما دونه من باب أولى، عما يصفون أي: الجاحدون الكافرون، من اتخاذ الولد والصاحبة، وأن يكون له شريك بوجه من الوجوه. 22 عما يقولون علوا كبيرا ولهذا قال هنا: فسبحان الله أي: تنزهه وتقدس عن كل نقص لكماله وحده، رب العرش الذي هو سقف المخلوقات وأوسعها،

تفسير السعدي

سبحان الله عما يصفون ومنه على أحد التأويلين قوله تعالى: قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله: ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مدبره واحد، وربّه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت في ذاتهما، وفسد من فيهما من المخلوقات. وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولهذا قال: لو كان فيهما أي: في السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا

وأقوالهم، لعجزهم وفقيرهم، ولكونهم عبيدا، قد استحققت أفعالهم وحركاتهم فليس لهم من التصرف والتدبير في أنفسهم، ولا في غيرهم، مثقال ذرة. 23 وإتقانها، أحسن كل شيء يقدره العقل، فلا يتوجه إليه سؤال، لأن خلقه ليس فيه خلل ولا إخلال. وهم أي: المخلوقين كلهم يسألون عن أفعالهم لا يسأل عما يفعل لعظمته وعزته، وكمال قدرته، لا يقدر أحد أن يمانعه أو يعارضه، لا بقول، ولا بفعل، ولكمال حكمته ووضع الأشياء مواضعها،

وغموضه، وإنما ذلك، لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، لتبين لهم الحق من الباطل تبينا واضحا جليا ولهذا قال: فهم معرضون 24 شيئا. وقوله: بل أكثرهم لا يعلمون الحق أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليدا لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لخفائه بطلان ما ذهبوا إليه، علم أنه لا برهان لهم، لأن البرهان القاطع، يجزم أنه لا معارض له، وإلا لم يكن قطعيا، وإن وجد في معارضات، فإنها شبه لا تغني من الحق كتاب الله الذي فيه ذكر كل شيء، بأدلتها العقلية والنقلية، وهذه الكتب السابقة كلها، براهين وأدلة لما قلت. ولما علم أنهم قامت عليهم الحجة والبرهان على الأدلة القطعية على بطلانه، ولهذا قال: هذا ذكر من معي وذكر من قبلي أي: قد اتفقت الكتب والشرائع على صحة ما قلت لكم، من إبطال الشرك، فهذا فقل لهم موبخا ومقرعا: أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه، ولن يجدوا لذلك سبيلا، بل قد قامت رجوع إلى تهجين حال المشركين، وأنهم اتخذوا من دونه آلهة

الرسول الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة. 25 وأمر بالرجوع إليهم في بيان هذه المسألة، بينها أتم تبين في قوله: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون فكل ولما حول تعالى على ذكر المتقدمين،

الله، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره. 26 بنات الله، تعالى الله عن قولهم، وأخبر عن وصف الملائكة، بأنهم عبيد مربيون مدبرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم يخبر تعالى عن سفاهة المشركين المكذبين للرسول، وأنهم زعموا قبحهم الله أن الله اتخذ ولدا فقالوا: الملائكة

بأمره يعملون أي: مهما أمرهم، امتثلوا لأمره، ومهما دبرهم عليه، فعلوه، فلا يعصونه طرفة عين، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله 27 لا يسبقونه بالقول أي: لا يقولون قولا مما يتعلق بتدبير المملكة، حتى يقول الله، لكامل أدبهم، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه. وهم

من أدلة إثبات الشفاعة، وأن الملائكة يشفعون. وهم من خشيته مشفقون أي: خائفون وجلون، قد خضعوا لجلاله، وعنت وجوههم لعزه وجماله. 28 ورضاه، فإذا أذن لهم، وارتضى من يشفعون فيه، شفّعوا فيه، ولكنه تعالى لا يرضى من القول والعمل، إلا ما كان خالصا لوجهه، متبعا فيه الرسول، وهذه الآية والمستقبل، فلا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره. ومن جزئيات وصفهم، بأنهم لا يسبقونه بالقول، أنهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ومع هذا، فإلهه قد أحاط بهم علمه، فعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي: أمورهم الماضية

كذلك نجزي الظالمين وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص، الفقير إلى الله من جميع الوجوه مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية؟ 29 الصفات المقتضية لذلك، ذكر أيضا أنه لا حظ لهم، ولا بمجرد الدعوى، وأن من قال منهم: إني إله من دونه على سبيل الفرض والتنزل فذلك نجزيه جهنم فلما بين أنه لا حق لهم في الألوهية، ولا يستحقون شيئا من العبودية بما وصفهم به من

شاهدوا من الآيات الباهرة ما لم يشاهد غيرهم، ولكن حملهم على ذلك الشقاء والظلم والعناد، والله تعالى قد أحاط علما بما تتاجوا به، وسيجازيهم عليه 3 وأنه ساحر، وما جاء به من القرآن سحر، فانفروا عنه، ونفروا الناس، وقولوا: أفتأتون السحر وأنتم تبصرون هذا وهم يعلمون أنه رسول الله حقا بما عليكم، وخصه من بينكم، فلو ادعى أحد منكم مثل دعواه، لكان قوله من جنس قوله، ولكنه يريد أن يتفضل عليكم، ويرأس فيكم، فلا تطيعوه، ولا تصدقوه، على وجه العناد، ومقابلة الحق بالباطل، وأنهم تتاجوا، وتواطوا فيما بينهم، أن يقولوا في الرسول صلى الله عليه وسلم، إنه بشر مثلكم، فما الذي فضله متى يفجأه الموت، صباحا أو مساء، فهذه حالة الناس كلهم، إلا من أدركته العناية الربانية، فاستعد للموت وما بعده. ثم ذكر ما يتناجى به الكافرون الظالمون والقول الثاني: أن المراد بقرب الحساب الموت، وأن من مات، قامت قيامته، ودخل في دار الجزاء على الأعمال، وأن هذا تعجب من كل غافل معرض، لا يدري فقد قرب الحساب منها بالنسبة لما قبلها من الأمم، لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين إصبعيه، السبابة والتي تليها. وتزكوا أعمالهم، وفي معنى قوله: اقترب للناس حسابهم قولان: أحدهما أن هذه الأمة هي آخر الأمم، ورسولها آخر الرسل، وعلى أمته تقوم الساعة،

تفسير السعدي

منه، وتسعى جوارحهم، في عبادة ربهم، التي خلقوا لأجلها، ويجعلون القيامة والحساب والجزاء منهم على بال، فبذلك يتم لهم أمرهم، وتستقيم أحوالهم، الشهوات والعمل بالباطل، والأقوال الردية، مع أن الذي ينبغي لهم أن يكونوا بغير هذه الصفة، تقبل قلوبهم على أمر الله ونهيه، وتستمتع استماعا، تفقه المراد لاهية قلوبهم أي: قلوبهم غافلة معرضة لاهية بمطالبيها الدنيوية، وأبدانهم لاهية، قد اشتغلوا بتناول

دليلا على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيي الموتى، وأنه الرحمن الرحيم؟ ولهذا قال: أفلا يؤمنون أي: إيماننا صحيحا، ما فيه شك ولا شرك. 30 ميت قد اغبرت أرجاؤه، وقحط عنه ماؤه، فأمطره فيها، فاهتزت، وتحركت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، مختلف الأنواع، متعدد المنافع، أليس ذلك ففتقناهما: السماء بالمطر، والأرض بالنبات، أليس الذي أوجد في السماء السحاب، بعد أن كان الجو صافيا لا قرعة فيه، وأودع فيه الماء الغزير، ثم ساقه إلى بلد مشاهدة، على أنه الرب المحمود الكريم المعبود، فيشاهدون السماء والأرض فيجدونها رتقا، هذه ليس فيها سحاب ولا مطر، وهذه هامة ميتة، لا نبات فيها، أي: أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم، وجحدوا الإخلاص له في العبودية، ما يدلهم دلالة

فجاجة سبلا، أي: طرقا سهلة لا حزنه، لعلمهم يهتدون إلى الوصول، إلى مطالبهم من البلدان، ولعلمهم يهتدون بالاستدلال بذلك على وحدانية المنان. 31 اتصلا كثيرا جدا، فلو بقيت بحالها، جبلا شامخات، وقللا باذخات، لتعطل الاتصال بين كثير من البلدان. فمن حكمة الله ورحمته، أن جعل بين تلك الجبال فيها، ولا حرثها، ولا الاستقرار بها، فأرساها بالجبال، فحصل بسبب ذلك، من المصالح والمنافع، ما حصل، ولما كانت الجبال المتصل بعضها ببعض، قد تتصل وكما له ووحدايته ورحمته، أنه لما كانت الأرض لا تستقر إلا بالجبال، أرساها بها وأوتدها، لئلا تميد بالعباد، أي: لئلا تضطرب، فلا يتمكن العباد من السكون أي: ومن الأدلة على قدرته

مكملة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله. 32 للبيت، وتقدم أن معنى تعظيمها، إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها، باستحسانها واستسمانها، وأن تكون تعظيم حرمانه وشعائره، والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تعالى: إن الصفا والمروة من شعائر الله ومنها الهدايا والقربان أي: ذلك الذي ذكرنا لكم من

دار غير هذه الدار، يجدون فيها جزاء أعمالهم، كاملا موفرا ويعلم أن المقصود من هذه الدار أن تكون مزرعة لدار القرار، وأنها منزل سفر، لا محل إقامة. 33 العباد منها مآربهم، وتقوم بها منافعهم، وليستمتعوا وينتفعوا، ثم بعد هذا، ستزول وتضمحل، ويفنيها الذي أوجدها، ويسكنها الذي حركها، وينتقل المكلفون إلى في معاشهم، كل هذه الأمور إذا تدبرها اللبيب، وأمعن فيها النظر، جزم حتما لا شك فيه، أن الله جعلها مؤقتة في وقت معلوم، إلى أجل محتوم، يقضي منافع العباد من الحر والبرد، والفصول، ويعرفون حساب عباداتهم ومعاملاتهم، ويستريحون في ليلهم، ويهدأون ويسكنون وينتشدون في نهارهم، ويسعون من الكواكب الثوابت والسيارات، وشمسها، وقمرها النيرات، المتولد عنهما، الليل والنهار، وكونهما دائما في فلكهما سابحين، وكذلك النجوم، فتقوم بسبب ذلك معرضون أي: غافلون لاهون، وهذا عام في جميع آيات السماء، من علوها، وسعتها، وعظمتها، ولونها الحسن، وإتقانها العجيب، وغير ذلك من المشاهد فيها، التي أنتم عليها محفوظا من السقوط إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا محفوظا أيضا من استراق الشياطين للسمع. وهم عن آياتها تفسير الآيتين 32 و33 :- وجعلنا السماء سقفا للأرض

فإذا مت، فسبيل أمثالك، من الرسل والأنبياء، والأولياء، وغيرهم. أفان مت فهم الخالدون أي: فهل إذا مت خلدوا بعدك، فليهنهم الخلود إذا إن كان أعداء الرسول يقولون تربصوا به ربب المنون. قال الله تعالى: هذا طريق مسلك، ومعبد منهوك، فلم نجعل لبشر من قبلك يا محمد الخلد في الدنيا، لما كان

ربك بظلام للعبيد وهذه الآية، تدل على بطلان قول من يقول ببقاء الخضر، وأنه مخلص في الدنيا، فهو قول، لا دليل عليه، ومناقض للأدلة الشرعية. 35 منه تعالى ليلوهم أيهم أحسن عملا، ومن يفتتن عند مواقع الفتن ومن ينجو، وإلينا ترجعون فنجازيكم بأعمالكم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر وما بالعبد المدى، وعمر سنين، ولكن الله تعالى أوجد عباده في الدنيا، وأمرهم، ونهاهم، وابتلاهم بالخير والشر، بالغنى والفقر، والعز والذل والحياة والموت، فتنة بل كل من عليها فان، ولهذا قال: كل نفس ذائقة الموت وهذا يشمل سائر نفوس الخلائق، وإن هذا كأس لا بد من شربه وإن طال

لقباحة حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن مسدي النعم كلها، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا بإياه بالكفر والشرك. 36 به إلا وهم مشركون فذكرهم كفر وشرك، فكيف بأحوالهم بعد ذلك؟ ولهذا قال: وهم بذكر الرحمن هم كافرون وفي ذكر اسمه الرحمن هنا، بيان بالرب وجدهم لرسله فصاروا بذلك، من أخس الخلق وأرذلهم، ومع هذا، فذكرهم للرحمن، الذي هو أعلى حالاتهم، كافرون بها، لأنهم لا يذكرونه ولا يؤمنون لله، وذم كل ما يعبد من دونه وتنقصه، وذكر محله ومكانته، ولكن محل الازدراء والاستهزاء، هؤلاء الكفار، الذين جمعوا كل خلق ذميم، ولو لم يكن إلا كفرهم ويقع فيها، أي: فلا تبالوا به، ولا تحفلوا به. هذا استهزاؤهم واحتقارهم له، بما هو من كماله، فإنه الأكمل الأفضل الذي من فضائله ومكارمه، إخلاص العبادة فإن المشركين إذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، استهزأوا به وقالوا: أهذا الذي يذكر آلهتكم أي: هذا المحقر بزعمهم، الذي يسب آلهتكم ويذمها، وهذا من شدة كفرهم،

إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولهذا قال: سأريكم آياتي أي: في انتقامي ممن كفر بي وعصاني فلا تستعجلون ذلك 37

تفسير السعدي

- يتولون ويستعجلون بالعذاب، تكذبا وعنادا، ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين والله تعالى، يمهّل ولا يهمل ويحلم، ويجعل لهم أجلا مؤقتا خلق الإنسان من عجل أي: خلق عجولا، يبادر الأشياء، ويستعجل بوقوعها، فالمؤمنون، يستعجلون عقوبة الله للكافرين، ويتباطئون، والكافرون وكذلك الذين كفروا يقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قالوا هذا القول، اغترارا، ولما يحق عليهم العقاب، وينزل بهم العذاب. 38
- النار ولا عن ظهورهم، إذ قد أحاط بهم من كل جانب وغشيه من كل مكان ولا هم ينصرون أي: لا ينصرهم غيرهم، فلا نصروا ولا انتصروا. 39
- لو يعلم الذين كفروا حالهم الشنيعة حين لا يكفون عن وجوههم
- في جميع ما احتوت عليه أقطارهما وهو السميع لساائر الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات العليم بما في الضمائر، وأكنته السرائر. 4
- قل ربي يعلم القول أي: الخفي والجلي في السماء والأرض أي:
- فيؤخر عنهم العذاب. فلو علموا هذه الحالة حق المعرفة، لما استعجلوا بالعذاب، ولخافوه أشد الخوف، ولكن لما ترحل عنهم هذا العلم، قالوا ما قالوا 40
- تأتيهم النار بغتة فتبتهتهم من الانزعاج والذعر والخوف العظيم. فلا يستطيعون ردها إذ هم أذل وأضعف من ذلك. ولا هم ينظرون أي: يمهلون،
- بل
- منهم أي: نزل بهم ما كانوا به يستهزئون أي: نزل بهم العذاب، وتقطعت عنهم الأسباب، فليحذر هؤلاء، أن يصيبهم ما أصاب أولئك المكذبين. 41
- استهزاءهم برسوله بقولهم: أهذا الذي يذكر آلهتكم سلاه بأن هذا دأب الأمم السالفة مع رسلهم فقال: ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا ولما ذكر
- لا حافظ إلا هو. بل هم عن ذكر ربهم معرضون فهذا أشركوا به، وإلا فلو أقبلوا على ذكر ربهم، وتلقوا نصائحه، لهدوا لرشدهم، ووقفوا في أمرهم. 42
- بالليل إذ كنتم نائمين على فرشكم، وذهبت حواسكم والنهار وقت انشراككم وغفلتكم من الرحمن أي: بدله غيره، أي: هل يحفظكم أحد غيره؟
- آلهة، وأنهم محتاجون مضطرون إلى ربهم الرحمن، الذي رحمته، شملت البر والفاجر، في ليالهم ونهارهم فقال: قل من يكلؤكم أي: يحرسكم ويحفظكم
- يقول تعالى ذاكرًا عجز هؤلاء، الذين اتخذوا من دونه
- هم منا يصحبون أي: لا يعانون على أمورهم من جهتنا، وإذا لم يعانون من الله، فهم مخذولون في أمورهم، لا يستطيعون جلب منفعة، ولا دفع مضرة. 43
- أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا أي: إذا أردناهم بسوء هل من آلهتهم، من يقدر على منعهم من ذلك السوء، والشر النازل بهم؟؟ لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا
- عن الموت؟ فهل هذا وصفهم حتى يغتروا بطول البقاء؟ أم إذا جاءهم رسول ربهم لقبض أرواحهم، أذعنوا، وذلوا، ولم يظهر منهم أدنى ممانعة؟ 44
- وهو خير الوارثين، فلو رأوا هذه الحالة لم يغتروا ويستمروا على ما هم عليه. أفهم الغالبون الذين بوسعهم، الخروج عن قدر الله؟ وبطاعتهم الامتناع
- النفوس الأشرار، ولهذا قال: أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أي: بموت أهلها وفنائهم، شيئا فشيئا، حتى يرث الله الأرض ومن عليها
- وعن يسارهم من الأرض، لم يجدوا إلا هالكا ولم يسمعوا إلا صوت ناعية، ولم يحسوا إلا بقرون متتابعة على الهلاك، وقد نصب الموت في كل طريق لاقتناص
- فاشتغلوا بالتمتع بها، ولهاوا بها، عما له خلقوا، وطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وعظم طغيانهم، وتغلظ كفرانهم، فلو لفتوا أنظارهم إلى من عن يمينهم،
- والذي أوجب لهم استمرارهم على كفرهم وشركهم قوله: بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أي: أمددناهم بالأموال والبنين، وأطلنا أعمارهم،
- بالنسبة إلى الأصوات فهؤلاء المشركون، صم عن الهدى، فلا يستغرب عدم اهتدائهم، خصوصا في هذه الحالة، التي لم يأتهم العذاب، ولا مسهم ألمه. 45
- قابل لذلك، كذلك الوحي سبب لحياة القلوب والأرواح، وللقلوب الهدى، كان بالنسبة للهدى والإيمان، بمنزلة الأسم، وإنما الأمر لله، والتقدير كله لله. ولا يسمع الصم الدعاء أي: الأصم لا يسمع صوتا، لأن سمعه قد فسد وتعطل، وشرط السماع مع الصوت، أن يوجد محل
- ولا أقول إني ملك، وإنما أنذركم بما أوحاه الله إلي، فإن استجبتم، فقد استجبتم لله، وسيثيبكم على ذلك، وإن أعرضتم وعارضتم، فليس بيدي من الأمر شيء،
- أي: قل يا محمد، للناس كلهم: إنما أنذركم بالوحي أي: إنما أنا رسول، لا آتيكم بشيء من عندي، ولا عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب،
- من عذابه، ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين أي: لم يكن قولهم إلا الدعاء بالويل والثبور، والندم، والاعتراف بظلمهم وكفرهم واستحقاقهم للعذاب. 46
- فلو مسهم نفحة من عذاب ربك أي: ولو جزءا يسيرا ولا يسير
- فكفى به حاسبا، أي: عالما بأعمال العباد، حافظا لها، مثبتا لها في الكتاب، عالما بمقاديرها ومقادير ثوابها وعقابها واستحقاقها، موصلا للعمال جزاءها. 47
- يره وقالوا يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا وكفى بنا حاسبين يعني بذلك نفسه الكريمة،
- أصغر الأشياء وأحقرها، من خير أو شر أتينا بها وأحضرناها، ليجازي بها صاحبها، كقوله: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
- الحسنات والسيئات، فلا تظلم نفس مسلمة أو كافرة شيئا بأن تنقص من حسناتها، أو يزداد في سيئاتها. وإن كان مثقال حبة من خردل التي هي
- يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها
- لكمال معرفتهم بربهم، فجمعوا بين الإحسان والخوف، والعطف هنا من باب عطف الصفات المتغايرات، الواردة على شيء واحد وموصوف واحد. 48

تفسير السعدي

في حال غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع المشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما أُلزم، وهم من الساعة مشفقون أي: خائفون وجلون، ويتذكر به الخير والشر، وخص المتقين بالذكر، لأنهم المنتفعون بذلك، علما وعملا. ثم فسر المتقين فقال: الذين يخشون ربهم بالغيب أي: يخشونه السالكون، وتعرف به الأحكام، ويميز به بين الحلال والحرام، وينير في ظلمة الجهل والبدع والغواية، وذكر للمتقين يتذكرون به، ما ينفعهم، وما يضرهم، أتى موسى أصلا، وهارون تبع الفرقان وهي التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأنها ضياء أي: نور يهتدي به المهتدون، ويأتى به تعالى، بين هذين الكتابين الجليلين، اللذين لم يطرق العالم أفضل منهما، ولا أعظم ذكرا، ولا أبرك، ولا أعظم هدى وبيانا، وهما التوراة والقرآن فأخبر أنه كثيرا ما يجمع

لكمال معرفتهم بربهم، فجمعوا بين الإحسان والخوف، والعطف هنا من باب عطف الصفات المتغايرات، الواردة على شيء واحد وموصوف واحد. 49 في حال غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع المشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما أُلزم، وهم من الساعة مشفقون أي: خائفون وجلون، ثم فسر المتقين فقال: الذين يخشون ربهم بالغيب أي: يخشونه

جاءتهم كل آية، لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. ولهذا قال الله عنهم: فليأتنا بآية كما أرسل الأولون أي: كناية صالح، وعصا موسى، ونحو ذلك. 5 بدونها، وإن كان قصدهم التعجيز وإقامة العذر لأنفسهم، إن لم يأت بما طلبوا فإنهم بهذه الحالة على فرض إتيان ما طلبوا من الآيات لا يؤمنون قطعا، فلو الذين كذبوه وطلبوا من الآيات الاقتراح ما هو أضر شيء عليهم، وليس لهم فيها مصلحة، لأنهم إن كان قصدهم معرفة الحق إذا تبين دليله، فقد تبين دليله ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه، وهو كاف شاف، فمن طلب دليلا غيره، أو اقترح آية من الآيات سواه، فهو جاهل ظالم مشبه لهؤلاء المعاندين إلا الحق الذي لا يقوم له شيء، وإنما يقولون هذه الأقوال فيه حيث لم يؤمنوا به تنفيرا عنه لمن لم يعرفه، وهو أكبر الآيات المستمرة، الدالة على صحة مع توفر دواعيهم لمعارضته وعداوته، فلم يقدروا على شيء من معارضته، وهم يعلمون ذلك وإلا فما الذي أقامهم وأقعدهم وأقض مضاجعهم وبلبل ألسنتهم جزم جزما لا يقبل الشك، أنه أجل الكلام وأعلاه، وأنه من عند الله، وأن أحدا من البشر لا يقدر على الإتيان بمثل بعضه، كما تحدى الله أعداءه بذلك، ليعارضوا واختلقه وتقلبه من عند نفسه، وتارة يقولون: إنه شاعر وما جاء به شعر. وكل من له أدنى معرفة بالواقع، من حالة الرسول، ونظر في هذا الذي جاء به، سفهوه وقالوا فيه الأقاويل الباطلة المختلفة، فتارة يقولون: أضغاث أحلام بمنزلة كلام النائم الهادي، الذي لا يحس بما يقول، وتارة يقولون: افتراه يذكر تعالى ائتفاك المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من القرآن العظيم، وأنهم

والإضراب عنه، صفحا وإنكاره، وعدم الإيمان به فهذا من أعظم الكفر وأشد الجهل والظلم، ولهذا أنكر تعالى على من أنكره فقال: أفأنتم له منكرون 50 والانقياد، والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلم ألفاظه ومعانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة، من الإعراض عنه، أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية، أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكرا مباركا، وجب تلقيه بالقبول والفرح، من التصديق بالأخبار الصادقة، والأمر بالحسن عقلا، والنهي عن القبيح عقلا، وكونه مباركا يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شيء من العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار، فيتذكر به المسائل والدلائل العقلية والنقلية، وسماه ذكرا، لأنه يذكر ما ركزه الله في العقول بوصفين جليلين، كونه ذكرا يتذكر به جميع المطالب، من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم، ومن أحكام الشرع وهذا أي: القرآن ذكر مبارك أنزلناه فوصفه

في الدنيا والآخرة، لعلمنا أنه أهل لذلك، وكفء له، لركائه وذكائه، ولهذا ذكر محاجته لقومه، ونهيه عن الشرك، وتكسير الأصنام، وإلزامهم بالحجة 51 حاله، وعلو مرتبته، وإلا فكل مؤمن، له من الرشد، بحسب ما معه من الإيمان. وكنا به عالمين أي: أعطيناه رشده، واختصناه بالرسالة والخلة، واصطفيناه السماوات والأرض، وأعطاه من الرشد، الذي كمل به نفسه، ودعا الناس إليه، ما لم يؤته أحدا من العالمين، غير محمد، وأضاف الرشد إليه، لكونه رشدا، بحسب ومحمدا صلى الله عليه وسلم، وكتابهيهما قال: ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي: من قبل إرسال موسى ومحمد ونزول كتابيهما، فأراه الله ملكوت لما ذكر تعالى موسى

لها؟ وأين عقولكم، التي ذهبت حتى أفنيتكم أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تحتون. 52 التي مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات التي أنتم لها عاكفون مقيمون على عبادتها، ملازمون لذلك، فما هي؟ وأي فضيلة ثبتت إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل

على عبادتها، ومن المعلوم أن فعل أحد من الخلق سوى الرسل ليس بحجة، ولا تجوز به القدوة، خصوصا، في أصل الدين، وتوحيد رب العالمين 53 فأجابوا بغير حجة، جواب العاجز، الذي ليس بيده أدنى شبهة فقالوا: وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، فسلكتنا سبيلهم، وتبعناهم

ضلال، أبلغ من ضلالهم في الشرك، وترك التوحيد؟ أي: فليس ما قلتم، يصلح للتمسك به، وقد اشتركتم وإياهم في الضلال الواضح، البين لكل أحد. 54 ولهذا قال لهم إبراهيم مضللا للجميع: لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين أي: ضلال بين واضح، وأي

الذي أرادوا، وإنما ردوا الكلام بين الأمرين، لأنهم نزلوه منزلة المقرر المعلوم عند كل أحد، أن الكلام الذي جاء به إبراهيم، كلام سفيه لا يعقل ما يقول 55 أجننتنا بالحق أم أنت من اللاعبيين أي: هذا القول الذي قلته، والذي جئتنا به، هل هو حق وجد؟ أم كلامك لنا، كلام لاعب مستهزئ، لا يدري ما يقول؟ وهذا

تفسير السعدي

قالوا على وجه الاستغراب لقوله، والاستعظام لما قال، وكيف بادأهم بتسفيهم، وتسفيه آبائهم:

وأن عبادة ما سواه باطل من الشاهدين وأي شهادة بعد شهادة الله أعلى من شهادة الرسل؟ خصوصا أولي العزم منهم خصوصا خليل الرحمن. 56 به معصوم لا يغلط ولا يخبر بغير الحق، ومن أنواع هذا القسم شهادة أحد من الرسل على ذلك فلماذا قال إبراهيم: وأنا على ذلكم أي: أن الله وحده المعبود نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر؟ أما الدليل السمعي: فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن ما جاءوا مفطوراً مدبراً متصرفاً فيه، ودخل في ذلك، جميع ما عبد من دون الله. أفيليق عند من له أدنى مسكة من عقل وتمييز، أن يعبد مخلوقاً متصرفاً فيه، لا يملك أن الله وحده، الخالق لجميع المخلوقات، من بني آدم، والملائكة، والجن، والبهائم، والسموات، والأرض، المدير لهم، بجميع أنواع التدبير، فيكون كل مخلوق وأنا على ذلكم من الشاهدين فجمع لهم بين الدليل العقلي، والدليل السمعي. أما الدليل العقلي، فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم، فرد عليهم إبراهيم رداً بين به وجه سفههم، وقلة عقولهم فقال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن

كيدا يحصل به إقرارهم بذلك فلماذا قال: وتالله لا أكيدن أصنامكم أي أكسرها على وجه الكيد بعد أن تولوا مدبرين عنها إلى عيد من أعيادهم 57 ولما بين أن أصنامهم ليس لها من التدبير شيء أراد أن يريهم بالفعل عجزها وعدم انتصارها وليكيد

ترك إبراهيم تكسير صنمهم هذا لأجل أن يرجعوا إليه، ويستملوا حجته، ويلتفتوا إليها، ولا يعرضوا عنها ولهذا قال في آخرها: فرجعوا إلى أنفسهم 58 ولم يقل كبيراً من أصنامهم فهذا ينبغي التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه. وقوله: لعلمهم إليه يرجعون أي ملوك الأرض المشركين يقول: إلى عظيم الفرس إلى عظيم الروم ونحو ذلك، ولم يقل إلى العظيم وهنا قال تعالى: إلا كبيراً لهم هذا الاحتراز العجيب، فإن كل ممقوت عند الله، لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كتب إلى فجعلهم جذاذاً أي كسراً وقطعاً، وكانت مجموعة في بيت واحد، فكسرها كلها، إلا كبيراً لهم أي إلا صنمهم الكبير، فإنه تركه لمقصد سيئ، وتأمل فلما تولوا مدبرين، ذهب إليها بخفية

الذي هم أولى به حيث كسرها ولم يدروا أن تكسيره لها من أفضل مناقبه ومن عدله وتوحيده، وإنما الظالم من اتخذها آلهة، وقد رأى ما يفعل بها 59 فحين رأوا ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فرموا إبراهيم بالظلم

هؤلاء بها؟ ما الذي فضلهم على أولئك، وما الخير الذي فيهم، يقتضي الإيمان عند وجودها؟ وهذا الاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يكون ذلك منهم أبداً. 6 من قرية أهلكناها أي: بهذه الآيات المقترحة، وإنما سنته تقتضي أن من طلبها، ثم حصلت له، فلم يؤمن أن يعاجله بالعقوبة. فالأولون ما آمنوا بها، أفيؤمن ما آمنت قبلهم

سمعنا فتى يذكرهم أي: يعيبهم ويذمهم، ومن هذا شأنه لا بد أن يكون هو الذي كسرها أو أن بعضهم سمعه يذكر أنه سيكيدها يقال له إبراهيم 60 قالوا

بيان الحق بمشهد من الناس ليشاهدوا الحق وتقوم عليهم الحجة، كما قال موسى حين واعد فرعون: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى 61 أي: بإبراهيم على أعين الناس أي بمرأى منهم ومسمع لعلمهم يشهدون أي: يحضرون ما يصنع بمن كسر آلهتهم، وهذا الذي أراد إبراهيم وقصد أن يكون فلما تحققوا أنه إبراهيم قالوا فأتوا به

له: أأنت فعلت هذا أي: التكسير بآلهتنا يا إبراهيم؟ وهذا استفهام تقرير، أي: فما الذي جرأك، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟ 62 فحين حضر الناس وأحضر إبراهيم قالوا

إن كان عندهم نطق، فسيجيبونكم إلى ذلك، وأنا وأنتم، وكل أحد يدري أنها لا تنطق ولا تتكلم، ولا تنفع ولا تضر، بل ولا تنصر نفسها ممن يريد بها بأذى. 63 وإقامة الحجة عليه، ولهذا قال: فاسألوهم إن كانوا ينطقون وأراد الأصنام المكسرة أسألوها لم كسرت؟ والصنم الذي لم يكسر، أسألوه لأي شيء كسرها، كبيرهم هذا أي: كسرها غضبا عليها، لما عبدت معه، وأراد أن تكون العبادة منكم لصنمكم الكبير وحده، وهذا الكلام من إبراهيم، المقصد منه إلزام الخصم فقال إبراهيم والناس شاهدون: بل فعله

إنكم أنتم الظالمون فحصل بذلك المقصود، ولزمتهم الحجة بإقرارهم أن ما هم عليه باطل وأن فعلهم كفر وظلم، ولكن لم يستمروا على هذه الحالة 64 فرجعوا إلى أنفسهم أي: ثابت عليهم عقولهم، ورجعت إليهم أحلامهم، وعلموا أنهم ضالون في عبادتها، وأقروا على أنفسهم بالظلم والشرك، فقالوا

عقولهم وضلت أحلامهم، فقالوا لإبراهيم: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تهكم بنا وتستهزئ بنا وتأمرنا أن نسألك وأنت تعلم أنها لا تنطق؟ 65 ولكن نكسوا على رؤوسهم أي: انقلب الأمر عليهم، وانتكست

ومعلنا بشركهم على رؤوس الأشهاد، ومبيناً عدم استحقاق آلهتهم للعبادة: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم فلا نفع ولا دفع. 66 فقال إبراهيم موبخاً لهم

وما عبدتم من دون الله، إن كنتم تعقلون عرفتم هذه الحال، فلما عدمتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم، أحسن حالا منكم. 67

تفسير السعدي

أف لكم ولما تعبدون من دون الله أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسكم، أنتم

فاعلين أي: اقتلوه أشنع القتلات، بالإحراق، غضبا لآلهتكم، ونصرة لها. فتعسا لهم تعسا، حيث عبدوا من أقروا أنه يحتاج إلى نصرهم، واتخذوه إلهًا 68 فحينئذ لما أفحمهم، ولم يبينوا حجة، استعملوا قوتهم في معاقبته، ف قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم

فانتصر الله لخليله لما ألقوه في النار وقال لها: كوني بردا وسلاما على إبراهيم فكانت عليه بردا وسلاما، لم ينله فيها أذى، ولا أحس بمكروه. 69

المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه، لا مريم ولا غيرها، لقوله إلا رجالا 7 الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهي عن سؤال المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه كآهل التوراة والإنجيل، يخبرونكم بما عندهم من العلم، وأنهم كلهم بشر من جنس المرسل إليهم. وهذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فإن حصل معكم شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين فاسألوا أهل الذكر من الكتب السالفة، ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وأن البشر لا طاقة لهم بتلقي الوحي من الملائكة قل لو كان في الأرض ملائكة لا يكون نبي إن لم يكن ملكا مخلدا، لا يأكل الطعام، فقد أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ولن يقروا برسول من غير البشر، إن شبههم باطلة، قد أبطلوها هم بإقرارهم بفسادها، وتناقضهم بها، فلو قدر انتقالهم من هذا إلى إنكار نبوة البشر رأسا، وأنه على إنكار رسالته، وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين يقر بهم المكذبون لمحمد؟ فهذا إلزام لهم في غاية الوضوح، وأنهم إن أقروا برسول من البشر، وأن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة، والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم. فما بال محمد صلى الله عليه وسلم، تقام الشبهة الباطلة ويمشون في الأسواق، وتطأ عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأممهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته بأن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة لهؤلاء المكذبين للرسل، المقرين بإثبات الرسل قبله ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي طعام وشراب، وتصرف في الأسواق، وهلا كان خالدا؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول. وهذه الشبهة ما زالت في قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا تفسير الآيات من 7 إلى 9 بهذا جواب لشبهة المكذبين للرسل القائلين: هلا كان ملكا، لا يحتاج إلى

وأرادوا به كيدا حيث عزموا على إحراقه، فجعلناهم الأخسرين أي: في الدنيا والآخرة، كما جعل الله خليله وأتباعه، هم الرابحين المفلحين. 70 الحكيم ومن بركة الشام، أن كثيرا من الأنبياء كانوا فيها، وأن الله اختارها، مهاجرا لخليله، وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدسة، وهو بيت المقدس. 71 الله، وهاجر إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين أي: الشام، فغادر قومه في بابل من أرض العراق، وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز ونجينا ولوطا وذلك أنه لم يؤمن به من قومه إلا لوط عليه السلام قيل: إنه ابن أخيه، فنجاه

الفاضلة العربية، ومن ذريته، سيد الأولين والآخرين. وكلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلنا صالحين أي: قائمين بحقوقه، وحقوق عباده 72 فبشرته الملائكة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ويعقوب، هو إسرائيل، الذي كانت منه الأمة العظيمة، وإسماعيل بن إبراهيم، الذي كانت منه الأمة ووهبنا له حين اعتزل قومه إسحاق ويعقوب ابن إسحاق نافلة بعدما كبر، وكانت زوجته عاقرا،

أي: مديمين على العبادات القلبية والقلبية والبدنية في أكثر أوقاتهم، فاستحقوا أن تكون العبادة وصفهم، فاتصفوا بما أمر الله به الخلق، وخلقهم لأجله. 73 كان لما سواهما أضيع، ولأن الصلاة أفضل الأعمال، التي فيها حق، والزكاة أفضل الأعمال، التي فيها الإحسان لخلقه. وكانوا لنا أي: لا لغيرنا عابدين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هذا من باب عطف الخاص على العام، لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ولأن منكملهما كما أمر، كان قائما بدينه، ومن ضيعهما، إماما حتى يدعو إلى أمر الله. وأوحينا إليهم فعل الخيرات يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات كلها، من حقوق الله، وحقوق العباد. وكانوا بآيات الله يوقنون. وقوله: يهدون بأمرنا أي: يهدون الناس بديننا، لا يأمرن بأهواء أنفسهم، بل بأمر الله ودينه، وأتباع مرضاته، ولا يكون العبد ومن صلاحهم، أنه جعلهم أئمة يهدون بأمره، وهذا من أكبر نعم الله على عبده أن يكون إماما يهتدي به المهتدون، ويمشي خلفه السالكون، وذلك لما صبروا، كذبوا الداعي، وتوعدوه بالإخراج، ونجى الله لوطا وأهله، فأمره أن يسري بهم ليلا، ليبعدوا عن القرية، فسروا ونجوا، من فضل الله عليهم ومنته. 74 إلى عبادة الله، وبيناهم عما هم عليه من الفواحش، فلبث يدعوهم، فلم يستجيبوا له، فقلب الله عليهم ديارهم وعذبهم عن آخرهم لأنهم قوم سوء فاسقين هذا ثناء من الله على رسوله لوط عليه السلام بالعلم الشرعي، والحكم بين الناس، بالصواب والساد، وأن الله أرسله إلى قومه، يدعوهم

والخير، وأعظم الناس صلاحا، الأنبياء عليهم السلام ولهذا يصفهم بالصلاح، وقال سليمان عليه السلام: وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين 75 من الصالحين، الذين صلحت أعمالهم وزكت أحوالهم، وأصلح الله فاسدهم، والصلاح هو السبب لدخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد، سبب لحرمانه الرحمة وأدخلناه في رحمتنا التي من دخلها، كان من الأمنين، من جميع المخاوف، النائلين كل خير وسعادة، وبر، وسرور، وثناء، وذلك لأنه

يبقى منهم أحدا، ونجى الله نوحا وأهله، ومن معه من المؤمنين، في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، ونصرهم الله على قومه المستهزئين. 76 الزجر، نادى ربه وقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا فاستجاب الله له، فأغرقهم، ولم

تفسير السعدي

عاما، يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الشرك به، ويبيدي فيهم ويعيد، ويدعوهم سرا وجهارا، وليلا ونهارا، فلما رآهم لا ينجع فيهم الوعظ، ولا يفيد لديهم تفسير الآيتين 76 و 77 :أي: واذكر عبدنا ورسولنا، نوحا عليه السلام، مثنيا مادحا، حين أرسله الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة، إلا خمسين

يبقى منهم أحدا، ونجى الله نوحا وأهله، ومن معه من المؤمنين، في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، ونصرهم الله على قومه المستهزين. 77 الزجر، نادى ربه وقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا فاستجاب الله له، فأغرقهم، ولم عاما، يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الشرك به، ويبيدي فيهم ويعيد، ويدعوهم سرا وجهارا، وليلا ونهارا، فلما رآهم لا ينجع فيهم الوعظ، ولا يفيد لديهم تفسير الآيتين 76 و 77 :أي: واذكر عبدنا ورسولنا، نوحا عليه السلام، مثنيا مادحا، حين أرسله الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة، إلا خمسين

على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادا ورجع كل منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام 78 فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدها وصوفها ويقومون القوم الآخرين، أي: رعت ليلا، فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضى فيه داود عليه السلام، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظرا إلى تفريط أصحابها، آتاها الله العلم الواسع والحكم بين العباد، بدليل قوله: إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم أي: إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، نفشت فيه غنم أي: واذكر هذين النبيين الكريمين داود و سليمان مثنيا مبعلا، إذ

لم يؤته أحدا من الخلق، فكان إذا سبح وأثنى على الله، جاوبته الجبال الصم والطيور البهم، وهذا فضل الله عليه وإحسانه فلماذا قال: وكنا فاعلين 79 الجبال يسبحن والطيور وذلك أنه كان من أعبد الناس وأكثرهم لله ذكرا وتسبيحا وتمجيذا، وكان قد أعطاه الله من حسن الصوت ورقته ورخامته، ما على أن الحاكم قد يصيب الحق والصواب وقد يخطئ ذلك، وليس بمعلوم إذا أخطأ مع بذل اجتهاده. ثم ذكر ما خص به كلا منهما فقال: وسخرنا مع داود هذه القضية، ولا يدل ذلك، أن داود لم يفهمه الله في غيرها، ولهذا خصها بالذكر بدليل قوله: وكلا من داود وسليمان آتيناهما حكما وعلمنا وهذا دليل ففهمناها سليمان أي: فهمناه

المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه، لا مريم ولا غيرها، لقوله إلا رجلا 8 الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهي عن سؤال المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه كآهل التوراة والإنجيل، يخبرونكم بما عندهم من العلم، وأنهم كلهم بشر من جنس المرسل إليهم. وهذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فإن حصل معكم شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين فاسألوا أهل الذكر من الكتب السالفة، ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وأن البشر لا طاقة لهم بتلقي الوحي من الملائكة قل لو كان في الأرض ملائكة لا يكون نبي إن لم يكن ملكا مخلدا، لا يأكل الطعام، فقد أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: وقالوا لولا أنزل عليه ملك لو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ولن يقرؤا برسول من غير البشر، إن شبههم باطلة، قد أبطلوها هم بإقرارهم بفسادها، وتناقضهم بها، فلو قدر انتقالهم من هذا إلى إنكار نبوة البشر رأسا، وأنه على إنكار رسالته، وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين يقر بهم المكذبون لمحمد؟ فهذا إزام لهم في غاية الوضوح، وأنهم إن أقروا برسول من البشر، وأن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة، والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم. فما بال محمد صلى الله عليه وسلم، تقام الشبهة الباطلة ويمشون في الأسواق، وتطراً عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأمهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته بأن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة لهؤلاء المكذبين للرسول، المقرين بإثبات الرسل قبله ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي طعام وشراب، وتصرف في الأسواق، وهلا كان خالدا؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول. وهذه الشبهة ما زالت في قلوب المكذبين للرسول، تشابهوا تفسير الآيات من 7 إلى 9 :هذا جواب لشبه المكذبين للرسول القائلين: هلا كان ملكا، لا يحتاج إلى

وإنما المنة بالجنس، والاحتمال الذي ذكره المفسرون، لا دليل عليه إلا قوله: وألنا له الحديد وليس فيه أن الإلانة من دون سبب، والله أعلم بذلك. 80 صنعتها من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد، لم يمتن عليهم بذلك، ويذكر فائدتها، لأن الدروع التي صنع داود عليه السلام، متعذر أن يكون المراد أعيانها، جاري العادة، وأن إلانة الحديد له، بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن، لإذابتها، وهذا هو الظاهر، لأن الله امتن بذلك على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن للعادة، وأن يكون كما قاله المفسرون: إن الله ألان له الحديد، حتى كان يعمل كالعجين والطين، من دون إذابة له على النار، ويحتمل أن تعليم الله له، على وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم ولكم تسلمون يحتمل أن تعليم الله لداود صنعة الدروع وإلانتها أمر خارق من بأسكم أي: هي وقاية لكم، وحفظ عند الحرب، واشتداد البأس. فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم، حيث أجزاها على يد عبده داود، كما قال تعالى: السلام، صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلمها وسرت صناعته إلى من بعده، فالآن الله له الحديد، وعلمه كيف يسردها والفائدة فيها كبيرة، لتحصنكم وعلمناه صنعة لبوس لكم أي: علم الله داود عليه

ورجوعها إلى الأرض المباركة، وكنا بكل شيء عالمين قد أحاط علمنا بجميع الأشياء، وعلمنا من داود وسليمان، ما أوصلناهما به إلى ما ذكرنا. 81

تفسير السعدي

- امتثلت أمره، غدوها شهر ورواحها شهر إلى الأرض التي باركنا فيها وهي أرض الشام، حيث كان مقره، فيذهب على الريح شرقا وغربا، ويكون مأواها ولسليمان الريح أي: سخرناها عاصفة أي: سريعة في مرورها، تجري بأمره حيث دبرت
- موته، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وكنا لهم حافظين أي: لا يقدرّون على الامتناع منه وعصيانه، بل حفظهم الله له، بقوته وعزته، وسلطانه. 82
- يعمل له محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وسخر طائفة منهم، لبناء بيت المقدس، ومات، وهم على عمله، وبقوا بعده سنة، حتى علموا وسلطه على تسخيرهم في الأعمال، التي لا يقدر على كثير منها غيرهم، فكان منهم من يغوص له في البحر، ويستخرج الدر، واللؤلؤ، وغير ذلك، ومنهم من ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وهذا أيضا من خصائص سليمان عليه السلام، أن الله سخر له الشياطين والعفاريت، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ 83 صابرا راضيا عنه، وذلك أن الشيطان سلب على جسده، ابتلاء من الله، وامتحانا فنفي في جسده، فتقترح قروحا عظيمة ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، أي: واذكر عبدنا ورسولنا، أيوب مثنيا معظما له، رافعا لقدره حين ابتلاءه، ببلاء شديد، فوجده
- ونظروا السبب، وجدوه الصبر، ولهذا أتى الله عليه به في قوله: إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر. 84
- الله ثوابا عاجلا قبل ثواب الآخرة. وذكرى للعابدين أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، أهله أي: رددنا عليه أهله وماله. ومثلهم معهم بأن منحه الله العافية من الأهل والمال شيئا كثيرا، رحمة من عندنا به، حيث صبر ورضي، فأثابه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فخرجت من ركضته عين ماء باردة فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى، وآتيناه وبرحمة ربه الواسعة فاستجاب الله له، وقال له:
- الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفا وفضلا. 85
- من ذكر الله، وصالح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي. فبصبرهم وصلاتهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضا بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبة، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطبا الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها. فهؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها والصبر: هو حبس النفس ومنعها، مما تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار بأحسن الذكر، وأثن عليهم أبلغ الثناء، إسماعيل بن إبراهيم، وإدريس، وذا الكفل، نبين من أنبياء بني إسرائيل كل من هؤلاء المذكورين من الصابرين تفسير الآيتين 85 و 86: أي: واذكر عبادنا المصطفين، وأنبياءنا المرسلين
- الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفا وفضلا. 86
- من ذكر الله، وصالح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي. فبصبرهم وصلاتهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضا بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبة، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطبا الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها. فهؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها والصبر: هو حبس النفس ومنعها، مما تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار بأحسن الذكر، وأثن عليهم أبلغ الثناء، إسماعيل بن إبراهيم، وإدريس، وذا الكفل، نبين من أنبياء بني إسرائيل كل من هؤلاء المذكورين من الصابرين تفسير الآيتين 85 و 86: أي: واذكر عبادنا المصطفين، وأنبياءنا المرسلين
- لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنابته. 87
- من يلقون منهم في البحر؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم، فأصاب القربة يونس، فالتقمه الحوت، وذهب به إلى ظلمات البحار، فنادى في تلك الظلمات: أو ظن أنه سيفوت الله تعالى، ولا مانع من عروض هذا الظن للكمل من الخلق على وجه لا يستقر، ولا يستمر عليه، فركب في السفينة مع أناس، فافترعوا، يلام عليه والظاهر أن عجلته ومغاضبته لقومه وخروجه من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، ظن أن الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بطن الحوت مغاضبا، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب، التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجة لنا إلى تعيينها لقوله: إذ أبق إلى الفلك وهو مليم أي: فاعل ما إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعنهم إلى حين وهذه الأمة العظيمة، الذين آمنوا بدعوة يونس، من أكبر فضائله. ولكنه عليه الصلاة والسلام، ذهب قال تعالى: فلولا كانت قرية آمنت فففعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين وقال: وأرسلناه قومه، فدعاهم، فلم يؤمنوا فوعدهم بنزول العذاب بأمد سماه لهم. فجاءهم العذاب ورأوه عيانا، فعجوا إلى الله، وضجوا وتابوا، فرفع الله عنهم العذاب كما أي: واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون وهو: يونس، أي: صاحب النون، وهي الحوت، بالذكر الجميل، والثناء الحسن، فإن الله تعالى أرسله إلى
- وهذا وعد وبشارة، لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله تعالى سينجيها منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه كما فعل بـ يونس عليه السلام. 88
- : فاستجبت له ونجيناه من الغم أي: الشدة التي وقع فيها. وكذلك ننجي المؤمنين
- أي: خير الباقيين، وخير من خلفني بخير، وأنت أرحم بعبادك مني، ولكني أريد ما يطمئن به قلبي، وتسكن له نفسي، ويجري في موازيني ثوابه. 89

تفسير السعدي

لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله، والنصح لعباد الله، وأن يكون في وقته فردا، ولا يخلف من يشفعه ويعينه، على ما قام به، وأنت خير الوارثين فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضا من هذه الآيات علما أن قوله رب لا تذرنني فردا أنه لما تقارب أجله، خاف أن رب لا تذرنني فردا أي: قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا عبدنا ورسولنا زكريا، منوها بذكره، ناشرا لمناقبه وفضائله، التي من جملتها، هذه المنقبة العظيمة المتضمنة لنصحه للخلق، ورحمة الله إياه، وأنه نادى ربه أي: وأذكر

المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه، لا مريم ولا غيرها، لقوله إلا رجالا 9
الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهي عن سؤال المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه كأهل التوراة والإنجيل، يخبرونكم بما عندهم من العلم، وأنهم كلهم بشر من جنس المرسل إليهم. وهذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فإن حصل معكم شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين فاسألوا أهل الذكر من الكتب السالفة، ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وأن البشر لا طاقة لهم بتلقي الوحي من الملائكة قل لو كان في الأرض ملائكة لا يكون نبي إن لم يكن ملكا مخلدا، لا يأكل الطعام، فقد أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ولن يقرؤا برسول من غير البشر، إن شبههم باطلة، قد أبطلوها هم بإقرارهم بفسادها، وتناقضهم بها، فلو قدر انتقالهم من هذا إلى إنكار نبوة البشر رأسا، وأنه على إنكار رسالته، وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين يقر بهم المكذبون لمحمد؟ فهذا إزام لهم في غاية الوضوح، وأنهم إن أقروا برسول من البشر، وأن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة، والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم. فما بال محمد صلى الله عليه وسلم، تقام الشبهة الباطلة ويمشون في الأسواق، وتطأ عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأممهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته بأن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة لهؤلاء المكذبين للرسل، المقرين بإثبات الرسل قبله ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي طعام وشراب، وتصرف في الأسواق، وهلا كان خالدا؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول. وهذه الشبهة ما زالت في قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا تفسير الآيات من 7 إلى 9 بهذا جواب لشبهة المكذبين للرسل القائلين: هلا كان ملكا، لا يحتاج إلى

الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون، وكانوا لنا خاشعين أي: خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم. 90
انتهزوا الفرصة فيها، ويدعوننا رغبا ورهبا أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار كانوا يسارعون في الخيرات أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدر عليها، إلا والقرين الصالح، أنه مبارك على قريبه، فصار يحيى مشتركا بين الوالدين. ولما ذكر هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلا على انفراد، أثنى عليهم عموما فقال: إنهم الله له من قبل سميا. وأصلحنا له زوجه بعدما كانت عاقرا، لا يصلح رحمها للولادة فأصلح الله رحمها للحمل، لأجل نبية زكريا، وهذا من فوائد الجليس، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى النبي الكريم، الذي لم يجعل

تلك الحالة، وأجرى الله على يديه من الخوارق والمعجزات ما هو معلوم، فكانت وابنها آية للعالمين، يتحدث بها جيلا بعد جيل، ويعتبر بها المعتبرون. 91
الله. وجعلناها وابنها آية للعالمين حيث حملت به، ووضعت من دون مسبب أحد، وحيث تكلم في المهد، وبرأها مما ظن بها المتهمون وأخبر عن نفسه في والحسن قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا فجازاها الله من جنس عملها، ورزقها ولدا من غير أب، بل نفخ فيها جبريل عليه السلام، فحملت بإذن حفظته من الحرام وقربانه، بل ومن الحلال، فلم تتزوج لاشتغالها بالعبادة، واستغراق وقتها بالخدمة لربها. وحين جاءها جبريل في صورة بشر سوي تام الخلق أي: وأذكر مريم، عليها السلام، مثنيا عليها مبينا لقدرها، شاهرا لشرفها فقال: والتي أحصنت فرجها أي:

بجميع أنواع العبادة كان وظيفتكم والواجب عليكم، القيام بها، ولهذا قال: فاعبدون فرتب العبادة على ما سبق بالفاء، ترتيب المسبب على سببه. 92
قال: وأنا ربكم الذي خلقتكم، وربيتكم بنعمتي، في الدين والدنيا، فإذا كان الرب واحدا، والنبي واحدا، والدين واحدا، وهو عبادة الله، وحده لا شريك له، واحدة أي: هؤلاء الرسل المذكورون هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتون، وبهديهم تقتدون، كلهم على دين واحد، وصراط واحد، والرب أيضا واحد. ولهذا ولما ذكر الأنبياء عليهم السلام، قال مخاطبا للناس: إن هذه أمتكم أمة

الناس لفصل القضاء، فحينئذ يتبين الصادق من الكاذب، ولهذا قال: كل من الفرق المتفرقة وغيرهم إلينا راجعون أي: فنجازيهم أتم الجزاء 93
وقد علم أن المصيب منهم، من كان سالكا للدين القويم، والصراط المستقيم، مؤتما بالأنبياء وسيظهر هذا، إذا انكشف الغطاء، وبرح الخفاء، وحشر الله أمرهم بينهم أي: تفرق الأحزاب المنتسبون لاتباع الأنبياء فرقا، وتشتتوا، كل يدعي أن الحق معه، والباطل مع الفريق الآخر و كل حزب بما لديهم فرحون وكان اللائق، الاجتماع على هذا الأمر، وعدم التفرق فيه، ولكن البغي والاعتداء، أبيا إلا الافتراق والتقطع. ولهذا قال: وتقطعوا

في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي مع الحفظة. أي: ومن لم يعمل من الصالحات، أو عملها وهو ليس بمؤمن، فإنه محروم، خاسر في دينه، ودنياه. 94

تفسير السعدي

وهو مؤمن بالله وبرسله، وما جاءوا به فلا كفران لسعيه أي: لا نضيع سعيه ولا نبطله، بل نضاعفه له أضعافاً كثيرة. وإنا له كاتبون أي: مثبتون له ثم فصل جزاءه فيهم، منطوقاً ومفهوماً، فقال: فمن يعمل من الصالحات أي: الأعمال التي شرعتها الرسل وحثت عليها الكتب إلى الرجوع لمن أهلك وعذب، فليحذر المخاطبون، أن يستمروا على ما يوجب الإهلاك فيقع بهم، فلا يمكن رفعه، وليقلعوا وقت الإيمان والإدراك. 95 أي: يمتنع على القرى المهلكة المعذبة، الرجوع إلى الدنيا، ليستدركوا ما فرطوا فيه فلا سبيل وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلمون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم. 96 والوصف، الذي ذكره الله من كل من مكان مرتفع، وهو الحذب ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكى إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان، ينفث السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب افتتاح أجوج ومأجوج، وهما قبيلتان فلو كان يموت أحد من الندم والحسرة، لماتوا. بل كنا ظالمين اعترفوا بظلمهم، وعدل الله فيهم، فحينئذ يؤمر بهم إلى النار، هم وما كانوا يعبدون. 97 على ما فات ويقولون لـ: قد كنا في غفلة من هذا اليوم العظيم، فلم نزل فيها مستغرقين، وفي لهو الدنيا متمتعين، حتى أتانا اليقين، ووردنا القيامة، شاخصة، من شدة الأفزع والأهوال المزعجة، والقلقل المفطعة، وما كانوا يعرفون من جنائياتهم وذنوبهم، وأنهم يدعون بالويل والثبور، والندم والحسرة، واقترب الوعد الحق أي: يوم القيامة الذي وعد الله بإتيانه، ووعده حق وصدق، ففي ذلك اليوم ترى أبصار الكفار أي: إنكم أيها العابدون مع الله آلهة غيره حصب جهنم أي: وقودها وحطبها أنتم لها واردون وأصنامكم. 98 ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين وكل من العابدين والمعبودين فيها، خالدون، لا يخرجون منها، ولا ينتقلون عنها. 99 النار، وهي جماد، لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم، فلماذا قال: لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وهذا كقوله تعالى: والحكمة في دخول الأصنام

سورة 22

وتكور الشمس والقمر، وتنتثر النجوم، ويكون من القلائل والباليل ما تنصدع له القلوب، وتجل منه الأفئدة، وتشيب منه الولدان، وتذوب له الصم الصلاب 1 رجفت الأرض وارتجت، وزلزلت زلزالها، وتصدعت الجبال، واندكت، وكانت كثيباً مهيلاً، ثم كانت هباء منبثاً، ثم انقسم الناس ثلاثة أزواج. فهناك تنفطر السماء، على التقوى، ويحذرهم من تركها، وهو الإخبار بأهوال القيامة، فقال: إن زلزلة الساعة شيء عظيم لا يقدر قدره، ولا يبلغ كنهه، ذلك بأنها إذا وقعت الساعة، يتقوا ربهم، الذي رباهم بالنعم الظاهرة والباطنة، فحقيق بهم أن يتقوه، بترك الشرك والفسوق والعصيان، ويمتثلوا أوامره، مهما استطاعوا. ثم ذكر ما يعينهم يخاطب الله الناس كافة، بأن

وذلك بما قدمت يداه، وأن الله ليس بظلام للعبيد 10

له إلا ما قسم له، وأما الآخرة، فظاهر، حرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، واستحق النار، ذلك هو الخسران المبين أي: الواضح البين. 11 دينه، خسر الدنيا والآخرة أما في الدنيا، فإنه لا يحصل له بالردة ما أمله الذي جعل الردة رأساً لماله، وعوضاً عما يظن إدراكه، فخاب سعيه، ولم يحصل أن الله يعافيه، ولا يقيض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه، وإن أصابته فتنة من حصول مكروه، أو زوال محبوب انقلب على وجهه أي: ارتد عن وجهه لا يثبت عند المحن، فإن أصابه خير اطمأن به أي: إن استمر رزقه رغداً، ولم يحصل له من المكروه شيء، اطمأن بذلك الخير، لا بإيمانه. فهذا، ربما أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفاً، وإما عادة على أعرض عن عبادة النافع الضار، الغني المغني، وأقبل على عبادة مخلوق مثله أو دونه، ليس بيده من الأمر شيء بل هو إلى حصول ضد مقصوده أقرب 12 وهذا صفة كل مدعو ومعبود من دون الله، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، ذلك هو الضلال البعيد الذي قد بلغ في البعد إلى حد النهاية، حيث يدعو هذا الراجع على وجهه من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه

أي: القرنين الملازم على صحبته، فإن المقصود من المولى والعشير، حصول النفع، ودفع الضرر، فإذا لم يحصل شيء من هذا، فإنه مذموم ملوم. 13 يدعو لمن ضره أقرب من نفعه فإن ضرره في العقل والبدن والدنيا والآخرة معلوم لبئس المولى أي: هذا المعبود ولبئس العشير من كثرتها، إن الله يفعل ما يريد فما أرادته تعالى ففعله من غير ممانع ولا معارض، ومن ذلك، إيصال أهل الجنة إليها، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه. 14 فأخبر تعالى أنه يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وسميت الجنة جنة، لاشتغالها على المنازل والقصور والأشجار والنوابت التي تجن من فيها، ويستتر بها ذكر أن المتسمي بالإيمان أيضاً على قسمين، قسم لم يدخل الإيمان قلبه كما تقدم، والقسم الثاني: المؤمن حقيقة، صدق ما معه من الإيمان بالأعمال الصالحة، لما ذكر تعالى المجادل بالباطل، وأنه على قسمين، مقلد، وداع،

المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفنوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم. 15

تفسير السعدي

الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسدها وأغلقها واقطعها، فهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي: والمكيدة، وأما ما سوى هذه به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول إن كان ممكنا انت الأمر مع بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علقه في السماء، أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجعله، أن سعيه سيفيده شيئا، اعلم ويعمله من محاربته، والحرص على إبطال دينه، ما يغيظه من ظهور دينه، وهذا استفهام بمعنى النفي وأنه، لا يقدر على شفاء غيظه بما يعمل به من الأسباب. الزان بسبب أي: حبل إلى السماء وليرقى إليها ثم ليقطع النصر النازل عليه من السماء فلينظر هل يذهبن كيده أي: ما يكيده به الرسول، أي: من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله، وأن دينه سيضمحل، فإن النصر من الله ينزل من السماء فليمدد ذلك

بهذا القرآن، وجعله إماما له وقودة، واستضاء بنوره، ومن لم يرد الله هدايته، فلو جاءته كل آية ما آمن، ولم ينفعه القرآن شيئا، بل يكون حجة عليه. 16 فصلنا في هذا القرآن ما فصلنا، جعلناه آيات بينات واضحات، دالات على جميع المطالب والمسائل النافعة، ولكن الهداية بيد الله، فمن أراد الله هدايته، اهتدى أي: وكذلك لما

جميعهم ليوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: إن الله على كل شيء شهيد 17 يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعهم وهدوا إلى صراط الحميد

جميعهم ليوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: إن الله على كل شيء شهيد 18 يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعهم وهدوا إلى صراط الحميد

من جميع جوانبهم. يصب من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار جدا، يصهر ما في بطونهم من اللحم والشحم والأعضاء، من شدة حره، وعظيم أمره 19 كافر، من اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئين، والمشركين. قطعت لهم ثياب من نار أي: يجعل لهم ثياب من قطران، وتشعل فيها النار، ليعمهم العذاب ثم فصل هذا الفصل بينهم بقوله: هذان خصمان اختصموا في ربهم كل يدعي أنه المحق. فالذين كفروا يشمل كل

يعرف أن كل هذا أمامه، أن يعد له عدته، وأن لا يلهيه الأمل، فيترك العمل، وأن تكون تقوى الله شعاره، وخوفه دثاره، ومحبة الله، وذكره، روح أعماله. 2 لم يفقدوا منها نقيرا ولا قطميرا. هذا، والمتقون في روضات الجنات يحبرون، وفي أنواع اللذات يتفكهون، وفيما اشتت أنفسهم خالدون، فحقيق بالعاقل الذي ربهم ليخرجهم منها، قال: اخسئوا فيها ولا تكلمون قد غضب عليهم الرب الرحيم، وحضرهم العذاب الأليم، وأيسوا من كل خير، ووجدوا أعمالهم كلها، بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ويقال لهم: لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وإذا نادوا من جميع الأعمال والأقوال والنيات، من صغير وكبير، وينصب الصراط على متن جهنم، وتزلف الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين. إذا رأتهم من مكان لم اتخذ فلانا خليلا وتسود حينئذ وجوه وتبيض وجوه، وتنصب الموازين، التي يوزن بها مئاقيل الذر، من الخير والشر، وتنشر صحائف الأعمال وما فيها وأبيه وصاحبه وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وهناك بعض الظالم على يديه، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار، وفي ذلك اليوم، لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا. ويومئذ يفر المرء من أخيه وأمه أي: تحسبهم أبها الرائي لهم سكارى من الخمر، وليسوا سكارى. ولكن عذاب الله شديد فلذلك أذهب عقولهم، وفرغ قلوبهم، وملأها من الفزع، محبتها لولدها، خصوصا في هذه الحال، التي لا يعيش إلا بها. وتضع كل ذات حمل حملها من شدة الفزع والهول، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت مع أنها مجبولة على شدة

من جميع جوانبهم. يصب من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار جدا، يصهر ما في بطونهم من اللحم والشحم والأعضاء، من شدة حره، وعظيم أمره 20 كافر، من اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئين، والمشركين. قطعت لهم ثياب من نار أي: يجعل لهم ثياب من قطران، وتشعل فيها النار، ليعمهم العذاب ثم فصل هذا الفصل بينهم بقوله: هذان خصمان اختصموا في ربهم كل يدعي أنه المحق. فالذين كفروا يشمل كل

ولهم مقامع من حديد بيد الملائكة الغلاظ الشداد، تضربهم فيها وتقمعهم 21

يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها فلا يفتر عنهم العذاب، ولا هم ينظرون، ويقال لهم توبيخا: ذوقوا عذاب الحريق أي: المحرق للقلوب والأبدان 22 كلما أرادوا أن

بذكر أنواع المأكولات اللذيذات المشتمل عليها، لفظ الجنات، وذكر الأنهار السارحات، أنهار الماء واللبن والعسل والخمر، وأنواع اللباس، والحلي الفاخر 23 الكتب، وجميع الرسل، يحلون فيها من أساور من ذهب أي: يسورون في أيديهم، رجالهم ونساؤهم أساور الذهب. ولباسهم فيها حرير فتم نعيمهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ومعلوم أن هذا الوصف لا يصدق على غير المسلمين، الذين آمنوا بجميع

تفسير السعدي

لعزته، عانية لسلطانه، دل على أنه وحده، الرب المعبود، والملك المحمود، وأن من عدل عنه إلى عبادة سواه، فقد ضل ضلالا بعيدا، وخسر خسارنا مبينا. 24 لأن الله أهانه، ومن يهن الله فما له من مكرم ولا راد لما أراد، ولا معارض لمشيئته، فإذا كانت المخلوقات كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته، مستكينة والدواب، الذي يشمل الحيوانات كلها، وكثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير حق عليه العذاب أي: وجب وكتب، لكفره وعدم إيمانه، فلم يوفقه للإيمان، لولا أن هدانا الله. واعترض تعالى بين هذه الآيات بذكر سجود المخلوقات له، جميع من في السماوات والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، إلى الله، وفي ذكر الحميد هنا، ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لا إفراف فيه ولا تفريط، المشتغل على العلم النافع والعمل الصالح. أو: وهدا إلى صراط الله الحميد، لأن الله كثيرا ما يضيف الصراط إليه، لأنه يوصل صاحبه إلى صراط الحميد أي: الصراط المحمود، وذلك، لأن جميع الشرع كله محتو على الحكمة والحمد، وحسن المأمور به، وقبح المنهي عنه، وهو الدين الذي هدوا إلى الطيب من القول الذي أفضله وأطيبه كلمة الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة التي فيها ذكر الله، أو إحسان إلى عباد الله، وهدا

يريد بزيارة، فما ظنكم أن يفعل الله بهم؟ وفي هذه الآية الكريمة، وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها. 25 في الحرم، موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، من الكفر والشرك، والصد عن سبيله، ومنع من محمدا وأصحابه، والحال أن هذا المسجد الحرام، من حرمة واحترامه وعظمته، أن من يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. فمجرد إرادة الظلم والإلحاد الناس من الإيمان، والصد أيضا عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكا لهم ولا لأبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه، بل صدوا عنه أفضل الخلق يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومنع

التي تشوش المتعبدين، بالصلاة والطواف، وقدم الطواف على الاعتكاف والصلاة، لاختصاصه بهذا البيت، ثم الاعتكاف، لاختصاصه بجنس المساجد. 26 والتقرب إليه عند بيته، فهؤلاء لهم الحق، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت لأجلهم، ويدخل في تطهيره، تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة ذكر، وقراءة، وتعلم علم وتعليمه، وغير ذلك من أنواع القرب، والركع السجود أي: المصلين، أي: طهره هؤلاء الفضلاء، الذين همهم طاعة مولاها وخدمته، القلوب، وتنصب إليه الأفئدة من كل جانب، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه، لكونه بيت الرب للطائفين به والعاكفين عنده، المقيمين لعبادة من العبادات من ويبنيه على اسم الله. وظهر بيتي أي: من الشرك والمعاصي، ومن الأنجاس والأدناس وأضافه الرحمن إلى نفسه، لشرفه، وفصله، ولتعظم محبته في ذريته من سكانه، وأمره الله بنيانه، فبناه على تقوى الله، وأسس على طاعة الله، وبناه هو وابنه إسماعيل، وأمره أن لا يشرك به شيئا، بأن يخلص لله أعماله، تعالى عظمة البيت الحرام وجلالته وعظمته بانيه، وهو خليل الرحمن، فقال: وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أي: هيأناه له، وأنزلناه إياه، وجعل قسما من يذكر

عليه وسلم، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه الناس رجالا وركبانا من مشارق الأرض ومغاربها 27 وتواصل السير، حتى تأتي إلى أشرف الأماكن، من كل فج عميق أي: من كل بلد بعيد، وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد صلى الله فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجا وعمارا، رجالا، أي: مشاة على أرجلهم من الشوق، وعلى كل ضامر أي: ناقة ضامر، تقطع المهامه والمفاوز، وأذن في الناس بالحج أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم،

أي: ليذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا، شكرا لله على ما رزقهم منها، ويسرها لهم، فإذا ذبحتوها فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير أي: شديد الفقر 28 الأرباح الدنيوية، وكل هذا أمر مشاهد كل يعرفه، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وهذا من المنافع الدينية والدنيوية، فقال: ليشهدوا منافع لهم أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من العبادات الفاضلة، والعبادات التي لا تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من التكسب، وحصول ثم ذكر فوائد زيارة بيت الله الحرام، مرغبا فيه

المقصود، وما قبله وسائل إليه. ولعله والله أعلم أيضا لفائدة أخرى، وهو: أن الطواف مشروع كل وقت، وسواء كان تابعا لنسك، أم مستقلا بنفسه. 29 أي: القديم، أفضل المساجد على الإطلاق، المعتقد: من تسلط الجبابرة عليه. وهذا أمر بالطواف، خصوصا بعد الأمر بالمناسك عموما، لفصله، وشرفه، ولكونه ويزيلوا الوسخ والأذى، الذي لحقهم في حال الإحرام، وليوفوا نذورهم التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا، وليطوفوا بالبيت العتيق ثم ليقتضوا تفتتهم أي: يقضوا نسكهم،

ما عندهم، تقليد أئمة الضلال، من كل شيطان مريد، متمرد على الله وعلى رسله، معاند لهم، قد شاق الله ورسوله، وصار من الأئمة الذين يدعون إلى النار. 3 سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يجادلون بالباطل الحق، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق، والحال أنهم في غاية الجهل ما عندهم من العلم شيء، وغاية أي: ومن الناس طائفة وفرقة،

قول الزور أي: جميع الأقوال المحرمات، فإنها من قول الزور الذي هو الكذب، ومن ذلك شهادة الزور فلما نهاهم عن الشرك والرجس وقول الزور. 30 المفسرين، وإنما هي للتبويض، وأن الرجس عام في جميع المنهيات المحرمات، فيكون منهيا عنها عموما، وعن الأوثان التي هي بعضها خصوصا، واجتنبوا الخبث القذر من الأوثان أي: الأنداد، التي جعلتموها آلهة مع الله، فإنها أكبر أنواع الرجس، والظاهر أن من هنا ليست لبيان الجنس، كما قاله كثير من الآية، ولكن الذي من رحمته بعباده، أن حرمه عليهم، ومنعهم منه، تزكية لهم، وتطهيراً من الشرك به وقول الزور، ولهذا قال: فاجتنبوا الرجس أي:

تفسير السعدي

التي يتقرب بها إليه، فعظمت منته فيها من الوجهين، إلا ما يتلى عليكم في القرآن تحريمه من قوله: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متناقل، ثم ذكر منته وإحسانه بما أحله لعباده، من بهيمة الأنعام، من إبل وبقر وغنم، وشرعها من جملة المناسك، باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، والحرم والإحرام، والهدايا، والعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل المحبوبة لله، المقربة إليه، التي من عظمها وأجلها، أثابه الله ثواباً جزيلاً، وكانت خيراً له في دينه، ودنياه وأخراه عند ربه. وحرمت الله: كل ماله حرمة، وأمر ذلك الذي ذكرنا لكم من تلکم الأحكام، وما فيها من تعظيم حرمت الله وإجلالها وتكريمها، لأن تعظيم حرمت الله، من الأمور

فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه. 31 في مكان سحيق أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة. ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبلبات، معرضين عما سواه. غير مشركين به ومن يشرك بالله فمثله فكأنما خر من السماء أي: سقط منها فتخطفه الطير بسرعة أو تهوي به الريح أمرهم أن يكونوا حنفاء لله أي: مقبلين عليه وعلى عبادته،

فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه. 32 في مكان سحيق أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة. ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبلبات، معرضين عما سواه. غير مشركين به ومن يشرك بالله فمثله فكأنما خر من السماء أي: سقط منها فتخطفه الطير بسرعة أو تهوي به الريح أمرهم أن يكونوا حنفاء لله أي: مقبلين عليه وعلى عبادته،

موقت وهو ذبحها إذا وصلت محلها وهو البيت العتيق، أي: الحرم كله منى وغيرها، فإذا ذبحت، أكلوا منها وأهدوا، وأطعموا البائس الفقير. 33 منافع إلى أجل مسمى هذا في الهدايا الموققة، من البدن ونحوها، ينتفع بها أربابها، بالركوب، والحلب ونحو ذلك، مما لا يضرها إلى أجل مسمى مقدر، لكم فيها أي: في الهدايا

الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام. وبشر المخبتين بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده. 34 الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: فله أسلموا أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الله لكل أمة منسكاً، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهمكم إليه واحد وإن اختلفت أجناس أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكاً، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملاً، والحكمة في جعل الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فإياها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله، ينفق الله عليك، ويزدك من فضله. 35 والأقارب، والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع وجوهها، وأتي بـ من المفيدة للتبعض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة، ومما رزقناهم ينفقون وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة، كالزكاة، والكفارة، والنفقة على الزوجات والماليك، من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، والمقيمي الصلاة أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، والصابرين على ما أصابهم من البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خوفاً وتعظيماً،

لعلكم تشكرون الله على تسخيرها، فإنه لولا تسخيرها لها، لم يكن لكم بها طاقة، ولكنه ذلها لكم وسخرها، رحمة بكم وإحساناً إليكم، فاحمدوه. 36 من هديه، وأطعموا القانع والمعتز أي: الفقير الذي لا يسأل، وتقنعاً، وتعقفاً، والفقير الذي يسأل، فكل منهما له حق فيهما. كذلك سخرناها لكم أي: البدن في الأرض جنوبها، حين تسلك، ثم يسقط الجزر جنوبها على الأرض، فحينئذ قد استعدت لأن يؤكل منها، فكلوا منها وهذا خطاب للمهدي، فيجوز له الأكل بسم الله س واذبحوها، صواف أي: قائمات، بأن تقام على قوائمها الأربع، ثم تعقل يدها اليسرى، ثم تنحر. فإذا وجبت جنوبها أي: سقطت وتستحسن، لكم فيها خير أي: المهدي وغيره، من الأكل، والصدقة، والانتفاع، والثواب، والأجر، فاذكروا اسم الله عليها أي: عند ذبحها قولوا أن الله أخبر أن من عظم شعائره، فإن ذلك من تقوى القلوب، وهنا أخبر أن من جملة شعائره، البدن، أي: الإبل، والبقر، على أحد القولين، فتعظم وتستسمن، هذا دليل على أن الشعائر عام في جميع أعلام الدين الظاهرة. وتقدم

بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن الله إليهم، كما أحسنوا في عبادته ولعباده هل جزاء الإحسان إلا الإحسان للذين أحسنوا الحسنى وزيادة 37 الله، بجميع وجوه الإحسان من نفع مال، أو علم، أو جاه، أو نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو كلمة طيبة ونحو ذلك، فالمحسنون لهم البشارة من الله، بعبادة الله بأن يعبدوا الله، كأنهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة فليعبده، معتقدين وقت عبادتهم اطلاعه عليهم، ورؤيته إياهم، والمحسنين لعباد لتكبروا الله أي: تعظموه وتجلوه، على ما هداكم أي: مقابلة لهديته إياكم، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد، وأعلى التعظيم، وبشر المحسنين ولا مجرد عادة، وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترب بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه. كذلك سخرها لكم ولهذا قال: ولكن يناله التقوى منكم ففي هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخراً ولا رياء، ولا سمعة، أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط. ولا ينال الله من لحومها ولا دماؤها شيء، لكونه الغني الحميد، وإنما يناله الإخلاص فيها، والاحتساب، والنية الصالحة،

وقوله: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها

الكفر والعصيان، فهذا لا يحبه الله، بل يبغضه ويمقتة، وسيجازهيه على كفره وخيانتة، ومفهوم الآية، أن الله يحب كل أمين قائم بأمانته، شكور لمولاه. 38
خوان أي: خائن في أمانته التي حمله الله إياها، فيبخص حقوق الله عليه، ويخونها، ويخون الخلق. كفور لنعم الله، يوالي عليه الإحسان، ويتوالى منه نزول المكارة، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر. إن الله لا يحب كل الله يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر بسبب إيمانهم من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن

وإنما أذن لهم، لأنهم ظلموا، بمنعهم من دينهم، وأذيتهم عليه، وإخراجهم من ديارهم. وإن الله على نصرهم لقدير فليستنصروه، وليستعينوا به. 39
وأودوا، وحصل لهم منعة وقوة، أذن لهم بالقتال، قال تعالى: أذن للذين يقاتلون يفهم منه أنهم كانوا قبل ممنوعين، فأذن الله لهم بقتال الذين يقاتلون، كان المسلمون في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار، وأمورين بالصبر عليهم، لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة، الناس، وهو متبع، ومقلد لكل شيطان مريد، ظلمات بعضها فوق بعض، ويدخل في هذا، جمهور أهل الكفر والبدع، فإن أكثرهم مقلدة، يجادلون بغير علم. 4
نائب إبليس حقا، فإن الله قال عنه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير فهذا الذي يجادل في الله، قد جمع بين ضلاله بنفسه، وتصديه إلى إضلال أي: قدر على هذا الشيطان المريد أنه من تولاه أي: اتبعه فإنه يضلّه عن الحق، ويجنبه الصراط المستقيم ويهديه إلى عذاب السعير وهذا كتب عليه

في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا 40
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقوموا، أيها المسلمون، بحق الإيمان والعمل الصالح، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم القوي العزيز، ومعتمدكم على من خلقكم وخلق ما تعملون، فاعملوا بالأسباب المأمور بها، ثم اطلبوا منه نصركم، فلا بد أن ينصركم. يا أيها الذين آمنوا إن القوة، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق، وأخذ بنواصيهم، فأبشروا، يا معشر المسلمين، فإنكم وإن ضعف عددكم وعددكم، وقوي عدد عدوكم وعدتهم فإن ركنكم للواقع: ولينصرن الله من ينصره أي: يقوم بنصر دينه، مخلصا له في ذلك، يقاتل في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا. إن الله لقوي عزيز أي: كامل الحمد أسبابه بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم والشعور مبدأ العمل فنحمده ونسأله أن يتم نعمته، ولهذا قال في وعده الصادق المطابق أن يمد يده عليها، خوفا من احتمائها بالآخر، مع أن الله تعالى لا بد أن يري عباده من نصر الإسلام والمسلمين، ما قد وعد به في كتابه. وقد ظهرت والله الله أنه لا يزال إلى يوم القيامة، فتبقى الحكومة المسلمة، التي لا تقدر تدافع عن نفسها، سالمة من كثير ضررهم، لقيام الحسد عندهم، فلا يقدر أحدهم في عواصم الدول الكبار. وتراعي تلك الدول الحكومات المستقلة، نظرا لخواطر رعاياهم المسلمين، مع وجود التحاسد والتباغض بين دول النصارى، الذي أخبر لم تفعل ذلك أن يختل نظامها، وتفقد بعض أركانها، فيقوم من أمر الدين بهذا السبب ما يقوم، خصوصا المساجد، فإنها والله الحمد في غاية الانتظام، حتى الحكومة، سواء كانت تلك الأمة مقتدرة بعدها أو عددها، أو مالها، أو عملها، أو خدمتها، فتراعي الحكومات مصالح ذلك الشعب، الدينية والدينية، وتخشى إن فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل أمة وجنس تحت ولايتها، وداخل في حكمها، تعتبره عضوا من أعضاء المملكة، وجزء من أجزاء لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لهدمت هذه المعابد، ونحن لا نشاهد دفعا. أجب بأن هذا السؤال والاستشكال، داخل في عموم هذه الآية وفرد من أفرادها، من جاورهم من الإفرنج، بل نرى المساجد التي تحت ولايتهم وسيطرتهم عامرة، وأهلها آمنون مطمئنون، مع قدرة ولايتهم من الكفار على هدمها، والله أخبر أنه فضل على العالمين فإن قلت: نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرب، مع أنها كثير منها إمارة صغيرة، وحكومة غير منظمة، مع أنهم لا يدان لهم بقتال شعائر الدين كلها، من فضائل المجاهدين وبركتهم، دفع الله عنها الكافرين، قال الله تعالى: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو الجهاد مشروع، لأجل دفع الصائل والمؤذي، ومقصود لغيره، ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها الله، ويذكر فيها اسم الله بأنواع الذكر، فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لاستولى الكفار على المسلمين، فخرّبوا معابدهم، وفتنوه عن دينهم، فدل هذا، أن لطوائف أهل الكتاب، معابد اليهود والنصارى، والمساجد للمسلمين، يذكر فيها أي: في هذه المعابد اسم الله كثيرا تقام فيها الصلوات، وتتلّى فيها كتب دفع الله الناس بعضهم ببعض فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين، لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد أي: لهدمت هذه المعابد الكبار، دين الله، وذبح الكفار المؤذنين للمؤمنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة، ولهذا قال: ولولا له الدين، فإن كان هذا ذنبا، فهو ذنبهم كقوله تعالى: وما نعموا بالله العظيم الحميد وهذا يدل على حكمة الجهاد، وأن المقصود منه إقامة أي: ألجئوا إلى الخروج بالأذية والفتنة بغير حق إلا أن ذنبهم الذي نقم منهم أعداؤهم أن يقولوا ربنا الله أي: إلا أنهم وحدوا الله، وعبدوه مخلصين الذين أخرجوا من ديارهم

ومن تسلط عليهم بالجبروت، وأقام فيهم هوى نفسه، فإنه وإن حصل له ملك موقت، فإن عاقبته غير حميدة، فولايته مشنومة، وعاقبته مذمومة. 41
أي: جميع الأمور، ترجع إلى الله، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى، فمن سلطه الله على العباد من الملوك، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة، قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدين له، لزم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به. والله عاقبة الأمور

تفسير السعدي

فإذا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم، أجبروا الناس على التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعا، أو غير مقدر، كأنواع التعزير، وعقلا، من حقوق الله، وحقوق الأدميين، ونهوا عن المنكر كل منكر شرعا وعقلا، معروف قبحه، والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به، وآتوا الزكاة التي عليهم خصوصا، وعلى رعيتهم عموما، آتوها أهلها، الذين هم أهلها، وأمروا بالمعروف وهذا يشمل كل معروف حسنه شرعا إياها، وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض، أقاموا الصلاة في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات. علامة من ينصره، وبها يعرف، أن من ادعى أنه ينصر الله وينصر دينه، ولم يتصف بهذا الوصف، فهو كاذب فقال: الذين إن مكناهم في الأرض أي: ملكناهم ثم ذكر

المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كثير 42 من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء ثم أخذتهم بالعذاب أخذ عزيز مقتدر فكيف كان نكير أي: إنكار عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم شعيب. وكذب موسى فأمليت للكافرين المكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلته، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم وشرهم يزدادون، فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين أي: قوم تفسير الآيات من 42 و44: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك هؤلاء المشركون

المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كثير 43 من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء ثم أخذتهم بالعذاب أخذ عزيز مقتدر فكيف كان نكير أي: إنكار عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم شعيب. وكذب موسى فأمليت للكافرين المكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلته، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم وشرهم يزدادون، فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين أي: قوم تفسير الآيات من 42 و44: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك هؤلاء المشركون

المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كثير 44 من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء ثم أخذتهم بالعذاب أخذ عزيز مقتدر فكيف كان نكير أي: إنكار عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم شعيب. وكذب موسى فأمليت للكافرين المكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلته، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم وشرهم يزدادون، فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين أي: قوم تفسير الآيات من 42 و44: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك هؤلاء المشركون

ورفعوه، وحصنوه، وزخرفوه، فحين جاءهم أمر الله، لم يغن عنهم شيئا، وأصبح خاليا من أهله، قد صاروا عبرة لمن اعتبر، ومثالا لمن فكر ونظر. 45 مشيد أي: وكم من بئر، قد كان يزدحم عليه الخلق، لشربهم، وشرب مواشيتهم، ففقد أهله، وعدم منه الوارد والصادر، وكم من قصر، تعب عليه أهله، فشيدوه، فديارهم متهدمة، قصورها، وجدرانها، قد سقطت عروشها، فأصبحت خرابا بعد أن كانت عامرة، وموحشة بعد أن كانت أهلة بأهلها أنسة، وبئر معطلة وقصر أهلكناها بالعذاب الشديد، والخزي الدنيوي، وهي ظالمة بكفرها بالله وتكذيبها لرسله، لم يكن عقوبتنا لها ظلما منا، فهي خاوية على عروشها أي: فكأين من قرية أي: وكم من قرية

أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات، وأما عمى البصر، فغايبته بلفة، ومنفعة دنيوية. 46 الأذن، وسير البدن الخالي من التفكير والاعتبار، غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب، ولهذا قال: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قلوب يعقلون بها آيات الله ويتأملون بها مواقع عبره، أو آذان يسمعون بها أخبار الأمم الماضين، وأنباء القرون المعذبين، وإلا فمجرد نظر العين، وسماع دعا الله عباده إلى السير في الأرض، لينظروا، ويعتبروا فقال: أفلم يسيروا في الأرض بأبداهم وقلوبهم فتكون لهم

مما تعدون، فالمدّة، وإن تطاولتموها، واستبطأتم فيها نزول العذاب، فإن الله يمهل المدد الطويلة ولا يهمل، حتى إذا أخذ الظالمين بعذابه لم يفلتهم. 47 عذاب في الدنيا، أم تأخر عنهم العذاب، فإن هذا اليوم، لا بد أن يدرّكهم. ويحتمل أن المراد: أن الله حليم، ولو استعجلوا العذاب، فإن يوما عنده كألف سنة وآخرهم، ويجازون بأعمالهم، ويقع بهم العذاب الدائم الأليم، ولهذا قال: وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون من طوله، وشدته، وهو له، فسواء أصابهم يمتنعهم منه مانع، وأما عجلته، والمبادرة فيه، فليس ذلك إليك يا محمد، ولا يستفزك عجلتهم وتعجيزهم إيانا. فإن أمامهم يوم القيامة، الذي يجمع فيه أولهم هؤلاء المكذبون بالعذاب، لجهلهم، وظلمهم، وعنادهم، وتعجيزا لله، وتكذيبا لرسله، ولن يخلف الله وعده، فما وعدهم به من العذاب، لا بد من وقوعه، ولا أي: يستعجل

وإلي المصير أي: مع عذابها في الدنيا، سترجع إلى الله، فيعذبها بذنوبها، فليحذر هؤلاء الظالمون من حلول عقاب الله، ولا يغتروا بالإمهال. 48

تفسير السعدي

من قرية أمليت لها أي: أمهلتها مدة طويلة وهي ظالمة أي: مع ظلمهم، فلم يكن مبادرتهم بالظلم، موجبا لمبادرتنا بالعقوبة، ثم أخذتها بالعذاب وكأين

والظالمين من عقابه، وقوله: مبين أي: بين الإنذار، وهو التخويف مع الإعلام بالمخوف، وذلك لأنه أقام البراهين الساطعة على صدق ما أنذرهم به 49 يأمر تعالى عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس جميعا، بأنه رسول الله حقا، مبشرا للمؤمنين بثواب الله، منذرا للكافرين أي: صنف من أصناف النبات بهيج أي: يبهج الناظرين، ويسر المتأملين، فهذان الدليلان القاطعان، يدلان على هذه المطالب الخمسة، وهي هذه. 5 لا نبات فيها، ولا خضر، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت أي: تحركت بالنبات وربت أي: ارتفعت بعد خشوعها وذلك لزيادة نباتها، وأنبئت من كل زوج بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير والدليل الثاني، إحياء الأرض بعد موتها، فقال الله فيه: وترى الأرض هامة أي: خاشعة مغبرة الآدمي محفوفة بضعفين، ضعف الطفولية ونقصها، وضعف الهرم ونقصه، كما قال تعالى: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من كما زالت باقي القوة، وضعفت. لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أي: لأجل أن لا يعلم هذا المعمر شيئا مما كان يعلمه قبل ذلك، وذلك لضعف عقله، فقوة يتوفى من قبل أن يبلغ سن الأشد، ومنكم من يتجاوزوه فيرد إلى أرذل العمر، أي: أخسه وأرذله، وهو سن الهرم والتخريف، الذي به يزول العقل، ويضمحل، وليس لكم قدرة، وسخرنا لكم الأمهات، وأجرينا لكم في ثديها الرزق، ثم تنتقلون طورا بعد طور، حتى تبلغوا أشدكم، وهو كمال القوة والعقل. ومنكم من في الأرحام من الحمل، الذي لم تقذفه الأرحام، ما نشاء إبقاءه إلى أجل مسمى، وهو مدة الحمل. ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم طفلا لا تعلمون شيئا، تكميل خلقه في لحظة واحدة، ولكن ليبين لنا كمال حكمته، وعظيم قدرته، وسعة رحمته. ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى أي: ونقر، أي: نبقي تارة تكون مخلقة أي: مصور منها خلق الآدمي، وغير مخلقة تارة، بأن تقذفها الأرحام قبل تخليقها، لنبين لكم أصل نشأتكم، مع قدرته تعالى، على التخليق، ثم من علقه أي: تنقلب تلك النطفة، بإذن الله دما أحمر، ثم من مضغة أي: ينتقل الدم مضغة، أي: قطعة لحم، بقدر ما يمرض، وتلك المضغة الإنسان، وأن الذي ابتدأه سعيده، فقال فيه: فإننا خلقناكم من تراب وذلك بخلق أبي البشر آدم عليه السلام، ثم من نطفة أي: مني، وهذا ابتداء أول إلا الريب، فهاكم دليلين عقليين تشاهدونهما، كل واحد منهما، يدل دلالة قطعية على ما شككتكم فيه، ويزيل عن قلوبكم الريب. أحدهما: الاستدلال بابتداء خلق أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث أي: شك واشتبهاء، وعدم علم بوقوعه، مع أن الواجب عليكم أن تصدقوا ربكم، وتصدقوا رسله في ذلك، ولكن إذا أبيتم يقول تعالى: يا

رسله وآياته فأولئك أصحاب الجحيم أي: الملازمون لها، المصاحبون لها في كل أوقاتهم، فلا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم لحظة من عقابها. 50 بها بأنواع النعيم من المأكول والمشرب والمناخ والصور والأصوات والتنعم برؤية الرب الكريم وسماع كلامه والذين كفروا أي: جحدوا نعمة ربهم وكذبوا النذارة والبشارة فقال: فالذين آمنوا بقلوبهم إيمانا صحيحا صادقا وعملوا الصالحات بجوارحهم في جنات النعيم أي: الجنات التي يتنعم تفسير الآيتين 50 و51: ثم ذكر تفصيل

رسله وآياته فأولئك أصحاب الجحيم أي: الملازمون لها، المصاحبون لها في كل أوقاتهم، فلا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم لحظة من عقابها. 51 بها بأنواع النعيم من المأكول والمشرب والمناخ والصور والأصوات والتنعم برؤية الرب الكريم وسماع كلامه والذين كفروا أي: جحدوا نعمة ربهم وكذبوا النذارة والبشارة فقال: فالذين آمنوا بقلوبهم إيمانا صحيحا صادقا وعملوا الصالحات بجوارحهم في جنات النعيم أي: الجنات التي يتنعم تفسير الآيتين 50 و51: ثم ذكر تفصيل

وحيه، ويزيل ما تلقبه الشياطين، حكيم يضع الأشياء مواضعها، فمن كمال حكمته، مكن الشياطين من الإلقاء المذكور، ليحصل ما ذكره بقوله: 52 يحكم الله آياته أي: يتقنها، ويحررها، ويحفظها، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان، والله عزيز أي: كامل القوة والاعتدال، فبكمال قوته، يحفظ وإنما هو عارض يعرض، ثم يزول، وللعوارض أحكام، ولهذا قال: فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي: يزيله ويذهبه ويبطله، ويبين أنه ليس من آياته، و القراءة، مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله، وحفظ وحيه أن يشتهبه، أو يختلط بغيره. ولكن هذا الإلقاء من الشيطان، غير مستقر ولا مستمر، إلا إذا تمنى أي: قرأ قراءته، التي يذكر بها الناس، ويأمرهم وبينهاهم، ألقى الشيطان في أمنيته أي: في قراءته، من طريقه ومكايده، ما هو مناقض لتلك يخبر تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأن الله ما أرسل قبل محمد من رسول ولا نبي

فما يلقيه الشيطان، يكون فتنة لهؤلاء الطائفتين، فيظهر به ما في قلوبهم، من الخبث الكامن فيها، وأما الطائفة الثالثة، فإنه يكون رحمة في حقها 53 لهم على باطلهم، وجادلوا به وشاقوا الله ورسوله، ولهذا قال: وإن الظالمين لفي شقاق بعيد أي: مشاقة لله، ومعاداة للحق، ومخالفة له، بعيد من الصواب، فتنة لهم. والقاسية قلوبهم أي: الغليظة، التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقسوتها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، جعلوه حجة قلوبهم مرض أي: ضعف وعدم إيمان تام وتصديق جازم، فيؤثر في قلوبهم أدنى شبهة تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب والشك، فصار ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة لطائفتين من الناس، لا يبالي الله بهم، وهم الذين في

الشيطان في قراءته: تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى فحصل بذلك للرسول حزن وللناس فتنة، كما ذكر الله، فأنزل الله هذه الآيات. 54 عليه وسلم أسوة بإخوانه المرسلين، لما وقع منه عند قراءته صلى الله عليه وسلم: والنجم فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى

تفسير السعدي

بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعبده. وهذه الآيات، فيها بيان أن للرسول صلى الله أي: تخشع وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، وإن الله لهادي الذين آمنوا بسبب إيمانهم إلى صراط مستقيم علم بالحق، وعمل بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كمائن النفوس الخيرة والشريرة، فيؤمنوا به بسبب ذلك، ويزداد إيمانهم عند دفع المعارض والشبه. فتخبت له قلوبهم الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أن الله حكيم، يقيض وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك لأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من

حيث لا ينفعهم الندم، وأبلسوا وأيسوا من كل خير، وودوا لو آمنوا بالرسول واتخذوا معه سبيلا، ففي هذا تحذيرهم من إقامتهم على مريتهم وفريتهم. 55 مفاجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم أي: لا خير فيه، وهو يوم القيامة، فإذا جاءتهم الساعة، أو أتاهم ذلك اليوم، علم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، وندموا الكفار، وأنهم لا يزالون في شك مما جنتهم به يا محمد، لعنادهم، وإعراضهم، وأنهم لا يبرحون مستمرين على هذه الحال حتى تأتيهم الساعة بغتة أي: يخبر تعالى عن حالة

جاءوا به وعملوا الصالحات ليصدقوا بذلك إيمانهم في جنات النعيم نعيم القلب والروح والبدن، مما لا يصفه الواصفون، ولا تدركه العقول. 56 الملك يومئذ أي: يوم القيامة لله تعالى، لا لغيره، يحكم بينهم بحكمه العدل، وقضائه الفصل، فالذين آمنوا بالله ورسله، وما فأعرضوا عنها، أو عاندوها، فأولئك لهم عذاب مهين لهم، من شدته، وألمه، وبلوغه للأفئدة كما استهانوا برسله وآياته، أهانهم الله بالعذاب. 57 والذين كفروا بالله ورسله وكذبوا بآياته الهادية للحق والصواب

وأبناءهم وأموالهم، نصرة لدين الله، فلم يلبثوا إلا يسيرا، حتى فتح الله عليهم البلاد، ومكنهم من العباد فاجتنبوا من أموالها، ما كانوا به من أغنى الناس 58 له الرزق، فلا يتوهم أنه إذا خرج من دياره وأمواله، سيفتقر ويحتاج، فإن رازقه هو خير الرازقين، وقد وقع كما أخبر، فإن المهاجرين السابقين، تركوا ديارهم أن المعنى أن المهاجر في سبيل الله، قد تكفل برزقه في الدنيا، رزقا واسعا حسنا، سواء علم الله منه أنه يموت على فراشه، أو يقتل شهيدا، فكلهم مضمون الله، ليرزقهم الله رزقا حسنا في البرزخ، وفي يوم القيامة بدخول الجنة الجامعة للروح والريحان، والحسن والإحسان، ونعيم القلب والبدن، ويحتمل الله، فخرج من داره ووطنه وأولاده وماله، ابتغاء وجه الله، ونصرة لدين الله، فهذا قد وجب أجره على الله، سواء مات على فراشه، أو قتل مجاهدا في سبيل هذه بشارة كبرى، لمن هاجر في سبيل

ومتأخرها، حلیم يعصيه الخلائق، ويبارزون به بالعظام، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله. 59 الرزقين، رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع من إرادة الجميع وإن الله لعليم بالأمور، ظاهرها، وباطنها، متقدمها، من البلدان، خصوصا فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين ليدخلهم مدخلا يرضونه إما ما يفتح الله عليهم

وأنه يحيي الموتى كما ابتدأ الخلق، وكما أحيا الأرض بعد موتها، وأنه على كل شيء قدير كما أشهدكم من بديع قدرته وعظيم صنعته ما أشهدكم. 6 من ما وصف لكم، وأحيا الأرض بعد موتها، بأن الله هو الحق أي: الرب المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وعبادته هي الحق، وعبادة غيره باطلة، ذلك الذي أنشأ الآدمي

فينبغي لكم أيها المظلومون المجني عليهم، أن تعفوا وتصفحوا وتغفروا لبعاملكم الله كما تعاملون عباده فمن عفا وأصلح فأجره على الله 60 فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم فيزيلا، ويزيل آثارها عنهم، فالله هذا وصفه المستقر اللازم الذاتي، ومعاملته لعباده في جميع الأوقات بالعفو والمغفرة، بإساءته إذا ظلم بعد ذلك، نصره الله، فالذي بالأصل لم يعاقب أحدا إذا ظلم وجني عليه، فالنصر إليه أقرب. إن الله لعفو غفور أي: يعفو عن المذنبين، عليه سبيل، وليس بملوم، فإن بغي عليه بعد هذا، فإن الله ينصره، لأنه مظلوم، فلا يجوز أن يبغى عليه، بسبب أنه استوفى حقه، وإذا كان المجازي غيره، ذلك بأن من جني عليه وظلم، فإنه يجوز له مقابلة الجاني بمثل جنايته، فإن فعل ذلك، فليس

يرى دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار 61 التي هي من أجل نعمه على العباد، وهي من الضروريات لهم. وأن الله سميع يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، بصير بعد النهار، وبالنهار بعد الليل، ويزيد في أحدهما ما ينقصه في الآخر، ثم بالعكس، فيترب على ذلك، قيام الفصول، ومصالح الليل والنهار، والشمس والقمر، لكم تلك الأحكام الحسنة العادلة، هو حسن التصرف، في تقديره وتدبيره، الذي يولج الليل في النهار أي: يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، فيأتي بالليل ذلك الذي شرع

الصادرة من أهل السماوات والأرض، كلها المقصود منها، تكبيره وتعظيمه، وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعارا للعبادات الكبار، كالصلاة وغيرها. 62 إلا هو، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، أنها كل صفة كمال وجلال وكبرياء وعظمة، فهي ثابتة له، وله من تلك الصفة أجلاها وأكملها، ومن كبريائه، أن العبادات كلها، السماوات والأرض، ومن عظمت وكبريائه، أن نواصي العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته. وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها الكبير في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، الذي من عظمت وكبريائه، أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، ومن كبريائه، أن كرسيه وسع

تفسير السعدي

لغايتها ومقصودها، وأن الله هو العلي الكبير العلي في ذاته، فهو عال على جميع المخلوقات وفي قدره، فهو كامل الصفات، وفي قهره لجميع المخلوقات، من دونه من الأصنام والأنداد، من الحيوانات والجمادات، هو الباطل الذي، هو باطل في نفسه، وعبادته باطلة، لأنها متعلقة بمضمحل فان، فتبطل تبعاً بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد، الذي وعده حق ولقاؤه حق، ودينه حق، وعبادته هي الحق، النافعة الباقية على الدوام. وأن ما يدعون ذلك صاحب الحكم والأحكام بأن الله هو الحق أي: الثابت، الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس

باطنها، فيسوق ذلك الماء إلى ذلك البذر، الذي خفي على علم الخلائق فينبت منه أنواع النبات، خبير بسرائر الأمور، وخبايا الصدور، وخفايا الأمور. 63 أنه يري عبده، عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك، ومن لطفه، أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في خبير اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه، مخضرة قد اكتست من كل زوج كريم، وصار لها بذلك منظر بهيج، إن الذي أحياها بعد موتها وهمودها لمحيي الموتى بعد أن كانوا رميمًا. إن الله لطيف ببصرك وبصيرتك أن الله أنزل من السماء ماء وهو: المطر، فينزل على أرض خاشعة مجدبة، قد أغبرت أرجاؤها، ويبس ما فيها، من شجر ونبات، فتصبح هذا حث منه تعالى، وترغب في النظر بآياته الدالات على وحدانيته، وكماله فقال: ألم تر أي: ألم تشاهد

بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، وهو المحمود على توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله، وهو الغني في حمده، الحميد في غناه. 64 إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة، الذي له الحمد، الذي يملأ ما في السماوات والأرض، وما بينهما، وما شاء بعدها، الذي لا يحصي العباد ثناء على حمده، كلها صفات كمال، وفي أفعاله، لكونها دائرة بين العدل والإحسان والرحمة والحكمة وفي شرعه، لكونه لا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. الحميد أي: المحمود في ذاته، وفي أسمائه، لكونها حسنى، وفي صفاته، لكونها فوق أمانيتهم، ما نقص ذلك من ملكه شيء، ومن غناه، أن يده سحاء بالخير والبركات، الليل والنهار، لم يزل إفضاله على الأنفاس، ومن غناه وكرمه، ما أودعه دينهم ودنياهم، ومن غناه، أنه لو اجتمع من في السماوات ومن في الأرض، الأحياء منهم والأموات، في صعيد واحد، فسأل كل منهم ما بلغت أمنيته، فأعطاهم ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلق بوجه من الوجوه، فهو يطعم ولا يطعم، ومن غناه، أن الخلق كلهم مفتقرون إليه، في إيجادهم، وإعدادهم وإمدادهم، وفي أنه لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يواليهم من ذلة، ولا يتكبر بهم من قلة، ومن غناه، أنه ما اتخذ صاحبة ولا ولداً، ومن غناه، أنه صمد، لا يأكل ولا يشرب، فيهم بملكه وحكمته وكمال اقتداره، ليس لأحد غيره من الأمر شيء. وإن الله لهو الغني بذاته الذي له الغنى المطلق التام، من جميع الوجوه، ومن غناه، له ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وعبداً، يتصرف

رحيم أرحم بهم من والديهم، ومن أنفسهم، ولهذا يريد لهم الخير، ويريدون لها الشر والضر، ومن رحمته، أن سخر لهم ما سخر من هذه الأشياء. 65 ما عليها، وهلك من فيها إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً إن الله بالناس لرءوف وتستخرجون من البحر حلية تلبسونها، ومن رحمته بكم أنه يمسك السماء أن تقع على الأرض فلولا رحمته وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلف يستخرجها، وينتفع بها، والفلك أي: وسخر لكم الفلك، وهي السفن تجري في البحر بأمره تحملكم، وتحمل تجارتكم، وتوصلكم من محل إلى محل، الأرض، مسخر لبني آدم، حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، أي: ألم تشاهد ببصرك وقلبك نعمة ربك السابعة، وأياديه الواسعة، و أن الله سخر لكم ما في الأرض من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في والمسيء بإساءته، إن الإنسان أي: جنسه، إلا من عصمه الله لكفور لنعم الله، كفور بالله، لا يعترف بإحسانه، بل ربما كفر بالبعث وقدرة ربه. 66 وهو الذي أحياكم أوجدكم من العدم ثم يميتكم بعد أن أحياكم، ثم يحييكم بعد موتكم، ليجازي المحسن بإحسانه،

مسائل الأصول والفروع، وهي المسائل التي يعرف حسننها وعدلها وحكمتها بالعقل والفطرة السليمة، وهذا يعرف بتدبر تفاصيل الأمور والمنهيات. 67 هدى مستقيم إرشاد لأجوبة المعترضين على جزئيات الشرع، بالعقل الصحيح، فإن الهدى وصف لكل ما جاء به الرسول، والهدى: ما تحصل به الهداية، من فتقف مع الناس ومع أهوائهم، وآرائهم، ويوقفك اعتراضهم، ونظير هذا قوله تعالى: فتوكل على الله إنك على الحق المبين مع أن في قوله: إنك على الحق والعمل به، فأنت على ثقة من أمرك، وبقين من دينك، فيوجب ذلك لك الصلابة والمضي لما أمرك به ربك، ولست على أمر مشكوك فيه، أو حديث مفترى، على ذلك، سواء اعترض المعترضون أم لا، وأنه لا ينبغي أن يثنيك عن الدعوة شيء، لأنك على هدى مستقيم أي: معتدل موصل للمقصود، متضمن علم الرسالة وعدمها، وإلا فالاعتصار على هذه، دليل أن مقصوده التعنت والتعجيز، ولهذا أمر الله رسوله أن يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وبمضي مجادلة ومحااجة بانفرادها، بل لكل مقام مقال، فصاحب هذا الاعتراض، المنكر لرسالة الرسول، إذا زعم أنه يجادل ليسترشد، يقال له: الكلام معك في إثبات تأكلون ما قتل الله وكقولهم إنما البيع مثل الربا ونحو ذلك من اعتراضاتهم، التي لا يلزم الجواب عن أعيانها، وهم منكرون لأصل الرسالة، وليس فيها ينازعك المكذبون لك، ويعترضون على بعض ما جئتهم به، بقولهم الفاسدة، مثل منازعتهم في حل الميتة، بقياهم الفاسد، يقولون: تأكلون ما قتلتم، ولا المبين، فإنه إذا ثبتت رسالة الرسول بأدلتها، وجب أن يتلقى جميع ما جاء به بالقبول والتسليم، وترك الاعتراض، ولهذا قال: فلا ينازعك في الأمر أي: لا في ما أتاكم الآية، هم ناسكوه أي: عاملون عليه، بحسب أحوالهم، فلا اعتراض على شريعة من الشرائع، خصوصاً من الأميين، أهل الشرك والجهل قد تختلف في بعض الأمور، مع اتفاقها على العدل والحكمة، كما قال تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم

يخبر تعالى أنه جعل لكل أمة منسكا أي: معبدا وعبادة،

في يوم القيامة الذي يحكم الله بينكم فيما كنتم فيه تختلفون، فمن وافق الصراط المستقيم، فهو من أهل النعيم، ومن زاغ عنه، فهو من أهل الجحيم 68 و 69: ولهذا أمره الله بالعدل عن جدالهم في هذه الحالة، فقال: وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون أي: هو عالم بمقاصدكم ونياتكم، فمجازيكم عليها تفسير الايتين 68

في يوم القيامة الذي يحكم الله بينكم فيما كنتم فيه تختلفون، فمن وافق الصراط المستقيم، فهو من أهل النعيم، ومن زاغ عنه، فهو من أهل الجحيم 69 و 69: ولهذا أمره الله بالعدل عن جدالهم في هذه الحالة، فقال: وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون أي: هو عالم بمقاصدكم ونياتكم، فمجازيكم عليها تفسير الايتين 68

وأن الساعة آتية لا ريب فيها فلا وجه لاستبعادها، وأن الله يبعث من في القبور فيجازيكم بأعمالكم حسناتها وسيئها. 7

على الله يسير وإن كان تصويره عندكم لا يحاط به، فالله تعالى يسير عليه أن يحيط علما بجميع الأشياء، وأن يكتب ذلك في كتاب مطابق للواقع. 70 قد أثبتته الله في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، حين خلق الله القلم، قال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة إن ذلك في السماء والأرض لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر الأمور وبواطنها، خفيها وجليها، متقدمها ومتأخرها، أن ذلك العلم المحيط بما في السماء والأرض ومن تمام حكمه، أن يكون حكما بعلم، فلذلك ذكر إحاطة علمه، وإحاطة كتابه فقال: ألم تعلم أن الله يعلم ما

القاطعة على فساد وبطلانه، ثم توعده الظالمين منهم المعاندين للحق فقال: وما للظالمين من نصير ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم وحل. 71 لا علم عنده بما فعله، وهو في نفس الأمر له حجة ما علمها، فأخبر هنا، أن الله لم ينزل في ذلك سلطانا، أي: حجة تدل علي وتجوزه، بل قد أنزل البراهين به، العادلين به غيره، وأن حالهم أقبح الحالات، وأنه لا مستند لهم على ما فعلوه، فليس لهم به علم، وإنما هو تقليد تلقوه عن آبائهم الضالين، وقد يكون الإنسان يذكر تعالى حالة المشركين

فلهذا قال: قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعددها الله الذين كفروا وبئس المصير فهذه شرها طويل عريض، ومكروها وآلامها تزداد على الدوام. 72 البليغ، من شدة بغضهم وبغض الحق وعداوته، فهذه الحالة من الكفار بئس الحالة، وشرها بئس الشر، ولكن ثم ما هو شر منها، حالتهم التي يؤولون إليها، من بغضها وكراحتها، ترى وجوههم معبسة، وأبشارهم مكفهرة، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا أي: يكادون يوقعون بهم القتل والضرب عليهم آياتنا التي هي آيات الله الجليلة، المستلزمة لبيان الحق من الباطل، لم يلتفتوا إليها، ولم يرفعوا بها رأسا، بل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر وإذا تتلى

الضعيف، فما فوقه من باب أولى، ولو اجتمعوا له بل أبلغ من ذلك لو يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه وهذا غاية ما يصير من العجز. 73 الذين تدعون من دون الله شمل كل ما يدعى من دون الله، لن يخلقوا ذبابا الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق فاستمعوا له أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوبا لاهية، وأسمعا معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع، وهو هذا: إن عبدها، وضعف الجميع، فقال: يا أيها الناس هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علما وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة، ضرب مثل هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من

كمال قوته، أنه يبعث الخلق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسير، وسوط من عذابه. 74 لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ومن مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف. إن الله لقوي عزيز أي: كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين. فهذا ما قدر الله حق قدره حيث سوى الفقير العاجز من جميع ضعف الطالب الذي هو المعبود من دون الله والمطلوب الذي هو الذباب،

ومنهم الراد لدعوتهم، ومنهم العامل، ومنهم الناكل، فهذا وظيفة الرسل، وأما الجزاء على تلك الأعمال، فمصيورها إلى الله، فلا تعدم منه فضلا أو عدلا. 75 الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: الله أعلم حيث يجعل رسالته وإلى الله ترجع الأمور أي: هو يرسل الرسل، يدعون الناس إلى الله، فمنهم المجيب، شيئا دون شيء، وإنما المصطفى لهم، السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاخياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلا بحقائق الأشياء، أو يعلم تميزوا به من الفضائل فقال: الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أي: يختار ويجتبي من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، يكونون أزكى ذلك النوع، تفسير الايتين 75 و 76: لما بين تعالى كماله وضعف الأصنام، وأنه المعبود حقا، بين حالة الرسل، وتميزهم عن الخلق بما

ومنهم الراد لدعوتهم، ومنهم العامل، ومنهم الناكل، فهذا وظيفة الرسل، وأما الجزاء على تلك الأعمال، فمصيورها إلى الله، فلا تعدم منه فضلا أو عدلا. 76 الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: الله أعلم حيث يجعل رسالته وإلى الله ترجع الأمور أي: هو يرسل الرسل، يدعون الناس إلى الله، فمنهم المجيب،

تفسير السعدي

شيئا دون شيء، وإنما المصطفى لهم، السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعته وبصره بجميع الأشياء، فاخياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن أجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلا بحقائق الأشياء، أو يعلم تميزوا به من الفضائل فقال: الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أي: يختار ويجتبي من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، يكونون أذكى ذلك النوع، تفسير الايتين 75 و76: لما بين تعالى كماله وضعف الأصنام، وأنه المعبود حقا، بين حالة الرسل، وتميزهم عن الخلق بما

المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبده، فمن وفق لذلك، فله القدر المعلى، من السعادة والنجاح والفلاح. 77 له العبادة، ويأمرهم بفعل الخير عموما. وعلق تعالى الفلاح على هذه الأمور فقال: لعلمكم تفعلون أي: تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه منها الركوع والسجود، لفضلهما وركبتهما، وعبادته التي هي قرة العيون، وسلوة القلب المحزون، وأن ربوبيته وإحسانه على العباد، يقتضي منهم أن يخلصوا يأمر تعالى، عباده المؤمنين بالصلاة، وخص

أي: نعم المولى لمن تولاه، فحصل له مطلوبه ونعم النصير لمن استنصره فدفع عنه المكروه. تم تفسير سورة الحج، والحمد لله رب العالمين. 78 ذلك، ولا تتكلموا على حولكم وقوتكم، هو مولاكم الذي يتولى أموركم، فيدبركم بحسن تدبيره، ويصرفكم على أحسن تقديره، فنعلم المولى ونعم النصير وشروطها وحدودها، وجميع لوازمها، وآتوا الزكاة المفروضة لمستحقيها شكرا لله على ما أولاكم، واعتصموا بالله أي: امتنعوا به وتوكلوا عليه في أمة وسطا عدلا خيارا، تشهدون للرسل أنهم بلغوا أممهم، وتشهدون على الأمم أن رسلهم بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فأقيموا الصلاة بأركانها زال هذا الاسم لكم قديما وحديثا، ليكون الرسول شهيدا عليكم بأعمالكم خيرها وشرها وتكونوا شهداء على الناس لكونكم خير أمة أخرجت للناس، فالزموها واستمسكوا بها. هو سماكم المسلمين من قبل أي: في الكتب السابقة، مذكورون ومشهورون، وفي هذا أي: هذا الكتاب، وهذا الشرع. أي: ما الفرعية، شيء كثير معروف في كتب الأحكام. ملة أبيكم إبراهيم أي: هذه الملة المذكورة، والأوامر المذبذبة، ملة أبيكم إبراهيم، التي ما زال عليها، بعضه. ويؤخذ من هذه الآية، قاعدة شرعية وهي أن المشقة تجلب التيسير و الضرورات تبيح المحظورات فيدخل في ذلك من الأحكام فأولا ما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس، لا يثقلها ولا يؤدها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط ما لا يطاق، أو تكليف ما يشق، احتراز منه بقوله: وما جعل عليكم في الدين من حرج أي: مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة، الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة، بالقيام بالجهاد فيه حق القيام، ولما كان قوله: وجاهدوا في الله حق جهاده ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف وزجر ووعظ، وغير ذلك. هو اجتباكم أي: اختاركم يا معشر المسلمين من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وجاهدوا في الله حق جهاده والجهاد بذل الوسع في حصول

منير أي: واضح بين، أي: فلا له حجة عقلية ولا نقلية، إن هي إلا شبهات، يوحىها إليه الشيطان وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم 8 وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق، بغير علم صحيح ولا هدى أي: غير متبع في جداله هذا من يهديه، لا عقل مرشد، ولا متبوع مهتد، ولا كتاب المجادلة المتقدمة للمقلد، وهذه المجادلة للشيطان المرید، الداعي إلى البدع، فأخبر أنه يجادل في الله أي: يجادل رسل الله العالمين، واللغة، والبغض، والذم، ما هو حقيق به، وكل بحسب حاله. ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق أي: نذيقه حرها الشديد، وسعيرها البليغ، 9 له في الدنيا خزي أي: يفتضح هذا في الدنيا قبل الآخرة، وهذا من آيات الله العجيبة، فإنك لا تجد داعيا من دعاة الكفر والضلال، إلا وله من المقت بين وما معهم من الحق، ليضل الناس، أي: ليكون من دعاة الضلال، ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال، ثم ذكر عقوبتهم الدنيوية والأخروية فقال: ثاني عطفه أي: لاوي جانبه وعنفه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، واحتقاره للخلق، فقد فرح بما معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق

سورة 23

زيادة ونقصا، كثرة وقلة، فقلوه قد أفلح المؤمنون أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين 1 ذلك، وفي ضمن ذلك، الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، هذا تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى

كل بحسب حاله، هم فيها خالدون لا يظعنون عنها، ولا ييغون عنها حولا لاشتغالها على أكمل النعيم وأفضلها وأتمه، من غير مكدر ولا منغص. 10 أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، لأنهم حلوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، أو المراد بذلك جميع الجنة، ليدخل بذلك عموم المؤمنين، على درجاتهم و مراتبهم تفسير الايتين 10 و 11 :- أولئك الموصوفون بتلك الصفات هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الذي هو

الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبة. 100 غير صادق في ذلك، فإنه لو رد لعاد لما نهي عنه. ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشئين، فهو هنا:

تفسير السعدي

لا يرجعون، إنها أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا كلمة هو قائلها أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضا شهواتها وإنما ذلك يقول: لعلني أعمل صالحا فيما تركت من العمل، وفرطت في جنب الله. كلا أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى ماله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف تفسير الآيتين 99 و100 يخبر تعالى عن

بعدها؟ أو يشقى شقاوة لا سعادة بعدها؟ قال تعالى: يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه 101 ما ينسيهم أنسابهم، التي هي أقوى الأسباب، فغير الأنساب من باب أولى، وأنه لا يسأل أحد أحدا عن حاله، لا اشتغاله بنفسه، فلا يدري هل ينجو نجا لا شقاوة القيامة، وما في ذلك اليوم، من المزعجات والمقلقات، وأنه إذا نفخ في الصور نفخة البعث، فحشر الناس أجمعون، لميقات يوم معلوم، أنه يصيبهم من الهول يخبر تعالى عن هول يوم

فمن تقلت موازينه بأن رجحت حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون لنجاتهم من النار، واستحقاقهم الجنة، وفوزهم بالثناء الجميل 102 القيامة مواضع، يشهد كربها، ويعظم وقعها، كالميزان الذي يميز به أعمال العبد، وينظر فيه بالعدل ما له وما عليه، وتبين فيه مثاقيل الذر، من الخير والشر، وفي

وأما من معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته، فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار، لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة. 103 كافرا، فعلى هذا، لا يحاسب محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون بها، في جوار الرب الكريم. في جهنم خالدون لا يخرجون منها أبد الأبد، وهذا الوعيد، إنما هو كما ذكرنا، لمن أحاطت خطيئته بحسناته، ولا يكون ذلك إلا لا يجبر مصابها، ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة، التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوتها هذا النعيم المقيم، على حسناته، وأحاطت بها خطيئته فأولئك الذين خسروا أنفسهم كل خسارة، غير هذه الخسارة، فإنها بالنسبة إليها سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، ومن خفت موازينه بأن رجحت سيئاته

أعضاءهم الشريفة، ويتقطع لهبها عن وجوههم، وهم فيها كالخون قد عبست وجوههم، وقلصت شفاههم، من شدة ما هم فيه، وعظيم ما يلقونه 104 ثم ذكر تعالى، سوء مصير الكافرين فقال: تفلح وجوههم النار أي: تغشاهم من جميع جوانبهم، حتى تصيب

بها، لتؤمنوا، وتعرض عليكم لتنظروا، فكنتم بها تكذبون ظلما منكم وعنادا، وهي آيات بينات، دالات على الحق والباطل، مبينات للمحق والمبطل 105 فيقال لهم توبихا ولوما: ألم تكن آياتي تتلى عليكم تدعون

أنهم ظالمون، أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه، كما قالوا في الآية الأخرى: وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير 106 أي: غلبت علينا الشقاوة الناشئة عن الظلم والإعراض عن الحق، والإقبال على ما يضر، وترك ما ينفع، وكنا قوما ضالين في عملهم، وإن كانوا يدرون فحينئذ أقروا بظلمهم، حيث لا ينفع الإقرار قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولم يبق الله لهم حجة، بل قطع أعمارهم، وعمرهم في الدنيا، ما يتذكر فيه من المتذكر، ويرتدع فيه المجرم 107 ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وهم كاذبون في وعدهم هذا، فإنهم كما قال تعالى:

والذل، والخسار، والتأبيس من كل خير، والبشرى بكل شر، وهذا الكلام والغضب من الرب الرحيم، أشد عليهم وأبلغ في نكايتهم من عذاب الجحيم 108 الله جوابا لسؤالهم: اخسئوا فيها ولا تكلمون وهذا القول نسأله تعالى العافية أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون في التخييب، والتوبيخ،

فقال

ومنته عليهم بالإيمان، والإخبار بسعة رحمته، وعموم إحسانه، وفي ضمنه، ما يدل على خضوعهم وخشوعهم، وانكسارهم لربهم، وخوفهم ورجائهم. 109 ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فجمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة، والتوسل إليه بربوبيته، ثم ذكر الحال التي أوصلتهم إلى العذاب، وقطعت عنهم الرحمة فقال: إنه كان فريق من عبادي يقولون

كل بحسب حاله، هم فيها خالدون لا يظعنون عنها، ولا يبيغون عنها حولا لاشتغالها على أكمل النعيم وأفضله وأتمه، من غير مكدر ولا منغص. 11 أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، لأنهم حلوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، أو المراد بذلك جميع الجنة، ليدخل بذلك عموم المؤمنين، على درجاتهم و مراتبهم تفسير الآيتين 10 و 11 :- أولئك الموصوفون بتلك الصفات هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الذي هو

لهم نسيان الذكر، اشتغالهم بالاستهزاء بهم، كما أن نسيانهم للذكر، يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟! 110 ناقصو العقول والأحلام سخرها تهزءون بهم وتحقرونهم، حتى اشتغلتم بذلك السفه. حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون وهذا الذي أوجب فهؤلاء سادات الناس وفضلائهم، فاتخذتموهم أيها الكفرة الأنذال

وصلوا إلي. أنهم هم الفائزون بالنعيم المقيم، والنجاة من الجحيم، كما قال في الآية الأخرى: فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون الآيات. 111

تفسير السعدي

إني جزيتهم اليوم بما صبروا على طاعتي، وعلى أذاكم، حتى

- وعقوبته، ولم يكتسبوا ما اكتسبه المؤمنون من الخير، الذي يوصلهم إلى السعادة الدائمة ورضوان ربهم. كم لبثتم في الأرض عدد سنين 112
- قال لهم على وجه اللوم، وأنهم سفهاء الأحلام، حيث اكتسبوا في هذه المدة اليسيرة كل شر أوصلهم إلى غضبه
- ذلك، لكنه لا يفيد مقداره، ولا يعينه، فهذا قالوا: فاسأل العادين أي: الضابطين لعدده، وأما هم ففي شغل شاغل وعذاب مذهب، عن معرفة عدده 113
- قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم كلامهم هذا، مبني على استقصارهم جدا، لمدة مكثهم في الدنيا وأفاد
- فقال لهم: إن لبثتم إلا قليلا سواء عينتم عدده، أم لا لو أنكم كنتم تعلمون 114
- وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، ولا ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال: وأنكم إلينا لا ترجعون لا يخطر هذا ببالكم 115
- أي: أفحسبتم أيها الخلق أنما خلقناكم عبثا أي: سدى وباطلا، تأكلون وتشربون وتمرحون،
- للخلق كلهم حقا، في صدقه، ووعده، ووعيده، مألوها معبودا، لما له من الكمال رب العرش الكريم فما دونه من باب أولى، يمنع أن يخلقكم عبثا. 116
- فتعالى الله أي: تعاضم وانتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدر في حكمته. الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم فكونه ملكا
- عنها ظلما وعنادا، فهذا سيقدم على ربه، فيجازه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئا، لأنه كافر، إنه لا يفلاح الكافرون فكفرهم منعهم من الفلاح. 117
- أمره ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض
- أي: ومن دعا مع الله آلهة غيره، بلا بينة من
- الراحمين فكل راحم للعبد، فالله خير له منه، أرحم بعبد من الوالدة بولدها، وأرحم به من نفسه. تم تفسير سورة المؤمنين، من فضل الله وإحسانه. 118
- وقل داعيا لربك مخلصا له الدين رب اغفر لنا حتى نتجنبنا من المكروه، وارحمنا، لتوصلنا برحمتك إلى كل خير وأنت خير
- من طين أي: قد سلت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك. 12
- ذكر الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه من سلالة
- أي: جنس الآدميين نطفة تخرج من بين الصلب والترائب، فتستقر في قرار مكين وهو الرحم، محفوظة من الفساد والريح وغير ذلك. 13
- ثم جعلناه
- أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ولهذا كان أخاؤه أفضل المخلوقات وأكملها. 14
- ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون فخلقه كله حسن، والإنسان من
- كونه جمادا، إلى أن صار حيوانا، فتبارك الله أي: تعالى وتعاضم وكثر خيره أحسن الخالقين الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين
- العظام لحما أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عمادا للحم، وذلك في الأربعين الثالثة، ثم أنشأناه خلقا آخر نفخ فيه الروح، فانتقل من
- مضغة أي: قطعة لحم صغيرة، بقدر ما يمزغ من صغرها. فخلقنا المضغة اللينة عظاما صلبة، قد تخللت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها، فكسونا
- ثم خلقنا النطفة التي قد استقرت قبل علقة أي: دما أحمر، بعد مضي أربعين يوما من النطفة، فخلقنا العلقة بعد أربعين يوما
- ثم إنكم بعد ذلك الخلق، ونفخ الروح لميتون في أحد أطواركم وتنقلاتكم 15
- يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى 16
- ثم إنكم يوم القيامة تبعثون فتجازون بأعمالكم، حسننها وسيئها. قال تعالى: أychسب الإنسان أن
- كقوله: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير بلى وهو الخلاق العليم لأن خلق المخلوقات، من أقوى الأدلة العقلية، على علم خالقها وحكمته. 17
- الفلوات، ولا دابة إلا سقنا إليها رزقها وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها وكثيرا ما يقرن تعالى بين خلقه وعلمه
- أيضا محيط بما خلقنا، فلا نفعل مخلوقا ولا ننساه، ولا نخلق خلقا فنضيعه، ولا نفعل عن السماء فتقع على الأرض، ولا ننسى ذرة في لجج البحار وجوانب
- فوق الأخرى، قد زينت بالنجوم والشمس والقمر، وأودع فيها من مصالح الخلق ما أودع، وما كنا عن الخلق غافلين فكما أن خلقنا عام لكل مخلوق، فعلمنا
- ذكر سكنه، وتوفر النعم عليه من كل وجه فقال: ولقد خلقنا فوقكم سقفا للبلاد، ومصلحة للعباد سبع طرائق أي: سبع سماوات طباقا، كل طبقة
- لما ذكر تعالى خلق الآدمي،
- منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدرها عدمها، ماذا يحصل به من الضرر، كقوله تعالى: قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتبكم بماء معين 18
- لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، وإنا على ذهاب به لقادرون إما بأن لا ننزله، أو ننزله، فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه
- في الأرض أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا، حتى
- ولا يزيده زيادة لا تحتل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند الضرر من دوامه، فأسكناه
- وأنزلنا من السماء ماء يكون رزقا لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود،

تفسير السعدي

فاقت بها الأشجار، ولهذا ذكر العام في قوله: لكم فيها أي: في تلك الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون من تين، وأترج، ورماني، وتفتح وغيرها 19 به أي: بذلك الماء جنات أي: بساتين من نخيل وأعناب خص تعالى هذين النوعين، مع أنه ينشئ منه غيرها من الأشجار، لفضلها ومنافعها، التي فأنشأنا لكم

منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها. 2 بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوسواس والأفكار الرديئة، وهذا روح الصلاة، والمقصود والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا في صلاتهم خاشعون

وصبغ للأكلين أي: فيها الزيت، الذي هو دهن، يستعمل استعماله من الاستصباح به، واصطباغ الأكلين، أي: يجعل إداما للأكلين، وغير ذلك من المنافع. 20 تخرج من طور سيناء وهي شجرة الزيتون، أي: جنسها، خصت بالذكر، لأن مكانها خاص في أرض الشام، ولمنافعها، التي ذكر بعضها في قوله: تنبت بالدهن وشجرة

أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومنها تأكلون أفضل المأكول من لحم وشحم. 21 فيها عبرة للمعتبرين، ومنافع للمنتفعين نسقيكم مما في بطونها من لبن، يخرج من بين فرث ودم، خالص سائغ للشاربين، ولكم فيها منافع كثيرة من أي: ومن نعمه عليكم، أن سخر لكم الأنعام، الإبل والبقر والغنم،

أنواع الإحسان، وأدر علينا من خيره الممدار، هو الذي يستحق كمال الشكر، وكمال الثناء، والاجتهاد في عبوديته، وأن لا يستعان بنعمه على معاصيه. 22 أنقلكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، كما جعل لكم السفن في البحر تحملكم، وتحمل متاعكم، قليلا كان أو كثيرا، فالذي أنعم بهذه النعم، وصنف وعليها وعلى الفلك تحملون أي: جعلها سفنا لكم في البر، تحملون عليها

صور قوم صالحين، فعبدوها مع الله، فاستمر على ذلك، يدعوهم سرا وجهارا، وليلا ونهارا، ألف سنة إلا خمسين عاما، وهم لا يزدادون إلا عتوا ونفورا. 23 وإثبات الإلهية لله تعالى، لأنه الخالق الرازق، الذي له الكمال كله، وغيره بخلاف ذلك. أفلا تتقون ما أنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام، التي صورت على عبادة الله وحده، فقال: يا قوم اعبدوا الله أي: أخلصوا له العبادة، لأن العبادة لا تصح إلا بإخلاصها. ما لكم من إله غيره فيه إبطال ألوهية غير الله، يذكر تعالى رسالة عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول رسول أرسله لأهل الأرض، فأرسله إلى قومه، وهم يعبدون الأصنام، فأمرهم

على غيره، فليحمدوا ربهم ويشكروه أن خصهم بنعمة لم تأت آباءهم، ولا شعروا بها، ولا يجعلوا عدم الإحسان على غيرهم سببا لكفرهم للإحسان إليهم. 24 علما بما تقدم، فلا يجعلوا جهلهم حجة لهم، وعلى تقدير أنه لم يرسل فيهم رسولا، فإما أن يكونوا على الهدى، فلا حاجة لإرسال الرسول إذ ذلك، وإما أن يكونوا كما كان. وقولهم: ما سمعنا بهذا أي بإرسال الرسول في آبائنا الأولين وأي حجة في عدم سماعهم إرسال رسول في آبائهم الأولين؟ لأنهم لم يحيطوا بحكمته ورحمته تقتضي أن يكون الرسول من جنس آدميين، لأن الملك لا قدرة لهم على مخاطبته، ولا يمكن أن يكون إلا بصورة رجل، ثم يعود اللبس عليهم من إيصال فضله علينا. وقالوا هنا: ولو شاء الله لأنزل ملائكة وهذه أيضا معارضة بالمشيئة باطلة، فإنه وإن كان لو شاء لأنزل ملائكة، فإنه حكيم رحيم، قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فأخبروا أن هذا فضل الله ومنته، فليس لكم أن تحجروا على الله، وتمنعوه عنها بجواب شاف، على السنة رسله كما في قوله: قالوا أي: لرسولهم إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين النبوة أن يزيد عليكم فضيلة، ليكون متبوعا، وإلا فما الذي يفضل عليكم، وهو من جنسكم؟ وهذه المعارضة لا زالت موجودة في مكذبي الرسل، وقد أجاب الله على وجه المعارضة لنبيه نوح، والتحذير من اتباعه: ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم أي: ما هذا إلا بشر مثلكم، قصده حين ادعى فقال المأ من قومه الأشراف والسادة المتبوعون

إلا من مشبه ضال، منقلب عليه الأمر، قصده الدفع بأي: طريق اتفق له، غير عالم بما يقول؟. ويأبى الله إلا أن يظهر خزي من عاداه وعادى رسله. 25 أثبتوا أن له عقلا يكيدهم به، ليعلوهم ويسودهم، ويحتاج مع هذا أن يحذر منه لئلا يغتر به، فكيف يلتئم مع قولهم: إن هو إلا رجل به جنة وهل هذا والضلال، فإنها لا تصلح للمعارضة بوجه من الوجوه، كما ذكرنا، بل هي في نفسها متناقضة متعارضة. فقوله: ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم انتظروا به حتى حين إلى أن يأتيه الموت. وهذه الشبه التي أوردوها معارضة لنبوة نبيهم، دالة على شدة كفرهم وعنادهم، وعلى أنهم في غاية الجهل إن هو إلا رجل به جنة أي: مجنون فتربصوا به أي:

رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا قال تعالى: ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون 26 فلما رأى نوح أنه لا يفيدهم دعاؤه إلا فرارا قال رب انصرني بما كذبون فاستنصر ربه عليهم، غضبا لله، حيث ضيعوا أمره، وكذبوا رسوله وقال:

أي: أدخلهم إلا من سبق عليه القول كابنه، ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي: لا تدعني أن أنجيهم، فإن القضاء والقدر، قد حتم أنهم مغرقون. 27 أي: أدخل في الفلك من كل جنس من الحيوانات، ذكرا وأنثى، تبقى مادة النسل لسائر الحيوانات، التي اقتضت الحكمة الربانية إيجادها في الأرض، وأهلك عذبوا به وفار التنور أي: فارت الأرض، وتفجرت عيونها، حتى محل النار، الذي لم تجر العادة إلا ببعده عن الماء، فاسلك فيها من كل زوجين اثنين

تفسير السعدي

الفلك أي: السفينة بأعيننا ووحينا أي: بأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا بحيث نراك ونسمعك. فإذا جاء أمرنا بإرسال الطوفان الذي فأوحينا إليه عند استجابتنا له، سببا ووسيلة للنجاة، قبل وقوع أسبابه، أن اصنع

لله الذي نجانا من القوم الظالمين، وهذا تعليم منه له ولمن معه، أن يقولوا هذا شكرا له وحمدا على نجاتهم من القوم الظالمين في عملهم وعذابهم. 28
فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك أي: علوتم عليها، واستقلت بكم في تيار الأمواج، ولجج اليم، فاحمدوا الله على النجاة والسلامة. فقل الحمد الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين إلى أن قال: قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية. 29
مباركا وأنت خير المنزلين أي: وبقيت عليكم نعمة أخرى، فادعوا الله فيها، وهي أن ييسر الله لكم منزلا مباركا، فاستجاب الله دعاءه، قال الله: وقضي وقل رب أنزلني منزلا

كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: كف عليك هذا فالمؤمنون من صفاتهم الحميدة، كف أسنتهم عن اللغو والمحرمات. 3
ملك العبد لسانه وخزنه إلا في الخير كان مالكا لأمره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين وصاه بوصايا قال: ألا أخبرك بملاك ذلك رغبة عنه، وتنزيها لأنفسهم، وترفعاً عنه، وإذا مروا باللغو مروا كراما، وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا والذين هم عن اللغو وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، معرضون

والفلك أيضا من آيات الله، قال تعالى: ولقد تركناها آية فهل من مدكر ولهذا جمعها هنا لأنها تدل على عدة آيات ومطالب. وإن كنا لمبتلين 30
الله وحده المعبود، وعلى أن رسوله نوحا صادق، وأن قومه كاذبون، وعلى رحمة الله بعباده، حيث حملهم في صلب أبيهم نوح، في الفلك لما غرق أهل الأرض. إن في ذلك أي: في هذه القصة لآيات تدل على أن

نوحا وقومه، وكيف أهلكهم قال: ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين الظاهر أنهم ثمود قوم صالح عليه السلام، لأن هذه القصة تشبه قصتهم. 31

لما ذكر

أنه المستحق لذلك، والنهي عن عبادة ما سواه، والإخبار ببطلان ذلك وفساده، ولهذا قال: أفلا تتقون ربكم، فتجتنبوا هذه الأوثان والأصنام. 32
ما دعت إليه الرسل أممهم أن اعبدا الله ما لكم من إله غيره فكلهم اتفقوا على هذه الدعوة، وهي أول دعوة يدعون بها أممهم، الأمر بعبادة الله، والإخبار فأرسلنا فيهم رسولا منهم من جنسهم، يعرفون نسبه وحسبه وصدقه، ليكون ذلك أسرع لانقيادهم، إذا كان منهم، وأبعد عن اشمئزازهم، فدعا إلى بشر مثلكم أي: من جنسكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون فما الذي يفضل عليه عليكم؟ فهلا كان ملكا لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب 33
في الحياة الدنيا أي: قال الرؤساء الذين جمعوا بين الكفر والمعاندة، وأطغاهم ترفهم في الحياة الدنيا، معارضة لنبيهم، وتكذبا وتحذيرا منه: ما هذا إلا وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة وأترفناهم

وابتلي بعبادة الشجر والحجر. وهذا نظير قولهم: قالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر أولقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر 34
من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقلد له. والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته، ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون أي: إن تبعتموه وجعلتموه لكم رئيسا، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا رسالته وردوها، أنكروا ما جاء به من البعث بعد الموت، والمجازاة على الأعمال فقالوا: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون 35
فلما أنكروا

هذا شيء عجيب أنذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فقال في جوابهم: قد علمنا ما تنقص الأرض منهم أي في البلى، وعندنا كتاب حفيظ 36
إن ذلك لمحبي الموتى، إنه على كل شيء قدير، وثم دليل آخر، وهو ما أجاب به المنكرين للبعث في قوله: بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون حتى يسلم لهم إنكارهم للبعث، وينقلوا معهم إلى الاحتجاج على إثبات وجود الخالق العظيم؟ وهنا دليل آخر، وهو: أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، أنشأهم من العدم، فأعادته لهم بعد البلى أهون عليه، وكلاهما هين لديه، فلم لا ينكرون أول خلقهم، ويكابرون المحسوسات، ويقولون: إنا لم نزل موجودين، إلى قدرهم غير ممكن، فقاوسا قدرة الخالق بقدرهم، تعالى الله. فأنكروا قدرته على إحياء الموتى، وعجزوه غاية التعجيز، ونسوا خلقهم أول مرة، وأن الذي أي: بعيد بعيد ما يعدكم به، من البعث، بعد أن تمزقتم وكنتم ترابا وعظاما، فنظروا نظرا قاصرا، ورأوا هذا بالنسبة

إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي: يموت أناس، ويحيا أناس وما نحن بمبعوثين 37

إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي: يموت أناس، ويحيا أناس وما نحن بمبعوثين 38

لما اشتد كفرهم، ولم ينفع فيهم الإنذار، دعا عليهم نبيهم فقال: رب انصرني بما كذبون أي: يهلكهم، وخزيهم الديني، قبل الآخرة. 39

أدناس الأخلاق ومسائى الأعمال التي تزكو النفس بتركها وتجنّبها، فأحسنوا في عبادة الخالق، في الخشوع في الصلاة، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة. 4
والذين هم للزكاة فاعلون أي مؤدون لزكاة أموالهم، على اختلاف أجناس الأموال، مزيين لأنفسهم من

. قال الله مجيبا لدعوته: عما قليل ليصبحن نادمين 40

تفسير السعدي

المحتظر فبعدا للقوم الظالمين أي: أتبعوا مع عذابهم، البعد واللعنة والذم من العالمين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين 41 فجعلناهم غناء أي: هشيما يبسا بمنزلة غناء السيل الملقى في جنبات الوادي، وقال في الآية الأخرى إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم فأخذتهم الصيحة بالحق لا بالظلم والجور، بل بالعدل وظلمهم، أخذتهم الصيحة، فأهلكتهم عن آخرهم.

أي: ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين المعاندين قرونا آخرين 42

كل أمة في وقت مسمى، وأجل محدود، لا تتقدم عنه ولا تتأخر 43

ويكونون عبرة للمتقين، ونكالا للمكذبين، وخزيا عليهم مقرونا بعذابهم. فبعدا لقوم لا يؤمنون ما أشقاهم وتعسا لهم، ما أخسر صفقتهم. 44 على حقيقه ما جاءوا به، فأتبعنا بعضهم بعضا بالهلاك، فلم يبق منهم باقية، وتعطلت مساكنهم من بعدهم وجعلناهم أحاديث يتحدث بهم من بعدهم، دأب الأمم العصاة، والكفرة البغاة، كلما جاء أمة رسولها كذبوه، مع أن كل رسول يأتي من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، بل مجرد دعوة الرسل وشرعهم، يدل ، وأرسلنا إليهم رسلا متتابعة، لعلمهم يؤمنون وينيبون، فلم يزل الكفر والتكذيب

بالله، واستكبروا على أنبيائه، وكانوا قوما عالين أي: وصفهم العلو، والقهر، والفساد في الأرض، فلهذا صدر منهم الاستكبار، ذلك غير مستكثر منهم. 45 ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه ك هامان وغيره من رؤسائهم، فاستكبروا أي: تكبروا عن الإيمان علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثيرا وقال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال هنا: الحق وعاند فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم أي: بتلك الآيات البينات فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ف قال موسى قال لقد عليها لقوتها فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة البينة على المعاندين، وهذا كقوله ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات ولهذا رئيس المعاندين عرف ربه أن يشركه في أمره فأجاب سؤله. بآياتنا الدالة على صدقهما وصحة ما جاء به وسلطان مبين أي: حجة بينة، من قوتها، أن تقهر القلوب، وتتسلط قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعده أي: من بعد نوح رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على ورحمة لعلمهم يتذكرون فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدي ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة التي في سورة القصص، فهي صريحة جدا، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدي على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا، إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين تفسير الآيتين 45 و46: يمر علي منذ زمان طويل كلام

بالله، واستكبروا على أنبيائه، وكانوا قوما عالين أي: وصفهم العلو، والقهر، والفساد في الأرض، فلهذا صدر منهم الاستكبار، ذلك غير مستكثر منهم. 46 ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه ك هامان وغيره من رؤسائهم، فاستكبروا أي: تكبروا عن الإيمان علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثيرا وقال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال هنا: الحق وعاند فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم أي: بتلك الآيات البينات فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ف قال موسى قال لقد عليها لقوتها فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة البينة على المعاندين، وهذا كقوله ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات ولهذا رئيس المعاندين عرف ربه أن يشركه في أمره فأجاب سؤله. بآياتنا الدالة على صدقهما وصحة ما جاء به وسلطان مبين أي: حجة بينة، من قوتها، أن تقهر القلوب، وتتسلط قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعده أي: من بعد نوح رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على ورحمة لعلمهم يتذكرون فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدي ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة التي في سورة القصص، فهي صريحة جدا، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدي على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا، إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين تفسير الآيتين 45 و46: يمر علي منذ زمان طويل كلام

نوح: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي من المعلوم أن هذا لا يصلح لدفع الحق، وأنه تكذيب ومعاندة. 47 نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فكيف نكون تابعين بعد أن كنا متبوعين؟ وكيف يكون هؤلاء رؤساء علينا؟ ونظير قولهم، قول قوم لنا عابدون أي: معبدون بالأعمال والأشغال الشاقة، كما قال تعالى: وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبوحون أبناءكم ويستحيون

تفسير السعدي

كما قاله من قبلهم سواء بسواء، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم وأفعالهم، وجحدوا منة الله عليهما بالرسالة. وقومهما أي: بنو إسرائيل فقالوا كبيرا وتبها، وتحذيرا لضعفاء العقول، وتمويهها: أنؤمن لبشرين مثلنا

ولهذا قال: فكذبوهما فكانوا من المهلكين في الغرق في البحر، وبنو إسرائيل ينظرون. 48

موعظة وتفصيلا لكل شيء. ولهذا قال هنا: لعلهم يهتدون أي: بمعرفة تفاصيل الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ويعرفون ربهم بأسمائه وصفاته. 49 من إقامة أمر الله فيهم، وإظهار شعائره، وعده الله أن ينزل عليه التوراة أربعين ليلة، فذهب لميقات ربه، قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء ولقد آتينا موسى بعدما أهلك الله فرعون، وخلص الشعب الإسرائيلي مع موسى، وتمكن حينئذ

فحفظوا فروجهم من كل أحد إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء المملوكات فإنهم غير ملومين بقربهما، لأن الله تعالى أحلها. 5 تفسير الآيتين 5 و 6 -: والذين هم لفروجهم حافظون عن الزنا، ومن تمام حفظها تجنب ما يدعو إلى ذلك، كالنظر والممس ونحوهما.

المكان الذي أنت فيه، لارتفاعه، سريا أي: نهرا وهو المعين وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا 50 أي: مكان مرتفع، وهذا والله أعلم وقت وضعها، ذات قرار أي: مستقر وراحة ومعين أي: ماء جار، بدليل قوله: قد جعل ربك تحتك أي: تحت وأمه من آيات الله العجيبة، حيث حملته وولده من غير أب، وتكلم في المهد صبيا، وأجرى الله على يديه من الآيات ما أجرى، وأويناهما إلى ربوة أي: وامتننا على عيسى ابن مريم، وجعلناه

فإنه إذا أمر بما أمر به الأنبياء، الذين من قبله، ونهى عما نهوا عنه، دل على أنه من جنسهم، بخلاف الكذاب، فلا بد أن يأمر بالشر، وينهى عن الخير. 51 أهل العلم، والكتب السابقة، والعقل، حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، يستدلون على نبوته بأجناس ما يأمر به، وينهى عنه، كما جرى لهرقل وغيره، بالعهد، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين واليتامى، والحنو والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، ولهذا كان التي هي صلاح في جميع الأزمنة، قد اتفقت عليها الأنبياء والشرائع، كالأمر بتوحيد الله، وإخلاص الدين له، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والبر، والصدق، والوفاء على كل عمل صالح وإن تنوعت بعض أجناس المأمورات، واختلفت بها الشرائع، فإنها كلها عمل صالح، ولكن تتفاوت بتفاوت الأزمنة. ولهذا، الأعمال الصالحة، الله يعلمه، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء وأفضله، فدل هذا على أن الرسل كلهم، متفقون على إباحة الطيبات من المأكول، وتحريم الخبائث منها، وأنهم متفقون الحلال، وشكر الله، بالعمل الصالح، الذي به يصلح القلب والبدن، والدنيا والآخرة. ويخبرهم أنه بما يعملون عليهم، فكل عمل عملوه، وكل سعي اكتسبوه، فإن هذا أمر منه تعالى لرسله بأكل الطيبات، التي هي الرزق الطيب

آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون فالواجب من كل المنتسبين إلى الأنبياء وغيرهم، أن يمتثلوا هذا، ويعملوا به 52 واحد. فاتقون بامتنال أوامري، واجتناب زواجري. وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين، لأنهم بهم يقتدون، وخلفهم يسلكون، فقال: يا أيها الذين ولهذا قال تعالى للرسول: وإن هذه أمتكم أمة أي: جماعتكم يا معشر الرسل جماعة واحدة متفقة على دين واحد، وربكم

أنهم المحقون، وغيرهم على غير الحق، مع أن المحق منهم، من كان على طريق الرسل، من أكل الطيبات، والعمل الصالح، وما عداهم فإنهم مبطلون. 53 المنتسبون إلى اتباع الأنبياء أمرهم أي: دينهم بينهم زبرا أي: قطعا كل حزب بما لديهم أي: بما عندهم من العلم والدين فرحون يزعمون ، ولكن أبى الظالمون المفترون إلا عصيانا، ولهذا قال: فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا أي: تقطع

أي: إلى أن ينزل العذاب بهم، فإنهم لا ينفع فيهم وعظ، ولا يفيدهم زجر، وكيف يفيد من يزعم أنه على الحق، ويطمع في دعوة غيره إلى ما هو عليه؟. 54 فذرهم في غمرتهم أي: في وسط جهلهم بالحق، ودعواهم أنهم هم المحقون. حتى حين

أنما نملي لهم ونمهلهم ونمدهم بالنعم، ليزدادوا إثما، وليتوفر عقابهم في الآخرة، وليغتبطوا بما أوتوا حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة 55 أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة؟ وهذا مقدم لهم، ليس الأمر كذلك. بل لا يشعرون تفسير الآيتين 55 و 56 -: أychسبون أنما نمدهم به من مال وبنيين نسارع لهم في الخيرات أي: أychظنون

أنما نملي لهم ونمهلهم ونمدهم بالنعم، ليزدادوا إثما، وليتوفر عقابهم في الآخرة، وليغتبطوا بما أوتوا حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة 56 أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة؟ وهذا مقدم لهم، ليس الأمر كذلك. بل لا يشعرون تفسير الآيتين 55 و 56 -: أychسبون أنما نمدهم به من مال وبنيين نسارع لهم في الخيرات أي: أychظنون

منهم برهم، وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب، والتقصير في الواجبات. 57 ربهم، خوفا أن يضع عليهم عدله، فلا يبقى لهم حسنة، وسوء ظن بأنفسهم، أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله تعالى، وخوفا على إيمانهم من الزوال، ومعرفة خيرهم وفضلهم، ذكر الذين جمعوا بين الإحسان والخوف، فقال: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون أي: وجلون، مشفقة قلوبهم كل ذلك من خشية لما ذكر تعالى الذين جمعوا بين الإساءة والأمن، الذين يزعمون أن عطاء الله إياهم في الدنيا دليل على

ويتفكرون أيضا في الآيات الأفقية، كما في قوله: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار إلى آخر الآيات. 58

تفسير السعدي

واتفاقه، وعدم اختلافه وتناقضه، وما يدعو إليه من معرفة الله وخوفه ورجائه، وأحوال الجزاء، فيحدث لهم بذلك من تفاصيل الإيمان، ما لا يعبر عنه اللسان. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون أي: إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، ويتفكرون أيضاً في الآيات القرآنية ويتدبرونها، فيبين لهم من معاني القرآن وجلالته

أي: لا شركاً جلياً، كاتخاذ غير الله معبوداً، يدعوه ويرجوه ولا شركاً خفياً، كالرياء ونحوه، بل هم مخلصون لله، في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم. 59 والذين هم بربهم لا يشركون

فحفظوا فروجهم من كل أحد إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء المملوكات فإنهم غير ملومين بقربهم، لأن الله تعالى أحلها. 6 تفسير الآيتين 5 و 6 :- والذين هم لفروجهم حافظون عن الزنا، ومن تمام حفظها تجنب ما يدعو إلى ذلك، كالنظر واللمس ونحوهما. أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين يديه، أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله، لعلمهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العبادات. 60 مما أمروا به، ما أتوا من كل ما يقدر عليه، من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة، وغير ذلك، و مع هذا قلوبهم وجلّة أي: خائفة أنهم إلى ربهم راجعون والذين يؤتوا ما أتوا أي: يعطون من أنفسهم

وهم لها أي: للخيرات سابقون قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون. 61 الزلفى عند ربهم، فنافسوه. ولما كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجدّه وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين فقال: خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزه وبادروه، قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في أولئك يسارعون في الخيرات أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل الذي فيه كل شيء، وهو يطابق كل واقع يكون، فلذلك كان حقاً، وهم لا يظلمون أي لا ينقص من إحسانهم، ولا يزداد في عقوبتهم وعصيانهم. 62 يستوعب قوتها، رحمة منه وحكمة، لتيسير طريق الوصول إليه، ولتعمّر جادة السالكين في كل وقت إليه. ولدينا كتاب ينطق بالحق وهو الكتاب الأول، واهم أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور أو متعسر، أخبر تعالى أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي: بقدر ما تسعه، ويفضل من قوتها عنه، ليس مما ولما ذكر مسارعتهم إلى الخيرات وسبقهم إليها، ربما وهم

فيهم، فإن الله يمهّلهم ليعملوا هذه الأعمال، التي بقيت عليهم مما كتب عليهم، فإذا عملوها واستوفوها، انتقلوا بشر حالة إلى غضب الله وعقابه. 63 الكفرية، والمعاندة للشرع، ما هو موجب لعقابهم، و لكن لهم أعمال من دون هذه الأعمال هم لها عاملون أي: فلا يستغربوا عدم وقوع العذاب بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا فلما كانت قلوبهم في غمرة منه، عملوا بحسب هذا الحال، من الأعمال والغفلة والإعراض، تمنعهم من الوصول إلى هذا القرآن، فلا يهتدون به، ولا يصل إلى قلوبهم منه شيء. وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون يخبر تعالى أن قلوب المكذبين في غمرة من هذا، أي: وسط غمرة من الجهل والظلم،

ولم تحصل لهم المكارة، فإذا أخذناهم بالعذاب ووجدوا مسه إذا هم يجأرون يصرخون ويتوجعون، لأنه أصابهم أمر خالف ما هم عليه 64 حتى إذا أخذنا مترفيهم أي: متنعميهم، الذين ما اعتادوا إلا الترف والرفاهية والنعيم، لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون وإذا لم تأتهم النصرة من الله، وانقطع عنهم الغوث من جانبه، لم يستطيعوا نصر أنفسهم، ولم ينصرهم أحد. 65 ، ويستغيثون، فيقال لهم:

على أعقابكم تنكصون أي: راجعين القهقري إلى الخلف، وذلك لأن باتباعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون وينزلون إلى أسفل سافلين. 66 فكأنه قيل: ما السبب الذي أوصلهم إلى هذا الحال؟ قال: قد كانت آياتي تتلى عليكم لتؤمنوا بها وتقبلوها عليها، فلم تفعلوا ذلك، بل كنتم

لهذه الرذائل، لا جرم حقت عليهم العقوبة، ولما وقعوا فيها، لم يكن لهم ناصر ينصرهم، ولا مغيث ينقذهم، ويوبخون عند ذلك بهذه الأعمال الساقطة 67 والغوا فيه لعلكم تغلبون وقال الله عنهم: أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون أم يقولون تقوله فلما كانوا جامعين الذي هو القبيح في هذا القرآن. فالمكذبون كانت طريقتهم في القرآن، الإعراض عنه، ويوصي بعضهم بعضاً بذلك وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن بسببه، تقولون: نحن أهل الحرم، فنحن أفضل من غيرنا وأعلى، سامرا أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت تهجرون أي: تقولون الكلام الهجر مستكبرين به سامرا تهجرون قال المفسرون معناه: مستكبرين به، الضمير يعود إلى البيت، المعهود عند المخاطبين، أو الحرم، أي: متكبرين على الناس

قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم فهل تتبعون إن كان قصدكم الحق، فأجابوا بحقيقة أمرهم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون 68 الكفار، ما أخبر الله عنهم: وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فأجابهم بقوله: من الإيمان، أنه جاءهم رسول وكتاب، ما جاء آبائهم الأولين، فرضوا بسلوك طريق آبائهم الضالين، وعارضوا كل ما خالف ذلك، ولهذا قالوا، هم ومن أشبههم من أن تدبر القرآن، يدعو إلى كل خير، ويعصم من كل شر، والذي منعهم من تدبره أن على قلوبهم أفعالها. أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أي: أو منعهم في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه، أي: فإنهم لو تدبروه، لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه، ودل هذا على

أفلم يدبروا القول أي: أفلا يتفكرون

خلق جميل، ويعرفون صدقه وأمانته، حتى كانوا يسمونه قبل البعثة الأمين فلم لا يصدقونه، حين جاءهم بالحق العظيم، والصدق المبين؟. 69
نظر حاله ونسأل عنه من له به خبرة، أي: لم يكن الأمر كذلك، فإنهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة تامة، صغيروهم وكبيرهم يعرفون منه كل
أي: أو منعهم من اتباع الحق، أن رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم، غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟ يقولون: لا نعرفه، ولا نعرف صدقه، دعونا حتى
أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون

لأنها ليست مما ملكت يمينه، بل هي ملك له ولغيره، فكما أنه لا يجوز أن يشترك في المرأة الحرة زوجان، فلا يجوز أن يشترك في الأمة المملوكة سيدان. 7
ولا مملوكة، وتحريم نكاح المحلل لذلك. ويدل قوله أو ما ملكت أيمانهم أنه يشترط في حل المملوكة أن تكون كلها في ملكه، فلو كان له بعضها لم تحل،
الذين تعدوا ما أحل الله إلى ما حرمه، المتجرون على محارم الله. وعموم هذه الآية، يدل على تحريم نكاح المتعة، فإنها ليست زوجة حقيقة مقصودا بقاؤها،
فمن ابتغى وراء ذلك غير الزوجة والسرية فأولئك هم العادون

للحق بالأصل، هو الذي أوجب لهم التكذيب بالحق لا شكا ولا تكذيبا للرسول، كما قال تعالى: فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون 70
الذي جاءهم به إخلاص العبادة لله وحده، وترك ما يعبد من دون الله، وقد علم كراحتهم لهذا الأمر وتعجبهم منه، فكون الرسول أتى بالحق، وكونهم كارهين
ومكارم الأخلاق، وأيضا فإن في هذا الانتقال مما تقدم، أي: بل الحقيقة التي منعهم من الإيمان أنه جاءهم بالحق وأكثرتهم للحق كارهون وأعظم الحق
أي: بالأمر الثابت، الذي هو صدق وعدل، لا اختلاف فيه ولا تناقض، فكيف يكون من جاء به، به جنة؟! وهلا يكون إلا في أعلى درج الكمال، من العلم والعقل
قال ما قال، والمجنون غير مسموع منه، ولا عبرة بكلامه، لأنه يهذي بالباطل والكلام السخيف. قال الله في الرد عليهم في هذه المقالة: بل جاءهم بالحق
أم يقولون به جنة أي: جنون، فهذا

ومن جاء به، أعظم نعمة ساقها الله إليهم، فلم يقابلوها إلا بالرد والإعراض، فهل بعد هذا الحرمان حرمان؟ وهل يكون وراءه إلا نهاية الخسران؟. 71
يقومون به، ويكونون به سادة الناس. فهم عن ذكرهم معرضون شقاوة منهم، وعدم توفيق نسوا الله فنسيهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم فالقرآن
وعدم العدل، فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل بل أتيناكم بذكرهم أي: بهذا القرآن المذكر لهم بكل خير، الذي به فخرهم وشرفهم، حين
أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، لفساد التصرف والتدبير المبني على الظلم
لم لم يكن الحق موافقا لأهوائهم لأجل أن يؤمنوا و يسرعوا الانقياد؟ أجاب تعالى بقوله: ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ووجه ذلك أن
فإن قيل:

نصحا لهم، وتحصيلا لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال. 72
وهذا كما قال الأنبياء لأممهم: يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الله أي: ليسوا يدعون الخلق طمعا فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنما يدعون
أجرا فهم من مغرم مثقلون يتكلفون من اتباعك، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ليس الأمر كذلك فخارج ربك خير وهو خير الرازقين
أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد، أنك تسألهم على الإجابة

لا بد أن يكون منحرفا في جميع أموره، قال تعالى: فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله 73
عن الصراط لناكبون متجنبون منحرفون، عن الطريق الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات. وهكذا كل من خالف الحق،
أن يتبعك، لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتابعوك؟ فإنهم ليس عندهم ما يغنيهم ويكفيهم عن متابعتك، لأنهم
موصل إلى المقصود، من قرب حنيقية سمحة، حنيقية في التوحيد، سمحة في العمل، فدعوتك إليهم إلى الصراط المستقيم، موجب لمن يريد الحق
وسلم، وكمال صدقه وأمانته، وأنه لا يسألهم عليه أجرا، وإنما سعيه لنفعهم ومصالحهم، وأن الذي يدعوهم إليه صراط مستقيم، سهل على العاملين لاستقامته،
قالوا: برسولهم جنة، كما تقدم الكلام عليها، وذكر من الأمور الموجبة لإيمانهم، تدبر القرآن، وتلقي نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال الرسول محمد صلى الله عليه
سبب موجب للإيمان، وذكر الموانع، وبين فسادها، واحدا بعد واحد، فذكر من الموانع أن قلوبهم في غمرة، وأنهم لم يدبروا القول، وأنهم اقتدوا بأبائهم، وأنهم
تفسير الآيتين 73 و 74 ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات، كل

لا بد أن يكون منحرفا في جميع أموره، قال تعالى: فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله 74
عن الصراط لناكبون متجنبون منحرفون، عن الطريق الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات. وهكذا كل من خالف الحق،
أن يتبعك، لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتابعوك؟ فإنهم ليس عندهم ما يغنيهم ويكفيهم عن متابعتك، لأنهم
موصل إلى المقصود، من قرب حنيقية سمحة، حنيقية في التوحيد، سمحة في العمل، فدعوتك إليهم إلى الصراط المستقيم، موجب لمن يريد الحق
وسلم، وكمال صدقه وأمانته، وأنه لا يسألهم عليه أجرا، وإنما سعيه لنفعهم ومصالحهم، وأن الذي يدعوهم إليه صراط مستقيم، سهل على العاملين لاستقامته،
قالوا: برسولهم جنة، كما تقدم الكلام عليها، وذكر من الأمور الموجبة لإيمانهم، تدبر القرآن، وتلقي نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال الرسول محمد صلى الله عليه
سبب موجب للإيمان، وذكر الموانع، وبين فسادها، واحدا بعد واحد، فذكر من الموانع أن قلوبهم في غمرة، وأنهم لم يدبروا القول، وأنهم اقتدوا بأبائهم، وأنهم

تفسير الآيتين 73 و 74 ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمت، كل

كما ذكر الله حالهم عند ركوب الفلك، وأنهم يدعون مخلصين له الدين، وينسون ما يشركون به، فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بالشرك وغيره. 75 عنهم ليؤمنوا، أو ابتلاهم بذلك ليرجعوا إليه. إن الله إذا كشف الضر عنهم لجوا، أي: استمروا في طغيانهم يعمهون، أي: يجولون في كفرهم، حائرين مترددين. هذا بيان لشدة تمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف

وذلوا وما يتضرعون إليه ويفتقرون، بل مر عليهم ذلك ثم زال، كأنه لم يصبهم، لم يزالوا في غيهم وكفرهم، ولكن وراءهم العذاب الذي لا يرد 76 الذي أصابهم سبع سنين، وأن الله ابتلاهم بذلك، ليرجعوا إليه بالذل والاستسلام، فلم ينجع فيهم، ولا نجح منهم أحد، فما استكانوا لربهم أي: خضعوا ولقد أخذناهم بالعذاب قال المفسرون: المراد بذلك: الجوع

الدنيوية، التي يؤدب الله بها عباده. قال تعالى فيها: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون 77 آيسون من كل خير، قد حضرهم الشر وأسبابه، فليحذروا قبل نزول عذاب الله الشديد، الذي لا يرد، بخلاف مجرد العذاب، فإنه ربما أقنع عنهم، كالعقوبات حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد كالقتل يوم بدر وغيره، إذا هم فيه مبلسون

تفقدون من ضرورياتكم وكما لكم؟ أفلا تشكرون الذي من عليكم بهذه النعم، فتقومون بتوحيده وطاعته؟. ولكنكم، قليل شكركم، مع توالي النعم عليكم. 78 أي: العقول التي تدركون بها الأشياء، وتتميزون بها عن البهائم، فلو عدمتم السمع، والأبصار، والعقول، بأن كنتم صما عميا بكما ماذا تكون حالكم؟ وماذا الذي أنشأ لكم السمع لتدركوا به المسموعات، فتنتفعوا في دينكم ودنياكم، والأبصار لتدركوا بها المبصرات، فتنتفعوا بها في مصالحكم. والأفئدة يخبر تعالى بمننه على عباده الداعية لهم إلى شكره، والقيام بحقه فقال: وهو

كافية لمعايشكم ومساكنكم، وإليه تحشرون بعد موتكم، فيجازيكم بما عملتم في الأرض، من خير وشر، وتحدث الأرض التي كنتم فيها بأخبارها 79 وهو تعالى الذي ذرأكم في الأرض أي: بثكم في أقطارها، وجهاتها، وسلطكم على استخراج مصالحها ومنافعها، وجعلها

بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود، التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها 80 الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمور، وأداء الأمانتين إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وكذلك العهد، ويشمل العهد الذي وأشفق منها وحملها الإنسان فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها،

تخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، وتركوا عبادة من لا ينفع ولا يضر، ولا يتصرف بشيء، بل هو عاجز من كل وجه، فلو كان لكم عقل لم تفعلوا ذلك. 80 من النعم، السمع، والأبصار، والأفئدة، والذي نترككم في الأرض وحده، والذي يحيي ويميت وحده، والذي يتصرف بالليل والنهار وحده، أن ذلك موجب لكم، أن ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. ولهذا قال هنا: أفلا تعقلون فتعرفون أن الذي وهب لكم فلو شاء أن يجعل النهار سرمدا، من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟ ولو شاء أن يجعل الليل سرمدا، من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تبصرون؟. وهو تعالى وحده الذي يحيي ويميت أي: المتصرف في الحياة والموت، هو الله وحده، وله اختلاف الليل والنهار أي: تعاقبها وتناوبها،

من المكذبين بالبعث، واستبعدوه غاية الاستبعاد وقالوا: أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أي: هذا لا يتصور، ولا يدخل العقل، بزعمهم. 81 تفسير الآيتين 81 و 82 أي: بل سلك هؤلاء المكذبون مسلك الأولين

من المكذبين بالبعث، واستبعدوه غاية الاستبعاد وقالوا: أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أي: هذا لا يتصور، ولا يدخل العقل، بزعمهم. 82 تفسير الآيتين 81 و 82 أي: بل سلك هؤلاء المكذبون مسلك الأولين

وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم الآيات وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت الآيات. 83 بها وتلهي، وإلا فليس لها حقيقة، وكذبوا قبحهم الله فإن الله أراهم، من آياته أكبر من البعث، ومثله، لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس هذا من قبل أي: ما زلنا نعهد بأن البعث كائن، نحن وآباؤنا، ولم نره، ولم يأت بعد، إن هذا إلا أساطير الأولين أي: قصصهم وأسمارهم، التي يتحدث لقد وعدنا نحن وآباؤنا

في بعض الأوقات. والحقيقة أنكم إن رجعتم إلى ذاكرتكم، بمجرد التأمل، علمتم أن مالك ذلك، هو المعبود وحده، وأن إلهية من هو مملوك أبطل الباطل 84 الله وحده. فقل لهم إذا أقروا بذلك: أفلا تذكرون أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عنكم، مستقر في فطركم، قد يعييه الإعراض فيها أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات وجماد وبحار وأنهار وجبال، المالك لذلك، المدير له؟ فإنك إذا سألتهم عن ذلك، لا بد أن يقولوا: ما أنكره من توحيد الإلهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة، على ما أنكره من إعادة الموتى، الذي هو أسهل من ذلك. لمن الأرض ومن تفسير الآيتين 84 و 85 أي: قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه، وأقروا به، من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على

تفسير السعدي

في بعض الأوقات. والحقيقة أنكم إن رجعتكم إلى ذاكرتكم، بمجرد التأمل، علمتم أن مالك ذلك، هو المعبود وحده، وأن إلهية من هو مملوك أبطل الباطل 85 الله وحده. فقل لهم إذا أقروا بذلك: أفلا تذكرون أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عنكم، مستقر في فطركم، قد يعيبه الإعراض فيها أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات وجماد وبحار وأنهار وجبال، المالك لذلك، المدير له؟ فإنك إذا سألتهم عن ذلك، لا بد أن يقولوا: ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة، على ما أنكروه من إعادة الموتى، الذي هو أسهل من ذلك. لمن الأرض ومن تفسير الآيتين 84 و85 أي: قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه، وأقروا به، من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على السيارات، والثوابت ورب العرش العظيم الذي هو أعلى المخلوقات وأوسعها وأعظمها، فمن الذي خلق ذلك ودبره، وصرفه بأنواع التدبير؟ 86 قل من رب السماوات السبع وما فيها من النيرات، والكواكب

العظيم، كامل القدرة، عظيم السلطان؟ وفي هذا من لطف الخطاب، من قوله: أفلا تذكرون أفلا تتقون والوعظ بأداة العرض الجاذبة للقلوب 87 سيقولون لله أي: سيقرون بأن الله رب ذلك كله. قل لهم حين يقرون بذلك: أفلا تتقون عبادة المخلوقات العاجزة، وتتقون الرب المكاره، ويحفظهم مما يضرهم، ولا يجار عليه أي: لا يقدر أحد أن يجير على الله. ولا يدفع الشر الذي قدره الله. بل ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه 88 من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نصره، وما لا نصره؟ و الملكوت ب صيغة مبالغة بمعنى الملك. وهو يجير عباده من الشر، ويدفع عنهم قل من بيده ملكوت كل شيء أي: ملك كل شيء،

إلا مسحورة، وهي بلا شك قد سحرها الشيطان، بما زين لهم، وحسن لهم، وقلب الحقائق لهم، فسحر عقولهم، كما سحرت السحرة أعين الناس. 89 لهم، ولا قسط من الملك، وأنهم عاجزون من جميع الوجوه، وتركتهم الإخلاص للمالك العظيم القادر المدير لجميع الأمور، فالعقول التي دلتكم على هذا، لا تكون شيء، المجير، الذي لا يجار عليه. قل لهم حين يقرون بذلك، ملزما لهم، فأنى تسحرون أي: فأين تذهب عقولكم، حيث عبدتم من علمتم أنهم لا ملك سيقولون لله أي: سيقرون أن الله المالك لكل

وبالمحافظة عليها، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص. 9 والذين هم على صلواتهم يحافظون أي: يداومون عليها في أوقاتها وحدودها وأشراتها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة،

العدل في الأمر والنهي، فما بالهم لا يعترفون به، وهو أحق أن يتبع؟ وليس عندهم ما يعرضهم عنه، إلا الكذب والظلم، ولهذا قال: وإنهم لكاذبون 90 يقول تعالى: بل أتينا هؤلاء المكذبين بالحق، المتضمن للصدق في الأخبار،

إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة 91 تقدير إلهين ربين؟ سبحانه الله عما يصفون قد نطقت بلسان حالها، وأفهمت بديع أشكالها، أن المدير لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة على مصلحة أحد دون أحد، ولن ترى فيها خلا ولا تناقضا، ولا معارضة في أدنى تصرف، فهل يتصور أن يكون ذلك، واعتبر ذلك بالشمس والقمر، والكواكب الثابتة، والسيارة، فإنها منذ خلقت، وهي تجري على نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة الآخر ومغالبتة، ولعلا بعضهم على بعض فالغالب يكون هو الإله، وإلا فمع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا يتصور أن ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول، إلهين فقال: إذا أي: لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله بما خلق أي: لانفرد كل واحد من الإلهين بمخلوقاته، واستقل بها، ولحرص على ممانعة ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله كذب يعرف بخبر الله، وخبر رسله، ويعرف بالعقل الصحيح، ولهذا نبه تعالى على الدليل العقلي، على امتناع والمستحيالات والممكنات، والشهادة وهو ما نشاهد من ذلك فتعالى أي: ارتفع وعظم، عما يشركون به، من لا علم عنده، إلا ما علمه الله 92 نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: عالم الغيب أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات

وارحمي، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنقم، واحمني أيضا من العذاب الذي ينزل بهم، لأن العقوبة العامة تعم عند نزولها العاصي وغيره 93 الله رسوله أن يقول: قل رب إما تربيني ما يوعدون أي: أي وقت أريتني عذابهم، وأحضرتني ذلك رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي: اعصمني تفسير الآيتين 93 و 94 لما أقام تعالى على المكذبين أدلته العظيمة، فلم يلتفتوا لها، ولم يذعنوا لها، حق عليهم العذاب، ووعدوا بنزوله، وأرشد

وارحمي، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنقم، واحمني أيضا من العذاب الذي ينزل بهم، لأن العقوبة العامة تعم عند نزولها العاصي وغيره 94 الله رسوله أن يقول: قل رب إما تربيني ما يوعدون أي: أي وقت أريتني عذابهم، وأحضرتني ذلك رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي: اعصمني تفسير الآيتين 93 و 94 لما أقام تعالى على المكذبين أدلته العظيمة، فلم يلتفتوا لها، ولم يذعنوا لها، حق عليهم العذاب، ووعدوا بنزوله، وأرشد ، قال الله في تقريب عذابهم: وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ولكن إن أخرجناه فلحكمة، وإلا، فقدرتنا صالحة لإيقاعه فيهم. 95

من الشياطين، فإنه لا يفيد فيه الإحسان، ولا يدعو حزبه إلا ليكونوا من أصحاب السعير، فالوظيفة في مقابلته، أن يسترشد بما أرشد الله إليه رسوله 96 لنا، وتكذيبهم لنا، فأنت يا محمد ينبغي لك أن تصبر على ما يقولون، وتقابلهم بالإحسان، هذه وظيفة العبد في مقابلة المسيء من البشر، وأما المسيء نحن أعلم بما يصفون أي: بما يقولون من الأقوال المتضمنة للكفر والتكذيب بالحق، قد أحاط علمنا بذلك، وقد حلمنا عنهم، وأمهلناهم، وصبرنا عليهم، والحق

تفسير السعدي

أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها أي: ما يوفق لهذا الخلق الجميل إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وقوله: بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب، قال تعالى: فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال تعالى: ادفع بالتي هي أنه تخف الإساءة عنك، في الحال، وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، هذا من مكارم الأخلاق، التي أمر الله رسوله بها فقال: ادفع بالتي هي أحسن السيئة أي: إذا أساء إليك أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم

وقل رب أعوذ بك أي اعتصم بحولك وقوتك متبرئاً من حولي وقوتي من همزات الشياطين 97

فيها، الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان، ومن مسه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر، وأجاب دعاءه، سلم من كل شر، ووفق لكل خير. 98 بك من الشر الذي يصيبني بسبب مباشرتهم وهمزهم ومسهم، ومن الشر الذي بسبب حضورهم ووسوستهم، وهذه استعاذة من مادة الشر كله وأصله، ويدخل وأعوذ بك رب أن يحضرون أي: أعوذ

الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبة. 99 غير صادق في ذلك، فإنه لو رد لعاد لما نهي عنه. ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشئين، فهو هنا: لا يرجعون، إنها أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا كلمة هو قائلها أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضاً شهواتها وإنما ذلك يقول: لعلني أعمل صالحاً فيما تركت من العمل، وفرطت في جنب الله. كلا أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف تفسير الآيتين 99 و100 يخبر تعالى عن

سورة 24

جليلة، وأوامر وزواجر، وحكما عظيمة لعلكم تذكرون حين نبين لكم، ونعلمكم ما لم تكونوا تعلمون. ثم شرع في بيان تلك الأحكام المشار إليها 1 رحمة منا بالعباد، وحفظناها من كل شيطان وفرضاها أي: قدرنا فيها ما قدرنا، من الحدود والشهادات وغيرها، وأنزلنا فيها آيات بينات أي: أحكاما أي: هذه سورة عظيمة القدر أنزلناها

ثبوت هذا الحكم الخاص بالزوجين، لشدة الحاجة إليه، وأن بين لكم شدة الزنا وفظاعته، وفظاعة القذف به، وأن شرع التوبة من هذه الكبائر وغيرها. 10 وأن الله تواب حكيم وجواب الشرط محذوف، يدل عليه سياق الكلام أي: لأحل بأحد المتلاعنين الكاذب منهما، ما دعا به على نفسه، ومن رحمته وفضله، ولولا فضل الله عليكم ورحمته

كبره أي: معظم الإفك، وهو المنافق الخبيث، عبد الله بن أبي بن سلول لعنه الله له عذاب عظيم ألا وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار. 11 ما اكتسب من الإثم وهذا وعيد للذين جاءوا بالإفك، وأنهم سيعاقبون على ما قالوا من ذلك، وقد حد النبي صلى الله عليه وسلم منهم جماعة، والذي تولى فليكره من كل أحد، أن يقدح في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه وعدم نصحه. لكل امرئ منهم توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه، ذلك، وإذا أراد الله أمراً جعل له سبباً، ولذلك جعل الخطاب عاماً مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قدح بعضهم ببعض كقدح في أنفسهم، ففيه أن المؤمنين في الله عليه وسلم، ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد، التي ما زال العمل بها إلى يوم القيامة، فكل هذا خير عظيم، لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لما تضمن ذلك تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها، والتنويه بذكرها، حتى تناول عموم المدح سائر زوجات النبي صلى أم المؤمنين عصة منكم أي: جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين، منهم المؤمن الصادق في إيمانه ولكنه اغتر بترويج المنافقين ومنهم المنافق. براءتها في هذه الآيات، ووعظ الله المؤمنين، وأعظم ذلك، ووصاهم بالوصايا النافعة. فقله تعالى: إن الذين جاءوا بالإفك أي: الكذب الشنيع، وهو رمي يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وبلغ الخبر عائشة بعد ذلك بمدة، فحزنت حزناً شديداً، فأنزل الله تعالى الله عليه وسلم، في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقيود بها بعد ما نزل الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي صلى في مسيرهم، وكان صفوان بن المعطل السلمي، من أفاضل الصحابة رضي الله عنه، قد عرس في أخريات القوم ونام، فرأى عائشة رضي الله عنها فعرفها، عقدها فانحبست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها، فلم يفقدوها، ثم استقل الجيش راحلاً، وجاءت مكانهم، وعلمت أنهم إذا فقدوها، رجعوا إليها فاستمروا الثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد. وحاصلها أن النبي صلى الله عليه وسلم، في بعض غزواته، ومعه زوجته عائشة الصديقة بنت الصديق، فانقطع بالزنا عموماً، صار ذلك كأنه مقدمة لهذه القصة، التي وقعت على أشرف النساء، أم المؤمنين رضي الله عنها، وهذه الآيات، نزلت في قصة الإفك المشهورة، لما ذكر فيما تقدم، تعظيم الرمي

تفسير السعدي

- وبهت، من أعظم الأشياء، وأبينها. فهذا من الظن الواجب، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن، مثل هذا الكلام، أن يبهره بلسانه، ويكذب القائل لذلك. 12
- من الإفك الباطل، وقالوا بسبب ذلك الظن سبحانه أي: تنزيها لك من كل سوء، وعن أن تبتلي أصفاءك بالأمور الشنيعة، هذا إفك مبين أي: كذب المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي: ظن المؤمنون بعضهم ببعض خيرا، وهو السلامة مما رموا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال: لولا إذ سمعتموه ظن
- ولم يقل فأولئك هم الكاذبون وهذا كله، من تعظيم حرمة عرض المسلم، بحيث لا يجوز الإقدام على رميه، من دون نصاب الشهادة بالصدق. 13
- كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في حكم الله، لأن الله حرم عليهم التكلم بذلك، من دون أربعة شهود، ولهذا قال: فأولئك عند الله هم الكاذبون عليه بأربعة شهداء أي: هلا جاء الرامون على ما رموا به، بأربعة شهداء أي: عدول مرضيين. فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وإن لولا جاءوا
- من شأن الإفك عذاب عظيم لاستحقاقكم ذلك بما قلتم، ولكن من فضل الله عليكم ورحمته، أن شرع لكم التوبة، وجعل العقوبة مطهرة للذنوب. 14
- ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة بحيث شملكم إحسانه فيهما، في أمر دينكم ودنياكم، لمسكم فيما أفضتم أي: خضتم فيه بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيد حسبانته شيئا، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه موافقته مرة أخرى. 15
- وتحسبونه هينا فلذلك أقدم عليه من أقدم من المؤمنين الذين تابوا منه، وتطهروا بعد ذلك، وهو عند الله عظيم وهذا فيه الزجر البليغ، عن تعاطي بعضكم إلى بعض، وتستوشون حديثه، وهو قول باطل. وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم والأمران محظوران، التكلم بالباطل، والقول بلا علم، إذ تلقونه بالسنتكم أي: تلقفونه، ويلقيه
- لنا أن نتكلم بهذا أي: ما ينبغي لنا، وما يليق بنا الكلام، بهذا الإفك المبين، لأن المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح هذا بهتان أي: كذب عظيم. 16
- ولولا إذ سمعتموه أي: وهلا إذ سمعتم أيها المؤمنون كلام أهل الإفك قلتم منكرين لذلك، معظمين لأمره: ما يكون والشكر له، على ما بين لنا إن الله نعمًا يعظكم به إن كنتم مؤمنين دل ذلك على أن الإيمان الصادق، يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات. 17
- أي: لنظيره، من رمي المؤمنين بالفجور، فالله يعظكم وينصحكم عن ذلك، ونعم المواعظ والنصائح من ربنا فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان، والتسليم يعظكم الله أن تعودوا لمثله
- لكم توضيحا جليا. والله عليم أي: كامل العلم عام الحكمة، فمن علمه وحكمته، أن علمكم من علمه، وإن كان ذلك راجعا لمصالحكم في كل وقت. 18
- ويبين الله لكم الآيات المشتملة على بيان الأحكام، والوعظ، والزجر، والترغيب، والترهيب، يوضحها
- المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. والله يعلم وأنتم لا تعلمون فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلون. 19
- وسواء كانت الفاحشة صادرة أو غير صادرة. وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟
- المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم أي: موجه للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة أي: الأمور الشنيعة
- الحد فعلا، فإن مشاهدة أحكام الشرع بالفعل، مما يقوى بها العلم، ويستقر به الفهم، ويكون أقرب لإصابة الصواب، فلا يزداد فيه ولا ينقص، والله أعلم. 2
- عليه، فلا نرحمه من هذا الجانب، وأمر تعالى أن يحضر عذاب الزانيين طائفة، أي: جماعة من المؤمنين، ليشتهر ويحصل بذلك الخزي والارتداد، وليشاهدوا أو صداقة أو غير ذلك، وأن الإيمان موجب لانتفاء هذه الرأفة المانعة من إقامة أمر الله، فرحمته حقيقة، بإقامة حد الله عليه، فنحن وإن رحمناه لجريان القدر السنة الصحيحة المشهورة، أن حده الرجم، ونهانا تعالى أن تأخذنا رأفة بهما في دين الله، تمنعنا من إقامة الحد عليهم، سواء رأفة طبيعية، أو لأجل قرابة هذا الحكم في الزاني والزانية البكرين، أنهما يجلد كل منهما مائة جلدة، وأما الثيب، فقد دلت
- والحكم الجليلة، ولما أمهل من خالف أمره، ولكن فضله ورحمته، وأن ذلك وصفه اللازم أثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه. 20
- ولولا فضل الله عليكم قد أحاط بكم من كل جانب ورحمته عليكم وأن الله رءوف رحيم لما بين لكم هذه الأحكام والمواعظ،
- أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها ولهذا قال: ولكن الله يزكي من يشاء من يعلم منه أن يزكى بالتزكية، ولهذا قال: والله سميع عليم 21
- يتضمن الطهارة والنماء، ولكن فضله ورحمته أوجبا أن يتزكى منكم من تزكى. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم آت نفسي تقواها، وزكها مستول على العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، فلو خلى وهذه الدواعي، ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب والسيئات والنماء بفعل الحسنات، فإن الزكاء من أحد أبداً أي: ما تظهر من اتباع خطوات الشيطان، لأن الشيطان يسعى، هو وجنده، في الدعوة إليها وتحسينها، والنفس ميالة إلى السوء أمارة به، والنقص عن التدنس بالردائل والقبائح، فمن إحسانه عليهم، أن نهاهم عنها، كما نهاهم عن أكل السموم القاتلة ونحوها، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم العقول ولا تعرفه. فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان، لا تخرج عن ذلك، فهي الله عنها للعباد، نعمة منه عليهم أن يشكروه ويذكروه، لأن ذلك صيانة لهم فإنه أي: الشيطان يأمر بالفحشاء أي: ما تستفحشه العقول والشرائع، من الذنوب العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه. والمنكر وهو ما تنكره

تفسير السعدي

الحكم، وهو: النهي عن اتباع خطوات الشيطان. والحكمة وهو بيان ما في المنهي عنه، من الشر المقتضي، والداعي لتركه فقال: ومن يتبع خطوات الشيطان لا تتبعوا خطوات الشيطان أي: طريقه ووساوسه. وخطوات الشيطان، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان والبدن. ومن حكمته تعالى، أن بين ولما نهى عن هذا الذنب بخصوصه، نهى عن الذنوب عموما فقال: يا أيها الذين آمنوا

الآية دليل على النفقة على القريب، وأنه لا تترك النفقة والإحسان بمعصية الإنسان، والحث على العفو والصفح، ولو جرى عليه ما جرى من أهل الجرائم. 22 إذا عاملتم عبیده، بالعفو والصفح، عاملكم بذلك، فقال أبو بكر لما سمع هذه الآية: بلى، والله إنني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع النفقة إلى مسطح، وفي هذه عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه، ويحثه على العفو والصفح، ويعدّه بمغفرة الله إن غفر له، فقال: ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان مسطح فقيرا من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، لقوله الذي قال. فنزلت هذه الآية، ينهاهم أن يؤثوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا كان من جملة الخائضين في الإفك مسطح بن أثانة وهو قريب ولا يأتل أي: لا يحلف أولو الفضل منكم والسعة

على ذنب كبير. وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين ولهم عذاب عظيم وهذا زيادة على اللعنة، أبعدهم عن رحمته، وأحل بهم شدة نقمته. 23 إن الذين يرمون المحصنات أي: العفاف عن الفجور الغافلات التي لم يخطر ذلك بقلوبهن المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة واللعنة لا تكون إلا ثم ذكر الوعيد الشديد على رمي المحصنات فقال:

كانوا يعملون فكل جارية تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد، من جعل شهودهم من أنفسهم 24 وذلك العذاب يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما

حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ولقاؤه حق، ووعدته ووعدته، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق، فلا ثم حق، إلا في الله وما من الله. 25 عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا. ويعلمون في ذلك الموقف العظيم، أن الله هو الحق المبين، فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى. فأوصافه العظيمة الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفرا، لم يفقدوا منها شيئا، ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما يومئذ يوفيه الله دينهم الحق أي: جزاءهم على أعمالهم، الجزاء

عائشة رضي الله عنها أصلا، وللمؤمنات المحصنات الغافلات تبعاً لهم مغفرة تستغفر الذنوب ورزق كريم في الجنة صادر من الرب الكريم. 26 في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لمبطل مقالا، ولا لشك وشبهة مجالا، فقال: أولئك مبرءون مما يقولون والإشارة إلى طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح. فكيف وهي هي؟ صديقة النساء وأفضلهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو قدح في النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المقصود بهذا الإفك، من قصد المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم، يعلم أنها لا تكون إلا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء، من أعظم مفرداته، أن الأنبياء خصوصا أولي العزم منهم، خصوصا سيدهم الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبث، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، وكل طيب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للطيب، الخبيثات للخبثيين والخبيثون للخبثيات أي: كل خبيث من

ذلكم أي: الاستئذان المذكور خير لكم لعلكم تذكرون لاشتماله على عدة مصالح، وهو من مكارم الأخلاق الواجبة، فإن أذن، دخل المستأذن. 27 استئناسا، لأن به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة، وتسلموا على أهلها وصفة ذلك، ما جاء في الحديث: السلام عليكم، أأدخل؟ ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي: يستأذنوا. سمي الاستئذان على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده. ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، فإن في ذلك عدة مفاصد: منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال إنما جعل الاستئذان من أجل البصر فبسبب الإخلال به، يقع البصر يرشد الباري عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بغير استئذان،

للإنسان، وأما البيوت التي ليس فيها أهلها، وفيها متاع الإنسان المحتاج للدخول إليه، وليس فيها أحد يتمكن من استئذانه، وذلك كبيوت الكراء وغيرها 28 عامل بعمله، من كثرة وقلة، وحسن وعدمه، هذا الحكم في البيوت المسكونة، سواء كان فيها متاع للإنسان أم لا، وفي البيوت غير المسكونة، التي لا متاع فيها يأخذ أحدكم الكبر والاشمئزاز من هذه الحال، هو أزكى لكم أي: أشد لتطهيركم من السيئات، وتتميتكم بالحسنات. والله بما تعملون عليم فيجازي كل أي: فلا تمتنعوا من الرجوع، ولا تغضبوا منه، فإن صاحب المنزل، لم يمنعكم حقا واجبا لكم، وإنما هو متبرع، فإن شاء أذن أو منع، فأنتم لا

والله يعلم ما تبدون وما تكتمون أحوالكم الظاهرة والخفية، وعلم مصالحكم، فلذلك شرع لكم ما تحتاجون إليه وتضطرون، من الأحكام الشرعية. 29 بيوتكم لفظ عام في كل بيت ليس ملكا للإنسان، أخرج منه تعالى البيوت التي ليست ملكه، وفيها متاعه، وليس فيها ساكن، فأسقط الحرج في الدخول إليها، البيوت السابقة، أنه محرم، وفيه حرج أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وهذا من احترازا القرآن العجيبة، فإن قوله: لا تدخلوا بيوتا غير ليس عليكم جناح أي: حرج وإثم، دل على أن الدخول من غير استئذان في

تفسير السعدي

النبي صلى الله عليه وسلم: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فهو وإن لم يكن مشركا، فلا يطلق عليه اسم المدح، الذي هو الإيمان المطلق. 3
والحاق الأولاد، الذين ليسوا من الزوج، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها، مما بعضه كاف للتحريم وفي هذا دليل أن الزاني ليس مؤمنا، كما قال
أشد الاقتران والازدواج، وقد قال تعالى: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي: قرناءهم، فحرم الله ذلك، لما فيه من الشر العظيم، وفيه من قلة الغيرة،
حقا، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب، فإن مقارنة الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها،
لا يكون إلا مشركا، وإما أن يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزنا، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمنا بالله
أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يتب من ذلك، أن المقدم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما أن لا يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فذاك
ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك، لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي: حرم عليهم أن ينكحوا زانيا، أو ينكحوا زانية. ومعنى الآية:
وما زجه، ما لا يفعله بقية الذنوب، فأخبر أن الزاني لا يقدم على نكاحه من النساء، إلا أنثى زانية، تناسب حاله حالها، أو مشركة بالله، لا تؤمن ببعث ولا جزاء،
هذا بيان لرذيلة الزنا، وأنه يندس عرض صاحبه، وعرض من قارنه

النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات. 30
أمر بحفظ الفرج مطلقا، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: يفضوا من أبصارهم أتى بأداة من الدالة على التبعيض، فإنه يجوز
في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في بلايا ومحن، وتأمل كيف
ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه
وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، ومن غص بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته،
ذلك الحفظ للأبصار والفروج أركى لهم أظهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش،
زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور. ويحفظوا فروجهم عن الوطء الحرام، في قبل أو دبر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها، والنظر إليها.
من وقوع ما يخل بالإيمان: يفضوا من أبصارهم عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبية، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى
أي: أرشد المؤمنين، وقل لهم: الذين معهم إيمان، يمنهم

الإخلاص بالتوبة في قوله: وتوبوا إلى الله أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة. 31
الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرا وباطنا، إلى: ما يحبه ظاهرا وباطنا، ودل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا، وفيه الحث على
إلى الله جميعا أيه المؤمنون لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: لعلكم تفلحون فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي
منه. ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك، أمر الله تعالى بالتوبة، فقال: وتوبوا
إذا كان مباحا، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض، الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة، منع
بأرجلهم، ليصوت ما عليهم من حلي، كخلاخل وغيرها، فتعلم زينتها بسببه، فيكون وسيلة إلى الفتنة. ويؤخذ من هذا ونحوه، قاعدة سد الوسائل، وأن الأمر
الشهوة بعد ودل هذا، أن المميز تستتر منه المرأة، لأنه يظهر على عورات النساء. ولا يضرين بأرجلهم ليعلم ما يخفين من زينتهن أي: لا يضرين الأرض
الأطفال الذين دون التمييز، فإنه يجوز نظرهم للنساء الأجانب، وعلل تعالى ذلك، بأنهم لم يظهروا على عورات النساء، أي: ليس لهم علم بذلك، ولا وجدت فيهم
يدري ما هنالك، وكالعنين الذي لم يبق له شهوة، لا في فرجه، ولا في قلبه، فإن هذا لا محذور من نظره. أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء أي:
يجز النظر. أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي: أو الذين يتبعونكم، ويتعلقون بكم، من الرجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة، كالمعتوه الذي لا
لا يجوز أن تنتظر إليها الذمية. أو ما ملكت أيمانهن فيجوز للمملوك إذا كان كله للأنثى، أن ينظر لسيدته، ما دامت مالكة له كله، فإن زال الملك أو بعضه، لم
يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقا، ويحتمل أن الإضافة تقتضي الجنسية، أي: النساء المسلمات، اللاتي من جنسكم، ففيه دليل لمن قال: إن المسلمة
أو أبناء بعولتهن ويدخل فيه الأبناء وأبناء البعولة مهما نزلوا أو إخوانهن أو بني إخوانهن أشقاء، أو لأب، أو لأم. أو بني أخواتهن أو نسائهن أي:
كرر النهي عن إبداء زينتهن، ليستثني منه قوله: إلا لبعولتهن أي: أزواجهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن يشمل الأب بنفسه، والجد وإن علا، أو أبنائهن
إلى الفتنة بها، وليضرين بخمرهن على جيوبهن وهذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أن الزينة التي يحرم إبدائها، يدخل فيها جميع البدن، كما ذكرنا. ثم
كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة، لا بد لها منها، قال: إلا ما ظهر منها أي: الثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو
النظر الممنوع، ويحفظن فروجهن من تمكين من جماعها، أو مسها، أو النظر المحرم إليها. ولا يبيدين زينتهن كالتياب الجميلة والحلي، وجميع البدن
بغض الأبصار وحفظ الفروج، أمر المؤمنين بذلك، فقال: وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن عن النظر إلى العورات والرجال، بشهوة ونحو ذلك من
لما أمر المؤمنين

واسع كثير الخير عظيم الفضل عليم بمن يستحق فضله الديني والدنيوي أو أحدهما، ممن لا يستحق، فيعطي كلا ما علمه واقتضاه حكمه. 32
الله من فضله فلا يمنعكم ما تتوهمون، من أنه إذا تزوج، افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه، وفيه حث على التزوج، ووعود للمتزوج بالغنى بعد الفقر. والله
غير مأمور بتزويج مملوكه، قبل حاجته إلى الزواج. ولا يبعد إرادة المعنيين كليهما، والله أعلم. وقوله: إن يكونوا فقراء أي: الأزواج والمتزوجين يغنهم
دون الأحرار، لكثرة وجود ذلك في العبيد عادة، ويحتمل أن المراد بالصالحين الصالحون للتزوج المحتاجون إليه من العبيد والإماء، يؤدي هذا المعنى، أن السيد

تفسير السعدي

بالزنا، منهى عن تزوجه، فيكون مؤيدا للمذكور في أول السورة، أن نكاح الزاني والزانية محرم حتى يتوب، ويكون التخصيص بالصلاح في العبيد والإماء صلاح الدين، وأن الصالح من العبيد والإماء وهو الذي لا يكون فاجرا زانيا مأمور سيده بإنكاحه، جزاء له على صلاحه، وترغيبا له فيه، ولأن الفاسد وإذا كانوا مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرهم بالنكاح بأنفسهم من باب أولى. والصالحين من عبادكم وإمائكم يحتمل أن المراد بالصالحين، ولايتهم من الأيامي وهم: من لا أزواج لهم، من رجال، ونساء ثيب، وأبكار، فيجب على القريب وولي البيتيم، أن يزوج من يحتاج للزواج، ممن تجب نفقته عليه، يأمر تعالى الأولياء والأسياد، بإنكاح من تحت

وليقلع عما صدر منه مما يفضبه، فإذا فعل ذلك، غفر الله ذنوبه، ورحمه كما رحم نفسه بفكاحها من العذاب، وكما رحم أمته بعدم إكراهها على ما يضرها. 33
القليل، الذي يكسبكم الرذالة والخسة. ثم دعا من جرى منه الإكراه إلى التوبة، فقال: ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم فليتب إلى الله، ذلك، لأجل عرض الحياة، متاع قليل يعرض ثم يزول. فكسبكم النزاهة، والنظافة، والمروءة بقطع النظر عن ثواب الآخرة وعقابها أفضل من كسبكم العرض أمته على البغاء، ليأخذ منها أجرة ذلك، ولهذا قال: لتبتغوا عرض الحياة الدنيا فلا يليق بكم أن تكون إماءكم خيرا منكم، وأعف عن الزنا، وأنتم تفعلون بهن إلا بهذه الحال، وأما إذا لم ترد تحصنا فإنها تكون بغيا، يجب على سيدها منعها من ذلك، وإنما هذا نهى لما كانوا يستعملونه في الجاهلية، من كون السيد يجبر لما فيه من المحذور المذكور. ثم قال تعالى: ولا تكرهوا فتياتكم أي: إماءكم على البغاء أي: أن تكون زانية إن أردن تحصنا لأنه لا يتصور إكراهها له، فيكون بسبب ذلك كلا على الناس، ضائعا، وإما أن يخاف إذا أعتق، وصار في حرية نفسه، أن يتمكن من الفساد، فهذا لا يؤمر بكتابتها، بل ينهى عن ذلك ومفهوم الآية الكريمة، أن العبد إذا لم يطلب الكتابة، لا يؤمر سيده أن يبتدئ بكتابتها، وأنه إذا لم يعلم منه خيرا، بأن علم منه عكسه، إما أنه يعلم أنه لا كسب بقوله: من مال الله الذي آتاكم أي: فكما أن المال مال الله، وإنما الذي بأيديكم عطية من الله لكم ومحض منه، فأحسنوا لعباد الله، كما أحسن الله إليكم. في ذلك أمر سيده الذي كاتبه، أن يعطيه من كتابته أو يسقط عنه منها، وأمر الناس بمعونتهم. ولهذا جعل الله للمكاتبين قسطا من الزكاة، ورغب في إعطائه أمر استحباب على القول الآخر، وأمر بمعاونتهم على كتابتهم، لكونهم محتاجين لذلك، بسبب أنهم لا مال لهم، فقال: وآتوهم من مال الله الذي آتاكم يدخل لا يحصل في رقه، فلا يكون ضرر على السيد في كتابته، مع حصول عظيم المنفعة للعبد، فلذلك أمر الله بالكتابة على هذا الوجه أمر إيجاب، كما هو الظاهر، أو الكتابة تحصيل المصلحتين، مصلحة العتق والحرية، ومصلحة العوض الذي يبذله في فداء نفسه. وربما جد واجتهد، وأدرك لسيد في مدة الكتابة من المال ما من عبيد وإماء، فأجيبوه إلى ما طلب، وكاتبوه، إن علمتم فيهم أي: في الطالبين للكتابة خيرا أي: قدرة على التكسب، وصلاحا في دينه، لأن في عليه ما هو فيه. وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا أي: من ابتغى وطلب منكم الكتابة، وأن يشتري نفسه، والإماء ومن إنكاحه على وليه، كما ذكرنا. حتى يغنيهم الله من فضله وعد للمستعفف أن الله سيغنيه وييسر له أمره، وأمر له بانتظار الفرج، لنلا يشق في ذلك محذورين: أحدهما: الحذف في الكلام، والأصل عدم الحذف. والثاني كون المعنى قاصرا على من له حالان، حالة غنى بماله، وحالة عدم، فيخرج العبيد لهم من قدرة على إجبارهم على ذلك، وهذا التقدير، أحسن من تقدير من قدر لا يجدون مهر نكاح وجعلوا المضاف إليه نائبا مناب المضاف، فإن بالصوم فإنه له وجاء وقوله: الذين لا يجدون نكاحا أي: لا يقدر نكاحا، إما لفقرهم أو فقر أوليائهم وأسيادهم، أو امتناعهم من تزويجهم وليس التي تخطر بإيقاعه فيه، ويفعل أيضا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه يغنيهم الله من فضله هذا حكم العاجز عن النكاح، أمره الله أن يستعفف، أن يكف عن المحرم، ويفعل الأسباب التي تكفه عنه، من صرف دواعي قلبه بالأفكار وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى

للمتقين أي: وأنزلنا إليكم موعظة للمتقين، من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، يتعظ بها المتقون، فينكفون عما يكره الله إلى ما يحبه الله. 34
الأولين، الصالح منهم والطالح، وصفة أعمالهم، وما جرى لهم وجرى عليهم تعتبرونه مثلا ومعتبرا، لمن فعل مثل أفعالهم أن يجازى مثل ما جوزوا. وموعظة على كل أمر تحتاجون إليه، من الأصول والفروع، بحيث لا يبقى فيها إشكال ولا شبهة، و أنزلنا إليكم أيضا مثلا من الذين خلوا من قبلكم من أخبار هذا تعظيم وتفخيم لهذه الآيات، التي تلاها على عباده، ليعرفوا قدرها، ويقوموا بحققها فقال: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات أي: واضحات الدلالة، يعلم حقائق الأشياء وتفصيلها، وأنها مصلحة للعباد، فليكن اشتغالكم بتدبرها وتعقلها، لا بالاعتراض عليها، ولا بمعارضتها، فإنه يعلم وأنتم لا تعلمون. 35
المعاني المعقولة من المحسوسة، فيعلمها العباد علما واضحا، والله بكل شيء عليم فعلمه محيط بجميع الأشياء، فلتعلموا أن ضربه الأمثال، ضرب من وأنه يزكي معه وينمو. ويضرب الله الأمثال للناس ليعقلوا عنه ويفهموا، لطفا منه بهم، وإحسانا إليهم، وليتضح الحق من الباطل، فإن الأمثال تقرب وصفاء المعرفة، نور على نوره. ولما كان هذا من نور الله تعالى، وليس كل أحد يصلح له ذلك، قال: يهدي الله لنوره من يشاء ممن يعلم زكاه وطهارته، عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاج الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل يكاد زيتها من صفائه يضيء ولو لم تمسسه نار فإذا مسته النار، أضاء إضاءة بليغة نور على نور أي: نور النار، ونور الزيت. ووجه هذا المثل الذي النهار، وإذا انتفى عنها الأمران، كانت متوسطة من الأرض، كزيتون الشام، تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فتحسن وتطيب، ويكون أصفى لزيتها، ولهذا قال: أي: يوقد من زيت الزيتون الذي ناره من أنور ما يكون، لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط، فلا تصيبها الشمس أول

تفسير السعدي

من صفاتها وبهائها كأنها كوكب دري أي: مضيء إضاءة الدر. يوقد ذلك المصباح، الذي في تلك الزجاجاة الدرية من شجرة مباركة زيتونة الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين، كمشكاة أي: كوة فيها مصباح لأن الكوة تجمع نور المصباح بحيث لا يتفرق ذلك المصباح في زجاجاة الزجاجاة رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى، لتراكمت الظلمات، ولهذا: كل محل، يفقد نوره فتم الظلمة والحصر، مثل نوره الذي يهدي إليه، وهو نور العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب الأرض الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه نور، وبه استنار الله نور السماوات

السير فيهما إلى الله وسهولته. ويدخل في ذلك، التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء. 36 عند آخرين. ثم مدح تعالى عمارها بالعبادة فقال: يسبح له إخلاصا بالغدو أول النهار والواصل آخره خص هذين الوقتين لشرفهما ولتيسر وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد، وجوبا عند أكثر العلماء، أو استحبابا العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، الأصوات بغير ذكر الله. ويذكر فيها اسمه يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتلهيل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع فاضلة، هي أحب البقاع إليه، وهي المساجد. أذن الله أي: أمر ووصى أن ترفع ويذكر فيها اسمه هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، أي: يتعبد لله في بيوت عظيمة

يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار من شدة هوله وإزعاجه للقلوب والأبدان، فلذلك خافوا ذلك اليوم، فسهل عليهم العمل، وترك ما يشغل عنه 37 المكاسب بأنواع التجارات محبوبا لها، ويشق عليها تركه في الغالب، وتتكلف من تقديم حق الله على ذلك، ذكر ما يدعوها إلى ذلك ترغيبا وترهيبا فقال: وإيتاء الزكاة بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينه رفضوه. ولما كان ترك الدنيا شديدا على أكثر النفوس، وحب على غيره، فهو لأجل الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ذكر الله وإقام الصلاة مشغلة عنه، لا تلهيهم تجارة وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: ولا بيع من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع أي: يسبح فيها الله، رجال، وأي: رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب،

يرزق من يشاء بغير حساب بل يعطيه من الأجر ما لا يبلغه عمله، بل ولا تبلغه أمنيته، ويعطيه من الأجر بلا عد ولا كيل، وهذا كناية عن كثرتة جدا. 38 ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ويزيدهم من فضله زيادة كثيرة عن الجزاء المقابل لأعمالهم، والله والمراد بأحسن ما عملوا: أعمالهم الحسنة الصالحة، لأنها أحسن ما عملوا، لأنهم يعملون المباحات وغيرها، فالثواب لا يكون إلا على العمل الحسن، كقوله تعالى: ليجزيهم الله أحسن ما عملوا

ومثلها الله بالسراب الذي ببيعة، أي: لا شجر فيه ولا نبات، وهذا مثال لقلوبهم، لا خير فيها ولا بر، فتزكو فيها الأعمال وذلك للسبب المانع، وهو الكفر. 39 لم يخف عليه من عمله نكير ولا قطمير، ولن يعدم منه قليلا ولا كثيرا، والله سريع الحساب فلا يستبطى الجاهلون ذلك الوعد، فإنه لا بد من إتيانه، الظمان للماء، حتى إذ قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئا، والحال إنه لم يذهب، لا له ولا عليه، بل وجد الله عنده فوفاه حسابه الذي لا يدري الأمور، أعمالا نافعة، فيغره صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضا أعمالا نافعة لهواه، وهو أيضا محتاج إليها بل مضطر إليها، كاحتياج حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فندم ندما شديدا، وازداد ما به من الظم، بسبب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، ترى ويظنها الجاهل شجر فيه ولا نبت. يحسبه الظمان ماء شديد العطش، الذي يتوهم ما لا يتوهم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حسبان باطل، فيقصده ليزيل ظمأه، ضربهما الله لأعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها فقال: والذين كفروا بربهم وكذبوا رسله أعمالهم كسراب ببيعة أي: بقاع، لا هذان مثلان،

الكلام بما تكلم به، وإزالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب. 4 كما يأتي، وأولئك هم الفاسقون أي: الخارجون عن طاعة الله، الذين قد كثر شرهم، وذلك لانتهاك ما حرم الله، وانتهاك عرض أخيه، وتسليط الناس على غير المحصن، فإنه يوجب التعزير. ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أي: لهم عقوبة أخرى، وهو أن شهادة القاذف غير مقبولة، ولو حد على القذف، حتى يتوب ولا يبالغ بذلك حتى يتلفه، لأن القصد التأديب لا الإتلاف، وفي هذا تقدير حد القذف، ولكن بشرط أن يكون المقذوف كما قال تعالى محصنا مؤمنا، وأما قذف السياق، ثم لم يأتوا على ما رموا به بأربعة شهداء أي: رجال عدول، يشهدون بذلك صريحا، فأجلدهم ثمانين جلدة بسوط متوسط، يؤلم فيه، الأعراض بالرمي بالزنا فقال: والذين يرمون المحصنات أي: النساء الأحرار العفاف، وكذاك الرجال، لا فرق بين الأمرين، والمراد بالرمي بالزنا، بدليل أمر الزاني بوجوب جلده، وكذا رجمه إن كان محصنا، وأنه لا تجوز مقارنته، ولا مخالطته على وجه لا يسلم فيه العبد من الشر، بين تعالى تعظيم الإقدام على لما عظم تعالى

تفسير السعدي

جميع الكفار، كل منهما، منطبق عليها، وعددهما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم. 40
يجعل الله له نورا فما له من نور لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطاهم مولاها، ومنحها ربها. يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال
وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره، ومن لم
ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين،
فاشتدت الظلمة جدا، بحيث أن الكائن في تلك الحال إذا أخرج يده لم يكدها يراها مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكمت على قلوبهم الظلمات،
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم،
والمثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار كظلمات في بحر لجي بعيد قعره، طويل مداه يغشاه موج من فوقه موج من فوقه

الآية كقوله تعالى: تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا 41
الضمير في قوله: قد علم صلاته وتسبيحه يعود إلى الله، وأن الله تعالى قد علم عباداتهم، وإن لم تعلموا أيها العباد منها، إلا ما أطلعكم الله عليه. وهذه
فلم يخف عليه منها شيء، وسيجزيهم بذلك، فيكون على هذا، قد جمع بين علمه بأعمالها، وذلك بتعليمه، وبين علمه بأعمالهم المتضمن للجزاء. ويحتمل أن
والإنس والملائكة، وإما بإلهام منه تعالى، كسائر المخلوقات غير ذلك، وهذا الاحتمال أرجح، بدليل قوله: والله عليم بما يفعلون أي: علم جميع أفعالها،
هذه المخلوقات قد علم صلاته وتسبيحه أي: كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللاتقة به، وقد ألهمه الله تلك الصلاة والتسبيح، إما بواسطة الرسل، كالجن
ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض من حيوان وجماد والطير صافات أي: صافات أجنحتها، في جو السماء، تسبح ربها. كل من
نبه تعالى عباده على عظمته، وكمال سلطانه، واقتدار جميع المخلوقات له في ربوبيتها، وعبادتها فقال:

الشرعي والقدر في هذه الدار، وفي حكمه الجزائي، بدار القرار، بدليل قوله: وإلى الله المصير أي: مرجع الخلق ومآلهم، ليجازيهم بأعمالهم. 42
العبادة والتوحيد بين افتقارهم، من جهة الملك والتربية والتدبير فقال: ولله ملك السماوات والأرض خالقهما ورازقهما، والمتصرف فيهما، في حكمه
فلما بين عبوديتهم وافتقارهم إليه من جهة

بالأبصار أليس الذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجه يحصل به النفع وينتفي به الضرر، كامل القدرة، نافذ المشيئة، واسع الرحمة؟ 43
ويصرفه عن من يشاء بحسب ما اقتضاه حكمه القدري، وحكمته التي يحمد عليها، يكاد سنا برقه أي: يكاد ضوء برق ذلك السحاب، من شدته يذهب
الغدران، وتتدفق الخلجان، وتسيل الأودية، وتنبث الأرض من كل زوج كريم، وتارة ينزل الله من ذلك السحاب بردا يتلف ما يصيبه. فيصيب به من يشاء
سحابا متراكما، مثل الجبال. فترى الودق أي: الواابل والمطر، يخرج من خلال السحاب، نقطة متفرقة، ليحصل بها الانتفاع من دون ضرر، فتمتلئ بذلك
أي: ألم تشاهد ببصرك، عظيم قدرة الله، وكيف يزجي أي: يسوق سحابا قطعاً متفرقة ثم يؤلف بين تلك القطع، فيجعله

الحسية. فالبصير ينظر إلى هذه المخلوقات نظر اعتبار وتفكر وتدبر لما أريد بها ومنها، والمعرض الجاهل نظره إليها نظر غفلة، بمنزلة نظر البهائم. 44
ويديل الأيام بين عباده، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار أي: لذوي البصائر، والعقول النافذة للأمور المطلوبة منها، كما تنفذ الأبصار إلى الأمور المشاهدة
يقلب الله الليل والنهار من حر إلى برد، ومن برد إلى حر، من ليل إلى نهار، ومن نهار إلى ليل،

وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون 45
كل شيء قدير كما أنزل المطر على الأرض، وهو لقاح واحد، والأم واحدة، وهي الأرض، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف وفي الأرض قطع متجاورات
أن الأصل واحد يدل على نفوذ مشيئة الله، وعموم قدرته، ولهذا قال: يخلق الله ما يشاء أي: من المخلوقات، على ما يشاءه من الصفات، إن الله على
كالحية ونحوها، ومنهم من يمشي على رجلين كالأدميين، وكثير من الطيور، ومنهم من يمشي على أربع كبهيمة الأنعام ونحوها. فاختلافها مع
الربوبات المائية، كالحشرات لا يوجد منها شيء، يتولد من غير ماء أبداً، فالمادة واحدة، ولكن الخلقة مختلفة من وجوه كثيرة، فمنهم من يمشي على بطنه
وجعلنا من الماء كل شيء حي فالحيوانات التي تتوالد، مادتها ماء النطفة، حين يلحق الذكر الأنثى. والحيوانات التي تتولد من الأرض، لا تتولد إلا من
ينبه عباده على ما يشاهدونه، أنه خلق جميع الدواب التي على وجه الأرض، من ماء أي: مادتها كلها الماء، كما قال تعالى:

وخصص بالهداية من يشاء، فهذا فضله وإحسانه، وما فضل الكريم بممنون وذاك عدله، وقطع الحجة للمحتج، والله أعلم حيث يجعل مواقع إحسانه. 46
إلى صراط مستقيم أي: طريق واضح مختصر، موصل إليه، وإلى دار كرامته، متضمن العلم بالحق وإيثاره والعمل به. عمم البيان التام لجميع الخلق،
بعد بيانه بيان ليهلك بعد ذلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة والله يهدي من يشاء ممن سبقت لهم سابقة الحسن، وقدم الصدق،
الغي، والهدى من الضلال، فلم يبق أدنى شبهة لمبطل يتعلق بها، ولا أدنى إشكال لمريد الصواب، لأنها تنزيل من كمل علمه، وكملت رحمته، وكمل بيانه، فليس
وأنزلنا إليهم آيات بينات، أي: واضحات الدلالة، على جميع المقاصد الشرعية، والآداب المحمودة، والمعارف الرشيدة، فاتضحت بذلك السبل، وتبين الرشده من
أي: لقد رحمنا عبادنا،

بكثير من العبادات، خصوصا: العبادات التي تشق على كثير من النفوس، كالزكوات، والنفقات الواجبة والمستحبة، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك. 47
المتولي معرض، لا التفات له، ولا نظر لما تولى عنه، وتجد هذه الحالة مطابقة لحال كثير ممن يدعي الإيمان والطاعة لله وهو ضعيف الإيمان، وتجدد لا يقوم

تفسير السعدي

بما قالوا، ويتولى فريق منهم عن الطاعة توليا عظيما، بدليل قوله: وهم معرضون فإن المتولي، قد يكون له نية عود ورجوع إلى ما تولى عنه، وهذا تعالى عن حالة الظالمين، ممن في قلبه مرض وضعف إيمان، أو نفاق وريب وضعف علم، أنهم يقولون بألسنتهم، ويلتزمون الإيمان بالله والطاعة، ثم لا يقومون بخبر

أحكام الجاهلية، ويفضلون أحكام القوانين غير الشرعية على الأحكام الشرعية، لعلمهم أن الحق عليهم، وأن الشرع لا يحكم إلا بما يطابق الواقع 48 وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أي: إذا صار بينهم وبين أحد حكومة، ودعوا إلى حكم الله ورسوله إذا فريق منهم معرضون يريدون يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه، وينبذه عند مخالفته، ويقدم الهوى على الشرع، فليس بعبد على الحقيقة 49 ذلك لأجل أنه حكم شرعي، وإنما ذلك لأجل موافقة أهوائهم، فليسوا بمدوحين في هذه الحال، ولو أتوا إليه مدعنين، لأن العبد حقيقة، من يتبع الحق فيما وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه أي: إلى حكم الشرع مدعنين وليس

تقبل شهادته على الصحيح، فإن الله غفور رحيم يغفر الذنوب جميعا، لمن تاب وأناب، وإنما يجلد القاذف، إذا لم يأت بأربعة شهداء إذا لم يكن زوجا 5 وهو واجب عليه، أن يكذب نفسه ولو تيقن وقوعه، حيث لم يأت بأربعة شهداء، فإذا تاب القاذف وأصلح عمله وبذل إساءته إحسانا، زال عنه الفسق، وكذلك وقوله: إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم فالتوبة في هذا الموضع، أن يكذب القاذف نفسه، ويقر أنه كاذب فيما قال،

في كل حال، وأن من ينقل له دل على مرض في قلبه، وريب في إيمانه، وأنه يحرم إساءة الظن بأحكام الشريعة، وأن يظن بها خلاف العدل والحكمة. 50 هذه الآيات، دليل على أن الإيمان، ليس هو مجرد القول حتى يقتصر به العمل، ولهذا نفى الإيمان عن تولى عن الطاعة، ووجوب الانقياد لحكم الله ورسوله وصفهم بل أولئك هم الظالمون وأما حكم الله ورسوله، ففي غاية العدالة والقسط، وموافقة الحكمة. ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وفي وقلقت قلوبهم من حكم الله ورسوله، واتهموه أنه لا يحكم بالحق، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله أي: يحكم عليهم حكما ظالما جائرا، وإنما هذا مرض أي: علة، أخرجت القلب عن صحته وأزالت حاسته، فصار بمنزلة المريض، الذي يعرض عما ينفعه، ويقبل على ما يضره، أم ارتابوا أي: شكوا، قال الله في لومهم على الإعراض عن الحكم الشرعي: أفي قلوبهم

وأولئك هم المفلحون حصر الفلاح فيهم، لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله. 51 بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، أن يقولوا سمعنا وأطعنا أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج. أي: إنما كان قول المؤمنين حقيقة، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم

وهو التعزيز والتوقير، كما جمع بين الحقوق الثلاثة في سورة الفتح في قوله: لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا 52 على الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو: الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو: الخشية والتقوى، وبقي الحق الثالث المختص بالرسول، لفعلهم أسبابه، فالفوز محصور فيهم، وأما من لم يتصف بوصفهم، فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة، واشتملت هذه الآية، فأولئك الذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة رسوله، وخشية الله وتقواه، هم الفائزون بنجاتهم من العذاب، لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب، عند الإطلاق يدخل فيها، فعل المأمور، وترك المنهي عنه، وعند اقترانها بالبر أو الطاعة كما في هذا الموضع تفسر بتوقي عذاب الله، بترك معاصيه، ويمثل أمرهما، ويخش الله أي: يخافه خوفا مقرونا بمعرفة، فيترك ما نهى عنه، ويكف نفسه عما تهوى، ولهذا قال: ويتقه بترك المحظور، لأن التقوى ولما ذكر فضل الطاعة في الحكم خصوصا، ذكر فضلها عموما، في جميع الأحوال، فقال: ومن يطع الله ورسوله فيصدق خبرهما

أنتم فكلوا ولما، وإنما ينتظر بكم ويخاف عليكم حلول بأس الله ونقمته، ولهذا توعدهم بقوله: إن الله خبير بما تعملون فيجازيكم عليها أتم الجزاء 53 منكم التثاقل والكسل من غير عذر، فلا وجه لعذرهم وقسمكم، إنما يحتاج إلى ذلك، من كان أمره احتملا، وحاله مشبهة، فهذا ربما يفيد العذر براءة، وأما رادا عليهم: قل لا تقسموا أي: لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم، فإن الله قد نبأنا من أخباركم، وطاعتكم معروفة، لا تخفى علينا، قد كنا نعرف قلوبهم مرض وضعف إيمان أنهم يقسمون بالله، لئن أمرتهم فيما يستقبل، أو لئن نصصت عليهم حين خرجت ليخرجن والمعنى الأول أولى. قال الله يخبر تعالى عن حالة المتخلفين عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد من المنافقين، ومن في

وقد فعل صلى الله عليه وسلم، بلغ البلاغ المبين، وإنما الذي يحاسبكم ويجازيكم هو الله تعالى، فالرسول ليس له من الأمر شيء، وقد قام بوظيفته. 54 لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال. وما على الرسول إلا البلاغ المبين أي: تبليغكم البين الذي لا يبقى لأحد شك ولا شبهة، من الطاعة. وقد بانث حالكم وظهرت، فبان ضلالكم وغيك واستحقاقكم العذاب. وإن تطيعوه تهتدوا إلى الصراط المستقيم، قولا وعملا، فلا سبيل قال: قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن امتثلوا، كان حظكم وسعادتكم وإن تولوا فإنما عليه ما حمل من الرسالة، وقد أداها. وعليكم ما حملتم هذه حالهم في نفس الأمر، وأما الرسول عليه الصلاة والسلام، فوظيفته أن يأمركم وينهاكم، ولهذا

فينظر كيف تعملون وقال تعالى: ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض 55 طويته، لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك. ودلت هذه الآية، أن الله قد مكن من قبلنا، واستخلفهم في الأرض، كما قال موسى لقومه: ويستخلفكم في الأرض فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره، وعدم وجود الأسباب المانعة منه، يدل على فساد نيته، وخبت

تفسير السعدي

والعمل الصالح. ومن كفر بعد ذلك التمكين والسلطنة التامة لكم، يا معشر المسلمين، فأولئك هم الفاسقون الذين خرجوا عن طاعة الله، وفسدوا، بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاريها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكتهم من البلاد الغوائل. فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرافها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها،

فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأمانى الكاذبة. 56
الأمر العام، فقال: وأطيعوا الرسول وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من يطع الرسول فقد أطاع الله لعلكم حين تقومون بذلك ترحمون وغيرهم، ممن ذكرهم الله لمصرف الزكاة، فهذا أكبر الطاعات وأجلها، جامعتان لحقه وحق خلقه، للإخلاص للمعبود، وللإحسان إلى العبيد، ثم عطف عليهم تعالى بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وآدابها، ظاهرا وباطنا، وبإيتاء الزكاة من الأموال التي استخلف الله عليها العباد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء يأمر

ثم اضطهرهم إلى عذاب غليظ. ولهذا قال هنا: ومأواهم النار ولبنس المصير أي: بنس المال، مآل الكافرين، مآل الشر والحسرة والعقوبة الأبدية. 57
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فلا يغرك ما متعوا به في الحياة الدنيا، فإن الله، وإن أمهلهم فإنه لا يمهلهم نمتعهم قليلا كل شيء موضعه، فأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، وأعطى كل حكم شرعي حكمه اللائق به، ومنه هذه الأحكام التي بينها وبين مآخذها وحسنها. 58
ويتقوى ويعرف به رحمة شارعه وحكمته، ولهذا قال: والله عليم حكيم له العلم المحيط بالواجبات والمستحبات والممكنات، والحكمة التي وضعت قال: طوافون عليكم بعضكم على بعض أي: يترددون عليكم في قضاء أشغالكم وحوادثكم. كذلك يبين الله لكم الآيات بيانا مقرونا بحكمته، ليتأكد هذه الأحوال الثلاثة فقال: ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن أي: ليسوا كغيرهم، فإنهم يحتاج إليهم دائما، فيشق الاستئذان منهم في كل وقت، ولهذا ثيابكم من الظهيرة أي: للقائلة، وسط النهار. ففي ثلاثة هذه الأحوال، يكون الممالك والأولاد الصغار كغيرهم، لا يمكنون من الدخول إلا بإذن، وأما ما عدا النائم يستعمل للنوم في الليل ثوبا غير ثوبه المعتاد، وأما نوم النهار، فلما كان في الغالب قليلا، قد ينام فيه العبد بثيابه المعتادة، قيده بقوله: وحين تضعون الحلم منهم. قد ذكر الله حكمته وأنه ثلاث عورات للمستأذن عليهم، وقت نومهم بالليل بعد العشاء، وعند انتباههم قبل صلاة الفجر، فهذا في الغالب أن أمر المؤمنين أن يستأذنهم ممالكهم، والذين لم يبلغوا

بالإنزال فكل حكم شرعي رتب على البلوغ، حصل بالإنزال، وهذا مجمع عليه، وإنما الخلاف، هل يحصل البلوغ بالسن، أو الإنبات للعانة، والله أعلم. 59
الطفل لقوله: طوافون عليكم ومنها: أن الحكم المذكور المفصل، إنما هو لما دون البلوغ، فأما ما بعد البلوغ، فليس إلا الاستئذان. ومنها: أن البلوغ يحصل الهرة: إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات ومنها: جواز استخدام الإنسان من تحت يده، من الأطفال على وجه معتاد، لا يشق على جناح بعدهن ومنها: أن ريق الصبي طاهر، ولو كان بعد نجاسة، كالقيء، لقوله تعالى: طوافون عليكم مع قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الله لما بين الحكم المذكور علله بقوله: ثلاث عورات لكم ومنها: أن الصغير والعبد، مخاطبان، كما أن وليهما مخاطب لقوله: ليس عليكم ولا عليهم أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهم، ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي، أن يقرن بالحكم، بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجردا عن الدليل والتعليل، لأن يأمر باستئذانهم، إلا عن أمر ما يجوز. ومنها: أن المملوك أيضا، لا يجوز أن يرى عورة سيده، كما أن سيده لا يجوز أن يرى عورته، كما ذكرنا في الصغير. ومنها: نوم الليل، لأن الله خاطبهم ببيان حالهم الموجودة. ومنها: أن الصغير الذي دون البلوغ، لا يجوز أن يمكن من رؤية العورة، ولا يجوز أن ترى عورته، لأن الله لم ذلك. ومنها: جواز كشف العورة لحاجة، كالحاجة عند النوم، وعند البول والغائط، ونحو ذلك. ومنها: أن المسلمين كانوا معتادين للقيولة وسط النهار، كما اعتادوا بحفظ العورات، والاحتياط لذلك من كل وجه، وأن المحل والمكان، الذي هو مظنة لرؤية عورة الإنسان فيه، أنه منهى عن الاغتسال فيه والاستنجاء، ونحو الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم الآية، ولا يمكن ذلك، إلا بالتعليم والتأديب، ولقوله: ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ومنها: الأمر الصغير، مخاطبان بتعليم عبيدهم ومن تحت ولايتهم من الأولاد، العلم والآداب الشرعية، لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم حتى تستأنسوا الآية. كذلك يبين الله لكم الآيات ويوضحها، ويفصل أحكامها والله عليم حكيم وفي هاتين الآيتين فوائد، منها: أن السيد وولي كما استأذن الذين من قبلهم أي: في سائر الأوقات، والذين من قبلهم، هم الذين ذكرهم الله بقوله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم وهو إنزال المني يقظة أو ناما، فليستأذنوا

تفسير السعدي

أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين سماها شهادة، لأنها نائبة مناب الشهود، بأن يقول: أشهد بالله إنني لمن الصادقين فيما رميتها به . 6
يرمون أزواجهم أي: الحرائر لا المملوكات. ولم يكن لهم على رميهم بذلك شهداء إلا أنفسهم بأن لم يقيموا شهداء، على ما رموهم به فشهادة التي يدنسها إلا إذا كان صادقا، ولأن له في ذلك حقا، وخوفا من إلحاق أولاد ليسوا منه به، ولغير ذلك من الحكم المفقودة في غيره فقال: والذين وإنما كانت شهادات الزوج على زوجته، دائرة عنه الحد، لأن الغالب، أن الزوج لا يقدم على رمي زوجته،

منه الفتنة، والله سميع لجميع الأصوات عليم بالنيات والمقاصد، فليحذرن من كل قول وقصد فاسد، وليعلمن أن الله يجازي على ذلك. 60
يفتن فيها، ويوقع الناظر إليها في الحرج وأن يستعففن خير لهن والاستعفاف: طلب العفة، بفعل الأسباب المقتضية لذلك، من تزوج وترك لما يخشى من تجمل بثياب ظاهرة، وتستر وجهها، ومن ضرب الأرض برجلها، ليعلم ما تخفي من زينتها، لأن مجرد الزينة على الأنثى، ولو مع تسترها، ولو كانت لا تشتهي نفي الحرج عنهن في وضع الثياب، ربما توهم منه جواز استعمالها لكل شيء، دفع هذا الاحتراز بقوله: غير متبرجات بزينة أي: غير مظهرات للناس زينة، كالخمار ونحوه، الذي قال الله فيه للنساء: وليضربن بخمرهن على جيوبهن فهؤلاء، يجوز لهن أن يكشفن وجوههن لآمن المحذور منها وعليها، ولما كان فيهن، وذلك لكونها عجوزا لا تشتهي، أو دميعة الخلقة لا تشتهي ولا تشتهي فليس عليهن جناح أي: حرج وإثم أن يضعن ثيابهن أي: الثياب الظاهرة، والقواعد من النساء أي: اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة اللاتي لا يرجون نكاحا أي: لا يطمعن في النكاح، ولا يطمعن

السائل المعتاد. وفيها دليل، على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض. 61
ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتا للإنسان. وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف، جاز الإقدام عليه. وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال مخصص للألفاظ، كتخصيص اللفظ للفظ فإن الأصل، أن الإنسان ممنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هؤلاء، للعرف والعادة، فكما استعمل عقله للعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي دعاه إليها، زاده من ذلك. وفي هذه الآيات دليل على قاعدة عامة كلية وهي: أن العرف والعادة الرزينة، فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد في العقل، وينمو به اللب، لكون معانيها أجل المعاني، وأدائها أجل الآداب، ولأن الجزء من جنس العمل، كذلك يبين الله لكم الآيات الدالات على أحكامه الشرعية وحكمها، لعلكم تعقلون عنه فتفهمونها، وتعقلونها بقلوبكم، ولتكونوا من أهل العقول والآداب والنماء والزيادة، طيبة لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيبة نفس للمحبا، ومحبة وجلب مودة. لما بين لنا هذه الأحكام الجليلة قال: إذ تدخلون البيوت، تحية من عند الله أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم، مباركة لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة والبركة فقال: تحية من عند الله مباركة طيبة أي: سلامكم بقولكم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وتراحمهم، وتعاطفهم، فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق بين بيت وبيت، والاستئذان تقدم أن فيه تفصيلا في أحكامه، ثم مدح هذا السلام سواء كان في البيت ساكن أم لا، فإذا دخلها الإنسان فسلموا على أنفسكم أي: فليسلم بعضكم على بعض، لأن المسلمين كأنهم شخص واحد، من تواددهم، وحده، وهذا نفي للحرج، لا نفي للفضيلة وإلا فالأفضل الاجتماع على الطعام. فإذا دخلتم بيوتا نكرة في سياق الشرط، يشمل بيت الإنسان وبيت غيره، الحرج، نظرا للحكمة والمعنى. وقوله: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فكل ذلك جائز، أكل أهل البيت الواحد جميعا، أو أكل كل واحد منهم الأكل منها، لأجل القرابة القريبة، أو التصرف التام، أو الصداقة، فلو قدر في أحد من هؤلاء عدم المسامحة والشح في الأكل المذكور، لم يجز الأكل، ولم يرتفع المنفي عن الأكل من هذه البيوت كل ذلك، إذا كان بدون إذن، والحكمة فيه معلومة من السياق، فإن هؤلاء المسمين قد جرت العادة والعرف، بالمسامحة في فقط. والثاني: أن بيوت الممالك، غير خارجة عن بيت الإنسان نفسه، لأن المملوك وما ملكه لسيده، فلا وجه لنفي الحرج عنه. أو صديقكم وهذا الحرج لوجهين: أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه ملكته مفتاحه بل يقال: ما ملكتموه أو ما ملكت أيما ناكم لأنهم مالكون له جملة، لا لمفاتيحه خالاتكم وهؤلاء معروفون، أو ما ملكتم مفتاحه أي: البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة، أو ولاية ونحو ذلك، وأما تفسيرها بالمملوك، فليس بوجه، فليس فيه أدنى توهم. أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت نفسه، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، الذي ينزه عنه كلام الله، ولأنه نفى الحرج عما يظن أو يتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه أنت ومالك لأبيك والحديث الآخر: إن أطيّب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم وليس المراد من قوله: من بيوتكم بيت الإنسان أطلق الكلام في ذلك، ولم يقيد، كما قيد قوله: ولا على أنفسكم أي: حرج أن تأكلوا من بيوتكم أي: بيوت أولادكم، وهذا موافق للحديث الثابت: الواجبة، التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى، أو سلامة الأعرج، أو صحة للمريض، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه، من حرج بل يسره غاية التيسير، فقال: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج أي: ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور يخبر تعالى عن منته على عباده، وأنه لم يجعل عليهم في الدين

أن يكون مقصرا في الاستئذان، ولهذا قال: واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم يغفر لهم الذنوب ويرحمهم، بأن جوز لهم الاستئذان مع العذر. 62
كان في قعوده وعدم ذهابه مصلحة برأيه، أو شجاعته، ونحو ذلك، لم يأذن له، ومع هذا إذا استأذن، وأذن له بشرطيه، أمر الله رسوله أن يستغفر له، لما عسى والثاني: أن يشاء الإذن فتقتضيه المصلحة، من دون مضرة بالآذن، قال: فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم فإذا كان له عذر واستأذن، فإن ولكن هل يأذن لهم أم لا؟ ذكر لإذنه لهم شرطين: أحدهما: أن يكون لشأن من شئوهم، وشغل من أشغالهم، فأما من يستأذن من غير عذر، فلا يؤذن له.

تفسير السعدي

الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، فقال: إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله بالله ورسوله حقاً، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولا يذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب أن يكونوا فيه جميعاً، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته،

فكيف بمن لم يذهب إلى شأن من شئونه؟ وإنما ترك أمر الله من دون شغل له. أن تصيبهم فتنة أي: شرك وشر أو يصيبهم عذاب أليم 63 فالله يعلمهم، وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء، ولهذا توعدهم بقوله: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي: يذهبون إلى بعض شئونهن عن أمر الله ورسوله، فهو وإن خفي عليكم بذهابه على وجه خفي، وهو المراد بقوله: يتسللون منكم لوذا أي: يلوذون وقت تسللهم وانطلاقهم بشيء يحجبهم عن العيون، منكم لوذا لما مدح المؤمنين بالله ورسوله، الذين إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه، توعدهم من لم يفعل ذلك وذهب من غير استئذان، كما يقول ذلك بعضهم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه صلى الله عليه وسلم عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله. قد يعلم الله الذين يتسللون إذا دعاكم لما يحبيكم وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضهم بعضاً، فلا تقولوا: يا محمد عند ندائكم، أو يا محمد بن عبد الله أحد إذا قال قولاً يجب على الأمة قبول قوله والعمل به، إلا الرسول، لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم وكما يحبب إليكم فإن كنتم فرقا فمما يحبب إليكم أن تقرضوا وأما منكم فمما يحبب إليكم أن تقرضوا 64

منهم، ويستشهد عليهم أعضاءهم، فلا يعدمون منه فضلاً أو عدلاً. ولما قيد علمه بأعمالهم، ذكر العموم بعد الخصوص، فقال: والله بكل شيء عليم 64 عليكم الحفظة الكرام الكاتبون. ويوم يرجعون إليه في يوم القيامة فينبئهم بما عملوا يخبرهم بجميع أعمالهم، دقيقها وجليلها، إخباراً مطابقاً لما وقع وحكمه الشرعي. قد يعلم ما أنتم عليه أي: قد أحاط علمه بما أنتم عليه، من خير وشر، وعلم جميع أعمالكم، أحصاها علمه، وجرى بها قلمه، وكتبها ألا إن لله ما في السماوات والأرض ملكاً وعبداً، يتصرف فيهم بحكمه القدري،

الدليل، أنه يقام عليها الحد، بدليل قوله: ويدراً عنها العذاب أن تشهد إلى آخره، فلولا أن العذاب وهو الحد قد وجب بلعانه، لم يكن لعانها دارناً له. 7 ولو سمي الرجل الذي رماها به، فإنه يسقط حقه تبعاً لها. وهل يقام عليها الحد، بمجرد لعان الرجل ونكولها أم تحبس؟ فيه قولان للعلماء، الذي يدل عليه أي: يزيد في الخامسة مع الشهادة المذكورة، مؤكداً تلك الشهادات، بأن يدعو على نفسه، باللعنة إن كان كاذباً، فإذا تم لعانه، سقط عنه حد القذف، ظاهر الآيات، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين

ويدراً عنها، أي: يدفع عنها العذاب، إذ قابلت شهادات الزوج، بشهادات من جنسها. أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين 8 مختص بالزوج إذا رمى امرأته، لا بالعكس، وأن الشبه في الولد مع اللعان لا عبرة به، كما لا يعتبر مع الفراش، وإنما يعتبر الشبه حيث لا مرجح إلا هو. 9 عليه، وظاهر الآيات يدل على اشتراط هذه الألفاظ عند اللعان، منه ومنها، واشتراط الترتيب فيها، وأن لا ينقص منها شيء، ولا يبدل شيء بشيء، وأن اللعان وتزيد في الخامسة، مؤكدة لذلك، أن تدعو على نفسها بالغضب، فإذا تم اللعان بينهما، فرق بينهما إلى الأبد، وانتفى الولد الملاحن

سورة 25

الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدي، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته. 1 عبده للعالمين نذيراً ينذرهم بأس الله ونقمه ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة السعادة من أهل الشقاوة، على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الذي كمل مراتب العبودية وفاق جميع المرسلين، ليكون ذلك الإنزال للفرقان على فقال: تبارك أي: تعظم وكملت أوصافه وكثرت خيراته الذي من أعظم خيراته ونعمه أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام والهدى والضلال وأهل هذا بيان لعظمته الكاملة وتفرد بالوحدانية من كل وجه وكثرة خيراته وإحسانه

عنده في غاية البعد والحقارة أعطى منها أوليائه ورسله ما اقتضته حكمته منها، واقتراح أعدائهم بأنهم هلا رزقوا منها رزقا كثيراً جداً ظلم وجراءة. 10 قالوا، ثم فسر بقوله: جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً مرتفعة مزخرفة، فقدرته ومشيتته لا تقصر عن ذلك ولكنه تعالى لما كانت الدنيا تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك أي: خيراً مما

واحدة وهي نزول العذاب به، فلماذا قال: وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً أي: نارا عظيمة قد اشتد سعيرها، وتغيظت على أهلها واشتد زفيرها. 11 من ذلك ولهذا قال: بل كذبوا بالساعة والمكذب المتعنت الذي ليس له قصد في اتباع الحق، لا سبيل إلى هدايته ولا حيلة في مجادلته وإنما له حيلة التي قالوها معلومة الفساد أخبر تعالى أنها لم تصدر منهم لطلب الحق، ولا لاتباع البرهان وإنما صدرت منهم تعنتاً وظلماً وتكذيباً بالحق، فقالوا ما بقلوبهم ولما كانت تلك الأقوال

تفسير السعدي

تقلق منهم الأفئدة وتتصدع القلوب، ويكاد الواحد منهم يموت خوفا منها وذعرا قد غضبت عليهم لغضب خالقها وقد زاد لديها كفرهم وشرهم. 12
إذا رأته من مكان بعيد أي: قبل وصولهم ووصولها إليهم، سمعوا لها تغيظا عليهم وزفيرا

وعلموا أنهم ظالمون معتدون، قد عدل فيهم الخالق حيث أنزلهم بأعمالهم هذا المنزل، وليس ذلك الدعاء والاستغاثة بنافعة لهم ولا مغنية من عذاب الله 13
وتقرينهم بالسلاسل والأغلال، فإذا وصلوا لذلك المكان التحس وحسوا في أشر حبس دعوا هنالك ثورا دعوا على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة
وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين أي: وقت عذابهم وهم في وسطها، جمع في مكان بين ضيق المكان وتزاحم السكان
: لا تدعوا اليوم ثورا واحدا وادعوا ثورا كثيرا أي: لو زاد ما قلتم أضعاف أضعافه ما أفادكم إلا الهم والغم والحزن. 14

الله فمن قام بالتقوى فالله قد وعده إياها، كانت لهم جزاء على تقواهم ومصيرا موثلا يرجعون إليها، ويستقرون فيها ويخلدون دائما أبدا. 15
لهم مبينا لسفاهة رأيهم واختيارهم الضار على النافع: أذلك الذي وصفت لكم من العذاب خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون التي زادها تقوى

أي: قل

من قضيت على أقوام بالشقاء وأقوام بالسعادة أن تجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة، ونستغيث بك اللهم من حالة الأشقياء ونسألك المعافاة منها. 16
دار الشقاء أو عمال دار السعادة أولى بالفضل والعقل والفخر يا أولي الأبواب؟ لقد وضح الحق واستنار السبيل فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل، فزجوك يا
إليها على ربك وعدا مسئولا يسأله إياها، عباده المتقون بلسان حالهم ولسان مقالهم، فأى الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأي: العاملين عمال
كلامه، والحظوة بقربه والسعادة برضاه والأمن من سخطه واستمرار هذا النعيم ودوامه وزيادته على ممر الأوقات وتعاقب الآتات كان دخولها والوصول
مزخرفة، وأصوات شجية تأخذ من حسناتها بالقلوب ومزاورة الإخوان، والتمتع بقاء الأحياء، وأعلى من ذلك كله التمتع بالنظر إلى وجه الرب الرحيم وسماع
يصرفونها ويفجرونها أنهارا من ماء غير آسن وأنهارا من لبن لم يتغير طعمه وأنهارا من خمر لذة للشاربين وأنهارا من عسل مصفى وروائح طيبة، ومسكن
والحدائق المرجحة والفواكه التي تسر ناظرها وأكلها، من حسناتها وتنوعها وكثرة أصنافها والأنهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها، حيث شاءوا
فيها ما يشاءون أي: يطلبون وتتعلق بهم أمانيتهم ومشيتهم، من المطاعم والمشارب اللذيذة والملابس الفاخرة والنساء الجميلات والقصور العالياات والجنات
لهم

على وجه التقرير لمن بعدهم: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل هل أمرتموهم بعبادتكم وزينتكم لهم ذلك أم ذلك من تلقاء أنفسهم؟ 17
يوم القيامة وتبريهم منهم، وطلان سعيهم فقال: ويوم يحشرهم أي: المكذبين المشركين وما يعبدون من دون الله فيقول الله مخاطبا للمعبودين

يخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم

الدنيا الذي صرفهم عن الهدى، وعدم المقتضي للهدى وهو أنهم لا خير فيهم، فإذا عدم المقتضي ووجد المانع فلا تشاء من شر وهلاك، إلا وجدته فيهم 18
وضيعوا دينهم وكانوا قوما بورا أي: بائرين لا خير فيهم ولا يصلحون لصالح لا يصلحون إلا للهلاك والبوار، فذكروا المانع من اتباعهم الهدى وهو التمتع في
ولكن تمتعتهم وآباءهم في لذات الدنيا وشهواتها ومطالبها النفسية، حتى نسوا الذكر اشتغالا في لذات الدنيا وإكبابا على شهواتها، فحافظوا على دنياهم
كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين فلما نزهوا أنفسهم أن يدعوا لعبادة غير الله أو يكونوا أضلوهم ذكروا السبب الموجب لإضلال المشركين فقالوا:
جميعا ثم نقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون وإذا حشر الناس
تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم الآية. وقال تعالى: ويوم نحشرهم
قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته
عبادة غيرك، فكيف نأمر أحدا بعبادتنا؟ هذا لا يكون أو، سبحانه عن أن نتخذ من دونك من أولياء وهذا كقول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: وإذا
كان ينبغي لنا أي: لا يليق بنا ولا يحسن منا أن نتخذ من دونك من أولياء نتولاهم ونعبدهم وندعوهم، فإذا كنا محتاجين ومفتقرين إلى عبادتك متبرئين من
قالوا سبحانه نزهوا الله عن شرك المشركين به وبرؤوا أنفسهم من ذلك، ما

منهم الذي عرف الحق وصدف عنه فقال في حقه: ومن يظلم منكم بترك الحق ظلما وعنادا ندقه عذابا كبيرا لا يقادر قدره ولا يبلغ أمره. 19
عنكم بفعلكم أو بفداء أو غير ذلك، ولا نصرا لعجزكم وعدم ناصرهم. هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين كما رأيت أسوأ حكم، وأشر مصير. وأما المعاند
بعبادتهم ورضوا بفعلكم، وأنهم شفعاء لكم عند ربكم، كذبوكم في ذلك الزعم وصاروا من أكبر أعدائكم فحق عليكم العذاب، فما تستطيعون صرفا للعذاب
فلما تبرؤوا منهم قال الله توبخا وتقريعا للعابدين فقد كذبوكم بما تقولون إنهم أمروكم

وكثرة إحسانه كان ذلك مقتضيا لأن يكون وحده المحبوب المألوه المعظم المفرد بالإخلاص وحده لا شريك له ناسب أن يذكر بطلان عبادة ما سواه. 2
قال تعالى: سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقال تعالى: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ولما بين كماله وعظمته
صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته المشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد لا يناسبه غير محله الذي هو فيه.
السفلي من حيواناته ونباتاته وجماداته، فقره تقديرا أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به ويناسبه من الخلق وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث
ولا يتصرفون إلا بإذنه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلم يقدره حق قدره من قال فيه ذلك ولهذا قال: وخلق كل شيء شمل العالم العلوي والعالم

تفسير السعدي

الوجوه، والمخلوقون مفتقرون إليه فقرا ذاتيا من جميع الوجوه؟ وكيف يكون له شريك في الملك ونواصي العباد كلهم بيديه، فلا يتحركون أو يسكنون لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وكيف يكون له ولد أو شريك وهو المالك وغيره مملوك، وهو القاهر وغيره مقهور وهو الغني بذاته من جميع الذي له ملك السماوات والأرض أي: له التصرف فيهما وحده، وجميع من فيهما ممالك وعبيد له مدعون لعظمته خاضعون لربوبيته، فقراء إلى رحمته الذي

وكان ربك بصيرا يعلم أحوالكم، ويصطفي من يعلمه يصلح لرسالته ويختصه بتفضيله ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 20 والابتلاء والاختبار. والقصد من تلك الفتنة أتصبرون فتقومون بما هو وظيفتكم اللازمة الراتبه فيثيبكم مولاكم أم لا تصبرون فتستحقون المعاقبة؟ إليهم واختبار للمطيعين من العاصين والرسول فتناهم بدعوة الخلق، والغنى فتنة للفقير والفقر فتنة للغني، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار دار الفتن الطعام وما جعلناهم ملائكة، فلك فيهم أسوة، وأما الغنى والفقر فهو فتنة وحكمة من الله تعالى كما قال: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الرسول فتنه للمرسل الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق فما جعلناهم جسدا لا يأكلون ثم قال تعالى جوابا لقول المكذبين: مال هذا

بالإعراض والتكذيب والمعارضة، فأى عتو أكبر من هذا العتو؟ ولذلك بطلت أعمالهم واضمحلت، وخسروا أشد الخسران، وحرّموا غاية الحرمان. 21 تلين للحق، ولا تصغى للناصحين فلذلك لم ينجع فيهم وعظ ولا تذكير ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم وآيات الله البينات ثبوتها على ذلك؟ وأي كبر أعظم من هذا؟ وعتوا عتوا كبيرا أي: قسوا وصلبوا عن الحق قساوة عظيمة، فقلوبهم أشد من الأحجار وأصلب من الحديد لا استكبروا في أنفسهم حيث اقترحوا هذا الاقتراح وتجروا هذه الجرأة، فمن أنتم يا فقراء ويا مساكين حتى تطلبوا رؤية الله وتزعموا أن الرسالة متوقف عليها أو تنزل رسلا مستقلين، أو نرى ربنا فيكلمنا ويقول: هذا رسولي فاتبعوه؟ وهذا معارضة للرسول بما ليس بمعارض بل بالتكبر والعلو والعتو. لقد ووعيده الذين ليس في قلوبهم خوف الوعيد ولا رجاء لقاء الخالق. لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أي: هلا نزلت الملائكة تشهد لك بالرسالة وتؤكد أي: قال المكذبون للرسول المكذبون بوعد الله

مفر لهم. ويقولون حجرا محجورا يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان 22 ويباشرون عقابهم، فهذا الذي اقترحوه وهذا الذي طلبوه إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه ويلقوه، وحينئذ يتعذون من الملائكة ويفرون ولكن لا جوابا ينجيهم فيحلون بهم النقمة، وتزول عنهم بهم الرحمة، ثم يوم القيامة حين تسوقهم الملائكة إلى النار ثم يسلمونهم لخزنة جهنم الذين يتولون عذابهم الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ثم في القبر حيث يأتيهم منكر ونكير فيسألهم عن ربهم ونبئهم ودينهم فلا يجيبون عند الموت إذا نزلت عليهم الملائكة قال الله تعالى: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب التي اقترحوا نزولها لا بشرى يومئذ للمجرمين وذلك أنهم لا يرونها مع استمرارهم على جرمهم وعنادهم إلا لعقوبتهم وحلول البأس بهم، فأول ذلك يوم يرون الملائكة

وعوقبوا عليه وذلك لفقده الإيمان وصدوره عن مكذب لله ورسله، فالعمل الذي يقبله الله، ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسول المتبع لهم فيه. 23 وقدمنا إلى ما عملوا من عمل أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرا لهم وتعبوا فيها، فجعلناه هباء منثورا أي باطلا مضمحلا قد خسروه وحرّموا أجره

من باب استعمال أفعال التفضيل، فيما ليس في الطرف الآخر منه شيء لأنه لا خير في مقيل أهل النار ومستقرهم كقوله: آله خير أما يشركون 24 هي القيلولة، هو المستقر النافع والراحة التامة لاشتغال ذلك على تمام النعيم الذي لا يشوبه كدر، بخلاف أصحاب النار فإن جهنم ساءت مستقرا ومقيلا وهذا أصحاب الجنة الذين آمنوا بالله وعملوا صالحا واتقوا ربهم خير مستقرا من أهل النار وأحسن مقيلا أي: مستقرهم في الجنة وراحتهم التي أي: في ذلك اليوم الهائل كثير البلبال

من أنفسهم ووالديهم فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب. 25 ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم وهو أرحم بهم كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه في يوم القيامة لاسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل حي وملأت الكائنات وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص وزال بها في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم والأحرار والعبيد والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وقوله: الملك يومئذ أي: يوم القيامة الحق للرحمن لا يبقى لأحد من المخلوقين ملك ولا صورة ملك، كما كانوا وكان يوما على الكافرين عسيرا لصعوبته الشديدة وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن فإنه يسير عليه خفيف الحمل. يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا بالعظام، وأقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال: على كثرتهم وقوتهم ينزلون محيطين بالخلق مدعنين لأمر ربهم لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالآدمي الضعيف خصوصا الذي بارز ماله

تفسير السعدي

وتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفا صفا، إما صفا واحدا محيطا بالخالق، وإما كل سماء يكونون صفا ثم السماء التي تليها صفا وهكذا. القصد أن الملائكة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ويوم تشقق السماء بالغمام وذلك الغمام الذي ينزل الله فيه، ينزل من فوق السماوات فتنفطر له السماوات وتشقق تفسير الآيتين 25 و26 يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة

من أنفسهم ووالديهم فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب. 26 ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم وهو أرحم بهم كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها سبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه في يوم القيامة لاسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل حي وملأت الكائنات وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص وزال بها في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم والأحرار والعبيد والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وقوله: الملك يومئذ أي: يوم القيامة الحق للرحمن لا يبقى لأحد من المخلوقين ملك ولا صورة ملك، كما كانوا وكان يوما على الكافرين عسيرا لصعوبته الشديدة وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن فإنه يسير عليه خفيف الحمل. يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا بالعظام، وأقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي لا يجوز ولا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال: على كثرتهم وقوتهم ينزلون محيطين بالخلق مذعنين لأمر ربهم لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالآدمي الضعيف خصوصا الذي بارز ماله وتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفا صفا، إما صفا واحدا محيطا بالخالق، وإما كل سماء يكونون صفا ثم السماء التي تليها صفا وهكذا. القصد أن الملائكة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ويوم تشقق السماء بالغمام وذلك الغمام الذي ينزل الله فيه، ينزل من فوق السماوات فتنفطر له السماوات وتشقق تفسير الآيتين 25 و26 يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة

وتكذيبه للرسول على يديه تأسفا وتحسرا وحزنا وأسفا. يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا أي طريقا بالإيمان به وتصديقه واتباعه. 27 ويوم يعض الظالم بשרه وكفره أي: حبيبا مصافيا عاديت أنصح الناس لي، وأبرهم بي وأرفقهم بي، وواليت أعدى عدو لي الذي لم تفدني ولايته إلا الشقاء والخسار والخزي والبوار. 28 يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا وهو الشيطان الإنسي أو الجني، خليلا

العبد لنفسه وقت الإمكان وليتدارك الممكن قبل أن لا يمكن، وليوال من ولايته فيها سعادته وليعاد من تنفعه عداوته وتضره صداقته. والله الموفق. 29 من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل الآية. فلينظر لجميع أتباعه حين قضي الأمر، وفرغ الله من حساب الخلق وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم ما هو عليه من الضلال بخدعه وتسويله. وكان الشيطان للإنسان خذولا يزين له الباطل ويقبح له الحق، ويعده الأمانى ثم يتخلى عنه ويتبرأ منه كما قال لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني حيث زين له

ليوم النشور، وقد جعل لهم دارين دار الشقاء والخزي والنكال لمن اتخذ معه آلهة أخرى، ودار الفوز والسعادة والنعيم المقيم لمن اتخذ وحده معبودا. 3 آلهة وشركاء للخالق لسائر المخلوقات من غير مشاركة له في ذلك، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي يحيي ويميت ويبعث من في القبور ويجمعهم لأنه نكرة في سياق النفي. ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أي: بعثا بعد الموت، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها وفسادها وفساد عقل من اتخذها في كمال العجز أنها لا تقدر على خلق شيء بل هم مخلوقون، بل بعضهم مما عملته أيديهم. ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا أي: لا قليلا ولا كثيرا، أي: من أعجب العجائب وأدل الدليل على سفههم ونقص عقولهم، بل أدل على ظلمهم وجراءتهم على ربهم أن اتخذوا آلهة بهذه الصفة،

اتخذوا هذا القرآن مهجورا أي: قد أعرضوا عنه وهجروه وتركوه مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه 30 وقال الرسول مناديا لربه وشاكيا له إعراض قومه عما جاء به، ومتأسفا على ذلك منهم: يا رب إن قومي الذي أرسلتني لهدايتهم وتبليغهم،

فيحصل لك المطلوب ومصالح دينك ودنياك. ونصيرا ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كل مكروه في أمر الدين والدنيا فاكثف به وتوكل عليه. 31 وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة وبأهل الباطل من العقوبة، فلا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وكفى بربك هاديا يهديك من بعض فوائد ذلك أن يعلو الحق على الباطل وأن يتبين الحق ويتضح اتضاحا عظيما لأن معارضة الباطل للحق مما تزيده وضوحا وبيانا وكمال استدلال فقال: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي: من الذين لا يصلحون للخير ولا يزكون عليه يعارضونهم ويردون عليهم ويجادلونهم بالباطل. قال الله مسلينا لرسوله ومخبرا أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم

وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حيث جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية. 32 حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتبويب كثير أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه. ورتلناه ترتيلا أي: مهلناه ودرجناك فيه تدريجا. كذلك أنزلناه متفرقا لنثبت به فؤادك لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتا وخصوصا عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي محذور من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال:

هذا من جملة مقترحات الكفار الذي توحيه إليهم أنفسهم فقالوا:

يفهم منها، فإذا على قولهم لا يكون القرآن أحسن تفسيراً من غيره، وإنما التفسير الأحسن على زعمهم تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفاً. 33 والمواظ على الموافقة لذلك. وفيه رد على المتكلمين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيراً من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها ولها معان غير ما يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وحدوده للأشياء أوضح ألفاظاً وأحسن تفسيراً مبيناً للمعاني بيانياً كاملاً. وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدث ومعلم، وواعظ أن أي: أنزلنا عليك قرآناً جامعاً للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه ولهذا قال: ولا يأتونك بمثل يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً

الطرف الآخر منه شيء فإن المؤمنين حسن مكانهم ومستقرهم، واهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم وفي الآخرة إلى الوصول إلى جنات النعيم. 34 وعقوبة. أولئك الذين بهذه الحالة شر مكاناً ممن آمن بالله وصدق رسوله، وأضل سبيلاً وهذا من باب استعمال أفضل التفضيل فيما ليس في كذبوا رسوله وسوء مآلهم، وأنهم يحشرون على وجوههم أشنع مرأى، وأفطع منظر تسحبهم ملائكة العذاب ويجرونهم إلى جهنم الجامعة لكل عذاب يخبر تعالى عن حال المشركين الذين

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 35 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 36 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 37 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 38 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 39 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

لا يمكنه، لا هو ولا سائر الخلق أن يأتوا بهذا القرآن الذي هو أجل الكلام وأعلاه وأنه لم يجتمع بأحد يعينه على ذلك فقد جاءوا بهذا القول ظلماً وزوراً. 4 وإقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول صلى الله عليه وسلم وكمال صدقه وأمانته وبره التام وأنه أن قالوا في القرآن والرسول: إن هذا القرآن كذب كذبه محمد وإفك افتراه على الله وأعانه على ذلك قوم آخرون. فرد الله عليهم ذلك بأن هذا مكابرة منهم أي: وقال الكافرون بالله الذي أوجب لهم كفرهم

تفسير السعدي

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقي معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 40 هؤلاء أكفاركم خير من أولئك أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثا ولا نشورا، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا خيرا من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريبا منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عيانا كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

قد جمع من السفه والجهل والضلال والتناقض والظلم والعدوان ما لا يجمعه غيره، وحسبه جهلا وضلالا أن يقدح بهذا الرسول العظيم والهامم الكريم. 41 وهما مهم ومقدمهم في العقل والعلم واللب والرزانة، ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والعفة والشجاعة والكرم وكل خلق فاضل، وأن المحتقر له والشأن له وهو متجاهل، قصده ترويح ما معه من الباطل بالقبح بالحق وبمن جاء به، وإلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وجده رجل العالم الرسالة لغيره لكان أنسب. وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فهذا الكلام لا يصدر إلا من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عنادا أن يبعث الله هذا الرجل، وهذا من شدة ظلمهم وعنادهم وقلوبهم الحقائق فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول حاشاه في غاية الخسة والحقارة وأنه لو كانت الله المستكبرون في الأرض استهزؤوا بك واحتقروك وقالوا على وجه الاحتقار والاستصغار أهذا الذي بعث الله رسولا أي: غير مناسب ولا لائق أي: وإذا رأيك يا محمد هؤلاء المكذبون لك المعاندون لآيات

يرون العذاب يعلمون علما حقيقيا من هو أضل سبيلا ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الآيات. 42 وتواصوا بالصبر ولما كان هذا حكما منهم بأنهم المهتدون والرسول ضال وقد تقرر أنهم لا حيلة فيهم توعدهم بالعذاب وأخبر أنهم في ذلك الوقت حين في المواضع كلها، إلا في هذا الموضع فإنه صبر على أسباب الغضب وعلى الاستكثار من حطب جهنم. وأما المؤمنون فهم كما قال الله عنهم: وتواصوا بالحق ما هم عليه من الشرك فهذا تواصوا بالصبر عليه. وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم وهنا قالوا: لولا أن صبرنا عليها والصبر يحمد إن كاد هذا الرجل ليضلنا عن آلهتنا بأن يجعل الآلهة إلهًا واحدا لولا أن صبرنا عليها لأضلنا زعموا قبحهم الله أن الضلال هو التوحيد وأن الهدى والقصد من قدحهم فيه واستهزأهم به تصلبهم على باطلهم وغرورا لضعفاء العقول ولهذا قالوا:

يحكم لنفسه بالمنازل الرفيعة؟ أفأنت تكون عليه وكيفا أي: لست عليه بمسيطر مسلط بل إنما أنت منذر، وقد قمت بوظيفتك وحسابه على الله. 43 فوق ضلال من جعل إلهه معبوده هو ما هو به فعله فهذا قال: أرايت من اتخذ إلهه هواه ألا تعجب من حاله وتنظر ما هو فيه من الضلال؟ وهو

وهل

طريق هلاكها فتجتنبه وهي أيضا أسلم عاقبة من هؤلاء، فتبين بهذا أن الرامي للرسول بالضلال أحق بهذا الوصف وأن كل حيوان بهيم فهو أهدى منه. 44 في ضلالهم بالأنعام السائمة التي لا تسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل هم أضل من الأنعام لأن الأنعام يهديها راعيها فتتهدي وتعرف ثم سجل تعالى على ضلالهم البليغ بأن سلبهم العقول والأسماع وشبههم

العباد الظل وذلك قبل طلوع الشمس ثم جعلنا الشمس عليه أي: على الظل دليلا فلولا وجود الشمس لما عرف الظل فإن الضد يعرف بضده. 45 أي: ألم تشاهد ببصرك وبصيرتك كمال قدرة ربك وسعة رحمته، أنه مد على

بسبب ذلك من أدل دليل على قدرة الله وعظمته وكمال رحمته وعنايته بعباده وأنه وحده المعبود المحمود المحبوب المعظم، ذو الجلال والإكرام. 46 فتوالي الظل والشمس على الخلق الذي يشاهدونه عيانا وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وتعاقب الفصول، وحصول المصالح الكثيرة ثم قبضناه إينا قبضا يسيرا فكلما ارتفعت الشمس تقلص الظل شيئا فشيئا، حتى يذهب بالكلية

الظلام لتعطلت عليهم معاشهم ومصالحهم، ولكنه جعل النهار نشورا ينتشرون فيه لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح. 47 فيه وتهدؤوا بالنوم وتسبت حركاتكم أي: تنقطع عند النوم، فلولا الليل لما سكن العباد ولا استمروا في تصرفهم فضرهم ذلك غاية الضر، ولو استمر أيضا أي: من رحمته بكم ولطفه أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغطاكم، حتى تستقروا

وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره؟ 48 النوبات والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام. ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وأنزلنا من السماء ماء طهورا يظهر من الحدث والخبث ويظهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف بها السحاب وتألّف وصار كسفا وألقته وأدرته بإذن أمرها والمتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة. تفسير الآيتين 48 و49 أي: هو وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته وهو المطر فتأثر

وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره؟ 49 النوبات والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام. ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وأنزلنا من السماء ماء طهورا يظهر من الحدث والخبث ويظهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف

تفسير السعدي

بها السحاب وتألف وصار كسفا وألقحته وأدرته بإذن أمرها والمتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة. تفسير الآيتين 48 و49 أي: هو وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته وهو المطر فتار

كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام. ومنها: أن الرسول قد علمت حالته وهم أشد الناس علما بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له وقد زعموا ذلك. 5. الكلام وأعظمه وأجله بأنه كذب وافتراء. ومنها: أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل من وهذا القول منهم فيه عدة عظام: منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة. ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق أساطير الأولين اكتتبها أي: هذا قصص الأولين وأساطيرهم التي تتلقاها الأفواه وينقلها كل أحد استنسخها محمد فهي تملأ عليه بكرة وأصيلا ومن جملة أقاويلهم فيه أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد

ولما ذكر تعالى هذه الآيات العيانة المشاهدة وصرفها للعباد ليعرفوه ويشكروه ويذكروه مع ذلك أبي أكثر الخلق إلا كفورا، لفساد أخلاقهم وطبائعهم. 50 قاصرة عن ذلك، ولكن اقتضت حكمته ورحمته بك وبالعباد يا محمد أن أرسلك إلى جميعهم أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم إنهم وجنهم. 51 يخبر تعالى عن نفوذ مشيئته وأنه لو شاء لبعث في كل قرية نذيرا، أي: رسولا ينذرهم ويحذرهم فمشيئته غير وقمع الباطل إلا بذلته ولو رأيت منهم من التكذيب والجرأة ما رأيت فابذل جهدك واستفرغ وسعك، ولا تيأس من هدايتهم ولا تترك إبلاغهم لأهوائهم. 52 الكافرين في ترك شيء مما أرسلت به بل ابذل جهدك في تبليغ ما أرسلت به. واجهدهم بالقرآن جهادا كبيرا أي: لا تبق من مجهودك في نصر الحق فلا تطع

للعباد، وجعل بينهما برزخا أي: حاجزا يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر فتذهب المنفعة المقصودة منها وحجرا محجورا أي: حاجزا حصينا. 53 أي: وهو وحده الذي مرج البحرين يلتقيان البحر العذب وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض والبحر الملح وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة والمادة كلها من ذلك الماء المهيمن، فهذا يدل على كمال اقتداره لقوله: وكان ربك قديرا ويدل على أن عبادته هي الحق وعبادة غيره باطلة. 54 أي: وهو الله وحده لا شريك له الذي خلق الآدمي من ماء مهين، ثم نشر منه ذرية كثيرة وجعلهم أنسابا وأصهارا متفرقين ومجتمعين، بالنعمة الظاهرة والباطنة، وليس يخرج عن ملكه وسلطانه وقبضته والله لم يقطع عنه إحسانه وبره وهو بجهله مستمر على هذه المعادة والمبارزة. 55 الذي هو الأوثان والأنداد أعداء لله، فالكافر عاونها وظاهرها على ربها وصار عدوا لربه مبارزا له في العداوة والحرب، هذا وهو الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه والعطاء والمنع مع أن الواجب عليهم أن يكونوا مقتدين بإرشادات ربهم ذابين عن دينه، ولكنهم عكسوا القضية. وكان الكافر على ربه ظهيرا فالباطل أي: يعبدون أصناما وأمواتا لا تضر ولا تنفع ويجعلونها أندادا لملك النفع والضرر

والآجل، ونذيرا ينذر من عصى الله بالعقاب العاجل والآجل وذلك مستلزم لتبيين ما به البشارة وما تحصل به النذارة من الأوامر والنواهي. 56 رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم مسيطرا على الخلق ولا جعله ملكا ولا عنده خزائن الأشياء، وإنما أرسله مبشرا يبشر من أطاع الله بالثواب العاجل يخبر تعالى: أنه ما أرسل

ربه وسبيله فهذا وإن رغبتكم فيه فلست أجبركم عليه وليس أيضا أجرا لي عليكم وإنما هو راجع لمصلحتكم وسلوكم للسبيل الموصلة إلى ربكم 57 القرآن والهدى أجرا حتى يمنهم ذلك من اتباعك ويتكلفون من الغرامة، إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا أي: إلا من شاء أن ينفق نفقة في مرضاة وإنك يا محمد لا تسألهم على إبلاغهم

لا يموت وسبح بحمده أي: اعبدوه وتوكل عليه في الأمور المتعلقة بك والمتعلقة بالخلق. وكفى به بذنوب عباده خبيرا يعلمها ويجازي عليها. 58 ثم أمره أن يتوكل عليه ويستعين به فقال: وتوكل على الحي الذي له الحياة الكاملة المطلقة الذي أخبركم بذلك وأبان لكم من عظمت ما تستعدون به من معرفته فعرفه العارفون وخضعوا لجلاله، واستكبر عن عبادته الكافرون واستنكفوا عن ذلك 59 على ظاهريهم وباطنيهم وعلاه فوق العرش ومباينته إياهم. فاسأل به خبيرا يعني بذلك نفسه الكريمة فهو الذي يعلم أوصافه وعظمتته وجلاله، وقد السماوات والأرض باسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فاستوى على أوسع المخلوقات، بأوسع الصفات. فأثبت بهذه الآية خلقه للمخلوقات وإطلاعه بينهما في ستة أيام ثم استوى بعد ذلك على العرش الذي هو سقف المخلوقات وأعلاها وأوسعها وأجملها الرحمن استوى على عرشه الذي وسع فأنت ليس عليك من هداهم شيء وليس عليك حفظ أعمالهم، وإنما ذلك كله بيد الله الذي خلق السماوات والأرض وما

وحيث ما سلف من سيئاتهم وحيث قبل حسناتهم وحيث أعاد الراجع إليه بعد شروده والمقبل عليه بعد إعراضه إلى حالة المطيعين المنيبين إليه. 6 فعلوا أسباب المغفرة وهي الرجوع عن معاصيه والتوبة منها. رحيمًا بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وقد فعلوا مقتضاها، وحيث قبل توبتهم بعد المعاصي بل دعاهم إلى التوبة والإنابة إليه ووعدهم بالمغفرة والرحمة، إن هم تابوا ورجعوا فقال: إنه كان غفورا أي: وصفه المغفرة لأهل الجرائم والذنوب، إذا من علمه وأحكامه ما يدل دلالة قاطعة على أنه لا يكون إلا من عالم الغيب والشهادة، ومع إنكارهم للتوحيد والرسالة من لطف الله بهم، أنه لم يدهم وظلمهم الله، وهذا لا تقول به طائفة من بني آدم سوى الفلاسفة الدهرية. وأيضا فإن ذكر علمه تعالى العام ينههم: ويحضهم على تدبر القرآن، وأنهم لو تدبروا لرأوا فيه

تفسير السعدي

الله قال له ذلك، والله يعلم كل شيء ومع ذلك فهو يؤيده وينصره على أعدائه، ويمكنه من رقابهم وبلادهم فلا يمكن أحدا أن ينكر هذا القرآن، إلا بعد إنكار علم شيء، فيستحيل ويمتنع أن يقول مخلوق ويتقول عليه هذا القرآن، ويقول: هو من عند الله وما هو من عنده ويستحل دماء من خالفة وأموالهم، وبزعم أن السر كقوله: وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ووجه إقامة الحجة عليهم أن الذي أنزله، هو المحيط علمه بكل عليهم ذلك بقوله: قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض أي: أنزله من أحاط علمه بما في السماوات وما في الأرض، من الغيب والشهادة والجهر فلذلك رد

على التكذيب بالرسول واستكبارهم عن طاعته، وزادهم دعوتهم إلى السجود للرحمن نفورا هربا من الحق إلى الباطل وزيادة كفر وشقاء. 60 الحسنى فأسماءه تعالى كثيرة لكثرة أوصافه وتعدد كماله، فكل واحد منها دل على صفة كمال. أنسجد لما تأمرنا أي: لمجرد أمرك إيانا. وهذا مبني منهم عن اتخاذ آلهة مع الله وهو يدعو معه إليها آخر يقول: يا رحمن ونحو ذلك كما قال تعالى: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء عنكم جميع النقم. قالوا جحدا وكفرا وما الرحمن بزعمهم الفاسد أنهم لا يعرفون الرحمن، وجعلوا من جملة قوادحهم في الرسول أن قالوا: ينهانا وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن أي: وحده الذي أنعم عليكم بسائر النعم ودفع

الخلق الباهر والتدبير المنتظم والجمال العظيم دال على عظمة خالقها في أوصافه كلها، وما فيها من المصالح للخلق والمنافع دليل على كثرة خيراته. 61 وجعل فيها سراجا فيه النور والحرارة وهو الشمس. وقمرنا منيرا فيه النور لا الحرارة وهذا من أدلة عظمتها، وكثرة إحسانه، فإن ما فيها من الشمس والقمر التي تنزل منزلة منزلة وهي بمنزلة البروج والقلاع للمدن في حفظها، كذلك النجوم بمنزلة البروج المجعولة للحراسة فإنها رجوم للشياطين. جوده وكثرة خيراته الدينية والدنيوية ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن فقال: تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وهي النجوم عمومها أو منازل وسعة سلطانه ونفوذ مشيئته وعموم علمه وقدرته وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته. وفيها ما يدل على سعة رحمته وواسع تبارك ثلاث مرات لأن معناها كما تقدم أنها تدل على عظمة الباري وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة فيها من الاستدلال على عظمتها كرر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله:

فزاد في تذكرها وشكرها، فوظائف الطاعات بمنزلة سقي الإيمان الذي يمدده فلولاً ذلك لذوى غرس الإيمان ويبس. فله أتم حمد وأكمل على ذلك. 62 والشكر لله في وقت آخر، ولأن أوراد العبادات تتكرر بتكرار الليل والنهار، فكما تكررت الأوقات أحدث للعبد همة غير همته التي كسلت في الوقت المتقدم لها النشاط والكسل والذكر والغفلة والقبض والبسط والإقبال والإعراض، فجعل الله الليل والنهار يتوالى على العباد ويتكرران ليحدث لهم الذكر والنشاط يذكر الله ويشكره وله ورد من الليل أو النهار، فمن فاته ورده من أحدهما أدركه في الآخر، وأيضا فإن القلوب تتقلب وتنتقل في ساعات الليل والنهار فيحدث لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي: لمن أراد أن يتذكر بهما ويعتبر ويستدل بهما على كثير من المطالب الإلهية ويشكر الله على ذلك، ولمن أراد أن وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه أي: يذهب أحدهما فيخلفه الآخر، هكذا أبدا لا يجتمعان ولا يرتفعان،

من مقابلة الجاهل بجهله. وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل ورزاة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال 63 وإذا خاطبهم الجاهلون أي: خطاب جهل بدليل إضافة الفعل وإسناده لهذا الوصف، قالوا سلاما أي: خاطبهم خطابا يسلمون فيه من الإثم ويسلمون أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم يمشون على الأرض هونا أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده. وهي المراد هنا ولهذا أضافها إلى اسمه الرحمن إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا وعبودية لألوهيته وعبادته ورحمته وهي عبودية أنبيائه وأوليائه العبودية لله نوعان: عبودية لرؤسيتهم فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم،

تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون 64 والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أي: يكثر من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم متذللين له كما قال تعالى:

أي: ادفعه عنا بالصعامة من أسبابه ومغفرة ما وقع منا مما هو مقتض للعذاب. إن عذابها كان غراما أي: ملازما لأهلها بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه. 65 والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وليتذكروا منة الله عليهم، فإن صرف الشدة بحسب شدتها وفظاعتها يعظم وقعها ويشد الفرح بصرفها. 66 إنها ساءت مستقرا ومقاما وهذا منهم على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه

في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهذا من عدلهم واقتصادهم. 67 التذير وإهمال الحقوق الواجبة، ولم يقتروا فيدخلوا في باب البخل والشح وكان إنفاقهم بين ذلك بين الإسراف والتقتير قواما يبذلون والذين إذا أنفقوا النفقات الواجبة والمستحبة لم يسرفوا بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم

إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ومن يفعل ذلك أي: الشرك بالله أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو الزنا فسوف يلقى أثاما 68 وهي نفس المسلم والكافر المعاهد، إلا بالحق كقتل النفس بالنفس وقتل الزاني المحصن والكافر الذي يحل قتله. ولا يزنون بل يحفظون فروجهم

تفسير السعدي

- والذين لا يدعون مع الله إلها آخر بل يعبدونه وحده مخلصين له الدين حنفاء مقبلين عليه معرضين عما سواه. ولا يقتلون النفس التي حرم الله من المعاصي ما فعل، ونص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان والزنا فيه فساد الأعراض. 69
- والزاني في العذاب فإنه لا يتناول الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها إما شرك وإما من أكبر الكبائر. وأما خلود القاتل يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه أي: في العذاب مهانا فالوعيد بالخلود لمن فعلها
- لولا أنزل إليه ملك أي: هلا أنزل معه ملك يساعده ويعاونه، فيكون معه نذيرا وبزعمهم أنه غير كاف للرسالة ولا بطوقه وقدرته القيام بها. 7
- للبيع والشراء وهذا بزعمهم لا يليق بمن يكون رسولا، مع أن الله قال: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق تهكما منهم واستهزاء. يأكل الطعام وهذا من خصائص البشر فهلا كان ملكا لا يأكل الطعام، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، ويمشي في الأسواق الذين قدحوا بها في رسالته، وهو أنهم اعترضوا بأنه هلا كان ملكا أو مليكا، أو يساعده ملك فقالوا: مال هذا الرسول أي: ما لهذا الذي ادعى الرسالة؟ هذا من مقالة المكذبين للرسول
- أعلم. وكان الله غفورا لمن تاب يغفر الذنوب العظيمة رحيمًا بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بالعظائم ثم وفقهم لها ثم قبلها منهم. 70
- وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه فعددها عليه ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: يا رب إن لي سيئات لا أراها هاهنا والله فيتبدل شركهم إيمانًا ومعصيتهم طاعة وتتبدل نفس السيئات التي عملوها ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية. مما أمر به الشارع إذا قصد به وجه الله. فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات أي: تتبدل أفعالهم وأقوالهم التي كانت مستعدة لعمل السيئات تتبدل حسنات، وندم على ما مضى له من فعلها وعزم عزمًا جازمًا أن لا يعود، وآمن بالله إيمانًا صحيحًا يقتضي ترك المعاصي وفعل الطاعات وعمل عملا صالحا إلا من تاب عن هذه المعاصي وغيرها بأن أقلع عنها في الحال
- الأغراض الفاسدة، فالمقصود من هذا الحث على تكميل التوبة وإيقاعها على أفضل الوجوه وأجلها ليقدم على من تاب إليه فيوفيه أجره بحسب كمالاتها. 71
- متابا أي: فليعلم أن توبته في غاية الكمال لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله الذي هو عين سعادة العبد وفلاحه فليخلص فيها وليخلصها من شوائب ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله
- عنه. وفي قوله: وإذا مروا باللغو إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه. 72
- مروا كراما أي: نزهوا أنفسهم وأكرموا عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة فربأوا بأنفسهم داخلة في قول الزور تدخل في هذه الآية بالأولوية، وإذا مروا باللغو وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية ككلام السفهاء ونحوهم والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه. وشهادة الزور جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والذين لا يشهدون الزور أي: لا يحضرون الزور أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون
- والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذانًا سامعة وقلوبًا واعية فيزداد بها إيمانهم ويتم بها إيقانهم وتحدث لهم نشاطا ويفرحون بها سرورا واغتباطا. 73
- فيها وعند سماعها كما قال تعالى: إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون يقابلونها بالقبول والافتقار إليها يخروا عليها صما وعميانا أي لم يقابلوها بالأعراض عنها والصمم عن سماعها وصرف النظر والقلوب عنها كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم والذين إذا ذكروا بآيات ربهم باستماعها والاهتداء بها، لم
- المؤلمة ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيرا كثيرا وعطاء جزيلا وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل. 74
- قال تعالى: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره خلفهم فيهدون ويهتدون. ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة درجة الإمامة في الدين لا تتم إلا بالصبر واليقين كما من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير من ذكر يكون سببا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم. واجعلنا للمتقين إماما أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والأكمل في صلاحهم فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا: هب لنا بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن صلاح استقرارنا حالهم وصفاتهم عرفنا من همهم وعلو مرتبتهم أنهم لا تفر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم عاملين عاملين وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا أي: قراننا من أصحاب وأقران وزوجات، وذرياتنا قرة أعين أي: تفر بهم أعيننا. وإذا
- كان الله تعالى قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم ربما توهم متوهم أنه وأيضا غيرهم فلم لا يدخل في العبودية؟ 75
- وأنتعت علينا بما أنتعت من النعم الظاهرة والباطنة وصرفت عنا من النقم، فارجحنا رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك فلا خاب من سألك ورجاك. ولما ضعفاء عاجزون من كل وجه. نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا

تفسير السعدي

المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإننا من عليهم وأكرمهم الذي فضله في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وأوان، أن يهديهم كما هداهم ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم. فاللهم لك الحمد وإليك أن بين لهم أوصافهم، ونعت لهم هياتهم وبين لهم همهم، وأوضح لهم أجورهم، ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم، ويبدلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي هؤلاء الصفة وأتقى هؤلاء السادة ولله، فضل الله عليهم ونعمته ورحمته التي جلتهم، ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل. ولله، منة الله على عباده الممكنة لهم وهي درجة الإمامة والصدقية. فله ما أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمم وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس وأطهر تلك القلوب وأصفى ومن لوازم ذلك سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه لا بد أن يكون متسببا فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات تنفيذ أحكامها، وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينتفع به من يتعلق بهم وينتفع به المسلمون من صلاح أزواجهم وذريتهم، مروءتهم وإنسانيتهم وكما لهم ورفعته أنفسهم عن كل خسيس قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها والتفهم لمعانيها والعمل بها، والاجتهاد في وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية ولا يفعلونها بأنفسهم وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها، وذلك يستلزم في غيره من باب أولى والسلامة من كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته والعفة عن الدماء والأعراض والتوبة عند صدور شيء من ذلك، الواجب والمستحب في النفقات والاقتصاد في ذلك وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق الذي جرت العادة بالتفريط فيه أو الإفراط، فاقتصادهم وتوسطهم الخلق والعفو عن الجاهلين والإعراض عنهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان وقيام الليل والإخلاص فيه، والخوف من النار والتضرع لربهم أن ينجيهم منها وإخراج ومن بعض على بعض ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات. والحاصل: أن الله وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع له ولعباده وحسن الأدب والحلم وسعة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ولهذا قال هنا ويلقون فيها تحية وسلاما من ربهم ومن ملائكته الكرام أولئك يجزون الغرفة بما صبروا أي: المنازل الرفيعة والمساكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشتهى وتلذه الأعين وذلك بسبب صبرهم نالوا ما نالوا كما قال تعالى: تفسير الايتين 75 و76 لما كانت همهم ومطالبهم عالية كان الجزء من جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليات فقال:

كان الله تعالى قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم ربما توهم متوهم أنه وأيضا غيرهم فلم لا يدخل في العبودية؟ 76 وأنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة والباطنة وصرفت عنا من النقم، فارجحنا رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك فلا خاب من سألك ورجاك. ولما ضعفاء عاجزون من كل وجه. نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نتق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإننا من عليهم وأكرمهم الذي فضله في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وأوان، أن يهديهم كما هداهم ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم. فاللهم لك الحمد وإليك أن بين لهم أوصافهم، ونعت لهم هياتهم وبين لهم همهم، وأوضح لهم أجورهم، ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم، ويبدلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي هؤلاء الصفة وأتقى هؤلاء السادة ولله، فضل الله عليهم ونعمته ورحمته التي جلتهم، ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل. ولله، منة الله على عباده الممكنة لهم وهي درجة الإمامة والصدقية. فله ما أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمم وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس وأطهر تلك القلوب وأصفى ومن لوازم ذلك سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه لا بد أن يكون متسببا فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات تنفيذ أحكامها، وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينتفع به من يتعلق بهم وينتفع به المسلمون من صلاح أزواجهم وذريتهم، مروءتهم وإنسانيتهم وكما لهم ورفعته أنفسهم عن كل خسيس قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها والتفهم لمعانيها والعمل بها، والاجتهاد في وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية ولا يفعلونها بأنفسهم وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها، وذلك يستلزم في غيره من باب أولى والسلامة من كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته والعفة عن الدماء والأعراض والتوبة عند صدور شيء من ذلك، الواجب والمستحب في النفقات والاقتصاد في ذلك وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق الذي جرت العادة بالتفريط فيه أو الإفراط، فاقتصادهم وتوسطهم الخلق والعفو عن الجاهلين والإعراض عنهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان وقيام الليل والإخلاص فيه، والخوف من النار والتضرع لربهم أن ينجيهم منها وإخراج ومن بعض على بعض ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات. والحاصل: أن الله وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع له ولعباده وحسن الأدب والحلم وسعة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ولهذا قال هنا ويلقون فيها تحية وسلاما من ربهم ومن ملائكته الكرام أولئك يجزون الغرفة بما صبروا أي: المنازل الرفيعة والمساكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشتهى وتلذه الأعين وذلك بسبب صبرهم نالوا ما نالوا كما قال تعالى: تفسير الايتين 75 و76 لما كانت همهم ومطالبهم عالية كان الجزء من جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليات فقال:

قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما أي: عذابا يلزمكم لزوم الغريم لغريمه وسوف يحكم الله بينكم وبين عباده المؤمنين. 77 فأخبر تعالى أنه لا يبالي ولا يعبا بغير هؤلاء وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة ما عبا بكم ولا أحبكم فقال:

حملهم على القول ظلهم لا اشتباه منهم، إن تتبعون إلا رجلا مسحورا هذا وقد علموا كمال عقله وحسن حديثه، وسلامته من جميع المطاعن. 8 أو يلقي إليه كنز أي: مال مجموع من غير تعب، أو تكون له جنة يأكل منها فيستغني بذلك عن مشيه في الأسواق لطلب الرزق. وقال الظالمون أمر تعالى بالنظر إليها وتدبرها والنظر: هل توجب التوقف عن الجزم للرسول بالرسالة والصدق؟ ولهذا أخبر أنه قادر على أن يعطيك خيرا كثيرا في الدنيا 9 ليس في شيء منها هداية بل ولا في شيء منها أدنى شبهة تقدر في الرسالة، فبمجرد النظر إليها وتصورها يجزم العاقل ببطلانها ويكفيه عن ردها، ولهذا

عليه كنز، أو جعلت له جنة تغنيه عن المشي في الأسواق أو أنه كان مسحورا. فضلوا فلا يستطيعون سبيلا قالوا أقوالا متناقضة كلها جهل وضلال وسفه، انظر كيف ضربوا لك الأمثال وهي: أنه هلا كان ملكا وزالت عنه خصائص البشر؟ أو معه ملك لأنه غير قادر على ما قال، أو أنزل

سورة 26

قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما أي: عذابا يلزمكم لزوم الغريم لغريمه وسوف يحكم الله بينكم وبين عباده المؤمنين. 1 فأخبر تعالى أنه لا يبالي ولا يعبا بغير هؤلاء وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة ما عبأ بكم ولا أحبكم فقال:

وقت نداء الله إياه، حين كلمه ونباه وأرسله فقال: أن انت القوم الظالمين الذين تكبروا في الأرض، وعلوا على أهلها وادعى كبيرهم الربوبية. 10 عظيمة، وعبر وفيها نبأه مع الظالمين والمؤمنين، وهو صاحب الشريعة الكبرى، وصاحب التوراة أفضل الكتب بعد القرآن فقال: واذكر حالة موسى الفاضلة، أعاد البارئ تعالى، قصة موسى وثناها في القرآن، ما لم يثن غيرها، لكونها مشتملة على حكم

فما لنا حينئذ من شافعين يشفعون لنا لينقذونا من عذابه 100

أي قريب مصاف ينفعنا بأدنى نفع كما جرت العادة بذلك في الدنيا فأيسوا من كل خير وأبلسوا بما كسبوا وتمنوا العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحا 101 ولا صديق حميم

الدنيا وإعادة إليها فنكون من المؤمنين لنسلم من العقاب ونستحق الثواب هيهات هيهات قد حيل بينهم وبين ما يشتهون وقد غلقت منهم الرهون 102 فلو أن لنا كرة أي رجعة إلى

إن في ذلك الذي ذكرنا لكم ووصفنا لآية لكم وما كان أكثرهم مؤمنين مع نزول الآيات 103

وإن ربك لهو العزيز الرحيم 104

تكذيب نوح، كتكذيب جميع المرسلين، لأنهم كلهم، اتفقوا على دعوة واحدة، وأخبار واحدة، فتكذيب أحدهم، تكذيب، بجميع ما جاءوا به من الحق. 105 يذكر تعالى، تكذيب قوم نوح لرسولهم نوح، وما رد عليهم وردوا عليه، وعاقبة الجميع فقال: كذبت قوم نوح المرسلين جميعهم، وجعل

طريقة الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم : ألا تتقون الله، تعالى، فتتركون ما أنتم مقيمون عليه، من عبادة الأوثان، وتخلصون العبادة لله وحده. 106 من نسب من أرسل إليهم، لئلا يشتمزوا من الانقياد له، ولأنهم يعرفون حقيقته، فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه، فقال لهم مخاطبا بألفاظ خطاب كما هي كذبوه إذ قال لهم أخوهم في النسب نوح وإنما ابتعث الله الرسل،

بهذا الرسول الكريم، وكونه أمينا يقتضي أنه لا يتقول على الله، ولا يزيد في حجه، ولا ينقص، وهذا يوجب لهم التصديق بخبره والطاعة لأمره. 107 إني لكم رسول أمين فكونه رسولا إليهم بالخصوص، يوجب لهم تلقي ما أرسل به إليهم، والإيمان به، وأن يشكروا الله تعالى، على أن خصهم

فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فإن هذا هو الذي يترتب على كونه رسولا إليهم، أمينا، فلذلك رتبته بالفاء الدالة على السبب، فذكر السبب الموجب. 108 فاتقوا الله وأطيعون

إلا على رب العالمين أرجو بذلك القرب منه، والثواب الجزيل، وأما أنتم فمفني، ومنتهى إرادتي منكم، النصح لكم، وسلوكم الصراط المستقيم. 109 ثم ذكر انتفاء المانع فقال: وما أسألكم عليه من أجر . فتتكلفون من المغرم الثقيل، إن أجري

قوم فرعون ألا يتقون أي: قل لهم، بلين قول، ولطف عبارة ألا تتقون الله الذي خلقكم ورزقكم، فتتركون ما أنتم عليه من الكفر. 11

مكثه في ذلك، كما قال تعالى فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وقال: رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا الآيات. 110 فاتقوا الله وأطيعون كرر ذلك عليه السلام، لتكريره دعوة قومه، وطول

فساده، رد دعوته عرفنا أنهم ضالون مخطئون، ولو لم نشاهد من آيات نوح ودعوته العظيمة، ما يفيد الجزم واليقين، بصدقه وصحة ما جاء به. 111 عن صحة دعوى خصمه، فقوم نوح، لما سمعنا عنهم، أنهم قالوا في ردهم دعوة نوح: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فبنوا على هذا الأصل، الذي كل أحد يعرف

ورضي أن يسجد لها، ويدعوها، وأبى الانقياد لدعوة الرسل الكمل. وبمجرد ما يتكلم أحد الخصمين في الكلام الباطل، يعرف فساد ما عنده بقطع النظر حق التأمل، لعلموا أن أتباعه، هم الأعلون، خيار الخلق، أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأن الأرذل، من سلب خاصية عقله، فاستحسن عبادة الأحجار،

بالحقائق، فإنهم لو كان قصدهم الحق، لقالوا إن كان عندهم إشكال وشك في دعوته بين لنا صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك، ولو تأملوا يصلح للمعارضة: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا أسافل الناس، وأراذلهم، وسقطهم. بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم

فقالوا ردا لدعوته، ومعارضة له بما ليس

فقال نوح عليه السلام: وما علمي بما كانوا يعملون 112

تفسير السعدي

- إلا على ربي لو تشعرون أي أعمالهم وحسابهم على الله إنما علي التبليغ وأنتم دعوهم عنكم إن كان ما جئتمكم به الحق فانقادوا له وكل له عمله 113
إن حسابهم
- الطرد والإهانة وإنما يستحقون الإكرام القولي والفعلي كما قال تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة 114
وما أنا بطارد المؤمنين كأنهم قبحهم الله طلبوا منه أن يطردهم عنه تكبرا وتجبرا ليؤمنوا فقال وما أنا بطارد المؤمنين فإنهم لا يستحقون
إن أنا إلا نذير مبين أي ما أنا إلا منذر ومبلغ عن الله ومجتهد في نصح العباد وليس لي من الأمر شيء إن الأمر إلا لله . 115
- بشر مقابلة لا جرم لما انتهى ظلمهم واشتد كفرهم دعا عليهم نبهم بدعوة أحاطت بهم فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا الآيات. 116
من المرجومين أي لنقتلك شر قتلة بالرمي بالحجارة كما يقتل الكلب فتبا لهم ما أقبح هذه المقابلة يقابلون الناصح الأمين الذي هو أشفق عليهم من أنفسهم
فاستمر نوح عليه الصلاة والسلام على دعوتهم ليلا ونهارا سرا وجهارا فلم يزدادوا إلا نفورا وقالوا لنن لم تنته يا نوح من دعوتك إيانا إلى الله وحده لتكونن
وهنا قال رب إن قومي كذبون 117
- فاتفتح بيني وبينهم فتحا أي أهلك الباغي منا وهو يعلم أنهم البغاة الظلمة ولهذا قال ونجني ومن معي من المؤمنين 118
فأنجيناه ومن معه في الفلك أي السفينة المشحون من الخلق والحيوانات. 119
- فقال موسى عليه السلام، معتذرا من ربه، ومبيننا لعذره، وسائلا له المعونة على هذا الحمل الثقيل: قال رب إنني أخاف أن يكذبون 12
ثم أغرقنا بعد أي بعد نوح ومن معه من المؤمنين الباقيين أي جميع قومه. 120
- إن في ذلك أي نجاة نوح وأتباعه وإهلاك من كذبه لآية دالة على صدق رسلنا وصحة ما جاءوا به وبطلان ما عليه أعداؤهم المكذبون بهم . 121
وإن ربك لهو العزيز الذي قهر بعزه أعداءه فأغرقهم بالطوفان الرحيم بأوليائه حيث نجى نوحا ومن معه من أهل الإيمان. 122
- أي: كذبت القبيلة المسماة عادا، رسولهم هودا، وتكذيبهم له تكذيب لغيره، لاتفاق الدعوة. 123
- إذ قال لهم أخوهم في النسب هود بلطف وحسن خطاب: ألا تتقون الله، فتتركون الشرك وعبادة غيره. 124
- إني لكم رسول أمين أي: أرسلني الله إليكم، رحمة بكم، واعتناء بكم، وأنا أمين، تعرفون ذلك مني. 125
- الله تعالى، وهو التقوى، وأدوا حقي، بطاعتي فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فهذا موجب، لأن تتبعوني وتطيعوني وليس ثم مانع يمنعكم من الإيمان، 126
فاتقوا الله وأطيعون أي: أدوا حق
- أجرا، حتى تستثقلوا ذلك المغرم. إن أجري إلا على رب العالمين الذي رباهم بنعمه، وأدر عليهم فضله وكرمه، خصوصا ما ربي به أوليائه وأنبياءه. 127
فلست أسألكم على تبليغي إياكم، ونصحي لكم،
- أنبئون بكل ريع أي: مدخل بين الجبال آية أي: علامة تعيثنون أي: تفعلون ذلك عبثا لغير فائدة تعود بمصالح دينكم ودنياكم. 128
- وتتخذون مصانع أي: بركا ومجاري للحياة لعلكم تخلصون والحال أنه لا سبيل إلى الخلود لأحد. 129
- من أهلي هارون أخي فأرسل إلى هارون فأجاب الله طلبته ونبا أخاه هارون كما نبأه فأرسله معي ردا أي معاونا لي على أمري أن يصدقوني. 13
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني . فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا
- طاعة الله، ولكنهم فخروا، واستكبروا، وقالوا: من أشد منا قوة واستعملوا قوتهم في معاصي الله، وفي العبث والسفه، فلذلك نهاهم نبهم عن ذلك. 130
وإذا بطشتم بالخلق بطشتهم جبارين قتلا وضربا، وأخذ أموال. وكان الله تعالى قد أعطاهم قوة عظيمة، وكان الواجب عليهم أن يستعينوا بقوتهم على
- فاتقوا الله واتركوا شرككم وبطركم وأطيعون حيث علمتم أني رسول الله إليكم، آمين ناصح. 131
- واتقوا الذي أمركم أي: أعطاكم بما تعلمون أي: أمركم بما لا يجهل ولا ينكر من الإنعام. 132
- أمركم بأنعام من إبل وبقر وغنم وبنين أي: وكثرة نسل، كثر أموالكم، وكثر أولادكم، خصوصا الذكور، أفضل القسمين. 133
- هذا تذكيرهم بالنعم. 134
- عذاب يوم عظيم . أي: إني من شفقتي عليكم وبري بكم أخاف أن ينزل بكم عذاب يوم عظيم، إذا نزل لا يرد، إن استمريرتم على كفركم وبغيكم. 135
ثم ذكرهم حلول عذاب الله فقال: إني أخاف عليكم
- لها أفئدة أولي الألباب، وجودها وعدمها عندهم على حد سواء، لقوم انتهى ظلمهم، واشتد شقاؤهم، وانقطع الرجاء من هدايتهم، ولهذا قالوا: 136
من الواعظين أي: الجميع على حد سواء، وهذا غاية العتو، فإن قوما بلغت بهم الحال إلى أن صارت مواعظ الله، التي تذيب الجبال الصم الصلاب، وتتصدع
فقالوا معاندين للحق مكذبين لنبيهم: سواء علينا أوعظت أم لم تكن

تفسير السعدي

- الأحوال والنعم، ونحو ذلك، عادة الأولين، تارة يستغنون، وتارة يفتقرون، وهذه أحوال الدهر، لا أن هذه محن ومنح من الله تعالى، وابتلاء لعباده. 137
إن هذا إلا خلق الأولين . أي: هذه
- إنكار منهم للبعث، أو تنزل مع نبينهم وتهكم به، إننا على فرض أننا نبعث، فإننا كما أدركت علينا النعم في الدنيا، كذلك لا تزال مستمرة علينا إذا بعثنا. 138
وما نحن بمعذبين وهذا
- نبينا هود عليه السلام وصحة ما جاء به وبطلان ما عليه قومه من الشرك والجبروت وما كان أكثرهم مؤمنين مع وجود الآيات المقتضية للإيمان 139
بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية إن في ذلك لآية على صدق
فكذبوه أي: صار التكذيب سجية لهم وخلقاً، لا يردعهم عنه رادع، فأهلكناهم
- ولهم علي ذنب أي في قتل القبطي فأخاف أن يقتلوا 14
وإن ربك لهو العزيز الذي أهلك بقوته قوم هود على قوتهم وبطشهم الرحيم بنبيه هود حيث نجاه ومن معه من المؤمنين 140
- المعروفة في مدائن الحجر المرسلين كذبوا صالحاً عليه السلام، الذي جاء بالتوحيد، الذي دعت إليه المرسلون، فكان تكذيبهم له تكذيباً للجميع. 141
كذبت ثمود القبيلة
- إذ قال لهم أخوهم صالح في النسب، برفق ولين: ألا تتقون الله تعالى، وتدعون الشرك والمعاصي. 142
- أرسلني إليكم، لطفاً بكم ورحمة، فتلقوا رحمته بالقبول، وقابلوها بالإذعان، أمين تعرفون ذلك مني، وذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي، وبما جئت به. 143
إني لكم رسول من الله ربكم،
- أرسلني إليكم، لطفاً بكم ورحمة، فتلقوا رحمته بالقبول، وقابلوها بالإذعان، أمين تعرفون ذلك مني، وذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي، وبما جئت به. 144
إني لكم رسول من الله ربكم،
- وما أسألكم عليه من أجر فتقولون: يمنعنا من اتباعك، أنك تريد أخذ أموالنا، إن أجري إلا على رب العالمين أي: لا أطلب الثواب إلا منه. 145
أتركون في ما هاهنا آمين 146
- في جنات وعيون 147
- في هذه الخيرات والنعم سدى تتنعمون وتتمتعون كما تتمتع الأنعام وتتركون سدى لا تؤمرون ولا تنهون وتستعينون بهذه النعم على معاصي الله 148
وزروع ونخل طلعها هضيم أي نضيد كثير أي تحسبون أنكم تتركون
- وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين أي بلغت بكم الفراهة والحدق إلى أن اتخذتم بيوتا من الجبال الصم الصلاب 149
- مناذته له غاية المناظرة وتسفيه رأييه وتضليله وقومه فاذها بآياتنا الدالة على صدقكم وصحة ما جئنا به إنا معكم مستمعون أحفظكم وأكلؤكم. 15
قال كلا أي لا يتمكنون من قتلنا فإنا سنجعل لكم سلطاناً فلا يصلون إليكم بآياتنا أنتم ومن اتبعكم الغالبون ولهذا لم يتمكن فرعون من قتل موسى مع
فاتقوا الله وأطيعون 150
- ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين تجاوزوا الحد 151
- عن الاغترار بهم ولعلمهم الذين قال الله فيهم وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون فلم يفد فيهم هذا النهي والوعظ شيئاً. 152
إليها إفساداً لا إصلاح فيه وهذا أضر ما يكون لأنه شر محض وكأن أناساً عندهم استعداد لمعارضة نبيهم موضعون في الدعوة لسبيل الغي فنهاهم صالح
الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي الذين وصفهم ودأبهم الإفساد في الأرض بعمل المعاصي والدعوة
فقالوا لصالح إنما أنت من المسحرين أي قد سحرت فأنت تهذي بما لا معنى له 153
- صحة ما جاء به وصدقه ولكنهم من قسوتهم سألوا آيات الاقتراح التي في الغالب لا يفلح من طلبها لكون طلبه مبنياً على التعنت لا على الاسترشاد 154
فأي فضيلة فقتنا بها حتى تدعونا إلى اتباعك؟ فأت بآية إن كنت من الصادقين هذا مع أن مجرد اعتبار حالته وحالة ما دعا إليه من أكبر الآيات البينات على
ما أنت إلا بشر مثلاً
- بأجمعكم لها شرب ولكم شرب يوم معلوم أي تشرب ماء البئر يوماً وأنتم تشربون لبنها ثم تصدر عنكم اليوم الآخر وتشربون أنتم ماء البئر 155
فقال صالح هذه ناقة تخرج من صخرة صماء ملساء ترونها وتشاهدونها
- ولا تمسوها بسوء بقر أو غيره فيأخذكم عذاب يوم عظيم فخرجت واستمرت عندهم بتلك الحال فلم يؤمنوا واستمروا على طغيانهم 156
ففقروها فأصبحوا نادمين 157

تفسير السعدي

وهي صيحة نزلت عليهم، فدمرتهم أجمعين، إن في ذلك لآية على صدق ما جاءت به رسلنا، وبطلان قول معارضيههم، وما كان أكثرهم مؤمنين 158 فأخذهم العذاب

وإن ربك لهو العزيز الرحيم . 159

فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أي أرسلنا إليك لتؤمن به وبنا وتنقاد لعبادته وتذعن لتوحيده. 16

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 160 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 161 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 162 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 163 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 164 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 165 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 166 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 167 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 168 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

رب نجني وأهلي مما يعملون من فعله وعقوبته فاستجاب الله له. 169

أن أرسل معنا بني إسرائيل فكف عنهم عذابك وارف عنهم يدك ليعبدوا ربهم ويطيعوا أمر دينهم. 17

فنجيناه وأهله أجمعين 170

إلا عجوزا في الغابرين أي الباقيين في العذاب وهي امرأته. 171

ثم دمروا الآخرين 172

وأمطرنا عليهم مطرا أي حجارة من سجيل فساء مطر المنذرين أهلهم الله عن آخرهم. 173

إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين 174

وإن ربك لهو العزيز الرحيم 175

أصحاب الأيكة المرسلين . أصحاب الأيكة: أي: البساتين الملتفة أشجارها وهم أصحاب مدين، فكذبوا نبينهم شعيبا، الذي جاء بما جاء به المرسلون. 176
كذب

إذ قال لهم شعيب ألا تتقون الله تعالى، فتتركون ما يسخطه ويغضبه، من الكفر والمعاصي. 177

إني لكم رسول أمين يترتب على ذلك، أن تتقوا الله وتطيعون. 178

أن تتقوا الله وتطيعون. 179

يعارض موسى ف قال ألم نربك فينا وليدا أي ألم ننعلم عليك ونقم بتربيتك منذ كنت وليدا في مهدك ولم تزل كذلك. ولبثت فينا من عمرك سنين 18
فلما جاء فرعون وقال له ما قال الله لهما لم يؤمن فرعون ولم يلبس

أن تتقوا الله وتطيعون. 180

فلذلك قال لهم: أوفوا الكيل أي: أتموه وأكملوه ولا تكونوا من المخسرين الذين ينقصون الناس أموالهم ويسلبونها ببخس المكيل والميزان. 181
وكانوا مع شركهم يبخسون المكايل والموازين،

وزنوا بالقسطاس المستقيم أي: بالميزان العادل، الذي لا يميل. 182

وزنوا بالقسطاس المستقيم أي: بالميزان العادل، الذي لا يميل. 183

انفرد بخلقكم، وخلق من قبلكم من غير مشارك له في ذلك، فأفردوه بالعبادة والتوحيد، وكما أنعم عليكم بالإيجاد والإمداد بالنعيم، فقابلوه بشكره. 184
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين أي: الخليفة الأولين، فكما

قالوا له، مكذبين له، رادين لقوله: إنما أنت من المسحرين فأنت تهذي وتكلم كلام المسحور، الذي غايته أن لا يؤاخذ به. 185

لحسن مراجعته قومه، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، فإن قومه قد تيقنوا صدقه، وأن ما جاء به حق، ولكن إخبارهم عن ظن كذبه، كذب منهم. 186
ودعاهم، وجادلهم وجادلوه، إلا وقد أظهر الله على يديه من الآيات، ما به يتيقنون صدقه وأمانته، خصوصا شعيبا عليه السلام، الذي يسمى خطيب الأنبياء،
يمن على من يشاء من عباده . وإن نظنك لمن الكاذبين وهذا جراءة منهم وظلم، وقول زور، قد انطوا على خلافه، فإنه ما من رسول من الرسل، واجه قومه
التي لم يزلوا، يدلون بها ويصولون، ويتفقون عليها، لاتفاقهم على الكفر، وتشابه قلوبهم. وقد أجابت عنها الرسل بقولهم: إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله
أنت إلا بشر مثلنا فليس فيك فضيلة، اختصت بها علينا، حتى تدعونا إلى اتباعك، وهذا مثل قول من قبلهم ومن بعدهم، ممن عارضوا الرسل بهذه الشبهة،
وما

هذا هو الحق من عندك فأمر علينا حجارة من السماء أو اثنتا بعذاب أليم أو أنهم طلبوا بعض آيات الاقتراح، التي لا يلزم تتميم مطلوب من سألها. 187
فأسقط علينا كسفا من السماء أي: قطع عذاب تستأصلنا. إن كنت من الصادقين كقول إخوانهم وإذ قالوا اللهم إن كان

الذي آتي بها وأنزلها بكم، وليس علي إلا تبليغكم ونصحكم وقد فعلت، وإنما الذي يأتي بها ربي، العالم بأعمالكم وأحوالكم، الذي يجازيكم ويحاسبكم. 188
قال شعيب عليه السلام: ربي أعلم بما تعملون أي: نزول العذاب، ووقوع آيات الاقتراح، لست أنا

ولدار الشقاء والعذاب نازلين. إنه كان عذاب يوم عظيم لا كرة لهم إلى الدنيا، فيستأنفوا العمل، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا هم ينظرون. 189
فأخذهم يوم الظلة أظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها مستلذين، لظلالها غير الظليل، فأحرقتهم بالعذاب، فظلوا تحتها خامدين، وليديهم مفارقين،
فكذبوه أي: صار التكذيب لهم، وصفا والكفر لهم ديدنا، بحيث لا تفيدهم الآيات، وليس بهم حيلة إلا نزول العذاب.

موسى ففضى عليه الآية. وأنت من الكافرين أي: وأنت إذ ذاك طريقك طريقنا، وسبيلك سبيلنا، في الكفر، فأقر على نفسه بالكفر، من حيث لا يدري. 19
وفعلت فعلتك التي فعلت وهي قتل موسى للقبطي، حين استغاثه الذي من شيعته، على الذي من عدوه فوكزه

إليه، وبطلان رد قومه عليه، وما كان أكثرهم مؤمنين مع رؤيتهم الآيات، لأنهم لا زكاء فيهم، ولا خير لديهم وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . 190
إن في ذلك لآية دالة على صدق شعيب، وصحة ما دعا

من حين أوجد الله العالم إلى ما لا نهاية له. ومن عزته أن أهلك أعداءه حين كذبوا رسله، ومن رحمته، أن نجى أوليائه ومن اتبعهم من المؤمنين. 191
وإن ربك لهو العزيز الذي امتنع بقدرته، عن إدراك أحد، وقهر كل مخلوق. الرحيم الذي الرحمة وصفه ومن آثارها، جميع الخيرات في الدنيا والآخرة،

في غيره، وفي قوله: وإنه لتنزيل رب العالمين من تعظيمه وشدة الاهتمام فيه، من كونه نزل من الله، لا من غيره، مقصودا فيه نفعمكم وهدايتكم. 192
ومن أعظم ما رباهم به، إنزال هذا الكتاب الكريم، الذي اشتمل على الخير الكثير، والبر الغزير، وفيه من الهداية، لمصالح الدارين، والأخلاق الفاضلة، ما ليس
والسماوات، المربي جميع العالم، العلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم وأبدانهم، فإنه يربهم أيضا، بهدايتهم لمصالح دينهم وأخراهم،

تفسير السعدي

- الرسول الكريم، والنبي المصطفى العظيم وما جاء به من الكتاب، الذي فيه هداية لأولي الألباب فقال: وإنه لتنزيل رب العالمين فالذي أنزله، فاطر الأرض لما ذكر قصص الأنبياء مع أممهم، وكيف دعوهم، وما ردوا عليهم به وكيف أهلك الله أعداءهم، وصارت لهم العاقبة. ذكر هذا نزل به الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم الأمين الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص. 193
- على قلبك يا محمد لتكون من المنذرين تهدي به إلى طريق الرشاد، وتندر به عن طريق الغي. 194
- على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين. 195
- إليهم، وياشر دعوتهم أصلا اللسان البين الواضح. وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، بلسان عربي وهو أفضل الألسنة، بلغة من بعث
- وإنه لفي زبر الأولين أي: قد بشرت به كتب الأولين وصدقته، وهو لما نزل، طبق ما أخبرت به، صدقها، بل جاء بالحق، وصدق المرسلين. 196
- قولهم حجة على غيرهم، كما عرف السحرة الذين مهروا في علم السحر، صدق معجزة موسى، وأنه ليس بسحر، فقول الجاهلين بعد هذا، لا يؤبه به. 197
- بني إسرائيل الذي قد انتهى إليهم العلم، وصاروا أعلم الناس، وهم أهل الصنف، فإن كل شيء يحصل به اشتباه، يرجع فيه إلى أهل الخبرة والدراية، فيكون أولم يكن لهم آية على صحته، وأنه من الله أن يعلمه علماء
- ولو نزلناه على بعض الأعجمين الذين لا يفقهون لسانهم، ولا يقدرّون على التعبير لهم كما ينبغي. 198
- وليبادروا إلى التصديق به، وتلقيه بالتسليم والقبول، ولكن تكذيبهم له من غير شبهة، إن هو إلا محض الكفر والعناد، وأمر قد توارثته الأمم المكذبة. 199
- نفعه ما يقول، ولا ندرى ما يدعو إليه، فليحمدوا ربهم، أن جاءهم على لسان أفصح الخلق، وأقدرهم على التعبير عن المقاصد، بالعبارات الواضحة، وأنصحهم، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين يقولون: ما
- فيه تهدي بذلك عباد الله المتقون، ويعرض عنه من كتب عليه الشقاء، فكان يحزن حزنا شديدا، على عدم إيمانهم، حرصا منه على الخير، ونصحا لهم. 2
- ودلالته على أشرف المعاني، وارتباط الأحكام بحكمها، وتعليقها بمناسبتها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينذر به الناس، ويهدي به الصراط المستقيم، المبين البين الواضح، الدال على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، بحيث لا يبقى عند الناظر فيه، شك ولا شبهة فيما أخبر به، أو حكم به، لوضوحه، يشير الباري تعالى إشارة، تدل على التعظيم لآيات الكتاب
- فقال موسى: فعلتها إذا وأنا من الضالين أي: عن غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه، فاستغفرت ربي فغفر لي. 20
- أي: أدخلنا التكذيب، وأنظمناه في قلوب أهل الإجرام، كما يدخل السلك في الإبرة، فتشربته، وصار وصفا لها، وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم، 200
- كذلك سلكناه في قلوب المجرمين
- لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم على تكذيبهم. 201
- فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون أي: يأتيهم على حين غفلة، وعدم إحساس منهم، ولا استشعار بنزوله، ليكون أبلغ في عقوبتهم والنكال بهم. 202
- إن ذلك: هل نحن منظرون أي: يطلبون أن ينظروا ويمهلوا، والحال إنه قد فات الوقت، وحل بهم العذاب الذي لا يرفع عنهم، ولا يفتر ساعة. 203
- فيقولوا
- فما الذي غرهم؟ هل فيهم قوة وطاقه، للصبر عليه؟ أم عندهم قوة يقدرّون على دفعه أو رفعه إذا نزل؟ أم يعجزوننا، ويظنون أننا لا نقدر على ذلك؟. 204
- يقول تعالى: أفعذابنا الذي هو العذاب الأليم العظيم، الذي لا يستهان به، ولا يحتقر، يستعجلون
- أفرايت إن متعناهم سنين أي: أفرايت إذا لم نستعجل عليهم، بإنزال العذاب، وأمهلناهم عدة سنين، يتمتعون في الدنيا 205
- ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب. 206
- وضوعف لهم العذاب عند طول المدة. القصد أن الحذر، من وقوع العذاب، واستحقاقهم له. وأما تعجيله وتأخير، فلا أهمية تحته، ولا جدوى عنده. 207
- ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون من اللذات والشهوات، أي: أي شيء يغني عنهم، ويفيدهم، وقد مضت وبطلت واضمحلت، وأعقبت تبعاتها،
- يعذب بهم، ويبعث فيهم النذر بالآيات البينات، ويدعونهم إلى الهدى، وينهونهم عن الردى، ويذكرونهم بآيات الله، وينبهونهم على أيامه في نعمه ونقمه. 208
- يخبر تعالى عن كمال عدله، في إهلاك المكذبين، وأنه ما أوقع بقرية، هلاكا وعذابا، إلا بعد أن
- وهم غافلون عن النذر، كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. 209
- ذكرى لهم وإقامة حجة عليهم. وما كنا ظالمين فنهلك القرى، قبل أن ننذرهم، ونأخذهم
- أحد، فلم منعتم ما منحني الله، من الحكم والرسالة؟ بقي عليك يا فرعون إدلاؤك بقولك: ألم نربك فينا وليدا وعند التحقيق، يتبين أن لا منة لك فيها. 21
- من كونه رسولا أن جرى منه القتل، فبين له موسى، أن قتله كان على وجه الضلال والخطأ، الذي لم يقصد نفس القتل، وأن فضل الله تعالى غير ممنوع منه

تفسير السعدي

- سنيين, ثم جنتكم. فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين . فالحاصل أن اعتراض فرعون على موسى, اعتراض جاهل أو متجاهل, فإنه جعل المانع ففررت منكم لما خفتكم حين تراجعتكم بقتلي, فهربت إلى مدين, ومكثت
- كمال القرآن وجلالته, نزهه عن كل صفة نقص, وحماه وقت نزوله, وبعد نزوله من شياطين الجن والإنس فقال: وما تنزلت به الشياطين 210 ولما بين تعالى
- وما ينبغي لهم أي: لا يليق بحالهم ولا يناسبهم وما يستطيعون ذلك. 211
- لحفظه, ونزل به جبريل, أقوى الملائكة, الذي لا يقدر شيطان أن يقربه, أو يحوم حول ساحته, وهذا كقوله: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . 212 إنهم عن السمع لمعزولون قد أبعدوا عنه, وأعدت لهم الرجوم
- عن الشيء, أمر بضده, فالنهي عن الشرك, أمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له, محبة, وخوفا, ورجاء, وذلا وإنابة إليه في جميع الأوقات. 213 الله, من جميع المخلوقين, وأن ذلك موجب للعذاب الدائم, والعقاب السرمدي, لكونه شركا, و من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار والنهي ينهى تعالى رسوله أصلا وأمتة أسوة له في ذلك, عن دعاء غير
- وذكرهم ووعظهم, ولم يبق صلى الله عليه وسلم من مقدوره شيئا, من نصحهم, وهدايتهم, إلا فعله, فاهتدى من اهتدى, وأعرض من أعرض. 214 إلى قرابتك فيكون هذا خصوصا دالا على التأكيد, وزيادة الحق, فامتثل صلى الله عليه وسلم, هذا الأمر الإلهي, فدعا سائر بطون قريش, فعمم وخصص, هم أقرب الناس إليك, وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي, وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس, كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان, ثم قيل له أحسن ولما أمره بما فيه كمال نفسه, أمره بتكميل غيره فقال: وأنذر عشيرتك الأقربين . الذين
- بصفات الرسول الكريم, وقد رماه بالنفاق والمداينة, وقد كمل نفسه ورفعها, وأعجب بعمله, فهل هذا إلا من جهله, وتزيين الشيطان وخدعه له. 215 وأبغضهم, لا لين عنده, ولا أدب لديه, ولا توفيق, قد حصل من هذه المعاملة, من المفساد, وتعطيل المصالح ما حصل, ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف
- يكون كلا على المسلمين, شرس الأخلاق, شديد الشكيمة عليهم , غليظ القلب, فظ القول, فظيعة؟ و إن رأى منهم معصية, أو سوء أدب, هجرهم, ومقتهم, عليه وسلم, أكمل الأخلاق, التي يحصل بها من المصالح العظيمة, ودفع المضار, ما هو مشاهد, فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله, ويدعي اتباعه والافتداء به, أن كما قال تعالى: فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فهذه أخلاقه صلى الله لمن اتبعك من المؤمنين بلين جانبك, ولطف خطابك لهم, وتوددك, وتحببك إليهم, وحسن خلقك والإحسان التام بهم, وقد فعل صلى الله عليه وسلم, ذلك واخفض جناحك
- احتراز وهم من يتوهم, أن قوله واخفض جناحك للمؤمنين, يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم, ما داموا مؤمنين, فدفع هذا بهذا والله أعلم. 216 تتبرأ منهم, ولا تترك معاملتهم, بخفض الجناح, ولين الجانب, بل تبرأ من عملهم, فعظهم عليه وانصحهم, وابذل قدرتك في ردهم عنه, وتوبتهم منه, وهذا لدفع فإن عصوك في أمر من الأمور, فلا
- المضار, مع ثقته به, وحسن ظنه بحصول مطلوبه, فإنه عزيز رحيم, بعزته يقدر على إيصال الخير, ودفع الشر عن عبده, وبرحمته به, يفعل ذلك. 217 للقيام بالمأمور, فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: وتوكل على العزيز الرحيم والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى, في جلب المنافع, ودفع أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به, الاعتماد على ربه, والاستعانة بمولاه على توفيقه
- ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله, والنزول في منزل الإحسان فقال: الذي يراك حين تقوم 218
- خصها بالذكر, لفضلها وشرفها, ولأن من استحضر فيها قرب ربه, خشع وذل, وأكملها, وبتكملها, يكمل سائر عمله, ويستعين بها على جميع أموره. 219 وتقلبك في الساجدين أي: يراك في هذه العبادة العظيمة, التي هي الصلاة, وقت قيامك, وتقلبك راکعا وساجدا
- ظلمت هذا الشعب الفاضل, وعذبته وسخرتهم بأعمالك, وأنا قد سلمني الله من أذاك, مع وصول أذاك لقومي, فما هذه المنة التي تبت بها وتدلي بها؟ 22 المنة لأنك سخرت بني إسرائيل, وجعلتهم لك بمنزلة العبيد, وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك, وجعلتها علي نعمة, فعند التصور, يتبين أن الحقيقة, أنك وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل . أي: تدلي علي بهذه
- العبد رؤية الله له في جميع أحواله, وسمعه لكل ما ينطق به, وعلمه بما ينطوي عليه قلبه, من الهم, والعزم, والنيات, مما يعينه على منزلة الإحسان. 220 إنه هو السميع لسائر الأصوات على اختلافها وتشتتها وتنوعها, العليم الذي أحاط بالظواهر والبواطن, والغيب والشهادة. فاستحضر
- هل أنبئكم أي: أخبركم الخبر الحقيقي الذي لا شك فيه ولا شبهة, على من تنزل الشياطين, أي: بصفة الأشخاص, الذين تنزل عليهم الشياطين. 221 هذا جواب لمن قال من مكذبي الرسول: إن محمدا ينزل عليه شيطان. وقول من قال: إنه شاعر فقال:
- كل أفاك أي: كذاب, كثير القول للزور, والإفك بالباطل, أئيم في فعله, كثير المعاصي, هذا الذي تنزل عليه الشياطين, وتناسب حاله حالهم. 222 تنزل على

تفسير السعدي

- العظيم، الذي لا شك فيه ولا ريب، فهل يستوي يا أهل العقول هذا وأولئك؟ وهل يشبهان، إلا على مجنون، لا يميز، ولا يفرق بين الأشياء؟ 223
- الذي جمع بين بر القلب، وصدق اللهجة، ونزاهة الأفعال من المحرم. والوحي الذي ينزل عليه من عند الله، ينزل محروسا محفوظا، مشتملا على الصدق تنزل عليهم الشياطين، وهذه صفة وحيمهم له. وأما محمد صلى الله عليه وسلم، فحاله مباينة لهذه الأحوال أعظم مباينة، لأنه الصادق الأمين، البار الراشد، أي: أكثر ما يلقون إليه كذب فيصدق واحدة، ويكذب معها مائة، فيختلط الحق بالباطل، ويضمحل الحق بسبب قلته، وعدم علمه. فهذه صفة الأشخاص الذين يلقون عليه السمع الذي يسترقونه من السماء، وأكثرهم كاذبون
- الثابت، فإنهم يتبعهم الغاوون عن طريق الهدى، المقلون على طريق الغي والردى، فهم في أنفسهم غاوون، وتجد أتباعهم كل غاو ضال فاسد. 224
- فلما نزهه عن نزول الشياطين عليه، برأه أيضا من الشعر فقال: والشعراء أي: هل أنبئكم أيضا عن حالة الشعراء، ووصفهم في صدق، وتارة في كذب، وتارة يتغزلون، وأخرى يسخرون، ومرة يمرحون، وأونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يثبتون على حال من الأحوال. 225
- ألم تر غوايتهم وشدة ضلالهم أنهم في كل واد من أودية الشعر، يهيمون فتارة في مدح، وتارة في قبح، وتارة
- الله وسلامه على هذا الرسول الأكمل، والهمام الأفضل، أهدى الآبدن، ودهر الداهرين، الذي ليس بشاعر، ولا ساحر، ولا مجنون، ولا يليق به إلا كل كمال. 226
- إلا كان أول الفاعلين له، ولا نهى عن شيء إلا كان أول التاركين له. فهل تناسب حاله، حالة الشعراء، أو يقاربهم؟ أم هو مخالف لهم من جميع الوجوه؟ فصولات على الهدى، وجانب الردى، ولم تتناقض أفعاله ولم تخالف أقواله أفعاله؟ الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، ولا أخبر بشيء إلا صدق، ولا أمر بشيء وتراه أجبن من كل جبان، هذا وصفهم. فانظر، هل يطابق حالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الراشد البار، الذي يتبعه كل راشد ومهتد، الذي قد استقام سمعته يمدح أو يذم، قلت: هذا صدق، وهو كذب، وتارة يتمدح بأفعال لم يفعلها، وتروك لم يتركها، وكرم لم يحم حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان، يفعلون أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم، فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غراما، وقلبه فارغ من ذلك، وإذا وأنهم يقولون ما لا
- الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ينقلبون إلى موقف وحساب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، إلا أحصاها، ولا حقا إلا استوفاه. والحمد لله رب العالمين. 227
- دين الله، وتبيين العلوم النافعة، والحث على الأخلاق الفاضلة فقال: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم المشركون من بعد ما ظلموهم. فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة، وآثار إيمانهم، لاشتماله على مدح أهل الإيمان، والانتصار من أهل الشرك والكفر، والذب عن ولما وصف الشعراء بما وصفهم به، استثنى منهم من آمن بالله ورسوله، وعمل صالحا، وأكثر من ذكر الله، وانتصر من أعدائه
- قال فرعون وما رب العالمين وهذا إنكار منه لربه، ظلما وعلوا، مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى، 23
- بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية. ومن جملة ذلك، أنتم أيها المخاطبون، فكيف تنكرون خالق المخلوقات، وفاطر الأرض والسموات إن كنتم موقنين 24
- قال: رب السماوات والأرض وما بينهما أي: الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره
- فقال فرعون متجرهما، ومعجبا لقومه: ألا تستمعون ما يقول هذا الرجل 25
- فقال موسى: ربكم ورب آبائكم الأولين تعجبتم أم لا استكبرتم، أم أذعنتم. 26
- الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول، وكانوا سفهاء الأحلام، خفيقي العقول فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين 27
- خلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يعبد المخلوق الناقص، من جميع الوجوه، والجنون عنده، أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعيم عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يخلقوا، أو أن السماوات والأرض، ما زالتا موجودتين من غير موجد وأنهم، بأنفسهم، فقال فرعون معاندا للحق، قادحا بمن جاء به: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون حيث قال خلاف ما نحن
- لم تؤمنوا به وبآياته، فبأي شيء بعد الله وآياته تؤمنون؟ تالله، إن المجانين الذين بمنزلة البهائم، أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة، أهدى منكم. 28
- حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسماوات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأى شيء تثبتون؟ وإذا جهلتموه، فأى شيء تعلمون؟ وإذا به؟ وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أركى الخلق عقلا وأكملهم علما، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، بينهما . من سائر المخلوقات إن كنتم تعقلون فقد أدبت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أخطبكم فقال موسى عليه السلام، مجيبا لإنكار فرعون وتعطيله لرب العالمين: رب المشرق والمغرب وما
- من المسجونين زعم قبحه الله أنه قد طمع في إضلال موسى، وأن لا يتخذ إلها غيره، وإلا فقد تقرر أنه هو ومن معه، على بصيرة من أمرهم. 29
- فلما خنقت فرعون الحجة، وعجزت قدرته وبيانه عن المعارضة قال متوعدا لموسى بسلطانه لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك
- فإن الهداية بيد الله، وقد أدبت ما عليك من التبليغ، وليس فوق هذا القرآن المبين آية، حتى ننزلها، ليؤمنوا بها، فإنه كاف شاف، لمن يريد الهداية. 3
- فلهذا قال تعالى عنه: لعلك باخع نفسك أي: مهلكها وشاق عليها، ألا يكونوا مؤمنين أي: فلا تفعل، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات،
- فقال له موسى: أولو جنتك بشيء مبين أي: آية ظاهرة جلية، على صحة ما جئت به، من خوارق العادات. 30

قال فأت به إن كنت من الصادقين 31

فألقي عصاه فإذا هي ثعبان أي: ذكر الحيات، مبين ظاهر لكل أحد، لا خيال، ولا تشبيه. 32

ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين أي: لها نور عظيم، لا نقص فيه لمن نظر إليها. 33

قال فرعون للملأ حوله معارضا للحق، ومن جاء به: إن هذا لساحر عليم 34

بهذا السحر، التوصل إلى إخراجهم من وطنهم، ليجدوا ويجتهدوا في معادة من يريد إجلاءهم عن أولادهم وديارهم، فماذا تأمرون أن نفعل به؟ 35
لعلمه بضعف عقولهم، أن هذا من جنس ما يأتي به السحرة، لأنه من المتقرر عندهم، أن السحرة يأتون من العجائب، بما لا يقدر عليه الناس، وخوفهم أن قصده
يريد أن يخرجكم من أرضكم موه عليهم

وابعث في المدائن حاشرين جامعين للناس. يأتوك أولئك الحاشرون بكل سحر عليم أي: ابعث في جميع مدنك، التي هي مقر العلم، ومعدن السحر. 36
قالوا أرجه وأخاه أي: أخرهما

من يجمع لك كل ساحر ماهر، عليم في سحره فإن الساحر يقابل بسحر من جنس سحره. 37

يجمع السحرة، واجتهد في ذلك، وجد. فجمع السحرة لميقات يوم معلوم قد واعدهم إياه موسى، وهو يوم الزينة، الذي يتفرغون فيه من أشغالهم. 38
العظيم، فيظهر الحق على الباطل، ويقر أهل العلم وأهل الصناعة، بصحة ما جاء به موسى، وأنه ليس بسحر، فعمل فرعون برأيهم، فأرسل في المدائن، من
العباد، بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال، المضل أن ما جاء به موسى سحر، قويضهم أن جمعوا أهل المهارة بالسحر، لينعقد المجلس عن حضرة الخلق
وهذا من لطف الله أن يري

وقيل للناس هل أنتم مجتمعون أي: نودي بعموم الناس بالاجتماع في ذلك اليوم الموعد. 39

بالغيب، كما قال تعالى: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها الآية. 4
أي: أعناق المكذبين لها خاضعين ولكن لا حاجة إلى ذلك، ولا مصلحة فيه، فإنه إذ ذاك الوقت، يكون الإيمان غير نافع، وإنما الإيمان النافع، الإيمان
ولهذا قال: إن نشأ نزل عليهم من السماء آية. أي: من آيات الاقتراح، فظلت أعناقهم

ونعظمهم، ونعرف فضيلة علم السحر، فلو وفقوا للحق، لقالوا: لعنا نتبع المحق منهم، ولنعرف الصواب، فلذلك ما أفاد فيهم ذلك، إلا قيام الحجة عليهم. 40
لعنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين أي: قالوا للناس: اجتمعوا لتتظروا غلبة السحرة لموسى، وأنهم ماهرون في صناعتهم، فنتبعهم،

فلما جاء السحرة ووصلوا لفرعون قالوا له: أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين لموسى؟ 41

نعم لكم أجر وثواب وإنكم إذا لمن المقربين عندي، وعدهم الأجر والقربة منه، ليزداد نشاطهم، ويأتوا بكل مقدورهم في معارضة ما جاء به موسى. 42

قال

قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي: ألقوا كل ما في خواطركم إلقاؤه، ولم يقيده بشيء دون شيء، لجزمه ببطلان ما جاءوا به من معارضة الحق. 43
موسى وذكرهم وقال: ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري فتنازعوا وتخاصموا ثم شجعهم فرعون، وشجع بعضهم بعضا. ف
فلما اجتمعوا للموعد، هم وموسى، وأهل مصر، وعظمهم

وحصل له صورة ملك وجنود، فغرتهم تلك الأبهة، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر، أو أن هذا قسم منهم بعزة فرعون والمقسم عليه، أنهم غالبون. 44
فإذا هي حيات تسعى، وسحروا بذلك أعين الناس، وقالوا بعزة فرعون إنا نحن الغالبون فاستعانوا بعزة عبد ضعيف، عاجز من كل وجه، إلا أنه قد تجبر،
فألحقوا حبالهم وعصيهم

فلما رأى السحرة هذه الآية العظيمة، تيقنوا لعلمهم أن هذا ليس بسحر، وإنما هو آية من آيات الله، ومعجزة تنبئ بصدق موسى، وصحة ما جاء به. 45
عصاه فإذا هي تلقف تبتلع وتأخذ ما يأفكون فالتفت جميع ما ألقوا من الحبال والعصي، لأنها إفك، وكذب، وزور وذلك كله باطل لا يقوم للحق، ولا يقاومه.
فألقي موسى

فألقي السحرة ساجدين لربهم. 46

برب العالمين رب موسى وهارون وانقمع الباطل، في ذلك المجمع، وأقر رؤساؤه، ببطلانه، ووضح الحق، وظهر حتى رأى ذلك الناظرون بأبصارهم. 47
قالوا آمنا

برب العالمين رب موسى وهارون وانقمع الباطل، في ذلك المجمع، وأقر رؤساؤه، ببطلانه، ووضح الحق، وظهر حتى رأى ذلك الناظرون بأبصارهم. 48
قالوا آمنا

فقال: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أي: اليد اليمنى، والرجل اليسرى، كما يفعل بالمفسد في الأرض، ولأصلبنكم أجمعين لتختزوا، وتذلوا. 49

تفسير السعدي

أهل هذه العقول، أن لا يؤمنوا بالحق الواضح، والآيات الباهرة، لأنهم لو قال لهم فرعون عن أي شيء كان، إنه على خلاف حقيقته، صدقوه. ثم تواعد السحرة رأوه قبل ذلك، وأنهم جاءوا من السحر، بما يحير الناظرين ويهيلهم، ومع ذلك، فراج عليهم هذا القول، الذي هم بأنفسهم، وقفوا على بطلانه، فلا يستنكر على إنه لكبيركم الذي علمكم السحر هذا، وهو الذي جمع السحرة، وملأه، الذين أشاروا عليه بجمعهم من مدائنهم، وقد علموا أنهم ما اجتمعوا بموسى، ولا وتماديا في غيه وعنادا، فقال للسحرة: أنتم له قبل أن أذن لكم . يتعجب ويعجب قومه من جراتهم عليه، وإقدامهم على الإيمان من غير إذن ومؤامرتهم. ولكن أبى فرعون، إلا عتوا وضللا

عن الذكر المحدث، الذي جرت العادة، أنه يكون موقعه أبلغ من غيره، فكيف بإعراضهم عن غيره، وهذا لأنهم لا خير فيهم، ولا تنجع فيهم المواعظ، وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم ما ينفعهم ويضرهم. إلا كانوا عنه معرضين بقلوبهم وأبدانهم، هذا إعراضهم

فقال السحرة حين وجدوا حلاوة الإيمان وذاقوا لذته : لا ضير أي: لا نبالي بما توعدتنا به إنا إلى ربنا منقلبون 50

فيكشفه الله، ثم ينجون، فلما ينس موسى من إيمانهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وأن لبني إسرائيل أن ينجيهم من أسرهم، ويمكن لهم في الأرض، 51 يأتيهم موسى بالآيات البينات، وكلما جاءتهم آية، وبلغت منهم كل مبلغ، وعدوا موسى، وعاهدوه لئن كشف الله عنهم، ليؤمنن به، وليرسلن معه بني إسرائيل، فيحتمل أن فرعون فعل بهم ما توعدهم به، لسلطانه، واقتداره إذ ذاك ويحتمل، أن الله منعه منهم، ثم لم يزل فرعون وقومه، مستمرين على كفرهم، إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا من الكفر والسحر، وغيرهما أن كنا أول المؤمنين بموسى، من هؤلاء الجنود، فتبتهم الله وصبرهم.

ويتمهلوا في ذهابهم. إنكم متبعون أي: سيتبعكم فرعون وجنوده. ووقع كما أخبر، فإنهم لما أصبحوا، وإذا بنو إسرائيل قد سروا كلهم مع موسى. 52 أوحى الله إلى موسى: أن أسر بعبادي أي: أخرج بني إسرائيل أول الليل، ليتماذوا

فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يجمعون الناس، ليوقع بني إسرائيل، 53

ويقول مشجعا لقومه: إن هؤلاء أي: بني إسرائيل لشردمة قليلون 54

وإنهم لنا لغائظون ونريد أن ننفذ غيظنا في هؤلاء العبيد، الذين أبقوا منا. 55

وهم أعداء للجميع، والمصلحة مشتركة، فخرج فرعون وجنوده، في جيش عظيم، ونفير عام، لم يتخلف منهم سوى أهل الأعدار، الذين منعهم العجز. 56 وإنا لجميع حاذرون أي: الحذر على الجميع منهم،

تعالى: فأخرجناهم من جنات وعيون أي: بساتين مصر وجناتها الفائقة، وعبونها المتدفقة، وزروع قد ملأت أراضيهم، وعمرت بها حاضرتهم وبواديهم. 57 قال الله

يعجب الناظرين، ويلهي المتأملين، تمتعوا به دهرا طويلا وقضوا بلذته وشهواته، عمرا مديدا، على الكفر والفساد، والتكبر على العباد والتهيه العظيم. 58 ومقام كريم

قبل عبيدهم، وسخروا في أعمالهم الشاقة، فسبحان من يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته. 59 كذلك وأورثناها أي: هذه البساتين والعيون، والزروع، والمقام الكريم، بني إسرائيل الذين جعلوهم من

سجية، لا تتغير ولا تتبدل، فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزنون أي: سيقع بهم العذاب، ويحل بهم ما كذبوا به، فإنهم قد حقت عليهم كلمة العذاب. 60 فقد كذبوا . أي: بالحق، وصار التكذيب لهم

فأتبعوهم مشرقين أي: اتبع قوم فرعون قوم موسى، وقت شروق الشمس، وساقوا خلفهم محثين، على غيظ وحنق قادرين. 61

فلما تراءى الجمعان أي رأى كل منهما صاحبه، قال أصحاب موسى شاكين لموسى وحزنين إنا لمدركون 62

قال موسى، مثبتا لهم، ومخبرا لهم بوعد ربه الصادق: كلا أي: ليس الأمر كما ذكرتم، أنكم مدركون، إن معي ربي سيهدين لما فيه نجاتي ونجاتكم. 63

فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق اثني عشر طريقا فكان كل فرق كالطود أي: الجبل العظيم فدخله موسى وقومه. 64

وأزلنا ثم في ذلك المكان الآخرين أي فرعون وقومه، قربانهم، وأدخلناهم في ذلك الطريق، الذي سلك منه موسى وقومه. 65

وأنجينا موسى ومن معه أجمعين استكملوا خارجين، لم يتخلف منهم أحد. 66

ثم أغرقنا الآخرين لم يتخلف منهم عن الغرق أحد. 67

على صدق ما جاء به موسى عليه السلام، وبطلان ما عليه فرعون وقومه، وما كان أكثرهم مؤمنين مع هذه الآيات المقتضية للإيمان، لفساد قلوبكم. 68 إن في ذلك لآية عظيمة،

وإن ربك لهو العزيز الرحيم بعزته أهلك الكافرين المكذبين، وبرحمته نجى موسى، ومن معه أجمعين. 69

بخصوصها، وإلا فله أنباء كثيرة، ولكن من أعجب أنبائه، وأفضلها، هذا النبأ المتضمن لرسالته، ودعوته قومه، وم حاجته إياهم، وإبطاله ما هم عليه. 70

تفسير السعدي

- أي: وأتلى يا محمد على الناس، نبأ إبراهيم الخليل، وخبره الجليل، في هذه الحالة على التفكير الذي ينفع صاحبه: أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم من جميع أصناف النباتات، حسنة المنظر، كريمة في نفعها. 7
- قال الله منها
- ولذلك قيده بالظرف فقال: إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون 70
- قالوا متبجحين بعبادتهم: نعبد أصناما نحتناها ونعملها بأيدينا. فنظل لها عاكفين أي مقيمين على عبادتها في كثير من أوقاتنا. 71
- فقال لهم إبراهيم، مبينا لعدم استحقاقها للعبادة: هل يسمعونكم إذ تدعون فيستجيبون دعاءكم، ويفرجون كربكم، ويزيلون عنكم كل مكروه؟ 72
- وقال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون قالوا له: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أي: هذا أمر متقرر من حالها، لا يقبل الإشكال والشك. 73
- أو ينفعونكم أو يضرون فأقروا أن ذلك كله، غير موجود فيها، فلا تسمع دعاء، ولا تنفع، ولا تضر، ولهذا لما كسرها يفعلون فتبعناهم على ذلك، وسلكنا سبيلهم، وحافظنا على عاداتهم، فقال لهم إبراهيم: أنتم وآباءكم، كلكم خصوم في الأمر، والكلام مع الجميع واحد. 74
- فلجأوا إلى تقليد آبائهم الضالين، فقالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك
- أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون 75
- أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون 76
- فإنهم عدو لي فليضروني بأدنى شيء من الضرر، وليكيدوني، فلا يقدرن. إلا رب العالمين 77
- الذي خلقتني فهو يهدين هو المنفرد بنعمة الخلق، ونعمة الهداية للمصالح الدينية والدنيوية. 78
- ثم خصص منها بعض الضروريات فقال: والذي هو يطعمني ويسقيني 79
- على إحياء الله الموتى بعد موتهم، كما أحيا الأرض بعد موتها وما كان أكثرهم مؤمنين كما قال تعالى: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . 8
- إن في ذلك لآية
- وإذا مرضت فهو يشفين 80
- والذي يميّتي ثم يحيين 81
- معارضتها، فدل على اشتراككم في الضلال، وترككم طريق الهدى والرشد. قال الله تعالى: وحاجه قومه قال أتأجوني في الله وقد هدان الآيات. 82
- ولا تطعم ولا تسقي، ولا تميّت، ولا تحيي، ولا تنفع عابديها، بكشف الكروب، ولا مغفرة الذنوب. فهذا دليل قاطع، وحجة باهرة، لا تقدرن أنتم وآباؤكم على لي خطيئتي يوم الدين فهذا هو وحده المنفرد بذلك، فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة، وتترك هذه الأصنام، التي لا تخلق، ولا تهدي، ولا تمرض، ولا تشفي، والذي أطعم أن يغفر
- رب هب لي حكما أي: علما كثيرا، أعرف به الأحكام، والحلال والحرام، وأحكم به بين الأنام، وألحقني بالصالحين من إخوانه الأنبياء والمرسلين. 83
- ثم دعا عليه السلام ربه فقال:
- في جميع الملل، في كل الأوقات. قال تعالى: وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . 84
- الدهر. فاستجاب الله دعاءه، فوهب له من العلم والحكم، ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانه المرسلين، وجعله محبوبا مقبولا معظما مثني عليه، واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي: اجعل لي ثناء صدق، مستمر إلى آخر
- واجعلني من ورثة جنة النعيم أي: من أهل الجنة، التي يورثهم الله إياها، فأجاب الله دعاءه، فرفع منزلته في جنات النعيم. 85
- ربي إنه كان بي حفيا قال تعالى: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم . 86
- واغفر لأبي إنه كان من الضالين وهذا الدعاء، بسبب الوعد الذي قال لأبيه: سأستغفر لك
- ولا تخزني يوم يبعثون أي: بالتوبيخ على بعض الذنوب، والعقوبة عليها والفضيحة، بل أسعدني في ذلك اليوم . 87
- لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فهذا الذي ينفعه عندك وهذا الذي ينجو به من العقاب ويستحق جزيل الثواب 88
- اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه وأن تكون إرادته ومحبهه تابعة لمحبة الله وهواه تابعا لما جاء عن الله 89
- به من العقاب ويستحق جزيل الثواب والقلب السليم معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر والإصرار على البدعة والذنوب ويلزم من سلامته مما ذكر
- لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فهذا الذي ينفعه عندك وهذا الذي ينجو
- الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى كل حي، العزيز الذي أهلك الأشقياء بأنواع العقوبات، الرحيم بالسعداء، حيث أنجاهم من كل شر وبلاء. 9

تفسير السعدي

- وإن ربك لهو العزيز الذي قد قهر كل مخلوق، ودان له العالم العلوي والسفلي، الرحيم
- اليوم العظيم وما فيه من الثواب والعقاب فقال وأزلفت الجنة أي قربت للمتقين ربهم الذين امتثلوا أوامره واجتنبوا زواجره واتقوا سخطه وعقابه 90
- ثم ذكر من صفات ذلك
- برزت واستعدت بجميع ما فيها من العذاب للغاوين الذين أوضاعوا في معاصي الله وتجروا على محارمه وكذبوا رسله وردوا ما جاءوهم به من الحق 91
- وبرزت الجحيم أي
- وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون 92
- الله هل ينصرونكم أو ينتصرون بأنفسهم أي فلم يكن من ذلك من شيء وظهر كذبهم وخزيهم ولاحت خسارتهم وفضيحتهم وبان ندمهم وضل سعيهم 93
- من دون
- فكذبوا فيها أي ألقوا في النار هم أي ما كانوا يعبدون والغاوين العابدون لها 94
- أزا وتسلط عليهم بشرهم وعدم إيمانهم فصاروا من دعاة والساعين في مرضاته وهم ما بين داع لطاعته ومجيب لهم ومقلد لهم على شركهم 95
- وجنود إبليس أجمعون من الإنس والجن الذين أزههم إلى المعاصي
- رب العالمين إلا في العبادة لا في الخلق بدليل قولهم رب العالمين إنهم مقررون أن الله رب العالمين كلهم الذين من جملتهم أصنامهم وأوثانهم 96
- العالمين في العبادة والمحبة والخوف والرجاء وتدعوكم كما ندعوه فتبين لهم حينئذ ضلالهم وأقروا بعدل الله في عقوبتهم وأنها في محلها وهم لم يسووهم قالوا أي جنود إبليس الغاوون لأصنامهم وأوثانهم التي عبدوها تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم رب
- رب العالمين إلا في العبادة لا في الخلق بدليل قولهم رب العالمين إنهم مقررون أن الله رب العالمين كلهم الذين من جملتهم أصنامهم وأوثانهم 97
- العالمين في العبادة والمحبة والخوف والرجاء وتدعوكم كما ندعوه فتبين لهم حينئذ ضلالهم وأقروا بعدل الله في عقوبتهم وأنها في محلها وهم لم يسووهم قالوا أي جنود إبليس الغاوون لأصنامهم وأوثانهم التي عبدوها تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم رب
- رب العالمين إلا في العبادة لا في الخلق بدليل قولهم رب العالمين إنهم مقررون أن الله رب العالمين كلهم الذين من جملتهم أصنامهم وأوثانهم 98
- العالمين في العبادة والمحبة والخوف والرجاء وتدعوكم كما ندعوه فتبين لهم حينئذ ضلالهم وأقروا بعدل الله في عقوبتهم وأنها في محلها وهم لم يسووهم قالوا أي جنود إبليس الغاوون لأصنامهم وأوثانهم التي عبدوها تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم رب
- وما أضلنا عن طريق الهدى والرشد ودعانا إلى طريق الغي والفسق إلا المجرمون وهم الأئمة الذين يدعون إلى النار 99

سورة 27

- المعاندين صونا لها عن من لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم. 1
- العليا وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بآبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع ودعت للوصول إلى الإيقان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلية، على طبق ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان مبين أي: هي أعلى الآيات وأقوى البينات وأوضح الدلالات وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق، آيات تدل على الأخبار ينبه تعالى عباده على عظمة القرآن ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم فقال: تلك آيات القرآن وكتاب
- وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله برسالاته واصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصا عند زيادة القرب منه والخطوة بتكليمه. 10
- له: يا موسى لا تخف وقال في الآية الأخرى: أقبل ولا تخف إنك من الأمنين إنني لا يخاف لدي المرسلون لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره فألقاها فلما رآها تهتز كأنها جان وهو ذكر الحيات سريع الحركة، ولي مدبرا ولم يعقب ذعرا من الحياة التي رأى على مقتضى الطباع البشرية، فقال الله وألق عصاك
- حسنات ومعاصيه طاعات فإن الله غفور رحيم، فلا ييأس أحد من رحمته ومغفرته فإنه يغفر الذنوب جميعا وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها. 11
- بسبب ما أسدى من الظلم وما تقدم له من الجرم، وأما المرسلون فما لهم وللوحشة والخوف؟ ومع هذا من ظلم نفسه بمعاصي الله، ثم تاب وأناب فبدل سيئاته إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء أي: فهذا الذي هو محل الخوف والوحشة
- آيات تذهب بها وتدعو فرعون وقومه، إنهم كانوا قوما فاسقين فسقوا بشرهم وعوتوهم وعلوهم على عباد الله واستكبارهم في الأرض بغير الحق. 12
- يبهر الناظرين شعاعه. في تسع آيات إلى فرعون وقومه أي: هاتان الآيتان انقلاب العصا حية تسعى وإخراج اليد من الجيب فتخرج بيضاء في جملة تسع

تفسير السعدي

وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء لا حرص ولا نقص، بل بياض

من أعجب العجائب الآيات المبصرات والأنوار الساطعات، تجعل من بين الخزعبات وأظهر السحرا هل هذا إلا من أعظم المكابرة وأوقح السفسطة. 13
مضيئة تدل على الحق ويبيصر بها كما تبصر الأبصار بالشمس. قالوا هذا سحر مبين لم يفهم مجرد القول بأنه سحر بل قالوا: مبين ظاهر لكل أحد. وهذا
فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه ودعاهم إلى الله تعالى وأراهم الآيات. فلما جاءتهم آياتنا مبصرة

وعلى الانقياد للرسول، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أسوأ عاقبة دمرهم الله وغرقهم في البحر وأخزاهم وأورث مساكنهم المستضعفين من عباده. 14
أي: ليس جحدهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم بصحتها ظلما منهم لحق ربهم ولأنفسهم، وعلاوا على الحق وعلى العباد
وجحدوا بها أي: كفروا بآيات الله جاحدين لها، واستيقنتها أنفسهم

خص سليمان بما خصه به لكون الله أعطاه ملكا عظيما وصار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه صلى الله عليه وسلم فقال: وورث سليمان داود. 15
شاكرا لله على نعمه الدينية والدنيوية وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها بل يرى أنها تستحق عليه شكرا كثيرا، فلما مدحهما مشتركين
من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم ومدحهم في كتابه مدحا عظيما فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون
الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان من خواص الرسل وإن كانوا دون درجة أولي العزم الخمسة، لكنهم
لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فحمدا لله على جعلهما من المؤمنين أهل السعادة وأنهما كانا من خواصهم. ولا شك أن المؤمنين أربع درجات:
إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الآية. وقالوا شاكرا لربهما منته الكبرى بتعليمهما: الحمد
يذكر في هذا القرآن وينوه بمنته على داود وسليمان ابنه بالعلم الواسع الكثير لدليل التنكير كما قال تعالى: وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث

غدوها شهر ورواحها شهر. إن هذا الذي أعطانا الله وفضلنا واختصنا به هو الفضل المبين الواضح الجلي فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى. 16
ولهذا دعا ربه فقال: وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فسخر الله له الشياطين يعملون له كل ما شاء من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم، وسخر له الريح
لأحد غير سليمان عليه الصلاة والسلام. وأوتينا من كل شيء أي: أعطانا الله من النعم ومن أسباب الملك ومن السلطنة والقهر ما لم يؤته أحدا من الآدميين،
الناس علمنا منطق الطير فكان عليه الصلاة والسلام يفقه ما تقول وتتكلم به كما راجع الهدد وراجع، وكما فهم قول النملة للنمل كما يأتي وهذا لم يكن
تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه كما تقدم من قوله ففهمناها سليمان، وقال شكرا لله وتبجحا بإحسانه وتحديثا بنعمته: يا أيها
أي: ورث علمه ونبوته فانضم علم أبيه إلى علمه، فلعلة

بأمره لا تقدر على عصيانه ولا تتمرد عنه، قال تعالى: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك أي: أعط بغير حساب، فسار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره 17
يدبرون ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك وأعد له عدته. وكل هذه الجنود مؤتمرة
جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون أي: جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم، ومن الجن والشياطين ومن الطيور فهم يوزعون
وحشر لسليمان

سليمان وجنوده وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها وفهمه. 18
وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحدز، والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن. وعرفت حالة
النملة وأسمنت النمل إما بنفسها ويكون الله قد أعطى النمل أسماعا خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب.
حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة منبهة لرفقتها وبني جنسها: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فنصحت هذه
الصالحين فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم. فهذا نموذج ذكره الله من حالة سليمان عند سماعه خطاب النملة ونداءها. 19
أي: ووفقني أن أعمل صالحا ترضاه لكونه موافقا لأمر مخلصا فيه سالما من المفسدات والمنقصات، وأدخلني برحمتك التي منها الجنة في جملة عبادك
وعلى والدي فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد. فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه، وأن أعمل صالحا ترضاه
الخلق والجبروت. والرسول منزّهون عن ذلك. وقال شاكرا لله الذي أوصله إلى هذه الحال: رب أوزعني أي: ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي
كان الرسول صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة
بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها. وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما
فتبسم ضاحكا من قولها إعجابا منه

للمؤمنين أي: تهديهم إلى سلوك الصراط المستقيم وتبين لهم ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه، وتبشرهم بثواب الله المرتب على الهداية لهذا الطريق. 2
فهذا قال: هدى وبشرى

أم كان من الغائبين أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذني ولا أمري؟ 20
سليمان عليه السلام للطير، وفقد الهدد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير فقال ما لي لا أرى الهدد
وإن خالفته لفظا ومعنى أو لفظا أو معنى ردها وجزم ببطلانها، لأن عنده أصلا معلوما مناقضا لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته. والشاهد أن تفقد

تفسير السعدي

التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالا منقولة عن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالا عليها، هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلما للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللييب الفطن يعرف أن التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف مع ذلك يحتاج إلى الهدهد؟ وهذه ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضا فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين له الماء فلما فقده قال ما قال أو فتش عن الهدهد أو: بحث عنه ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات. وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: وطلب الهدهد لينظر العقلي واللفظي دال على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئا من قال: إنه تفقد ثم ذكر نمودجا آخر من مخاطبته للطير فقال: وتفقد الطير دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته. 21 تغيظ عليه وتوعده فقال: لأعذبه عذابا شديدا دون القتل، أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه فحينئذ

به أي: عندي العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع وعلى درجتك فيه، وجنتك من سبب القبيلة المعروفة في اليمن بنبا يقين أي: خبر متيقن. 22 هيبة جنوده منه وشدة انتمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زما كثيرا، فقال لسليمان: أحطت بما لم تحط فمكث غير بعيد ثم جاء وهذا يدل على ذلك. ولها عرش عظيم أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى. 23 فقال: إني وجدت امرأة تملكهم أي: تملك قبيلة سبأ وهي امرأة وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ثم فسر هذا النبا الشمس. وزين لهم الشيطان أعمالهم فرأوا ما عليه هو الحق، فهم لا يهتدون لأن الذي يرى أن الذي عليه حق لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته. 24 وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله أي: هم مشركون يعبدون بانزال المطر وإنبات النباتات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم ويعلم ما تخفون وما تعلنون. 25 والأرض أي: يعلم الخفي الخبيء في أقطار السماوات وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات وبذور النباتات وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء ثم قال: ألا أي: هلا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له ويخضع ويسجد له ويركع، فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبا العظيم وتعجب سليمان كيف خفي عليه. 26 والحب إلا له لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة والنعم الموجبة لذلك. رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات ووسع الأرض والسماوات، فهذا الملك الله لا إله إلا هو أي: لا تبغي العبادة والإنابة والذل

وقال مثبتا لكمال عقله ورزاقته سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين 27

أذهب بكتابي هذا وسيأتي نصه فألقه إليهم ثم تول عنهم أي استأخر غير بعيد فانظر ماذا يرجعون إليك وما يتراجعون به 28

فذهب به فألقاه عليها فقالت لقومها إني ألقى إلي كتاب كريم أي جليل المقدار من أكبر ملوك الأرض 29

التام الواصل إلى القلب الداعي إلى العمل. ويقيئهم بالآخرة يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب وموجبات العقاب وهذا أصل كل خير. 3 المصلي ويفعله. ويؤتون الزكاة المفروضة لمستحقها. وهم بالآخرة هم يوقنون أي: قد بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين وهو العلم فيأتون بأفعالها الظاهرة، من أركانها وشروطها وواجباتها بل ومستحباتها، وأفعالها الباطنة وهو الخشوع الذي روحها ولها باستحضار قرب الله وتدبر ما يقول فهل يقبل من كل أحد ادعى أنه مؤمن ذلك؟ أم لا بد لذلك من دليل؟ وهو الحق فلذلك بين تعالى صفة المؤمنين فقال: الذين يقيمون الصلاة فرضها ونفلها ربما قيل: لعله يكثر مدعو الإيمان

ثم بينت مضمونه فقالت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم 30

لأمره والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه ودعوتهم إلى الإسلام، وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب. 31

تفسير السعدي

- وانقادوا لأوامري وأقبلوا إلي مسلمين. وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام فإنه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها والانقياد ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين أي: لا تكونوا فوق بل اخضعوا تحت سلطاني،
- ماذا نجيبه به؟ وهل ندخل تحت طاعته وننقاد؟ أم ماذا نفعل؟ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أي: ما كنت مستبدة بأمر دون رأيكم ومشورتكم. 32 فمن حزمها وعقلها أن جمعت كبار دولتها ورجال مملكتها وقالت: يا أيها الملأ أفتوني في أمري . أي: أخبروني
- ولكنهم أيضا لم يستقروا عليه بل قالوا: والأمر إليك أي: الرأي ما رأيت لعلمهم بعقلها وحزمها ونصحها لهم فانظري نظر فكر وتدبر ماذا تأمرين . 33 أولو قوة وأولو بأس شديد أي: إن رددت عليه قوله ولم تدخل في طاعته فإننا أقوياء على القتال، فكأنهم مالوا إلى هذا الرأي الذي لو تم لكان فيه دمارهم، قالوا نحن
- الأدلين، أي: فهذا رأي غير سديد، وأيضا فلسست بمطبعة له قبل الاختبار وإرسال من يكشف عن أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على بصيرة من أمرنا. 34 القتال إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها قتلا وأسرا ونهبوا لأموالها، وتخريبا لديارها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي: جعلوا الرؤساء السادة أشرف الناس من فقالت لهم مقنعة لهم عن رأيهم ومبينة سوء مغبة
- هل يستمر على رأيه وقوله؟ أم تخدعه الهدية وتتبدل فكرته وكيف أحواله وجنوده؟ فأرسلت له هدية مع رسل من عقلاء قومها وذوي الرأي: منهم 35 فقالت: وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون منه.
- تقع عندي موقعا ولا أفرح بها قد أغناني الله عنها وأكثر علي النعم، بل أنتم بهديتكم تفرحون لحبكم للعالم وقله ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله. 36 فلما جاء سليمان أي: جاء الرسل بالهدية قال منكر عليهم ومتغيظا على عدم إجابتهم: أتمدنون بما لآتان الله خير مما آتاكم فليست
- لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون فرجع إليهم وأبلغهم ما قال سليمان وتجهزوا للمسير إلى سليمان، وعلم سليمان أنهم لا بد أن يسيروا إليه. 37 ثم أوصى الرسول من غير كتاب لما رأى من عقله وأنه سينقل كلامه على وجهه فقال: ارجع إليهم أي: بهديتك فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم أي: لا طاقة
- فقال لمن حضره من الجن والإنس: أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي: لأجل أن نتصرف فيه قبل أن يسلموا فتكون أموالهم محترمة. 38 تقوم من مجلسك الذي أنت فيه. والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر. 39 فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر شهران ذهابا وشهران إيابا، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا التزم بالمجيء به على كبره وثقله، وبعده قبل أن قال عفريت من الجن والعفريت: هو القوي النشيط جدا: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام
- بإثباتها، زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون حائرين مترددين مؤثرين سخط الله على رضاه، قد انقلبت عليهم الحقائق فأروا الباطل حقا والحق باطلا. 40 إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ويكذبون بها ويكذبون من جاء
- يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم غني عن أعماله كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها وكفرها داع لزوالها. 40 بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله به وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه فقال: ومن شكر فإنما
- الأمر له و قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر أي: ليختبرني بذلك. فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، المراد أم أن عنده علما من الكتاب يقدر به على جلب البعيد وتحصيل الشديد فلما رآه سليمان مستقرا عنده حمد الله تعالى على إقداره وملكه وتيسير دعا الله به أجاب وإذا سأل به أعطى. أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك بأن يدعو الله بذلك الاسم فيحضر حالا وأنه دعا الله فحضر. فالله أعلم هل هذا ذلك أن قال الذي عنده علم من الكتاب قال المفسرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له: آصف بن برخيا كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا
- وهذا الملك العظيم الذي عند آحاد رعيته هذه القوة والقدرة وأبلغ من
- أي: غيروه بزيادة ونقص، ونحو ذلك ننظر مختبرين لعقلها أتهدي للصواب ويكون عندها ذكاء وفطنة تليق بملكها أم تكون من الذين لا يهتدون . 41 ثم قال لمن عنده: نكروا لها عرشها
- وزيادة اقتداره من قبل هذه الحالة التي رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة فأذعنا له وجننا مسلمين له خاضعين لسلطانه 42 والحزم من قبل هذه الملكة، وكنا مسلمين وهي الهداية النافعة الأصلية. ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ: وأوتينا العلم عن ملك سليمان وسلطانه
- بلفظ محتمل للأميرين صادق على الحاليين، فقال سليمان متعجبا من هدايتها وعقلها وشاكر الله أن أعطاه أعظم منها: وأوتينا العلم من قبلها أي: الهداية والعقل هو كهذا العرش الذي أحضرناه لك؟ قالت كأنه هو وهذا من ذكائها وفطنتها لم تقل هو لوجود التغيير فيه والتذكير ولم تنف أنه هو، لأنها عرفت، فأتت فلما جاءت قادمة على سليمان عرض عليها عرشها وكان عهدا به قد خلفته في بلدها، و قيل لها أهكذا عرشك أي: أنه استقر عندنا أن لك عرشا عظيما فهل
- إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح وهي المجلس المرتفع المتسع وكان مجلسا من قوارير تجري تحته الأنهار. 43 على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أنذر ما يكون فلها لا يستغرب بقاؤها على الكفر، ثم
- الله أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب إنها كانت من قوم كافرين فاستمرت

قال الله تعالى: وصدها ما كانت تعبد من دون

المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفسير. والله أعلم. 44
جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الحزم بها، على الدليل نبوته ورسالته ثابتة ورجعت عن كفرها و قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما استعدت للخوض قيل لها: إنه صرح ممرد أي: مملس من قوارير فلا حاجة منك لكشف الساقين. فحينئذ لما وصلت إلى سليمان وشاهدت ما شاهدت وعلمت بدخوله لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام وأن ملك سليمان وتنظيمه قد بناه على الحكمة ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء بعد ما رأت ما رأت. فلما الماء الذي تحتها كأنه بذاته يجري ليس دونه شيء، وكشفت عن ساقها للخياضة وهذا أيضا من عقلها وأدبها، فإنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت ف قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبته لجة ماء لأن القوارير شفافة، يرى

في النسب صالحا وأنه أمرهم أن يعبدوا الله وحده ويتركوا الأنداد والأوثان، فإذا هم فريقان يختصمون منهم المؤمن ومنهم الكافر وهم معظمهم. 45
يخبر تعالى أنه أرسل إلى ثمود القبيلة المعروفة أخاهم

تتوبوا من شرككم وعصيانكم وتدعوه أن يغفر لكم، لعلمكم ترحمون فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين والتائب من الذنوب هو من المحسنين. 46
قبل فعل الحسنات التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب لفعل السيئات؟. لولا تستغفرون الله بأن قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي: لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها

أصابكم إلا بذنوبكم، بل أنتم قوم تفتنون بالسراء والضراء والخير والشر لينظر هل تفلعون وتتوبون أم لا؟ فهذا دأبهم في تكذيب نبيهم وما قابله به. 47
الله أنهم لم يروا على وجه صالح خيرا وأنه هو ومن معه من المؤمنين صاروا سببا لمنع بعض مطالبهم الدنيوية، فقال لهم صالح: طائركم عند الله أي: ما قالوا لنبيهم صالح مكذابين ومعارضين: اطيرنا بك وبمن معك زعموا قبحهم

والطعن في دينه ودعوة قومهم إلى ذلك كما قال تعالى: فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون 48
الجامعة لمعظم قومه تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي: وصفهم الإفساد في الأرض، ولا لهم قصد ولا فعل بالإصلاح قد استعدوا لمعاداة صالح وكان في المدينة التي فيها صالح

أي نأتيه ليلا هو وأهله فلنقتلنهم ثم لنقولن لوليه إذا قام علينا وادعى علينا أننا قتلناه ننكر ذلك وننفيه ونحلف إنا لصادقون فتواطئوا على ذلك 49
فلم يزالوا بهذه الحال الشنيعة حتى إنهم من عداوتهم تقاسموا فيما بينهم كل واحد أقسم للآخر لنبيته وأهله

وأعظمه، وهم في الآخرة هم الأخسرون حصر الخسار فيهم لكونهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وخسروا الإيمان الذي دعتههم إليه الرسل. 5
أولئك الذين لهم سوء العذاب أي: أشده وأسوأه

على وجه الخفية حتى من قومهم خوفا من أوليائه ومكرنا مكرنا بنصر نبينا صالح عليه السلام وتيسير أمره وإهلاك قومه المكذبين وهم لا يشعرون 50
ومكروا مكرنا دبوا أمرهم على قتل صالح وأهله

مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر ولهذا قال أنا دمرناهم وقومهم أجمعين أهلكناهم واستأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم 51
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر

الحقائق ويتدبرون وقائع الله في أوليائه وأعدائه فيعتبرون بذلك ويعلمون أن عاقبة الظلم الدمار والهلاك وأن عاقبة الإيمان والعدل النجاة والفوز 52
على سقوفها وأوحشت من ساكنيها وعظمت من نازليها بما ظلموا أي هذا عاقبة ظلمهم وشركهم بالله وبغيهم في الأرض إن في ذلك لآية لقوم يعلمون
فتلك بيوتهم خاوية قد تهدمت جدرانها

أي أنجينا المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكانوا يتقون الشرك بالله والمعاصي ويعملون بطاعته وطاعة رسله 53
ولهذا قال وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون

الشنعاء التي تستفحشها العقول والفطر وتستقبحها الشرائع وأنتم تبصرون ذلك وتعلمون قبحه فعاندتم وارتكبتم ذلك ظلما منكم وجرأة على الله. 54
أي: واذكر عبدا ورسولنا لوطا ونباها الفاضل حين قال لقومه داعيا إلى الله وناصحا: أتأتون الفاحشة أي: الفعلة

إلى الميل إليها وأنتم انقلب عليكم الأمر فاستحسنتم القبيح واستقبحتم الحسن بل أنتم قوم تجهلون متجاوزون لحدود الله متجرئون على محارمه. 55
إلى هذه الحال، صارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم محل الغائط والنجو والخبث، وتركتهم ما خلق الله لكم من النساء من المحال الطيبة التي جبلت النفوس
ثم فسر تلك الفاحشة فقال: أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي: كيف توصلتم

من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون ومفهوم هذا الكلام: وأنتم متلوثون بالخبث والقذارة المقتضي لنزول العقوبة بقريبتكم ونجاة من خرج منها 56
أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات، ولم يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم به حتى وصلوا إلى إخراجهم، والبلاء موكل بالمنطق فهم قالوا: أخرجوهم

تفسير السعدي

فكانه قيل: ما نقيمتم منهم وما ذنبهم الذي أوجب لهم الإخراج، فقالوا: إنهم أناس يتطهرون أي: يتنزهون عن اللواط وأدبار الذكور. فقبحهم الله جعلوا والمناقضة والتوعد لنبيهم الناصح ورسولهم الأمين بالإجلاء عن وطنه والتشريد عن بلده. فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتهم فما كان جواب قومه قبول ولا انزجار ولا تذكر وادكار، إنما كان جوابهم المعارضة

فخرج بأهله ليلا فنجوا وصبحهم العذاب، فقلب الله عليهم ديارهم وجعل أعلاها أسفلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك. 57 وأنهم جاءوا لاستنقاذه وإخراجه من بين أظهرهم وأنهم يريدون إهلاكهم وأن موعدهم الصبح، وأمروه أن يسري بأهله ليلا إلا امرأته فإنه سيصيبها ما أصابهم لما جاءته الملائكة في صورة أضياف وسمع بهم قومه فجاءوا إليه يريدونهم بالشر وأغلق الباب دونهم واشتد الأمر عليه، ثم أخبرته الملائكة عن جلية الحال ولهذا قال تعالى: فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وذلك

مطرا فساء مطر المنذرين أي: بنس المطر مطرهم وبنس العذاب عذابهم لأنهم أندروا وخوفوا فلم ينجروا ولم يرتدعوا فأحل الله بهم عقابه الشديد. 58 ولهذا قال هنا: وأمطرنا عليهم

ذرة من الخير فالله خير مما يشركون. ثم ذكر تفاصيل ما به يعرف ويتعين أنه الإله المعبود وأن عبادته هي الحق وعبادة ما سواه هي الباطل فقال: 59 كامل الأوصاف عظيم الألفاظ خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربهم من النقائص والعيوب. آله خير أما يشركون وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: الله الرب العظيم الظالمين، وسلم أيضا على عباده الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين من الأنبياء والمرسلين وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكرهم وتنويعها بقدرهم أي: قل الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء لكامل أوصافه وجميل معروفه وهباته وعدله وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب

بأسرار الأمور وبواطنها، كظواهرها. وإذا كان من عند حكيم عليم علم أنه كله حكمة ومصالح للعباد، من الذي هو أعلم بمصالحهم منهم؟ 60 القرآن من لدن حكيم عليم أي: وإن هذا القرآن الذي ينزل عليك وتتلقفه وتتلقنه ينزل من عند حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. عليم وإنك لتلقى

الأفعال حتى يعبد معه ويشرك به؟ بل هم قوم يعدلون به غيره ويسوون به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ومنزل الرزق. 60 أي: حسن منظر من كثرة أشجارها وتنوعها وحسن ثمارها، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لولا منة الله عليكم بإنزال المطر. أله مع الله فعل هذه والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك. وأنزل لكم أي: لأجلكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق أي: بساتين ذات بهجة أي: أمن خلق السماوات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والملائكة

فعل ذلك حتى يعدل به الله ويشرك به معه. بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون بالله تقليدا لرؤسائهم وإلا فلو علموا حق العلم لم يشركوا به شيئا. 61 المقصودة من كل منهما بل جعل بينهما حاجزا من الأرض، جعل مجرى الأنهار في الأرض مبعدة عن البحار فيحصل منها مقاصدها ومصالحها، أله مع الله ترسيها وتثبيتها لئلا تميد وتكون أوتادا لها لئلا تضطرب. وجعل بين البحرين البحر المالح والبحر العذب حاجزا يمنع من اختلاطهما فتفوت المنفعة وجعل خلالها أنهارا أي: جعل في خلال الأرض أنهارا ينتفع بها العباد في زروعهم وأشجارهم، وشربهم وشرب مواشيهم. وجعل لها رواسي أي: جبالا وجه التي لا فعل منها ولا رزق ولا نفع خير؟ أم الله الذي جعل الأرض قرارا يستقر عليها العباد ويتمكنون من السكنى والحرث والبناء والذهاب والإياب. أي: هل الأصنام والأوثان الناقصة من كل

أي: قليل تذكركم وتديركم للأمور التي إذا تذكرتموها اذكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم فلذلك ما أرعويتم ولا اهتديتم. 62 من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقدر على دفعه وإزالته، قليلا ما تذكرون ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم أله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئا عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر

أم هو وحده الذي انفرد به؟ فلم أشركتم معه غيره وعبدتم سواه؟ تعالى الله عما يشركون تعاضم وتنزه وتقدس عن شركهم وتسويتهم به غيره. 63 رحمته أي: بين يدي المطر، فيرسلها فتثير السحاب ثم تولفه ثم تجمعها ثم تلقه ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر. أله مع الله فعل ذلك؟ دليل ولا معلم يرى ولا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم، وتيسيره الطريق وجعل ما جعل لكم من الأسباب التي تهتدون بها، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي أي: من هو الذي يهديكم حين تكونون في ظلمات البر والبحر، حيث لا

لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات. 64 صادقين وإلا فبتقدير أنكم تقولون: إن الأصنام لها مشاركة له في شيء من ذلك فذلك مجرد دعوى صدقوها بالبرهان، وإلا فاعرفوا أنكم مبطلون لا حجة ومن يرزقكم من السماء والأرض بالمطر والنبات؟ أله مع الله يفعل ذلك ويقدر عليه؟ قل هاتوا برهانكم أي: حجتكم ودليلكم على ما قلتم إن كنتم أي: من هو الذي يبدأ الخلق وينشئ المخلوقات ويبتدئ خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور؟

تفسير السعدي

- شيء إلى ما هو أبلغ منه فقال: وما يشعرون أي: وما يدرون أيان يبعثون أي: متى البعث والنشور والقيام من القبور أي: فلذلك لم يستعدوا. 65
- كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ثم أخبر تعالى عن ضعف علم المكذبين بالآخرة منتقلا من الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام إلى آخر السورة. فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها فلم يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وكقوله: إن يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض كقوله تعالى: وعنده مفاتيح الغيب
- الشك، بل هم منها أي: من الآخرة عمون قد عميت عنها بصائرهم، ولم يكن في قلوبهم من وقوعها ولا احتمال بل أنكروها واستبعدوها. 66
- للعلم ضعفه ووهأوه، بل ليس عندهم علم قوي ولا ضعيف وإنما هم في شك منها أي: من الآخرة، والشك زال به العلم لأن العلم بجميع مراتبه لا يجمع بل ادرك علمهم في الآخرة أي: بل ضعف، وقل ولم يكن يقينا، ولا علما واصلا إلى القلب وهذا أقل وأدنى درجة
- وقال الذين كفروا أنذا كنا ترابا وأبأونا أننا لمخرجون أي: هذا بعيد غير ممكن قاسوا قدرة كامل القدرة بقدرهم الضعيفة. 67
- قلوبهم فأقدموا على معاصي الله وسهل عليهم تكذيب الحق والتصديق بالباطل واستحلوا الشهوات على القيام بالعبادات ففسدوا دنياهم وأخراهم. 68
- بضعف علمهم فيها ثم الإخبار بأنه شك ثم الإخبار بأنه عمى ثم الإخبار بإنكارهم لذلك واستبعادهم وقوعه. أي: وبسبب هذه الأحوال ترحل خوف الآخرة من وأخبارهم التي تقطع بها الأوقات وليس لها أصل ولا صدق فيها. فانتقل في الإخبار عن أحوال المكذبين بالإخبار أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة ثم الإخبار لقد وعدنا هذا أي: البعث نحن وأبأونا من قبل أي: فلم يجئنا ولا رأينا منه شيئا. إن هذا إلا أساطير الأولين أي: قصصهم
- كيف كان عاقبة المجرمين فلا تجدون مجرما قد استمر على إجرامه، إلا وعاقبته شر عاقبة وقد أحل الله به من الشر والعقوبة ما يليق بحاله. 69
- ثم نبههم على صدق ما أخبرت به الرسل فقال: قل سيروا في الأرض فانظروا
- نارا من بعيد سأتیکم منها بخبر عن الطريق، أو أتیکم بشهاب قبس لعلکم تصطلون أي: تستدفنون، وهذا دليل على أنه تائه ومشتد برده هو وأهله. 7
- مدین عدة سنين وسار بأهله من مدين متوجها إلى مصر، فلما كان في أثناء الطريق ضل وكان في ليلة مظلمة باردة فقال لهم: إني آنست نارا أي: أبصرت آخر قصته، يعني: اذكر هذه الحالة الفاضلة الشريفة من أحوال موسى بن عمران، ابتداء الوحي إليه واصطفائه برسالته وتكليم الله إياه، وذلك أنه لما مكث في إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا إلى
- للخير، لم تأس ولم تحزن، ولا يضق صدرك ولا تقلق نفسك بمكرهم فإن مكرهم سيعود عاقبته عليهم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين 70
- أي: لا تحزن يا محمد على هؤلاء المكذبين وعدم إيمانهم، فإنك لو علمت ما فيهم من الشر وأنهم لا يصلحون
- إن كنتم صادقين وهذا من سفاهة رأيهم وجهلهم فإن وقوعه ووقته قد أجله الله بأجله وقدره بقدر، فلا يدل عدم استعجاله على بعض مطلوبهم. 71
- ويقول المكذبون بالمعاد وبالحق الذي جاء به الرسول مستعجلين للعذاب: متى هذا الوعد
- تعالى محذرا لهم وقوع ما استعجلوه: قل عسى أن يكون ردف لكم أي: قرب منكم وأوشك أن يقع بكم بعض الذي تستعجلون من العذاب. 72
- ولكن مع هذا قال
- ينبه عباده على سعة جوده وكثرة أفضاله ويحثهم على شكرها، ومع هذا فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر واشتغلوا بالنعم عن المنعم. 73
- وإن ربك ليعلم ما تكن أي: تنطوي عليه صدورهم وما يعلنون فليحذروا من عالم السرائر والظواهر وليراقبوه. 74
- مبين قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، فكل حادث يحدث جلي أو خفي إلا وهو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ. 75
- وما من غائبة في السماء والأرض أي: خفية وسر من أسرار العالم العلوي والسفلي إلا في كتاب
- كل خلاف وفصل كل مشكل كان أعظم نعم الله على العباد ولكن ما كل أحد يقابل النعمة بالشكر. ولهذا بين أن نفعه ونوره وهده مختص بالمؤمنين 76
- عند بني إسرائيل فقصه هذا القرآن قصا زال به الإشكال وبين به الصواب من المسائل المختلف فيها. وإذا كان بهذه المثابة من الجلالة والوضوح وإزالة وهذا خبر عن هيمنة القرآن على الكتب السابقة وتفصيله وتوضيحه، لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه واختلاف
- له بالقبول المقبلين على تدبره المتفكرين في معانيه، فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم والرحمة المتضمنة للسعادة والفوز والفلاح. 77
- وإنه لهدى من الضلالة والغي والشبه ورحمة تنلج له صدورهم وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية للمؤمنين به المصدقين له المتلقين
- الخالق فأدعوا له، العلم بجميع الأشياء العلم بأقوال المختلفين وعن ماذا صدرت وعن غاياتها ومقاصدها وسيجازي كلا بما علمه فيه. 78
- فيها اشتباه في الدنيا بين المختلفين لخفاء الدليل أو لبعض المقاصد فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع حين يحكم الله فيها، وهو العزيز الذي قهر أي: إن الله تعالى سيفصل بين المختصين وسيحكم بين المختلفين بحكمه العدل وقضائه القسط، فالأمور وإن حصل
- وأیضا فهو حق في غاية البیان لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حملت وتوكلت على الله في ذلك فلا يضرك ضلال من ضل وليس عليك هدام 79
- الحق المبين الواضح والذي على الحق يدعو إليه، ويقوم بنصرته أحق من غيره بالتوكل فإنه يسعى في أمر مجزوم به معلوم صدقه لا شك فيه ولا مرية.

تفسير السعدي

- أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء. إنك على بركته أن جعله الله موضعا لتكليم الله لموسى وندائه وإرساله. وسبحان الله رب العالمين عن أن يظن به نقص أو سوء بل هو الكامل في وصفه وفعله. 8
- فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها أي: ناداه الله تعالى وأخبره أن هذا محل مقدس مبارك، ومن إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء أي: حين تدعوهم وتناديهم، وخصوصا إذا ولوا مدبرين فإنه يكون أبلغ في عدم إسماعهم. 80
- الذين يؤمنون بآيات الله وينقادون لها بأعمالهم واستسلامهم كما قال تعالى: إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى بيعتهم الله ثم إليه يرجعون 81 ضلالتهم كما قال تعالى: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون أي: هؤلاء الذين ينقادون لك، وما أنت بهادي العمي عن
- الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه والله أعلم 82 المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشرط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يأت دليل يدل على كقيمتها ولا من أي: نوع هي وإنما دلت أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم وبقيتهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون. وهذه الدابة هي الدابة لهم دابة خارجة من الأرض أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء. وهذه الدابة تكلمهم أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله وفرض وقته. أخرجنا
- من كل أمة من الأمم فوجا وطائفة ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يجمع أولهم على آخرهم وآخرهم على أولهم ليعمهم السؤال والتوبيخ واللوم. 83 يخبر تعالى عن حالة المكذبين في موقف القيامة وأن الله يجمعهم، ويحشر
- لم تحيطوا به علما؟ أم ماذا كنتم تعملون أي: يسألهم عن علمهم وعن عملهم فيجد عليهم تكذيبا بالحق، وعملهم لغير الله أو على غير سنة رسولهم. 84 قال لهم موبخا ومقرعا: أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها العلم أي: الواجب عليكم التوقف حتى ينكشف لكم الحق وأن لا تتكلموا إلا بعلم، فكيف كذبتم بأمر حتى إذا جاءوا وحضروا
- القول عليهم بما ظلموا أي: حقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم الذي استمروا عليه وتوجهت عليهم الحجة، فهم لا ينطقون لأنه لا حجة لهم. 85 ووقع
- ويستعدوا للعمل، وهذا بضيائه لينتشر في معاشهم وتصرفاتهم. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون على كمال وحدانية الله وسبوغ نعمته. 86 أي: ألم يشاهدوا هذه الآية العظيمة والنعمة الجسيمة وهو تسخير الله لهم الليل والنهار، هذا بظلمته ليسكنوا فيه ويستريحوا من التعب
- قال تعالى: إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ففي ذلك اليوم يتساوى الرؤساء والمرءوسون في الذل والخضوع لمالك الملك. 87 هو مقدمة له. إلا من شاء الله ممن أكرمه الله وثبته وحفظه من الفزع. وكل من الخلق عند النفخ في الصور أتوه داخرين صاغرين ذليلين، كما القلوب فقال: ويوم ينفخ في الصور ففزع بسبب النفخ فيه من في السماوات ومن في الأرض أي: انزعجوا وارتاعوا وماج بعضهم ببعض خوفا مما يخوف تعالى عباد ما أمامهم من يوم القيامة وما فيه من المحن والكروب، ومزعجات
- ولهذا قال: وهي تمر مر السحاب من خفتها وشدة ذلك الخوف وذلك صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون فيجازيكم بأعمالكم. 88 جامدة لا تفقد شيئا منها وتظنها باقية على الحال المعهودة وهي قد بلغت منها الشدائد والأحوال كل مبلغ وقد تفتت ثم تضمحل وتكون هباء منبثا. ومن هوله أنك ترى الجبال تحسبها
- أو قلبية فله خير منها هذا أقل التفضيل وهم من فزع يومئذ آمنون أي: من الأمر الذي فزع الخلق لأجله آمنون وإن كانوا يفزعون معهم. 89 ثم بين كيفية جزائه فقال: من جاء بالحسنة اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية
- ووحيه وتكليمه. ومن عزته أن تعتمد عليه ولا تستوحش من انفرادك وكثرة أعدائك وجبروتهم، فإن نواصيهم بيد الله وحركاتهم وسكونهم بتدبيره. 9 قهر جميع الأشياء وأذعنت له كل المخلوقات، الحكيم في أمره وخلقه. ومن حكمته أن أرسل عبده موسى بن عمران الذي علم الله منه أنه أهل لرسالته الحكيم أي: أخبره الله أنه الله المستحق للعبادة وحده لا شريك له كما في الآية الأخرى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري العزيز الذي يا موسى إنه أنا الله العزيز
- بالسينة اسم جنس يشمل كل سينة فكبت وجوههم في النار أي: ألقوا في النار على وجوههم ويقال لهم: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون 90 ومن جاء
- بالبيت وحده. وأمرت أن أكون من المسلمين أي: أبادر إلى الإسلام، وقد فعل صلى الله عليه وسلم فإنه أول هذه الأمة إسلاما وأعظمها استسلاما. 91 المكرمة التي حرمها وأنعم على أهلها فيجب أن يقابلوا ذلك بالشكر والقبول. وله كل شيء من العلويات والسفليات أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته أي: قل لهم يا محمد إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة أي: مكة

تفسير السعدي

أديته، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه نفعه يعود عليه وثمرته عائدة إليه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وليس بيدي من الهداية شيء. 92
و أمرت أيضا أن أتلو عليكم القرآن لتهتدوا به وتقتدوا وتعلموا ألفاظه ومعانيه فهذا الذي علي وقد

وسلم. على يد جامعهم وممليه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في 22 رمضان سنة 1343. 93
ميسر القرآن للمتذكرين ومسهل طرقه وأبوابه للمقبلين وممد مائدة خيراته ومبراته للمتفكرين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه
إلينا، فهو أكرم الأكرمين وخير الراحمين وموصل المنقطعين ومجيب السائلين. ميسر الأمور العسيرة وفاتح أبواب بركاته والمجزل في جميع الأوقات هباته،
يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه. تم تفسير سورة النمل بفضل الله وإعانتة وتيسيره. ونسأله تعالى أن لا تزال أطافه ومعونته مستمرة علينا وواصله منه
بينه وما ربك بغافل عما تعملون بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال وعلم مقدار جزاء تلك الأعمال وسيحكم بينكم حكما تحمدونه عليه ولا
آياته فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنبطون به في الظلمات. ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على ربهم أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم وكمال قربهم منه وكثرة خيراته عليهم. سيريكهم
وقل الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة ومن جميع الخلق، خصوصا أهل الاختصاص والصفوة من

سورة 28

وسلم. على يد جامعهم وممليه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في 22 رمضان سنة 1343. 1
ميسر القرآن للمتذكرين ومسهل طرقه وأبوابه للمقبلين وممد مائدة خيراته ومبراته للمتفكرين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه
إلينا، فهو أكرم الأكرمين وخير الراحمين وموصل المنقطعين ومجيب السائلين. ميسر الأمور العسيرة وفاتح أبواب بركاته والمجزل في جميع الأوقات هباته،
يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه. تم تفسير سورة النمل بفضل الله وإعانتة وتيسيره. ونسأله تعالى أن لا تزال أطافه ومعونته مستمرة علينا وواصله منه
بينه وما ربك بغافل عما تعملون بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال وعلم مقدار جزاء تلك الأعمال وسيحكم بينكم حكما تحمدونه عليه ولا
آياته فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنبطون به في الظلمات. ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على ربهم أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم وكمال قربهم منه وكثرة خيراته عليهم. سيريكهم
وقل الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة ومن جميع الخلق، خصوصا أهل الاختصاص والصفوة من

من المؤمنين فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت، ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك، على أن استمرار الجزع مع العبد، دليل على ضعف إيمانه. 10
والخوف، ووعداها برده. إن كادت لتبدي به أي: بما في قلبها لولا أن ربطنا على قلبها فثبنتها، فصبرت، ولم تبد به. لتكون بذلك الصبر والثبات
ولما فقدت موسى أمه، حزنت حزنا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن
لا قصد لها فيه. وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرت، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله. 11
وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك فذهبت تقصه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون أي: أبصرت على وجهه، كأنها مارة
وقالت أم موسى لأخته قصيه أي: اذهبي فقصي الأثر عن أخيك

تلك المقالة، المشتملة على الترغيب، في أهل هذا البيت، بتمام حفظه وكفالاته والنصح له، بادروا إلى إجابته، فأعلمتهم ودلتهم على أهل هذا البيت. 12
على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون وهذا جل غرضهم، فإنهم أحبوه حبا شديدا، وقد منعه الله من المراضع فخافوا أن يموت، فلما قالت لهم أخته
ومن لطف الله بموسى وأمه، أن منعه من قبول ثدي امرأة، فأخرجوه إلى السوق رحمة به، ولعل أحدا يطلبه، فجاءت أخته، وهو بتلك الحال فقالت هل أدلكم
الذي صار به التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أما، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله، صدقا وحقا. 13
مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوها عليها. وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر،
يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر موسى عليه الصلاة والسلام عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسه، وأمهم بذلك
ولكن أكثرهم لا يعلمون فإذا رأوا السبب متشوشا، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل، أن الله تعالى يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة، بين
ذلك، ولتعلم أن وعد الله حق فأريناها بعض ما وعدناها به عيانا، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته،
إلى أمه كما وعدناها بذلك كي تقرر عينها ولا تحزن بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه أمانة مطمئنة، تفرح به، وتأخذ الأجرة الكثيرة على
فرددناها

وكذلك نجزي المحسنين في عبادة الله المحسنين لخلق الله، نعطيهم علما وحكما بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام. 14
أربعين سنة في الغالب، واستوى كملت فيه تلك الأمور آتيناها حكما وعلما أي: حكما يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، وعلما كثيرا.
ولما بلغ أشده من القوة والعقل واللب، وذلك نحو

تفسير السعدي

هذا من عمل الشيطان أي: من تزيينه ووسوسته، إنه عدو مذل مبين فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال. 15
من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي، ففضى عليه أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى. فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه، و قال بني إسرائيل، واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغا يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان. فوكزه موسى أي: وكز الذي هذا من شيعته أي: من بني إسرائيل وهذا من عدوه القبط. فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من على حين غفلة من أهلها إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار. فوجد فيها رجلين يقتتلان أي: يتخاصمان ويتضاربان ودخل المدينة

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم خصوصا للمخبتين، المبادرين للإجابة والتوبة، كما جرى من موسى عليه السلام. 16
ثم استغفر ربه

من موسى عليه السلام، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر. 17
رب بما أنعمت علي بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، فلن أكون ظهيرا أي: معينا ومساعدًا للمجرمين أي: لا أعين أحدا على معصية، وهذا وعد ف قال موسى

بالأمس على عدوه يستصرخه على قبطي آخر. قال له موسى موبخا له على حاله إنك لغوي مبين أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة. 18
فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بني إسرائيل. فبينما هو على تلك الحال فإذا الذي استنصره ف لما جرى منه قتل الذي هو من عدوه أصبح في المدينة خائفا يترقب هل يشعر به آل قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين، حتى تراود ملاً فرعون، وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك. 19
الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق. وما تريد أن تكون من المصلحين وإلا، فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فانكف موسى عن أن يببطش بالقبطي، قال له القبطي زاجرا له عن قتله: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض لأن من أعظم آثار موسى بالذي هو عدو لهما أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم فلما أن أراد أن يببطش

ومعرفة أوليائه وأعدائه، ومعرفة وقائعه وأيامه، ومعرفة ثواب الأعمال، وجزاء العمال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، وجالها للعباد، ووضحها. 2
تلك الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم آيات الكتاب المبين لكل أمر يحتاج إليه العباد، من معرفة ربهم، ومعرفة حقوقه، قبل أن يشعر، ف قال يا موسى إن الملائمة أتومرون أي: يتشاورون فيك ليقتلوك فاخرج عن المدينة إني لك من الناصحين فامتثل نصحه. 20
إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رأي ملئهم. فقال: وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أي: ركضا على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به، وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم

القتل، ودعا الله، و قال رب نجني من القوم الظالمين فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضبا من غير قصد منه للقتل، فتوعدهم له ظلم منهم وجراءة. 21
فخرج منها خائفا يترقب أن يوقع به

قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي: وسط الطريق المختصر، الموصل إليها بسهولة ورفق، فهداه الله سواء السبيل، فوصل إلى مدين. 22
ولما توجه تلقاء مدين أي: قاصدا بوجهه مدين، وهو جنوبي فلسطين، حيث لا ملك لفرعون،

الرعاء مواشيهم، فإذا خلا لنا الجو سقينا، وأبونا شيخ كبير أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا قوة، نقدر بها، ولا لنا رجال يزامون الرعاء. 23
قال لهما موسى ما خطبكما أي: ما شأنكما بهذه الحالة، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر ووجد من دونهم أي: دون تلك الأمة امرأتين تذودان غنمهما عن حياض الناس، لعجزهما عن مزاحمة الرجال وبخلهم، وعدم مروءتهم عن السقي لهما. ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون مواشيهم، وكانوا أهل ماشية كثيرة

منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعيا ربه متملقا. وأما المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما، وأخبرتاه بما جرى. 24
بعد التعب. فقال في تلك الحالة، مسترزقا ربه رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إلي وتيسره لي. وهذا سؤال منها الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى، فلما سقى لهما، وكان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار، بدليل قوله: ثم تولى إلى الظل مستريحا لذلك الظلال فرق لهما موسى عليه السلام ورحمهما فسقى لهما غير طالب

قلبه: لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي: ليذهب خوفك وروعك، فإن الله نجاك منهم، حيث وصلت إلى هذا المحل، الذي ليس لهم عليه سلطان. 25
أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى. فلما جاءه وقص عليه القصص من ابتداء السبب الموجب لهربه، إلى أن وصل إليه قال مسكنا روعه، جابرا أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه، ف قالت له: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا أي: لا ليمن عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده

تفسير السعدي

على أن موسى عليه السلام، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخدام الذي لا يستحق منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم إلى موسى، فجاءته تمشي على استحياء وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء. ويدل فأرسل أبوهما إحداهما

عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى. 26 عملا، بإجارة أو غيرها. فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان أي: اجعله أجيرا عندك، يرفع الغنم ويسقيها، إن خير من استأجرت القوي الأمين أي: إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير قالت إحداهما أي: إحدى ابنتيه يا أبت استأجره

في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره. 27 فأحتم عشر السنين، أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالا شاقة، وإنما استأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه ستجدي إن شاء الله من الصالحين فرغبه أي تصير أجيرا عندي ثماني حجج أي: ثماني سنين. فإن أتممت عشرا فمن عندك تبرع منك، لا شيء واجب عليك. وما أريد أن أشق عليك قال صاحب مدين لموسى إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني

أعلم، إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم 28 يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب، ليرضى أن يرفع موسى عنده ويكون خادما له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله والسلام، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاد الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ ولو كان ذلك الرجل شعيبا، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضا فإن شعيبا عليه الصلاة فإن هذا، قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيبا عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟ وأيضا، ما نقول وكيل حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدا عليه. وهذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك. أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها والله على ف قال موسى عليه السلام مجيبا له فيما طلبه منه: ذلك بيني وبينك أي: هذا الشرط، الذي

من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلني آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون وكان قد أصابهم البرد، وتاهوا الطريق. 29 اشتاق إلى الوصول إلى أهله ووالدته وعشيرته، ووطنه، وعلم من طول المدة، أنهم قد تناسوا ما صدر منه. سار بأهله قاصدا مصر، آنس أي: أبصر فلما قضى موسى الأجل يحتمل أنه قضى الأجل الواجب، أو الزائد عليه، كما هو الظن بموسى ووفائه،

به إيمانا و يقينا، وخيرا إلى خيرهم، وأما من عداهم، فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابا أن يفقهوه. 3 لقوم يؤمنون فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان، ما يقبلون به على تدبر ذلك، وتلقيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون فإنه أبداه، وأعادها في عدة مواضع، وبسطها في هذا الموضع فقال: نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق فإن نبأهما غريب، وخبرهما عجب. ومن جملة ما أبان، قصة موسى وفرعون،

الله رب العالمين فأخبر بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، وتألّفه، كما صرح به في الآية الأخرى فاعبدني وأقم الصلاة لذكري 30 فلما أتاه نودي يا موسى إني أنا

وأتقا بخبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه، فهذه آية، أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون، ليكون على يقين تام، فيكون أجرا له، وأقوى وأصلب. 31 والأمن من المكروه، فقال: إنك من الأمنين فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى عليه السلام غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئنا، فقال: ولا تخف أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم الخوف. فإن قوله: أقبل يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم يزل في الأمر المخوف، جان ذكر الحيات العظيم، ولى مدبرا ولم يعقب أي: يرجع، لاستيلاء الروع على قلبه، فقال الله له: يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين وهذا وأن ألق عصاك فألقاها فلما رآها تهتز تسعى سعيا شديدا، ولها سورة مهيلة كأنها

قاطعتان من الله، إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين فلا يكفهم مجرد الإنذار وأمر الرسول إياهم، بل لا بد من الآيات الباهرة، إن نفعت. 32 جناحك وهو عضدك إلى جنبك يزول عنك الرهب والخوف. فذاذك انقلاب العصا حية، وخروج اليد بيضاء من غير سوء برهانان من ربك أي: حجتان فقال: اسلك يدك أي: أدخلها في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فسلكها وأخرجها، كما ذكر الله تعالى. واضمم إليك جناحك من الرهب أي ضم

ثم أراه الآية الأخرى

ربه، وسائلا له المعونة على ما حملة، وذاكرا له الموانع التي فيه، ليزيل ربه ما يحذر منها. رب إني قتلت منهم نفسا أي: فأخاف أن يقتلون 33

ف قال موسى عليه السلام، معتذرا من

وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا أي: معاونا ومساعدًا يصدقني فإنه مع تضافر الأخبار يقوى الحق 34

بلده، بعد ما كان شريداً، فلم تنزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه، الغلبة والظهور. 35
كيد عدوكم وصارت لكم أبلغ من الجنود، أولي العدد والعدد. أنتم ومن اتبعكم الغالبون وهذا وعد لموسى في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى فلا يصلون إليكم وذلك بسبب آياتنا، وما دلت عليه من الحق، وما أزعجت به من باشرها ونظر إليها، فهي التي بها حصل لكم السلطان، واندفع بها عنكم، أي: نعاونك به ونقويك. ثم أزال عنه محذور القتل، فقال: ونجعل لكم سلطاناً أي: تسلطاً، وتمكننا من الدعوة، بالحجة، والهيبة الإلهية من عدوهم لهما، فأجابته الله إلى سؤاله فقال: سنشد عضدك بأخيك

يوسف من قبل بالبينات فما زلت في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب 36
ولكن الشقاء غالب. وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقد كذبوا في ذلك، فإن الله أرسل يوسف عليه السلام قبل موسى، كما قال تعالى ولقد جاءكم الذي علمكم السحر هذا، وهو الذي غير الزكي الذي بلغ من المكر والخداع والكيد ما قصه الله علينا وقد علم ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض كما قال فرعون في تلك الحالة التي ظهر فيها الحق، واستعل على الباطل، واضمحل الباطل، وخضع له الرؤساء العارفون حقائق الأمور إنه لكبيركم جاءهم موسى بآياتنا بينات واضحات الدلالة على ما قال لهم، ليس فيها قصور ولا خفاء. قالوا على وجه الظلم والعلو والعناد ما هذا إلا سحر مفترى فذهب موسى برسالة ربه فلما

له عاقبة الدار، نحن أم أنتم إنه لا يفلح الظالمون فصار عاقبة الدار لموسى وأتباعه، والفلاح والفوز، وصار لأولئك، الخسار وسوء العاقبة والهلاك. 37
الدار أي: إذا لم تفد المقابلة معكم، وتبيين الآيات البينات، وأبيتم إلا التماذي في غيكم وللجاج على كفركم، فالله تعالى العالم بالمهتدي وغيره، ومن تكون وقال موسى حين زعموا أن الذي جاءهم به سحر وضلال، وأن ما هم عليه هو الهدى: ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة

دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. 38
الملا، الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشؤونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم. فسد ما بلغها آدمي، كذب موسى، وادعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا تزويج، ولكن العجب من هؤلاء أي: بناء لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ولكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى. فانظر هذه الجراءة العظيمة على الله، التي أراد أن يحقق النفي، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال له هاهنا فأوقد لي ياهامان على الطين ليجعل له لنا من فخار. فاجعل لي صرحا علمت لكم من إله غيري وهذا، لأنه عندهم، العالم الفاضل، الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه. فلما قال هذه المقالة، التي قد تحتل أن ثم إله غيره، وحدي، إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثم إله غيري، لعلمته، فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون، حيث لم يقل ما لكم من إله غيري بل تورع وقال: ما وقال فرعون متجرنا على ربه، ومموها على قومه السفهاء، أخفاء العقول: يا أيها الملا ما علمت لكم من إله غيري أي: أنا

أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل. وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فلذلك تجرأوا، وإلا فلو علموا، أو ظنوا أنهم يرجعون إلى الله، لما كان منهم ما كان. 39
هو وجنوده في الأرض بغير الحق استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاءوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا قال تعالى: واستكبر

فيغمره في بلاده، ويصير لهم الملك. إنه كان من المفسدين الذين لا قصد لهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض. 4
لا منعة لهم تمنعهم مما أرادهم فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى أنه يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم خوفاً من أن يكثرُوا، طائفة منهم وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم الله على العالمين، الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم من أهل العلو فيها، لا من الأعلين فيها. وجعل أهلها شيعاً أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره، وسطوته. يستضعف فأول هذه القصة إن فرعون علا في الأرض في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار

فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين كانت شر العواقب وأخسرها عاقبة أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة، المتصلة بالعقوبة الأخروية. 40
فأخذناه وجنوده عندما استمر عنادهم وبغيهم

دار الخزي والشقاء. ويوم القيامة لا ينصرون من عذاب الله، فهم أضعف شيء، عن دفعه عن أنفسهم، وليس لهم من دون الله، من ولي ولا نصير. 41
وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار أي جعلنا فرعون وملأه من الأئمة الذين يقتدي بهم ويمشي خلفهم إلى

في الدنيا ومقدمتهم، ويوم القيامة هم من المقبوحين المبعدين، المستقرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم. 42
لعنة أي: وأتبعناهم، زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة، يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين وأتبعناهم في هذه الدنيا

تفسير السعدي

- فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن، فتكون رحمة في حقه، وهداية له إلى الصراط المستقيم، ولهذا قال: وهدي ورحمة لعلهم يتذكرون 43 العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف. بصائر للناس أي: كتاب الله، الذي أنزله على موسى، فيه بصائر للناس، أي: أمور يبصرون بها ما ينفعهم، وما يضرهم، وهو التوراة من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الذين كان خاتمهم في الإهلاك العام، فرعون وجنوده. وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك ولقد آتينا موسى الكتاب
- بجانب الغربي أي: بجانب الطور الغربي وقت قضائنا لموسى الأمر وما كنت من الشاهدين على ذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق. 44 على رسوله ما قص من هذه الأخبار الغيبية، نبه العباد على أن هذا خبر إلهي محض، ليس للرسول، طريق إلى علمه إلا من جهة الوحي، ولهذا قال: وما كنت ولما قص الله
- في مدين، ولكننا كنا مرسلين أي: ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى، أثر من آثار إرسالنا إليك، ووحي لا سبيل لك إلى علمه، بدون إرسالنا. 45 ما علمناك وأوحينا إليك. وما كنت ثاويًا أي: مقيما في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا أي: تعلمهم وتتعلّم منهم، حتى أخبرت بما أخبرت من شأن موسى ولكننا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر فاندرس العلم، ونسيت آياته، فبعثناك في وقت اشتدت الحاجة إليك وإلى أصلا، ولغيرهم تبعًا، كما قال تعالى أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا 46 ولا يدرك شكرها. وإنذاره للعرب لا ينفي أن يكون مرسلًا لغيرهم، فإنه عربي، والقرآن الذي أنزل عليه عربي، وأول من باشر بدعوته العرب، فكانت رسالته إليهم تفصيل الخير فيفعلونه، والشر فيتركونه، فإذا كنت بهذه المنزلة، كان الواجب عليهم، المبادرة إلى الإيمان بك، وشكر هذه النعمة، التي لا يقادر قدرها، لتندرك قوما ما أتاهم من نذير من قبلك أي: العرب، وقريش، فإن الرسالة عندهم لا تعرف وقت إرسال الرسول وقبلة بأزمان متطاولة، لعلهم يتذكرون الأمر الثاني، وهو: أن هذا جاءك من قبل الله ووحيه وإرساله، فثبت بالدليل القطعي، صحة رسالتك، ورحمة الله بك للعباد، ولهذا قال: ولكن رحمة من ربك بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد علم وتيقن أنه ما كان وما صار، فأوليائك وأعدائك يعلمون عدم ذلك. فتعين يخلو من أحد أمرين. إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالها فتعلمتها من أهلها، فحينئذ قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر وعجائبنا ما قصصنا عليك. والمقصود: أن المجاريات، التي جرت لموسى عليه الصلاة والسلام في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى، وأمرناه أن يأتي القوم الظالمين، ويبلغهم رسالتنا، ويريههم من آياتنا
- من الكفر والمعاصي فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين أي: فأرسلناك يا محمد، لدفع حجتهم، وقطع مقالته. 47 ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم
- وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرح أنهم كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفرهم بهما كان طلبا للحق، واتباعا لأمر عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟ 48 الناس وقالوا إنا بكل كافرون فثبت بهذا أن القوم يريدون إبطال الحق بما ليس ببرهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون الأقوال المتناقضة المختلفة، على كتاب كفروا به ولم يؤمنوا؟ ولهذا قال أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا أي: القرآن والتوراة، تعاونوا في سحرهما، وإضلال زيادة الإيمان للمؤمنين ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وأيضا، فإن قياسهم على كتاب موسى، قياس قد نقضوه، فكيف يقيسونه وأي: شبهة أنه ليس من عند الله، حين نزل مفرقا؟ بل من كمال هذا القرآن، واعتناء الله بمن أنزل عليه، أن نزل متفرقا، ليثبت الله به فؤاد رسوله، ويحصل به: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أي: أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة. أي: فأما ما دام ينزل متفرقا، فإنه ليس من عند الله. وأي: دليل في هذا؟ فلما جاءهم الحق الذي لا شك فيه من عندنا وهو القرآن، الذي أوحيناه إليك قالوا مكذبين له، ومعترضين بما ليس يعترض
- واتباعهما، من حيث كونهما هدى وحقا، فإن جئتموني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعته، وإلا فلا أترك هدى وحقا قد علمته لغير هدى وحق. 49 من الداعي أن قال: أنا مقصودي الحق والهدى والرشد، وقد جئتك بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعا الإذعان لهما ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلها، فإنه ما طرق العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علما وهدى، وبيانا، ورحمة للخلق، وهذا من كمال الإنصاف قال تعالى ملزما لهم بذلك: فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أي: من التوراة والقرآن أتبعه إن كنتم صادقين
- وذلك لا يحصل مع استضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة، ونجعلهم الوارثين للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة. 50 ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض بأن نزيل عنهم مواد الاستضعاف، ونهلك من قاومهم، ونخذل من ناوهم. ونجعلهم أئمة في الدين،
- أما يتبعون أهواءهم دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى. 50 وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم بعمهون، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون. وفي قوله: فإن لم يستجيبوا لك فاعلم لا يهدي القوم الظالمين أي: الذين صار الظلم لهم وصفا والعناد لهم نعتا، جاءهم الهدى فرفضوه، وعرض لهم الهوى، فتابعوه، سدوا على أنفسهم أبواب الهداية فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟ ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له: أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فهذا قال: إن الله المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم. ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى، والصراط

تفسير السعدي

فإن لم يستجيبوا لك فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما فاعلم أنما يتبعون أهواءهم أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا آياته وبراهينه إلا ظهوراً، وكل وقت من الأوقات، يظهر من آياته ما هو عبرة للعالمين، وهداية للعالمين، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده. 51 والملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة، وتكيد له المكاييد، وتمكر لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض، وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نمواً، المبين لدينه وأمته، حتى بلغ دينه مبلغ الليل والنهار، وفتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، وقلوبهم بالعلم والإيمان. ولم تزل الأمم المعاندة، خبر الأولين والآخرين، والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وما جبل عليه من الأخلاق الفاضلة، التي لا تناسب، ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، والنصر الله وسلامه، على من مجرد خبره ينبي أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينه العقول النيرة، أنه من عند الله، كيف وقد تطابق على صحة ما جاء به، وصدقه ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحى أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوما جاهلين، وعن النذر والرسل غافلين. فصلوات به المرسلين، وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، ولا مشاهدة لموضع واحد من تلك المواضع، ولا تلاوة درس فيها شيئاً من هذه الأمور، في الخير هادياً مهدياً. ومنها: ما فيها من الدلالة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر بذلك تفصيلاً مطابقاً، وتأصيلاً موافقاً، قصه قصاً، صدق من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماماً في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبياناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إماماً من الآيات البينات، والمعجزات الظاهرة، من الحية، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون، من فرعون، ومن الغرق. ومنها: أن شاء الله من الصالحين ومنها: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إشهاد لقوله: والله على ما نقول وكيل ومنها: ما أجرى الله على يد موسى أن يكون قوياً أميناً. ومنها: أن من مكارم الأخلاق، أن يحسن خلقه لأجيريه، وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل، لقوله: وما أريد أن أشق عليك ستجدي إن أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، ولو كانت المنفعة بضعا. ومنها أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخير، لا يلام عليه. ومنها: أن خير أجير وعامل يعمل للإنسان، الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض. ومنها: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، مما لا يقدر العمل، وإنما مرده، العرف. ومنها أن العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه لما أنزلت إلي من خير فقير ومنها أن الحياء خصوصاً من الكرام من الأخلاق الممدوحة. ومنها: المكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم السابقين. ومنها: العاجز. ومنها استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالماً لها، لأنه تعالى، يحب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكنته، كما قال موسى: رب إنني أن يهديني سواء السبيل ومنها: أن الرحمة بالخلق، والإحسان على من يعرف ومن لا يعرف، من أخلاق: الأنبياء، وأن من الإحسان سقي الماشية الماء، وإعانة ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيّب من هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال: عسى ربي هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى. ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، موسى، لما دار الأمر بين بقاءه في مصر ولكنه يقتل، أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة، التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل يد له غير ربه، ولكن ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى. ومنها: أنه عند تزامم المفسدين، إذا كان لا بد من ارتكاب إحداها أنه يرتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن ذلك نسيمة بل قد يكون واجباً كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحاً له ومحذراً. ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقي بيده إلى التهلكة، وما تريد أن تكون من المصلحين على وجه التقرير له، لا الإنكار. ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شر يقع فيه، لا يكون وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهيب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد كما حكى الله قول القبطي إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض القبطي الكافر ذنباً، واستغفر الله منه. ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض. ومنها: أن من قتل النفوس بغير حق، ما يزيد به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد الله حق. ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف، لا يجوز، فإن موسى عليه السلام عد قتله أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على من يفعل ذلك. ومنها: أن الله من رحمته بعبد الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آياته، ويشهده من بيناته، أخته لتقصه وتطلبه. ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال، من غير محذور، كما جرى لأخت موسى وابنتي صاحب مدين. ومنها: جواز فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافياً لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك، اجتهدت على رده، وأرسلت قلقه وروعه، وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال. ومنها: أن العبد ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذ لا بد منه على أموره، تثببت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر تعالى. لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين أي: ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها. ومنها: أن من أعظم نعم الله على عبده، وأعظم معونة للعبد المخاوف. ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص. وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبّت من الله، عند المقلقات، كما قال تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسروراً. ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأُم موسى ولموسى من تلك سروراً أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شراً أكثر منه، كما قدر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهَم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة، بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين. ومنها: أن الله يقدر على عبده بعض المشاق، لينيله في الأرض، ومكلمهم بلادهم. ومنها: أن الأمة ما دامت ذليلة مهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها ولا دنياها ولا يكون لها إمامة فيه. ومنها: حقها، ولا الإيأس من ارتقانها إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكثهم وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج، لا دفعة واحدة. ومنها: أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولى عليها الكسل عن طلب

تفسير السعدي

تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص، لأجلهم، وأما غيرهم، فلا يعبا الله بهم، وليس لهم منها نور وهدى. ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أمرا هيا أسبابه، الفوائد والعبر في هذه القصة العجيبة فمنها أن آيات الله تعالى وعبره، وأيامه في الأمم السابقة، إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد حين تتكرر عليهم آياته، وتنزل عليهم بيناته وقت الحاجة إليها. فصار نزوله متفرقا رحمة بهم، فلم اعترضوا على ما هو من مصالحهم؟ فصل في ذكر بعض ولقد وصلنا لهم القول أي: تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئا فشيئا، رحمة بهم ولطفًا لعلمهم يتذكرون

الحق، الذين آتيناهم الكتاب من قبله وهم أهل التوراة، والإنجيل، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا هم به أي: بهذا القرآن ومن جاء به يؤمنون 52 يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقولون بأنه

على ما من الله به علينا من الإيمان، فصدقنا بهذا القرآن، آمنا بالكتاب الأول والآخر، وغيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب، إيمانه بالكتاب الأول. 53 تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا الآيات. وقوله: إنا كنا من قبله مسلمين فلذلك ثبتنا لأنهم أهل الصنف وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلا عن الحجة، لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق. قال على الأخبار الصادقة، والأوامر والنواهي الموافقة، لغاية الحكمة. وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم، لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة، وإذا يتلى عليهم استمعوا له وأذعنوا و قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا لموافقتهم ما جاءت به الرسل، ومطابقتهم لما ذكر في الكتب، واشتماله

أحد، حتى للمسيء إليهم بالقول والفعل، يقابلونه بالقول الحميد والفعل الجميل، لعلمهم بفضيلة هذا الخلق العظيم، وأنه لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم. 54 عن الإيمان رياسة ولا شهوة. و من خصالهم الفاضلة، التي من آثار إيمانهم الصحيح، أنهم ويدرون بالحسنة السيئة أي: دأبهم وطريقتهم الإحسان لكل أجرهم مرتين أجرا على الإيمان الأول، وأجرا على الإيمان الثاني، بما صبروا على الإيمان، وثبتوا على العمل، فلم تزعزعهم عن ذلك شبهة، ولا ثناءهم أولئك الذين آمنوا بالكتابين يؤتون

بمقتضى جهلكم، فإنكم وإن رضيتم لأنفسكم هذا المرتع اللئيم، فإننا ننزه أنفسنا عنه، ونصونها عن الخوض فيه، لا نبتغي الجاهلين من كل وجه. 55 شيء. ولزم من ذلك، أنهم يتبرءون مما عليه الجاهلون، من اللغو والباطل، والكلام الذي لا فائدة فيه. سلام عليكم أي لا تسمعون منا إلا الخير، ولا نخطبكم جاهل خاطبهم به، قالوا مقالة عباد الرحمن أولي الأبواب: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي: كل سيجازى بعمله الذي عمله وحده، ليس عليه من وزر غيره وإذا سمعوا اللغو من

من قومه، عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد الله تعالى. 56 في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا. ولهذا، لو كان قادرا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه للرسول في قوله تعالى: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبدل جهده في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله. وأما إثبات الهداية أنك يا محمد وغيرك من باب أولى لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان يخبر تعالى

الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون. وليتبعوا هذا الرسول الكريم، ليمت لهم الأمن والرخاء. 57 من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين، فليحمدوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، ممكنين في حرم يكثره المتابون ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصون بقليل ولا كثير. والحال أن كل ما حولهم مبينا لهم حالة هم بها دون الناس وأن الله اختصهم بها، فقال: أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا أي: أولم نجعلهم متمكنين سوء الظن بالله تعالى، وأنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، بل يمكن الناس من أهل دينه، فيسومونهم سوء العذاب، وظنوا أن الباطل سيعلو على الحق. قال الله بالقتل والأسر ونهب الأموال، فإن الناس قد عادوك وخالفوك، فلو تابعتك لتعرضنا لمعاداة الناس كلهم، ولم يكن لنا بهم طاقة. وهذا الكلام منهم، يدل على يخبر تعالى أن المكذبين من قريش وأهل مكة، يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا

عليهم، وإيحاشها من بعدهم. وكنا نحن الوارثين للعباد، نميتهم، ثم يرجع إلينا جميع ما متعناهم به من النعم، ثم نعيدهم إلينا، فنجازيهم بأعمالهم. 58 واشتغلت بها عن الإيمان بالرسول، فأهلكهم الله، وأزال عنهم النعمة، وأحل بهم النعمة. فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا لتوالي الهلاك والتلف بعد أمنهم خوفا، وبعد عزهم ذلا، وبعد غناهم فقرا، ولهذا توعدهم بما فعل بالأمم قبلهم، فقال: وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي: فخرت بها، وألقتها، وإياهم وتكذيبه، والبطر بنعمة الله، فيبدلوا من

وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون بالكفر والمعاصي، مستحقون للعقوبة. والحاصل: أن الله لا يعذب أحدا إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه. 59 الرسل في القرى البعيدة، والأطراف النائية، فإن ذلك مظنة الخفاء والجفاء، والمدن الأمهات مظنة الظهور والانتشار، وفي الغالب أنهم أقل جفاء من غيرهم. ينتجها، ولا تخفى عليه أخبارها. رسولا يتلو عليهم آياتنا الدالة على صحة ما جاء به، وصدق ما دعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، بخلاف بعث قال: وما كان ربك مهلك القرى أي: بكفرهم وظلمهم حتى يبعث في أمها أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون، ونحوها يترددون، وكل ما حولها

تفسير السعدي

ومن حكمته ورحمته أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم، ولهذا

ولا أعداؤه ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود. فأول ذلك، لما أوجد الله رسوله موسى، الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه وبسببه. 6
هم محل ذلك، فكل هذا قد أراده الله، وإذا أراد أمرا سهلا أسبابه، ونهج طريقه، وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب التي لم يشعر بها لا أولياؤه
أي: من هذه الطائفة المستضعفة. ما كانوا يحذرون من إخراجهم من ديارهم، ولذلك كانوا يسعون في قمعهم، وكسر شوكتهم، وتقتيل أبنائهم، الذين
قد تعلقوا بها إرادة الله، وجرت بها مشيئته، وكذلك نريد أن نري فرعون وهامان وزيره وجنودهما التي بها صالوا وجالوا، وعلوا وبغوا منهم
ونمكن لهم في الأرض فهذه الأمور كلها،

ما أثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله، ولهذا نبه العقول على الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا ومؤثر الآخرة، فقال: أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية 60
أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أي: الأمور أولى بالإيثار، وأي: الدارين أحق للعمل لها فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه
والحرمان. وما عند الله من النعيم المقيم، والعيش السليم خير وأبقى أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبدا، ومستمر سرمدًا. أفلا تعقلون
بالمغصات، ممزوجا بالغصص. ويزين به زمانا يسيرا، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعا، وينقضي جميعا، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة
والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها، أي: يتمتع به وقتا قصيرا، متاعا قاصرا، محشوا
على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة،
هذا حض من الله لعباده

إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار. 61
لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك. ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل
فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع يدهى الله رأسا، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك،
فهو لاقية من غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمراضاته وجانب سخطه، كمن متعناه متاع الحياة الدنيا
أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم،

المعلوم أنه يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبده، ورجوه باطل، مضمحل في ذاته، وما رجوا منه، فيقرون على أنفسهم بالضلالة والغواية. 62
أين شركائي وليس لله شريك، ولكن ذلك بحسب زعمهم وافترائهم، ولهذا قال: الذين كنتم تزعمون فأين هم، بذواتهم، وأين نفعهم وأين دفعهم؟ ومن
رسله، فقال: ويوم يناديهم أي: ينادي من أشركوا به شركاء يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضرر عنهم، فيناديهم، ليبين لهم عجزها وضلالهم، فيقول
هذا إخبار من الله تعالى، عما يسأل عنه الخلائق يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، وعن عبادة الله وإجابة

الغواية، وحق عليه كلمة العذاب. تبرا أنا إليك من عبادتهم، أي: نحن برآء منهم ومن عملهم. ما كانوا إيانا يعبدون وإنما كانوا يعبدون الشياطين. 63
القول الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: ربنا هؤلاء التابعون الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا أي: كلنا قد اشترك في
ولهذا قال الذين حق عليهم

به، منكرين له. لو أنهم كانوا يهتدون أي: لما حصل عليهم ما حصل، ولهدوا إلى صراط الجنة، كما اهتدوا في الدنيا، ولكن لم يهتدوا، فلم يهتدوا. 64
فلم يستجيبوا لهم فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة. ورأوا العذاب الذي سيحل بهم عيانا، بأبصارهم بعد ما كانوا مكذبين
فيهم من النفع فأمرؤا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى من عبده. فدعوه لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء.
وقيل لهم: ادعوا شركاءكم على ما أملتكم

ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين هل صدقتموهم، واتبعتموهم أم كذبتموهم وخالفتموهم؟ 65

والانقياد، ولكن لما علموا تكذيبهم لهم وعنادهم لأمرهم، لم ينطقوا بشيء، ولا يمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم في ماذا يجيبون به، ولو كان كذبا. 66
السؤال جوابا، ولم يهتدوا إلى الصواب. ومن المعلوم أنه لا ينجى في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح، المطابق لأحوالهم، من أننا أجبناهم بالإيمان
فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون أي: لم يحيروا عن هذا

فعسى أن يكون من جمع هذه الخصال من المفلحين الناجحين بالمطلوب، الناجين من المهرب، فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور. 67
به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصي، وآمن بالله فعبد، وآمن برسله فصدقهم، وعمل صالحا متبعا فيه للرسل،
فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو

الأمر والاختيار شيء، وأنه تعالى منزّه عن كل ما يشركون به، من الشريك، والظهير، والعوين، والولد، والصاحبة، ونحو ذلك، مما أشرك به المشركون. 68
لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر والأزمان والأماكن، وأن أحدا ليس له من
هذه الآيات، فيها عموم خلقه

تفسير السعدي

وما أعلنوه، وأنه وحده المعبود المحمود في الدنيا والآخرة، على ماله من صفات الجلال والجمال، وعلى ما أسداه إلى خلقه من الإحسان والإفضال. 69 وأنه العالم بما أكتنه الصدور

البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأُم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها، فإنها خافت عليه، وفعلت ما أمرت به، ألقته في اليم، فساقه الله تعالى. 7 ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فيشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولا. وهذا من أعظم أن ترضعه، ويمكث عندها. فإذا خفت عليه بأن أحسست أحدا تخافين عليه منه أن يوصله إليهم، فألقيه في اليم أي نيل مصر، في وسط تابوت مغلق، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، أوحى إلى أمه

جميع الشرائع، والأوامر والنواهي. وفي الآخرة يحكم بحكمه القدري والجزائي، ولهذا قال: وإليه ترجعون فيجازي كلا منكم بعمله، من خير وشر. 70 وأنه هو الحاكم في الدارين، في الدنيا، بالحكم القدري، الذي أثره جميع ما خلق وذرا، والحكم الديني، الذي أثره

من ذلك؟ فلو جعل عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بضياء أفلا تسمعون مواظ الله وآياته سماع فهم وقبول وانقياد. 71 في ضيائه، والليل ليهدا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده. فهل أحد يقدر على شيء من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتسروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم هذا امتنان

أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر. 72 الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى وفي النهار أفلا تبصرون لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائرهم، وتسلخوا الطريق المستقيم. وقال في الليل أفلا تسمعون ولو جعل عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله

أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر. 73 الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى وفي النهار أفلا تبصرون لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائرهم، وتسلخوا الطريق المستقيم. وقال في الليل أفلا تسمعون ولو جعل عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله

الذين كنتم تزعمون أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر، كما قال: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون 74 أن يعبدوا، وينفعون ويضررون، فإذا كان يوم القيامة، أراد الله أن يظهر جراتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم لأنفسهم ف يناديهم فيقول أين شركائي أي: ويوم ينادي الله المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له شركاء، يستحقون

عنهم ما كانوا يفترون من الكذب والإفك، واضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها واستأهلها. 75 لهم قدرة، فعلموا حينئذ بطلان قولهم وفساده، وأن الحق لله تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله، وضل هل فيهم أحد يستحق شيئا من الإلهية؟ هل ينفعونكم، أو يدفعون عنكم من عذاب الله أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذا إن كان فيهم أهلية وليروكم إن كان فإذا برزوا للمحاكمة فقلنا هاتوا برهانكم حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلنا؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبنا؟ واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المنتخبين. أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين من يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، ومن هم وإياهم على طريق واحد، فإذا حضروا وإياهم، نزع من كل أمة من الأمم المكذبة شهيدا يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم

تفرح إن الله لا يحب الفرحين أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها. 76 أن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ إذ قال له قومه ناصحين له محذرين له عن الطغيان: لا من الكنوز أي: كنوز الأموال شيئا كثيرا، ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والعصبة، من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتيته من الأموال العظيمة المطفية وآتيناه قارون وما فعل وفعل به ونصح ووعظ، فقال: إن قارون كان من قوم موسى أي: من بني إسرائيل، الذين فضلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، يخبر تعالى عن حالة

تبع الفساد في الأرض بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، إن الله لا يحب المفسدين بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة. 77 ضائعا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بهذه الأموال، ولا بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل الذات، ولا تنس نصيبك من الدنيا أي: لا تأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى

تفسير السعدي

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ

فإنكارهم لا محل له، فلم يزل قارون مستمرا على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحا بطرا قد أعجبتة نفسه، وغره ما أوتيته من الأموال. 78 ما يعلمه منهم، فهم، وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولا، وليس ذلك دافعا عنهم من العذاب شيئا، لأن ذنوبهم غير خفية، قارون، مع مضي عادتنا وستتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على مبينا أن عطائه، ليس دليلا على حسن حالة المعطي: أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا فما المانع من إهلاك هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أنني أهل لذلك، فلم تنصحوني على ما أعطاني لله تعالى؟ قال تعالى ف قال قارون رادا لنصيحتهم، كافرا بنعمة ربه: إنما أوتيته على علم عندي أي: إنما أدركت

همتهم، وإن همة جعلت هذا غاية مرادها ومنتهى مطلبها، لمن أدنى الهمم وأسفلها وأدناها، وليس لها أدنى صعود إلى المراتب العالية والمطالب الغالية. 79 رغباتهم، وأنه ليس وراء الدنيا، دار أخرى، فإنه قد أعطي منها ما به غاية التنعم بنعيم الدنيا، واقتدر بذلك على جميع مطالبه، فصار هذا الحظ العظيم، بحسب إرادة في سواها، يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون من الدنيا ومتاعها وزهرتها إنه لذو حظ عظيم وصدقوا إنه لذو حظ عظيم، لو كان الأمر منتهيا إلى قسمين، كل تكلم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة. ف قال الذين يريدون الحياة الدنيا أي: الذين تعلقوا بإرادتهم فيها، وصارت منتهى رغبتهم، ليس لهم جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها وغضارتها وفخرها، فرمقته في تلك الحالة العيون، وملأت بزته القلوب، واختلبت زينته النفوس، فانقسم فيه الناظرون أي: بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه، قد كان له من الأموال ما كان، وقد استعد وتجمل بأعظم ما يمكنه، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة، فخرج ذات يوم في زينته

ولا تأتي دفعة واحدة. وقوله: إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين أي: فأردنا أن نعاقبهم على خطئهم ونكيدهم، جزاء على مكرهم وكيدهم. 80 ذلك الشعب القاهر العالي في الأرض، كما سيأتي بيانه. وهذا مقدمة للظهور، فإن الله تعالى من سنته الجارية، أن جعل الأمور تمشي على التدرج شيئا فشيئا، العالية والغيرة المتوقدة، ولهذا وصلت الحال بذلك الشعب المستضعف الذي بلغ بهم الذل والإهانة إلى ما قص الله علينا بعضه أن صار بعض أفرادهم، ينازع بهم، ومنع كثير من التعدييات قبل رسالته، بحيث إنه صار من كبار المملكة. وبالطبع، إنه لا بد أن يحصل منه مدافعة عن حقوق شعبه هذا، وهو هو ذو الهمة يكون زعيمهم، يتربى تحت أيديهم، وعلى نظرهم، وبكفالتهم. وعند التدبر والتأمل، تجد في طي ذلك من المصالح لبني إسرائيل، ودفع كثير من الأمور الفادحة العاقبة والمآل من هذا الالتقاط، أن يكون عدوا لهم وحزنا يحزنهم، بسبب أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن الذي خافوا منه من بني إسرائيل، قبيض الله أن فالتقطه آل فرعون فصار من لقطهم، وهم الذين باشروا وجدانه، ليكون لهم عدوا وحزنا أي: لتكون

وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها، أن تشغلهم عن ربهم، وأن تحول بينهم وبين ما خلقوا له، فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية. 80 من يعلم ذلك يؤثر الأعلى على الأدنى، فما يلقي ذلك ويوفق له إلا الصابرون الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، إليه، والإقبال عليه. والآجل من الجنة وما فيها، مما تشتهيhe الأنفس وتلذ الأعين خير من هذا الذي تمنيتهم ورغبتهم فيه، فهذه حقيقة الأمر، ولكن ما كل حين نظر أولئك إلى ظاهرها: ويلكم متوجعين مما تمنوا لأنفسهم، راثين لحالهم، منكبين لمقالمهم: ثواب الله العاجل، من لذة العبادة ومحبتة، والإنابة وقال الذين أوتوا العلم الذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا،

فما كان له من فئة أي: جماعة، وعصبة، وخدم، وجنود ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين أي: جاءه العذاب، فما نصر ولا انتصر. 81 العذاب فحسنا به وبداره الأرض جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثائه، ومتاعه. فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر، وازينت الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه، بغته

له، وعبرة وموعظة لغيره، حتى إن الذين غبطوه، سمعت كيف ندموا، وتغير فكرهم الأول. ويكأنه لا يفلح الكافرون أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة. 82 غالطون في قولنا: إنه لذو حظ عظيم و لولا أن من الله علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا، فلولا فضله ومنته لخسف بنا فصار هلاك قارون عقوبة بهم: ويكأن الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي: يضيق الرزق على من يشاء، فعلما حينئذ أن بسطه لقارون، ليس دليلا على خير فيه، وأنا مكانه بالأمس أي: الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون يقولون متوجعين ومعتبرين، وخائفين من وقوع العذاب وأصبح الذين تمنوا

عن قريب. وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة، نصيب، ولا لهم منها نصيب 83 والعاقبة أي حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستمر، لمن اتقى الله تعالى، وغيرهم وإن حصل لها بعض الظهور والراحة فإنه لا يطول وقته، ويزول إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح. وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة. ولهذا قال: عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق ولا فسادا وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض والفساد، لزم من ذلك، أن تكون واندفع عنها كل مكدر ومنغص، نجعلها دارا وقرارا للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على تعالى في الدار الآخرة، وأخبر بالسبب الموصل إليها فقال: تلك الدار الآخرة التي أخبر الله بها في كتبه وأخبرت بها رسله، التي قد جمعت كل نعيم،

تفسير السعدي

لما ذكر تعالى، قارون وما أوتيته من الدنيا، وما صار إليه عاقبة أمره، وأن أهل العلم قالوا: ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا رغب
الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون كقوله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون 84
لمن يشاء والله واسع عليم بحسب حال العامل وعمله، ونفعه ومحلّه ومكانه، ومن جاء بالسيئة وهي كل ما نهى الشارع عنه، نهى تحريم. فلا يجزى
الآية الأخرى فله عشر أمثالها هذا التضعيف للحسنة، لا بد منه، وقد يقتضون بذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: والله يضاعف
يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى وحق عباده، فله خير منها أي: أعظم وأجل، وفي
من جاء بالحسنة شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقتضون بها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة، والحسنة: اسم جنس
يخبر تعالى عن مضاعفة فضله، وتماث عدله فقال:

ولهذا قال: قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وقد علم أن رسوله هو المهتدي الهادي، وأن أعداءه هم الضالون المضلون. 85
به من الهدى، وتفضيل ما معهم من الباطل على الحق، فلم يبق للمجادلة محل، ولم يبق إلا المجازاة على الأعمال من العالم بالغيث والشهادة، والحق والمبطل.
بإحسانهم، والمسيئون بمعصيتهم. وقد بينت لهم الهدى، وأوضحت لهم المنهج، فإن تبعوك، فذلك حظهم وسعادتهم، وإن أبوا إلا عصيانك والقبح بما جئت
جميع المكلفين، لا يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط، من غير أن يثاب العباد ويعاقبوا، بل لا بد أن يردك إلى معاد، يجازي فيه المحسنون
يقول تعالى إن الذي فرض عليك القرآن أي: أنزله، وفرض فيه الأحكام، وبين فيه الحلال والحرام، وأمرك بتبليغه للعالمين، والدعوة لأحكام
ظهيراً للكافرين أي: معينا لهم على ما هو من شعب كفرهم، ومن جملة مظاهرتهم، أن يقال في شيء منه، إنه خلاف الحكمة والمصلحة والمنفعة. 86
منه، علمت أن جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنه رحمة وفضل من الله، فلا يكن في صدرك حرج من شيء منه، وتظن أن مخالفه أصلح وأنفع. فلا تكون
الذي رحم به العالمين، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فإذا علمت أنه أنزل إليك رحمة
أن يلقي إليك الكتاب أي: لم تكن متحريرا لنزول هذا الكتاب عليك، ولا مستعدا له، ولا متصديا. إلا رحمة من ربك بك وبالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب،
وما كنت ترجو

داع إلى الكون معهم، ومساعدتهم على أمرهم، ولهذا قال: ولا تكونون من المشركين لا في شركهم، ولا في فروعه وشعبه، التي هي جميع المعاصي. 87
وادع إلى ربك أي اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فافرضه، من رياء، أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإن ذلك
ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك بل أبلغها وأنفذها، ولا تبال بمكرهم ولا يخدعك عنها، ولا تتبع أهواءهم.

ويحذر من سخطه وعقابه، وأن يقدم على ربه غير تائب، ولا مقلع عن خطئه وذنبه. تم تفسير سورة القصص ولله الحمد والثناء والمجد دائما أبدا. 88
وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، ليجازيهم بأعمالهم، تعين على من له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يقربه ويدنيه،
وفساد نهايتها. له الحكم في الدنيا والآخرة وإليه لا إلى غيره ترجعون فإذا كان ما سوى الله باطلا هالكا، والله هو الباقي، الذي لا إله إلا هو،
يؤله ويحب ويعبد، إلا الله الكامل الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه وإذا كان كل شيء هالكا مضمحلا، سواء فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها،
ولا تدع مع الله إلها آخر بل أخلص لله عبادتك، فإنه لا إله إلا هو فلا أحد يستحق أن

وهم لا يشعرون ما جرى به القلم، ومضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه، وهذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم وله، شأن آخر. 9
الشفيق حتى كبر ونباه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضي الله عنها وأرضاها. قال الله تعالى هذه المراجعات والمقاولات في شأن موسى:
ولدا لنا، ونكرمهم، ونجله. فقدر الله تعالى، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حبا شديدا، فلم يزل لها بمنزلة الولد
به في حياتنا. عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا أي: لا يخلو، إما أن يكون بمنزلة الخدم، الذين يسعون في نفعنا وخدمتنا، أو نرقبه منزلة أعلى من ذلك، نجعله
امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة آسية بنت مزاحم وقالت هذا الولد قرة عين لي ولك لا تقتلوه أي: أبقه لنا، لتقر به أعيننا، ونستر
فلما التقطه آل فرعون، حنن الله عليه

سورة 29

ويحذر من سخطه وعقابه، وأن يقدم على ربه غير تائب، ولا مقلع عن خطئه وذنبه. تم تفسير سورة القصص ولله الحمد والثناء والمجد دائما أبدا. 1
وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، ليجازيهم بأعمالهم، تعين على من له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يقربه ويدنيه،
وفساد نهايتها. له الحكم في الدنيا والآخرة وإليه لا إلى غيره ترجعون فإذا كان ما سوى الله باطلا هالكا، والله هو الباقي، الذي لا إله إلا هو،
يؤله ويحب ويعبد، إلا الله الكامل الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه وإذا كان كل شيء هالكا مضمحلا، سواء فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها،
ولا تدع مع الله إلها آخر بل أخلص لله عبادتك، فإنه لا إله إلا هو فلا أحد يستحق أن

المبين أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين حيث أخبركم بهذا الفريق، الذي حاله كما وصف لكم، فتعرفون بذلك كمال علمه وسعة حكمته. 10

تفسير السعدي

الذين قال الله فيهم: ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران له عن الإيمان والثبات عليه، كما أن العذاب صاد عما هو سببه. ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم لأنه موافق للهوى، فهذا الصنف من الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير، ليرتد عن دينه، وليراجع الباطل، جعل فتنة الناس كعذاب الله أي: يجعلها صادة يمتحن من ادعى الإيمان، ليظهر الصادق من الكاذب، بين تعالى أن من الناس فريقا لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل فقال: ومن الناس لما ذكر تعالى أنه لا بد أن

أي: لذلك قدر محنا وابتلاء، ليظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه بمجرد، لأنهم قد يحتجون على الله، أنهم لو ابتلوا لثبتوا. 11
وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين

ممن دعا إلى باطله ليس عليهم إلا ذنبهم الذي ارتكبه، دون الذنب الذي فعله غيرهم، ولو كانوا متسببين فيه، قال: مخبرا عن هذا الوهم 12
أن لا تزر وازرة وزر أخرى ولما كان قوله: وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء قد يتوهم منه أيضا، أن الكفار الداعين إلى كفرهم ونحوهم لا قليل ولا كثير. فهذا التحمل، ولو رضي به صاحبه، فإنه لا يفيد شيئا، فإن الحق لله، والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره وحكمه، وحكمه أو بعضه واتبعونا في ديننا، فإننا نضمن لكم الأمر ونحمل خطاياكم وهذا الأمر ليس بأيديهم، فلماذا قال: وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إلى دينهم، وفي ضمن ذلك، تحذير المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع في مكرهم، فقال: وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا فاتركوا دينكم يخبر تعالى عن افتراء الكفار ودعوتهم للمؤمنين

التابع له أجرها بالمباشرة، وللداعي أجره بالتسبب. وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون من الشر وتزيينه، وقولهم ونحمل خطاياكم 13
فالذنب الذي فعله التابع لكل من التابع، والمتبوع حصته منه، هذا لأنه فعله وباشره، والمتبوع لأنه تسبب في فعله ودعا إليه، كما أن الحسنة إذا فعلها وليحملن أثقالهم أي: أثقال ذنوبهم التي عملوها وأثقالا مع أثقالهم وهي الذنوب التي بسببهم ومن جرائمهم،
الأرض من الكافرين ديارا فأخذهم الطوفان أي: الماء الذي نزل من السماء بكثرة، ونزع من الأرض بشدة وهم ظالمون مستحقون للعذاب. 14
ولم يهتدوا، بل استمروا على كفرهم وطغيانهم، حتى دعا عليهم نبيهم نوح عليه الصلاة والسلام، مع شدة صبره وحلمه واحتماله، فقال: رب لا تذر على والأصنام، فلبث فيهم نبيا داعيا ألف سنة إلا خمسين عاما وهو لا يني بدعوتهم، ولا يفتر في نصحتهم، يدعوهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا، فلم يرشدوا في عقوبة الأمم المكذبة، وأن الله أرسل عبده ورسوله نوحا عليه الصلاة والسلام إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والنهي عن الأنداد يخبر تعالى عن حكمه وحكمته

آية للعالمين، يعتبرون بها رحمة ربهم، الذي قبض لهم أسبابها، ويسر لهم أمرها، وجعلها تحملهم وتحمل متاعهم من محل إلى محل ومن قطر إلى قطر. 15
بها، على أن من كذب الرسل، آخر أمره الهلاك، وأن المؤمنين سيجعل الله لهم من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا. وجعل الله أيضا السفينة، أي: جنسها فأنجيناه وأصحاب السفينة الذين ركبوا معه، أهله ومن آمن به. وجعلناها أي: السفينة، أو قصة نوح آية للعالمين يعتبرون
إلا بذلك، وكل خير يوجد في الدنيا والآخرة، فإنه من آثار عبادة الله وتقواه. إن كنتم تعلمون ذلك، فاعلموا الأمور وانظروا ما هو أولى بالإيثار. 16
الآخر منه شيء، فإن ترك عبادة الله، وترك تقواه، لا خير فيه بوجه، وإنما كانت عبادة الله وتقواه خيرا للناس، لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا والآخرة وذلك بترك ما يغضبه من المعاصي، ذلكم أي: عبادة الله وتقواه خير لكم من ترك ذلك، وهذا من باب إطلاق أفعال التفضيل بما ليس في الطرف إلى قومه، يدعوهم إلى الله، فقال لهم: اعبدوا الله أي: وحدوه، وأخلصوا له العبادة، وامتلأوا ما أمركم به، واتقوه أن يغضب عليكم، فيعذبكم، يذكر تعالى أنه أرسل خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام

على ما علمتم، وينبئكم بما أسررتهم وأعلنتم، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم، وارغبوا فيما يقربكم إليه، ويثيبكم عند القدوم عليه. 17
واشكروا له وحده، لكون جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النعم فمنه، وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها. إليه ترجعون يجازيكم فإنه هو الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه ودنياه وعبوده وحده لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير، مثقال مثقال ذرة من العبادة والتأله، والقلوب لا بد أن تطلب معبودا تألهه وتسأله حوائجها، فقال حاثا لهم على من يستحق العبادة فابتغوا عند الله الرزق فكأنه قيل: قد بان لنا أن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة، لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وأن من هذا وصفه، لا يستحق أدنى أدنى مثقال وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك، إن الذين تدعون من دون الله في نقصه، وأنه ليس فيه ما يدعو إلى عبادته، لا يملكون لكم رزقا وبين لهم نقصها وعدم استحقاتها للعبودية، فقال: إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا تحتونها وتخلقونها بأيديكم، وتخلقون لها أسماء الآلهة، فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام،

على ما علمتم، وينبئكم بما أسررتهم وأعلنتم، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم، وارغبوا فيما يقربكم إليه، ويثيبكم عند القدوم عليه. 18
واشكروا له وحده، لكون جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النعم فمنه، وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها. إليه ترجعون يجازيكم فإنه هو الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه ودنياه وعبوده وحده لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير،

تفسير السعدي

مثقال مثقال ذرة من العبادة والتأله، والقلوب لا بد أن تطلب معبوداً تألهه وتسأله حوائجها، فقال حاثاً لهم على من يستحق العبادة فابتغوا عند الله الرزق فكأنه قيل: قد بان لنا أن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة، لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وأن من هذا وصفه، لا يستحق أدنى أدنى مثقال وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك، إن الذين تدعون من دون الله في نقصه، وأنه ليس فيه ما يدعو إلى عبادته، لا يملكون لكم رزقاً وبين لهم نقصها وعدم استحقاقها للعبودية، فقال: إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفاً تحتونها وتخلقونها بأيديكم، وتخلقون لها أسماء الآلهة، فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام،

يروا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده يوم القيامة إن ذلك على الله يسير كما قال تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه 19

أولم

تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكبر، يخرج خبيثها وطيبها. 2 إلى المعاصي أو تصدقه عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه. والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته. ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وربياً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال إنه مؤمن وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن

الدارين. إن الله على كل شيء قدير فقدرته تعالى لا يعجزها شيء وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقدرته على الإعادة من باب أولى وأحرى. 20 أماتنا وإليه النشور ولهذا قال: ثم الله بعد الإعادة ينشئ النشأة الآخرة وهي النشأة التي لا تقبل موتاً ولا نوماً، وإنما هو الخلود والدوام في إحدى كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى النوم وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم شيئاً فشيئاً، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتاً بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائماً في بدء وإعادة، ريب وشك في الابتداء: سيروا في الأرض بأبدانكم وقلوبكم فانظروا كيف بدأ الخلق فإنكم ستجدون أمماً من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد قل لهم، إن حصل معهم

التي بها تجري عليكم أحكام عذابه ورحمته، فاكتسبوا في هذه الدار، ما هو من أسباب رحمته من الطاعات، وابتعدوا من أسباب عذابه، وهي المعاصي. 21 ويرحم من يشاء أي: هو المفرد بالحكم الجزائي، وهو إثابة الطائعين ورحمتهم، وتعذيب العاصين والتنكيل بهم. وإليه تقلبون أي: ترجعون إلى الدار، يعذب من يشاء

في جميع أقطار العالم. وما لكم من دون الله من ولي يتولاكم، فيحصل لكم مصالح دينكم ودنياكم، ولا نصير ينصركم، فيدفع عنكم المفار. 22 مغفول عنكم، أو معجزون لله في الأرض ولا في السماء، فلا تفرنكم قدرتكم وما زينت لكم أنفسكم وخذعتكم، من النجاة من عذاب الله، فلستم بمعجزين الله وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء أي: يا هؤلاء المكذوبون، المتجرؤون على المعاصي، لا تحسبوا أنه

الإياس، وأولئك لهم عذاب أليم أي: مؤلم موجه. وكأن هذه الآيات معترضات بين كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، وردهم عليه، والله أعلم بذلك. 23 أعظم المحاذير، وهو نوعان: إياس الكفار منها، وتركهم جميع سبب يقربهم منها، وإياس العصاة، بسبب كثرة جنائياتهم أوحشتهم، فملكت قلوبهم، فأحدث لها أولئك ينسوا من رحمتي أي: فلذلك لم يعلموا سبباً واحداً يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في رحمته، لعملوا لذلك أعمالاً، والإياس من رحمة الله من بقاء الله، فليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك قدموا على ما أقدموا عليه من الشرك والمعاصي، لأنه ليس في قلوبهم ما يخوفهم من عاقبة ذلك، ولهذا قال تعالى: يخبر تعالى من هم الذين زال عنهم الخير، وحصل لهم الشر، وأنهم الذين كفروا به وبرسله، وبما جاءهم به، وكذبوا

صحة ما جاءت به الرسل، وبرهم ونصحهم، وبطلان قول من خالفهم وناقضهم، وأن المعارضين للرسل كأنهم تواصوا وحث بعضهم بعضاً على التكذيب. 24 قالوا اقتلوه أو حرقوه أشنع القتل، وهم أناس مقتدرون، لهم السلطان، فألقوه في النار فأنجاه الله منها. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيعلمون مجاوبة قوم إبراهيم إبراهيم حين دعاهم إلى ربه قبول دعوته، والاهتداء بنصحه، ورؤية نعمة الله عليهم بإرساله إليهم، وإنما كان مجاوبتهم له شر مجاوبة. أي: فما كان

سيئراً من عابديه وويلعنهم؟ و أن مأوى الجميع، العابدين والمعبودين النار وليس أحد ينصرهم من عذاب الله، ولا يدفع عنهم عقابه. 25 بعضكم بعضاً أي: يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا أي: غاية ذلك، مودة في الدنيا ستنتقطع وتضمحل، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن

وقال لهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه:

الله ليحجري بسببه عذابا عاما. ومما يدل على ذلك، أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال. 26
الأمم المكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم وأحلمهم وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن
دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك
الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم. فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب
وهي الشام، إنه هو العزيز أي: الذي له القوة، وهو يقدر على هدايتكم، ولكنه حكيم ما اقتضت حكمته ذلك، ولما اعتزلهم وفارقهم، وهم بحالهم، لم يذكر
كما سيأتي ذكره. وقال إبراهيم حين رأى أن دعوة قومه لا تفيدهم شيئا: إني مهاجر إلى ربي أي: هاجر أرض السوء، ومهاجر إلى الأرض المباركة،
أي: لم يزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو قومه، وهم مستمرون على عنادهم، إلا أنه آمن له بدعوته لوط، الذي نبأه الله، وأرسله إلى قومه

الآخرة لمن الصالحين بل هو ومحمد صلى الله عليهما وسلم أفضل الصالحين على الإطلاق، وأعلامهم منزلة، فجمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة. 27
وآتيناه أجره في الدنيا من الزوجة الجميلة فائقة الجمال، والرزق الواسع، والأولاد الذين بهم قرت عينه، ومعرفة الله ومحبتة، والإنابة إليه. وإنه في
أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلاح الصالحون.
النبوة والكتاب فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. وهذا من
وهبنا له إسحاق ويعقوب أي: بعد ما هاجر إلى الشام وجعلنا في ذريته

والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أعلم. 28
تعالى: وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وإن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبيا رسولا وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح
تقدم أن لوطا عليه السلام آمن لإبراهيم، وصار من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي إبراهيم. فقلوه
في نفسها، وما تنول إليه من العقوبة البليغة، فلم يرعوا ولم يذكروا. فما كان جواب قومه إلا أن قالوا انتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين 29
وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبين لهم قبائحها
فأرسل الله لوطا إلى قومه،

تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكبر، يخرج خبثها وطبيها. 3
إلى المعاصي أو تصدفة عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه. والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله
بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته. ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وريباً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه
يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل
الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات
في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة
والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته
يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال إنه مؤمن وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن
منهم نبيهم، وعلم استحقاقهم العذاب، وجزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم وقال رب انصرني على القوم المفسدين فاستجاب الله دعاءه. 30

فأيس

لإهلاكهم، فمروا بإبراهيم قبل، وبشروه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ثم سألهم إبراهيم أين يريدون؟ فأخبروه أنهم يريدون إهلاك قوم لوط. 31
فأرسل الله الملائكة

فجعل يراجعهم ويقول: إن فيها لوطا فقالوا له: لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين 32

السبيل الضيوف، فخاف عليهم من قومه، فقالوا له: لا تخف ولا تحزن وأخبروه أنهم رسل الله. إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين 33
ثم مضوا حتى أتوا لوطا، فسأله مجيئهم، وضاق بهم ذرعا، بحيث إنه لم يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء

الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سمرا من الأسمار، وعبرة من العبر. 34
إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا أي: عذابا من السماء بما كانوا يفسقون فأمرهم أن يسري بأهله ليلا، فلما أصبحوا، قلب

تركنا من ديار قوم لوط، آثارا بينة لقوم يعقلون العبر بقلوبهم، فينتفعون بها، كما قال تعالى: وإنكم لتمررون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون 35
ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون أي:

بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجائه، والعمل له، ونهاهم عن الفساد في الأرض، ببخس المكاييل والموازين، والسعي بقطع الطرق. 36

أي و أرسلنا إلى مدين القبيلة المعروفة المشهورة شعيبا فأمرهم

فكذبوه فأخذهم عذاب الله فأصبحوا في دارهم جاثمين 37

جاءتهم رسلهم بالآيات البينات، المفيدة للبصيرة، فكذبوهم وجادلوهم. وزين لهم الشيطان أعمالهم حتى ظنوا أنها أفضل مما جاءتهم به الرسل. 38 أي: وكذلك ما فعلنا بعدا وثمود، وقد علمتم قصصهم، وتبين لكم بشيء تشاهدونه بأبصاركم من مساكنهم وآثارهم التي بانوا عنها، وقد عباد الله فأذلوهم، وعلى الحق فردوه فلم يقدروا على النجاء حين نزلت بهم العقوبة وما كانوا سابقين الله، ولا فائتين، بل سلموا واستسلموا. 39 وكذلك قارون، وفرعون، وهامان، حين بعث الله إليهم موسى بن عمران، بالآيات البينات، والبراهين الساطعات، فلم ينقادوا، واستكبروا في الأرض، على ما يحكمون أي: ساء حكمهم، فإنه حكم جائر، لتضمنه إنكار قدرة الله وحكمته، وأن لديهم قدرة يمتنعون بها من عقاب الله، وهم أضعف شيء وأعجزه. 40 أحسب الذين همهم فعل السيئات وارتكاب الجنايات، أن أعمالهم ستهمل، وأن الله سيغفل عنهم، أو يفوتونه، فلذلك أقدموا عليها، وسهل عليهم عملها؟ ساء أي:

فإنها مخلوقة لعبادة الله وحده، فهؤلاء وضعوها في غير موضعها، وأشغلوها بالشهوات والمعاصي، فضرروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها. 40 الله أي: ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمال عدله، وغناه التام عن جميع الخلق. ولكن كانوا أنفسهم يظلمون منعوها حقها التي هي بصدده، خاوية ومنهم من أخذته الصيحة كقوم صالح، ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون، ومنهم من أغرقنا كفرعون وهامان وجنودهما. وما كان عذابا يحصبهم، كقوم عاد، حين أرسل الله عليهم الريح العقيم، و سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل فكلا من هؤلاء الأمم المكذبة أخذنا بذنبه على قدره، وبعقوبة مناسبة له، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا أي:

ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها. 41 الرحيم، الذي إذا تولاها عبده وتوكل عليه، كفاه منونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله. ولما بين نهاية ضعف آلهة المشركين، منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل. فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم، فإنهم اتكوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفا إلى وإن أوهن البيوت أضعفها وأوهاها لبيت العنكبوت فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفا، ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتقوي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثله العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات، هذا مثل

الحكيم الذي له القوة جميعا، التي قهر بها جميع المخلوقات، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما أمره. 42 أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وقوله: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون وهو العزيز أي: إنه تعالى يعلم وهو عالم الغيب والشهادة أنهم ما يدعون من دون الله شيئا موجودا، ولا إلها له حقيقة، كقوله تعالى: إن هي إلا أسماء سميتوها إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء

من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها. 43 أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها. وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس ليس من العالمين. والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجلية، فأهل العلم يعرفون وصل العلم إلى قلوبهم. وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها مصلحة لعموم الناس. و لكن ما يعقلها بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب إلا العالمون أي: أهل العلم الحقيقي، الذين أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي وتلك الأمثال نضربها للناس

على أنه وحده معبودهم ومحبوبهم وإلههم. إن في ذلك لآية للمؤمنين على كثير من المطالب الإيمانية، إذا تدبرها المؤمن رأى ذلك فيها عيانا. 44 خلقه بالحق، أي: لم يخلقها عبثا ولا سدى، ولا لغير فائدة، وإنما خلقها، ليقوم أمره وشرعه، ولتتم نعمته على عباده، وليروا من حكمته وقهره وتدبيره، ما يدلهم وارتفاعها وسعتها وحسنها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والملائكة، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والبراري والقفار والأشجار ونحوها، وكل ذلك أي: هو تعالى المنفرد بخلق السماوات، على علوها

أفضل من الذكر خارجها، ولأنها كما تقدم بنفسها من أكبر الذكر. والله يعلم ما تصنعون من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه. 45 الله أكبر ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى، لأن الصلاة والبدن. فإن الله تعالى، إنما خلق الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: ولذكر

تفسير السعدي

تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وثم في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، النفوس والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر. ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، العام، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة، وهي إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخله في تلاوة الكتاب. فيكون قوله: وأقم الصلاة من باب عطف الخاص على العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه، بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب

مستسلمون لأمره. ومن آمن به، واتخذة إلهًا، وآمن بجميع كتبه ورسله، وانقاد لله واتباع رسله، فهو السعيد، ومن انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقي. 46
توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبوت بطلانها في حقه صلى الله عليه وسلم أظهر وأظهر. وقوله: ونحن له مسلمون أي: منقادون فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكل شبهة يقدر بها في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن بالتكذيب، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها، المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن. وأيضًا، فإن كل طريق تثبت به نبوة أي: نبي كان، من خصائص الإسلام. فأما أن يقال: نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو يرجع إلى قوله الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافرا. وأيضًا، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب، على هذا الطريق، فيه إلزام لهم بالإقرار كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدر بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، منها ضائع. وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد أي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصول لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد ببيان الحق وهداية الخلق، إلا كانت من غير بصيرة من المجالد، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا

أحد قصده متابعة الحق، وإلا، فكل من له قصد صحيح، فإنه لا بد أن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات، لكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد. 47
به إيمانًا عن بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته. وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له. وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا يكون من بما لديهم من الموافقات، وبما عندهم من البشارات، وبما تميزوا به من معرفة الحسن والقيح، والصدق والكذب. ومن هؤلاء الموجودين من يؤمن للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون. فالذين آتيناهم الكتاب فعرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى. يؤمنون به لأنهم تيقنوا صدقه، أي: وكذلك أنزلنا إليك يا محمد، هذا الكتاب الكريم، المبين كل نبيًا عظيم، الداعي إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل، المصدق

غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجاريًا له أو على منواله، ولهذا قال: 48
السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتابًا جليلا، تحديث به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا الحميد، ولهذا قال: وما كنت تتلو أي: تقرأ من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لو كنت بهذه الحال لارتاب المبطلون فقالوا: تعلمه من الكتب وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطأ، ولا يقرأ خطأ مكتوبا، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه

إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من معرفته على حقيقته، وإما متجاهل عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه. 49
في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلما، ولهذا قال: وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لأنه لا يجحدها هذا القرآن آيات بينات لا خفيات، في صدور الذين أوتوا العلم وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكامل منهم. فإذا كان آيات بينات أي: بل

فإن الله سميع للأصوات، عليم بالنيات، فمن كان صادقا في ذلك أناله ما يرجو، ومن كان كاذبا لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومن لا يصلح. 5
وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه، مستصحبًا الرجاء، مؤملا الوصول إليه، ولكن، ما كل من يدعي يعطى بدعواه، ولا كل من تمنى يعطى ما تمناه، يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت،

إلا بها، كان ذلك ليس بإيمان، وإنما ذلك شيء وافق أهواءهم، فأمنوا، لا لأنه حق، بل لتلك الآيات. فأني فائدة حصلت في إنزالها على التقدير الفرضي؟ 50

تفسير السعدي

كان اقتراح الآيات المعينات على ذلك ظلما وجورا، وتكبرا على الله وعلى الحق. بل لو قدر أن تنزل تلك الآيات، ويكون في قلوبهم أنهم لا يؤمنون بالحق إن شاء أنزلها أو منعها وإنما أنا نذير مبين وليس لي مرتبة فوق هذه المرتبة. وإذا كان القصد بيان الحق من الباطل، فإذا حصل المقصود بأي طريق صلى الله عليه وسلم، فإن في ذلك تدبيرا مع الله، وأنه لو كان كذلك، وينبغي أن يكون كذلك، وليس لأحد من الأمر شيء. ولهذا قال: قل إنما الآيات عند الله به، واقترحوا عليه نزول آيات عينوها، كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات. فتعيين الآيات ليس عندهم، ولا عند الرسول أي: واعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول ولما جاء

لما يحصلون فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية. 51
الله من لم يكفه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له فلذلك قال: إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وذلك إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى لم يأمر به ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليت له منه بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول ثم مسابقة الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونفي ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيته، فما أمر بشيء فقال العقل ليت له أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟ ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع. ثم هيمنته على وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رؤوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، إياهم آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهرا علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قل فيه أنصاره، وكثر مخالفوه الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجرد وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه. ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه ذكر تعالى طريقه، فقال: أولم يكفهم في علمهم بصدق ما جنت به أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وهذا كلام مختصر جامع، فيه من ولما كان المقصود بيان الحق،

النعيم المقيم، وحيث حصل لهم في مقابلة الحق الصحيح كل باطل قبيح، وفي مقابلة النعيم كل عذاب أليم، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. 52
منه الوتين والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون حيث هم خسروا الإيمان بالله وملأته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحيث فاتهم مع علمه بذلك، وقدرته على عقوبتي، لكان قدحا في علمه وقدرته وحكمته كما قال تعالى: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا وأنتم لم تسمعه ولم تروه لا تكفي دليلا، فإنه يعلم ما في السماوات والأرض ومن جملة معلوماته حالي وحالكم، ومقالي لكم فلو كنت متقولا عليه، كنت كاذبا، أحل بي ما به تعتبرون، وإن كان إنما يؤيدني وينصرني ويسر لي الأمور، فلتكفكم هذه الشهادة الجلية من الله، فإن وقع في قلوبكم أن شهادته قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا فأنا قد استشهدته، فإن

وقتل كبارهم، واستوعب جملة أشرارهم، ولم يبق فيهم بيت إلا أصابته تلك المصيبة، فأثامهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ونزل بهم وهم لا يشعرون. 53
فإنه سيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فوقع كما أخبر الله تعالى، لما قدموا لـ بدر بطرين مفاخرين، ظانين أنهم قادرون على مقصودهم، فأهانهم الله، لجاءهم العذاب بسبب تعجزهم لنا وتكذيبهم الحق، فلو آخذناهم بجهلهم، لكان كلامهم أسرع لبلانهم وعقوبتهم، ولكن مع ذلك فلا يستبطنون نزوله، وأنهم يقولون استعجالا للعذاب، وزيادة تكذيب متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ يقول تعالى: ولولا أجل مسمى مضروب لنزوله، ولم يأت بعد، يخبر تعالى عن جهل المكذبين للرسول وما جاء به،

ليس لهم عنها معدل ولا متصرف، قد أحاطت بهم من كل جانب، كما أحاطت بهم ذنوبهم وسيئاتهم وكفرهم، وذلك العذاب، هو العذاب الشديد. 54
لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي، فإن أمامهم العذاب الأخروي، الذي لا يخلص منهم أحد منه، سواء عوجل بعذاب الدنيا أو أمهل. وإن جهنم لمحيطة بالكافرين هذا، وإن

العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون فإن أعمالكم انقلبتم عليكم عذابا، وشملكم العذاب كما شملكم الكفر والذنوب. 55
يوم يغشاهم

تعذرت عليكم عبادة ربكم في أرض، فارتحلوا منها إلى أرض أخرى، حيث كانت العبادة لله وحده، فأماكن العبادة ومواضعها، واسعة، والمعبود واحد. 56
يقول تعالى: يا عبادي الذين آمنوا بي وصدقوا رسولي إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون فإذا والموت لا بد أن ينزل بكم ثم ترجعون إلى ربكم. 57

العالية، والمنازل الأنيقة الجامعة لما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون. ف نعم تلك المنازل، في جنات النعيم أجر العاملين لله. 58
فيجازي من أحسن عبادته وجمع بين الإيمان والعمل الصالح بإنزاله الغرف

أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن كان داخلا في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به. 59
الجد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، الذين صبروا على عبادة الله وعلى ربهم يتوكلون في ذلك. فصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل

تفسير السعدي

- تتناقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهأ عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضاة تحتاج إلى مجاهدات وسعي شديد. 6
- عن العالمين، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا عليهم. وقد علم أن الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه ومن جاهد نفسه وشيطانه، وعدوه الكافر، فإنما يجاهد لنفسه لأن نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، والله غني
- من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه. كما قال تعالى: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين 60
- وقت بوقته. الله يرزقها وإياكم فكلكم عيال الله، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتديركم، وهو السميع العليم فلا يخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من دابة في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل. لا تحمل رزقها ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل أي: الباري تبارك وتعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم
- العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم. 61
- الرب، الخالق الرازق، النافع الضار. وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذرهم الموفقون. وقل: الحمد لله، الذي خلق بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسجل عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا، وأقل به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ليقولن الله وحده، ولا عترفوا بعجز الأوثان ومن عبوده مع الله على شيء من ذلك. فاعجب لإفكهم المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنتم لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا هذا استدلال على المشركين
- العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم. 62
- الرب، الخالق الرازق، النافع الضار. وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذرهم الموفقون. وقل: الحمد لله، الذي خلق بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسجل عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا، وأقل به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ليقولن الله وحده، ولا عترفوا بعجز الأوثان ومن عبوده مع الله على شيء من ذلك. فاعجب لإفكهم المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنتم لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا هذا استدلال على المشركين
- العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم. 63
- الرب، الخالق الرازق، النافع الضار. وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذرهم الموفقون. وقل: الحمد لله، الذي خلق بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسجل عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا، وأقل به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ليقولن الله وحده، ولا عترفوا بعجز الأوثان ومن عبوده مع الله على شيء من ذلك. فاعجب لإفكهم المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنتم لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا هذا استدلال على المشركين
- رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين. 64
- والمناجك، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. لو كانوا يعلمون لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المأكول، والمشرب، والخسران. وأما الدار الآخرة، فإنها دار الحيوان أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلّة الباطلة، ثم تزول سريعا، وتنقضي جميعا، ولم يحصل منها محبة إلا على الندم والحسرة وما هذه الحياة الدنيا في الحقيقة إلا لهو ولعب تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التهديد في الدنيا والتشويق للآخرة، فقال:
- ولا أزال عنهم مشقة. فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال الرخاء والشدة، والبسر والعسر، ليكونوا مؤمنين به حقا، مستحقين ثوابه، مندفعين عنهم عقابه. 65
- يتركون إذا أندادهم، ويخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له، فلما زالت عنهم الشدة، ونجى من أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة، ثم ألزم تعالى المشركين بإخلاصهم لله تعالى، في حالة الشدة، عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه وخوفهم الهلاك،
- الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم. فسوف يعلمون حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف وأليم العقوبة. 66
- ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في

تفسير السعدي

- فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم حيث آثروا الضلال على الهدى، والباطل على الحق، والشقاء على السعادة، وحيث كانوا أظلم الخلق. 67
- الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف. أقبال الباطل يؤمنون وهو ما هم عليه من الشرك، والأقوال، والأفعال الباطلة. وبنعمة الله هم يكفرون ثم امتن عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن وسعة ورزق، والناس من حولهم يتخطفون ويخافون، أفلا يعبدون
- هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم أليس في جهنم مثوى للكافرين يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، الذين لا يخرجون منه. 68
- ممن افترى على الله كذبا فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، أو كذب بالحق لما جاءه على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن ومن أظلم
- للكفار والمنافقين، والجهد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين. تم تفسير سورة العنكبوت بحمد الله وعونه. 69
- وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، لمع المحسنين بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أخرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، لنهدينهم سبلنا أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون. وإن الله والذين جاهدوا فينا وهم الذين
- ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون وهي أعمال الخير، من واجبات ومستحبات، فهي أحسن ما يعمل العبد، لأنه يعمل المباحات أيضا، وغيرها. 7
- يعني أن الذين من الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، سيكفر الله عنهم سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات،
- إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون فأجازيكم بأعمالكم، فبروا والديكم وقدموا طاعتها، إلا على طاعة الله ورسوله، فإنها مقدمة على كل شيء. 8
- ويسيء إليهما في قوله وعمله. وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم وليس لأحد علم بصحة الشرك بالله، وهذا تعظيم لأمر الشرك، فلا تطعهما أي: وأمرنا الإنسان، ووصيناه بوالديه حسنا، أي: ببرهما والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يعقهما
- على حسب درجته ومرتبته عند الله، فالإيمان الصحيح والعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه، وأنه من أهل الرحمن، والصالحين من عباد الله تعالى. 9
- أي: من آمن بالله وعمل صالحا، فإن الله وعده أن يدخله الجنة في جملة عباده الصالحين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كل

سورة 30

- للكفار والمنافقين، والجهد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين. تم تفسير سورة العنكبوت بحمد الله وعونه. 1
- وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، لمع المحسنين بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أخرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، لنهدينهم سبلنا أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون. وإن الله والذين جاهدوا فينا وهم الذين
- لأن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون فهذا عقوبة لسوئهم وذنوبهم. ثم ذلك الاستهزاء والتكذيب يكون سببا لأعظم العقوبات وأعضل المثالات. 10
- ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأي أي: الحالة السيئة الشنيعة، وصار ذلك داعيا لهم
- يخبر تعالى أنه المتفرد بإبداء المخلوقات ثم يعيدهم ثم إليه يرجعون بعد إعادتهم ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا ذكر جزاء أهل الشر ثم جزاء أهل الخير. 11
- أسباب العقاب ولم يخلطوها بشيء من أسباب الثواب، أيسوا وأبلسوا وأفلسوا وضل عنهم ما كانوا يفترونه، من نفع شركائهم وأنهم يشفعون لهم. 12
- عيانا، يومئذ يبلس المجرمون أي: يياسون من كل خير. وذلك أنهم ما قدموا لذلك اليوم إلا الإجرام وهي الذنوب، من كفر وشرك ومعاصي، فلما قدموا ويوم تقوم الساعة أي: يقوم الناس لرب العالمين ويردون القيامة
- المعبودون وقالوا: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا. 13
- ولم يكن لهم من شركائهم التي عبدوها مع الله شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين تبرا المشركون ممن أشركوهم مع الله وتبرا
- المعبودون وقالوا: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا. 14
- ولم يكن لهم من شركائهم التي عبدوها مع الله شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين تبرا المشركون ممن أشركوهم مع الله وتبرا
- والخدم والولدان والأصوات المطربات والسماع المشجي والمناظر العجيبة والروائح الطيبة والفرح والسرور واللذة والحبور مما لا يقدر أحد أن يصفه. 15
- الصالحة فهم في روضة فيها سائر أنواع النبات وأصناف المشتهيات، يحبرون أي: يسرون وينعمون بالماكل اللذيذة والأشربة والخور الحسان

تفسير السعدي

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات آمنوا بقلوبهم وصدقوا ذلك بالأعمال

واطلع العذاب الأليم على أفئدتهم وشوى الحميم وجوهمهم وقطع أمعاءهم، فأين الفرق بين الفريقين وأين التساوي بين المنعمين والمعذبين؟ 16
وجحدوا نعمه وقابلوها بالكفر وكذبوا بآياتنا التي جاءتهم بها رسلنا فأولئك في العذاب محضرون فيه، قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم وأما الذين كفروا

سبحان الله فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل أن يكون له شريك في العبادة أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة. 17
التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها بل العبادة وإن لم تشتمل على قول في ذلك الواجب منه كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقتدر بها من النوافل، لأن هذه الأوقات حين يمسون وحين يصبحون ووقت العشي ووقت الظهيرة. فهذه الأوقات الخمسة أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل هذا إخبار عن تنزهه عن السوء والنقص وتقديسه عن أن يماثله أحد من الخلق وأمر للعباد أن يسبحوه

سبحان الله فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل أن يكون له شريك في العبادة أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة. 18
التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها بل العبادة وإن لم تشتمل على قول في ذلك الواجب منه كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقتدر بها من النوافل، لأن هذه الأوقات حين يمسون وحين يصبحون ووقت العشي ووقت الظهيرة. فهذه الأوقات الخمسة أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل هذا إخبار عن تنزهه عن السوء والنقص وتقديسه عن أن يماثله أحد من الخلق وأمر للعباد أن يسبحوه

وبرهان ساطع أن الذي أحيا الأرض بعد موتها فإنه يحيي الأموات، فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر. 19
موتها فينزل عليها المطر وهي ميتة هامة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج وكذلك تخرجون من قبوركم. فهذا دليل قاطع والسنبلة من الحبة والشجرة من النواة والفرخ من البيضة والمؤمن من الكافر، ونحو ذلك. ويخرج الميت من الحي بعكس المذكور ويحيي الأرض بعد يخرج الحي من الميت كما يخرج النبات من الأرض الميتة

على الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس. 2
الفرس فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون لاشتراكهم والفرس في الشرك يحبون ظهور الفرس على الروم. فظهر الفرس ما يكون بين الدول المتوازنة. وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال

آيات على أن الذي أنشأكم من هذا الأصل وبثكم في أقطار الأرض هو الرب المعبود الملك المحمود والرحيم الودود الذي سيعيدكم بالبعث بعد الموت. 20
أصل النسل آدم عليه السلام ثم إذا أنتم بشر تنتشرون أي: الذي خلقكم من أصل واحد ومادة واحدة وبثكم في أقطار الأرض وأرجائها ففي ذلك على انفرادة الإلهية وكمال عظمتة، ونفوذ مشيئته وقوة اقتداره وجميل صنعه وسعة رحمته وإحسانه فقال: ومن آياته أن خلقكم من تراب وذلك بخلق هذا شروع في تعداد آياته الدالة

مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يعملون أفكارهم ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شيء إلى شيء. 21
الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة. فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب وعلمه المحيط، أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلنكم وتشاكلونهن لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة بما رتب على ومن آياته الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة

ونفوذ مشيئته. ومن عنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب ويفوت كثير من المقاصد والمطالب. 22
ومع ذلك لا تجد صوتين متفقين من كل وجه ولا لونين متشابهين من كل وجه إلا وتجد من الفرق بين ذلك ما به يحصل التمييز. وهذا دال على كمال قدرته، وأمرها بالتفكير واستخراج العبرة منها. وكذلك في اختلاف ألوانكم على كثرتكم وتباينكم مع أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة، فيها من التخصيصات والمزايا، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويوحد لأنه المنفرد بالخلق فيجب أن يفرد بالعبادة، فكل هذه أدلة عقلية نبه الله العقول إليها وسعة علمه، لأن الخالق لا بد أن يعلم ما خلقه ألا يعلم من خلق وعموم رحمته وفضله لما في ذلك من المنافع الجليلة، وأنه المريد الذي يختار ما يشاء لما خلق السماوات والأرض وما فيها، أن ذلك دال على عظمة سلطان الله وكمال اقتداره الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وكمال حكمته لما فيها من الإتقان والعالمون هم أهل العلم الذين يفهمون العبر ويتدبرون الآيات. والآيات في ذلك كثيرة: فمن آيات

به ويستجمعوا وانتشارهم في وقت، لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا يتم ذلك إلا بتعاقب الليل والنهار عليهم، والمنفرد بذلك هو المستحق للعبادة. 23
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وعلى تمام حكمته إذ حكمته اقتضت سكون الخلق في وقت ليستريحوا أي: سماع تدبر وتعقل للمعاني والآيات في ذلك. إن ذلك دليل على رحمة الله تعالى كما قال:

تفسير السعدي

- وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها. لقوم يعقلون أي: لهم عقول تعقل بها ما تسمعه وتراه وتحفظه، وتستدل به على ما جعل دليلا عليه. 24 قبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق الذي يخاف ويطمع فيه. إن في ذلك لآيات دالة على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتقانه، وعظيم حكمته أي: ومن آياته أن ينزل عليكم المطر الذي تحيا به البلاد والعباد ويريكهم
- بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا، يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض إذا هم يخرجون لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس 25 أي: ومن آياته العظيمة أن قامت السماوات والأرض واستقرتا وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض، فقدرته العظيمة التي وله من في السماوات والأرض الكل خلقه ومماليكه المتصرف فيهم من غير منازع ولا معاون ولا معارض وكلهم قانتون لجلاله خاضعون لكماله. 26 الحكيم أي: له العزة الكاملة والحكمة الواسعة، فعزته أوجد بها المخلوقات وأظهر المأمورات، وحكمته أتقن بها ما صنعه وأحسن فيها ما شرعه. 27 المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى وأحرى. وهو العزيز والعبادة منهم. فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى وما ترتب عليه. ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى، فيقولون: كل صفة كمال في المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة والمحبة والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين والذكر الجليل التي أهون أولى وأولى. ولما ذكر من الآيات العظيمة ما به يعتبر المعتبرون ويتذكر المؤمنون ويتبصر المهتدون ذكر الأمر العظيم والمطلب الكبير فقال: وله للخلق بعد موتهم أهون عليه من ابتداء خلقهم وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول، فإذا كان قادرا على الابتداء الذي تقررون به كانت قدرته على الإعادة وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أي: الإعادة
- أموره، فإنه ليس معه من الحق شيء فما الذي أوجب له الإقدام على أمر باطل توضح له بطلانه وظهر برهانه؟ لقد أوجب لهم ذلك اتباع الهوى. 28 ما توضح، فأهل العقول والألباب هم الذين يساق إليهم الكلام ويوجه الخطاب. وإذا علم من هذا المثل أن من اتخذ من دون الله شريكا يعبده ويتوكل عليه في بأمثلتها لقوم يعقلون الحقائق ويعرفون، وأما من لا يعقل فلو فصلت له الآيات وبينت له البينات لم يكن له عقل يبصر به ما تبين ولا لب يعقل به ومن أدل شيء على سفه من اتخذ شريكا مع الله وأن ما اتخذ به باطل مضمحل ليس مساويا لله ولا له من العبادة شيء. كذلك نفصل الآيات بتوضيحها مثلكم، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكا من خلقه وتجعلونه بمنزلته، وعديلا له في العبادة وأنتم لا ترضون مساواة ممالئكم لكم؟ هذا من أعجب الأشياء شيء بحاله؟ ليس الأمر كذلك فإنه ليس أحد مما ملكت أيما نكم شريكا لكم فيما رزقكم الله تعالى. هذا، ولستم الذين خلقتهم وهم ورزقتهم وهم أيضا ممالك في رزقكم وترون أنكم وهم فيه على حد سواء. تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي: الأحرار الشركاء في الحقيقة الذين يخاف من قسمه واختصاص كل أنفسكم لا يحتاج إلى حل وترحال وإعمال الجمال. هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم أي: هل أحد من عبيدكم وإيمانكم الأرقاء يشارككم هذا مثل ضربه الله تعالى لقبح الشرك وتهجينه مثلا من
- الله لأنه ليس أحد معارض لله أو منازعا له في ملكه. وما لهم من ناصرين ينصرونهم حين تحقق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب. 29 بغير علم دلهم عليه ولا برهان قادهم إليه. فمن يهدي من أضل الله أي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم ولا طريق لهداية من أضل بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم هويت أنفسهم الناقصة التي ظهر من نقصانها ما تعلق به هواها، أمرا يجزم العقل بفساده والفطر برده على الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس. 3 الفرس فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون لاشتراكهم والفرس في الشرك يحبون ظهور الفرس على الروم. فظهر الفرس ما يكون بين الدول المتوازنة. وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال
- للدين حنيفا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلا يتعرفون الدين القيم وإن عرفوه لم يسلكوه. 30 المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله، ذلك الذي أمرنا به الدين القيم أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى كرامته، فإن من أقام وجهه صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه لا تبديل لخلق الله أي: لا أحد يبدل خلق الله فيجعل كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة. ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ووضع في عقولهم حسننها واستباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على الأمرين سعي البدن ولهذا قال: حنيفا أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه. وهذا الأمر الذي أمرناك به كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وخص الله إقامة الوجه لأن هو الإسلام والإيمان والإحسان بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال وإقامة دينه فقال: فأقم وجهك أي: انصبه ووجهه إلى الدين الذي
- المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال: ولا تكونوا من المشركين لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه. 31 لقوله تعالى: وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهذا إعانتها على التقوى. ثم قال: ولذكر الله أكبر فهذا حثها على الإنابة. وخص من

تفسير السعدي

المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: واتقوه فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات. وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى. ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك منييين إليه واتقوه وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة

والسعة والضيق ذكر الإنابة الاضطرارية التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكرهه، فإذا زال عنه الضيق نبذها وراء ظهره وهذه غير نافعة فقال: 32
الجهاد في سبيل الله وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟ ولما أمر تعالى بالإنابة إليه وكان المأمور بها هي الإنابة الاختيارية، التي تكون في حالي العسر والبسر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟ وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل كله يلغى ويبنى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟ فهل هذا إلا من أكبر واحد والرسول واحد والإله واحد. وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك باطل، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين من الباطل ومنايذة غيرهم ومحاربتهم. كل حزب بما لديهم من العلوم المخالفة لعلوم الرسل فرحون به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق وأن غيرهم على ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ومنهم يهود ومنهم نصارى. ولهذا قال: وكانوا شيعة أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها فرقوا دينهم مع أن الدين واحد وهو إخلاص العبادة لله وحده وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم من يعبد الأوثان والأصنام. ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ثم ذكر حالة المشركين مهجنا لها ومقبحا فقال: من الذين

من مرضهم وآمنهم من خوفهم، إذا فريق منهم ينقضون تلك الإنابة التي صدرت منهم ويشركون به من لا دفع عنهم ولا أغنى، ولا أفقر ولا أغنى، 33
من هلاك ونحوه. دعوا ربهم منييين إليه ونسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا الله. ثم إذا أذاقهم منه رحمة شفاهم وإذا مس الناس ضر مرض أو خوف

به عليهم حيث أنجاهم، وأنقذهم من الشدة وأزال عنهم المشقة، فهلا قابلوا هذه النعمة الجليلة بالشكر والدوام على الإخلاص له في جميع الأحوال؟. 34
كل هذا كفر بما آتاهم الله ومن

من سلوك طرقه الموصلة إليه وحكموا بفساد عقل ودين من ارتكبه؟ فشرك هؤلاء بغير حجة ولا برهان وإنما هو أهواء النفوس، ونزغات الشيطان. 35
حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟ أم البراهين العقلية والسمعية والكتب السماوية والرسل الكرام وسادات الأنعام، قد نهوا أشد النهي عن ذلك وحذروا به يشركون ويقول لهم: اثبتوا على شرككم واستمروا على شككم فإن ما أنتم عليه هو الحق وما دعيتكم الرسل إليه باطل. فهل ذلك السلطان موجود عندهم أم أنزلنا عليهم سلطانا أي: حجة ظاهرة فهو أي: ذلك السلطان، يتكلم بما كانوا

تسوؤهم وذلك بما قدمت أيديهم من المعاصي. إذا هم يقنطون ييأسون من زوال ذلك الفقر والمرض ونحوه. وهذا جهل منهم وعدم معرفة. 36
والشدة أنهم إذا أذاقهم الله منه رحمة من صحة وغنى ونصر ونحو ذلك فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر وتبجح بنعمة الله. وإن تصبهم سيئة أي: حال يخبر تعالى عن طبيعة أكثر الناس في حالي الرخاء

يؤمنون فهم الذين يعتبرون بسط الله لمن يشاء وقبضه، ويعرفون بذلك حكمة الله ورحمته وجوده وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق. 37
من الله والرزق سعته وضيقه من تقديره ضائع ليس له محل. فلا تنتظر أيها العاقل لمجرد الأسباب بل اجعل نظرك لمسببها ولهذا قال: إن في ذلك لآيات لقوم أولم يروا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر فالقنوط بعد ما علم أن الخير والشر

فسوف نؤتيه أجرا عظيما. وقوله: وأولئك الذين عملوا هذه الأعمال وغيرها لوجه الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه. 38
كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس مفهومها أن هذه المثبتات خير لنفعها المتعدي ولكن من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والنفع المتعدي الذي وافق محله المقرون به الإخلاص. فإن لم يرد به وجه الله لم يكن خيرا للمعطي وإن كان خيرا ونفعا للمعطي كما قال تعالى: لا خير في أي: إيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل خير للذين يريدون بذلك العمل وجه الله أي: خير غزير وثواب كثير لأنه من أفضل الأعمال الصالحة وإن لم يكن له مال ولكن لا بد في الغالب أن يكون في حرفة أو صناعة ونحوها تسد حاجته، ولهذا جعل الله في الزكاة حصة للمسكين وابن السبيل. ذلك السبيل الغريب المنقطع به في غير بلده الذي في مظنة شدة الحاجة، لأنه لا مال معه ولا كسب قد دبر نفسه به في سفره، بخلاف الذي في بلده، فإنه عن زلته والمسامحة عن هفوته. وكذلك آت المسكين الذي أسكنه الفقر والحاجة ما تزيل به حاجته وتدفع به ضرورته من إطعامه وسقيه وكسوته. وابن أي: فأعط القريب منك على حسب قربه وحاجته حقه الذي أوجبه الشارع أو حض عليه من النفقة الواجبة والصدقة والهدية والبر والسلام والإكرام والعفو

تعالى في الذي يمدح: الذي يؤتي ماله يتزكى فليس مجرد إيتاء المال خيرا حتى يكون بهذه الصفة وهو: أن يكون على وجه يتزكى به المؤتي. 39
زكاة أن الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق أو مع دين عليه لم يقضه ويقدم عليه الصدقة أن ذلك ليس بزكاة يؤجر عليه العبد ويرد تصرفه شرعا كما قال وجه الله فأولئك هم المضعفون أي: المضاعف لهم الأجر الذين تربو نفقاتهم عند الله ويربها الله لهم حتى تكون شيئا كثيرا. ودل قوله: وما آتيتم من لا يربو عند الله. وما آتيتم من زكاة أي: مال يطهركم من الأخلاق الرذيلة ويظهر أموالكم من البخل بها ويزيد في دفع حاجة المعطى. تريدون بذلك

تفسير السعدي

- منها، فهذا العمل لا يربو أجره عند الله لكونه معدوم الشرط الذي هو الإخلاص. ومثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه والرياء عند الناس فهذا كله الناس أي: ما أعطيتهم من أموالكم الزائدة عن حوائجكم وقصدكم بذلك أن يربو أي: يزيد في أموالكم بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر ولما ذكر العمل الذي يقصد به وجهه من النفقات ذكر العمل الذي يقصد به مقصد دنيوي فقال: وما آتيتهم من ربا ليربو في أموال
- الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بد أن يقتتن بها القضاء والقدر. ويومئذ أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم يفرح المؤمنون 40 يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم ثم غلبة الروم للفرس كل ذلك بمشيئته وقدره ولهذا قال: لله الأمر من قبل ومن بعد فليس في بضع سنين تسع أو ثمان ونحو ذلك مما لا
- بمن انفراد بهذه الأمور من ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟ فسبحانه وتعالى وتقدس وتنزه وعلا عن شركهم، فلا يضره ذلك وإنما وبالهم عليهم. 40 المنفرد بخلقكم ورزقكم وإماتتكم وإحيائكم، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون من يشارك الله في شيء من هذه الأشياء. فكيف يشركون يخبر تعالى أنه وحده
- الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم. فسبحان من أنعم ببلائه وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة. 41 بعض الذي عملوا أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجا من جزاء أعمالهم في الدنيا لعلهم يرجعون عن أعمالهم التي أثرت لهم من وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها. هذه المذكورة ليذيقهم أي: استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معاشهم ونقصها
- استأصلهم وذم ولعن من خلق الله يتبعهم وخزي متواصل، فاحذروا أن تفعلوا فعالهم يحذى بكم حذوهم فإن عدل الله وحكمته في كل زمان ومكان. 42 يدخل فيه السير بالأبدان والسير في القلوب للنظر والتأمل بعواقب المتقدمين. كان أكثرهم مشركين تجدون عاقبتهم شر العواقب ومآلهم شر مآل، عذاب والأمر بالسير في الأرض
- العمل بل فرغ من الأعمال لم يبق إلا جزاء العمال. يومئذ يصدعون أي: يتفرقون عن ذلك اليوم ويصدرون أشتاتا متفاوتين ليروا أعمالهم. 43 والباطنة. وبأد زمانك وحياتك وشبابك، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله وهو يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده ولا يرجأ العاملون أن يستأنفوا أي: أقبل بقلبك وتوجه بوجهك واسع ببدنك لإقامة الدين القيم المستقيم، فنفذ أوامره ونواهيه بجد واجتهاد وقم بوظائفه الظاهرة
- أو التي للعباد الواجبة والمستحبة، فلأنفسهم لا لغيرهم يمهدون أي: يهيئون ولأنفسهم يعمرمون آخرتهم ويستعدون للفوز بمنازلتها وغرفاتها. 44 من كفر منهم فعليه كفره ويعاقب هو بنفسه لا تزر وازرة وزر أخرى، ومن عمل صالحا من الحقوق التي لله
- والباطنة. وهذا بخلاف الكافرين فإن الله لما أبغضهم ومقتهم عاقبهم وعذبهم ولم يزدهم كما زاد من قبلهم فهذا قال: إنه لا يحب الكافرين 45 وكرمه غير المحدود ما لا تبلغه أعمالهم. وذلك لأنه أحبهم وإذا أحب الله عبدا صب عليه الإحسان صبا، وأجزل له العطايا الفاخرة وأنعم عليه بالنعم الظاهرة جزاؤهم ليس مقصورا على أعمالهم بل يجزيهم الله من فضله الممدود
- منها ويبقيها عليكم. وأما مقابلة النعم بالكفر والمعاصي فهذه حال من بدل نعمة الله كفرا ونعمته محنة وهو معرض لها للزوال والانتقال منه إلى غيره. 46 في معاشكم ومصالحكم. ولعلكم تشكرون من سخر لكم الأسباب وسير لكم الأمور. فهذا المقصود من النعم أن تقابل بشكر الله تعالى ليزيدكم الله فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة الفاتحة لخزائن الرحمة. ولتجري الفلك في البحر بأمره القدري ولتبتغوا من فضله بالتصرف وليذيقكم من رحمته فينزل عليكم من رحمته مطرا تحيا به البلاد والعباد، وتذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمته هي المنقذة للعباد والجالبة لأرزاقهم، وبعثه الموتى وأنه الإله المعبود والملك المحمود، أن يرسل الرياح أمام المطر مبشرات بإثارتها للسحاب ثم جمعها فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله. أي: ومن الأدلة الدالة على رحمته
- المتعينة ووعدها بهم به فلا بد من وقوعه. فأنتم أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم إن بقيتم على تكذيبكم حلت بكم العقوبة ونصرناه عليكم. 47 غيهم، فانتقمنا من الذين أجرموا ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل. وكان حقا علينا نصر المؤمنين أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق يدعونهم إلى التوحيد والإخلاص والتصديق بالحق وبطلان ما هم عليه من الكفر والضلال، وجاءهم بالبينات والأدلة على ذلك فلم يؤمنوا ولم يزولوا عن أي: ولقد أرسلنا من قبلك في الأمم السابقين رسلا إلى قومهم حين جحدوا توحيد الله وكذبوا بالحق فجاءتهم رسلكم
- أتت عليه. فإذا أصاب به بذلك المطر من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون يبشر بعضهم بعضا بنزوله وذلك لشدة حاجتهم وضرورتهم إليه. 48 الواسع كسفا أي: سحابا ثخيناً قد طبق بعضه فوق بعض. فتري الودق يخرج من خلاله أي: السحاب نقطا صغارا متفرقة، لا تنزل جميعا فتفسد ما فتثير سحابا من الأرض، فيبسطة في السماء أي: يمدد ويوسعه كيف يشاء أي: على أي حالة أرادها من ذلك ثم يجعله أي: ذلك السحاب يخبر تعالى عن كمال قدرته وتمايم نعمته أنه يرسل الرياح
- أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين أي: آيسين قانطين لتأخر وقت مجيئه، أي: فلما نزل في تلك الحال صار له موقع عظيم عندهم وفرح واستبشار. 49

وإن كانوا من قبل

ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء. الرحيم بعباده المؤمنين حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب. 5
كفارا ولكن بعض الشر أهون من بعض ويحزن يومئذ المشركون. وهو العزيز الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك
بنصر الله ينصر من يشاء أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس وإن كان الجميع

لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فقدرته تعالى لا يتعاضى عليها شيء وإن تعاضى على قدر خلقه ودق عن أفهامهم وحارت فيه عقولهم. 50
فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم. إن ذلك الذي أحيا الأرض بعد موتها
زرعهم ريحا مضره متلفة أو منقصة، فأروه مصفرا قد تداعى إلى التلف لظلوا من بعده يكفرون فينسون النعم الماضية ويبادرون إلى الكفر. 51
يخبر تعالى عن حالة الخلق وأنهم مع هذه النعم عليهم بإحياء الأرض بعد موتها ونشر رحمة الله تعالى لو أرسلنا على هذا النبات الناشئ عن المطر وعلى
وبالأولى إذا ولوا مدبرين فإن الموانع قد توفرت فيهم عن الانقياد والسماع النافع كتوفر هذه الموانع المذكورة عن سماع الصوت الحسي. 52
وهؤلاء لا ينفع فيهم وعظ ولا زجر فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء

الداعي القوي لقبول النصائح والمواعظ وهو استعدادهم للإيمان بكل آية من آيات الله واستعدادهم لتنفيذ ما يقدر عليهم من أوامر الله ونواهيه. 53
له. إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فهؤلاء الذين ينفع فيهم إسماع الهدى المؤمنون بآياتنا بقلوبهم المتقادون لأوامرنا المسلمون لنا، لأن معهم
وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم لأنهم لا يقبلون الإبصار بسبب عماهم فليس منهم قابلية
وعتا. وليعلم العباد كمال قدرة الله التي لا تزال مستمرة يخلق بها الأشياء، ويدبر بها الأمور ولا يلحقها إعياء ولا ضعف ولا نقص بوجه من الوجوه. 54
ضعفه وأن قوته محفوفة بضعفين وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى
قوته وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور ورجع إلى الضعف والشبهة والهرم. يخلق ما يشاء بحسب حكمته. ومن حكمته أن يري العبد
إلى أن ولد، وهو في سن الطفولية وهو إذ ذاك في غاية الضعف وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئا فشيئا حتى بلغ سن الشباب واستوت
علمه وعظيم اقتداره وكمال حكمته، ابتداء خلق آدميين من ضعف وهو الأطوار الأول من خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيوانا في الأرحام
يخبر تعالى عن سعة

الحق الذي جاءتهم به المرسلون، وفي الآخرة أنكروا الأمر المحسوس وهو اللبث الطويل في الدنيا، فهذا خلقهم القبيح والعبد يبعث على ما مات عليه. 55
كان قولهم كذبا لا حقيقة له قال تعالى: كذلك كانوا يؤفكون أي: ما زالوا وهم في الدنيا يؤفكون عن الحقائق ويأتفكون الكذب، ففي الدنيا كذبوا
وأنه إذا قامت الساعة يقسم المجرمون بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة وذلك اعتذار منهم لعله ينفعهم العذر واستقصار لمدة الدنيا. ولما
يخبر تعالى عن يوم القيامة وسرعة مجيئه

أنكرتموه في الدنيا وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتا تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة، فلم يزل الجهل شعاركم وآثاره من التكذيب والخسار دثاركم. 56
عمرا يتذكر فيه المتذكر ويتدبر فيه المتدبر ويعتبر فيه المعتبر حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال. فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون. فلذلك
للواقع مناسبا لأحوالهم. فلها قالوا الحق: لقد لبثتم في كتاب الله أي: في قضائه وقدره، الذي كتبه الله عليكم وفي حكمه إلى يوم البعث أي: عمرتم
والإيمان أي: من الله عليهم بهما وصارا وصفا لهم العلم بالحق والإيمان المستلزم إثبات الحق، وإذا كانوا عالمين بالحق مؤثرين له لزم أن يكون قولهم مطابقا
وقال الذين أوتوا العلم

وأ أنهم يردون ولا يعودون لما نهوا عنه لم يمكنوا فإنه فات وقت الإعذار فلا تقبل معذرتهم، ولا هم يستعتبون أي: يزال عتابهم والعتاب عنهم. 57
وزعموا أنهم ما قامت عليهم الحجة أو ما تمكنوا من الإيمان ظهر كذبهم بشهادة أهل العلم والإيمان، وشهادة جلودهم وأيديهم وأرجلهم، وإن طلبوا الإعذار
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم فإن كذبوا

ما جئت به ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون أي: قالوا للحق: إنه باطل. وهذا من كفرهم وجراءتهم وطبع الله على قلوبهم وجهلهم المفرط. 58
أسفهم وأنه لا يقبل منهم عذر ولا عتاب. ولكن أبى الظالمون الكافرون إلا معاندة الحق الواضح ولهذا قال: ولنن جننهم بأية أي: أي آية تدل على صحة
بالمحسوسة. وفي الإخبار بما سيكون وجلاء حقيقته حتى كأنه وقع. ومنه في هذا الموضع ذكر الله تعالى ما يكون يوم القيامة وحالة المجرمين فيه وشدة
لناس في هذا القرآن من كل مثل تتضح به الحقائق وتعرف به الأمور وتنقطع به الحجة. وهذا عام في الأمثال التي يضربها الله في تقريب الأمور المعقولة
أي: ولقد ضربنا لأجل عنايتنا ورحمتنا ولطفنا وحسن تعليمنا

كذلك يطيع الله على قلوب الذين لا يعلمون فلا يدخلها خير ولا تدرك الأشياء على حقيقتها بل ترى الحق باطلا والباطل حقا. 59
الله بها من المسلمين والمشركين. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته. 6
على الفرس وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم وتحقق وعد الله. وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم

تفسير السعدي

صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على مدة سنين عینوها، فلما جاء الأجل الذي ضربه الله انتصر الروم وعد الله لا يخلف الله وعده فتيقنوا ذلك واجزموا به واعلموا أنه لا بد من وقوعه. فلما نزلت هذه الآيات التي فيها هذا الوعد كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه. فالأول بمنزلة اللب والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان. 60

بال وتحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدكم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على أن يستخفك الذين لا يوقنون أي: قد ضعف إيمانهم وقل يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملاً هان عليه ما يلقاه من المكاره ويسر عليه كل عسير واستقل من عمله كل كثير. ولا فاصبر على ما أمرت به وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضاً فلا يصدك ذلك. إن وعد الله حق أي: لا شك فيه وهذا مما قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثرت الرقي العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير له في عباده وإن هو إلا توفيقه وخذلانه فخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته وهذه الأمور لو هم الفاسقون. ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها وما حرموا من العقل العالي ففرغوا أن الأمر لله والحكم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رأهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك يعقولهم ورأوا غيرهم عاجزاً عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب. وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبا يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة. ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين لوجوده شيئاً، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها. وهم عن الآخرة هم غافلون قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم الدنيا فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعددت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها. وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة ربهم لكافرون فلذلك لم يستعدوا للقاءه ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به وهذا الكفر عن غير دليل، بل الأدلة القاطعة قد دلت على البعث والجزاء. 8

عملاً. وأجل مسمى أي: مؤقت بقاؤهما إلى أجل تنقضي به الدنيا وتجيء به القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسموات. وإن كثيراً من الناس بقاء أن يتركهم سدى مهملين لا يبهون ولا يؤمرون ولا يثابون ولا يعاقبون. ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي ليلوكم أيكم أحسن من العدم سيعيدهم بعد ذلك وأن الذي نلقاهم أطواراً من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي قد نفخ فيه الروح إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أي: أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسول الله ولقائه في أنفسهم فإن في أنفسهم آيات يعرفون بها أن الذي أوجدكم متتابع. وهذا جزاء معجل نموذج للجزاء الأخروي ومبتدأ له. وكل هذه الأمم المهلكة لم يظلمهم الله بذلك الإهلاك وإنما ظلموا أنفسهم وتسببوا في هلاكها. 9

على الحق وصحة ما جاءهم به، فإنهم حين ينظرون في آثار أولئك لم يجدوا إلا أمماً بائدة وخلقاً مهلكين ومنازل بعدهم موحشة وذم من الخلق عليهم من بناء قصور ومصانع ومن غرس أشجار ومن زرع وإجراء أنهار، فلم تغن عنهم قوتهم ولا نفعتهم آثارهم حين كذبوا رسلهم الذين جاءهم بالبينات الدالات نبههم على السير في الأرض والنظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم وخالفوا أمرهم ممن هم أشد من هؤلاء قوة وأكثر آثاراً في الأرض

سورة 31

أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه. فالأول بمنزلة اللب والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان. 1

بال وتحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدكم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على يستخفك الذين لا يوقنون أي: قد ضعف إيمانهم وقل يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملاً هان عليه ما يلقاه من المكاره ويسر عليه كل عسير واستقل من عمله كل كثير. ولا فاصبر على ما أمرت به وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضاً فلا يصدك ذلك. إن وعد الله حق أي: لا شك فيه وهذا مما رزق تعيش به، فأنزل من السماء ماء مباركا، فأنبتنا فيها من كل زوج كريم المنظر، نافع مبارك، فترعت فيه الدواب المنبثة، وسكن إليه كل حيوان. 10

أي: نشر في الأرض الواسعة، من جميع أصناف الدواب، التي هي مسخرة لبني آدم، ولمصالحهم، ومنافعهم. ولما بثها في الأرض، علم تعالى أنه لا بد لها من أي: جبلاً عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحائها، لئلا تميد بكم فلولا الجبال الراسيات لمادت الأرض، ولما استقرت بساكنيتها. وبث فيها من كل دابة وارتفاعها الهائل. بغير عمد ترونها أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرئيت، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله تعالى. وألقى في الأرض رواسي يتلو تعالى على عباده، آثاراً من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونعماً من آثار رحمته، فقال: خلق السماوات السبع على عظمها، وسعتها، وكتافتها،

تفسير السعدي

- 11 في ضلال مبين أي: جلي واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور. 11 يعلم غيرها، فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها تستحق به أن تعبد. ولكن عبادتهم إياها، عن غير علم وبصيرة، بل عن جهل وضلال، ولهذا قال: بل الظالمون ما ادعيتهم فيهم من استحقاق العبادة. ومن المعلوم أنهم لا يقدر أن يروه شيئا من الخلق لها، لأن جميع المذكورات، قد أقرروا أنها خلق الله وحده، ولا ثم شيء دونه أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، يلزم على هذا، أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح من جماد، وحيوان، وسوق أرزاق الخلق إليهم خلق الله وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين. فأروني ماذا خلق الذين من هذا أي: خلق العالم العلوي والسفلي،
- 12 نبيا، أو عبدا صالحا؟ والله تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل على حكمته في وعظه لابنه، فذكر أصول الحكمة وقواعدها الكبار. 12 في جميل صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين، صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر، زيادة كمال إلى كمال. واختلف المفسرون، هل كان لقمان الله، عاد وبال ذلك عليه. والله غني عنه حميد فيما يقدره ويقضيه، على من خالف أمره، فغناه تعالى، من لوازم ذاته، وكونه حميدا في صفات كماله، حميدا الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن من كفر فلم يشكر والإحكام، فقد يكون الإنسان عالما، ولا يكون حكيما. وأما الحكمة، فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح. ولما أعطاه يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار
- 13 ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا. 13 بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟ وهل أعظم من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمثل ذرة من النعم له السبب في ذلك فقال: إن الشرك لظلم عظيم ووجه كونه عظيما، أنه لا أفضع وأبشع ممن سوى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك وإن قال لقمان لابنه وهو يعظه أو قال له قولا به يعظه بالأمر، والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبين
- 14 لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب، أن يؤكد على ولده، ويوصي إليه بتمام الإحسان إليه؟ 14 المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد. ثم فصله في عامين وهو ملازم أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟ ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم، فقال: حملته أمه وهنا على وهن أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي بهذه الوصية، وأخبرناه أن إلي المصير أي: سترجع أيها الإنسان إلى من وذاك، وكلفك بهذه الحقوق، فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟ والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بمؤنتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل. فوصيانه بوالديه وقلنا له: اشكر لي بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي. ولوالديك بالإحسان إليهما بالقول اللين، القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: ووصينا الإنسان أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيانه ولما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه
- 15 يرضي الله، ويقرب منه. ثم إلي مرجعكم الطائع والعاصي، والمنيب، وغيره فأنبئكم بما كنتم تعملون فلا يخفى على الله من أعمالهم خافية. 15 لربهم، المنيبون إليه. واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما بالمعروف، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما. واتباع سبيل من أناب إلي وهم المؤمنون بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، المستسلمون لك به علم فعقهما بل قال: فلا تطعهما أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه، ولهذا قال: وصاحبهما في الدنيا معروفا أي: صحبة إحسان إليهما في الإحسان إليهما، لأن حق الله، مقدم على حق كل أحد، ولا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق ولم يقل: وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس وإن جاهدك أي: اجتهد والداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ولا تظن أن هذا داخل
- 16 البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار. والمقصود من هذا، الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قل أو كثر. 16 أي جهة من جهاتهما يأت بها الله لسعة علمه، وتماخى خبرته وكمال قدرته، ولهذا قال: إن الله لطيف خبير أي: لطف في علمه وخبرته، حتى اطلع على يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، فتكن في صخرة أي في وسطها أو في السماوات أو في الأرض في
- 17 واصبر على ما أصابك إن ذلك الذي وعظ به لقمان ابنه من عزم الأمور أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم. 17 وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهيه. ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال: به، من الرفق، والصبر، وقد صرح به في قوله: واصبر على ما أصابك ومن كونه فاعلا لما يأمر به، كافا لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه. والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا يا بني أقم الصلاة حثه عليها، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية،
- 18 في الأرض مرحا أي: بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا بالمنعم، معجبا بنفسك. إن الله لا يحب كل مختال في نفسه وهيئته وتعاضمه فخور بقوله. 18

تفسير السعدي

ولا تصغر خدك للناس أي: لا تمله وتعبس بوجهك الناس، تكبرا عليهم، وتعاضما. ولا تمش

الوصايا، أن يكون مخصوصا بالحكمة، مشهورا بها. ولهذا من منة الله عليه وعلى سائر عباد، أن قص عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة. 19 ونهاه عن ضد ذلك. وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى: فحقيق بمن أوصى بهذه يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها. ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ما لم يأمر بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك. وأمره بمراقبة الله، وخوفه القدوم عليه، وأنه لا عن الشرك، وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتنال أوامرهما، كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا. وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام، وحكمها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه قد علمت خسته وبلادته. وهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن مع الناس ومع الله، إن أنكر الأصوات أي أفضعها وأبشعها لصوت الحمير فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي واقد في مشيك أي: امش متواضعا مستكينا، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت. واغضض من صوتك أدبا

الناس محرومون الاهتداء به، معرضون عن الإيمان والعمل به، إلا من وفقه الله تعالى وعصمه، وهم المحسنون في عبادة ربهم والمحسنون إلى الخلق. 2 لبه من التوافق والتواطؤ، وجزم جزما لا يمتري فيه، أنه تنزيل من حكيم حميد. ولكن مع أنه حكيم يدعو إلى كل خلق كريم، وينهى عن كل خلق لئيم، أكثر كالقصص، والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف. فكلما ازداد بها البصير تدبرا، وأعمل فيها العقل تفكرا، انهر عقله، وذهل إحكامها: أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم. ومن إحكامها: أنك تجد آياته المتكررة، ولا نهت عن شيء، إلا وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيرا ما يجمع بين الأمر بالشيء، مع ذكر حكمته فائدته، والنهي عن الشيء، مع ذكر مضرته. ومن الأنبياء، ولم يأت علم محسوس ولا معقول صحيح، يناقض ما دلت عليه. ومن إحكامها: أنها ما أمرت بشيء، إلا وهو خالص المصلحة، أو راجحها، ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها، نبي من وأفصحها، وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها. ومن إحكامها، أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف. ومن إحكامها: أن جميع يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى آيات الكتاب الحكيم أي: آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير. من إحكامها، أنها جاءت بأجل الألفاظ

كتاب منير غير مبين للحق فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء بالمهتدين وإنما جداله في الله مبني على تقليد آباء غير مهتدين، بل ضالين مضلين. 20 من الأمر بعبادة الله وحده، وهذا المجادل على غير بصيرة، فليس جداله عن علم، فيترك شأنه، ويسمح له في الكلام ولا هدى يقتدي به بالمهتدين ولا بها وجد الحق الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، فجعل يجادل في الله أي: يجادل عن الباطل ليدحض به الحق ويدفع به ما جاء به الرسول الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته. و لكن مع توالي هذه النعم من الناس من لم يشكرها بل كفرها وكفر بمن أنعم والتي تخفي علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم بمحبة المنعم والخضوع له وصرفها في والمعادن ونحوها كما قال تعالى: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وأسبغ عليكم أي: عمكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها أن الله سخر لكم ما في السماوات من الشمس والقمر والنجوم، كلها مسخرات لنفع العباد. وما في الأرض من الحيوانات والأشجار والزرع، والأنهار يمتن تعالى على عباده بنعمه، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها وعدم الغفلة عنها فقال: ألم تروا أي: تشاهدوا وتبصروا بأبصاركم وقلوبكم،

وإنما ذلك عداوة لهم ومكر بهم، وبالحقيقة أتباعه من أعدائه، الذين تمكن منهم وظفر بهم، وقرت عينه باستحقاقهم عذاب السعير، بقبول دعوته. 21 لهم ومشيههم على طريقته، أم ذلك يرهبهم من سلوك سبيلهم، وينادي على ضلالهم، وضلال من اتبعهم. وليس دعوة الشيطان لآبائهم ولهم، محبة لهم ومودة، كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير فاستجاب له آباؤهم، ومشوا خلفه، وصاروا من تلاميذ الشيطان، واستولت عليهم الحيرة. فهل هذا موجب لاتباعهم قالوا معارضين ذلك: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقول أحد كائنا من كان. قال تعالى في الرد عليهم وعلى آبائهم: أولو وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله على أيدي رسله، فإنه الحق، وبينت لهم أدلته الظاهرة

الله عاقبة الأمور أي: رجوعها وموئلتها ومنتهاتها، فيحكم في عباده، ويجازيهم بما آلت إليه أعمالهم، ووصلت إليه عواقبهم، فليستعدوا لذلك الأمر. 22 الهلاك، وفاز بكل خير. ومن لم يسلم وجهه لله، أو لم يحسن لم يستمسك بالعروة الوثقى، وإذا لم يستمسك بالعروة الوثقى لم يكن ثم إلا الهلاك والبوار. وإلى بجميع شرائع الدين، على وجه تقبل به وتكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم واستمسك بالعروة الوثقى أي: بالعروة التي من تمسك بها، توثق ونجا، وسلم من بالقيام بحقوقه، وهو محسن إلى عباد الله، قائم بحقوقهم. والمعاني متلازمة، لا فرق بينها إلا من جهة اختلاف مورد اللفظتين، وإلا فكلها متفقة على القيام وسلم. أو: ومن يسلم وجهه إلى الله، بفعل جميع العبادات، وهو محسن فيها، بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يراه. أو ومن يسلم وجهه إلى الله، إلى الله أي: يخضع له وينقاد له بفعل الشرائع مخلصا له دينه. وهو محسن في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعا، قد اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وجهه

كفرهم وعداوتهم، وسعيهم في إطفاء نور الله وأذى رسله. إن الله عليم بذات الصدور التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر، وكان شهادة؟ 23

تفسير السعدي

عليك بالعداوة، وناذوك المحاربة، واستمروا على غيهم وكفرهم، ولا تتحرق عليهم، بسبب أنهم ما بودروا بالعذاب. فإن إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا من والبلاغ، فإذا لم يهتد، فقد وجب أجرك على الله، ولم يبق للحزن موضع على عدم اهتدائه، لأنه لو كان فيه خير، لهداه الله. ولا تحزن أيضا، على كونهم تجرأوا ومن كفر فلا يحزنك كفره لأنك أديت ما عليك، من الدعوة

في الدنيا، ليزداد إثمهم، ويتوفر عذابهم، ثم نضطرهم أي: نلجئهم إلى عذاب غليظ أي: انتهى في عظمه وكبره، وفظاعته، وألمه، وشدة. 24 نمتعهم قليلا

وجه الحيرة والشك، لا على وجه البصيرة، ثم ذكر في هاتين الآيتين نموذجا من سعة أوصافه، ليدعو عباده إلى معرفته، ومحبته، وإخلاص الدين له. 25 لجزموا أن المنفرد بالخلق والتدبير، هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد. ولكن أكثرهم لا يعلمون فذلك أشركوا به غيره، ورضوا بتناقض ما ذهبوا إليه، على قل لهم ملزما لهم، ومحتجا عليهم بما أقروا به، على ما أنكروا: الحمد لله الذي بين النور، وأظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، فلو كانوا يعلمون، سألت هؤلاء المشركين المكذبين بالحق من خلق السماوات والأرض لعلوا أن أصنامهم، ما خلقت شيئا من ذلك ولبادروا بقولهم الله الذي خلقهما وحده. ف أي: ولئن

وجميع ما فعله وخلقه يحمد عليه، وجميع ما أمر به ونهى عنه يحمد عليه، وجميع ما حكم به في العباد وبين العباد، في الدنيا والآخرة، يحمد عليه. 26 إلا حميدا من جميع الوجوه، فهو حميد في ذاته، وهو حميد في صفاته، فكل صفة من صفاته، يستحق عليها أكمل حمد وأتمه، لكونها صفات عظمة وكمال، عاملها، والله غني عنهم، وعن أعمالهم، ومن غناه، أن أغناهم وأقتاهم في دنياهم وأخراهم. ثم أخبر تعالى عن سعة حمده، وأن حمده من لوازم ذاته، فلا يكون يحتاج إليه أحد من الخلق. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون وأن أعمال النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، لا تنفع الله شيئا وإنما تنفع الملك القدري، وأحكامه الأمرية، وأحكامه الجزائية، فكلهم عبيد ممالك، مدبرون مسخرون، ليس لهم من الملك شيء، وأنه واسع الغنى، فلا يحتاج إلى ما فذكر عموم ملكه، وأن جميع ما في السماوات والأرض وهذا شامل لجميع العالم العلوي والسفلي أنه ملكه، يتصرف فيهم بأحكام

وابتدأ بالحكمة، وجعل غايته والمقصود منه الحكمة، وكذلك الأمر والهي وجد بالحكمة، وكانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه وأمره. 27 ما في العالم العلوي والسفلي من القوة إلا منه، أعطاهما للخلق، فلا حول ولا قوة إلا به، وبعزته قهر الخلق كله، وتصرف فيهم، ودبرهم، وبحكمته خلق الخلق، ضربه الله لكلامه، ليدرك العباد شيئا منه، وإلا فالأمر أعظم وأجل. ثم ذكر جلالة عزته وكمال حكمته فقال: إن الله عزيز حكيم أي: له العزة جميعا، الذي في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المثل الذي الذهن والعقل، من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض والتقدير، وساعد على ذلك من ساعد، بقلبه ولسانه، فالحق تعالى بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية. والله حقيقة أوليته تعالى وأخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية، وأنه مهما فرضه فلا يتصور نفاذه، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، على أنه لا نفاذ له ولا منتهى، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته وأن إلى ربك المنتهى وإذا تصور العقل فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفاذها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة. وأما كلام الله تعالى، أنت كما أثبتت على نفسك وإلا، فالأمر أجل من ذلك وأعظم. وهذا التمثيل من باب تقريب المعنى، الذي لا يطابق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا تستشير به قلوبهم، وتنشر له صدورهم، ويستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه: لا نحصي ثناء عليك، تعالى أن معرفته لعباده، أفضل نعمة، أنعم بها عليهم، وأجل منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فنبههم تعالى تنبيهها ولفني ذلك المداد، ولم تنفذ كلمات الله تعالى، وهذا ليس بمبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تبارك وتعالى، أن العقول تنقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم أولو الأبواب والبصائر فقال: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام يكتب بها والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مداها يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام ثم أخبر عن سعة كلامه وعظمته قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنبه له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته

على الأعمال، إلا الجهل بعظمة الله وقوة قدرته. ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات، وبصره لجميع المبصرات فقال: إن الله سميع بصير 28 العقول، إن خلق جميع الخلق على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لحظة واحدة كخلقه نفسا واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور، والجزاء ثم ذكر عظمة قدرته وكمالها وأنه لا يمكن أن يتصورها العقل فقال: ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وهذا شيء يحير

وأن الله بما تعملون من خير وشر خبير لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على تلك الأعمال، بالثواب للمطيعين، والعقاب للعاصين. 29 إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، وتعطل سلطانهما، وذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنتهي دار الدنيا، وتبتدىء الدار الآخرة. ونظام، لم يختل منذ خلقهما، ليقيم بذلك من مصالح العباد ومنافعهم، في دينهم ودنياهم، ما به يعتبرون ويتنفعون. وكل منهما يجري إلى أجل مسمى تصرفه بإيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، أي: إدخال أحدهما على الآخر، فإذا دخل أحدهما، ذهب الآخر. وتسخيره للشمس والقمر، يجريان بتدبير وهذا فيه أيضا، انفرادا بالتصرف والتدبير، وسعة

الجحيم، ورحمة لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة، والخير الكثير، والثواب الجزيل، والفرح والسرور، ويندفع عنهم الضلال والشقاء. 3 فإنه هدى لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويحذرهم من طرق

تفسير السعدي

أن يقاس بها صفات أحد من الخلق، وعلا على الخلق فقهرهم الكبير الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض. 30
إيجاد الله له لما وجد، ولولا إمداده لما بقي، فإذا كان باطلا، كانت عبادته أبطل وأبطل. وأن الله هو العلي بذاته، فوق جميع مخلوقاته، الذي علت صفاته،
في ذاته وفي صفاته، ودينه حق، وورسله حق، ووعدده حق، ووعيدده حق، وعبادته هي الحق. وأن ما يدعون من دونه الباطل في ذاته وصفاته، فلولا
ذلك الذي بين لكم من عظمته وصفاته، ما بين بأن الله هو الحق

المنتفعون بالآيات، صبار على الضراء، شكور على السراء، صبار على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقداره، شكور لله، على نعمه الدينية والدنيوية. 31
أن سخر البحر، تجري فيه الفلك، بأمره القدري ولطفه وإحسانه، ليريك من آياته فيها الانتفاع والاعتبار إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور فهم
أي: ألم تر من آثار قدرته ورحمته، وعنايته بعباده،

البحر وشدته، لكونن من الشاكرين، فغدر ولم يف بذلك، كفور بنعم الله. فهل يليق بمن نجاهم الله من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم الله؟ 32
مذنبون ظالمون لأنفسهم، وفرقة كافرة بنعمة الله، جاحدة لها، ولهذا قال: وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار أي غدار، ومن غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من
كالظل فوقهم، أنهم يخلصون الداء لله والعبادة: فلما نجاهم إلى البر انقسموا فريقين: فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال، بل هم
ذكر تعالى حال الناس، عند ركوبهم البحر، وغشيان الأمواج

الفتانة، والشيطان الموسوس المسول، فنهى تعالى عباده، أن تغرهم الدنيا، أو يغرهم بالله الغرور يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا 33
أم قصرُوا فيه. وهذا أمر يجب الاهتمام به، وأن يجعله العبد نصب عينيه، ورأس مال تجارته، التي يسعى إليها. ومن أعظم العوائق عنه والقواطع دونه، الدنيا
هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات، فإن لله على عباده حقا، وقد وعدهم موعدا يجازيهم فيه بأعمالهم، وهل وفوا حقه
فيه، ولا تعملوا عمل غير المصدق، فهذا قال: فلا تغرنكم الحياة الدنيا بزينة وزخارفها وما فيها من الفتن والمحن. ولا يغرنكم بالله الغرور الذي
فيها سعادتهم، ويعدهم عليها الثواب، ويحذرهم من العقاب، ويزعجهم إليه بالمواعظ والمخوفات، فلك الحمد يا رب العالمين. إن وعد الله حق فلا تمتروا
عبد عمله، وتحقق عليه جزاؤه. فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهيل، مما يقوي العبد ويسهل عليه تقوى الله، وهذا من رحمة الله بالعباد، يأمرهم بتقواه التي
الذي فيه كل أحد لا يهتم إلا نفسه فلا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا لا يزيد في حسناته ولا ينقص من سيئاته، قد تم على كل
يأمر تعالى الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره، وترك زواجه، ويستلقتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد،

أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك. تم تفسير سورة لقمان بفضل الله وعونه، والحمد لله. 34
خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبائيا، والسرائر، ومن حكمته التامة،
ما يشاء. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من كسب دينها ودنياها، وما تدري نفس بأي أرض تموت بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه. ولما
يعلم ما في الأرحام فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله
إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بفتة الآية. وينزل الغيث أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله.
مرسل، ولا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما، فقال: إن الله عنده علم الساعة أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل
والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي
قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر

أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرجه محبوبه من المال، لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة الله. 4
على الإخلاص، ومناجاة الله تعالى، والتعبد العام للقلب واللسان، والجوارح المعينة، على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، وتنفع
بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل والخوف من عقاب الله، فيتركون معاصيه، ووصفهم بالعمل، وخص من العمل، عمليين فاضلين: الصلاة المشتعلة
ثم وصف المحسنين

به رأسا، وأنه عوقب على ذلك، بأن تعوض عنه كل باطل من القول، فترك أعلى الأقوال، وأحسن الحديث، واستبدل به أسفل قول وأقبحه، فلذلك قال: 5
وسلموا من سخطه وعقابه، وذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها. ولما ذكر تعالى المهتدين بالقرآن، المقبلين عليه، ذكر من أعرض عنه، ولم يرفع
الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه، وهو أفضل أنواع التربية. وأولئك هم المفلحون الذين أدركوا رضا ربهم، وثوابه الدنيوي والأخروي،
والعمل على هدى أي: عظيم كما يفيد التنكير، وذلك الهدى حاصل لهم، وواصل إليهم من ربهم الذي لم يزل يربيهم بالنعم ويدفع عنهم النقم. وهذا
ف أولئك هم المحسنون الجامعون بين العلم التام،

من القول الذي لا يميزه ذلك الضال، ولا يعرف حقيقته. أولئك لهم عذاب مهين بما ضلوا وأضلوا، واستهزؤوا بآيات الله وكذبوا الحق الواضح. 6
ويسخر بها، وبمن جاء بها، فإذا جمع بين مدح الباطل والترغيب فيه، والقبح في الحق، والاستهزاء به وبأهله، أضل من لا علم عنده وخدعه بما يوحيه إليه،
هذا الحديث صده عن الحديث النافع، والعمل النافع، والحق المبين، والصراط المستقيم. ولا يتم له هذا، حتى يقدح في الهدى والحق، ويتخذ آيات الله هزوا
الناس، يشترى لهُو الحديث، عن هدي الحديث ليضل الناس بغير علم أي: بعدما ضل بفعله، أضل غيره، لأن الإضلال، ناشئ عن الضلال. وإضلاله في

تفسير السعدي

به الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، وشتيم، وسب، ومن غناء ومزامير شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا. فهذا الصنف من هذا كل كلام محرم، وكل لغو، وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، والفسوق، والعصيان، ومن أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا يشترى أي: يختار ويرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء. لهو الحديث أي: الأحاديث الملهية للقلوب، الصادة لها عن أجل مطلوب. فدخل في أي: ومن الناس من هو محروم مخدول

بشرته السوء والظلمة والغبرة. بعذاب أليم مؤلم لقلبه ولبدنه لا يقادر قدره ولا يدري بعظيم أمره، وهذه بشارة أهل الشر، فلا نعمت البشارة. 7
كأن لم يسمعها بل كأن في أذنيه وقرا أي: صمما لا تصل إليه الأصوات فهذا لا حيلة في هدايته. فبشره بشارة تؤثر في قلبه الحزن والغم وفي ولهذا قال وإذا تتلى عليه آياتنا ليؤمن بها وينقاد لها، ولي مستكبرا أي: أدبر إدبار مستكبر عنها، راد لها، ولم تدخل قلبه ولا أثرت فيه، بل أدبر عنها الصالحات جمعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، والظاهر بالإسلام، والعمل الصالح. لهم جنات النعيم بشارة لهم بما قدموه، وقرى لهم بما أسلفوه. 8
وأما بشارة أهل الخير فقال: إن الذين آمنوا وعملوا ولا يتبدل. وهو العزيز الحكيم كامل العزة، كامل الحكمة، من عزته وحكمته، وفق من وفق، وخذل من خذل، بحسب ما اقتضاه علمه فيهم وحكمته. 9
خالدين فيها أي: في جنات النعيم، نعيم القلب والروح، والبدن. وعد الله حقا لا يمكن أن يخلف، ولا يغير،

سورة 32

أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك. تم تفسير سورة لقمان بفضل الله وعونه، والحمد لله. 1
خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبائيا، والسرائر، ومن حكمته التامة، ما يشاء. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من كسب دينها ودنياها، وما تدري نفس بأي أرض تموت بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه. ولما ويعلم ما في الأرحام فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة الآية. وينزل الغيث أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله. مرسل، ولا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما، فقال: إن الله عنده علم الساعة أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر

علم أنهم قد ابتدئوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء، وكذلك الأرض الميتة، ينزل الله عليها المطر، فتحي بعد موتها، وينبت به متفرق بذورها. 10
مصدره وغايته، وإلا، فلو كان قصدهم بيان الحق، لبين لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهدا للبصيرة، بمنزلة الشمس للبصر. ويكفيهم، أنهم معهم قدرة الخالق، بقدرهم. وكلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم، وعناد، وكفر بقاء ربهم وجحد، ولهذا قال: بل هم بقاء ربهم كافرون فكلامهم علم الأرض أي: بلينا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تعلم. أننا لفي خلق جديد أي: لمبعوثون بعثا جديدا بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك لقياسهم أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: أنذا ضللنا في

أي: جعله الله وكيلا على قبض الأرواح، وله أعوان. ثم إلى ربكم ترجعون فيجازيكم بأعمالكم، وقد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل الله بكم. 11
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
أي: صار عندنا الآن، يقين بما كنا نكذب به، أي: لرأيت أمرا فظيلا، وحالا مزعجة، وأقواما خاسرين، وسؤلا غير مجاب، لأنه قد مضى وقت الإمهال. 12
أذلاء، مقرين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: ربنا أبصرنا وسمعنا أي: بأن لنا الأمر، ورأيناه عيانا، فصار عين يقين. فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ذكر حالهم في مقامهم بين يديه فقال: ولو ترى إذ المجرمون الذين أصروا على الذنوب العظيمة، ناكسو رؤسهم عند ربهم خاشعين خاضعين لما ذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة،

وثبت ثبوتا لا تغير فيه. لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فهذا الوعد، لا بد منه، ولا محيد عنه، فلا بد من تقرير أسبابه من الكفر والمعاصي. 13
الناس كلهم، وجمعناهم على الهدى، فمشتيتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة، تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى، ولهذا قال: ولكن حق القول مني أي: وجب، وكل هذا بقضاء الله وقدره، حيث خلى بينهم وبين الكفر والمعاصي، فلماذا قال: ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها أي: لهدينا والتخفيف، وأما عذاب جهنم أعاذنا الله منه فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها. بما كنتم تعملون من الكفر والفسوق والمعاصي. 14
جزاء من جنس عملكم، فكما نسيتم نسيتم، وذوقوا عذاب الخلد أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل غاية، كان فيه بعض التنفيس لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقيه. إنا نسيناكم أي: تركناكم بالعذاب، يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم، بما نسيتم

فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي:

متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، والتسليم، وقابلوها بالانشرح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم. 15
سجدا أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله، وفرح بمعرفته. وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل
وهم: الذين إذا ذكروا بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، وأتتهم النصائح على أيدي رسل الله، ودعوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، و خروا
وما أعد لهم من العذاب، ذكر المؤمنين بها، ووصفهم، وما أعد لهم من الثواب، فقال: إنما يؤمن بآياتنا أي إيماناً حقيقياً، من يوجد منه شواهد الإيمان،
لما ذكر تعالى الكافرين بآياته،

في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالي، خير مطلقاً، سواء وافق غنياً أو فقيراً، قريباً أو بعيداً، ولكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم. 16
ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة
بين الوصفين، خوفاً أن ترد أعمالهم، وطمعاً في قبولها، خوفاً من عذاب الله، وطمعاً في ثوابه. ومما رزقناهم من الرزق، قليلاً كان أو كثيراً ينفقون
الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى. ولهذا قال: يدعون ربهم أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهم. خوفاً وطمعاً أي: جامعين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع أي: ترتفع جنوبهم، وتنزع عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو أذل عندهم منه وأحب إليهم، وهو
خطر على قلب بشر فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: جزاء بما كانوا يعملون 17
الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور، كما قال تعالى على لسان رسوله: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا
جزأؤهم، فقال: فلا تعلم نفس يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد ما أخفى لهم من قرة أعين من الخير

وأما

طاعة الله. أفيستوي هذان الشخصان؟ لا يستويون عقلاً وشرعاً، كما لا يستوي الليل والنهار، والضيء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة. 18
كان فاسقاً قد خرب قلبه، وتعطل من الإيمان، فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن
أفمن كان مؤمناً قد عمر قلبه بالإيمان، وانقادت جوارحه لشرائعه، واقتضى إيمانه آثاره وموجباته، من ترك مساخط الله، التي يضر وجودها بالإيمان. كمن
ينبه تعالى، العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين، وأن حكمته تقتضي عدم تساويهما فقال:
يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالأولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلاً، سوى الإيمان والعمل الصالح. 19
وسماع خطابه، نزل لهم أي: ضيافة، وقرى بما كانوا يعملون فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم، هي التي أوصلتهم لتلك المنازل العالية، التي لا
هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحل الأفراح، ونعيم القلوب، والنفوس، والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه،
وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فروض ونوافل فلهم جنات المأوى أي: الجنات التي

يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، أنه تنزيل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته. 2

الذي كنتم به تكذبون فهذا عذاب النار، الذي يكون فيه مقرهم ومأواهم، وأما العذاب الذي قبل ذلك، ومقدمة له وهو عذاب البرزخ، فقد ذكر بقوله: 20
فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج، لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ، ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، واشتد عليهم الكرب. وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
فسقوا فمأواهم النار أي: مقرهم ومحل خلودهم، النار التي جمعت كل عذاب وشقاء، ولا يفتر عنهم العقاب ساعة. كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها
وأما الذين

يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم كما قال تعالى: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون 21
أن ثم عذاباً أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار. ولما كانت الإذابة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم
الأدنى في برزخهم. وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلائلها ظاهرة، فإنه قال: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى أي: بعض جزء منه، فدل على
كما في قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطة أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون ثم يكمل لهم العذاب
نموذجاً من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفاً منه، قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت،
أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين،

بها، ولا اتبعها، بل أعرض عنها وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة، ولهذا قال: إنا من المجرمين منتقمون 22
والدنيوية، وتهيأ عن مضاره الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم، والانقياد والشكر، فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن
أي: لا أحد أظلم، وأزيد تعدياً، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته على أيدي رسله، تأمره، وتذكره مصالحه الدينية
فجعل الله هداية للناس كلهم، لأنه هداية للخلق، في أمر دينهم ودنياهم، إلى يوم القيامة، وذلك لكماله وعلوه وإنه في أم الكتاب لدينا لعلنا نعلم حكيماً 23
الذي آتيناه موسى هدى لبني إسرائيل يهتدون به في أصول دينهم، وفروعه وشرائعه موافقة لذلك الزمان، في بني إسرائيل. وأما هذا القرآن الكريم،
فتطابق حقهما، وثبت برهانهما، فلا تكن في مرية من لقائه لأنه قد تواردت أدلة الحق وبيناته، فلم يبق للشك والمرية، محل. وجعلناه أي: الكتاب

تفسير السعدي

وسلم، ذكر أنه ليس ببدع من الكتب، ولا من جاء به، بغريب من الرسل، فقد أتى الله موسى الكتاب الذي هو التوراة المصدقة للقرآن، التي قد صدقها القرآن، لما ذكر تعالى، آياته التي ذكر بها عباده، وهو: القرآن، الذي أنزله على محمد صلى الله عليه

عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذلك، فبالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين. 24
أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات. وكانوا بآياتنا يوقنون قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم. والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية يهدون بأمرنا أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، والمؤمنون به منهم، على وجعلنا منهم أي: من بني إسرائيل أئمة

على بني إسرائيل، بعض الذي يختلفون فيه، فكل خلاف وقع بينهم، ووجد في القرآن تصديق لأحد القولين، فهو الحق، وما عداه مما خالفه، باطل. 25
بنو إسرائيل، منهم من أصاب فيها الحق، ومنهم من أخطأه خطأ، أو عمداً، والله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وهذا القرآن يقص وثم مسائل اختلف فيها

للحشر والتناد. أفلا يسمعون آيات الله، فيعونها، فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح، وعقل رجيح، لم يقيموا على حالة يجزم بها، بالهلاك. 26
جاءتهم، وبطلان ما هم عليه، من الشرك والشر، وعلى أن من فعل مثل فعلهم، فعل بهم، كما فعل بأشباعه من قبل. وعلى أن الله تعالى مجازي العباد، وباعتهم الذين سلخوا مسلكتهم، يمشون في مساكنهم فيشاهدونها عياناً، كقوم هود، وصالح، وقوم لوط. إن في ذلك لآيات يستدل بها، على صدق الرسل، التي يعني: أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول، ويهدهم إلى الصواب. كم أهلكنا من قبلهم من القرون

ولكن غلب عليهم العمى، واستولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك، بصر الرجال، وإنما نظروا إلى ذلك، نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخير. 27
وهو طعام الآدميين. أفلا يبصرون تلك المنة، التي أحيا الله بها البلاد والعباد، فيستبصرون فيهدتدون بذلك البصر، وتلك البصيرة، إلى الصراط المستقيم، قبل موجودا فيها، فيفرغه فيها، من السحاب، أو من الأنهار. فنخرج به زرعاً أي: نباتاً، مختلف الأنواع تأكل منه أنعامهم وهو نبات البهائم وأنفسهم أولم يروا بأبصارهم نعمتنا، وكمال حكمتنا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي لا نبات فيها، فيسوق الله المطر، الذي لم يكن

جهلاً منهم ومعاندة. ويقولون متى هذا الفتح الذي يفتح بيننا وبينكم، بتعذيبنا على زعمكم إن كنتم أيها الرسل صادقين في دعواكم. 28
أي: يستعجل المجرمون بالعذاب، الذي وعدوا به على التكذيب،

للمحنة محل ف لا ينفع الذين كفروا إيمانهم لأنه صار إيمان ضرورة، ولا هم ينظرون أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم. 29
به شيئاً، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقيناً، لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر، ولم يبق قل يوم الفتح الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون

فيه، ما يوجب الريبة، لا بخبر لا يطابق للواقع ولا بخفاء واشتباه معانيه، وأنهم في ضرورة وحاجة إلى الرسالة، وأن فيه الهداية لكل خير وإحسان. 3
منهم الإيمان والتصديق التام به، وهو كونه من رب العالمين وأنه الحق والحق مقبول على كل حال، وأنه لا ريب فيه بوجه من الوجوه، فليس يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك لعلمهم يهدتدون من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه. وهذه الأشياء التي ذكرها الله كلها، مناقضة لتكذيبهم له: وإنها تقتضي قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك أي: في حالة ضرورة وفاقاة لإرسال الرسول، وإنزال الكتاب، لعدم النذير، بل هم في جهلهم يعمهون، وفي ظلمة ضلالهم رادا على من قال: افتراه: بل هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. من ربك أنزله رحمة للعباد لتندرد إنكار كلام الله، ورمي محمد صلى الله عليه وسلم، بأعظم الكذب، وقدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق. وكل واحد من هذه من الأمور العظام، قال الله وأنه لا ريب فيه، ولا شك، ولا امتراء، ومع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك: افتراه محمد، واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجرائم على ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم،

بك ريب المنون، ومتربصون بكم دوائر السوء، والعاقبة للتقوى. تم تفسير سورة السجدة بحول الله ومنه فله تعالى كمال الحمد والثناء والمجد. 30
خطابهم إلى حالة الجهل، واستعجال العذاب. وانتظر الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه، ولكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم ولا يتأخر. إنهم منتظرون فأعرض عنهم لما وصل

فتعلمون أن خالق الأرض والسموات، المستوي على العرش العظيم، الذي انفرد بتدبيركم، وتوليكم، وله الشفاعة كلها، هو المستحق لجميع أنواع العبادة. 4
استواء يليق بجلاله. ما لكم من دونه من ولي يتولاكم، في أموركم، فينفعكم ولا يشفع لكم، إن توجه عليكم العقاب. أفلا تتذكرون ستة أيام أولها، يوم الأحد، وآخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة، ولكنه تعالى رفيق حكيم. ثم استوى على العرش الذي هو سقف المخلوقات، يخبر تعالى عن كمال قدرته بخلق السماوات والأرض وما بينهما في

وينزل الأرزاق. ثم يعرج إليه أي: الأمر ينزل من عنده، ويعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وهو يعرج إليه، ويصله في لحظة. 5

تفسير السعدي

تلك التدابير من عند الملك القدير من السماء إلى الأرض فيسعد بها ويشقي، ويغني ويفقر، ويعز، ويذل، ويكرم، ويهين، ويرفع أقواما، ويضع آخرين، يدبر الأمر القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة

عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم فبسعة علمه، وكمال عزته، وعموم رحمته، أوجدها، وأودع فيها، من المنافع ما أودع، ولم يعسر عليه تدبيرها. 6

ذلك الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة، الذي استوى على العرش العظيم، وانفرد بالتدبير في المملكة،

وخلقه خلقا يليق به، ويوافقه، فهذا عام. ثم خص الآدمي لشرفه وفضله فقال: وبدأ خلق الإنسان من طين وذلك بخلق آدم عليه السلام، أبي البشر. 7

الذي أحسن كل شيء خلقه أي: كل مخلوق خلقه الله، فإن الله أحسن خلقه،

ثم جعل نسله أي: ذرية آدم ناشئة من ماء مهين وهو النطفة المستقذرة الضعيفة. 8

لكم السمع والأبصار أي: ما زال يعطيكم من المنافع شيئا فشيئا، حتى أعطاكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون الذي خلقكم وصوركم. 9

عضو منه، بالمحل الذي لا يليق به غيره، ونفخ فيه من روحه بأن أرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن الله، حيوانا، بعد أن كان جمادا. وجعل

ثم سواه بلحمه، وأعضائه، وأعصابه، وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل

سورة 33

وأظهر ضده. فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تطعمهم في بعض الأمور، التي تنقض التقوى، وتناقضها، ولا تتبع أهواءهم، فيضلوك عن الصواب. 1

النصيحة للخلق. ولا يصدك عن هذا المقصود صاد، ولا يردك عنه راد، فلا تطع كل كافر، قد أظهر العداوة لله ورسوله، ولا منافق، قد استبطن التكذيب والكفر، باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والتي يجب عليك منها، أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأد إلى عبادته وحيه، وابذل

أي: يا أيها الذي من الله عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك،

والأمر كما وصف الله: وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته. 10

القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، اليهود، الذين حوالي المدينة، فجاءوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة. وخذق رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المدينة، فحصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت

أهل مكة والحجاز، من فوقهم، وأهل نجد، من أسفل منهم، وتعاقدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق. وما لأتاهم طوائف

يذكر تعالى عباد المؤمنين، نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود

قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما وهنالك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون قال تعالى: 11

من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين. وعندما اشتد الكرب، وتفاقت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، ولما رأى المؤمنون الأحزاب

هنالك ابتلي المؤمنون بهذه الفتنة العظيمة وزلزلوا زلزالا شديدا بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر ولله الحمد

وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة ويصدق ظنه. 12

بعورة إن يريدون أي: ما قصدهم إلا فرارا ولكن جعلوا هذا الكلام، وسيلة وعذرا. لهم فهؤلاء قل إيمانهم، وليس له ثبوت عند اشتداد المحن. 13

إن بيوتنا عورة أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء، ونحن غيب عنها، فأذن لنا نرجع إليها، فحرسها، وهم كذبة في ذلك. وما هي

أصابعهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخلزوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال الله فيهم: ويستأنذ فريق منهم النبي يقولون

فهذه الطائفة تخذل عن الجهاد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة، شر الطوائف وأضرها، وطائفة أخرى دونهم،

يا أهل يثرب لا مقام لكم أي: في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المدينة، وكانوا عسكروا دون الخندق، وخارج المدينة، فارجعوا إلى المدينة،

باسم الوطن المنبئ عن التسمية فيه إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك، مجرد الخور الطبيعي.

وصاروا أيضا من المخذولين، فلا صبروا بأنفسهم، ولا تركوا الناس من شرهم، فقالت هذه الطائفة: يا أهل يثرب يريدون يا أهل المدينة فنادوهم

وإذ قالت طائفة منهم من المنافقين، بعد ما جزعوا وقل صبرهم،

بها إلا يسيرا أي: ليس لهم منعة ولا تصلب على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم. 14

لا كان ذلك ثم سئل هؤلاء الفتنة أي: الانقلاب عن دينهم، والرجوع إلى دين المستولين المتغلبين لآتوها أي: لأعطوها مبادرين. وما تلبثوا

ولو دخلت عليهم المدينة من أقطارها أي: لو دخل الكفار إليها من نواحيها، واستولوا عليها

والحال أنهم قد عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا سبأ لهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم إذا، بريهم؟ 15

ولتنعموا في الدنيا فإنكم لا تمتعون إلا قليلا متاعا، لا يسوى فراركم، وترككم أمر الله، وتفويتكم على أنفسكم، التمتع الأبدى، في النعيم السرمدى. 16

لم يعارضها القضاء والقدر، فإذا جاء القضاء والقدر، تلاشى كل سبب، وبطلت كل وسيلة، ظنها الإنسان تنجيه. وإذا حين فررتم لتسلموا من الموت والقتل،

تفسير السعدي

لا يفيدهم ذلك شيئا لن ينفعكم الفرار إن فررت من الموت أو القتل فلو كنتم في بيوتكم، لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعكم. والأسباب تنفع، إذا قل لهم، لانما على فرارهم، ومخبرا أنهم

ينصرهم، فيدفع عنهم المضار. فليمتثلوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الذي نفذت مشيئته، ومضى قدره، ولم ينفع مع ترك ولايته ونصرته، ولي ولا ناصر. 17 المانع، الضار النافع، الذي لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع السوء إلا هو. ولا يجدون لهم من دون الله وليا يتولاهم، فيجلب لهم النفع ولا نصيرا أي العبد شيئا إذا أراد الله بسوء، فقال: قل من ذا الذي يعصمكم أي: يمنعكم من الله إن أراد بكم سوءا أي: شرا، أو أراد بكم رحمة فإنه هو المعطي ثم بين أن الأسباب كلها لا تغني عن

بأنفسهم إلا قليلا فهم أشد الناس حرصا على التخلف، لعدم الداعي لذلك، من الإيمان والصبر، ووجود المقتضى للجبن، من النفاق، وعدم الإيمان. 18 هلم إلينا أي: ارجعوا، كما تقدم من قولهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وهم مع تعويقهم وتخذيلاهم ولا يأتون البأس أي: القتال والجهاد ثم توعد تعالى المخذلين المعوقين، وتهدهم فقال: قد يعلم الله المعوقين منكم عن الخروج، لمن لم يخرجوا والقائلين لإخوانهم الذين خرجوا: الله، شح أنفسهم، ووقفهم لبذل ما أمروا به، من بذل لأبدانهم في القتال في سبيله، وإعلاء كلمته، وأموالهم، للنفقة في طرق الخير، وجاههم وعلمهم. 19 ورأيه. أولئك الذين بتلك الحالة لم يؤمنوا بسبب عدم إيمانهم، أحبط الله أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيرا وأما المؤمنون، فقد وقاهم شحيا بما أمر به، شحيا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيا بجاهه، شحيا بعلمه، ونصيحته بكلام حديد، ودعاوى غير صحيحة. وحين تسمعهم، تظنهم أهل الشجاعة والإقدام، أشحة على الخير الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون وخوفا من إجبارهم على ما يكرهون، من القتال. فإذا ذهب الخوف وصاروا في حال الأمن والطمأنينة، سلقوكم بالسنة أي: خاطبوكم، وتكلموا معكم، بأموالهم وأنفسهم. فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت من شدة الجبن، الذي خلع قلوبهم، والقلق الذي أذهلهم، أشحة عليكم بأبدانهم عند القتال، وبأموالهم عند النفقة فيه، فلا يجاهدون

الله، بأن تعتمد على ربك، اعتماد من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين، الذي أمرت به. 2 في أهوائهم المضلة، حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره، وهو التوكل على فإنه هو الهدى والرحمة، وارج بذلك ثواب ربك، فإنه بما تعملون خبير، يجازيكم بحسب ما يعلمه منكم، من الخير والشر. فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطعهم و لكن اتبع ما يوحي إليك من ربك

عن أنبائكم، ماذا حصل عليكم؟ فتبا لهم، وبعدا، فليسوا ممن يبالى بحضورهم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا فلا تبالوهم، ولا تأسوا عليهم. 20 مرة ثانية مثل هذه المرة، ود هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة، ولا في القرب منها، وأنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم، ويسألون يستأصلوهم، فخاب ظنهم، وبطل حسبانهم. وإن يأت الأحزاب مرة أخرى يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم أي: لو أتى الأحزاب يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي: يظنون أن هؤلاء الأحزاب، الذين تحزبوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، لم يذهبوا حتى من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم. 21 السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسي بهم إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، في الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم. وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة عليه وسلم، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به. فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة. فالأسوة الحسنة، رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنفسه فيه؟ فتأسوا به في هذا الأمر وغيره. واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد لقد كان لكم في

وصدق الله ورسوله فإن رأينا، ما أخبرنا به وما زادهم ذلك الأمر إلا إيمانا في قلوبهم وتسليما في جوارحهم، وانقيادا لأمر الله. 22 تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب المؤمنين فقال: ولما رأى المؤمنون الأحزاب الذين تحزبوا، ونزلوا منازلهم، وانتهى الخوف، قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله في قوله: أم حسبتم أن لما ذكر حالة المنافقين عند الخوف، ذكر حال

على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال. 23 ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نجه ولما يكمله، وهو في رجاء تكمله، ساع في ذلك، مجد. وما بدلوا تبديلا كما بدل غيرهم، بل لم يزلوا فمنهم من قضى نجه أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديا لحقه، لم ينقصه شيئا. ومنهم من ينتظر تكميل المؤمنين به، فقال: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبلوا أنفسهم في طاعته. ولما ذكر أن المنافقين، عاهدوا الله، لا يولون الأدبار، ونقضوا ذلك العهد، ذكر وفاء

تفسير السعدي

لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب. رحيمًا بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، وستر عليهم ما اجترحوه. 24 للتوبة والإنابة، وهذا هو الغالب، على كرم الكريم، ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، والفضل، والإحسان فقال: إن الله كان غفورًا رحيمًا غفورًا حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه. إن شاء تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم. أو يتوب عليهم بأن يوفقهم ما قدرنا، من هذه الفتن والمحن، والزلازل، ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم، عند مع الله، واستواء ظاهريهم وباطنهم، قال الله تعالى: هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً الآية. أي: قدرنا ليحزي الله الصادقين بصدقهم أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم، وأحوالهم، ومعاملتهم

عزيزًا لا يغالبه أحد إلا غلب، ولا يستنصره أحد إلا غلب، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته. 25 بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين. وكفى الله المؤمنين القتال بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، وكان الله قويا وفرحوا بعددهم وعددهم. فأرسل الله عليهم، ريحا عظيمة، وهي ريح الصبا، فزعزعت مراكزهم، وقوضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم الله أي: ردهم خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مفتاظين قادرين عليه جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزيبهم، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا

فلم يقووا على القتال، بل استسلموا وخضعوا وذلوا. فريقا تقتلون وهم الرجال المقاتلون وتأسرون فريقا من عداهم من النساء والصبيان. 26 من أهل الكتاب أي: اليهود من صياصيههم أي: أنزلهم من حصونهم، نزولا مظفورا بهم، مجعولين تحت حكم الإسلام. وقذف في قلوبهم الرعب وأنزل الذين ظاهروهم أي: عاونوهم

المنة، وأسبغ عليهم النعمة، وأقر أعينهم، بخذلان من انخذل من أعدائهم، وقتل من قتلوا، وأسر من أسروا، ولم يزل لطف الله بعباده المؤمنين مستمرا. 27 في حصنهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم. فأتى الله لرسوله والمؤمنين، بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومالؤوا المشركين على قتاله. فلما خذل الله المشركين، تفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقتالهم، فحاصروهم رسول الله وكثرتهم، وقلة المسلمين، وظنوا أنهم سيستأصلون الرسول والمؤمنين، وساعد على ذلك، تدجيل بعض رؤسائهم عليهم، فنقضوا العهد الذي هاجر إلى المدينة، وادعاهم، وهادتهم، فلم يقاتلهم ولم يقاتلوه، وهم باقون على دينهم، لم يغير عليهم شيئا. فلما رأوا يوم الخندق، الأحزاب الذين تحزبوا على قدر لكم ما قدر. وكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب، هم بنو قريظة من اليهود، في قرية خارج المدينة، غير بعيدة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، حين أهلها، لا تتمكنون من وطنها، فمكنكم الله وخذلهم، وغنمتم أموالهم، وقتلتهمهم، وأسرتهمهم. وكان الله على كل شيء قديرا لا يعجزه شيء، ومن قدرته، وأورثكم أي: غنمكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطنوها أي: أرضا كانت من قبل، من شرفها وعزتها عند

الدنيا وأسرحكن أي: أفرقكن سراحا جميلا من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشرح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي. 28 لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها، وتغضبن لفقدائها، فليس لي فيكن أرب وحاجة، وأنتن بهذه الحال. فتعالين أمتعن شيئا مما عندي، من يرفع درجة زواجه، ويذهب عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخبرهن فقال: يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا أي: ليس يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، شق ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرا. فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن لما اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم

القلب واضطرابه، وهمه وغمه ومنها: أن يكون اختيارهن هذا، سببا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يكن بمرتبة، ليس فيها أحد من النساء، ولهذا قال: 29 للطيبات ومنها: أن هذا التخيير داع، وموجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق والآخره. ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات والطيبات للطيبين والطيبون الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها. ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكن زواجه في الدنيا التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه. ومنها: إظهار رفعتهم، وعلو درجاتهن، وبيان علو همهن، أن كان الله ورسوله والدار على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها. ومنها: سلامة زواجه، رضي الله عنهن، عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله. فحسم الله بهذا التخيير عنهن، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ومنها: تنزيهه عما لو كان فيهن، من تؤثر الدنيا برسوله، وبغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زواجه الدنيوية. ومنها: سلامته صلى الله عليه وسلم، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، الله عليه وسلم في ذلك، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن. وفي هذا التخيير فوائد عديدة: منها: الاعتناء وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئا، مع عدم الإحسان، فخيرهن رسول الله صلى الدنيا وضيقتها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما رتب الأجر على وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة أي: هذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لكن الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة

الضعيف، الذي فوض أمره لسيده، قد قام بأمور لا تقوم بها أمة من الناس، وقد سهل الله عليه ما كان يصعب على فحول الرجال وبالله المستعان. 3

تفسير السعدي

لا تسأل عن كل أمر يتيسر، وصعب يسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشُرور ترفع. وهناك ترى العبد به من كل أحد، خصوصا خواص عبيده، الذين لم يزل يرببهم ببره، ويدر عليهم بركاته الظاهرة والباطنة، خصوصا وقد أمره بإلقاء أموره إليه، ووعدته، فهناك للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف وثق بالله في حصول ذلك الأمر على أي حال كان. وكفى بالله وكيفا توكل إليه الأمور، فيقوم بها، وبما هو أصلح

أجرهن، ومضاعفة وزرهن وإثمهن، لو جرى منهن، ليزداد حذرهن، وشكرهن الله تعالى، فجعل من أتى منهن بفاحشة ظاهرة، لها العذاب ضعفين. 30
لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ذكر مضاعفة

نؤتها أجرها مرتين أي: مثل ما نعطي غيرها مرتين، وأعتدنا لها رزقا كريما وهي الجنة، ففقتن لله ورسوله، وعملن صالحا، فعلم بذلك أجرهن. 31
ومن يقنت منكن أي: تطيع لله ورسوله وتعمل صالحا قليلا أو كثيرا،

وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به. 32
يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فليعرف أن ذلك مرض. فليجتهد في إضعاف هذا المرض في قلبه مرض مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم، والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه فيما رحمة من الله لنت لهم وقال لموسى وهارون: اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولنا لعله يتذكر أو يخشى ودل قوله: فيطمع الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلم كلاما لنا، ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم، فإن هذا، لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح الله رسوله باللين، فقال: فلا تخضعن بالقول ولم يقل: فلا تلتن بالقول وذلك لأن المنهي عنه، القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع، هو الذي في القول، فربما توهم أنهم مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: وقلن قولنا معروفا أي: غير غليظ، ولا جاف كما أنه ليس بلين خاضع. وتأمل كيف قال: واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلتين لهم القول. ولما نهاهن عن الخضوع ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجب، يدعو إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاضى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول، حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تميله ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض. بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على الذي في قلبه مرض أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما أرشدن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: فلا تخضعن بالقول أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فتلتن في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع لهن كلهن لستن كأحد من النساء إن اتقيتن الله، فإنكن بذلك، تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكلمن اتقوى بجميع وسائلها ومقاصدها. فهذا يقول تعالى: يا نساء النبي خطاب

محض مصلحتكم، لم يرد الله أن يجعل عليكم بذلك حرجا ولا مشقة، بل لتتزكى نفوسكم، ولتتطهر أخلاقكم، وتحسن أعمالكم، ويعظم بذلك أجركم. 33
يا أهل البيت ويطهركم تطهيرا حتى تكونوا طاهرين مطهرين. أي: فاحمدوا ربكم، واشكروا على هذه الأوامر والنواهي، التي أخبركم بمصلحتها، وأنها كل أمر، أمرا به أمر إيجاب أو استحباب. إنما يريد الله بأمركن بما أمركن به، ونهيكن بما نهاكن عنه، ليذهب عنكم الرجس أي: الأذى، والشر، والخبث، وفي الصلاة، الإخلاص للمعبود، وفي الزكاة، الإحسان إلى العبيد. ثم أمرهن بالطاعة عموما، فقال: وأطعن الله ورسوله يدخل في طاعة الله ورسوله، عليها لحاجة النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعة، خصوصا الصلاة والزكاة، اللتان يحتاجهما، ويضطر إليهما كل أحد، وهما أكبر العبادات، وأجل الطاعات، أو متطبيقات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه. ولما أمرهن بالتقوى عموما، وبجزئيات من التقوى، نص وقرن في بيوتكن أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكن، ولا تبرزن تبرج الجاهلية الأولى أي: لا تكثرن الخروج متجملات

لا يشعر بها، ويسوق إليه من الرزق، ما لا يدريه، وبيره من الأسباب، التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقا له إلى أعلى الدرجات، وأرفع المنازل. 34
حثهن على الإخلاص وإسرار الأعمال، ومجازاة الله على تلك الأعمال. ومن معاني اللطيف الذي يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر، بطرق خفية به وتأويله. إن الله كان لطيفا خبيرا يدرك أسرار الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا السماوات والأرض، والأعمال التي تبين وتسر. فلطفه وخبيرته، يقتضي الله، القرآن. والحكمة، أسرار. وسنة رسوله. وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكير فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل ولما أمرهن بالعمل، الذي هو فعل وترك، أمرهن بالعلم، وبين لهن طريقه، فقال: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة والمراد بآيات

يذهبن السيئات. وأجرا عظيما لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم. 35
وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان. فجازاهم على عملهم بالمغفرة لذنوبهم، لأن الحسنات بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي، ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، أي: في أكثر الأوقات، خصوصا أوقات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات والذاكرات أعد الله لهم أي: لهؤلاء الموصوفين والمتصدقات والصائمين والصائمات شمل ذلك، الفرض والنفل. والحافظين فروجهم عن الزنا ومقدماته، والحافظات والذاكرين الله كثيرا والمصابرات والخاشعين في جميع أحوالهم، خصوصا في عباداتهم، خصوصا في صلواتهم، والخاشعات والمتصدقين فرضا ونفلا

تفسير السعدي

عقائد القلب وأعماله. والقانتين أي: المطيعين لله ولرسوله والقانتات والصادقين في مقالهم وفعالهم والصادقات والصابرين على الشدائد الحكم مشتركا، فقال: إن المسلمين والمسلمات وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائلين بها. والمؤمنين والمؤمنات وهذا في الأمور الباطنة، من صلى الله عليه وسلم، وعقابهن لو قدر عدم الامتثال وأنه ليس مثلن أحد من النساء، ذكر بقية النساء غيرهن. ولما كان حكمهن والرجال واحدا، جعل لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول

فذكر أولا السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال. 36 ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا أي: بينا، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها، من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابا بينه وبين أمر الله ورسوله. وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا من الأمور، وحتمًا به وألزمًا به أن يكون لهم الخيرة من أمرهم أي: لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله،

زوجها وطهره منها، ولا يقضي وطره، حتى تنقضي عدتها، لأنها قبل انقضاء عدتها، هي في عصمتها، أو في حقه الذي له وطر إليها، ولو من بعض الوجوه. 37 وتقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات. ومنها: أن المرأة، إذا كانت ذات زوج، لا يجوز نكاحها، ولا السعي فيه وفي أسبابه، حتى يقضي حيث تولى الله تزويجها، من رسوله صلى الله عليه وسلم، من دون خطبة ولا شهود، ولهذا كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحسن من الفرقة. ومنها: أنه يتعين أن يقدم العبد خشية الله، على خشية الناس، وأنها أحق منها وأولى. ومنها: فضيلة زينب رضي الله عنها أم المؤمنين، فتقدم مصلحة المستشار على هوى نفسه وغرضه. ومنها: أن من الرأي: الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمساكها مهما أمكن صلاح الحال، فهو إليه، ولا يريد تعظيم نفسه. ومنها: أن المستشار مؤتمن، يجب عليه إذا استشير في أمر من الأمور أن يشير بما يعلمه أصلح للمستشير ولو كان له حظ نفس، عليه وسلم، قد بلغ البلاغ المبين، فلم يدع شيئا مما أوحى إليه، إلا وبلغه، حتى هذا الأمر، الذي فيه عتابه. وهذا يدل، على أنه رسول الله، ولا يقول إلا ما أوحى من غير أن يسعى في فرقة بينهما، أو يتسبب بأي سبب كان، لأن الله أخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أخفى ذلك في نفسه. ومنها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم، المحبة التي في قلب العبد، لغير زوجته ومملوكته، ومحارمه، إذا لم يقترب بها محذور، لا يأنم عليها العبد، ولو اقترن بذلك أمنيتها، أن لو طلقها زوجها، لتزوجها المعتق. ومنها: جواز تزوج زوجة الدعي، كما صرح به. ومنها: أن التعليم الفعلي، أبلغ من القول، خاصة، إذا اقترن بالقول، فإن ذلك، نور على نور. ومنها: أن الإيمان. وهذه شهادة من الله له أنه مسلم مؤمن، ظاهرا وباطنا، وإلا، فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن المراد بها، النعمة الخاصة. ومنها: أن المعتق في نعمة زيد بن حارثة، وذلك من وجهين: أحدهما: أن الله سماه في القرآن، ولم يسم من الصحابة باسمه غيره. والثاني: أن الله أخبر أنه أنعم عليه، أي: بنعمة الإسلام إذا قضا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا أي: لا بد من فعله، ولا عائق له ولا مانع. وفي هذه الآيات المشتملات على هذه القصة، فوائد، منها: الثناء على لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديانهم عاما في جميع الأحوال، وكان من الأحوال، ما لا يجوز ذلك، وهي قبل انقضاء وطره منها، قيد ذلك بقوله: وهي: لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديانهم حيث رأوك تزوجت، زوج زيد بن حارثة، الذي كان من قبل، ينتسب إليك. ولما كان قوله: لكي أحق أن تخشاه وأن لا تباليهما شيئا، فلما قضى زيد منها وطرا أي: طابت نفسه، ورغب عنها، وفارقها. زوجها. وإنما فعلنا ذلك، لفائدة عظيمة، به. وتخفي في نفسك ما الله مبدية والذي أخفاه، أنه لو طلقها زيد، لتزوجها صلى الله عليه وسلم. وتخشى الناس في عدم إبداء ما في نفسك والله عليك زوجك أي: لا تفارقها، واصبر على ما جاءك منها، واتق الله تعالى في أمورك عامة، وفي أمر زوجك خاصة، فإن التقوى، تحت على الصبر، وتأمّر أنعم الله عليه أي: بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق حين جاءك مشاورا في فراقها: فقلت له ناصحا له ومخبرا بمصلحته مع وقوعها في قلبك: أمسك زيد، لتزوجها، فقدّر الله أن يكون بينها وبين زيد، ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في فراقها. قال الله: وإذ تقول للذي لآبائهم فقليل له: زيد بن حارثة. وكانت تحتها، زينب بنت جحش، ابنة عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد وقع في قلب الرسول، لو طلقها وإذا أراد الله أمرا، جعل له سببا، وكان زيد بن حارثة يدعى زيد بن محمد قد تنبأه النبي صلى الله عليه وسلم، فصار يدعى إليه حتى نزل ادعواهم لا جناح على من تبناهم، في نكاحهن. وكان هذا من الأمور المعتادة، التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولا من رسوله، وفعلا، وكان سبب نزول هذه الآيات، أن الله تعالى أراد أن يشرع شرعا عاما للمؤمنين، أن الأديان ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، من جميع الوجوه وأن أزواجهم، له من الزوجات، فإن هذا، قد أباحه الله للأنبياء قبله، ولهذا قال: سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا أي: لا بد من وقوعه. 38 صلى الله عليه وسلم، في كثرة أزواجه، وأنه طعن، بما لا مطعن فيه، فقال: ما كان على النبي من حرج أي: إثم وذنب. فيما فرض الله له أي: قدر هذا دفع لظعن من طعن في الرسول

كل محذور، دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه. وكفى بالله حسيبا محاسبا عباده، مراقبا أعمالهم. وعلم من هذا، أن النكاح، من سنن المرسلين. 39 في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها، أتم القيام، وهو: دعوة الخلق إلى الله، والخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك الله فيتلون على العباد آيات الله، وحججه وبراهينه، ويدعونهم إلى الله ويخشونه وحده لا شريك له ولا يخشون أحدا إلا الله. فإذا كان هذا، سنة ثم ذكر من هم الذين من قبل قد خلوا، وهذه سنتهم وعادتهم، وأنهم الذين يبلغون رسالات

تفسير السعدي

وليست من هدايته، لأنه لا يهدي إلا إلى السبيل المستقيمة، والطرق الصادقة. وإن كان ذلك واقعا بمشيئته، فمشيئته عامة، لكل ما وجد من خير وشر. 4
الحق أي: اليقين والصدق، فلذلك أمركم باتباعه، على قوله وشرعه، فقوله، حق، وشرعه حق، والأقوال والأفعال الباطلة، لا تنسب إليه بوجه من الوجوه،
كهذا. ذلك القول، الذي تقولون في الدعي: إنه ابن فلان، الذي ادعاه، أو والده فلان قولكم بأفواهكم أي: قول لا حقيقة له ولا معنى له. والله يقول
الأدعياء الذين تدعونهم، أو يدعون إليكم، أبناءكم، فإن أبناءكم في الحقيقة، من ولدتموهم، وكانوا منكم، وأما هؤلاء الأدعياء من غيركم، فلا جعل الله هذا
يبطله ويزيله، فقدم بين يدي ذلك بيان قبحه، وأنه باطل وكذب، وكل باطل وكذب، لا يوجد في شرع الله، ولا يتصف به عباد الله. يقول تعالى: فإله لم يجعل
أبناءكم والأدعياء، الولد الذي كان الرجل يدعيه، وهو ليس له، أو يدعى إليه، بسبب تنبيه إياه، كما كان الأمر بالجاهلية، وأول الإسلام. فأراد الله تعالى أن
كما قال تعالى: الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وما جعل أدعياءكم
الله أمهاتكم أمك من ولدك، وصارت أعظم النساء عليكم، حرمة وتحريما، وزوجتك أحل النساء لك، فكيف تشبه أحد المتناقضين بالآخر؟ هذا أمر لا يجوز،
فتكونوا كاذبين على الخلقة الإلهية. وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن بأن يقول أحدكم لزوجته: أنت علي كظهر أمي أو كأمي فما جعلهن
المذكورة، لوقوعها، وشدة الحاجة إلى بيانها، فقال: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه هذا لا يوجد، فإياكم أن تقولوا عن أحد: إن له قلبين في جوفه،
وزور، يترتب عليه منكرات من الشرع. وهذه قاعدة عامة في التكلم في كل شيء، والإخبار بوقوع وجود، ما لم يجعله الله تعالى. ولكن خص هذه الأشياء
عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما لا حقيقة له من الأقوال، ولم يجعله الله تعالى كما قالوا، فإن ذلك القول منكم كذب
يعاتب تعالى عباده عن التكلم بما ادعوههم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم وليس

كانه أب لهم. وكان الله بكل شيء عليما أي: قد أحاط علمه بجميع الأشياء، ويعلم حيث يجعل رسالاته، ومن يصلح لفضله، ومن لا يصلح. 40
أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المهتدى به، المؤمن له الذي يجب تقديم محبته، على محبة كل أحد، الناصح الذي لهم، أي: للمؤمنين، من بره ونصحه
صلى الله عليه وسلم، أب للمؤمنين كلهم، وأزواجه أمهاتهم، فاحترز أن يدخل في هذا النوع، بعموم النهي المذكور، فقال: ولكن رسول الله وخاتم النبيين
هذا الباب. ولما كان هذا النفي عاما في جميع الأحوال، إن حمل ظاهر اللفظ على ظاهره، أي: لا أبوة نسب، ولا أبوة ادعاء، وقد كان تقرر فيما تقدم أن الرسول
أي: لم يكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أبأ أحد من رجالكم أيها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه، من

على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح. 41
قرية إلى الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان، أورد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب. وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات،
يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرا كثيرا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه
وسبحوه بكرة وأصيلا أي: أول النهار وآخره، لفضلها، وشرفها، وسهولة العمل فيها. 42

وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تقي السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدنيا. 43
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم
والإكثار من ذكر الله، الذي لطف بهم ورحمهم، وجعل حملة عرشه، أفضل الملائكة، ومن حوله، يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا فيقولون:
ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان، والتوفيق، والعلم، والعمل، فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعي منهم شكرها،
أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم، وتناثه، وصلاة ملائكته ودعائهم،

وجهه الجميل، وحصول الأجر الكبير، الذي لا يدري ولا يعرف كنهه، إلا ما أعطاهم إياه، ولهذا قال: تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما 44
وأما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، وأفضل ثواب، وهو الفوز برضا ربهم، وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية

والظلم، وفي الآخرة، بالعقاب الوبيل، والعذاب الطويل. وهذه الجملة تفصيلها، ما جاء به صلى الله عليه وسلم، من الكتاب والسنة، المشتمل على ذلك. 45
التقوى، وأنواع الثواب. والمنذر هم، هم: المجرمون الظالمون، أهل الظلم والجهل، لهم النذارة في الدنيا، من العقوبات الدنيوية والدينية، المترتبة على الجهل
الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رتب على الإيمان والتقوى، وفي الآخرة بالنعيم المقيم. وذلك كله يستلزم، ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال، وخصال
وما يبشر به وينذر، والأعمال الموجبة لذلك. فالمبشر هم: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة
بشهادة وجنتنا بك على هؤلاء شهيدا فهو صلى الله عليه وسلم شاهد عدل مقبول. الثاني، والثالث: كونه مبشرا ونذيرا وهذا يستلزم ذكر المبشر والمنذر،
أي: شاهدا على أمته بما عملوه، من خير وشر، كما قال تعالى: لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف إذا جئنا من كل أمة
التي وصف الله بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، هي المقصود من رسالته، وزيدتها وأصولها، التي اختص بها، وهي خمسة أشياء: أحدها: كونه شاهدا
هذه الأشياء،

به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة. 46
به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضلالا إلى الصراط المستقيم. فأصبح أهل الاستقامة، قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا
منيرا وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم، يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله

تفسير السعدي

نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بإذن الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره. الخامس: كونه سراجاً وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى ويسوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، داعياً إلى الله أي: أرسله الله، يدعو الخلق إلى ربهم،

وهذا من جملة حكم الشرع، كما أن من حكمه، أن يذكر في مقام الترهيب، العقوبات المترتبة على ما يرهب منه، ليكون عوناً على الكف عما حرم الله. 47 ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه. وهذا مما ينشط العاملين، أن يذكر لهم، من ثواب الله على أعمالهم، ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم، الجليل، الذي لا يقادر قدره، من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشف الكرب، وكثرة الأرزاق الدارة، وحصول النعم السارة، والفوز برضا كبيرا ذكر في هذه الجملة، المبشر، وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة. وذكر المبشر به، وهو الفضل الكبير، أي: العظيم وقوله: وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا

أذيتهم له، ولأهله. وتوكل على الله في إتمام أمرك، وخذلان عدوك، وكفى بالله وكيلاً توكل إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، ويسهلها على عبده. 48 في كل أمر يصد عن سبيل الله، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، بل لا تطعمهم ودع أذاهم فإن ذلك، جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من الموافقة في الإيمان، وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهراً وباطناً، نهى الله رسوله عن طاعتهم، وحذره ذلك فقال: ولا تطع الكافرين والمنافقين أي: ولما كان ثم طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى الله، من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون، الذين أظهروا

بالوفاة، تعتد مطلقاً، لقوله: ثم طلقتموهن الآية وعلى أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة. 49 بالآخر، شيء كثير. وعلى أن العدة حق للزوج، لقوله: فما لكم عليهن من عدة دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس، كان له عليها عدة وعلى أن المفارقة زوجته قبل الدخول أو بعده، أن يكون الفراق جميلاً، يحمد فيه كل منهما الآخر. ولا يكون غير جميل، فإن في ذلك، من الشر المرتب عليه، من قدح كل منهما المقتر قدره، ولكن هذا، إذا لم يفرض لها مهر، فإن كان لها مهر مفروض، فإنه إذا طلق قبل الدخول، تنصف المهر، وكفى عن المتعة، وعلى أنه ينبغي لمن فارق الخلفاء الراشدين، وهو الصحيح. فمن دخل عليها، وطنها، أم لا، إذا خلا بها، وجب عليها العدة. وعلى أن المطلقة قبل المسيس، تمتع على الموسع قدره، وعلى وعلى أن عليها العدة، بعد الدخول. وهل المراد بالدخول والمسيس، الوطء كما هو مجمع عليه؟ أو وكذلك الخلوة، ولو لم يحصل معها وطء، كما أفتى بذلك الأخرى لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن وعلى أن المطلقة قبل الدخول، لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها، يجوز لها التزوج، حيث لا مانع، الطلاق، لأن الله أخبر به عن المؤمنين، على وجه لم يلمهم عليه، ولم يؤنبهم، مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين. وعلى جوازه قبل المسيس، كما قال في الآية تام، لا يقع قبل النكاح، فالتحريم الناقص، لظهار، أو إيلاء ونحوه، من باب أولى وأحرى، أن لا يقع قبل النكاح، كما هو أصح قولي العلماء. ويدل على جواز يقع، لقوله: إذا نكحت المؤمنات ثم طلقتموهن فجعل الطلاق بعد النكاح، فدل على أنه قبل ذلك، لا محل له. وإذا كان الطلاق الذي هو فرقة تامة، وتحريم ولا مشامة، ولا مطالبة، ولا غير ذلك. ويستدل بهذه الآية، على أن الطلاق، لا يكون إلا بعد النكاح. فلو طلقها قبل أن ينكحها، أو علق طلاقها على نكاحها، لم عليهن، وأمرهم بتمتعين بهذه الحالة، بشيء من متاع الدنيا، الذي يكون فيه جبر لخواترهن، لأجل فراقهن، وأن يفارقوهن فراقاً جميلاً، من غير مخاصمة، يخبر تعالى المؤمنين، أنهم إذا نكحوا المؤمنات، ثم طلقوهن من قبل أن يمسهن، فليس عليهن في ذلك، عدة يعتدها أزواجهن

غفر لكم ورحمكم، حيث لم يعاقبكم بما سلف، وسمح لكم بما أخطأتم به، ورحمكم حيث بين لكم أحكامه التي تصلح دينكم وديناكم، فله الحمد تعالى. 5 في الباطن، غير أبيه، فليس عليكم في ذلك حرج، إذا كان خطأ، ولكن يؤاخذكم بما تعمدت قلوبكم من الكلام، بما لا يجوز. وكان الله غفورا رحيمًا وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به بأن سبق على لسان أحدكم، دعوته إلى من تنباه، فهذا غير مؤاخذ به، أو علم أبوه ظاهراً، فدعوتوه إليه وهو اقتصر على ما يعلم منهم، وهو أخوة الدين والموالة، فلا تظنوا أن حالة عدم علمكم بأبائهم، عذر في دعوتهم إلى من تنباههم، لأن المحذور لا يزول بذلك. بالأخوة الإيمانية الصادقة، والموالة على ذلك، فترك الدعوة إلى من تنباههم حتم، لا يجوز فعلها. وأما دعاؤهم لأبائهم، فإن علموا، دعوا إليهم، وإن لم يعلموا، أي: أعدل، وأقوم، وأهدى. فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فإخوانكم في الدين ومواليكم أي: إخوانكم في دين الله، ومواليكم في ذلك، فادعوهم ثم صرح لهم بترك الحالة الأولى، المتضمنة للقول الباطل فقال: ادعوهم أي: الأدعياء لأبائهم الذين ولدوهم هو أقسط عند الله

رحيماً أي: لم يزل متصفاً بالمغفرة والرحمة، وينزل على عباده من مغفرته ورحمته، وجوده وإحسانه، ما اقتضته حكمته، ووجدت منهم أسبابه. 50 لم نبه لهم، ووسعنا لك ما لم نوسع على غيرك، لكيلا يكون عليك حرج وهذا من زيادة اعتناء الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم. وكان الله غفورا لكون الله جعله خطاباً للرسول وحده بقوله: يا أيها النبي إنا أحللنا لك إلى آخر الآية. وقوله: خالصة لك من دون المؤمنين وأبחנו لك يا أيها النبي ما ما على المؤمنين، وما يحل لهم، وما لا يحل، من الزوجات وملك اليمين. وقد علمناهم بذلك، وبيننا فرائضه. فما في هذه الآية، مما يخالف ذلك، فإنه خاص لك، الموهبة وأما المؤمنون، فلا يحل لهم أن يتزوجوا امرأة، بمجرد هبتها نفسها لهم. قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم أي: قد علمنا إن وهبت نفسها للنبي بمجرد هبتها نفسها. إن أراد النبي أن يستنكحها أي: هذا تحت الإرادة والرغبة، خالصة لك من دون المؤمنين يعني: إباحة للرسول، كما هو الصواب من القولين، في تفسير هذه الآية، وأما غيره عليه الصلاة والسلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة. و أحللنا لك وامرأة مؤمنة

تفسير السعدي

عداهن من الفروع مطلقا، والأصول مطلقا، وفروع الأب والأم، وإن نزلوا، وفروع من فوقهم لصلبه، فإنه لا يباح. وقوله اللاتي هاجرن معك قيد لحل هؤلاء حصر المحلات. يؤخذ من مفهومه، أن ما عداهن من الأقارب، غير محلل، كما تقدم في سورة النساء، فإنه لا يباح من الأقارب من النساء، غير هؤلاء الأربع، وما مشترك. وكذلك من المشترك، قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك شمل العم والعمة، والخال والخالة، القريبين والبعيد، وهذا لك ما ملكت يمينك أي: الإماء التي ملكت مما أفاء الله عليك من غنيمة الكفار من عبيدهم، والأحرار من لهن زوج منهم، ومن لا زوج لهن، وهذا أيضا مهورهن، من الزوجات، وهذا من الأمور المشتركة بينه وبين المؤمنين، فإن المؤمنين كذلك يباح لهم ما أتوهن أجورهن، من الأزواج. وكذلك أحللنا رسوله بإحلاله له ما أحل مما يشترك فيه، هو والمؤمنون، وما ينفرد به، ويختص: يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن أي: أعطيتهن يقول تعالى، ممتنا على

كثير الحلم. ومن علمه، أن شرع لكم ما هو أصلح لأموركم، وأكثر لأجوركم. ومن حلمه، أن لم يعاقبكم بما صدر منكم، وما أصرت عليه قلوبكم من الشر. 51 الواجبة والمستحبة، وعند المزامحة في الحقوق، فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول الله، لتطمئن قلوب زوجاتك. وكان الله عليما حليما أي: واسع العلم، ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن لعلهن أنك لم تترك واجبا، ولم تفرط في حق لازم. والله يعلم ما في قلوبكم أي: ما يعرض لها عند أداء الحقوق أعلم ثم بين الحكمة في ذلك فقال: ذلك أي: التوسعة عليك، وكون الأمر راجعا إليك وببيدك، وكون ما جاء منك إليهن تبرعا منك أدنى أن تقر أعينهن كله وقال كثير من المفسرين: إن هذا خاص بالواهبات، له أن يرجي من يشاء، ويؤوي من يشاء، أي: إن شاء قبل من وهبت نفسها له، وإن شاء لم يقبلها، والله من تشاء أي: تضمنها وتبيت عندها. ومع ذلك لا يتعين هذا الأمر من ابتغيت أي: أن تؤويها فلا جناح عليك والمعنى أن الخيرة بيدك في ذلك أملك، فلا تلمني فيما لا أملك. فقال هنا: ترجي من تشاء منهن أي: تؤخر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك، ولا تبيت عندها وتؤوي إليك الوجوب، وأنه إن فعل ذلك، فهو تبرع منه، ومع ذلك، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في القسم بينهن في كل شيء، ويقول اللهم هذا قسمي فيما وهذا أيضا من توسعة الله على رسوله ورحمته به، أن أباح له ترك القسم بين زوجاته، على وجه

في الإضرار للزوجات. وكان الله على كل شيء رقيبا أي: مراقبا للأمر، وعالما بما إليه تؤول، وقائما بتدبيرها على أكمل نظام، وأحسن إحكام. 52 حسنهن أي: حسن غيرهن، فلا يحللن لك إلا ما ملكت يمينك أي: السراي، فذلك جائز لك، لأن المملوكات، في كراهة الزوجات، لسن بمنزلة الزوجات، بعضهن، فتأخذ بدلها. فحصل بهذا، أمنهن من الضرائر، ومن الطلاق، لأن الله قضى أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، لا يكون بينه وبينهن فرقة. ولو أعجبك والدار الآخرة، أن رحمهن، وقصر رسوله عليهن فقال: لا يحل لك النساء من بعد زوجاتك الموجودات ولا أن تبدل بهن من أزواج أي: ولا تطلق وهذا شكر من الله، الذي لم يزل شكورا، لزوجات رسوله، رضي الله عنهن، حيث اخترن الله ورسوله،

زوجاته بعده، لأحد من أمته. إن ذلكم كان عند الله عظيما وقد امتثلت هذه الأمة، هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه، ولله الحمد والشكر. 53 التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته بعده محل بهذا المقام. وأيضا، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح رسول الله أي: أدية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه صلى الله عليه وسلم، له مقام البعد عنها، بكل طريق. ثم قال كلمة جامعة وقاعدة عامة: وما كان لكم يا معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء أن تؤذوا الشر، فإنه أسلم له، وأظهر لقلبه. فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع، فيه التفصيل، الذي ذكره الله، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى أو نحوها، فإنهن يسألن من وراء حجاب أي: يكون بينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه. فصار النظر إليهن ممنوعا بكل حال، وكلامهن فإنه، إما أن يحتاج إلى ذلك، أو لا يحتاج إليه، فإن لم يحتج إليه، فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتج إليه، كأن يسألن متاعا، أو غيره من أواني البيت شيء. والله تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كأنما ما كان. فهذا أدبهم في الدخول في بيوته، وأما أدبهم معه في خطاب زوجاته، من الحق فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في لكم: اخرجوا كما هو جاري العادة، أن الناس وخصوصا أهل الكرم منهم يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، و لكن الله لا يستحيي أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، كان يؤذي النبي أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه فيستحيي منكم أن يقول ولهذا قال: ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث أي: قبل الطعام وبعده. ثم بين حكمة النهي وفائدته فقال: إن ذلك ومتأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين: الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام. وأيضا لا تكونوا ناظرين إناه أي: منتظرين يأمر تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في دخول بيوته فقال: يا أيها الذين

ثم قال تعالى: إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما يعلم ما في قلوبكم، وما أظهرتموه، فيجازيكم عليه. 54

إن الله كان على كل شيء شهيدا يشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك، أتم الجزاء وأوفاه. 55 رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فيه وفي غيره، لزوم تقوى الله، وأن لا يكون في محذور شرعي فقال: واتقوا الله أي: استعملوا تقواه في جميع الأحوال

تفسير السعدي

فيكون ذلك مخرجاً لنساء الكفار، ويحتمل أن المراد جنس النساء، فإن المرأة لا تحتجب عن المرأة. ولا ما ملكت أيماهن ما دام العبد في ملكها جميعه. ولما بذكر العم والخال، مقدمة، على ما يفهم من هذه الآية. وقوله ولا نساكن أي: لا جناح عليهن ألا يحتجن عن نساكنهن، أي: اللاتي من جنسهن في الدين، هن عماته ولا خالاته، من أبناء الإخوة والأخوات، مع رفعتهن عليهم، فعدم احتجابهن عن عمهن وخالهن، من باب أولى، ولأن منطوق الآية الأخرى، المصرحة أن يستثنى منه هؤلاء المذكورون، من المحارم، وأنه لا جناح عليهن في عدم الاحتجاب عنهم. ولم يذكر فيها الأعمام، والأخوال، لأنهن إذا لم يحتجن عنن لما ذكر أنهن لا يسألن متاعاً إلا من وراء حجاب، وكان اللفظ عاماً لكل أحد احتيج

كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة 56 الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيماً له صلى الله عليه وسلم، ومحبة وإكراماً، وزيادة في حسناتكم، وتكفيراً من سيئاتكم وأفضل هينات الصلاة عليه له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. وإن الله تعالى وملائكته يصلون عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملائكة الأعلى، لمحبتة تعالى وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفعة درجته، وعلو

لا يؤمن العبد بالله، حتى يؤمن برسوله صلى الله عليه وسلم. وله من التعظيم، الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره. 57 الرسول، وأذاه، والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً جزاء له على أذاه، أن يؤذي بالعباد الآليم، فأذية الرسول، ليست كأذية غيره، لأنه صلى الله عليه وسلم من سب وشتم، أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى. لعنهم الله في الدنيا أي: أبعدهم وطردهم، ومن لعنهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم صلى الله عليه وسلم، والصلاة والسلام عليه، نهى عن أذيته، وتوعد عليها فقال: إن الذين يؤذون الله ورسوله وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، لما أمر تعالى بتعظيم رسوله

سب آحاد المؤمنين، موجبا للتعزير، بحسب حالته وعلو مرتبته، فتعزير من سب الصحابة أبلغ، وتعزير من سب العلماء، وأهل الدين، أعظم من غيرهم. 58 للأذى فقد احتملوا على ظهورهم بهتاناً حيث آذوهم بغير سب وإثماً مبيناً حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها. ولهذا كان وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثماً عظيماً، ولهذا قال فيها: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا أي: بغير جناية منهم موجبة فيهن. وكان الله غفوراً رحيماً حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم، بأن بين لكم الأحكام، وأوضح الحلال والحرام، فهذا سد للباب من جهتهن. 59 غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر. فلاحتراب حاسم لمطامع الطامعين وصدورهن. ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين دل على وجود أذية، إن لم يحتجن، وذلك، لأنهن إذا لم يحتجن، ربما ظن أنهن آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا أن يدين عليهن من جلابيهن وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها، وجوههن نبيه، أن يأمر النساء عموماً، ويبدأ بزواجه وبناته، لأنهن أكد من غيرهن، ولأن الأمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم كما قال تعالى: يا أيها الذين هذه الآية، التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله

أن تتبرعوا لهم تبرعاً، وتعطوهم معروفاً منكم، كان ذلك الحكم المذكور في الكتاب مسطوراً أي: قد سطر، وكتب، وقدره الله، فلا بد من نفوذه. 6 الأرحام، في جميع الولايات، كولاية النكاح، والمال، وغير ذلك. إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً أي: ليس لهم حق مفروض، وإنما هو بإرادتكم، إن شئتم من المؤمنين والمهاجرين أي: سواء كان الأقارب مؤمنين مهاجرين وغير مهاجرين، فإن ذوي الأرحام مقدمون في ذلك، وهذه الآية حجة على ولاية ذوي بذلك، وجعله للأقارب، لطفاً منه وحكمة، فإن الأمر لو استمر على العادة السابقة، لحصل من الفساد والشر، والتحليل لحرمان الأقارب من الميراث، شيء كثير. بعضهم بعضاً، ويبر بعضهم بعضاً، فهم أولى من الحلف والنصرة. والأدعياء الذين كانوا من قبل، يترئون بهذه الأسباب، دون ذوي الأرحام، فقطع تعالى، التوارث ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً وأولو الأرحام أي: الأقارب، قربوا أو بعدوا بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أي: في حكمه، فيرث فإن النسب الإيماني لم ينقطع عنه، فلا يحزن ولا يأسف. وترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أنهن لا يحللن لأحد من بعده، كما الله صرح بذلك: من رجالكم فقطع نسبه، وانتسابه منه، فأخبر في هذه الآية، أن المؤمنين كلهم، أولاد للرسول، فلا مزية لأحد عن أحد وإن انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة، في الخلوة والمحرمية، وكان هذا مقدمة، لما سيأتي في قصة زيد بن حارثة، الذي كان قبل يدعى: زيد بن محمد حتى أنزل الله ما كان محمد أباً أحد للمؤمنين، كما في قراءة بعض الصحابة، يربيههم كما يربي الوالد أولاده. فترتب على هذه الأبوة، أن كان نساؤه أمهاتهم، أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام، لا كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه. وهو صلى الله عليه وسلم، أب وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس، مع مراد الرسول، أن يقدم مراد الرسول، وأن لا يعارض قول الرسول، بقول أحد، كأننا من فرسول الله، أعظم الخلق منة عليهم، من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه وبسببه. فلذلك، ما للإنسان، وأولى ما له نفسه، فالرسول أولى به من نفسه، لأنه عليه الصلاة والسلام، بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق، وأرأفهم، المؤمنين، خبرا يعرفون به حالة الرسول صلى الله عليه وسلم ومرتبته، فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة فقال: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أقرب

- إلا قليلا، بأن تقتلهم أو تنفيهم. وهذا فيه دليل، لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه، ويكونون 60 ونسلطك عليهم، ثم إذا فعلنا ذلك، لا طاقة لهم بك، وليس لهم قوة ولا امتناع، ولهذا قال: ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا أي: لا يجاورونك في المدينة وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء. لتغرينك بهم أي: نأمرك بعقوبتهم وقتالهم، الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك، كل ما توحى به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسبب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، أي: مرض شك أو شهوة والمرجفون في المدينة أي: المخوفون المرهبون الأعداء، المحذون بكثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين. ولم يذكر المعمول وأما من جهة أهل الشر فقد توعدهم بقوله: لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا أي: مبعدين، أين وجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقر لهم قرار، يخشون أن يقتلوا، أو يحبسوا، أو يعاقبوا. 61
- ال أذى، ولم ينته منه، فإنه يعاقب عقوبة بليغة. ولن تجد لسنة الله تبديلا أي تغييرا، بل سنته تعالى وعادته، جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها 62 سنة الله في الذين خلوا من قبل أن من تهادى في العصيان، وتجراً على
- فهذه سأخبركم بها، وأصف لكم مستحقها. فوصف مستحق العذاب، ووصف العذاب، لأن الوصف المذكور، منطبق على هؤلاء المكذبين بالساعة. 63
- مجيء الساعة، قريبا وبعدا، ليس تحته نتيجة ولا فائدة، وإنما النتيجة والخسار والريح والشقا والسعادة، هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟ لهم: إنما علمها عند الله أي: لا يعلمها إلا الله، فليس لي، ولا لغيري بها علم، ومع هذا، فلا تستبطئوها. وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ومجرد أي: يستخبرك الناس عن الساعة، استعجالا لها، وبعضهم، تكذيبا لوقوعها، وتعجيزا للذي أخبر بها. قل
- الله، فأبعدهم في الدنيا والآخرة من رحمته، وكفى بذلك عقابا، وأعد لهم سعيرا أي: نارا موقدة، تسعر في أجسامهم، ويبلغ العذاب إلى أفندتهم. 64
- إن الله لعن الكافرين أي: الذين صار الكفر دأبهم وطريقتهم الكفر بالله وبرسله، وبما جاءوا به من عند يجدون وليا فيعطيهما ما طلبوه ولا نصيرا يدفع عنهم العذاب، بل قد تخلى عنهم الولي النصير، وأحاط بهم عذاب السعير، وبلغ منهم مبلغا عظيما، 65 ويخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، ولا يفتر عنهم ساعة ولا
- وأطعنا الرسولا فسلمنا من هذا العذاب، واستحققنا، كالمطيعين، جزيل الثواب. ولكن أمنية فات وقتها، فلم تقدمهم إلا حسرة وندما، وهما، وغما، وألما. 66
- يوم تقلب وجوههم في النار فيذوقون حرها، ويشتد عليهم أمرها، ويتحسرون على ما أسلفوا. يقولون يا ليتنا أطعنا الله ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني الآية. 67
- وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا وقلدناهم على ضلالهم، فأضلونا السبيلا كقوله تعالى
- فيقول الله لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر والمعاصي، فتشتركون في العقاب، وإن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم. 68
- ولما علموا أنهم هم وكبراءهم مستحقون للعقاب، أرادوا أن يشتموا ممن أضلهم، فقالوا: ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا
- على حجر، ففر الحجر بثوبه، فأهوى موسى عليه السلام في طلبه، فمر به على مجالس بني إسرائيل، فرأوه أحسن خلق الله، فزال عنه ما رموه به. 69
- حيائه وتستره عنهم: إنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه آدر أي: كبير الخصيتين، واشتهر ذلك عندهم، فأراد الله أن يبرئه منهم، فاغتسل يوما، ووضع ثوبه من الفضائل عن أذيته والتعرض له بما يكره، فاحذروا أيها المؤمنون، أن تتشبهوا بهم في ذلك، والأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى لما رأوا شدة أنه عليه الصلاة والسلام، ليس محل التهمة والأذية، فإنه كان وجيها عند الله، مقربا لديه، من خواص المرسلين، ومن عباده المخلصين، فلم يزرهم ما له، له من الإكرام والاحترام، وأن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران، كليم الرحمن، فبرأه الله مما قالوا من الأذية، أي: أظهر الله لهم براءته. والحال يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم، محمد صلى الله عليه وسلم، النبي الكريم، الرؤوف الرحيم، فيقابلوه بضد ما يجب
- والجهاد في سبيله، وأن هذا سبيل، قد مشى الأنبياء المتقدمون، حتى ختموا بسيدهم وأفضلهم، محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر الناس بالاعتداء بهم. 7
- تعالى أنه أخذ من النبيين عموما، ومن أولي العزم وهم، هؤلاء الخمسة المذكورون خصوصا، ميثاقهم الغليظ وعهدهم الثقيل المؤكد، على القيام بدين الله
- يخبر
- طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه. ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح. 70
- له، عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل
- يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب
- ذنوبكم التي هي السبب في هلاككم، فالتقوى تستقيم بها الأمور، ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما 71
- يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفته، كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد سبب لفساد الأعمال، وعدم قبولها، وعدم ترتب آثارها عليها. ويغفر لكم أيضا
- استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال أيضا بحفظها عما

تفسير السعدي

ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: يصلح لكم أعمالكم أي: يكون ذلك سببا لصلاحها، وطريقا لقبولها، لأن بها وعدمه إلى ثلاثة أقسام: منافقون، أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرا لا باطنا، ومشركون، تركوها ظاهرا وباطنا، ومؤمنون، قاثمون بها ظاهرا وباطنا. 72

زهذا في ثوابه، وعرضها الله على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل. فانقسم الناس بحسب قيامهم وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقومي بها، ولم تؤديها فعليك العقاب. فأبين أن يحملنها وأشفقن منها أي: خوفا أن لا يقمن بما حملن، لا عصيانا لربهن، ولا السر والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وأنت إن قمت بها وأديتها على يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال وسعة رحمته، وعموم جوده، مع أن المحكوم عليهم، كثير منهم، لم يستحق المغفرة والرحمة، لنفاقه وشركه. تم تفسير سورة الأحزاب. بحمد الله وعونه. 73

ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما. فله الحمد تعالى، حيث ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين، الدالين على تمام مغفرة الله، فذكر الله تعالى أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب فقال: ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هل وفوا فيه، وصدقوا؟ فيثيبهم جنات النعيم؟ أم كفروا، فيعذبهم العذاب الأليم؟ قال تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه 8

وسيسأل الله الأنبياء وأتباعهم، عن هذا العهد الغليظ والأمر كما وصف الله: وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته. 9

القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، اليهود، الذين حوالى المدينة، فجاءوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة. وخذق رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المدينة، فحصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت أهل مكة والحجاز، من فوقهم، وأهل نجد، من أسفل منهم، وتعاقدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق. وما لأتاهم طوائف يذكر تعالى عباده المؤمنين، نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود

سورة 34

ما يوجب لهم كمال الحمد، والثناء عليه. وهو الحكيم في ملكه وتدبيره، الحكيم في أمره ونهيه. الخبير المطلع على سرائر الأمور وخفاياها 1

الجنة، كالفنس، متوصلا في جميع الأوقات، هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر لأهل الجنة في الجنة كل وقت من عظمة ربهم، وجلاله، وجماله، وسعة كماله، أحب إلى أهلها من كل نعيم، وألذ عليهم من كل لذة، ولهذا إذا رأوا الله تعالى، وسمعوا كلامه عند خطابه لهم، أذهلهم ذلك عن كل نعيم، ويكون الذكر لهم في بقلوبهم. فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة تضمحل العوارض والقواطع، التي تقطع عن معرفة الله ومحبهه والثناء عليه، ويكون ذلك وسعة عطايه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية، ولا إرادة، إلا وقد أعطي فوق ما تمنى وأراد، بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيتهم، ولم يخطر والثواب، فذلك شيء قد تواردت به الأخبار، وتوافق عليه الدليل السمعي والعقلي، فإنهم في الجنة، يرون من توالي نعم الله، وإدراك خيره، وكثرة بركاته، ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم. وأما ظهور حمده في دار النعيم ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم، ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه، وحكمته فيه، حمدوه كلهم على على أن له ما في السماوات وما في الأرض ملكا وعبيدا، يتصرف فيهم بحمده. وله الحمد في الآخرة لأن في الآخرة، يظهر من حمده، والثناء عليه، لكونها صفات كمال، وأفعاله، يحمد عليها، لأنها دائرة بين الفضل الذي يحمد عليه ويشكر، والعدل الذي يحمد عليه ويعترف بحكمته فيه. وحمد نفسه هنا، الحمد: الثناء بالصفات الحميدة. والأفعال الحسنة، فله تعالى الحمد، لأن جميع صفاته، يحمد عليها، كل من سمعه، من الإنس، والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها. ومنها: أنه لعله ليحصل له أجر تسبيحها، لأنه سبب ذلك، وتسبح تبعها له. 10

داود، فإن الله تعالى، قد أعطاه من حسن الصوت، ما فاق به غيره، وكان إذا رجع التسبيح والتهليل والتحميد بذلك الصوت الرخيم الشجي المطرب، طرب تتجارب بتسبيح ربها، وتمجيده، وتكبيره، وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى. ومنها: أن ذلك كما قال كثير من العلماء، أنه طرب لصوت من النعمة عليه، أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضا له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات، ومن نعمه عليه، ما خصه به من أمره تعالى الجمادات، كالجبال والحيوانات، من الطيور، أن تؤوب معه، وترجع التسبيح بحمد ربها، مجاوبة له، وفي هذا أي: ولقد مننا على عبدنا ورسولنا، داود عليه الصلاة والسلام، وآتيناه فضلا من العلم النافع، والعمل الصالح، والنعم الدينية والدنيوية، أمره بشكره، وأن يعملوا صالحا، ويراقبوا الله تعالى فيه، بإصلاحه وحفظه من المفسدات، فإنه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منها شيء. 11

ويصنعه كذلك، ثم يدخل بعضها ببعض. قال تعالى: وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولما ذكر ما امتن به عليه وعلى آله، ومن فضله عليه، أن الآن له الحديد، ليعمل الدروع السابغات، وعلمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد، أي: يقدره حلقا، أيضا، الشياطين والجن، لا يقدر أن يستعصوا عن أمره، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وأعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه. 12

تفسير السعدي

إلى آخر النهار وأسلنا له عين القطر أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها. وسخر الله له معه، وتقطع المسافة البعيدة جدا، في مدة يسيرة، فتسير في اليوم، مسيرة شهرين. غدوها شهر أي: أول النهار إلى الزوال ورواحها شهر من الزوال، لما ذكر فضله على داود عليه السلام، ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه الصلاة والسلام، وأن الله سخر له الريح تجري بأمره، وتحمله، وتحمل جميع ما نعمة، ودفع عنهم من النقم. والشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقارا إليها، وصرفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية. 13 هذه المصالح عائد لكلهم. شكرا لله على ما أعطاهم، ومقابلة لما أولاهم. وقليل من عبادي الشكور فأكثرهم، لم يشكروا الله تعالى على ما أولاهم من لا تزول عن أماكنها، من عظمها. فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها فقال: اعملوا آل داود وهم داود، وأولاده، وأهله، لأن المنة على الجميع، وكثير من لسليمان وجفان كالجواب أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره، و يعملون له قدورا راسيات كل بناء يعقد، وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة، وتماثيل أي: صور الحيوانات والجمادات، من إتقان صنعتهم، وقدرتهم على ذلك وعملهم من محاريب وهو

الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه. 14 سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون عليه السلام، وانتكأ على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حيا، وهابوه. فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يري العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكتوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة والسلام، كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم

يتيهون عنه ليالي وأياما آمينين أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي والأيام، غير خائفين. وهذا من تمام نعمة الله عليهم، أن أمنهم من الخوف. 15 الزاد والمزاد. ولهذا قال: وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير أي: سيرا مقدرا يعرفونه، ويحكمون عليه، بحيث لا هيباً لهم من الأسباب ما به يتيسر وصولهم إليها، بغاية السهولة، من الأمن، وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة، بحمل ومنها: أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة، الظاهر أنها: قرى صنعاء قاله غير واحد من السلف، وقيل: إنها الشام لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها. ومنها: أن الله تعالى وعدهم إن شكروه أن يغفر لهم ويرحمهم، ولهذا قال: بلدة طيبة ورب غفور والسرور، فأمرهم الله بشكر نعمة التي أدرها عليهم من وجوه كثيرة، منها: هاتان الجنتان اللتان غالب أوقاتهما منهن. ومنها: أن الله جعل بلدهم، بلدة طيبة، هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتغل لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة الآتية بقوله جنتان عن يمين وشمال وكان لهم واد عظيم، تأتيه سيول كثيرة، وكانوا بنوا سدا محكما، يكون مجمعا للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع محلهم الذي يسكنون فيه آية والآية هنا: ما أدر الله عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا الله ويشكروه. ثم فسر ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال: لقد كان لسبأ في مسكنهم أي: في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها مأرب ومن نعم الله ولطفه بالناس عموما، وبالعرب خصوصا، أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، سبأ قبيلة معروفة

ذواتي أكل أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا خمط وأثل وشيء من سدر قليل وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم. 16 جنتاهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنتان ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: وبدلناهم بجنتيهم جنتين بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطفئهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم. أي: السيل المتوعر، الذي خرب سددهم، وأتلف عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى، التي كان السير فيها متيسرا. وظلموا أنفسهم فأعرضوا

بما ذكر، ولهذا قال: ذلك جزيناكم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور أي: وهل نجازي جزاء العقوبة بدليل السياق إلا من كفر بالله وبطر النعمة؟ 17 فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة

بما ذكر، ولهذا قال: ذلك جزيناكم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور أي: وهل نجازي جزاء العقوبة بدليل السياق إلا من كفر بالله وبطر النعمة؟ 18 فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة

كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالى، حافظ للنعمة، دافع للنقمة، وأن رسل الله، صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق، كما رأى أنموذجه في دار الدنيا. 19 أولاه، ويصرفها في طاعته. فهذا إذا سمع بقصتهم، وما جرى منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة، جزاء لكفرهم نعمة الله، وأن من فعل مثلهم، فعل به لكل صبار شكور صبار على المكاره والشدائد، يتحملها لوجه الله، ولا يتسخطها بل يصبر عليها. شكور لنعمة الله تعالى يقر بها، ويعترف، ويثني على من للناس، وكان يضرب بهم المثل فيقال: تفرقوا أيدي سبأ فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبارة فيهم إلا من قال الله: إن في ذلك لآيات فلما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسمارا

تفسير السعدي

- لها، فقال: وهو الرحيم الغفور أي: الذي الرحمة والمغفرة وصفه، ولم تزل آثارهما تنزل على عباده كل وقت بحسب ما قاموا به من مقتضياتهما. 2
- من الأملاك والأرزاق والأقدار وما يعرج فيها من الملائكة والأرواح وغير ذلك. ولما ذكر مخلوقاته وحكمته فيها، وعلمه بأحوالها، ذكر مغفرته ورحمته يعلم ما يلج في الأرض أي: من مطر، وبذر، وحيوان وما يخرج منها من أنواع النباتات، وأصناف الحيوانات وما ينزل من السماء
- عند قوله: إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ثم ابتداء فقال: ولقد صدق عليهم أي: على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه. 20
- عليه إبليس ظنه، ودعاهم وأغواهم، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ممن لم يكفر بنعمة الله، فإنه لم يدخل تحت ظن إبليس. ويحتمل أن قصة سبأ، انتهت منهم المخلصين وهذا ظن من إبليس، لا يقين، لأنه لا يعلم الغيب، ولم يأت خبر من الله، أنه سيفيهم أجمعين، إلا من استثنى، فهؤلاء وأمثالهم، ممن صدق ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدق عليهم إبليس ظنه، حيث قال لربه: فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك
- ويظهر الخبيث من الطيب. وربك على كل شيء حفيظ يحفظ العباد، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويحفظ تعالى جزاءها، فيوفيهم إياها، كاملة موفرة. 21
- والاختبار، وإلقاء الشبه الشيطانية، ممن إيمانه غير ثابت، يتزلزل بأدنى شبهة، ويزول بأقل داع يدعو إلى ضده، فالله تعالى جعله امتحانا، يمتحن به عباده، لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي: ليقوم سوق الامتحان، ويعلم به الصادق من الكاذب، ويعرف من كان إيمانه صحيحا، يثبت عند الامتحان وما كان له أي: لإبليس عليهم من سلطان أي: تسلط وقهر، وقسر على ما يريده منهم، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت تسليطه وتسويله لبني آدم.
- ثم قال تعالى:
- المرتبة فقال: وما له أي: لله تعالى الواحد القهار منهم أي: من هؤلاء المعبودين من ظهير أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتدبير. 22
- ومع ذلك، فقد يكونون أعوانا للمالك، ووزراء له، فدعاهم يكون نافعا، لأنهم بسبب حاجة الملك إليهم يقضون حوائج من تعلق بهم، فنفى تعالى هذه أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم فيها أي: في السماوات والأرض، من شرك أي: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك. بقي أن يقال: وجه، فإنهم ليس لهم أدنى ملك ف لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، ولهذا قال: وما لهم عبادتها: ادعوا الذين زعمتم من دون الله أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل أي: قل يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزما لهم بعجزها، ومبيننا لهم بطلان
- إلا الحق. فما بال هؤلاء المشركين، استكبروا عن عبادة من هذا شأنه، وعظمة ملكه وسلطانه. فتعالى العلي الكبير، عن شرك المشركين، وإفكهم، وكذبهم. 23
- الذي من عظمته وجلاله أن الملائكة الكرام، والمقربين من الخلق، يبلغ بهم الخضوع والصعق، عند سماع كلامه هذا المبلغ، ويقرون كلهم لله، أنه لا يقول عبدوا مع الله تلك الآلهة، التي وصفنا لكم عجزها ونقصها، وعدم نفعها بوجه من الوجوه، كيف صدقوا وصرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم، العلي الكبير، إما إجمالا، لعلمهم أنه لا يقول إلا حقا، وإما أن يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق. فيكون المعنى على هذا: أن المشركين الذين أراد، وإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، وزال الفزع، فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إلى الملائكة، وذلك أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي، سمعته الملائكة، فصعقوا، وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما علوه، أن حكمه تعالى، يعلو، وتذعن له النفوس، حتى نفوس المتكبرين والمشركين. وهذا المعنى أظهر، وهو الذي يدل عليه السياق، ويحتمل أن الضمير يعود بذنوبهم. وهو العلي بذاته، فوق جميع مخلوقاته وقهرهم لهم، وعلو قدره، بما له من الصفات العظيمة، جليلة المقدار الكبير في ذاته وصفاته. ومن أن ما هم عليه من الكفر والشرك، باطل، وأن ما قال الله، وأخبرت به عنه رسله، هو الحق فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أن الحق لله، واعترفوا القيامة، وفزع عن قلوب المشركين، أي: زال الفزع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون، أن الضمير في هذا الموضع، يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمان، أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم من ضره أقرب من نفعه، طاعة لأعدى عدو له وهو الشيطان. وقوله: حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير يحتمل أن المشرك استكبر عن الانقياد للرسل، بزعمه أنهم بشر، ورضي أن يعبد ويدعو الشجر، والحجر، استكبر عن الإخلاص للملك الرحمن الديان، ورضي بعبادة على عابديه وأنه يوم القيامة، يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا، ومأواهم النار وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين والعجب، ضلالا في العقل، باطلا في الشرع. بل ينعكس على المشرك مطلوبه ومقصوده، فإنه يريد منها النفع، فبين الله بطلانه وعدمه، وبين في آيات أخر، ضرره كان من يدعو غير الله، لا مالكا للنفع والضرر، ولا شريكا للمالك، ولا عوناً وظهيرا للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء، وهذه العبادة، بطلانها، تبيننا حاسما لمواد الشرك، قاطعا لأصوله، لأن المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله، لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك، فإذا ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فهذه أنواع التعلقات، التي يتعلق بها المشركون بأنفسهم، وأولادهم، وأولادهم، من البشر، والشجر، وغيرهم، قطعها الله وبين فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها بقوله:

لله وحده، تبين لك أي الفريقين، المهتدي من الضال، والشقي من السعيد؟ ولم يحتج إلى أن يعين لك ذلك، لأن وصف الحال، أوضح من لسان المقال. 24

يستقلون بها دون الله، فهو يدعو من هذا وصفه، ويتقرب إليه مهما أمكنه، ويعادي من أخلص الدين لله، ويحاربه، ويكذب رسل الله، الذين جاءوا بالإخلاص ما استجاب لهم، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويتبرأون منهم، ويتلأعنون بينهم، ليس لهم قسط من الملك، ولا شركة فيه، ولا إعانة فيه، ولا لهم شفاعاة

تفسير السعدي

لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك لأنفسها، ولا لمن عبدها، نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، بل هي جمادات، لا تعقل، ولا تسمع دعاء عابديها، ولو سمعته وكل جمال، وكل حمد وثناء ومجد، يدعو إلى التقرب لمن هذا شأنه، وإخلاص العمل له، وينهى عن عبادة من سواه، وبين من يتقرب إلى أوثان، وأصنام، وقبور، لهيئته، متذللون لعظمته، وكل الشفعاء تخافه، لا يشفع أحد منهم عنده إلا بإذنه العلي الكبير، في ذاته، وأوصافه، وأفعاله، الذي له كل كمال، وكل جلال، المسدي جميع النعم، الذي رزقهم وأوصل إليهم كل نعمة، ودفع عنهم كل نقمة، الذي له الحمد كله، والملك كله، وكل أحد من الملائكة فما دونهم، خاضعون حتى إنه يصير التعيين بعد ذلك، لا فائدة فيه، فإنك إذا وازنت بين من يدعو إلى عبادة الخالق، لسائر المخلوقات المتصرف فيها، بجميع أنواع التصرفات، ما عليه خصمه. أي: قد شرحنا من الأدلة الواضحة عندنا وعندكم، ما به يعلم علما يقينا لا شك فيه، من المحق منا، ومن المبطل، ومن المهتدي ومن الضال؟ على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان لنفعكم ووزقكم، فلم تعبدون معه من لا يرزقكم شيئا، ولا يفيدكم نفعا؟ وقوله: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أي: إحدى الطائفتين منا ومنكم، الذي يرزقكم من السماوات والأرض، وينزل لكم المطر، وينبت لكم النبات، ويفجر لكم الأنهار، ويطلع لكم من ثمار الأشجار، وجعل لكم الحيوانات جميعها، من يرزقكم من السماوات والأرض فإنهم لا بد أن يقرؤا أنه الله، ولئن لم يقرؤا ف قل الله فإنك لا تجد من يدفع هذا القول، فإذا تبين أن الله وحده يأمر تعالى، نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، أن يقول لمن أشرك بالله ويسأله عن حجة شركه:

على الظواهر، ويتبع فيها الحق، ويجتنب الباطل، وأما الأعمال فلها دار أخرى، يحكم فيها أحكم الحاكمين، ويفصل بين المختصمين، أعدل العادلين. 25
عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق وسلوك طريق الإنصاف، ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعا لكم من اتباع الحق، فإن أحكام الدنيا تجري قل لهم لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما نعملون أي: كل منا ومنكم، له عمله أنتم لا تسألون عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا أي: يحكم بيننا حكما، يتبين به الصادق من الكاذب، والمستحق للثواب، من المستحق للعقاب، وهو خير الفاتحين. 26
ولهذا قال:

الأنداد من دونه، وجعل ذلك طريقا للشقاء والهلاك، لكفى بذلك برهانا على كمال حكمته، فكيف وجميع ما أمر به ونهى عنه، مشتمل على الحكمة؟ 27
وأحسن ما شرعه، ولو لم يكن في حكمته في شرعه إلا أنه أمر بتوحيده، وإخلاص الدين له، وأحب ذلك، وجعله طريقا للنجاة، ونهى عن الشرك به، واتخاذ بل هو الله الذي لا يستحق التأله والتعبد، إلا هو العزيز الذي قهر كل شيء فكل ما سواه، فهو مقهور مسخر مدبر. الحكيم الذي أنقذ ما خلقه، المشركون أروني الذين ألحقتم بزعمكم الباطل بالله شركاء وهذا السؤال لا يمكنهم الإجابة عنه، ولهذا قال: كلا أي: ليس لله شريك، ولا ند، ولا ضد. يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون وكذلك خواص خلقه من الأنبياء والمرسلين، لا يعلمون له شريكا، فبأيهما أنه ليس في الوجود له شريك. ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم الآية وما منابك: أروني الذين ألحقتم به شركاء أي: أين هم؟ وأين السبيل إلى معرفتهم؟ وهل هم في الأرض، أم في السماء؟ فإن عالم الغيب والشهادة قد أخبرنا قل لهم يا أيها الرسول، ومن ناب

بل إما جهال، أو معاندون لم يعملوا بعلمهم، فكأنهم لا علم لهم. ومن عدم علمهم، جعلهم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول، مجبا لرد دعوته. 28
الأمر شيء، وكل ما اقترح عليك أهل التكذيب والعناد، فليس من وظيفتك، إنما ذلك بيد الله تعالى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي: ليس لهم علم صحيح، صلى الله عليه وسلم، إلا ليبشر جميع الناس بثواب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك، وينذرهم عقاب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة له، فليس لك من يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله

في خبره، الذي لا ينطق عن الهوى، بالعذاب اليقين، الذي لا مدفع له، ولا ناصر منه؟ أليس رد خبره بحجة عدم بيانه وقت وقوعه من أسفه السفه؟ 29
يمكن صدقه وكذبه، والعدو قد يبدو له غيرهم، وقد تنحل عزمته، وهم قد يكون بهم منعة يدافعون بها عن أنفسهم، فكيف بمن كذب أصدق الخلق، المعصوم فلو قال بعضهم: إن كنت صادقا، فأخبرنا بأية ساعة يصل إلينا، وأين مكانه الآن؟ فهل يعد هذا القائل عاقلا، أم يحكم بسفهة وجنونه؟ هذا، والمخبر في أحوال الدنيا، لو جاء قوما، يعلمون صدقه ونصحه، ولهم عدو ينتهز الفرصة منهم ويعد لهم فقال لهم: تركت عدوكم قد سار، يريد اجتياحكم واستئصالكم. إن كنتم صادقين وهذا ظلم منهم. فأى ملازمة بين صدقه، وبين الإخبار بوقت وقوعه؟ وهل هذا إلا رد للحق، وسفه في العقل؟ أليس النذير في أمر فمما اقترحوه، استعجالهم العذاب، الذي أنذرهم به فقال: ويقولون متى هذا الوعد

جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من الأموات، وما يبقى من أجسادهم، قادر على بعثهم من باب أولى، وليس بعثهم بأعجب من هذا العلم المحيط. 3
في كتاب مبين أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه، وتضمنه الكتاب المبين، الذي هو اللوح المحفوظ، فالذي لا يخفى عن علمه مثقال الذرة فما دونه، في ذرة في السماوات ولا في الأرض أي: جميع الأشياء بذواتها وأجزائها، حتى أصغر ما يكون من الأجزاء، وهو المثاقيل منها. ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا العام فقال: عالم الغيب أي: الأمور الغائبة عن أبصارنا، وعن علمنا، فكيف بالشهادة؟ ثم أكد علمه فقال: لا يعزب أي: لا يغيب عن علمه مثقال رسوله أن يرد قولهم ويطلبه، ويقسم على البعث، وأنه سيأتيهم، واستدل على ذلك بدليل من أقر به، لزمه أن يصدق بالبعث ضرورة، وهو علمه تعالى الواسع وقال الذين كفروا أي بالله وبرسوله، وبما جاءوا به، فقالوا بسبب كفرهم: لا تأتينا الساعة أي: ما هي، إلا هذه الحياة الدنيا، نموت ونحيا. فأمر الله

تفسير السعدي

الناس، طائفة لم تقدر ربها حق قدره، ولم تعظمه حق عظمتها، بل كفروا به، وأنكروا قدرته على إعادة الأموات، وقيام الساعة، وعارضوا بذلك رسله فقال:

لما بين تعالى، عظمتها، بما وصف به نفسه، وكان هذا موجبا لتعظيمه وتقديسه، والإيمان به، ذكر أن من أصناف

قل لهم مخبرا بوقت وقوعه الذي لا شك فيه : لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون فاحذروا ذلك اليوم، وأعدوا له عدته. 30

لكننا مؤمنين ولكنكم حلتكم بيننا وبين الإيمان، وزينتم لنا الكفران، فتبعناكم على ذلك، ومقصودهم بذلك أن يكون العذاب على الرؤساء دونهم. 31

وهولا جسيما، ورأيت كيف يتراجع، ويرجع بعضهم إلى بعض القول، ف يقول الذين استضعفوا وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة: لولا أنتم عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم، وأنت لو رأيت حالهم إذا وقفوا عند ربهم، واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضلال، لرأيت أمرا عظيما لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب، لا بد من وقوعه

جاءكم أي: بقوتنا وقهرنا لكم. بل كنتم مجرمين أي: مختارين للإجرام، لستم مقهورين عليه، وإن كنا قد زينا لكم، فما كان لنا عليكم من سلطان. 32

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا مستفهمين لهم ومخبرين أن الجميع مشتركون في الجرم: أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ

ثم في النار يسجرون الآيات. هل يجزون في هذا العذاب والنكال، وتلك الأغلال الثقيل إلا ما كانوا يعملون من الكفر والفسوق والعصيان. 33

الأغلال في أعناق الذين كفروا يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه كما قال تعالى إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا الآيات. وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير وجعلنا أنفسهم. وفي بعض مواقف القيامة، وعند دخولهم النار، يظهرون ذلك الندم جهرا. ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا كل منهم غاية الندم، وتمنى أن لو كان على الحق، وأنه ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب، سرا في أنفسهم، لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على قال: وأسروا الندامة لما رأوا العذاب أي: زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم على بعض لينجو من العذاب، وعلم أنه ظالم مستحق له، فندم أنه الباطل، فما زال مكرهم بنا، وكيدكم إيانا، حتى أغويتمونا وفتنتمونا. فلم تغد تلك المراجعة بينهم شيئا إلا تبارى بعضهم من بعض، والندامة العظيمة، ولهذا إينا من إضلالكم، ما دبرتموه من المكر، في الليل والنهار، إذ تحسنون لنا الكفر، وتدعوننا إليه، وتقولون: إنه الحق، وتقذحون في الحق وتهجنونه، وتزعمون وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا أي: بل الذي دهانا منكم، ووصل

الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله إذا أرسل رسولا في قرية من القرى، كفر به مترفوها، وأبطرتهم نعمتهم وفخروا بها. 34

يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسول، أنها كحال هؤلاء

الحق وما نحن بمعذبين أي: أولا، لسننا بمبعوثين، فإن بعثنا، فالذي أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا، سيعطينا أكثر من ذلك في الآخرة ولا يعذبنا. 35

وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا أي: ممن اتبع

فأجابهم الله تعالى، بأن بسط الرزق وتضييقه، ليس دليلا على ما زعمتم، فإن الرزق تحت مشيئة الله، إن شاء بسطه لعبده، وإن شاء ضيقه. 36

جدا، ساكنين فيها مطمئنين، آمنون من المكدرات والمنغصات، لما هم فيه من اللذات، وأنواع المشتبهات، وآمنون من الخروج منها والحزن فيها. 37

تعالى مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا الله، وهم في الغرفات آمنون أي: في المنازل العالية المرتفعات إلى الله زلفى وتدني إليه، وإنما الذي يقرب منه زلفى، الإيمان بما جاء به المرسلون، والعمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان، فأولئك لهم الجزاء عند الله وليست الأموال والأولاد بالتقرب

وأما الذين سعوا في آياتنا على وجه التعجيز لنا ولرسلنا والتكذيب ف أولئك في العذاب محضرون 38

الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو خير الرازقين فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها. 39

من شيء نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك، فهو تعالى يخلفه فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص ثم أعاد تعالى أنه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ليرتب عليه قوله: وما أنفقتم

أولئك لهم مغفرة لذنوبهم، بسبب إيمانهم وعملهم، يندفع بها كل شر وعقاب. ورزق كريم بإحسانهم، يحصل لهم به كل مطلوب ومرغوب، وأمنية. 4

ثم ذكر المقصود من البعث فقال: ليحزي الذين آمنوا بقلوبهم، صدقوا الله، وصدقوا رسله تصديقا جازما، وعملوا الصالحات تصديقا لإيمانهم.

والمعبودين من دونه، من الملائكة. ثم يقول الله للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدتهم أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون فتبرأوا من عبادتهم. 40

ويوم يحشرهم جميعا أي: العابدين لغير الله

مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم أكثرهم بهم مؤمنون أي: مصدقون للجن، منقادون لهم، لأن الإيمان هو: التصديق الموجب للانقياد. 41

بذلك. وطاعتهم هي عبادتهم، لأن العبادة الطاعة، كما قال تعالى مخاطبا لكل من اتخذ معه آلهة ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أولياء وشركاء؟ ولكن هؤلاء المشركون كانوا يعبدون الجن أي: الشياطين، يأمرهم بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم

تفسير السعدي

أي: تنزيها لك وتقديسا، أن يكون لك شريك، أو ند أنت ولينا من دونهم فنحن مفتقرون إلى ولايتك، مضطرون إليها، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟ أم قالوا سبحانه

نوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون فالיום عاينتموها، ودخلتموها، جزاء لتكذيبكم، وعقوبة لما أحدثه ذلك التكذيب، من عدم الهرب من أسبابها. 42 لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا تقطعت بينكم الأسباب، وانقطع بعضكم من بعض. ونقول للذين ظلموا بالكفر والمعاصي بعد ما ندخلهم النار فلما تبرأوا منهم، قال تعالى مخاطبا لهم: فالיום

الرجل، الذي جاء به. وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين أي: سحر ظاهر بين لكل أحد، تكذيبا بالحق، وترويجا على السفهاء. 43 إلى يوم القيامة. ولما احتجوا بفعل آبائهم، وجعلوها دافعة لما جاءت به الرسل، طعنوا بعد هذا بالحق، وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى أي: كذب افتراه هذا حق رد، فإذا هذا ماله لا يرد إلا بأقوال الضالين من المشركين، والدهريين، والفلاسفة، والصابئين، والملحدين في دين الله، المارقين، فهم أسوة كل من رد الحق أمرت الرسل بعض الضالين، باتباع الحق، فادعوا أن إخوانهم، الذين على طريقتهم، لم يزالوا عليه؟ وهذه السفاهة، ورد الحق، بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حين يأمركم بالإخلاص لله، لتتركوا عوائد آبائكم، الذين تعظمون وتمشون خلفهم، فردوا الحق، بقول الضالين، ولم يوردوا برهانا، ولا شبهة. فأى شبهة إذا والانقياد، والتسليم، أنهم يقابلونها بضد ما ينبغي، ويكذبون من جاءهم بها ويقولون: ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم أي: هذا قصده، الظاهرات، وبراهينه القاطعات، الدالة على كل خير، الناهية عن كل شر، التي هي أعظم نعمة جاءتهم، ومنة وصلت إليهم، الموجبة لمقابلتها بالإيمان والتصديق، يخبر تعالى عن حالة المشركين، عندما تتلى عليهم آيات الله البيّنات، وحججه

عمدة لهم وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير حتى يكون عندهم من أقواله وأحواله، ما يدفعون به، ما جنتهم به، فليس عندهم علم، ولا إثارة من علم. 44 حجة، ذكر أنهم وإن أراد أحد أن يحتج لهم، فإنهم لا مستند لهم، ولا لهم شيء يعتمدون عليه أصلا، فقال: وما آتيناهم من كتب يدرسونها حتى تكون ولما بين ما ردوا به الحق، وأنها أقوال دون مرتبة الشبهة، فضلا أن تكون

بالأرض، وإرسال الحاصب من السماء، فاحذروا يا هؤلاء المكذبون، أن تدوموا على التكذيب، فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، ويصيبكم ما أصابهم. 45 أي: إنكاري عليهم، وعقوبتي إياهم. قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال، وأن منهم من أغرقه، ومنهم من أهلكه بالريح العقيم، وبالصيحة، وبالرجفة، وبالخسف وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا أي: ما بلغ هؤلاء المخاطبون معشار ما آتيناهم فكذبوا أي: الأمم الذين من قبلهم رسلي فكيف كان نكير ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين قبلهم فقال:

الله أم لا؟ سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، ونبيه صدقاً، خصوصا مخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره. 46 هيبة وإجلالا وتعظيما. فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعريذتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟ فكل من تدبر أحواله ومقصده استعلام هل هو رسول وإيماناً، وتزكى النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحت على محاسن الشيم، وترهب عن مساوئ الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته العيون، أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، وتواضعا، ووقارا، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلا. ثم إذا تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب، أمتنا، الله عليه وسلم، ليس بمجنون، لأن هيئته ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحرركاته أجل الحركات، وهو أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟ فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله صلى بذلك. فإذا قمتم لله، مثني وفرادي، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ مثني وفرادي أي: تهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادي، كل واحد يخاطب نفسه عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك، وهي: أن تقوموا لله أي قل يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: إنما أعظكم بواحدة أي: بخصلة واحدة، أشير على كل شيء شهيد أي: محيط علمه بما أدعو إليه، فلو كنت كاذبا، لأخذني بعقوبته، وشهيد أيضا على أعمالكم، سيحفظها عليكم، ثم يجازيكم بها. 47 الأمر فقال: قل ما سألتكم من أجر أي: على اتباعكم للحق فهو لكم أي: فأشهدكم أن ذلك الأجر على التقدير أنه لكم، إن أجري إلا على الله وهو آخر عن اتباع الداعي إلى الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة على دعوته. فبين الله تعالى نزاهة رسوله صلى الله عليه وسلم عن هذا وثم مانع للنفوس

الباطل وانقمع، وذلك بسبب بيان علام الغيوب الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب، من الوسوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك، ويدفعه من الحجج. 48 به أقوال المكذبين، ما كان عبرة للمعتبرين، وآية للمتأملين. فإنك كما ترى، كيف اضمحلت أقوال المكذبين، وتبين كذبهم وعنادهم، وظهر الحق وسطع، وبطل صحة الحق، وبطلان الباطل، أخبر تعالى أن هذه سنته وعادته أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق لأنه بين من الحق في هذا الموضع، ورد ولما بين البراهين الدالة على

أي: ظهر وبان، وصار بمنزلة الشمس، وظهر سلطانه، وما يبدي الباطل وما يعيد أي: اضمحل وبطل أمره، وذهب سلطانه، فلا يبدي ولا يعيد. 49 فيعلم بها عبادته، ويبينها لهم، ولهذا قال: قل جاء الحق

تفسير السعدي

- كفرا بها، وتعجيزا لمن جاء بها، وتعجيزا لمن أنزلها، كما عجزوه في الإعادة بعد الموت. أولئك لهم عذاب من رجز أليم أي: مؤلم لأبدانهم وقلوبهم. 5
- والذين سعوا في آياتنا معاجزين أي: سعوا فيها
- بما يوحي إلي ربي فهو مادة هدايتي، كما هو مادة هداية غيري. إن ربي سميع للأقوال والأصوات كلها قريب ممن دعاه وسأله وعبد. 50
- في المجادلة فإنما يضل على نفسه، أي: ضلاله قاصر على نفسه، غير متعد إلى غيره. وإن اهتديت فليس ذلك من نفسي، وحولي، وقوتي، وإنما هدايتي لهم عجزهم عن مقاومته، وأخبرهم أن ربيهم له بالضلال، ليس بضائر الحق شيئا، ولا دافع ما جاء به. وأنه إن ضل وحاشاه من ذلك، لكن على سبيل التنزل ولما تبين الحق بما دعا إليه الرسول، وكان المكذبون له، يرمونه بالضلال، أخبرهم بالحق، ووضحه لهم، وبين
- يحق عليهم العذاب. فليس لهم منه مهرب ولا فوت وأخذوا من مكان قريب أي: ليس بعيدا عن محل العذاب، بل يؤخذون، ثم يقذفون في النار. 51
- المكذبين، إذ فزعوا حين رأوا العذاب، وما أخبرتهم به الرسل، وما كذبوا به، لرأيت أمرا هائلا، ومنظرا مفضعا، وحالة منكرة، وشدة شديدة، وذلك حين يقول تعالى ولو ترى أيها الرسول، ومن قام مقامك، حال هؤلاء
- حيل بينهم وبينه، وصار من الأمور المحالة في هذه الحالة، فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان، لكان إيمانهم مقبولا، ولكنهم كفروا به من قبل ويقذفون 52
- وقالوا في تلك الحال: آمنا بالله وصدقنا ما به كذبنا و لكن أنى لهم التناوش أي: تناول الإيمان من مكان بعيد قد
- إصابة الغرض، فذلك الباطل، من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه، وإنما يكون له صولة، وقت غفلة الحق عنه، فإذا برز الحق، وقاوم الباطل، قمعه. 53
- أي: يرمون بالغيب من مكان بعيد بقذفهم الباطل، ليدحضوا به الحق، ولكن لا سبيل إلى ذلك، كما لا سبيل للرامي، من مكان بعيد إلى
- وقلق القلب فلذلك، لم يؤمنوا، ولم يعتبوا حين استعتبوا. تم تفسير سورة سبأ ولله الحمد والمنة، والفضل، ومنه العون، وعليه التوكل، وبه الثقة. 54
- وراء ظهورهم، كما فعل بأشباعهم من الأمم السابقين، حين جاءهم الهلاك، حيل بينهم وبين ما يشتهون، إنهم كانوا في شك مريب أي: محدث الريبة وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الشهوات واللذات، والأولاد، والأموال، والخدم، والجنود، قد انفردوا بأعمالهم، وجاءوا فرادى، كما خلقوا، وتركوا ما خولوا،
- وأوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حجة على ما جاء به الرسول، احتج الله بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية وغيرها. 6
- والأموال، والأعراض. وهذه منقبة لأهل العلم وفضيلة، وعلامة لهم، وأنه كلما كان العبد أعظم علما وتصديقا بأخبار ما جاء به الرسول، وأعظم معرفة بحكم إلى عموم الخلق، ونحو ذلك. وتنتهي عن كل صفة قبيحة، تدنس النفس، وتحبط الأجر، وتوجب الإثم والوزر، من الشرك، والزنا، والربا، والظلم في الدماء إلى الصراط المستقيم، المتضمن للأمر بكل صفة تزكي النفس، وتنمي الأجر، وتفيد العامل وغيره، كالصدق والإخلاص وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان من الآيات العظيمة الدالة عليها في الآفاق وفي أنفسهم ومن جهة موافقتها، لما دلت عليه أسماؤه تعالى وأوصافه. ويرون في الأوامر والنواهي، أنها تهدي جهة علمهم بصدق من أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانا، ومن جهة ما يشاهدون من العلم إلى درجة اليقين. ويرون أيضا أنه في أوامره ونواهيه يهدي إلى صراط العزيز الحميد وذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به من وجوه كثيرة: من وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار، هو الحق، أي: الحق منحصر فيه، وما خالفه وناقضه، فإنه باطل، لأنهم وصلوا لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهل العلم،
- فرجة يتفرجون عليه، وأعجوبة يسخرون منه، وأنه كيف يقول إنكم مبعوثون بعدما مزقكم البلى، وتفرقت أوصالكم، واضمحلتم أعضاؤكم؟! 7
- ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد يعنون بذلك الرجل، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه رجل أتى بما يستغرب منه، حتى صار بزعمهم أي: وقال الذين كفروا على وجه التكذيب والاستهزاء والاستبعاد، وذكر وجه الاستبعاد. أي: قال بعضهم لبعض: هل ندلكم على رجل
- الله على البعث وتكذيبهم لرسوله الذي جاء به، واستهزأهم به، وجزمهم بأن ما جاءوا به هو الحق، فرأوا الحق باطلا، والباطل والضلال حقا وهدى. 8
- تلك المقالة، في العذاب والضلال البعيد أي: في الشقاء العظيم، والضلال البعيد، الذي ليس بقريب من الصواب، وأي شقاء وضلال، أبلغ من إنكارهم لقدرة لبادرتهم لإجابته، ولبيتم دعوته، ولكن ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ولهذا قال تعالى: بل الذين لا يؤمنون بالآخرة ومنهم الذين قالوا
- غير الزاكية أن تصغوا لما قال، ولا أن تحتفلوا بدعوته، فإن المجنون، لا ينبغي للعاقل أن يلفت إليه نظره، أو يبلغ قوله منه كل مبلغ. ولولا عنادكم وظلمكم، الله وأعقلهم، ومن علمهم، أنهم أبدوا وأعادوا في معاداتهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم، في صد الناس عنه، فلو كان كاذبا مجنونا لم ينبغ لكم يا أهل العقول كذبا فتجراً عليه وقال ما قال، أم به جنة ؟ فلا يستغرب منه، فإن الجنون فنون، وكل هذا منهم، على وجه العناد والظلم، ولقد علموا، أنه أصدق خلق فهذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل أفترى على الله
- إليه في كل أمر من أموره، فصار قريبا من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمراضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة. 9
- لاية لكل عبد منيب فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم، لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع فإن أمرناهما لم يستعصيا، فاحذروا إصراركم على تكذيبكم، فنعاقيكم أشد العقوبة. إن في ذلك أي: خلق السماوات والأرض، وما فيهما من المخلوقات الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به. قال الله: إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أي: من العذاب، لأن الأرض والسماء تحت تدبيرنا،

تفسير السعدي

من المخلوقات، أعظم من إعادة الناس بعد موتهم من قبورهم، فما الحامل لهم، على ذلك التكذيب مع التصديق، بما هو أكبر منه؟ نعم ذاك خبر غيبي إلى بين أيديهم وما خلفهم، من السماء والأرض فأروا من قدرة الله فيهما، ما يهر العقول، ومن عظمتها ما يذهل العلماء الفحول، وأن خلقهما وعظمتها وما فيهما ثم نبههم على الدليل العقلي، الدال على عدم استبعاد البعث، الذي استبعدوه، وأنهم لو نظروا إلى ما

سورة 35

ولذة النغمات. إن الله على كل شيء قدير فقدرته تعالى تأتي على ما يشاؤه، ولا يستعصي عليها شيء، ومن ذلك، زيادة مخلوقاته بعضها على بعض. 1
يزيد في الخلق ما يشاء أي: يزيد بعض مخلوقاته على بعض، في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، جعلهم أولي أجنحة تطير بها، فتسرع بتنفيذ ما أمرت به. مثنى وثلاث ورباع أي: منهم من له جناحان وثلاثة وأربعة، بحسب ما اقتضته حكمته.
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولما كانت الملائكة مدبرات بإذن الله، ما جعلهم الله موكلين فيه، ذكر قوتهم على ذلك وسرعة سيرهم، بأن وبين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية. وفي ذكره أنه جعل الملائكة رسلا، ولم يستثن منهم أحدا، دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم لأمره، كما قال تعالى: رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه. ولما ذكر الخلق، ذكر بعده ما يتضمن الأمر، وهو: أنه جاعل الملائكة رسلا في تدبير أوامره القدريّة، ووسائل بينه يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملنا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم السيئات لهم عذاب شديد يهانون فيه غاية الإهانة. ومكر أولئك هو يبور أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئا، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل. 10
السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولا، ولهذا قال: والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه. وأما الجوارح يرفعه الله تعالى إليه أيضا، كالكرم الطيب. وقيل: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني الله على صاحبه بين المأ الأعلى والعمل الصالح من أعمال القلوب وأعمال أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله: إليه يصعد الكلم الطيب من قراءة وتسييح فالذي كان هذا نعتة يسيرا عليه، فإعادته للأموات أيسر وأيسر. فتبارك من كثر خيره، ونبه عباده على ما فيه صلاحهم، في معاشهم ومعادهم. 11
علمه بجميع أجزاء العالم، العلوي والسفلي، دقيقها وجليلها، الذي في القلوب، والأجنة التي في البطون، وزيادة الأعمار ونقصها، وإثبات ذلك كله في كتاب تلك الأطوار. فالذي أوجده ونقله، طبقا بعد طبق، وحالا بعد حال، حتى بلغ ما قدر له، فهو على إعادته وإنشائه النشأة الأخرى أقدر، وهو أهون عليه، وإحاطة فهذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث والنشور، كلها عقلية، نبه الله عليها في هذه الآيات: إحياء الأرض بعد موتها، وأن الذي أحياها سيحيي الموتى، وتنقل الآدمي في هذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث والأرحام، ونحو ذلك مما ذكر أنها من أسباب قصر العمر. والمعنى: أن طول العمر وقصره، بسبب وبغير سبب كله بعلمه تعالى، وقد أثبت ذلك الذي كان معمرا عمرا طويلا إلا بعلمه تعالى، أو ما ينقص من عمر الإنسان الذي هو بصد أن يصل إليه، لولا ما سلكه من أسباب قصر العمر، كالزنا، وعقوق الله وقدره، وعلمه، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وكذلك أطوار الآدمي، كلها بعلمه وقضائه. وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره أي: عمر طورا بعد طور، حتى أوصلكم إلى أن كنتم أزواجا، ذكرنا يتزوج أنثى، ويراد بالزواج، الذرية والأولاد، فهو وإن كان النكاح من الأسباب فيه، فإنه مقترن بقضاء يذكر تعالى خلقه الآدمي، وتنقله في هذه الأطوار، من تراب إلى نطفة وما بعدها. ثم جعلكم أزواجا أي: لم يزل ينقلكم، إلى محل، فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير، ولهذا قال: ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون 12
المصالح أيضا والمنافع في البحر، أن سخره الله تعالى يحمل الفلك من السفن والمراكب، فتراها تبحر وتشفق، فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر، ومن محل وهو السمك المتيسر صيده في البحر، وتستخرجون حلية تلبسونها من لؤلؤ ومرجان وغيرهما، مما يوجد في البحر، فهذه مصالح عظيمة للعباد. ومن الحيوانات ولأنه ساكن لا يجري، فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ، ولهذا قال: ومن كل من البحر الملح والعذب تأكلون لحما طريا فراتا، سائغا شرابها، لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحا أجاجا، لنلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من هذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي كله، وأنه لم يسو بينهما، لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة كثيرا، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيب النفي وعمومه، فكيف يدعون، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟ 13
هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله. والذين تدعون من دونه من الأوثان والأصنام ما يملكون من قطمير أي: لا يملكون شيئا، لا قليلا ولا من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر الدالة على كماله وإحسانه، قال: ذلکم الله ربکم له الملك أي: الذي انفرد بخلق هذه المذكورات وتسخيرها، الله أن يسيرا، فإذا جاء الأجل، وقرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، وتعطل سلطانهما، وخسف القمر، وكورت الشمس، وانتشرت النجوم. فلما بين تعالى ما بين وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت للحق الناس الضرر. وقوله: كل يجري لأجل مسمى أي: كل من الشمس والقمر، يسيران في فلكهما ما شاء ما جعل الله في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور، والحركة والسكون، وانتشار العباد في طلب فضله، وما فيهما من تنضيج الثمار وتجفيف ما يجفف

تفسير السعدي

أتى أحدهما ذهب الآخر، ويزيد أحدهما وينقص الآخر، ويتساويان، فيقوم بذلك ما يقوم من مصالح العباد في أبدانهم وحيواناتهم وأشجارهم وزروعهم. وكذلك ومن ذلك أيضا، إيلاجه تعالى الليل بالنهار والنهار بالليل، يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، كلما

الساطعة، الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئا من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده شيئا. 14
أي: لا أحد يبنك، أصدق من الله العليم الخبير، فاجزم بأن هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا تمتد. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: ويوم القيامة يكفرون بشرككم أي: يتبرأون منكم، ويقولون: سبحانك أنت ولينا من دونهم ولا يبنك مثل خبير لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. ولو سمعوا على وجه الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لأنهم لا يملكون شيئا، ولا يرضى ومع هذا إن تدعوهم لا يسمعونكم

لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه الغني في حمده. 15
كلها، صفات كمال، ونعوت وجلال. ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله الحميد أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أخرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها. والله هو الغني الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلو لا تعليمه، لم يتعلموا، ولو لا توفيقه، لم يصلحوا. فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقههم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم. فقراء إليه، في تعليمهم ما فلو لا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد. فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير. فقراء والباطنة، فلو لا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء. فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكرب والشدائد. في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعدادهم إياهم بها، لما استعدوا لأي عمل كان. فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه: فقراء في إيجادهم، فلو لا إيجاده إياهم، لم يوجدوا. فقراء والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتهم بعد موتكم خلقا جديدا، ولكن لذلك الوقت أجل قدره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر. 16
ويأت بغيركم من الناس، أطوع لله منكم، ويكون في هذا تهديد لهم بالهلاك والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك. ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يحتمل أن المراد: إن يشأ يذهبكم أيها الناس

وما ذلك على الله بعزيز أي: بممتنع، ولا معجز له. 17

من عمله شيء. وإلى الله المصير فيجازي الخلائق على ما أسلفوه، ويحاسبهم على ما قدموه وعملوه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. 18
ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق، فإن تزكيتهم يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع العيوب، كالرياء والكبر، والكذب والغش، والمكر والخداع والنفاق، ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة، وتحلى بالأخلاق الجميلة، من الصدق، والإخلاص، والتواضع، مما يخشى من ارتكابه العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتتهى عن الفحشاء والمنكر. ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه أي: ومن زكى نفسه بالتنقي من أهل إقامة الصلاة، بحدودها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، لأن الخشية لله تستدعي من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب بالغيث وأقاموا الصلاة أي: هؤلاء الذين يقبلون النذارة ويتنفعون بها، أهل الخشية لله بالغيث، أي: الذين يخشونه في حال السر والعلانية، والمشهد والمغيب، يساعد الحميم حميمه، والصديق صديقه، بل يوم القيامة، يتمنى العبد أن يكون له حق على أحد، ولو على والديه وأقاربه. إنما تنذر الذين يخشون ربهم والذنوب، تستغيث بمن يحمل عنها بعض أوزارها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى فإنه لا يحمل عن قريب، فليست حال الآخرة بمنزلة حال الدنيا، بعده في قوله: ولا تزر وازرة وزر أخرى أي: في يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، ولا يحمل أحد ذنب أحد. وإن تدع مثقلة أي: نفس مثقلة بالخطايا ويدل على المعنى الأخير، ما ذكره

يخبر تعالى أنه لا يتساوى الأضداد في حكمة الله، وفيما أودعه في فطر عباده. وما يستوي الأعمى فاقد البصر والبصير 19

الوجوه، وأن لا يدعى إلا هو، ولا يخاف ويرجى، إلا هو. وهو العزيز الذي قهر الأشياء كلها الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها. 2
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك من رحمته عنهم فلا مرسل له من بعده فهذا يوجب التعلق بالله تعالى، والافتقار إليه من جميع ثم ذكر انفراد تعالى بالتدبير والعطاء والمنع فقال:

تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه، ما هو أولى به وأحقها بالإيثار. 20
ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى. فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات فكما أنه من

تفسير السعدي

تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه، ما هو أولى به وأحقها بالإيتار. 21
ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله
المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى. فلا يستوي المؤمن والكافر،
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات فكما أنه من

القلوب، أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئا، كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئا، ولكن وظيفتك النذارة، وإبلاغ ما أرسلت به، قبل منك أم لا. 22
إن الله يسمع من يشاء سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق وما أنت بمسمع من في القبور أي: أموات

القلوب، أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئا، كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئا، ولكن وظيفتك النذارة، وإبلاغ ما أرسلت به، قبل منك أم لا. 23
إن الله يسمع من يشاء سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق وما أنت بمسمع من في القبور أي: أموات

من أمة من الأمم الماضية والقرون الخالية إلا خلا فيها نذير يقيم عليهم حجة الله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة 24
الذكر الحكيم، حق وصدق. بشيرا لمن أطاعك، بثواب الله العاجل والآجل، ونذيرا لمن عصاك، بعقاب الله العاجل والآجل، ولست بدع من الرسل. فما
الله رحمة للعالمين. وكذلك ما بعثناك به من الدين القويم، والصراط المستقيم، حق لا باطل، وكذلك ما أرسلناك به، من هذا القرآن العظيم، وما اشتمل عليه من
أي: مجرد إرسالنا إياك بالحق، لأن الله تعالى بعثك على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، واندراس من العلم، وضرورة عظيمة إلى بعثك، فبعثك
إنا أرسلناك بالحق

أي: المضيء في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئا عن اشتباه، أو قصور بما جاءتهم به الرسل، بل بسبب ظلمهم وعنادهم. 25
رسلهم بالبينات الدالات على الحق، وعلى صدقهم فيما أخبروهم به، وبالزبر أي: الكتب المكتوبة، المجموع فيها كثير من الأحكام، والكتاب المنير
أي: وإن يكذبك أيها الرسول، هؤلاء المشركون، فلست أول رسول كذب، فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم

كان نكير عليهم؟ كان أشد النكير وأعظم التنكيل، فإياكم وتكذيب هذا الرسول الكريم، فيصيبكم كما أصاب أولئك، من العذاب الأليم والخزي الوخيم. 26
ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العقوبات فكيف

مشتبكة، بل جبلا واحدا، وفيها ألوان متعددة، فيها جدد بيض، أي: طرائق بيض، وفيها طرائق صفر وحمرة، وفيها غرايب سود، أي: شديدة السواد جدا. 27
الثمرات المختلفة، والنباتات المتنوعة، ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد، والأرض واحدة. ومن ذلك: الجبال التي جعلها الله أوتادا للأرض، تجدها جبلا
واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته. فمن ذلك: أن الله تعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به من
يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها واحد، ومادتها

رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه إن الله عزيز كامل العزة، ومن عزته خلق هذه المخلوقات المتضادات. غفور لذنوب التائبين. 28
الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى:
ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها. ولهذا قال: إنما يخشى الله من عباده العلماء فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجب له خشية الله،
سعة علم الله تعالى، وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر، وإنما ينتفع بها من يخشى الله تعالى،
ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم. وذلك أيضا، دليل على
واحد ومادة واحدة. فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته
ومن ذلك: الناس والدواب، والأنعام، فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات، ما هو مرئي بالأبصار، مشهود للنظار، والكل من أصل

والفوز بجزيل ثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا فيه أنهم يخلصون بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئا. 29
في جميع الأوقات. يرجون بذلك تجارة لن تبور أي: لن تكسد وتفسد، بل تجارة، هي أجل التجارات وأعلاها وأفضلها، ألا وهي رضا ربهم،
المسلمين، وميزان الإيمان، وعلامة صدق الإسلام، والنفقة على الأقارب والمساكين واليتامى وغيرهم، من الزكاة والكفارات والنذور والصدقات. سرا وعلانية
عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضا ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها. ثم خص من التلاوة بعد ما عم، الصلاة التي هي عماد الدين، ونور
إن الذين يتلون كتاب الله أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه فيتركونها، وفي أخباره، فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون

ذلك، أن كان ذلك دليلا على ألوهيته وعبوديته، ولهذا قال: لا إله إلا هو فأني تؤفكون أي: تصرفون عن عبادة الخالق الرازق لعبادة المخلوق المرزوق. 3
أصول النعم، وهي الخلق والرزق، فقال: هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ولما كان من المعلوم أنه ليس أحد يخلق ويرزق إلا الله، نتج من
جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح انقيادا، فإن ذكر نعمته تعالى داع لشكره، ثم نبههم على
يأمر تعالى،

قلتها وكثرتها، وحسنها وعدمه، ويزيدهم من فضله زيادة عن أجورهم. إنه غفور شكور غفر لهم السيئات، وقبل منهم القليل من الحسنات. 30
وذكر أنهم حصل لهم ما رجووه فقال: ليوفيههم أجورهم أي: أجور أعمالهم، على حسب

تفسير السعدي

رسول، حتى ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فجاء بهذا الشرع، الذي يصلح لمصالح الخلق إلى يوم القيامة، ويتكفل بما هو الخير في كل وقت. 31
بصير فيعطي كل أمة وكل شخص، ما هو اللائق بحاله. ومن ذلك، أن الشرائع السابقة لا تليق إلا بوقتها وزمانها، ولهذا، ما زال الله يرسل الرسل رسولا بعد السابقة، وهو كافر بالقرآن أبداً، لأن كفره به، ينقض إيمانه بها، لأن من جملة أخبارها الخبر عن القرآن، ولأن أخبارها مطابقة لأخبار القرآن. إن الله بعباده لخبير لما بين يديه من الكتب والرسل، لأنها أخبرت به، فلما وجد وظهر، ظهر به صدقها. فهي بشرت به وأخبرت به وهو صدقها، ولهذا لا يمكن أحداً أن يؤمن بالكتب كان هو الحق، لزم أن كل ما دل عليه من المسائل الإلهية والغيبية وغيرها، مطابق لما في الواقع، فلا يجوز أن يراد به ما يخالف ظاهره وما دل عليه. مصدقا إلى رسوله هو الحق من كثرة ما اشتمل عليه من الحق، كأن الحق منحصر فيه، فلا يمكن في قلوبكم حرج منه، ولا تتبرموا منه، ولا تستهينوا به، فإذا يذكر تعالى أن الكتاب الذي أوحاه

لمن اصطفى تعالى من عباده، هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم، فأجل النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، ورائة هذا الكتاب. 32
إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه. ذلك هو الفضل الكبير أي: ورائة الكتاب الجليل، لأن المراد بوراة الكتاب، ورائة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه. وقوله بإذن الله راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يفتقر بعمله، بل ما سبق مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من ورائته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من ورائة الكتاب، سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكتر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه. فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراة هذا الكتاب، وإن تفاوتت الأمة. فمنهم ظالم لنفسه بالمعاصي، التي هي دون الكفر. ومنهم مقتصد مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم. ومنهم سابق بالخيرات أي: الله تعالى، واصطفى لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيم على سائر الكتب، ولهذا قال: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه ولهذا، لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولا، وأحسنهم أفكارا، وأرقهم قلوبا، وأزكاهم أنفسا، اصطفاهم

في الحلية في الجنة سواء. و يحلون فيها لؤلؤا ينظم في ثيابهم وأجسادهم. ولباسهم فيها حرير من سندس، ومن إستبرق أخضر. 33
وصفها ووصف أهلها. يحلون فيها من أساور من ذهب وهو الحلي الذي يجعل في اليدين، على ما يحبون، ويرون أنه أحسن من غيره، الرجال والنساء والقصور العالية، والمنازل المزخرفة، في أبد لا يزول، وعيش لا ينفد. والعدن الإقامة فجئات عدن أي: جنات إقامة، أضافها للإقامة، لأن الإقامة والخلود ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: جنات عدن يدخلونها أي: جنات مشتملات على الأشجار، والظل، والظليل، والحدائق الحسنة، والأنهار المتدفقة، وضاعفها، وأعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا، فبمغفرته نجوا من كل مكروه ومرهوب، وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب محبوب. 34
ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا، وهو في تزايد أبد الآباد. إن ربنا لغفور حيث غفر لنا الزلات شكور حيث قبل منا الحسنات لله الذي أذهب عنا الحزن وهذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، و لما تم نعيمهم، وكملت لذتهم قالوا الحمد

لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه. 35
كاملة، ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسه نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن. ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، فيها نصب ولا يمسن فيها لغوب أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة لكثرة خيراتها، وتوالي مسراتها، وزوال كدوراتها، وذلك الإحلال من فضله علينا وكرمه، لا بأعمالنا، فلولوا فضله، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه. لا يمسن الذي أحلنا أي: أنزلنا نزول حلول واستقرار، لا نزول معبر واعتبار. دار المقامة أي: الدار التي تدوم فيها الإقامة، والدار التي يرغب في المقام فيها، فيموتوا فيستريحوا، ولا يخفف عنهم من عذابها فشددة العذاب وعظمه، مستمر عليهم في جميع الآتات واللحظات. كذلك نجزي كل كفور 36
كفروا أي: جحدوا ما جاءتهم به رسالهم من الآيات، وأنكروا لقاء ربهم. لهم نار جهنم يعذبون فيها أشد العذاب، وأبلغ العقاب. لا يقضى عليهم بالموت لما ذكر تعالى حال أهل الجنة ونعيمهم، ذكر حال أهل النار وعذابهم فقال: والذين

فيها خالدين مخلدين، وفي العذاب مهانين، ولهذا قال: فذوقوا فما للظالمين من نصير ينصرهم فيخرجهم منها، أو يخفف عنهم من عذابها. 37
الجزاء على الأعمال، سألتهم الرجعة؟ هيهات هيهات، فات وقت الإيمان، وغضب عليكم الرحيم الرحمن، واشتد عليكم عذاب النار، ونسيكم أهل الجنة، فامكتوا إنذار، ولم تغد فيكم موعظة، وأخرنا عنكم العقوبة، حتى إذا انقضت آجالكم، وتمت أعماركم، ورحلتم عن دار الإيمان، بأشر الحالات، ووصلتم إلى هذه الدار دار لكم أسباب الراحة، ومددنا لكم في العمر، وتابعنا عليكم الآيات، وأوصلنا إليكم النذر، وابتليناكم بالسراء والضراء، لتنبهوا إلينا وترجعوا إلينا، فلم ينجع فيكم لهم: أولم نعمركم ما أي: دهرها وعمرها يتذكر فيه من تذكر أي: يتمكن فيه من أراد التذكر من العمل، متعانكم في الدنيا، وأدرنا عليكم الأرزاق، وقبضنا ويستغيثون ويقولون: ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فاعترفوا بذنبهم، وعرفوا أن الله عدل فيهم، ولكن سألوا الرجعة في غير وقتها، فيقال وهم يصطرخون فيها أي: يصرخون ويتصايحون

أبصار الخلق وعن علمهم، وأنه عالم بالسرائر، وما تنطوي عليه الصدور من الخير والشر والزكاة وغيره، فيعطي كلا ما يستحقه، وينزل كل أحد منزلته. 38
لما ذكر تعالى جزاء أهل الدارين، وذكر أعمال الفريقين، أخبر تعالى عن سعة علمه تعالى، وإطلاعه على غيب السماوات والأرض، التي غابت عن

تفسير السعدي

أي: يخسرون أنفسهم وأهليهم وأعمالهم ومنازلهم في الجنة، فالكاfer لا يزال في زيادة من الشقاء والخسران، والخزي عند الله وعند خلقه والحرمان. 39 ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له وبغضه إياه، وأي: عقوبة أعظم من مقت الرب الكريم؟! ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا بعضهم يخلف بعضا في الأرض، ويرسل لكل أمة من الأمم النذر، فينظر كيف يعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه، وعليه إثم وعقوبته، يخبر تعالى عن كمال حكمته ورحمته بعباده، أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل

أيها الرسول، فلك أسوة بمن قبلك من المرسلين، فقد كذبت رسل من قبلك فأهلك المكذبون، ونجى الله الرسل وأتباعهم. وإلى الله ترجع الأمور 4 وإن يكذبوك يا

أعمالهم، فنشأت في قلوبهم، وصارت صفة من صفاتها، ففسر زوالها، وتفسر انفصالها، فحصل ما حصل من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل. 40 ليس لهم فيه حجة، فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال، وأما منى ماها الشيطان، وزين لهم سوء حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفتنة؟ أجاب تعالى بقوله: بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا أي: ذلك الذي مشوا عليه، بإخلاص الدين لله تعالى، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي، والتقلي قد دلا على بطلان الشرك، فما الذي بشركهم، فإننا نجزم بكذبهم، لأن الله قال: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون فالرسل والكتب، كلها متفقة على الأمر نزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولا جاءهم نذير قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولو قدر نزول كتاب إليهم، وإرسال رسول إليهم، وزعموا أنه أمرهم به يشركون، يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. فهم في شركهم على بينة من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟ ليس الأمر كذلك؟ فإنهم ما بعجزهم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، ودل على بطلانها. ثم ذكر الدليل السمعي، وأنه أيضا منتف، فهذا قال: أم آتيناها كتابا يتكلم بما كانوا في السماوات في خلقها وتدبيرها؟ سيقولون: ليس لهم شركة. فإذا لم يخلقوا شيئا، ولم يشاركوا الخالق في خلقه، فلم عبدتموهم ودعوتموهم مع إقراركم خلقوا من الأرض هل خلقوا بحرا أم خلقوا جبالا أم خلقوا حيوانا، أو خلقوا جمادا؟ سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء، هو الله تعالى، أم لشركائكم شركة الوجه. قل يا أيها الرسول لهم: رأيتم أي: أخبروني عن شركائكم الذين تدعون من دون الله هل هم مستحقون للدعاء والعبادة، ف أروني ماذا يقول تعالى معجزا لآلهة المشركين، ومبيننا نقصها، وبطلان شركهم من جميع

وعدم معالجتة للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه إنه كان حليما غفورا 41 والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالا وتعظيما، ومحبة وتكريما، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنبين، عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما. ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع، يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض

لم يهتدوا، ولم يصيروا أهدى من إحدى الأمم، بل لم يدوموا على ضلالهم الذي كان، بل ما زادهم ذلك إلا نفورا وزيادة ضلال وبغي وعناد. 42 لئن جاءهم نذير ليكون أهدى من إحدى الأمم أي: أهدى من اليهود والنصارى أهل الكتب، فلم يفوا بتلك الإقسامات والعهود. فلما جاءهم نذير أي وأقسم هؤلاء، الذين كذبوك يا رسول الله، قسما اجتهدوا فيه بالإيمان الغليظة.

التي لا تبدل ولا تغير، أن كل من سار في الظلم والعناد والاستكبار على العباد، أن يحل به نقمته، وتسلب عنه نعمته، فليترقب هؤلاء، ما فعل بأولئك. 43 وتبين قصدهم السيئ، فعاد مكربهم في نحورهم، ورد الله كيدهم في صدورهم. فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، الذي هو سنة الله في الأولين، إلا بأهله فمكربهم إنما يعود عليهم، وقد أبان الله لعباده في هذه المقالات وتلك الإقسامات، أنهم كذبة في ذلك مزورون، فاستبان خزيهم، وظهرت فضيحتهم، على طلبه، فيغتر به المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون. ولا يحق المكر السيئ الذي مقصوده مقصود سيئ، ومآله وما يرمي إليه سيئ باطل وإلا لوفقوا له، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الخلق، وعلى الحق، وبهجة في كلامهم هذا، يريدون به المكر والخداع، وأنهم أهل الحق، الحريصون وليس إقسامهم المذكور، لقصد حسن، وطلب للحق،

شيئا، ونفذت فيهم قدرة الله ومشيئته. وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته إنه كان عليما قديرا 44 أكثر منهم أموالا وأولادا وأشد قوة، وعمرؤا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء، فلما جاءهم العذاب، لم تنفعهم قوتهم، ولم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله يحض تعالى على السير في الأرض، في القلوب والأبدان، للاعتبار، لا لمجرد النظر والغفلة، وأن ينظروا إلى عاقبة الذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل، وكانوا أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر. ثم تفسير سورة فاطر، والحمد لله رب العالمين 45 من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة. ولكن يمهلهم تعالى ولا يمهلهم و يؤخرهم إلى ثم ذكر تعالى كمال حلمه، وشدة إمهاله وإنظاره أرباب الجرائم والذنوب، فقال: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا

ولا يقطعكم عن ذلك قاطع، فلا تغرنكم الحياة الدنيا بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية، فتلهيكم عما خلقتم له، ولا يغرنكم بالله الغرور 5 لا شك فيه، ولا مربة، ولا تردد، قد دلت على ذلك الأدلة السمعية والبراهين العقلية، فإذا كان وعده حقا، فتهينوا له، وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، يقول تعالى: يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والجزاء على الأعمال، حق أي:

تفسير السعدي

لا ترونه، وهو دائما لكم بالمرصاد. إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير هذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد. 6
الذي هو الشيطان الذي هو عدوكم في الحقيقة فاتخذوه عدوا أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم الغرور

بمقتضى ذلك الإيمان، بجوارحهم، الأعمال الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم، يزول بها عنهم الشر والمكروه وأجر كبير يحصل به المطلوب. 7
الكتب لهم عذاب شديد في نار جهنم، شديد في ذاته ووصفه، وأنهم خالدون فيها أبدا. والذين آمنوا بقلوبهم، بما دعا الله إلى الإيمان به وعملوا
ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان وعدمها إلى قسمين، وذكر جزاء كل منهما، فقال: الذين كفروا أي: جحدوا ما جاءت به الرسل، ودلت عليه
عن الحق حشرات فليس عليك إلا البلاغ، وليس عليك من هداهم شيء، والله هو الذي يجازيهم بأعمالهم. إن الله عليم بما يصنعون 8
بيد الله تعالى، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم أي: على الضالين الذين زين لهم سوء أعمالهم، وصددهم الشيطان
فهل يستوي هذا وهذا؟ فالأول: عمل السيئ، ورأى الحق باطلا، والباطل حقا، ورأى الحق حسنا، ورأى الحسن، ورأى الحق حقا، والباطل باطلا، ولكن الهداية والإضلال
تعالى: أفمن زين له عمله السيئ، القبيح، زين له الشيطان، وحسنه في عينه. فراه حسنا أي: كمن هداه الله إلى الصراط المستقيم والدين القويم،
يقول

مطرا، كما ساقه إلى الأرض الميتة، فينزله عليهم فتحيا الأجساد والأرواح من القبور، ويأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم، ويفصل بحكمه العدل. 9
وارتزقت الحيوانات، ورتعت في تلك الخيرات، كذلك الذي أحيا الأرض بعد موتها، ينشر الله الأموات من قبورهم، بعدما مزقهم البلى، فيسوق إليهم
كمال اقتداره، وسعة جوده، وأنه أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأنزله الله عليها فأحيينا به الأرض بعد موتها فحييت البلاد والعباد،
يخبر تعالى عن

سورة 36

أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر. تم تفسير سورة فاطر، والحمد لله رب العالمين 1
من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة. ولكن يمهلهم تعالى ولا يمهلهم و يؤخرهم إلى
ثم ذكر تعالى كمال حلمه، وشدة إمهاله وإنظاره أرباب الجرائم والذنوب، فقال: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وكيف يؤمن من طبع على قلبه، ورأى الحق باطلا والباطل حقا؟! 10
الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين فبشره بمغفرة لذنوبه، وأجر كريم لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة. 11
أي: من قصده اتباع الحق وما ذكر به، وخشي الرحمن بالغيب أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى، فهم
والقسم الثاني: الذين قبلوا النذارة، وقد ذكرهم بقوله: إنما تنذر أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك من اتبع الذكر
من الأعمال والنيات وغيرها أحصيناه في إمام مبين أي: كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب، التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ. 12
إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليفة، وأشدهم جرما، وأعظمهم إثما. وكل شيء
من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وهذا الموضع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية
مسجدا، أو محلا من المحال التي يرتفق بها الناس، وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك عمل الشر. ولهذا: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر
المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيرا، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل
وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيه عن
أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم، وآثارهم وهي آثار الخير وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم،
إننا نحن نحیی الموتی أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال، ونكتب ما قدموا من الخير والشر، وهو

جعلها الله مثلا للمخاطبين. إذ جاءها المرسلون من الله تعالى يأمرونهم بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وينهونهم عن الشرك والمعاصي. 13
أن زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتياد الأمور المشكوك فيها. والشاهد أن هذه القرية
له قرار، ما تعرف به أن طريق العلم الصحيح، الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، ويزيد العلم، من حيث يظن الجاهل
لعينها الله، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر
إن وفقوا للخير، وذلك المثل: أصحاب القرية، وما جرى منهم من التكذيب لرسل الله، وما جرى عليهم من عقوبته ونكاله. وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة،
أي: واضرب لهؤلاء المكذبين برسالتك، الرادين لدعوتك، مثلا يعتبرون به، ويكون لهم موعظة

فعرزنا بثالث أي: قويناهما بثالث، فصاروا ثلاثة رسل، اعتناء من الله بهم، وإقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم، فقالوا لهم: إنا إليكم مرسلون 14

إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما

على من يشاء من عباده وما أنزل الرحمن من شيء أي: أنكروا عموم الرسالة، ثم أنكروا أيضا المخاطبين لهم، فقالوا: إن أنتم إلا تكذبون 15
رد دعوة الرسل: ف قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا أي: فما الذي فضلكم علينا وخصكم من دوننا؟ قالت الرسل لأممهم: إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن
فأجابوهم بالجواب الذي ما زال مشهورا عند من

فكانت هؤلاء الرسل الثلاثة: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فلو كنا كاذبين، لأظهر الله خزينا، ولبادرنا بالعقوبة. 16

فليس إلينا، وإنما وظيفتنا التي هي البلاغ المبين قمنا بها، وبينناها لكم، فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتكم، فليس لنا من الأمر شيء. 17
وما علينا إلا البلاغ المبين أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها، وما عدا هذا من آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب،

أعظم مما يصنع به عدوه. ثم توعدهم فقالوا: لئن لم تنتهوا لنرجمنكم أي: نقتلنكم رجما بالحجارة أشنع القتلات وليمسنكم منا عذاب أليم 18
يكرمهم بها، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، قد قدم بحالة شر، زادت على الشر الذي هم عليه، واستشأموها بها، ولكن الخذلان وعدم التوفيق، يصنع بصاحبه
بكم أي: لم نر على قدومكم علينا واتصالكم بنا إلا الشر، وهذا من أعجب العجائب، أن يجعل من قدم عليهم بأجل نعمة ينعم الله بها على العباد، وأجل كرامة
فقال أصحاب القرية لرسولهم: إنا تطيرنا

صالحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم. بل أنتم قوم مسرفون متجاوزون للحد، متجرهمون في قولكم، فلم يزدكم دعاؤهم إلا نفورا واستكبارا. 19
طائركم معكم وهو ما معهم من الشرك والشر، المقتضي لوقوع المكروه والنقمة، وارتقاء المحبوب والنعمة. أئن ذكرتم أي: بسبب أنا ذكرناكم ما فيه
فكانت لهم رسولهم:

على غاية الحكمة. ومن حكمة هذا القرآن، أنه يجمع بين ذكر الحكم وحكمته، فينبه العقول على المناسبات والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها. 2
كل شيء موضعه، وضع الأمر والنهي في الموضع اللائق بهما، ووضع الجزاء بالخير والشر في محلهاما اللائق بهما، فأحكامه الشرعية والجزائية كلها مشتملة
هذا قسم من الله تعالى بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة، وهي وضع

إليه الرسل وآمن به، وعلم ما رد به قومه عليهم فقال لهم: يا قوم اتبعوا المرسلين فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة. 20
وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى حرصا على نصح قومه حين سمع ما دعت

الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: وهم مهتدون لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا يبنهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه. 21
يريد منكم أموالكم ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه. بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجره، ولكنه ليس على
ثم ذكر تأييدا لما شهد به ودعا إليه، فقال: اتبعوا من لا يسألكم أجرا أي: اتبعوا من نصحكم نصحا يعود إليكم بالخير، وليس

العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا عطاء ولا منعا، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا، 22
لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين
قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لأمميين له على اتباع الرسل، وإخلاص الدين لله وحده، فقال: وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أي: وما المانع
فكان

الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلا تغني شفاعتهم عني شيئا، ولا هم ينتقذون من الضر الذي أراده الله بي. 23
أأخذ من دونه آلهة إن يردن

وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها، والإعلان بإيمانه جهرا، مع خوفه الشديد من قتلهم، 24
إذا أي: إن عبدت آلهة هذا وصفها لفي ضلال مبين فجمع في هذا الكلام، بين نصحتهم، والشهادة للرسل بالرسالة، والاهتداء والإخبار بتعين عبادة الله
إني

إني آمنت بربكم فاسمعون فقتله قومه، لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به. 25

مخبرا بما وصل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه، وناصحا لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته: يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي 26
ف قيل له في الحال: ادخل الجنة فقال

غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، وجعلني من المكرمين بأنواع المثوبات والمسرات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم. 27
أي: بأي شيء

لإتلافهم، وما كنا منزليين لعدم الحاجة إلى ذلك، وعظمة اقتدار الله تعالى، وشدة ضعف بني آدم، وأنهم أدنى شيء يصيبهم من عذاب الله يكفيهم 28
قال الله في عقوبة قومه: وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء أي: ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم، فنزل جندا من السماء

لتلك الصيحة، فأصبحوا خامدين، لا صوت ولا حركة، ولا حياة بعد ذلك العتو والاستكبار، ومقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح، وتجبرهم عليهم. 29

تفسير السعدي

أي: كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة أي: صوتا واحدا، تكلم به بعض ملائكة الله، فإذا هم خامدون قد تقطعت قلوبهم في أجوافهم، وانزعجوا إن كانت

صلى الله عليه وسلم، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم. 3
رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم، لكفى به دليلا وشاهدا على رسالة محمد عرف أنك من خيار المرسلين، بما فيك من الصفات الكاملة، والأخلاق الفاضلة. ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه، وهو فلست ببدع من الرسل، وأيضا فجئت بما جاء به الرسل من الأصول الدينية، وأيضا فمن تأمل أحوال المرسلين وأوصافهم، وعرف الفرق بينهم وبين غيرهم، إنك لمن المرسلين هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنك من جملة المرسلين،

به يستهزئون أي: ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشد جهلهم، حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال 30
قال الله متوجعا للعباد: يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا

الله تعالى وأوقع بها عقابها، وأن جميعهم قد باد وهلك، فلم يرجع إلى الدنيا، ولن يرجع إليها، وسيعيد الله الجميع خلقا جديدا، ويبعثهم بعد موتهم. 31
يقول تعالى: ألم ير هؤلاء ويعتبروا بمن قبلهم من القرون المكذبة، التي أهلكها

ويحضرون بين يديه تعالى، ليحكم بينهم بحكمه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 32
أنزل الله عليها المطر، فأحيها بعد موتها، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون من جميع أصناف الزروع، ومن جميع أصناف النبات، التي تأكله أنعامهم. 33
أي: وآية لهم على البعث والنشور، والقيام بين يدي الله تعالى للجزاء على الأعمال، هذه الأرض الميتة

جنت أي: بساتين، فيها أشجار كثيرة، وخصوصا النخيل والأعناب، اللذان هما أشرف الأشجار، وفجرنا فيها أي: في الأرض من العيون 34
وجعلنا فيها أي: في تلك الأرض الميتة

فيها لذيذ الثمار، وأظهر ذلك الجنى من تلك الغصون، وفجر الأرض اليابسة الميتة بالعيون، بقادر على أن يحيي الموتى؟ بل، إنه على كل شيء قدير. 35
لهم هذه النعم، وأسبغ عليهم من جوده وإحسانه، ما به تصلح أمور دينهم ودنياهم، أليس الذي أحيا الأرض بعد موتها، فأنبث فيها الزروع والأشجار، وأودع فلم تعمله أيديهم بطبخ ولا غيره، بل أوجد الله هذه الثمار، غير محتاجة لطبخ ولا شيء، تؤخذ من أشجارها، فتؤكل في الحال. أفلا يشكرون من ساق وفاكهة، وأما ولذة، و الحال أن تلك الثمار ما عملته أيديهم وليس لهم فيه صنع، ولا عمل، إن هو إلا صنعة أحكم الحاكمين، وخير الرازقين، وأيضا جعلنا في الأرض تلك الأشجار، والنخيل والأعناب، لياكلوا من ثمره قوتا

أن يكون له شريك، أو ظهير، أو عوين، أو وزير، أو صاحبة، أو ولد، أو سمي، أو شبيهه، أو مثيل في صفات كماله ونعوت جلاله، أو يعجزه شيء يريد. 36
بين خلقهم وخلقهم، وأوصافهم الظاهرة والباطنة. ومما لا يعلمون من المخلوقات التي قد خلقت وغابت عن علمنا، والتي لم تخلق بعد، فسبحانه وتعالى الذي خلق الأزواج كلها أي: الأصناف كلها، مما تنبت الأرض فنوع فيها من الأصناف ما يعسر تعداده. ومن أنفسهم فنوعهم إلى ذكر وأنثى، وفاوت سبحانه

محله فإذا هم مظلومون وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس، فتضيء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحتهم، 37
على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وإحيائه الموتى بعد موتهم. الليل نسلخ منه النهار أي: نزيل الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها أي: وآية لهم

العزیز الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. العليم الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم. 38
لها أي: دائما تجري لمستقر لها قدره الله لها، لا تتعداه، ولا تقصر عنه، ولبس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله تعالى. ذلك تقدير والشمس تجري لمستقر

القديم أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش وصغر حجمه وانحنى، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئا فشيئا، حتى يتم نوره ويتسق ضياؤه. 39
والقمر قدرناه منازل ينزل بها، كل ليلة ينزل منها واحدة، حتى يصغر جدا، فيعود كالعرجون

من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه. 4
دينه الذي جاء به، فتأمل جلاله هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالى أقام والآخرة، والأخلاق الفاضلة، المزية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر، فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصف مستقيم معتدل، موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وذلك الصراط المستقيم، مشتمل على أعمال، وهي الأعمال الصالحة، المصلحة للقلب والبدن، والدنيا ثم أخبر بأعظم أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم، الدالة على رسالته، وهو أنه على صراط

يترددون على الدوام، فكل هذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على عظمة الخالق، وعظمة أوصافه، خصوصا وصف القدرة والحكمة والعلم في هذا الموضع. 40

تفسير السعدي

أن توجد الشمس في الليل، ولا الليل سابق النهار فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه، وكل من الشمس والقمر والنجوم في فلك يسبحون أي: تقديرًا لا يتعداه، وكل له سلطان ووقت، إذا وجد عدم الآخر، ولهذا قال: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر أي: في سلطانه الذي هو الليل، فلا يمكن وكل من الشمس والقمر، والليل والنهار، قدره الله

على أن الله وحده المعبود، لأنه المنعم بالنعمة، الصارف للنقم، الذي من جملة نعمه أنا حملنا ذريتهم قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آبائهم. 41 أي: ودليل لهم وبرهان،

الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن. 42 أن من عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلية، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال. فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك وآية لهم أنا حملناهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، لهم من مثله ما يركبون الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضًا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرًا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: وخلقنا هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: وخلقنا لهم من مثله ما يركبون إن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإيهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يباهه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده. وثم احتمال أحسن من عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكال المواضع علي في التفسير، فإن ما ذكره كثير من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن لهم أي: للموجودين من بعدهم من مثله أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه ما يركبون به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن، لأن النعمة وخلقنا

ذلك، فقال: وإن نشأ نفرقهم فلا صريخ لهم أي: لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة، ولا يزيل عنهم المشقة، ولا هم ينقذون مما هم فيه 43 أي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق، ولهذا نههم على نعمته عليهم حيث أنجاهم مع قدرته على مما كانت الآلة العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والنارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير

إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين حيث لم نفرقهم، لطفا بهم، وتمتيعا لهم إلى حين، لعلمهم يرجعون، أو يستدركون ما فرط منهم. 44

خلفكم أي: من أحوال البرزخ والقيامة، وما في الدنيا من العقوبات لعلكم ترحمون أعرضوا عن ذلك، فلم يرفعوا به رأسا، ولو جاءتهم كل آية. 45 وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما

أبين من آية من آيات الله، ولا أعظم بيانًا. وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم، في دينهم ودنياهم. 46 وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وفي إضافة الآيات إلى ربهم، دليل على كمالها ووضوحها، لأنه ما

تعالى مكن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختيارًا منهم، لا جبرًا لهم ولا قهراً. 47 بذلك. وهذا مما يدل على جهلهم العظيم، أو تجاهلهم الوخيم، فإن المشيئة، ليست حجة لعاص أبداً، فإنه وإن كان ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فإنه كفروا للذين آمنوا معارضين للحق، محتجين بالمشيئة: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم أيها المؤمنون إلا في ضلال مبين حيث تأمرونا وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي: من الرزق الذي من به الله عليكم، ولو شاء لسلبكم إياه، قال الذين

ويقولون على وجه التكذيب والاستعجال: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قال الله تعالى: لا يستبعدوا ذلك، فإنه عن قريب 48

وهم يخصمون أي: وهم لا هون عنها، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة. 49 ما ينظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة الصور تأخذهم أي: تصيبهم

بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: العزيز الرحيم. 5 وهذا الصراط المستقيم تنزيل العزيز الرحيم فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقا لعباده، موصلا لهم إليه، فحماه

وإذا أخذتهم وقت غفلتهم، فإنهم لا ينظرون ولا يمهلون فلا يستطيعون توصية أي: لا قليلة ولا كثيرة ولا إلى أهلهم يرجعون 50

والقبور، ينسلون إلى ربهم، أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من التأني والتأخر، وفي تلك الحال، يحزن المكذبون، ويظهرون الحسرة والندم. 51 النفخة الأولى، هي نفخة الفزع والموت، وهذه نفخة البعث والنشور، فإذا نفخ في الصور، خرجوا من الأجداث

الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: الملك يومئذ الحق للرحمن وخشعت الأصوات للرحمن ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا. 52

تفسير السعدي

- رأي عين. ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على قبيال النفخ في الصور، فيجابون، فيقال لهم: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون أي: هذا الذي وعدكم الله به، ووعدتكم به الرسل، فظهر صدقهم ويقولون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا أي: من رقدتنا في القبور، لأنه ورد في بعض الأحاديث، أن لأهل القبور رقدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور، فتتحيا الأجساد، فإذا هم جميع لدينا محضرون الأولون والآخرون، والإنس والجن، ليحاسبوا على أعمالهم. 53
- إن كانت البعثة من القبور إلا صيحة واحدة
- ولا يزداد في سيناتها، ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون من خير أو شر، فمن وجد خيرا فليحمد الله على ذلك، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. 54
- فاليوم لا تظلم نفس شيئا لا ينقص من حسناتها،
- الجنة، وأخبر أنهم في ذلك اليوم في شغل فاكهون أي: في شغل مفكه للنفس، ملذ لها، من كل ما تهواه النفوس، وتلذذه العيون، ويتمناه المتمنون. 55
- لما ذكر تعالى أن كل أحد لا يجازي إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ بجزاء أهل
- الأخلاق. في ظلال على الأرائك أي: على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن. متكنون عليها، اتكأ على كمال الراحة والطمأنينة واللذة. 56
- ومن ذلك افتضاض العذارى الجميلات، كما قال: هم وأزواجهم من الحور العين، اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان وحسن
- لهم فيها فاكهة كثيرة، من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ولهم ما يدعون أي: يطلبون، فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه. 57
- لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك. فنرجو ربنا أن لا يحرمننا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم. 58
- فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا، فلو أن الله تعالى قدر أن بقوله: قولا وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، ولهم أيضا سلام حاصل لهم من رب رحيم ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكد
- يوم القيامة امتازوا اليوم أيها المجرمون أي: تميزوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة، ليوبخهم ويقرعهم على رءوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار. 59
- لما ذكر تعالى جزاء المتقين، ذكر جزاء المجرمين و أنهم يقال لهم
- بعدهما أنذرتهم، انقسموا قسمين: قسم رد لما جئت به، ولم يقبل النذارة، وهم الذين قال الله فيهم لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون 6
- لحق بهم من كل أمي، ويذكر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة الله به على العرب خصوصا، وعلى غيرهم عموما. ولكن هؤلاء الذين بعثت فيهم لإنذارهم سفههم عقول العالمين، فأرسل الله إليهم رسولا من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ومن أنذر آباؤهم فهم غافلون وهم العرب الأميون، الذين لم يزلوا خالين من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى فلما أقسم تعالى على رسالته وأقام الأدلة عليها، ذكر شدة الحاجة إليها واقتضاء الضرورة لها فقال: لتنذر قوما ما
- والمعاصي، لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له، إنه لكم عدو مبين فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه. 60
- وأوصيكم، على السنة رسلي، وأقول لكم: يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أي: لا تطيعوه؟ وهذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر ألم أعهد إليكم أي: أمركم
- الشيطان صراط مستقيم فعلوم الصراط المستقيم وأعماله ترجع إلى هذين الأمرين، أي: فلم تحفظوا عهدي، ولم تعملوا بوصيتي، فواليتم عدوكم. 61
- و أمرتكم أن اعبدوني بامثال أوامري وترك زواجري، هذا أي: عبادتي وطاعتي، ومعصية
- أي: فلا كان لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم ووليكم الحق، ويزجركم عن اتخاذ أعداء لكم ولينا، فلو كان لكم عقل صحيح لما فعلتم ذلك. 62
- أضل منكم جبلا كثيرا أي: خلقا كثيرا. أفلم تكونوا تعقلون
- القول بالعذاب ف هذه جهنم التي كنتم توعدون وتكذبون بها، فانظروا إليها عيانا، فهناك تنزعج منهم القلوب، وتزوغ الأبصار، ويحصل الفرع الأكبر. 63
- فإذا أطعتم الشيطان، وعاديتم الرحمن، وكذبتم بلفائه، ووردتم القيامة دار الجزاء، وحق عليكم
- اليوم بما كنتم تكفرون أي: ادخلوها على وجه تصلاكم، ويحيط بكم حرها، ويبلغ منكم كل مبلغ، بسبب كفركم بآيات الله، وتكذيبكم لرسل الله. 64
- ثم يكمل ذلك، بأن يؤمر بهم إلى النار، ويقال لهم: اصلوها
- عملوه من الكفر والتكذيب. وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون أي: تشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوه، وينطقها الذي أنطق كل شيء. 65
- قال الله تعالى في بيان وصفهم الفظيع في دار الشقاء: اليوم نختم على أفواههم بأن نجعلهم خرسا فلا يتكلمون، فلا يقدرون على إنكار ما
- كما طمسنا على نطقهم. فاستبقوا الصراط أي: فبادروا إليه، لأنه الطريق إلى الوصول إلى الجنة، فأني يبصرون وقد طمسنا أبصارهم. 66
- ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم،

تفسير السعدي

- يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر. المقصود: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة. 67
- لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما هؤلاء، فليس لهم عند الله عهد في النجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم، فلم أن هؤلاء الكفار، حقت عليهم كلمة العذاب، ولم يكن بد من عقابهم. وفي ذلك الموطن، ما ثم إلا النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم أي: لأذهبنا حركتهم فما استطاعوا مضيا إلى الأمام ولا يرجعون إلى ورائهم ليبعدوا عن النار. والمعنى:
- حالة الضعف، ضعف العقل، وضعف القوة. أفلا يعقلون أن الآدمي ناقص من كل وجه، فيتداركوا قوتهم وعقولهم، فيستعملونها في طاعة ربهم. 68
- يقول تعالى: ومن نعمه من بني آدم ننكسه في الخلق أي: يعود إلى الحالة التي ابتدأ
- لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحق، بأدلتها التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك على رسوله. 69
- المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال، وهو يذكر العقول، ما ركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح. وقرآن مبين أي: مبين أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المحال أن يكون شاعرا، لأنه رشيد مهتد، والشعراء غاؤون، يتبعهم الغاؤون، ولأن الله تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم الله عليه وسلم، عما رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن يكون شاعرا، أي: هذا من جنس ينزه تعالى نبيه محمدا صلى
- القضاء والمشيئة، أنهم لا يزالون في كفرهم وشركهم، وإنما حق عليهم القول بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه، فحينئذ عوقبوا بالطبع على قلوبهم. 7
- أي: نفذ فيهم
- للأرض الطيبة الزاكية. ويحق القول على الكافرين لأنهم قامت عليهم به حجة الله، وانقطع احتجاجهم، فلم يبق لهم أدنى عذر وشبهة يدلون بها. 70
- لينذر من كان حيا أي: حي القلب واعي، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر
- ذلك من المنافع المشاهدة منها، أفلا يشكرون الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة. 71
- أنقالهم ومحاملهم وأمتعته من محل إلى محل، ومن أكلهم منها، وفيها دفع، ومن أوبارها وأشعارها وأصوافها أاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمال، وغير العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام وذللها، وجعلهم مالكين لها، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة من حملهم وحمل
- يأمر تعالى
- ذلك من المنافع المشاهدة منها، أفلا يشكرون الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة. 72
- أنقالهم ومحاملهم وأمتعته من محل إلى محل، ومن أكلهم منها، وفيها دفع، ومن أوبارها وأشعارها وأصوافها أاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمال، وغير العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام وذللها، وجعلهم مالكين لها، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة من حملهم وحمل
- يأمر تعالى
- ذلك من المنافع المشاهدة منها، أفلا يشكرون الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة. 73
- أنقالهم ومحاملهم وأمتعته من محل إلى محل، ومن أكلهم منها، وفيها دفع، ومن أوبارها وأشعارها وأصوافها أاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمال، وغير العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام وذللها، وجعلهم مالكين لها، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة من حملهم وحمل
- يأمر تعالى
- ومتبرئ بعضهم من بعض، أفلا تبرأوا في الدنيا من عبادة هؤلاء، وأخلصوا العبادة للذي بيده الملك والنفع والضر، والعطاء والمنع، وهو الولي النصير؟ 74
- فإذا استطاع، يبقى: هل يريد نصرته من عبده أم لا؟ فنفي الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما. وهم لهم جند محضون أي: محضون هم وهم في العذاب، غاية العجز لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر له شرطان: الاستطاعة والقدرة
- هذا بيان لبطلان آلهة المشركين، التي اتخذوها مع الله تعالى، ورجوا نصرها وشفعها، فإنها في
- ومتبرئ بعضهم من بعض، أفلا تبرأوا في الدنيا من عبادة هؤلاء، وأخلصوا العبادة للذي بيده الملك والنفع والضر، والعطاء والمنع، وهو الولي النصير؟ 75
- فإذا استطاع، يبقى: هل يريد نصرته من عبده أم لا؟ فنفي الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما. وهم لهم جند محضون أي: محضون هم وهم في العذاب، غاية العجز لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر له شرطان: الاستطاعة والقدرة
- هذا بيان لبطلان آلهة المشركين، التي اتخذوها مع الله تعالى، ورجوا نصرها وشفعها، فإنها في
- أو فيما جاء به. أي: فلا تشغل قلبك بالحزن عليهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فجازيهم على حسب علمنا بهم، وإلا فقولهم لا يضرك شيئا. 76
- أي: فلا يحزنك يا أيها الرسول، قول المكذبين، والمراد بالقول: ما دل عليه السياق، كل قول يقدحون فيه في الرسول،
- كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى. 77

تفسير السعدي

اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه من نطفة ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، فإذا هو خصيم مبين بعد أن فيها ذكر شبهة منكري البعث، والجواب عنها بآتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: أولم ير الإنسان المنكر للبعث والشاك فيه، أمرا يفيد هذه الآيات الكريكات،

وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلق بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا، لم يضرب هذا المثل. 78 هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت. هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق. فسر هذا المثل بقوله: قال ذلك الإنسان من يحيي العظام وهي رميم أي: وضرب لنا مثلا لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق،

الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم. 79 بكل خلق عليم هذا أيضا دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علما يقينا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، وهو فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقال: قل يحييها الذي أنشأها أول مرة

قد وصلت إلى أذنانهم ورفعت رءوسهم إلى فوق، فهم مقمحوحون أي: رافعو رءوسهم من شدة الغل الذي في أعناقهم، فلا يستطيعون أن يخفضوها. 80 إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا وهي جمع غل و الغل ما يغل به العنق، فهو للعنق بمنزلة القيد للرجل، وهذه الأغلال التي في الأعناق عظيمة وذكر الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم، فقال:

فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادها وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك. 80 ثم ذكر دليلا ثالثا الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون

تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه. 81 أي: أن يعيدهم بأعيانهم. بلى قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. وهو الخلاق العليم وهذا دليل خامس، فإنه ثم ذكر دليلا رابعا فقال: أوليس الذي خلق السماوات والأرض على سعتهم وعظمتهم بقادر على أن يخلق مثلهم

آثار خلقه، ولهذا قال: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون أي: في الحال من غير تمانع. 82 فإعادته للأموات، فرد من أفراد

يس، فله تعالى الحمد كما ينبغي لجلاله، وله الثناء كما يليق بكماله، وله المجد كما تستدعيه عظمته وكبريائه، وصلى الله على محمد وآله وسلم. 83 ترجعون من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور. ثم تفسير سورة يتصرف فيهم بأقداره الحكيمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية. فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: وإليه كل شيء وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، فسبحان الذي بيده ملكوت

سدا ومن خلفهم سدا أي: حاجزا يحجزهم عن الإيمان، فهم لا يبصرون قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تغد فيهم النذارة. 9 وجعلنا من بين أيديهم

سورة 37

الكرام، في حال عبادتها وتدبيرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته، فقال: والصفات صفا أي: صفوفها في خدمة ربهم، وهم الملائكة. 1 هذا قسم منه تعالى بالملائكة

إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء. 10 إلا من خطف الخطفة أي: إلا من تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة فأتبعه شهاب ثاقب تارة يدركه قبل أن يوصلها ولولا أنه تعالى استثنى، لكان ذلك دليلا على أنهم لا يستمعون شيئا أصلا، ولكن قال:

ولدا يكون من الصالحين وذلك عند ما أيس من قومه، ولم ير فيهم خيرا، دعا الله أن يهب له غلاما صالحا، ينفخ الله به في حياته، وبعد مماته. 100 رب هب لي

فدل على أن إسحاق غير الذبيح، ووصف الله إسماعيل، عليه السلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عن جنى. 101 وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأن الله تعالى قال في بشره بإسحاق فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب

فاستجاب الله له وقال: فبشرناه بغلام حليم

ستجدني إن شاء الله من الصابرين أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى. 102 ترى فإن أمر الله تعالى، لا بد من تنفيذه، قال إسماعيل صابرا محتسبا، مرضيا لربه، وبارا بوالده: يا أبت افعل ما تؤمر أي: امض لما أمرك الله

فقال له إبراهيم عليه السلام: إني أرى في المنام أني أذبحك أي: قد رأيت في النوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي فانظر ماذا فلما بلغ الغلام معه السعي أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته،

طاعة ربه، ورضا والده، وتله للجبين أي: تل إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه، لنلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه. 103 فلما أسلما أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازما بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالا لأمر ربه، وخوفا من عقابه، والابن قد وطن نفسه على الصبر، وهانت عليه في

على ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه إنا كذلك نجزي المحسنين في عبادتنا، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم. 104 ونادينا في تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش: أن يا إبراهيم قد صدقت أي: قد فعلت ما أمرت به، فإنك وطنت نفسك

على ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه إنا كذلك نجزي المحسنين في عبادتنا، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم. 105 ونادينا في تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش: أن يا إبراهيم قد صدقت أي: قد فعلت ما أمرت به، فإنك وطنت نفسك

قدم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فهذا قال: إن هذا لهو البلاء المبين 106 القلب متعلقة بالمحسوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفى وده ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه، فلما السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حبا شديدا، وهو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضي أن تكون جميع أجزاء إن هذا الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام لهو البلاء المبين أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبته لربه وخلته، فإن إسماعيل عليه ذبحه إبراهيم، فكان عظيما من جهة أنه كان فداء لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قربانا وسنة إلى يوم القيامة. 107 وفديناه بذبح عظيم أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم،

إبراهيم أي: وأبقينا عليه ثناء صادقا في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام، فإنه فيه محبوب معظم مثني عليه. 108 وتركتنا عليه في الآخرين سلام على

سلام على إبراهيم أي: تحيته عليه كقوله: قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى 109

من إنشائهم بعد موتهم، ولهذا قال: إنا خلقناهم من طين لازب أي: قوي شديد كقوله تعالى: ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون 111 والأرض أكبر من خلق الناس. فيلزمهم إذا الإقرار بالبعث، بل لو رجعوا إلى أنفسهم وفكروا فيها، لعلموا أن ابتداء خلقهم من طين لازب، أصعب عند الفكر بعد موتهم. أهم أشد خلقا أي: إيجادهم بعد موتهم، أشد خلقا وأشق؟ أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟ فلا بد أن يقرؤا أن خلق السماوات ولما بين هذه المخلوقات العظيمة قال: فاستفتهم أي: أسأل منكري خلقهم

إنا كذلك نجزي المحسنين في عبادة الله، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن. 110

أمر الله بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين 111 إنه من عبادنا المؤمنين بما

هذه البشارة الثانية بإسحاق، الذي من ورثه يعقوب، فبشر بوجوده وبقائه، ووجود ذريته، وكونه نبيا من الصالحين، فهي بشارات متعددة. 112 وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين

إسحاق اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة، أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسنا وظالما، والله أعلم. 113 لنفسه مبين أي: منهم الصالح والطالح، والعدل والظالم الذي تبين ظلمه، بكفره وشركه، ولعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: وباركنا عليه وعلى فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق. ومن ذريتهما محسن وظالم وباركنا عليه وعلى إسحاق أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما،

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه. 114 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه. 115 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

تفسير السعدي

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه. 116 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه. 117 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه. 118 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

أي: أبقى عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين 119 وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون

و أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم يسخرون ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق. 120 وأياها الإنسان، من تكذيب من كذب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب، لأنه مما لا يقبل الإنكار، بل عجبت يا أيها الرسول

أي: أبقى عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين 120 وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون

أي: أبقى عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين 121 وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون

أي: أبقى عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين 122 وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون

من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضرب، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي؟ 123 يقال له بعل وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يمدح

من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضرب، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي؟ 124 يقال له بعل وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يمدح

من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضرب، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي؟ 125 يقال له بعل وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يمدح

من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضرب، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي؟ 126 يقال له بعل وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يمدح

فيما دعاهم إليه، فلم ينقادوا له، قال الله متوعدا لهم: فإنهم لمحضرون أي يوم القيامة في العذاب، ولم يذكر لهم عقوبة دنيوية. 127 فكذبوه

إلا عباد الله المخلصين أي: الذين أخلصهم الله، ومن عليهم باتباع نبيهم، فإنهم غير محضرين في العذاب، وإنما لهم من الله جزيل الثواب. 128

تفسير السعدي

وتركنا عليه أي: على إلياس في الآخرين ثناء حسنا. 129

الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة، حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال، وإن كان تجاهلا وعنادا، فهو أعجب وأغرب. 13
و من العجب أيضا أنهم إذا ذكروا ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه لا يذكرون ذلك، فإن كان جهلا، فهو من أدل

سلام على إل ياسين أي: تحية من الله، ومن عباده عليه. 130

سلام على إل ياسين أي: تحية من الله، ومن عباده عليه. 131

إنه من عبادنا المؤمنين فأثنى الله عليه كما أثنى على إخوانه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. 132

وهذا ثناء منه تعالى على عبده ورسوله، لوط بالنبوة والرسالة، ودعوته إلى الله قومه، ونهيهم عن الشرك، وفعل الفاحشة. 133

فلما لم ينتهوا، نجاه الله وأهله أجمعين، فسروا ليلا فنجوا. 134

إلا عجوزا في الغابرين أي: الباقيين المعذبين، وهي زوجة لوط لم تكن على دينه. 135

ثم دمرنا الآخرين بأن قلبنا عليهم ديارهم فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود حتى همدوا وخمدوا. 136

وإنكم لتمرون عليهم أي: على ديار قوم لوط مصبحين وبالليل 137

أي: في هذه الأوقات، يكثر ترددكم إليها ومروركم بها، فلم تقبل الشك والمرية أفلا تعقلون الآيات والعبر، وتنزجرون عما يوجب الهلاك؟ 138

أثنى على إخوانه المرسلين، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه، أنه عاقبه عقوبة دنيوية، أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة، 139
وهذا ثناء منه تعالى، على عبده ورسوله، يونس بن متى، كما

ومن العجب أيضا أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة، وذكروا الآيات التي يخضع لهل فحول الرجال وألباب الألباء، يسخرون منها ويعجبون. 14

الركبان، وكأنهم لم يجدوا لأحد مزية في ذلك، فاقترعوا على أن من قرع وغلب، ألقى في البحر عدلا من أهل السفينة، وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه. 140
له ما هو سبب صلاحه. فلما أبق لجأ إلى الفلك المشحون بالركاب والأمتعة، فلما ركب مع غيره، والفلك شاحن، ثقلت السفينة، فاحتاجوا إلى إلقاء بعض
ذنبه الذي ارتكبه، لعدم فائدتها بذكره، وإنما فائدتها بما ذكرنا عنه أنه أذن، وعاقبه الله مع كونه من الرسل الكرام، وأنه نجاه بعد ذلك، وأزال عنه الملام، وقيض
إذ أبق أي: من ربه مغاضبا له، ظانا أنه لا يقدر عليه، ويحبسه في بطن الحوت، ولم يذكر الله ما غاضب عليه، ولا

فلما اقترعوا أصابت القرعة يونس فكان من المدحضين أي: المغلوبين. 141

فألقي في البحر فالتقمه الحوت وهو وقت التقامه مليم أي: فاعل ما يلام عليه، وهو مغاضبته لربه. 142

أي: في وقته السابق بكثرة عبادته لربه، وتسبيحه، وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين 143
فلولا أنه كان من المسبحين

بطنه إلى يوم يبعثون أي: لكانت مقبرته، ولكن بسبب تسبيحه وعبادته لله، نجاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين، عند وقوعهم في الشدائد. 144
للبث في

كانت عارية من الأشجار والظلال. وهو سقيم أي: قد سقم ومرض، بسبب حبسه في بطن الحوت، حتى صار مثل الفرخ الممعوط من البياضة. 145
فنبذناه بالعراء بأن قذفه الحوت من بطنه بالعراء، وهي الأرض الخالية العارية من كل أحد، بل ربما

وأنبئتنا عليه شجرة من يقطين تظله بظلها الظليل، لأنها بادرة باردة الظلال، ولا يسقط عليها ذباب، وهذا من لطفه به، وبره. 146

عليه منة عظمى، وهو أنه أرسله إلى مائة ألف من الناس أو يزيدون عنها، والمعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، فدعاهم إلى الله تعالى. 147
ثم لطف به لطفًا آخر، وامتن

أسبابه، قال تعالى: فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين 148
فآمنوا فصاروا في موازينه، لأنه الداعي لهم. فمتعناهم إلى حين بأن صرف الله عنهم العذاب بعدما انعقدت

يرضونهم لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم بذلك. 149
ألربك البنات ولهم البنون أي: هذه قسمة ضيزى، وقول جائر، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أردأ القسمين وأخسهما له وهو البنات التي لا
عليه وسلم: فاستفتهم أي: أسأل المشركين بالله غيره، الذين عبدوا الملائكة، وزعموا أنها بنات الله، فجمعوا بين الشرك بالله، ووصفه بما لا يليق بجلاله،
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله

ومن العجب أيضا، قولهم للحق لما جاءهم: إن هذا إلا سحر مبين فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقرها. 15

تفسير السعدي

- الملائكة إناثا وهم شاهدون خلقهم؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنهم ما شهدوا خلقهم، فدل على أنهم قالوا هذا القول، بلا علم، بل افتراء على الله، 150
قال تعالى في بيان كذبهم: أم خلقنا
ألا إنهم من إفكهم أي: كذبهم الواضح ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون 151
ألا إنهم من إفكهم أي: كذبهم الواضح ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون 152
أصطفى أي: اختار البنات على البنين 153
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الجائر. 154
أفلا تذكرون وتميزون هذا القول الباطل الجائر، فإنكم لو تذكرتم لم تقولوا هذا القول. 155
أم لكم سلطان مبين أي: حجة ظاهرة على قولكم، من كتاب أو رسول. 156
غير واقع، ولهذا قال: فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين فإن من يقول قولاً لا يقيم عليه حجة شرعية، فإنه كاذب متعمد، أو قائل على الله بلا علم. 157
وكل هذا
سروات الجن، والحال أن الجنة قد علمت أنهم محضرون بين يدي الله، ليجازيهم عباداً أذلاء، فلو كان بينهم وبينه نسب، لم يكونوا كذلك. 158
أي: جعل هؤلاء المشركون بالله بين الله وبين الجنة نسباً، حيث زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم
سبحان الله الملك العظيم، الكامل الحليم، عما يصفه به المشركون من كل وصف أوجب كفرهم وشركهم. 159
قدرة رب الأرض والسموات، على قدرة الآدمي الناقص من جميع الوجوه، فقالوا استبعاداً وإنكاراً: أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمبعوثون 16
ومن العجب أيضاً، قياسهم
إلا عباد الله المخلصين فإنه لم ينزه نفسه عما وصفوه به، لأنهم لم يصفوه إلا بما يليق بجلاله، وبذلك كانوا مخلصين. 160
من هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين. 161
أي: إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهي، والمقصود
من هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين. 162
أي: إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهي، والمقصود
من هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين. 163
أي: إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهي، والمقصود
وأنهم عباد الله، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام وتدبير قد أمره الله به لا يتعداه ولا يتجاوز، وليس لهم من الأمر شيء. 164
هذا فيه بيان براءة الملائكة عليهم السلام، عما قاله فيهم المشركون،
وإنا لنحن الصافون في طاعة الله وخدمته. 165
وإنا لنحن المسيحون لله عما لا يليق به. فكيف مع هذا يصلحون أن يكونوا شركاء لله؟ تعالى الله. 166
تعالى أن هؤلاء المشركين، يظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب، ما جاء الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكننا المخلصين على الحقيقة. 167
يخبر
تعالى أن هؤلاء المشركين، يظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب، ما جاء الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكننا المخلصين على الحقيقة. 168
يخبر
تعالى أن هؤلاء المشركين، يظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب، ما جاء الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكننا المخلصين على الحقيقة. 169
يخبر
أوابأونا الأولون 17
جاءهم أفضل الكتب فكفروا به، فعلم أنهم متمردون على الحق فسوف يعلمون العذاب حين يقع بهم، ولا يحسبوا أيضاً أنهم في الدنيا غالبون. 170
وهم كذبة في ذلك، فقد
قد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف لها لعباده المرسلين وجنده المفلحين. 171
يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة، وقاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور. 172

تفسير السعدي

- أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم، نصرا عزيزا،
يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة، وقاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور. 173
أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم، نصرا عزيزا،
ثم أمر رسوله بالإعراض عن عاندوا، ولم يقبلوا الحق، وأنه ما بقي إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، 174
وأبصرهم فسوف يبصرون من يحل به النكال، فإنه سيحل بهم. 175
وأبصرهم فسوف يبصرون من يحل به النكال، فإنه سيحل بهم. 176
فإذا نزل بساحتهم أي: نزل عليهم، وقريبا منهم فساء صباح المنذرين لأنه صباح الشر والعقوبة، والاستئصال. 177
ثم كرر الأمر بالتولي عنهم، وتهديدهم بوقوع العذاب. 178
ثم كرر الأمر بالتولي عنهم، وتهديدهم بوقوع العذاب. 179
على ترهيبهم فقال: قل نعم سبعتون، أنتم وآبائكم الأولون وأنتم داخرون ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة الله. 18
ولما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل
التي وصفوه بها، نزه نفسه عنها. سبحان ربك أي: تنزه وتعالى رب العزة أي: الذي عز فقهر كل شيء، واعتز عن كل سوء يصفونه به. 180
ولما ذكر في هذه السورة، كثيرا من أقوالهم الشنيعة،
وسلام على المرسلين لسلامتهم من الذنوب والآفات، وسلامة ما وصفوا به فاطر الأرض والسموات. 181
شوال سنة 1343هـ على يد جامعهم: عبد الرحمن بن ناصر السعدي وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. 182
سالمون مسلم عليهم، ومن اتبعهم في ذلك له السلامة في الدنيا والآخرة. وأعداؤه لهم الهلاك والعطب في الدنيا والآخرة تم تفسير سورة الصافات في 6
بها النقم، ودبرهم تعالى في حركاتهم وسكونهم، وفي جميع أحوالهم، كلها لله تعالى، فهو المقدس عن النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب المعظم، ورسله
رب العالمين الألف واللام، للاستغراق، فجميع أنواع الحمد، من الصفات الكاملة العظيمة، والأفعال التي ربي بها العالمين، وأدر عليهم فيها النعم، وصرف عنهم
والحمد لله
ينظرون كما ابتدئ خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلا، وفي تلك الحال، يظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور. 19
فإنما هي زجرة واحدة ينفخ إسرافيل فيها في الصور فإذا هم مبعوثون من قبورهم
فالزاجرات زجرا وهم الملائكة، يزعرون السحاب وغيره بأمر الله. 2
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين فقد أقرأوا بما كانوا في الدنيا به يستهزئون. 20
فيقال لهم: هذا يوم الفصل بين العباد فيما بينهم وبين ربهم من الحقوق، وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق. 21
فيقال: احشروا الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي وأزواجهم الذين من جنس عملهم، كل يضم إلى من يجانسه في العمل. 22
أي إذا أحضروا يوم القيامة، وعاینوا ما به يكذبون، ورأوا ما به يستسخرون، يؤمر بهم إلى النار، التي بها كانوا يكذبون،
يعبدون من دون الله من الأصنام والأنداد التي زعموها. فاجمعوهم جميعا فاهدوهم إلى صراط الجحيم أي: سوفوهم سوقا عنيفا إلى جهنم. 23
وما كانوا
البوار، يقال: وقفوهم قبل أن تصلوهم إلى جهنم إنهم مسئولون عما كانوا يفترونه في الدنيا، ليظهر على رؤوس الأشهاد كذبهم وفضيحتهم. 24
وبعد ما يتعين أمرهم إلى النار، ويعرفون أنهم من أهل دار
وتشفع لكم عند الله، فكأنهم لا يجيبون هذا السؤال، لأنهم قد علاهم الذل والصغار، واستسلموا لعذاب النار، وخشعوا وخضعوا وأبلسوا، فلم ينطقوا. 25
جرى عليكم اليوم؟ وما الذي طرقكم لا ينصر بعضكم بعضا، ولا يغيث بعضكم بعضا، بعدما كنتم تزعمون في الدنيا، أن آلهتكم ستدفع عنكم العذاب، وتغيثكم
فيقال لهم: ما لكم لا تناصرون أي: ما الذي
بل هم اليوم مستسلمون 26
جمعوا هم وأزواجهم وآلهتهم، وهدوا إلى صراط الجحيم، ووقفوا، فسنلوا، فلم يجيبوا، وأقبلوا فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضا على إضلالهم وضلالهم. 27
لما
فقال الأتباع للمتبعين الرؤساء: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي: بالقوة والغلبة، فتضلونا، ولولا أنتم لكانا مؤمنين. 28

تفسير السعدي

قالوا لهم بل لم تكونوا مؤمنين أي: ما زلتُم مشركين، كما نحن مشركون، فأَي: شيء فضلكم علينا؟ وأي: شيء يوجب لومنا؟ 29

فالتاليات ذكرا وهم الملائكة الذين يتلون كلام الله تعالى. 3

و الحال أنه ما كان لنا عليكم من سلطان أي: قهر لكم على اختيار الكفر بل كنتم قوما طاغين متجاوزين للحد 30

فحق علينا نحن وإياكم إنا لذائقون العذاب، أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في العقاب. 31

ف لذلك أغويناكم إنا كنا غاوين أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الغواية، فاستجبتم لنا، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم. 32

قال تعالى: فإنهم يومئذ أي: يوم القيامة في العذاب مشتركون وإن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم. 33

كما اشتركوا في الدنيا على الكفر، اشتركوا في الآخرة بجزائهم، ولهذا قال: إنا كذلك نفعل بالمجرمين 34

بلغ الغاية وجاوز النهاية فقال: إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله فدعوا إليها، وأمروا بترك إلهية ما سواه يستكبرون عنها وعلى من جاء بها. 35

ثم ذكر أن إجرامهم، قد

حكموا عليه بأظلم الأحكام، وجعلوه شاعرا مجنونا، وهم يعلمون أنه لا يعرف الشعر والشعراء، ولا وصفه وصفهم، وأنه أعقل خلق الله، وأعظمهم رأيا. 36

نزل نعبدها نحن وآبأؤنا ل قول شاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم. فلم يكفهم قبحهم الله الإعراض عنه، ولا مجرد تكذيبه، حتى

ويقولون معارضة لها أننا لتاركوا آلهتنا التي لم

لكان ذلك قادحا في صدقهم. وصدق أيضا المرسلين، بأن جاء بما جاءوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم. 37

ليؤمنن به ولينصرنه، وأخذوا ذلك على أمهم، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، وتبين كذب من خالفهم، فلو قدر عدم مجيئه، وهم قد أخبروا به،

فلولا مجيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق، لئن جاءهم،

ناقضا لقولهم: بل جاء محمد بالحق أي: مجيئه حق، وما جاء به من الشرع والكتاب حق. وصدق المرسلين أي: ومجيئه صدق المرسلين

ولهذا قال تعالى،

أخبر تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين، وهو الخبر الصادر منه تعالى، فقال: إنكم لذائقوا العذاب الأليم أي: المؤلم الموجه. 38

ولما كان قولهم السابق: إنا لذائقون قولنا صادرا منهم، يحتمل أن يكون صدقا أو غيره،

الأليم إلا ما كنتم تعملون فلم نظلمكم، وإنما عدلنا فيكم؟ ولما كان هذا الخطاب لفظه عاما، والمراد به المشركون، استثنى تعالى المؤمنين فقال: 39

وما تجزون في إذاقة العذاب

طرفة عين، أقسم بهم على ألوهيته فقال: إن إلهكم لواحد ليس له شريك في الإلهية، فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة. 4

فلما كانوا متألّهين لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه

يقول تعالى: إلا عباد الله المخلصين فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم، لأنهم أخلصوا لله الأعمال، فأخلصهم، واختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه. 40

أولئك لهم رزق معلوم أي: غير مجهول، وإنما هو رزق عظيم جليل، لا يجهل أمره، ولا يبلغ كنهه. 41

يدخلون عليهم من كل باب، ويهنئونهم ببلوغ أهنأ الثواب، وأكرمهم أكرم الأكرمين، وجاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب والأرواح والأبدان. 42

للذتها في لونها وطعمها. وهم مكرمون لا مهانون محتقرون، بل معظمون مجلون موقرون. قد أكرم بعضهم بعضا، وأكرمتهم الملائكة الكرام، وصاروا

فسره بقوله: فواكه من جميع أنواع الفواكه التي تتفكه بها النفس،

نعتها، وذلك لما جمعت، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وسلمت من كل مخل بنعيمها، من جميع المكدرات والمنغصات. 43

في جنات النعيم أي: الجنات التي النعيم وصفها، والسرور

وجوهم، تدل على تقابل قلوبهم، وتآدب بعضهم مع بعض فلم يستديره، أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور والأدب، ما دل عليه ذلك التقابل. 44

عليها، على وجه الراحة والطمأنينة، والفرح. متقابلين فيما بينهم قد صفت قلوبهم، ومحبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضا، أنهم على سرر وهي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة، المزخرفة الجميلة، فهم متكئون

معين أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر. 45

يطاف عليهم بكأس من

الخمر، تخالف خمر الدنيا من كل وجه، فإنها في لونها بيضاء من أحسن الألوان، وفي طعمها لذة للشاربين يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده. 46

وتلك

ونزف مال صاحبها، وليس فيها صداد ولا كدر، فلما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم، وعموم النعيم وتفصيله داخلة في قوله: جنات النعيم 47

وأنها سالمة من غول العقل وذها به، ونزفه،

يطمح إلى غيره، وشدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن، وذلك لانتهاء أسبابه. عين أي: حسان الأعين جميلاتهما، ملاح الحدق. 48
قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، وكل هذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضا، محبة لا
إلا به، وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضا، يدل على
الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب
لتعلم فتشتاق النفوس إليها، ذكر أزواجهم فقال: وعندهم قاصرات الطرف عين أي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات
لكن فصل هذه الأشياء

كأنهن أي: الحور بيض مكنون أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفائهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كدر ولا شين. 49
وكثيرا ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، لأنه دال عليه. وقد أقر به أيضا المشركون في العبادة، فيلزمهم بما أقرؤا به على ما أنكره. 5
وما بينهما ورب المشارق أي: هو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها، فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها، فكذلك لا شريك له في ألوهيته،
رب السماوات والأرض

ومطارتحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين 50
لما ذكر تعالى نعيمهم، وتما سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم،

إني كان لي قرين في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به. 51

و يقول لي أنك لمن المصدقين 52

وهو ما زال مكذبا منكرا للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلت أنا إلى ما ترون، من النعيم، الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك، أنه قد وصل إلى العذاب. 53
وعظاما، أننا نبعث ونعادي، ثم نحاسب ونجازي بأعمالنا؟ أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمنا مصدقا،
أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمدينون أي: مجازون بأعمالنا؟ أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابا
ذلك رأي عين؟ والظاهر من حال أهل الجنة، وسرور بعضهم ببعض، وموافقة بعضهم بعضا، أنهم أجابوه لما قال، وذهبوا تبعه له، للاطلاع على قرينه. 54
ف هل أنتم مطلعون لننظر إليه، فنزداد غبطة وسرورا بما نحن فيه، ويكون

فاطلع فرأى قرينه في سواء الجحيم أي: في وسط العذاب وغمراته، والعذاب قد أحاط به. 55

ف قال له لانما على حاله، وشاكرا لله على نعمته أن نجاه من كيد: تالله إن كدت لتتردين أي: تهلكني بسبب ما أدخلت علي من الشبه بزعمك. 56

ولولا نعمة ربي على أن ثبتني على الإسلام لكنت من المحضرين في العذاب معك. 57

من العذاب استفهام بمعنى الإثبات والتقرير أي: يقول لقرينه المعذب: أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموتة الأولى، ولا بعث بعدها ولا عذاب 58
أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين أي: يقوله المؤمن، مبتهجا بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة

من العذاب استفهام بمعنى الإثبات والتقرير أي: يقول لقرينه المعذب: أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموتة الأولى، ولا بعث بعدها ولا عذاب 59
أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين أي: يقوله المؤمن، مبتهجا بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة

إلى استماع الملائكة، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب من كل جانب طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملائكة الأعلى. 6
أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل. والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده
ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرما مظلم لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير
على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فهذا قال: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى
وخص الله المشارق بالذكر، لدلائنها

أم هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسماوات، وفرحوا بقربه، وتنعموا بمعرفته واستروا برؤيته، وطربوا لكلامه؟ 60
فقال: إن هذا هو الفوز العظيم الذي حصل لهم به كل خير، وكل ما تهوى النفوس وتشتهي، واندفع عنهم به كل محذور ومكروه، فهل فوز يطلب فوقه؟
الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه. فلما ذكر تعالى نعيم الجنة، ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة، مدحه، وشوق العاملين، وحثهم على العمل
أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف
وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن المعلوم
وقوله: فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون

كل الحسرة، أن يمضي على الحازم، وقت من أوقاته، وهو غير مشغول بالعمل، الذي يقرب لهذه الدار، فكيف إذا كان يسير بخطاياها إلى دار البوار؟ 61

تفسير السعدي

- لمثل هذا فليعمل العاملون فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس، والحسرة
- العذاب الذي يكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب؟ فأَيُّ الطعامين أولى؟ الذي وصف في الجنة أم طعام أهل النار؟ وهو شجرة الزقوم 62
- أذلك خير نزلاً أي: ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة خير، أم
- إننا جعلناها فتنة أي عذاباً ونكالا للظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي. 63
- ومعدنها أشد المعادن وأسوؤها، وشر المغرس، يدل على شر الغراس وخسته، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به، وبما ذكر من صفة ثمرتها. 64
- إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي: وسطه فهذا مخرجها،
- وأنها ك رءوس الشياطين فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، وما تفعل في أجوافهم وبطونهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل 65
- ولهذا قال: فإنهم لا ياكلون منها فمالئون منها البطون فهذا طعام أهل النار، فبنس الطعام طعامهم. 66
- قال تعالى: وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وكما قال تعالى: وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم 67
- ثم ذكر شرابهم فقال: ثم إن لهم عليها أي: على أثر هذا الطعام لشوبا من حميم أي: ماء حاراً، قد انتهى، كما
- ثم إن مرجعهم أي: مآلهم ومقرهم ومأواهم لآلئ الجحيم ليزوقوا من عذابه الشديد، وحره العظيم، ما ليس عليه مزيد من الشقاء. 68
- وكأنه قيل: ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: إنهم ألفوا أي: وجدوا آباءهم ضالين 69
- إلى استماع المأل الأعلى، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب من كل جانب طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول المأل الأعلى. 7
- أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل. والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده
- ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرماً مظلماً لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير
- على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فلماذا قال: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى المأل الأعلى
- وخص الله المشارق بالذكر، لدلائنها
- إليه الرسل، ولا إلى ما حذرتهم عنه الكتب، ولا إلى أقوال الناصحين، بل عارضوهم بأن قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون 70
- فهم على آثارهم يهرعون أي: يسرعون في الضلال، فلم يلتفتوا إلى ما دعته
- ولقد ضل قبلهم أي: قبل هؤلاء المخاطبين أكثر الأولين وقليل منهم آمن واهتدى. 71
- ولقد أرسلنا فيهم منذرين يندرونهم عن غيهم وضلالهم. 72
- فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كانت عاقبتهم الهلاك، والخزي، والفضيحة، فليحذر هؤلاء أن يستمروا على ضلالهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم. 73
- الله المخلصين أي: الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم، فإن عواقبهم صارت حميدة. ثم ذكر أنموذجاً من عواقب الأمم المكذبين فقال: 74
- ولما كان المنذرون ليسوا كلهم ضالين، بل منهم من آمن وأخلص الدين لله، استثناه الله من الهلاك فقال: إلا عباد
- الرسل، أنه لما دعا قومه إلى الله، تلك المدة الطويلة فلم يزددهم دعاؤه، إلا فراراً، أنه نادى ربه فقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً الآية. 75
- يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول
- وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 76
- وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسناً مستمراً إلى
- القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه
- وقال: رب انصرني على
- وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 77
- وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسناً مستمراً إلى
- القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه
- وقال: رب انصرني على
- وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 78
- وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسناً مستمراً إلى
- القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه
- وقال: رب انصرني على

تفسير السعدي

وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 79 وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسنا مستمرا إلى القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه وقال: رب انصربي على

إلى استماع الملائكة، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب من كل جانب طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملائكة الأعلى. 8 أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل. والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداها: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فهذا قال: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى وخص الله المشارق بالذكر، لدلالاتها

وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 80 وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسنا مستمرا إلى القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه وقال: رب انصربي على

قوله: إنه من عبادنا المؤمنين أن الإيمان أرفع منازل العباد وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه، لأن الله مدح به خواص خلقه. 81 ودل

قوله: إنه من عبادنا المؤمنين أن الإيمان أرفع منازل العباد وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه، لأن الله مدح به خواص خلقه. 82 ودل

أي: وإن من شيعة نوح عليه السلام، ومن هو على طريقته في النبوة والرسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدعاء، إبراهيم الخليل عليه السلام. 83 وإن من شيعته لإبراهيم

شر، وحصل له كل خير، ومن سلامته أنه سليم من غش الخلق وحسدهم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق، ولهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه وقومه. 84 إذ جاء ربه بقلب سليم من الشرك والشبه، والشهوات المانعة من تصور الحق، والعمل به، وإذا كان قلب العبد سليما، سلم من كل

إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون هذا استفهام بمعنى الإنكار، وإلزام لهم بالحجة. 85

ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم. 86 أنفكا آلهة دون الله تريدون أي: أتعبدون من دونه آلهة كذبا،

وشركاء. فأراد عليه السلام، أن يكسر أصنامهم، ويتمكن من ذلك، فانتهاز الفرصة في حين غفلة منهم، لما ذهبوا إلى عيد من أعيادهم، فخرج معهم. 87 وما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أندادا

ثلاث كذبات: قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله عن زوجته إنها أختي والقصد أنه تخلف عنهم، ليتم له الكيد بآلهتهم. 88 فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم في الحديث الصحيح: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا

ثلاث كذبات: قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله عن زوجته إنها أختي والقصد أنه تخلف عنهم، ليتم له الكيد بآلهتهم. 89 فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم في الحديث الصحيح: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا

ولهم عذاب واصب أي: دائم، معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم. 9

ف لهذا تولوا عنه مدبرين فلما وجد الفرصة. 90

فراغ إلى آلهتهم أي: أسرع إليها على وجه الخفية والمراوغة، فقال متهمكما بها ألا تأكلون 91

ما لكم لا تنطقون أي: فكيف يليق أن تعبد، وهي أنقص من الحيوانات، التي تأكل أو تكلم؟ فهذه جماد لا تأكل ولا تكلم. 92

فراغ عليهم ضربا باليمين أي: جعل يضربها بقوته ونشاطه، حتى جعلها جذاذا، إلا كبيرا لهم، لعلهم إليه يرجعون. 93

فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم الآية. 94

يقول: تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فوبخوه ولاموه، فقال: بل فعله كبيرهم هذا فسنلوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم يسرعون ويهرعون، أي: يريدون أن يوقعوا به، بعدما بحثوا وقالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين وقيل لهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم

فأقبلوا إليه يزفون أي:

ما تحتون أي: تحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم، وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص لله؟ الذي خلقكم وما تعملون 95
قال هنا: أتعبدون

ما تحتون أي: تحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم، وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص لله؟ الذي خلقكم وما تعملون 96
قال هنا: أتعبدون

قالوا ابنوا له بنيانا أي: عاليا مرتفعا، وأوقدوا فيها النار فألقوه في الجحيم جزاء على ما فعل، من تكسير آلهتهم. 97

فأرادوا به كيدا ليقتلوه أشنع قتلة فجعلناهم الأسفلين رد الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم بردا وسلاما. 98

إلى ما فيه الخير لي، من أمر ديني ودنياي، وقال في الآية الأخرى: وأعزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا 99
فيه هذا الفعل، وأقام عليهم الحجة، وأعذر منهم، قال إني ذاهب إلى ربي أي: مهاجر إليه، قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشام. سيهدين يدني
و لما فعلوا

سورة 38

القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه، فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تلقيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه. 1
وفروعه. وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهو هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان
كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم
هذا بيان من الله تعالى لحال القرآن، وحال المكذبين به معه ومع من جاء به، فقال: ص والقرآن ذي الذكر أي: ذي القدر العظيم والشرف، المذكر للعباد
الباطل وخذلان الحق؟ وهو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم، بل سعيهم خائب، وجندهم مهزوم، ولهذا قال: جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب 10
إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول الله، فكيف يتكلمون، وهم أعجز خلق الله وأضعفهم بما تكلموا به؟! أم قصدهم التحزب والتجند، والتعاون على نصر
أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما بحيث يكونون قادرين على ما يريدون. فليترقوا في الأسباب الموصلة لهم
الباطل وخذلان الحق؟ وهو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم، بل سعيهم خائب، وجندهم مهزوم، ولهذا قال: جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب 11
إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول الله، فكيف يتكلمون، وهم أعجز خلق الله وأضعفهم بما تكلموا به؟! أم قصدهم التحزب والتجند، والتعاون على نصر
أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما بحيث يكونون قادرين على ما يريدون. فليترقوا في الأسباب الموصلة لهم
من قبلهم، الذين كانوا أعظم قوة منهم وتحزبا على الباطل، قوم نوح وعاد قوم هود وفرعون ذو الأوتاد أي: الجنود العظيمة، والقوة الهائلة. 12
يحذرهم تعالى أن يفعل بهم ما فعل بالأمم

أي: الأشجار والبساتين الملتفة، وهم قوم شعيب، أولئك الأحزاب الذين اجتمعوا بقوتهم وعددهم وعددهم على رد الحق، فلم تغن عنهم شيئا. 13
وثمود قوم صالح، وقوم لوط وأصحاب الأيكة

إن كل من هؤلاء إلا كذب الرسل فحق عليهم عقاب الله، وهؤلاء، ما الذي يطهرهم ويزكيهم، أن لا يصيبهم ما أصاب أولئك. 14

فلينتظروا صيحة واحدة ما لها من فواق أي: من رجوع ورد، تهلكهم وتستأصلهم إن أقاموا على ما هم عليه. 15

وما قسم لنا من العذاب عاجلا قبل يوم الحساب ولجوا في هذا القول، وزعموا أنك يا محمد، إن كنت صادقا، فعلامة صدقك أن تأتينا بالعذاب 16
أي: قال هؤلاء المكذبون، من جهلهم ومعادنتهم الحق، مستعجلين للعذاب: ربنا عجل لنا قطنا أي: قسطنا

جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجاء إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح. 17
أعظم العابدين، نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ذا الأيد أي: القوة العظيمة على عبادة الله تعالى، في بدنه وقلبه. إنه أواب أي: رجاء إلى الله في
الصبر بالعبادة لله وحده، ويتذكر حال العابدين، كما قال في الآية الأخرى: فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن
الحق شيئا، ولا يضررك في شيء، وإنما يضررون أنفسهم. واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب لما أمر الله رسوله بالصبر على قومه، أمره أن يستعين على
اصبر على ما يقولون كما صبر من قبلك من الرسل، فإن قولهم لا يضر

ومن شدة إنابته لربه وعبادته، أن سخر الله الجبال معه، تسبح معه بحمد ربها بالعشي والإشراق أول النهار وآخره. 18

معه مجموعة كل من الجبال والطير، لله تعالى أواب امتثالا لقوله تعالى: يا جبال أوبي معه والطير فهذه منة الله عليه بالعبادة. 19

و سخر الطير محشورة

تفسير السعدي

- أنزله، وصار معهم عزة وشقاق عزة وامتناع عن الإيمان به، واستكبار وشقاق له، أي: مشاقة ومخاصمة في رده وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به. 2
فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون به وبمن
- التي بها قوى الله ملكه، ثم ذكر منته عليه بالعلم فقال: وآتيناه الحكمة أي: النبوة والعلم العظيم، وفصل الخطاب أي: الخصومات بين الناس. 20
ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال: وشددنا ملكه أي: قويناه بما أعطيناه من الأسباب وكثرة العدد والعدد
- صلى الله عليه وسلم: وهل أذاك نبأ الخصم فإنه نبأ عجيب إذ تسوروا على داود المحراب أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان. 21
تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه، وغفر له، وقبض له هذه القضية، فقال لنبیه محمد
لما ذكر تعالى أنه أتى نبیه داود الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفاً بذلك مقصوداً، ذكر
- قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك، فسيقضان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمزن نبی الله داود من وعظهما له، ولم يؤنبهما. 22
بعضنا على بعض بالظلم فاحكم بيننا بالحق أي: بالعدل، ولا تمل مع أحداً ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط والمقصود من هذا، أن الخصمين
ولم يدخلوا عليه مع باب، فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة، فزع منهم وخاف، فقالوا له: نحن خصمان فلا تخف بغى
- واحدة فطمع فيها فقال أكفليها أي: دعها لي، وخلصها في كفالتي. وعزني في الخطاب أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد. 23
عدم البغي، وأن بغية الصادر منه أعظم من غيره. له تسع وتسعون نجعة أي: زوجة، وذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه الله. ولي نجعة
فقال أحدهما: إن هذا أخي نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضاها
- أي: اختبرناه ودبرنا عليه هذه القضية ليتنبه فاستغفر ربه لما صدر منه، وخر راکعاً أي: ساجداً وأُتاب لله تعالى بالتوبة النصوح والعبادة. 24
من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم. وقليل ما هم كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وظن داود حين حكم بينهما أنما فتناه
الكثير منهم، فقال: وإن كثيراً من الخلقاء ليبغي بعضهم على بعض لأن الظلم من صفة النفوس. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإن ما معهم
فلا وجه للاعتراض بقول القائل: لم حكم داود، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر ؟ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وهذه عادة الخلقاء والقرناء
فقال داود لما سمع كلامه ومن المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هذا هو الواقع، فهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر،
- إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها. 25
فقال: وإن له عندنا لزلفى أي: منزلة عالية، وقرية منا، وحسن مأب أي: مرجع. وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره الله لعدم الحاجة
فغفرنا له ذلك الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات،
- عن سبيل الله خصوصاً المتعمدين منهم، لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن. 26
الهوى فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر فيضلك الهوى عن سبيل الله ويخرجك عن الصراط المستقيم، إن الذين يضلون
القضايا الدينية والدينية، فاحكم بين الناس بالحق أي: العدل، وهذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، ولا تتبع
يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض تنفذ فيها
- وسعة سلطانه، وأنه تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مثقال ذرة من السماوات والأرض، وأن البعث حق، وسيفصل الله بين أهل الخير والشر. 27
كفروا من النار فإنها التي تأخذ الحق منهم، وتبلغ منهم كل مبلغ. وإنما خلق الله السماوات والأرض بالحق وللحق، فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه وقدرته
والأرض، وأنه لم يخلقهما باطلاً، أي: عبثاً ولعباً من غير فائدة ولا مصلحة. ذلك ظن الذين كفروا بربهم، حيث ظنوا ما لا يليق بجلاله. فويل للذين
يخبر تعالى عن تمام حكمته في خلقه السماوات
- في حكمه، ولهذا قال: أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار هذا غير لائق بحكمتنا وحكمنا. 28
ولا يظن الجاهل بحكمة الله أن يسوي الله بينهما
- أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب. 29
تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. وليتذكر أولو الألباب أي:
فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركتته وخيره، وهذا يدل على الحث على
وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله. ليدبروا آياته أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته،
كتاب أنزلناه إليك مبارك فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون،
- حين مناص أي: وليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، ولا فرج لما أصابهم، فليحذر هؤلاء أن يدوموا على عزتهم وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم. 3
فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسول، وأنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا واستغاثوا في صرف العذاب عنهم ولكن ولات

تفسير السعدي

- إنه أواب أي: رجع إلى الله في جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء. 30
- عليهما السلام فقال: ووهبنا لداود سليمان أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه. نعم العبد سليمان عليه السلام، فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو لما أثنى تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى على ابنه سليمان
- لها منظر رائع، وجمال معجب، خصوصا للمحتاج إليها كالمملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة المساء وذكره. 31
- لما عرضت عليه الخيل الجياد سبق الصافنات أي: التي من صفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان أحببت معنى أثرت أي: أثرت حب الخير، الذي هو المال عموما، وفي هذا الموضع المراد الخيل عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب 32
- فقال ندما على ما مضى منه، وتقربا إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديما لحب الله على حب غيره: إني أحببت حب الخير وضمن ردوها علي فردوها فطفق فيها مسح بالسوق والأعناق أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها. 33
- جسدا أي: شيطانا قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان، ثم أناب سليمان إلى الله تعالى وتاب. 34
- ولقد فتنا سليمان أي: ابتليناه واختبرناه بذهاب ملكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية، وألقينا على كرسيه لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، بينون ما يريد، ويفوضون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 35
- ف قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، بينون ما يريد، ويفوضون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 36
- ف قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، بينون ما يريد، ويفوضون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 37
- ف قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، بينون ما يريد، ويفوضون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 38
- ف قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، بينون ما يريد، ويفوضون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 39
- خرج عليك في ذلك ولا حساب، لعلمه تعالى بكمال عدله، وحسن أحكامه، ولا تحسبن هذا لسليمان في الدنيا دون الآخرة، بل له في الآخرة خير عظيم. 39
- وقلنا له: هذا عطاؤنا فقرر به عينا فامتن على من شئت، أو أمسك من شئت بغير حساب أي: لا اتباعه، فهذا مما يوجب الشكر عليهم، وتمام الانقياد له. ولكنهم عكسوا القضية، فتعجبوا تعجب إنكار وقالوا من كفرهم وظلمهم: هذا ساحر كذاب 4
- المكذبون في أمر ليس محل عجب، أن جاءهم منذر منهم، ليتمكنوا من التلقي عنه، وليعرفوه حق المعرفة، ولأنه من قومهم، فلا تأخذهم النخوة القومية عن وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي: عجب هؤلاء
- إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الحال أكمل. 40
- عليها الآدميون. ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان عليه السلام. ومنها: أن سليمان عليه السلام، كان ملكا نبيا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فليسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديما لمحبة الله، فعوضه الله خيرا من ذلك، بأن محبة الله تعالى على محبة كل شيء. ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشغوم مذموم، فليفارقه وليقبل على ما هو أنفع له. ومنها: القاعدة المشهورة إنه أواب ومنها: كثرة خير الله وبره بعبده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب. ومنها: تقديم سليمان له، وأن من أكبر نعم الله على عبده، أن يهب له ولدا صالحا، فإن كان عالما، كان نورا على نور. ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله نعم العبد الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين. ومنها: أن سليمان عليه السلام من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه. ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزیز على الكريم الغفار. ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقصة لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال الناس. ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصا الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله، رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده. ومنها: إكرام الله لعبده داود للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في فلم يشمنز ولم يغضب ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف. ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة العلاقات الدنيوية المالية، موجبة

تفسير السعدي

أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشتمن، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود وبخهما. ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه أنت ظلمتني أو يا ظالم ونحو ذلك أو باغ علي لقولهما: خصمان بغى بعضنا على بعض. ومنها: بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي. ومنها: كمال حلم داود عليه السلام، فإنه ما غضب عليهما حين جاءه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال. ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم يخلو فيه بره، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره. ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتا بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادهم بلطفه. ومنها: أن داود عليه السلام، كان في أغلب أحواله ملازما محرابه لخدمة ربه، أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عليهما السلام. ومنها: عبده، أن يزرقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام. ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفياه عندما العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق. ومنها: أن من أكبر نعم الله على فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون أولئك الذين هدى الله فيبهداهم اقتده. ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود عليه السلام، من حسن الصوت المخلة بالقوى المضعفة للنفس. ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخوادم خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتسلى به. ومنها: أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، وشدة صبرهم وإنابتهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا في هذا الموضع لما ذكر الله ما ذكر داود وسليمان عليهما السلام. ومنها: أن الله تعالى يقص على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم ولهذا قال: وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب أي: هو من المقربين عند الله المكرمين بأنواع الكرامات لله. فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة بنصب وعذاب أي: بأمر مشق متعب معذب، وكان سلب على جسده فنفخ فيه حتى تفرح، ثم تقيح بعد ذلك واشتد به الأمر، وكذلك هلك أهله وماله. 41 الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه. ف نادى ربه داعيا، وإليه لا إلى غيره شاكيا، فقال: رب أني مسني الشيطان أي: واذكر في هذا الكتاب ذي الذكر عبدنا أيوب بأحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن

برجلك أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى. 42 فليل له: اركض

أي: وليتذكر أولو العقول بحالة أيوب ويعتبروا، فيعلموا أن من صبر على الضر، أن الله تعالى يثيبه ثوابا عاجلا وآجلا، ويستجيب دعاءه إذا دعاه. 43 ومثلهم معهم في الدنيا، وأغناه الله، وأعطاه مالا عظيما رحمة منا بعدنا أيوب، حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثوابا عاجلا وآجلا. وذكرى لأولي الألباب ووهبنا له أهله قيل: إن الله تعالى أحياهم له

حال السراء والضراء، والشدة والرخاء. إنه أواب أي: كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله. 44 واحدة، فيبر في يمينه. إنا وجدناه أي: أيوب صابرا أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى. نعم العبد الذي كمل مراتب العبودية، في لئن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها الله ورحمه، فأفتاه أن يضربها بضغت فيه مائة شمراخ ضربة وخذ بيدك ضغثا أي حزمة شمراخ فاضرب به ولا تحنت قال المفسرون: وكان في مرضه وضره، قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: ابن ابنه يعقوب أولي الأيدي أي: القوة على عبادة الله تعالى والأبصار أي: البصيرة في دين الله. فوصفهم بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير. 45 يقول تعالى: واذكر عبادنا الذين أخلصوا لنا العبادة ذكرا حسنا، إبراهيم الخليل و ابنه إسحاق و

لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر. 46 إنا أخلصناهم بخالصة عظيمة، وخصيصة جسيمة، وهي: ذكرى الدار جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل وإنهم عندنا لمن المصطفين الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه، الأخيار الذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم. 47

فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال السديدة. 48 أي: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، وأثن عليهم أحسن الثناء،

له من نفاذ أي: وإن للمتقين ربهم، بامثال الأوامر واجتناب النواهي، من كل مؤمن ومؤمنة، لحسن مآب أي: لمآبا حسنا، ومرجعا مستحسنا. 49 ويعرف ما من الله عليهم به من الأوصاف الزكية، وما نشر لهم من الثناء بين البرية، فهذا نوع من أنواع الذكر، وهو ذكر أهل الخير، ومن أنواع الذكر، نذكرنا ما ذكر هؤلاء الأنبياء الصفوة وذكر أوصافهم، ذكر في هذا القرآن ذي الذكر، يتذكر بأحوالهم المتذكرون، ويشتاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون،

هذا أي:

ينهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد، ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده. إن هذا الذي جاء به لشيء عجاب أي: يقضي منه العجب لبطلانه وفساده. 5
وذنبه عندهم أنه أجعل الآلهة إلهًا واحدًا أي: كيف

لا يحتاجون أن يفتحوها هم، بل هم مخدومون، وهذا دليل أيضًا على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها. 50
لا يبغي صاحبها بدلًا منها، من كمالها وتمام نعيمها، وليسوا بخارجين منها ولا بمخرجين. مفتحة لهم الأبواب أي: مفتحة لأجلهم أبواب منازلها ومسكنها،
ثم فسره وفصله فقال: جنات عدن أي: جنات إقامة،

أن يأتوا بفاكهة كثيرة وشراب من كل ما تشتهي نفوسهم، وتلذذ أعينهم، وهذا يدل على كمال النعيم، وكمال الراحة والطمأنينة، وتمام اللذة. 51
متكئين فيها على الأرائك المزينات، والمجالس المزخرفات. يدعون فيها أي: يأمرهم خدامهم،

كل منها للآخر، وعدم طموحه لغيره، وأنه لا يبغي بصاحبه بدلًا، ولا عنه عوضًا. أتراب أي: على سن واحد، أعدل سن الشباب وأحسنه وألذ. 52
وعندهم من أزواجهم، الحور العين قاصرات طرفهن على أزواجهن، وطرف أزواجهن عليهن، لجمالهم كلهم، ومحبة

هذا ما توعدون أيها المتقون ليوم الحساب جزاء على أعمالكم الصالحة. 53

الغني، الحميد اللطيف الرحمن، الملك الديان، الجليل الجميل المنان، ذي الفضل الباهر، والكرم المتواتر، الذي لا تحصى نعمه، ولا يحاط ببعض بره. 54
من نفاذ أي: انقطاع، بل هو دائم مستقر في جميع الأوقات، متزايد في جميع الآثات. وليس هذا بعظيم على الرب الكريم، الرؤوف الرحيم، البر الجواد، الواسع
إن هذا لرزقنا الذي أوردناه على أهل دار النعيم ما له

هذا الجزاء للمتقين ما وصفناه وإن للطاغين أي: المتجاوزين للحد في الكفر والمعاصي لشر مآب أي: لشر مرجع ومنقلب. 55

يصلونها أي: يعذبون فيها عذابا يحيط بهم من كل وجه، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل. فبئس المهاد المعد لهم مسكنًا ومستقرًا. 56
ثم فصله فقال: جهنم التي جمع فيها كل عذاب، واشتد حرها، وانتهى قرها

حميم ماء حار، قد اشتد حره، يشربونه فيقطع أمعاءهم. وغساق وهو أكره ما يكون من الشراب، من قيح وصديد، مر المذاق، كريه الرائحة. 57
هذا المهاد، هذا العذاب الشديد، والخزي والفضيحة والنعكس فليذوقوه

وآخر من شكله أي: من نوعه أزواج أي: عدة أصناف من أصناف العذاب، يعذبون بها ويخزون بها. 58

وعند تواردهم على النار يشتتم بعضهم بعضًا، ويقول بعضهم لبعض: هذا فوج مقتحم معكم النار لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار 59

يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده، من الحجج والبراهين، وهم قصدتهم، أن محمداً، ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، ويكون معظما عندهم، متبعوا. 6
قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء، فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما
عليها وعلى عبادتها، ولا يردكم عنها راد، ولا يصدركم عن عبادتها، صاد. إن هذا الذي جاء به محمد، من النهي عن عبادتها لشيء يراد أي: يقصد، أي: له
المقبول قولهم، محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك. أن امشوا واصبروا على آلهتكم أي: استمروا عليها، واجاهدوا نفوسكم في الصبر
وانطلق الملاء منهم

بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه أي: العذاب لنا بدعوتكم لنا، وفتنتكم وإضلالكم وتسببكم. فبئس القرار قرار الجميع، قرار السوء والشر. 60
قالوا أي: الفوج المقبل المقتحم:

ثم دعوا على المغوين لهم، ف قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقال في الآية الأخرى: قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون 61

نعددهم من الأشرار أي: كنا نزعهم أنهم من الأشرار، المستحقين لعذاب النار، وهم المؤمنون، تفقدتهم أهل النار قبهم الله هل يرونهم في النار؟ 62
وقالوا وهم في النار ما لنا لا نرى رجلا كنا

حتى في النار، ولهذا يقول أهل الأعراف لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون 63
بالنار، تمكنت من قلوبهم، وصارت صبغة لها، فدخلوا النار وهم بهذه الحالة، فقالوا ما قالوا. ويحتمل أن كلامهم هذا كلام تمويه، كما موهوا في الدنيا، موهوا
وإلا فهم معنا معذبون ولكن تجاوزتهم أبصارنا، فيحتمل أن هذا الذي في قلوبهم، فتكون العقائد التي اعتقدوها في الدنيا، وكثرة ما حكموا لأهل الإيمان
وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرى حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون والأمر الثاني: أنهم لعلمهم زاعت أبصارنا عن رؤيتهم معنا في العذاب،
وإنما كلامنا لهم من باب السخرية والاستهزاء بهم، وهذا هو الواقع، كما قال تعالى لأهل النار: إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحمنا
أتخذناهم سخرى أم زاعت عنهم الأبصار أي: عدم رؤيتنا لهم دائر بين أمرين: إما أننا غالطون في عدنا إياهم من الأشرار، بل هم من الأخيار،
قال تعالى مؤكدا ما أخبر به، وهو أصدق القائلين: إن ذلك الذي ذكرت لكم لحق ما فيه شك ولا مرية تخاصم أهل النار 64

تفسير السعدي

- هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى، وقهره لكل شيء، فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهارين متساويين في قهرهما أبدا. 65
- وأحثكم على الخير وأزجركم عن الشر فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها وما من إله إلا الله أي: ما أحد يؤله ويعبد بحق إلا الله الواحد القهار
- قل يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين، إن طلبوا منك ما ليس لك ولا بيدك: إنما أنا منذر هذا نهاية ما عندي، وأما الأمر فله تعالى، ولكني آمركم، وأنهاكم،
- يحب ويستحق أن يعبد، دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئا، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار. 66
- أنواع التدابير. العزيز الذي له القوة، التي بها خلق المخلوقات العظيمة. الغفار لجميع الذنوب، صغيرها، وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع منها. فهذا الذي
- أن يعبد وحده، كما كان قاهرا وحده، وقرر ذلك أيضا بتوحيد الربوبية فقال: رب السماوات والأرض وما بينهما أي: خالقهما، ومربيهما، ومدبرها بجميع
- فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق
- لهم ومنذرا: هو نبأ عظيم أي: ما أنبأكم به من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، خبر عظيم ينبغي الاهتمام الشديد بشأنه، ولا ينبغي إغفاله. 67
- قل لهم، مخوفا ومحذرا، ومنهضا
- بأخبار لا علم لي بها ولا درستها في كتاب، فأخبرني بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، أكبر شاهد لصدقي، وأدل دليل على حق ما جئتكم به. 68
- ولكن أنتم عنه معرضون كأنه ليس أمامكم حساب ولا عقاب ولا ثواب، فإن شككتكم في قلبي، وامترتكم في خبري، فإني أخبركم
- ما كان لي من علم بالملا الأعلى أي: الملائكة إذ يختصمون لولا تعليم الله إياي، وإيحاؤه إلي. 69
- جنس شبهتهم الأولى، حيث ردوا الحق بما ليس بحجة لرد أدنى قول، وهو أنه قول مخالف لما عليه آباؤهم الضالون، فأين في هذا ما يدل على بطلانه؟ 7
- أدركوا آباءهم عليه، فامضوا على الذي مضى عليه آباؤكم، فإنه الحق، وما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه، وكذب افتراه، وهذه أيضا شبهة من
- ما سمعنا بهذا القول الذي قاله، والدين الذي دعا إليه في الملة الآخرة أي: في الوقت الأخير، فلا أدركنا عليه آباءنا، ولا آباؤنا
- إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين أي: ظاهر النذارة، جليها، فلا نذير أبلغ من نذارته صلى الله عليه وسلم. 70
- ثم ذكر اختصاص الملا الأعلى فقال: إذ قال ربك للملائكة على وجه الإخبار إني خالق بشرا من طين أي: مادته من طين. 71
- امثالا لربهم، وإكراما لآدم عليه السلام، فلما تم خلقه في بدنه وروحه، وامتنح الله آدم والملائكة في العلم، وظهر فضله عليهم، أمرهم الله بالسجود. 72
- فإذا سويته أي: سويت جسمه وتم، ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فوطن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين يتم خلقه ونفخ الروح فيه،
- فسجدوا كلهم أجمعون 73
- إلا إبليس لم يسجد استكبر عن أمر ربه، واستكبر على آدم وكان من الكافرين في علم الله تعالى. 74
- واختصصه بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، وذلك يقتضي عدم التكبر عليه. أستكبرت في امتناعك أم كنت من العالين 75
- ف قال الله موبخا ومعاتبا: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي: شرفته وكرمته
- من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ فإنها كلها أعظم بطلانا وفسادا من هذا القياس. 76
- أنواع الأشجار والنباتات وهو يغلب النار ويطفئها، والنار تحتاج إلى مادة تقوم بها، والطين قائم بنفسه، فهذا قياس شيخ القوم، الذي عارض به الأمر الشفاهي
- النار خير من عنصر الطين، وهذا من القياس الفاسد، فإن عنصر النار مادة الشر والفساد، والعلو والطيخ والخفة وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع وإخراج
- قال إبليس معارضا لربه ومناقضا: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وبزعمه أن عنصر
- ف قال الله له: فاخرج منها أي: من السماء والمحل الكريم. فإنك رجيم أي: مبعد مدحور. 77
- وإن عليك لعنتي أي: طردي وإبعادي إلى يوم الدين أي: دائما أبدا. 78
- قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون لشدة عداوته لآدم وذريته، ليتمكن من إغواء من قدر الله أن يغويه. 79
- بل لما يذوقوا عذاب أي: قالوا هذه الأقوال، وتجروا عليها، حيث كانوا ممتعين في الدنيا، لم يصبهم من عذاب الله شيء، فلو ذاقوا عذابه، لم يتجرأوا. 8
- الصفة يتكلم عن شك وعناد، إن قوله غير مقبول، ولا قادح أدنى قدح في الحق، وأنه يتوجه عليه الذم واللوم بمجرد كلامه، ولهذا توعدهم بالعذاب فقال:
- جازمين بإقامتهم على شكهم، قالوا ما قالوا من تلك الأقوال لدفع الحق، لا عن بينة من أمرهم، وإنما ذلك من باب الائتفاك منهم. ومن المعلوم، أن من هو بهذه
- الرسول، أخبر تعالى من أين صدرت، وأنهم في شك من ذكرني ليس عندهم علم ولا بينة. فلما وقعوا في الشك وارتضوا به، وجاءهم الحق الواضح، وكانوا
- الرسول إلا بهذا الوصف، يمن الله عليهم برسالته، ويأمرهم بدعوة الخلق إلى الله، ولهذا، لما كانت هذه الأقوال الصادرة منهم لا يصلح شيء منها لرد ما جاء به
- الذكر من بيننا أي: ما الذي فضله علينا، حتى ينزل الذكر عليه من دوننا، ويخصه الله به؟ وهذه أيضا شبهة، أين البرهان فيها على رد ما قاله؟ وهل جميع
- أءنزل عليه

فقال الله مجيباً لدعوته، حيث اقتضت حكمته ذلك: فإنك من المنظرين 80

إلى يوم الوقت المعلوم حين تستكمل الذرية، يتم الامتحان. 81

من خبثه، بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته، فقال: فبعتك لأغوينهم أجمعين يحتمل أن الباء للقسمة، وأنه أقسم بعزة الله ليغوينهم كلهم أجمعين. 82 فلما علم أنه منظر، بادى ربه،

دعاءنا، ونؤمن بوعدك الذي قلت لنا: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم فقد دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا. إنك لا تخلف الميعاد 83 من النعم الدينية والدنيوية، وصرفت بها عنا ما صرفت من النقم، أن تعيننا على محاربتة وعداوته، والسلامة من شره وشركه، ونحسن الظن بك أن تجيب المقرون لك بكل نعمة، ذرية من شرفته وكرمته، فنستعين بعزتك العظيمة، وقدرتك، ورحمتك الواسعة لكل مخلوق، ورحمتك التي أوصلت إلينا بها، ما أوصلت عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحداً إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم هذا، وهو عدو الله حقاً. ونحن يا ربنا العاجزون المقصرون، إلا عبادك منهم المخلصين علم أن الله سيحفظهم من كيده. ويحتمل أن الباء للاستعانة، وأنه لما علم أنه

قال الله تعالى فالحق والحق أقول أي: الحق وصفي، والحق قولِي. 84

قال الله تعالى فالحق والحق أقول أي: الحق وصفي، والحق قولِي. 85

قل ما أسألكم عليه أي: على دعائي إياكم من أجر وما أنا من المتكلفين أدعي أمراً ليس لي، وأقفو ما ليس لي به علم، لا أتبع إلا ما يوحى إلي. 86 فلما بين الرسول للناس الدليل ووضح لهم السبيل قال الله له:

عبدنا واذكر عبادنا رحمة من عندنا وذكرى هذا ذكر اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، نسيان غفلة ونسيان ترك. 87 المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين. فلماذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين. وأكثر التذكير بها فيما بين ذلك، كقوله: واذكر السورة العظيمة، مشتملة على الذكر الحكيم، والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين، على من كذب بالقرآن وعارضه، وكذب من جاء به، والإخبار عن عباد الله الوحي والقرآن إلا ذكر للعالمين يتذكرون به كل ما ينفعهم، من مصالح دينهم ودنياهم، فيكون شرفاً ورفعة للعاملين به، وإقامة حجة على المعاندين. فهذه إن هو أي: هذا

ولتعلمن نبأه أي: خبره بعد حين وذلك حين يقع عليهم العذاب وتتقطع عنهم الأسباب. تم تفسير سورة ص بمنه تعالى وعونه. 88

شاءوا، ويمنعون منها من شاءوا، حيث قالوا: أنزل عليه الذكر من بيننا أي: هذا فضله تعالى ورحمته، وليس ذلك بأيديهم حتى يتحجروا على الله. 9 أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب فيعطون منها من

سورة 39

مشتملاً على الحق في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية، وما بعد الحق إلا الضلال. 1 عليه وسلم، الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب، وبما نزل به، وهو الحق، فنزل بالحق الذي لا مربة فيه، لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور، ونزل كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته. ولكنه مع هذا زاد بيانا لكماله بمن نزل عليه، وهو محمد صلى الله عليه وآله وأمره. فالقرآن نازل ممن هذا وصفه، والكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أن الله تعالى هو الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك منه، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، والحكمة في يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة من تكلم به ونزل

يؤديها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضية الصبر ومحل عند الله، وأنه معين على كل الأمور. 10 أجرهم بغير حساب وهذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى إلى غيرها، وهذا عام في كل زمان ومكان، فلا بد أن يكون لكل مهاجر، ملجأ من المسلمين يلجأ إليه، وموضع يتمكن من إقامة دينه فيه. إنما يوفى الصابرون يأتي أمر الله وهم على ذلك تشير إليه هذه الآية، وترمي إليه من قريب، وهو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة، فمهما منعتم من عبادته في موضع فهاجروا الله واسعة وهنا بشارة نص عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بقوله لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى وهو أن النص عام، أنه كل من أحسن فله في الدنيا حسنة، فما بال من آمن في أرض يضطهد فيها ويمتهن، لا يحصل له ذلك، دفع هذا الظن بقوله: وأرض إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم. ولما قال: للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة كان لبعض النفوس مجال في هذا الموضع، منشراح. كما قال تعالى: من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة وأرض الله واسعة إذا منعتم من عبادته في أرض، فهاجروا وأبها الشجاع قاتل. وذكر لهم الثواب المنشط في الدنيا فقال: للذين أحسنوا في هذه الدنيا بعبادة ربهم حسنة ورزق واسع، ونفس مطمئنة، وقلب وهو ربوبية الله لهم وإنعامه عليهم، المقتضي ذلك منهم أن يتقوه، ومن ذلك ما من الله عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى، كما تقول: أيها الكريم تصدق،

تفسير السعدي

أي: قل مناديا لأشرف الخلق، وهم المؤمنون، أما لهم بأفضل الأوامر، وهي التقوى، ذاكرا لهم السبب الموجب للتقوى،

أي قل يا أيها الرسول للناس: إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين في قوله في أول السورة: فاعبد الله مخلصا له الدين 11

إيقاعه من محمد صلى الله عليه وسلم، وممن زعم أنه من أتباعه، فلا بد من الإسلام في الأعمال الظاهرة، والإخلاص لله في الأعمال الظاهرة والباطنة. 12 وأمرت لأن أكون أول المسلمين لأنني الداعي الهادي للخلق إلى ربهم، فيقتضي أنني أول من ائتمر بما أمر به، وأول من أسلم، وهذا الأمر لا بد من

قل إني أخاف إن عصيت ربي في ما أمرني به من الإخلاص والإسلام. عذاب يوم عظيم يخلد فيه من أشرك، ويعاقب فيه من عصى. 13

تعالى: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين 14

قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه كما قال

واشتد عليهم الحزن، وعظم الخسران. ألا ذلك هو الخسران المبين الذي ليس مثله خسران، وهو خسران مستمر، لا ربح بعده، بل ولا سلامة. 15 الخاسرين حقيقة هم الذين خسروا أنفسهم حيث حرموها الثواب، واستحقت بسببهم وخيم العقاب وأهليهم يوم القيامة أي: فرق بينهم وبينهم،

قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين قل إن

قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه كما قال تعالى:

على سلوكها، ورغبتهم بكل مرغبت تشاق له النفوس، وتطمئن له القلوب، وحذرهم من العمل لغيره غاية التحذير، وذكر لهم الأسباب الزاجرة عن تركه. 16 لأهل الشقاء من العذاب داع يدعو عباده إلى التقوى، وزاجر عما يوجب العذاب. فسبحان من رحم عباده في كل شيء، وسهل لهم الطرق الموصلة إليه، وحثهم ظلل ذلك الوصف الذي وصفنا به عذاب أهل النار، سوط يسوق الله به عباده إلى رحمته، يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون أي: جعل ما أعده ثم ذكر شدة ما يحصل لهم من الشقاء فقال: لهم من فوقهم ظلل من النار أي: قطع عذاب كالحساب العظيم ومن تحتهم

وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة. ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: فبشر عباد 17 مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه الدين له، فأنصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات، لهم البشرى التي لا يقادر قدرها، الله، فاجتنبوها في عبادتها. وهذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم، لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها. وأنابوا إلى الله بعبادته وإخلاص لما ذكر حال المجرمين ذكر حال المنبيين وثوابهم، فقال: والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها والمراد بالطاغوت في هذا الموضع، عبادة غير

حسنها، وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل. 18 وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إثباره، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، الآية. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله لأحسن الأخلاق والأعمال وأولئك هم أولو الأبواب أي: العقول الزاكية. ومن لبهم نتصف بصفات أولي الأبواب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الأبواب؟ قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية. وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الذين يستمعون القول وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إثباره مما ينبغي اجتنابه،

أي: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه وعناده وكفره، فإنه لا حيلة لك في هدايته، ولا تقدر تنقذ من في النار لا محالة. 19

تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والسرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد. 20 على أشرف الخلق، عظمت فيه النعمة، وجلت، ووجب القيام بشكرها، وذلك بإخلاص الدين لله، فلهذا قال: فاعبد الله مخلصا له الدين أي: أخلص لله ولما كان نازلا من الحق، مشتتما على الحق لهداية الخلق،

والفاكهة النضيجة. وعد الله لا يخلف الله الميعاد وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به، فليوفوا بخصال التقوى، ليوفيهم أجورهم. 20 بذهب وفضة، وملاطها المسك الأذفر. تجري من تحتها الأنهار المتدفقة، المسقية للبساتين الزاهرة والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، ومن علوها وارتفاعها، أنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي، ولهذا قال: من فوقها غرف أي: بعضها فوق بعض مبنية الكرامة وأنواع النعيم، ما لا يقادر قدره. لهم غرف أي: منازل عالية مزخرفة، من حسناتها وبهائها وصفائها، أنه يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، لكن الغنى كل الغنى، والفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من

أولي الأبواب، الذين نوهت بذكرهم، وهديتهم بما أعطيتهم من العقول، وأريتهم من أسرار كتابك وبديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم، إنك أنت الوهاب. 21 تبعا لمصالحهم. ويذكرون به كمال قدرته، وأنه يحيي الموتى، كما أحيا الأرض بعد موتها، ويذكرون به أن الفاعل لذلك هو المستحق للعبادة اللهم اجعلنا من

تفسير السعدي

ثم يجعله حطاما متكسرا إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب يذكرون بها عناية ربهم ورحمته بعباده، حيث يسر لهم هذا الماء، وخزنه بخزان الأرض بسهولة ويسر، ثم يخرج به زرا مختلفا ألوانه من بر وذرة، وشعير وأرز، وغير ذلك. ثم يهيج عند استكماله، أو عند حدوث آفة فيه فتراه مصفرا يذكر تعالى أولي الألباب، ما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض، أي: أودعه فيها ينبوعا، يستخرج

ضلال مبين وأي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟ ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره؟ 22 ذكر الله أي: لا تلبس لكتابته، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشر الكبير. أولئك في والعمل بها، منشرا قرير العين، على بصيرة من أمره، وهو المراد بقوله: فهو على نور من ربه كمن ليس كذلك، بدليل قوله: فويل للقاسية قلوبهم من أي: أفيستوي من شرح الله صدره للإسلام، فاتسع لتلقي أحكام الله

من هاد لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه والتوفيق للإقبال على كتابته، فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى، وما هو إلا الضلال المبين والشقاء. 23 إلى الله إلا منه يهدي به من يشاء من عباده ممن حسن قصده، كما قال تعالى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومن يضل الله فما له يهدي به أي: بسبب ذلك من يشاء من عباده. ويحتمل أن المراد بقوله: ذلك أي: القرآن الذي وصفناه لكم. هدى الله الذي لا طريق يوصل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر. ذلك الذي ذكره الله من تأثير القرآن فيهم هدى الله أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم، يخشون ربهم لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، ثم تلبس جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير. ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلماذا قال تعالى: تقشعر منه جلود الذين كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراعى لما مضى مما يشبهه، وإن الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلك في هذا التفسير هذا المسلك كلما بعد عهدا بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزيكية للقلوب، المكمل للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كما ذكرنا. مثاني أي: تثني فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثني فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وآخر متشابهات فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابها، أي: في حسنه، لأنه قال: أحسن الحديث وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضا متشابهات فالمراد بها، التي تشبه على فهم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: منه آيات محكمات هن أم الكتاب بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضوع. وأما في قوله تعالى: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابها في الحسن والانتلاف يخبر تعالى عن كتابته الذي نزل أنه أحسن الحديث على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن،

فهو يتقي فيه سوء العذاب لأنه قد غلت يداه ورجلاه، وقيل للظالمين أنفسهم، بالكفر والمعاصي، توبيخا وتقريعا: ذوقوا ما كنتم تكسبون 24 كان في الضلال واستمر على عناده حتى قدم القيامة، فجاءه العذاب العظيم فجعل يتقي بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء، وأدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، أي: أفيستوي هذا الذي هداه الله، ووفقه لسلك الطريق الموصلة لدار كرامته، كمن

كذب الذين من قبلهم من الأمم كما كذب هؤلاء، فأثاهم العذاب من حيث لا يشعرون جاءهم في غفلة أول نهار، أو هم قائلون. 25

عند الله وعند خلقه ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون فليحذر هؤلاء من المقام على التكذيب، فيصيبهم ما أصاب أولئك من التعذيب. 26 فأذاقهم الله بذلك العذاب الخزي في الحياة الدنيا فافتضحوا

أهل الشر، وأمثال التوحيد والشر، وكل مثل يقرب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك لعلمهم يتذكرون عندما نوضح لهم الحق فيعلمون ويعملون. 27 يخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير وأمثال

قيما لعلمهم يتقون الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية والعملية، بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب الله فيه من كل مثل. 28 من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته كما قال تعالى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قرآنا عربيا غير ذي عوج أي: جعلناه قرآنا عربيا، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصا على العرب. غير ذي عوج أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه

لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة، ف هل يستويان مثلا الحمد لله على تبين الحق من الباطل، وإرشاد الجاهل. بل أكثرهم لا يعلمون 29 المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقر له قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه، قد خلاصه الله من الشركة ورجلا سلما لرجل أي: خالصا له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة. هل يستويان أي: هذان الرجلان مثلا؟ لا يستويان. كذلك حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

تفسير السعدي

للشرك والتوحيد فقال: ضرب الله مثلا رجلا أي: عبدا فيه شركاء متشاكسون فهم كثيرون، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات ثم ضرب مثلا

اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدوها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن؟ 3
إن الله لا يهدي أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم من هو كاذب كفار أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار. الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين والمشركون، وفي ضمنه التهديد للمشركون: إن الله فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها. فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفهمهم العظيم، وشدة جرائهم عليه. ويعلم أيضا الحكمة في كون فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط. وجميع الشفعاء يخافونه، بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحما لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون يخشون من الفقر. وأما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطريهم، وهم أيضا فقراء، قد يمنعون لما رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يعطفهم عليه ويسترحمه من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلا ونقلا وفطرة، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك. وهذا القياس وتجروا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا، فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئا. أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، أشرك به فقال: والذين اتخذوا من دونه أولياء أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، معتذرين عن أنفسهم وقائلين: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مشق للنفس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به، وأخبر بدم من مطالب عباده. وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويظهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو ألا لله الدين الخالص هذا تقرير

إنك ميت وإنهم ميتون أي: كلكم لا بد أن يموت وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون 30

ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما تنازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل، ويجازي كلا ما عمله أحصاه الله ونسوه 31

كان ظلما على ظلم. أليس في جهنم مثوى للكافرين يحصل بها الاشتفاء منهم، وأخذ حق الله من كل ظالم وكافر. إن الشرك لظلم عظيم 32
ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه، فتكذبه ظلم عظيم منه، لأنه رد الحق بعد ما تبين له، فإن كان جامعا بين الكذب على الله والتكذيب بالحق، حكم بكذا وهو كاذب، فهذا داخل في قوله تعالى: وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون إن كان جاهلا، وإلا فهو أشنع وأشنع. وكذب بالصدق إذ جاءه أي: ومخيرا: أنه لا أظلم وأشد ظلما ممن كذب على الله إما بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله، أو بادعاء النبوة، أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا، أو أخبر بكذا، أو يقول تعالى، محذرا

وعدم استكباره. أولئك أي: الذين وفقوا للجمع بين الأمرين هم المتقون فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق والتصديق به. 33
لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق. وصدق به أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد ولما ذكر الكاذب المكذب وجنابته وعقوبته، ذكر الصادق المصدق وثوابه، فقال: والذي جاء بالصدق في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن فإنه حاصل لهم، معد مهيا، ذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم المحسنين إلى عباد الله. 34
عند ربهم من الثواب، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فكل ما تعلق به إرادتهم ومشيتهم، من أصناف اللذات والمشتهيات، لهم ما يشاءون

ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أي: بحسناتهم كلها إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 35
والأحسن الطاعات كلها، فهذا التفصيل، يتبين معنى الآية، وأن قوله: ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا أي: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم وتقواهم، عمل الإنسان له ثلاث حالات: إما أسوأ، أو أحسن، أو لا أسوأ، ولا أحسن. والقسم الأخير قسم المباحات وما لا يتعلق به ثواب ولا عقاب، والأسوأ، المعاصي كلها،

تفسير السعدي

ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون

عنه من ناوأه بسوء. ويخوفونك بالذين من دونه من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيهم وضلالهم. ومن يضل الله فما له من هاد 36 بعبوديته، وامتلأ أمره واجتنب نهيه، خصوصا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع أليس الله بكاف عبده أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام

أليس الله بعزیز له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، وبعرته يكفي عبده ويدفع عنه مكرمهم. ذي انتقام ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته. 37 ومن يهد الله فما له من مضل لأنه تعالى الذي بيده الهداية والإضلال، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، سيكفيني كل ما أهمني وما لا أهتم به. 38 النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه. عن الخلق والنفع والضرر، مستجلبا كفايته، مستدفعاً مكرمهم وكيدهم: قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون رحمته ومانعاتها عني؟ سيقولون: لا يكشفون الضر ولا يمسكون الرحمة. قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، هل هن كاشفات ضره بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟ أو أرادني برحمة يوصل إلي بها منفعة في ديني أو دنيائي. هل هن ممسكات وحده. قل لهم مقررًا عجز آلهتهم، بعد ما تبينت قدرة الله: أفأرىتم أي: أخبروني ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر أي ضر كان. بالذين من دونه، وأقمت عليهم دليلاً من أنفسهم، فقلت: من خلق السماوات والأرض لم يثبتوا لآلهتهم من خلقها شيئاً. ليقولن الله الذي خلقها. أي: ولئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك

يستحق من العبادة شيئاً ولا له من الأمر شيء. إني عامل على ما دعوتكم إليه، من إخلاص الدين لله تعالى وحده. فسوف تعلمون لمن العاقبة 39 أي: قل لهم يا أيها الرسول: يا قوم اعملوا على مكانتكم أي: على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، من عبادة من لا له إدلال على أبيه ومناسبة منه. ووحدته تعالى وقهره متلازمان، فالواحد لا يكون إلا قهاراً، والقهار لا يكون إلا واحداً، وذلك ينفي الشركة له من كل وجه. 4 مماثل، فلو كان له ولد، لاقتضى أن يكون شبيهاً له في وحدته، لأنه بعضه، وجزء منه. القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، فلو كان له ولد لم يكن مقهوراً، ولكان به الكافرون، أو نسبه إليه الملحدون. هو الله الواحد القهار أي: الواحد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، فلا شبيه له في شيء من ذلك، ولا ما يشاء أي: لا صطفى بعض مخلوقاته التي يشاء اصطفاؤه، واختصه لنفسه، وجعله بمنزلة الولد، ولم يكن حاجة إلى اتخاذ صاحبة. سبحانه عما ظنه أي: لو أراد الله أن يتخذ ولداً كما زعم ذلك من زعمه، من سفهاء الخلق. لا صطفى مما يخلق

مقيم لا يحول عنه ولا يزول، وهذا تهديد عظيم لهم، وهم يعلمون أنهم المستحقون للعذاب المقيم، ولكن الظلم والعناد حال بينهم وبين الإيمان. 40 و من يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا. ويحل عليه في الأخرى عذاب

لا يضر الله شيئاً. وما أنت عليهم بوكيل تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، وإنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به. 41 وأنه قامت به الحجة على العالمين. فمن اهتدى بنوره واتبع أوامره فإن نفع ذلك يعود إلى نفسه ومن ضل بعدما تبين له الهدى فإنما يضل عليها تعالى أنه أنزل على رسوله الكتاب المشتمل على الحق، في أخباره وأوامره ونواهي، الذي هو مادة الهداية، وبلاغ لمن أراد الوصول إلى الله وإلى دار كرامته، يخبر

في الوفاة والإمساك والإرسال، وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتتحدث، فيرسل الله أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات. 42 وإحيائه الموتى بعد موتهم. وفي هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها أن يموت في منامه. ويرسل النفس الأخرى إلى أجل مسمى أي: إلى استكمال رزقها وأجلها. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون على كمال اقتداره، الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، فيمسك من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت وهي نفس من كان مات، أو قضى أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سبباً. وقوله: والتي لم تمت في منامها وهذه الموتة تعالى: قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار حين موتها وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت. وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد، في حال يقظتهم ونومهم، وفي حال حياتهم وموتهم، فقال: الله يتوفى الأنفس

أن يمدحوا به، لأنها جمادات من أحجار وأشجار وصور وأموات، فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلاً؟ أم هو من أضل الناس وأجهلهم وأعظمهم ظلماً؟ 43 أي: من اتخذتم من الشفعاء لا يملكون شيئاً أي: لا مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، بل وليس لهم عقل، يستحقون ينكر تعالى، على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم ويسألهم ويعبدهم. قل لهم مبيناً جهلهم، وأنها لا تستحق شيئاً من العبادة: أولو كانوا

فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، وتخلص له العبادة. ثم إليه ترجعون فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، ومن أشرك به بالعذاب الويل. 44 الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنيين. ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله له ملك السماوات والأرض أي: جميع ما فيهما من الذوات والأفعال والصفات. قل لهم: لله الشفاعة جميعاً لأن الأمر كله لله. وكل شفيع فهو يخافه، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع

تفسير السعدي

الحال أشر الحالات وأشنعها، ولكن موعدهم يوم الجزاء. فهناك يؤخذ الحق منهم، وينظر: هل تنفعهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون الله شيئاً؟ 45
من دونه من الأصنام والأنداد، ودعا الداعي إلى عبادتها ومدحها، إذا هم يستبشرون بذلك، فرحا بذكر معبوداتهم، ولكون الشرك موافقا لأهوائهم، وهذه شركهم أنهم إذا ذكر الله توحيدا له، وأمر بإخلاص الدين له، وترك ما يعبد من دونه، أنهم يشتمزون وينفرون، ويكرهون ذلك أشد الكراهة. وإذا ذكر الذين يذكر تعالى حالة المشركين، وما الذي اقتضاه

المحيط بكل شيء، دال على حكمه بين عباده وبعثهم، وعلمه بأعمالهم، خيرها وشرها، وبمقادير جزائها، وخلقه دال على علمه ألا يعلم من خلق 46
حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ففي هذه الآية، بيان عموم خلقه تعالى وعموم علمه، وعموم حكمه بين عباده، فقدرته التي نشأت عنها المخلوقات، وعلمه أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقال تعالى: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون إنه من يشرك بالله فقد به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد إلى أن قال: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من وقد أخبرنا بالفصل بينهم بعدها بقوله: هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد
شيئا، وتنقصوك غاية النقص، واستبشروا عند ذكر آلهتهم، واشمأزوا عند ذكرك، وزعموا مع هذا أنهم على الحق وغيرهم على الباطل، وأن لهم الحسنى. قال القائلين: إن ما هم عليه هو الحق، وإن لهم الحسنى في الآخرة دون غيرهم، والمشركين الذين اتخذوا من دونك الأنداد والأوثان، وسووا فيك من لا يسوى عن أبصارنا وعلمنا والشهادة الذي نشاهده. أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون وإن من أعظم الاختلاف اختلاف الموحدين المخلصين ولهذا قال قل اللهم فاطر السماوات والأرض أي: خالقهما ومدبرهما. عالم الغيب الذي غاب

الله بقلب سليم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي: يظنون من السخط العظيم، والمقت الكبير، وقد كانوا يحكمون لأنفسهم بغير ذلك. 47
ومثله معه، ثم بذلوه يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب وينجوا منه، ما قبل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئا، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى وأشنع، وأنهم على الفرض والتقدير لو كان لهم ما في الأرض جميعا، من ذهبها وفضتها ولؤلؤها وحيواناتها وأشجارها وزروعها وجميع أوانيتها وأثاثها وذكر مقالة المشركين وشناعتها، كأن النفوس تشوقت إلى ما يفعل الله بهم يوم القيامة، فأخبر أن لهم سوء العذاب أي: أشده وأفظعه، كما قالوا أشد الكفر لما ذكر تعالى أنه الحاكم بين عباده،

أي: الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم وكسبهم. وحق بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والعذاب الذي نزل بهم، وما حل عليهم العقاب. 48
وبدا لهم سيئات ما كسبوا

لينظر من يشكره ممن يكفره. ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك يعدون الفتنة منحة، ويشتهب عليهم الخير المحض، بما قد يكون سببا للخير أو للشر. 49
على علم أي: علم من الله، أني له أهل، وأنني مستحق له، لأنني كريم عليه، أو على علم مني بطرق تحصيله. قال تعالى: بل هي فتنة يبتلي الله به عباده، أو كرب. دعانا ملحا في تفريج ما نزل به ثم إذا خولناه نعمة منا فكشفنا ضره وأزلنا مشقته، عاد بربه كافرا، ولمعرفه منكرا. و قال إنما أوتيته يخبر تعالى عن حالة الإنسان وطبيعته، أنه حين يمسه ضر، من مرض أو شدة

التوابين المؤمنين، كما قال تعالى: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى الغفار لمن أشرك به بعد ما رأى من آياته العظيمة، ثم تاب وأناب. 5
الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصي عليه شيء، الذي من عزته وبأوجد هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها تجري بأمره. الغفار لذنوب عباده وهو انقضاء هذه الدار وخرابها، فيخرب الله آلتها وشمسها وقمرها، وينشئ الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار، الجنة أو النار. ألا هو العزيز الآخر عن سلطانه. وسخر الشمس والقمر بتسخير منظم، وسير مقنن. كل من الشمس والقمر يجري متأثرا عن تسخيرته تعالى لأجل مسمى ويعاقبهم. يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل أي: يدخل كلا منهما على الآخر، ويحله محله، فلا يجتمع هذا وهذا، بل إذا أتى أحدهما انعزل يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض أي: بالحكمة والمصلحة، وليأمر العباد بينها، ويثيبهم

متوارثة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، ولا يرون له حقا، فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا، ولم يغن عنهم ما كانوا يكسبون حين جاءهم العذاب. 50
قال تعالى: قد قالها الذين من قبلهم أي: قولهم إنما أوتيته على علم فما زالت

العقوبات، لأنها تسوء الإنسان وتحزنه. والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا فليسوا خيرا من أولئك، ولم يكتب لهم براءة في الزبر. 51
فأصابهم سيئات ما كسبوا والسيئات في هذا الموضع:

يضيق عليهم الرزق لطفا بهم، لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض، فيكون تعالى مراعي في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحهم، والله أعلم. 52
به خير البرية. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أي: بسط الرزق وقبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك، عائد إلى الحكمة والرحمة، وأنه أعلم بحال عبيده، فقد من عباده، سواء كان صالحا أو طالحا ويقدر الرزق، أي: يضيقه على من يشاء، صالحا أو طالحا، فرزقه مشترك بين البرية. والإيمان والعمل الصالح يخص ولما ذكر أنهم اغتروا بالمال، وزعموا بجهلهم أنه يدل على حسن حال صاحبه، أخبرهم تعالى، أن رزقه، لا يدل على ذلك، وأنه يبسط الرزق لمن يشاء وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد. فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم. 53

تفسير السعدي

إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها تزل آثارهما سارية في الوجود، مألوفة للموجود، تسح يده من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. إنه هو الغفور الرحيم أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، والقتل، والزنا، تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب. لا تقنطوا من رحمة الله أي: لا المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: قل يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرا للعباد عن ربهم: يخبر تعالى عباده

الظاهرة والباطنة شيئا. من قبل أن يأتيكم العذاب مجيئا لا يدفع ثم لا تنصرون فكأنه قيل: ما هي الإنابة والإسلام؟ وما جزئياتها وأعمالها؟ 54 وإذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا. وفي قوله إلى ربكم وأسلموا له دليل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص، لا تفيد الأعمال ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه، والمبادرة إليها فقال: وأنبيوا إلى ربكم بقلوبكم وأسلموا له بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب المسلم. من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون وكل هذا حث على المبادرة وانتهاز الفرصة. 55 الأعمال الظاهرة، كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ما أنزل إليكم من ربكم مما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، ومحبة الخير لهم، وترك ما يصاد ذلك. ومن فأجاب تعالى بقوله: واتبعوا أحسن

نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله أي: في جانب حقه. وإن كنت في الدنيا لمن الساخرين في إتيان الجزاء، حتى رأيته عيانا. 56 ثم حذرهم أن يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، ولا تنفع الندامة. و تقول لو هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة. 57 لو أن الله هداني لكنت من المتقين ولو في هذا الموضع للتمني، أي: ليت أن الله هداني فأكون متقيا له، فأسلم من العقاب وأستحق الثواب، وليست أو تقول

لكنت من المحسنين قال تعالى: إن ذلك غير ممكن ولا مفيد، وإن هذه أمانى باطلة لا حقيقة لها، إذ لا يتجدد للعبد لو رد، بيان بعد البيان الأول. 58 أو تقول حين ترى العذاب وتجزم بوروده لو أن لي كرة أي: رجعة إلى الدنيا

فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين فسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون 59 بلى قد جاءت آياتي الدالة دلالة لا يمتري فيها. على الحق

لا إله إلا هو فأنى تصرفون بعد هذا البيان ببيان استحقاقه تعالى للإخلاص وحده إلى عبادة الأوثان، التي لا تدبر شيئا، وليس لها من الأمر شيء. 60 الله ربكم أي: المألوه المعبود، الذي رباكم ودبركم، فكما أنه الواحد في خلقه وتربيته لا شريك له في ذلك، فهو الواحد في ألوهيته، لا شريك له، ولهذا قال: ثلاث ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، ذلكم الذي خلق السماوات والأرض، وسخر الشمس والقمر، وخلقكم وخلق لكم الأنعام والنعم أمهاتكم خلقا من بعد خلق أي: طورا بعد طور، وأنتم في حال لا يد مخلوق تمسكم، ولا عين تنظر إليكم، وهو قد رباكم في ذلك المكان الضيق في ظلمات لا يصلح غيرها، كالأضحية والهدي، والعقيقة، ووجوب الزكاة فيها، واختصاصها بالدية. ولما ذكر خلق أبينا وأمتنا، ذكر ابتداء خلقنا، فقال: يخلقكم في بطون ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وخصها بالذكر، مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها، لكثرة نفعها، وعموم مصالحها، ولشرفها، واختصاصها بأشياء من الأنعام أي: خلقها بقدر نازل منه، رحمة بكم. ثمانية أزواج وهي التي ذكرها في سورة الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين خلقكم من نفس واحدة على كثرتم وانتشاركم، في أنحاء الأرض، ثم جعل منها زوجها وذلك ليسكن إليها وتسكن إليه، وتتم بذلك النعمة. وأنزل لكم ومن عزته أن

عليه باتخاذ الشريك والولد والصاحبة، والإخبار عنه بما لا يليق بجلاله، أو ادعاء النبوة، أو القول في شرعه بما لا يقوله، والإخبار بأنه قاله وشرعه. 60 وعن عبادة ربهم، المفترين عليه؟ بلى والله، إن فيها لعقوبة وخزيا وسخطا، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ، ويؤخذ الحق منهم بها. والكذب على الله يشمل الكذب سود الله وجوههم، جزاء من جنس عملهم. فلهم سواد الوجوه، ولهم العذاب الشديد في جهنم، ولهذا قال: أليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن الحق، كذبوا عليه، وأن وجوههم يوم القيامة مسودة كأنها الليل البهيم، يعرفهم بذلك أهل الموقف، فالحق أبلج واضح كأنه الصبح، فكما سودوا وجه الحق بالكذب، يخبر تعالى عن خزي الذين

إلى دار السلام، فحينئذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور 61 السوء أي: العذاب الذي يسوؤهم ولا هم يحزنون فنفى عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان. فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم

تفسير السعدي

فقال: وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم أي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة. لا يمسههم ولما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين،

على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها. 62 الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله، فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها. ومن المعلوم المتقرر، أن الله تعالى منزّه عن كل نقص في صفة من صفاته، فإخباره بأنه قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ومن حفظ لما هو وكيل عليه، ومن حكمة، ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو أنه خالق لجميع العالم العلوي والسفلي، وأنه على كل شيء وكيل، والوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل، بما كان وكيلاً عليه، وإحاطته بتفاصيله، ومن تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات، والشاهد من هذا، أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء، فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق، من أعظم الجهل، فإنه يقدم الأرض والسموات، وكالقائلين يقدم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه. وليس كلام الله من الأشياء المخلوقة، وما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء غير الله مخلوقة، ففيها رد على كل من قال بتقديم بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين يخبر تعالى عن عظمتهم وكماله، الموجب لخسران من كفر به فقال: الله خالق كل شيء هذه العبارة

بذكر الله، وما تصلح به الجوارح من طاعة الله، وتعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب والأبدان، وخسروا جنات النعيم، وتعوضوا عنها بالعذاب الأليم. 63 الدالة على الحق اليقين والصرط المستقيم. أولئك هم الخاسرون خسروا ما به تصلح القلوب من التأله والإخلاص لله. وما به تصلح الألسن من إشغالها فلما بين من عظمتها ما يقتضي أن تمتلئ القلوب له إجلالاً وإكراماً، ذكر حال من عكس القضية فلم يقدره حق قدره، فقال: والذين كفروا بآيات الله مقاليد السماوات والأرض أي: مفاتيحها، علماً وتديراً، ف ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم له

بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصاً من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك. 64 أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أي: هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم قل يا

من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولتكونن من الخاسرين دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال. 65 الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام لما عدد كثيراً من أنبيائه ورسله قال عنهم: ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ولهذا قال: ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك من جميع الأنبياء. لئن أشركت ليحبطن عملك هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال، مفسد للأحوال،

سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا، فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر. 66 يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، له، وكن من الشاكرين لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك بل الله فاعبد لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: بل الله فاعبد أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك ثم قال:

وعظمها مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمتها من سوى به غيره، ولا أظلم منه. سبحانه وتعالى عما يشركون أي: تنزه وتعاضم عن شركهم به. 67 هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمتها الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السماوات على سعتها إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئاً. فسووا يقول تعالى: وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من

ينظرون أي: قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم، قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح، وشخصت أبصارهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم. 68 النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، وغيرهم. وهذه النفخة الأولى، نفخة الصعق، ونفخة الفزع. ثم نفخ فيه النفخة الثانية نفخة البعث فإذا هم قيام السماوات ومن في الأرض أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمتها، وما يعلمون أنها مقدمة له. إلا من شاء الله ممن ثبته الله عند من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن. فصعق أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: من في من عظمتها، خوفهم بأحوال يوم القيامة، ورغبتهم ورهبهم فقال: ونفخ في الصور وهو قرن عظيم، لا يعلم عظمتها إلا خالقه، ومن أطلع الله على علمه لما خوفهم تعالى

ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب. 69 حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون

تفسير السعدي

عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم. والشهداء من الملائكة والأعضاء والأرض. وقضي بينهم بالحق أي: العدل التام والقسط العظيم، لأنه ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ويقال للعامل من تمام العدل والإنصاف: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وحيء بالنبیین ليسألوا والسيئات، كما قال تعالى: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا عظيم، لو كشفه، لأحرقن سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. ووضع الكتاب أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يقوون على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضا من رؤيته، وإلا فنوره تعالى القيامة وتضحمل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما وأشرقت الأرض بنور ربها علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم

كلا منكم ما يستحقه. إنه عليم بذات الصدور أي: بنفس الصدور، وما فيها من وصف بر أو فجور، والمقصود من هذا، الإخبار بالجزاء بالعدل التام. 7 في يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون إخبارا أحاط به علمه، وجرى عليه قلمه، وكتبته عليكم الحفظة الكرام، وشهدت به عليكم الجوارح، فيجازي أنه لا يتضرر بشرككم ولا ينتفع بأعمالكم وتوحيدكم، كذلك كل أحد منكم له عمله، من خير وشر ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم ما خلقكم لأجله. وإن تشكروا لله تعالى بتوحيده، وإخلاص الدين له يرضه لكم لرحمته بكم، ومحبه للإحسان عليكم، ولفعلكم ما خلقكم لأجله. وكما لعباده الكفر لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يدعوا إن تكفروا فإن الله غني عنكم لا يضره كفركم، كما لا ينتفع بطاعتكم، ولكن أمره ونهيكم لكم محض فضله وإحسانه عليكم. ولا يرضى به من عظمته وعلمه وحكمته ورحمته ما لم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم، ولهذا قال: ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون 70 فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون

أي: بسبب كفرهم وجبت عليهم كلمة العذاب، التي هي لكل من كفر بآيات الله، وجحد ما جاءت به المرسلون، فاعترفوا بذنبهم وقيام الحجة عليهم. 71 حجة الله قامت عليهم: بلى قد جاءتنا رسل ربنا بآياته وبيناته، وبينوا لنا غاية التبيين، وحذرونا من هذا اليوم. ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين يومكم هذا أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم والحذر من عذاب هذا اليوم، باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟ قالوا مقرين بذنبهم، وأن تعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقي عنهم؟. يتلون عليكم آيات ربكم التي أرسلهم الله بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين. وينذرونكم لقاء لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع: ألم يأتكم رسل منكم أي: من جنسكم تعرفونهم بعضهم من بعض. حتى إذا جاءوها أي: وصلوا إلى ساحتها فتحت لهم أي: لأجلهم أبوابها لقدمهم وقرى لنزولهم. وقال لهم خزنتها مهنيين دفعا، وذلك لامتناعهم من دخولها. ويساقون إليها زمرا أي: فرقا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضا، ويبرأ موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال تعالى: يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي: يدفعون إليها والتقوى والفجور، فقال: وسبق الذين كفروا إلى جهنم أي: سوا عنيفا، يضربون بالسياط الموجهة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأفظع الذين جمعهم في خلقه ورزقه وتدبيره، واجتماعهم في الدنيا، واجتماعهم في موقف القيامة، فرقمهم تعالى عند جزائهم، كما افترقوا في الدنيا بالإيمان والكفر، لما ذكر تعالى حكمه بين عباده،

فبئس مثوى المتكبرين أي: بئس المقر، النار مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والذل، والخزي. 72 ادخلوا أبواب جهنم كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها. خالدين فيها أبدا، لا يظعنون عنها، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. ف قيل لهم على وجه الإهانة والإذلال:

النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان، اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور. 73 عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد صلى الله عليه وسلم، حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى. وفي الآيات دليل على أن الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعاة أكرم الشفعاء أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها. وأما بسبب طبيكم ادخلوها خالدين لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون. وقال في النار فتحت أبوابها وفي الجنة وفتحت بالواو، إشارة إلى سلام عليكم أي: سلام من كل آفة وشر حال. عليكم طبتم أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبه وخشيته، وأسننكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. ف عليهم ريحها ونسيمها، وأن خلودها ونعيمها. وفتحت لهم أبوابها فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. وقال لهم خزنتها تهنئة لهم وترحيبا: زمرا فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة، التي تناسب عملها وتشاكله. حتى إذا جاءوها أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيفة، وهب ثم قال عن أهل الجنة: وسبق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدا على النجائب. إلى الجنة

الجواد الكريم لهم نزلا، وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، وبزول الكدر، ويتم الصفاء. 74 ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا. وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه، ورضيها

تفسير السعدي

من الجنة حيث نشاء أي: نزل منها أي مكان شئنا، وتناول منها أي نعيم أردنا، ليس ممنوعا عنا شيء نريده. فنعم أجر العاملين الذين اجتهدوا بطاعة الله الذي صدقنا وعده أي: وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا وصلحنا، فوفى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما منانا. وأورثنا الأرض أي: أرض الجنة نتبوا وقالوا عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومن عليهم وهداهم: الحمد

بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة. تم تفسير سورة الزمر بحمد الله وعونه. 75
الخلق بالحق الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. وقيل الحمد لله رب العالمين لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا يسبحون بحمد ربهم أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا. وقضي بينهم أي: بين الأولين والآخرين من ذلك اليوم العظيم حافين من حول العرش أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. وترى الملائكة أيها الرائي

من أصحاب النار فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار. أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون 8
ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم. قل لهذا العاتي، الذي بدل نعمة الله كفرا: تمتع بكفر قليلًا إنك ما كان يدعو إليه من قبل أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه. وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله أي: إلا الله، فيدعوه متضرعا منييا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلج في ذلك. ثم إذا خوله الله نعمة منه بأن كشف ما به من الضر والكربة، نسي عن كرمه بعبدته وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بحر أو غيره، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال يخبر تعالى

فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولا ترشداهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه. 9
الليل والنهار، والضيء والظلام، والماء والنار. إنما يتذكر إذا ذكروا أولو الألباب أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم والذين لا يعلمون شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن. قل هل يستوي الذين يعلمون كمن هو قانت أي: مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعلم علما يقينا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، هذه مقابلة بين العالم

سورة 40

نطقوا بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة. تم تفسير سورة الزمر بحمد الله وعونه. 1
من الخلق بالحق الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. وقيل الحمد لله رب العالمين لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق بجماله. يسبحون بحمد ربهم أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا. وقضي بينهم أي: بين الأولين والآخرين أيها الرائي ذلك اليوم العظيم حافين من حول العرش أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين وترى الملائكة

عليكم، والسخط من الكريم حالا بكم، حتى آلت بكم الحال إلى ما آلت، فالיום حل عليكم غضب الله وعقابه حين نال المؤمنون رضوان الله وثوابه. 10
وزهدتم في الإيمان الذي خلقكم الله له، وخرجتم من رحمته الواسعة، فمقتكم وأبغضكم، فهذا أكبر من مقتكم أنفسكم أي: فلم يزل هذا المقت مستمرا لمقت الله أي: إياكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أي: حين دعتمكم الرسل وأتباعهم إلى الإيمان، وأقاموا لكم من البينات ما تبين به الحق، فكفرتم النار، ويقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب والأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت، ويغضبون عليها غاية الغضب، فينادون عند ذلك، ويقال لهم: وامتناع ذلك عليهم وتوبيخهم، فقال: إن الذين كفروا أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من الكفر بالله، أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون يخبر تعالى عن الفضيحة والخزي الذي يصيب الكافرين، وسؤالهم الرجعة، والخروج من النار،

والحياة الأخرى، فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل أي: تحسروا وقالوا ذلك، فلم يفد ولم ينجع، ووبخوا على عدم فعل أسباب النجاة. 11
اثنتين يريدون الموت الأولى وما بين النفختين على ما قيل أو عدم المحض قبل إيجادهم، ثم أماتهم بعدما أوجدتهم، وأحييتنا اثنتين الحياة الدنيا فتمنوا الرجوع و قالوا ربنا أمتنا

في أسمائه وصفاته وأفعاله المتنزه عن كل آفة وعيب ونقص، فإذا كان الحكم له تعالى، وقد حكم عليكم بالخلود الدائم، فحكمه لا يغير ولا يبدل. 12
القدر، وعلو القهر ومن علو قدره، كمال عدله تعالى، وأنه يضع الأشياء مواضعها، ولا يساوي بين المتقين والفجار. الكبير الذي له الكبرياء والعظمة والمجد،

تفسير السعدي

الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا فالحكم لله العلي الكبير العلي: الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو الآخرة، وتكرهون ما هو خير وصلاح في الدنيا والآخرة. تؤثرن سبب الشقاوة والذل والغضب وتزهدون بما هو سبب الفوز والفلاح والظفر وإن يروا سبيل وإن يشرك به تؤمنوا أي: هذا الذي أنزلكم هذا المنزل وبوأكم هذا المقييل والمحل، أنكم تكفرون بالإيمان، وتؤمنون بالكفر، ترضون بما هو شر وفساد في الدنيا ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده أي: إذا دعي لتوحيده، وإخلاص العمل له، ونهي عن الشرك به كفرتم به واشمأزت لذلك قلوبكم ونفرتم غاية النفور.

13 إلا من ينب إلى الله تعالى، بالإقبال على محبته وخشيته وطاعته والتضرع إليه، فهذا الذي ينتفع بالآيات، وتصير رحمة في حقه، ويزداد بها بصيرة. به البلاد والعباد. وهذا يدل دلالة قاطعة أنه وحده هو المعبود، الذي يتعين إخلاص الدين له، كما أنه وحده المنعم. وما يتذكر بالآيات حين يذكر بها أن النعم كلها منه، فمنه نعم الدين، وهي المسائل الدينية والأدلة عليها، وما يتبع ذلك من العمل بها. والنعم الدنيوية كلها، كالنعم الناشئة عن الغيث، الذي تحيا الدين ولما ذكر أنه يري عباده آياته، نبه على آية عظيمة فقال: وينزل لكم من السماء رزقا أي: مطرا به ترزقون وتعيشون أنتم وبهائمكم، وذلك يدل على والنقلية وتنوعت، وضرب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال، ولهذا ذكرها في هذا الموضع، ونبه على جملة من أدلتها فقال: فادعوا الله مخلصين له وكلما كانت المسائل أجل وأكبر، كانت الدلائل عليها أكثر وأيسر، فانظر إلى التوحيد لما كانت مسألته من أكبر المسائل، بل أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقلية وهذا من أكبر نعمه على عباده، حيث لم يبق الحق مشتبه ولا الصواب ملتبس، بل نوع الدلالات ووضح الآيات، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة والاقاكية والقرآنية، الدالة على كل مطلوب مقصود، الموضحة للهدى من الضلال، بحيث لا يبقى عند الناظر فيها والمتأمل لها أدنى شك في معرفة الحقائق، يذكر تعالى نعمه العظيمة على عباده، بتبيين الحق من الباطل، بما يري عباده من آياته النفسية

لله وحده غاية الكراهة، كما قال تعالى: وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون 14 تدينونه به وتتقربون به إليه. ولو كره الكافرون لذلك، فلا تبالوا بهم، ولا ينكم ذلك عن دينكم، ولا تأخذكم بالله لومة لائم، فإن الكافرين يكرهون الإخلاص ودعاء المسألة، والإخلاص معناه: تخليص القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبه والمستحبة، حقوق الله وحقوق عباده. أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تثمر التذكر، والتذكر يوجب الإخلاص لله، رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على السببية فقال: فادعوا الله مخلصين له الدين وهذا شامل لدعاء العبادة ولما كانت الآيات

المنجية مما يكون فيه. وسماه يوم التلاق لأنه يلتقي فيه الخالق والمخلوق والمخلوقون بعضهم مع بعض، والعاملون وأعمالهم وجزاؤهم. 15 عنهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ولهذا قال: لينذر من ألقي الله إليه الوحي يوم التلاق أي: يخوف العباد بذلك، ويحثهم على الاستعداد له بالأسباب الرسل الذين فضلهم الله واختصهم الله لوحيه ودعوة عباده. والفائدة في إرسال الرسل، هو تحصيل سعادة العباد في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وإزالة الشقاوة فالروح والقلب بدون روح الوحي لا يصلح ولا يفلح، فهو تعالى يلقي الروح من أمره الذي فيه نفع العباد ومصلحتهم. على من يشاء من عباده وهم على عباده بالرسالة والوحي، فقال: يلقي الروح أي: الوحي الذي للأرواح والقلوب بمنزلة الأرواح للأجساد، فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا ولا يعيش، وتعالى ذاته، أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر، وهو الإخلاص، الذي يرفع درجات أصحابه ويقربهم إليه ويجعلهم فوق خلقه، ثم ذكر نعمته الدرجات ذو العرش أي: العلي الأعلى، الذي استوى على العرش واختص به، وارتفعت درجاته ارتفاعا باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وجلت أوصافه، ثم ذكر من جلاله وكماله ما يقتضي إخلاص العبادة له فقال: رفيع

لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات وذلت وخضعت، خصوصا في ذلك اليوم الذي غنت فيه الوجوه للحي القيوم، يومئذ لا تكلم نفس إلا بإذنه. 16 الصالحة أو السيئة؟ الملك لله الواحد القهار أي: المنفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه. القهار المالك لذلك اليوم العظيم الجامع للأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، الذي انقطعت فيه الشركة في الملك، وتقطعت الأسباب، ولم يبق إلا الأعمال يسمعون الداعي وينفذهم البصر. لا يخفى على الله منهم شيء لا من ذواتهم ولا من أعمالهم، ولا من جزاء تلك الأعمال. لمن الملك اليوم أي: من هو يوم هم بارزون أي: ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد لا عوج ولا أمت فيه،

17 إن الله سريع الحساب أي: لا تستبطنوا ذلك اليوم فإنه آت، وكل آت قريب. وهو أيضا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة، لإحاطة علمه وكمال قدرته. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت في الدنيا، من خير وشر، قليل وكثير. لا ظلم اليوم على أحد، بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته.

ولا صاحب، ولا شفيع يطاع لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك، ولو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها. 18 لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وكاظمين على ما في قلوبهم من الروح الشديد والمزعجات الهائلة. ما للظالمين من حميم أي: قريب وزلازله، إذ القلوب لدى الحناجر أي: قد ارتفعت وبقيت أفئدتهم هواء، ووصلت القلوب من الروح والكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم. كاظمين يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذرهم يوم الآزفة أي: يوم القيامة التي قد أزفت وقربت، وأن الوصول إلى أهوالها وقلقلها

وهو نظر المسارقة، وما تخفي الصدور مما لم يبينه العبد لغیره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي، فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى. 19 يعلم خائنة الأعين وهو النظر الذي يخفيه العبد من جلسه ومقارنه،

تعالى عن كتابه العظيم وبأنه صادر ومنزل من الله، المألوه المعبود، لكماله وانفراده بأفعاله، العزيز الذي قهر بعزته كل مخلوق العليم بكل شيء. 2

في أول هاتين الآيتين وأنذرهم يوم الآزفة ثم وصفها بهذه الأوصاف المقتضية للاستعداد لذلك اليوم العظيم، لاشتمالها على الترغيب والترهيب. 20 هو السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. البصير بما كان وما يكون، وما نبصر وما لا نبصر، وما يعلم العباد وما لا يعلمون. قال وأحبابه. والذين يدعون من دونه وهذا شامل لكل ما عبد من دون الله لا يقضون بشيء لعجزهم وعدم إرادتهم للخير واستطاعتهم لفعله. إن الله قضاءه القدري، الذي إذا شاء شيئا كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يقضي بين عباده المؤمنين والكافرين في الدنيا، ويفصل بينهم بفتح ينصر به أوليائه وحكمه الشرعي حق، وحكمه الجزائي حق وهو المحيط علما وكتابة وحفظا بجميع الأشياء، وهو المنزه عن الظلم والنقص وسائر العيوب، وهو الذي يقضي والله يقضي بالحق لأن قوله حق،

في الأرض من البناء والغرس، وقوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها وعلى تمنعه بها. فأخذهم الله بعقوبته بذنوبهم حين أصروا واستمروا عليها. 21 المكذبين، فسجدونها شر العواقب، عاقبة الهلاك والدمار والخزي والفضيحة، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء في العدد والعدد وكبر الأجسام. و أشد آثارا يقول تعالى: أولم يسيروا في الأرض أي: بقلوبهم وأبدانهم سير نظر واعتبار، وتفكر في الآثار، فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم من من أشد منا قوة أرسل الله إليهم ريحا أضعفت قواهم، ودمرتهم كل تدمير ثم ذكر نموذجا من أحوال المكذبين بالرسول وهو فرعون وجنوده فقال: 22 إنه قوي شديد العقاب فلم تغن قوتهم عند قوة الله شيئا، بل من أعظم الأمم قوة، قوم عاد الذين قالوا:

أي: حجة بينة، تتسلط على القلوب فتدفع لها، كالحية والعصا ونحوهما من الآيات البيّنات، التي أيد الله بها موسى، ومكنه مما دعا إليه من الحق. 23 موسى ابن عمران، بآياتنا العظيمة، الدالة دلالة قطعية، على حقيقته ما أرسل به، وبطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك وما يتبعه. وسلطان مبين أي: ولقد أرسلنا إلى جنس هؤلاء المكذبين

إليهم فرعون وهامان وزيره وقارون الذي كان من قوم موسى، فبغى عليهم بماله، وكلهم ردوا عليه أشد الرد فقالوا ساحر كذاب 24

والمبعوث

الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين. فلماذا لم يقل وما كيدهم إلا في ضلال بل قال: وما كيد الكافرين إلا في ضلال 25 أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتدرج فيه الصورة التي سيق ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم. وتدرج هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة كيد الكافرين حيث كادوا هذه المكيدة، وزعموا أنهم إذا قتلوا أبناءهم، لم يقولوا، وبقوا في رقهم وتحت عبوديتهم، فما كيدهم إلا في ضلال، حيث لم يتم لهم مجرد الترك والإعراض، بل ولا إنكارها ومعارضتها بباطلهم، بل وصلت بهم الحال الشنيعة إلى أن قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما فلما جاءهم بالحق من عندنا وأيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإنعان، لم يقابلوها بذلك، ولم يكفهم

الناس عن اتباع خير الخلق هذا من الترمويه والترويح الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم: فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين 26 للشر في الأرض فقال: إني أخاف أن يبديل دينكم الذي أنتم عليه أو أن يظهر في الأرض الفساد وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح وليدع ربه أي: زعم قبحه الله أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه، ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، وأنه نصح لقومه، وإزالة وقال فرعون متكبرا متجبرا مغررا لقومه السفهاء: ذروني أقتل موسى

صلى الله عليه وسلم بعمة أبي طالب من قريش، حيث كان أبو طالب كبيرا عندهم، موافقا لهم على دينهم، ولو كان مسلما لم يحصل منه ذلك المنع. 27 له كلمة مسموعة، وخصوصا إذا كان يظهر موافقتهم ويكتفم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، كما منع الله رسوله محمدا الحساب، وقبض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون وملئه. ومن جملة الأسباب، هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن يكون تكبره وعدم إيمانه بيوم الحساب على الشر والفساد، يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريبا في القاعدة، فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم بقوته واقتداره، مستعينا بربه: إني عذت بربي وربكم أي: امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب أي: يحمله وقال موسى حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه، واستعان فيها

من البراهين العقلية والخواارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفا ولا كاذبا، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه. 28 لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه موسى من الحق فقال: إن الله لا يهدي من هو مسرف أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. كذاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا الأمر دائرا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم. ثم انتقل رضي الله عنه وأرضاه وغفر له ورحمه إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا. وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقا وقد جاءكم بالبيّنات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة، فإنه يصبكم بعض الذي يعدكم أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبا فكذبته عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك

تفسير السعدي

فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطي. ثم قال لهم مقالة عقلية تنقع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرت: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، البيئات، ولهذا قال: وقد جاءكم بالبيئات من ربكم لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارا علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله. فهلا أبطلتم قبل ذلك وشناعة ما عزموا عليه: أقتلون رجلا أن يقول ربي الله أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضا قولا مجردا عن فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحا فعل قومه،

أمرهم باتباعه اتباعا مجردا على كفره وضلاله، كان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق وفي اتباع الحق، اتباع الضلال. 29 ليقم بهم رياسته، ولم ير الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقنا له. وكذب في قوله: وما أهديك إلا سبيل الرشاد فإن هذا قلب للحق، فلو موسى: ما أريك إلا ما أرى وما أهديك إلا سبيل الرشاد وصدق في قوله: ما أريك إلا ما أرى ولكن ما الذي رأى؟ رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، وقوله: إن جاءنا ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه. ف قال فرعون معارضا له في ذلك، ومغررا لقومه أن يتبعوا ذلك وتم، ولن يتم، فمن ينصرنا من بأس الله أي: عذابه إن جاءنا ؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركا بينه وبينهم بقوله: فمن ينصرنا بالملك الظاهر، فقال: يا قوم لكم الملك اليوم أي: في الدنيا ظاهرين في الأرض على رعبتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير، فبهكم حصل لكم ثم حذر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الغرر

الجزائي العدل، وثواب المحسنين، وعقاب العاصين، فهذا يدل عليه قوله: إليه المصير فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات. 3 والنهي عن عبادة ما سوى الله، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها والترهيب منها، فذلك يدل عليه قوله تعالى: لا إله إلا هو وإما إخبار عن حكمه فذلك يدل عليه قوله: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، والحث عليه، إخبار عن نقمه الشديدة، وعما يوجبها ويقتضيها من المعاصي، فذلك يدل عليه قوله: شديد العقاب وإما دعوة للمذنبين إلى التوبة والإنابة، والاستغفار، فهي من تعليم العليم لعباده. وإما إخبار عن نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وما يوصل إلى ذلك، من الأوامر، فذلك يدل عليه قوله: ذي الطول وإما عليه القرآن، من المعاني. فإن القرآن: إما إخبار عن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وهذه أسماء، وأوصاف، وأفعال. وإما إخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلية، له الأعمال قال: لا إله إلا هو إليه المصير ووجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله الموصوف بهذه الأوصاف أن هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل على الذنوب ولم يتب منها، ذي الطول أي: التفضل والإحسان الشامل. فلما قرر ما قرر من كماله وكان ذلك موجبا لأن يكون وحده، المألوه الذي تخلص غافر الذنب للمذنبين وقابل التوب من التائبين، شديد العقاب على من تجرأ

تكرار الدعوة فقال لهم: يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب يعني الأمم المكذبين، الذين تحزبوا على أنبيائهم، واجتمعوا على معارضتهم. 30 مكررا دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتو من دعوته عن وقال الذي آمن

في الكفر والتكذيب وعادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، وما الله يريد ظلما للعباد فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، ولا جرم أسلفوه. 31 مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم أي: مثل عادتهم

أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون وحين يقال للمشركين: ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم 32 مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين وحين ينادي أهل النار مالكا ليقض علينا ريك فيقول: إنكم ما كنون وحين ينادون ربهم: ربنا القيامة، حين ينادي أهل الجنة أهل النار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا إلى آخر الآيات. ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ولما خوفهم العقوبات الدنيوية، خوفهم العقوبات الأخروية، فقال: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد أي: يوم

قوة ولا ناصر ومن يضل الله فما له من هاد لأن الهدى بيد الله تعالى، فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، لخيبته، فلا سبيل إلى هدايته. 33 قد ذهب بكم إلى النار ما لكم من الله من عاصم لا من أنفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله، ولا ينصركم من دونه من أحد يوم تبلى السرائر فما له من فخوفهم رضي الله عنه هذا اليوم المهول، وتوقع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك، ولهذا قال: يوم تولون مدبرين أي:

زاغوا أزاع الله قلوبهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون والله لا يهدي القوم الظالمين 34 والكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، ولا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه، فجزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى، كما قال تعالى: فلما به موسى ظلما وعلوا، فهم المسرفون بتجاوزهم الحق وعدولهم عنه إلى الضلال، وهم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله، وكذبوا رسوله. فالذي وصفه السرف ويرسل إليهم رسله، وظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال، ولهذا قال: كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب وهذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا و قلتهم لن يبعث الله من بعده رسولا أي: هذا ظنكم الباطل، وحسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى، فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، لا يأمرهم وينهاهم، بالبيئات الدالة على صدقه، وأمرهم بعبادة ربكم وحده لا شريك له، فما زلتهم في شك مما جاءكم به في حياته حتى إذا هلك ازداد شككم وشرككم، ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل إتيان موسى

تفسير السعدي

على قلوب آل فرعون يطبع الله على كل قلب متكبر جبار متكبر في نفسه على الحق برده وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه. 35
عباده المؤمنون يمجّدون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه، كذلك أي: كما طبع
الذين آمنوا فالله أشد بغضا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبته إليه، وهذه أمور يشد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك
بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلا، كبر ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل مقتا عند الله وعند
على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها بغير سلطان أتاهاهم أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل
وصف المسرف الكذاب فقال: الذين يجادلون في آيات الله التي بينت الحق من الباطل، وصارت من ظهورها بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها
ثم ذكر

العرش استوى، وعلى الخلق اعتلى: يا هامان ابن لي صرحا أي: بناء عظيما مرتفعا، والقصد منه لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا. 36
وقال فرعون معارضا لموسى ومكذبا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين، الذي على
الذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه محق، وأن موسى مبطل إلا في تباب أي: خسار وبوار، لا يفيد إلا الشقاء في الدنيا والآخرة. 37
حتى رآه حسنا ودعا إليه وناظر مناظرة المحققين، وهو من أعظم المفسدين، وصد عن السبيل الحق، بسبب الباطل الذي زين له. وما كيد فرعون
الله تعالى في بيان الذي حملة على هذا القول: وكذلك زين لفرعون سوء عمله فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه، وهو يدعو إليه ويحسنه،
إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا في دعواه أن لنا ربا، وأنه فوق السماوات. ولكنه يريد أن يحتاط فرعون، ويختبر الأمر بنفسه، قال
وقال الذي آمن معيدا نصيحته لقومه: يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد لا كما يقول لكم فرعون، فإنه لا يهديكم إلا طريق الغي والفساد. 38
خلقتكم له وإن الآخرة هي دار القرار التي هي محل الإقامة، ومنزل السكون والاستقرار، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها عملا يسعدكم فيها. 39
يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع يتمتع بها ويتنعم قليلا، ثم تنقطع وتضمحل، فلا تغرنكم وتخدعنكم عما
بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويوزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له. 4
أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق ولهذا قال: فلا يغرك تقلبهم في البلاد أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب،
فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن
يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل،
والجوارح، وأقوال اللسان فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي: يعطون أجرهم بلا حد ولا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم. 40
فسوق أو عصيان فلا يجزى إلا مثلها أي: لا يجازى إلا بما يسوؤه ويحزنه لأن جزاء السيئة السوء. ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى من أعمال القلوب
من عمل سيئة من شرك أو

ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة بما قلت لكم وتدعونني إلى النار بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام. 41
العباد على أنفسهم ويتجرؤون على مسأخطه ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخرية. 42
والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، وأنا أدعوكم إلى العزيز الذي له القوة كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. الغفار الذي يسرف
ثم فسر ذلك فقال: تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق أن يعبد من دون الله،
وهم الذين أسرفوا على أنفسهم بالتجرؤ على ربهم بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم. فلما نصحهم وحذرهم وأنذرهم ولم يطيعوه ولا وافقوه قال لهم: 43
ونقصه، وأنه لا يملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا. وأن مردنا إلى الله تعالى فسيجازي كل عامل بعمله. وأن المسرفين هم أصحاب النار
حقا يقينا أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجأ إليه، في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه
لا جرم أي:

منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيتته، فإن سلطكم علي، فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيتته صدر ذلك. 44
وأؤكل عليه في مصالحه ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. إن الله بصير بالعباد يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني
النصيحة، وسترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب. وأفوض أمري إلى الله أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه،
فستذكرون ما أقول لكم من هذه

الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم، وحق بآل فرعون سوء العذاب أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم. 45
عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدا فحفظه
القوي الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى
فوقاه الله سيئات ما مكروا أي: وقى الله

تفسير السعدي

- عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسول الله، المعاندين لأمره. 46 وفي البرزخ النار يعرضون
- إلى ما استكبروا لأجله. إنا كنا لكم تبعاً أنتم أغويتمونا وأضللتُمونا وزينتم لنا الشرك والشر، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار أي: ولو قليلاً. 47 في النار يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، ويتبرأ المتبوعون من التابعين، فيقول الضعفاء أي: الأتباع للقادة للذين استكبروا على الحق، ودعواهم يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار، وعتاب بعضهم بعضاً واستغاثتهم بخزنة النار، وعدم الفائدة في ذلك فقال: وإذ يحتاجون
- في الجميع: إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وجعل لكل قسطه من من العذاب، فلا يزداد في ذلك ولا ينقص منه، ولا يغير ما حكم به الحكيم. 48 قال الذين استكبروا مبينين لعجزهم ونفوذ الحكم الإلهي
- وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب لعله تحصل بعض الراحة. 49 فكيف كان عقاب كان أشد العقاب وأفظعه، ما هو إلا صيحة أو حاصب ينزل عليهم أو يأمر الأرض أن تأخذهم، أو البحر أن يغرقهم فإذا هم خامدون. 50 البغي والضلal والشقاء إلا العذاب العظيم الذي لا يخرجون منه؟ ولهذا قال في عقوبتهم الدنيوية والأخروية: فأخذتهم أي: بسبب تكذيبهم وتحزبهم ليأخذوه أي: يقتلوه. وهذا أبلغ ما يكون الرسل الذين هم قادة أهل الخير الذين معهم الحق الصرف الذي لا شك فيه ولا اشتباه، هموا بقتلهم، فهل بعد هذا تحزبوا وتجمعوا على الحق ليبطلوه، وعلى الباطل لينصروه، و أنه بلغت بهم الحال، وآل بهم التحزب إلى أنه همت كل أمة من الأمم برسولهم ثم هدد من جادل بآيات الله ليبطلها، كما فعل من قبله من الأمم من قوم نوح وعاد والأحزاب من بعدهم، الذين
- هذا الدعاء هل يغني شيئاً أم لا؟ قال تعالى: وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صاد لإجابة الدعاء. 50 وقامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا وعاندنا الحق بعد ما تبين. قالوا أي: الخزنة لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم والشفاعة: فادعوا أنتم ولكن شيئاً: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات التي تبينتم بها الحق والصراط المستقيم، وما يقرب من الله وما يبعد منه؟ قالوا بلى قد جاءونا بالبينات، ف قالوا لهم موبخين ومبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم، ودعاءهم لا يفيدهم
- إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا أي: بالحجة والبرهان والنصر، في الآخرة بالحكم لهم ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العقاب. 51 لما ذكر عقوبة آل فرعون في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وذكر حالة أهل النار الفظيعة، الذين نابذوا رسله وحاربوه، قال:
- يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم حين يعتذرون ولهم اللعنة ولهم سوء الدار أي: الدار السيئة التي تسوء نازليها. 52 الهدى أي: الآيات، والعلم الذي يهتدي به المهتدون. وأورثنا بني إسرائيل الكتاب أي: جعلناه متوارثاً بينهم، من قرن إلى آخر، وهو التوراة. 53 لما ذكر ما جرى لموسى وفرعون، وما آل إليه أمر فرعون وجنوده، ثم ذكر الحكم العام الشامل له ولأهل النار، ذكر أنه أعطى موسى
- هو: العلم بالأحكام الشرعية وغيرها، وعلى التذكر للخير والترغيب فيه، وعن الشر بالترهيب عنه، وليس ذلك لكل أحد، وإنما هو لأولي الألباب 54 وذلك الكتاب مشتمل على الهدى الذي
- بالعشي والإيثار اللذين هما أفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما، لأن في ذلك عوناً على جميع الأمور. 55 المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصاً ويجتهد في التمسك به أهل البصائر فقول: إن وعد الله حق من الأسباب التي تحت على الصبر على طاعة الله وعن ما يكره الله. واستغفر لذنبك إن وعد الله حق أي: ليس مشكوكاً فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر، وإنما هو الحق المحض، والهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون، فاصبر يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين.
- واستعذ بالله من جميع الشرور. إنه هو السميع لجميع الأصوات على اختلافها، البصير بجميع المرئيات، بأي محل وموضع وزمان كانت. 56 اعتصم والجأ بالله ولم يذكر ما يستعيز، إرادة للعموم. أي: استعذ بالله من الكبر الذي يوجب التكبر على الحق، واستعذ بالله من شياطين الإنس والجن، هذا لا يتم لهم وليسوا بالغيب، فهذا نص صريح، وبشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل. فاستعذ أي: من أمره ولا حجة، إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق وعلى من جاء به، يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم ومرادهم. ولكن يخبر تعالى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل، بغير بينة
- البعث. وليس كل أحد يجعل فكره لذلك، ويقبل بتدبره، ولهذا قال: ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولذلك لا يعتبرون بذلك، ولا يجعلونه منهم على بال. 57 وهذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث، دلالة قاطعة، بمجرد نظر العاقل إليها، يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى وأحرى. يخبر تعالى بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض على عظمهما وسعتهما أعظم وأكبر، من خلق الناس،
- الخير والشر، والفرق بين الأبرار والفجار، وكانت لكم همة عليه، لا تترتم النافع على الضار، والهدى على الضلال، والسعادة الدائمة، على الدنيا الفانية. 58

تفسير السعدي

ومن كان مستكبراً على عبادة ربه، مقدماً على معاصيه، ساعياً في مساخطه، قليلاً ما تتذكرون أي: تذكركم قليل وإلا، فلو تذكرتم مراتب الأمور، ومنازل أي: كما لا يستوي الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي من آمن بالله وعمل الصالحات، مراتب الصدق، وقامت عليها الشواهد المرئية، والآيات الأفقية. ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مع هذه الأمور التي توجب كمال التصديق، والإذعان. 59 إن الساعة آتية لا ريب فيها قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق ونطق بها الكتب السماوية، التي جميع أخبارها أعلى حقت كلمة ربك على الذين كفروا أي: كما حقت على أولئك، حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب، ولهذا قال: أنهم أصحاب النار 60 وكذلك

عنها فقال: إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم. 60 ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر هذا من لطفه بعباده،

بسبب جهلهم وظلمهم. وقليل من عبادي الشكور الذين يقرون بنعمة ربهم، ويخضعون لله، ويحبونه، ويصرفونها في طاعة مولاهم ورضاه. 61 عليه التنكير على الناس حيث أنعم عليهم بهذه النعم وغيرها، وصرف عنهم النقم، وهذا يوجب عليهم، تمام شكره وذكره، ولكن أكثر الناس لا يشكرون وهذا لبنائه أو حدادته، أو نحوها من الصناعات، وهذا لسفره برا وبحرا، وهذا لفلاحته، وهذا لتصليح حيواناته. إن الله لذو فضل أي: عظيم، كما يدل المستمرة في الفلك، فتقومون من فرشكم إلى أشغالكم الدينية والدنيوية، هذا لذكره وقراءته، وهذا لصلاته، وهذا لطلبه العلم ودراسته، وهذا لبيعه وشرائه، من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه، ويسكن أيضا، كل حبيب إلى حبيبه، ويجتمع الفكر، وتقل الشواغل. و جعل تعالى النهار مبصرا منيرا بالشمس الله الليل مظلمًا، لتسكنوا فيه من حركاتكم، التي لو استمرت لضرت، فتأوون إلى فرشكم، ويلقي الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب والبدن، وهو يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة، خالصة لوجهه، تابعة لأمره، إنه لا يتعاضله سؤال، ولا يحفيه نوال. فقلوه تعالى: الله الذي جعل لكم الليل أي: لأجلكم جعل عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذات على الإطلاق، وهما اللذان إن فاتا، فات كل خير، وحضر كل شر. فنسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بمعرفته ومحبته، وأن خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروية، وهما اللذان هما أشرف لم يستحق من الربوبية شيئا، وينتج من ذلك، امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه، وهذان الأمران وهما معرفته وعبادته هما اللذان بيد الله تعالى، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء، فينتج من ذلك، أنه تعالى المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئا، كما الكاملة، وما فعله من الأفعال الحسنة، وتام ربوبيته، وانفراده فيها، وأن جميع التدبير في العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقات وحاضرها، ومستقبلها ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال حياته، واتصافه بالحمد على كل ما اتصف به من الصفات تدبر هذه الآيات الكريمات، الدالة على سعة رحمة الله تعالى وجزيل فضله،

صرح بالأمر بعبادته فقال: فأني تؤفكون أي: كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل، وأثار لكم السبيل؟ 62 بهذه النعم، من ربوبيته، وإيجابها للشكر، من ألوهيته، لا إله إلا هو تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له، خالق كل شيء تقرير لربوبيته. ثم ذلكم الذي فعل ما فعل الله ربكم أي: المنفرد بالإلهية، والمنفرد بالربوبية، لأن انفراده

والإخلاص، كما قال تعالى: وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون 63 كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي: عقوبة على جحدهم لآيات الله، وتعديهم على رسله، صرفوا عن التوحيد

الذي دبر الأمور، وأنعم عليكم بهذه النعم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين أي: تعظم، وكثر خيره وإحسانه، المربي جميع العالمين بنعمه. 64 ومسمع، وغير ذلك، من الطيبات التي يسرها الله لعباده، ويسر لهم أسبابها، ومنعهم من الخبائث، التي تضادها، وتضر أبدانهم، وقلوبهم، وأديانهم، ذلكم والمعرفة، التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجل الصور. ورزقكم من الطيبات وهذا شامل لكل طيب، من مأكّل، ومشرب، ومنكح، وملبس، ومنظر، في غير محله؟ وانظر أيضا، إلى الميل الذي في القلوب، بعضهم لبعض، هل تجد ذلك في غير الآدميين؟ وانظر إلى ما خصه الله به من العقل والإيمان، والمحبة أحسن تقويم وإذا أردت أن تعرف حسن الآدمي وكمال حكمة الله تعالى فيه، فانظر إليه، عضوا عضوا، هل تجد عضوا من أعضائه، يليق به، ويصلح أن يكون بها في ظلمات البر والبحر، وصوركم فأحسن صوركم فليس في جنس الحيوانات، أحسن صورة من بني آدم، كما قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في البناء عليها، والسفر، والإقامة فيها. والسماء بناء سقفا للأرض، التي أنتم فيها، قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار والعلامات، التي يهتدى الله الذي جعل لكم الأرض قرارا أي: قارة ساكنة، مهياة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها وغرسها،

والمدائح والثناء، بالقول كنطق الخلق بذكره، والفعل، كعبادتهم له، كل ذلك لله تعالى وحده لا شريك له، لكماله في أوصافه وأفعاله، وتام نعمه. 65 الله تعالى، فإن الإخلاص، هو المأمور به كما قال تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الحمد لله رب العالمين أي: جميع المحامد أي: لا معبود بحق، إلا وجهه الكريم. فادعوه وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة مخلصين له الدين أي: اقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل، وجه لما تستلزمه من صفاته الذاتية، التي لا تتم حياته إلا بها، كالسمع، والبصر، والقدرة، والعلم، والكلام، وغير ذلك، من صفات كماله، ونعوت جلاله. لا إله إلا هو

هو الحي الذي له الحياة الكاملة التامة، المستلزمة

بحيث تكون منقاداً لطاعته، مستسلمة لأمره، وهذا أعظم مأمور به، على الإطلاق، كما أن النهي عن عبادة ما سواه، أعظم منهي عنه، على الإطلاق. 66
دون الله. ولست على شك من أمري، بل على يقين وبصيرة، ولهذا قال: لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين بقلبي ولساني، وجوارحي، والبيانات، صرح بالنهي عن عبادة ما سواه فقال: قل يا أيها النبي إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام، وكل ما عبد من
لما ذكر الأمر بإخلاص العبادة لله وحده، وذكر الأدلة على ذلك

ولعلمكم تعقلون أحوالكم، فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأنكم ناقصون من كل وجه. 67
الظاهرة والباطنة. ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل بلوغ الأشد وتبلغوا بهذه الأطوار المقدره أجلاً مسمى تنتهي عنده أعماركم.
من العلة، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح، ثم يخرجكم طفلاً ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدكم من قوة العقل والبدن، وجميع قواه
وذلك بخلقه لأصلكم وأبيكم آدم عليه السلام. ثم من نطفة وهذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني، ما دام في بطن أمه، فنه بالابتداء، على بقية الأطوار،
ثم قرر هذا التوحيد، بأنه الخالق لكم والمطور لخلقتكم، فكما خلقكم وحده، فاعبدوه وحده فقال: هو الذي خلقكم من تراب

من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير فإذا قضى أمراً جليلاً أو حقيراً فإنما يقول له كن فيكون لا رد في ذلك، ولا مثنوية، ولا تمنع. 68
هو الذي يحيي ويميت أي هو المنفرد بالإحياء والإماتة، فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه. وما يعمر من معمر ولا ينقص
أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟ هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟ لا والله. أم يجدون شبهاً توافق أهواءهم، ويصلون بها لأجل باطلهم؟ 69
ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله الواضحة البينة متعجباً من حالهم الشنيعة. أنى يصرفون أي: كيف ينعدلون عنها؟ وإلى

من الشرك والمعاصي واتبعوا سبيلك باتباع رسلك، بتوحيدك وطاعتك. وقهم عذاب الجحيم أي: قهم العذاب نفسه، وقهم أسباب العذاب. 7
من ذلك ولا أكبر، ورحمتك وسعت كل شيء، فالكون علويه وسفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى ووسعته، ووصل إلى ما وصل إليه خلقه. فاعفوا للذين تابوا
ربنا وسعت كل شيء ورحمة وعلمنا فعلكم قد أحاط بكل شيء، لا يخفى عليك خافية، ولا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر
إلا بها غير ما يتبادر إلى كثير من الأذهان، أن سؤالها وطلبها غايته مجرد مغفرة الذنوب ذكر تعالى صفة دعائهم لهم بالمغفرة، بذكر ما لا تتم إلا به، فقال:
الكثيرة جداً، أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم. ثم ولما كانت المغفرة لها لوازم لا تتم
وأما قول العبد: سبحان الله وبحمده فهو داخل في ذلك وهو من جملة العبادات. ويستغفرون للذين آمنوا وهذا من جملة فوائد الإيمان وفضائله
التسبيح والتحميد، وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره، وحمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة لله تعالى،
فوقهم يومئذ ثمانية ومن حوله من الملائكة المقربين في المنزلة والفضيلة يسبحون بحمد ربهم هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم لله تعالى، وخصوصاً
واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديسهم في الذكر، وقربهم منه، يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: ويحمل عرش ربك
تعالى، الذي وسع الأرض والسموات والكرسي، وهؤلاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم،
لعلمهم أن الله يحب ذلك منهم فقال: الذين يحملون العرش أي: عرش الرحمن، الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأحسنها، وأقربها من الله
ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم، وفي ضمن ذلك الإخبار عن شرف حملة العرش ومن حوله، وقربهم من ربهم، وكثرة عبادتهم ونصحهم لعباد الله،
يخبر تعالى عن كمال لطفه تعالى بعباده المؤمنين، وما قبض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم، من استغفار الملائكة المقربين لهم،

به رسله، الذين هم خير الخلق وأصدقهم، وأعظمهم عقولاً، فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية، ولهذا توعدهم الله بعذابها فقال: فسوف يعلمون 70
فبئس ما استبدلوا واختاروا لأنفسهم، بتكذيبهم بالكتاب، الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله

إذ الأغلال في أعناقهم التي لا يستطيعون معها حركة. والسلاسل التي يقرنون بها، هم وشياطينهم 71

في الحميم أي: الماء الذي اشتد غليانه وحره. ثم في النار يسجرون يوقد عليهم اللهب العظيم، فيصلون بها، ثم يوبخون على شركهم وكذبهم. 72
يسحبون

الظن ويدل عليه قوله تعالى: ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة الآيات. 73
الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون بطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا
هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: كذلك يضل الله الكافرين أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال
وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل وهو الأظهر أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما
قالوا ضلوا عنا أي: غابوا ولم يحضروا، ولو حضروا، لم ينفعوا، ثم إنهم أنكروا فقالوا: بل لم تكن ندعو من قبل شيئاً يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار،
ويقال لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟.

الظن ويدل عليه قوله تعالى: ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة الآيات. 74
الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون بطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا

تفسير السعدي

هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: كذلك يضل الله الكافرين أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل وهو الأظهر أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما قالوا ضلوا عنا أي: غابوا ولم يحضروا، ولو حضروا، لم ينفعوا، ثم إنهم أنكروا فقالوا: بل لم تكن ندعو من قبل شيئا يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار، ويقال لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟.

الموجب للعقاب، بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح. 75
السورة: فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وكما قال قوم قارون له: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وهذا هو الفرح المذموم أي: تفرحون بالباطل الذي أنتم عليه، وبالعلوم التي خالفتكم بها علوم الرسل وتمرحون على عباد الله، بغيا وعدوانا، وظلما، وعصيانا، كما قال تعالى في آخر هذه ويقال لأهل النار ذلكم العذاب، الذي نوع عليكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون

خالدين فيها لا يخرجون منها أبدا فبئس مثوى المتكبرين مثوى يخزون فيه، ويهانون، ويحبسون، ويعذبون، ويترددون بين حرها وزمهريرها. 76
ادخلوا أبواب جهنم كل طبقة من طبقاتها، على قدر عمله.

قبل عقوبتهم فالينا يرجعون فنجازيهم بأعمالهم، ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون ثم سلاه وصبره، بذكر إخوانه المرسلين فقال: 77
الدنيا والآخرة، واستعن على ذلك أيضا، بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: فإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك يا أيها الرسول، على دعوة قومك، وما ينالك منهم، من أذى، واستعن على صبرك بإيمانك إن وعد الله حق سينصر دينه، ويعلي كلمته، وينصر رسله في أي فاصبر

لهم، باطلة، فليحذر هؤلاء المخاطبون، أن يستمروا على باطلهم، فيخسروا، كما خسروا أولئك، فإن هؤلاء لا خير منهم، ولا لهم براءة في الكتب بالنجاة. 78
ولهذا قال: وخسر هنالك أي: وقت القضاء المذكور المبطلون الذين وصفهم الباطل، وما جاءوا به من العلم والعمل، باطل، وغايتهم المقصودة أمر الله بالفصل بين الرسل وأعدائهم، والفتح. قضى بينهم بالحق الذي يقع الموقع، ويوافق الصواب بإنجاء الرسل وأتباعهم، وإهلاك المكذبين، فاقترح المقترحين على الرسل الإتيان بالآيات، ظلم منهم، وتعتت، وتكذيب، بعد أن أيدهم الله بالآيات الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به. فإذا جاء وكل الرسل مدبرون، ليس بيدهم شيء من الأمر. وما كان لأحد منهم أن يأتي بآية من الآيات السمعية والعقلية إلا بإذن الله أي: بمشيئته وأمره، أي: ولقد أرسلنا من قبلك رسلا كثيرين إلى قومهم، يدعونهم ويصبرون على أذاهم. منهم من قصصنا عليك خبرهم ومنهم من لم نقصص عليك منافع الأكل من لحومها، والشرب من ألبانها. ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة، من أصوافها، وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع. 79
يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة من الإنعام: منها: منافع الركوب عليها، والحمل. ومنها:

الأشياء مواضعها، فلا نسألك يا ربنا أمرا تقتضي حكمتك خلافه، بل من حكمتك التي أخبرت بها على أسنة رسلك، واقتضاها فضلك، المغفرة للمؤمنين. 8
ورفقاؤهم وذرياتهم إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، فبِعِزَّتِكَ تغفر ذنوبهم، وتكشف عنهم المحذور، وتوصلهم بها إلى كل خير الحكيم الذي يضع جنات عدن التي وعدتهم على أسنة رسلك ومن صلح أي: صلح بالإيمان والعمل الصالح من آبائهم وأزواجهم وزوجاتهم وأزواجهن وأصحابهم ربنا وأدخلهم

وعليها وعلى الفلك تحملون أي: على الرواحل البرية، والفلك البحرية، يحملك الله الذي سخرها، وهيا لها ما هيا، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها. 80
وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع. ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم من الوصول إلى الأوطان البعيدة، وحصول السرور بها، والفرح عند أهلها. من الإنعام: منها: منافع الركوب عليها، والحمل. ومنها: منافع الأكل من لحومها، والشرب من ألبانها. ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة، من أصوافها، يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة

محل، ولا للإعراض عنها موضع، بل أوجبت لذوي الألباب، بذل الجهد، واستفراغ الوسع، للاجتهاد في طاعته، والتبذل في خدمته، والانقطاع إليه. 81
ويشكروه، ويذكروه. فأى آيات الله تنكرون أي: أي آية من آياته لا تعترفون بها؟ فإنكم، قد تقرر عندهم، أن جميع الآيات والنعم، منه تعالى، فلم يبق للإنكار آياته الدالة على وحدانيته، وأسمائه، وصفاته، وهذا من أكبر نعمه، حيث أشهد عباده، آياته النفسية، وآياته الأفقية، ونعمه الباهرة، وعددها عليهم، ليعرفوه، ويريكهم

الأنيقة، والزروع الكثيرة فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون حين جاءهم أمر الله، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا افتدوا بأموالهم، ولا تحصنوا بحصونهم. 82
عاقبة الذين من قبلهم من الأمم السالفة، كعاد، وثمود وغيرهم، ممن كانوا أعظم منهم قوة وأكثر أموالا وأشد آثارا في الأرض من الأبنية الحصينة، والغراس بحث تعالى، المكذبين لرسولهم، على السير في الأرض، بأبدانهم، وقلوبهم: وسؤال العالمين. فينظروا نظر فكر واستدلال، لا نظر غفلة وإهمال. كيف كان

وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فالله المستعان. وحق بهم أي: نزل ما كانوا به يستهزنون من العذاب. 83
به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية، لا تفيد شيئا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وجعل باطلهم حقا، وهذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي ردت

تفسير السعدي

فرحوا بما عندهم من العلم المناقض لدين الرسل. ومن المعلوم، أن فرحهم به، يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل، ثم ذكر جرمهم الكبير فقال: فلما جاءتهم رسلهم بالبينات من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، للهدى من الضلال، والحق من الباطل حيث لا ينفعهم الإقرار قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين من الأصنام والأوثان، وتبرأنا من كل ما خالف الرسل، من علم أو عمل. 84 فلما رأوا بأسنا أي: عذابنا، أقروا

بد من خسران يشقي في العذاب الشديد، والخلود فيه، دائما أبدا. تم تفسير سورة المؤمن بحمد الله ولطفه ومعونته، لا بحولنا وقوتنا، فله الشكر والثناء 85 وجود قرائن العذاب. وخسر هنالك أي: وقت الإهلاك، وإذاعة البأس الكافرون دينهم ودنياهم وأخراهم، ولا يكفي مجرد الخسارة، في تلك الدار، بل لا وذلك لأنه إيمان ضرورة، قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري، الذي يكون إيمانا بالغيب، وذلك قبل سنة الله وعادته التي قد خلت في عبادته أن المكذابين حين ينزل بهم بأس الله وعقابه إذا آمنوا، كان إيمانهم غير صحيح، ولا منجيا لهم من العذاب، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا أي: في تلك الحال، وهذه

ولمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وقد يقال: إنه لا بد من وجود صلاحهم لقوله: ومن صلح فحينئذ يكون ذلك من نتيجة عملهم والله أعلم. 9 ذلك، أن المقارن من زوج وولد وصاحب، يسعد بقرينه، ويكون اتصاله به سببا لخير يحصل له، خارج عن عمله وسبب عمله كما كانت الملائكة تدعو للمؤمنين الآتات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته، إنه الكريم الوهاب، الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها. وتضمن أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه، والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل ما وفقه الله له وقد كان في تفسيرنا هذا، كثير من هذا من به الله علينا. وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالى تلك المعاني. وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحا، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب وجزمه بأنه من تواب المعنى والمتوقف عليه. والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكير في كتابه. وقد علم تعالى ما يلزم من إلأ به وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ. والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران: أحدهما: معرفته مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهما صحيحا على وجهه، نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم يحبه. وتضمن ما شرحه الله وفصله من دعائهم بعد قوله: ويستغفرون للذين آمنوا التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه، وأن لا يكون المتدبر مقتصرًا على الله إلا المؤمنين منهم، فمن محبة الملائكة لهم دعا الله، واجتهدوا في صلاح أحوالهم، لأن الدعاء للشخص من أدل الدلائل على محبته، لأنه لا يدعو إلا لمن هي العبادات التي قاموا بها، واجتهدوا اجتهد المحبين، ومن العمال الذين هم المؤمنون الذين يحبهم الله تعالى من بين خلقه، فسائر الخلق المكلفين يبغضهم جميع الوجوه، لا يدلي على ربه بحالة من الأحوال، إن هو إلا فضل الله وكرمه وإحسانه. وتضمن موافقتهم لربهم تمام الموافقة، بمحبة ما يحبه من الأعمال التي كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة والخاصة، وأنه ليس لهم من الأمر شيء وإنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من البشرية التي علم الله نقصها واقتضاءها لما اقتضته من المعاصي، ونحو ذلك من المبادئ والأسباب التي قد أحاط الله بها علما توسلوا بالرحيم العليم. وتضمن بأسمائه الحسنی، التي يحب من عباده التوسل بها إليه، والدعاء بما يناسب ما دعا الله فيه، فلما كان دعاؤهم بحصول الرحمة، وإزالة أثر ما اقتضته النفوس هو الفوز العظيم الذي لا فوز مثله، ولا يتنافس المتنافسون بأحسن منه. وقد تضمن هذا الدعاء من الملائكة كمال معرفتهم بربهم، والتوسل إلى الله العباد وسيئاتهم، فمن وقبته السيئات وفقته للحسنات وجزائها الحسن. وذلك أي: زوال المحذور بوقاية السيئات، وحصول المحبوب بحصول الرحمة، السيئة وجزائها، لأنها تسوء صاحبها. ومن تق السيئات يومئذ أي: يوم القيامة فقد رحمته لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد، لا يمنعها إلا ذنوب وقهم السيئات أي: الأعمال

سورة 41

بد من خسران يشقي في العذاب الشديد، والخلود فيه، دائما أبدا. تم تفسير سورة المؤمن بحمد الله ولطفه ومعونته، لا بحولنا وقوتنا، فله الشكر والثناء 1 وجود قرائن العذاب. وخسر هنالك أي: وقت الإهلاك، وإذاعة البأس الكافرون دينهم ودنياهم وأخراهم، ولا يكفي مجرد الخسارة، في تلك الدار، بل لا وذلك لأنه إيمان ضرورة، قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري، الذي يكون إيمانا بالغيب، وذلك قبل سنة الله وعادته التي قد خلت في عبادته أن المكذابين حين ينزل بهم بأس الله وعقابه إذا آمنوا، كان إيمانهم غير صحيح، ولا منجيا لهم من العذاب، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا أي: في تلك الحال، وهذه

ودحائها، وأخرج أقواتها، وتواب ذلك في أربعة أيام سواء للسائلين عن ذلك، فلا ينبئك مثل خبير، فهذا الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه ولا نقص. 10 ثم دحائها في يومين، بأن جعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار. فكمّل خلقها، بقوله: وللأرض اثنتا طوعا أو كرها أي: انقادا لأمري، طائعتين أو مكرهتين، فلا بد من نفوذه. قالتا أتينا طائعين ليس لنا إرادة تخالف إرادتك. 11 استوى أي: قصد إلى خلق السماء وهي دخان قد ثار على وجه الماء، فقال لها ولما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه

ثم بعد أن خلق الأرض

- له أندادا يسوونهم به، وهم ناقصون في أوصافهم وأفعالهم، أعجب، وأعجب، ولا دواء لهؤلاء، إن استمر إعراضهم، إلا العقوبات الدنيوية والأخروية. 12
- الغائب والشاهد. فترك المشركين الإخلاص لهذا الرب العظيم الواحد القهار، الذي انقادت المخلوقات لأمره ونفذ فيها قدره، من أعجب الأشياء، واتخاذهم من الأرض وما فيها، والسماء وما فيها تقدير العزيز الذي عزته، قهر بها الأشياء ودبرها، وخلق بها المخلوقات. العليم الذي أحاط علمه بالمخلوقات، هي: النجوم، يستنار، بها، ويهتدى، وتكون زينة وجمالا للسماء ظاهرا، وجمالا لها، باطنا، يجعلها رجوما للشياطين، لئلا يسترق السمع فيها. ذلك المذكور، بعد ذلك خلقها وقوله: وأوحى في كل سماء أمرا أي: الأمر والتدبير اللائق بها، الذي اقتضته حكمة أحكم الحاكمين. وزينا السماء الدنيا بمصابيح والجمال أرساها متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها: والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها إلى آخره ولم يقل: والأرض عن ذلك، ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن أخرج منها ماءها ومرعاها قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال: والأرض بعد ذلك دحاها يظهر منهما التعارض، مع أن كتاب الله، لا تعارض فيه ولا اختلاف. والجواب لخلق الجميع في لحظة واحدة، ولكن مع أنه قدير، فهو حكيم رقيق، فمن حكمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقطرة. واعلم أن ظاهر هذه الآية، مع فقضاهن سبع سماوات في يومين فتم خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، مع أن قدرة الله ومشيتته صالحة يستأصلكم ويحتاجكم، مثل صاعقة عاد وثمود القبيلتين المعروفتين، حيث اجتاحتهم العذاب، وحل عليهم، وبيل العقاب، وذلك بظلمهم وكفرهم. 13
- أي: فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم فقل أنذرتكم صاعقة أي: عذابا وإنما شرط الرسالة، أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه، فليقدحوا، إن استطاعوا بصدقهم، بقادح عقلي أو شرعي، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا. 14
- فإنما بما أرسلتم به كافرون وهذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين، من الأمم وهي من أوهى الشبه، فإنه ليس من شرط الإرسال، أن يكون المرسل ملكا، لا تعبدوا إلا الله أي: يأمرونهم بالإخلاص لله، وينهونهم عن الشرك، فردوا رسالتهم وكذبوهم، قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة أي: وأما أنتم فبشر مثلنا حيث جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم أي: يتبع بعضهم بعضا متوالين، ودعوتهم جميعا واحدة. أن قوة فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظرا صحيحا، لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم الله عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغتروا بها. 15
- من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم. وقالوا من أشد منا قوة قال تعالى ردا عليهم، بما يعرفه كل أحد: أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم لقصة هاتين الأمتين، عاد، وثمود. فأما عاد فكانوا مع كفرهم بالله، وجحدهم بآيات الله، وكفرهم برسله مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم هذا تفصيل
- الحياة الدنيا الذي اختزوا به وافترضوا بين الخليقة. ولعذاب الآخرة أخصى وهم لا ينصرون أي: لا يمتنعون من عذاب الله، ولا ينفعون أنفسهم. 16
- فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية نحسات فدمرتهم وأهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم. وقال هنا: لنذيقهم عذاب الخزي في فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا أي: ريحا عظيمة، من قوتها وشدتها، لها صوت مزعج، كالرعد القاصف. فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما العمى الذي هو الكفر والضلal على الهدى الذي هو: العلم والإيمان فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون لا ظلما من الله لهم. 17
- ثمود، آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آية مبصرة، فلماذا خصهم بزيادة البيان والهدى. ولكنهم من ظلمهم وشرهم استحبوا ولهذا قال هنا: وأما ثمود فهديناهم أي: هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان، لأن آية الشرك وآتاهم الله الناقة، آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يوما ويشربون من الماء يوما، وليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله، وأما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر وحواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحا عليه السلام، يدعوهم إلى توحيد ربهم، وينهاهم عن ونجين الذين آمنوا وكانوا يتقون أي نجى الله صالحا عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك، والمعاصي. 18
- أي: يرد أولهم على آخرهم، ويتبع آخرهم أولهم، ويساقون إليها سوفا عنيقا، لا يستطيعون امتناعا، ولا ينصرون أنفسهم، ولا هم ينصرون. 19
- تعالى عن أعدائه، الذين بارزوه بالكفر به وبآياته، وتكذيب رسله ومعاداتهم ومحاربتهم، وحالهم الشنيعة حين يحشرون، أي: يجمعون. إلى النار فهم يوزعون يخبر
- هذا الكتاب، الذي حصل به، من العلم والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة، والخير الكثير، ما هو من أجل نعمه على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين. 2
- عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل تنزيل صادر من الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها، إنزال يخبر تعالى
- عليهم كل عضو من أعضائهم، فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا وكذا، يوم كذا وكذا. وخص هذه الأعضاء الثلاثة، لأن أكثر الذنوب، إنما تقع بها، أو بسببها. 20
- النار، وأرادوا الإنكار، أو أنكروا ما عملوه من المعاصي، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم عموم بعد خصوص. بما كانوا يعملون أي: شهد حتى إذا ما جاءوها أي: حتى إذا وردوا على

تفسير السعدي

ذلك، الإنطاق. وإليه ترجعون في الآخرة، فيجزىكم بما عملتم، ويحتمل أن المراد بذلك، الاستدلال على البعث بالخلق الأول، كما هو طريقة القرآن. 21 الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصي عن مشيئته أحد. وهو خلقكم أول مرة فكما خلقكم بذواتكم، وأجسامكم، خلق أيضا صفاتكم، ومن هذا دليل على أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا: لم شهدتم علينا ونحن ندافع عنكم؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء فليس في إمكاننا، فإذا شهد عليهم عاتبوا، وقالوا لجلودهم

ولكن ظننتم بإقدامكم على المعاصي أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك صدر منكم ما صدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم. 22 وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي: وما كنتم تختفون عن شهادة أعضائكم عليكم، ولا تحاذرون من ذلك. الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة: 23 الذي ظننتم بربكم الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. أرداكم أي: أهلككم فأصبحتم من الخاسرين لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب وذلك ظنكم

وقته، وعمرها، ما يعمر فيه من تذكر وجاءهم النذير وانقطعت حججهم، مع أن استعتابهم، كذب منهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون 24 اخسئوا فيها ولا تكلمون وإن يستعتبوا أي: يطلبوا أن يزال عنهم العتب، ويرجعوا إلى الدنيا، ليستأنفوا العمل. فما هم من المعتبين لأنه ذهب وعظمت سلاسلها وأغلالها، وكبرت مقامعها، وغلظ خزائنها، وزال ما في قلوبهم من رحمتهم، وختام ذلك سخط الجبار، وقوله لهم حين يدعونه ويستغيثون: الصبر عليها، وكيف الصبر على نار، قد اشتد حرها، وزادت على نار الدنيا، بسبعين ضعفا، وعظم غليان حميمها، وزاد نتن صديدها، وتضاعف برد زمهريرها فإن يصبروا فالنار مثوى لهم فلا جلد عليها، ولا صبر، وكل حالة قدر إمكان الصبر عليها، فالنار لا يمكن

بعذابهم في جملة أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين لأديانهم وآخرتهم، ومن خسر، فلا بد أن يذل ويشقى ويعذب. 25 الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون وحق عليهم القول أي: وجب عليهم، ونزل القضاء والقدر والمعاصي. وهذا التسليط والتقويض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق كما قال تعالى: ومن يعيش عن ذكر محاربة الله ورسله والآخرة بعدوها عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشبه، بعدم وقوعها، فترحل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، والبدع، ما بين أيديهم وما خلفهم فالدنيا زخرفها بأعينهم، ودعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة حتى افتتنوا، فأقدموا على معاصي الله، وسلخوا ما شاءوا من قرناء من الشياطين، كما قال تعالى: ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا أي تزعجهم إلى المعاصي وتحتهم عليها، بسبب ما زينوا لهم أي: وقضينا لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق

كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤه. 26 وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق، ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم أحدا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، لعلكم إن فعلتم ذلك تغلبون به، فإن اتفق أنكم سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه، ف الغوا فيه أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكثوا مع قدرتهم عن القرآن، وتواصيههم بذلك، فقال: وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى من جاء يخبر تعالى عن إعراض الكفار

وهو الكفر والمعاصي، فإنها أسوأ ما كانوا يعملون، لكونهم يعملون المعاصي وغيرها، فالجزاء بالعقوبة، إنما هو على عمل الشرك ولا يظلم ربك أحدا 27 منهم وعنادا، لم يبق فيهم مطمع للهداية، فلم يبق إلا عذابهم ونكالهم، ولهذا قال: فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ولما كان هذا ظلما

هم ينصرون، وذلك جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون فإنها آيات واضحة، وأدلة قاطعة مفيدة لليقين، فأعظم الظلم وأكبر العناد، جحدوا، والكفر بها. 28 الذين حاربوا، وحاربوا أوليائه، بالكفر والتكذيب، والمجادلة والمجادلة. النار لهم فيها دار الخلد أي: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا ذلك جزاء أعداء الله

ليكونوا من الأسفلين أي: الأذلين المهانين كما أضلونا، وفتنونا، وصاروا سببا لنزولنا. ففي هذا، بيان حق بعضهم على بعض، وتبري بعضهم من بعض. 29 أضلانا من الجن والإنس أي: الصنفين اللذين، قادانا إلى الضلال والعذاب، من شياطين الجن، وشياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم. نجعلهما تحت أقدامنا وقال الذين كفروا أي: الأتباع منهم، بدليل ما بعده، على وجه الحق، على من أضلهم: ربنا أرنا الذين

الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا، ولا البيان إلا عمى فهؤلاء لم يسق الكلام لأجلهم، سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون 30 أكمل اللغات، فصلت آياته وجعل عريبا. لقوم يعلمون أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والغي من الرشاد. وأما آياته أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق. قرآنا عربيا أي: باللغة الفصحى ثم أتى على الكتاب بتمام البيان فقال: فصلت

تفسير السعدي

على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولا. 30 وفي الآخرة. تنزل عليهم الملائكة الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ألا تخافوا على ما يستقبل من أمركم، ولا تحزنوا استقاموا أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علما وعملا، فلهم البشرى في الحياة الدنيا يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك، تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: إن الذين قالوا ربنا الله ثم

ما تدعون أي: تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. 31 من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويقولون لهم أيضا: ولكم فيها أي: في الجنة ما تشتهي أنفسكم قد أعد وهيئ. ولكم فيها المصائب والمخاوف، وخصوصا عند الموت وشدة، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند ويقولون لهم أيضا مثبتين لهم، ومبشرين: نحن أولياؤكم

من غفور غفر لكم السيئات، رحيم حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته، أنالكم المطلوب. 32 نزلا من غفور رحيم أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزل وضيافة

أعلى عليين، ونزلت الأخرى، إلى أسفل سافلين، مراتب، لا يعلمها إلا الله، وكلها معمورة بالخلق ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون. 33 الوراة التامة من الرسل، كما أن من أشر الناس، قولا، من كان من دعاة الضالين السالكين لسبله. وبين هاتين المرتبتين المتباينتين، اللتين ارتفعت إحداها إلى إنني من المسلمين أي: المنقادين لأمره، السالكين في طريقه، وهذه المرتبة، تمامها للصديقين، الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم، وحصلت لهم من جميع الشر. ثم قال تعالى: وعمل صالحا أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يرضي ربه. وقال الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفرادها، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين. ومن ذلك، الوعد لعوم وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله. ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومن الدعوة إلى الله، تحببها إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتأييد هي أحسن، والنهي دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلاما وطريقة، وحالة ممن

له الكلام، وأبذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة. فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي: كأنه قريب شفيق. 34 إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غابا أو حاضرا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فطيب هي أحسن أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان ولا في وصفها، ولا في جزائها هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: ادفع بالتأييد الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، يقول تعالى: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أي: لا يستوي فعل

وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق. 35 عمله، لا يفيد شيئا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذا مستحليا له. مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟ فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس وما يلقاها أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على

أي: أسأله، مفتقرا إليه، أن يعيذك ويعصمك منه، إنه هو السميع العليم فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك واضطرارك إلى عصمته وحمايته. 36 أحسست بشيء من نزغات الشيطان، أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيه له عن الخير، وإصابة ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به فاستعذ بالله إساءته بالإحسان، ذكر ما يدفع به العدو الجني، وهو الاستعاذة بالله، والاحتماء من شره فقال: وإما ينزغنك من الشيطان نزغ أي: أي وقت من الأوقات، لما ذكر تعالى ما يقابل به العدو من الإنس، وهو مقابلة

وإن كبر، جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، وإنما هو من خالقه، تبارك وتعالى. إن كنتم إياه تعبدون فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له. 37 ولا للقمر فإنهما مدبران مسخران مخلوقان. واسجدوا لله الذي خلقهن أي: أعبدوه وحده، لأنه الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما سواه، من المخلوقات، والشمس والقمر اللذان لا تستقيم معاش العباد، ولا أبدانهم، ولا أبدان حيواناتهم، إلا بهما، وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده. لا تسجدوا للشمس وسعة سلطانه، ورحمته بعباده، وأنه الله وحده لا شريك له الليل والنهار هذا بمنفعة ضيائه، وتصرف العباد فيه، وهذا بمنفعه ظلمه، وسكون الخلق فيه.

تفسير السعدي

ثم ذكر تعالى أن من آياته الدالة على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته،

عند ربك يعني: الملائكة المقربين يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون أي: لا يملون من عبادته، لقوتهم، وشدة الداعي القوي منهم إلى ذلك. 38
الله تعالى، ولم ينقادوا لها، فإنهم لن يضروا الله شيئا، والله غني عنهم، وله عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولهذا قال: فالذين
فإن استكبروا عن عبادة

من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم إنه على كل شيء قدير فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى. 39
اهتزت أي: تحركت بالنبات وربت ثم: أنبتت من كل زوج بهيج، فيحيي به العباد والبلاد. إن الذي أحيها بعد موتها وهمودها، لمحيي الموتى
ومن آياته الدالة على كمال قدرته، وانفراده بالملك والتدبير والوحدانية، أنك ترى الأرض خاشعة أي: لا نبات فيها فإذا أنزلنا عليها الماء أي: المطر

أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين، فهم لا يسمعون له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعا، تقوم عليهم به الحجة الشرعية. 4
وذكر الأسباب والأوصاف التي تحصل بها البشارة والندارة، وهذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يتلقى بالقبول، والإنذاع، والإيمان، والعمل به، ولكن
بشيرا ونذيرا أي: بشيرا بالثواب العاجل والآجل، ونذيرا بالعقاب العاجل والآجل، وذكر تفصيلهما،

إلى دار الشقاء. إنه بما تعملون بصير يجازيكم بحسب أحوالكم وأعمالكم، كقوله تعالى: وكل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر 40
المهلك قال: اعملوا ما شئتم إن شئتم، فاسلكوا طريق الرشd الموصلة إلى رضا ربكم وجنته، وإن شئتم، فاسلكوا طريق الغي المسخطة لربكم، الموصلة
خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة من عذاب الله مستحقا لثوابه؟ من المعلوم أن هذا خير. لما تبين الحق من الباطل، والطريق المنجي من عذابه من الطريق
فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلع على ظاهره وباطنه، وسيجزيه على إحاده بما كان يعمل، ولهذا قال: أفمن يلقى في النار مثل الملحد بآيات الله
كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها، ما أرادها الله منها. فتوعد تعالى من أحد
الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه

نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق وأكملهم. و الحال إنه لكتاب جامع لأوصاف الكمال عزيز أي: منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء. 41
إن الذين كفروا بالذكر أي: يجحدون القرآن الكريم المذكور للعباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية والأخروية، المعلي لقدر من اتبعه، لما جاءهم
ثم قال تعالى:

وعلى ما له من العدل والإفضال، فهذا كان كتابه، مشتملا على تمام الحكمة، وعلى تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار، التي يحمد عليها. 42
وإننا لحافظون تنزيل من حكيم في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه، وينزله منازل. حميد على ما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال،
بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا

وحذرهم من الاستمرار على الغي فقال: إن ربك لذو مغفرة أي: عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقبل وتاب وذو عقاب أليم لمن: أصر واستكبر. 43
قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر من قبلك. ثم دعاهم إلى التوبة والإتيان بأسباب المغفرة،
يقدرهم عليه، وقولهم: ما أنتم إلا بشر مثنا واقترحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت
جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق
أي: ما يقال لك أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك وعاندك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي: من

أن الذين لا يؤمنون بالقرآن، لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيرا، لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم. 44
من مكان بعيد أي: ينادون إلى الإيمان، ويدعون إليه، فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادي، وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعيا ولا يجيب مناديا. والمقصود:
وهو عليهم عمى أي: لا يبصرون به رشدًا، ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالا فإنهم إذا ردوا الحق، ازدادوا عمى إلى عماهم، وغيا إلى غيهم. أولئك ينادون
الأعمال، ويبحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب وتشفى القلب. والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم وقر أي: صمم عن استماعه وإعراض،
المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية، لأنه يزرع عن مساوئ الأخلاق وأقبح
المؤمنون الموفقون، انتفعوا به، وارتفعوا، وغيرهم بالعكس من أحوالهم. ولهذا قال: قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء أي: يهديهم لطريق الرشd والصراط
محمد عربيا، والكتاب أعجمي؟ هذا لا يكون فنفي الله تعالى كل أمر، يكون فيه شبهة لأهل الباطل، عن كتابه، ووصفه بكل وصف، يوجب لهم الانقياد، ولكن
قرآنا أعجميا، بلغة غير العرب، لاعتراض، المكذوبين وقالوا: لولا فصلت آياته أي: هلا بينت آياته، ووضحت وفسرت. أعجمي وعربي أي: كيف يكون
فضله وكرمه، حيث أنزل كتابا عربيا، على الرسول العربي، بلسان قومه، ليبين لهم، وهذا مما يوجب لهم زيادة الاغتناء به، والتلقي له والتسليم، وأنه لو جعله
يخبر تعالى عن

الكافرين في الحال، لأن سبب الهلاك قد وجب وحق. وإنهم لفي شك منه مريب أي: قد بلغ بهم إلى الريب الذي يقلقهم، لذلك كذبوه وجحدوه. 45

تفسير السعدي

الله تعالى، لولا حلمه وكلمته السابقة، بتأخير العذاب إلى أجل مسمى لا يتقدم عليه ولا يتأخر لقضي بينهم بمجرد ما يتميز المؤمنون من الكافرين، بإهلاك آتينا موسى الكتاب كما آتيناك الكتاب، فصنع به الناس ما صنعوا معك، اختلفوا فيه: فمنهم من آمن به واهتدى وانتفع، ومنهم من كذبه ولم ينتفع به، وإن يقول تعالى: ولقد

وانتفاع العاملين، بأعمالهم الحسنة، وضررهم بأعمالهم السيئة، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. وما ربك بظلام للعبيد فيحمل أحدا فوق سيئاتهم. 46 به، ورسوله فلنفسه نفعه وثوابه في الدنيا والآخرة ومن أساء فعليها ضرره وعقابه، في الدنيا والآخرة، وفي هذا، حث على فعل الخير، وترك الشر، من عمل صالحا وهو العمل الذي أمر الله

ما منا من شهيد أي: أعلمناك يا ربنا، واشهد علينا أنه ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم وشركتهم، فكلنا الآن قد رجعنا إلى بطلان عبادتها، وتبرأنا منها. 47 شركائي الذين زعمتم أنهم شركائي، فعبدتموهم، وجادلتم على ذلك، وعاديتهم الرسل لأجلهم؟ قالوا مقرين ببطلان إلهيتهم، وشركتهم مع الله: أذكرك فكيف سوى المشركون به تعالى، من لا علم عنده ولا سمع ولا بصيرة؟ ويوم يناديهم أي: المشركين به يوم القيامة توبيخا وإظهارا لكذبهم، فيقول لهم: أين من الأشجار، إلا وهو يعلمها علما تفصيليا. وما تحمل من أنثى من بني آدم وغيرهم، من أنواع الحيوانات، إلا بعلمه ولا تضع أنثى حملها إلا بعلمه وغيرهم. وما تخرج من ثمرات من أكمامها أي: وعائنها الذي تخرج منه، وهذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان والبراري، فلا تخرج ثمرة شجرة واختصاصه بالعلم الذي لا يطلع عليه سواه فقال: إليه يرد علم الساعة أي: جميع الخلق ترد علمهم إلى الله تعالى، ويقرون بالعجز عنه، الرسل، والملائكة، هذا إخبار عن سعة علمه تعالى

في تلك الحال ما لهم من محيص أي: منقذ ينقذهم، ولا مغيث، ولا ملجأ، فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره، بينها الله لعباده، ليحذروا الشرك به. 48 غير الله، وظنوا أنها تفيدهم، وتدفع عنهم العذاب، وتشفع لهم عند الله، فخاب سعيهم، وانتقض ظنهم، ولم تغن عنهم شركاؤهم شيئا وظنوا أي: أيقنوا وضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله، أي: ذهب عقائدهم وأعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة وخافوا أن تكون نعم الله عليهم، استدراجا وإمهالا، وإن أصابهم مصيبة، في أنفسهم وأموالهم، وأولادهم، صبروا، ورجوا فضل ربهم، فلم ييأسوا. 49 بالهلاك، ويتشوش من إتيان الأسباب، على غير ما يحب ويطلب. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنهم إذا أصابهم الخير والنعمة والمحاب، شكروا الله تعالى، وإن مسه الشر أي: المكروه، كالمرض، والفقر، وأنواع البلاء فينوس قنوط أي: ييأس من رحمة الله تعالى، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه والمال والولد، وغير ذلك من مطالب الدنيا، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل، ولا كثير منها، فلو حصل له من الدنيا، ما حصل، لم يزل طالبا للزيادة. لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال، فقال: لا يسأم الإنسان من دعاء الخير أي: لا يمل دائما، من دعاء الله، في الغنى هذا إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، وعدم صبره وجلده،

بدينك، فإننا راضون كل الرضا، بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا. 5 نراك. القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه، من كل وجه، وأظهروا بغضه، والرضا بما هم عليه، ولهذا قالوا: فاعمل إننا عاملون أي: كما رضيت بالعمل بسد الأبواب الموصلة إليه: قلوبنا في أكنة أي: أغطية مغطاة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر أي: صمم فلا نسمع لك ومن بيننا وبينك حجاب فلا وقالوا أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به،

وهذا من أعظم الجراءة والقول على الله بلا علم، فلماذا توعدته بقوله: فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ أي: شديد جدا. 50 عنده للحسن أي: على تقدير إتيان الساعة، وأني سأرجع إلى ربي، إن لي عنده، للحسن، فكما حصلت لي النعمة في الدنيا، فإنها ستحصل لي في الآخرة أتاني لأني له أهل، وأنا مستحق له وما أظن الساعة قائمة وهذا إنكار منه للبعث، وكفر للنعمة والرحمة، التي أذاقها الله له. ولئن رجعت إلى ربي إن لي رحمة منا أي: بعد ذلك الشر الذي أصابه، بأن عافاه الله من مرضه، أو أغناه من فقره، فإنه لا يشكر الله تعالى، بل يبغى، ويبغى، ويقول: هذا لي أي: ثم قال تعالى: ولئن أذقناه أي: الإنسان الذي يسأم من دعاء الخير، وإن مسه الشر فينوس قنوط

أي: المرض، أو الفقر، أو غيرهما فذو دعاء عريض أي: كثير جدا، لعدم صبره، فلا صبر في الضراء، ولا شكر في الرخاء، إلا من هداه الله ومن عليه. 51 وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة، أو رزق، أو غيرهما أعرض عن ربه وعن شكره ونأى ترفع بجانبه عجا وتكبرا. وإن مسه الشر

شقاق بعيد أي: معاندة لله ولرسوله، لأنه تبين لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل وجهل، فإذا تكونون أضل الناس وأظلمهم. 52 هؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران أرايتم إن كان هذا القرآن من عند الله من غير شك ولا ارتياب، ثم كفرتم به من أضل ممن هو في أي قل

جاء به صادق، بشهادة الله تعالى، فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيده، ونصره نصرا متضمنا لشهادته القولية، عند من شك فيها. 53 لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء. أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن المؤمنين. حتى يتبين لهم من تلك الآيات، بيانا لا يقبل الشك أنه الحق وما اشتهل عليه حق. وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبين على الحق. وفي أنفسهم مما اشتهلت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر

تفسير السعدي

وحقيقته، فسيقوم الله لكم، ويربكم من آياته في الآفاق كآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر فإن قلتم، أو شككتم بصحته

دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ألا إنه بكل شيء محيط علما وقدرة وعزة. تم تفسير سورة فصلت بمنه تعالى 54
ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم

بأمور، أو ارتكاب منه، أمره بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة فقال: واستغفروه ثم توعدهم من ترك الاستقامة فقال: وويل للمشركين 6
دار كرامته، فبذلك يكون عمله خالصا صالحا نافعا، وبفواته، يكون عمله باطلا. ولما كان العبد، ولو حرص على الاستقامة لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير
ثم الدوام على ذلك، وفي قوله: إليه تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته، التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى
إليه. فاستقيموا إليه أي: اسلكوا الصراط الموصل إلى الله تعالى، بتصديق الخبر الذي أخبر به، واتباع الأمر، واجتناب النهي، هذه حقيقة الاستقامة،
مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء، ولا عندي ما تستعجلون به، وإنما فضلي الله عليكم، وميزني، وخصني، بالوحي الذي أوحاه إلي وأمرني باتباعه، ودعوتكم
قل لهم يا أيها النبي: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أي: هذه صفتي ووظيفتي، أني بشر

بالآخرة هم كافرون أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار، فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم، أقدموا على ما أقدموا عليه، مما يضرهم في الآخرة. 7
ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها. وهم
الذين لا يؤتون الزكاة أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا

أجر أي: عظيم غير ممنون أي: غير مقطوع ولا نافذ، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات. 8
فقال: إن الذين آمنوا بهذا الكتاب، وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، والمتابعة. لهم
ولما ذكر الكافرين، ذكر المؤمنين، ووصفهم وجزاءهم،

معه أندادا يشركونهم معه، ويبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين. 9
ينكر تعالى ويعجب، من كفر الكافرين به، الذين جعلوا

سورة 42

دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ألا إنه بكل شيء محيط علما وقدرة وعزة. تم تفسير سورة فصلت بمنه تعالى 1
ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم

يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين وقوله: فاعبده وتوكل عليه 10
وأنقا به تعالى في الإسعاف بذلك. وإليه أنيب أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته. وهذا الأصلان، كثيرا ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما
عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقا موافقا لما في كتاب الله وسنة رسوله. وقوله: عليه توكلت أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار،
الآية الكريمة، أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه، يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة
الحق، وما خالف ذلك فباطل. ذلكم الله ربي أي: فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر، فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم. ومفهوم
تعالى: وما اختلفتم فيه من شيء من أصول دينكم وفروعه، مما لم تتفقوا عليه فحكمه إلى الله يرد إلى كتابه، وإلى سنة رسوله، فما حكما به فهو
يقول

من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: ليس كمثله شيء وعلى المعطلة في قوله: وهو السميع البصير 11
الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة. وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة،
من كل وجه. وهو السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. البصير يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة
لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراد وتوحده بالكمال
لكم من الأنعام أزواجا. ليس كمثله شيء أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثل شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله،
التعليل، أي: جعل ذلك لأجلكم، ولأجل النعمة عليكم، ولهذا قال: يذركم فيه أي: يشكم ويكثركم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم، وجعل
لكم من النفع ما يحصل. ومن الأنعام أزواجا أي: ومن جميع أصنافها نوعين، ذكرا وأنثى، لتبقى وتنمو لمنافعكم الكثيرة، ولهذا عداها باللام الدالة على
فاطر السماوات والأرض أي: خالقهما بقدرته ومشينته وحكمته. جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وتنتشر منكم الذرية، ويحصل

لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته، فلماذا قال: إنه بكل شيء عليم فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته وتقتضيه مشيئته. 12
ولهذا قال هنا: يبسط الرزق لمن يشاء أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، ويقدر أي: يضيق على من يشاء، حتى يكون بقدر حاجته،

تفسير السعدي

المانع، الضار النافع، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو، و ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شيء. والله تعالى هو المعطي وقوله: له مقاليد السماوات والأرض أي: له ملك السماوات والأرض، ويده مفاتيح الرحمة والأرزاق، والنعم

أناب إلي مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين. 13 أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وفي هذه الآية، أن الله يهدي إليه من ينيب مع قوله: واتبع سبيل من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من للاجتناب لرسالته وولايته ومنه أن اجتنبى هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها. ويهدي إليه من ينيب هذا السبب الذي من دونه إذا هم يستبشرون وقولهم: أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب الله يجتبي إليه من يشاء أي يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح عليهم غاية المشقة، حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من الصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق. كبر على المشركين ما تدعوهم إليه أي: شق بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم. ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع ولا تتفرقوا فيه أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. وقطب رحي الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب. ولهذا قال: أن أقيموا الدين أي: أمركم أن أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بد على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار هذه أكبر منة أنعم الله بها

أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا وعنادا، فإن خلفهم اختلفوا شكا وارتبابا، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم. 14 اقتضى تأخير ذلك عنهم. وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم أي: الذين ورثوهم وصاروا خلفا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم لفي شك منه مريب فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم. ولولا كلمة سبقت من ربك أي: بتأخير العذاب القاضي إلى أجل مسمى لقضي بينهم ولكن حكمته وحلمه، الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباعضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب لما أمر تعالى باجتماع

الكتاب إلا بالتي هي أحسن وإنما المراد ما ذكرنا. الله يجمع بيننا وإليه المصير يوم القيامة، فيجزى كلا بعمله، ويتبين حينئذ الصادق من الكاذب. 15 إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: ولا تجادلوا أهل لا حجة بيننا وبينكم أي: بعد ما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدل، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل، الله ربنا وربكم أي: هو رب الجميع، لستم بأحق به منا. لنا أعمالنا ولكم أعمالكم من خير وشر فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، مجرد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابتنا، فلم يأمرنا بالإيمان بهم. وقوله: وأمرت لأعدل بينكم أي: في الحكم وبمن جاء به، فكتابتنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها، وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته. وأما الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقا بهذا القرآن سائر الأديان، وأن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام، وفي هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض جدالهم ومناظرتهم: آمنت بما أنزل الله من كتاب أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم، الدال على شرف الإسلام وجلالته وهيمنته على تتبع دينهم لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهوا ولعبا. وقل لهم عند على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم أنك إذا لمن الظالمين، ولم يقل: ولا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له. ولا تتبع أهواءهم أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم بل امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك. ومن المعلوم أن وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله، واستقم بنفسك كما أمرت أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفرط ولا إفراط، فلذلك فادع أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه

غضب لعصيانهم وإعراضهم عن حجج الله وبياناته وتكذيبها. ولهم عذاب شديد هو أثر غضب الله عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل. 16

تفسير السعدي

المجادلون للحق من بعد ما تبين حجتهم داحضة أي: باطلة مدفوعة عند ربهم لأنها مشتملة على رد الحق وكل ما خالف الحق، فهو باطل. وعليهم والشبه المتناقضة من بعد ما استجيب له أي: من بعد ما استجاب لله أولو الألباب والعقول، لما بين لهم من الآيات القاطعة، والبراهين الساطعة، فهؤلاء وهذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا وبينكم، فأخبر هنا أن الذين يحتاجون في الله بالحجج الباطلة،

الساعة المنكرين لها، فقال: وما يدريك لعل الساعة قريب أي: ليس بمعلوم بعدها، ولا متى تقوم، فهي في كل وقت متوقع وقوعها، مخوف وجبتها. 17 ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوافقه وخلافه سيان. ثم قال تعالى مخوفاً للمستعجلين لقيام من خبر المسائل ومآخذها، وعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه، وأما من اغتر بالعبارة المزخرفة، والألفاظ المموهة، عن الكتاب والميزان مما قيل إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله، مما خرج عن هذين الأمرين بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخلية وكله آيات بينات، وأدلة واضحات، على جميع المطالب الإلهية والعقائد الدينية، فجاء بأحسن المسائل وأوضح الدلائل. وأما الميزان، فهو العدل والاعتبار التي أوصلها إلى العباد، فقال: الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان فالكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين، لما ذكر تعالى أن حججه واضحة بينة، بحيث استجاب لها كل من فيه خير، ذكر أصلها وقاعدتها، بل جميع الحجج

بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية، والرسل الكرام وأتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولاً، وأغزرهم علماً، وأعظمهم فطنة وفهماً. 18 إليها، كراكب قال في ظل شجرة ثم رحل وتركها، وهي دار عبور وممر، لا محل استقرار. فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها وشاهدوها، وكذبوا التي هي الدار على الحقيقة، وهي الدار التي خلقت للبقاء الدائم والخلود السرمدي، وهي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله وفضله وإنما هذه الدار بالنسبة ماروا الرسل وأتباعهم بإثباتها فهم في شقاق بعيد، أي: معاندة ومخاصمة غير قريبة من الصواب، بل في غاية البعد عن الحق، وأي بعد أبعد ممن كذب بالدار منجية لهم ولا مسعدة، ولهذا قال: ويعلمون أنها الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه ألا إن الذين يمارون في الساعة أي: بعد ما امتروا فيها، لربهم. والذين آمنوا مشفقون منها أي: خائفون، لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء بالأعمال، وخوفهم، لمعرفة ربهم، أن لا تكون أعمالهم يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها عناداً وتكديباً، وتعجيزاً

بحسب اقتضاء حكمته ولطفه وهو القوي العزيز الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء. 19 مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: يرزق من يشاء فيه، واقتداء بعضهم ببعض. ومن لطفه، أن يقيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها ما يكون داعياً لاتباعه. ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبت همهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون. فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده وخصوصاً المؤمنين إلى يخبر تعالى بلطفه بعباده

دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ألا إنه بكل شيء محيط علماً وقدرة وعزة. ثم تفسير سورة فصلت بمنه تعالى 2 ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم

النار وجحيمها. وهذه الآية، شبيهة بقوله تعالى: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون إلى آخر الآيات. 20 فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها. نؤته منها نصيبه الذي قسم له، وما له في الآخرة من نصيب قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه. ومن كان يريد حرث الدنيا بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فأمن بها وصدق، وسعى لها سعيها نذله في حرثه بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافاً كثيرة، كما قال تعالى: ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو ثم قال تعالى: من كان يريد حرث الآخرة أي: أجرها وثوابها،

لقضي بينهم في الوقت الحاضر بسعادة المحق وإهلاك المبطل، لأن المقتضي للإهلاك موجود، ولكن أمامهم العذاب الأليم في الآخرة، هؤلاء وكل ظالم. 21 هم وأباؤهم على الكفر. ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم أي: لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلاً بين الطوائف المختلفة، وأنه سيؤخرهم إليه، ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله وعن رسوله، فكيف هؤلاء الفسقة المشتركين لهم من الدين ما لم يأذن به الله من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم. مع أن الدين لا يكون إلا يخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر شرعوا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ذلك هو الفضل الكبير وهل فوز أكبر من الفوز برضا الله تعالى، والتنعم بقربه في دار كرامته؟ 22

تفسير السعدي

إلا حسنا وبهاء، ولا يزداد أهلها إلا اشتياقا إلى لذاتها ووداد، لهم ما يشاءون فيها، أي: في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، ومهما طلبوا حصل، مما لا المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتماع بكل حبيب، والأخذ من المعاشرة والمناادمة بأكمل نصيب، رياض لا تزداد على طول المدى والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفقة، والفياض المعشبة، والمناظر الحسنة، والأشجار يشمل كل عمل صالح من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فهؤلاء في روضات الجنات أي: الروضات المضافة إلى الجنات، غير معارض، من توبة ولا غيرها، ووصلوا موضعا فات فيه الإنظار والإمهال. والذين آمنوا بقلوبهم بالله وبكتبه ورسله وما جاءوا به، وعملوا الصالحات عليه. ولما كان الخائف قد يقع به ما أشفق منه وخافه، وقد لا يقع، أخبر أنه واقع بهم العقاب الذي خافوه، لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب، من وفي ذلك اليوم ترى الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي مشفقين أي: خائفين وجلين مما كسبوا أن يعاقبوا

بلغت عند التوبة منها، ويشكر على العمل القليل بالأجر الكثير، فبمغفرته يغفر الذنوب ويستتر العيوب، وبشكره يتقبل الحسنات ويضاعفها أضعافا كثيرة. 23 لعمل آخر، ويزداد بها عمل المؤمن، ويرتفع عند الله وعند خلقه، ويحصل له الثواب العاجل والآجل. إن الله غفور شكور يغفر الذنوب العظيمة ولو بلغت ما ومن يقترب حسنة من صلاة، أو صوم، أو حج، أو إحسان إلى الخلق نذر له فيها حسنا بأن يشرح الله صدره، وييسر أمره، وتكون سببا للتوفيق منه لهم صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى: وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وقولهم: ما لفلان ذنب عندك، إلا أنه محسن إليك وعلى كلا القولين، فهذا الاستثناء دليل على أنه لا يسألهم عليه أجرا بالكلية، إلا أن يكون شيئا يعود نفعه إليهم، فهذا ليس من الأجر في شيء، بل هو من الأجر الصادقة، وهي التي يصحبها التقرب إلى الله، والتوسل بطاعته الدالة على صحتها وصدقها، ولهذا قال: إلا المودة في القربى أي: في التقرب إلى الله، بدعوته أقرب الناس إليه، حتى إنه قيل: إنه ليس في بطون قريش أحد، إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيه قرابة. ويحتمل أن المراد إلا مودة الله تعالى محبته على جميع المحاب بعد محبة الله، فرض على كل مسلم، وهؤلاء طلب منهم زيادة على ذلك أن يحبوه لأجل القرابة، لأنه صلى الله عليه وسلم، قد باشر نفعه إليكم، وهو أن تودوني وتحبوني في القرابة، أي: لأجل القرابة. ويكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان، فإن مودة الإيمان بالرسول، وتقديم أموالكم، ولا التولي عليكم والترأس، ولا غير ذلك من الأغراض إلا المودة في القربى يحتمل أن المراد: لا أسألكم عليه أجرا إلا أجرا واحدا هو لكم، وعائد الغايات، والوسيلة الموصلة إليها أفضل الوسائل. قل لا أسألكم عليه أي: على تبليغي إياكم هذا القرآن ودعوتكم إلى أحكامه. أجرا فليست أريد أخذ الصالحات أي: هذه البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر على الإطلاق، بشر بها الرحيم الرحمن، على يد أفضل خلقه لأهل الإيمان والعمل الصالح، فهي أجل ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا

ويتبين بطلانه لكل أحد، ويظهر الحق كل الظهور لكل أحد. إنه عليم بذات الصدور أي: بما فيها، وما اتصفت به من خير وشر، وما أكتته ولم تبده. 24 من جملة إحقاقه تعالى الحق، أن يقيض له الباطل ليقاومه، فإذا قاومه، صال عليه الحق ببراهينه وبيئاته، فظهر من نوره وهده ما به يضمحل الباطل وينقمع، بكلماته الكونية، التي لا تغير ولا تبدل، ووعد الصديق، وكلماته الدينية التي تحقق ما شرعه من الحق، وتثبت في القلوب، وتبصر أولي الأبواب، حتى إن منها ولا أكبر، ولهذا من حكمته ورحمته، وسنته الجارية، أنه يمحو الباطل ويزيله، وإن كان له صولة في بعض الأوقات، فإن عاقبته الاضمحلال. ويحق الحق خير، وإذا ختم على قلبه انحسم الأمر كله وانقطع. فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم على من خالفه، وهو تعالى قادر على حسم هذه الدعوة من أصلها ومادتها، وهو أن يختم على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يعي شيئا ولا يدخل إليه أكبر الفساد في الأرض، حيث مكنه الله من التصريح بالدعوة، ثم بنسبتها إليه، ثم يؤيده بالمعجزات الظاهرات، والأدلة القاهرات، والنصر المبين، والاستيلاء يتجرأون على هذا الكذب الصراح؟ بل تجرأوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله، حيث مكنك من هذه الدعوة العظيمة، المتضمنة على موجب زعمهم على الله كذبا فرموك بأشنع الأمور وأقبحها، وهو الافتراء على الله بادعاء النبوة والنسبة إلى الله ما هو بريء منه، وهم يعلمون صدقك وأمانتك، فكيف يعني أم يقول المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم جرأة منهم وكذبا: افتري

إليه والتوبة من التقصير، فانقسموا بحسب الاستجابة له إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات 25 غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: ويعلم ما تفعلون فالله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة التوبة من الأعمال العظيمة، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصهما، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ ويمحوها، ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريما، كأنه ما عمل سوءا قط، ويحبه ويوفقه لما يقر به إليه. ولما كانت ويعزمون على أن لا يعاودوها، إذا قصدوا بذلك وجه ربهم، فإن الله يقبلها بعد ما انعقدت سببا للهلاك، ووقوع العقوبات الدنيوية والدينية. ويعفو عن السيئات هذا بيان لكمال كرم الله تعالى وسعة جوده وتما ملطفه، بقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقلعون عن ذنوبهم ويندمون عليها،

في الدنيا والآخرة، ثم ذكر أن من لطفه بعباده، أنه لا يوسع عليهم الدنيا سعة، تضر بأديانهم فقال: ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض 26 في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب والفوز العظيم. وأما غير المستجيبين لله وهم المعاندون الذين كفروا به وبرسله، فله عذاب شديد الإيمان والعمل الصالح يحملهم على ذلك، فإذا استجابوا له، شكر الله لهم، وهو الغفور الشكور. وزادهم من فضله توفيقا ونشاطا على العمل، وزادهم مضاعفة أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه وينقادون له ويلبون دعوته، لأن ما معهم من

تفسير السعدي

- لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني خير بصير 27
الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته
بقدر ما يشاء بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته إنه بعباده خير بصير كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا
أي: لغفلوا عن طاعة الله، وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهيه نفوسهم، ولو كان معصية وظلما. ولكن ينزل
التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم. الحميد في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال. 28
به رحمته من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعا عظيما، ويستبشرون بذلك ويفرحون. وهو الولي الذي يتولى عباده بأنواع
الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، من بعد ما قنطوا وانقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجذب أعمالا، فينزل الله الغيث وينشر
وهو الذي ينزل الغيث أي: المطر
- إذا يشاء قدير فقدرته ومشينته صالحان لذلك، ويتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق، وقد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين وكتبهم بوقوعه. 29
أي: نشر في السماوات والأرض من أصناف الدواب التي جعلها الله مصالح ومنافع لعباده. وهو على جمعهم أي: جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة
دال على حكمته وما فيهما من المنافع والمصالح دال على رحمته، وذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها، وأن إلهية ما سواه باطلة. وما بث فيهما
سيحيي الموتى بعد موتهم. خلق هذه السماوات والأرض على عظمهما وسعتهما، الدال على قدرته وسعة سلطانه، وما فيهما من الإتيان والإحكام
أي: ومن أدلة قدرته العظيمة، وأنه
- ببدع من الرسل، وأن طريقته طريقة من قبله، وأحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين. وما جاء به يشابه ما جاءوا به، لأن الجميع حق وصدق. 3
الكريم، كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء والمرسلين، ففيه بيان فضله، بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، سابقا ولاحقا، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس
يخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي
- يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزا. 30
من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا
يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد
- الأرض، ليس عندكم امتناع عما ينفذه الله فيكم. وما لكم من دون الله من ولي يتولاكم، فيحصل لكم المنافع ولا نصير يدفع عنكم المضار. 31
وما أنتم بمعجزين في الأرض أي: معجزين قدرة الله عليكم، بل أنتم عاجزون في
- وحفظها من النظام الأمواج، وجعلها تحملك وتحمّل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك. 32
وعنايته بعباده الجوار في البحر من السفن، والمراكب النارية والشرعية، التي من عظمها كالأعلام وهي الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج،
أي: ومن أدلة رحمته
- نفسه عند المصائب عن التسخط، شكور في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته، فهذا الذي ينتفع بآيات الله. 33
كثير. إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية، أو ردع
هذا بالمراكب النارية، فإن من شرط مشيها وجود الريح. وإن شاء الله تعالى أوبق الجوار بما كسب أهلها، أي: أغرقها في البحر وأتلفها، ولكنه يحلم ويعفو عن
هذه الأسباب بقوله: إن يشأ يسكن الريح التي جعلها الله سببا لمشيها، فيظللن أي: الجوار رواد على ظهر البحر، لا تتقدم ولا تتأخر، ولا ينتقض
ثم نبه على
- وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نعم الله، فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات. 34
- ثم قال تعالى: ويعلم الذين يجادلون في آياتنا لبيطلوها بباطلهم. ما لهم من محيص أي: لا ينقذهم منقذ مما حل بهم من العقوبة. 35
- الذي هو الآلة لكل عمل، فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام، وهو الاعتماد بالقلب على الله في جلب ما يحبه العبد، ودفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى. 36
ذكر لمن هذا الثواب فقال: للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون أي: جمعوا بين الإيمان الصحيح، المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة والباطنة، وبين التوكل
من الثواب الجزيل، والأجر الجليل، والنعيم المقيم خير من لذات الدنيا، خيرية لا نسبة بينهما وأبقى لأنه نعيم لا منغص فيه ولا كدر، ولا انتقال. ثم
إليها فقال: فما أوتيتم من شيء من ملك ورياسة، وأموال وبنين، وصحة وعافية بدنية. فمتاع الحياة الدنيا لذة منغصة منقطعة. وما عند الله
هذا تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة، وذكر الأعمال الموصلة
- كثير، كما قال تعالى: ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم 37
فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح. فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفسد في أنفسهم وغيرهم شيء
أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب

تفسير السعدي

النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع أفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه. وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش والفرق بين الكبائر والفواحش مع أن جميعهما كبائر أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في

قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموماً، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية 38 والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعاً عن اجتماعهم وتوابعهم وتوابعهم، وأمرهم الديني والدنيوي شوري بينهم أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور الأقارب ونحوهم، والمستحبة، كالصدقات على عموم الخلق. وأمرهم الديني والدنيوي شوري بينهم أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور الدال على شرفه وفضله فقال: وأقاموا الصلاة أي: ظاهرها وباطنها، فرضها ونفلها. ومما رزقناهم ينفقون من النفقات الواجبة، كالزكاة والنفقة على دعوته، وصار قصدهم رضوانه، وغايتهم الفوز بقربه. ومن الاستجابة لله، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص، والذين استجابوا لربهم أي: انقادوا لطاعته، ولبوا

والمشاورة في أمورهم، والقوة والانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، ويلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، وانتفاء ضدها. 39 بالإيمان، وعلى الله، واجتناب الكبائر والفواحش الذي تكفر به الصفات، والانقياد التام، والاستجابة لربهم، وإقامة الصلاة، والإنفاق في وجوه الإحسان، والذين إذا أصابهم البغي أي: وصل إليهم من أعدائهم هم ينتصرون لقوتهم وعزتهم، ولم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار. فوصفهم البالغة، وأن جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي. وأنه العلي بذاته وقدره وقهره. العظيم الذي من عظمتها 4 وهو تنزيل من اتصف بالألوهية والعزة العظيمة والحكمة

مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: إنه لا يحب الظالمين الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم. 40 العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل. وأما العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به. وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيح على العفو، وأن يعامل ولهذا قال: فمن عفا وأصلح فأجره على الله يجزيه أجراً عظيماً، وثواباً كثيراً، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق السيئة بسببته مثلاً، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارية بالجارية المماثلة لها، والمال يضمن بمثله. ومرتبته الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم. فمرتبته العدل، جزاء

ووقعه. وأما إرادة البغي على الغير، وإرادة ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدي تأديباً يردعه عن قول أو فعل صدر منه. 41 ما عليهم من سبيل أي: لا حرج عليهم في ذلك. ودل قوله: والذين إذا أصابهم البغي وقوله: ولمن انتصر بعد ظلمه أنه لا بد من إصابة البغي والظلم ولمن انتصر بعد ظلمه أي: انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه فأولئك

وهذا شامل للظلم والبغي على الناس، في دمائهم وأمواهم وأعراضهم. أولئك لهم عذاب أليم أي: موجه للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم. 42 إنما السبيل أي: إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق

الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه. 43 الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الأبواب والبصائر. فإن ترك ولمن صبر على ما يناله من أذى الخلق وغفر لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم، إن ذلك لمن عزم الأمور أي: لمن الأمور التي حث

و يقولون هل إلى مرد من سبيل أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا، لنعمل غير الذي كنا نعمل، وهذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن. 44 ولي من بعده يتولى أمره ويهديه. وترى الظالمين لما رأوا العذاب مرأى ومنظراً فظيعاً، صعباً شنيعاً، يظهرون الندم العظيم، والحزن على ما سلف منهم، يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية والإضلال، وأنه من يضل الله بسبب ظلمه فما له من

إن الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي في عذاب مقيم أي: في سوائه ووسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبداً، ولا يفتر عنهم وهم فيه ملبسون. 45 أنفسهم وأهليهم يوم القيامة حيث فوتوا أنفسهم جزيل الثواب، وحصلوا على أليم العقاب وفرق بينهم وبين أهليهم، فلم يجتمعوا بهم، آخر ما عليهم. ألا وشراً، من هيبتها وخوفها. وقال الذين آمنوا حيث ظهرت عواقب الخلق، وتبين أهل الصدق من غيرهم: إن الخاسرين على الحقيقة الذين خسروا عليها أي: على النار خاشعين من الذل أي: ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم، ينظرون من طرف خفي أي: ينظرون إلى النار مسارقة وتراهم يعرضون

لم يدفع عنهم. ومن يضل الله فما له من سبيل تحصل به هدايته، فهؤلاء ضلوا حين زعموا في شركائهم النفع ودفع الضر، فتبين حينئذ ضلالهم. 46 من دون الله كما كانوا في الدنيا يمتنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم ولغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعت، وأنه حين جاءهم عذاب الله وما كان لهم من أولياء ينصرونهم

تفسير السعدي

وأجرمه، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه. وهذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات. 47
يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان وليس للعبد في ذلك اليوم نكير لما اقترفه
إذا جاء لا يمكن رده واستدراك الفائت، وليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه، فيفوت ربه، ويهرب منه. بل قد أحاطت الملائكة بالخلقة من خلفهم، ونودوا
يأمر تعالى عبادَه بالاستجابة له، بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي

سيئة أي: مرض أو فقر، أو نحوهما بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور أي: طبيعته كفران النعمة السابقة، والتسخط لما أصابه من السيئة. 48
من صحة بدن، ورزق رغد، وجاه ونحوه فرح بها أي: فرح فرحا مقصورا عليها، لا يتعدها، ويلزم من ذلك طمأنينته بها، وإعراضه عن المنعم. وإن تصبهم
استجابوا أم أعرضوا، وحسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها، وظاهرها وباطنها. ثم ذكر تعالى حالة الإنسان، وأنه إذا أذاه الله رحمة،
به بعد البيان التام فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ أعمالهم وتسأل عنها، إن عليك إلا البلاغ فإذا أدبت ما عليك، فقد وجب أجرك على الله، سواء
فإن أعرضوا عما جنتهم

عمومه، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء. 49
هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره تعالى، من
له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول، اتخاذ أنداد لله من دونه، ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم. 5
تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة
كلهم عموما، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين خصوصا، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري
تعالى هو الغفور الرحيم الذي لولا مغفرته ورحمته، لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة. وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل
بحمد ربهم ويعظمونه عن كل نقص، ويصفونه بكل كمال، ويستغفرون لمن في الأرض عما يصدر منهم، مما لا يليق بعظمة ربهم وكبريائه، مع أنه
السماوات يتفطرن من فوقهن على عظمها وكونها جمادا، والملائكة الكرام المقربون خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته، مذعنون بربوبيته. يسبحون
تكا

وإناء، ومنهم من يجعله عقيما لا يولد له. إنه عليم بكل شيء قدير على كل شيء، فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء، وبقدرته في مخلوقاته. 50
فمن الخلق من يهب له إناء، ومنهم من يهب له ذكورا، ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورا
الذات، علي الأوصاف، عظيمها، علي الأفعال، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات. حكيم في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات والشرائع. 51
يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، ف يرسل رسولا كجبريل أو غيره من الملائكة. فيوحي بإذنه أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه، إنه تعالى علي
قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها. أو يكلمه منه شفاها، لكن من وراء حجاب كما حصل لموسى بن عمران، كلمه الرحمن. أو
تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء والمرسلين، وصفوته من العالمين، وأنه يكون على أحد هذه الأوجه. إما أن يكلمه الله وحيا بأن يلقي الوحي في
لما قال المكذوبون لرسل الله، الكافرون بالله: لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية من كبرهم وتجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة، وأن

وتنيره وترغبهم فيه، وتنهاهم عن ضده، وترهبهم منه، ثم فسر الصراط المستقيم فقال: صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض 52
ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم. وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم أي: تبينه لهم وتوضحه،
ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أميا لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب الذي جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا يستضيئون به في
وعبادته المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: ما كنت تدري أي: قبل نزوله عليك ما الكتاب ولا الإيمان أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة،
الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير. وهو محض منة الله على رسوله
وكذلك حين أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحا، لأن

والشر، فيجازي كلا بحسب عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. ثم تفسير سورة الشورى، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، على تيسيره وتسهيله. 53
أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ألا إلى الله تصير الأمور أي: ترجع جميع أمور الخير

الله حفيظ عليهم يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها وشرها. وما أنت عليهم بوكيل فتسأل عن أعمالهم، وإنما أنت مبلغ أدبت وظيفتك. 6
والذين اتخذوا من دونه أولياء يتولونهم بالعبادة والطاعة، كما يعبدون الله ويطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، وليسوا بأولياء على الحقيقة.

وأن الخلق ينقسمون فيه فريقين فريق في الجنة وهم الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين، وفريق في السعير وهم أصناف الكفرة المكذبين. 7
من قرى العرب، ثم يسري هذا الإنذار إلى سائر الخلق. وتندر الناس يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، وتخبرهم أنه لا ريب فيه
ثم ذكر منته على رسوله وعلى الناس، حيث أنزل الله قرآنا عربيا بين الألفاظ والمعاني لتندر أم القرى وهي مكة المكرمة ومن حولها

لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة، ف ما لهم من دون الله من ولي يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب ولا نصير يدفع عنهم المكروه. 8
أمة واحدة على الهدى، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، ولكنه أراد أن يدخل في رحمته من شاء من خواص خلقه. وأما الظالمون الذين لا يصلحون

و مع هذا لو شاء الله لجعل الناس، أي: جعل الناس

وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، ونفوذ المشيئة والقدرة، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. 9 عباده عموما بتدبيره، ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم. أولياء يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط. فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات، ويتولى والذين اتخذوا من دونه

سورة 43

- والشر، فيجازي كلا بحسب عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. تم تفسير سورة الشورى، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، على تيسيره وتسهيله. 1 أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ألا إلى الله تصير الأمور أي: ترجع جميع أمور الخير تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار. لعلكم تهتدون في السير في الطرق ولا تضيعون، ولعلكم تهتدون أيضا في الاعتبار بذلك والادكار فيه. 10 لعباده من الأرض التي مهدها وجعلها قرارا للعباد، يتمكنون فيها من كل ما يريدون. وجعل لكم فيها سبلا أي: جعل منافذ بين سلاسل الجبال المتصلة، ثم ذكر أيضا من الأدلة الدالة على كمال نعمته واقتداره، بما خلقه
- أحييناها بعد موتها، كذلك تخرجون أي: فكما أحيا الأرض الميتة الهامدة بالماء، كذلك يحييكم بعد ما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم. 11 لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع، ولا يزيد بحيث يضر العباد والبلاد، بل أغاث به العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، ولهذا قال: فأنشروا به بلدة ميتا أي: والذي نزل من السماء ماء بقدر لا يزيد ولا ينقص، ويكون أيضا بمقدار الحاجة،
- وأنثى، وغير ذلك. وجعل لكم من الفلك أي: السفن البحرية، الشراعية والنارية، ما تركبون و من الأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره 12 والذي خلق الأزواج كلها أي: الأصناف جميعها، مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، من ليل ونهار، وحر وبرد، وذكر
- وذللها ويسر أسبابها. والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد. 13 سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أي: لولا تسخيرنا لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها أي: لتستقروا عليها، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: وتقولوا سبحان الذي وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام،
- وذللها ويسر أسبابها. والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد. 14 سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أي: لولا تسخيرنا لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها أي: لتستقروا عليها، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: وتقولوا سبحان الذي وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام،
- أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مبين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد. 15 الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه: منها: أن الخلق كله عباده، والعبودية تنافي الولادة. ومنها: يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولدا، وهو الواحد الأحد،
- المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهن بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. 16 ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن
- حتى إنهم من كراحتهم لذلك إذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا من كراحتته وشدة بغضه، فكيف يجعلون له ما يكرهون؟ 17 ومنها: أن الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم،
- الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، غير مبين أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟ 18 منطقها وبياناتها، ولهذا قال تعالى: أو من ينشأ في الحلية أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ وهو في الخصام أي: عند الخصام ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي
- لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها. 19 ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله. ومنها: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثا، فتجروا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه،
- ومنها: أنهم

تفسير السعدي

قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة. 2 هذا

يبقى لأحد عليه حجة أصلا، ولهذا قال هنا: ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أي: يتخربصون تخربصا لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء. 20 عليها قدمه. وأما شرعا، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلا وشرعا. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت وقوله تعالى: وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة،

أقوالهم؟ ليس الأمر كذلك، فإن الله أرسل محمدا نذيرا إليهم، وهم لم يأتهم نذير غيره، أي: فلا عقل ولا نقل، وإذا انتفى الأمران، فلا ثم إلا الباطل. 21 ثم قال: أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون يخبرهم بصحة أفعالهم، وصدق

قال هنا: بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة أي: على دين وملة وإنا على آثارهم مهتدون أي: فلا نتبع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. 22 نعم، لهم شبهة من أوهى الشبه، وهي تقليد آبائهم الضالين، الذين ما زال الكفرة يردون بتقليدهم دعوة الرسل، ولهذا

هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل. 23 على الحق. إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون أي: فهؤلاء ليسوا ببدع منهم، وليسوا بأول من قال هذه المقالة. وهذا الاحتجاج من وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها أي: منعموها، ومألها الذين أطغتهم الدنيا، وغرتهم الأموال، واستكبروا

أي: فهل تتبعوني لأجل الهدى؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى، وإنما قصدوا اتباع الباطل والهوى. 24 ولهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم

بتكذيبهم الحق، وردهم إياه بهذه الشبهة الباطلة. فانظر كيف كان عاقبة المكذبين فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم ما أصابهم. 25 فانتقمنا منهم

وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم: إني براء مما تعبدون أي: مبغض له، مجتنب معاد لأهله، 26 عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: يخبر تعالى

فإني أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به، فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، ف سيهدين لما يصلح ديني وآخرتي. 27 إلا الذي فطرني

ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه إلى آخر الآيات. فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف والطغيان. 28 باقية في عقبه أي: ذريته لعلمهم إليها يرجعون لشهرتها عنه، وتوصيته لذريته، وتوصية بعض بنيه كإسحاق ويعقوب لبعض، كما قال تعالى: وجعلها أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبني من عبادة ما سواه. كلمة

وآباءهم بأنواع الشهوات، حتى صارت هي غايتهم ونهاية مقصودهم، فلم تزل يتربى حبها في قلوبهم، حتى صارت صفات راسخة، وعقائد متأصلة. 29 فقال تعالى: بل متعت هؤلاء

أنه جعل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك فقال: لعلمكم تعقلون ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان. 3 إنا جعلناه قرآنا عربيا هذا المقسم عليه،

شنيعا، وجعلوه بمنزلة السحر الباطل، الذي لا يأتي به إلا أخبث الخلق وأعظمهم افتراء، والذي حملهم على ذلك، طغيانهم بما متعهم الله به وآباءهم. 30 قالوا هذا سحر وإنا به كافرون وهذا من أعظم المعاندة والمشاقة، فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه، بل ولا جحده، فلم يرضوا حتى قدحوا به قدحا جاء به، وبما صدق به المرسلين، وبنفس دعوته صلى الله عليه وسلم. ولما جاءهم الحق الذي يوجب على من له أدنى دين ومعقول أن يقبله وينقاد له.

حتى جاءهم الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ولا اشتباه. ورسول مبين أي: بين الرسالة، قامت أدلة رسالته قياما باهرا، بأخلاقه ومعجزاته، وبما هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أي: معظم عندهم، مبجل من أهل مكة، أو أهل الطائف، كالوليد بن المغيرة ونحوه، ممن هو عندهم عظيم. 31 وقالوا مقترحين على الله بعقولهم الفاسدة: لولا نزل

على أن نعمته الدينية خير من النعمة الدنيوية كما قال تعالى في الآية الأخرى: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون 32 بعضهم بعضا، في الأعمال والحرف والصنائع. فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم. وفيها دليل الذين كفروا لا يعقلون. وفي هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا ليتخذ بعضهم بعضا سخريا أي: ليسخر بمصلحته، فهل هذا إلا من فعل السفهاء والمجانين؟ فكيف يجعل مثل هذا عظيما؟ أم كيف يفضل على خاتم الرسل وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم؟ ولكن

تفسير السعدي

حمقه أن جعل إلهه الذي يعبدوه ويتقرب إليه صنما، أو شجرا، أو حجرا، لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، وهو كل على مولاه، يحتاج لمن يقوم الرجال، ألا وهو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يفضل عليه المشركون من لم يشم مثقال ذرة من كماله؟! ومن جرمه ومنتهى علما، وأجلهم رأيا وعزما وحزما، وأكملهم خلقا، وأوسعهم رحمة، وأشدّهم شفقة، وأهداهم وأتقاهم. وهو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف منزلته عند الله وعند خلقه، لعلموا أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم، هو أعظم الرجال قدرا، وأعلاهم فخرا، وأكملهم عقلا، وأغزهم ظلم منهم ورد للحق. وقولهم: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم لو عرفوا حقائق الرجال، والصفات التي بها يعرف علو قدر الرجل، وعظم ساقط لاغ، وأن التدبير للأمور كلها، دينيها وديوبها، بيد الله وحده. هذا إقناع لهم، من جهة غلطهم في الاقتراح، الذي ليس في أيديهم منه شيء، إن هو إلا من يشاء، بحسب حكمته، فرحمته الدينية، التي أعلاها النبوة والرسالة، أولى وأحرى أن تكون بيد الله تعالى، فالله أعلم حيث يجعل رسالته. فعلم أن اقتراحهم خير مما يجمعون من الدنيا. فإذا كانت معاش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى، وهو الذي يقسمها بين عباده، فيبسط الرزق على من يشاء، ويضيقه على ويمنعونها ممن يشاءون؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات أي: في الحياة الدنيا، والحال أن رحمة ربك قال الله ردا لاقتراحهم: أهم يقسمون رحمة ربك أي: أهم الخزان لرحمة الله، ويبدعهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاءون،

شيئا، لوسع الدنيا على الذين كفروا توسيعا عظيما، ولجعل لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج أي: درجا من فضة عليها يظهر على سطوحهم. 33 يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئا، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يقدم عليها

ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون من فضة. 34

واجتناب نواهيها، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين. 35 لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدر، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا لمصالحهم، وأن الدنيا ولجعل لهم زخرفا أي: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفا

عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا، وقبض له الرحمن شيطانا مريدا، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤذنه إلى المعاصي أزا، 36 الرحمن الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: ومن يعيش أي: يعرض ويصد عن ذكر

ورغبوا في الباطل، فالذنوب ذنبيهم، والجرم جرمهم. فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغي، وانقلاب الحقائق. 37 ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ويحسبون أنهم مهتدون بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا. فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه وإنهم ليصدونهم عن السبيل أي: الصراط المستقيم، والدين القويم.

يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا 38 والتبري من قرينه، ولهذا قال تعالى: حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كما في قوله تعالى: ويوم يعرض الظالم على وأما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال، وهو: إظهار الندم والتحسر، والحزن الذي لا يجبر مصابه،

وتسلى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. نسألك يا ربنا العافية، وأن تريحنا برحمتك. 39 فاشتركتكم في عقابه وعذابه. ولن ينفعكم أيضا، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هان عليهم بعض الهون، اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، أنتم وقرناؤكم وأخلاؤكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، وقوله تعالى: ولن ينفعكم

والميزان. ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله يقتضي أن لا يترك عباده هملا، لا يرسل إليهم رسولا، ولا ينزل عليهم كتابا، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال: 4 وأفضلها لعلي حكيم أي: لعلي في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل وإنه أي: هذا الكتاب لدينا في الملأ الأعلى في أعلى الرتب

تمنعهم وتحول بينهم وبين الهدى، وتوجب لهم الازدياد من الردى، فهؤلاء لم يبق إلا عذابهم ونكالهم، إما في الدنيا، أو في الآخرة، ولهذا قال تعالى: 40 الأصوات، والأعمى لا يبصر، والضال ضلالا مبينا لا يهتدي، فهؤلاء قد فسدت فطرهم وعقولهم، بإعراضهم عن الذكر، واستحدثوا عقائد فاسدة، وصفات خبيثة، الذين لا يسمعون أو تهدي العمي الذين لا يبصرون، أو تهدي من كان في ضلال مبين أي: بين واضح، لعلمه بضلاله، ورضاه به. فكما أن الأسم لا يسمع صلى الله عليه وسلم، مسليا له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له، وأنهم لا خير فيهم، ولا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى: أفأنت تسمع الصم أي: يقول تعالى لرسوله

فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون أي: فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب، فاعلم بخبرنا الصادق أننا منهم منتقمون. 41

تفسير السعدي

الذي وعدناهم من العذاب فإننا عليهم مقتدرون ولكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة لتعجيله أو تأخيرها، فهذه حالك وحال هؤلاء المكذبين. 42
أو نرينك

عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق، تكون بانيا على أصل أصيل، إذا بنى غيرك على الشكوك والأوهام، والظلم والجور. 43
بما يأمر بالاتصاف به ودعوة إليه، وحرصا على تنفيذه في نفسك وفي غيرك. إنك على صراط مستقيم موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وهذا مما يوجب
وأما أنت فاستمسك بالذي أوحى إليك فعلا واتصافا،

ويذكركم الشر ويذهبكم عنه، وسوف تسألون عنه، هل قمتم به فارتفعتم وانتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم، وكفرا منكم بهذه النعمة؟ 44
لذكر لك ولقومك أي: فخر لكم، ومنقبة جلية، ونعمة لا يقادر قدرها، ولا يعرف وصفها، ويذكركم أيضا ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم عليه،
وإنه أي: هذا القرآن الكريم

بعنه الله، يقول لقومه: اعبدا الله ما لكم من إله غيره، فدل هذا أن المشركين ليس لهم مستند في شركهم، لا من عقل صحيح، ولا نقل عن الرسل. 45
من أولهم إلى آخرهم، يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وكل رسول
نوع حجة، يتبعون فيها أحدا من الرسل، فإنك لو سألتهم واستخبرتهم عن أحوالهم، لم تجد أحدا منهم يدعو إلى اتخاذ إله آخر مع الله مع أن كل الرسل،
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون حتى يكون للمشركين
وإرسال الجراد، والقمل، إلى آخر الآيات. إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين فدعاهم إلى الإقرار بربهم، ونهاهم عن عبادة ما سواه. 46
الله تعالى أكثر من ذكرها في كتابه، فذكر حاله مع فرعون، فقال: ولقد أرسلنا موسى بآياتنا التي دلت دلالة قاطعة على صحة ما جاء به، كالعصا، والحية،
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بين تعالى حال موسى ودعوته، التي هي أشهر ما يكون من دعوات الرسل، ولأن
لما قال تعالى:

فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي: ردوها وأنكروها، واستهزأوا بها، ظلما وعلوا، فلم يكن لقصور بالآيات، وعدم وضوح فيها. 47

وأخذناهم بالعذاب كالجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات. لعلهم يرجعون إلى الإسلام، ويذعنون له، ليزول شركهم وشرهم. 48
وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها أي: الآية المتأخرة أعظم من السابقة،

ادع لنا ربك بما عهد عندك أي: بما خصك الله به، وفصلك به، من الفضائل والمناقب، أن يكشف عنا العذاب إننا لمهتدون إن كشف الله عنا ذلك. 49
به، وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحا، فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماؤهم، وهم السحرة، فقالوا: يا أيها الساحر
وقالوا عندما نزل عليهم العذاب: يا أيها الساحر يعنون موسى عليه السلام، وهذا، إما من باب التهكم

له؟ بل ننزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم به واهتديتم، فهو من توفيقكم، وإلا قامت عليكم الحجة، وكنتم على بينة من أمركم. 5
أفنضرب عنكم الذكر صفحا أي: أفعرض عنكم، ونترك إنزال الذكر إليكم، ونضرب عنكم صفحا، لأجل إعراضكم، وعدم انقيادكم

ادع لنا ربك بما عهد عندك لنكشف عن الرجز لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكتون 50
كقوله تعالى: فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى
فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكتون أي: لم يفوا بما قالوا، بل غدروا، واستمروا على كفرهم. وهذا

أفلا تبصرون هذا الملك الطويل العريض، وهذا من جهله البليغ، حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته، ولم يفخر بأوصاف حميدة، ولا أفعال سديدة. 51
أليس لي ملك مصر أي: ألسنت المالك لذلك، المتصرف فيه، وهذه الأنهار تجري من تحتي أي: الأنهار المنسحبة من النيل، في وسط القصور والبساتين.
ونادى فرعون في قومه قال مستعليا بباطله، قد غره ملكه، وأطفاه ماله وجنوده: يا قوم

لا يكاد يبين عما في ضميره بالكلام، لأنه ليس بفصيح اللسان، وهذا ليس من العيوب في شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو كان ثقيلا عليه الكلام. 52
يعني قبحه الله بالمهين، موسى بن عمران، كليم الرحمن، الوجيه عند الله، أي: أنا العزيز، وهو الذليل المهان المحتقر، فأبنا خير؟ و مع هذا ف
أم أنا خير من هذا الذي هو مهين

فهلا كان موسى بهذه الحالة، أن يكون مزينا مجملا بالحلي والأساور؟ أو جاء معه الملائكة مقترنين يعاونونه على دعوته، ويؤيدونه على قوله. 53
ثم قال فرعون: فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أي:

لقي مالا لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حق وباطل. إنهم كانوا قوما فاسقين فسبب فسقهم، قبيح لهم فرعون، يزين لهم الشرك والشر. 54
أن فرعون محق، لكون ملك مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟ وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقله أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية الله له، ولكنه
من هذه الشبه، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلا على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول. فأني دليل يدل على
فاستخف قومه فأطاعوه أي: استخف عقولهم بما أبدى لهم

تفسير السعدي

فلما آسفونا أي: أغضبونا بأفعالهم انتقمنا منهم فأغرقتناهم أجمعين 55

فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ليعتبر بهم المعتبرون، ويتعظ بأحوالهم المتعظون. 56

منه أي: من أجل هذا المثل المضروب، يصدون أي: يستلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلجوا. 57
يقول تعالى: ولما ضرب ابن مريم مثلاً أي: نهى عن عبادته، وجعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد. إذا قومك المكدبون لك

لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأى شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟ 58
ولله الحمد من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى،
فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة الذي فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتبشرون. وهي
فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض. ولم قلت: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وهذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى،
أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، فلم سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟
وشورك بينهم بالوعيد على من عبدهم، ونزل أيضاً قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ووجه حجتهم الظالمة،
وقالوا أأللهتنا خير أم هو يعني: عيسى، حيث نهى عن عبادة الجميع،

قال بعد هذه الآية: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية. 59
لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه. الثاني: أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناماً وأوثاناً ولا يعبدون المسيح. الثالث: أن الله
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فالجواب عنها من ثلاثة أوجه: أحدها: أن قوله: إنكم وما تعبدون من دون الله أن ما اسم لما
أنعمنا عليه بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب. وأما قوله تعالى: إنكم
وليس تفضيل عيسى عليه السلام، وكونه مقرباً عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: إن هو إلا عبد
سنتنا في الخلق، أن لا نتركهم هملاً، فكم أرسلنا من نبي في الأولين يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ولم يزل التكذيب موجوداً في الأمم. 6
يقول تعالى: إن هذه

جنسهم، وأما أنتم يا معشر البشر، فلا تطيقون أن ترسل إليكم الملائكة، فمن رحمة الله بكم، أن أرسل إليكم رسلاً من جنسكم، تتمكنون من الأخذ عنهم. 60
تعالى: ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون أي: لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلفونكم في الأرض، ويكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من
ثم قال

لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر. واتبعون بامثال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم، هذا صراط مستقيم موصل إلى الله عز وجل. 61
بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة فلا تمترن بها أي:
وإنه لعلم للساعة أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم
ولا يصدنكم الشيطان عما أمركم الله به، فإن الشيطان لكم عدو حريص على إغوائكم، باذل جهده في ذلك. 62

له، وقبول ما جاءهم به. فاتقوا الله وأطيعوا أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامتلئوا أمره، واجتنبوا نهيه، وآمنوا بي وصدقوني وأطيعوا. 63
وجوابه، فيزول عنكم بذلك اللبس، فجاء عليه السلام مكملًا ومتممًا لشريعة موسى عليه السلام، ولأحكام التوراة. وأتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد
قال لبني إسرائيل: قد جئتمكم بالحكمة النبوة والعلم، بما ينبغي على الوجه الذي ينبغي. ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه أي: أبين لكم صوابه
ولما جاء عيسى بالبينات الدالة على صدق نبوته وصحة ما جاءهم به، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك من الآيات.

عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة والإخبار بأن هذا المذكور صراط مستقيم، موصل إلى الله وإلى جنته. 64
بأن الله هو الربى جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة والباطنة، والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخبار عيسى عليه السلام أنه
إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ففيه الإقرار بتوحيد الربوبية،

ما جاء به، وقالوا: إنه عبد الله ورسوله. فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم أي: ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارهم في ذلك اليوم. 65
على التكذيب من بينهم كل قال بعيسى عليه السلام مقالة باطلة، ورد ما جاء به، إلا من هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة، وصدقوا بكل
فلما جاءهم عيسى عليه السلام بهذا اختلف الأحزاب المتحزبون

المكذبون، وهل يتوقعون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون أي: فإذا جاءت، فلا تسأل عن أحوال من كذب بها، واستهزأ بمن جاء بها. 66
يقول تعالى: ما ينتظر

ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة. إلا المتقين للشرك والمعاصي، فإن محبتهم تدوم وتتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله. 67
وإن الأخلاء يومئذ، أي: يوم القيامة، المتخالين على الكفر والتكذيب ومعصية الله، بعضهم لبعض عدو لأن خلتهم

تفسير السعدي

- تحنون أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولا حزن يصيبكم فيما مضى منها، وإذا انتفى المكروه من كل وجه، ثبت المحبوب المطلوب. 68
- ثم ذكر ثواب المتقين، وأن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم، ويذهب عنهم كل آفة وشر، فيقول: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
- التصديق إلا به، من العلم بمعناها والعمل بمقتضاها. وكانوا مسلمين لله منقادين له في جميع أحوالهم، فجمعوا بين الاتصاف بعمل الظاهر والباطن. 69
- الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أي: وصفهم بالإيمان بآيات الله، وذلك ليشمل التصديق بها، وما لا يتم وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزنون جحدا لما جاء به، وتكبيرا على الحق. 7
- وصاحب، وغيرهم. تحبرون أي: تنعمون وتكرمون، ويأتيكم من فضل ربكم من الخيرات والسرور والأفراح واللذات، ما لا تعبر الألسن عن وصفه. 70
- ادخلوا الجنة التي هي دار القرار أنتم وأزواجكم أي: من كان على مثل عملكم، من كل مقارن لكم، من زوجة، وولد، ولهم ما يدعون وأنتم فيها خالدون وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، وهو الخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته، وعدم انقطاعه. 71
- من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ونعم مونة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال تعالى: لهم فيها فاكهة
- الأعين وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتتهته النفوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومناكح، ولذته العيون، بالطف الأواني، وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير. وفيها أي: الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ
- يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم،
- بأكمل الصفات، هي التي أورتتموها بما كنتم تعملون أي: أورتكم الله إياها بأعمالكم، وجعلها من فضله جزاء لها، وأودع فيها من رحمته ما أودع. 72
- وتلك الجنة الموصوفة
- زوجان منها تاكلون أي: مما تتخيرون من تلك الفواكه الشهية، والثمار اللذيذة تاكلون ولما ذكر نعيم الجنة، عقبه بذكر عذاب جهنم، فقال: 73
- لكم فيها فاكهة كثيرة كما في الآية الأخرى: فيهما من كل فاكهة
- الذين أجرموا بكفرهم وتكذيبهم في عذاب جهنم أي: منغمرون فيه، محيط بهم العذاب من كل جانب، خالدون فيه، لا يخرجون منه أبدا 74
- إن المجرمين
- أي: آيسون من كل خير، غير راجين للفرج، وذلك أنهم ينادون ربهم فيقولون: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون 75
- لا يفتر عنهم العذاب ساعة، بإزالته، ولا يتهوين عذابه، وهم فيه مبلسون
- وهذا العذاب العظيم، بما قدمت أيديهم، وبما ظلموا به أنفسهم. والله لم يظلمهم ولم يعاقبهم بلا ذنب ولا جرم. 76
- عليهم: إنكم ماكنون أي: مقيمون فيها، لا تخرجون عنها أبدا، فلم يحصل لهم ما قصدوه، بل أجابهم بنقيض قصدهم، وزادهم غما إلى غمهم. 77
- أي: ليمتنا فنستريح، فإننا في غم شديد، وعذاب غليظ، لا صبر لنا عليه ولا جلد. ف قال لهم مالك خازن النار حين طلبوا منه أن يدعو الله لهم أن يقضي ونادوا وهم في النار، لعلهم يحصل لهم استراحة، يا مالك ليقيض علينا ربك
- لقد جنناكم بالحق الذي يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعتموه، لفزتم وسعدتم، ولكن أكثركم للحق كارهون فلذلك شقيتم شقاوة لا سعادة بعدها. 78
- ثم وبخهم بما فعلوا فقال:
- وينقضه ويبطله، وهو ما قيضه الله من الأسباب والأدلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال تعالى: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه 79
- كيدا، ومكروا للحق ولمن جاء بالحق، ليدحضوه، بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق، فإنما مبرمون أي: محكمون أمرا، ومدبرون تدبيرا يعلو تدبيرهم، يقول تعالى: أم أبرم المكذبون بالحق المعاندون له أمرا أي: كادوا
- أي: قوة وأفعالا وآثارا في الأرض، ومضى مثل الأولين أي: مضت أمثالهم وأخبارهم، وبيننا لكم منها ما فيه عبرة ومزجر عن التكذيب والإنكار. 8
- فأهلكنا أشد من هؤلاء بطشا
- ورسلنا الملائكة الكرام، لديهم يكتبون كل ما عملوه، وسيحفظ ذلك عليهم، حتى يردوا القيامة، فيجدوا ما عملوا حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا. 80
- يتناجون به، أي: فلذلك أقدموا على المعاصي، وظنوا أنها لا تبعة لها ولا مجازاة على ما خفي منها. فرد الله عليهم بقوله: بلى أي: إنا نعلم سرهم ونجواهم، أم يحسبون بجهلهم وظلمهم أن لا نسمع سرهم الذي لم يتكلموا به، بل هو سر في قلوبهم ونجواهم أي: كلامهم الخفي الذي
- ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقا، لكنت أول مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلا ونقلا. 81
- أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون. ويحتمل أن معنى الآية: لو كان للرحمن ولد، فأننا أول العابدين لله، ومن عبادتي لله، إثبات ما أثبتته، ونفي فهم أول الناس سبقا إليه وتكميلا له، وكل شر فهم أول الناس تركا له وإنكارا له وبعدا منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشهدهم له نفيا، فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل، وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير

تفسير السعدي

- ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد. قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأنه جزء من والده، وأنا أول الخلق انقيادا للأمور المحبوبة لله، أي: قل يا أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولدا، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة
- سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون من الشريك والظهير، والعوين، والولد، وغير ذلك، مما نسبته إليه المشركون. 82
- أمامهم من يوم القيامة فقال: حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فسيعلمون فيه ماذا حصلوا، وما حصلوا عليه من الشقاء الدائم، والعذاب المستمر. 83
- وهي الخوض والبحث بالعلوم التي يعارضون بها الحق وما جاءت به الرسل، وأعمالهم لعب وسفاهة، لا تزكي النفوس، ولا تثمر المعارف. ولهذا توعدهم بما فذرهم يخوضوا ويلعبوا أي: يخوضوا بالباطل، ويلعبوا بالمحال، فعلومهم ضارة غير نافعة،
- والجزائي مشتمل على الحكمة. العليم بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر. 84
- بجلاله، متمجد بكماله، وهو الحكيم الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئا إلا لحكمة، ولا شرع شيئا إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالى: وهو الله في السماوات وفي الأرض أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فهو فوق عرشه، بآن من خلقه، متوحد فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألهه الخلائق كلهم، طائعين
- أي: في الآخرة فيحكم بينهم بحكمه العدل، ومن تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئا، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه. 85
- علم الساعة قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو، ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: وإليه ترجعون علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم كثير من الغيوب، التي لم يطلع عليها أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولهذا قال: وعنده الأرض وما بينهما تبارك بمعنى تعالى وتعظم، وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعظم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسماوات والأرض وما بينهما، وسعة وتبارك الذي له ملك السماوات
- ما جاءوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه. 86
- بالحق أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة كل من دعي من دون الله، من الأنبياء والملائكة وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يشفعون إلا بإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولهذا قال: إلا من شهد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة أي:
- يصرفون عن عبادة الله والإخلاص له وحده؟ إقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك. 87
- سألتهم من خلقهم ليقولن الله أي: ولئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية، ومن هو الخالق، لأقروا أنه الله وحده لا شريك له. فأنى يؤفكون أي: فكيف ثم قال تعالى: ولئن
- على عدم إيمانهم، فالله تعالى عالم بهذه الحال، قادر على معاجلتهم بالعقوبة، ولكنه تعالى حلیم، يمهّل العباد ويستأني بهم، لعلهم يتوبون ويرجعون. 88
- هذا معطوف على قوله: وعنده علم الساعة أي: وعنده علم قبيله، أي: الرسول صلى الله عليه وسلم، شاكيا لربه تكذيب قومه، متحزنا على ذلك، متحسرا وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
- فضل به أهل الأرض والسماء، وارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء. وقوله: فسوف يعلمون أي: غب ذنوبهم، وعاقبة جرمهم. تم تفسير سورة الزخرف 89
- قومه وغيرهم من الأئني، بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب الجميل. فصولات الله وسلامه على من خصه الله بالخلق العظيم، الذي عن عباده الصالحين: وإذا خاطبهم الجاهلون أي: خطابا بمقتضى جهلهم قالوا سلاما فامتثل صلى الله عليه وسلم، لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أدبيتهم القولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يقابل به أولو الألباب والبصائر الجاهلين، كما قال تعالى فاصفح عنهم وقل سلام
- وأوانلها وأواخرها، فإذا كانوا مفرين بذلك، فكيف يجعلون له الولد والصاحبة والشريك؟ وكيف يشركون به من لا يخلق ولا يرزق، ولا يميت ولا يحيي؟! 9
- أنك لو سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وحده لا شريك له، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، العليم بطواهر الأمور وبواطنها، يخبر تعالى عن المشركين،

سورة 44

- فضل به أهل الأرض والسماء، وارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء. وقوله: فسوف يعلمون أي: غب ذنوبهم، وعاقبة جرمهم. تم تفسير سورة الزخرف 1
- قومه وغيرهم من الأئني، بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب الجميل. فصولات الله وسلامه على من خصه الله بالخلق العظيم، الذي عن عباده الصالحين: وإذا خاطبهم الجاهلون أي: خطابا بمقتضى جهلهم قالوا سلاما فامتثل صلى الله عليه وسلم، لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أدبيتهم القولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يقابل به أولو الألباب والبصائر الجاهلين، كما قال تعالى

فارتقب أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب وأن أوانه، يوم تأتي السماء بدخان مبين 10

المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعدهم بالكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم. 11 الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم. ويؤيد هذا يغشى الناس أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: هذا عذاب أليم واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدخان

المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعدهم بالكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم. 12 الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم. ويؤيد هذا يغشى الناس أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: هذا عذاب أليم واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدخان

ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون أن هذا كله يكون يوم القيامة. 13 المؤمنين منهم كهينة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر. وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب قليلا إنكم عائدون إخبار بأن الله سيصرفه عنكم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوق وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: إنا كاشفوا العذاب على هذا قوله: يوم تأتي السماء بدخان أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة. ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهينة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع. فيكون ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع. وقيل: إن المراد بذلك

ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون أن هذا كله يكون يوم القيامة. 14 المؤمنين منهم كهينة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر. وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب قليلا إنكم عائدون إخبار بأن الله سيصرفه عنكم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوق وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: إنا كاشفوا العذاب على هذا قوله: يوم تأتي السماء بدخان أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة. ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهينة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع. فيكون ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع. وقيل: إن المراد بذلك

هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك. بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم. 15 وأن قوله تعالى: إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم. وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك. بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم. 16 وأن قوله تعالى: إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم. وإذا نزلت قوم فرعون أي: ابتليناهم واختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم الرسول الكريم الذي فيه من الكرم ومكارم الأخلاق ما ليس في غيره. 17 صلى الله عليه وسلم ذكر أن لهم سلفا من المكذبين، فذكر قصتهم مع موسى وما أحل الله بهم ليرتدع هؤلاء المكذبون عن ما هم عليه فقال: ولقد فتننا قبلهم لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول محمدا

إني لكم رسول أمين أي: رسول من رب العالمين أمين على ما أرسلني به لا أكتممكم منه شيئا ولا أزيد فيه ولا أنقص وهذا يوجب تمام الانقياد له. 18 من عذابكم وسومكم إياهم سوء العذاب فإنهم عشبتي وأفضل العالمين في زمانهم. وأنتم قد ظلمتموهم واستعبدتموهم بغير حق فأرسلوهم ليعبدوا ربهم، أن أدوا إلي عباد الله أي: قال لفرعون وملئه: أدوا إلي عباد الله، يعني بهم: بني إسرائيل أي: أرسلوهم وأطلقوهم وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات والأدلة القاهرات، فكذبوه وهموا بقتله فلجأ بالله من شرهم فقال: وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون 19 وأن لا تلوا على الله بالاستكبار عن عبادته والعلو على عباد الله، إني آتيكم بسلطان مبين أي: بحجة بينة ظاهرة

هذا قسم بالقرآن على القرآن. 2

أي: تقتلونني أشر القتل بالرم بالحجارة. 20

تحصل منهم المرتبة الأولى ولا الثانية بل لم يزالوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى عليه السلام غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل. 21
لم تؤمنوا لي فاعتزلون أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي وهو مقصودي منكم فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة فاعتزلوني لا علي ولا لي، فاكفوني شركم. فلم وإن

العقوبة. فأخبر عليه السلام بحالهم وهذا دعاء بالحال التي هي أبلغ من المقال، كما قال عن نفسه عليه السلام رب إنني لما أنزلت إلي من خير فقير 22
فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون أي: قد أجرموا جرماً يوجب تعجيل

فأمره الله أن يسري بعباده ليلاً وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه. 23

وجنوده إنهم جند مغرقون فلما تكامل قوم موسى خارجين منه وقوم فرعون داخلين فيه أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم. 24
اثنى عشر طريقاً وصار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة فسلكه موسى وقومه. فلما خرجوا منه أمره الله أن يتركه رهواً أي: بحاله ليسلكه فرعون
واترك البحر رهواً أي: بحاله وذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله ثم تبعهم فرعون فأمر الله موسى أن يضرب البحر فضربه فصار
وأورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ولهذا قال: كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين 25
وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا

وأورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ولهذا قال: كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين 26
وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا

وأورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ولهذا قال: كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين 27
وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا

كذلك وأورثناها أي: هذه النعمة المذكورة قوماً آخرين في الآية الأخرى كذلك وأورثناها بني إسرائيل 28

من آثارهم إلا ما يسود وجوههم ويوجب عليهم اللعنة والمقت من العالمين. وما كانوا منظرين أي: ممهلين عن العقوبة بل اصطلمتهم في الحال. 29
الله وأهلكهم لم تترك عليهم السماء والأرض أي: لم يحزن عليهم ولم يؤس على فراقهم، بل كل استبشر بهلاكهم وتلفهم حتى السماء والأرض لأنهم ما خلفوا
فما بكت عليهم السماء والأرض أي: لما أتلّفهم

من هدها ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الآخروي ولهذا قال: إنا كنا منذرين فيها أي: في تلك الليل الفاضلة التي نزل فيها القرآن 3
فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام لينذر به قوماً عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا
فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله في ليلة مباركة أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر،

ثم امتن تعالى على بني إسرائيل فقال: ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين الذي كانوا فيه . 30

أبناءهم ويستحيي نساءهم. إنه كان عالياً أي: مستكبراً في الأرض بغير الحق من المسرفين المتجاوزين لحدود الله المتجربين على محارمه. 31
من فرعون إذ يذبح

حتى أتى الله بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فضلوا العالمين كلهم وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس وامتن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم. 32
ولقد اخترناهم أي: اصطفييناهم وانتقييناهم على علم منا بهم وباستحقاقهم لذلك الفضل على العالمين أي: عالمي زمانهم ومن قبلهم وبعدهم

الباهرة والمعجزات الظاهرة. ما فيه بلاء مبين أي: إحسان كثير ظاهر منا عليهم وحجة عليهم على صحة ما جاءهم به نبيهم موسى عليه السلام. 33
وآتيناهم أي: بني إسرائيل من الآيات

يقولون مستبعدة للبعث والنشور: إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين أي: ما هي إلا الحياة الدنيا فلا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار. 34
يخبر تعالى إن هؤلاء المكذبين

يقولون مستبعدة للبعث والنشور: إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين أي: ما هي إلا الحياة الدنيا فلا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار 35
يخبر تعالى إن هؤلاء المكذبين

الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه متوقف على الإتيان بآبائهم؟ فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به وتواترت تواتراً عظيماً من كل وجه. 36
ثم قالوا متجربين على ربهم معجزين له: فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين وهذا من اقتراح الجهلة المعاندين في مكان سحيق، فأى ملازمة بين صدق

والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين فإنهم ليسوا خيراً منهم وقد اشتبكوا في الإجرام فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين. 37

تفسير السعدي

قال تعالى: أهم خير أي: هؤلاء المخاطبون أم قوم تبع

يخبر تعالى عن كمال قدرته وتعام حكمته وأنه ما خلق السماوات والأرض لعبا ولا لهوا أو سدى من غير فائدة 38

ليعبوده وحده لا شريك له وليأمر العباد وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم. ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك لم يتفكروا في خلق السماوات والأرض. 39 وأنه ما خلقهما إلا بالحق أي: نفس خلقهما بالحق وخلقهما مشتمل على الحق، وأنه أوجدهما

ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتناؤه تعالى بخلقه. 4 وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا وكل به كراما كاتبين يكتبون الكتابة والفرقان، الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق وأجالهم وأرزاقهم وأعمالهم يفرق كل أمر حكيم أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدرتي وشرعي حكم الله به، وهذه

إن يوم الفصل وهو يوم القيامة الذي يفصل الله به بين الأولين والآخرين وبين كل مختلفين ميقاتهم أي: الخلائق أجمعين 40

شيئا لا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه، ولا هم ينصرون أي: يمنعون من عذاب الله عز وجل لأن أحدا من الخلق لا يملك من الأمر شيئا. 41 كلهم سيجمعهم الله فيه ويحضرهم ويحضر أعمالهم ويكون الجزاء عليها ولا ينفع مولى عن مولى

إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحمة الله تعالى التي تسبب إليها وسعى لها سعيها في الدنيا. ثم قال تعالى: 42

فريق في الجنة، وفريق في السعير وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصي وأن طعامهم شجرة الزقوم شر الأشجار وأفطعها وأن طعمها كالمهل 43 لما ذكر يوم القيامة وأنه يفصل بين عبادته فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين:

فريق في الجنة، وفريق في السعير وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصي وأن طعامهم شجرة الزقوم شر الأشجار وأفطعها وأن طعمها كالمهل 44 لما ذكر يوم القيامة وأنه يفصل بين عبادته فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين:

كالمهل أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم كغلي الحميم 45

كالمهل أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم كغلي الحميم 46

كالمهل أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم كغلي الحميم 47

كالمهل أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم كغلي الحميم 48

العزيز الكريم أي: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله وأنت كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فالיום تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس. 49 ويقال للمعذب: ذق هذا العذاب الأليم والعقاب الوخيم إنك أنت

أمرنا من عندنا أي: هذا الأمر الحكيم أمر صادر من عندنا. إنا كنا مرسلين للرسول ومنزليين للكتب والرسول تبليغ أوامر المرسل وتخبر بأقذاره. 5

إن هذا العذاب العظيم ما كنتم به تمترون أي: تشكون فالآن صار عندكم حق اليقين. 50

الرضا من الله والثواب العظيم في ظل ظليل من كثرة الأشجار والفواكه وعيون سارحة تجري من تحتهم الأنهار يفجرونها تفجيرا في جنات النعيم. 51 هذا جزاء المتقين لله الذين اتقوا سخطه وعذابه بتركهم المعاصي وفعلهم الطاعات، فلما انتفى السخط عنهم والعذاب ثبت لهم

فأضاف الجنات إلى النعيم لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم وسرور، كامل من كل وجه ما فيه منغص ولا مكدر بوجه من الوجوه. 52

الحرير ورقيقه مما تشتهيهم أنفسهم. متقابلين في قلوبهم ووجوههم في كمال الراحة والطمأنينة والمحبة والعشرة الحسنة والآداب المستحسنة. 53 ولباسهم من الحرير الأخضر من السندس والإستبرق أي: غليظ

أي: نساء جميلات من جمالهن وحسنهن أنه يحار الطرف في حسنهن وينبه العقل بجمالهن وينخلب اللب لجمالهن عين أي: ضخام الأعين حسنها. 54 كذلك النعيم التام والسرور الكامل وزوجناهم بحور عين

أحضر لهم في الحال من غير تعب ولا كلفة، آمنين من انقطاع ذلك وآمنين من مضرته وآمنين من كل مكدر، وآمنين من الخروج منها والموت. 55 يدعون فيها أي: الجنة بكل فاكهة مما له اسم في الدنيا ومما لا يوجد له اسم ولا نظير في الدنيا، فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة وأجناسها

موت بالكلية، ولو كان فيها موت يستثنى لم يستثنى الموتة الأولى التي هي الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب، ووقاهم عذاب الجحيم 56 لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى أي: ليس فيها

خير الآخرة وأعطاهم أيضا ما لم تبلغه أعمالهم، ذلك هو الفوز العظيم وأي فوز أعظم من نيل رضوان الله وجنته والسلامة من عذابه وسخطه؟ 57 فضلا من ربك أي: حصول النعيم واندفاع العذاب عنهم من فضل الله عليهم وكرمه فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة التي بها نالوا

تفسير السعدي

- الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها فتيسر به لفظه وتيسر معناه. لعلهم يتذكرون ما فيه نفعهم فيفعلونه وما فيه ضررهم فيتركونه. 58
- فإنما يسرناه أي: القرآن بلسانك أي: سهلناه بلسانك
- الارتقاين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدنيا والآخرة، وضحهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة. تم تفسير سورة الدخان، ولله الحمد والمنة 59
- فارتقب أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير والنصر إنهم يرتقبون ما يحل بهم من العذاب وفرق بين
- ويعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة وقد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله وكتبه فرحمهم بذلك ومن عليهم فله تعالى الحمد والمنة والإحسان. 6
- برحمة أجل من هدايتهم بالكتب والرسل، وكل خير ينالونه في الدنيا والآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه، إنه هو السميع العليم أي: يسمع جميع الأصوات رحمة من ربك أي: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب التي أفضلها القرآن رحمة من رب العباد بالعباد، فما رحم الله عباده
- أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه بما شاء. إن كنتم موقنين أي: عالمين بذلك علما مفيدا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق. 7
- رب السماوات والأرض وما بينهما
- بعد موتكم فيجزئكم بعملكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ربكم ورب آبائكم الأولين أي: رب الأولين والآخرين مربيهم بالنعم الدافع عنهم النقم. 8
- لا إله إلا هو أي: لا معبود إلا وجهه، يحيي ويميت أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة وسيجمعكم
- مع هذا البيان في شك يلعبون أي: منغمرون في الشكوك والشبهات غافلون عما خلقوا له قد اشتغلوا باللعب الباطل، الذي لا يجدي عليهم إلا الضرر. 9
- فلما قرر تعالى ربوبيته وألوهيته بما يوجب العلم التام ويدفع الشك أخبر أن الكافرين

سورة 45

- الارتقاين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدنيا والآخرة، وضحهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة. تم تفسير سورة الدخان، ولله الحمد والمنة 1
- فارتقب أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير والنصر إنهم يرتقبون ما يحل بهم من العذاب وفرق بين
- البليغة. وأنه لا يغني عنهم ما كسبوا من الأموال ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء يستنصرون بهم فخذلوهم أحوج ما كانوا إليهم لو نفعوا. 10
- وأخبر أن له عذابا أليما وأن من ورأهم جهنم تكفي في عقوبتهم
- به فأفلحوا وسعدوا، والذين كفروا بآيات ربهم الواضحة القاطعة التي يكفر بها إلا من اشتد ظلمه وتضاعف طغيانه، لهم عذاب من رجز أليم 11
- إلى الأعمال الصالحة ويدعو إليها ويبين الأعمال السيئة وينهى عنها، ويهدي إلى بيان الجزاء على الأعمال ويبين الجزاء الدنيوي والأخروي، فالمهتدون اهتدوا وهذا وصف عام لجميع القرآن فإنه يهدي إلى معرفة الله تعالى بصفاته المقدسة وأفعاله الحميدة، ويهدي إلى معرفة رسله وأوليائه وأعدائه، وأوصافهم، ويهدي فلما بين آياته القرآنية والعينية وأن الناس فيها على قسمين أخبر أن القرآن المشتمل على هذه المطالب العالمة أنه هدى فقال: هذا هدى
- لتبتهقوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب، ولعلكم تشكرون الله تعالى فإنكم إذا شكرتموه زادكم من نعمه وأثابكم على شكركم أجرا جزيلا. 12
- يخبر تعالى بفضله على عباده وإحسانه إليهم بتسخير البحر لسير المراكب والسفن بأمره وتيسيره،
- أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وأن رسله صادقون فيما جاءوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا ولا شكًا. 13
- على أنه الفعال لما يريد، وما فيها من المنافع والمصالح الدنيوية والدنيوية دليل على سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، وكل ذلك دال على الخلقة دال على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصيصات والأشياء المتضادات دليل لآيات لقوم يتفكرون وجملة ذلك أن خلقها وتديرها وتسخيرها دال على نفوذ مشيئة الله وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه ولهذا قال: إن في ذلك من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه أي: من فضله وإحسانه، وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما
- وقائعه في العاصين فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون. فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم وصفحكم وصبركم، ثوبا جزيلا. 14
- يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق والصبر على أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله أي: لا يرجون ثوابه ولا يخافون
- على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد والخزي ولهذا قال: من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون 15
- وهم إن استمروا

فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيم على سائر الكتب السابقة، ومحمد صلى الله عليه وسلم مصدق لجميع المرسلين. 16

وأياها فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة وغيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة فضائل كثيرة

تفسير السعدي

هذه الأمة فإنهم خير أمة أخرجت للناس. والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة فإن الله يقص علينا ما امتن به على بني إسرائيل وميزهم عن غيرهم، الطيبات من المآكل والمشرب والملابس وإنزال المن والسلوى عليهم وفضلناهم على العالمين أي: على الخلق بهذه النعم ويخرج من هذا العموم اللفظي التوراة والإنجيل والحكم بين الناس والنبوة التي امتازوا بها وصارت النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام، أكثرهم من بني إسرائيل، ورزقناهم من أي: ولقد أنعمنا على بني إسرائيل نعمًا لم تحصل لغيرهم من الناس، وآتيناهم الكتاب أي:

على بعض والظلم. إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل والذي حمله على الاختلاف الهوى أو غيره. 17 فيما أمروا بالاجتماع به ولهذا قال: فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم أي: الموجب لعدم الاختلاف، وإنما حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم بني إسرائيل تقتضي الحال أن يقوموا بها على أكمل الوجوه وأن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم، ولكن انعكس الأمر فعاملوها بعكس ما يجب. وافترقوا من الباطل من الأمر القدري الذي أوصله الله إليهم. وتلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى عليه السلام، فهذه النعم التي أنعم الله بها على وآتيناهم أي: آتيناهم بني إسرائيل بينات أي: دلالات تبين الحق

تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم هواه وإرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون. 18 إلى كل خير وتنتهي عن كل شر من أمرنا الشرعي فاتبعها فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصالح والفلاح، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أي: الذين أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو

توافقهم وتواليهم فإنك وإياهم متباينون، وبعضهم ولي لبعض والله ولي المتقين يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم وعملهم بطاعته. 19 إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً أي: لا ينفعونك عند الله فيحصلوا لك الخير ويدفعوا عنك الشر إن اتبعتهم على أهوائهم، ولا تصلح أن القرآن والاعتناء به وأنه تنزيل من الله المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال وانفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة. 20 يخبر تعالى خبراً يتضمن الأمر بتعظيم

والسعادة في الدنيا والآخرة وهي الرحمة. فتزكو به نفوسهم وتزداد به عقولهم ويزيد به إيمانهم ويقينهم، وتقوم به الحجة على من أصر وعاند. 20 فيحصل به الانتفاع للمؤمنين، والهدى والرحمة. لقوم يوقنون فيهدتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين وفروعه ويحصل به الخير والسرور أي: هذا القرآن الكريم والذكر الحكيم بصائر للناس أي: يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب في العاجل والآجل كل على قدر إحسانه، وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة والعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة. 21 العادلين ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة، ويضاد ما نزلت به الكتب وأخبرت به الرسل، بل الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين العاملين الصالحات هوى أنفسهم؟ أي: أحسبوا أن يكونوا سواء في الدنيا والآخرة؟ ساء ما ظنوا وحسبوا وساء ما حكموا به، فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين وخير الذنوب المقصرون في حقوق ربهم. أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن قاموا بحقوق ربهم، واجتنبوا مساخطه ولم يزلوا مؤثرين رضاه على أي: أم حسب المسيئون المكثرون من

له، ثم يجازي بعد ذلك من أمرهم بعبادته وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة هل شكروا الله تعالى وقاموا بالمأمور؟ أم كفروا فاستحقوا جزاء الكفور؟ 22 أي: خلق الله السماوات والأرض بالحكمة وليبعد وحده لا شريك

له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه أفلا تذكرون ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه. 23 فلا يعي الخير وجعل على بصره غشاوة تمنعه من نظر الحق، فمن يهديه من بعد الله أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح كان يرضي الله أو يسخطه. وأضل الله على علم من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها. وختم على سمعه فلا يسمع ما ينفعه، وقلبه يقول تعالى: أفرأيت الرجل الضال الذي اتخذ إلهه هواه فما هويه سلكه سواء

ولا مجازي بعمله. وقولهم هذا صادر عن غير علم إن هم إلا يظنون فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان. 24 حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس وما مات فليس يرجع إلى الله وقالوا أي: منكرو البعث ما هي إلا

بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدتهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق. 25 حجتهم إلا أن قالوا آبائنا إن كنتم صادقين وهذا جراءة منهم على الله، حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة ولهذا قال تعالى: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان

يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم، لعملوا له أعمالاً وتهينوا له. 26 قل الله يحييكم ثم

أعمالهم باطلة لأنها متعلقة بالباطل فبطلت في يوم القيامة، اليوم الذي تستبين به الحقائق، واضمحل عنهم وفاتهم الثواب وحصلوا على أليم العقاب. 27

تفسير السعدي

في جميع الأوقات وأنه يوم تقوم الساعة ويجمع الخلائق لموقف القيامة يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكانت يخبر تعالى عن سعة ملكه وانفراده بالتصرف والتدبير

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ويحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية ويدل على هذا قوله: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق 28 ويحتمل أن المراد بقوله: كل أمة تدعى إلى كتابها أي: إلى كتاب أعمالها وما سطر عليها من خير وشر وأن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه كقوله تعالى: كذلك وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية وهو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك فيه، الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى وأمة عيسى وترى أيها الرائي لذلك اليوم كل أمة جاثية على ركبها خوفا وذعرا وانتظارا لحكم الملك الرحمن. كل أمة تدعى إلى كتابها أي: إلى شريعة نبيهم ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة وهوله ليحذره العباد ويستعد له العباد فقال

أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فهذا كتاب الأعمال. 29

ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية من خلق السماوات والأرض 3

والعيش السليم، ذلك هو الفوز المبين أي: المفاز والنجاة والربح والفلاح الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير واندفع عنه كل شر. 30 إيمانا صحيحا وصدقوا بإيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات ومستحبات فيدخلهم ربهم في رحمته التي محلها الجنة وما فيها من النعيم المقيم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات

نعمة وصلت إليكم لو وفقتم لها، ولكن استكبرتم عنها وأعرضتم وكفرتم بها فجنيتهم أكبر جناية وأجرمتهم أشد الجرم فاليوم تجزون ما كنتم تعملون. 31 وأما الذين كفروا بالله فيقال لهم توبيخا وتقريعا: أفلم تكن آياتي تتلى عليكم وقد دلتكم على ما فيه صلاحكم ونهتكم عما فيه ضرركم وهي أكبر أيضا بقوله: وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم منكرين لذلك: ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين 32

ويوبخون

عقوبات أعمالهم، وحق بهم أي: نزل ما كانوا به يستهزون أي: نزل بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزون به وبوقوعه وبمن جاء به. 33 فهذه حالهم في الدنيا وحال البعث الإنكار له ورد قول من جاء به قال تعالى: وبدا لهم سينات ما عملوا أي: وظهر لهم يوم القيامة فإن الجزاء من جنس العمل ومأواكم النار أي: هي مقركم ومصيركم، وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله ويدفعون عنكم عقابه. 34 وقيل اليوم ننساكم أي: نترككم في العذاب كما نسيتم لقاء يومكم هذا

إليها، وعلمتم لها وتركتكم العمل للدار الباقية. فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون أي: ولا يمهلون ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا. 35 اتخذتم آيات الله هزوا مع أنها موجبة للجد والاجتهاد وتلقيها بالسرور والاستبشار والفرح. وغرتمكم الحياة الدنيا بزخارفها ولذاتها وشهواتها فاطمأنتم ذلكم الذي حصل لكم من العذاب بـ سبب أنكم

رب السماوات ورب الأرض رب العالمين أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق حيث خلقهم ورباهم وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة. 36 فله الحمد كما ينبغي لجلاله وعظم سلطانه

الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة. تم تفسير سورة الجاثية، ولله الحمد والنعمة والفضل 37 والعبادة مبنية على ركنين، محبة الله والذل له، وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه. وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يضع في السماوات والأرض أي: له الجلال والعظمة والمجد. فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال ومحبه تعالى وإكرامه، والكبرياء فيها عظمتة وجلاله وله الكبرياء

وما بث فيهما من الدواب وما أودع فيهما من المنافع وما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد والعباد. 4

وما بث فيهما من الدواب وما أودع فيهما من المنافع وما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد والعباد. 5

يسمع آيات الله سمعا تقوم به الحجة عليه ثم يعرض عنها ويستكبر، كأنه ما سمعها لأنها لم تترك قلبه ولا طهرته بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه. 6 المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إيمانا تاما وصل بهم إلى درجة البقيين، فزكى منهم العقول وازدادت به معارفهم وأباهم وعلومهم. وقسم الكمال وعلى البعث والنشور. ثم قسم تعالى الناس بالنسبة إلى الانتفاع بآياته وعدمه إلى قسمين: قسم يستدلون بها ويتفكرون بها وينتفعون فيرتفعون وهم فهذه كلها آيات بينات وأدلة واضحات على صدق هذا القرآن العظيم وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضا على ما لله تعالى من

وأنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال: ويل لكل أفاك أثيم أي: كذاب في مقاله أثيم في فعله. 7

وأنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال: ويل لكل أفاك أثيم أي: كذاب في مقاله أثيم في فعله. 8

وأنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال: ويل لكل أفاك أثيم أي: كذاب في مقاله أثيم في فعالة. 9

سورة 46

الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة. تم تفسير سورة الجاثية، ولله الحمد والنعمة والفضل 1 والعبادة مبنية على ركنين، محبة الله والذل له، وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه. وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يضع في السماوات والأرض أي: له الجلال والعظمة والمجد. فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال ومحبه تعالى وإكرامه، والكبرياء فيها عظمتة وجلاله وله الكبرياء

أيها الجاهل الأغبياء فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ومن الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه. 10 وشهد على صحتة الموفقون من أهل الكتاب الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق فآمنوا به واهتدوا فتطابقت أنباء الأنبياء وأتباعهم النبلاء واستكبرتم قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم أي: أخبروني لو كان هذا القرآن من عند الله دعاهم إليه أنهم لما لم يهتدوا بهذا القرآن وفاتهم أعظم المواهب وأجل الرغائب قدحوا فيه بأنه كذب وهو الحق الذي لا شك فيه ولا امتراء يعتريه. 11 صدر منهم يعززون به أنفسهم بمنزلة من لم يقدر على الشيء ثم طفق يذمه ولهذا قال: وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم أي: هذا السبب الذي في مكان، فأى دليل يدل على أن علامة الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟ هل هم أركى نفوساً؟ أم أكمل عقولاً؟ أم الهدى بأيديهم؟ ولكن هذا الكلام الذي قال الكفار بالحق معاندين له ورادين لدعوته: لو كان خيراً ما سبقونا إليه أي: ما سبقنا إليه المؤمنون أي: لكننا أول مبادر به وسابق إليه وهذا من البهرجة أي:

ويبشر المحسنين في عبادة الخالق وفي نفع المخلوقين بالثواب الجزيل في الدنيا والآخرة ويذكر الأعمال التي ينذر عنها والأعمال التي يبشر بها. 12 لها وجعله الله لساناً عربياً ليسهل تناوله ويتيسر تذكره، لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والفسوق والعصيان إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الويل أي: يقتدي بها بنو إسرائيل ويهتدون بها فيحصل لهم خير الدنيا والآخرة. وهذا القرآن كتاب مصدق للكتب السابقة شهد بصدقها وصدقها بموافقتها الذي قد وافق الكتب السماوية خصوصاً أكملها وأفضلها بعد القرآن وهي التوراة التي أنزلها الله على موسى إماماً ورحمة والتزموا طاعتهم وداموا على ذلك، و استقاموا مدة حياتهم فلا خوف عليهم من كل شر أمامهم، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم. 13 أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية

لا ييغون عنها حولا ولا يريدون بها بدلا، خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من الإيمان بالله المقتضى للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها. 14 أولئك أصحاب الجنة أي: أهلها الملازمون لها الذين

أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم لقوله: وأصلح لي إني تبت إليك من الذنوب والمعاصي ورجعت إلى طاعتك وإني من المسلمين 15 سالما مما يفسده، فهذا العمل الذي يرضاه الله ويقبله ويثيب عليه. وأصلح لي في ذريتي لما دعا لنفسه بالصلاح دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم، وذكر وآثارها، خصوصاً نعم الدين فإن صلاح الوالدين بالعلم والعمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم. وأن أعمل صالحاً ترضاه بأن يكون جامعاً لما يصلحه منته بالاعتراف والعجز عن الشكر والاجتهاد في الثناء بها على الله، والنعم على الوالدين نعم على أولادهم وذريتهم لأنهم لا بد أن ينالهم منها ومن أسبابها أي: ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي أي: نعم الدين ونعم الدنيا، وشكره بصرف النعم في طاعة مسديها وموليها ومقابلته سنتان إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر مدة للحمل، حتى إذا بلغ أشده أي: نهاية قوته وشبابه وكمال عقله، وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني للرضاع هذا هو الغالب. ويستدل بهذه الآية مع قوله: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع وهي الرضاع وخدمة الحضانة، وليست المذكورات مدة يسيرة ساعة أو ساعتين، وإنما ذلك مدة طويلة قدرها ثلاثون شهراً للحمل تسعة أشهر ونحوها والباقي الإحسان. ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحمته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة ثم مشقة لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين وبذل المال والنفقة وغير ذلك من وجوه هذا من

وزال عنهم الشر والمكروه. وعد الصدق الذي كانوا يوعدون أي: هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعد صادق من أصدق القائلين الذي لا يخلف الميعاد. 16 نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وهو الطاعات لأنهم يعملون أيضاً غيرها. ونتجاوز عن سيئاتهم في جملة أصحاب الجنة فحصل لهم الخير والمحبوب أولئك الذين ذكرت أوصافهم الذين

صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب ولا يقرأ ولا تعلم من أحد، فمن أين يتعلمه؟ وأنى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟ 17 وقدحا فيه، فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أي: إلا منقول من كتب المتقدمين ليس من عند الله ولا أوحاه الله إلى رسوله، وكل أحد يعلم أن محمداً

تفسير السعدي

ويتوجعان له ويبينان له الحق فيقولان: إن وعد الله حق ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما، وولدهما لا يزداد إلا عتوا ونفورا واستكبارا عن الحق جهدهما ويسعيان في هدايته أشد السعي حتى إنهما من حرصهما عليه أنهما يستغيثان الله له استغاثة الغريق ويسألانه سؤال الشريك ويعذلان ولدهما على الكفر وهم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور وجهول ومعاند؟ وهما أي: والداه يستغيثان الله عليه ويقولان له: ويلك آمن أي: يبذلان غاية جنتما به. ثم ذكر وجه استبعاده وإنكاره لذلك فقال: أتعانني أن أخرج من قبري إلى يوم القيامة وقد خلت القرون من قبلي على التكذيب وسلفوا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن يدعوا إلى ما فيه سعادته الأبدية وفلاحه السرمدي فقابلهما بأقبح مقابلة فقال: أف لكما أي: تبا لكما ولما تعالى حال الصالح البار لوالديه ذكر حالة العاق وأنها شر الحالات فقال: والذي قال لوالديه إذ دعوا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وخوفاه الجزاء. وهذا لما ذكر

مال الإنسان، وإذا فقد رأس ماله فالأرباح من باب أولى وأحرى، فهم قد فاتهم الإيمان ولم يحصلوا على شيء من النعيم ولا سلموا من عذاب الجحيم. 18 خلت من قبلهم من الجن والإنس على الكفر والتكذيب فسيدخل هؤلاء في غمارهم وسيغرقون في تيارهم. إنهم كانوا خاسرين والخسران فوات رأس أولئك الذين بهذه الحالة الذميمة حق عليهم القول أي: حقت عليهم كلمة العذاب في جملة أمم قد والشر ومنازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم ولهذا قال: وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون بأن لا يزداد في سيناتهم ولا ينقص من حسناتهم. 19 ولكل من أهل الخير وأهل الشر درجات مما عملوا أي: كل على حسب مرتبته من الخير

سينتقلون منها إلى دار الإقامة والقرار وموطن الخلود والدوام، وإنما أعمالهم التي عملوها في هذه الدار سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملا موفرا. 2 وما في الأرض ثم أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وأمرهم ونهاهم وأخبرهم أن هذه الدار دار أعمال وممر للعمال لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها، وأنهم من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السماوات والأرض بالحق فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين وخلق مساكنهم وسخر لهم ما في السماوات كما قال تعالى: الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما وكما قال تعالى: ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء على تدبر آياته واستخراج كنوزه. ولما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر والنهي ذكر خلقه السماوات والأرض فجمع بين الخلق والأمر ألا له الخلق والأمر هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له، وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره والإقبال عن طاعته، فجمعوا بين قول الباطل والعمل بالباطل والكذب على الله بنسبته إلى رضا والقبح في الحق والاستكبار عنه فعوقبوا أشد العقوبة. 20 بما كنتم تقولون على الله غير الحق، أي: تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله وإلى حكمه وأنتم كذبة في ذلك، وبما كنتم تفسقون أي: تتكبرون عن السعي لآخرتكم وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم، فاليوم تجزون عذاب الهون أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويفضحكم النار حين يوبخون ويقرعون فيقال لهم: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا حيث اطمانتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها ورضيتم بشهواتها وألهتكم طيباتها يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على

عبادة الله الجامعة لكل قول سديد وعمل حميد، ونهاهم عن الشرك والتنديد وخوفهم إن لم يطيعوه العذاب الشديد فلم تفد فيهم تلك الدعوة. 21 وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه فلم يكن بدعا منهم ولا مخالفا لهم، قائلا لهم: ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم فأمرهم بالدعوة إلى دينه وإرشاد الخلق إليه. إذ أنذر قومه وهم عاد بالأحقاف أي: في منازلهم المعروفة بالأحقاف وهي: الرمال الكثيرة في أرض اليمن. أي: واذكر بالثناء الجميل أبا عاد وهو هود عليه السلام، حيث كان من الرسل الكرام الذين فضلهم الله تعالى لك من القصد ولا معك من الحق إلا أنك حسدتنا على آلهتنا فأردت أن تصرفنا عنها. فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين وهذا غاية الجهل والعدا. 22 قالوا أجننتنا لتأفكتنا عن آلهتنا أي: ليس

ولكني أراكم قوما تجهلون فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة، فأرسل الله عليهم العذاب العظيم وهو الريح التي دمرتهم وأهلكتهم. 23 قال إنما العلم عند الله فهو الذي بيده أزمة الأمور ومقاليدها وهو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء. وأبلغكم ما أرسلت به أي: ليس علي إلا البلاغ المبين،

بل هو ما استعجلتم به أي: هذا الذي جنيتم به على أنفسكم حيث قلتم: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ربح فيها عذاب أليم 24 على أوديتهم التي تسيل فتسقي نوابتهم ويشربون من آبارها وغدرانها. قالوا مستبشرين: هذا عارض ممطرنا أي: هذا السحاب سيمطرنا. قال تعالى: فلما رآوه أي: العذاب عارضا مستقبل أوديتهم أي: معترضا كالسحاب قد أقبل

بإذنه ومشيئته. فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم قد تلفت مواشيهم وأموالهم وأنفسهم. كذلك نجزي القوم المجرمين بسبب جرمهم وظلمهم. 25 تمر عليه من شدتها ونحسها فسلطها الله عليهم سبع ليالي وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية بأمر ربها أي: تدمر كل شيء

على توحيده وإفراذه بالعبادة. وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون أي: نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه ويستهزئون بالرسول الذين حذروهم منه. 26 ولكن التوفيق بيد الله. فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفندتهم من شيء لا قليل ولا كثير، وذلك بسبب أنهم يجحدون بآيات الله الدالة

تفسير السعدي

وأبصارا وأفئدة أي: لا قصور في أسماعهم ولا أبصارهم ولا أذهانهم حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلا منهم وعدم تمكن من العلم به ولا خلل في عقولهم بكم وأنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئا، بل غيركم أعظم منكم تمكيننا فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جنودهم من الله شيئا. وجعلنا لهم سمعا عمرا يتذكر فيه من تذكر، ويتعظ فيه المهتدي، أي: ولقد مكنا عادة كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون أي: فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص النعم العظيمة فلم يشكروه ولا ذكروه ولهذا قال: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه أي: مكناهم في الأرض يتناولون طيباتها ويتمتعون بشهواتها وعمرناهم هذا مع أن الله تعالى قد أدر عليهم

في جزيرة العرب كعاد وثمود ونحوهم وأن الله تعالى صرف لهم الآيات أي: نوعها من كل وجه، لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والتكذيب. 27 يحذر تعالى مشركي العرب وغيرهم بإهلاك الأمم المكذبين الذين هم حول ديارهم، بل كثير منهم

دفعوا عنهم، وذلك إفكهم وما كانوا يفترون من الكذب الذي يمتنون به أنفسهم حيث يزعمون أنهم على الحق وأن أعمالهم ستنتفعهم فضلت وبطلت. 28 شيء ولهذا قال هنا: فلولوا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة أي: يتقربون إليهم ويتألهونهم لرجاء نفعهم. بل ضلوا عنهم فلم يجيبوهم ولا فلما لم يؤمنوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ولم تنفعهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من

ولوا إلى قومهم منذرين نصحا منهم لهم وإقامة لحجة الله عليهم وقيضهم الله معونة لرسوله صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته في الجن. 29 إليه بقدرته وأرسل إليه نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا أي: وصى بعضهم بعضا بذلك، فلما قضى وقد وعوه وأثر ذلك فيهم إلى الخلق إنهم وجاهلهم وكان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة فالإنس يمكنه عليه الصلاة والسلام دعوتهم وإنذارهم، وأما الجن فصرفهم الله كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم

وأما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم، وتلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالانقياد والتعظيم فافازوا بكل خير، واندفع عنهم كل شر. 30 الدليل وأثار السبيل أخبر مع ذلك أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضا عن الحق، وصدوفا عن دعوة الرسل فقال: والذين كفروا عما أنذروا معرضون خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء وأن خلقهما وبقاءهما مقدر إلى أجل مسمى فلما أخبر بذلك وهو أصدق القائلين وأقام ولهذا قال هنا: ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي: لا عبثا ولا سدى بل ليعرف العباد عظمة خالقهما ويستدلوا على كماله ويعلموا أن الذي وأقام تعالى الأدلة على تلك الدار وأذاق العباد نموذجاً من الثواب والعقاب العاجل ليكون أدعى لهم إلى طلب المحبوب والهرب من المرهوب،

إلى الحق وهو الصواب في كل مطلوب وخبر وإلى طريق مستقيم موصل إلى الله وإلى جنته من العلم بالله وبأحكامه الدينية وأحكام الجزاء. 30 للإنجيل وعمدة لبني إسرائيل في أحكام الشرع، وإنما الإنجيل متمم ومكمل ومغير لبعض الأحكام. مصدقا لما بين يديه يهدي هذا الكتاب الذي سمعناه قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى لأن كتاب موسى أصل

ولهذا قالوا: يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم وإذا أجارهم من العذاب الأليم فما ثم بعد ذلك إلا النعيم فهذا جزاء من أجاب داعي الله. 31 أجبوا داعي الله أي: الذي لا يدعو إلا إلى ربه لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه ولا هوى وإنما يدعوكم إلى ربكم ليثيبكم ويزيل عنكم كل شر ومكره، فلما مدحوا القرآن وبيّنوا محله ومرتبته دعوهم إلى الإيمان به، فقالوا: يا قومنا

أولئك في ضلال مبين وأي ضلال أبليغ من ضلال من نادته الرسل ووصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات فأعرض واستكبر؟ 32 ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض فإن الله على كل شيء قدير فلا يفوته هارب ولا يغالبه مغالب. وليس له من دونه أولياء

على عظمهما وسعتهما وإتقان خلقهما من دون أن يكثر بذلك ولم يعي بخلقهن فكيف تعجزه إعادتك بعد موتكم وهو على كل شيء قدير؟ 33 هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبليغ منها، وهو أنه الذي خلق السماوات والأرض

عيانا؟ قالوا بلى وربنا فاعترفوا بذنبهم وتبين كذبهم قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي: عذابا لازما دائما كما كان كفركم صفة لازمة. 34 يخبر تعالى عن حال الكفار الفضيعة عند عرضهم على النار التي كانوا يكذبون بها وأنهم يوبخون ويقال لهم: أليس هذا بالحق فقد حضرتموه وشاهدتموه به الرسل. وأعذر الله لهم وأنذرهم فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم وكفرهم نساللله العصمة. آخر تفسير سورة الأحقاف، والحمد لله رب العالمين 35 نعمة أنعم الله بها عليهم. فهل يهلك بالعقوبات إلا القوم الفاسقون أي: الذين لا خير فيهم وقد خرجوا عن طاعة ربهم ولم يقبلوا الحق الذي جاءهم فيه البيان التام بلاغ لكم، وزاد إلى الدار الآخرة، ونعم الزاد والبلغة زاد يوصل إلى دار النعيم ويعصم من العذاب الأليم، فهو أفضل زاد يتزوده الخلاق وأجل وهم صائرون إلى العذاب الوبيل. بلاغ أي: هذه الدنيا متاعها وشهوتها ولذاتها بلغة منغصة ودفع وقت حاضر قليل. أو هذا القرآن العظيم الذي بينا لكم أن تدعو الله عليهم بذلك فإن كل ما هو آت قريب، و كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار فلا يحزنك تمتعهم القليل ولا تستعجل لهم أي: لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب فإن هذا من جهلهم وحمقهم فلا يستخفك بجهلهم ولا يحملك ما ترى من استعجالهم على أعداء الله صابرا على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض وأظهر دينه على سائر الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليما. وقوله: واحدة، وقاموا جميعا بصده عن الدعوة إلى الله وفعلوا ما يمكنهم من المعادة والمحاربة، وهو صلى الله عليه وسلم لم يزل صادعا بأمر الله مقيما على جهاد الخلق بالأسوة بهم والقفو لآثارهم والاهتداء بمنارهم. فامتثل صلى الله عليه وسلم لأمر ربه فصبر صبرا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس

تفسير السعدي

وأن لا يزال داعيا لهم إلى الله وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له

فاسدة. يدلك على فسادها استقراء أحوالهم وتتبع علومهم وأعمالهم والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته هل أفادهم شيئا في الدنيا أو في الآخرة؟ 4 الله ما لكم من إله غيره فعلم أن جدال المشركين في شرهم غير مستندين فيه على برهان ولا دليل وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم قال تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وكل رسول قال لقومه: اعبدوا الرسل يأمر بذلك. من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ونهوا عن أن كل من سوى الله فعبادته باطلة. ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي فقال: انتوني بكتاب من قبل هذا الكتاب يدعو إلى الشرك أو إثارة من علم موروث عن هل أنبتوا أشجارا؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟ لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلا عن غيرهم، فهذا دليل عقلي قاطع على أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئا؟ هل خلقوا جبلا؟ هل أجروا أنهارا؟ هل نشروا حيوانا؟ لهؤلاء الذين أشركوا بالله أو ثانا وأندادا لا تملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، قل لهم مبينا عجز أوثانهم وأنها لا تستحق شيئا من العبادة: أي: قل

لا ينتفع به بمثقال ذرة وهم عن دعائهم غافلون لا يسمعون منهم دعاء ولا يجيبون لهم نداء هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشرهم. 5 ومن أضل ممن يدعو من دون الله ما لا يستجيب له إلى يوم القيامة أي: مدة مقامه في الدنيا وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء يلعن بعضهم بعضا ويبتدأ بعضهم من بعض وكانوا بعبادتهم كافرين 6

الرزينة بالباطل الذي هو السحر الذي لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس خبيث العمل؟! فهو مناسب له وموافق لحاله وهل هذا إلا من البهجة؟ 7 الحق الذي علا وارتفع ارتفاعا على الأفلاك وفاق بضوئه ونوره نور الشمس وقامت الأدلة الأفقية والنفسية عليه، وأقرت به وأذعنت أولو البصائر والعقول على ضعفاء العقول، وإلا فبين الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبين السحر من المنافاة والمخالفة أعظم مما بين السماء والأرض، وكيف يقاس عليهم بذلك الحجة، ويقولون من إفكهم وافترائهم للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أي: ظاهر لا شك فيه وهذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا أي: وإذا تتلى على المكذبين آياتنا بينات بحيث تكون على وجه لا يمتري بها ولا يشك في وقوعها وحققها لم تفدهم خيرا بل قامت

الحق ومخاصمته فقال: وهو الغفور الرحيم أي: فتوبوا إليه وأقلعوا عما أنتم فيه يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم فيوفكم للخير ويثيبكم جزيل الأجر. 8 كنت متقولا عليه لأخذ مني باليمين ولعاقبني عقابا يراه كل أحد لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولا، ثم دعاهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة عالم، فكيف لم يعاقبني على افترائي الذي زعمتم؟ فهل تملكون لي من الله شيئا إن أردني الله بضر أو أردني برحمة كفى به شهيدا بيني وبينكم فلو أم يقولون افتراه أي: افتري محمد هذا القرآن من عند نفسه فليس هو من عند الله. قل لهم: إن افتريته فالله علي قادر وبما تفيضون فيه فإن قبلتم رسالتي وأجبتكم دعوتي فهو حظكم ونصيبكم في الدنيا والآخرة، وإن رددتم ذلك علي فحسابكم على الله وقد أنذرتكم ومن أنذر فقد أعذر. 9 أي: لست إلا بشرا ليس بيدي من الأمر شيء والله تعالى هو المتصرف بي وبكم الحاكم علي وعليكم، ولست الآتي بالشيء من عندي، وما أنا إلا نذير مبين تستغربوا رسالتي وتستنكروا دعوتي فقد تقدم من الرسل والأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم فلا شيء تنكرون رسالتي؟ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم قل ما كنت بدعا من الرسل أي: لست بأول رسول جاءكم حتى

سورة 47

اتبعوا الباطل، وهو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام والأوثان، والأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة، كانت الأعمال لأجلها باطلة. 1 الله، أن الله جعل كيدهم في نحورهم، فلم يدركوا مما قصدوا شيئا، وأعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها، أن الله سيحبطها عليهم، والسبب في ذلك أنهم الإيمان بما دعت إليه الرسل واتباعه. فهؤلاء أضل الله أعمالهم أي: أبطلها وأشقاهم بسببها، وهذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وهؤلاء رؤساء الكفر، وأئمة الضلال، الذين جمعوا بين الكفر بالله وآياته، والصد لأنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، التي هي هذه الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين وعقاب العاصين، والسبب في ذلك، ودعوة الخلق إلى الاعتبار بذلك، فقال:

في كل زمان ومكان، أمثال هذه العواقب الوخيمة، والعقوبات الذميمة. وأما المؤمنون، فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب. 10 ولا يسرة إلا وجدوا ما حولهم، قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر، فخدموا، ودمر الله عليهم أموالهم وديارهم، بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين هؤلاء المكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يلتفتون يمنة أي: أفلا يسيرون

إلى سبل السلام، ولا ينجيهم من عذاب الله وعقابه، بل أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. 11

تفسير السعدي

الظلمات إلى النور، وتولى جزاءهم ونصرهم، وأن الكافرين بالله تعالى، حيث قطعوا عنهم ولاية الله، وسدوا على أنفسهم رحمته لا مولى لهم يهديهم ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا فتولاهم برحمته، فأخرجهم من

دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة، ولهذا كانت النار مثوى لهم، أي: منزلا معدا، لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها. 12
بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة المثمرة، لكل زوج بهيج، وكل فاكهة لذيدة. ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وكلوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين، ذكر ما يفعل بهم في الآخرة، من دخول الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار، التي تسقي تلك البساتين الزاهرة، والأشجار الناضرة لما

أفضل المرسلين، وخير الأولين والآخرين؟! أليسوا بأحق من غيرهم بالإهلاك والعقوبة، لولا أن الله تعالى بعث رسوله بالرحمة والتأني بكل كافر وجاحد؟ 13
المواعظ، فلا نجد لهم ناصرا، ولم تغن عنهم قوتهم من عذاب الله شيئا. فكيف حال هؤلاء الضعفاء، أهل قريتك، إذ أخرجوك عن وطنك وكذبوك، وعادوك، وأنت أي: وكمن من قرية من قرى المكذبين، هي أشد قوة من قريتك، في الأموال والأولاد والأعوان، والأبنية والآلات. أهلكناهم حين كذبوا رسلنا، ولم تغد فيهم هواه بغير هدى من الله، ومع ذلك، يرى أن ما هو عليه من الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين! وما أعظم التفاوت بين الطائفتين، أهل الحق وأهل الغي! 14
لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه، علما وعملا، قد علم الحق واتبعه، ورجا ما وعده الله لأهل الحق، كمن هو أعمى القلب، قد رفض الحق وأضله، واتبع أي:

وتضاعف عذابها، وسقوا فيها ماء حميما أي: حارا جدا، فقطع أمعاءهم فسبحان من فاوت بين الدارين والجزأين، والعاملين والعملين. 15
الدنيا، فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم. ثم قال: ومغفرة من ربهم يزول بها عنهم المروءة، فأى هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، من غسل مصفى من شمع، وسائر أوساخ. ولهم فيها من كل الثمرات من نخيل، وعنب، وتفايح، ورماني، وأترج، وغير ذلك مما لا نظير له في بحموضة ولا غيرها، وأنهار من خمر لذة للشاربين أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل. وأنهار أي: غير متغير، لا يوخم ولا يبرح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاه، وأطيبها ريحا، وألذها شربا. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه أي: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة. فيها أنهار من ماء غير آسن
قال: أولئك الذين طبع الله على قلوبهم أي: ختم عليها، وسد أبواب الخير التي تصل إليها بسبب اتباعهم أهواءهم، التي لا يهتدون فيها إلا بالباطل. 16
قريبا، وهذا في غاية الذم لهم، فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه أسماهم، ووعته قلوبهم، وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه الحال، ولهذا قلوبهم عنه، ولهذا قال: حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم مستفهمين عما قلت، وما سمعوا، مما لم يكن لهم فيه رغبة ماذا قال أنفا أي: يقول تعالى: ومن المنافقين من يستمع إليك ما تقول استمعا، لا عن قبول وانقياد، بل معرضة

هدى شكرا منه تعالى لهم على ذلك، وآتاهم تقواهم أي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر، فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح. 17
ثم بين حال المهتدين، فقال: والذين اهتدوا بالإيمان والانقياد، واتباع ما يرضي الله زادهم

وقت التذكر، فقد عمروا ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءهم النذير. ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت، فإن موت الإنسان قيام ساعته. 18
علاماتها الدالة على قربها. فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم أي: من أين لهم، إذا جاءتهم الساعة وانقطعت آجالهم أن يتذكروا ويستعتبوا؟ قد فات ذلك، وذهب أي: فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة أي: فجأة، وهم لا يشعرون فقد جاء أشرطها أي:

وحركاتكم، وذهابكم ومجيئكم، ومثواكم الذي به تستقرون، فهو يعلمكم في الحركات والسكنات، فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه. 19
اجتماعا تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم. والله يعلم متقلبكم أي: تصرفاتكم لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساوئهم ومعاصيهم، ويحرص على اجتماعهم لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم من الخير ما يحب والعفو عن الجرائم. واستغفر أيضا للمؤمنين والمؤمنات فإنهم بسبب إيمانهم كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة. ومن جملة حقوقهم أن يدعو في غيره. وقوله: واستغفر لذنوبك أي: اطلب من الله المغفرة لذنوبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب العظيم، والأمر الكبير وهو تدبير هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجملة ما لا يحصل في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد على تكرار الباطل والشبه إلا نموا وكمالا. هذا، وإن نظرت إلى الدليل في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه. فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد الربانيون قد شهدوا لله بذلك. الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه. السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا، ورأيا وصوابا، وعلماء وهم الرسل والأنبياء والعلماء

تفسير السعدي

ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه. السادس:
والأنداد التي عبت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعبديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا،
من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها. الخامس: معرفة أوصاف الأوثان
والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له. الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القانمين بتوحيده
له كل حمد ومجد وجلال وجمال. الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية. الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة
إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي
الذي أمر الله به وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله
العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتماهه أن يعمل بمقتضاه. وهذا العلم

فاتبعوه، فصلحت أمورهم، فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقية، باقيا ثوابها. 2
اتبعوا الحق الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر من ربهم الذي رباهم بنعمته، وديرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق
الدنيا والآخرة. وأصلح بالهم أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم:
بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة. كفر الله عنهم سيئاتهم صغارها وكبارها، وإذا كفرت سيئاتهم، نجوا من عذاب
وأما والذين آمنوا بما أنزل الله على رسله عموما، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا، وعملوا الصالحات
ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية 20
هذه الأوامر، ولهذا قال: رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت من كراهم لذلك، وشدته عليهم. وهذا كقوله تعالى:
الأمر بالقتال. فإذا أنزلت سورة محكمة أي: ملزم العمل بها، وذكر فيها القتال الذي هو أشق شيء على النفوس، لم يثبت ضعفاء الإيمان على امتثال
يقول تعالى: ويقول الذين آمنوا استعجالا ومبادرة للأوامر الشاقة: لولا نزلت سورة أي: فيها

قدرته، ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعينا بربه في ذلك، فهذا حري بالتوفيق والتسديد في جميع أموره. 21
أموره، فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هم به ووطن نفسه عليه، فالذي ينبغي أن يجمع العبد همه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويؤدي وظيفته بحسب
عن نشاطها فلا يعان عليه. ومنها: أن العبد المؤمل للآمال المستقبلية، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألي الذي يجزم بقدرته، على ما يستقبل من
عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبل، أما الحال، فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبع للهمة، وأما المستقبل، فإنه لا يجيء حتى تفتقر الهمة
من وجوه: منها: أن العبد ناقص من كل وجه، لا قدرة له إلا أن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده. ومنها: أنه إذا تعلق نفسه بالمستقبل، ضعف
الأمر أي: جاءهم الأمر جد، وأمر محتتم، ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به، وبذل الجهد في امتثاله لكان خيرا لهم من حالهم الأولى، وذلك
لهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر المحتتم عليهم، ويجمعوا عليه همهم، ولا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم، وليفرحوا بعافية الله تعالى وعفوه. فإذا عزم
ثم نذبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم، فقال: فأولى لهم طاعة وقول معروف أي: فأولى

لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتول عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام. 22
وأنه لا يتولى إلى خير، بل إلى شر، فقال: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتثال
ثم ذكر تعالى حال المتولي عن طاعة ربه،

سماع إذعان وقبول، وإنما تسمع سماعا تقوم به حجة الله عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يلتفتون بها إلى البراهين والبيئات. 23
الله بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله. فأصمهم وأعمى أبصارهم أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلم أذان، ولكن لا تسمع
أولئك الذين أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم لعنهم

الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل. أم على قلوب أقفالها أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع. 24
الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى
لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفندتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق
أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه،

ذلك لا عن دليل دلهم ولا برهان، وإنما هو تسويل من عدوهم الشيطان وتزيين لهم، وإملاء منه لهم: يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا 25
يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى والإيمان على أعقابهم إلى الضلال والكفران،

والإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي. والله يعلم إسرارهم فلذلك فضحهم، وبينها لعباده المؤمنين، لتلا يغفروا بها. 26
و قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من المبارزين العداوة لله ولرسوله سنطيعكم في بعض الأمر أي: الذي يوافق أهواءهم، فلذلك عاقبهم الله بالضلال،
وذلك أنهم قد تبين لهم الهدى، فزهدوا فيه ورفضوه،

تفسير السعدي

ترى حالهم الشنيعة، ورؤيتهم الفظيعة إذا توفتهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم، يضربون وجوههم وأدبارهم بالمقامع الشديدة؟! 27

فكيف

يدينهم منه، فأحبط أعمالهم أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه. 28
الذي استحقوه ونالوه بسبب أنهم اتبعوا ما أسخط الله من كل كفر وفسوق وعصيان. وكرهوا رضوانه فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، ولا ذلك العذاب

وضعف إيمانه، وخرج ما في قلبه من الضغن، وتبين نفاقه، هذا مقتضى الحكمة الإلهية، مع أنه تعالى قال: ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم 29
من الكاذب، وذلك بالابتلاء بالمحن، التي من ثبت عليها، ودام إيمانه فيها، فهو المؤمن حقيقة، ومن ردت عليه فلم يصبر عليها، وحين أتاه الامتحان، جزع القلب عن حال صحته واعتداله، أن الله لا يخرج ما في قلوبهم من الأضغان والعداوة للإسلام وأهله؟ هذا ظن لا يليق بحكمة الله، فإنه لا بد أن يميز الصادق يقول تعالى: أم حسب الذين في قلوبهم مرض من شبهة أو شهوة، بحيث تخرج

أمثالهم حيث بين لهم تعالى أهل الخير وأهل الشر، وذكر لكل منهم صفة يعرفون بها ويتميزون ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة 3
كذلك يضرب الله للناس

ما في قلوبهم، ويتبين بقلبات أسنتهم، فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر والله يعلم أعمالكم فيجازيكم عليها. 30
ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم أي: بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم. ولتعرفنهم في لحن القول أي: لا بد أن يظهر

ونبلو أخباركم فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقا، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصا في إيمانه. 31
ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده، وهو الجهاد في سبيل الله، فقال: ولنبلونكم أي: نختبر إيمانكم وصبركم، حتى نعم المجاهدين منكم والصابرين

أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب، لا تقبل لعدم وجود شرطها. 32
بعد ما تبين لهم الهدى أي: عاندوه وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن جهل وغي وضلال، فإنهم لن يضرروا الله شيئا فلا ينقص به ملكه. وسيحبط أعمالهم هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها، من الكفر بالله، وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلا إليه. وشاقوا الرسول من

من غير موجب لذلك، وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها، وإكمالها وإتمامها، والإتيان بها، على الوجه الذي تصلح به علما وعملا. 33
مفسداتها. فمبطلات الصلاة والصيام والحج ونحوها، كلها داخلية في هذا، ومنهي عنها، ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض، وكراهة قطع النفل، وإعجاب، وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، ويحبط أجرها، ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من الأمر، واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتام المتابعة. وقوله: ولا تبطلوا أعمالكم يشمل النهي عن إبطالها بعد عملها، بما يفسدها، من من بها يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم الدنيوية والدنيوية، وهو: طاعته وطاعة رسوله في أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال

يغلقها عن أحد، ما دام حيا متمكنا من التوبة. وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافيه، ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم. 34
لهم ويرحمهم، ويدخلهم الجنة، ولو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصد عن سبيله، والإقدام على معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة، ولم العقاب، وفاتهم الثواب، ووجب عليهم الخلود في النار، وسدت عليهم رحمة الرحيم الغفار. ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم، فإن الله يغفر بتزهدهم إياهم بالحق، ودعوتهم إلى الباطل، وتزيينه، ثم ماتوا وهم كفار لم يتوبوا منه، فلن يغفر الله لهم لا بشفاعاة ولا بغيرها، لأنه قد تحتم عليهم إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه، فقال هنا: إن الذين كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدوا الخلق عن سبيل الله

هذه الآية والتي في البقرة قوله: ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب النشاط التام، فهذا من ترغيب الله لعباده، وتنشيطهم، وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم. 35
أحسن ما كانوا يعملون فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده، أو جب له ذلك النشاط، وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب، فكيف ينالون من عدو نبلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله فيه، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقال تعالى: ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطنًا يغيب الكفار ولا وإقدامهم على عدوهم. الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا، بل سيوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصا عبادة الجهاد، فإن النفقة تضاعف وأضعف عددا، وعددا، وقوة داخلية وخارجية. الثاني: أن الله معهم، فإنهم مؤمنون، والله مع المؤمنين، بالعون، والنصر، والتأييد، وذلك موجب لقوة قلوبهم، منها مقتضى الصبر وعدم الوهن كونهم الأعلى، أي: قد توفرت لهم أسباب النصر، ووعدوا من الله بالوعد الصادق، فإن الإنسان، لا يهن إلا إذا كان أذل من غيره والمتاركة بينكم وبين أعدائكم، طلبا للراحة، و الحال أنكم أنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أي: ينقصكم أعمالكم فهذه الأمور الثلاثة، كل

عليكم الخوف، بل اصبروا واثبتوا، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد، طلبا لمرضاة ربكم، ونصحا للإسلام، وإغضابا للشيطان. ولا تدعوا إلى المسالمة فلا تهنوا أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي

أجوركم ولا يسألكم أموالكم أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم، ويعنتكم من أخذ أموالكم، وبقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصا يضركم. 36

تفسير السعدي

أن يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه، وهو مقصود الله من عباده رحمة بهم ولطفًا، ليثيبهم الثواب الجزيل، ولهذا قال: وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم واليوم الآخر، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد، وهو الذي ينبغي الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: وإن تؤمنوا وتتقوا بأن تؤمنوا بالله، وملأنكته وكتبه ورسله دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسارته وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل النساء، والمآكل والمشارب، والمسكن والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي، حتى تستكمل لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيا في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من هذا تزهيد منه

أي: ما في قلوبكم من الضغن، إذا طلب منكم ما تكرهون بذله. والدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها، أنكم تمتنعون منها. 37
إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم

كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه تم تفسير سورة القتال، والحمد لله رب العالمين. 38
تتولوا عن الإيمان بالله، وامتنثال ما يأمركم به يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي، بل يطيعون الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، ثواب الله تعالى، وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئا. فإن الله هو الغني وأنتم الفقراء تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم. وإن منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟ أليس من باب أولى وأحرى امتناعكم من ذلك. ثم قال: ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه لأنه حرم نفسه أنكم تدعون لتنفقوا في سبيل الله على هذا الوجه، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية. فمنكم من يبخل أي: فكيف لو سألكم، وطلب لتكون كلمة الله هي العليا. فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم، أي: لن يحبطها ويبطلها، بل يتقبلها وينميها لهم، ويظهر من أعمالهم نتائجها، في الدنيا والآخرة. 4
ضعيف جدا، لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن والبلايا. والذين قتلوا في سبيل الله لهم ثواب جزيل، وأجر جميل، وهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم، ليقوم سوق الجهاد، ويتبين بذلك أحوال العباد، الصادق من الكاذب، وليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة، لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة، فإنه إيمان منهم فإنه تعالى على كل شيء قدير، وقادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبدا، حتى يبيد المسلمون خضراءهم. ولكن ليبلو بعضكم ببعض من الأسباب، فلا قتل ولا أسر. ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، ومداولة الأيام بينهم، وانتصار بعضهم على بعض ولو يشاء الله لانتصر في المسألة والمهادنة، فإن لكل مقام مقالا، ولكل حال حكما، فالحال المتقدمة، إنما هي إذا كان قتال وحرب. فإذا كان في بعض الأوقات، لا حرب فيه لسبب حتى يشتروا أنفسهم، أو يشتريهم أصحابهم بمال، أو بأسير مسلم عندهم. وهذا الأمر مستمر حتى تضع الحرب أوزارها أي: حتى لا يبقى حرب، وتبقون أطمأن المسلمون من هربهم ومن شرهم، فإذا كانوا تحت أسرهم، فأنتم بالخيار بين المن عليهم، وإطلاقهم بلا مال ولا فداء، وإما أن تفدوهم بأن لا تطلقوهم شوكتهم وتبطلوا شرتهم، فإذا فعلتم ذلك، ورأيتم الأسر أولى وأصلح، فشدوا الوثاق أي: الرباط، وهذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا، فإذا شد منهم الوثاق ما فيه صلاحهم، ونصرهم على أعدائهم: فإذا لقيتم الذين كفروا في الحرب والقتال، فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى تخنقوهم وتكسروا يقول تعالى مرشدا عباده إلى

إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة، ويصلح بالهم أي: حالهم وأمورهم، وثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه، ولا تنقيص بوجه من الوجوه. 5
سيديهم

القتل في سبيله، ووفقهم للقيام بما أمرهم به ورغبهم فيه، ثم إذا دخلوا الجنة، عرفهم منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم. 6
ويدخلهم الجنة عرفها لهم أي: عرفها أولا، بأن شوقهم إليها، ونعتها لهم، وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جملتها ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولا، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره. 7
أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد

وأضل أعمالهم أي: أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق، فرجع كيدهم في نحورهم، وبطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله. 8
وأما الذين كفروا بربهم، ونصروا الباطل، فإنهم في تعس، أي: انتكاس من أمرهم وخذلان.

كفروا، بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن الذي أنزله الله، صلاحا للعباد، وفلاحا لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه، فأحبط أعمالهم 9
ذلك الإضلال والتعس للذين

سورة 48

فتحا، ووصفه بأنه فتح مبين أي: ظاهر جلي، وذلك لأن المقصود في فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله، وانتصار المسلمين، وهذا حصل بذلك الفتح. 1

تفسير السعدي

كان من تلك الأقطار، يتمكن من ذلك، وأمكن الحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام، فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا، فلذلك سماه الله عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده فعل. وبسبب ذلك لما آمن الناس بعضهم بعضا، اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجل، وصار كل مؤمن بأي محل على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وعلى أن يعتنم من العام المقبل، وعلى أن أراد أن يدخل في عهد قريش وحلفهم دخل، ومن أحب أن يدخل في الحديبية، حين صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء معتمرا في قصة طويلة، صار آخر أمرها أن صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الفتح المذكور هو صلح

إليه، وعقوبته واصله له، ومن أوفى بما عاهد عليه الله أي: أتى به كاملا موفرا، فسيؤتيه أجرا عظيما لا يعلم عظمه وقدره إلا الذي آتاه إياه. 10 هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء بها، ولهذا قال: فمن نكث فلم يف بما عاهد الله عليه فإنما ينكث على نفسه أي: لأن وبال ذلك راجع الأمر أنهم يبايعون الله ويعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: يد الله فوق أيديهم أي: كأنهم بايعوا الله وصافحوه بتلك المبايعة، وكل أن لا يفروا عنه، فهي عقد خاص، من لوازمه أن لا يفروا، ولو لم يبق منهم إلا القليل، ولو كانوا في حال يجوز الفرار فيها، فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي بيعة الرضوان التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، على

كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم، لأنهم قد تابوا وأنبأوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء. 11 فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو شغلهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم يذم تعالى المتخلفين

ويطمئنون إليه، حتى استحكم، وسبب ذلك أمران: أحدهما: أنهم كانوا قوما بورا أي: هلكى، لا خير فيهم، فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم. 12 فظنوا أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا أي: إنهم سيقتلون ويستأصلون، ولم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم،

بوعد الله، ونصر دينه، وإعلاء كلمته، ولهذا قال: ومن لم يؤمن بالله ورسوله أي: فإنه كافر مستحق للعقاب، فإننا أعتدنا للكافرين سعيرا 13

الثاني: ضعف إيمانهم وبقينهم

عنه المغفرة والرحمة، فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين، ويتجاوز عن الخطائين، ويتقبل توبة التائبين، وينزل خيره المdrار، آناء الليل والنهار. 14 فقال: يغفر لمن يشاء وهو من قام بما أمره الله به ويعذب من يشاء ممن تهاون بأمر الله، وكان الله غفورا رحيمًا أي: وصفه اللازم الذي لا ينفك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدريّة، والأحكام الشرعيّة، والأحكام الجزائيّة، ولهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعيّة، أي: هو تعالى المنفرد بملك

الموضع، ولو فهموا رشدهم، لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم، وأن المعاصي لها عقوبات دنيوية ودينية، ولهذا قال: بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا 15 أنفسهم، وبما تركتم القتال أول مرة. فسيقولون مجيبين لهذا الكلام، الذي منعه به عن الخروج: بل تحسدونا على الغنائم، هذا منتهى علمهم في هذا بعقوبتهم، واختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم، شرعا وقدرًا. قل لهم لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل إنكم محرومون منها بما جنبتم على إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها ليأخذوها، طلبوا منهم الصلبة والمشاركة، ويقولون: ذرونا نتبعكم يريدون بذلك أن يبدلوا كلام الله حيث حكم لما ذكر تعالى المخلفين وذرهم، ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

إلى قتاله، يعذبكم عذابا أليما ودلت هذه الآية على فضيلة الخلفاء الراشدين، الداعين لجهاد أهل البأس من الناس، وأنه تجب طاعتهم في ذلك. 16 هؤلاء يؤتكم الله أجرا حسنا وهو الأجر الذي رتبته الله ورسوله على الجهاد في سبيل الله، وإن تتولوا كما توليتم من قبل عن قتال من دعاكم الرسول على ما هم عليه، فلما أئذختم المسلمون، وضعفوا وذلوا، ذهب بأسهم، فصاروا إما أن يسلموا، وإما أن يبذلوا الجزية، فإن طيعوا الداعي لكم إلى قتال قتالهم ومقاتلتهم لأولئك الأقوام، إذ كانت شدتهم وبأسهم معهم، فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية، بل إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يقاتلوا الراشدين والأئمة، وهؤلاء القوم فارس والروم ومن نحا نحوهم وأشبههم. تتقاتلونهم أو يسلمون أي: إما هذا وإما هذا، وهذا هو الأمر الواقع، فإنهم في حال بل لمجرد الغنيمة، قال تعالى ممتحنًا لهم: قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولي بأس شديد أي: سيدعوكم الرسول ومن ناب منابه من الخلفاء لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله، ويعتذرون بغير عذر، وأنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة ولا قتال،

الأنفس، وتلد الأعين، ومن يتول عن طاعة الله ورسوله يعذبه عذابا أليما فالسعادة كلها في طاعة الله، والشقاوة في معصيته ومخالفته. 17 في التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع. ومن يطع الله ورسوله في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فيها ما تشتهيه ثم ذكر الأعداء التي يعذر بها العبد عن الخروج إلى الجهاد، فقال: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج أي:

وهو: فتح خيبر، لم يحضره سوى أهل الحديبية، فاخصوا بخيبر وغنائمها، جزاء لهم، وشكرا على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته. 18 وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله، فأنزل عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم، وأتابهم فتحا قريبا

تفسير السعدي

الحال، التي هي من أكبر الطاعات وأجل القربات، فعلم ما في قلوبهم من الإيمان، فأنزل السكينة عليهم شكرا لهم على ما في قلوبهم، زادهم هدى، المؤمنين، وكانوا نحواً من ألف وخمسمائة، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفروا حتى يموتوا، فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان لمكة في ذلك، فجاء خبر غير صادق، أن عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من الله عليه وسلم لما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية في شأن مجيئه، وأنه لم يجرى لقتال أحد، وإنما جاء زائراً هذا البيت، معظماً له، فبعث رسول والآخر، وكان سبب هذه البيعة التي يقال لها بيعة الرضوان لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها بيعة أهل الشجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر تعالى بفضلته ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا التي قهر بها الأشياء، فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم وبين المؤمنين، ولكنه حكيم، يبتلي بعضهم ببعض، ويمتحن المؤمن بالكافر. 19 ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً أي: له العزة والقدرة،

ويتم نعمته عليك بإعزاز دينك، ونصرك على أعدائك، واتساع كلمتك، ويهديك صراطاً مستقيماً تنال به السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي. 2 تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين، وهذا من أعظم مناقبه وكراماته صلى الله عليه وسلم، أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ما تقدم من ذنبك وما تأخر وذلك والله أعلم بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرته، وبما تحمل صلى الله عليه وسلم من ورتب الله على هذا الفتحة عدة أمور، فقال: ليغفر لك الله

الحق، وثوابه للمؤمنين، وأن الذي قدرها سيقدر غيرها، ويهديكم بما يقيض لكم من الأسباب صراطاً مستقيماً من العلم والإيمان والعمل. 20 على قتالكم، الحريصين عليه عنكم فهي نعمة، وتخفيف عنكم. ولتكون هذه الغنيمة آية للمؤمنين يستدلون بها على خبر الله الصادق، ووعدته فجعل لكم هذه أي: غنيمة خبير أي: فلا تحسبوها وحدها، بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها، و احمدا الله إذ كف أيدي الناس القادرين وعذكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمين إلى يوم القيامة،

قادر عليها، وتحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها، فلا بد من وقوع ما وعد به، لكامل اقتدار الله تعالى، ولهذا قال: وكان الله على كل شيء قديراً 21 وأخرى أي: وعذكم أيضاً غنيمة أخرى لم تقدروا عليها وقت هذا الخطاب، قد أحاط الله بها أي: هو لو قابلوهم وقاتلوهم لولوا الأبار ثم لا يجدون ولياً يتولى أمرهم، ولا نصيراً ينصرهم ويعينهم على قتالكم، بل هم مخذولون مغلوبون. 22 هذه بشارة من الله لعباده المؤمنين، بنصرهم على أعدائهم الكافرين، وأنهم

وهذه سنة الله في الأمم السابقة، أن جند الله هم الغالبون، ولن تجد لسنة الله تبديلاً 23

يقتلوهم، رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم، وكان الله بما تعملون بصيراً فيجازي كل عامل بعمله، ويديركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن. 24 تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد، وهم نحو ثمانين رجلاً، انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة، فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكهم، فتركهم ولم قتالهم، فقال: وهو الذي كف أيديهم أي: أهل مكة عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم أي: من بعد ما قدرتم عليهم، وصاروا يقول تعالى ممثناً على عباده بالعبادة، من شر الكفار ومن

لهذا السبب. لو تزيّلوا أي: لو زالوا من بين أظهرهم لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً بأن نبيح لكم قتالهم، ونأذن فيه، وننصرهم عليهم. 25 من نيلهم بالأذى والمكره، وفائدة أخروية، وهو: أنه ليدخل في رحمته من يشاء فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر، وبالهدى بعد الضلال، فيمنعكم من قتالهم المؤمنين، والنساء المؤمنات، الذين لا يعلمهم المسلمون أن تطأوهم، أي: خشية أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم والمعرة: ما يدخل تحت قتالهم، ولكن ثم مانع وهو: وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين، وليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن لا ينالهم أذى، فلولا هؤلاء الرجال صدوا الهدي معكوفاً أي: محبوساً أن يبلغ محله وهو محل ذبحه وهو مكة، فمنعوه من الوصول إليه ظلماً وعدواناً، وكل هذه أمور موجبة وداعية إلى المشركين، وهي كفرهم بالله ورسوله، وصدّهم رسول الله ومن معه من المؤمنين، أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج والعمرة، وهم الذين أيضاً ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال

أحق بها من غيرهم و كانوا أهلها الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم وفي قلوبهم من الخير، ولهذا قال: وكان الله بكل شيء عليماً 26 كانت، ولم يبالوا بقول القائلين، ولا لوم اللانمين. وألزمهم كلمة التقوى وهي لا إله إلا الله وحقوقها، ألزمهم القيام بها، فالتزموها وقاموا بها، وكانوا وعلى المؤمنين فلم يحلمهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله، والتزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمة الله ولو كانت ما لقريش وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية، لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي، فأنزل الله سكينته على رسوله كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وأنفوا من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إليهم في تلك السنة، لئلا يقول الناس: دخلوا مكة قاهرين يقول تعالى: إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية حيث أنفوا من

مما تشوشت بها قلوب بعض المؤمنين، وخفيت عليهم حكمتها، فبين تعالى حكمتها ومنفعتا، وهكذا سائر أحكامه الشرعية، فإنها كلها، هدى ورحمة. 27 والتقصير، وعدم الخوف، فعلم من المصلحة والمنافع ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك الدخول بتلك الصفة فتحاً قريباً ولما كانت هذه الواقعة

تفسير السعدي

المسجد الحرام إن شاء الله آمينين محلقيين رءوسكم ومقصرين أي: في هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام، وأدائكم للنسك، وتكميله بالحلق ستأوتونه وتطوفون به قال الله هنا: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أي: لا بد من وقوعها وصدقها، ولا يقدح في ذلك تأخر تأويلها، لتدخلن منهم، حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم نخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: أخبرتكم أنه العام؟ قالوا: لا، قال: فإنكم في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه، أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجعوا من غير دخول لمكة، كثر في ذلك الكلام يقول تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى

للفؤوس، مرب للأخلاق، معل للأقدار. ليظهره بما بعثه الله به على الدين كله بالحجة والبرهان، ويكون داعيا لإخضاعهم بالسيف والسنان. 28 من الضلالة، ويبين طرق الخير والشر. ودين الحق أي: الدين الموصوف بالحق، وهو العدل والإحسان والرحمة. وهو كل عمل صالح مزك للقلوب، مطهر أخبر بحكم عام، فقال: هو الذي أرسل رسوله بالهدى الذي هو العلم النافع، الذي يهدي ولجميع المسلمين آمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات 29 الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين آمين. بقلم الفقير إلى ربه سليمان بن حمد العبد الله البسام. غفر الله له ولوالديه والمئة وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، نقلته من خط المفسر رحمه الله وعفا عنه، وكان الفراغ من كتابته في 13 ذي الحجة 1345 وصلى هنيئا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فأنزل الله عز وجل: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين الآية. انتهى. وهذا آخر تفسير سورة الفتح والله الحمد ثم رجع إلى المدينة. وفي مرجعه أنزل الله عليه: إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخرها، فقال عمر: أفتح هو يا رسول الله؟ فقال: نعم فقال الصحابة: إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية، والأخرى صفوان بن أمية، حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، ثم جاءت نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل: الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فقام فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول بغيره حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر: فعملت لذلك أعمالا. فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا وانحروا، فأتيت أبا بكر، فقلت له كما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء، وزاد: فاستمسك أعصيه قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتكم أنك تأتية العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به قال: على الباطل؟ قال: بلى فقلت: علام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال: إني رسول الله، وهو ناصري، ولست والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله أليست نبي الله؟ قال: بلى قلت: ألسنا على الحق، وعدونا قد أجزأناه. فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما، ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذابا شديدا. قال عمر بن الخطاب: إذا لا أवालحك على شيء أبدا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فأجزه لي فقال: ما أنا بمجيزه، فقال: بلى فافعل قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما قاضيتك عليه، أن ترده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد فقال: فوالله سبحانه الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: على أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك، إلا رددته علينا. فقال المسلمون: رسول الله وإن كذبتهموني، اكتب: محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل: والله الله فقال سهيل: فوالله لو نعلم أنك رسول الله، ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم ثم قال: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: فبينما هو يكلمه، إذ جاء سهيل بن عمرو، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سهل لكم من أمركم فقال: هات، اكتب بيننا وبينك كتابا، فدعا الكاتب، آتة، فقالوا: انتة، فلما أشرف عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر فجعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا عن البيت فقام مكرز بن حفص، وقال: دعوني رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثوها فاستقبله القوم يلبن، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله، لا إليه النظر تعظيما له، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتة، فقالوا: انتة. فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم، قال في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون لقد وفدت على الملوك، على كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد، والله ما تنخم نخامة إلا وقعت أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر، تعظيما له. فخرج عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله صلى الله عليه وسلم، فوالله إن تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها جلده ووجهه. وإذا أمرهم ابتدروا إلى أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول

تفسير السعدي

وسلم، فرجع عروة رأسه، وقال: من ذا؟ قال: المغيرة بن شعبه، فقال: أي: غدر، أولست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم وأخذ السيف، وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم، ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندي لم أجزك بها، لأجبتك. وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبه على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه الناس، خليفا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت عروة عند ذلك: أي: محمد، رأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فوالله إني لأرى وجوها، وأرى أوباشا من إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها، ودعوني آتة، فقالوا: انتة، فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل، فقال له عليكم، فقال سقهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي: منهم: هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فقال عروة بن مسعود الثقفي: أو لينفذن الله أمره قال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشا، فقال: إني قد جئتمكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولاً، فإن شئتم عرضته الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلاوا، وإلا فقد جموا، وإن أبوا إلا القتال، فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، الله صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجى لقتال أحد، ولكن جننا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم، فإن شاءوا أمادهم ويخلوا بيني وبين من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلون، وصادوك عن البيت. قال رسول في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم. فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معقل بن يسار، أخذ بغصنها يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أول من بايعه، أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، عليه وسلم، كان أعلمنا بالله، وأحسننا ظنا. وكان عمر أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم إلا الجد ابن قيس، بالحديبية، ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد دعيتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما طفت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت، فقال: بنسما ظننتم بي، والذي نفسي بيده، لو مكثت بها سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم، مقيم تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه، وقال: هذه عن عثمان ولما تمت البيعة، رجع عثمان، فقال من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل، فدعا إلى البيعة. فثار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أمر الصلح، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد محصورون فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: ذاك ظني به، أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه واختلط المسلمون بالمشركين جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أظنه طاف بالبيت ونحن قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك. وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، فأجاره، وأردفه أبان حتى على قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ونخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جننا عمارا، بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق عثمان، فمر الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش، وقال: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، إنما جننا عمارا، وادعهم إلى الإسلام وأمره أن يأتي رجالا لبيعته إليهم، فقال: يا رسول الله، ليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لي، إن أوديت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت. فدعا رسول لهم بالري حتى صدروا عنها، وفزعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلا من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش. فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوها فيه، قال: فوالله ما زال يجيش خطة يعظمون فيها حرماوات الله إلا أعطيتموها ثم زجرها، فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية، على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا، القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال: والذي نفسي بيده، لا يسألوني يركض نذيرا لقريش. وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت صلى الله عليه وسلم: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد، حتى إذا هو بغيرة الجيش، فانطلق نجى لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فروحوا إذا فراحوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي موتورين محزونين، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت؟ فمن صدنا عنه قاتلناه؟ قال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جننا معتمرين، ولم وهم مقاتلون وصادوك عن البيت. واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه: أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا يديه من خزاعة، يخبره عن قريش، حتى إذا كانوا قريبا من عسفان، أتاه عينه، فقال: إني قد تركت كعب بن لؤي، قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعا، الحديث بعينه، أنهم كانوا ألفا وأربعمائة. فصل فلما كانوا بذي الحليفة، قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث عينا له بين على ما قاله هذا القائل، فإنه قد صرح بأن البدنة كانت في هذه الغزوة عن سبعة، فلو كانت السبعون عن جميعهم، لكانوا أربعمائة وتسعين رجلا، وقد قال بتمام ألفا وأربعمائة، وغلط غلطا بينا من قال: كانوا سبعمائة، وعذره أنهم نحروا يومئذ سبعين بدنة، والبدنة قد جاء إجزاؤها عن سبعة أو عشرة، وهذا لا يدل في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حزن، قال شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة له: كم كنتم؟ قال: ألفا وأربعمائة، بخيلنا ورجلنا، يعني: فارسهم وراجلهم. والقلب إلى هذا أميل، وهو قول البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع،

تفسير السعدي

الله وهم، وهو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة، قلت: وقد صح عن جابر القولان، وصح عنه أنهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، فليل بن المسيب: كم كان الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة، قال: يرحمه ألف وخمسمائة، هكذا في الصحيحين عن جابر، وعنه فيهما: كانوا ألفاً وأربعمائة، وفيهما، عن عبد الله بن أبي أوفى: كنا ألفاً وثلاثمائة، قال قتادة: قلت لسعيد ذي القعدة على الصواب. وفي الصحيحين عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، فذكر منهن عمرة الحديبية، وكان معه الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان. قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقاتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم. وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الهدي النبوي فإن فيها إعانة على فهم هذه السورة، وتكلم على معانيها وأسرارها، قال رحمه الله تعالى: فصل في قصة الحديبية قال نافع: كانت سنة التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة. ولنسق قصة الحديبية بطولها، كما ساقها الإمام شمس الدين ابن القيم في الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا فالصحابة رضي الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، فاستغلظ، ولهذا قال: ليغيب بهم الكفار حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال. وعد الله وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزعر الذي أخرج شطأه، فأزره وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة رضي الله عنهم، هم كالزعر في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، ففوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء. فاستغلظ ذلك الزرع أي: قوي وغلظ فاستوى على سوقه جمع ساق، يعجب الزراع من كماله واستوائه، الله به، مذكور بالتوراة هكذا. وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم كزرع أخرج شطأه فأزره أي: أخرج فراخه، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم. ذلك المذكور مثلهم في التوراة أي: هذا وصفهم الذي وصفهم أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه. سيماهم في وجوههم من أثر السجود أي: قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم، مع الخالق فإنك تراهم ركعا سجدا أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود. يبتغون بتلك العبادة فضلا من الله ورضوانا المسلمون، رحماء بينهم أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم الكفار أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدّة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم يخبر تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم أشداء على بل يحصل الانتصار التام، وقمع الكافرين، وذلمهم ونقصهم، مع توفر قوى المسلمين ونموهم، ونمو أموالهم. ثم ذكر آثار هذا الفتح على المؤمنين فقال: 3 وينصرك الله نصرا عزيزا أي: قويا لا يتضعضع فيه الإسلام، المشركون أن الله لا ينصر دينه ونبيه، ولكنه تعالى عليم حكيم، فتقتضي حكمته المداولة بين الناس في الأيام، وتأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر. 4 عليها ووطنوا أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيمانا مع إيمانهم. وقوله: ولله جنود السماوات والأرض أي: جميعها في ملكه، وتحت تدبيره وقهره، فلا يظن الله صلى الله عليه وسلم والمشركين، من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، وحط من أقدارهم، وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس، فلما صبروا ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه، فالصحابة رضي الله عنهم لما جرى ما جرى بين رسول القلوب، وتزعج الأبواب، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبت على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب يخبر تعالى عن منته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش ويزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات. وكان ذلك الجزاء المذكور للمؤمنين عند الله فوزا عظيما فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين. 5 جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين، أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات، ليدخل المؤمنين والمؤمنات الدنيا، وغضب الله عليهم بما اقترفوه من المحادة لله ولرسوله، ولعنهم أي: أبعدهم وأقصاهم عن رحمته وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا 6 بالله الظن السوء، أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وأن أهل الباطل، ستكون لهم الدائرة على أهل الحق، فأدار الله عليهم ظنهم، وكانت دائرة السوء عليهم في وأما المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، فإن الله يعذبهم بذلك، ويربهم ما يسوءهم؛ حيث كان مقصودهم خذلان المؤمنين، وظنوا الغالبون وكان الله عزيزا أي: قويا غالبا، قاهرا لكل شيء، ومع عزته وقوته فهو حكيم في خلقه وتدبيره، يجري على ما تقتضيه حكمته وإتقانه. 7 بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهما من الجنود، ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المنزل، وأنه سينصر جنوده المنسوبة إليه، كما قال تعالى: وإن جندنا لهم ككر الإخبار العاجل والآجل، ومن تمام البشارة والندارة، بيان الأعمال والأخلاق التي يبشر بها وينذر، فهو المبين للخير والشر، والسعادة والشقاوة، والحق من الباطل. 8 لله تعالى بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه، ومبشرا من أطاعك وأطاع الله بالثواب الديني والديني والأخروي، ومنذرا من عصى الله بالعقاب أي: إنا أرسلناك أيها الرسول الكريم شاهدا لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهدا على المقالات والمسائل، حقها وباطلها، وشاهدا

تفسير السعدي

بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقدیس بصلاة أو غيرها. 9
بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة بربابكم، وتسبحوه أي: تسبحوا لله بكرة وأصيلا أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك
بالله ورسوله، المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور. وتعزروه وتوقروه أي: تعزروا الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا
لتؤمنوا بالله ورسوله أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان

سورة 49

بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقواه حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال 1
الأوقات، في خفي المواضع والجهات، عليم بالظواهر والبواطن، والسوابق واللاحق، والواجبات والمستحيلات والممكنات وفي ذكر الاسمين الكريمين
الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله. وقوله: إن الله سمیع أي: لجميع الأصوات في جميع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان ثم أمر الله بتقواه عموما، وهي كما قال طلق بن حبيب: أن تعمل بطاعة
وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صلى الله عليه وسلم، على قوله، فإنه متى استبان
بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمر، حتى يأمر، فإن هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه،
امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في جميع أمورهم، وأن لا يتقدموا
مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من
هذا متضمن للأدب،

وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه لا يجوز ذلك، وأن أموالهم معصومة، لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم. 10
وعلى وجوب الإصلاح، بين المؤمنين بالعدل، وعلى وجوب قتال البغاة، حتى يرجعوا إلى أمر الله، وعلى أنهم لو رجعوا، لغير أمر الله، بأن رجعوا على
من أكبر الكبائر، وأن الإيمان، والأخوة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة،
القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة. وفي هاتين الآيتين من الفوائد، غير ما تقدم: أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا، كان
ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة فقال: لعلكم ترحمون وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم
إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها وتدابرها، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شأنهم. ثم أمر بالتقوى عموما،
أمر الله ورسوله، بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادة، والتواصل بينهم، كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك،
يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه. ولقد
وسلم أمرا بحقوق الأخوة الإيمانية: لا تحاسدوا، ولا تاجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبيع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المؤمن أخو المؤمن، لا
واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه
إنما المؤمنون إخوة هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله،
والمدح له مقابلة على ذمه. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح، ولا ثم قسم ثالث غيرهما. 11
بالألقاب. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فهذا هو الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله، والاستغفار،
الفسوق بعد الإيمان أي: بنسما تبدلت عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنازع
تنازعوا بالألقاب أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنازع، وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا. بنس الاسم
الأخ المؤمن نفسا لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهزمه، فيكون هو المتسبب لذلك. ولا
أي: لا يعب بعضكم على بعض، واللمز: بالقول، والهمز: بالفعل، وكلاهما منهي عنه حرام، متوعد عليه بالنار. كما قال تعالى: ويل لكل همزة لمزة الآية، وسمي
الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم ثم قال: ولا تلمزوا أنفسكم
دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ
من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن لا يسخر قوم من قوم بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو
وهذا أيضا،

وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر. 12
حيا. واتقوا الله إن الله تواب رحيم والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم،
ميتا، المكروه للنفس غاية الكراهة، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمة، وخصوصا إذا كان ميتا، فاقد الروح، فكذلك، فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمة
عليه وسلم: ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه ثم ذكر مثلا منفرا عن الغيبة، فقال: أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه شبه أكل لحمة

تفسير السعدي

واتركوا المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي. ولا يغتبط بعضكم بعضا والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه. ولا تجسسوا أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، الذي يقتدر به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين، ف إن بعض الظن إثم وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء،

ظاهرا لا باطنا، فيجزي كلاً، بما يستحق. وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل ذلك. 13 وانكافا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوما، ولا أشرفهم نسبا، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرا وباطنا، ممن يقوم بذلك، وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبا إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجلا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبا وقبائل أي: قبائل صغارا وكبارا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأُنثى، ويرجعون جميعهم

بل يوفيكهم إياها، أكمل ما تكون لا تفقدون منها، صغيرا، ولا كبيرا، إن الله غفور رحيم أي: غفور لمن تاب إليه وأتاب، رحيم به، حيث قبل توبته. 14 بالإيمان الحقيقي، والجهد في سبيل الله، وإن تطيعوا الله ورسوله بفعل خير، أو ترك شر لا يلتكم من أعمالكم شيئا أي: لا ينقصكم منها، مثقال ذرة، وفي قوله: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم أي: وقت هذا الكلام، الذي صدر منكم فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيرا منهم، من الله عليهم في ذلك، أنه لما يدخل الإيمان في قلوبكم وإنما آمنتم خوفا، أو رجاء، أو نحو ذلك، مما هو السبب في إيمانكم، فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم، قل لم تؤمنوا أي: لا تدعوا لأنفسكم مقام الإيمان، ظاهرا، وباطنا، كاملا. ولكن قولوا أسلمنا أي: دخلنا في الإسلام، واقتصروا على ذلك. و السبب بما يجب وبقتضيه الإيمان، أنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا أي: إيماننا كاملا، مستوفيا لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام، فأمر الله رسوله، أن يرد عليهم، فقال: يخبر تعالى عن مقالة الأعراب، الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخولا من غير بصيرة، ولا قيام

وليس لدعواه فائدة، فإن الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى. فإثباته ونفيه، من باب تعليم الله بما في القلب، وهذا سوء أدب، وظن بالله. 15 السعادة، والفوز الأبدي، والفلاح السرمدى، فمن ادعاه، وقام بواجباته، ولوازمه، فهو الصادق المؤمن حقا، ومن لم يكن كذلك، علم أنه ليس بصادق في دعواه، صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة، فإن الصدق، دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة وبرهان، وأعظم ذلك، دعوى الإيمان، الذي هو مدار وهو الشك، لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني، بما أمر الله بالإيمان به، الذي لا يعتريه شك، بوجه من الوجوه. وقوله: أولئك هم الصادقون أي: الذين بشرائعهم، فجهاده لنفسه على ذلك، من باب أولى وأحرى؛ ولأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك، دليل على ضعف إيمانه، وشرط تعالى في الإيمان عدم الريب، الله أي: من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار، دل ذلك، على الإيمان التام في القلب، لأن من جاهد غيره على الإسلام، والقيام إنما المؤمنون أي: على الحقيقة الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

كلها، التي من جملتها، ما في القلوب من الإيمان والكفران، والبر والفجور، فإنه تعالى، يعلم ذلك كله، ويجازي عليه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 16 قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم وهذا شامل للأشياء أعظم من كل شيء، ولهذا قال تعالى: يمتنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين . 17 به فإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنتهم عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنتهم عليهم بالإيمان، وأنهم قد بذلوا له وتبرعوا بما ليس من مصالحهم، بل هو من حظوظه الدنيوية، وهذا تجمل بما لا يجمل، وفخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله أحوال من ادعى لنفسه الإيمان، وليس به، فإنه إما أن يكون ذلك تعليما لله، وقد علم أنه عالم بكل شيء، وإما أن يكون قصدهم بهذا الكلام، المنة على رسوله، هذه حالة من

رحمته الواسعة، وحكمته البالغة. ثم تفسير سورة الحجر اتبعون الله ومنه وجوده وكرمه، فلك اللهم من الحمد أكمله وأتمه، ومن الجود أفضله وأعمه 18 في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين والله بصير بما تعملون يحصي عليكم أعمالكم، ويوفيكهم إياها، ويجازيكم عليها بما تقتضيه ومهامه القفار، وما جنة الليل أو وراه النهار، يعلم قطرات الأمطار، وحبات الرمال، ومكنونات الصدور، وخبايا الأمور. وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة إن الله يعلم غيب السماوات والأرض أي: الأمور الخفية فيها، التي تخفى على الخلق، كالذي في لجج البحار،

إلا به، فإن في عدم القيام بذلك، محذورا، وخشية أن يحبط عمل العبد وهو لا يشعر، كما أن الأدب معه، من أسباب حصول الثواب وقبول الأعمال. 2 وإعظام، ولا يكون الرسول كأحد، بل يميزوه في خطابهم، كما تميز عن غيره، في وجوب حقه على الأمة، ووجوب الإيمان به، والحب الذي لا يتم الإيمان عليه وسلم، في خطابه، أي: لا يرفع المخاطب له، صوته معه، فوق صوته، ولا يجهر له بالقول، بل يفيض الصوت، ويخاطبه بأدب ولين، وتعظيم وتكريم، وإجلال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول وهذا أدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أمر الله، واتبع رضاه، وسارع إلى ذلك، وقدمه على هواه، تمحض وتمحس للتقوى، وصار قلبه صالحا لها ومن لم يكن كذلك، علم أنه لا يصلح للتقوى. 3

تفسير السعدي

- العظيم، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى، وفي الأجر العظيم وجود المحبوب وفي هذا، دليل على أن الله يمتحن القلوب، بالأمر والنهي والمحن، فمن لازم قلوبهم للتقوى، أي: ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلحت قلوبهم للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم، المتضمنة لزوال الشر والمكروه، والأجر ثم مدح من غض صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن الله امتحن
- يا محمد، أي: أخرج إلينا، فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب. 4
- الله على رسوله، قدموا وافدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد نزلت هذه الآيات الكريمة، في أناس من الأعراب، الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل
- لكان خيرا لهم والله غفور رحيم أي: غفور لما صدر عن عباده من الذنوب، والإخلال بالآداب، رحيم بهم، حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات والمثلثات. 5
- فأدب العبد، عنوان عقله، وأن الله مريد به الخير، ولهذا قال: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم
- وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فاسقا. 6
- التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردا، فإن في ذلك خطرا كبيرا، ووقوعا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر وهذا أيضا، من الآداب التي على أولي الأبواب، التأدب بها واستعمالها،
- والذنوب ذنبهم، فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفندتهم. 7
- صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم. وضدهم الغاؤون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان، من الكراهة في القلوب له أولئك أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان هم الراشدون أي: الذين دون ذلك من الذنوب بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله، وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساد، وعدم قبول الفطر له، وبما يجعله الله الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإجابة إليه، ويكره إليكم الكفر والفسوق، أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما يرشدكم، والله تعالى يحب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة بكم الخير وينصح لكم، وتريدون لأنفسكم من الشر والمضرة، ما لا يوافقكم الرسول عليه، ولو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأغنتكم، ولكن الرسول أي: ليكن لديكم معلوما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين أظهركم، وهو الرسول الكريم، البار، الراشد، الذي يريد
- لا بحولهم وقوتهم. والله عليم حكيم أي: عليم بمن يشكر النعمة، فيوفقه لها، ممن لا يشكرها، ولا تليق به، فيضع فضله، حيث تقتضيه حكمته. 8
- فضلا من الله ونعمة أي: ذلك الخير الذي حصل لهم، هو بفضل الله عليهم وإحسانه،
- في أهله، وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا 9
- العدول عن العدل، إن الله يحب المقسطين أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل والحيث على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعى أحدهما، لقاربة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب أعظمه، الاقتتال، وقوله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح، قد يوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم ونعمت، وإن بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله أي: ترجع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير وترك الشر، الذي من من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا، فيها هذا متضمن لتهي المؤمنين، عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاثل بعضهم بعضا، وأنه إذا اقتتل طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم

سورة 50

- حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتباعه، وسرعة الانقياد له، وشكر الله على المنة به. 1
- الوجوه كثير البركات، جزيل المبرات. والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام يوصف بهذا، هذا القرآن، الذي قد احتوى على علوم الأولين والآخرين، الذي يقسم تعالى بالقرآن المجيد أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير
- إلا له تعالى. وما فيها من إحياء الأرض بعد موتها، دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج 10
- دليل على أن الله تعالى، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه الذي لا تبغي العبادة، والذل والحب عليم، وما فيها من المنافع والمصالح للعباد، دليل على رحمة الله، التي وسعت كل شيء، وجوده، الذي عم كل حي، وما فيها من عظم الخلقة، وبديع النظام، والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء

تفسير السعدي

وحاصل هذا، أن ما فيها من الخلق الباهر،

بهذه الآيات السماوية والأرضية، خوفهم أخذات الأمم، وألا يستمروا على ما هم عليه من التكذيب، فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين، فقال: 11
له تعالى. وما فيها من إحياء الأرض بعد موتها، دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ولما ذكرهم
دليل على أن الله تعالى، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه الذي لا تنبغي العبادة، والذل والحب إلا
عليه، وما فيها من المنافع والمصالح للعباد، دليل على رحمة الله، التي وسعت كل شيء، وجوده، الذي عم كل حي، وما فيها من عظم الخلقة، وبديع النظام،
والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء
وحاصل هذا، أن ما فيها من الخلق الباهر،

أي: كذب الذين من قبلهم من الأمم، رسلهم الكرام، وأنبياءهم العظام، ك نوح كذبه قومه، وثمود كذبوا صالحا 12

وعاد، كذبوا هودا وإخوان لوط كذبوا لوطا 13

ولستم أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم، خيرا منهم، ولا رسلهم أكرم على الله من رسولكم، فاحذروا جرمهم، لئلا يصيبكم ما أصابهم. 14
الذين لا تخفى ماجرياتهم على العرب خصوصا مثل هذه الحادثة العظيمة. فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل، الذين أرسلهم الله إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعقوبته،
الرسول، الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول، وأي تبع من التبابعة، لأنه والله أعلم كان مشهورا عند العرب لكونهم من العرب العرباء،
وأصحاب الأيكة كذبوا شعبيا وقوم تبع، وتبع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام فقوم تبع كذبوا

فيه، والتبس عليهم أمره، مع أنه لا محل للبس فيه، لأن الإعادة، أهون من الابتداء كما قال تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه 15
وضعت قدرتنا بالخلق الأول ؟ ليس الأمر كذلك، فلم نعجز ونعي عن ذلك، وليسوا في شك من ذلك، وإنما هم في لبس من خلق جديد هذا الذي شكوا
الآخر، وهو النشأة الآخرة. فكما أنه الذي أوجدهم بعد العدم، كذلك يعيدهم بعد موتهم وصيرورتهم إلى الرفات والرمم، فقال: أفعيينا أي: أفعجزنا
ثم استدل تعالى بالخلق الأول وهو المنشأ الأول على الخلق

وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوفرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين. 16
وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه، حيث نهاه، أو يفقده، حيث أمره،
وإناتهم، وأنه يعلم أحواله، وما يسره، ويؤسوس في صدره وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق المكتنف لثغرة النحر،
يخبر تعالى، أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم

واحد عن اليمين يكتب الحسنات و الآخر عن الشمال يكتب السيئات، وكل منهما قعيد بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له، ملازم له 17

إذ يتلقى المتلقيان أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها،

من قول خير أو شر إلا لديه رقيب عتيد أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال تعالى: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون 18
ما يلفظ

أي وجاءت هذا الغافل المكذب بآيات الله سكرة الموت بالحق الذي لا مرد له ولا مناص، ذلك ما كنت منه تحيد أي: تتأخر وتتقص عنه. 19
من هذه حاله ؟ وهل تعجبه، إلا دليل على زيادة وظلمه وجهله ؟ وإما أن يكونوا متعجبين، على وجه يعلمون خطأهم فيه، فهذا من أعظم الظلم وأشنعه. 2
يستغرب كلام العاقل، وبمنزلة الجبان الذي يتعجب من لقاء الفارس للفرسان، وبمنزلة البخيل، الذي يستغرب سخاء أهل السخاء، فأى ضرر يلحق من تعجب
أي: مستغرب، وهم في هذا الاستغراب بين أمرين: إما صادقون في استغرابهم وتعجبهم، فهذا يدل على غاية جهلهم، وضعف عقولهم، بمنزلة المجنون، الذي
لهم التعجب منه، بل يتعجب من عقل من تعجب منه. فقال الكافرون الذين حملهم كفرهم وتكذيبهم، لا نقص بذكائهم وأرائهم هذا شيء عجيب
أن جاءهم منذر منهم أي: ينذرهم ما يضرهم، ويأمرهم بما ينفعهم، وهو من جنسهم، يمكنهم التلقي عنه، ومعرفة أحواله وصدقه. فتعجبوا من أمر، لا ينبغي
ولكن أكثر الناس، لا يقدر نعم الله قدرها، ولهذا قال تعالى: بل عجبوا أي: المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم،

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد أي: اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب، والمؤمنين ما وعدهم به من الثواب. 20

وهذا يدل على اعتناء الله بالعباد، وحفظه لأعمالهم، ومجازاته لهم بالعدل، فهذا الأمر، مما يجب أن يجعله العبد منه على بال، ولكن أكثر الناس غافلون. 21
وجاءت كل نفس معها سائق يسوقها إلى موقف القيامة، فلا يمكنها أن تتأخر عنه، وشهيد يشهد عليها بأعمالها، خيرها وشرها،

وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط، ولا يستدرك الفائت، وهذا كله تخويف من الله للعباد، وترهيب، بذكر ما يكون على المكذبين، في ذلك اليوم العظيم. 22
ويروعه، من أنواع العذاب والنكال. أو هذا خطاب من الله للعبد، فإنه في الدنيا، في غفلة عما خلق له، ولكنه يوم القيامة، ينتبه ويزول عنه وسنه، ولكنه في
لقد كنت مكذبا بهذا، تاركا للعمل له فالآن كشفنا عنك غطاءك الذي غطى قلبك، فكثير نومك، واستمر إعراضك، فبصرك اليوم حديد ينظر ما يزعجه
لقد كنت في غفلة من هذا أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام، توبيخا، ولوما وتعنيفا أي:

تفسير السعدي

- أعماله، فيحضره يوم القيامة ويحضر أعماله ويقول: هذا ما لدي عتيد أي: قد أحضرت ما جعلت عليه، من حفظه، وحفظ عمله، فيجازي بعمله. 23
- يقول تعالى: وقال قرينه أي: قرين هذا المكذب المعرض، من الملائكة، الذين وكلهم الله على حفظه، وحفظ
- ويقال لمن استحق النار: ألقيا في جهنم كل كفار عنيد أي: كثير الكفر والعناد لآيات الله، المكتر من المعاصي، المجترئ على المحارم والمآثم. 24
- مريب أي: شاك في وعد الله ووعيده، فلا إيمان ولا إحسان ولكن وصفه الكفر والعدوان، والشك والريب، والشح، واتخاذ الآلهة من دون الرحمن. 25
- مناع للخير أي: يمنع الخير الذي عنده الذي أعظمه، الإيمان بالله وملائكته وتبه، ورسله مناع، لنفع ماله وبدنه، معتد على عباد الله، وعلى حدوده
- لا يملك لنفسه نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً، فألقياه أيها الملكان القرينان في العذاب الشديد الذي هو معظمها وأشدّها وأشنعها. 26
- الذي جعل مع الله إلهاً آخر أي: عبد معه غيره، ممن
- الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم الآية 27
- عليه سلطان، ولا حجة ولا برهان، ولكن كان في الضلال البعيد، فهو الذي ضل وأبعد عن الحق باختياريه، كما قال في الآية الأخرى: وقال الشيطان لما قضي
- قال قرينه الشيطان، متبرئاً منه، حاملاً عليه إثمه: ربنا ما أطغيته لأنني لم يكن لي
- البينات، والحجج الواضحات، والبراهين الساطعات، فقامت عليكم حجتِي، وانقطعت حجتكم، وقدمتم علي بما أسلفتم من الأعمال التي وجب جزاؤها. 28
- تعالى مجيباً لاختصاصهم: لا تختصموا لدي أي: لا فائدة في اختصاصكم عندي، و الحال أني قد قدمت إليكم بالوعيد أي: جاءكم رسلي بالآيات
- قال الله
- لا أصدق من الله قِيلاً، ولا أصدق حديثاً. وما أنا بظلام للعبيد بل أجزيهم بما عملوا من خير وشر، فلا يزداد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم. 29
- ما يبدل القول لدي أي: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله وأخبر به، لأنه
- من هو على كل شيء قدير، الكامل من كل وجه، بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه، وقاسوا الجاهل، الذي لا علم له، بمن هو بكل شيء عليم. 3
- ثم ذكر وجه تعجبهم فقال: أنذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد فقاوسا قدرة
- والناس أجمعين حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه، فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط قط، قد اكتفيت وامتألت. 30
- من مزيد أي: لا تزال تطلب الزيادة، من المجرمين العاصين، غضباً لربها، وغيظاً على الكافرين. وقد وعدوا الله مألهاً، كما قال تعالى لأملأن جهنم من الجنة
- يقول تعالى، مخوفاً لعباده: يوم نقول لجهنم هل امتألت وذلك من كثرة ما ألقى فيها، وتقول هل
- من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، وإنما أزلت وقربت، لأجل المتقين لربهم، التاركين للشرك، صغيره وكبيره، الممثلين لأوامر ربهم، المنقادين له. 31
- وأزلت الجنة أي: قربت بحيث تشاهد وينظر ما فيها،
- به، ودعائه، وخوفه، ورجائه. حفيظ أي: يحافظ على ما أمر الله به، بامتثاله على وجه الإخلاص والإكمال له، على أكمل الوجوه، حفيظ لحدوده. 32
- حفيظ أي: هذه الجنة وما فيها، مما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، هي التي وعد الله كل أواب أي: رجع إلى الله، في جميع الأوقات، بذكره وحبه، والاستعانة
- ويقال لهم على وجه التهنية: هذا ما توعدون لكل أواب
- لا اختارياً حيث يعاين العذاب وتأتي آيات الله وهذا هو الظاهر وجاء بقلب منيب أي: وصفه الإنابة إلى مولاه، وانجذاب دواعيه إلى مرضاه. 33
- خشية الله في الغيب والشهادة ويحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب وأن هذا مقابل للشهادة حيث يكون الإيمان والخشية ضرورياً
- أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم، فقد تكون رياء وسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية النافعة،
- من خشية الرحمن أي: خافه على وجه المعرفة بربه، والرجاء لرحمته ولازم على خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن
- مأمونا فيه جميع مكاره الأمور، فلا انقطاع لنعيمهم، ولا كدر ولا تنغيص، ذلك يوم الخلود الذي لا زوال له ولا موت، ولا شيء من المكدرات. 34
- ويقال لهؤلاء الأتقياء الأبرار: ادخلوها بسلام أي: دخولاً مقروناً بالسلامة من الآفات والشورور،
- ولا خطر على قلب بشر، وأعظم ذلك، وأجله، وأفضله، النظر إلى وجه الله الكريم، والتمتع بسماع كلامه، والتنعيم بقربه، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم. 35
- يشاءون فيها أي: كل ما تعلق به مشيئتهم، فهو حاصل فيها ولهم فوق ذلك مزيد أي: ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت،
- لهم ما
- الأيام، والعذاب الشديد، ف هل من محيص أي: لا مفر لهم من عذاب الله، حين نزل بهم، ولا منقذ، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا أموالهم، ولا أولادهم. 36
- الحصون المنبئة والمنازل الرفيعة، وغرسوا الأشجار، وأجروا الأنهار، وزرعوا، وعمروا، ودمروا، فلما كذبوا رسل الله، وجحدوا آيات الله، أخذهم الله بالعقاب
- المكذبين للرسول: وكم أهلكنا قبلهم من قرن أي: أمما كثيرة هم أشد من هؤلاء بطشاً أي: قوة وآثارا في الأرض. ولهذا قال: فنقبوا في البلاد أي: بنوا
- يقول تعالى مخوفاً للمشركين
- وشفاء وهدي. وأما المعرض، الذي لم يلق سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيده شيئاً، لأنه لا قبول عنده، ولا تقتضي حكمة الله هداية من هذا وصفه ونعته. 37

تفسير السعدي

الله، تذكر بها، وانتفع، فارتفع وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها، استماعا يسترشد به، وقلبه شهيد أي: حاضر، فهذا له أيضا ذكرى وموعظة، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي: قلب عظيم حي، ذكي، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات

يوم الجمعة، من غير تعب، ولا نصب، ولا لغوب، ولا إعياء، فالذي أوجدها على كبرها وعظمتها قادر على إحياء الموتى، من باب أولى وأحرى. 38
منه تعالى عن قدرته العظيمة، ومشينته النافذة، التي أوجد بها أعظم المخلوقات السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها وهذا إخبار

فأصبر على ما يقولون من الذم لك والتكذيب بما جنت به، واشتغل عنهم واله بطاعة ربك وتسبيحه، أول النهار وآخره 39
التغيير والتبديل، كل ما يجري عليهم في حياتهم، ومماتهم، وهذا الاستدلال، بكمال علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا هو، على قدرته على إحياء الموتى. 4
الذي يعلم ما تنقص الأرض من أجسادهم مدة مقامهم في برزخهم، وقد أحصى في كتابه الذي هو عنده محفوظ عن وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإن ذكر الله تعالى، مسل للنفس، مؤنس لها، مهون للصبر. 40

أي: واستمع بقلبك نداء المنادي وهو إسرافيل عليه السلام، حين ينفخ في الصور من مكان قريب من الخلق 41
يسمعون تلك الصيحة المزعجة المهولة بالحق الذي لا شك فيه ولا امتراء. ذلك يوم الخروج من القبور، الذي انفرد به القادر على كل شيء. 42
يوم يسمعون الصيحة أي: كل الخلائق

يسمعون تلك الصيحة المزعجة المهولة بالحق الذي لا شك فيه ولا امتراء. ذلك يوم الخروج من القبور، الذي انفرد به القادر على كل شيء. 43
يوم يسمعون الصيحة أي: كل الخلائق
عن الأموات سراعا أي: يسرعون لإجابة الداعي لهم، إلى موقف القيامة، ذلك حشر علينا يسير أي: هين على الله يسير لا تعب فيه ولا كلفة. 44
يوم تشقق الأرض عنهم أي:

به، فهذا فائدة تذكيره، إقامة الحجة عليه، لئلا يقول: ما جاءنا من بشير ولا نذير آخر تفسير سورة ق والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا 45
في العقول والفطر، من محبة الخير وإيثاره، وفعله، ومن بغض الشر ومجانبته، وإنما يتذكر بالتذكير، من يخاف وعيد الله، وأما من لم يخف الوعيد، ولم يؤمن وما أنت عليهم بجبار أي: مسلط عليهم إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ولهذا قال: فذكر بالقرآن من يخاف وعيد والتذكير، هو تذكير ما تقرر لك على أعدائك، فليفرح قلبك، ولتطمئن نفسك، ولتعلم أننا أرحم بك وأرف، من نفسك، فلم يبق لك إلا انتظار وعد الله، والتأسي بأولي العزم، من رسل الله، نحن أعلم بما يقولون لك، مما يحزنك، من الأذى، وإذا كنا أعلم بذلك، فقد علمت كيف اعتناؤنا بك، وتيسيرنا لأمرنا، ونصرنا

لا يدري له وجهة ولا قرار، فترى أموره متناقضة مؤتفكة كما أن من اتبع الحق وصدق به، قد استقام أمره، واعتدل سبيله، وصدق فعله قيله. 5
إنك ساحر، وتارة مجنون، وتارة شاعر، وكذلك جعلوا القرآن عضيي، كل قال فيه، ما اقتضاه رأيه الفاسد، وهكذا، كل من كذب بالحق، فإنه في أمر مختلط، للحق الذي هو أعلى أنواع الصدق لما جاءهم فهم في أمر مريج أي: مختلط مشتبه، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار، فتارة يقولون عنك: أي: بل كلامهم الذي صدر منهم، إنما هو عناد وتكذيب

غاية الحسن والملاحة، لا ترى فيها عيبا، ولا فروجا، ولا خلالا، ولا إخلالا. قد جعلها الله سقفا لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع. 6
في غاية السهولة، فينظرون كيف بنيها قبة مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، مزينة بالنجوم الخنس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في الأفقية، كي يعتبروا، ويستدلوا بها، على ما جعلت أدلة عليه فقال: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم أي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة وشد رحل، بل هو لما ذكر تعالى حالة المكذبين، وما ذمهم به، دعاهم إلى النظر في آياته

بالمطر، وما هو أثره من الأنهار، التي على وجه الأرض، والتي تحتها من حب الحصيد، أي: من الزرع المحصود، من بر وشعير، وذرة، وأرز، ودخن وغيره. 7
يبلغه كثير من الأشجار، فتخرج من الطلع النضيد، في قنوانها، ما هو رزق للعباد، قوتا وأدما وفاكة، يأكلون منه ويدخرون، هم ومواسيهم وكذلك ما يخرج الله العنب والرمان والأترج والتفاح، وغير ذلك، من أصناف الفواكه، ومن النخيل الباسقات، أي: الطوال، التي يطول نفعها، وترتفع إلى السماء، حتى تبلغ مبلغا، لا ناظرها، وتعجب مبصرها، وتقر عين راميها، لأكل بني آدم، وأكل بهائمهم ومنافعهم، وخص من تلك المنافع بالذكر، الجنات المشتملة على الفواكه اللذيذة، من والاستعداد لجميع مصالحه، وأرأسها بالجبال، لتستقر من التزلزل، والتموج، وأنبئت فيها من كل زوج بهيج أي: من كل صنف من أصناف النبات، التي تسر و إلى الأرض كيف مددناها ووسعناها، حتى أمكن كل حيوان السكون فيها والاستقرار

لكل عبد منيب إلى الله أي: مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء، وإجابة داعيه، وأما المكذب والمعرض، فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون. 8
تبصرة يتبصر بها، من عمى الجهل، وذكرى يتذكر بها، ما ينفع في الدين والدنيا، ويتذكر بها ما أخبر الله به، وأخبرت به رسله، وليس ذلك لكل أحد، بل فإن في النظر في هذه الأشياء

إلا له تعالى. وما فيها من إحياء الأرض بعد موتها، دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج 9

تفسير السعدي

دليل على أن الله تعالى، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه الذي لا تنبغي العبادة، والذل والحب عليهم، وما فيها من المنافع والمصالح للعباد، دليل على رحمة الله، التي وسعت كل شيء، وجوده، الذي عم كل حي، وما فيها من عظم الخلقة، وبديع النظام، والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء وحاصل هذا، أن ما فيها من الخلق الباهر،

سورة 51

به المكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون. والمراد بالذاريات: هي الرياح التي تذر، في هبوبها ذروا بلينها، ولطفها، ولطفها وقوتها، وإزعاجها. 1
الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ما له من دافع، فإذا أخبر به الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأدلة والبراهين عليه، فلم يكذب هذا قسم من الله الصادق في قيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع، ما جعل على أن وعده صدق، وأن الدين قتل الخراصون أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون. 10
يقول تعالى:

الذين هم في غمرة أي: في لجة من الكفر، والجهل، والضلال، ساهون 11

يسألون على وجه الشك والتكذيب أيان يبعثون أي: متى يبعثون، مستبشرين لذلك، فلا تسأل عن حالهم وسوء مآلهم 12

يوم هم على النار يفتنون أي: يعذبون بسبب ما انطوا عليه من خبث الباطن والظاهر. 13

هذا العذاب، الذي وصلت إليه، هو الذي كنتم به تستعجلون فالآن، تمتعوا بأنواع العقاب والنكال والسلاسل والأغلال، والسخط والوبال. 14
ويقال لهم: ذوقوا فنتنتكم أي: العذاب والنار، الذي هو أثر ما افتتنوا به، من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر، والضلال،

العيون إلى مثله، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على قلوب العباد وعيون سارحة، تشرب منها تلك البساتين، ويشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيروا. 15
وطاعة الله دنائهم، في جنات مشتملات على جميع أصناف الأشجار، والفواكه، التي يوجد لها نظير في الدنيا، والتي لا يوجد لها نظير، مما لم تنظر يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين وأعمالهم، التي أوصلتهم إلى ذلك الجزاء: إن المتقين أي: الذين كانت التقوى شعارهم،

إلى الممالك، والبهائم المملوكة، وغير المملوكة من أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان. 16
نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو غير ذلك من وجوه الإحسان وطرق الخيرات، حتى إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين، والإحسان لإحسانهم بعبادة ربهم، بأن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم، وللإحسان إلى عباد الله ببذل النفع والإحسان، من مال، أو علم، أو جاه أو الأول، ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله: إنهم كانوا قبل ذلك الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم محسنين وهذا شامل بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر والنواهي، هو أفضل العطايا، التي حقها، أن تتلقى بالشكر لله عليها، والانقياد والمعنى وأنهم أخذوا ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وانشرح الصدر، منقادين لما أمر الله به، بالامتثال على أكمل الوجوه، ولما نهى عنه، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلا، ولا ييغون عنه حولا، وكل قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، ما آتاهم ربهم يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرت به أعينهم، آخذين

من الليل ما يهجعون أي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل، قليلا، وأما أكثر الليل، فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع. 17
كانوا أي: المحسنون قليلا

المذنب لذنبه، وللأستغفار بالأسحار، فضيلة وخصيصة، ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: والمستغفرين بالأسحار 18
التي هي قبيل الفجر هم يستغفرون الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار وبالأسحار

وفي أموالهم حق واجب ومستحب للسائل والمحروم أي: للمحتاجين الذين يطلبون من الناس، والذين لا يطلبون منهم 19

فالحاملات وقرا السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به البلاد والعباد. 2

وأنهار، وأشجار، ونبات تدل المتفكر فيها، المتأمل لمعانيها، على عظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه، بالظواهر والبواطن. 20
يقول تعالى داعيا عباده إلى التفكر والاعتبار: وفي الأرض آيات للموقنين وذلك شامل لنفس الأرض، وما فيها، من جبال وبحار،

كذلك في نفس العبد من العبر والحكمة والرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد، وأنه لم يخلق الخلق سدى. 21

تفسير السعدي

- رزقكم، من الأمطار، وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي، وما توعدون من الجزاء في الدنيا والآخرة، فإنه ينزل من عند الله، كسائر الأقدار. 22 وفي السماء رزقكم أي مادة
- وهو النطق، فقال: فارب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون فكما لا تشكون في نطقكم، فكذلك لا ينبغي الشك في البعث بعد الموت 23 فلما بين الآيات ونبه عليها تنبيهها، ينتبه به الذكي اللبيب، أقسم تعالى على أن وعده وجزاءه حق، وشبه ذلك، بأظهر الأشياء لنا
- المكرمين ونباههم الغريب العجيب، وهم: الملائكة، الذين أرسلهم الله، لإهلاك قوم لوط، وأمرهم بالمرور على إبراهيم، فجاؤوه في صورة أضياف. 24 يقول تعالى: هل أتاك أي: أما جاءك حديث ضيف إبراهيم
- فقالوا سلاما قال مجيبا لهم سلام أي: عليكم قوم منكرون أي: أنتم قوم منكرون، فأحب أن تعرفوني بأنفسكم، ولم يعرفهم إلا بعد ذلك. 25 إذ دخلوا عليه
- ولهذا راغ إلى أهله أي: ذهب سريعا في خفية، ليحضر لهم قراهم، فجاء بعجل سمين 26
- فقربه إليهم وعرض عليهم الأكل، ف قال ألا تأكلون 27
- فأوجس منهم خيفة حين رأى أيديهم لا تصل إليه، قالوا لا تخف وأخبروه بما جاؤوا له وبشروه بغلام عليم وهو: إسحاق عليه السلام. 28
- رحمي للولادة أصلا، فثم مانعان، كل منهما مانع من الولد، وقد ذكرت المانع الثالث في سورة هود بقولها: وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب 29 المخالفة للطبيعة والعادة، وقالت عجوز عقيم أي: أنى لي الولد، وأنا عجوز، قد بلغت من السن، ما لا تلد معه النساء، ومع ذلك، فأنا عقيم، غير صالح
- أقبلت فرحة مستبشرة في صرة أي: صيحة فصكت وجهها وهذا من جنس ما يجري من لنساء عند السرور ونحوه من الأقوال والأفعال فلما سمعت المرأة البشارة
- فالجاريات يسرا النجوم، التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها السماوات، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها. 3
- عجب في قدرة الله تعالى إنه هو الحكيم العليم أي: الذي يضع الأشياء مواضعها، وقد وسع كل شيء علما فسلموا لحكمه، واشكروه على نعمته. 30 قالوا كذلك قال ربك أي: الله الذي قدر ذلك وأمضاه، فلا
- لهم إبراهيم عليه السلام: فما خطبكم أيها المرسلون الآيات، أي: ما شأنكم وما تريدون؟ لأنه استشعر أنهم رسل، أرسلهم الله لبعض الشئون المهمة. 31 قال
- إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين وهم قوم لوط، قد أجرموا، أشركوا بالله، وكذبوا رسولهم، وأتوا الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين. 32 قالوا
- لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين أي: معلمة، على كل حجر منها سمة صاحبه لأنهم أسرفوا، وتجاوزوا الحد 33
- يجادلهم في قوم لوط، لعل الله يدفع عنهم العذاب، فقال الله: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود 34 لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين أي: معلمة، على كل حجر منها سمة صاحبه لأنهم أسرفوا، وتجاوزوا الحد فجعل إبراهيم
- فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهم بيت لوط عليه السلام، إلا امرأته، فإنها من المهلكين. 35
- وهم بيت لوط عليه السلام، إلا امرأته، فإنها من المهلكين. 36
- امرأة إبراهيم، حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها، وصرتها غير المعهودة. ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة، بغلام عليم. 37
- ما يؤمن روعه، ويسكن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: لا تخف وأخبروه بتلك البشارة السارة، بعد الخوف منهم. ومنها: شدة فرح سارة، أو: ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا ونحوه. ومنها: أن من خاف من الإنسان لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له بل أتى بأداة العرض، فقال: ألا تأكلون فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: ألا تأكلون خصوصا، عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضا لطيفا، وقال: ألا تأكلون ولم يقل: كلوا ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: تفضلوا، أو اثنوا إليه لأن هذا أيسر عليهم وأحسن. ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك. ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وكبير من ضيف الضيفان. ومنها: أنه قربه إليهم في عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون. ومنها: ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرا عنده وفي بيته معدا، لا يحتاج إلى أن قرى أضيافه. ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم ولم يقل: أنكرتكم وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفى. ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله ولهذا بادر إبراهيم بإحضار مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة. ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: قوم منكرون وإنما سلكوا طريق الأدب، في الابتداء السلام فرد عليهم إبراهيم سلاما، أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية، دالة على الثبوت والاستمرار. ومنها:

تفسير السعدي

- قولا وفعلًا، ومكرمون أيضا عند الله تعالى. ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته، مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم، ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله هذا النبي وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء. ومنها: وصلت بهم الأحوال. ومنها: فضل إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، حيث ابتدأ الله قصته، بما يدل على الاهتمام بشأنها، والاعتناء بها. ومنها: مشروعية مصدقون. فصل في ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام منها: أن من الحكمة، قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بحالهم وأين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، يعتبرون بها ويعلمون، أن الله شديد العقاب، وأن رسله صادقون، وما أرسله الله به إلى فرعون وملئه، بالآيات البينات، والمعجزات الظاهرات، آية للذين يخافون العذاب الأليم، فلما أتى موسى بذلك السلطان المبين 38 أي: وفي موسى
- وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال موسى لفرعون: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر الآية، 39 شعبذة ليس من الحق في شيء، وإما أن يكون مجنونًا، لا يؤخذ بما صدر منه، لعدم عقله. هذا، وقد علموا، خصوصا فرعون، أن موسى صادق، كما قال تعالى: بركته أي: أعرض بجانبه عن الحق، ولم يلتفت إليه، وقدح فيه أعظم القدح فقالوا: ساحر أو مجنون أي: إن موسى، لا يخلو، إما أن يكون أتى به فتولى فرعون
- تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدر له وما حد ورسم، ولا ينقص منه. 40 فالمقسمات أمرا الملائكة التي
- فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم أي: مذنب طاغ، عات على الله، فأخذه عزيز مقتدر. 40
- أي وفي عاد القليلة المعروفة آية عظيمة إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم أي: التي لا خير فيها، حين كذبوا نبيهم هودا عليه السلام. 41 جعلته كالريميم أي: كالريميم البالية، فالذي أهلكهم على قوتهم وبطشهم، دليل على كمال قوته واقتداره، الذي لا يعجزه شيء، المنتقم ممن عصاه. 42 ما تذر من شيء أنت عليه إلا
- أرسل الله إليهم صالحا عليه السلام، فكذبوه وعاندوه، وبعث الله له الناقة، آية مبصرة، فلم يزداهم ذلك إلا عتوا ونفورا. فليل لهم تمتعوا حتى حين 43 أي وفي ثمود آية عظيمة، حين
- فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة أي: الصيحة العظيمة المهلكة وهم ينظرون إلى عقوبتهم بأعينهم. 44
- فما استطاعوا من قيام ينجون به من العذاب، وما كانوا منتصرين لأنفسهم. 45
- فأرسل الله عليهم السماء والأرض بالماء المنهمر، فأغرقهم الله تعالى عن آخرهم، ولم يبق من الكافرين ديارا، وهذه عادة الله وسنته، فيمن عصاه. 46 أي: وكذلك ما فعل الله بقوم نوح، حين كذبوا نوحا عليه السلام وفسقوا عن أمر الله،
- إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها. فسبحان من عم بجوده جميع المخلوقات، وتبارك الذي وسعت رحمته جميع البريات. 47 لأرجائها وأنعائها، وإنا لموسعون أيضا على عبادنا، بالرزق الذي ما ترك الله دابة في مهامه القفار، ولجج البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل تعالى مبينا لقدرته العظيمة: والسماء بنيانها أي: خلقناها وأتقناها، وجعلناها سقفا للأرض وما عليها. بأيدي أي: بقوة وقدرة عظيمة وإنا لموسعون يقول
- أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها، وأثنى على نفسه بذلك فقال: فنعم الماهدون الذي مهد لعباده ما اقتضته حكمته ورحمته وإحسانه. 48 وسلوك للطرق الموصلة إلى مقاصدهم ومآربهم، ولما كان الفراش، قد يكون صالحا للارتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها والأرض فرشناها أي: جعلناها فراشا للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن، وغراس، وزرع، وحرث وجلوس،
- تقدير ذلك، وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها، فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع. 49 ومن كل شيء خلقنا زوجين أي: صنفين، ذكر وأنثى، من كل نوع من أنواع الحيوانات، لعلكم تذكرون لنعم الله التي أنعم بها عليكم في
- تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدر له وما حد ورسم، ولا ينقص منه. 50 فالمقسمات أمرا الملائكة التي
- فررت منه إلى الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه، إني لكم منه نذير مبين أي: منذر لكم من عذاب الله، ومخوف بين النذارة. 50 المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز، فيفر العبد من قضاؤه وقدره، إلى قضاؤه وقدره، وكل من خفت منه هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله وقد زال عنه المرهوب، وحصل له، نهاية المراد والمطلوب. وسمى الله الرجوع إليه، فرارا، لأن في الرجوع لغيره، أنواع ظاهرا وباطنا، إلى ما يحبه، ظاهرا وباطنا، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى ذكر الله فمن استكمل

تفسير السعدي

- فلما دعا العباد النظر إلى آياته الموجبة لخشيته والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه أي: الفرار مما يكرهه الله من اتخاذ آلهة غير الله، من الأوثان، والأنداد والقبور، وغيرها، مما عبد من دون الله، ويخلص العبد لربه العبادة والخوف، والرجاء والدعاء، والإنابة. 51 ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر هذا من الفرار إلى الله، بل هذا أصل الفرار إليه أن يفر العبد الشنيعة، ما هو منزعه عنه، وأن هذه الأقوال، ما زالت دأباً وعادة للمجرمين المكذبين للرسل فما أرسل الله من رسول، إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون. 52 يقول الله مسلماً لرسوله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال المؤمنين، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه، والسعي فيه، بادروا إلى الإيمان برسولهم وتعظيمهم، وتوقيرهم، وخطابهم بالخطاب اللائق بهم. 53 طغيانهم؟ وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم وكذلك بعضهم بعضاً بها؟ فلا يستغرب بسبب ذلك اتفاقهم عليها: أم هم قوم طاغون تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم الأولين والآخرين هل هي أقوال تواصلوا بها، ولقن فتول عنهم أي: لا تبال بهم ولا تؤاخذهم، وأقبل على شأنك. فليس عليك لوم في ذنبهم، وإنما عليك البلاغ، وقد أدبت ما حملت، وبلغت ما أرسلت به. 54 يقول تعالى أمراً رسوله بالإعراض عن المعرضين المكذبين: التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره، بمنزلة الأرض السبخة، التي لا يفيدها المطر شيئاً، وهؤلاء الصنف، لو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. 55 وتقع الموعظة منهم موقعها كما قال تعالى: فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى وأما من ليس له معه إيمان ولا استعداد لقبول لهم الانتفاع والارتفاع. وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيذكرون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه، من ذلك، وليحدث لهم نشاطا وهمة، وتوجب أن يذكر ما في الأمور به، من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه، من المضار. والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكرهه الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع، فإنه من التذكير، وتام التذكير، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم. 56 جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث تعالى الله الغني المغني عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق، فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم، الضرورية وغيرها، 57 فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطمعوه، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين. 58 ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعد ما مرقهم البلى، وعصفت بترابهم الرياح، العظيمة، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، ذو القوة المتين أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام إن الله هو الرزاق أي: كثير الرزق، الذي ما في الأمم واحدة، فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بد أن يقع عليه العذاب، ولو تأخر عنه مدة، ولهذا توعدهم الله بيوم القيامة 59 الله عليه وسلم، من العذاب والنكال ذنوباً أي: نصيباً وقسطاً، مثل ما فعل بأصحابهم من أهل الظلم والتكذيب. فلا يستعجلون بالعذاب، فإن سنة الله أي: وإن للذين ظلموا وكذبوا محمداً صلى تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدر له وما حد ورسم، ولا ينقص منه. 60 فالمقسمات أمراً الملائكة التي وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والسلاسل والأغلال، فلا مغيب لهم، ولا منقذ من عذاب الله تعالى نعوذ بالله منه. 60 فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون أي: والسماء ذات الطرائق الحسنة، التي تشبه حبك الرمال، ومياه الغدران، حين يحركها النسيم. 7 من يقول ساحر، ومنكم من يقول كاهن، ومنكم من يقول: مجنون، إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة، الدالة على حيرتهم وشكهم، وأن ما هم عليه باطل. 8 إنكم أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم، لفي قول مختلف منكم، يصدق بعضه بعضاً، لا تناقض فيه، ولا اختلاف، وذلك، دليل على صحته، وأنه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً 9

الإيمان، وانصرف قلبه عن أدلة الله اليقينية وبراهينه، واختلاف قولهم، دليل على فساده وبطلانه، كما أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، متفق يؤفك عنه من أفك أي: يصرف عنه من صرف عن

سورة 52

- وأوحى إليه ما أوحى من الأحكام، وفي ذلك من المنة عليه وعلى أمته، ما هو من آيات الله العظيمة، ونعمه التي لا يقدر العباد لها على عد ولا ثمن. 1
- على الحكم الجليلة، على البعث والجزاء للمتقين والمكذبين، فأقسم بالطور الذي هو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، يقسم تعالى بهذه الأمور العظيمة، المشتملة
- وذلك كله لعظم هول يوم القيامة، وفظاعة ما فيه من الأمور المزعجة، والزلازل المقلقة، التي أزجعت هذه الأجرام العظيمة، فكيف بالآدمي الضعيف!؟ 10
- وتسير الجبال سيرا أي: تزول عن أماكنها، وتسير كسير السحاب، وتتلون كالعهن المنفوش، وتثبت بعد ذلك حتى تصير مثل الهباء،
- فويل يومئذ للمكذبين والويل: كلمة جامعة لكل عقوبة وحزن وعذاب وخوف. 11
- بالحق، والتصديق بالباطل، وأعمالهم أعمال أهل الجهل والسفه واللعب، بخلاف ما عليه أهل التصديق والإيمان من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة. 12
- الذين استحقوا به الويل، فقال: الذين هم في خوض يلعبون أي: خوض في الباطل ولعب به. فعلمهم وبحوثهم بالعلوم الضارة المتضمنة للتكذيب
- ثم ذكر وصف المكذبين
- يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي: يوم يدفعون إليها دفعا، ويساقون إليها سوقا عنيفا، ويجرون على وجوههم، 13
- ويقال لهم توبيخا ولوما: هذه النار التي كنتم بها تكذبون فاليوم ذوقوا عذاب الخلد الذي لا يبلغ قدره، ولا يوصف أمره. 14
- الله عليه وسلم سحر أم عدم بصيرة بكم، حتى اشتبه عليكم الأمر، وحقيقة الأمر أنه أوضح من كل شيء وأحق الحق، وأن حجة الله قامت عليهم 15
- أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الحق المبين، والصراط المستقيم أي: هذا الذي جاء به محمد صلى
- ودعتهم الرسل إلى الإيمان بذلك، وأقامت من الأدلة والبراهين على ذلك، ما يجعله من أعظم الأمور المبرهنة الواضحة الجلية. ويحتمل أن الإشارة بقوله:
- فقد ظهر لهم أنه أحق الحق، وأصدق الصدق، المخالف للسحر من جميع الوجوه، وأما كونهم لا يبصرون، فإن الأمر بخلاف ذلك، بل حجة الله قد قامت عليهم،
- أم أنتم في الدنيا لا تبصرون أي: لا بصيرة لكم ولا علم عندهم، بل كنتم جاهلين بهذا الأمر، لم تقم عليكم الحجة؟ والجواب انتفاء الأمرين: أما كونه سحرا،
- يحتمل أن الإشارة إلى النار والعذاب، كما يدل عليه سياق الآية أي: لما رأوا النار والعذاب قيل لهم من باب التقرير: أهذا سحر لا حقيقة له، فقد رأيتموه،
- أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون
- إذا صبر العبد عليها هانت مشقتها وزالت شدتها. وإنما فعل بهم ذلك، بسبب أعمالهم الخبيثة وكسبهم، ولهذا قال إنما تجزون ما كنتم تعملون 16
- فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم أي: لا يفيدكم الصبر على النار شيئا، ولا يتأسى بعضكم ببعض، ولا يخفف عنكم العذاب، وليست من الأمور التي
- اصلوها أي: ادخلوا النار على وجه تحيط بكم، وتستوعب جميع أبدانكم وتطلع على أفئدتكم.
- اكتست رياضها من الأشجار الملتفة، والأنهار المتدفقة، والقصور المحدقة، والمنازل المزخرفة، ونعيم وهذا شامل لنعيم القلب والروح والبدن 17
- الخوف والرجاء، فقال: إن المتقين لربهم، الذين اتقوا سخطه وعذابه، بفعل أسبابه من امتثال الأوامر واجتناب النواهي. في جنات أي: بساتين، قد
- لما ذكر تعالى عقوبة المكذبين، ذكر نعيم المتقين، ليجمع بين الترغيب والترهيب، فتكون القلوب بين
- نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، ووقاهم عذاب الجحيم، وفرزهم المحبوب، ونجاهم من المرهوب، لما فعلوا ما أحبه الله، وجانبوا ما يسخطه وبأباه. 18
- فاكهين بما آتاهم ربهم أي: معجبين به، متمتعين على وجه الفرح والسرور بما أعطاهم الله من النعيم الذي لا يمكن وصفه، ولا تعلم
- المأكل والمشارب على وجه الفرح والسرور والبهجة والحبور. بما كنتم تعملون أي: نلتهم ما نلتهم بسبب أعمالكم الحسنة، وأقوالكم المستحسنة. 19
- كلوا واشربوا أي: مما تشتهي أنفسكم، من أصناف المأكول والمشرب اللذيذة، هنينا أي: متهنئين بتلك
- الله به كل شيء، ويحتمل أن المراد به القرآن الكريم، الذي هو أفضل كتاب أنزله الله محتويا على نبا الأولين والآخرين، وعلوم السابقين واللاحقين. 2
- وكتاب مسطور يحتمل أن المراد به اللوح المحفوظ، الذي كتب

ويسلبن عقول العالمين، وتكاد الأفئدة أن تطيش شوقا إليهن، ورغبة في وصالهن، والعين: حسان الأعين مليحاتها، التي صفا بياضها وسوادها. 20

وزوجناهم بحور عين وهن النساء اللواتي قد جمعن من جمال الصورة الظاهرة وبهاءها، ومن الأخلاق الفاضلة، ما يوجب أن يحيرن بحسنهن الناضرين،

والمجالس الحسنة الأنيقة، لم يبق إلا التمتع بالنساء اللاتي لا يتم سرور بدونهن فذكر الله أن لهم من الأزواج أكمل النساء أوصافا وخلقا وأخلاقا، ولهذا قال:

معاشرتهم، ولطف كلام بعضهم لبعض فلما اجتمع لهم من نعيم القلب والروح والبدن ما لا يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، من المأكول والمشرب اللذيذة،

تفسير السعدي

- بأنواع الزينة من اللباس الفاخر والفرش الزاهية. ووصف الله السرر بأنها مصفوفة، ليدل ذلك على كثرتها، وحسن تنظيمها، واجتماع أهلها وسرورهم، بحسن متكئين على سرر مصفوفة الاتكاء: هو الجلوس على وجه التمكن والراحة والاستقرار، والسرر: هي الأرائك المزينة
- كل امرئ بما كسب رheim أي: مرتين بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يحمل على أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور. 21
- كذلك، يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكما واحدا، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالى أن لا يعذب أحدا إلا بذنب، ولهذا قال: آبائهم في الجنة وإن لم يبلغوها، جزاء لآبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك، لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئا، ولما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار الصادر من آبائهم، فصارت الذرية تبعا لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون، يلحقهم الله بمنازل وهذا من تمام نعيم أهل الجنة، أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان أي: الذين لحقوهم بالإيمان
- والتفاح، وأصناف الفواكه اللذيذة الزائدة على ما به يتقوتون، ولحم مما يشتهون من كل ما طلبوه واشتهته أنفسهم، من لحم الطير وغيرها. 22
- وأمددناهم أي: أمددنا أهل الجنة من فضلنا الواسع ورزقنا العميم، بفاكهة من العنب والرمان
- مفرح للقلوب، يتعاضون أحسن عشرة، ويتنادمون أطيب المنادمة، ولا يسمعون من رهم، إلا ما يقر أعينهم، ويدل على رضاه عنهم ومحبتهم لهم. 23
- لغو، وهو الذي لا فائدة فيه ولا تأثيم، وهو الذي فيه إثم ومعصية، وإذا انتفى الأمران، ثبت الأمر الثالث، وهو أن كلامهم فيها سلام طيب طاهر، مسر للنفوس، الرحيق والخمر عليهم، ويتعاطونها فيما بينهم، وتطوف عليهم الولدان المخلدون بأكواب وأباريق وكأس لا لغو فيها ولا تأثيم أي: ليس في الجنة كلام يتنازعون فيها كأسا أي: تدور كاسات
- كانهم لؤلؤ مكنون من حسنهم وبهائهم، يدورون عليهم بالخدمة وقضاء ما يحتاجون إليه وهذا يدل على كثرة نعيمهم وسعته، وكمال راحتهم. 24
- ويطوف عليهم غلمان لهم أي: خدم شباب
- وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون عن أمور الدنيا وأحوالها. 25
- من الحبرة والسرون: إنا كنا قبل أي: في دار الدنيا في أهلنا مشفقين أي: خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، وأصلحنا لذلك العيوب. 26
- قالوا في ذكر بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه
- فمن الله علينا بالهداية والتوفيق، ووقانا عذاب السموم أي: العذاب الحار الشديد حره. 27
- نزل نتقرب إليه بأنواع القربات وندعوه في سائر الأوقات، إنه هو البر الرحيم فمن بره بنا ورحمته إيانا، أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار. 28
- إنا كنا من قبل ندعوه أن يقينا عذاب السموم، ويوصلنا إلى النعيم، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة أي: لم
- الغيوب، التي يضم إليها مائة كذبة، ولا مجنون فاقد للعقل، بل أنت أكمل الناس عقلا، وأبعدهم عن الشياطين، وأعظمهم صدقا، وأجلهم وأكملهم. 29
- علمهم أنه أبعد الناس عنها، ولهذا نفى عنه كل نقص رموه به فقال: فما أنت بنعمة ربك أي: منه ولطفه، بكاهن أي: له رني من الجن، يأتيه بأخبار بعض لتقوم حجة الله على الظالمين، ويهتدي بتذكيره الموفقون، وأنه لا يبالي بقول المشركين المكذبين وأذيتهم وأقوالهم التي يصدون بها الناس عن اتباعه، مع يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يذكر الناس، مسلمهم وكافرهم،
- وقوله: في رق أي: ورق منشور أي: مكتوب مسطر، ظاهر غير خفي، لا تخفى حاله على كل عاقل بصير. 3
- والذي جاء به شعر، والله يقول: وما علمناه الشعر وما ينبغي له نترصد به ريب المنون أي: نتنظر به الموت فسيبطل أمره، ونستريح منه. 30
- وتارة يقولون فيه: إنه شاعر يقول الشعر،
- لهذا الكلام السخيف: تريضوا أي: انتظروا بي الموت، فإني معكم من المتريصين نترصد بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا، 31
- قل لهم جوابا
- حملهم على ذلك ظلمهم وطغيانهم؟ وهو الواقع، فالطغيان ليس له حد يقف عليه، فلا يستغرب من الطاغية المتجاوز الحد كل قول وفعل صدر منه. 32
- أثرت، وصدر منها ما صدر فإن عقولا جعلت أكمل الخلق عقلا مجنونا، وأصدق الصدق وأحق الحق كذبا وباطلا، لهي العقول التي ينزه المجانين عنها، أم الذي أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أي: أهذا التكذيب لك، والأقوال التي قالوها؟ هل صدرت عن عقولهم وأحلامهم؟ فبئس العقول والأحلام، التي أثرت ما أم تأمرهم
- أم يقولون تقوله أي: تقول محمد القرآن، وقاله من تلقاء نفسه؟ بل لا يؤمنون فلو آمنوا، لم يقولوا ما قالوا. 33
- والجن، لم تقدروا على معارضته والإتيان بمثله، فحينئذ أنتم بين أمرين: إما مؤمنون به، مهتدون بهديه، وإما معاندون متبعون لما علمتم من الباطل. 34
- أنه تقوله، فإنكم العرب الفصحاء، والفحول البلغاء، وقد تحداكم أن تأتوا بمثله، فتصدق معارضتكم أو تقرروا بصدقه، وأنكم لو اجتمعتم، أنتم والإنس فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين
- تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى. 35

تفسير السعدي

ولا موجد، وهذا عين المحال. أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهم، أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وهذا استدلال

فيكونوا شركاء لله، وهذا أمر واضح جدا. ولكن المكذبين لا يوقنون أي: ليس عندهم علم تام، ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية والعقلية. 36 أم خلقوا السماوات والأرض وهذا استفهام يدل على تقرير النفي أي: ما خلقوا السماوات والأرض،

معيشتهم في الحياة الدنيا أم هم المسيطرون أي: المتسلطون على خلق الله وملكه، بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الفقراء 37 خزائن رحمة الله، وهم أحقر وأذل من ذلك، فليس في أيديهم لأنفسهم نفع ولا ضرر، ولا موت ولا حياة ولا نشور. أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم من يشاءون ويمنعون من يريدون؟ أي: فلذلك حجروا على الله أن يعطي النبوة عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، وكأنهم الوكلاء المفوضون على أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أي: أعند هؤلاء المكذبين خزائن رحمة ربك، فيعطون

من الأدلة والبراهين على ما أخبر به، ما يوجب أن يكون خبره عين اليقين وأكمل الصدق، وهم لم يقيموا على ما ادعوه شبهة، فضلا عن إقامة حجة. 38 ذلك من أخباره الصادقة، والمكذبون هم أهل الجهل والضلال والغي والعداء، فأى المخبرين أحق بقبول خبره؟ خصوصا والرسول صلى الله عليه وسلم قد أقام يخبره بما أراد من علمه. وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وأعلمهم وإمامهم، وهو المخبر بما أخبر به، من توحيد الله، ووعدده، ووعدده، وغير فليأت مستمعهم المدعي لذلك بسلطان مبين وأنى له ذلك؟ والله تعالى عالم الغيب والشهادة، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أم لهم سلم يستمعون فيه أي: أ لهم اطلاع على الغيب، واستماع له بين الملأ الأعلى، فيخبرون عن أمور لا يعلمها غيرهم؟

ولكم البنون فتجمعون بين المحذورين؟ جعلكم له الولد، واختياركم له أنقص الصنفين؟ فهل بعد هذا التنقص لرب العالمين غاية أو دونه نهاية؟ 39 أم له البنات كما زعمتم

العظام، التي لا يتم إلا بها، وهو الذي بناه إبراهيم وإسماعيل، وجعله الله مثابة للناس وأمنا، أن يقسم الله به، ويبين من عظمت ما هو اللائق به وبحرمته. 4 بالحج والعمرة. كما أقسم الله به في قوله: وهذا البلد الأمين وحقيق ببيت أفضل بيوت الأرض، الذي قصده بالحج والعمرة، أحد أركان الإسلام، ومبانيه فيه لربهم ثم، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة وقيل: إن البيت المعمور هو بيت الله الحرام، والمعمور بالطائفين والمصلين والذاكرين كل وقت، وبالوفود إليه والبيت المعمور وهو البيت الذي فوق السماء السابعة، المعمور مدى الأوقات بالملائكة الكرام، الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون

شيء، بل تبذل لهم الأموال الجزيلة، على قبول رسالتك، والاستجابة لأمركو دعوتك، وتعطي المؤلف قلوبهم ليتمكن العلم والإيمان من قلوبهم. 40 أم تسألهم يا أيها الرسول أجرا على تبليغ الرسالة، فهم من مغرم مثقلون ليس الأمر كذلك، بل أنت الحرص على تعليمهم، تبرعا من غير

عليه أحدا من الخلق، وهذا كله إلزام لهم بالطرق العقلية والنقلية على فساد قولهم، وتصوير بطلانه بأحسن الطرق وأوضحها وأسلمها من الاعتراض. 41 علم أنهم الأمة الأمية، الجهال الضالون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي عنده من العلم أعظم من غيره، وأنباه الله من علم الغيب على ما لم يطلع الغيب فهم يكتبون ما كانوا يعلمونه من الغيوب، فيكونون قد اطلعوا على ما لم يطلع عليه رسول الله، فعارضوه وعاندوه بما عندهم من علم الغيب؟ وقد أم عندهم

إليهم، وقد فعل الله ذلك ولله الحمد فلم يبق الكفار من مقدورهم من المكر شيئا إلا فعلوه، فنصر الله نبيه ودينه عليهم وخذلهم وانتصر منهم. 42 بقدرهم فيك وفيما جئتهم به كيدا يبطلون به دينك، ويفسدون به أملك؟ فالذين كفروا هم المكيدون أي: كيدهم في نحورهم، ومضرتة عائدة وقوله: أم يريدون

الأسماء والصفات، كثير النعوت الحسنة، والأفعال الجميلة، ذو الجلال والإكرام، والعز الذي لا يرام، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الكبير الحميد المجيد. 43 القاطعة، وأن ما عليه المشركون هو الباطل، وأن الذي ينبغي أن يعبد ويصلى له ويسجد ويخلص له دعاء العبادة ودعاء المسألة، هو الله المألوه المعبود، كامل له شريك في الملك، ولا شريك في الوجدانية والعبادة، وهذا هو المقصود من الكلام الذي سبق لأجله، وهو بطلان عبادة ما سوى الله وبيان فسادها بتلك الأدلة أم لهم إله غير الله أي: أ لهم إله يدعى ويرجى نفعه، ويخاف من ضره، غير الله تعالى؟ سبحان الله عما يشركون فليس

يقولوا سبحانه مركوم أي: هذا سبحانه متراكم على العادة أي: فلا يبالون بما رأوا من الآيات ولا يعتبرون بها، وهؤلاء لا دواء لهم إلا العذاب والنكال 44 كل دليل لما اتبعوه، ولخالفوه وعاندوه، وإن يروا كسفا من السماء ساقطا أي: لو سقط عليهم من السماء من الآيات الباهرة كسف أي: قطع كبار من العذاب يقول تعالى في ذكر بيان أن المشركين المكذبين بالحق الواضح، قد عتوا عن الحق وعسوا على الباطل، وأنه لو قام على الحق

فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو يوم القيامة الذي يصيبهم فيه من العذاب والنكال، ما لا يقادر قدره، ولا يوصف أمره. 45

في الدنيا قد يوجد منهم كيد يعيشون به زمنا قليلا، فيوم القيامة يضمحل كيدهم، وتبطل مساعيهم، ولا ينتصرون من عذاب الله ولا هم ينصرون 46

تفسير السعدي

يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا أي: لا قليلا ولا كثيرا، وإن كان

الدنيا، بالقتل والسبي والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر، ولكن أكثرهم لا يعلمون أي: فلذلك أقاموا على ما يوجب العذاب، وشدة العقاب. 47
لما ذكر الله عذاب الظالمين في القيامة، أخبر أن لهم عذابا دون عذاب يوم القيامة وذلك شامل لعذاب

بأعيننا أي: بمراى منا وحفظ، واعتناء بأمرك، وأمره أن يستعين على الصبر بالذكر والعبادة، فقال: وسبح بحمد ربك حين تقوم أي: من الليل. 48
أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يعبأ بهم شيئا، وأن يصبر لحكم ربه القدري والشرعي بلزومه والاستقامة عليه، ووعد الله بالكفاية بقوله: فإنك
ولما بين تعالى الحجج والبراهين على بطلان أقوال المكذبين،

الخمس، بدليل قوله: ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم أي: آخر الليل، ويدخل فيه صلاة الفجر، والله أعلم. تم تفسير سورة والطور والحمد لله 49
ففيه الأمر بقيام الليل، أو حين تقوم إلى الصلوات

أي: السماء، التي جعلها الله سقفا للمخلوقات، وبناء للأرض، تستمد منها أنوارها، ويقتدى بعلاماتها ومناورها، وينزل الله منها المطر والرحمة وأنواع الرزق. 5
والسقف المرفوع

على عظمتها وسعته من أصناف العذاب. هذه الأشياء التي أقسم الله بها، مما يدل على أنها من آيات الله وأدلة توحيده، وبراهين قدرته، وبعثه الأموات 6
والفيضان، ليعيش من على وجه الأرض، من أنواع الحيوان وقيل: إن المراد بالمسجور، الموقد الذي يوقد نارا يوم القيامة، فيصير نارا تلتظي، ممتلئا
المملوء ماء، قد سجره الله، ومنعه من أن يفيض على وجه الأرض، مع أن مقتضى الطبيعة، أن يغمر وجه الأرض، ولكن حكمته اقتضت أن يمنعه عن الجريان
والبحر المسجور أي:

إن عذاب ربك لواقع أي: لا بد أن يقع، ولا يخلف الله وعده وقيله. 7

ما له من دافع يدفعه، ولا مانع يمنعه، لأن قدرة الله تعالى لا يغالها مغالب، ولا يفوتها هارب، ثم ذكر وصف ذلك اليوم، الذي يقع فيه العذاب. 8

يوم تمور السماء مورا أي: تدور السماء وتضطرب، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون، 9

سورة 53

فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم. 1
أن النجم، اسم جنس شامل للنجوم كلها، وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة،
تعالى بالنجم عند هويته أي: سقوطه في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل وإقبال النهار، لأن في ذلك من آيات الله العظيمة، ما أوجب أن أقسم به، والصحيح
يقسم

الله بواسطة جبريل عليه السلام إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى أي: الذي أوحاه إليه من الشرع العظيم، والنبأ المستقيم. 10

فأوحى

هو عليها مرتين، مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم. 11
ولكن الصحيح القول الأول، وأن المراد به جبريل عليه السلام، كما يدل عليه السياق، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته الأصلية التي
صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا،
وسلم ليلة أسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه تيقنه حقا بقلبه ورؤيته، هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة، وقيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول
الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك. ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى صلى الله عليه
اتفق فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه
ما كذب الفؤاد ما رأى أي:

هو عليها مرتين، مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم. 12
ولكن الصحيح القول الأول، وأن المراد به جبريل عليه السلام، كما يدل عليه السياق، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته الأصلية التي
صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا،
وسلم ليلة أسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه تيقنه حقا بقلبه ورؤيته، هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة، وقيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول
الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك. ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى صلى الله عليه
اتفق فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه
ما كذب الفؤاد ما رأى أي:

ولقد رآه نزلة أخرى أي: رأى محمد جبريل مرة أخرى، نازلا إليه. 13

محمد صلى الله عليه وسلم جبريل في ذلك المكان، الذي هو محل الأرواح العلوية الزاكية الجميلة، التي لا يقربها شيطان ولا غيره من الأرواح الخبيثة. 14 إليها ما ينزل من الله، من الوحي وغيره، أو لانتهاه علم الخلق إليها أي: لكونها فوق السماوات والأرض، فهي المنتهى في علوها أو لغير ذلك، والله أعلم. فرأى عند سدرة المنتهى وهي شجرة عظيمة جدا، فوق السماء السابعة، سميت سدرة المنتهى، لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل بحيث كانت محلا تنتهي إليه الأماني، وترغب فيه الإرادات، وتأوي إليها الرغبات، وهذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة. 15 عند تلك الشجرة جنة المأوى أي: الجنة الجامعة لكل نعيم،

إذ يغشى السدر ما يغشى أي: يغشاها من أمر الله، شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل. 16

بما أمر به، أو يقوم به على وجه التفریط، أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يمينا وشمالا، وهذه الأمور كلها منتفية عنه صلى الله عليه وسلم. 17 عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد زاغ يمنة ولا يسرة عن مقصوده وما طغى أي: وما تجاوز البصر، وهذا كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقاما أقامه الله فيه، ولم يقصر ما زاغ البصر وما طغى أي: ما

لقد رأى من آيات ربه الكبرى من الجنة والنار، وغير ذلك من الأمور التي رآها صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به. 18

إلحادا في أسماء الله وتجريا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها. 19 مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا اللات من الإله المستحق للعبادة، والعزى من العزيز ومنة من المنان فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهذه الأنناد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وأباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال لما ذكر تعالى ما

ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد وقال صاحبكم لينبهم على ما يعرفونه منه، من الصدق والهداية، وأنه لا يخفى عليهم أمره. 20 تنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضلال في علمه، والغى في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتديا في علمه، هاديا، حسن القصد، ناصحا للأمة بعكس والمقسم عليه،

إلحادا في أسماء الله وتجريا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها. 20 مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا اللات من الإله المستحق للعبادة، والعزى من العزيز ومنة من المنان فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهذه الأنناد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وأباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال لما ذكر تعالى ما

ألكم الذكر وله الأنثى أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم، ولكم البنون؟. 21

تلك إذا قسمة ضيزى أي: ظالمة جائرة، وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ تعالى عن قولهم علوا كبيرا. 22 الظن، ونهايته الشقاء الأبدي والعذاب السرمدى، فالبقاء على هذه الحال، من أسفه السفه، وأظلم الظلم، ومع ذلك يتمنون الأماني، ويغترون بأنفسهم. 23 وأقام عليه من الأدلة والبراهين، ما يوجب لهم ولغيرهم اتباعه، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة من بعد البيان والبرهان، وإذا كان ما هم عليه، غايته اتباع الهدى أي: الذي يرشدهم في باب التوحيد والنبوة، وجميع المطالب التي يحتاج إليها العباد، فكلها قد بينها الله أكمل بيان وأوضحه، وأدله على المقصود، أنفسهم من الشرك، والبدع الموافقة لأهويتهم، والحال أنه لا موجب لهم يقتضي اتباعهم الظن، من فقد العلم والهدى، ولهذا قال تعالى: ولقد جاءهم من ربهم بآبطل فاسد، لا يتخذ دينا، وهم في أنفسهم ليسوا بمتبعين لبرهان، يتيقنون به ما ذهبوا إليه، وإنما دلهم على قولهم، الظن الفاسد، والجهل الكاسد، وما تهواه إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أي: من حجة وبرهان على صحة مذهبكم، وكل أمر ما أنزل الله به من سلطان، فهو ولهذا أنكر تعالى على من زعم أنه يحصل له ما تمنى وهو كاذب في ذلك، فقال: أم للإنسان ما تمنى 24

فله الآخرة والأولى فيعطى منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، فليس الأمر تابعا لأمانيتهم، ولا موافقا لأهوائهم. 25

ما كان خالصا لوجه الله، موافقا فيه صاحبه الشريعة، فالمشركون إذا لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين، وقد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين. 26 يأذن الله لمن يشاء ويرضى أي: لا بد من اجتماع الشرطين: إذنه تعالى في الشفاعة، ورضاه عن المشفوع له. ومن المعلوم المتقرر، أنه لا يقبل من العمل إلا

تفسير السعدي

- وكم من ملك في السماوات من الملائكة المقربين، وكرام الملائكة، لا تغني شفاعتهم شيئا أي: لا تفيد من دعاها وتعلق بها ورجاها، إلا من بعد أن يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الملائكة وغيرهم، وزعم أنها تنفعه وتشفع له عند الله يوم القيامة:
- والأفعال المحادة لله ولرسوله، من قولهم: الملائكة بنات الله فلم ينزهوا ربهم عن الولادة، ولم يكرموا الملائكة ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثا. 27 يعني أن المشركين بالله المكذبين لرسوله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وبسبب عدم إيمانهم بالآخرة تجرأوا على ما تجرأوا عليه، من الأقوال، يتبعون في ذلك القول القبيح، وهو الظن الذي لا يغني من الحق شيئا، فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة. 28 لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأن الملائكة كرام مقربون إلى الله، قائمون بخدمته لا يعصون الله ما أمروهم ويفعلون ما يؤمرون والمشركون إنما ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك الفطر والعقول، بل العلم كله دال على نقيض قولهم، وأن الله منزّه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله،
- العظيم، والنبأ الكريم، فأعرض عن العلوم النافعة، ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهذا منتهى إرادته، ومن المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده، 29 أنهم لا غرض لهم في اتباع الحق، وإنما غرضهم ومقصودهم، ما تهواه نفوسهم، أمر الله رسوله بالإعراض عما تولى عن ذكره، الذي هو الذكر الحكيم، والقرآن ولما كان هذا دأب هؤلاء المذكورين
- وما ينطق عن الهوى أي: ليس نطقه صادرا عن هوى نفسه 3
- فيضل عن سبيل الله، ولهذا قال تعالى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى فيضع فضله حيث يعلم المحل اللائق به. 30 العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ممن لا يستحق ذلك فيكده إلى نفسه، ويخذله، أي: هذا منتهى علمهم وغايتهم، وأما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الألباب والعقول، فهمتهم وإرادتهم للدار الآخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصولها، وبأي: طريق سنحت ابتدروها، ذلك مبلغهم من العلم
- الله تعالى، وأحسنوا إلى خلق الله، بأنواع المنافع بالحسن أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، وأكبر ذلك وأجله رضا ربهم، والفوز بنعيم الجنة 31 ويعاقب العاصي، ليجزي الذين أساءوا العمل السيئات من الكفر بما عملوا من أعمال الشر بالعقوبة البليغة ويجزي الذين أحسنوا في عبادة الملك العظيم، في عبيده ومماليكه، ينفذ فيهم قدره، ويجزي عليهم شرعه، ويأمرهم وينهاهم، ويجزيهم على ما أمرهم به ونهاهم عنه، فيثيب المطيع، يخبر تعالى أنه مالك الملك، المتفرد بملك الدنيا والآخرة، وأن جميع من في السماوات والأرض ملك لله، يتصرف فيهم تصرف
- هو أعلم بمن اتقى فإن التقوى، محلها القلب، والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من بر وتقوى، وأما الناس، فلا يغنون عنكم من الله شيئا. 32 يكون من مغفرة ربه قريبا وأن يكون الله له في جميع أحواله مجيبا، ولهذا قال تعالى: فلا تزكوا أنفسكم أي: تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح التي يتممت بها عند مولاه، ثم تقع منه الفتنة بعد الفتنة، فإن الله تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فلا بد لمثل هذا أن ويزيل عنكم الجرائم والمآثم، خصوصا إذا كان العبد مقصوده مرضاة ربه في جميع الأوقات، وسعيه فيما يقرب إليه في أكثر الآثات، وفراره من الذنوب ما أمركم به، ولكن الضعف لم يزل، فلعلمه تعالى بأحوالكم هذه، ناسبت الحكمة الإلهية والجود الرباني، أن يتغمدكم برحمته ومغفرته وعفوه، ويغفركم بإحسانه، والضعف موجود مشاهد منكم حين أنشاكم الله من الأرض، وإذ كنتم في بطون أمهاتكم، ولم يزل موجودا فيكم، وإن كان الله تعالى قد أوجد فيكم قوة على كلها، وما جبلكم عليه، من الضعف والخور، عن كثير مما أمركم الله به، ومن كثرة الدواعي إلى بعض المحرمات، وكثرة الجوازب إليها، وعدم الموانع القوية، مكفريات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر وقوله: هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم أي: هو تعالى أعلم بأحوالكم السماء على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، المحرمات، تدخل تحت مغفرة الله التي وسعت كل شيء، ولهذا قال: إن ربك واسع المغفرة فلولاً مغفرته لهلكت البلاد والعباد، ولولا عفوه وحلمه لسقطت بها العبد، المرة بعد المرة، على وجه الندرة والقلة، فهذه ليس مجرد الإقدام عليها مخرجا للعبد من أن يكون من المحسنين، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك الكبائر، كالزنا، وشرب الخمر، وأكل الربا، والقتل، ونحو ذلك من الذنوب العظيمة، إلا اللطم وهي الذنوب الصغار، التي لا يصير صاحبها عليها، أو التي يلم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش أي: يفعلون ما أمرهم الله به من الواجبات، التي يكون تركها من كبائر الذنوب، ويتركون المحرمات
- إلى آخر السورة يقول تعالى: أفرايت قبح حالة من أمر بعبادة ربه وتوحيده، فتولى عن ذلك وأعرض عنه؟ 33
- سجية له وطبيعة بل طبعه التولي عن الطاعة، وعدم الثبوت على فعل المعروف، ومع هذا، فهو يزكي نفسه، وينزلها غير منزلتها التي أنزلها الله بها. 34 فإن سمحت نفسه ببعض الشيء، القليل، فإنه لا يستمر عليه، بل يبخل ويكدي ويمنع. فإن المعروف ليس
- من الغيب، وأنه لو قدر أنه ادعى ذلك فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب التي على يد النبي المعصوم، تدل على نقيض قوله، وذلك دليل على بطلانه. 35
- أعنده علم الغيب فهو يرى الغيب ويخبر به، أم هو متقول على الله، متجرئ على الجمع بين الإساءة والتزكية كما هو الواقع، لأنه قد علم أنه ليس عنده علم

أم لم ينبأ هذا المدعي بما في صحف موسى 36

وإبراهيم الذي وفى أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به من الشرائع وأصول الدين وفروعه 37

وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى أي: كل عامل له عمله الحسن والسيئ، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحد عن أحد ذنبا 38 وفي تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله: ألا تزر وازرة

وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى أي: كل عامل له عمله الحسن والسيئ، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحد عن أحد ذنبا 39 وفي تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله: ألا تزر وازرة

وأُنزل الله عليك الكتاب والحكمة وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى. 4
أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره. ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: إن هو إلا وحي يوحى

وأن سعيه سوف يرى في الآخرة فيميز حسنه من سيئه. 40

إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه وتحت يده، ولا يلزم من ذلك، أن لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه. 41
وفي هذا الاستدلال نظر، فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلاف فيه، وليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعي غيره، إلا ما سعى من يرى أن القرب لا يفيد إهداؤها للأحياء ولا للأموات قالوا لأن الله قال: وأن ليس للإنسان ما سعى فوصول سعي غيره إليه مناف لذلك، من حمد ربهم، والإقرار له بكمال الحكمة ومقت أنفسهم، وأنهم الذين أوصلوا أنفسهم وأوردوها شر الموارد، وقد استدل بقوله تعالى: وأن ليس للإنسان والسيئ الخالص بالسوإى، والمشوب بحسبه، جزاء تقر بعدله وإحسانه الخليقة كلها، وتحمد الله عليه، حتى إن أهل النار ليدخلون النار، وإن قلوبهم مملوءة ثم يجزاه الجزاء الأوفى أي: المستكمل لجميع العمل الحسن الخالص بالحسنى،

إليه تنتهي الأمور، وإليه تصير الأشياء والخالق بالبعث والنشور، وإلى الله المنتهى في كل حال، فإليه ينتهي العلم والحكم، والرحمة وسائر الكمالات. 42
وأن إلى ربك المنتهى أي:

وأبكى أي: هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير والشر، والفرح والسرور والهم والحزن، وهو سبحانه له الحكمة البالغة في ذلك، 43
وأنه هو أضحك

أي: هو المنفرد بالإيجاد والإعدام، والذي أوجد الخلق وأمرهم ونهاهم، سيعيدهم بعد موتهم، ويجازيهم بتلك الأعمال التي عملوها في دار الدنيا. 44
وأنه هو أمات وأحيا

وأنه خلق الزوجين فسر الزوجين بقوله: الذكر والأنثى وهذا اسم جنس شامل لجميع الحيوانات، ناطقها وبهيما، فهو المنفرد بخلقها. 45
ماء مهين، ثم نماها وكمّلها، حتى بلغت ما بلغت، ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع المقامات في أعلى عليين، وإما إلى أدنى الحالات في أسفل سافلين. 46
من نطفة إذا تمنى وهذا من أعظم الأدلة على كمال قدرته وانفراده بالعزة العظيمة، حيث أوجد تلك الحيوانات، صغيرها وكبيرها من نطفة ضعيفة من البداية على الإعادة، فقال: وأن عليه النشأة الأخرى فيعيد العباد من الأجداث، ويجمعهم ليوم الميقات، ويجازيهم على الحسنات والسيئات. 47

استدل

مقتنين لها، ومالكين لكثير من الأعيان، وهذا من نعمه على عباده أن جميع النعم منه تعالى وهذا يوجب للعباد أن يشكروه، ويعبدوه وحده لا شريك له 48
أي: أغنى العباد بتيسير أمر معاشهم من التجارات وأنواع المكاسب، من الحرف وغيرها، وأقنى أي: أفاد عباده من الأموال بجميع أنواعها، ما يصيرون به وأنه هو أغنى وأقنى

وإن كان رب كل شيء، لأن هذا النجم مما عبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مدبر مخلوق، فكيف تتخذ إلهًا مع الله 49
وأنه هو رب الشعري وهي النجم المعروف بالشعري العبور، المسماة بالمرزم، وخصها الله بالذكر،

صلى الله عليه وسلم، ومنعه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين. 5
عليه وسلم جبريل عليه السلام، شديد القوى أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول عليه وسلم، وهو جبريل عليه السلام، أفضل الملائكة الكرام وأقواهم وأكملهم، فقال: علمه شديد القوى أي: نزل بالوحي على الرسول صلى الله

ثم ذكر المعلم للرسول صلى الله

وأنه أهلك عادا الأولى وهم قوم هود عليه السلام، حين كذبوا هودا، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية 50

أرسله الله إلى ثمود فكذبوه، فبعث الله إليهم الناقة آية، فعقروها وكذبوه، فأهلكهم الله تعالى، فما أبقي منهم أحدا، بل أهلكهم الله عن آخرهم 51

تفسير السعدي

وثمود قوم صالح عليه السلام،

وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى من هؤلاء الأمم، فأهلكهم الله وأغرقهم في اليم 52

قوم لوط عليه السلام أهوى أي: أصابهم الله بعذاب ما عذب به أحدا من العالمين، قلب أسفل ديارهم أعلاها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل. 53
والمؤتفة وهم

فغشاها ما غشى أي: غشيها من العذاب الأليم الوخيم ما غشى أي: شيء عظيم لا يمكن وصفه. 54

فبأي: نعم الله وفضله تشك أيها الإنسان؟ فإن نعم الله ظاهرة لا تقبل الشك بوجه من الوجوه، فما بالعباد من نعمة إلا منه تعالى، ولا يدفع النقم إلا هو. 55
فبأي آلاء ربك تتماهى أي:

ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟ فما الذي يمنع العذاب عن المكذبين لمحمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين؟ 56
الرسول الكرام، أليست دعوته إلى كل خير والنهي عن كل شر؟ ألم يأت بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؟
ببدع من الرسل، بل قد تقدمه من الرسل السابقين، ودعوا إلى ما دعا إليه، فلا شيء تنكر رسالته؟ وبأي حجة تبطل دعوته؟ أليست أخلاقه أعلا أخلاق
هذا نذير من النذر الأولى أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله، ليس
أزفت الأزفة أي: قربت القيامة، ودنا وقتها، وبانت علاماتها. 57

ليس لها من دون الله كاشفة أي: إذا أتت القيامة وجاءهم العذاب الموعود به. 58

من خشية الله، الذي يزيد ذوي الأحلام رأيا وعقلا، وتسديدا وثباتا، وإيمانا ويقينا والذي ينبغي العجب من عقل من تعجب منه، وسفهة وضلاله. 59
وإلا فهو الحديث الذي إذا حدث صدق، وإذا قال قولا فهو القول الفصل الذي ليس بالهزل، وهو القرآن العظيم، الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
هو خير الكلام وأفضله وأشرفه تتعجبون منه، وتجعلونه من الأمور المخالفة للعادة الخارقة للأمور والحقائق المعروفة؟ هذا من جهلهم وضلالهم وعنادهم،
لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، المكذبين لما جاء به من القرآن الكريم، فقال: أفمن هذا الحديث تعجبون؟ أي: أفمن هذا الحديث الذي
ثم تواعد المنكرين

ذو مرة أي: قوة، وخلق حسن، وجمال ظاهر وباطن. فاستوى جبريل عليه السلام 6

أن الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون، سماعا لأمره ونهيه، وإصغاء لوعده ووعيده، والتفاتا لأخباره الحسنة الصادقة 60
وتضحكون ولا تبكون أي: تستعملون الضحك والاستهزاء به، مع

لاهون عن تدبره، وهذا من قلة عقولكم وأديانكم فلو عبدتم الله وطلبتهم رضاه في جميع الأحوال لما كنتم بهذه المثابة التي يأنف منها أولو الألباب، 61
وأنتم سامدون أي: غافلون عنه،

سورة النجم، والحمد لله الذي لا نحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، وصلى الله على محمد وسلم تسليما كثيرا. 62
أعضائه على الأرض المهينة موضع وطء الأقدام. ثم أمر بالعبادة عموما، الشاملة لجميع ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة. تم تفسير
ذلك على فضله وأنه سر العبادة ولها، فإن لبها الخشوع لله والخضوع له، والسجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد فإنه يخضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف
فاسجدوا لله واعبدوا الأمر بالسجود لله خصوصا، ليدل

وهو بالأفق الأعلى أي: أفق السماء الذي هو أعلى من الأرض، فهو من الأرواح العلوية، التي لا تنالها الشياطين ولا يتمكنون من الوصول إليها. 7

ثم دنا جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم، لإيصال الوحي إليه. فتدلى عليه من الأفق الأعلى 8

أو أدنى أي: أقرب من القوسين، وهذا يدل على كمال المباشرة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام. 9
فكان في قربه منه قاب قوسين أي: قدر قوسين، والقوس معروف،

سورة 54

وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخيل. 1
من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به و صدقه، أشار صلى الله عليه وسلم إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقين، فلقة على جبل أبي قبيس،
وقوعها ما يؤمن على مثله البشر، فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم
اقتربت وأن أوانها، وحان وقت مجيئها، ومع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها، ويريههم الله من الآيات العظيمة الدالة على
يخبر تعالى أن الساعة وهي القيامة

تفسير السعدي

- النادر، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم، فانتصر اللهم لي منهم، وقال في الآية الأخرى: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا الآيات 10
- فعند ذلك دعا نوح ربه فقال: أني مغلوب لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل
- فأجاب الله سؤاله، وانتصر له من قومه، قال تعالى: ففتحن أبواب السماء بماء منهمر أي: كثير جدا متتابع 11
- فالتقى الماء أي: ماء السماء والأرض على أمر من الله له بذلك، قد قدر أي: قد كتبه الله في الأزل وقضاه، عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين 12
- ينزل منها من الماء شيء خارق للعادة، وتفجرت الأرض كلها، حتى التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، فضلا عن كونه منبعا للماء، لأنه موضع النار.
- وفجرت الأرض عيونا فجعلت السماء
- على ذات ألواح ودسر أي: ونجيننا عبدنا نوحا على السفينة ذات الألواح والدسر أي: المسامير التي قد سمرت بها ألواحها وشد بها أسرها 13
- وحملناه
- أن المراد: أنا أهلكتنا قوم نوح، وفعلنا بهم ما فعلنا من العذاب والخزي، جزاء لهم على كفرهم وعنادهم، وهذا متوجه على قراءة من قرأها بفتح الكاف 14
- يرده عنه راد، ولا صده عنه صاد، كما قال تعالى عنه في الآية الأخرى: قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية. ويحتمل
- جزاء لمن كان كفر أي: فعلنا بنوح ما فعلنا من النجاة من الغرق العام، جزاء له حيث كذبه قومه وكفروا به فصبر على دعوتهم، واستمر على أمر الله، فلم
- بنوح ومن آمن معه، ومن حملة من أصناف المخلوقات برعاية من الله، وحفظ منه لها عن الغرق ونظر، وكلائه منه تعالى، وهو نعم الحافظ الوكيل،
- تجري بأعيننا أي: تجري
- وعنايته، وكمال قدرته، وبديع صنعته، فهل من مدكر ؟ أي: فهل من متذكر للآيات، ملق ذهنه وفكرته لما يأتيه منها، فإنها في غاية البيان واليسر؟ 15
- يعود إلى السفينة وجنسها، وأن أصل صنعتها تعليم من الله لعبده نوح عليه السلام، ثم أبقي الله تعالى صنعتها وجنسها بين الناس ليدل ذلك على رحمته بخلقه
- آية فهل من مدكر أي: ولقد تركنا قصة نوح مع قومه آية يتذكر بها المتذكرون، على أن من عصى الرسل وعانداهم أهلكه الله بعقاب عام شديد، أو أن الضمير
- ولقد تركناها
- فكيف كان عذابي ونذر أي: فكيف رأيت أيها المخاطب عذاب الله الأليم وإنذاره الذي لا يبغي لأحد عليه حجة. 16
- عليه، قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعان عليه؟ ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: فهل من مدكر 17
- والعبر، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة، ولهذا كان علم القرآن حفظا وتفسيرا، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين
- يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواظ
- ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظا، وأصدق معنى، وأبينه تفسيرا، فكل من أقبل عليه
- ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر أي:
- وعاد هي القبيلة المعروفة باليمن، أرسل الله إليهم هودا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوه 18
- الله عليهم ريحا صرصرا أي: شديدة جدا، في يوم نحس أي: شديد العذاب والشقاء عليهم، مستمر عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما. 19
- فأرسل
- ولم يعد الضمير على انشقاق القمر فلم يقل: وإن يروها بل قال: وإن يروا آية يعرضوا وليس قصدهم اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى، 2
- الهدى والعقل، وهذا ليس إنكارا منهم لهذه الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لمقابلتها بالباطل والرد لها، ولهذا قال: وإن يروا آية يعرضوا
- فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: سحر مستمر سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن
- وقالوا: سحرنا محمد، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم،
- بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرا، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم،
- فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله،
- نخل منقر أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوي الذي أصابته الريح فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره 20
- تنزع الناس من شدتها، فترفعهم إلى جو السماء، ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم، فيصيحون كأنهم أعجاز
- فكيف كان عذابي ونذر كان والله العذاب الأليم، والندارة التي ما أبقت لأحد عليه حجة، 21
- ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر تعالى ذلك رحمة بعباده وعناية بهم، حيث دعاهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم. 22
- القبيلة المعروفة المشهورة في أرض الحجر، نببهمصالحا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنذرهم العقاب إن هم خالفوه 23
- أي كذبت ثمود وهم
- أي: إنا لضالون أشقياء، وهذا الكلام من ضلالهم وشقائهم، فإنهم أنفوا أن يتبعوا رسولا من البشر، ولم يأنفوا أن يكونوا عابدين للشجر والحجر والصور. 24

تفسير السعدي

- نتبع بشرا، لا ملكا منا، لا من غيرنا، ممن هو أكبر عند الناس منا، ومع ذلك فهو شخص واحد إنا إذا أي: إن اتبعناه وهو بهذه الحال لفي ضلال وسعر فكذبوه واستكبروا عليه، وقالوا كبرا وتبها: أبشرا منا واحدا نتبعه أي: كيف
- الكذب والشر، فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم وأظلمهم، وأشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع، لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم 25 لهم بالعقاب العاجل. والمقصود بهذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر، فقالوا: بل هو كذاب أشر أي: كثير بوحيه، ومن رحمته وحكمته أن كانوا من البشر، فلو كانوا من الملائكة لم يمكن البشر، أن يتلقوا عنهم، ولو جعلهم من الملائكة لعاجل الله المكذبين إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فالرسل من الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم والاختصاص من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصلون ويجولون ويردون به دعوة الرسل، وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: قالت رسلهم أولقي الذكر عليه من بيننا أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض
- الكذب والشر، فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم وأظلمهم، وأشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع، لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم 26 لهم بالعقاب العاجل. والمقصود بهذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر، فقالوا: بل هو كذاب أشر أي: كثير بوحيه، ومن رحمته وحكمته أن كانوا من البشر، فلو كانوا من الملائكة لم يمكن البشر، أن يتلقوا عنهم، ولو جعلهم من الملائكة لعاجل الله المكذبين إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فالرسل من الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم والاختصاص من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصلون ويجولون ويردون به دعوة الرسل، وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: قالت رسلهم أولقي الذكر عليه من بيننا أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض
- فتنة لهم أي: اختبارا منه لهم وامتحانا فارتقبهم واصطبر أي: اصبر على دعوتك إياهم، وارتقب ما يحل بهم، أو ارتقب هل يؤمنون أو يكفرون؟ 27 فأرسل الله الناقة التي هي من أكبر النعم عليهم، آية من آيات الله، ونعمة يحتلبون من ضرعها ما يكفيهم أجمعين،
- بينهم وبين الناقة، لها شرب يوم ولهم شرب يوم آخر معلوم، كل شرب محتضر أي: يحضره من كان قسمته، ويحظر على من ليس بقسمة له. 28 ونبئهم أن الماء قسمة بينهم أي: وأخبرهم أن الماء أي: مورد لهم الذي يستعذبونه، قسمة
- فنادوا صاحبهم الذي باشر عقرها، الذي هو أشقى القبيلة فتعاطى أي: انقاد لما أمروه به من عقرها فعقر 29
- ومنتهاه، وسيصير الأمر إلى آخره، فالمصدق يتقلب في جنات النعيم، ومغفرة الله ورضوانه، والمكذب يتقلب في سخط الله وعذابه، خالدا مخلدا أبدا. 3
- يديه من البيئات والبراهين والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، وكل أمر مستقر أي: إلى الآن، لم يبلغ الأمر غايته فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعاً، واتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم، لأنه أراهم الله على وكذبوا واتبعوا أهواءهم كقوله تعالى:
- فكيف كان عذابي ونذر كان أشد عذاب 30
- أرسل الله عليهم صيحة ورجفة أهلكتهم عن آخرهم، ونجى الله صالحا ومن آمن معه 31
- ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر 32
- كذبت قوم لوط لوطا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، 33 أي:
- كذبت قوم لوط لوطا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، 34 أي:
- كذبت قوم لوط لوطا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، 35 أي:
- فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم، فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم بجناحه، وأنذرهم نبينهم بطشة الله وعقوبته فتماروا بالنذر 36 فكذبوه واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط، جاؤوهم مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم، فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم بجناحه، وأنذرهم نبينهم بطشة الله وعقوبته فتماروا بالنذر 37 فكذبوه واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط، جاؤوهم مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطا وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له. 38 ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة
- من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطا وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له. 39

تفسير السعدي

- ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة
اتباع للهدى: ولقد جاءهم من الأنباء أي: الأخبار السابقة واللاحقة والمعجزات الظاهرة ما فيه مزدجر أي: زاجر يزرهم عن غيهم وضلالهم، 4
وقال تعالى مبينا أنهم ليس لهم قصد صحيح، ولا
من سجل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطا وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له. 40
ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة
أي: ولقد جاء آل فرعون أي: فرعون وقومه النذر فأرسل الله إليهم موسى الكليم، وأيده بالآيات الباهرات، والمعجزات القاهرة 41
كلها، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فأغرقهم في اليم هو وجنوده والمراد من ذكر هذه القصص تحذير الناس و المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم. 42
وأشهدهم من العبر ما لم يشهد عليه أحد غيرهم فكذبوا بآيات الله
للعدل والحكمة، فليس من الحكمة نجا أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين، لأفضل الرسل وأكرمهم على الله، فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها، 43
على الأنبياء، فتعتقدون حينئذ أنكم الناجون بإخبار الله ووعدده؟ وهذا غير واقع، بل غير ممكن عقلا وشرعا، أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية المتضمنة
وليس الأمر كذلك، فإنهم إن لم يكونوا شرا منهم، فليسوا بخير منهم، أم لكم براءة في الزبر أي: أم أعطاكم الله عهدا وميثاقا في الكتب التي أنزلها
الرسل، خير من أولئك المكذبين، الذين ذكر الله هلاكهم وما جرى عليهم؟ فإن كانوا خيرا منهم، أمكن أن ينجوا من العذاب، ولم يصبهم ما أصاب أولئك الأشرار،
أكفاركم خير من أولئكم أي: هؤلاء الذين كذبوا أفضل
فأخبر تعالى أنهم يقولون: نحن جميع منتصر 44
ويولون الدبر فوقع كما أخبر، هزم الله جمعهم الأكبر يوم بدر، وقتل من صناديدهم وكبرائهم ما دلوا به ونصر الله دينه ونبيه وحزبه المؤمنين. 45
قال تعالى مبينا لضعفهم، وأنهم مهزومون: سيهزم الجمع
بل الساعة موعدهم الذي يحازون به، ويؤخذ منهم الحق بالقسط، والساعة أدهى وأمر أي: أعظم وأشق، وأكبر من كل ما يتوهم، أو يدور بالبال 46
ومع ذلك، فالهم موعد يجمع به أولهم وآخرهم، ومن أصيب في الدنيا منهم، ومن متع بلذاته، ولهذا قال:
العلم، وضلال عن العمل، الذي ينجيهم من العذاب، ويوم القيامة في العذاب الأليم، والنار التي تتسعر بهم، وتشتعل في أجسامهم، حتى تبلغ أفئدتهم. 47
أي: الذين أكثروا من فعل الجرائم، وهي الذنوب العظيمة من الشرك وغيره، من المعاصي في ضلال وسعر أي: هم ضالون في الدنيا، ضلال عن
إن المجرمين
ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من ألم غيرها، فيهانون بذلك ويخزون، ويقال لهم: ذوقوا مس سقر أي: ذوقوا ألم النار وأسفها وغيظها ولهبها. 48
يوم يسحبون في النار على وجوههم التي هي أشرف
ولا مشارك له في خلقها وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير، 49
إنا كل شيء خلقناه بقدر وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه،
على المخالفين ولا يبقى لأحد على الله حجة بعد الرسل، فما تغن النذر كقوله تعالى: ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم 5
حكمة منه تعالى بالغة أي: لتقوم حجته
وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر فإذا أراد شيئا قال له كن فيكون كما أراد، كلمح البصر، من غير ممانعة ولا صعوبة. 50
أي: متذكر يعلم أن سنة الله في الأولين والآخرين واحدة، وأن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار، فإن هؤلاء مثلهم، ولا فرق بين الفريقين. 51
ولقد أهلكنا أشياءكم من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، وكذبوا كما كذبتهم فهل من مدكر
وكل شيء فعلوه في الزبر أي: كل ما فعلوه من خير وشر مكتوب عليهم في الكتب القدسية 52
الله تعالى، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. 53
وكل صغير وكبير مستطر أي: مسطر مكتوب، وهذا حقيقة القضاء والقدر، وأن جميع الأشياء كلها، قد علمها
والقصور الرفيعة، والمنازل الأنيفة، والمآكل والمشارب اللذيذة، والحدود الحسان، والروضات البهية في الجنان، ورضوان الملك الديان، والفوز بقربه. 54
والصغائر. في جنات ونهر أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار الياضعة، والأنهار الجارية،
إن المتقين لله، بفعل أوامره وترك نواهيه، الذين اتقوا الشرك والكبائر
من كرامته وجوده، ويمدهم به من إحسانه ومنته، جعلنا الله منهم، ولا حرمننا خير ما عنده بشر ما عندنا. تم تفسير سورة اقتربت، ولله الحمد والشكر 55
في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم

تفسير السعدي

- إلى شيء نكر أي: إلى أمر فظيع تنكره الخليقة، فلم تر منظرا أفضع ولا أوجع منه، فينفخ إسرافيل نفخة، يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة 6
يبقى إلا الإعراض عنهم والتولي عنهم، فقال: فتول عنهم وانتظر بهم يوما عظيما وهولا جسيما، وذلك حين يدعو الداع إسرافيل عليه السلام
يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قد بان أن المكذبين لا حيلة في هداهم، فلم
أبصارهم. يخرجون من الأحداث وهي القبور، كأنهم من كثرتهم، وروجان بعضهم ببعض جراد منتشر أي: مبعوث في الأرض، متكاثرا جدا، 7
خشعا أبصارهم أي: من الهول والفرع الذي وصل إلى قلوبهم، فخضعت وذلت، وخشعت لذلك
يقول الكافرون الذين قد حضر عذابهم: هذا يوم عسر كما قال تعالى على الكافرين غير يسير مفهوم ذلك أنه يسير سهل على المؤمنين 8
إلى الداع أي: مسرعين لإجابة النداء الداعي وهذا يدل على أن الداعي يدعوهم ويأمرهم بالحضور لموقف القيامة، فيلبون دعوته، ويسرعون إلى إجابته،
مهطعين
يكفهم قبحهم الله عدم الإيمان به، ولا تكذيبهم إياه، حتى أوصلا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، وهكذا جميع أعداء الرسل، هذه حالهم مع أنبيائهم. 9
النيرة المستقيمة، إلى الهدى والنور والرشد، وما هم عليه جهل وضلال مبين، وقوله: وازجر أي: زجره قومه وعنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى، فلم
والسلام جهل وضلال، لا يصدر إلا من المجانين، وكذبوا في ذلك، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعا وعقلا، فإن ما جاء به هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول
ولهذا قال هنا: فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونون لزعمهم أن ما هم عليه وآباؤهم من الشرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل، وأن ما جاء به نوح عليه الصلاة
تذرن ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا ولم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلا ونهارا، وسرا وجهارا، فلم يزددهم ذلك إلا عنادا وطغيانا، وقدحا في نبينهم،
نوح، أول رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فامتنعوا من ترك الشرك وقالوا: لا تذرن آلهتكم ولا
لرسوله، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئا، أنذرهم وخوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسل، وكيف أهلكهم الله وأحل بهم عقابه. فذكر قوم
لما ذكر تبارك وتعالى حال المكذبين

سورة 55

- الله إلى عبادته من النعم الدينية والدنيوية والآخروية وبعد كل جنس ونوع من نعمه، ينبه الثقلين لشكره، ويقول: فبأي آلاء ربكما تكذبان . 1
الجليلة، افتتحها باسمه الرحمن الدال على سعة رحمته، وعموم إحسانه، وجزيل بره، وواسع فضله، ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله
هذه السورة الكريمة
وفراشا يبنون بها، ويحرثون ويغرسون ويحفرون ويسلكون سبلها فجاجا، وينتفعون بمعادنها وجميع ما فيها، مما تدعو إليه حاجتهم، بل ضرورتهم. 10
والأرض وضعها الله على ما كانت عليه من الكثافة والاستقرار واختلاف أوصافها و أحوالها للأنام أي: للخلق، لكي يستقروا عليها، وتكون لهم مهادا
الذي ينفلق عن القنوان التي تخرج شيئا فشيئا حتى تتم، فتكون قوتا يؤكل ويدخر، يتزود منه المقيم والمسافر، وفاكهة لذيدة من أحسن الفواكه. 11
فاكهة وهي جميع الأشجار التي تثمر الثمرات التي يتفكه بها العباد، من العنب والتين والرمان والتفاح، وغير ذلك، والنخل ذات الأكمام أي: ذات الوعاء
ثم ذكر ما فيها من الأقوات الضرورية، فقال: فيها
الرياحان المعروف، وأن الله امتن على عباده بما يسره في الأرض من أنواع الروائح الطيبة، والمشام الفاخرة، التي تسر الأرواح، وتشرح لها النفوس. 12
يأكلها الادميون، فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص، ويكون الله قد امتن على عباده بالقوت والرزق، عموما وخصوصا، ويحتمل أن المراد بالرياحان،
فينتفع بتنبهه للأنعام وغيرها، ويدخل في ذلك حب البر والشعير والذرة والأرز والدخن، وغير ذلك، والرياحان يحتمل أن المراد بذلك جميع الأرزاق التي
والحب ذو العصف أي: ذو الساق الذي يداس،
إلا قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا تكذب، فلك الحمد، فهذا الذي ينبغي للعبد إذا تليت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يقر بها ويشكر، ويحمد الله عليها. 13
فبأي نعم الله الدينية والدنيوية تكذبان؟ وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة، فما مر بقوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان
ولما ذكر جملة كثيرة من نعمه التي تشاهد بالأبصار والبصائر، وكان الخطاب للثقلين، الإنس والجن، قررهم تعالى بنعمه، فقال: فبأي آلاء ربكما تكذبان أي:
من صلصال كالفخار أي: من طين مبلول، قد أحكم به وأتقن، حتى جف، فصار له صلصلة وصوت يشبه صوت الفخار الذي طبخ على النار . 14
وهذا من نعمه تعالى على عباده، حيث أراهم من آثار قدرته وبديع صنعته، أن خلق أبا الإنس وهو آدم عليه السلام
المخلوق من الطين والتراب، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع، بخلاف عنصر الجان وهو النار، التي هي محل الخفة والطيش والشر والفساد. 15
وخلق الجان أي: أبا الجن، وهو إبليس اللعين من مارج من نار أي: من لهب النار الصافي، أو الذي قد خالطه الدخان، وهذا يدل على شرف عنصر الآدمي

تفسير السعدي

ولما بين خلق الثقلين ومادة ذلك وكان ذلك منة منه تعالى على عباده قال: فبأي آلاء ربكما تكذبان 16

النيرة، وكل ما غربت عليه، وكل ما كانا فيه فهي تحت تدبيره وربوبيته، وثناهما هنا لإرادة العموم مشرقى الشمس شتاء وصيفا، ومغربها كذلك 17 أي: هو تعالى رب كل ما أشرقت عليه الشمس والقمر، والكواكب

النيرة، وكل ما غربت عليه، وكل ما كانا فيه فهي تحت تدبيره وربوبيته، وثناهما هنا لإرادة العموم مشرقى الشمس شتاء وصيفا، ومغربها كذلك 18 أي: هو تعالى رب كل ما أشرقت عليه الشمس والقمر، والكواكب

المراد بالبحرين: البحر العذب، والبحر المالح، فهما يلتقيان كلاهما، فيصب العذب في البحر المالح، ويختلطان ويمتزجان، 19

على عباده، وهذا أعظم منة ورحمة رحم بها عباده، حيث أنزل عليهم قرآنا عربيا بأحسن ألفاظ، وأحسن تفسير، مشتمل على كل خير، زاجر عن كل شر. 2 فذكر أنه علم القرآن أي: علم عباده ألفاظه ومعانيه، ويسرها

منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرا مسخرا للسفن والمراكب. 20 ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبيغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب

منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرا مسخرا للسفن والمراكب. 21 ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبيغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب

منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرا مسخرا للسفن والمراكب. 22 ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبيغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب

منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرا مسخرا للسفن والمراكب. 23 ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبيغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب

عليها أمتعتهم وأنواع تجارتهم، وغير ذلك مما تدعو إليه حاجتهم وضرورتهم، وقد حفظها حافظ السماوات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة. 24 السفن الجوارى، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشئها الأدميون، فتكون من كبرها وعظمتها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون أي: وسخر تعالى لعباده

عليها أمتعتهم وأنواع تجارتهم، وغير ذلك مما تدعو إليه حاجتهم وضرورتهم، وقد حفظها حافظ السماوات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة. 25 السفن الجوارى، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشئها الأدميون، فتكون من كبرها وعظمتها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون أي: وسخر تعالى لعباده

أي: كل من على الأرض، من إنس وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنى ويموت ويببىد 26

والجود، والداعي لأن يكرم أوليائه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه، 27 ويبقى الحي الذي لا يموت ذو الجلال والإكرام أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل

فبأي آلاء ربكما تكذبان 28

ينفذ فيهم أحكام الجزاء، ويريه من عدله وفضله وكثرة إحسانه، ما به يعرفونه ويوحده، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان إلى دار الحيوان. 29 الدينية التي هي الأمر والنهي، والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار، حتى إذا تمت هذه الخليفة وأفانهم الله تعالى وأراد تعالى أن تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته، وهي أحكامه جميع الخلق في كل الآتات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشئون التي أخبر أنه شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسماوات، وعم لطفه أقل من ذلك، وهو تعالى كل يوم هو في شأن يغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويعطي قوما، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن بذاته عن جميع مخلوقاته، وهو واسع الجود والكرم، فكل الخلق مفتقرون إليه، يسألونه جميع حوائجهم، بحالهم ومقالهم، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أي: هو الغني

خلق الإنسان في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء، محكم البناء، قد أتقن البديع تعالى البديع خلقه أي إتقان.. 3

ينفذ فيهم أحكام الجزاء، ويريه من عدله وفضله وكثرة إحسانه، ما به يعرفونه ويوحده، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان إلى دار الحيوان. 30 الدينية التي هي الأمر والنهي، والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار، حتى إذا تمت هذه الخليفة وأفانهم الله تعالى وأراد تعالى أن تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته، وهي أحكامه جميع الخلق في كل الآتات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشئون التي أخبر أنه

تفسير السعدي

شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسموات، وعم لطفه أقل من ذلك، وهو تعالى كل يوم هو في شأن يغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويعطي قوما، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن بذاته عن جميع مخلوقاته، وهو واسع الجود والكرم، فكل الخلق مفتقرون إليه، يسألونه جميع حوائجهم، بحالهم ومقالهم، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أي: هو الغني

سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان أي: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا. 31

سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان أي: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا. 32

ففي ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همسا، وفي ذلك الموقف يستوي الملوك والمماليك، والرؤساء والمرءوسون، والأغنياء والفقراء. 33
إلا بسلطان أي: لا تخرجون عنه إلا بقوة وتسلط منكم، وكما لا قدرة، وأنى لهم ذلك، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟!
معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض أي: تجدون منفذا مسلكا تخرجون به عن ملك الله وسلطانه، فانفذوا لا تنفذون أي: إذا جمعهم الله في موقف القيامة، أخبرهم بعجزهم وضعفهم، وكما لا سلطان، ونفوذ مشيئته وقدرته، فقال معجزا لهم: يا

ففي ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همسا، وفي ذلك الموقف يستوي الملوك والمماليك، والرؤساء والمرءوسون، والأغنياء والفقراء. 34
إلا بسلطان أي: لا تخرجون عنه إلا بقوة وتسلط منكم، وكما لا قدرة، وأنى لهم ذلك، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟!
معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض أي: تجدون منفذا مسلكا تخرجون به عن ملك الله وسلطانه، فانفذوا لا تنفذون أي: إذا جمعهم الله في موقف القيامة، أخبرهم بعجزهم وضعفهم، وكما لا سلطان، ونفوذ مشيئته وقدرته، فقال معجزا لهم: يا

أن هذين الأمرين الفظيعين يرسلان عليكما يا معشر الجن والإنس، ويحيطان بكما فلا تنتصران، لا بناصر من أنفسكم، ولا بأحد ينصركم من دون الله. 35
من نار ونحاس فلا تنصران فبأي آلاء ربكما تكذبان أي: يرسل عليكما لهب صاف من النار. ونحاس وهو الذهب، الذي قد خالطه الدخان، والمعنى ثم ذكر ما أعد لهم في ذلك الموقف العظيم فقال: يرسل عليكما شواظ

ولما كان تخويفه لعباده نعمة منه عليهم، وسوطا يسوقهم به إلى أعلى المطالب وأشرف المواهب، امتن عليهم فقال: فبأي آلاء ربكما تكذبان 36
فانخسفت شمسها وقمرها، وانتثرت نجومها، فكانت من شدة الخوف والانزعاج وردة كالدهان أي: كانت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه 37
فإذا انشقت السماء أي يوم القيامة من شدة الأهوال، وكثرة البلبال، وترادف الأوجال،
فانخسفت شمسها وقمرها، وانتثرت نجومها، فكانت من شدة الخوف والانزعاج وردة كالدهان أي: كانت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه 38
فإذا انشقت السماء أي يوم القيامة من شدة الأهوال، وكثرة البلبال، وترادف الأوجال،

يجازي العباد بما علمه من أحوالهم، وقد جعل لأهل الخير والشر يوم القيامة علامات يعرفون بها، كما قال تعالى: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه 39
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان أي: سؤال استعلام بما وقع، لأنه تعالى عالم الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، ويريد أن
أي: التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله به الآدمي على غيره من أجل نعمه، وأكبرها عليه. 4
وميزه على سائر الحيوانات بأن علمه البيان

يجازي العباد بما علمه من أحوالهم، وقد جعل لأهل الخير والشر يوم القيامة علامات يعرفون بها، كما قال تعالى: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه 40
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان أي: سؤال استعلام بما وقع، لأنه تعالى عالم الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، ويريد أن
فيها، وإنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ وتقرير بما وقع منهم، وهو أعلم به منهم، ولكنه تعالى يريد أن تظهر للخلق حجته البالغة، وحكمته الجليلة. 41
وقال هنا: يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام أي: فيؤخذ بنواصي المجرمين وأقدامهم، فيلقون في النار ويسحبون
فيها، وإنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ وتقرير بما وقع منهم، وهو أعلم به منهم، ولكنه تعالى يريد أن تظهر للخلق حجته البالغة، وحكمته الجليلة. 42
وقال هنا: يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام أي: فيؤخذ بنواصي المجرمين وأقدامهم، فيلقون في النار ويسحبون
تسعر الجحيم: هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون فليهنهم تكذيبهم بها، وليذوقوا من عذابها ونكالها وسعيرها وأغلالها، ما هو جزاء لتكذيبهم 43
أي: يقال للمكذبين بالوعد والوعيد حين

يطوفون بينها أي: بين أطباق الجحيم ولهبها وبين حميم آن أي: ماء حار جدا قد انتهى حره، وزمهرير قد اشتد برده وقره، 44

فبأي آلاء ربكما تكذبان 45

عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب أنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات، والأخرى على فعل الطاعات. 46
أي: وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهى

تفسير السعدي

- عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب أنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات، والأخرى على فعل الطاعات. 47
أي: وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهى
- الزاهرة ذوات الغصون الناعمة، التي فيها الثمار اليانعة الكثيرة اللذيذة، أو ذوات أنواع وأصناف من جميع أصناف النعيم وأنواعه جمع فن، أي: صنف. 48
ذوات أفنان أي: فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الظاهر والباطن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر أن فيهما الأشجار الكثيرة
ومن أوصاف تلك الجنتين أنهما
- الزاهرة ذوات الغصون الناعمة، التي فيها الثمار اليانعة الكثيرة اللذيذة، أو ذوات أنواع وأصناف من جميع أصناف النعيم وأنواعه جمع فن، أي: صنف. 49
ذوات أفنان أي: فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الظاهر والباطن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر أن فيهما الأشجار الكثيرة
ومن أوصاف تلك الجنتين أنهما
- وسخرهما يجريان بحساب مقنن، وتقدير مقدر، رحمة بالعباد، وعناية بهم، وليقوم بذلك من مصالحهم ما يقوم، وليعرف العباد عدد السنين والحساب. 5
الشمس والقمر بحسبان أي: خلق الله الشمس والقمر،
- وفي تلك الجنتين عينان تجريان يفجرونها على ما يريدون ويشتهون. 50
وفي تلك الجنتين عينان تجريان يفجرونها على ما يريدون ويشتهون. 51
- فيهما من كل فاكهة من جميع أصناف الفواكه زوجان أي: صنفان، كل صنف له لذة ولون، ليس للنوع الآخر. 52
فيهما من كل فاكهة من جميع أصناف الفواكه زوجان أي: صنفان، كل صنف له لذة ولون، ليس للنوع الآخر. 53
- التي تلي بشرتهم؟! وجنى الجنتين دان الجنى هو الثمر المستوي أي: وثمر هاتين الجنتين قريب التناول، يناله القائم والقاعد والمضطجع. 54
الأسرة، وتلك الفرش، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها، من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها
بطائنها من إستبرق هذه صفة فرش أهل الجنة وجلوسهم عليها، وأنهم متكئون عليها، أي: جلوس تمكن واستقرار وراحة، كجلوس من الملوك على
متكئين على فرش
- التي تلي بشرتهم؟! وجنى الجنتين دان الجنى هو الثمر المستوي أي: وثمر هاتين الجنتين قريب التناول، يناله القائم والقاعد والمضطجع. 55
الأسرة، وتلك الفرش، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها، من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها
بطائنها من إستبرق هذه صفة فرش أهل الجنة وجلوسهم عليها، وأنهم متكئون عليها، أي: جلوس تمكن واستقرار وراحة، كجلوس من الملوك على
متكئين على فرش
- إنس قبلهم ولا جان أي: لم ينلهم قبلهم أحد من الإنس والجن، بل هن أبكار عرب، متحبيات إلى أزواجهن، بحسن التبعل والتفنج والملاحة والدلال 56
طرفهن على أزواجهن، من حسنهم وجمالهم، وكمال محبتهم لهم، وقصرن أيضا طرف أزواجهن عليهن، من حسنهن وجمالهن ولذة وصالهن، لم يطمئن
فيهن قاصرات الطرف أي: قد قصرن
- إنس قبلهم ولا جان أي: لم ينلهم قبلهم أحد من الإنس والجن، بل هن أبكار عرب، متحبيات إلى أزواجهن، بحسن التبعل والتفنج والملاحة والدلال 57
طرفهن على أزواجهن، من حسنهم وجمالهم، وكمال محبتهم لهم، وقصرن أيضا طرف أزواجهن عليهن، من حسنهن وجمالهن ولذة وصالهن، لم يطمئن
فيهن قاصرات الطرف أي: قد قصرن
- كأنهن الياقوت والمرجان وذلك لصفائهن وجمال منظرهن وبهائهن. 58
كأنهن الياقوت والمرجان وذلك لصفائهن وجمال منظرهن وبهائهن. 59
- والنجم والشجر يسجدان أي: نجوم السماء، وأشجار الأرض، تعرف ربها وتسجد له، وتطيع وتخضع وتنقاد لما سخرها له من مصالح عباده ومنافعهم. 6
في عبادة الخالق ونفع عبده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم المقيم، والعيش السليم، فهاتان الجنتان العاليتان للمقربين. 60
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أي: هل جزاء من أحسن
- في عبادة الخالق ونفع عبده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم المقيم، والعيش السليم، فهاتان الجنتان العاليتان للمقربين. 61
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أي: هل جزاء من أحسن
- ومن دونهما جنتان من فضة بنيانها وأنيتهما وحليتهما وما فيهما لأصحاب اليمين. 62
ومن دونهما جنتان من فضة بنيانها وأنيتهما وحليتهما وما فيهما لأصحاب اليمين. 63

تفسير السعدي

وتلك الجنتان مدهامتان أي: سوداوان من شدة الخضرة التي هي أثر الري. 64

وتلك الجنتان مدهامتان أي: سوداوان من شدة الخضرة التي هي أثر الري. 65

فيهما عينان نضاختان أي: فوارتان. 66

فيهما عينان نضاختان أي: فوارتان. 67

فيهما فاكهة من جميع أصناف الفواكه، وأخصها النخل والرمان، اللذان فيهما من المنافع ما فيهما. 68

فيهما فاكهة من جميع أصناف الفواكه، وأخصها النخل والرمان، اللذان فيهما من المنافع ما فيهما. 69

والمكيال الذي تكال به الأشياء والمقادير والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقام بها العدل بينهم. 7
الأرضية، ووضع الله الميزان أي: العدل بين العباد، في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف، والسماء رفعها سقفها للمخلوقات

فيهن أي: في الجنات كلها خيرات حسان أي: خيرات الأخلاق حسان الأوجه، فجمعن بين جمال الظاهر والباطن، وحسن الخلق والخلق. 70

فيهن أي: في الجنات كلها خيرات حسان أي: خيرات الأخلاق حسان الأوجه، فجمعن بين جمال الظاهر والباطن، وحسن الخلق والخلق. 71

تهيأن وأعددن أنفسهن لأزواجهن، ولا ينفي ذلك خروجهن في البساتين ورياض الجنة، كما جرت العادة لبنات الملوك ونحوهن المخدرات الخفريات. 72
حور مقصورات في الخيام أي: محبوسات في خيام اللؤلؤ، قد

تهيأن وأعددن أنفسهن لأزواجهن، ولا ينفي ذلك خروجهن في البساتين ورياض الجنة، كما جرت العادة لبنات الملوك ونحوهن المخدرات الخفريات. 73
حور مقصورات في الخيام أي: محبوسات في خيام اللؤلؤ، قد

الأخريين. وقال في الأوليين: فيهما من كل فاكهة زوجان وفي الأخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقد علم ما بين الوصفين من التفاوت. 74
فيهما عينان تجريان وفي الأخريين: عينان نضاختان ومن المعلوم الفرق بين الجارية والنضاجة. وقال في الأوليين: ذواتا أفنان ولم يقل ذلك في
دون الجنتين الأوليين، كما نص الله على ذلك بقوله: ومن دونهما جنتان وكما وصف الأوليين بعدة أوصاف لم يصف بها الأخريين، فقال في الأوليين:
وعبقرى حسان العبقرى: نسبة لكل منسوج نسجا حسنا فاخرا، ولهذا وصفها بالحسن الشامل، لحسن الصنعة وحسن المنظر، ونعومة الملمس، وهاتان الجنتان
الرفراف الأخضر، وهي الفرش التي فوق المجالس العالية، التي قد زادت على مجالسهم، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم، لزيادة البهاء وحسن المنظر،
لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر أي: أصحاب هاتين الجنتين، متكأهم على

الأخريين. وقال في الأوليين: فيهما من كل فاكهة زوجان وفي الأخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقد علم ما بين الوصفين من التفاوت. 75
فيهما عينان تجريان وفي الأخريين: عينان نضاختان ومن المعلوم الفرق بين الجارية والنضاجة. وقال في الأوليين: ذواتا أفنان ولم يقل ذلك في
دون الجنتين الأوليين، كما نص الله على ذلك بقوله: ومن دونهما جنتان وكما وصف الأوليين بعدة أوصاف لم يصف بها الأخريين، فقال في الأوليين:
وعبقرى حسان العبقرى: نسبة لكل منسوج نسجا حسنا فاخرا، ولهذا وصفها بالحسن الشامل، لحسن الصنعة وحسن المنظر، ونعومة الملمس، وهاتان الجنتان
الرفراف الأخضر، وهي الفرش التي فوق المجالس العالية، التي قد زادت على مجالسهم، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم، لزيادة البهاء وحسن المنظر،
لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر أي: أصحاب هاتين الجنتين، متكأهم على

الأعين، وأهلها في غاية الراحة والرضا والطمأنينة وحسن المأوى، حتى إن كلا منهم لا يرى أحدا أحسن حالا منه، ولا أعلى من نعيمه الذي هو فيه. 76
الأخريين معدتان لعموم المؤمنين، وفي كل من الجنات المذكورات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيهن ما تشتهيهُ الأنفس وتلذ
يدل على فضلها. فبهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على الأخريين، وأنهما معدتان للمقربين من الأنبياء، والصديقين، وخوادم عباد الله الصالحين، وأن
في الأوليين هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فدل ذلك أن الأوليين جزاء المحسنين، ولم يقل ذلك في الأخريين. ومجرد تقديم الأوليين على الأخريين،
وأزواجهن: فيهن قاصرات الطرف لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان وقال في الأخريين: حور مقصورات في الخيام وقد علم التفاوت بين ذلك. وقال
من إستبرق وجنى الجنتين دان ولم يقل ذلك في الأخيرتين، بل قال: متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان وقال في الأوليين، في وصف نسائهم
قال في الأوليين: متكئين على فرش بطائنها

الأعين، وأهلها في غاية الراحة والرضا والطمأنينة وحسن المأوى، حتى إن كلا منهم لا يرى أحدا أحسن حالا منه، ولا أعلى من نعيمه الذي هو فيه. 77
الأخريين معدتان لعموم المؤمنين، وفي كل من الجنات المذكورات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيهن ما تشتهيهُ الأنفس وتلذ
يدل على فضلها. فبهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على الأخريين، وأنهما معدتان للمقربين من الأنبياء، والصديقين، وخوادم عباد الله الصالحين، وأن
في الأوليين هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فدل ذلك أن الأوليين جزاء المحسنين، ولم يقل ذلك في الأخريين. ومجرد تقديم الأوليين على الأخريين،
وأزواجهن: فيهن قاصرات الطرف لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان وقال في الأخريين: حور مقصورات في الخيام وقد علم التفاوت بين ذلك. وقال

تفسير السعدي

من إستبرق وجنى الجنتين دان ولم يقل ذلك في الأخيرتين، بل قال: متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان وقال في الأوليين، في وصف نسائهم قال في الأوليين: متكئين على فرش بطائنها والإكرام أي: تعاطم وكثر خيرته، الذي له الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه. تم تفسير سورة الرحمن، ولله الحمد والشكر والثناء الحسن. 78 ولما ذكر سعة فضله وإحسانه، قال: تبارك اسم ربك ذي الجلال الله الميزان، لئلا تتجاوزوا الحد في الميزان، فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم، لحصل من الخلل ما الله به عليم، ولفسدت السماوات والأرض. 8 ألا تطغوا في الميزان أي: أنزل أي: اجعلوه قائما بالعدل، الذي تصل إليه مقدرتكم وإمكانكم، ولا تخسروا الميزان أي: لا تنقصوه وتعملوا بضده، وهو الجور والظلم والطغيان. 9 وأقيموا الوزن بالقسط

سورة 56

يخبر تعالى بحال الواقعة التي لا بد من وقوعها، وهي القيامة التي 1

والسابقون السابقون أي: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات. 10

وأولئك المقربون 11

وأولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله، في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها. 12

وهؤلاء المذكورون ثلثة من الأولين أي: جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة وغيرهم. 13

وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها، لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين. والمقربون هم خواص الخلق، 14

على سرر موضونة أي: مرمولة بالذهب والفضة، واللؤلؤ، والجوهر، وغير ذلك من الحلي الزينة، التي لا يعلمها إلا الله تعالى. 15

تلك السرر، جلوس تمكن وطمأنينة وراحة واستقرار. متقابلين وجه كل منهم إلى وجه صاحبه، من صفاء قلوبهم، وحسن أدبهم، وتقابل قلوبهم. 16 متكئين عليها أي: على

غاية الحسن والبهاء، كأنهم لؤلؤ مكنون أي: مستور، لا يناله ما يغيره، مخلوقون للبقاء والخلد، لا يهرمون ولا يتغيرون، ولا يزيدون على أسنانهم. 17

أي: يدور على أهل الجنة لخدمة وقضاء حوائجهم، ولدان صغار الأسنان، في

عليهم بآنية شرابهم بأكواب وهي التي لا عرى لها، وأباريق الأواني التي لها عرى، وكأس من معين أي: من خمر لذيق المشرب، لا آفة فيها. 18

ويدورون

غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وذكر هنا خمر الجنة، ونفى عنها كل آفة توجد في الدنيا. 19

يكون لخمر الدنيا. والحاصل: أن جميع ما في الجنة من أنواع النعيم الموجود جنسه في الدنيا، لا يوجد في الجنة فيه آفة، كما قال تعالى: فيها أنهار من ماء

لا يصدعون عنها أي: لا تصدعهم رءوسهم كما تصدع خمرة الدنيا رأس شاربها. ولا هم عنها ينزفون، أي: لا تنزف عقولهم، ولا تذهب أحلامهم منها، كما

ليس لوقعتها كاذبة أي: لا شك فيها، لأنها قد تظاهرت عليها الأدلة العقلية والسمعية، ودلت عليها حكمته تعالى. 2

مما يتخيرون أي: مهما تخيروا، وراق في أعينهم، واشتهته نفوسهم، من أنواع الفواكه الشهية، والجنى اللذيذ، حصل لهم على أكمل وجه وأحسنه. 20

وفاكهة

ولحم طير مما يشتهون أي: من كل صنف من الطيور يشتهونه، ومن أي جنس من لحمه أرادوا، وإن شاءوا مشويا، أو طبيخا، أو غير ذلك. 21

والحوراء: التي في عينها كحل وملاحة، وحسن وبهاء، والعين: حسان الأعين وضخامها وحسن العين في الأنثى، من أعظم الأدلة على حسناتها وجمالها. 22

وحور عين أي: ولهم حور عين،

الحور العين، لا عيب فيهن بوجه، بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت. فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر خاطر ويروق الناظر. 23

اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذاك

كأمثال اللؤلؤ المكنون أي: كأنهن

وذلك النعيم المعد لهم جزاء بما كانوا يعملون فكما حسنت منهم الأعمال، أحسن الله لهم الجزاء، ووفر لهم الفوز والنعيم. 24

لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما أي: لا يسمعون في جنات النعيم كلاما يلغى، ولا يكون فيه فائدة، ولا كلاما يؤثم صاحبه. 25

تفسير السعدي

- طيب، وهذا دليل على حسن أدب أهل الجنة فيما بينهم، وأنه أطيب كلام، وأسرّه للنفوس وأسلمه من كل لغو وإثم، نسأل الله من فضله. 26
- إلا قتيلا سلاما سلاما أي: إلا كلاما طيبا، وذلك لأنها دار الطيبين، ولا يكون فيها إلا كل وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين أي: شأنهم عظيم، وحالهم جسيم. 27
- أي: مقطوع ما فيه من الشوك والأغصان الرديئة المضرة، مجعول مكان ذلك الثمر الطيب، وللصدر من الخواص، الظل الظليل، وراحة الجسم فيه. 28
- في صدر مخضود
- وطلح منضود والطلح معروف، وهو شجر كبار يكون بالبادية، تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ الشهي. 29
- خافضة رافعة أي: خافضة لأناس في أسفل سافلين، رافعة لأناس في أعلى عليين، أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب، ورفعته فأسمعت البعيد. 3
- وطلح منضود والطلح معروف، وهو شجر كبار يكون بالبادية، تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ الشهي. 30
- وماء مسكوب أي: كثير من العيون والأنهار السارحة، والمياه المتدفقة. 31
- في وقت من الأوقات، وتكون ممتنعة أي: متعسرة على مبتغيها، بل هي على الدوام موجودة، وجناها قريب يتناولها العبد على أي حال يكون. 32
- وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أي: ليست بمنزلة فاكهة الدنيا تنقطع
- في وقت من الأوقات، وتكون ممتنعة أي: متعسرة على مبتغيها، بل هي على الدوام موجودة، وجناها قريب يتناولها العبد على أي حال يكون. 33
- وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أي: ليست بمنزلة فاكهة الدنيا تنقطع
- وفرش مرفوعة أي: مرفوعة فوق الأسرة ارتفاعا عظيما، وتلك الفرش من الحرير والذهب واللؤلؤ وما لا يعلمه إلا الله. 34
- إنا أنشأناهم إنشاء أي: إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء. 35
- فجعلناهم أبكارا صغارهم وكبارهم. 36
- سن الشباب، فنسأوهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات، لا يحزن ولا يحزن، بل هن أفراح النفوس، وقرة العيون، وجلاء الأبصار. 37
- ذلك الموضع منها ريحا طيبا ونورا، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع. والأتراب اللاتي على سن واحدة، ثلاث وثلاثين سنة، التي هي غاية ما يتمنى ونهاية عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنفحات المطربة، وإن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلمها فرحا وسرورا، وإن برزت من محل إلى آخر، امتلا المتحبة إلى بعلمها بحسن لفظها، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سبت العقول، وود السامع أن كلامها لا ينقضي، خصوصا ونساء أهل الدنيا، وأن هذا الوصف وهو البكارة ملازم لهن في جميع الأحوال، كما أن كونهن عربا أترابا ملازم لهن في كل حال، والعروب: هي المرأة وعموم ذلك، يشمل الحور العين
- لأصحاب اليمين أي: معدات لهم مهيئات. 38
- ثلة من الأولين وثلة من الآخرين أي: هذا القسم من أصحاب اليمين عدد كثير من الأولين، وعدد كثير من الآخرين. 39
- إذا رجت الأرض رجا أي: حركت واضطربت. 4
- ثلة من الأولين وثلة من الآخرين أي: هذا القسم من أصحاب اليمين عدد كثير من الأولين، وعدد كثير من الآخرين. 40
- المراد بأصحاب الشمال هم: أصحاب النار، والأعمال المشئومة. 41
- حقيقون به، فأخبر أنهم في سموم أي: ريح حارة من حر نار جهنم، يأخذ بأنفاسهم، وتقلقهم أشد القلق، وحميم أي: ماء حار يقطع أمعاءهم. 42
- فذكر الله لهم من العقاب، ما هم
- وظل من يحموم أي: لهب نار، يختلط بدخان. 43
- لا بارد ولا كريم أي: لا برد فيه ولا كرم، والمقصود أن هناك الهم والغم، والحزن والشر، الذي لا خير فيه، لأن نفي الضد إثبات لصدده. 44
- كانوا قبل ذلك مترفين أي: قد ألهمهم دنياهم، وعملوا لها، وتنعموا وتمتعوا بها، فألهمهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه. 45
- ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء فقال: إنهم
- أي: وكانوا يفعلون الذنوب الكبار ولا يتوبون منها، ولا يندمون عليها، بل يصرون على ما يسخط مولاهم، فقدموا عليه بأوزار كثيرة غير مغفورة. 46
- وكانوا يصرون على الحنث العظيم
- وعظاما أننا لمبعوثون أو بأبأنا الأولون أي: كيف نبعث بعد موتنا وقد بلبنا، فكنا ترابا وعظاما؟ هذا من المحال أننا لمبعوثون أو بأبأنا الأولون 47
- وكانوا ينكرون البعث، فيقولون استبعادا لوقوعه: أنذا متنا وكنا ترابا

تفسير السعدي

- وعظاما أننا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون أي: كيف نبعث بعد موتنا وقد بلينا، فكنا ترابا وعظاما؟ هذا من المحال أننا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون 48 وكانوا ينكرون البعث، فيقولون استبعادا لوقوعه: أئذا متنا وكنا ترابا
- الله ويجمعهم لميقات يوم معلوم، قدره الله لعباده، حين تنقضي الخليقة، ويريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف. 49 قال تعالى جوابا لهم وردا عليهم: قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم أي: قل إن متقدم الخلق ومتأخرهم، الجميع سيجمعهم وبست الجبال بسا أي: فتنت. 5
- الله ويجمعهم لميقات يوم معلوم، قدره الله لعباده، حين تنقضي الخليقة، ويريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف. 50 قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم أي: قل إن متقدم الخلق ومتأخرهم، الجميع سيجمعهم
- ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى، التابعون لطريق الردى، المكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق والوعد والوعيد. 51
- لاكلون من شجر من زقوم وهو أقبح الأشجار وأخسها، وأنتنها ريحا، وأبشعها منظرا. 52
- الجوع المفرط، الذي يلتهب في أكبادهم وتكاد تنقطع منه أفئدتهم. هذا الطعام الذي يدفعون به الجوع، وهو الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. 53 فمائلون منها البطون والذي أوجب لهم أكلها مع ما هي عليه من الشناعة
- الحميم الذي يغلي في البطون شرب الإبل الهيم أي: العطاش، التي قد اشتد عطشها، أو أن الهيم داء يصيب الإبل، لا تروى معه من شراب الماء. 54 وأما شرابهم، فهو بنس الشراب، وهو أنهم يشربون على هذا الطعام من الماء
- الماء الحميم الذي يغلي في البطون شرب الإبل الهيم أي: العطاش، التي قد اشتد عطشها، أو أن الهيم داء يصيب الإبل، لا تروى معه من شراب الماء. 55 وأما شرابهم، فهو بنس الشراب، وهو أنهم يشربون على هذا الطعام من الماء
- وآثروها على ضيافة الله لأوليائه. قال تعالى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا 56 هذا الطعام والشراب نزلهم أي: ضيافتهم يوم الدين وهي الضيافة التي قدموها لأنفسهم،
- على ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ بلى إنه على كل شيء قدير، ولهذا وبخهم على عدم تصديقهم بالبعث، وهم يشاهدون ما هو أعظم منه وأبلغ. 57 العقلي على البعث، فقال: نحن خلقناكم فلولا تصدقون أي: نحن الذين أوجدناكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، من غير عجز ولا تعب، أفليس القادر
- ثم ذكر الدليل
- أي: أفرأيتم ابتداء خلقكم من المني الذي تمنون. 58
- خلق فيكم من الشهوة وآلتها من الذكر والأنثى، وهدي كلا منهما لما هنالك، وحبب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب للتناسل. 59 فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟ أم الله تعالى الخالق الذي
- فكانت هباء منبثا فأصبحت الأرض ليس عليها جبل ولا معلم، قاعا صاففا، لا ترى فيها عوجا ولا أمنا. 6
- خلق فيكم من الشهوة وآلتها من الذكر والأنثى، وهدي كلا منهما لما هنالك، وحبب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب للتناسل. 60 فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟ أم الله تعالى الخالق الذي
- خلق فيكم من الشهوة وآلتها من الذكر والأنثى، وهدي كلا منهما لما هنالك، وحبب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب للتناسل. 61 فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟ أم الله تعالى الخالق الذي
- على الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، فقال: ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أن القادر على ابتداء خلقكم، قادر على إعادتكم. 62 أحالهم الله تعالى
- من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم، التي لا يقدر أن يحصوها، فضلا عن شكرها، وأداء حقها، فقرهم بمنته. 63 وهذا امتنان منه على عباده، يدعوه به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار، فتخرج من ذلك
- يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك ومع ذلك، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومناخا إلى حين. 64 نضيجا؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما
- تزرعونه أم نحن الزارعون أي: أنتم أخرجتموه نباتا من الأرض؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حبا حصيدا وثمرًا أنتم
- جعله حطاما، بعد أن تعبت فيه وأنفقت النفقات الكثيرة تفكهون أي: تندمون وتحسرون على ما أصابكم، ويزول بذلك فرحكم وسروركم وتفكهكم 65

تفسير السعدي

- لو نشاء لجعلناه أي: الزرع المحروث وما فيه من الثمار حطاما أي: فتاتا متحطما، لا نفع فيه ولا رزق، فظلمت أي: فصرتم بسبب
- إنا لمغرمون أي: إنا قد نقصنا وأصابتنا مصيبة اجتاحتنا. 66
- فتقولون: بل نحن محرومون فاحمدوا الله تعالى حيث زرعه الله لكم، ثم أبقاها لكم، ولم يرسل عليه من الآفات ما به تحرمون نفعه وخيره. 67
- ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم، وبأي سبب ذهبتم،
- لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام، ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه. 68
- ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة، ومن نعمته أن جعله عذبا فارتا تسيغه النفوس 69
- وأنه الذي أنزله من المزن، وهو السحاب والمطر،
- وكنتم أيها الخلق أزواجا ثلاثة أي: انقسمتم ثلاث فرق بحسب أعمالكم الحسنة والسيئة. 7
- ولو شاء لجعله ملحا أجاجا مكروها للنفوس. لا ينتفع به فلولوا تشكرون الله تعالى على ما أنعم به عليكم. 70
- أن ينشئوا شجرها، وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفالوها وأخمدوها. 71
- التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوائجهم، فقرهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن الخلق لا يقدر
- وهذه نعمة تدخل في الضروريات
- أن ينشئوا شجرها، وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفالوها وأخمدوها. 72
- التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوائجهم، فقرهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن الخلق لا يقدر
- وهذه نعمة تدخل في الضروريات
- ربه، فهذه النار، جعلها الله متاعا للمسافرين في هذه الدار، وتذكرا لهم بدار القرار، فلما بين من نعمه ما يوجب الثناء عليه من عباده وشكره وعبادته، 73
- أو المسافرين وخص الله المسافرين لأن نفع المسافر بذلك أعظم من غيره، ولعل السبب في ذلك، لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين ولد فهو مسافر إلى
- تذكرة للعباد بنعمة ربهم، وتذكرا بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين، وجعلها سوطا يسوق به عباده إلى دار النعيم، ومتاعا للمقوين أي: المنتفعين
- نحن جعلناها
- كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقلبك ولسانك، وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى. 74
- أمر بتسبيحه وتحميده فقال: فسبح باسم ربك العظيم أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات،
- أقسم تعالى بالنجوم ومواقعها أي: مساقطها في مغاربها، وما يحدث الله في تلك الأوقات، من الحوادث الدالة على عظمته وكبريائه وتوحيده. 75
- به، فقال: وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وإنما كان القسم عظيما، لأن في النجوم وجريانها، وسقوطها عند مغاربها، آيات وعبرا لا يمكن حصرها. 76
- ثم عظم هذا المقسم
- إثبات القرآن، وأنه حق لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، وأنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه. 77
- وأما المقسم عليه، فهو
- بأيدي الملائكة الذين ينزلهم الله بوحيه وتنزيله وأن المراد بذلك أنه مستور عن الشياطين، لا قدرة لهم على تغييره، ولا الزيادة والنقص منه واستراقه. 78
- المحفوظ أي: إن هذا القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ، معظم عند الله وعند ملائكته في المأ الأعلى. ويحتمل أن المراد بالكتاب المكنون، هو الكتاب الذي
- في كتاب مكنون أي: مستور عن أعين الخلق، وهذا الكتاب المكنون هو اللوح
- دلت الآية بتنبيهها على أنه لا يجوز أن يمس القرآن إلا طاهر، كما ورد بذلك الحديث، ولهذا قيل أن الآية خبر بمعنى النهي أي: لا يمس القرآن إلا طاهر. 79
- الذين طهرهم الله تعالى من الآفات، والذنوب والعيوب، وإذا كان لا يمس إلا المطهرون، وأن أهل الخبث والشياطين، لا استطاعة لهم، ولا يدان إلى مسه،
- لا يمس إلا المطهرون أي: لا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام،
- ثم فصل أحوال الأزواج الثلاثة، فقال: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة تعظيم لشأنهم، وتفخيم لأحوالهم. 8
- والدنيوية، ومن أجل تربية ربي بها عباده، إنزاله هذا القرآن، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحمة لا يقدر
- تنزيل من رب العالمين أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين، الذي يربي عباده بنعمه الدينية
- الكريم، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب إلا غلب، ولا يصول به صائل إلا كان العالي على غيره، وهو الذي لا يدهن به ولا يختفى، بل يصدع به ويعلم. 81
- تدهنون أي: تختفون وتدلسون خوفا من الخلق وعارهم وألسنتهم؟ هذا لا ينبغي ولا يليق، إنما يليق أن يدهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه. وأما القرآن
- ومما يجب عليهم أن يقوموا به ويعملوه ويدعوا إليه ويصدعوا به، ولهذا قال: أفبهذا الحديث أنتم مدهنون أي: أفبهذا الكتاب العظيم والذكر الحكيم أنتم

تفسير السعدي

- لغير مسديها وموليها، فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله، فإن التكذيب والكفر داع لرفع النعم وحلول النقم. 82
- وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي: تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب والكفر لنعمة الله، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وتضيفون النعمة أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال أنا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرون. 83
- فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون
- أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال أنا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرون. 84
- فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون
- أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال أنا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرون. 85
- فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون
- فلولا إن كنتم غير مدينين أي: فهلا إذا كنتم تزعمون، أنكم غير مبعوثين ولا محاسبين ومجازين. 86
- أنكم عاجزون عن ردها إلى موضعها، فحينئذ إما أن تقرروا بالحق الذي جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم، وإما أن تعاندوا وتعلم حالكم وسوء مآلكم. 87
- ترجعون الروح إلى بدنها إن كنتم صادقين وأنتم تقررون
- والموت، فقال: فأما إن كان الميت من المقربين وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وفضول المباحات. 88
- ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين، في أول السورة في دار القرار. ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار
- من غفور رحيم وقد أول قوله تبارك تعالى: لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة أن هذه البشارة المذكورة، هي البشرى في الحياة الدنيا. 89
- أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا عند الاحتضار بهذه البشارة، التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح والسرور. كما قال تعالى: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة تعبيراً بنوع الشيء عن جنسه العام وجنة نعيم جامعة للأميرين كليهما، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيبشر المقربون وبهجة، ونعيم القلب والروح، وريحان وهو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المأكول والمشرب وغيرهما، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون ف لهم روح أي: راحة وطمأنينة، وسرور
- وأصحاب المشئمة أي: الشمال، ما أصحاب المشئمة تهويل لحالهم. 9
- من أصحاب اليمين وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، وإن حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم وإيمانهم، 90
- وأما إن كان ويحيونه عند وصوله إليهم ولقائهم له، أو يقال له: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، لأنك من أصحاب اليمين، الذين سلموا من الذنوب الموبقات. 91
- ف يقال لأحدهم: سلام لك من أصحاب اليمين أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين أي: يسلمون عليه
- وأما إن كان من المكذبين الضالين أي: الذين كذبوا بالحق وضلوا عن الهدى. 92
- التي تحيط بهم، وتصل إلى أفئدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وساءت مرتفقا 93
- فنزل من حميم وتصلية جحيم أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية الجحيم
- التي تحيط بهم، وتصل إلى أفئدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وساءت مرتفقا 94
- فنزل من حميم وتصلية جحيم أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية الجحيم
- على ذلك، حتى صار عند أولي الأبواب كأنهم ذائقون له مشاهدون له فحمدوا الله تعالى على ما خصهم به من هذه النعمة العظيمة، والمنحة الجسيمة. 95
- خيرها وشرها، وتفصيل ذلك لهو حق اليقين أي: الذي لا شك فيه ولا مرية، بل هو الحق الثابت الذي لا بد من وقوعه، وقد أشهد الله عباده الأدلة القواطع إن هذا الذي ذكره الله تعالى، من جزاء العباد بأعمالهم،
- ربنا العظيم، وتعالى وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. تم تفسير سورة الواقعة. 96
- فسبح باسم ربك العظيم فسبحان

سورة 57

فهذا فيه بيان عموم افتقار المخلوقات العلوية والسفلية لربها، في جميع أحوالها، وعموم عزته وقهره للأشياء كلها، وعموم حكمته في خلقه وأمره. 1

والجوامد تسبح بحمد ربها، وتنزه عما لا يليق بجلاله، وأنها قانتة لربها، منقادة لعزته، قد ظهرت فيها آثار حكمته، ولهذا قال: وهو العزيز الحكيم

تفسير السعدي

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وسعة سلطانه، أن جميع ما في السماوات والأرض من الحيوانات الناطقة والصامتة وغيرها،

10 الصحابة كلهم، رضي الله عنهم، حيث شهد الله لهم بالإيمان، ووعدهم الجنة، والله بما تعملون خبير فيجازي كلا منكم على ما يعلمه من عمله. احترز تعالى من هذا بقوله: وكلا وعد الله الحسنى أي: الذين أسلموا وقتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل هو مقتضى الحكمة، ولذلك كان السابقون وفضلاء الصحابة، غالبهم أسلم قبل الفتح، ولما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص وقدر في المفضل، وغيرها من ديار المشركين يؤذى ويخاف، فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وأنفق وقاتل، أعظم درجة وأجرا وثوابا ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك، كما عزا عظيمها، وكان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها، كالمدينة وتوابعها، وكان من أسلم من أهل مكة حصل بها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدعوة إلى الدين من غير معارض، فدخل الناس من ذلك الوقت في دين الله أفواجا، واعتز الإسلام درجة من الدين أنفقوا من بعد وقتلوا المراد بالفتح هنا هو فتح الحديبية، حين جرى من الصلح بين الرسول وبين قريش مما هو أعظم الفتوحات التي أيديكم، وانتهزوا الفرصة، ثم ذكر تعالى تفاضل الأعمال بحسب الأحوال والحكمة الإلهية، فقال: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم ميراث السماوات والأرض فجميع الأموال ستنقل من أيديكم أو تنقلون عنها، ثم يعود الملك إلى ماله تبارك وتعالى، فاغتنموا الإنفاق ما دامت الأموال في أي: وما الذي يمنعكم من النفقة في سبيل الله، وهي طرق الخير كلها، ويوجب لكم أن تبخلوا، والحال أنه ليس لكم شيء، بل لله

كثيرة، وهو الكريم الوهاب، وتلك المضاعفة محلها وموضعها يوم القيامة، يوم كل يتبين فقره، ويحتاج إلى أقل شيء من الجزاء الحسن، ولذلك قال: 11 لمرضاة الله، من مال حلال طيب، طيبة به نفسه، وهذا من كرم الله تعالى حيث سماه قرضا، والمال ماله، والعبد عبده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافا على النفقة فيه، وبذل الأموال في التجهيز له، فقال: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وهي النفقة الطيبة التي تكون خالصة لوجه الله، موافقة حث على النفقة في سبيله، لأن الجهاد متوقع

فيها ذلك هو الفوز العظيم فله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب، ونجوا من كل شر ومرهوب 12 ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه، ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم واغتباط أهل به يوم القيامة: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أي: إذا كان يوم القيامة، وكورت الشمس، وخسف يقول تعالى مبينا لفضل الإيمان

حصين، له باب باطنه فيه الرحمة وهو الذي يلي المؤمنين وظاهره من قبله العذاب وهو الذي يلي المنافقين، فينادي المنافقون المؤمنين، 13 نورا أي: إن كان ذلك ممكنا، والحال أن ذلك غير ممكن، بل هو من المحالات، فضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور أي: حائط منيع، وحصن قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم أي: أمهلونا لننال من نوركم ما نمشي به، لننجو من العذاب، ف قيل لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به وهم قد طفى نورهم وبقوا في الظلمات حائرين،

الموت وأنتم بتلك الحال الذميمة. وغركم بالله الغرور وهو الشيطان، الذي زين لكم الكفر والريب، فاطمأنتم به، ووثقتم بوعده، وصدقتم خبره. 14 خبر الله الذي لا يقبل شكًا، وغرتكم الأمانى الباطلة، حيث تمنيتم أن تتألوا مثال المؤمنين، وأنتم غير موقنين، حتى جاء أمر الله أي: حتى جاءكم في الظاهر مثل عملنا، ولكن أعمالكم أعمال المنافقين، من غير إيمان ولا نية صادقة صالحة، بل فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم أي: شكتم في تضرعا وترحمًا: ألم نكن معكم في الدنيا نقول: لا إله إلا الله ونصلي ونصوم ونجاهد، ونعمل مثل عملكم؟ قالوا بلى كنتم معنا في الدنيا، وعلمتم فيقولون لهم

هي مولاكم التي تتولاكم وتضمكم إليها، وبئس المصير النار. قال تعالى: وأما من خفت موازينه فأمله هاوية وما أدراك ما هية نار حامية 15 فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا فلو اقتديتم بمثل الأرض ذهبًا ومثله معه، لما تقبل منكم، مأواكم النار أي: مستقركم، فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزل له الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين. 16 التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، فقسست قلوبهم وكثير منهم فاسقون على ذلك، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم الذي تلين به قلوبهم وتخضع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ وهذا فيه الحث والاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك، فقال: ألم يأن للذين آمنوا أن تخضع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق أي: ألم يجئ الوقت لما ذكر حال المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها،

قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله ولم ينقد لشرائع الله. 17 على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر

تفسير السعدي

اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون فإن الآيات تدل العقول

يضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ولهم أجر كريم وهو ما أعد الله لهم في الجنة، مما لا تعلمه النفوس. 18
أكثرنا من الصدقات الشرعية، والنفقات المرضية، وأقرضوا الله قرضا حسنا بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخرا لهم عند ربهم،
إن المصدقين والمصدقات بالتشديد أي: الذين

الواجبات وتركوا المحرمات، إلا أنهم حصل منهم تقصير ببعض حقوق الله وحقوق عباده، فهؤلاء مآلهم الجنة، وإن حصل لهم عقوبة ببعض ما فعلوا. 19
الله، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فقتلوا، وأصحاب الجحيم هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله. وبقي قسم ذكرهم الله في سورة فاطر، وهم المقتصدون الذين أدوا في سبيل الله. والصديقون هم الذينكملوا مراتب الإيمان والعمل الصالح، والعلم النافع، واليقين الصادق، والشهداء هم الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة والصديقين، والشهداء، وأصحاب الجحيم، فالمتصدقون الذين كان جل عملهم الإحسان إلى الخلق، وبذل النفع إليهم بغاية ما يمكنهم، خصوصا بالنفع بالمال يقتضي شدة علوهم ورفعته، وقربهم الله تعالى. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم فهذه الآيات جمعت أصناف الخلق، المتصدقين، ونورهم كما ورد في الحديث الصحيح: إن في الجنة مائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله وهذا فالذين جمعوا بين هذه الأمور هم الصديقون أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء. وقوله: والشهداء عند ربهم لهم أجرهم عند أهل السنة: هو ما دل عليه الكتاب والسنة، هو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، والذين آمنوا بالله ورسوله والإيمان

ثم أخبر عن عموم ملكه، فقال: له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت أي: هو الخالق لذلك، الرازق المدبر لها بقدرته وهو على كل شيء قدير 2
إلا متاع الغرور أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور. 20
من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها. فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال: وما الحياة الدنيا هي غايته ومنتهاى مطلبه، فتجراً على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله. وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل شديد ومغفرة من الله ورضوان أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه. وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: وفي الآخرة عذاب وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتابا لمن كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلّفها فهاجت ويبست، فعدت على حالها الأولى، وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة. ثم ضرب للدنيا مثلاً بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا إليها. بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرا ولم يجعلها مستقرا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله وإذا رأى من يكائره في أحوالها، وتكاثر في الأموال والأولاد أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين والدور والقصور والجاه. وغير ذلك وتفاخر بينكم أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي. وقوله: وزينة أي: تزيين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايته وغاية أهلها، بأنها

من أعظم منته على عباده وفضله. والله ذو الفضل العظيم الذي لا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده 21
يؤتيه من يشاء أي: هذا الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم لذلك، فقال: وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله والإيمان بالله ورسوله يدخل فيه أصول الدين وفروعه، ذلك فضل الله الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة

عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبينوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، 22
شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل يقول تعالى مخبرا عن عموم قضائه وقدره: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم وهذا

بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطفيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: ثم إذا خولناه نعمتنا منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة 23

تفسير السعدي

وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم، ولهذا قال: والله لا يحب كل مختال فخور أي: متكبر فظ غليظ، معجب أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم

السماوات والأرض، وهو الذي أغنى عباده وأقناهم، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يحمد عليه ويثنى ويعظم. 24 ربهم وتوليهم عنها، ومن يتول عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئا، فإن الله هو الغني الحميد الذي غناه من لوازم ذاته، الذي له ملك الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثوهم على هذا الخلق الذميمة، بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أي: يجمعون بين الأمرين الذميين، اللذين كل منهما كاف في الشر البخل: وهو منع الحقوق

والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به على حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله. 25 من ينصره بالغيب، وقرن تعالى في هذا الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة والبرهان يفوته هارب، ومن قوته وعزته أن أنزل الحديد الذي منه الآلات القوية، ومن قوته وعزته أنه قادر على الانتصار من أعدائه، ولكنه يبتلي أوليائه بأعدائه، ليعلم في حال الغيب، التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة، التي لا فائدة بوجود الإيمان فيها، لأنه حينئذ يكون ضروريا. إن الله قوي عزيز أي: لا يعجزه شيء، ولا يحتاج إلى الحديد. وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أي: ليقيم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب والحديد، فيتبين من ينصره وينصر رسله والدروع وغير ذلك. ومنافع للناس وهو ما يشاهد من نفعه في أنواع الصناعات والحرف، والأواني وآلات الحرث، حتى إنه قل أن يوجد شيء إلا وهو في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن اختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة والأحوال، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد من آلات الحرب، كالسلاح وغير ذلك، وذلك ليقوم الناس بالقسط قياما بدين الله، وتحصيلا لمصالحهم التي لا يمكن حصرها وعدّها، وهذا دليل على أن الرسل متفقون الأقوال والأفعال، والدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق، وفي الجنايات والقصاص والحدود والمواريث معهم الكتاب وهو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق وإرشادهم، إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، والميزان وهو العدل في يقول تعالى: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة على صدق ما جاءوا به وحقيته. وأنزلنا

بهداهم. وكثير منهم فاسقون أي: خارجون عن طاعة الله و طاعة الرسل والأنبياء كما قال تعالى: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين 26 عليهما السلام، وكذلك الكتب كلها نزلت على ذرية هذين النبيين الكريمين، فمنهم أي: ممن أرسلنا إليهم الرسل مهتد بدعوتهم، منقاد لأمرهم، مسترشد والكتاب في ذريتهما، فقال: ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب أي: الأنبياء المتقدمين والمتأخرين كلهم من ذرية نوح وإبراهيم ولما ذكر نبوة الأنبياء عموما، ذكر من خواصهم النبيين الكريمين نوحا وإبراهيم اللذين جعل الله النبوة

آمنوا منهم أجرهم أي: الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، مع إيمانهم بعبسى، كل أعطاه الله على حسب إيمانه وكثير منهم فاسقون 27 ابتداءهم، ومن جهة عدم قيامهم بما فرضه على أنفسهم. فهذه الحال هي الغالب من أحوالهم. ومنهم من هو مستقيم على أمر الله، ولهذا قال: فآتيناهم الذين بها من تلقاء أنفسهم، قصدهم بذلك رضا الله تعالى، ومع ذلك فما رعوها حق رعايتها أي: ما قاموا بها ولا أدوا حقوقها، فقصروا من وجهين: من جهة ابتدعوا والرهبانية: العبادة، فهم ابتدعوا من عند أنفسهم عبادة، ووظفوها على أنفسهم، والتزموا لوازم ما كتبها الله عليهم ولا فرضها، بل هم الذين التزموا ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون الآيات. ولهذا كان النصارى آئين من غيرهم قلوبا، حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام. ورهبانية اتبعوه رافة ورحمة كما قال تعالى: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى عليه السلام؛ لأن السياق مع النصارى، الذين يزعمون اتباع عيسى عليه السلام، وآتيناه الإنجيل الذي هو من كتب الله الفاضلة، وجعلنا في قلوب الذين ثم قفينا أي: أتبعنا على آثارهم برسنا وقفينا بعبسى ابن مريم خص الله عيسى

فلا يستكثر هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عم فضله أهل السماوات والأرض، فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين ولا أقل من ذلك. 28 مرة بعد أخرى. ويجعل لكم نورا تمشون به أي: يعطيكم علما وهدى ونورا تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السيئات. والله ذو الفضل العظيم وقدرهما إلا الله تعالى أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، أو أجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التثنية المراد بها تكرار الإيتاء والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين، ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم، أعطاهم الله كفلين من رحمته لا يعلم وصفهما ونصيب على إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم. ويحتمل أن يكون الأمر عاما يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، وهذا الظاهر، وأن الله أمرهم بالإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله كفلين من رحمته أي: نصيبين من الأجر نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين، يحتمل أنه خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم، بأن يتقوا الله فيتركوا معاصيه، ويؤمنوا وهذا الخطاب،

اقتضت حكمته تعالى أن يؤتیه من فضله، والله ذو الفضل العظيم الذي لا يقادر قدره. تم تفسير سورة الحديد، ولله الحمد والمنة، والحمد لله. 29 صلى الله عليه وسلم، المتقين لله، لهم كفلان من رحمته، ونور، ومغفرة، رغما على أنوف أهل الكتاب، وليعلموا أن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء ممن

تفسير السعدي

- وعقولهم الفاسدة، فيقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ويتمنون على الله الأماني الفاسدة، فأخبر الله تعالى أن المؤمنين برسوله محمد عاماً، واتقى الله، وآمن برسوله، لأجل أن أهل الكتاب يكون لديهم علم بأنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله أي: لا يحجرون على الله بحسب أهوائهم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرُونَ على شيء من فضل الله أي: بينا لكم فضلنا وإحساننا لمن آمن إيماناً شياً، والباطن الذي ليس دونه شيء. وهو بكل شيء عليم قد أحاط علمه بالظواهر والباطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة. 3 هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه
- والله بما تعملون بصير أي: هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تلك الأعمال، من بر وفجور، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم. 4 إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا وهذه المعية، معية العلم والاطلاع، ولهذا تواعد ووعد على المجازاة بالأعمال بقوله: وما يعرج فيها من الملائكة والأرواح، والأدعية والأعمال، وغير ذلك. وهو معكم أين ما كنتم كقوله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة من حب وحيوان ومطر، وغير ذلك. وما يخرج منها من نبات وشجر وحيوان وغير ذلك، وما ينزل من السماء من الملائكة والأقمار والأرزاق. والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ثم استوى على العرش استواء يليق بجلاله، فوق جميع خلقه، يعلم ما يلج في الأرض هو الذي خلق السماوات
- الربانية، وإلى الله ترجع الأمور من الأعمال والعمال، فيعرض عليه العباد، فيميز الخبيث من الطيب، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. 5 له ملك السماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً، يتصرف فيهم بما شاء من أوامره القدرية والشرعية، الجارية على الحكمة
- الظاهرة والباطنة، وهو عليم بذات الصدور أي: بما يكون في صدور العالمين، فيوفق من يعلم أنه أهل لذلك، ويخذل من يعلم أنه لا يصلح لهديته 6 حتى تقوم بذلك الفصول، وتستقيم الأزمنة، ويحصل من المصالح ما يحصل بذلك، فتبارك الله رب العالمين، وتعالى الكريم الجواد، الذي أنعم على عباده بالنعم العباد، ويقومون إلى مصالحهم ومعاشيهم، ولا يزال الله يكور الليل على النهار، والنهار على الليل، ويداول بينهما، في الزيادة والنقص، والطول والقصر، أي: يدخل الليل على النهار، فيغشيهم الليل بظلامه، فيسكنون ويهدأون، ثم يدخل النهار على الليل، فيزول ما على الأرض من الظلام، ويضيء الكون، فيتحرك يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
- والفوز بدار كرامته، وما فيها من النعيم المقيم، الذي أعده الله للمؤمنين والمجاهدين، ثم ذكر السبب الداعي لهم إلى الإيمان، وعدم المانع منه، فقال: 7 عليه من الثواب، فقال: فالذين آمنوا منكم وأنفقوا أي: جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، والنفقة في سبيله، لهم أجر كبير، أعظمه وأجله رضا ربهم، جاء به، وبالنفقة في سبيله، من الأموال التي جعلها الله في أيديهم واستخلفهم عليها، لينظر كيف يعملون، ثم لما أمرهم بذلك، رغبهم وحثهم عليه بذكر ما رتب يأمر تعالى عباده بالإيمان به وبرسوله وبما
- ذلك، من لطفه وعنايته بكم، أنه لم يكتف بمجرد دعوة الرسول الذي هو أشرف العالم، بل أيده بالمعجزات، ودلكم على صدق ما جاء به بالآيات البينات. 8 الله يدعوكم، فهذا مما يوجب المبادرة إلى إجابة دعوته، والتلبية والإجابة للحق الذي جاء به، وقد أخذ عليكم العهد والميثاق بالإيمان إن كنتم مؤمنين، ومع بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين أي: وما الذي يمنعكم من الإيمان، والحال أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وأكرم داع دعا إلى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
- من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور العلم والإيمان، وهذا من رحمته بكم ورأفته، حيث كان أرحم بعباده من الوالدة بولدها وإن الله بكم لرءوف رحيم على صدق كل ما جاء به وأنه حق اليقين، ليخرجكم بإرسال الرسول إليكم، وما أنزله الله على يده من الكتاب والحكمة. من الظلمات إلى النور أي: هو الذي ينزل على عبده آيات بينات أي: ظاهرات تدل أهل العقول

سورة 58

- بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، ويرفع بلواها، ولهذا ذكر حكمها، وحكم غيرها على وجه العموم. 1 الأوقات، على تفنن الحاجات. بصير يبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما أي: تخاطبكما فيما بينكما، إن الله سميع لجميع الأصوات، في جميع الأولاد، وكان هو رجلاً شيخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررت ذلك، وأبدت فيه وأعادت. فقال تعالى: الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكت زوجته إلى الله، وجادته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حرمها على نفسه، بعد الصحبة الطويلة، نزلت هذه

- إلا شيء قدره الله وقضاه، وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي: ليعتمدوا عليه ويثقوا بوعده، فإن من توكل على الله كفاه، وتولى أمر دينه ودنياه 10 وقال تعالى: ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله فأعداء الله ورسوله والمؤمنين، مهما تناجوا ومكروا، فإن ضرر ذلك عائد إلى أنفسهم، ولا يضر المؤمنين

تفسير السعدي

مفيد. ليحزن الذين آمنوا هذا غاية هذا المكر ومقصوده، وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية والنصر على الأعداء، يقول تعالى: إنما النجوى أي: تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالمكر والخديعة، وطلب السوء من الشيطان، الذي كيده ضعيف ومكره غير تعملون خبير فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بأدابه والعمل بمقتضاه. 11 المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان. والله بما الله له، ومن وسع لأخيه، وسع الله عليه. وإذا قيل انشزوا أي: ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض، فانشزوا أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك يفسحوا له تحصيلا لهذا المقصود. وليس ذلك بضار للجالس شيئا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسيح له في المجلس، فإن من الأدب أن هذا تأديب

في الواجد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه وسامحه، وأباح له المناجاة، بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها. 12 الخير والعلم، فلا يبالي بالصدقة، ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده مجرد كثرة الكلام، فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول، هذا الرسول صلى الله عليه وسلم والأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها، فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزانا لمن كان حريصا على صلى الله عليه وسلم، فإن هذا التعظيم، خير للمؤمنين وأظهر أي: بذلك يكثر خيركم وأجركم، وتحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جعلتها ترك احترام يأمر تعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تأديبا لهم وتعليلما، وتعظيما للرسول

الإخلاص والإحسان، ولهذا قال: والله خبير بما تعملون فيعلم تعالى أعمالهم، وعلى أي: وجه صدرت، فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم. 13 في ذلك طاعة الله وطاعة رسوله، بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، وتصديق ما أخبرا به، والوقوف عند حدود الله والعبرة في ذلك على فمن قام بهما على الوجه الشرعي، فقد قام بحقوق الله وحقوق عباده، ولهذا قال بعده: وأطيعوا الله ورسوله وهذا أشمل ما يكون من الأوامر. ويدخل بأركانها وشروطها، وجميع حدودها ولوازمها، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالكم إلى مستحقها. وهاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية والمالية، الصدقة، ولا يكفي هذا، فإنه ليس من شرط الأمر أن يكون هينا على العبد، ولهذا قيده بقوله: وتاب الله عليكم أي: عفا لكم عن ذلك، فأقيموا الصلاة المقصود هو الأدب مع الرسول والإكرام له، وأمرهم تعالى أن يقوموا بالأمورات الكبار المقصودة بنفسها، فقال: فإذا لم تفعلوا أي: لم يهن عليكم تقديم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة، وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله لم ينسخ، لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصودا لنفسه، وإنما ثم لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين، ومشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة، سهل الأمر عليهم، ولم

المؤمنين، وهذا وصفهم الذي نعتهم الله به، والحال أنهم يحلفون على ضده الذي هو الكذب، فيحلفون أنهم مؤمنون، وهم يعلمون أنهم ليسوا مؤمنين. 14 الكافرين، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فليسوا مؤمنين ظاهرا وباطنا لأن باطنهم مع الكفار، ولا مع الكفار ظاهرا وباطنا، لأن ظاهرهم مع حال المنافقين الذين يتولون الكافرين، من اليهود والنصارى وغيرهم ممن غضب الله عليهم، ونالوا من لعنة الله أوفى نصيب، وأنهم ليسوا من المؤمنين ولا من يخبر تعالى عن شناعة

أن الله أعد لهم عذابا شديدا، لا يقادر قدره، ولا يعلم وصفه، إنهم ساء ما كانوا يعملون، حيث عملوا بما يسخط الله ويوجب عليهم العقوبة واللعة. 15 فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة،

الجحيم، فلهم عذاب مهين حيث استكبروا عن الإيمان بالله والانقياد لأياته، أهانهم بالعذاب السرمدي، الذي لا يفتّر عنهم ساعة ولا هم ينظرون. 16 فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم. ومن صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى اتخذوا أيمانهم جنة أي: ترسا ووقاية، يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين،

تحصل لهم قسطا من الثواب، أولئك أصحاب النار الملامزون لها، الذين لا يخرجون عنها، وهم فيها خالدون ومن عاش على شيء مات عليه. 17 لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا فلا تدفع عنهم شيئا من العذاب، ولا

حتى غرتهم وظنوا أنهم على شيء يعتد به، ويعلق عليه الثواب، وهم كاذبون في ذلك، ومن المعلوم أن الكذب لا يروج على عالم الغيب والشهادة. 18 جميعا، حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين، ويحسبون في حلفهم هذا أنهم على شيء، لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة، لم تزل ترسخ في أذهانهم شيئا فشيئا، فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على المؤمنين، ويحلفون لهم أنهم مؤمنون، فإذا كان يوم القيامة وبعثهم الله

حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون الذين خسروا دينهم وديارهم وأنفسهم وأهلهم. 19 الذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم، وزين لهم أعمالهم، وأسأهم ذكر الله، وهو العدو المبين، الذي لا يريد بهم إلا الشر، إنما يدعو وهذا

ليقولون منكرا من القول وزورا أي: قولوا شنيعا، وزورا أي: كذبا. وإن الله لعفو غفور عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح. 20 أمهاتهم أي: كيف يتكلمون بهذا الكلام الذي يعلم أنه لا حقيقة له، فيشبهون أزواجهم بأمهاتهم اللاتي ولدنهم؟ ولهذا عظم الله أمره وقبحه، فقال: وإنهم

تفسير السعدي

أو أنت علي حرام وكان المعتاد عندهم في هذا لفظ الظهر ولهذا سماه الله ظهارا فقال: الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن من نسائهم إلا اللاتي ولدنهم المظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي أو غيرها من محارمه، الذين يظاهرون منكم

هذا وعد ووعد، وعيد لمن حاد الله ورسوله بالكفر والمعاصي، أنه مخذول مذلول، لا عاقبة له حميدة، ولا راية له منصوره. 20
الله المفلحين، أن لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنيا والآخرة، وهذا وعد لا يخلف ولا يغير، فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء يريد. 21
ووعد لمن آمن به، وبرسله، واتبع ما جاء به المرسلون، فصار من حزب

لا تفيد شيئا ولا يصدق صاحبها. تم تفسير قد سمع الله، بحمد الله وعونه وتسديده. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم تسليما 22
وهو مع ذلك مواد لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاها غاية، ولا فوقه نهاية وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وتلد الأعين، وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني. وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهي الأنفس، هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرسا، لا يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك. وهم الذين قواهم الله بروح منه أي: بوحيه، ومولاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه. وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف الله ورسوله أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان يقول تعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد

مع الترغيب والترهيب، فالذي يريد أن يظاهر، إذا ذكر أنه يجب عليه عتق رقبة كف نفسه عنه، والله بما تعملون خبير فيجازي كل عامل بعمله. 3
التي ظاهر منها حتى يكفر برقبة. ذلكم الحكم الذي ذكرناه لكم، توعظون به أي: يبين لكم حكمه مع الترهيب المقرون به، لأن معنى الوعد ذكر الحكم مؤمنة كما قيدت في آية أخرى ذكر أو أنثى، بشرط أن تكون سالمة من العيوب المضرة بالعمل. من قبل أن يتعاسا أي: يلزم الزوج أن يترك وطء زوجته على ذلك أن الله قال: ثم يعودون لما قالوا والذي قالوا إنما هو الوطء. وعلى كل من القولين ف إذا وجد العود، صار كفارة هذا التحريم تحرير رقبة عليه الكفارة المذكورة، ويدل على هذا، أن الله تعالى ذكر في الكفارة أنها تكون قبل المسيس، وذلك إنما يكون بمجرد العزم، وقيل: معناه حقيقة الوطء، ويدل والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اختلف العلماء في معنى العود، فقيل: معناه العزم على جماع من ظاهر منها، وأنه بمجرد عزمه تجب إطعام ستين مسكينا، فلو جمع طعام ستين مسكينا، ودفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك، لأن الله قال: إطعام ستين مسكينا 4 وجوب الكفارة قبل المسيس، أن ذلك ادعى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع، وعلم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة، بادر لإخراجها. ومنها: أنه لا بد من يجب إخراجها إن كانت عتقا أو صياما قبل المسيس، كما قيده الله. بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس والوطء في أثنائها. ومنها: أنه لعل الحكمة في المظاهر، على اختلاف القولين السابقين، لا بمجرد الظهار. ومنها: أنه يجزئ في كفارة الرقبة، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، لإطلاق الآية في ذلك. ومنها: أنه للرجل أن ينادي زوجته ويسميتها باسم محارمه، كقوله يا أمي يا أختي ونحوه، لأن ذلك يشبه المحرم. ومنها: أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال أن الظهار محرم، لأن الله سماه منكرا من القول وزورا. ومنها: تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته، لأن الله تعالى قال: ما هن أمهاتهم ومنها: أنه يكره اليمين فقط. ومنها: أنه لا يصلح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها، لأنها لا تدخل في نسائه وقت الظهار، كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو علقه. ومنها: الظهار مختص بتحريم الزوجة، لأن الله قال من نسائهم فلو حرم أمته، لم يكن ذلك ظهارا، بل هو من جنس تحريم الطعام والشراب، تجب فيه كفارة الله بعباده واعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة، وأزالها ورفع عنها البلوى، بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية. ومنها: أن وينمو. وتلك حدود الله التي تمنع من الوقوع فيها، فيجب أن لا تتعدى ولا يقصر عنها. وللکافرين عذاب أليم وفي هذه الآيات، عدة أحكام: منها: لطف وذلك بالتزام هذا الحكم وغيره من الأحكام، والعمل به، فإن التزام أحكام الله، والعمل بها من الإيمان، بل هي المقصودة ومما يزيد به الإيمان ويكمل كل مسكين مد بر أو نصف صاع من غيره مما يجزي في الفطرة، كما هو قول طائفة أخرى. ذلك الحكم الذي بيناه لكم، ووضحناه لكم لتؤمنوا بالله ورسوله قبل أن يتعاسا فمن لم يستطع الصيام فإطعام ستين مسكينا إما بأن يطعمهم من قوت بلده ما يكفيهم، كما هو قول كثير من المفسرين، وإما بأن يطعم فمن لم يجد رقبة يعتقها، بأن لم يجدها أو لم يجد ثمنها ف عليه صيام شهرين متتابعين من

فمن اتبعها وعمل عليها، فهو من المهتدين الفائزين، وللکافرين بها عذاب مهين أي: يهينهم ويذلهم، كما تكبروا عن آيات الله، أهانهم الله وأذلهم: 5
جزاء وفاقا. وليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق، وقد أنزل من الآيات البينات والبراهين ما يبين الحقائق ويوضح المقاصد، خصوصا في الأمور الفظيعة، كمحاددة الله ورسوله بالكفر، ومعاداة أولياء الله. وقوله: كتبوا كما كبت الذين من قبلهم أي: أذلوا وأهينوا كما فعل بمن قبلهم، محادة الله ورسوله: مخالفتها ومعصيتها

والله على كل شيء شهيد على بالظواهر والسرائر، والخبائا والخفايا. ولهذا أخبر عن سعة علمه وإحاطته بما في السماوات والأرض من دقيق وجليل. 6

تفسير السعدي

- من خير وشر، لأنه علم ذلك، وكتبه في اللوح المحفوظ، وأمر الملائكة الكرام الحفظة بكتابتها، هذا و العاملون قد نسوا ما عملوه، والله أحصى ذلك.
- يقول الله تعالى: يوم يبعثهم الله جميعا فيقومون من أجدانهم سريعا فيجازيهم بأعمالهم فينبئهم بما عملوا
- هو معهم أينما كانوا والمراد بهذه المعية معية العلم والإحاطة بما تناجوا به وأسرّوه فيما بينهم، ولهذا قال: إن الله بكل شيء عليم ثم قال تعالى: 7 وأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهم كذبة في ذلك، وإما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: السام عليك يا محمد يعنون بذلك الموت. 8 وهؤلاء المذكورون إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان، ويخاطبون الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيرا يمهّل ولا يمهّل: حسبيهم جهنم يصلونها فيئس المصير أي: تكفيهم جهنم التي جمعت كل شقاء وعذاب عليهم، تحيط بهم، ويعذبون بها فيئس المصير لولا يعذبنا الله بما نقول ومعنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك، ويستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور، قال تعالى في بيان أنه يحكيك به الله أي: يسيئون الأدب معك في تحيتهم لك، ويقولون في أنفسهم أي: يسرون في أنفسهم ما ذكره عالم الغيب والشهادة عنهم، وهو قولهم: الله، ويناجي بالآثم والعدوان ومعصية الرسول، كالمنافقين الذين هذا دأبهم وحالهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم. قال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم جامع لترك جميع المحارم والمآثم، فالمؤمن يمثل هذا الأمر الإلهي، فلا تجده مناجيا ومتحدثا إلا بما يقربه من الله، ويباعده من سخطه، والفاجر يتهاون بأمر في الخير، وتكون في الشر. فأمر الله تعالى المؤمنين أن يتناجوا بالبر، وهو اسم جامع لكل خير وطاعة، وقيام بحق لله ولعباده والتقوى، وهي هنا: اسم النجوى هي: التناجي بين اثنين فأكثر، وقد تكون
- وهم كذبة في ذلك، وإما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: السام عليك يا محمد يعنون بذلك الموت. 9 وهؤلاء المذكورون إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان، ويخاطبون الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيرا يمهّل ولا يمهّل: حسبيهم جهنم يصلونها فيئس المصير أي: تكفيهم جهنم التي جمعت كل شقاء وعذاب عليهم، تحيط بهم، ويعذبون بها فيئس المصير لولا يعذبنا الله بما نقول ومعنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك، ويستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور، قال تعالى في بيان أنه يحكيك به الله أي: يسيئون الأدب معك في تحيتهم لك، ويقولون في أنفسهم أي: يسرون في أنفسهم ما ذكره عالم الغيب والشهادة عنهم، وهو قولهم: الله، ويناجي بالآثم والعدوان ومعصية الرسول، كالمنافقين الذين هذا دأبهم وحالهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم. قال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم جامع لترك جميع المحارم والمآثم، فالمؤمن يمثل هذا الأمر الإلهي، فلا تجده مناجيا ومتحدثا إلا بما يقربه من الله، ويباعده من سخطه، والفاجر يتهاون بأمر في الخير، وتكون في الشر. فأمر الله تعالى المؤمنين أن يتناجوا بالبر، وهو اسم جامع لكل خير وطاعة، وقيام بحق لله ولعباده والتقوى، وهي هنا: اسم النجوى هي: التناجي بين اثنين فأكثر، وقد تكون

سورة 59

- لرسوله صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا من أهل الكتاب من بني النضير حين غدروا برسوله فأخرجهم من ديارهم وأوطانهم التي ألفوها وأحبوها. 1 ولا يستعصي عليه مستعصي الحكيم في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته. ومن ذلك، نصر الله جميع من في السماوات والأرض تسبح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبدته وتخضع لجلاله لأنه العزيز الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، فوجد من السلاح خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً، هذا حاصل قصتهم كما ذكرها أهل السير. فافتتح تعالى هذه السورة بالإخبار أن أفاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، وأجلاهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب كبيرهم، واستولى على أرضهم وديارهم، وقبض السلاح، الله صلى الله عليه وسلم، الأموال والسلاح. وكانت بنو النضير، خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنوائبه ومصالح المسلمين، ولم يخمسها، لأن الله وقطع نخلهم وحرّق. فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم، وذرائعهم، وأن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح، وقبض رسول اللواء. فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك. فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ونهضوا إليهم، وعلي بن أبي طالب يحمل معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، وتتصرمك قريظة وحلفاؤكم من غطفان. وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول عشرين، فممن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه فأقاموا أياما يتجهزون، وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول: أن لا تخرجوا من دياركم، فإن نهضت ولم تشعر بك، فأخبرهم بما همت يهود به. وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اخرجوا من المدينة ولا تسكنوني بها، وقد أجلتكم بما همتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربه، بما هموا به، فنهض مسرعا، فتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه، فقالوا: وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى فيصعد فيلقها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاها عمرو بن جحاش: أنا، فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرن نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك، فخلا بعضهم ببعض، وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتآمروا بقتله صلى الله عليه وسلم، بعد وقعة بدر بستة أشهر أو نحوها، خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري، فقالوا:

تفسير السعدي

كفروا به في جملة من كفر من اليهود، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هادن سائر طوائف اليهود الذين هم جيرانه في المدينة، فلما كان بني النضير وهم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة، وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وهاجر إلى المدينة، هذه السورة تسمى سورة

الثلاثة هم أصناف هذه الأمة، وهم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام. وهؤلاء أهل الذين هم أهل، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه. 10 كريمين، دالين على كمال رحمة الله وشدة رأفته وإحسانه بهم، الذي من جملته، بل من أجله، توفيقهم للقيام بحقوق الله وحقوق عبادته. فهؤلاء الأصناف يحب لنفسه وأن ينصح له حاضرا وغائبا، حيا وميتا، ودلت الآية الكريمة على أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ثم ختموا دعاءهم باسمين في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضا، وأن يحب أحدهم لأخيه ما وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم: سبقونا بالإيمان دليل على المشاركة في الإيمان وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالات والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين. فوصف المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا. ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب أي: من بعد المهاجرين والأنصار يقولون على وجه النصح لأنفسهم ولسائر المؤمنين: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وهذا دعاء وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتم بهداهم، ولهذا ذكر الله من اللاحقين، من هو مؤتم بهم وسائر خلفهم فقال: والذين جاءوا من بعدهم أبدا أي: لا تطيع في عدم نصرته أحدًا يعذلنا أو يخوفنا، وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون في هذا الوعد الذي غروا به إخوانهم. 11 المنافقين، الذين طمعوا إخوانهم من أهل الكتاب، في نصرته، وموالاتهم على المؤمنين، وأنهم يقولون لهم: لن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا ثم تعجب تعالى من حال

ولئن نصرهم على الفرض والتقدير ليولن الأدبار ثم لا ينصرون أي: ليحصل منهم الإدبار عن القتال والنصرة، ولا يحصل لهم نصر من الله. 12 على القتال، وعدم وفائهم بوعدهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم بل يستولي عليهم الجبن، ويملكهم الفشل، ويخذلون إخوانهم، أحوج ما كانوا إليهم. الذي وجد مخبره كما أخبر الله به، ووقع طبق ما قال، فقال: لن أخرجوا من ديارهم جلاء ونفيا لا يخرجون معهم لمحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم ولا يستكثر هذا عليهم، فإن الكذب وصفهم، والغرور والخداع، مقارنهم، والنفاق والجبن يصحبهم، ولهذا كذبهم الله بقوله، ولا يعرفون حقائق الأشياء، ولا يتصورون العواقب، وإنما الفقه كل الفقه، أن يكون خوف الخالق ورجاؤه ومحبته مقدمة على غيرها، وغيرها تبعها لها. 13 المخلوق الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، على مخافة الخالق، الذي بيده الضر والنفع، والعتاء والمنع. ذلك بأنهم قوم لا يفقهون مراتب الأمور، والسبب الذي أوجب لهم ذلك أنكم أيها المؤمنون أشد رهبة في صدورهم من الله فخافوا منكم أعظم مما يخافون الله، وقدموا مخافة على مصالحهم ومنافعهم الدينية والدنيوية. مثل هؤلاء المخذولين من أهل الكتاب، الذين انتصر الله لرسوله منهم، وأذاقهم الخزي في الحياة الدنيا. 14 لآثروا الفاضل على المفضول، ولما رضوا لأنفسهم بأبخص الخطتين، ولكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، فبذلك يتناصرون ويتعاضدون، ويتعاونون أي: متباغضة متفرقة متشتتة. ذلك الذي أوجب لهم اتصافهم بما ذكر بأنهم قوم لا يعقلون أي: لا عقل عندهم، ولا لب، فإنهم لو كانت لهم عقول، في قوتهم، وإنما الآفة في ضعف إيمانهم وعدم اجتماع كلمتهم، ولهذا قال: تحسبهم جميعا حين تراهم مجتمعين ومتظاهرين. و لكن قلوبهم شتى اعتمادا على حصونهم وجدرهم، لا شجاعة بأنفسهم، وهذا من أعظم الذم، بأسهم بينهم شديد أي: بأسهم فيما بينهم شديد، لا آفة في أبدانهم ولا من وراء جدر أي: لا يثبتون لقتالكم ولا يعزمون عليه، إلا إذا كانوا متحصنين في القرى، أو من وراء الجدر والأسوار فإنهم إذ ذاك ربما يحصل منهم امتناع، لا يقاتلونكم جميعا أي: في حال الاجتماع إلا في قرى محصنة أو

وصناديدهم، وأسروا من أسروا منهم، وفر من فر، وذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شرهم وبغيهم، هذا في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار. 15 عنهم العذاب، حتى أتوا بدرا بفخرهم وخيلائهم، ظانين أنهم مدركون برسول الله والمؤمنين أمانهم. فنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم، فقتلوا كبارهم فلما تراءت الفتتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون الآية. فغرتهم أنفسهم، وغرهم من غرهم، الذين لم ينفعوهم، ولم يدفعوا من وعدهم بالمعاونة كمثل الذين من قبلهم قريبا وهم كفار قريش الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم وعدم نصر

بل تبرأ منه و قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين أي: ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك، ولست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير. 16 إذ قال للإنسان اكفر أي: زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه، فلما اغتر به وكفر، وحصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان، الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه، ومثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب كمثل الشيطان عنهم. واللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه وأندر، وأخبر بمقاصده وغاياته ونهايته، فالمقدم على طاعته، عاص على بصيرة لا عذر له. 17

تفسير السعدي

وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم إلى ما يضرهم بغرور، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم وتخلّى قال تعالى: إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وذلك جزاء الظالمين الذين اشتروا في الظلم والكفر، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته، فكان عاقبتهم أي: الداعي الذي هو الشيطان، والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه أنهما في النار خالدين فيها كما

الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين من الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة. 18 وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زلا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر أيضا، أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد. وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، قلوبهم، واهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجب الإيمان ويقتضيه من لزوم تقواه، سرا وعلانية، في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره وشرائعه فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه. 19 على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا

وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لم يصبهم جميع ما يستحقون من العقوبة، وأن الله خفف عنهم. 2 وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكير فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة، وبذلك يزداد العقل، ولا حصنتهم حصونهم، حين جاءهم أمر الله، ووصل إليهم النكال بذنوبهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، النافذة، والعقول الكاملة، فإن في هذا معتبرا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم عزتهم، ولا منعهم قوتهم، بسبب بغيهم على إخراج ديارهم وهدم حصونهم، فهم الذين جنوا على أنفسهم، وصاروا من أكبر عون عليها، فاعتبروا يا أولي الأبصار أي: البصائر المؤمنين وذلك أنهم صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم، على أن لهم ما حملت الإبل. فنقضوا لذلك كثيرا من سقوفهم، التي استحسوها، وسلطوا المؤمنين والضعف، فأزال الله قوتها وشدها، وأورثها ضعفا وخورا وجبنا، لا حيلة لهم ولا منعة معه فصار ذلك عونا عليهم، ولهذا قال: يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخذول، ومن ركن إلى غير الله فهو عليه وبال. فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم، التي هي محل الثبات والصبر، أو الخور ينفع معه عدد ولا عدة، ولا قوة ولا شدة، فالأمر الذي يحتسبونه ويظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو الحصون التي تحصنوا بها، واطمأنت نفوسهم أي: من الأمر والباب، الذي لم يخطر ببالهم أن يؤتوا منه، وهو أنه تعالى كذب في قلوبهم الرعب وهو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ولا يقدر عليها أحد، وقدر الله تعالى وراء ذلك كله، لا تغني عنه الحصون والقلاع، ولا تجدي فيهم القوة والدفاع. ولهذا قال: فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا أن يخرجوا من ديارهم، لحصانتها، ومنعتها، وعزهم فيها. وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاعجبوا بها وغرتهم، وحسبوا أنهم لا ينالون بها، حشرا وجلاء غير هذا، فقد وقع حين أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر، ثم عمر رضي الله عنه، أخرج بقيتهم منها. ما ظننتم أيها المسلمون وكان إخراجهم منها أول حشر وجلاء كتبه الله عليهم على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فجلاهم إلى خيبر، ودلت الآية الكريمة أن لهم

والصالحين ومن غفل عن ذكر الله، ونسي حقوقه، فشقي في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرين هم الخاسرون. 20 فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء له طرق الخير والشر، ويحثه على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكير في القرآن والتدبر لمعانيه. 21 أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد. ثم أخبر تعالى في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيها محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس، وحثهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله أي: لكمال تأثيره ولما بين تعالى لعباده ما بين، وأمرهم ونهاهم في كتابه العزيز، كان هذا موجبا لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه

ولا لغيره شيئا، ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، وبعموم رحمته التي وسعت كل شيء ووصلت إلى كل حي. 22 إلا هو، وذلك لكمالها العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه هذه الآيات الكريكات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله له الكبرياء والعظمة، المنتزه عن جميع العيوب والظلم والجور. سبحانه الله عما يشركون وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعانده. 23 يمانع، بل قد قهر كل شيء، وخضع له كل شيء، الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، المتكبر الذي أوصافه وجلاله. المؤمن أي: المصدق لرسله وأنبيائه بما جاءوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات. العزيز الذي لا يغالب ولا

تفسير السعدي

- مدبرون. القدوس السلام أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجّد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في ثم كرر ذكر عموم إلهيته وانفراده بها، وأنه المالك لجميع الممالك، فالعالم العلوي والسفلي وأهله، الجميع، مما يليك لله، فقراء وهو العزيز الحكيم الذي لا يريد شيئا إلا ويكون، ولا يكون شيئا إلا لحكمة ومصلحة. تم تفسير سورة الحشر، فله الحمد على ذلك، والمنة والإحسان. 24
- أن جميع من في السماوات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما تقتضيه رحمته وحكمته، بوجه من الوجوه، ومن حسنهما أن الله يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من عباده أن يدعوه ويسألوه بها. ومن كماله، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، الكثيرة جدا، التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو، ومع ذلك، فكلها حسنى أي: صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص في شيء منها للمصورات، وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير، وأن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك. له الأسماء الحسنى أي: له الأسماء هو الله الخالق لجميع المخلوقات البارئ للمبروءات المصور
- أن يعلم شدته إلا الله تعالى، فلا يخطر ببالهم أن عقوبتهم قد انقضت وفرغت ولم يبق لهم منها بقية، فما أعد الله لهم من العذاب في الآخرة أعظم وأطم. 3
- الذي لا يبدل ولا يغير، لكان لهم شأن آخر من عذاب الدنيا ونكالها، ولكنهم وإن فاتهم العذاب الشديد الدنيوي فإن لهم في الآخرة عذاب النار، الذي لا يمكن فلولا أنه كتب عليهم الجلاء الذي أصابهم وقضاه عليهم وقدره بقدره
- لأنهم شاقوا الله ورسوله وعادوهما وحاربوهما، وسعوا في معصيتهما. وهذه عادته وسنته فيمن شاقه ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب 4
- وذلك
- نخلهم، الذي هو مادة قوتهم. واللينة: اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات وأولها، فهذه حال بني النضير، وكيف عاقبهم الله في الدنيا. 5
- وليخزي الفاسقين حيث سلطكم على قطع نخلهم، وتحريقها، ليكون ذلك نكالا لهم، وخزيا في الدنيا، وذلا يعرف به عجزهم التام، الذي ما قدروا على استنقاذ وزعموا أن ذلك من الفساد، وتوصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين، أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه، إنه بإذنه تعالى، وأمره ولما لام بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين في قطع النخيل والأشجار،
- كهذا المال الذي فروا وتركوه خوفا من المسلمين، وسمي فينا، لأنه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له، إلى المسلمين الذين لهم الحق الأوفر فيه. 6
- قدير من تمام قدرته أنه لا يمتنع منه ممتنع، ولا يتعزز من دونه قوي. وتعريف الفيء في اصطلاح الفقهاء: هو ما أخذ من مال الكفار بحق، من غير قتال، لا بأنفسكم ولا بمواشيكم، بل كذف الله في قلوبهم الرعب، فأنتكم صفوا عفوا، ولهذا. قال: ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء وهم بنو النضير. ف إنكم يا معشر المسلمين ما أوجفتهم أي: ما أجبتم وأسرعتم وحشدتم، عليه من خيل ولا ركاب أي: لم تتعبوا بتحصيلها، ثم ذكر من انتقلت إليه أموالهم وأمتعتهم، فقال: وما أفاء الله على رسوله منهم أي: من أهل هذه القرية،
- الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعته الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، فقال: واتقوا الله إن الله شديد العقاب على من ترك التقوى، وأثر اتباع الهوى. 7
- لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح والدنيا والآخرة، وبها السعادة وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، ما لا يدخل تحت الحصر، ولذلك أمر الله بالقاعدة الكلية والأصل العام، فقال: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا شامل لأصول الدين لتداولته الأغنياء الأثرياء، ولما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء، وفي ذلك من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله، كما أن في اتباع أمر الله وشرعه من المصالح أوطانهم. وإنما قدر الله هذا التقدير، وحصر الفيء في هؤلاء المعينين لـ كي لا يكون دولة أي: مداولة واختصاصا بين الأغنياء منكم فإنه لو لم يقدره، في جاهلية ولا إسلام وخمس لفقرائهم، وهم: من لا أب له ولم يبلغ، وخمس للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، وهم الغرباء المنقطع بهم في غير هجرهم وعداوتهم فنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بخلاف غيرهم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم، في بني عبد المطلب: إنهم لم يفارقوني دخل بنو المطلب في خمس الخمس، مع بني هاشم، ولم يدخل بقية بني عبد مناف، لأنهم شاركوا بني هاشم في دخولهم الشعب، حين تعاقدت قريش على ولرسوله يصرف في مصالح المسلمين العامة، وخمس لذوي القربى، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، حيث كانوا يسوى فيه بين، ذكورهم وإناثهم، وإنما في قوله: واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فهذا الفيء يقسم خمسة أقسام: خمس لله رسوله أو بعده، لمن يتولى من بعده أمته فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذه الآية نظير الآية التي في سورة الأنفال، وحكمه العام، كما ذكره الله في قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى عموما، سواء أفاء الله في وقت
- بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة، بخلاف من ادعى الإيمان وهو لم يصدق بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات، 8
- المحوبات والمألوفات، من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال، رغبة في الله ونصرة لدين الله، ومحبة لرسول الله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا الحكمة والسبب الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفيء لمن قدرها له، وأنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم، وأنهم ما بين مهاجرين قد هجروا ثم ذكر تعالى
- الذين حازوا من السوايق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين 9

تفسير السعدي

بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعا منقادا، منشراحا بها صدره، وسمحت نفسه بترك لأنها من خصال البخل والشح، ومن رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين أثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جوعا، والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصرة والهجرة. وقوله: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الغل والحقد والحسد عنها. ويدل ذلك على أن المهاجرين، أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء جملة أوصافهم الجميلة أنهم يحبون من هاجر إليهم وهذا لمحبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبائه، وأحبوا من نصر دينه. ولا يجدون في صدورهم حاجة حتى انتشر الإسلام وقوي، وجعل يزيد شيئا شيئا قليلا، حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسيف والسنان. الذين من يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماهم المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، ورسوله طوعا ومحبة واختيارا، وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موئلا ومرجعا وبين أنصار وهم الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله

سورة 60

ومن يفعله منكم أي: موالاة الكافرين بعد ما حذركم الله منها فقد ضل سواء السبيل لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع وللعقل والمروءة الإنسانية. 1 مع علمكم أن الله عالم بما تخفون وما تعلنون؟! فهو وإن خفي على المؤمنين، فلا يخفى على الله تعالى، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير والشر، ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم ويبتغون به رضاه. تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتهم وما أعلنتم أي: كيف تسرون المودة للكافرين وتخفونها، في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وابتغاء مرضاة الله فاعملوا بمقتضى هذا، من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله وهو من أعظم زمان أو مكان؟ ولا يمنعه من ذلك خوف، أو مانع قوي. إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد الواجبات، وقمتم به، عادوكم، وأخرجوكم من أجله من دياركم، فأى دين، وأى مروءة وعقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته، لأنه رباهم، وأنعم عليهم، بالنعم الظاهرة والباطنة، وهو الله تعالى. فلما عرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب البليغة أنهم يخرجون الرسول وإياكم أيها المؤمنون من دياركم، ويشردونكم من أوطانكم، ولا ذنب لكم في ذلك عندهم، إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم فيه ولا مرية، ومن رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله، بل مجرد العلم بالحق يدل على بطلان قول من رده وفساده. ومن عادوهم من الحق، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاقة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، وزعموا أنكم ضلال على غير هدى. والحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك لا يريد له إلا الشر، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير، ويأمره به، ويحثه عليه؟! ومما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين فخرج العبد من الإيمان، وصار من جملة أهل الكفران، وانفصل عن أهل الإيمان. وهذا المتخذ للكافر وليا، عادم المروءة أيضا، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي تتخذوا عدو الله وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة أي: تسارعون في مودتهم وفي السعي بأسبابها، فإن المودة إذا حصلت، تبتعتها النصرة والموالاة، الضرر إلى عدوه، فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اعملوا بمقتضى إيمانكم، من ولاية من قام بالإيمان، ومعاداة من عاداه، فإنه عدو لله، وعدو للمؤمنين. فلا الخليل عليه الصلاة والسلام، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبقى من مجهوده في العداوة شيئا، وينتهاز الفرصة في إيصال الله عليه وسلم، وهذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاة الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، ومخالف لملة إبراهيم مع امرأة، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب. وعاتب حاطب، فاعتذر رضي الله عنه بعذر قبله النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح، فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ليتخذ بذلك يدا عنهم لا شكا و نفاقا، وأرسله ذكر كثير من المفسرين، رحمهم الله، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين غزا النبي صلى الله

ذلكم الحكم الذي ذكره الله وبينه لكم يحكم به بينكم والله عليم حكيم فيعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، ويشرع لكم ما تقتضيه الحكمة 10 هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم، فإذا أفسد مفسد نكاح امرأة رجل، برضاع أو غيره، كان عليه ضمان المهر، وقوله: ذلكم حكم الله أي: إلى الكفار، فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت من نسايتهم، استحق المسلمون أن يأخذوا مقابلة ما ذهب من نسايتهم إلى الكفار، وفي تمسكوا بعصم الكوافر وإذا نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى، واسألوا ما أنفقتم أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات

تفسير السعدي

من المهر والنفقة، وكما أن المسلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها، غير أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى: ولا أنفقوا عليهم من المهر وتواضعه عوضاً عنهم، ولا جناح حينئذ على المسلمين أن ينجسوه ولو كان لهم أزواج في دار الشرك، ولكن بشرط أن يؤتوهن أجورهن إلى الكفار، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فهذه مفسدة كبيرة في ردهن راعاها الشارع، وراعى أيضاً الوفاء بالشرط، بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما كن بهذا الوصف، تعين ردهن وفاء بالشرط، من غير حصول مفسدة، وإن امتحنوهن، فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان، فلا يرجعهن بما يظهر به صدقهن، من أيمان مغلظة وغيرها، فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية. فإن المصالح، وأما النساء فلما كان ردهن فيه مفسدات كثيرة، أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات، وشكوا في صدق إيمانهن، أن يمتحنوهن ويختبروهن، عاماً، مطلقاً يدخل في عمومهن النساء والرجال، فأما الرجال فإن الله لم ينه رسوله عن ردهم، إلى المشركين وفاء بالشرط وتتميماً للصلح الذي هو من أكبر لما كان صلح الحديبية، صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين، على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلماً، أنه يرد إلى المشركين، وكان هذا لفظاً فعلى المسلمون من الغنيمة بدل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون فإيمانكم بالله، يقتضي منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام. 11 أنفقوا كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهم إلى المسلمين، فمن ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار وفاتت عليه، لزم أن يعطيه وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار بأن ذهبن مرتدات فعاقبتهم فأتوا الذين ذهبت أزواجهن مثل ما

لخواطرن، إن الله غفور أي: كثير المغفرة للعاصين، والإحسان إلى المذنبين التائبين، رحيم وسعت رحمته كل شيء، وعم إحسانه البرايا. 12 النهي عن النباحة، وشق الثياب، وخمش الوجوه، والدعاء بدعاء الجاهلية. فبايعهن إذا التزم بجميع ما ذكر. واستغفر لهن الله عن تقصيرهن، وتطيبها أو سواء تعلق ذلك بغيرهم، ولا يعصينك في معروف أي: لا يعصينك في كل أمر تأمرهن به، لأن أمرك لا يكون إلا بمعروف، ومن ذلك طاعتهم لك في لنساء الجاهلية الجهلاء. ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن والبهتان: الافتراء على الغير أي: لا يفتريين بكل حالة، سواء تعلقت بهن وأزواجهن بالله شيئاً بأن يفردن الله وحده بالعبادة. ولا يزينين كما كان ذلك موجوداً كثيراً في البغايا وذوات الأخدان، ولا يقتلن أولادهن كما يجري النساء يبايعنه، والتزم ببهذه الشروط ببايعهن، وجبر قلوبهن، واستغفر لهن الله، فيما يحصل منهن من التقصير وأدخلهن في جملة المؤمنين بأن لا يشركن الأوقات. وأما الرجال، فيتفاوت ما يلزمهم بحسب أحوالهم ومراتبهم وما يتعين عليهم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمثّل ما أمره الله به، فكان إذا جاءته الشروط المذكورة في هذه الآية، تسمى مبايعة النساء اللاتي كن يبايعن على إقامة الواجبات المشتركة، التي تجب على الذكور والنساء في جميع

هذه

من الآخرة، كما ينس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى. تم تفسير سورة الممتحنة، والحمد لله رب العالمين. 13 لهم منها. ويحتمل أن المعنى: قد يسؤوا من الآخرة أي: قد أنكروها وكفروا بها، فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخط الله وموجبات عذابه وإياهم الآخرة كما حرموا. وقوله كما ينس الكفار من أصحاب القبور حين أفضوا إلى الدار الآخرة، ووقفوا على حقيقة الأمر وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب الكفار. قد يسؤوا من الآخرة أي: قد حرموا من خير الآخرة، فليس لهم منها نصيب، فاحذروا أن تولوهم فتوافقوهم على شرهم وكفرهم فتحرموا خير إن كنتم مؤمنين بربكم، ومتبعين لرؤاه ومجانبيين لسخطه، لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وإنما غضب عليهم لكفرهم، وهذا شامل لجميع أصناف أي: يا أيها المؤمنون،

بالقتل والضرب، ونحو ذلك. وأستنتهم بالسوء أي: بالقول الذي يسوء، من شتم وغيره، وودوا لو تكفروا فإن هذا غاية ما يريدون منكم. 2 تهيبوا للمؤمنين على عداوتهم، إن يثقوكم أي: يجدوكم، وتسبح لهم الفرصة في أذاكم، يكونوا لكم أعداء ظاهرين ويبسطوا إليكم أيديهم ثم بين تعالى شدة عداوتهم،

والأموال، فلن تغني عنكم أموالكم ولا أولادكم من الله شيئاً. والله بما تعملون بصير فلذلك حذرهم من موالاة الكافرين الذين تضركم موالاتهم. 3 فإن احتججتم وقلتم: نوالي الكفار لأجل القرابة

وجميع ما يقرب إليكم، فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون، ونعلم أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك، ونعمل ما يقربنا الزلفى إليك 4 فقالوا: ربنا عليك توكلنا أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك. وإليك أنبنا أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ولكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه، حين دعوا الله وتوكلوا عليه وأنابوا إليه، واعترفوا بالعجز والتقصير، وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين شيء لكنني أدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً، فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين، إبراهيم لأبيه أزر المشرك، الكافر، المعاند، حين دعا إلى الإيمان والتوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم: لأستغفرن لك و الحال أنني لا أملك لك من الله من في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده، إلا في خصلة واحدة وهي قول على كفرهم حتى تؤمنوا بالله وحده أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية، فلكم أيها المؤمنون أسوة حسنة العداوة والبغضاء أي: البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك أبداً ما دمتم مستمرين

تفسير السعدي

من المؤمنين، من قومهم المشركين ومما يعبدون من دون الله. ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: كفرنا بكم وبدا أي: ظهر وبان بيننا وبينكم المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفا، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه قد كان لكم يا معشر المؤمنين أسوة حسنة أي: قدوة صالحة وائتمام ينفعكم، في إبراهيم والذين معه من

إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتكم وحكمتك انصرتنا على أعدائنا، واغفر لنا ذنوبنا، وأصلح عيوبنا. 5 لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق وأنا على الباطل، فازدادوا كفرا وطغيانا، واغفر لنا ما اقترفنا من الذنوب والسيئات، وما قصرنا به من المأمورات، ربنا ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا، ويمنعونا مما يقدرون عليه من أمور الإيمان، ويفتنون أيضا بأنفسهم، فإنهم إذا رأوا التام المطلق من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه بوجه، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإنه محمود على ذلك كله. 6 إلى ذلك غاية الاضطرار. ومن يتول عن طاعة الله والتأسي برسول الله، فلن يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئا، فإن الله هو الغني الذي له الغنى يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقرا ومضطرا لهم فيهم أسوة حسنة وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على من كان يرجو الله واليوم الآخر فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، ثم كرر الحث لهم على الاقتداء بهم، فقال: لقد كان

إنه هو الغفور الرحيم وفي هذه الآية إشارة وبشارة إلى إسلام بعض المشركين، الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين، وقد وقع ذلك، ولله الحمد والمنة. 7 لا يتعاضله ذنب أن يغفره، ولا يكبر عليه عيب أن يستره، قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا الذين عاديتهم منهم مودة سببها رجوعهم إلى الإيمان، والله قدير على كل شيء، ومن ذلك هداية القلوب وتقليبها من حال إلى حال، والله غفور رحيم إلى الإيمان، فإن الحكم يدور مع علته، فإن المودة الإيمانية ترجع، فلا تيأسوا أيها المؤمنون، من رجوعهم إلى الإيمان، ف عسى الله أن يجعل بينكم وبين ثم أخبر تعالى أن هذه العداوة التي أمر بها المؤمنين للمشركين، ووصفهم بالقيام بها أنهم ما داموا على شركهم وكفرهم، وأنهم إن انتقلوا

قال تعالى عن الأيوين المشركين إذا كان ولدهما مسلما: وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا 8 كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة كما أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه. فأخبرهم الله أن ذلك لا يدخل في المحرم فقال: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم هذه الآيات الكريمات، المهيجة على عداوة الكافرين، وقعت من المؤمنين كل موقع، وقاموا بها أتم القيام، وتأنموا من صلة بعض أقاربهم المشركين، وظنوا ولما نزلت

وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليا تاما، صار ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك. 9 بتول للمشركين، فلم ينهكم الله عنه، بل ذلك داخل في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب وغيرهم من الآدميين، وغيرهم. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون من دياركم وظاهروا أي: عاونوا غيرهم على إخراجكم نهاكم الله أن تولوهم بالمودة والنصرة، بالقول والفعل، وأما بركم وإحسانكم، الذي ليس إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين أي: لأجل دينكم، عداوة لدين الله ولمن قام به، وأخرجوكم

سورة 61

السموات والأرض يسبحون بحمد الله ويعبدونه ويسألونه حوائجهم، وهو العزيز الذي قهر الأشياء بعزته وسلطانه، الحكيم في خلقه وأمره. 1 وهذا بيان لعظمته تعالى وقهره، وذو جميع الخلق له تبارك وتعالى، وأن جميع من في وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم. 10 هذه وصية ودلالة

عليها، فإنه خير لكم إن كنتم تعلمون فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانسراحه. 11 ومهجمكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتتفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك، ولو كان كريها للنفس شاقا به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله فهذا قال: وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم بأن تبذلوا نفوسكم لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال تؤمنون بالله ورسوله. ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل

مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبدا، ولا ييغون عنها حولا، ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي. 12 ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بالمشقة، وسرورها بترحها. وسميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها

تفسير السعدي

من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق ويأخذ بأفئدتهم. وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها، أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها ونظروا إلى فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده وتبارك الجليل الجميل، الذي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقر أعينهم به، ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه من لبن ذهب وبعضه من لبن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد والجواهر الملونة بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها يرى بناء وزخرفة، حتى إن أهل الغرف من أهل عليين، يتراءى لهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي، وحتى إن بناء الجنة بعضه من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، ومساكن طيبة في جنات عدن أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع، وحسن ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار أي: من تحت مساكنها وقصورها وغرفها وأشجارها، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة، فقال: يغفر لكم ذنوبكم وهذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، ولو كانت كبائر. وفي الآخرة الفوز بثواب الله والنجاة من عقابه،

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله 13 تعالى من فضله وإحسانه، بل قال: وبشر المؤمنين أي: بالثواب العاجل والآجل، كل على حسب إيمانه، وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله، به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين، وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد، إذا قام غيرهم بالجهاد فلم يؤيسهم الله وأخرى تحبونها أي: ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها وهي: نصر من الله لكم على الأعداء، يحصل به العز والفرح، وفتح قريب تتسع وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله:

عليهم وقاهرين لهم، فأنتم يا أمة محمد، كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر من قبلكم، ويظهركم على عدوكم. تمت ولله الحمد 14 طائفة منهم، فلم ينقادوا لدعوتهم، فجاهد المؤمنون الكافرين، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم أي: قويناهم ونصرناهم عليهم. فأصبحوا ظاهرين عيسى عليه السلام على أمر الله ونصر دينه، هو ومن معه من الحواريين، فأمنت طائفة من بني إسرائيل بسبب دعوة عيسى والحواريين، وكفرت لهم عارضا ومنهضا من يعاونني ويقوم معي في نصرتي لدين الله، ويدخل مدخلي، ويخرج مخرجي؟ فابتدر الحواريون، فقالوا: نحن أنصار الله فمضى والنهي عن المنكر. ثم هيج الله المؤمنين بالافتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله: كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله أي: قال من العلم ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه. ومن نصر دين الله، تعلم كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، والأمر بالمعروف أي: بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على إقامته على الغير، وجهاد من عانده ونابذه، بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله

أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتهنون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به. 2 يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون

الناس بالبر وتسنون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . 3 عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قال تعالى: أتأمرون أهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت

بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال. 4 بين المجاهدين والتعاقد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضا، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون

وتقليب القلوب عقوبة لهم وعدلا منه بهم كما قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون . 5 لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه لا يهدي القوم الفاسقين أي: الذين لم يزل الفسق وصفا لهم، لا لهم قصد في الهدى، وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده، ليس ظلما منه، ولا حجة أزاع الله قلوبهم عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، ولم يوقفهم الله للهدى، لأنهم لا يلبق بهم الخير، ولا يصلحون إلا للشر، والله بعد إحسان الله، ففي غاية الوقاحة والجرأة والزيغ عن الصراط المستقيم، الذي قد علموه وتركوه، ولهذا قال: فلما زاغوا أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم أني رسول الله إليكم . والرسول من حقه الإكرام والإعظام، والانقياد بأوامره، والابتدار لحكمه. وأما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخلق فوق كل إحسان وإذ قال موسى لقومه موبخا لهم على صنيعهم، ومقرعا لهم على أذيتهم، وهم يعلمون أنه رسول الله: لم تؤذوني بالأقوال والأفعال وقد تعلمون أي:

تفسير السعدي

فهل في الخذلان أعظم من هذا؟ وهل في الافتراء أعظم من هذا الافتراء، الذي نفى عنه ما كان معلوما من رسالته، وأثبت له ما كان أبعد الناس منه؟ 6
للحق مكذبين له هذا سحر مبين وهذا من أعجب العجائب، الرسول الذي قد وضحت رسالته، وصارت أبين من شمس النهار، يجعل ساحرا بينا سحره،
جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به عيسى بالبينات أي: الأدلة الواضحة، الدالة على أنه هو، وأنه رسول الله حقا. قالوا معاندين
يصدق بالنبى السابق، ويبشر بالنبى اللاحق، بخلاف الكذابين، فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة، ويخالفونهم في الأوصاف والأخلاق، والأمر والنهي فلما
مصادقا لها ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الهاشمي. فعيى عليه الصلاة والسلام، كالأنبيا
والشرائع السماوية، ولو كنت مدعيًا للنبوّة، لجنّت بغير ما جاءت به المرسلون، ومصدقًا لما بين يدي من التوراة أيضًا، أنها أخبرت بي وبشرت، فجئت وبعثت
وأنهاكم عن الشر، وأيدني بالبراهين الظاهرة، ومما يدل على صدقي، كوني، مصدقًا لما بين يدي من التوراة أي: جئت بما جاء به موسى من التوراة
عن عناد بني إسرائيل المتقدمين، الذين دعاهم عيسى ابن مريم، وقال لهم: يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم أي: أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير
يقول تعالى مخبرا

على ظلمهم مستقيمين، لا تردهم عنه موعظة، ولا يزجرهم بيان ولا برهان، خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، ولينصروا الباطل. 7
وغيره، والحال أنه لا عذر له، وقد انقطعت حجته، لأنه يدعى إلى الإسلام ويبين له ببراهينه وبيّناته، والله لا يهدي القوم الظالمين الذين لا يزالون
ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب بهذا
إطفاء نور الله فإنهم مغلوبون. وصاروا بمنزلة من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها، فلا على مرادهم حصولا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدر فيها. 8
تكفل الله بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله، وإشاعة نوره على سائر الأقطار، ولو كره الكافرون، وبذلوا بسبب كراحتهم كل سبب يتوصلون به إلى
من المقالات الفاسدة، التي يردون بها الحق، وهي لا حقيقة لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل، والله متم نوره ولو كره الكافرون أي: قد
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم أي: بما يصدر منهم

بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم، ويعرف هذا، من استقرأ الأحوال ونظر في أول المسلمين وآخرهم 9
إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذا لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهر على أهل الأديان، وإذا ضيعوه واكتفوا منه
الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجحه وبلسه، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم
تفكروا، ازداد به فرحا وتبصرا. ليظهره على الدين كله أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان، فأما نفس
من الشر والفساد فما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد العاقل
الذي يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وترك نواهي سلامة
والعمل الصالح. بالعلم الذي يهدي إلى الله وإلى دار كرامته، ويهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي إلى مصالح الدنيا والآخرة. ودين الحق أي: الدين
ثم ذكر سبب الظهور والانتصار للدين الإسلامي، الحسي والمعنوي، فقال: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق أي: بالعلم النافع

سورة 62

عن كل آفة ونقص، العزيز القاهر للأشياء كلها، الحكيم في خلقه وأمره. فهذه الأوصاف العظيمة مما تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له. 1
ويعبد، جميع ما في السماوات والأرض، لأنه الكامل الملك، الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، فالجميع ممالكه، وتحت تدبيره، القدوس المعظم، المنزه
أي: يسبح لله، وينقاد لأمره، ويتأله،
من ذكره، فقال: واذكروا الله كثيرا أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم، لعلكم تفلحون فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح. 10
فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض لطلب المكاسب والتجارات ولما كان الاشتغال في التجارة، مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار
لحضور الله والتجارات والشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه. ثم تفسير سورة الجمعة، ولله الحمد والثناء 11
الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة، وذم من لم يحضرهما، ومن لازم ذلك الإنصات لهما. ومنها: أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس
ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه، فدل ذلك على أن كل أمر ولو كان مباحا في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال. ومنها:
فأمر الله بالمضي إليه والسعي له. ومنها: مشروعية النداء ليوم الجمعة، والأمر به. ومنها: النهي عن البيع والشراء، بعد نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما
المؤمنين، يجب عليهم السعي لها، والمبادرة والاهتمام بشأنها. ومنها: أن الخطبتين يوم الجمعة، فريضتان يجب حضورهما، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين،
على طاعة الله مفوتا للرزق، فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب. وفي هذه الآيات فوائد عديدة: منها: أن الجمعة فريضة على جميع
وصبر نفسه على عبادة الله. خير من اللهو ومن التجارة التي، وإن حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليل منغص، مفوت لخير الآخرة، وليس الصبر
المسجد، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب استعجالا لما لا ينبغي أن يستعجل له، وترك أدب، قل ما عند الله من الأجر والثواب، لمن لازم الخير
وذلك في يوم الجمعة، بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، إذ قدم المدينة، غير تحمل تجارة، فلما سمع الناس بها، وهم في المسجد، انفضوا من

تفسير السعدي

- وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها أي: خرجوا من المسجد، حرصا على ذلك اللهو، و تلك التجارة، وتركوا الخير، وتركوا قائما تخطب الناس، اهتدوا بأنفسهم، وهذوا غيرهم، فصاروا أئمة المهتدين، وهداة المؤمنين، فله عليهم ببعثه هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، أكمل نعمة، وأجل منحة 2 ذلك علوم الأولين والآخرين، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقا، وأحسنهم هديا وسمتا، ويزكيهم بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، ويفصلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة، ويعلمهم الكتاب والحكمة أي: علم القرآن وعلم السنة، المشتمل الأنبياء، فبعث الله فيهم رسولا منهم، يعرفون نسبه، وأوصافه الجميلة وصدقه، وأنزل عليه كتابه يتلو عليهم آياته القاطعة الموجبة للإيمان واليقين، وكانوا في ضلال مبين، يتعبدون للأشجار والأصنام والأحجار، ويتخلقون بأخلاق السباع الضارية، يأكل قويعهم ضعيفهم، وقد كانوا في غاية الجهل بعلوم ولا أثر رسالة من العرب وغيرهم، ممن ليسوا من أهل الكتاب، فامتن الله تعالى عليهم، منة عظيمة، أعظم من منته على غيرهم، لأنهم عادمون للعلم والخير، المراد بالأميين: الذين لا كتاب عندهم، أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح. 3 وآخرين منهم لما يلحقوا بهم أي: وامتن على آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم، وهو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسعة الرزق، وغير ذلك، من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز، والسعادة الأبدية. 4 من عزته وحكمته، حيث لم يترك عباده هملا ولا سدى، بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم، وذلك من فضل الله العظيم، الذي يؤتیه من يشاء من عباده، فإن الذين بعث الله فيهم رسوله وشاهدوه وباشروا دعوته، حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحدا أن يلحقهم فيها، وهذا دام الظلم لهم وصفا، والعناد لهم نعتا ومن ظلم اليهود وعنادهم، أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس. 5 بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صدق رسولنا وصدق ما جاء به. والله لا يهدي القوم الظالمين أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم. بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود وكذا النصارى، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها ، وأنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأئمة الذين فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون والأخبار المتقدمون، لما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي، وما خصهم الله به من المزايا والمناقب، الذي جعله الله دليلا على صدقهم إن تمنوه، وكذبهم إن لم يتمنوه ولما لم يقع منهم مع الإعلان لهم بذلك، علم أنهم عالمون ببطلان ما هم عليه وفساده 6 لهم: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم على الحق، وأولياء الله: فتمنوا الموت وهذا أمر خفيف، فإنهم لو علموا أنهم على حق لما توقفوا عن هذا التحدي أمر الله رسوله، أن يقول قدمت أيديهم أي من الذنوب والمعاصي، التي يستوحشون من الموت من أجلها، والله عليم بالظالمين فلا يمكن أن يخفى عليه من ظلمهم شيء 7 ولا يتمنونه أبدا بما عليهم. ثم بعد الموت واستكمال الآجال، يرد الخلق كلهم يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشر، قليل وكثير. 8 كانوا لا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم، ويفرون منه غاية الفرار، فإن ذلك لا ينجيهم، بل لا بد أن يلاقى الموت الذي قد حتمه الله على العباد وكتبه هذا وإن أن ما عند الله خير وأبقى، وأن من آثر الدنيا على الدين، فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح، وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة. 9 البيع، إذا نودي للصلاة، وامضوا إليها. فإن ذلكم خير لكم من اشتغالكم بالبيع، وتفويتكم الصلاة الفريضة، التي هي من أكد الفروض. إن كنتم تعلمون والمراد بالسعي هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العدو الذي قد نهي عنه عند المضي إلى الصلاة، وقوله: وذروا البيع أي: اتركوا يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها، من حين ينادى لها والسعي إليها،

سورة 63

- لا حاجة لشهادتهم في تأييد رسوله، فإن الله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في قولهم ودعواهم، وأن ذلك ليس بحقيقة منهم. 1 على بصيرة، فقال: إذا جاءك المنافقون قالوا على وجه الكذب: نشهد إنك لرسول الله وهذه الشهادة من المنافقين على وجه الكذب والنفاق، مع أنه يظهرهم الإيمان ويبطنون الكفر، ليبقى جاههم، وتحقق دماؤهم، وتسلم أموالهم، فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون، لكي يحذر العباد منهم، ويكونوا منهم لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكثر المسلمون في المدينة واعتز الإسلام بها ، صار أناس من أهلها من الأوس والخزرج،

تفسير السعدي

وأكن من الصالحين بأداء المأمورات كلها، واجتناب المنهيات، ويدخل في هذا، الحج وغيره، وهذا السؤال والتمني، قد فات وقته، ولا يمكن تداركه. 10
التي هي محال: رب لولا أخرتني إلى أجل قريب أي: لأتدارك ما فرطت فيه، فأصدق من مالي، ما به أنجو من العذاب، وأستحق به جزيل الثواب،
جاء، لم يمكن العبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير، ولهذا قال: من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول متحسرا على ما فرط في وقت الإمكان، سائلا الرجعة
بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسره لهم ويسر لهم أسبابه. فليشكروا الذي أعطاهم، بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذلك، الموت الذي إذا
ذلك، والنفقات المستحبة، كبذل المال في جميع المصالح، وقال: مما رزقناكم ليدل ذلك على أنه تعالى، لم يكلف العباد من النفقة، ما يعنتهم ويشق عليهم،
وأنفقوا من ما رزقناكم يدخل في هذا، النفقات الواجبة، من الزكاة والكفارات ونفقة الزوجات، والماليك، ونحو
أجلها المحتوم لها والله خبير بما تعملون من خير وشر، فيجازيكم على ما علمه منكم، من النيات والأعمال. تم تفسير سورة المنافقين، ولله الحمد 11
ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء

وصدوا غيرهم ممن يخفى عليه حالهم، إنهم ساء ما كانوا يعملون حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وأقسموا على ذلك وأوهموا صدقهم. 2
اتخذوا أيمانهم جنة أي: ترسا يتترسون بها من نسبتهم إلى النفاق. فصدوا عن سبيله بأنفسهم،
يثبتون على الإيمان. بل آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم بحيث لا يدخلها الخير أبدا، فهم لا يفقهون ما ينفعهم، ولا يعون ما يعود بمصالحهم. 3
ذلك الذي زين لهم النفاق ب سبب أنهم لا
قاتلهم الله أنى يؤفكون أي: كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعد ما تبينت أدلته، واتضحت معالمه، إلى الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسارة والشقاء. 4
هم العدو على الحقيقة، لأن العدو البارز المتميز، أهون من العدو الذي لا يشعر به، وهو مخادع مكر، يزعم أنه ولي، وهو العدو المبين، فاحذرهم
ينال منها إلا الضرر المحض، يحسبون كل صيحة عليهم وذلك لجبنهم وفزعهم وضعف قلوبهم، والريب الذي في قلوبهم يخافون أن يطلع عليهم. فهؤلاء
لاستماعه، فأجسامهم وأقوالهم معجبة، ولكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة والهدى الصالح شيء، ولهذا قال: كأنهم خشب مسندة لا منفعة فيها، ولا
وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم من روائها ونضارتها، وإن يقولوا تسمع لقولهم أي: من حسن منطقهم تستلذ
عن اتباعه بغيا وعنادا، فهذه حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول، وهذا من لطف الله وكرامته لرسوله، حيث لم يأتوا إليه، فيستغفر لهم، 5
أعمالكم، امتنعوا من ذلك أشد الامتناع، و لووا رءوسهم امتناعا من طلب الدعاء من الرسول، ورأيتهم يصدون عن الحق بغضا له وهم مستكبرون
وإذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا يستغفر لكم رسول الله عما صدر منكم، لتحسن أحوالكم، وتقبل

لو استغفر لهم كما قال تعالى: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين . 6
لهم أم لم يستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، وذلك لأنهم قوم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، مؤثرون للكفر على الإيمان، فلذلك لا ينفع فيهم استغفار الرسول،
فإنه سواء استغفر
لمن يشاء، ويعسرها على من يشاء، ولكن المنافقين لا يفقهون فلذلك قالوا تلك المقالة، التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، وتحت مشيئتهم. 7
إلا على من لا علم له بحقائق الأمور ولهذا قال الله ردا لقولهم: ولله خزائن السماوات والأرض فيؤتي الرزق من يشاء، ويمنعه من يشاء، ويبسر الأسباب
نصرة دين الله، وهذا من أعجب العجب، أن يدعى هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين، وأذية المسلمين، مثل هذه الدعوى، التي لا تروج
عليه وسلم، قالوا بزعمهم الفاسد: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فإنهم بزعمهم لولا أموال المنافقين ونفقاتهم عليهم، لما اجتمعوا في
وهذا من شدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمين، لما رأوا اجتماع أصحابه وائتلافهم، ومسايرتهم في مرضاة الرسول صلى الله
والمنافقون وإخوانهم من الكفار هم الأذلاء. ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك زعموا أنهم الأعداء، اغترارا بما هم عليه من الباطل، ثم قال تعالى: 8
الأعدون، وأن رسول الله ومن معه هم الأذلون، والأمر بعكس ما قال هذا المنافق، فلماذا قال تعالى: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فهم الأعداء،
المهاجرين إلا كما قال القائل: غد كليك يأكلك وقال: لن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل بزعمه أنه هو وإخوانه من المنافقين
والأنصار، بعض كلام كدر الخواطر، ظهر حينئذ نفاق المنافقين، وأظهروا ما في نفوسهم . وقال كبيرهم، عبد الله بن أبي بن سلول: ما مثلنا ومثل هؤلاء يعني
يقولون لن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وذلك في غزوة المريسيع، حين صار بين بعض المهاجرين
هم الخاسرون للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم، لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى، قال تعالى: إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم . 9
عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى: ومن يفعل ذلك أي: يلهه ماله وولده، عن ذكر الله فأولئك
المؤمنين بالإكثار من ذكره، فإن في ذلك الربح والفلاح، والخيرات الكثيرة، وبينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة
يأمر تعالى عباده

سورة 64

وحمد على ما أوجده من الأشياء، وحمد على ما شرعه من الأحكام، وأساده من النعم. وقدرته شاملة، لا يخرج عنها موجود، فلا يعجزه شيء يريد. 1

الخالق إليه، وتسبيح من في السماوات والأرض بحمد ربها، وأن الملك كله لله، فلا يخرج مخلوق عن ملكه، والحمد كله له، حمد على ما له من صفات الكمال، هذه الآيات الكريمت، مشتملات على جملة كثيرة واسعة، من أوصاف الباري العظيمة، فذكر كمال ألوهيته تعالى، وسعة غناه، وافتقار جميع الأدلة والبيّنات، فكذبوا بها، وعاندوا ما دلت عليه. أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير لأنها جمعت كل بؤس وشدة، وشقاء وعذاب. 10

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي: كفروا بها من غير مستند شرعي ولا عقلي، بل جاءتهم آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبا، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان. 11

في الأخبار: أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: يثبت الله الذين هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله، وأفعاله. وفي علمه وعمله. وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى الإيمان المأمور به، من الإيمان بالله وملأنته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا ما يتعلق بقوله: ومن يؤمن بالله يهد قلبه في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن أي: إلى نفسه، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر. بغير حساب وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكله الله عند ورودها والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب كما قال تعالى: إنما يوفى الصابرون أجرهم فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات والشأن كل الشأن، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، والولد. والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله تعالى، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، يقول تعالى: ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله هذا عام لجميع المصائب، في النفس، والمال،

الحجة، وليس بيده من هدايتكم، ولا من حسابكم من شيء، وإنما يحاسبكم على القيام بطاعة الله وطاعة رسوله، أو عدم ذلك، عالم الغيب والشهادة. 12

فإن توليتم أي عن طاعة الله وطاعة رسوله، فإنما على رسولنا البلاغ المبين أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم، بلاغا يبين لكم ويتضح عليكم به وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي: في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فإن طاعة الله وطاعة رسوله، مدار السعادة، وعنوان الفلاح،

على الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه، ويثق به في كفايته الأمر الذي اعتمد عليه به، وبحسب إيمان العبد يكون توكله، فكلما قوي الإيمان قوي التوكل 13

أي: فيلتمدوا عليه في كل أمر نابههم، وفيما يريدون القيام به، فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله، ولا يتم الاعتماد الله لا إله إلا هو أي: هو المستحق للعبادة والألوهية، فكل معبود سواه فباطل، وعلى الله فليتوكل المؤمنون

صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره. 14

من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم لأن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا الله عنه، ومن صفح الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبتهم في امتثال أوامره، وتقديم الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، هذا تحذير من الله للمؤمنين، من

صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره. 15

من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم لأن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا الله عنه، ومن صفح الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبتهم في امتثال أوامره، وتقديم الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، هذا تحذير من الله للمؤمنين، من

تفسير السعدي

16. لمرضاة، فإنها ليس بينها وبين فعل ما كلفت به إلا العلم به، ووصول معرفته إليها، والبصيرة بأنه مرض لله تعالى، وبذلك تفلح وتنجح وتفوز كل الفوز. كانت نفسه شحيحة. لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة، وإن كانت نفسه نفسا سمحة، مطمئنة، منشرحة لشرع الله، طالبة لنفسه بالإنفاق النافع لها فأولئك هم المفلحون لأنهم أدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب، بل لعل ذلك، شامل لكل ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنه إن بها، وهو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس، فإنها تشح بالمال، وتحب وجوده، وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة. فمن وقاه الله شر شح نفسه بأن سمحت فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى وقبول نصائحه، والانقياد لشرعه، والشر كله، في مخالفة ذلك. ولكن ثم آفة تمنع كثيرا من الناس، من النفقة المأمور له وأطيعوا الله ورسوله في جميع أموركم، وأنفقوا من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة، يكن ذلك الفعل منكم خيرا لكم في الدنيا والآخرة، القاعدة الشرعية من الفروع، ما لا يدخل تحت الحصر، وقوله: واسمعوا أي: اسمعوا ما يعظكم الله به، وما يشرعه لكم من الأحكام، واعلموا ذلك وانقادوا فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم. ويدخل تحت هذه نواهي، ويقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة. فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، يأمر تعالى بتقواه، التي هي امتثال أوامره واجتناب
- ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر تعالى لمن تحمل من أجله المشاق والأثقال، وناء بالتكاليف الثقيل، ومن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه. 17. ولا يهمله، ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى والله تعالى شكور يقبل من عباده اليسير من العمل، والصدقة ذنوبكم، فإن الذنوب يكفرها الله بالصدقات والحسنات: إن الحسنات يذهبن السيئات. والله شكور حليم لا يعاجل من عصاه، بل يمهله ووضعه في موضعها يضاعفه لكم النفقة، بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. و مع المضاعفة أيضا يغفر لكم بسبب الإنفاق ثم رغب تعالى في النفقة فقال: إن تقرضوا الله قرضا حسنا وهو كل نفقة كانت من الحلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى وطلب مرضاته، الذي لا يغالب ولا يمانع، الذي قهر كل الأشياء، الحكيم في خلقه وأمره، الذي يضع الأشياء مواضعها. تم تفسير سورة التغابن ولله الحمد. 18. عالم الغيب والشهادة أي: ما غاب عن العباد من الجنود التي لا يعلمها إلا هو، وما يشاهدونه من المخلوقات، العزيز بقضاء الله وقدره، وهو الذي شاء ذلك منهم، بأن جعل لهم قدرة وإرادة، بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر والنهي، والله بما تعملون بصير. 2. وذكر أنه خلق العباد، وجعل منهم المؤمن والكافر، فإيمانهم وكفرهم كله، يوم القيامة، فيجازيكم على إيمانكم وكفركم، ويسألكم عن النعم والنعيم، الذي أولاكموه هل قمتم بشكره، أم لم تقوموا بشكره؟ ثم ذكر عموم علمه. 3. فأحسن صوركم كما قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم فالإنسان أحسن المخلوقات صورة، وأبهاها منظرا. وإليه المصير أي: المرجع فقال: خلق السماوات والأرض أي: أجرامهما، وجميع ما فيهما، فأحسن خلقهما، بالحق أي: بالحكمة، والغاية المقصودة له تعالى، وصوركم فلما ذكر خلق الإنسان المكلف المأمور المنهي، ذكر خلق باقي المخلوقات،
- الفاصلة، فإذا كان عليهما بذات الصدور، تعين على العاقل البصير، أن يحرص ويجتهد في حفظ باطنه، من الأخلاق الرذيلة، واتصافه بالأخلاق الجميلة. 4. والغيب والشهادة. ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور أي: بما فيها من الأسرار الطيبة، والخبائيا الخبيثة، والنيات الصالحة، والمقاصد يعلم ما في السماوات والأرض أي: من السرائر والظواهر،
- حين جاءتهم الرسل بالحق، كذبوه وعاندوه، فأذاقهم الله وبال أمرهم في الدنيا، وأخزاهم فيها، ولهم عذاب أليم في الدار الآخرة، ولهذا 5. في مرضاته، وتجنب مسأخطه، أخبر بما فعل بالأمم السابقين، والقرون الماضية، الذين لم تزل أبناؤهم يتحدث بها المتأخرون، ويخبر بها الصادقون، وأنهم لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة، ما به يعرف ويعبد، ويبذل الجهد
- بهم، ولا يضره ضلالهم شيئا، والله غني حميد أي: هو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه. 6. للخلق، واستكبروا عن الانقياد لهم، فابتلوا بعبادة الأحجار والأشجار ونحوها فكفروا بالله وتولوا عن طاعة الله، واستغنى الله عنهم، فلا يبالي في الآية الأخرى: قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فهم حجروا فضل الله ومنتته على أنبيائه أن يكونوا رسلا الدالة على الحق والباطل، فاشمأزوا، واستكبروا على رسلهم، فقالوا أبشر يهودنا أي: فليس لهم فضل علينا، ولاي: شيء خصهم الله دوننا، كما قال ذكر السبب في هذه العقوبة فقال: ذلك النكال والوبال، الذي أحلناله بهم بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أي: بالآيات الواضحات،
- يقول له كن فيكون، قال تعالى: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. 7. كان عسيرا بل متعذرا بالنسبة إلى الخلق، فإن قواهم كلهم، لو اجتمعت على إحياء ميت واحد، ما قدروا على ذلك. وأما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمرا فإنما علم ولا هدى ولا كتاب منير، فأمر أشرف خلقه، أن يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق، وذلك على الله يسير فإنه وإن يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير
- الصادق بها، والعمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، واجتناب المناهي والله بما تعملون خبير فيجازيكم بأعمالكم الصالحة والسيئة. 8. أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع، إلا ما وافق ما جاءت به الرسل، والإيمان بالله ورسوله وكتابه، يقتضي الجزم التام، واليقين

تفسير السعدي

الأحكام والشرائع والأخبار، أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشى بها في حندس الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها بالله وآياته، أمر بما يعصم من الهلكة والشقاء، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه وسماء الله نورا، فإن النور ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأن ذلك منهم موجب كفرهم

الأنهار فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وتختاره الأرواح، وتحن إليه القلوب، ويكون نهاية كل مرغوب، خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم . 9 إيماناً تاماً، شاملاً لجميع ما أمر الله بالإيمان به، ويعمل صالحاً من الفرائض والنوافل، من أداء حقوق الله وحقوق عباده. يدخله جنات تجري من تحتها غير شيء، وأنهم هم الخاسرون، فكأنه قيل: بأي شيء يحصل الفلاح والشقاء والنعيم والعذاب؟ فذكر تعالى أسباب ذلك بقوله: ومن يؤمن بالله أي: وأسلفوه أيام حياتهم، ولهذا قال: ذلك يوم التغابن . أي: يظهر فيه التغابن والتفاوت بين الخلائق، ويغيب المؤمنون الفاسقين، ويعرف المجرمون أنهم على المشتعلة على جميع اللذات والشهوات، ويخفض أحوالهم إلى أسفل سافلين، محل الهم والغم، والحزن، والعذاب الشديد، وذلك نتيجة ما قدموه لأنفسهم، موقفاً هائلاً عظيماً، وينبئهم بما عملوا، فحينئذ يظهر الفرق والتفاوت بين الخلائق، ويرفع أحوالهم إلى أعلى عليين، في الغرف العاليات، والمنازل المرتفعات، يعني: اذكروا يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، ويقفهم

سورة 65

وأولعه يطلقها لسبب منها، فيزول ذلك السبب في مدة العدة، فيراجعها لانتفاء سبب الطلاق. ومن الحكم: أنها مدة التربص، يعلم براءة رحمها من زوجها. 1 وحدد الطلاق بها، لحكم عظيمة: فمنها: أنه لعل الله يحدث في قلب المطلق الرحمة والمودة، فيراجع من طلقها، ويستأنف عشرتها، فيتمكن من ذلك مدة العدة، أي: بخسها حظها، وأضاع نصيبه من اتباع حدود الله التي هي الصلاح في الدنيا والآخرة. لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً أي: شرع الله العدة، التي حددها لعباده وشرعها لهم، وأمرهم بلزومها، والوقوف معها، ومن يتعد حدود الله بأن لم يقف معها، بل تجاوزها، أو قصر عنها، فقد ظلم نفسه نفسها، وهذا في المعتدة الرجعية، وأما البائن، فليس لها سكنى واجبة، لأن السكن تبع للنفقة، والنفقة تجب للرجعية دون البائن، وتلك حدود الله أي: الفاحشة، ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها، لأنها هي التي تسببت لإخراج نفسها، والإنسان فيه جبر لخاطرها، ورفق بها، فهي التي أدخلت الضرر على العدة. إلا أن يأتين بفاحشة مبينة أي: بأمر قبيح واضح، موجب لإخراجها، بحيث يدخل على أهل البيت الضرر من عدم إخراجها، كالأذى بالأقوال والأفعال حق من حقوقه. وأما النهي عن خروجها، فلما في خروجها، من إضاعة حق الزوج وعدم صونه. ويستمر هذا النهي عن الخروج من البيوت، والإخراج إلى تمام زوجها وهي فيها. ولا يخرجن أي: لا يجوز لهن الخروج منها، أما النهي عن إخراجها، فالأن المسكن، يجب على الزوج للزوجة، لتكمل فيه عدتها التي هي واتقوا الله ربكم أي: في جميع أموركم، وخافوه في حق الزوجات المطلقات، لا تخرجوهن من بيوتهن مدة العدة، بل يلزم بيوتهن الذي طلقها حالها على بصيرة، وعلم ما يترتب عليها من الحقوق، وما لها منها، وهذا الأمر بإحصاء العدة، يتوجه للزوج وللرأة، إن كانت مكلفة، وإلا فلوليها، وقوله: تحيض، وليست حاملاً، فإن في إحصائها أداء لحق الله، وحق الزوج المطلق، وحق من سيتزوجها بعد، وحقها في النفقة ونحوها فإذا ضبطت عدتها، علمت وطئ فيه، فإنه لا يؤمن حملها، فلا يتبين ولا يتضح بأي عدة تعتد، وأمر تعالى بإحصاء العدة، أي: ضبطها بالحيض إن كانت تحيض، أو بالأشهر إن لم تكن واضحة بينة، بخلاف ما لو طلقها وهي حائض، فإنها لا تحتسب تلك الحيضة، التي وقع فيها الطلاق، وتطول عليها العدة بسبب ذلك، وكذلك لو طلقها في طهر غير مراعاة لأمر الله. بل طلقوهن لعدتهن أي: لأجل عدتهن، بأن يطلقها زوجها وهي طاهر، في طهر لم يجامعها فيه، فهذا الطلاق هو الذي تكون العدة فيه وسلم للمؤمنين: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء أي: أردتم طلاقهن ف التمسوا لطلاقهن الأمر المشروع، ولا تبادروا بالطلاق من حين يوجد سببه، من يقول تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه

الأنباء أي: يا ذوي العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره، وأن الذي أهلك القرون الماضية، بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم، لا فرق بين الطائفتين. 10 ومع عذاب الدنيا، فإن الله أعد لهم في الآخرة عذاباً شديداً، فاتقوا الله يا أولي

ولا خطر على قلب بشر، خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً أي: ومن لم يؤمن بالله ورسوله، فأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون. 11 ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً من الواجبات والمستحبات. يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فيها من النعيم المقيم، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، صلى الله عليه وسلم، ليخرج الخلق من ظلمات الكفر والجهل والمعصية، إلى نور العلم والإيمان والطاعة، فمن الناس، من آمن به، ومنهم من لم يؤمن به، ثم ذكر عباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه، الذي أنزله على رسوله محمد

من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك، الظالمون المعرضون. ثم تفسيرها والحمد لله 12 إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى وعبوده وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي يدبر بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا ثم أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن، وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع

بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها والخروج منها. 2

تفسير السعدي

أن من اتقى الله جعل له فرجا ومخرجا، فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعاتها، واعتبر ذلك اتقى الله تعالى، ولازم مرضاة الله في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة. ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجا ومخرجا من كل شدة ومشقة، وكما بل جعل الله له فرجا وسعة يتمكن بها من مراجعة النكاح إذا ندم على الطلاق، والآية، وإن كانت في سياق الطلاق والرجعة، فإن العبرة بعموم اللفظ، فكل من له فرجا ومخرجا. فإذا أراد العبد الطلاق، ففعله على الوجه الشرعي، بأن أوقفه طلاق واحدة، في غير حيض ولا طهر قد وطئ فيه فإنه لا يضيق عليه الأمر، يعظم مواعظ الله لعدم الموجب لذلك، ولما كان الطلاق قد يوقع في الضيق والكرب والغم، أمر تعالى بتقواه، وأن من اتقاه في الطلاق وغيره فإن الله يجعل ذلك أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة، ما يتمكن منها، بخلاف من ترحل الإيمان عن قلبه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من الشر، ولا ولا صاحباً لمحبتة، ذلكم الذي ذكرنا لكم من الأحكام والحدود يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإن من يؤمن بالله، واليوم الآخر، يوجب له وأقيموا أيها الشهداء الشهادة لله أي: انتوا بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، واقصدوا بإقامتها وجه الله وحده ولا تراعوا بها قريبا لقربته، على طلاقها ورجعتها ذوي عدل منكم أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد المذكور، سدا لباب المخاصمة، وكتمان كل منهما ما يلزمه بيبانه. على هذا الوجه، لا يجوز، أو فارقوهن بمعروف أي: فراقا لا محذور فيه، من غير تشاتم ولا تخاصم، ولا قهر لها على أخذ شيء من مالها. وأشهدوا بين الإمساك والفرق. فأمسكوهن بمعروف أي: على وجه المعاشرة الحسنة، والصحبة الجميلة، لا على وجه الضرر، وإرادة الشر والحبس، فإن إمساكها فإذا بلغن أجلهن أي: إذا قاربن انقضاء العدة، لأنهن لو خرجن من العدة، لم يكن الزوج مخيرا

قال تعالى: إن الله بالغ أمره أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه قد جعل الله لكل شيء قدرا أي: وقتا ومقدارا، لا يتعداه ولا يقصر عنه. 3 كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيرها إلى الوقت المناسب له؛ فهذا في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك فهو حسبه أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي: يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به. ومن يتوكل على الله أي: ومتعدد، ولا عبرة حينئذ، بالأشهر ولا غيرها، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أي: من اتقى الله تعالى، يسر له الأمور، وسهل عليه كل عسير. 4 والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء وقوله: وأولات الأحمال أجلهن أي: عدتهن أن يضعن حملهن أي: جميع ما في بطونهن، من واحد، اللائي لم يأتهن الحيض بعد، و بالغات اللاتي لم يأتهن حيض بالكلية، فإنهن كالأيسات، عدتهن ثلاثة أشهر، وأما اللائي يحضن، فذكر الله عدتهن في قوله: بأن كن يحضن، ثم ارتفع حيضهن، لكبر أو غيره، ولم يرج رجوعه، فإن عدتها ثلاثة أشهر، جعل لكل شهر، مقابلة حيضة. واللائي لم يحضن أي: الصغار، لما ذكر تعالى أن الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء، ذكر تعالى العدة، فقال: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لتمشوا عليه، وتأنموا وتقوموا به وتعظموه. ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا أي: يندفع عنه المحذور، ويحصل له المطلوب. 5 ذلك أي: الحكم الذي بينه الله لكم أمر الله أنزله إليكم

يمكن أن يتقوت من أمه، ومن غيرها، أباح تعالى، الأمرين، فإذا، كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه، كان بمنزلة الحمل، وتعينت أمه طريقا لقوته 6 وهذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى، فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل، ليس له خروج منه عين تعالى على وليه النفقة، فلما ولد، وكان حيث كان الولد يقبل ثدي غير أمه، فإن لم يقبل إلا ثدي أمه، تعينت لإرضاعه، ووجب عليها، وأجبرت إن امتنعت، وكان لها أجره المثل إن لم يتفقا على مسمى، وينصح على ذلك. وإن تعاسرتم بأن لم يتفقوا على إرضاعها لولدها، فلترضع له أخرى غيرها فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف وهذا مع الفرق، الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض، ويتأثر منه البعض شيء كثير فكل منهما يؤمر بالمعروف، والمعاشرة الحسنة، وعدم المشاقة والمخاصمة ومما يناسب هذا المقام، أن الزوجين عند الفرق وقت العدة، خصوصا إذا ولد لهما ولد في الغالب يحصل من التنازع والتشاجر لأجل النفقة عليها وعلى الولد منفعة ومصلحة في الدنيا والآخرة، فإن الغفلة عن الائتمار بالمعروف، يحصل فيه من الشر والضرر، ما لا يعلمه إلا الله، وفي الائتمار، تعاون على البر والتقوى، المسماة لهن، إن كان مسمى، وإلا فأجر المثل، وأتمروا بينكم بمعروف أي: وليأمر كل واحد من الزوجين ومن غيرهما، الآخر بالمعروف، وهو كل ما فيه بائنا، ولها ولحملها إن كانت رجعية، ومنتهى النفقة حتى يضع حملهن فإذا وضع حملهن، فإذا أن يرضعن أولادهن أو لا، فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولا مشقة، وذلك راجع إلى العرف، وإن كن أي: المطلقات أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وذلك لأجل الحمل الذي في بطنها، إن كانت قبل تمام العدة، فتكونوا، أنتم المخرجين لهن، وحاصل هذا أنه نهى عن إخراجهن، ونهاهن عن الخروج، وأمر بسكناهن، على وجه لا يحصل به عليهن، ضرر ومثلها، بحسب وجد الزوج وعسره، ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن أي: لا تضاروهن، عند سكناهن بالقول أو الفعل، لأجل أن يملن، فيخرجن من البيوت، تقدم أن الله نهى عن إخراج المطلقات عن البيوت وهنا أمر بإسكانهن وقدر الإسكان بالمعروف، وهو البيت الذي يسكنه مثله

سيجعل الله بعد عسر يسرا وهذه بشارة للمعسرين، أن الله تعالى سيزيل عنهم الشدة، ويرفع عنهم المشقة، فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا 7 مناسب للحكمة والرحمة الإلهية حيث جعل كلا بحسبه، وخفف عن المعسر، وأنه لا يكلفه إلا ما آتاه، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، في باب النفقة وغيرها. الغني من غناه، فلا ينفق نفقة الفقراء. ومن قدر عليه رزقه أي: ضيق عليه فلينفق مما آتاه الله من الرزق. لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه وهذا قدر تعالى النفقة، بحسب حال الزوج فقال: لينفق ذو سعة من سعته أي: لينفق

- لرسل أن كثرتهم وقوتهم، لم تنفعهم شيئا، حين جاءهم الحساب الشديد، والعذاب الأليم، وأن الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة. 8
يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية، والقرون المكذبة
- لرسل أن كثرتهم وقوتهم، لم تنفعهم شيئا، حين جاءهم الحساب الشديد، والعذاب الأليم، وأن الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة. 9
يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية، والقرون المكذبة

سورة 66

- غفر لرسوله، ورفع عنه اللوم، ورحمه، وصار ذلك التحريم الصادر منه، سببا لشرع حكم عام لجميع الأمة، فقال تعالى حاكما حكما عاما في جميع الأيمان: 1
ما أحل الله لك من الطبيات، التي أنعم الله بها عليك وعلى أمتك. تبتغي بذلك التحريم مرضاة أزواجك والله غفور رحيم هذا تصريح بأن الله قد
لخاطر بعض زوجاته، في قصة معروفة، فأنزل الله تعالى هذه الآيات يا أيها النبي أي: يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنبوة والوحي والرسالة لم تحرم
هذا عتاب من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، حين حرم على نفسه سريره مارية أو شرب العسل، مراعاة
- امراة أحد من أنبيائه بغيا، فلم يغنيا أي: نوح ولوط عنهما أي: عن امرأتيهما من الله شيئا وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين . 10
فخانتاهما في الدين، بأن كانتا على غير دين زوجيهما، وهذا هو المراد بالخيانة لا خيانة النسب والفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وما كان الله ليجعل
الإساءة، فقال: ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا أي: المرأتان تحت عبيدين من عبادنا صالحين وهما نوح، ولوط عليهما السلام.
بالواجب عليه. فكان في ذلك إشارة وتحذيرا لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، عن المعصية، وأن اتصاهن به صلى الله عليه وسلم، لا ينفعهن شيئا مع
المثلان اللذان ضربهما الله للمؤمنين والكافرين، ليبين لهم أن اتصال الكافر بالمؤمن وقربه منه لا يفيد شيئا، وأن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئا مع قيامه
هذان
- ولم يكمل من النساء، إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام . 11
ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: كمل من الرجال كثير،
الله بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة،
فرعون وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فوصفها
وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة
- على طاعته بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صديقة، والصديقة: هي كمال العلم والعمل. تمت ولله الحمد 12
والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، ولهذا قال وكانت من القانتين أي: المطيعين لله، المداومين
الرسول الكريم والسيد العظيم. وصدقت بكلمات ربها وكتبه وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية،
ونزاهتها. فنحن فيه من روحنا بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم عليه السلام،
ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها أي: صانته وحفظته عن الفاحشة، لكمال ديانتها، وعفتها،
- علمه بظواهركم وبواطنكم، وهو الحكيم في جميع ما خلقه وحكم به، فلذلك شرع لكم من الأحكام، ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، ومناسب لأحوالكم. 2
ومربيكم أحسن تربية، في أمور دينكم ودنياكم، وما به يندفع عنكم الشر، فلذلك فرض لكم تحلة أيمانكم، لتبرأ ذممكم، وهو العليم الحكيم الذي أحاط
أو شراب أو سرية، أو حلف يمينًا بالله، على فعل أو ترك، ثم حنث أو أراد الحنث، فعليه هذه الكفارة المذكورة، وقوله: والله مولاكم أي: متولي أموركم،
من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتكم . فكل من حرم حلالا عليه، من طعام
بعد الحنث، وذلك كما في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إلى أن قال: فكفارتها إطعام عشرة مساكين
قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أي: قد شرع لكم، وقدر ما به تتحل أيمانكم قبل الحنث، وما به الكفارة
- وسلم، وحلما، ف قالت له: من أنباك هذا الخبر الذي لم يخرج منا؟ قال نبأني العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى. 3
به عائشة رضي الله عنها، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرفها صلى الله عليه وسلم، ببعض ما قالت، وأعرض عن بعضه، كرما منه صلى الله عليه
أزواجه حديثا قال كثير من المفسرين: هي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أسر لها النبي صلى الله عليه وسلم حديثا، وأمر أن لا تخبر به أحدا، فحدثت
وإذ أسر النبي إلى بعض
- ممن يناوئه مخدول وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة، وخواص خلقه، أعوانا لهذا الرسول الكريم. 4
فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره
الورع والأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم، واحترامه، وأن لا يشققن عليه، وإن تظاهرا عليه أي: تعاونا على ما يشق عليه، ويستمر هذا الأمر منكم،

تفسير السعدي

صلى الله عليه وسلم على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما قد صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن، من إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة رضي الله عنهما، كانتا سببا لتحريم النبي

يختار لرسوله صلى الله عليه وسلم إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على أنهن خير النساء وأكملهن. 5 والتأديب، بادرن إلى رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الوصف منطبقا عليهن، فصرن أفضل نساء المؤمنين، وفي هذا دليل على أن الله لا عما يكرهه الله، ثيبات وأبكارا أي: بعضهن ثيب، وبعضهن أبكار، ليتنوع صلى الله عليه وسلم، فيما يحب، فلما سمعن رضي الله عنهن هذا التخويف القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد وأعمال القلوب. القنوت هو دوام الطاعة واستمرارها ثابتات عما يكرهه الله، فوصفهن بالقيام بما يحبه الله، والتوبة ولا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهن، ولو طلقهن، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات، الجامعات بين الإسلام، وهو القيام بالشرائع الظاهرة، والإيمان، وهو فإنه لو طلقن، لم يضق عليه الأمر، ولم يكن مضطرا إليكن، فإنه سيلقى ويبدله الله أزواجا خيرا منكن، دينا وجمالا، وهذا من باب التعليق الذي لم يوجد، هو أكبر شيء عليهن، فقال: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن . عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن أي: فلا ترفعن عليه، وهذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى، ثم خوفهما أيضا، بحالة تشق على النساء غاية المشقة، وهو الطلاق، الذي

العقاب، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا فيه أيضا مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به. 6 عظيم انتهارهم، يفزعون بأصواتهم ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمتثلون فيهم أمر الله، الذي حتم عليهم العذاب وأوجب عليهم شدة الناس والحجارة كما قال تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . عليها ملائكة غلاظ شداد أي: غليظة أخلاقهم، تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه. ووصف الله النار بهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره فقال: وقودها الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل ف قوا أنفسكم وأهليكم نارا موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالا، ونهيه اجتتابا، والتوبة عما يسخط أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه.

فإنه ذهب وقت الاعتذار، وزال نفعه، فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال، وأنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، والتكذيب بآياته، ومحاربة رسله وأوليائه. 7 أي: يوبخ أهل النار يوم القيامة بهذا التوبيخ فيقال لهم: يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم أي:

التوبة النصوح. والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجهه والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله. 8 ويسألون الله أن يتم لهم نورهم فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكل هذا من آثار والفلاح، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويشفقون إذا طفت الأنوار، التي لا تعطى المنافقين، قد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية، ووعد عليها بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز

عذاب في الدنيا، بتسليط الله لرسوله وحزبه عليهم وعلى جهادهم وقتالهم، وعذاب النار في الآخرة وبئس المصير، الذي يصير إليها كل شقي خاسر. 9 بالسلاح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله وينقاد لحكمه، فإن هذا يجاهد ويغلظ له، وأما المرتبة الأولى، فتكون بالتي هي أحسن، فالكفار والمنافقون لهم والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم، بإقامة الحجة عليهم ودعوتهم بالموعظة الحسنة ، وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال، وجهادهم يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، بجهاد الكفار والمنافقين،

سورة 67

الدينية، التابعة لحكمته، ومن عظمت، كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسماوات والأرض. 1 تعاظم وتعالى، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمت أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء، من الأحكام القدرية، والأحكام تبارك الذي بيده الملك أي:

ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختص بفضله من يشاء، ويمن على من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير. 10 عند الله، وجاء به رسول الله، علما ومعرفة وعملا. والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم في الإيمان بحسب عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عن أنفسهم طرق الهدى، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه على حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما وقالوا معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد: لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فنقوا

أي: بعدا لهم وخسارة وشقاء. فما أشقاهم وأرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، وكانوا ملازمين للسعير، التي تستعر في أبدانهم، وتطلع على أفندتهم! 11

تفسير السعدي

- قال تعالى عن هؤلاء الداخلين للنار، المعترفين بظلمهم وعنادهم: فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير والمشتهيات، والقصور والمنازل العاليات، والحدود الحسان، والخدم والولدان. وأعظم من ذلك وأكبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجنان. 12
- غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعد لهم في الجنة، من النعيم المقيم، والملك الكبير، والذات المتواصلات، أي: في جميع أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به لهم مغفرة لذنوبهم، وإذا لما ذكر حالة الأشقياء الفجار، ذكر حالة السعداء الأبرار فقال: إن الذين يخشون ربهم بالغيب
- سواء لديه، لا يخفى عليه منها خافية، فإنه عليم بذات الصدور أي: بما فيها من النيات، والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال، التي تسمع وترى؟! 13
- هذا إخبار من الله بسعة علمه، وشمول لطفه فقال: وأسروا قولكم أو اجهروا به أي: كلها يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب، بأسباب لا تكون من العبد على بال، حتى إنه يذيقه المكافاة، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة. 14
- الذي يعلم السر وأخفى ومن معاني اللطيف، أنه الذي يلطف بعبدته ووليته، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! وهو اللطيف الخبير الذي لطف علمه وخبره، حتى أدرك السرائر والضمان، والخبايا والخفايا والغيوب، وهو ثم قال مستدلا بدليل عقلي على علمه: ألا يعلم من خلق فمن خلق
- من هذه الدار التي جعلها الله امتحانا، وبلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم، وتحشرون إلى الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسيئة. 15
- يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، فامشوا في مناكيبها أي: لطلب الرزق والمكاسب. وكلوا من رزقه وإليه النشور أي: بعد أن تنتقلوا أي: هو الذي سخر لكم الأرض وذلها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق فقال: أأمنتم من في السماء وهو الله تعالى، العالي على خلقه. أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور بكم وتضطرب، حتى تتلفكم وتهلككم 16
- هذا تهديد ووعيد، لمن استمر في طغيانه وتعديه، وعصيانته الموجب للنكال وحلول العقوبة، كذبوا كما كذبتهم، فأهلكهم الله تعالى، فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم. 17
- فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الزمان أو قصر، فإن من قبلكم، السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي: عذابا من السماء يحصبكم، وينتقم الله منكم فستعلمون كيف نذير أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب، أم أمنتم من في
- كذبوا كما كذبتهم، فأهلكهم الله تعالى، فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم. 18
- فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الزمان أو قصر، فإن من قبلكم، السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي: عذابا من السماء يحصبكم، وينتقم الله منكم فستعلمون كيف نذير أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب، أم أمنتم من في
- قدرة الباري، وعنايته الربانية، وأنه الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، إنه بكل شيء بصير فهو المدبر لعباده بما يليق بهم، وتقتضيه حكمته. 19
- ما يمكنهم إلا الرحمن فإنه الذي سخر لهم الجو، وجعل أجسادهم وخلقتهن في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته على الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها. وهذا عتاب وحث على النظر إلى حالة
- الغفور عن المسيئين والمقصرين والمذنبين، خصوصا إذا تابوا وأنبأوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، وبستر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا. 2
- الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء. وهو العزيز الذي له العزة كلها، التي قهر بها جميع الأشياء، وانتقادت له المخلوقات. لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انتقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في وخلق الموت والحياة أي: قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم؛ ليلوكم أيكم أحسن عملا أي: أخلصه وأصوبه، فإن الله خلق عباده، وأخرجهم
- على نصر عبد، لم ينفعوه مثقال ذرة، على أي عدو كان، فاستمرار الكافرين على كفرهم، بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحمن، غرور وسفه. 20
- إذا أراد بكم الرحمن سوءا، فيدفعه عنكم؟ أي: من الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحمن؟ فإنه تعالى هو الناصر المعز المذل، وغيره من الخلق، لو اجتمعوا يقول تعالى للعتاة النافرين عن أمره، المعرضين عن الحق: أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن أي: ينصركم
- منه، هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ولكن الكافرون لجوا أي: استمروا في عتو أي: قسوة وعدم لين للحق ونفور أي: شرود عن الحق. 21
- من الله، فلو أمسك عنكم رزقه، فمن الذي يرسله لكم؟ فإن الخلق لا يقدرون على رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟ فالرزاق المنعم، الذي لا يصيب العباد نعمة إلا أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه أي: الرزق كله
- أقواله وأعماله وجميع أحواله؟ فبمجرد النظر إلى حال هذين الرجلين، يعلم الفرق بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال. 22

تفسير السعدي

في الضلال، غارقا في الكفر قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلا، والباطل حقاً؟ ومن كان عالماً بالحق، مؤثراً له، عاملاً به، يمشي على الصراط المستقيم في أي: أي الرجلين أهدى؟ من كان تائهاً

والأفئدة، التي هي أنفع أعضاء البدن وأكمل القوى الجسمانية، ولكنه مع هذا الإنعام قليلاً ما تشكرون الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر. 23 إلى شكره، وإفراده بالعبادة: قل هو الذي أنشأكم أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مظاهر، ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار يقول تعالى مبيناً أنه المعبود وحده، وداعياً عباده

في الأرض أي: بشكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم، ونهاكم، وأسدى عليكم من النعم، ما به تنتفعون، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة. 24 قل هو الذي ذرأكم

وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يعرف بأدلتها، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك لمن ألقى السمع وهو شهيد. 25 إن كنتم صادقين جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخبر ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون ويقولون تكذيباً: متى هذا الوعد

وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يعرف بأدلتها، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك لمن ألقى السمع وهو شهيد. 26 إن كنتم صادقين جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخبر ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون ويقولون تكذيباً: متى هذا الوعد

ووبخوا على تكذيبهم، وقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون، فالיום رأيتموه عياناً، وانجلي لكم الأمر، وتقطع بكم الأسباب ولم يبق إلا مباشرة العذاب. 27 وغرورهم به حين كانوا في الدنيا، فإذا كان يوم الجزاء، ورأوا العذاب منهم زلفة أي: قريباً، ساءهم ذلك وأفزعهم، وقلقل أفئدتهم، فتغيرت لذلك وجوههم، يعني أن محل تكذيب الكفار

بآيات الله، واستحققتهم العذاب، فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟ فإذا تعبدكم وحرصكم على هلاكهم غير مفيدة، ولا مجد لكم شيئاً. 28 هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: أنتم وإن حصلت لكم أمانيتكم وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافع لكم شيئاً، لأنكم كفرتم ولما كان المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم، الذين يردون دعوته، ينتظرون

التي تتعين للفلاح، وتتوقف عليها السعادة، وحالة أعدائه بضدها، فلا إيمان لهم ولا توكل، علم بذلك من هو على هدى، ومن هو في ضلال مبين. 29 وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه كما قال تعالى: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإذا كانت هذه حال الرسول وحال من اتبعه، وهي الحال والإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة، ولما كانت الأعمال، وجودها وكمالها، متوقفة على التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وأبدوا، وجادلوا عليه وقاتلوا، فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هدايتهم وتقواهم، وهو أن يقولوا: آمنا به وعليه توكلنا ومن قولهم، إنهم على هدى، والرسول على ضلال، أعادوا في ذلك

أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: فارجع البصر أي: أعده إليها، ناظراً معتبراً هل ترى من فطور أي: نقص واختلال. 3 كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات. ولما كان كمالها معلوماً، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي: خلل ونقص. وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة الذي خلق سبع سماوات طباقاً أي: كل واحدة فوق الأخرى،

معين تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفي، أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى. تمت ولله الحمد. 30 ثم أخبر عن انفراده بالنعم، خصوصاً بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فقال: قل رأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً أي: غائراً فمن يأتيكم بماء بذلك: كثرة التكرار ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير أي: عاجزاً عن أن يرى خلا أو فطوراً، ولو حرص غاية الحرص. ثم صرح بذكر حسناتها فقال: 4 ثم ارجع البصر كرتين المراد

وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير لأنهم تملدوا على الله، وأضلوا عباده، ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم، قد أعد الله لهم عذاب السعير 5 خبر السماء، فجعل الله هذه النجوم، حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض، فهذه الشهب التي ترمى من النجوم، أعدها الله في الدنيا للشياطين، فإن السماوات شفاقة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها، وجعلناها أي: المصابيح رجوماً للشياطين الذين يريدون استراق وجمالاً، ونوراً وهداية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات السبع، النجوم، على اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفاً مظلماً، لا حسن فيه ولا جمال. ولكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، أي: ولقد جعلنا السماء الدنيا التي ترونها وتليكم، بمصابيح وهي:

وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير الذي يهان أهله غاية الهوان. 6

تفسير السعدي

إذا ألقوا فيها على وجه الإهانة والذل سمعوا لها شهيقا أي: صوتا عاليا فظيعا، وهي تفور . 7

لأهلها فقال: كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ أي: حالكم هذا واستحقاقكم النار، كأنكم لم تجربوا عنها، ولم تحذركم النذر منها. 8
الغيظ أي: تكاد على اجتماعها أن يفارق بعضها بعضا، وتتقطع من شدة غيظها على الكفار، فما ظنك ما تفعل بهم، إذا حصلوا فيها؟ ثم ذكر توبيخ الخزنة تكاد تميز من

حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالا كبيرا، فأى عناد وتكبر وظلم، يشبه هذا؟ 9
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله ولم يكفهم ذلك، قالوا بلى

سورة 68

يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم. 1

إلا وهو كذاب، ولا يكون كذابا إلا وهو مهين أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة. 10
ولا تطع كل حلاف أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك

وغير ذلك. مشاء بنميم أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء. 11
ههاز أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء،

والزكوات وغير ذلك، معتمد على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض أئيم أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تعالى 12
مناع للخير الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات

خصوصا الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي. 13
الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زمة أي: علامة في الشر، يعرف بها. وحاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، عتل بعد ذلك أي: غليظ شرس الخلق قاس غير منقاد للحق زنيم أي: دعي، ليس له أصل ولا مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح

وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة. 14
أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة وهذه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه:

وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة. 15
أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة وهذه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه:

جرى منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه على خرطومه في العذاب، وليعذبه عذابا ظاهرا، يكون عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه. 16
ثم تواعد تعالى من

أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها. 17
الذين هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها أينعت أشجارها، وأن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثم مانع يمنعهم منها، ولهذا وطول عمر، ونحو ذلك، مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجا لهم من حيث لا يشعرون فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة، يقول تعالى: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلتناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد،

أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها. 18
الذين هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها أينعت أشجارها، وأن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثم مانع يمنعهم منها، ولهذا وطول عمر، ونحو ذلك، مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجا لهم من حيث لا يشعرون فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة، يقول تعالى: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلتناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد،

فطاف عليها طائف من ربك أي: عذاب نزل عليها ليلا وهم نائمون فأبادها وأتلفها 19

تفسير السعدي

- والكلام الفصل، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا، ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال: وإن لك لأجرا . 2
- نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مما نسب إليه أعداؤه من الجنون فنفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث من عليه بالعقل الكامل، والرأي الجزل، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على براءة فأصبحت كالصريم أي: كالليل المظلم، ذهبت الأشجار والثمار، هذا وهم لا يشعرون بهذا الواقع الملم. 20
- ولهذا تنادوا فيما بينهم، لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: أن اغدوا على حرتكم إن كنتم صارمين 21
- ولهذا تنادوا فيما بينهم، لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: أن اغدوا على حرتكم إن كنتم صارمين 22
- فانطلقوا قاصدين له وهم يتخافتون فيما بينهم، ولكن بمنع حق الله، 23
- وتواصوا مع ذلك، بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، خوفا أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء. 24
- لا يدخلها اليوم عليكم مسكين أي: بكروا قبل انتشار الناس،
- وغدوا في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة على حرد قادرين أي: على إمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها. 25
- فلما رأوها على الوصف الذي ذكر الله كالصريم قالوا من الحيرة والانزعاج. إنا لضالون أي: تائهون عنها، لعلها غيرها 26
- فلما تحققوها، ورجعت إليهم عقولهم قالوا: بل نحن محرومون منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة. 27
- لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتكم، فقلتم: إن شاء الله وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئته الله، لما جرى عليكم ما جرى. 28
- ف قال أوسطهم أي: أعدلهم، وأحسنهم طريقة ألم أقل لكم لولا تسبحون أي: تنزهون الله عما
- على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندموا ندامة عظيمة. 29
- فقالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع العذاب
- التنكير، غير ممنون أي: غير مقطوع، بل هو دائم مستمر، وذلك لما أسلفه النبي صلى الله عليه وسلم من الأعمال الصالحة، والأخلاق الكاملة. 3
- أي: لأجرا عظيما، كما يفيد
- فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فيما أجروه وفعلوه، 30
- قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين أي: متجاوزين للحد في حق الله، وحق عباده. 31
- الله، ويلحون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قالوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيرا منها لأن من دعا الله صادقا، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سؤله. 32
- عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون فهم رجوا الله أن يبدلهم خيرا منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلى
- إليه. ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون فإن من علم ذلك، أوجب له الانزعاج عن كل سبب يوجب العذاب ويحل العقاب 33
- كذلك العذاب أي: الدنيوي لمن أتى بأسباب العذاب أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغى به وبغى، وأثر الحياة الدنيا، وأن يزيله عنه، أحوج ما يكون
- قال تعالى مبينا ما وقع:
- يخبر تعالى بما أعدّه للمتقين للكفر والمعاصي، من أنواع النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، 34
- المسلمين القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين لمراضيه كالمجرمين الذين أوضاعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، ومحاربة أوليائه، 35
- وأن حكمته تعالى لا تقتضي أن يجعل
- وأن من ظن أنه يسويهم في الثواب، فإنه قد أساء الحكم، وأن حكمه حكم باطل، ورأيه فاسد، 36
- وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون ويتلون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا. 37
- وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون ويتلون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا. 38
- صادقين، ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة. 39
- عند الله عهد وبمين بالغة إلى يوم القيامة أن لهم ما يحكمون، وليس لهم شركاء وأعوان على إدراك ما طلبوا، فإن كان لهم شركاء وأعوان فليأتوا بهم إن كانوا
- وليس لهم
- ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذ به بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلي عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم. 4
- من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جلساء له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره،
- خائبا، وإذا أراد أصحابه منه أمرا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل
- العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلا لينا، قريبا من الناس، مجيبا لدعوة من دعاه، قاضيا لحاجة من استقضاه، جابرا لقلب من سأل، لا يحرمه، ولا يرده

تفسير السعدي

- على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة من الله لنت لهم الآية، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وما أشبه ذلك من الآيات الدالات رضي الله عنها لمن سألها عنه، فقالت: كان خلقه القرآن، وذلك نحو قوله تعالى له: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فيما رحمة وإنك على خلق عظيم أي: عاليا به، مستعليا بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين، عائشة
- سلمهم أيهم بذلك زعيم أي: أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها. 40
- سلمهم أيهم بذلك زعيم أي: أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها. 41
- المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله، طوعا واختيارا، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدر على السجود، وتكون ظهورهم كصيافي البقر. 42
- فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله، فيسجد أي: إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأحوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عبادهم ومجازاتهم وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة ولا الاعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصي، ويوجب التدارك مدة الإمكان. 43
- وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء ما جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده
- أي: دعني والمكذبين بالقرآن العظيم فإن علي جزاءهم، ولا تستعجل لهم، ف سنستدرجهم من حيث لا يعلمون 44
- الأرزاق والأعمال، ليفتروا ويستمروا على ما يضرهم، فإن وهذا من كيد الله لهم، وكيد الله لأعدائه، متين قوي، يبلغ من ضررهم وعذابهم فوق كل مبلغ 45
- فندمهم بالأموال والأولاد، ونمدهم في تصديقهم لما جئت به ، سبب يوجب لهم ذلك، فإنك تعلمهم، وتدعوهم إلى الله، لمحض مصلحتهم، من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرما يثقل عليهم. 46
- أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أي: ليس لنفورهم عنك، وعدم يكتبون ما كان عندهم من الغيوب، وقد وجدوا فيها أنهم على حق، وأن لهم الثواب عند الله، فهذا أمر ما كان، وإنما كانت حالهم حال معاند ظالم. 47
- أم عندهم الغيب فهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب الله له، وقذفته الحوت من بطنها بالعراء وهو سقيم، وأثبت الله عليه شجرة من يقطين. 48
- بهم، فوقعت القرعة عليه فالتقمه الحوت وهو مليم وقوله إذ نادى وهو مكظوم أي: وهو في بطنها قد كظمت عليه، أو نادى وهو مغتم مهتم بأن قال وهو عدم صبره على قومه الصبر المطلوب منه، وذهابه مغاضبا لربه، حتى ركب في البحر، فاقترح أهل السفينة حين ثقلت بأهلها أيهم يلقون لكي تخف ولا تكن كصاحب الحوت وهو يونس بن متى، عليه الصلاة والسلام أي: ولا تشابهه في الحال، التي أوصلته، وأوجبت له الانحباس في بطن الحوت، به شرعا وقدرًا، فالحكم القدري، يصبر على المؤذي منه، ولا يتلقى بالسخط والجزع، والحكم الشرعي، يقابل بالقبول والتسليم، والانقياد التام لأمره. وقوله: فلم يبق إلا الصبر لأذاهم، والتحمل لما يصدر منهم، والاستمرار على دعوتهم، ولهذا قال: فاصبر لحكم ربك أي: لما حكم بالعراء أي: لطرح في العراء، وهي الأرض الخالية وهو مذموم ولكن الله تغمد به رحمته فنبذ وهو ممدوح، وصارت حاله أحسن من حاله الأولى، 49
- لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوه عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي. 5
- جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قال: فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، فلما أنزله الله في أعلى المنازل من أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، وأحوالهم فامتثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أمر ربه، فصبر لحكم ربه صبرا لا يدركه فيه أحد من العالمين. 50
- فاجتبه ربه أي: اختاره واصطفاه ونقاه من كل كدر. فجعله من الصالحين أي: الذين صلحت وناصره، وأما الأذى القولي، فيقولون فيه أقوالا، بحسب ما توحى إليهم قلوبهم، فيقولون تارة مجنون وتارة ساحر وتارة شاعر. 51
- حتى إنهم حرصوا على أن يزلقوه بأبصارهم أي: يصيبوه بأعينهم، من حسدهم وغيظهم وحنقهم، هذا منتهى ما قدروا عليه من الأذى الفعلي، والله حافظه فجعل الله له العاقبة والعاقبة للمتقين ولم يدرك أعداؤه فيه إلا ما يسوءهم،
- أي: وما هذا القرآن الكريم، والذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم. تم تفسير سورة القلم، والحمد لله رب العالمين. 52
- قال تعالى وما هو إلا ذكر للعالمين وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوه عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي. 6
- جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قال: فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره،

فلما أنزله الله في أعلى المنازل من

بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهذا فيه تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره. 7
و هو أعلم

التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم، أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه. 8
يطاعوا، لأنهم لا يأمرهم إلا بما يوافق أهواءهم، وهم لا يريدون إلا الباطل، فالمطيع لهم مقدم على ما يضره، وهذا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن
يقول الله تعالى، لنبيه صلى الله عليه وسلم: فلا تطع المكذبين الذين كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلاً لأن
الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، فيدهنون ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره، بنقض ما يصاده، وعيب ما يناقضه. 9
ودوا أي: المشركون لو تدهن أي: توافقه على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو

سورة 69

من قوله: الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة فإن لها شأنًا عظيمًا وهولًا جسيمًا، ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل 1
الحاقة من أسماء يوم القيامة، لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبات الصدور، فعظم تعالى شأنها وفخمه، بما كرره
جنس أي: كل من هؤلاء كذب الرسول الذي أرسله الله إليهم. فأخذ الله الجميع أخذة رابية أي: زائدة على الحد والمقدار الذي يحصل به هلاكهم. 10
فقصوا رسول ربهم وهذا اسم

الرفيعة. وامتن الله على الخلق الموجودين بعدهم أن الله حملهم في الجارية وهي: السفينة في أصلاب آبائهم وأمهاتهم الذين نجاهم الله. 11
ومن جملة أولئك قوم نوح أغرقهم الله في اليم حين طغى الماء على وجه الأرض وعلا على مواضعها
الآية بها. وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة وأهل البلادة وعدم الفطنة فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله، وفكرهم بآيات الله 12
به واتبع رسوله وأهلك أهل الأرض كلهم فإن جنس الشيء مذكر بأصله. وقوله: وتعيها أذن واعية أي: تعقلها أولو الأبواب ويعرفون المقصود منها ووجه
الدالة على توحيده ولهذا قال: لنجعلها أي: الجارية والمراد جنسها، لكم تذكرة تذكركم أول سفينة صنعت وما قصتها وكيف نجى الله عليها من آمن
فاحمدوا الله واشكروا الذي نجاكم حين أهلك الطاغين واعتبروا بآياته

ينفخ إسرافيل في الصور إذا تكاملت الأجساد نابته. نفخة واحدة فتخرج الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فإذا الناس قيام لرب العالمين. 13
الله نجى الرسل وأتباعهم كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي وتوفية الأعمال كاملة يوم القيامة. فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة وأن أول ذلك أنه
لما ذكر ما فعله تعالى بالمكذبين لرسوله وكيف جازاهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا وأن

فتنت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت على الأرض فكان الجميع قاعا صافيا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا. هذا ما يصنع بالأرض وما عليها. 14
وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة أي:

فتنت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت على الأرض فكان الجميع قاعا صافيا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا. هذا ما يصنع بالأرض وما عليها. 15
وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة أي:

فإنها تضطرب وتمور وتشقق ويتغير لونها، وتهي بعد تلك الصلابة والقوة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أعجزها، وكرب جسيم هائل أواها وأضعفها. 16
وأما ما يصنع بالسماء،

مستكينين لعظمتته. ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية أملاك في غاية القوة إذا أتى للفصل بين العباد والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله. 17
والملك أي: الملائكة الكرام على أرجائها أي: على جوانب السماء وأركانها، خاضعين لربهم،

ويحشر العباد حفاة عراة غرلا، في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء، فقال: 18
يومئذ تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية لا من أجسامكم وأجسادكم ولا من أعمالكم وصفاتكم، فإن الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

من الله عليه به من الكرامة: هاؤم اقرءوا كتابه أي: دونكم كتابي فاقرأوه فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب. 19
التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزا لهم وتنويعا بشأنهم ورفعاً لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما
وهؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم

من قوله: الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة فإن لها شأنًا عظيمًا وهولًا جسيمًا، ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل 2
الحاقة من أسماء يوم القيامة، لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبات الصدور، فعظم تعالى شأنها وفخمه، بما كرره

تفسير السعدي

- الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: إني ظننت أني ملاق حسابيه أي: أيقنت فالظن هنا بمعنى اليقين. 20
- والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما من الله به علي من
- فهو في عيشة راضية أي: جامعة لما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها. 21
- في جنة عالية المنازل والقصور عالية المحل. 22
- قطوفها دانية أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياما وقعودا ومتكئين. 23
- من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر لله وإنابة إليه. فالأعمال جعلها الله سببا لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلا لسعادتها. 24
- هنيئا أي: تاما كاملا من غير مكدر ولا منغص. وذلك الجزاء حصل لكم بما أسلفتم في الأيام الخالية من الأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة
- ويقال لهم إكراما: كلوا واشربوا أي: من كل طعام لذيق، وشراب شهيق،
- تمييزا لهم وخزيا وعارا وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي يا ليتني لم أوت كتابيه لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية. 25
- هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم
- ولم أدر ما حسابيه أي: ليتني كنت نسيا منسيا ولم أبعث وأحاسب ولهذا قال: 26
- يا ليتها كانت القاضية أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها. 27
- ولم ينفعه في الافتداء من عذاب الله فيقول: ما أغنى عني ماليه أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئا، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه. 28
- ثم التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته،
- الكثيرة، ولا العدد الخطيرة، ولا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والغوم والأتراح. 29
- هلك عني سلطانيه أي: ذهب واضمحل فلم تنفع الجنود
- من قوله: الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة فإن لها شأنا عظيما وهولا جسيما، ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل 3
- الحاقة من أسماء يوم القيامة، لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبات الصدور، فعظم تعالى شأنها وفخمه، بما كرره
- فحينئذ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد: خذوه فغلوه أي: اجعلوا في عنقه غلا يخنقه. 30
- ثم الجحيم صلوه أي: قلبوه على جمرها ولهبا. 31
- فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه، ويلق فيها، فلا يزال يعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب، وواحدة من له التوبيخ والعتاب. 32
- ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعا من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة فاسلكوه أي: انظموه
- فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل: إنه كان لا يؤمن بالله العظيم بأن كان كافرا بربه معاندا لرسله رادا ما جاءوا به من الحق. 33
- الخلق بوجوه الإحسان، الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوتون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا. 34
- من ماله ولا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه، وذلك لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى
- ولا يحض على طعام المسكين أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين فلا يطعمهم
- أو صديق يشفع له لينجو من عذاب الله أو يفوز بثواب الله: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع. 35
- فليس له اليوم هاهنا أي: يوم القيامة حميم أي: قريب
- وليس له طعام إلا من غسيلين وهو صديد أهل النار، الذي هو في غاية الحرارة، وتنت الريح، 36
- الطعم ومرارته لا يأكل هذا الطعام الذميم إلا الخاطئون الذين أخطأوا الصراط المستقيم وسلخوا سبل الجحيم فلذلك استحقوا العذاب الأليم. 37
- وقبح
- في ذلك كل الخلق بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى. 38
- أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل
- في ذلك كل الخلق بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى. 39
- أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل
- الله إليهم رسوله هودا عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده فكذبوه وكذبوا بما أخبر به من البعث فأهلك الله الطائفتين بالهلاك المعجل 4
- بالتوحيد، فردوا دعوته وكذبوه وكذبوا ما أخبرهم به من يوم القيامة، وهي القارعة التي تقرر الخلق بأهوالها، وكذلك عاد الأولى سكان حضرموت حين بعث
- العاتية فقال: كذبت ثمود وهم القبيلة المشهورة سكان الحجر الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحا عليه السلام، ينهاهم عما هم عليه من الشرك، ويأمرهم

تفسير السعدي

ثم ذكر نمودجا من أحوالها الموجودة في الدنيا المشاهدة فيها، وهو ما أحله من العقوبات البليغة بالأمم

في ذلك كل الخلق بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى. 40 أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل

ويضربهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمرا مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقا. 41 ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمرا مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقا. 42 ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول البشر بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوه فوق عباده، 43 وأن ما جاء

فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته فإنه لو تقول عليه وافترى بعض الأقاويل الكاذبة. 44

الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته. 45 قدير، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك. فإذا كان بالقلب إذا انقطع مات منه الإنسان، فلو قدر أن الرسول حاشا وكلا تقول على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل شيء لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وهو عرق متصل

الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته. 46 قدير، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك. فإذا كان بالقلب إذا انقطع مات منه الإنسان، فلو قدر أن الرسول حاشا وكلا تقول على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل شيء لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وهو عرق متصل

فما منكم من أحد عنه حاجزين أي: لو أهلكه، ما امتنع هو بنفسه، ولا قدر أحد أن يمنعه من عذاب الله. 47

ويعملون عليها، يذكروهم العقائد الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكام الشرعية، فيكونون من العلماء الربانيين، والعباد العارفين، والأئمة المهديين. 48 وإنه أي: القرآن الكريم لتذكرا للمتقين يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم، فيعرفونها،

وإننا لنعلم أن منكم مكذبين به، وهذا فيه تهديد ووعد للمكذبين، فإنه سيعاقبهم على تكذيبهم بالعقوبة البليغة. 49

ثمود فأهلكوا بالطاغية وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي انصدعت منها قلوبهم وزهقت لها أرواحهم فأصبحوا موتى لا يرى إلا مساكنهم وجثثهم. 50 فأما

فإنهم لما كفروا به، ورأوا ما وعدهم به، تحسروا إذ لم يهتدوا به، ولم ينقادوا لأمره، ففاتهم الثواب، وحصلوا على أشد العذاب، وتقطعت بهم الأسباب. 50 وإنه لحسرة على الكافرين

القرآن الكريم، بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين. 51 علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر. ثم عين اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة البصر. ثم حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة. وهذا أي: أعلى مراتب العلم، فإن أعلى مراتب العلم اليقين وهو العلم الثابت، الذي لا يتزلزل ولا يزول. واليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى مما قبلها: أولها: وإنه لحق اليقين

لا يليق بجلاله، وقده بذكر أوصاف جلاله وجماله وكماله. تم تفسير سورة الحاقة، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، على كماله وأفضاله وعدله. 52 فسبح باسم ربك العظيم أي: نزهه عما

من صوت الرعد القاصف عاتية أي: عنت على خزائنها، على قول كثير من المفسرين، أو عنت على عاد وزادت على الحد كما هو الصحيح. 6 وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي: قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ

القوم فيها صرعى أي: هلكى موتى كأنهم أعجاز نخل خاوية أي: كأنهم جذوع النخل التي قد قطعت رؤوسها الخاوية الساقط بعضها على بعض. 7 سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي: نحسا وشرا فظيعا عليهم فدمرتهم وأهلكتهم، فترى

فهل ترى لهم من باقية وهذا استفهام بمعنى النفي المتقرر. 8

قرى قوم لوط الجميع جاءوا بالخائنة أي: بالفعل الطاغية وهي الكفر والتكذيب والظلم والمعاداة وما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش والفسوق. 9

عمران عليه الصلاة والسلام وأراه من الآيات البينات ما تيقنوا بها الحق ولكن جحدوا وكفروا ظلما وعلوا وجاء من قبله من المكذبين، والمؤتفكات أي: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين عاد وثمود جاء غيرهم من الطغاة العتاة كفرعون مصر الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسى ابن

سورة 70

- يقول تعالى مبينا لجهل المعاندين، واستعجالهم لعذاب الله، استهزاء وتعنتا وتعجيزا: سأل سائل أي: دعا داع، واستفتح مستفتح بعذاب واقع 1
أليس حقيقا أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟ ولهذا قال: ولا يسأل حميم حميما 10
حميمه عن حاله، ولا فيما يتعلق بعشرتهم ومودتهم، ولا يهتم إلا نفسه، يود المجرم الذي حق عليه العذاب لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه 11
يبصرونهم أي: يشاهد الحميم، وهو القريب حميمه، فلا يبقى في قلبه متسع لسؤال
وصاحبه أي: زوجته وأخيه 12
قربته التي تؤويه أي: التي جرت عاداتها في الدنيا أن تتناصر ويعين بعضها بعضا، ففي يوم القيامة، لا ينفع أحد أحدا، ولا يشفع أحد إلا بإذن الله. 13
وفصيلته أي:
بل لو يفتدي المجرم المستحق للعذاب بجميع ما في الأرض ثم ينجيه لم ينفعه ذلك. 14
كلا أي: لا حيلة ولا مناص لهم، قد حقت عليهم كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ، وذهب نفع الأقارب والأصدقاء إنها لظى. 15
نزاعة للشوى أي: للأعضاء الظاهرة والباطنة من شدة عذابها . 16
الحق وأعرض عنه، فليس له فيه غرض، وجمع الأموال بعضها فوق بعض وأوعاها، فلم ينفق منها، فإن النار تدعوهم إلى نفسها، وتستعد للالتهاب بهم. 17
تدعوا إليها من أدبر وتولى وجمع فأوعى أي: أدبر عن اتباع
الحق وأعرض عنه، فليس له فيه غرض، وجمع الأموال بعضها فوق بعض وأوعاها، فلم ينفق منها، فإن النار تدعوهم إلى نفسها، وتستعد للالتهاب بهم. 18
تدعوا إليها من أدبر وتولى وجمع فأوعى أي: أدبر عن اتباع
وهذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته الأصلية، أنه هلوع. 19
القرشي أو غيره من المشركين فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم إلى آخر الآيات. 2
الله أي: ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل، من متبردي المشركين، أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله، وهذا حين دعا النضر بن الحارث
للكافرين لاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم ليس له دافع من
إذا مسه الشر جزوعا فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله. 20
وفسر الهلوع بأنه:
وإذا مسه الخير منوعا فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء. 21
إلا المصلين الموصوفين بتلك الأوصاف فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا. 22
على صلاتهم دائمون أي: مداومون عليها في أوقاتها بشروطها ومكملاتها. وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتا دون وقت، أو يفعلها على وجه ناقص. 23
وقوله في وصفهم الذين هم
والذين في أموالهم حق معلوم من زكاة وصدقة 24
للسائل الذي يتعرض للسؤال والمحروم وهو المسكين الذي لا يسأل الناس فيعطوه، ولا يفتن له فيتصدق عليه. 25
من الجزاء والبعث، ويتيقنون ذلك فيستعدون للآخرة، ويسعون لها سعيها. والتصديق بيوم الدين يلزم منه التصديق بالرسول، وبما جاءوا به من الكتب. 26
والذين يصدقون بيوم الدين أي: يؤمنون بما أخبر الله به، وأخبرت به رسله،
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون أي: خائفون وجلون، فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله. 27
إن عذاب ربهم غير مأمون أي: هو العذاب الذي يخشى ويحذر. 28
في دبر، أو حيض، ونحو ذلك، ويحفظونها أيضا من النظر إليها ومسها، ممن لا يجوز له ذلك، ويتركون أيضا وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة. 29
والذين هم لفروجهم حافظون فلا يطأون بها وطأ محرما، من زنى أو لواط، أو وطء
وسعة سلطانه وكمال أسمائه وصفاته، لما استعجلوا ولا تسلموا وتأدبوا، ولهذا أخبر تعالى من عظمت ما يضاد أقوالهم القبيحة فقال: ذي المعارج 3

تفسير السعدي

فالعذاب لا بد أن يقع عليهم من الله، فإما أن يعجل لهم في الدنيا، وإما أن يؤخر عنهم إلى الآخرة، فلو عرفوا الله تعالى، وعرفوا عظمتهم،

إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم أي: سرياتهم فإنهم غير ملومين في وطنهم في المحل الذي هو محل الحرث. 30

هم العادون أي: المتجاوزون ما أحل الله إلى ما حرم الله، ودلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة، لكونها غير زوجة مقصودة، ولا ملك يمين. 31
فمن ابتغى وراء ذلك أي: غير الزوجة وملك اليمين، فأولئك

العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد عليه الخلق، فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه فلم يقيم به؟. 32
لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك
والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل

بها وجه الله. قال تعالى: وأقيموا الشهادة لله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين. 33
والذين هم بشهاداتهم قائمون أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريباً ولا صديقاً ونحوه، ويكون القصد
والذين هم على صلاتهم يحافظون بمداومتها على أكمل وجوها. 34

الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه، أحسن معاملة من إنصافهم، وحفظ عهودهم وأسرارهم، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى. 35
والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق
الله لهم من الكرامة والنعيم المقيم ما تشتهي الأنفس، وتلد الأعين، وهم فيها خالدون. وحاصل هذا، أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة،
أولئك أي: الموصوفون بتلك الصفات في جنات مكرمون أي: قد أوصل

يقول تعالى، مبينا اغترار الكافرين: فمال الذين كفروا قبلك مهطعين أي: مسرعين. 36

عن اليمين وعن الشمال عزين أي: قطعاً متفرقة وجماعات متوزعة، كل منهم بما لديه فرح. 37

أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بأي: سبب أطمعهم، وهم لم يقدموا سوى الكفر، والجحود برب العالمين. 38

خلقناهم مما يعلمون أي: من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، فهم ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. 39
قال: كلا أي: ليس الأمر بأمانيتهم ولا إدراك ما يشتهون بقوتهم. إنا

ونازلة، بالتدابير الإلهية، والشئون في الخليقة في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالى يخففه على المؤمن. 4
الله تبارك وتعالى يظهر لعباده في يوم القيامة من عظمتهم وجلاله وكبريائه، ما هو أكبر دليل على معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح صاعدة
أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا. ويحتمل أن هذا في يوم القيامة، وأن
ولم يقدره حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أمهلهم، وآذوه فصبر عليهم وعافاهم ورزقهم. هذا
ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره ورزقه، ما عمهم وشملهم وأجرى عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي وحكمه الجزائي. فبؤساً لأقوام جهلوا عظمتهم،
المأ الأعلى، فهذا الملك العظيم، والعالم الكبير، علويه وسفليه، جميعه قد تولى خلقه وتدبيره العلي الأعلى، فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، وعلم مستقرهم
من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها، وما تنتهي إليه من
فلم يؤذن لها، وأعيدت إلى الأرض. ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة والأرواح وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانها عليه
ربها وتسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر والإعظام. وأما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت
برها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سماء إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فتحيي
أي: ذو العلو والجلال والعظمة، والتدبير لسائر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها على تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها،
تعرج الملائكة والروح إليه

هذا إقسام منه تعالى بالمشارق والمغارب، للشمس والقمر والكواكب، لما فيها من الآيات الباهرات على البعث 40

نحن بمسبوقين أي: ما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده. فإذا تقرر البعث والجزاء، واستمروا على تكذيبهم، وعدم انقيادهم لآيات الله. 41
وقدرته على تبديل أمثالهم، وهم بأعينهم، كما قال تعالى: وننشئكم فيما لا تعلمون. وما

بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم. 42
فذرهم يخوضوا ويلعبوا أي: يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا

إلى علم يؤمنون ويسرعون أي: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مهضومين للقيام بين يدي رب العالمين. 43
الذي يوعدون، فقال: يوم يخرجون من الأجداث أي: القبور، سراعاً مجيبين لدعوة الداعي، مهطعين إليها كأنهم إلى نصب يوفضون أي: كأنهم
ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون يومهم

تفسير السعدي

- وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات. فهذه الحال والمآل، هو يومهم الذي كانوا يوعدون ولا بد من الوفاء بوعدهم الله. 44
- خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم، واستولى على أفئدتهم، فخشعت منهم الأبصار، ولا ملل، بل استمر على أمر الله، وادع عباده إلى توحيده، ولا يمنعه عنهم ما ترى من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم، فإن في الصبر على ذلك خيرا كثيرا. 5
- فاصبر صبرا جميلا أي: اصبر على دعوتك لقومك صبرا جميلا، لا تضجر فيه والسكره، حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يراه قريبا، لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هو آت فهو قريب. 6
- إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير يعود إلى البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة والسكره، حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يراه قريبا، لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هو آت فهو قريب. 7
- إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير يعود إلى البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة أي: يوم القيامة، تقع فيه هذه الأمور العظيمة ف تكون السماء كالمهل وهو الرصاص المذاب من تشققها وبلوغ الهول منها كل مبلغ. 8
- ذاك هباء منثورا فتضمحل، فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟ 9
- وتكون الجبال كالعهن وهو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد

سورة 71

- من عذاب الله الأليم، خوفا من استمرارهم على كفرهم، فيهلكهم الله هلاكاً أبدياً، ويعذبهم عذاباً سرمدياً، فامتثل نوح عليه السلام لذلك، وابتدر لأمر الله، 1
- السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلى التوحيد، ونهي عن الشرك، فأخبر تعالى أنه أرسله إلى قومه، رحمة بهم، وإنذاراً لهم إلى آخر السورة لم يذكر الله في هذه
- واستغفروا الله منها. إنه كان غفارا كثير المغفرة لمن تاب واستغفر، فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب. 10
- فقلت استغفروا ربكم أي: اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، ورغبهم أيضا، بخير الدنيا العاجل، فقال: يرسل السماء عليكم مدرارا أي: مطرا متتابعاً، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد. 11
- أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وأولادكم، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها. 12
- ويمددكم بأموال وبنين أي: يكثر ما لكم لا ترجون لله وقارا أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر. 13
- متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد، وفي ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم على الإقرار بالمعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم. 14
- من بعد خلق، في بطن الأم، ثم في الرضاع، ثم في سن الطفولية، ثم التمييز، ثم الشباب، إلى آخر ما وصل إليه الخلق، فالذي انفرد بالخلق والتدبير البديع، وقد خلقكم أطوارا أي: خلقا
- واستدل أيضا عليهم بخلق السماوات التي هي أكبر من خلق الناس، فقال: ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا أي: كل سماء فوق الأخرى. 15
- هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى. 16
- وجعل القمر فيهن نورا لأهل الأرض وجعل الشمس سراجا. ففيه تنبيه على عظم خلق والله أنبتكم من الأرض نباتا حين خلق أباكم آدم وأنتم في صلبه. 17
- ثم يعيدكم فيها عند الموت ويخرجكم إخراجا للبعث والنشور، فهو الذي يملك الحياة والموت والنشور. 18
- والله جعل لكم الأرض بساطا أي: مبسوطة مهياة للانتفاع بها. 19
- الندارة بينها، وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأي شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بيانا شافيا، فأخبرهم وأمرهم بزبدة ما يأمرهم به 2
- يا قوم إني لكم نذير مبين أي: واضح لتسلخوا منها سبلا فجاجا فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكنهم حرثها وغرسها وزرعها، والبناء، والسكون على ظهرها. 20
- الدال على الخير، واتبعوا المأ والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إلا خسارا أي: هلاكاً وتقويتا للأرباح فكيف بمن انقاد لهم وأطاعهم؟! 21
- هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجح فيهم ولا أفاد. إنهم عصوني فيما أمرتهم به واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خسارا أي: عصوا الرسول الناصح قال نوح شاكيا لربه: إن

ومكروا مكرا كبارا أي: مكرا كبيرا بليغا في معاندة الحق. 22

الشیطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصى رؤسائهم للتابعين لهم أن لا يدعوا عبادة هذه الآلهة. 23
أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم لينشطوا بزعمهم على الطاعة إذا رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك فقال لهم
على ما هم عليه من الشرك، وأن لا يدعوا ما عليه آبائهم الأقدمون، ثم عينوا آلهتهم فقالوا: ولا تذرنا ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا وهذه
وقالوا لهم داعين إلى الشرك مزينين له: لا تذرنا آلهتكم فدعوههم إلى التعصب

لكان مصلحة، ولكن لا يزيدون بدعوة الرؤساء إلا ضللا أي: فلم يبق محل لنجاحهم ولا لصالحهم، ولهذا ذكر الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية، 24
وقد أضلوا كثيرا أي: وقد أضل الكبار والرؤساء بدعوتهم كثيرا من الخلق، ولا تزد الظالمين إلا ضللا أي: لو كان ضلالهم عند دعوتي إياهم بحق،
ما قال، حتى حل بهم النكال، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ينصرونهم حين نزل بهم الأمر الأمر، ولا أحد يقدر يعارض القضاء والقدر. 25
فذهبت أجسادهم في الغرق وأرواحهم للنار والحرق، وهذا كله بسبب خطيئاتهم، التي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها، ويخبرهم بشؤمها ومغبتها، فرفضوا
مما خطيئاتهم أغرقوا في البهم الذي أحاط بهم فأدخلوا نارا

وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا يدور على وجه الأرض، وذكر السبب في ذلك 26

مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته، فأغرقهم أجمعين ونجى نوحا ومن معه من المؤمنين. 27
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا أي: بقاؤهم مفسدة محضة، لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح عليه السلام ذلك، لأنه مع كثرة

ثم عمم الدعاء، فقال: وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا أي: خسارا ودمارا وهلاكاً. تم تفسير سورة نوح عليه السلام والحمد لله 28
رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي مؤمنا خص المذكورين لتأكد حقهم وتقديم برهم،

أن اعبدوا الله واتقوه وذلك بإفراده تعالى بالتوحيد والعبادة، والبعد عن الشرك وطرقه ووسائله. 3

فإن الموت لا بد منه، ولهذا قال: إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون لما كفرتم بالله، وعاندتم الحق، فلم يجيبوا لدعوته، ولا انقادوا لأمره. 4
أي: يمتعكم في هذه الدار، ويدفع عنكم الهلاك إلى أجل مسمى أي: مقدر البقاء في الدنيا بقضاء الله وقدره إلى وقت محدود، وليس المتاع أبداً،
فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، والفوز بالثواب، ويؤخركم إلى أجل مسمى

فقال شاكياء لربه: رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا 5

فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا أي: نفورا عن الحق وإعراضا، فلم يبق لذلك فائدة، لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه. 6

بها غطاء يغشاهم بعدا عن الحق وبغضا له، وأصروا على كفرهم وشركهم واستكبروا على الحق استكبارا فشرهم ازداد، وخيرهم بعد. 7
أبوا إلا تماديا على باطلهم، ونفورا عن الحق، جعلوا أصابعهم في آذانهم حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام، واستغشوا ثيابهم أي تغطوا
وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم أي: لأجل أن يستجيبوا فإذا استجابوا غفرت لهم فكان هذا محض مصلحتهم، ولكنهم

ثم إني دعوتهم جهارا أي: بمسمع منهم كلهم. 8

ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا كل هذا حرص ونصح، وإتيانهم بكل باب يظن أن يحصل منه المقصود 9

سورة 72

قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا أي: من العجائب الغالية، والمطالب العالية. 1
رسوله لسمع آياته لتقوم عليهم الحجة وتتم عليهم النعمة ويكونوا نذرا لقومهم. وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه،
أي: قل يا أيها الرسول للناس أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن صرفهم الله إلى
فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأديبا مع الله. 10
من خير أو شر، فهذا قالوا: وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا أي: لا بد من هذا أو هذا، لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيرا أنكروه،
وجزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حادثا كبيرا،

وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك أي: فساق وفجار وكفار، كنا طرائق قديما أي: فرقا متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون. 11

الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله فلو نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه. 12
وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة

بخسا ولا رهقا أي: لا نقصا ولا طغيانا ولا أنى يلحقه، وإذا سلم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير وانتفاء كل شر. 13

تفسير السعدي

إلى الصراط المستقيم، وعرفنا هدايته وإرشاده، أثر في قلوبنا ف آمنا به . ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا: فمن يؤمن بربه إيماناً صادقا فلا يخاف وأنا لما سمعنا الهدى وهو القرآن الكريم، الهادي

أي: الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم. فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا أي: أصابوا طريق الرشـد، الموصل لهم إلى الجنة ونعيمها، 14
وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون

وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا وذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله لهم 15

فإنهم لو استقاموا على الطريقة المثلـى لأسقيناهم ماء غدقًا أي: هنيئًا مريئًا، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم وعدوانهم. 16

ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا أي: من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه وينقذ له، بل غفل عنه ولهى، يسلكه عذابا صعدا أي: شديدا بليغا. 17
لنفتنهم فيه أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب. ومن يعرض عن

أحدا أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، فإن المساجد التي هي أعظم محال العبادة مبنية على الإخلاص لله، والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته، 18
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله

أي: يسأله ويتعبد له ويقرأ القرآن كاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه لبدًا، أي: متلبدين متراكمين حرصا على سماع ما جاء به من الهدى. 19
وأنه لما قام عبد الله يدعوه

المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة، 2
القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب المضار، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع،
بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى، المتضمنة لترك الشر وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات
يهدي إلى الرشـد والرشـد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم، فأما به ولن نشرك بربنا أحدا فجمعوا

تدعو إليه: إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذة المشركون من دونه. 20
قل لهم يا أيها الرسول، مبينا حقيقة ما

قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا فإني عبد ليس لي من الأمر ولا من التصرف شي 21

ولا رشدا، ولا يمنع نفسه من الله شيئا إن أَراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى. ولن أجد من دونه ملتحدا أي: ملجأ ومنتصرا. 22
قل إني لن يجيرني من الله أحد أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضرا

فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة. 23
ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الآخر المحكمة. وأما مجرد المعصية،
إلا بلاغا من الله ورسالاته أي: ليس لي مزية على الناس، إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إلى الله، وبهذا تقوم الحجة على الناس.

ذلك الوقت حقيقة المعرفة من أضعف ناصرا وأقل عددا حين لا ينصرهم غيرهم ولا أنفسهم ينتصرون، وإذ يحشرون فرادى كما خلقوا أول مرة. 24
حتى إذا رأوا ما يوعدون أي: شاهدوه عيانا، وجزموا أنه واقع بهم، فسيعلمون في

قل لهم إن سألوكم فقالوا متى هذا الوعد ؟ إن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا أي: غاية طويلة، فعلم ذلك عند الله. 25

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا من الخلق، بل انفرد بعلم الضمائر والأسرار والغيب. 26

حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا يزيّدوا فيه أو ينقصوا، ولهذا قال: فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رسدا أي: يحفظونه بأمر الله. 27
يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدا من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على
إلا من ارتضى من رسول أي: فإنه

أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصه بعلم شيء منها. تم تفسير سورة قل أوحى إلي، ولله الحمد 28
وسلم، إذا كان لا يملك لأحد نفعا ولا ضرا، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط اتخاذ من هذا وصفه إلها آخر مع الله. ومنها:
قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمدا صلى الله عليه
به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام. ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول صلى الله عليه وسلم، وتراكمهم عليه. ومنها: أن هذه السورة
وأهلها رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدا، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج به القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر
وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض
قومهم. ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم. ومنها: اعتناء الله برسوله،
هذه السورة. ومنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس ، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا

تفسير السعدي

- وأحصى كل شيء عددا وفي هذه السورة فوائد كثيرة: منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون بمأمورين مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في ليعلم بذلك أن قد أبلغوا رسالات ربهم بما جعله لهم من الأسباب، وأحاط بما لديهم أي: بما عندهم، وما أسروه وأعلنوه، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولدا، لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ صاحبة والولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنى. 3. وأنه تعالى جد ربنا أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه، ما اتخذ صاحبة ولا ولدا فعلموا من جد الله وعظمته، على الله شططا أي: قولا جائرا عن الصواب، متعديا للحد، وما حمله على ذلك إلا سفهه وضعف عقله، وإلا فلو كان رزينا مطمئنا لعرف كيف يقول. 4. وأنه كان يقول سفيها
- على الكذب على الله، فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم، فاليوم إذ بان لنا الحق، رجعنا إليه، وانقذنا له، ولم نبال بقول أحد من الناس يعارض الهدى. 5. ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذبا أي: كنا مغترين قبل ذلك، وغرنا القادة والرؤساء من الجن والإنس، فأحسننا بهم الظن، وظنناهم لا يتجرأون وأنا
- لما رأوهم يستعيذون بهم ليلجنوهم إلى الاستعاذة بهم، فكان الإنسي إذا نزل بواد مخوف، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. 6. أي: طغيانا وتكبيرا لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعيذون بهم، ويحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو أي: زاد الجن الإنس ذعرا وتخويفا كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أي: كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزع، فزاد الإنس الجن رهقا وأنه
- وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا أي: فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك والطيغان. 7. عن الوصول إلى أرجائها والدنو منها، وشهيا يرمى بها من استرق السمع، وهذا بخلاف عادتنا الأولى، فإننا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء. 8. وأنا لمسنا السماء أي: أتيناها واختبرناها، فوجدناها ملئت حرسا شديدا
- من أخبار السماء ما شاء الله. فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي: مرصدا له، معدا لإتلافه وإحراقه، أي: وهذا له شأن عظيم، ونبا جسيم. 9. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فتلتقف

سورة 73

- على أذية أعدائه، ثم أمره بالصدع بأمره، وإعلان دعوتهم إلى الله، فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وبآكد الأوقات وأفضلها، وهو قيام الليل. 1. الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته ونهايتها، ولهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمره. فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر منه الجهد، وهو يعالجه على القراءة، فقرأ صلى الله عليه وسلم، ثم ألقى الله عليه الثبات، وتابع عليه الوحي، حتى بلغ مبلغا ما بلغه أحد من المرسلين. فسبحان عليه السلام، فأتى إلى أهله، فقال: زملوني زملوني وهو ترعد فرائضه، ثم جاءه جبريل فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ ففطه حتى بلغ وابتدأه بإنزال وحيه بإرسال جبريل إليه، فرأى أمرا لم ير مثله، ولا يقدر على الثبات له إلا المرسلون، فاعتراه في ابتداء ذلك انزعاج حين رأى جبريل المزمّل: المتغطي بثيابه كالمدثر، وهذا الوصف حصل من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أكرمه الله برسالته،
- الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجداهم بالتي هي أحسن. 10. بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ويسبونونه ويسبون ما جاء به، وأن يمضي على أمر الله، لا يصده عنه صاد، ولا يردده راد، وأن يهجرهم هجرا جميلا، وهو فلما أمره الله بالصلاة خصوصا، وبالذكر عموما، وذلك يحصل للعبد ملكة قوية في تحمل الأثقال، وفعل الثقيل من الأعمال، أمره
- حين وسع الله عليهم من رزقه، وأمدهم من فضله كما قال تعالى: كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى. ثم توعدهم بما عنده من العقاب، فقال: 11. وذرنى والمكذبين أي: اتركني وإياهم، فسأنتقم منهم، وإن أمهلتهم فلا أمهلم، وقوله: أولي النعمة أي: أصحاب النعمة والغنى، الذين طغوا أي: إن عندنا أنكالا أي: عذابا شديدا، جعلناه تنكيلا للذي لا يزال مستمرا على الذنوب. وجحيما أي: نارا حامية 12. وطعاما ذا غصة وذلك لمرارته وبشاعته، وكراهة طعمه وريحه الخبيث المتنن، وعذابا أليما أي: موجعا مفضعا، 13. العظيم، وكانت الجبال الراسيات الصم الصلاب كتيبيا مهيبا أي: بمنزلة الرمل المنهال المنتثر، ثم إنها تبس بعد ذلك، فتكون كالهباء المنثور. 14. وذلك يوم ترجف الأرض والجبال من الهول
- احمدوا ربكم على إرسال هذا النبي الأمي العربي البشير النذير، الشاهد على الأمة بأعمالهم، واشكروه وقوموا بهذه النعمة الجليلة، وإياكم أن تكفروها. 15. يقول تعالى:
- فتكونوا كفرعون حين أرسل الله إليه موسى بن عمران، فدعاه إلى الله، وأمره بالتوحيد، فلم يصدق، بل عصاه، فأخذ الله أخذا وببلا أي: شديدا بليغا. 16.

أي: فكيف يحصل لكم الفكاك والنجاة من يوم القيامة، اليوم المهيل أمره، العظيم قدره ، الذي يشيب الولدان، وتذوب له الجمادات العظام. 17

فتتفطر به السماء وتنتثر به نجومها كان وعده مفعولا أي: لا بد من وقوعه، ولا حائل دونه. 18

هذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم، ومكنهم منها، لا كما يقوله الجبرية: إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم، فإن هذا خلاف النقل والعقل. 19
وينزجر بها المؤمنون، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي: طريقا موصلا إليه، وذلك باتباع شرعه، فإنه قد أبانه كل البيان، وأوضحه غاية الإيضاح، وفي
إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي: إن هذه الموعظة التي نبأ الله بها من أحوال يوم القيامة وأهواله ، تذكرة يتذكر بها المتقون،

ومن رحمته تعالى، أنه لم يأمره بقيام الليل كله، بل قال: قم الليل إلا قليلا . 2

وجه ناقص، فأمر بتزقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب أثناء الليل والنهار، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك. تم تفسير سورة المزمل 20
وفي الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير، فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلا أو يفعله على
ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها ، فلك اللهم الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك. واستغفروا الله إن الله غفور رحيم
وأصله وأساسه، فوأسفاه على أوقات مضت في الغفلات، وواحسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات، وواغوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارئها،
يقابله أضعاف أضعاف الدنيا، وما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره
من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا الحسنه بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. وليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار،
من نية صادقة، وتببيت من النفس، ومال طيب، ويدخل في هذا، الصدقة الواجبة ؟ والمستحبة، ثم حث على عموم الخير وأفعاله فقال: وما تقدموا لأنفسكم
وبها تحصل المواساة للفقراء والمساكين، ولهذا قال: وأقيموا الصلاة بأركانها، وشروطها، ومكملاتها، وأقربوا الله قرضا حسنا أي: خالصا لوجه الله،
دينهم وأبدانهم ودنياهم. ثم أمر العباد بعبادتين، هما أم العبادات وعمادها: إقامة الصلاة، التي لا يستقيم الدين إلا بها، وإيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان،
عمرة، ونحو ذلك ، فإنه أيضا يراعي ما لا يكلفه، فله الحمد والثناء، الذي ما جعل على الأمة في الدين من حرج، بل سهل شرعه، وراعى أحوال عبادته ومصالح
بل يتحرى الصلاة الفاضلة، وهي ثلث الليل بعد نصفه الأول. وتخفيفا للمريض أو المسافر، سواء كان سفره للتجارة، أو لعبادة، من قتال أو جهاد، أو حج، أو
آخرون يقاتلون في سبيل الله فافقروا ما تيسر منه فذكر تعالى تخفيفين، تخفيفا للصحيح المقيم، يراعي فيه نشاطه، من غير أن يكلف عليه تحرير الوقت،
عن الناس أي: فالمسافر، حاله تناسب التخفيف، ولهذا خفف عنه في صلاة الفرض، فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد، وقصر الصلاة الرباعية. وكذلك
ما كان يعمل صحيحا. وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله أي: وعلم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة، ليستغنوا عن الخلق، ويتكففوا
أو نصفه أو ثلثه، فليصل المريض المتسهل عليه ، ولا يكون أيضا مأمورا بالصلاة قائما عند مشقة ذلك، بل لو شقت عليه الصلاة النافلة، فله تركها وله أجر
نعس، فليستريح، ليأتي الصلاة بطمأنينة وراحة. ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف، فقال: علم أن سيكون منكم مرضى يشق عليهم صلاة ثلثي الليل
أو نقص، فافقروا ما تيسر من القرآن أي: مما تعرفون ومما لا يشق عليكم، ولهذا كان المصلي بالليل مأمورا بالصلاة ما دام نشيطا، فإذا فتر أو كسل أو
أي: لن تعرفوا مقدار من غير زيادة ولا نقص، لكون ذلك يستدعي انتباهها وعناء زائدا أي: فخفف عنكم، وأمركم بما تيسر عليكم، سواء زاد على المقدر
على الناس، أخبر أنه سهل عليهم في ذلك غاية التسهيل فقال: والله يقدر الليل والنهار أي: يعلم مقاديرهما وما يمضي منهما ويبقى. علم أن لن تحصوه
أو ثلثيه، والأصل أن أمته أسوة له في الأحكام، وذكر في هذا الموضوع، أنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين. ولما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة
ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل أو ثلثه

ثم قدر ذلك فقال: نصفه أو انقص منه أي: من النصف قليلا بأن يكون الثلث ونحوه. 3

الثلثين ونحوها. ورتل القرآن ترتيلا فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكير، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، 4
أو زد عليه أي: على النصف، فيكون

أي: نوحى إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يتهيأ له، ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه. 5
إننا سنلقي عليك قولا ثقيلا

القرآن، يتواطأ على القرآن القلب واللسان، وتقل الشواغل، ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره، وهذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود . 6
ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل، فقال: إن ناشئة الليل أي: الصلاة فيه بعد النوم هي أشد وطنا وأقوم قليلا أي: أقرب إلى تحصيل مقصود

إن لك في النهار سبعا طويلا أي: ترددا على حوائجك ومعاشك، يوجب اشتغال القلب وعدم تفرغه التفرغ التام. 7

انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه. 8
واذكر اسم ربك شامل لأنواع الذكر كلها وتبتل إليه تبتيلا أي:

لا معبود إلا وجهه الأعلى، الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: فاتخذة وكيلا أي: حافظا ومديرا لأموالك. 9

تفسير السعدي

تعالى رب المشارق والمغارب، وما يكون فيها من الأنوار، وما هي مصلحة له من العالم العلوي والسفلي، فهو رب كل شيء وخالقه ومدبره. لا إله إلا هو أي: رب المشرق والمغرب وهذا اسم جنس يشمل المشارق والمغارب كلها، فهو

سورة 74

أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه، 1
تقدم أن المزمّل والمدثر بمعنى واحد، وأن الله
يسير لأنهم قد أيسوا من كل خير، وأيقنوا بالهلاك والبوار. ومفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير، كما قال تعالى: يقول الكافرون هذا يوم عسر . 10
على الكافرين غير

أن له الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أذى، فقال: ذرني ومن خلقت وحيدا أي: خلقتة منفردا، بلا مال ولا أهل، ولا غيره، فلم أزل أنميّه وأربيّه 11
الآيات، نزلت في الوليد بن المغيرة، معاند الحق، والمبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمه الله ذما لم يذمه غيره، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه،
هذه

وجعلت له مالا ممدودا أي: كثيرا 12

و جعلت له بنين أي: ذكورا شهودا أي: دائما حاضرين عنده، على الدوام يتمتع بهم، ويقضي بهم حوائجه، ويستنصر بهم. 13
ومهدت له تمهيدا أي: مكنته من الدنيا وأسبابها، حتى انقادت له مطالبه، وحصل على ما يشتهي ويريد، 14
ثم مع هذه النعم والإمدادات يطمع أن أزيد أي: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا. 15
كان لآياتنا عنيدا أي: معاندا، عرفها ثم أنكرها، ودعته إلى الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض وتولى عنها، بل جعل يحاربها ويسعى في إبطالها. 16
كلا أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك لأنه
كان لآياتنا عنيدا أي: معاندا، عرفها ثم أنكرها، ودعته إلى الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض وتولى عنها، بل جعل يحاربها ويسعى في إبطالها. 17
كلا أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك لأنه

إنه فكر أي: في نفسه وقدر ما فكر فيه، ليقول قولاً يبطل به القرآن. 18

فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر لأنه قدر أمرا ليس في طوره، وتسور على ما لا يناله هو ولا أمثاله 19
فقال: قم أي بجد ونشاط فأذن الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه، 2
وأمره هنا بإعلان الدعوة ، والصدع بالإنذار،

فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر لأنه قدر أمرا ليس في طوره، وتسور على ما لا يناله هو ولا أمثاله 20

ثم نظر ما يقول 21

ثم عبس وبسر في وجهه، وظاهره نفرة عن الحق وبغضا له 22

ثم أدبر أي: تولى واستكبر نتيجة سعيه الفكري والعملية والقولي أن قال: 23

كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟ أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدئ المعيد . 24
كل كاذب سحار. فتبأ له، ما أبعد من الصواب، وأحراه بالخسارة والتبأ!! كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه،
إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من
كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟ أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدئ المعيد . 25
كل كاذب سحار. فتبأ له، ما أبعد من الصواب، وأحراه بالخسارة والتبأ!! كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه،
إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من
إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى: سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر أي: لا تبقي من الشدة، ولا على المعذب شيئا إلا وبلغته. 26

فما حقه

إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى: سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر أي: لا تبقي من الشدة، ولا على المعذب شيئا إلا وبلغته. 27

فما حقه

تفسير السعدي

إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى: سَأَصْلِيه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر أي: لا تبقي من الشدة، ولا على المعذب شيئا إلا وبلغته. 28
فما حقه

لواحة للبشر أي: تلوحهم وتصليهم في عذابها، وتقلقهم بشدة حرها وقرها. 29

وربك فكبر أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته. 3

عليها تسعة عشر من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. 30

للبشر أي: وما هذه الموعظة والتذكارات مقصودا به العبث واللعب، وإنما المقصود به أن يتذكر به البشر ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه. 31
من الملائكة وغيرهم إلا هو فإذا كنتم جاهلين بجنوده، وأخبركم بها العليم الخبير، فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك ولا ارتياب، وما هي إلا ذكرى
ومن أضله، جعل ما أنزله على رسوله زيادة شقاء عليه وحيرة، وظلمة في حقه، والواجب أن يتلقى ما أخبر الله به ورسوله بالتسليم، فإنه لا يعلم جنود ربك
لمن يضل ولهذا قال: كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فمن هداه الله، جعل ما أنزله الله على رسوله رحمة في حقه، وزيادة في إيمانه ودينه،
وشبهة ونفاق. والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا وهذا على وجه الحيرة والشك، والكفر منهم بآيات الله، وهذا وذاك من هداية الله لمن يهديه، وإضلاله
الحق، فجعل ما أنزله الله على رسوله محصلا لهذه الفوائد الجليلة، ومميزا للكاذبين من الصادقين، ولهذا قال: وليقول الذين في قلوبهم مرض أي: شك
يعتني بها أولو الألباب، وهي السعي في البقين، وزيادة الإيمان في كل وقت، وكل مسألة من مسائل الدين، ودفع الشكوك والأوهام التي تعرض في مقابلة
كلما أنزل الله آية، فأمنوا بها وصدقوا، ازداد إيمانهم، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أي: ليزول عنهم الريب والشك، وهذه مقاصد جليلة،
ما ذكر بعده في قوله: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا فإن أهل الكتاب، إذا وافق ما عندهم وطبقه، ازداد يقينهم بالحق، والمؤمنون
يسمى فتنة، كما قال تعالى: يوم هم على النار يفتنون ويحتمل أن المراد: أنا ما أخبرناكم بعدتهم، إلا لنعلم من يصدق ومن يكذب، ويدل على هذا
إلا ملائكة وذلك لشدتهم وقوتهم. وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم وعقابهم في الآخرة، ولزيادة نكالهم فيها، والعذاب
وما جعلنا أصحاب النار

كلا هنا بمعنى: حقا، أو بمعنى ألا الاستفتاحية، فأقسم تعالى بالقمر. 32

وبالليل وقت إدباره. 33

والنهار وقت إسفاره، لاشتغال المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سطرانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه. 34
والمقسم عليه قوله: إنها أي النار لإحدى الكبر أي: لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم على بصيرة من أمرها. 35
والمقسم عليه قوله: إنها أي النار لإحدى الكبر أي: لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم على بصيرة من أمرها. 36
عما يحبه الله ويرضاه، فيعمل بالمعاصي، ويتقرب إلى نار جهنم، كما قال تعالى: وكل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية. 37
فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه من ربه، ويدنيه من رضاه، ويزلفه من دار كرامته، أو يتأخر عما خلق له و
كل نفس بما كسبت من أعمال السوء وأفعال الشر رهينة بها موثقة بسعيها، قد ألزم عنقها، وغل في رقبته، واستوجبت به العذاب، 38
إلا أصحاب اليمين فإنهم لم يرتكبوا، بل أطلقوا وفرحوا 39

جميع النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصا في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأمورا بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن. 4
في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة. ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن
وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته. ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا
بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق،
وثيابك فطهر يحتمل أن المراد

حال وصلوا إليها، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟ فقال بعضهم لبعض: هل أنتم مطلعون عليهم فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون 40
أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أي:
في جنات يتساءلون عن المجرمين

حال وصلوا إليها، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟ فقال بعضهم لبعض: هل أنتم مطلعون عليهم فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون 41
أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أي:
في جنات يتساءلون عن المجرمين

فقالوا لهم: ما سلككم في سقر أي: أي شيء أدخلكم فيها؟ وبأي ذنب استحققتموها؟ 42

تفسير السعدي

ف قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين. 43

ف قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين. 44

وكننا نخوض مع الخائضين أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، 45

الخوض بالباطل، وهو التكذيب بالحق، ومن أحق الحق، يوم الدين، الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور ملك الله وحكمه العدل لسائر الخلق. 46
وكننا نكذب بيوم الدين هذا آثار

فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد حتى أتانا اليقين أي: الموت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينئذ عليهم الحيل، وانسد في وجوههم باب الأمل. 47
لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهؤلاء لا يرضى الله أعمالهم . فلما بين الله مآل المخالفين، ورهب مما يفعل بهم، عطف على الموجودين بالعتاب واللوم. 48
فما تنفعهم شفاعة الشافعين لأنهم

فما لهم عن التذكرة معرضين أي: صادين غافلين عنها. 49

ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرا له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه. 5
والرجز فاهجر يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل.

كانهم في نفرتهم الشديدة منها حمر مستنفرة أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضا، فزاد عدوها، 50

أي: من صائد ورام يريدها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق، ومع هذا الإعراض وهذا النفور، يدعون الدعاوى الكبار. 51
فرت من قسورة

كذبوا، فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فإنهم جاءتهم الآيات البينات التي تبين الحق وتوضحه، فلو كان فيهم خير لآمنوا. 52
ف يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة نازلة عليه من السماء، يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك، وقد

كلا أن نعطيهم ما طلبوا، وهم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز، بل لا يخافون الآخرة فلو كانوا يخافونها لما جرى منهم ما جرى. 53

كلا إنه تذكرة الضمير إما أن يعود على هذه السورة، أو على ما اشتملت عليه من هذه الموعظة، 54

فمن شاء ذكره لأنه قد بين له السبيل، ووضح له الدليل. 55

المغفرة أي: هو أهل أن يتقى ويعبد، لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه. تم تفسير سورة المدثر ولله الحمد 56
أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلا، وجعل ذلك تابعا لمشيئته، هو أهل التقوى وأهل
فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون
وما يذكرون إلا أن يشاء الله

وغيره على حد سواء. وقد قيل: إن معنى هذا، لا تعط أحدا شيئا، وأنت تريد أن يكافئك عليه بأكثر منه، فيكون هذا خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم. 6
لك الفضل عليهم بإحسانك المنة، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنت، وانس عندهم إحسانك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعالى واجعل من أحسنت إليه
ولا تمنن تستكثر أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكثر بتلك المنة، وترى

صبر، فصبر على طاعة الله، وعن معاصي الله، وعلى أقدار الله المؤلمة ، حتى فاق أولي العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. 7
كل ما يبعد عن الله من الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وله المنة على الناس بعد منة الله من غير أن يطلب منهم على ذلك جزاء ولا شكورا، وصبر لله أكمل
فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعظم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر
ولريك فاصبر أي: احتسب بصرك، واقصد به وجه الله تعالى، فامتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ربه، وبادر إليه،

أي: فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور، وجمع الخلق للبعث والنشور. 8

فذلك يومئذ يوم عسير لكثرة أهواله وشدائده. 9

سورة 75

به في هذا الموضع، هو المقسم عليه، وهو البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم، ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم. 1
وإنما أتي بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح. فالمقسم
ليست لا ها هنا نافية، ولا زائدة

تفسير السعدي

يقول الإنسان حين يرى تلك القلائل المزعجات: أين المفر أي: أين الخلاص والفكاك مما طرقتنا وأصابنا 10

كلا لا وزر أي: لا ملجأ لأحد دون الله، 11

إلى ربك يومئذ المستقر لسائر العباد فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع، بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله، 12

ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وآخر أي: بجميع عمله الحسن والسيء، في أول وقته وآخره، وينبأ بخبر لا ينكره. 13

بل الإنسان على نفسه بصيرة أي: شاهد ومحاسب، 14

سمعه وبصره، وجميع جوارحه بما كان يعمل، ولأن استعباده قد ذهب وقته وزال نفعه: فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون 15 به، كما قال تعالى: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً . فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئاً، لأنه يشهد عليه ولو ألقى معاذيره فإنها معاذير لا تقبل، ولا تقابل ما يقرر به العبد ، فيقر

من قبل أن يقضى إليك وحيه وقال هنا: لا تحرك به لسانك لتعجل به ثم ضمن له تعالى أنه لا بد أن يحفظه ويقراه، ويجمعه الله في صدره، 16 وشرع في تلاوته عليه، بادره النبي صلى الله عليه وسلم من الحرص قبل أن يفرغ، وتلاه مع تلاوة جبريل إياه، فنهاه الله عن هذا، وقال: ولا تعجل بالقرآن كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه جبريل بالوحي،

إن علينا جمعه وقرآنه فالحرص الذي في خاطرك، إنما الداعي له حذر الفوات والنسيان، فإذا ضمنه الله لك فلا موجب لذلك. 17

فإذا قرأناه فاتبع قرآنه أي: إذا كمل جبريل قراءة ما أوحى الله إليك، فحينئذ اتبع ما قرأه وأقرأه. 18

من حق أو باطل، وليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه، وفيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه. 19 منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه. وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ ثم إن علينا بيانه أي: بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون، فامتثل صلى الله عليه وسلم لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلى الجزاء، وبين مستحق الجزاء. 20 والفاجرة، سميت لوامة لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت ، بل نفس المؤمن تلوم ولا أقسم بالنفس اللوامة وهي جميع النفوس الخيرة

الخسار ما حصل. فلو آثرت الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتكم، وربحتم ربها لا خسار معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه. 20 كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من فتدرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، أي:

الخسار ما حصل. فلو آثرت الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتكم، وربحتم ربها لا خسار معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه. 21 كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من فتدرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، أي:

جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: وجوه يومئذ ناضرة أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، 22 ثم ذكر ما يدعو إلى إثارة الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في

فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم. 23 كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم إلى ربها ناظرة أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره

وقال في المؤثرين العاجلة على الآجلة: ووجوه يومئذ باسرة أي: معبسة ومكدرة ، خاشعة ذليلة. 24

تظن أن يفعل بها فاقرة أي: عقوبة شديدة، وعذاب أليم، فلذلك تغيرت وجوههم وعبست. 25

، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، 26

يعظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق

راق أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية . ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مرد له، 27 وقيل من

وظن أنه الفراق للدنيا. 28

والتفت الساق بالساق أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح التي ألفت البدن ولم تنزل معه، 29 الموت، كما قال في الآية الأخرى: قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن. 3 ثم أخبر مع هذا، أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال: أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه بعد ذكره الله يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها. ولكن المعاند الذي لا تنفع فيه الآيات، لا يزال مستمرا على بغيه وكفره وعناده. 30 فتساق إلى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها. فهذا الزجر، الذي

فلا صدق أي: لا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ولا صلى 31

ولكن كذب بالحق في مقابلة التصديق، وتولى عن الأمر والنهي، هذا وهو مطمئن قلبه، غير خائف من ربه، 32

بل يذهب إلى أهله يتمطى أي: ليس على باله شيء، 33

توعده بقوله: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وهذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده، ثم ذكر الإنسان بخلقه الأول 34

توعده بقوله: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وهذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده، ثم ذكر الإنسان بخلقه الأول 35

أيحسب الإنسان أن يترك سدى أي: معطلا ، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب؟ هذا حسبان باطل وظن بالله بغير ما يليق بحكمته. 36

ألم يك نطفة من مني يمى 37

ثم كان بعد المني علقه أي: دما، فخلق الله منها الحيوان وسواه أي: أتقنه وأحكمه، 38

فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى 39

لقدرته الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد. 4 لقدرة الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد. 4 أن نسوي بنانه أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره فرد عليه بقوله: بلى قادرين على

من تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين. 40 بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير. تم تفسير سورة القيامة، ولله الحمد والمنة، وذلك في 16 صفر سنة 1344 المجلد التاسع أليس ذلك الذي خلق الإنسان وطوره إلى هذه الأطوار المختلفة

لقدرته الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد. 5 أن نسوي بنانه أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره فرد عليه بقوله: بلى قادرين على

لقدرته الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد. 6 أن نسوي بنانه أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره فرد عليه بقوله: بلى قادرين على

العظيم، وشخصت فلا تطرف كما قال تعالى: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم هواء 7 أي: إذا كانت القيامة برقت الأبصار من الهول

وخسف القمر أي: ذهب نوره وسلطانه، 8

الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين. 9 وجمع الشمس والقمر وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع

سورة 76

هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها. فذكر أنه مر عليه دهر طويل وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم بل ليس مذكورا. 1
ذكر الله في

إننا نخاف من ربنا يوما عبوسا أي: شديد الجهمة والشر قمطيرا أي: ضنكا ضيقا، 10

يومكم الذي كنتم توعدون. ولقاهم أي: أكرمهم وأعطاهم نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن 11
فوقاهم الله شر ذلك اليوم فلا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة هذا

كل مكدر ومنغص، وحريرا كما قال تعالى: ولباسهم فيها حرير ولعل الله إنما خص الحرير، لأنه لباسهم الظاهر، الدال على حال صاحبه. 12
صبروا على طاعة الله، فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصي الله، فتركوها، وعلى أقدار الله المؤلمة، فلم يتسخطوها، جنة جامعة لكل نعيم، سالمة من
وجزاهم بما

يضرهم حرها ولا زمهريرا أي: بردا شديدا، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حر ولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا تتألم من حر ولا برد. 13
الانكاء: التمكن من الجلوس، في حال الرفاهية والطمأنينة الراحة، والأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزين، لا يرون فيها أي: في الجنة شمساً
مكتئين فيها على الأرائك

ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا أي: قربت ثمراتها من مريدها تقريبا ينالها، وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع. 14

ويطاف على أهل الجنة أي: يدور عليهم الخدم والولدان بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا 15

زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تف بريهم . ويحتمل أن المراد: قدرها أهل الجنة بنفوسهم بمقدار يوافق لذاتهم، فأتتهم على ما قدروا في خواطرهم. 16
الفضة الكثيفة من صفاء جوهرها وطيب معدنها على صفاء القوارير. قدروها تقديرا أي: قدروا الأواني المذكورة على قدر ربيهم، لا تزيد ولا تنقص، لأنها لو
قوارير من فضة أي: مادتها من فضة، وهي على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون

ويسقون فيها أي: في الجنة من كأس، وهو الإناء المملوء من خمر ورحيق، كان مزاجها أي: خلطها زنجبيلا ليطيب طعمه وريحه. 17

عينا فيها أي: في الجنة، تسمى سلسبيلا سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها. 18

أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعثهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم، 19
البقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، إذا رأيتهم منتشرين في خدمتهم حسبته من حسنهم لؤلؤا منثورا وهذا من تمام لذة
ويطوف على أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم. ولدان مخلصون أي: خلقوا من الجنة

وتغره نفسه؟ فأنشأه الله، وخلق له القوى الباطنة والظاهرة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأتتها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده. 2
أباه آدم من طين، ثم جعل نسله متسلسلا من نطفة أمشاج أي: ماء مهين مستقدر نبتليه بذلك لنعلم هل يرى حاله الأولى ويتفطن لها أم ينساها
ثم لما أراد الله تعالى خلقه، خلق

فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفذ خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه. 20
وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة. ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم
لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلصين، والخدم المؤيدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة،
والرياض المعجبة، والطيور المطربة المشجية ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس. وعنده من الزوجات. اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات
عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية،
وإذا رأيت ثم أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم رأيت نعيما وملكا كبيرا فتجد الواحد منهم،

لأنه لا أصدق منه قليلا ولا حديثا. وقوله: وسقاهم ربه شرابا طهورا أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهرا لما في بطونهم من كل أذى وقذى. 21
من الديباج والإستبرق: ما رق منه. وحلوا أساور من فضة أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولا،
عليهم ثياب سندس خضر أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ

كان لكم جزاء على ما أسلفتموه من الأعمال، وكان سعيكم مشكورا أي: القليل منه، يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن حصره. 22
إن هذا الجزاء الجزيل والعطاء الجميل

القرآن تنزيلا فيه الوعد والوعيد وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتم القيام، والسعي في تنفيذها، والصبر على ذلك. 23

تفسير السعدي

وقوله تعالى لما ذكر نعيم الجنة إنا نحن نزلنا عليك

كفوراً فإن طاعة الكفار والفجار والفساق، لا بد أن تكون في المعاصي، فلا يأمرهم إلا بما تهووا أنفسهم. ولما كان الصبر يساعد القيام بعبادة الله ، 24
فلا تسخطه، ولحكمه الديني، فامض عليه، ولا يعوقك عنه عائق. ولا تطع من المعاندين، الذين يريدون أن يصدوك أما أي: فاعلا إنما ومعصية ولا
فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم أما أو كفورا أي: اصبر لحكمه القدري،

وأصيلا أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات. 25
واذكر اسم ربك بكرة

السجود، ولا يكون ذلك إلا بالإكثار من الصلاة . وسبحه ليلا طويلا وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلا الآية 26
ومن الليل فاسجد له أي: أكثر له من

وهو يوم القيامة، الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، وقال تعالى: يقول الكافرون هذا يوم عسر فكأنهم ما خلقوا إلا للدنيا والإقامة فيها. 27
لم يفد فيهم ذلك شيئا، بل لا يزالون يؤثرون، العاجلة ويطمنون إليها، ويذرون أي: يتركون العمل ويهملون وراءهم أي: أمامهم يوما ثقيلا
إن هؤلاء أي: المكذبين لك أيها الرسول بعد ما بينت لهم الآيات، ورغبوا ورهبوا، ومع ذلك،

ولا ينهاون، ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا قال: بدلنا أمثالهم تبديلا أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرى، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم. 28
فالذي أوجدكم على هذه الحالة، قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقلهم في هذه الدار إلى هذه الأطوار، لا يليق به أن يتركهم سدى، لا يؤمرون،
من العدم، وشدنا أسرهم أي: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، والعروق، والأوتار، والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تم الجسم واستكمل، وتمكن من كل ما يريده،
ثم استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي، وهو دليل الابتداء، فقال: نحن خلقناهم أي: أوجدناهم

فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي: طريقا موصلا إليه، فالله يبين الحق والهدى، ثم يخير الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها، مع قيام الحجة عليهم 29
إن هذه تذكرة أي: يتذكر بها المؤمن، فينتفع بما فيها من التخويف والترغيب.

الله عليه، أنعم الله عليه بالنعم الدينية والدنيوية، فردها، وكفر بربه، وسلك الطريق الموصلة إلى الهلاك. ثم ذكر تعالى حال الفريقين عند الجزاء فقال: 3
إلى الهلاك، ورهبه منها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاه بذلك، فانقسم الناس إلى شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما حملة الله من حقوقه، وإلى كفور لنعمة
ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهداه الطريق الموصلة إلى الله ، ورغبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إلى الله. ثم أخبره بالطريق الموصلة
وما تشاءون إلا أن يشاء الله فإن مشيئة الله نافذة، إن الله كان عليما حكيما فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال. 30

لطرقتها. والظالمين الذين اختاروا الشقاء على الهدى أعد لهم عذابا أليما بظلمهم وعدوانهم. تم تفسير سورة الإنسان ولله الحمد والمنة 31
يدخل من يشاء في رحمته فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة ويهديه

بها أجسامهم وتحرق بها أبدانهم، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وهذا العذاب دائم لهم أبدا، مخلصون فيه سرمدًا. 4
نار جهنم، كما قال تعالى: ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . وأغلا لا تغل بها أيديهم إلى أعناقهم ويوثقون بها. وسعيرا أي: نارا تستعر
إلى آخر الثواب أي: إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله، وكذب رسله، وتجراً على المعاصي سلاسل في

كما قال تعالى: في سدر مخضود وطلح منضود وأزواج مطهرة لهم دار السلام عند ربهم وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . 5
اللذة قد سلم من كل مكدر ومنغص، موجود في كافور الدنيا، فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة وهي في الدنيا تعدم في الآخرة
، واستعملوها بأعمال البر أخبر أنهم يشربون من كأس أي: شراب لذيذ من خمر قد مزج بكافور أي: خلط به ليبرده ويكسر حدته، وهذا الكافور في غاية
وأما الأبرار وهم الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرت جوارحهم

صرفوها إلى البساتين الزاهرات، أو إلى الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمسكن المزخرفات، أو إلى أي: جهة يرونها من الجهات المونقات. 6
الذي يشربون به، لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجرها عباد الله تفجيها، أنى شاءوا، وكيف أرادوا، فإن شاءوا
عينا يشرب بها عباد الله أي: ذلك الكأس اللذيذ

الأصلية، من باب أولى وأحرى، ويخافون يوما كان شره مستطيرا أي: منتشرا فاشيا، فخافوا أن ينالهم شره، فتركوا كل سبب موجب لذلك، 7
أي: بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر، وهو لم يجب عليهم، إلا بإيجابهم على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض
وقد ذكر جملة من أعمالهم في أول هذه السورة، فقال: يوفون بالنذر

حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم مسكينا ويتيما وأسيرا . 8
ويطعمون الطعام على حبه أي: وهم في

بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أي: لا جزاء ماليا ولا ثناء قوليا. 9

سورة 77

- القدرية وتدبير العالم، وبشئونه الشرعية ووحيه إلى رسله. و عرفا حال من المرسلات أي: أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة، لا بالنكر والعبث. 1
- أقسم تعالى على البعث والجزاء بالأعمال ، بالمرسلات عرفا، وهي الملائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه وتنسف الجبال، فتكون كالهباء المنثور، وتكون هي الأرض قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. 10
- وذلك اليوم هو اليوم الذي أقتت فيه الرسل. 11
- وأجلت للحكم بينها وبين أممها، ولهذا قال: لأي يوم أجلت استفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل. 12
- ثم أجاب بقوله: ليوم الفصل أي: بين الخلائق، بعضهم لبعض، وحساب كل منهم منفردا. 13
- ثم أجاب بقوله: ليوم الفصل أي: بين الخلائق، بعضهم لبعض، وحساب كل منهم منفردا. 14
- فقال: ويل يَوْمئذٍ للمكذبين أي: يا حسرتهم، وشدة عذابهم، وسوء منقلبهم، أخبرهم الله، وأقسم لهم، فلم يصدقوه، فاستحقوا العقوبة البليغة. 15
- ثم تواعد المكذب بهذا اليوم
- أي: أما أهلكنا المكذبين السابقين. 16
- ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين. 17
- وهذه سنته السابقة واللاحقة في كل مجرم لا بد من عذابه ، فلم لا تعتبرون بما ترون وتسمعون؟ 18
- ويل يَوْمئذٍ للمكذبين بعدما شاهدوا من الآيات البينات، والعقوبات والمثلات. 19
- الملائكة التي يرسلها الله تعالى وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف، أو: أن العاصفات، الرياح الشديدة، التي يسرع هبوبها. 2
- فالعاصفات عصفاء وهي أيضا
- أي: أما خلقناكم أيها الأدميون من ماء مهين أي: في غاية الحقارة، خرج من بين الصلب والترائب. 20
- حتى جعله الله في قرار مكين وهو الرحم، به يستقر وينمو. 21
- إلى قدر معلوم ووقت مقدر. 22
- جسدا، ثم نفخ فيه الروح، ومنهم من يموت قبل ذلك. فنعم القادرون يعني بذلك نفسه المقدسة حيث كان قدرا تابعا للحكمة، موافق للحمد . 23
- فقدروا أي: قدرنا ودبرنا ذلك الجنين، في تلك الظلمات، ونقلناه من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى أن جعله الله
- ويل يَوْمئذٍ للمكذبين بعدما بين الله لهم الآيات، وأراهم العبر والبيانات. 24
- أي: أما امتننا عليكم وأنعمنا، بتسخير الأرض لمصالحكم، فجعلناها كفاتا لكم. 25
- في القبور، فكما أن الدور والقصور من نعم الله على عباده ومنته، فكذلك القبور، رحمة في حقهم، وسترا لهم، عن كون أجسادهم بادية للسباع وغيرها. 26
- أحياء في الدور، وأمواتا
- ماء فراتا أي: عذبا زلالا، قال تعالى: أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون 27
- وجعلنا فيها رواسي أي: جبالا ترسي الأرض، لئلا تميد بأهلها، فثبتها الله بالجبال الراسيات الشامخات أي: الطوال العراض، وأسقيناكم
- ويل يَوْمئذٍ للمكذبين مع ما أراهم الله من النعم التي انفرد الله بها، واختصهم بها، فقابلوها بالتكذيب. 28
- هذا من الويل الذي أعد للمجرمين للمكذبين، أن يقال لهم يوم القيامة: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون 29
- والناشرات نشرا يحتمل أنها الملائكة ، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها. 3
- انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب أي: إلى ظل نار جهنم، التي تتمايز في خلاله ثلاث شعب أي: قطع من النار أي: تتعاوره وتتناوبه وتجتمع به. 30
- ومن كل جانب، كما قال تعالى: لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين 31
- لا ظليل ذلك الظل أي: لا راحة فيه ولا طمأنينة، ولا يغني من مكث فيه من اللهب بل اللهب قد أحاط به، يمنة ويسرة
- وهذا يدل على أن النار مظلمة، لهبها وجمرها وشرورها، وأنها سوداء، كريهة المرائى ، شديدة الحرارة، نسأل الله العافية منها من الأعمال المقربة منها. 32

تفسير السعدي

عظم شرر النار، الدال على عظمتها وفظاعتها وسوء منظرها، فقال: إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر وهي السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، ثم ذكر

وهذا يدل على أن النار مظلمة، لهبها وجمرها وشررها، وأنها سوداء، كريهة المرائى، شديدة الحرارة، نسأل الله العافية منها من الأعمال المقربة منها. 33
عظم شرر النار، الدال على عظمتها وفظاعتها وسوء منظرها، فقال: إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر وهي السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، ثم ذكر

ويل يومئذ للمكذبين 34

أي: هذا اليوم العظيم الشديد على المكذبين، لا ينطقون فيه من الخوف والوجل الشديد. 35

ولا يؤذن لهم فيعتذرون أي: لا تقبل معذرتهم، ولو اعتذروا: فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون 36

ولا يؤذن لهم فيعتذرون أي: لا تقبل معذرتهم، ولو اعتذروا: فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون 37

هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين لفصل بينكم، ونحكم بين الخلائق، 38

لكم قدرة ولا سلطان، كما قال تعالى: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان 39
فإن كان لكم كيد تقدرون على الخروج من ملكي وتنجون به من عذابي، فكيدون أي: ليس

والناشرات نشرًا يحتمل أنها الملائكة، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها. 4

ففي ذلك اليوم، تبطل حيل الظالمين، ويضمحل مكرهم وكيدهم، ويستسلمون لعذاب الله، ويبين لهم كذبهم في تكذيبهم ويل يومئذ للمكذبين 40
بأدائهم الواجبات، وتركهم المحرمات. في ظلال من كثرة الأشجار المتنوعة، الزاهية البهية. وعيون جارية من السلسيل، والريحق وغيرهما، 41
ذكر عقوبة المكذبين، ذكر ثواب المحسنين، فقال: إن المتقين أي: للتكذيب، المتصفين بالتصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، ولا يكونون كذلك إلا

لما

وفواكه مما يشتهون أي: من خيار الفواكه وطيبها، 42

ولا زائل، بما كنتم تعملون فأعمالكم هي السبب الموصول لكم إلى هذا النعيم المقيم، وهكذا كل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله، 43
الشهية، والأشربة اللذيذة هنيئًا أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه حتى يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع
ويقال لهم: كلوا واشربوا من المأكّل

إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرمانًا وخسرانًا. 44

إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرمانًا وخسرانًا. 45

الدنيا وشربوا وتمتعوا بالذات، وغفلوا عن القربات، فإنهم مجرمون، يستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات. 46
هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم وإن أكلوا في

الدنيا وشربوا وتمتعوا بالذات، وغفلوا عن القربات، فإنهم مجرمون، يستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات. 47
هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم وإن أكلوا في

إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم: اركعوا امتنعوا من ذلك. فأى إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب يزيد على هذا؟ 48

ومن

عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الكريم، الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق. 49
ويل يومئذ للمكذبين ومن الويل

فالمليقات ذكرًا هي الملائكة تلقي أوامر، وهو الذكر الذي يرحم الله به عباده، ويذكرهم فيه منافعهم ومصالحهم، تلقيه إلى الرسل. 5

والإفك المبين، الذي لا يليق إلا بمن يناسبه. فتبا لهم ما أعماهم! وويحًا لهم ما أخسرهم وأشقاهم! نسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم. تمت. 50
أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مبين؟ فليس بعد النور المبين إلا دياجي الظلمات، ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين على صدقه إلا الكذب الصراح
فبأي حديث بعده يؤمنون ألباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلًا عن الدليل؟

عذرا أو نذرا أي: إعدارا وإنذارا للناس، تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف وتقطع معذرتهم، فلا يكون لهم حجة على الله. 6

إنما توعدون من البعث والجزاء على الأعمال لواقع أي: متحتم وقوعه، من غير شك ولا ارتياب. 7

فإذا وقع حصل من التغير للعالم والأهوال الشديدة ما يزعج القلوب، وتشتد له الكروب، فتنطمس النجوم أي: تتناثر وتزول عن أماكنها 8
فإذا وقع حصل من التغير للعالم والأهوال الشديدة ما يزعج القلوب، وتشتد له الكروب، فتنطمس النجوم أي: تتناثر وتزول عن أماكنها 9

سورة 78

أي: عن أي شيء يتساءل المكذبون بآيات الله؟ 1

فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس لتنقطع حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة. 10

فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس لتنقطع حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة. 11

والصلابة والشدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفا للأرض، فيها عدة منافع لهم، ولهذا ذكر من منافعها الشمس فقال: وجعلنا سراجا وهاجا 12
وبنينا فوقكم سبعا شدادا أي: سبع سموات، في غاية القوة،

نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالهواج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح 13

وأنزلنا من المعصرات أي: السحاب ماء تجاجا أي: كثيرا جدا. 14

لنخرج به حبا من بر وشعير وذرة وأرز، وغير ذلك مما يأكله الآدميون. ونباتا يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتا لمواشيهم. 15

قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به و تكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟ أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟ 16
وجنات ألفافا أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة. فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة ، التي لا يقدر

ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة الذي يتساءل عنه المكذبون، ويجحده المعاندون، أنه يوم عظيم، وأن الله جعله ميقاتا للخلق. 17

ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ويجري فيه من الزعازع والقالقل ما يشيب له الوليد، وتنزعج له القلوب، 18

وتشقق السماء حتى تكون أبوابا 19

ثم بين ما يتساءلون عنه فقال: عن النيا العظيم 2

تفسير الجبال، حتى تكون كالهباء المبعوث، ، ويفصل الله بين الخلائق بحمكه الذي لا يجور، 20

وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعددها للطاغين، وجعلها مئوى لهم ومآبا 21

وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعددها للطاغين، وجعلها مئوى لهم ومآبا ، 22

وأنهم يلبثون فيها أحقابا كثيرة و الحقب على ما قاله كثير من المفسرين: ثمانون سنة. 23

وهم إذا وردوها لا يذوقون فيها برذا ولا شرابا أي: لا ما يبرد جلودهم، ولا ما يدفع ظمأهم. 24

إلا حميما أي: ماء حارا، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، وغساقا وهو: صديد أهل النار، الذي هو في غاية النتن، وكراهة المذاق، 25

استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاء لهم ووفقا على ما عملوا من الأعمال الموصلة إليها، لم يظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم، 26

بها هذا الجزاء، فقال: إنهم كانوا لا يرجون حسابا أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة. 27

وذكر أعمالهم، التي استحقوا

وكذبوا بآياتنا كذابا أي: كذبوا بها تكذيبا واضحا صريحا وجاءتهم البينات فعاندوها. 28

المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ريبك أحدا 29
فلا يخشى المجرمون أنا عذبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو ينسى منها مثقال ذرة، كما قال تعالى: ووضع الكتاب فترى
وكل شيء من قليل وكثير، وخير وشر أحصيناه كتابا أي: كتبه في اللوح المحفوظ،

التكذيب والاستبعاد، وهو النبأ الذي لا يقبل الشك ولا يدخله الريب، ولكن المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. 3
الذي هم فيه مختلفون أي: عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعهم، وانتشر فيه خلافهم على وجه

الأليم والخزي الدائم فلن تزيدكم إلا عذابا وكل وقت وحين يزداد عذابهم وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار أجارنا الله منها. 30

فذوقوا أيها المكذبون هذا العذاب

ذكر مآل المتقين فقال: إن للمتقين مفازا أي: الذين اتقوا سخط ربهم، بالتمسك بطاعته، والانكفاف عما يكرهه فلهم مفاز ومنجي، وبعد عن النار. 31

لما ذكر حال المجرمين

حدائق وهي البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية، في الثمار التي تتفجر بين خلالها الأنهار، وخص الأعناب لشرفها وكثرتها في تلك الحدائق. 32 وفي ذلك المفاز لهم

اللاتي على سن واحد متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكن متآلفات متعاشرات، وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة، في أعدل سن الشباب . 33 ولهم فيها زوجات على مطالب النفوس كواعب وهي: النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من شبابهن، وقوتهن ونضارتهن . والأتراب وكأسا دهاقا أي: مملوءة من رحيق، لذة للشاربين، 34

لا يسمعون فيها لغوا أي: كلاما لا فائدة فيه ولا كذابا أي: إثما. كما قال تعالى: لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قبلا سلاما سلاما 35 الثواب الجزيل من فضله وإحسانه. جزاء من ربك لهم عطاء حسابا أي: بسبب أعمالهم التي وفقهم الله لها، وجعلها ثمنا لجنته ونعيمها . 36 وإنما أعطاهم الله هذا

الشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابا، لأن ذلك اليوم هو الحق الذي لا يروج فيه الباطل، ولا ينفع فيه الكذب 37 يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون لا يتكلمون ولا يملكون منه خطابا إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فلا يتكلم أحد إلا بهذين والأرض الذي خلقها ودبرها الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم، ولطف بهم، حتى أدركوا ما أدركوا. ثم ذكر عظمتهم وملكه العظيم أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربهم رب السماوات

جبريل عليه السلام، الذي هو أشرف الملائكة والملائكة أيضا يقوم الجميع صفا خاضعين لله لا يتكلمون إلا بما أذن لهم الله به . 38 وفي ذلك اليوم يقوم الروح وهو

فلما رغب ورهب، وبشر وأنذر، قال: فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا أي: عملا، وقدم صدق يرجع إليه يوم القيامة. 39 ثم كلا سيعلمون أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين يدعون إلى نار جهنم دعا، ويقال لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون 4 كلا سيعلمون

الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة والندم. نسأل الله أن يعافينا من الكفر والشر كله، إنه جواد كريم. تم تفسير سورة عم، والحمد لله رب العالمين 40 الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون الآيات. فإن وجد خيرا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا كان ما هو آت فهو قريب. يوم ينظر المرء ما قدمت يداه أي: هذا الذي يهيم ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدنيا إليه ، كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا إنا أنذرناكم عذابا قريبا لأنه قد أرف مقبلا، وكل

ثم كلا سيعلمون أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين يدعون إلى نار جهنم دعا، ويقال لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون 5 كلا سيعلمون

أي: أما أنعمنا عليكم بنعم جلييلة، فجعلنا لكم الأرض مهادا أي: مهدة مهيأة لكم ولمصالحكم، من الحروت والمسكن والسبل. 6 والجال أوتادا تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد. 7

أي: ذكورا وإناثا من جنس واحد، ليسكن كل منهما إلى الآخر، فتكون المودة والرحمة، وتنشأ عنهما الذرية، وفي ضمن هذا الامتنان، بلذة المنكح. 8 وخلقناكم أزواجا

وجعلنا نومكم سباتا أي: راحة لكم، وقطعا لأشغالكم، التي متى تبادت بكم أضرت بأبدانكم، 9

سورة 79

الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: والنازعات غرقا وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتجاذى بعملها. 1 المقسم عليه والمقسم به متحدا، وأنه أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره، يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم

أبصارها خاشعة أي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف، وأذل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف واستولت عليهم الحسرة. 10

يقولون أي: الكفار في الدنيا، على وجه التكذيب: أنذا كنا عظاما نخرة أي: بالية فتاتا. 11

تفسير السعدي

- قالوا تلك إذا كرة خاسرة أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظاما نخرة، جهلا منهم بقدرة الله، وتجروا عليه. 12
- قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه: فإنما هي زجرة واحدة ينفخ فيها في الصور. 13
- فإذا الخلائق كلهم بالساهرة أي: على وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله ويقضي بينهم بحكمه العدل ويجازيهم. 14
- يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: هل أتاك حديث موسى وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه. 15
- أي: هل أتاك حديثه إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتن عليه بالرسالة، واختصه بالوحي والاجتماع. 16
- اذهب إلى فرعون إنه طغى أي: فأنه عن طغيانه وشركه وعصيانته، بقول لين، وخطاب لطيف، لعله يتذكر أو يخشى. 17
- لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تزكي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟ 18
- فقل له: هل لك إلى أن تزكي أي: هل
- ربك أي: أدلك عليه، وأبين لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه. فتخشى الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون مما دعاه إليه موسى. 19
- وأهديك إلى
- والناشطات نشطا وهم الملائكة أيضا، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أن النزاع يكون لأرواح المؤمنين، والنشط لأرواح الكفار. 2
- فأراه الآية الكبرى أي: جنس الآيات الكبرى، فلا ينافي تعددها فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين. 20
- فكذب بالحق وعصى الأمر، 21
- ثم أدبر يسعى أي: يجتهد في مبارزة الحق ومحاربته، 22
- فحشر جنوده أي: جمعهم فنأى 23
- فقال لهم: أنا ربكم الأعلى فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفهم، 24
- فأخذ الله نكال الآخرة والأولى أي: صارت عقوبته دليلا وزاجرا، ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة، 25
- عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها. 26
- إن في ذلك لعبرة لمن يخشى فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون،
- البعث ومستعدي إعادة الله للأجساد: أنتم أيها البشر أشد خلقا أم السماء ذات الجرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر بناها الله. 27
- يقول تعالى مبينا دليلا واضحا لمنكري
- رفع سمكها أي: جرمها وصورتها، فسواها بإحكام وإتقان يحير العقول، ويذهل الألباب، 28
- أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، وأخرج ضحاها أي: أظهر فيه النور العظيم، حين أتى بالشمس، فامتد الناس في مصالح دينهم ودنياهم. 29
- وأغطش ليلها أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع
- والساحات أي: المترددات في الهواء صعودا ونزولا سبحا 3
- والأرض بعد ذلك أي: بعد خلق السماء دحاها أي: أودع فيها منافعها. 30
- أخرج منها ماءها ومرعاها 31
- فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه، 32
- وهي دخان فقال لها وللأرض ائتنا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فالذي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الكثيفة الغبراء، وما
- وأما خلق نفس الأرض، فمقدم على خلق السماء كما قال تعالى: قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى أن قال: ثم استوى إلى السماء
- والجبال أرساها أي: ثبتها في الأرض. فدحى الأرض بعد خلق السماء، كما هو نص هذه الآيات الكريمة.
- فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه، 33
- وهي دخان فقال لها وللأرض ائتنا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فالذي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الكثيفة الغبراء، وما
- وأما خلق نفس الأرض، فمقدم على خلق السماء كما قال تعالى: قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى أن قال: ثم استوى إلى السماء
- والجبال أرساها أي: ثبتها في الأرض. فدحى الأرض بعد خلق السماء، كما هو نص هذه الآيات الكريمة.
- إذا جاءت القيامة الكبرى، والشدة العظمى، التي يهون عندها كل شدة، فحينئذ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه وكل محب عن حبيبه. 34
- أي:

تفسير السعدي

- ويحزن لزيادة مثقال ذرة في سيئاته. ويعلم إذ ذاك أن مادة ربحه وخسرانه ما سواه في الدنيا، وينقطع كل سبب ووصلة كانت في الدنيا سوى الأعمال. 35
- يتذكر الإنسان ما سعى في الدنيا، من خير وشر، فيتمنى زيادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمه وبرزت الجحيم لمن يرى أي: جعلت في البراز، ظاهرة لكل أحد، قد برزت لأهلها، واستعدت لأخذهم، منتظرة لأمر ربها. 36
- فأما من طغى أي: جاوز الحد، بأن تجرأ على المعاصي الكبار، ولم يقتصر على ما حده الله. 37
- وآثر الحياة الدنيا على الآخرة فصار سعيه لها، ووقته مستغرقا في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة وترك العمل لها. 38
- فإن الجحيم هي المأوى له أي: المقر والمسكن لمن هذه حاله، 39
- فالسابقات لغيرها سبقا فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله حتى لا تسترقه. 40
- هذا الخوف في قلبه فنهى نفسه عن هواها الذي يقيد بها عن طاعة الله، وصار هواه تبعا لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة الصادين عن الخير، 40
- وأما من خاف مقام ربه أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثر
- فإن الجنة المشتعلة على كل خير وسرور ونعيم هي المأوى لمن هذا وصفه. 41
- أي: يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث عن الساعة متى وقوعها و أيا مرساها 42
- ولهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه 43
- فأجابهم الله بقوله: فيم أنت من ذكراها أي: ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة،
- لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتكم إلا بغته يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون. 44
- إلى ربك منتهاها أي: إليه ينتهي علمها، كما قال في الآية الأخرى: يسألونك عن الساعة أيا مرساها قل إنما علمها عند ربي
- ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثا، ينزه الحكيم عنه تمت والحمد لله رب العالمين. 45
- نفعها لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها. وأما من لا يؤمن بها، فلا يبالي به
- إنما أنت منذر من يخشاها أي: إنما نذارتك
- ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثا، ينزه الحكيم عنه تمت والحمد لله رب العالمين. 46
- نفعها لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها. وأما من لا يؤمن بها، فلا يبالي به
- إنما أنت منذر من يخشاها أي: إنما نذارتك
- أن يدبروا كثيرا من أمور العالم العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار وغير ذلك. 5
- فالمدبرات أمرا الملائكة، الذين وكلهم الله
- يوم ترجف الراجفة وهي قيام الساعة، 6
- تتبعها الرادفة أي: الرجفة الأخرى التي تردفها وتأتي تلوها، 7
- قلوب يومئذ واجفة أي: موجفة ومنزعجة من شدة ما ترى وتسمع. 8
- أبصارها خاشعة أي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف، وأذهل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف واستولت عليهم الحسرة. 9

سورة 80

- عن الأعمى الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعا في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف، فقال: عبس أي: في وجهه وتولى في بدنه، 1
- الله عليه ويتعلم منه. وجاءه رجل من الأغنياء، وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية الخلق، فمال صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى الغني، وصد
- وسبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبي صلى
- أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 10
- أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشرف. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا يترك
- جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديقك وتعريضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو
- وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فأقبالك على من
- يقول تعالى: كلا إنها تذكرة أي: حقا إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي، 11

تفسير السعدي

- فإذا تبين ذلك فمن شاء ذكره أي: عمل به، كقوله تعالى: وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر 12
- ثم ذكر محل هذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: في صحف مكرمة 13
- مرفوعة القدر والرتبة مطهرة من الآفاق و عن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها 14
- بأيدي سفرة وهم الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين عباده، 15
- الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلا، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول، ولكن مع هذا أبى الإنسان إلا كفورا. 16
- كرام أي: كثيري الخير والبركة، بررة قلوبهم وأعمالهم. وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل
- قتل الإنسان ما أكفره لنعمة الله وما أشد معاندته للحق بعدما تبين، وهو ما هو؟ 17
- هو من أضعف الأشياء، 18
- خلقه الله من ماء مهين، ثم قدر خلقه، وسواه بشرا سويا، وأتقن قواه الظاهرة والباطنة. 19
- لأجل مجيء الأعمى له، 2
- ثم السبيل يسره أي: يسر له الأسباب الدينية والدنيوية، وهداه السبيل، وبينه وامتنحه بالأمر والنهي، 20
- ثم أماته فأقيره أي: أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض، 21
- ثم إذا شاء أنشره أي: بعثه بعد موته للجزاء، فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه بهذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك، 22
- وهو مع هذا لا يقوم بما أمره الله، ولم يقض ما فرضه عليه، بل لا يزال مقصرا تحت الطلب. 23
- ثم أرشده تعالى إلى النظر والتفكير في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكررت عليه طبقات عديدة، ويسره له فقال: فلينظر الإنسان إلى طعامه 24
- أنا صببنا الماء صبا أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة. 25
- ثم شققنا الأرض للنبات شقا 26
- فأنبثنا فيها أصنافا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية حبا وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، 27
- وعنبا وقضبا وهو القث، 28
- وزيتونا ونخلا وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها. 29
- ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: وما يدريك لعله أي: الأعمى يزكى أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة؟ 3
- وحقائق غلبا أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة، 30
- وفاكهة وأبا الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورماني، وغير ذلك. 31
- التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره. 32
- والأب: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: متاعا لكم ولأنعامكم
- أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تصخ لهولها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، مما يرى الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال. 33
- يفر المرء من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه أي: زوجته وبنيه 34
- يفر المرء من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه أي: زوجته وبنيه 35
- يفر المرء من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه أي: زوجته وبنيه 36
- امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أي: قد شغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفات إلى غيرها، فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء، 37
- لكل
- فأما السعداء، فوجوههم يومئذ مسفرة أي: قد ظهر فيها السرور والبهجة، من ما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم، 38
- ضاحكة مستبشرة 39
- أو يذكر فتنفعه الذكرى أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل بتلك الذكرى. 4
- ووجوه الأشقياء يومئذ عليها غبرة 40
- ترهقها أي: تغشاها قترة فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيسست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها. 41

تفسير السعدي

الفجرة أي: الذين كفروا بنعمة الله وكذبوا بآيات الله، وتجرأوا على محارمه. نسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين. 42 أولئك الذين بهذا الوصف هم الكفرة

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 5 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 6 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 7 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 8 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 9 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

سورة 81

وعلم كل أحد ما قدمه لآخرته، وما أحضره فيها من خير وشر، وذلك إذا كان يوم القيامة تكور الشمس أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر، ويلقيان في النار. 1 أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميز الخلق،

وإذا الصحف المشتعلة على ما عمله العاملون من خير وشر نشرت وفرقت على أهلها، فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره. 10

تعالى: يوم تشقق السماء بالغمام يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه 11 وإذا السماء كشطت أي: أزيلت، كما قال

وإذا الجحيم سعرت أي: أوقد عليها فاستعرت، والتهمت التها بما لم يكن لها قبل ذلك، 12

وإذا الجنة أزلفت أي: قربت للمتقين، 13

اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي عين، فليتبدر سورة إذا الشمس كورت 14 الله بها يوم القيامة، من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص وتعم المخاوف، وتحت أولي الأبواب للاستعداد لذلك في سياق الشرط. ما أحضرت أي: ما حضر لديها من الأعمال التي قدمتها كما قال تعالى: ووجدوا ما عملوا حاضرا وهذه الأوصاف التي وصف علمت نفس أي: كل نفس، لإتيانها

فهذه السبعة لها سيران: سير إلى جهة المغرب مع باقي الكواكب والأفلاك، وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة دون غيرها. 15 النجوم السبعة السيارة: الشمس، والقمر، والزهرة، والمشتري، والمريخ، وزحل، وعطارد،

أقسم تعالى بالخنس وهي الكواكب التي تخنس أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلى جهة المشرق، وهي

تفسير السعدي

في حال خنوسها أي: تأخرها، وفي حال جريانها، وفي حال كنوسها أي: استتارها بالنهار، ويحتمل أن المراد بها جميع النجوم الكواكب السيارة وغيرها. 16
فأقسم الله بها

والليل إذا عسعس أي: أدبر وقيل: أقبل، 17

أي: بانت علائم الصبح، وانشق النور شيئا فشيئا حتى يستكمل وتطلع الشمس، وهذه آيات عظام، أقسم الله بها على علو سند القرآن وجلالته، 18
والصبح إذا تنفس

الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، وكثره خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه، 19
من كل شيطان رجيم فقال: إنه لقول رسول كريم وهو: جبريل عليه السلام، نزل به من الله تعالى، كما قال تعالى: وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به وحفظه

وإذا النجوم انكدرت أي: تغيرت، وتساقطت من أفلاكها. 2

عند ذي العرش أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخصيصة من الله اختصه بها، مكين أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم. 20
ذي قوة على ما أمره الله به. ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم.

تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل. 21
نافذ فيهم أمره، مطاع رأيه، أمين أي: ذو أمانة وقيام بما أمر به، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حد له، وهذا كله يدل على شرف القرآن عند الله
مطاع ثم أي: جبريل مطاع في المالأ الأعلى، لديه من الملائكة المقربين جنود،

المتقولون عليه من الأقوال، التي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به ما شاءوا وقدروا عليه، بل هو أكمل الناس عقلا، وأجزلهم رأيا، وأصدقهم لهجة. 22
البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس فقال: وما صاحبكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته،
ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول

ولقد رآه بالأفق المبين أي: رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بالأفق البين، الذي هو أعلى ما يلوح للبصر. 23

وأخبارا متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، وإليهم المنتهى في استخراج الدقائق والفهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم. 24
ولا مرعوس، ولا ذكر ولا أنثى، ولا حضري ولا بدوي، ولذلك بعثه الله في أمة أمية، جاهلة جهلاء، فلم يمت صلى الله عليه وسلم حتى كانوا علماء ربانيين،
يكتم بعضهم، بل هو صلى الله عليه وسلم أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يشح بشيء منه، عن غني ولا فقير، ولا رئيس
وما هو على الغيب بضنين أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو

وأنتى الله عليهما بما أثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما يقدح في صدقه، فقال: وما هو بقول شيطان رجيم أي: في غاية البعد عن الله وعن قربه، 25
وما هو بقول شيطان رجيم لما ذكر جلالة كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين، اللذين وصل إلى الناس على أيديهما،

حتى جعلتم الحق الذي هو في أعلى درجات الصدق بمنزلة الكذب، الذي هو أنزل ما يكون وأرذل وأسفل الباطل؟ هل هذا إلا من انقلاب الحقائق. 26
فأين تذهبون أي: كيف يخطر هذا ببالكم، وأين عزبت عنكم أذهانكم؟

به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدريّة والشرعية والجزائية، وبالجملة، يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السعادتين. 27
إن هو إلا ذكر للعالمين يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من النقائص والردائل والأمثال، ويتذكرون

لمن شاء منكم أن يستقيم بعدما تبين الرشدهم من الغي، والهدى من الضلال. 28

نافذة، لا يمكن أن تعارض أو تمنع. وفي هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدريّة النفاة، والقدريّة المجبرة كما تقدم مثلها والله أعلم والحمد لله. 29
وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين أي: فمشيئته

وإذا الجبال سيرت أي: صارت كشيء مهيل، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت وصارت هباء منبثا، وسيرت عن أماكنها. 3

فجاءهم ما يذهلهم عنها، فبه بالعشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من كل نفيس. 4
وإذا العشار عطلت أي: عطل الناس حينئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات،

حشرت أي: جمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى إنه ليقتص من القرآن للجماة ثم يقول لها: كوني ترابا. 5
وإذا الوحوش

وإذا البحار سجرت أي: أوقدت فصارت على عظمها نارا تتوقد. 6

وهذا كقوله تعالى: وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا احشروا الذين ظلموا وأزواجهم . 7

تفسير السعدي

وإذا النفوس زوجت أي: قرن كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع الأبرار مع الأبرار، والفجار مع الفجار، وزوج المؤمنون بالحوار العيون، والكافرون بالشياطين،

وإذا الموءودة سئلت وهو الذي كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر. 8

فتسأل: بأي ذنب قتلت ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ففي هذا توبيخ وتقريع لقاتليها. 9

سورة 82

أي: إذا انشقت السماء وانفطرت، 1

كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرمهم وتجلوهم وتحترمهم. 10 وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة

كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرمهم وتجلوهم وتحترمهم. 11 وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة

كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرمهم وتجلوهم وتحترمهم. 12 وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة

للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار القرار. 13 المراد بالأبرار، القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون

في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم لفي جحيم أي: عذاب أليم، في دار الدنيا و دار البرزخ وفي دار القرار. 14 وإن الفجار الذين قصروا

يصلونها ويعذبون بها أشد العذاب يوم الدين أي: يوم الجزاء على الأعمال. 15

وما هم عنها بغائبين أي: بل هم ملازمون لها، لا يخرجون منها. 16

وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ففي هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان. 17

وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ففي هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان. 18

مصافية، فكل مشغغل بنفسه لا يطلب الفكاك لغيرها. والأمر يومئذ لله فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه والله أعلم 19 يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ولو كانت لها قريبة أو حبيبة

وانتشرت نجومها، وزال جمالها، 2

وفجرت البحار فصارت بحرا واحدا، 3

وبعثت القبور بأن أخرجت ما فيها من الأموات، 4

بالشقاء الأبدى والعذاب السرمدي. وهناك يفوز المتقون المقدمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم، والنعيم المقيم والسلامة من عذاب الجحيم. 5 معها من الأرباح والخسران، هناك بعض الظالم على يديه إذا رأى أعماله باطلة، وميزانه قد خف، والمظالم قد تداعت إليه، والسيئات قد حضرت لديه، وأيقن وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال. فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفيا، وتعلم كل نفس ما

حق ربه، المتجرئ على مساخطه: يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم أنهاونا منك في حقوقه؟ أم احتقارا منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟ 6 يقول تعالى معاتباً للإنسان المقصر في

تقويم؟ فعدلك وربك تركيبا قويا معتدلا، في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟ 7 أليس هو الذي خلقك فسواك في أحسن

وعناده وغشمك، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ فهذا قال تعالى: في أي صورة ما شاء ركبك 8 إن هذا إلا من جهلك وظلمك

كلا بل تكذبون بالدين أي: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء. 9

سورة 83

ويل كلمة عذاب، ووعيد للمطففين 1

ويل يومئذ للمكذبين 10

ثم بين المكذبين بأنهم الذين يكذبون بيوم الدين أي: يوم الجزاء، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم. 11

من الحلال إلى الحرام. أئيم أي كثير الإثم، فهذا الذي يحمله عدوانه على التكذيب، ويحمله عدوانه على التكذيب ويوجب له كبره رد الحق، 12 وما يكذب به إلا كل معتد على محارم الله، متعد

جاءت به رسله، كذبها وعاندها، و قال هذه أساطير الأولين أي: من ترهات المتقدمين، وأخبار الأمم الغابرين، ليس من عند الله تكبرا وعنادا. 13 ولهذا إذا تتلى عليه آياتنا الدالة على الحق، وعلى صدق ما

من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، ما يجعله حق اليقين، وصار لقلوبهم مثل الشمس للأبصار ، بخلاف من ران على قلبه كسبه، وغطته معاصيه، 14 وأما من أنصف، وكان مقصوده الحق المبين، فإنه لا يكذب بيوم الدين، لأن الله قد أقام عليه

فإنه محجوب عن الحق، ولهذا جوزي على ذلك، بأن حجب عن الله، كما حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله، 15

ثم إنهم مع هذه العقوبة البليغة لصالوا الجحيم 16

وتغطيه شيئا فشيئا، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقا، والحق باطلا، وهذا من بعض عقوبات الذنوب. 17 ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله. وفي هذه الآيات، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب عليهم من عذاب النار، ودل مفهوم الآية، على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التوبيخ، واللوم. وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم ثم يقال لهم توبيخا وتقريرا: هذا الذي كنتم به تكذبون

لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها 18

لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها 19

وفسر الله المطففين بقوله الذين إذا اكتالوا على الناس أي: أخذوا منهم وفاء عما ثبت لهم قبلهم يستوفون يستوفونه كاملا من غير نقص. 2

لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها 20

يشهده المقربون من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصديقين والشهداء، وينوه الله بذكرهم في الملأ الأعلى، و عليون اسم لأعلى الجنة، 21 وأن كتابهم المرقوم

فلما ذكر كتابهم، ذكر أنهم في نعيم، وهو اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن، 22

على الأرائك أي: على السرر المزينة بالفرش الحسان. ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم، 23

تعرف أيها الناظر إليهم في وجوههم نضرة النعيم أي: بهاء النعيم ونضارته ورونقه، فإن توالي اللذة والسرور يكسب الوجه نورا وحسنا وبهجة. 24

يسقون من رحيق وهو من أطيب ما يكون من الأشربة وألذها، مختوم 25

أي: يتسابقوا في المبادرة إليه بالأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاومت للوصول إليه فحول الرجال. 26 الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة، وفي ذلك النعيم المقيم، الذي لا يعلم حسنه ومقداره إلا الله، فليتنافس المتنافسون وذلك الختام، الذي ختم به، مسك. ويحتمل أن المراد أنه الذي يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه، ذلك الشراب ختامه مسك يحتمل أن المراد مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه،

ومزاج هذا الشراب من تسنيم، 27

على الإطلاق، فلذلك كانت خالصة للمقربين، الذين هم أعلى الخلق منزلة، وممزوجة لأصحاب اليمين أي: مخلوطة بالرحيق وغيره من الأشربة اللذيذة. 28 وهي عين يشرب بها المقربون صرفا، وهي أعلى أشربة الجنة

وجزاء المؤمنين و ذكر ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين، ويستهنئون بهم، ويضحكون منهم، 29

لما ذكر تعالى جزاء المجرمين

كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير. 3
العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين. ودلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك. فهذا سرقة لأموال الناس، وعدم إنصاف لهم منهم. وإذا كان هذا الوعيد على وإذا كالوهم أو وزنوهم أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي للناس عليهم بكيل أو وزن، يخسرون أي: ينقصونهم ذلك،

ويتغامزون بهم عند مرورهم عليهم، احتقاراً لهم وازدراء، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم، 30

وإذا انقلبوا إلى أهلهم صباحاً أو مساء انقلبوا فكهين أي: مسرورين مغتبطين ، 31

من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجراً على القول عليه بلا علم. 32
وهذا من أعظم ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب

وكلاء على المؤمنين ملزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضلال، وما هذا منهم إلا تعنت وعناد وتلاعب، ليس له مستند ولا برهان، 33
وما أرسلوا عليهم حافظين أي: وما أرسلوا

الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم في غمرات العذاب يتقلبون، وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة 34
ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم، قال تعالى: فاليوم أي: يوم القيامة،

على الأرائك وهي السرر المزينة، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم. 35

منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال. نعم، ثوبوا ما كانوا يفعلون، عدلاً من الله وحكمة، والله عليم حكيم. 36
هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون أي: هل جوزوا من جنس عملهم؟ فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون

على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه. 4
المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فالذي جرأهم
ثم تواعد تعالى

على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه. 5
المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فالذي جرأهم
ثم تواعد تعالى

على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه. 6
المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فالذي جرأهم
ثم تواعد تعالى

يقول تعالى: كلا إن كتاب الفجار وهذا شامل لكل فاجر من أنواع الكفرة والمنافقين، والفاسقين لفي سجين 7

ضد عليين الذي هو محل كتاب الأبرار، كما سيأتي. وقد قيل: إن سجين هو أسفل الأرض السابعة، مأوى الفجار ومستقرهم في معادهم. 8
وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم أي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة، والسجين: المحل الضيق الضنك، و سجين

ضد عليين الذي هو محل كتاب الأبرار، كما سيأتي. وقد قيل: إن سجين هو أسفل الأرض السابعة، مأوى الفجار ومستقرهم في معادهم. 9
وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم أي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة، والسجين: المحل الضيق الضنك، و سجين

سورة 84

يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام: إذا السماء انشقت أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها، وخسف بشمسها وقمرها. 1
يقول تعالى مبيناً لما

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي: بشماله من خلفه. 10

فسوف يدعو ثبورا من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها. 11

تفسير السعدي

- ويصلى سعيرا أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويقلب على عذابها، وذلك لأنه في الدنيا 12
كان في أهله مسرورا لا يخطر البعث على باله، وقد أساء. 13
ولم يظن أنه راجع إلى ربه وموقوف بين يديه. 14
بلى إن ربه كان به بصيرا فلا يحسن أن يتركه سدى، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب. 15
أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل. 16
والليل وما وسق أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها. 17
والقمر إذا اتسق أي: امتلأ نورا بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع. 18
الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم. 19
نفخ الروح، ثم يكون وليدا وطفلا، ثم مميزا، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة والمقسم عليه قوله: لتركن أي: أيها الناس طبقا عن طبق أي: أطوارا متعددة وأحوالا متباينة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى أي: استمعت لأمره، وألقت سمعها، وأصاحت لخطابه، وحق لها ذلك، فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يعصى أمره، ولا يخالف حكمه. 2
وأذنت لربها
ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون. 20
وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون أي: لا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، 21
بل الذين كفروا يكذبون أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وعدم انقيادهم للقرآن، فإن المكذب بالحق عنادا، لا حيلة فيه. 22
والله أعلم بما يوعون أي: بما يعملونه وينوونه سرا، فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم. 23
فبشرهم بعذاب أليم وسميت البشارة بشارة، لأنها تؤثر في البشرية سرورا أو غما. فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به. 24
فهؤلاء لهم أجر غير ممنون أي: غير مقطوع بل هو أجر دائم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. تم تفسير السورة ولله الحمد. 25
ومن الناس فريق هداهم الله، فآمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فآمنوا وعملوا الصالحات.
ومعلم، فسويت، ومدى الله تعالى مد الأديم، حتى صارت واسعة جدا، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعا صاففا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا. 3
وإذا الأرض مدت أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودك ما عليها من بناء
الأموات من الأحداث إلى وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون على ما هم فيه يتنافسون. 4
وألقت ما فيها من الأموات والكنوز. وتخلت منهم، فإنه ينفخ في الصور، فتخرج
وأذنت لربها وحقت 5
بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تعدم منه جزاء بالفضل إن كنت سعيدا، أو بالعدل إن كنت شقيا. 6
يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه أي: إنك ساع إلى الله، وعامل
ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: فأما من أوتي كتابه بيمينه وهم أهل السعادة. 7
على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم. 8
فسوف يحاسب حسابا يسيرا وهو العرض اليسير
وينقلب إلى أهله في الجنة مسرورا لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب. 9

سورة 85

- على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته، وسعة علمه وحكمته. 1
والسماء ذات البروج أي: ذات المنازل المشتملة
الحريق أي: العذاب الشديد المحرق. قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أوليائه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة. 10
ثم وعدهم، وأوعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب
بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير الذي حصل به الفوز برضا الله ودار كرامته. 11

تفسير السعدي

ولما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين، فقال: إن الذين آمنوا

والذنوب العظام لقوية شديدة، وهو بالمرصاد للظالمين كما قال الله تعالى: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد 12
إن بطش ربك لشديد أي: إن عقوبته لأهل الجرائم

إنه هو يبدئ ويعيد أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك . 13

فرحا بتوبة العبد من هذا براجلته، وهذا أعظم فرح يقدر. فله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه 14
فأصلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم
يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين. بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه،
هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن الودود بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأتابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا
تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعاً لها، كانت عذاباً على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: يحبهم ويحبونه والمودة
والمعاني والأفعال، فمحبتهم في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي
لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأتاب. الودود الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال،
وهو الغفور الذي يغفر الذنوب جميعها

منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون المجيد نعتاً للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإن المجيد نعت لله ، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها. 15
والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب
ذو العرش المجيد أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات

وليس أحد فعلاً لما يريد إلا الله. فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئاً، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد. 16
فعال لما يريد أي: مهما أراد شيئاً فعله، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون،

ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين. 17

ثم

ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين. 18

ثم

بل الذين كفروا في تكذيب أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات. 19

وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد. 2
واليوم الموعد

محيط أي: قد أحاط بهم علماً وقدرة، كقوله: إن ربك لبالمرصاد ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره. 20
والله من ورائهم

بل هو قرآن مجيد أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم. 21

وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء. وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم. تم تفسير السورة. 22
في لوح محفوظ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين،

وشاهد ومشهود وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي. 3

استمر على الإيمان كذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: قتل أصحاب الأخدود 4
من ذلك، فشق الكافرون أخدوداً في الأرض، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن
الأخدود الحفر التي تحفر في الأرض. وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قوماً كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول في دينهم، فامتنع المؤمنون
تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة. وقيل: إن المقسم عليه قوله قتل أصحاب الأخدود وهذا دعاء عليهم بالهلاك. و
والمقسم عليه، ما

عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله. 5
ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما تقموا من المؤمنين إلا خلة يمدحون
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها،
ثم فسر الأخدود بقوله: النار ذات الوقود

تفسير السعدي

عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله. 6
ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها،
ثم فسر الأخدود بقوله: النار ذات الوقود

عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله. 7
ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها،
ثم فسر الأخدود بقوله: النار ذات الوقود

عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله. 8
ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها،
ثم فسر الأخدود بقوله: النار ذات الوقود

من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم ؟ كلا إن الكافر في غرور، والظالم في جهل وعمى عن سواء السبيل. 9
علما وسمعا وبصرا، أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر، أو ما علموا أنهم جميعهم ممالك لله ، ليس لأحد على أحد سلطة،
الذي له ملك السماوات والأرض خلقا وعبدا، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه ، والله على كل شيء شهيد

سورة 86

يقول الله تعالى: والسماء والطارق 1

فما له من قوة يدفع بها عن نفسه ولا ناصر خارجي ينتصر به، فهذا القسم على حالة العاملين وقت عملهم وعند جزائهم. 10
كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون والبهائم، وترجع السماء أيضا بالأقدار والشئون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات . 11
ثم أقسم قسما ثانيا على صحة القرآن، فقال: والسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع أي: ترجع السماء بالمطر
كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون والبهائم، وترجع السماء أيضا بالأقدار والشئون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات . 12
ثم أقسم قسما ثانيا على صحة القرآن، فقال: والسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع أي: ترجع السماء بالمطر
إنه أي: القرآن لقول فصل أي: حق وصدق بين واضح. 13

جد ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقاتلات، وتتفصل به الخصومات. إنهم أي: المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم، وللقرآن 14
وما هو بالهزل أي:

يكيدون كيدا ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل. 15

لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، ولدفع ما جاءوا به من الباطل، ويعلم بهذا من الغالب، فإن الآدمي أضعف وأحق من أن يغالب القوي العليم في كيد. 16
وأكيد كيدا

فمهل الكافرين أمهلهم رويدا أي: قليلا، فسيعلمون عاقبة أمرهم، حين ينزل بهم العقاب. تم تفسير سورة الطارق، والحمد لله رب العالمين. 17

يقول الله تعالى: والسماء والطارق 2

اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب. وقد قيل: إنه زحل الذي يخرق السماوات السبع وينفذ فيها فيرى منها. وسمي طارقا، لأنه يطرق ليلا. 3
ثم فسر الطارق بقوله: النجم الثاقب أي: المضيء، الذي يتقب نور، فيخرق السماوات فينفذ حتى يرى في الأرض، والصحيح أنه
والمقسم عليه قوله: إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة، وستجازى بعملها المحفوظ عليها. 4

فلينظر الإنسان مم خلق أي: فليتدبر خلقته ومبدأه. 5

فإنه مخلوق من ماء دافق وهو: المني 6

فإنها تستعمل في الرجل، فإن الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى لقال: من بين الصلب والثديين ونحو ذلك، والله أعلم. 7
يخرج منه ما بين صلبه وترائب، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف الله به الماء الدافق، والذي يحس به ويشاهد دفق، هو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب

تفسير السعدي

من بين الصلب والترائب يحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياها. ويحتمل أن المراد المني الدافق، وهو مني الرجل، وأن محله الذي المني الذي يخرج

والجزاء ، وقد قيل: إن معناه، أن الله على رجح الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا وإن كان المعنى صحيحا فليس هو المراد من الآية. 8
فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث، والنشور
وجوه وتسود وجوه ففي الدنيا، تنكتم كثير من الأمور، ولا تظهر عيانا للناس، وأما في القيامة، فيظهر بر الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علانية. 9
يوم تبلى السرائر أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه قال تعالى: يوم تبيض

سورة 87

لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسمائه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم . 1
يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع
سيذكر من يخشى الله تعالى، فإن خشية الله تعالى، وعلمه بأن سيجازيه على أعماله ، توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي والسعي في الخيرات. 10
فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله:

وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى وهي النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة. 11
وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى وهي النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة. 12
أليما، من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالى: لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها . 13
ثم لا يموت فيها ولا يحيا أي: يعذب عذابا

قد أفلح من تزكى أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق. 14
قوله تزكى بمعنى أخرج زكاة الفطر، وذكر اسم ربه فصلى، أنه صلاة العيد، فإنه وإن كان داخلا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده. 15
أي: اتصف بذكر الله، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة، وأما من فسر وذكر اسم ربه فصلى

بل تؤثر الحياة الدنيا أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة. 16
والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة. 17
والآخرة خير وأبقى وللآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء،

إن هذا المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة لفي الصحف الأولى 18
الله وسلم عليه وسلم. فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان. تم تفسير سورة سبح، ولله الحمد 19
صحف إبراهيم وموسى اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد صلى
وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسواها، أي: أتقنها وأحسن خلقها. 2

والذي قدر تقديرا، تتبعه جميع المقدرات فهدى إلى ذلك جميع المخلوقات. 3
ماء فأثبت به أنواع النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وكل حيوان ، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، وصوح عشبه. 4
وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: والذي أخرج المرعى أي: أنزل من السماء
فجعله غثاء أحوى أي: أسود أي: جعله هشيمًا رميما، ويذكر فيها نعمه الدينية. 5

إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن الله سيعلمه علما لا ينساه. 6
سنقرئك فلا تنسى أي: سنحفظ ما أوحينا

اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة، إنه يعلم الجهر وما يخفى ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد . 7
إلا ما شاء الله مما

وينسرك لليسرى وهذه أيضا بشارة كبيرة ، أن الله ييسر رسوله صلى الله عليه وسلم لليسرى في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسرا . 8
كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورا بها، بل منهي عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين. 9

إن نفعت الذكرى أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه. ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن فذكر بشرع الله وآياته

سورة 88

القيامة وما فيها من الأهوال الطامة، وأنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون إلى فريقين: فريقا في الجنة، وفريقا في السعير. 1 يذكر تعالى أحوال يوم

للذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها على أي: حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة. 10 أعلى عليين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة. قطوفها دانية أي: كثيرة الفواكه وذلك أنها في جنة جامعة لأنواع النعيم كلها، عالية في محلها ومنازلها، فمحلها في

نافع مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلى الآداب المستحسنة بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور. 11 لا تسمع فيها أي: الجنة لاغية أي: كلمة لغو وباطل، فضلا عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن

فيها عين جارية وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاءوا، وأنى أرادوا. 12

فيها سرر مرفوعة و السرر جمع سرير وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطينة. 13

أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة للذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون. 14 وأكواب موضوعة

أي: وسائل من الحرير والاستبرق وغيرها مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها بأنفسهم. 15 ونمارق مصفوفة

وزرابي ماثوثة والزرابي هي: البسط الحسان، ماثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب. 16

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذلكها لمانعهم الكثيرة التي يضطرون إليها. 17 يقول تعالى حثا للذين لا يصدقون الرسول صلى الله عليه وسلم، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده:

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذلكها لمانعهم الكثيرة التي يضطرون إليها. 18 يقول تعالى حثا للذين لا يصدقون الرسول صلى الله عليه وسلم، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده:

وإلى الجبال كيف نصبت بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض وثباتها عن الاضطراب، وأودع فيها من المنافع الجليلة ما أودع. 19

فأخبر عن وصف كلا الفريقين، فقال في وصف أهل النار: وجوه يومئذ أي: يوم القيامة خاشعة من الذل، والفضيحة والخزي. 2

لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة، فيكون كرويا مسطحا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة. 20 هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعد، فإن التسطیح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدا، الذي لو سطح مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصا في الخلائق على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنين فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها. واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة وإلى الأرض كيف سطحت أي: مدت مدا واسعا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر

فذكر إنما أنت مذكر أي: ذكر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم. 21

عليهم، مسلطا موكلا بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم، كقوله تعالى: وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد. 22

ولم تبعث مسيطرا

إلا من تولى وكفر أي: لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله 23

فيعذبه الله العذاب الأكبر أي: الشديد الدائم، 24

إن إلينا إيابهم أي: رجوع الخليقة وجمعهم في يوم القيامة. 25

ثم إن علينا حسابهم فنحاسهم على ما عملوا من خير وشر. آخر تفسير سورة الغاشية، والحمد لله رب العالمين 26

وذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلى أهلها؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا. 3

تفسير السعدي

فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول، لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا بيان وصف أهل النار عموماً، الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان، صار يوم القيامة هباء منثوراً، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحاً من حيث المعنى، عاملة ناصبة أي: تابعة في العذاب، تجر على وجوهها، وتغشى وجوههم النار. ويحتمل أن المراد بقوله: وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة في

تصلى نارا حامية أي: شديدا حرها، تحيط بهم من كل مكان. 4

تسقى من عين آتية أي: حارة شديدة الحرارة وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا شرابهم. 5

عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والتنت والخسة نسأل الله العافية. 6 وأما طعامهم فليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل

عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والتنت والخسة نسأل الله العافية. 7 وأما طعامهم فليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل

وأما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة ناعمة أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور. 8

قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى عباد الله، راضية إذ وجدت ثوابه مدخراً مضاعفاً، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه. 9 لسعيها الذي

سورة 89

على الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو عشر ذي الحجة، فإنها ليالٍ مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع في غيرها. 1 وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها، ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي كذلك في هذا الموضع. فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه الظاهر أن المقسم به، هو المقسم عليه، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمراً ظاهراً مهماً، وهو

وفرعون ذي الأوتاد أي: ذي الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد ما يراد إمساكه بها. 10

الذين طغوا في البلاد هذا الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال: 11

فأكثروا فيها الفساد وهو العمل بالكفر وشعبه، من جميع أجناس المعاصي، وسعوا في محاربة الرسل وصد الناس عن سبيل الله. 12

فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوباً وسوط عذاب. 13

إن ربك لبالمرصاد لمن عصاه يمهله قليلاً، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر. 14

ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه. 15 يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل

وأنه إذا قدر عليه رزقه أي: ضيقه، فصار يقدر قوته لا يفضل منه، أن هذا إهانة من الله له. 16

فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه. فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير. 17 همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: كلا بل لا تكرمون اليتيم الذي وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل. وأيضاً، فإن وقوف بقوله كلا أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، فرد الله عليه هذا الحساب:

أي: لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المحاويج من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب. 18 ولا تحاضون على طعام المسكين

وتأكلون التراث أي: المال المخلف أكلاً لما أي: ذريعاً، لا تبقون على شيء منه. 19

يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم الله بها. 2 ركن من أركان الإسلام. وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رأي الشيطان أحقر ولا أدر منه في وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو

تفسير السعدي

20. المال حبا جما أي: كثيرا شديدا، وهذا كقوله تعالى: بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة . 20 وتحبون
- فيه من اللذات، بباقي لكم، بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم، تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تجعل قاعا صفصفا لا عوج فيه ولا أمت. 21 كلا أي: ليس كل ما أحببتكم من الأموال، وتنافستم
- كلهم، صفا صفا أي: صفا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذلل للملك الجبار. 22 ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات
- الملائكة بالسلاسل. فإذا وقعت هذه الأمور ف يومئذ يتذكر الإنسان ما قدمه من خير وشر. وأنى له الذكرى فقد فات أوانها، وذهب زمانها. 23 وجيء يومئذ بجهنم تقودها
- خليلًا . وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها ، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء. 24 جنب الله: يا ليتني قدمت لحياتي الدائمة الباقية، عملا صالحا، كما قال تعالى: يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا يقول متحسرا على ما فرط في
- فيومئذ لا يعذب عذابه أحد لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له. 25
- ولا يوثق وثاقه أحد فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين. 26
- وأما من اطمأن إلى الله وآمن به وصدق رسله، فيقال له: يا أيها النفس المطمئنة إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله. 27
- وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه راضية مرضية أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها. 28 ارجعي إلى ربك الذي رباك بنعمته،
- فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به حال الموت والحمد لله رب العالمين. 29
- يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم الله بها. 3
- ركن من أركان الإسلام. وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر ولا أحر منه في
- وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو
- فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به حال الموت والحمد لله رب العالمين. 30
- والليل إذا يسر أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالى وحكمة. 4
- هل في ذلك المذكور قسم لذي حجر أي: لذي عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. 5
- يقول تعالى: ألم تر بقلبك وبصيرتك كيف فعل بهذه الأمم الطاغية 6
- إرم القبيلة المعروفة في اليمن ذات العماد أي: القوة الشديدة، والعنوة والتجبر. 7
- والشدة، كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام: واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون . 8
- التي لم يخلق مثلها أي: مثل عاد في البلاد أي: في جميع البلدان في القوة
- وئمود الذين جابوا الصخر بالواد أي: وادي القرى، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن. 9

سورة 90

- يقسم تعالى بهذا البلد الأمين، الذي هو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصا وقت حلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها. 1
- المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه ، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك. 10
- ثم قال في نعم الدين: وهديناه النجدين أي: طريقَي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي. فهذه
- فلا اقتحم العقبة أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته . 11
- فلا اقتحم العقبة أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته . 12
- عليه، ثم فسر هذه العقبة فك رقبة أي: فكها من الرق، بعثتها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكك الأسير المسلم عند الكفار. 13
- وهذه العقبة شديدة

تفسير السعدي

أو إطعام في يوم ذي مسغبة أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة. 14

يتيما ذا مقربة أي: جامعا بين كونه يتيما، فقيرا ذا قرابة. 15

أو مسكينا ذا متربة أي: قد لظق بالتراب من الحاجة والضرورة. 16

والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه. 17 بعضهم بعضا على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملا منشرحا به الصدر، مطمئنة به النفس. وتواصوا بالمرحمة للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، به، وعملوا الصالحات بجوارحهم. من كل قول وفعل واجب أو مستحب. وتواصوا بالصبر على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقدار المؤلمة بأن يحث ثم كان من الذين آمنوا أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان

لاقتحام هذه العقبة أولئك أصحاب الميمنة لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عبادته، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها. 18 أولئك الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفقهم الله

هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحا، ولا رحموا عباد الله، والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة 19 والذين كفروا بآياتنا بأن نبذوا

يقسم تعالى بهذا البلد الأمين، الذي هو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصا وقت حلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها. 2

عليهم نار مؤصدة أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة والحمد لله. 20

ووالد وما ولد أي: آدم وذريته. 3

يشكر الله على هذه النعمة العظيمة، بل بطر بالعافية وتجبر على خالقه، فحسب بجعله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينزعزل، 4 العذاب الشديد أبد الآباد. ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريجه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم. وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد والمقسم عليه قوله: لقد خلقنا الإنسان في كبد يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا،

أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ويطغى ويفتخر بما أنفق من الأموال على شهوات نفسه. 5

عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلّة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق. 6 ف يقول أهلك ما لا لبدا أي: كثيرا، بعضه فوق بعض. وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود

في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصغير والكبير؟ بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكّل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر. 7 قال الله متوعدا هذا الذي يفتر بما أنفق في الشهوات: أيحسب أن لم يره أحد أي: أيحسب

ثم قرره بنعمه، فقال: ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا. 8

ثم قرره بنعمه، فقال: ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا. 9

سورة 91

أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال: والشمس وضحاها أي: نورها، ونفعها الصادر منها. 1

التي ليست حقيقة بقمعتها وإخفائها، بالتدنس بالردائل، والدنو من العيوب، والاعتراق للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها. 10 وقد خاب من دساها أي: أخفى نفسه الكريمة،

كذبت ثمود بطغواها أي: بسبب طغيانها وترفعها عن الحق، وعتوها على رسل الله 11

إذ انبعث أشقاها أي: أشقى القبيلة، وهو قدار بن سالف لعقرها حين اتفقوا على ذلك، وأمره فأنمر لهم. 12

ناقة الله وسقياها أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقي لبنها أن تعقروها، فكذبوا نبيهم صالحا. 13 فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام محذرا:

عليهم الصيحة من فوقهم، والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جائمين على ركبهم، لا تجد منهم داعيا ولا مجيبا. فسواها عليهم أي: سوى بينهم بالعقوبة 14 فعقروها فدمدم عليهم رهم بذنبهم أي: دمر عليهم وعهم بعقابه، وأرسل

ولا يخاف عقباها أي: تبعثها. وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاة وشرعه؟ تمت ولله الحمد 15

تفسير السعدي

والقمر إذا تلاها أي: تبعها في المنازل والنور. 2

والنهار إذا جلاها أي: جلى ما على وجه الأرض وأوضحه. 3

بانتظام وإتقان، وقيام لمصالح العباد، أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه فباطل. 4

والليل إذا يغشاها أي: يغطي وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلمًا. فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، على هذا العالم،

وبانيها، الذي هو الله تبارك وتعالى، ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبنيانها، الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان. 5

والسماء وما بناها يحتمل أن ما موصولة، فيكون الإقسام بالسماء

والأرض وما طحاها أي: مدها ووسعها، فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع وجوه الانتفاع. 6

من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة. 7

كل، فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية،

سواها يحتمل أن المراد نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا العموم، ويحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده. وعلى

ونفس وما

من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة. 8

كل، فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية،

سواها يحتمل أن المراد نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا العموم، ويحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده. وعلى

ونفس وما

وقوله: قد أفلح من زكاها أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح. 9

سورة 92

العباد على تفاوت أحوالهم، فقال: والليل إذا يغشى أي: يعم الخلق بظلامه، فيسكن كل إلى مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب. 1

هذا قسم من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال

فسيبسه للعسر أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرا للشر أينما كان، ومقيضا له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية. 10

وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح. وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب فإنه يكون وبالا عليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئا. 11

وما يغني عنه ماله الذي أطغاه واستغنى به،

للهدى أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، ويؤدي من رضاه، وأما الضلال، فطرق مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد. 12

إن علينا

وإن لنا للآخرة والأولى ملكا وتصرفا، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين. 13

فأنذرتكم نارا تلظى أي: تستعر وتتوقد. 14

لا يصلاحها إلا الأشقى الذي كذب بالخبر وتولى عن الأمر. 15

لا يصلاحها إلا الأشقى الذي كذب بالخبر وتولى عن الأمر. 16

ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب. 17

يؤتي ماله يتزكى بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب

وسيجنبها الأتقى الذي

ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب. 18

يؤتي ماله يتزكى بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب

وسيجنبها الأتقى الذي

لها جزء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى. 19

إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن

بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه رضي الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم،

تفسير السعدي

وحده، وأما من بقي عليه نعمة للناس لم يجزها ويكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص إخلاصه. وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي تجزى أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأه بها، وربما بقي له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبدا لله، لأنه رقيق إحسانه وما لأحد عنده من نعمة

والنهار إذا تجلى للخلق، فاستضاءوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم. 2

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات، والحمد لله رب العالمين. 20

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات، والحمد لله رب العالمين. 21

يريد بقاءها ذكرا وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد كلا منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلا منهما مناسبا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين. 3 الموصوفة، بأنه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسما بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي وما خلق الذكر والأنثى إن كانت ما موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة

هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى السعي له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطانها، ويضمحل باضمحلها؟ 4 عليه أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوت كثيرا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، إن سعيكم لشتى هذا هو المقسم

كالصلاة، والصوم ونحوهما. والمركبة منهما، كالحج والعمرة ونحوهما واتقى ما نهى عنه، من المحرمات والمعاصي، على اختلاف أجناسها. 5 فقال: فأما من أعطى أي ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات، والكفارات والتفقات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية فصل الله تعالى العاملين، ووصف أعمالهم،

وصدق بالحسن أي: صدق بـ لا إله إلا الله وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي. 6

فسييسره ليسرى أي: يسهل عليه أمره، ونجعله يسيرا له كل خير، يسيرا له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك. 7

جانبا، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجا لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه. 8 وأما من بخل بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، واستغنى عن الله، فترك عبوديته

وكذب بالحسن أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة. 9

سورة 93

أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى. 1

مأمورا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكراما لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد. 10 رده عن مطلوبه، بنهر وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده بمعروف وإحسان. وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم وأما السائل فلا تنهر أي: لا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي

بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن. 11 وأما بنعمة ربك وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية فحدث أي: أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة. وإلا فحدث

وبالليل إذا سجي وادلهمت ظلمته، على اعتناء الله برسوله صلى الله عليه وسلم 2

فهذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درج الكمال، ودوام اعتناء الله به. 3 درجة بعد درجة. وما قلا ك الله أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحا، إلا إذا تضمن ثبوت كمال، ما ودعك ربك أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ ربك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك

وينصره على أعدائه، ويسدد له أحواله، حتى مات، وقد وصل إلى حال لا يصل إليها الأولون والآخرين، من الفضائل والنعم، وقررة العين، وسرور القلب. 4 من الأولى أي: كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة. فلم يزل صلى الله عليه وسلم يصعد في درج المعالي ويمكن له الله دينه، وأما حاله المستقبل، فقال: وللآخرة خير لك

ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة. ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة فقال: 5 ثم بعد ذلك، لا تسأل عن حاله في الآخرة، من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولهذا قال:

أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فأواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده كفله الله عمه أبا طالب، حتى أيده بنصره وبالمؤمنين. 6

- ألم يجدك يتيما فأوى أي: وجدك لا أم لك، ولا ووجدك ضالا فهدى أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق. 7
- جبيت لك أموالها وخراجها. فالذي أزال عنك هذه النقائص، سيزيل عنك كل نقص، والذي أوصلك إلى الغنى، وآواك ونصرك وهداك، قابل نعمته بالشكران. 8
- ووجدك عائلا أي: فقيرا فأغنى بما فتح الله عليك من البلدان، التي اليتيم فلا تقهر أي: لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك. 9
- فأما

سورة 94

- والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقا حرجا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطا. 1
- يقول تعالى ممتنا على رسوله: ألم نشرح لك صدرك أي: نوسعه لشرائع الدين ووضعنا عنك وزرك أي: ذنبك، 2
- الذي أنقض أي: أثقل ظهرك كما قال تعالى: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . 3
- الله عليه وسلم. وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيا عن أمته. 4
- معه رسوله صلى الله عليه وسلم، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. 5
- ورفعنا لك ذكرك أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ فإنه في آخره التيسير ملازم له. 5
- وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا . وتعريف العسر في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير اليسر يدل على تكراره، فلن يغلب عسر حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: سيجعل الله بعد عسر يسرا وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا بشاره عظمى، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، 6
- يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ فإنه في آخره التيسير ملازم له 6
- وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا . وتعريف العسر في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير اليسر يدل على تكراره، فلن يغلب عسر حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: سيجعل الله بعد عسر يسرا وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا بشاره عظمى، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، 7
- تبعنا، بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: فإذا فرغت فانصب أي: إذا فرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء. 7
- ثم أمر الله رسوله أصلا، والمؤمنين ربك فارغب في سؤال مطالبك. واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم بذلك تمت ولله الحمد. 8
- فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين. وقد قيل: إن معنى قوله: فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى وإلى ربك وحده فارغب أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك . ولا تكن ممن إذا

سورة 95

- وكذلك الزيتون أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام. 1
- التين هو التين المعروف، وطور سينين أي: طور سيناء، محل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم. 2
- وهي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل النبوات وأشرفها. 3
- وهذا البلد الأمين التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق. 4
- لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرا أو باطنا شيئا، ومع هذه النعم العظيمة،

والمقسم عليه قوله:

- فردهم الله في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم. 5
- العالية، و أجر غير ممنون أي: غير مقطوع، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها. 6
- إلا من من الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، فلهم بذلك المنازل
- الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء مما أخبرك به. 7
- فما يكذبك بعد بالدين أي: أي: شيء يكذبك أيها
- والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمنون. تمت ولله الحمد. 8
- فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطوارا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير
- أليس الله بأحكم الحاكمين

سورة 96

- وأمره أن يقرأ، فامتنع، وقال: ما أنا بقارئ فلم يزل به حتى قرأ. فأنزل الله عليه: اقرأ باسم ربك الذي خلق، ثم خص الإنسان. 1
- على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بالرسالة،
- هذه السورة أول السور القرآنية نزولا
- يقول الله لهذا المتمرد العاتي: رأيت أيها الناهي للعبد إذا صلى 10
- إن كان العبد المصلي على الهدى العلم بالحق والعمل به، 11
- أليس نهيه، من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟ فإن النهي، لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى. 12
- أو أمر غيره بالتقوى. فهل يحسن أن ينهى، من هذا وصفه؟
- أرأيت إن كذب الناهي بالحق وتولى عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه؟ 13
- ألم يعلم بأن الله يرى ما يعمل ويفعل؟. 14
- ثم توعده إن استمر على حاله، فقال: كلاً لئن لم ينته عما يقول ويفعل لنسفعن بالناصية أي: لنأخذن بناصيته، أخذاً عنيفاً، وهي حقيقة بذلك. 15
- فإنها ناصية كاذبة خاطئة أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها. 16
- فليدع هذا الذي حق عليه العقاب نأديه أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به. 17
- سندع الزبانية أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته، فلينظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟ فهذه حالة الناهي وما توعده به من العقوبة. 18
- ناه عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، وعبث به وأذاه. تمت ولله الحمد. 19
- فيه خسارة الدارين، واسجد لربك واقترب منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه. وهذا عام لكل
- وأما حالة المنهي، فأمره الله أن لا يصغى إلى هذا الناهي ولا ينقاد لنهييه فقال: كلا لا تطعه أي: فإنه لا يأمر إلا بما
- الإنسان واعتنى بتدبيره، لا بد أن يديره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتب عليهم، ولهذا ذكر بعد الأمر بالقراءة، خلقه للإنسان. 2
- وذكر ابتداء خلقه من علق فالذي خلق
- اقرأ وربك الأكرم أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود. 3
- الذي من كرمه أن علم بالعلم و علم بالقلم 4
- تنوب مناب خطابهم، فله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرון لها على جزاء ولا شكور، ثم من عليهم بالغنى وسعة الرزق. 5
- له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ به العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلا للناس
- علم الإنسان ما لم يعلم فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وجعل
- والإنسان لجهله وظلمه إذا رأى نفسه غنيا، طغى وبغى وتجبر عن الهدى 6
- والإنسان لجهله وظلمه إذا رأى نفسه غنيا، طغى وبغى وتجبر عن الهدى 7
- الرجعى، ولم يخف الجزاء، بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه، ويدعو غيره إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان. 8

سورة 97

عامة، لا يقدر العباد لها شكرا. وسميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير القدريّة. 1
في ليلة القدر كما قال تعالى: إنا أنزلناه في ليلة مباركة وذلك أن الله تعالى، ابتداءً بإنزاله في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة
يقول تعالى مبينا لفضل القرآن وعلو قدره: إنا أنزلناه

ثم فخم شأنها، وعظم مقدارها فقال: وما أدراك ما ليلة القدر أي: فإن شأنها جليل، وخطرها عظيم. 2

تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمرا طويلا، نيفا وثمانين سنة. 3
أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندesh له العقول، حيث من
ليلة القدر خير من ألف شهر

تنزل الملائكة والروح فيها أي: يكثر نزولهم فيها من كل أمر 4

كل سنة إلى قيام الساعة. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم، يعتكف، ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان، رجاء ليلة القدر والله أعلم. 5
من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر. وقد تواترت الأحاديث في فضلها، وأنها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصا في أوتاره، وهي باقية في
سلام هي أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، حتى مطلع الفجر أي: مبتدأها

سورة 98

كفرهم وضلالهم الذي هم عليه، أي: لا يزالون في غيهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين إلا كفرا. حتى تأتيهم البينة الواضحة، والبرهان الساطع. 1
يقول تعالى: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب أي: من اليهود والنصارى والمشرّكين من سائر أصناف الأمم. منفكين عن

ويخرجهم من الظلمات إلى النور يتلو صحفا مطهرة أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام. 2
ثم فسر تلك البينة فقال: رسول من الله أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتابا يتلوه، ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم،

وإلى صراط مستقيم، فإذا جاءتهم هذه البينة، فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. 3
فيها أي: في تلك الصحف كتب قيمة أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلى الحق

لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالهم، لم يزدتهم الهدى إلا ضلالا، ولا البصيرة إلا عمى، مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد، ودين واحد. 4
الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزابا إلا من بعد ما جاءتهم البينة التي توجب
وإذا لم يؤمن أهل

وذلك أي التوحيد والإخلاص في الدين، هو دين القيمة أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم. 5
والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله ليعبدوا الله مخلصين لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.
بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، حنفاء أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. وخص الصلاة
فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين أي: قاصدين

عليهم عقابها، خالدين فيها لا يفتتر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون، أولئك هم شر البرية لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة. 6
ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشرّكين في نار جهنم قد أحاط بهم عذابها، واشتد

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة. 7

أنواع الكرامات وجزيل المثوبات ذلك الجزاء الحسن لمن خشي ربه أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، وقام بواجباته تمت بحمد لله 8
لغاية فوقها، تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عنهم بما قاموا به من مرضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل، ولا طلب

سورة 99

القيامة، وأن الأرض تتزلزل وترجف وترتج، حتى يسقط ما عليها من بناء وعلم .فتندك جبالها، وتسوى تلالها، وتكون قاعا صاففا لا عوج فيه ولا أمت. 1
يخبر تعالى عما يكون يوم

وأخرجت الأرض أثقالها أي: ما في بطنها، من الأموات والكنوز. 2

وقال الإنسان إذا رأى ما عراها من الأمر العظيم مستعظما لذلك: ما لها ؟ أي: أي شيء عرض لها؟ 3

الأرض أخبارها أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم. 4
يومئذ تحدث

ذلك بأن ربك أوحى لها أي وأمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصى لأمره . 5

القيامة، حين يقضي الله بينهم أشتاتا أي: فرقا متفاوتين. ليروا أعمالهم أي: ليريهم الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويريهم جزاءه موفرا. 6
يومئذ يصدر الناس من موقف

أن بينها وبينه أمدا بعيدا ووجدوا ما عملوا حاضرا وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا، والترهيب من فعل الشر ولو حقيرا. 7
أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي

أن بينها وبينه أمدا بعيدا ووجدوا ما عملوا حاضرا وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا، والترهيب من فعل الشر ولو حقيرا. 8
أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي

سورة 100

من أنواع الحيوانات، فقال: والعاديات ضبحا أي: العاديات عدوا بليغا قويا، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها، عند اشتداد العدو . 1
الله تبارك وتعالى بالخيال، لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق. وأقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها
أقسم

أي: ظهر وبان ما فيها و ما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهرا، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم. 10
وحصل ما في الصدور

والجلية، ومجازيهم عليها. وخص خبره بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت، لأن المراد بذلك، الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه. 11
إن ربهم بهم يومئذ لخبير أي مطلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية

فالموريات بحوافره من يطان عليه من الأحجار قدحا أي: تقدح النار من صلابة حوافره وقوتهم إذا عدون، 2

فالمغيرات على الأعداء صباحا وهذا أمر أغلبي، أن الغارة تكون صباحا. 3

فأثرن به أي: بعدوهن وغارتهن نقعا أي: غبارا. 4

فوسطن به أي: براكبهن جمعا أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم. 5

كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق. 6
والمقسم عليه، قوله: إن الإنسان لربه لكنود أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه . فطبيعة الإنسان وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها

أن الضمير عائد إلى الله تعالى أي: إن العبد لربه لكنود، والله شهيد على ذلك، ففيه الوعيد، والتهديد الشديد، لمن هو لربه كنود، بأن الله عليه شهيد. 7
وإنه على ذلك لشهيد أي: إن الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع والكند لشاهد بذلك، لا يجحده ولا ينكره، لأن ذلك أمر بين واضح. ويحتمل

الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه على حق ربه، وكل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة، ولهذا قال حاثا له على خوف يوم الوعيد: 8

وإنه أي: الإنسان لحب الخير أي: المال لشديد أي: كثير الحب للمال. وحبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق

أفلا يعلم أي: هلا يعلم هذا المغتر إذا بعثر ما في القبور أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم. 9

سورة 101

- القارعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه . 1
وما أدراك ماهيه وهذا تعظيم لأمرها، 10
نار حامية أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفا. نستجير بالله منها. 11
القارعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه . 2
القارعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه . 3
هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول، 4
يوم يكون الناس من شدة الفزع والهول، كالفراس المبعوث أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراس: مر السحاب ثم بعد ذلك، تكون هباء منثورا، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد، فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء، 5
الصلاب، فتكون كالعهن المنفوش أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفا جدا، تطير به أدنى ريح، قال تعالى: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر وأما الجبال الصم
فأما من ثقلت موازينه أي: رجحت حسناته على سيئاته 6
فهو في عيشة راضية في جنات النعيم. 7
وأما من خفت موازينه بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته. 8
تكون له بمنزلة الأم الملامزة كما قال تعالى: إن عذابها كان غراما . وقيل: إن معنى ذلك، فأمر دماغها هوائية في النار، أي: يلقي في النار على رأسه. 9
فأمرها هوائية أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية،

سورة 102

- في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاتبة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى. 1
على كل شيء: ألهاكم عن ذلك المذكور التكاثر ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر يقول تعالى موبخا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته
تعذر عليكم استثنائه. ودل قوله: حتى زرت المقابر أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية ، أن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين. 2
فاستمرت غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم حتى زرت المقابر فأنكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن بعد ما
ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين أي: لو تعلمون ما أمامكم علما يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. 3
كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين أي: لو تعلمون ما أمامكم علما يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. 4
كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين أي: لو تعلمون ما أمامكم علما يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. 5
كلا سوف تعلمون
ولكن عدم العلم الحقيقي، صيركم إلى ما ترون، لترون الجحيم أي: لتردن القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها الله للكافرين. 6
ثم لترونها عين اليقين أي: رؤية بصرية، كما قال تعالى: ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا . 7
على ذلك، قال تعالى: ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون الآية. 8
الله فيه، ولم تستعينوا به، على معاصيه، فينعمكم نعيما أعلى منه وأفضل. أم اغتررتكم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق

سورة 103

أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم 1

خاسر، والخاسر ضد الرابح. والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. 2
أن كل إنسان

الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، ويتكامل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم. 3
الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه. والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة. فبالأمرين
الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة. والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل
ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به. والعمل
وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض،

سورة 104

عذاب لكل همزة لمزة الذي يهزم الناس بفعله، ويلمزمهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللاماز: الذي يعيبهم بقوله. 1
ويل أي: وعيد، ووبال، وشدة

ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هم له سوى جمع المال وتعيده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك، 2
الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدرك أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر. 3
يحسب بجهله أن ماله أخذه في

كلا لينبذن أي: ليطحرن في الحطمة 4

وما أدراك ما الحطمة تعظيم لها، وتهويل لشأنها. 5

نار الله الموقدة التي وقودها الناس والحجارة 6

التي من شدتها تطلع على الأفئدة أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب. 7

ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: إنها عليهم مؤصدة أي: مغلقة 8

في عمد من خلف الأبواب ممددة لئلا يخرجوا منها كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها. نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية. 9

سورة 105

وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم. 1
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا إخراجه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه،
أي: أما رأيتم من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق

وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم. 2
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا إخراجه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه،
أي: أما رأيتم من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق

أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أي: متفرقة. 3

تحمل حجارة محماة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبع قاصيهم ودانيهم، فحمدوا وهمدوا. 4

مشهورة وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت من جملة إرهابات دعوته، ومقدمات رسالته، فله الحمد والشكر. 5
وصاروا كعصف مأكول، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وقصتهم معروفة

سورة 106

- أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب. 1
قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها
- أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب. 2
قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها
- حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي: سفر أرادوا، ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال: فليعبدوا رب هذا البيت أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة. 3
فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب،
- الموجبة لشكر الله تعالى. فلك اللهم الحمد والشكر على نعمك الظاهرة والباطنة، وخص الله بالربوبية البيت لفضله وشرفه، وإلا فهو رب كل شيء.. 4
الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف فرغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية،

سورة 107

- يقول تعالى ذاما لمن ترك حقوقه وحقوق عبادة: أرايت الذي يكذب بالدين أي: بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل. 1
فذلك الذي يدع اليتيم أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابا، ولا يخشى عقابا. 2
ولا يحض غيره على طعام المسكين ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين. 3
فويل للمصلين أي: الملتزمون لإقامة الصلاة، ولكنهم عن صلاتهم ساهون 4
- القربات، والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الدم واللوم وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي صلى الله عليه وسلم. 5
أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مفوتون لأركانها وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات وأفضل
- ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: الذين هم يراءون أي يعملون الأعمال لأجل رياء الناس. 6
- الأموال الخفيفة، كعارية الإئاء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين. 7
والمساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال. والحث على فعل المعروف و بذل
- ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به. فهؤلاء لشدة حرصهم يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه. وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم،
ويمنعون الماعون أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإئاء، والدلو، والفأس،

سورة 108

- شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، أنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظلمأ بعدها أبدا. 1
أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، من النهر الذي يقال له الكوثر ومن الحوض طوله
يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ممتنا عليه: إنا أعطيناك الكوثر
- له، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من الناحر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به. 2
فقال: فصل لربك وانحر خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات. ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح
- ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها
- محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الكامل حقا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والاتباع صلى الله عليه وسلم. 3
إن شانك أي: مبغضك وذامك ومننقصك هو الأبتى أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر. وأما

سورة 109

أي: قل للكافرين معلنا ومصرحا 1

تفسير السعدي

لا أعبد ما تعبدون أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهرا وباطنا. 2

في عبادته ، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفا لازما. 3
ولا أنتم عابدون ما أعبد لعدم إخلاصكم

في عبادته ، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفا لازما. 4
ولا أنتم عابدون ما أعبد لعدم إخلاصكم

في عبادته ، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفا لازما. 5
ولا أنتم عابدون ما أعبد لعدم إخلاصكم

وفصل بين الطائفتين، فقال: لكم دينكم ولي دين كما قال تعالى: قل كل يعمل على شاكلته أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون . 6
ولهذا ميز بين الفريقين،

سورة 110

في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك. فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة. 1
ودخول الناس في دين الله أفواجا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به، 2
صلى الله عليه وسلم يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي . 3
بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه. فكان
وسلم قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به. وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختتم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك. فأمر الله لرسوله
فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال. وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله صلى الله عليه
ودخل فيه، ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاههم الله بتفرق الكلمة، وتششت الأمر، فحصل ما حصل. ومع هذا
لأزيدنكم وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان،
ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين ، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: لئن شكرتم
وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح، فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره، وأما الإشارة، فإن في

سورة 111

قبحه الله فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة فقال: تبت يدا أبي لهب أي: خسرت يداي، وشقى وتب فلم يربح، 1
أبو لهب هو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان شديد العداوة والأذية للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا فيه دين، ولا حمية للقرابة
ما أغنى عنه ماله الذي كان عنده وأطفاه، ولا ما كسبه فلم يرد عنه شيئا من عذاب الله إذ نزل به، 2
سيصلى نارا ذات لهب أي: ستحيط به النار من كل جانب، 3
الله صلى الله عليه وسلم، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول صلى الله عليه وسلم، 4
هو وامراته حمالة الحطب . وكانت أيضا شديدة الأذية لرسول
أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامراته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة. 5
مسد أي: من ليف. أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلا من مسد، وعلى كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله
وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطبا، قد أعد له في عنقه حبلا من

سورة 112

أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل. 1
أي قل قولا جازما به، معتقدا له، عارفا بمعناه، هو الله أحد
العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، 2

تفسير السعدي

المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، الله الصمد أي:

ومن كماله أنه لم يلد ولم يولد لكمال غناه 3

ولم يكن له كفوا أحد لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى. فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات. 4

سورة 113

أي: قل متعوذا أعوذ أي: ألبأ وألود، وأعتصم برب الفلق أي: فالفلق والحب والنوى، وفالفق الإصباح. 1

من شر ما خلق وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخلقها، من الشر الذي فيها، 2

عم، فقال: ومن شر غاسق إذا وقب أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية. 3
ثم خص بعد ما

ومن شر النفاثات في العقد أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر. 4

السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عموما وخصوصا. ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله. 5
من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه
ومن شر حاسد إذا حسد والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه

سورة 114

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 1
تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم
ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون
الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس
الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم
وهذه السورة مشتملة على

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 2
تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم
ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون
الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس
الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم
وهذه السورة مشتملة على

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 3
تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم
ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون
الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس
الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم
وهذه السورة مشتملة على

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 4
تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم
ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون
الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس

تفسير السعدي

الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم وهذه السورة مشتملة على

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 5
تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو أخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم وهذه السورة مشتملة على

وذلك في غرة ربيع الأول من سنة أربع وأربعين وثلثمائة وألف من هجرة محمد صلى الله عليه وسلم تم بحمد الله لاتنسونا من دعوه بظهر الغيب 6
تفسير كتاب الله بعونه وحسن توفيقه، على يد جامعه وكاتبه، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المعروف بابن سعدي، غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين، الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلاما دائمين متواصلين أبد الأوقات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. تم
آياته. ونرجوه ونأمل منه أن لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا القوم الضالون. وصلى أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا. ونسأله تعالى أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوبنا لنا حالت بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . والحمد لله رب العالمين والملك، فكل دابة هو أخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس ويخنس الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم الشر، ويريههم وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب